

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم القرآن وعلومه



اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري

رسالة لنيل درجة الدكتوراه

إعداد

فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي

إشراف

الدكتور / مصطفى مسلم محمد
أستاذ مشارك في كلية أصول الدين

(الجزء الأول)



العام الجامعي
١٤٠٤هـ ـ ١٤٠٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله جعل القرآن ربيع قلوبنا وبهجة نفوسنا ونور عقولنا وهادى علومنا ومدبر أمورنا ومرجع خلافنا وموئل شقاقنا وحكم ما بيننا ونظام دولتنا ومنهج أمتنا ومحار فكرنا وملجأ تائهنا وهادي ضالنا وشفاء لما فى صدورنا .

الحمد لله أنزل الفرقان وخلق الانسان علمه البيان ومنحه عقلا يميز به بين الحق والضلال على هدي القرآن .

الحمد لله أرسل الينا أفضل رسله من صفوه خلقه ليبين لنا خير كتبه فأخرجنا من أحلك ظلمه الى أوضح سبيل . ووضح لنا معالم دينه وبسط لنا شرعه فهدى الى صراط مستقيم .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم بلغ الرسالة وأدى الامانه وجاهد فى الله حق جهاده فكان خير قدوة ومنار الهدى .

ورضى الله عن صحبه الكرام وأرضاهم ذادوا عن حياض الاسلام وباعوا المهج والارواح في سبيله كانوا جنود الاسلام حقا وجذوره الاولى فكانوا خير القرون .

وكيف لا يكونوا خير القرون وفيهم رسوله وبينهم كتابه . . . وهم هم .. ؟! اذا أشكل عليهم معنى أو غمض عليهم مرمى جاءوا اليه عليه الصلاة والسلام فوضحه لهم وبينه وجلا غموضه فحيوا به حياة طيبة وتحركوا ، وأبصروا به السبيل وأدركوا . وتهذبوا به وتخلقوا وتمذهبوا به وتأدبوا ، وصلوا به وأخبتوا وبه حاربوا وسالموا وبه قاموا ونهضوا وان شئت فقل ترقوا وتمدنوا وبلغوا ما بلغوا فكانوا بحق جيلا قرآنيا فريدا .

وكيف لا يكونوا كذلك وهم يستقون من نبع القرآن الصافى ومن معينة العذب .. وكيف لا يكونوا كذلك وهم اذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل إدراكا منهم أنهم انما يتلقون أوامر الله سبحانه وتعالى لهم بالعمل فور سماعه ومن ثمّ لم يكن أحدهم ليستكثر منه في الجلسة الواحده لأنه كان يحس أنه انما يستكثر من واجبات وتكاليف يجعلها على عاتقه [(١)]

ذلكم الاحساس كان يفتح لهم آفاق القرآن ويفتح لهم أبواب العلم والمعرفه ومع هذا فقد كانوا ـ رضى الله عنهم ـ لا يجدون في بسيط الأرض على سعتها ومديد السماء على عرضها ملجأ إن هم قالوا فى القرآن بغير علم أو بما لا يعلمون .

على هذا المنهج الصافى والمورد العذب والنبع النقي كانت سيرة خير القرون .. وقدوة المسلمين وعلى قدر صفائه ونقائه كان صفاء ونقاء قلوبهم وعلى قدر مضائه كان مضاء سيوفهم فحملوا الكلمةَ والسيفُ يحميها ووصلوا في سنوات معدوده ما حسبوه أقصى الأرض ولو علموا أحداً خلف ما وصلوا لخاضوا البحر اليه أداءاً للأمانه وعرفاناً للحق .

سار هذا المنهج يشق له طريقاً فى مسار التاريخ محافظاً على صفائه ونقائه تماماً كما يجرى النهر العذب على سطح الارض يسقيها فينبت الزرع ويروى العطش ومتعة للناظرين .

هذا المنهج كهذا النهر شق له طريقا فى أرض التاريخ ينبوعه القرآن الكريم ومصبه رضوان رب العالمين من سلكه نجا وفاز فوزا عظيما ومن حاد عنه هلك وخسر خسرانا مبينا .

---

(١) معالم في الطريق : سيد قطب ص ٢٠

وككل سبيل وكل طريق تحف بـه الدروب والطرق متقاطعه متخالفه كان هذا المنهج فنشأت بجانبه مناهج أخرى وطرق شتى واتجاهات عـــده . .

منها ما سلك هذا النهر واختلفت به المراكب ، ومنها ما حاد عنه وزاغ ، ومنها ما وقف على شاطئه يلقي فيه بالأذى والحجاره يحسب نفسه تستطيع له سداً أو منعاً . وما درى ذلك المسكين أنه يجني على نفسه ، وأنـه لن يبلغ شأوا ولن يقوم له أثـر .

وما زالت هذه المناهج تزداد وتتنوع وتتسع وتضيق وتتجدد وتندرس . منها ما هو في دائره المقبـول ومنها ما هو في دائرة المرفوض ومنها وما يحوم بين الدائرتـين يضرب هنا وهنـاك .

ولعـل بزوغ شمس القرن الرابع عشر الهجرى نفث في روح هـــذه المناهج الحياة من جديد - بعد أن فترت حينا من الدهـر - بما جـاء بـه من وسائل مدنيه وأدوات حضارية تعين على الاطلاع وتساعد علـى الانتشـار .

فأشرقت بشروقها شمس المناهج التفسيرية للقرآن الكريم بما فيها مـن حـق وبما فيها من باطـل .

وغربت شمسه منذ بضع سنين وغلقت أبوابـه بما فيها من مناهج قديمـه وجديده لكن المؤلفات فيه نفذت منه الى القرن الجديد ومازالت بـين أيدينا نتلوها ونقرؤها ونطبعهـا وننشرهـا .

فكان حقاً واجباً أن تقدم دراسة وافيه للمناهج في هذا القـــرن يبين فيها الاصيل والدخيل والصحيح والسقيم والمقبول والمردود علّنـا نتدارك في قرننا الجديد مساوىء سابقه ونأخذ منه محاسنه فنكون بذلـك قد خطونا خطوات عزيزه ونكون بذلك قد استفدنا ممن قبلنا ونفيد من بعدنا في تنقيه التفسير ومناهجه مما أصابـه من الشوائب عبر القرون الماضيـه منذ أن كان صافيا نقيا الى يومنا هذا فنعود به كما كان ويصلح آخر هـذه الأمه بما صلح به أولها .

وإذ كان الأمر كذلك فقد اخترت لنفسى أن أكتب هذه الدراسة لكتب التفسير في القرن الرابع عشر الهجري وان كنت أدرك من نفسي قصورها ومن الموضوع سعته لكنى أعلم أن كل نفس مكلفه بما تستطيع فما وجدت لي عذرا أن أتركه ولم أجد أحدا قد سده .

فأخترت " اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري " عنوانا لموضوع رسالتى لنيل درجة الدكتوراه ، لأسباب عديده سبقت الاشارة اليها ومجملها خمسة أمور :

أولها : أنا نعيش بعد القرن الرابع عشر الهجرى مباشرة ومازالت الكتابة فيه بكرا . وما تزال الاتجاهات فيه واضحة المعالم بينة السبل المستقيمُ منها والمنحرفُ .

ثانيها: ان في الامكان توجيه الاذهان الى الحق منها وسلوكه والتحذير من المنحرف وطمسه وتقويم المعوج وتعديله فما تزال الجادّه فيه رطبه ومازالت الاغصان منه لينه .

ثالثها: ما اختص به هذا القرن من بين القرون السالفه كلها من سهولة نشر المؤلفات وعرضها على الناس في وقت قصير مما كان له الاثر في كثرة المؤلفات وسرعة انتشارها بين الناس فكانت دراسة هذه المناهج وعرضها أولى من غيرها نظرا للحاجة الى ذلك .

رابعها : ما جَدَّ فى هذا القرن من مناهج فى التفسير بعضها له جذور فى القرون الماضية وبعضها جديد كل الجده مما يوجب درسه ونقده وبيان ماله وما عليه .

خامسها : ان وسائل التفسير لم تكن فيه كما كانت من قبل عبر الكتابة والتدوين بل جد فيها وسائل الاعلام الحديثة كالاذاعه والصحافة والرائي

والند وات والمؤ تمرات وغير ذ لك فكانت الحاجة ماسة لوضع المقاييس الصحيحة في أيدى الناس يزنون بها ما يسمعون وينقد ون بها ما يقرأون .

والاسباب غير ذ لك كثيرة لا أظن أحدا يجهلها ، ولعل فيما ذكرت منها الكفايـــة .

ويلمس الحاجة الماسة الى ذ لك كل من جلس مجلسا ضم أشخاصـــا اختلفت د رجاتهم وتنوعت وطرح فيه للحد يث موضوع التفسير وحد ود ه سيد رك لأول وهله أن منهم من تلتبس عليه السبل وتختلط عليه المناهج فلا يـــد رك اد راكا صحيحا أبعاد التفسير المقبول وحد ود ه ولا معالم التفسير المرد ود . فقد يرد الصحيح ويقبل الخاطيء لا لشيء الا لقصور فى مقاييسه أو لانـــه سمعه من فلان أو علان .

وقد تلمس الحاجة الماسة عند من هم أعلى د رجة من أولئك حـــين ترى كثيرا من طلبة العلم وأهله يسألون بين حين وآخر عن ذ لك التفســير أو ذلكم المفسر ما منهجه وما طريقته ويسألون عن الحق فى تفســـيره وســواه . وقد تجد هذا واضحا فى رجوعهم الكثير للكتب التى تختـــص بد راسة التفسير والمفسرين . ذ لكم ـ مثلا ـ كتاب " التفسير والمفســرون" للشيخ محمد حسين الذ هبى رحمه الله تعالى د رس فيه اتجاهـــات التفسير من العهد النبوى الى العصر الحد يث ود راسته هذ ه وان كانـــت د راسة سريعه عجلى الا أنها قد سدت فراغا كبيرا فى الد راسات القرآنيـــة يظهر هذا فى أنه قل أن تجد باحثا فى هذا المجال الا ويرجع الى هـــذا الكتاب ويستفيد منه .

وقد تلمس الحاجة لمسا سريعا حين يوجه اليك أحد هم ـ وكثـــيرا ما يحدث هذا ـ سؤالا يطلب منك فيه أن تد له على كتاب فى التفســـير يقرؤه . يسأل هذا ليس لعدم معرفته لتفسير للقرآن ولكن لأنه يعـــرف كثيرا منها فأختلط عليه الحابل بالنابل وأصبح لا يفرق بين غثها وسمينهـــا

فهو هنا بحاجة الى من يميز له بين هذا وذاك فوجه اليك سؤاله .

لست أريد هنا أن أقرر الحاجة الى مثل هذا البحث لكنى أردت أن أبسط الواقع الذى يعيشه الناس فى عصرنا هذا مع هذا الغيض من المؤلفات فى التفسير .

الدراسات السابقة :

وقد عثرت على بعض المؤلفات التى لها صلة فى موضوعي هذا وان كان بينها وبينه فارق الا أنى أحب أن أشير اليها سريعا فمنها :

١ - اتجاهات التفسير فى مصر فى العصر الحديث . للدكتور عفت محمد الشرقاوى ، ومن عنوانه يظهر اقتصاره على بلد واحد من بلدان العالم الاسلامي وان كانت هذه البلاد من أوفى البلاد الاسلامية وأكثرها الا أن هناك اتجاهات ظهرت في مناظق أخرى ولا وجود لها فى مصر زد على هذا أنه بحث فيه ثلاثة اتجاهات هي :

١ - الاتجاه الاجتماعى فى التفسير الحديث

٢ - الاتجاه الادبى فى التفسير الحديث

٣ - الاتجاه العلمي فى التفسير الحديث

وليست هذه - كما سيظهر ان شاء الله فى هذه الدراسة هي كل اتجاهات التفسير فى العصر الحديث . ولعل لهذا أثره فى تغيير اسم الكتاب لما طبعه صاحبه مرة أخرى فسماه " الفكر الدينى فى مواجهة العصر "

٢ - اتجاهات التجديد في اتفسير القرآن الكريم في مصر

للدكتور محمد ابراهيم شريف ، ومع أن هذه الدراسة قيمة وجاده الا أن تقييدها بكلمتى " التجديد " و" في مصر " قصر الدراسة عن الهدف الذى أريده زد على هذا اختلاف منهج الدراسة وطريقتها : اختلافا كليا .

ولا يقلل هذا من شأن هذا الكتاب فله عندى مكانة رفيعه في موضوعه .
لكنى أردت بيان الفاصل بين موضوع بحثه وموضوع بحثي .

٣ - اتجاه التفسير فى العصر الحديث منذ عهد الامام محمد عبده
الى مشروع التفسير الوسيط للشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير.
وهو بحث ألقاه المؤلف فى المؤتمر السادس لمجمع البحوث الاسلامية
والغرض الذى كتب له هذا البحث لا يوجب الاستيفاء والشمول فكان فيه
إجمال لمناهج كثيره أو عدم تعرض لها على الاطلاق .

٤ - اتجاهات التفسير فى العصر الراهن
للدكتور عبد المجيد عبد السلام المحتسب .
وقد صدر هذا الكتاب بعد تسجيلى لرسالة الدكتوراه بفترة قصيره
وقد بادرت للحصول على نسخه منه وكنت أظنه كمسماه ولكنه لم يكن كذلك فقد
صدر الجزء الاول منه وفيه اتجاهات ثلاثة :

١ - اتجاه سلفى
٢ - اتجاه عقلى
٣ - اتجاه علمى

ووعد بصدور الجزء الثانى وفيه مناهج أخرى ولم يصدر هذا الجزء
حتى ساعتنا هذه - فيما أعلم - زد على هذا أن دراسته لهذه الاتجاهات
الثلاثة بحاجة الى اعادة النظر :

فقد انخدع بعناوين بعض التفاسير فهو يصنف مثلا تفسير " التفسير
القرآنى للقرآن " للاستاذ عبد الكريم الخطيب تحت الاتجاه السلفى لا لشئ
الا لعنوان التفسير ولست بهذا أغمط تفسير الخطيب ولكنى أراه ذا اتجاه
آخر أضف الى هذا أنه يعنى بكتاب التفسير أكثر من عنايته بالمنهج
الذى ينتمى اليه هذا التفسير فهو أشبه ما يكون فى جزئه الاول بدراسة

لكتب في التفسير أكثر منه دراسة لاتجاهات التفسير وبينهما فرق لا يخفى .

أما ما عدا ذلك من الدراسات التي اطلعت عليها فهي دراسات غير منهجية أو دراسات خاصة بمنهج واحد من مناهج عديده .

لهذا فقد عزمت بتوفيق الله سبحانه على الكتابه فى موضوعي هذا " اتجاهات التفسير فى القرن الرابع عشر الهجري "

مخطط البحث :

وبعد دراسة لهذا القرن الرابع عشر والمؤلفات التفسيريه فيه وبعد سؤال أهل الذكر ومشورتهم قَرَّ قراري على أن تكون خطة البحث فى مقدمه وتمهيد وخمسة أبواب وخاتمه كالاتي :-

∴ **المقدمه**

∴ **التمهيد** : تحدثت فيه عن نشأة التفسير فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ثم المراحل التى مر بها عبر العصور الاسلامية ثم تحدثت عن مناهج المفسرين السابقين وأهم المؤلفات فى كل منهج قصدت بهذا أن أضع قاعدة ترتكز عليها مناهج واتجاهات المفسرين فى العصر الحديث لنعرف ما كانت جذوره من الجديد ضاربة فى القديم وراسخه وما كان منها جديدا يزيدها جمالا وبهاءً وماكان نشازا منحرفا ثم تحدثت عن فترة الركود فى العالم الاسلامى . حتى عصر النهضة الاسلامية الحديثه ونهضة المؤلفات التفسيرية خاصة والمناهج التى قامت مع قيامها اجمالا .

∴ **الباب الاول**

تحدثت فيه عن الاتجاه العقائدى في التفسير . وعنيت فيه بالتفاسير الحديثة التى تعنى بابراز جوانب العقيده وبيان

د قائقها والرد على الخصوم بحيث يظهر فيها طابع الا هتمام ببسط العقيدة التى يعتقد ها صاحب التفسير وان كان لا يهمل اهمالا تاما الجوانب الاخرى .

وتطلب هذا منى أن أنظر فى العقائد الاسلامية المعاصرة الحق منها والباطل وأن أنظر فى النتاج العلمي لهذه الفرق عامه وفي التفسير خاصه .

أما الفرق فكثيره وعديده منها ما هو اسلامى حقا ومنها ما شطح وانحرف ومنها ما خرج عنه وابتعد ، ولو كانت دراستى هنا دراسة ملل ونحل لَلَزمني الحديث عن كل واحده منها ومادام الأمر غير ذلك فإنى تحدثت عن الفرق التى لها نتاج فى التفسير منشور ومن هنا فانى تحدثت عن أربع فرق .

أولها أهل السنه والجماعه وثانيها الشيعه وثالثها الأباضيه ورابعها الصوفيه وما عدا هذه الفرق فلم أتحدث عنه إما لأنه إندثر وباد أو لأنه لا نتاج لهم في التفسير أو لأنهم خارجون عن الاسلام بالإجماع كالبهائيه والقاديانيه وغيرهم .

وعلى هذا فقد جاء الباب الأول فى أربعة فصول

الفصل الاول : منهج أهل السنه والجماعه فى التفسير .

الفصل الثانى : منهج الشيعةَ فى التفسير

الفصل الثالث : منهج الأباضيةَ فى التفسير

الفصل الرابع : منهج الصوفيةَ فى التفسير

ولا أكتمكم حديثا أني عانيت فى هذا الباب والباب الاخير ـ كما سيأتى بيانه ان شاء الله ـ كثيرا فى جمع المادة العلمية أولا ثم قرآءتها ثانيا واستخراج مناهجها ثالثا ولا تخفى صعوبة العثور على مؤلفات أرباب الفرق

المعاصره خاصة اذا علمنا أن بعض هؤلاء لا يحرصون على نشر كتبهم ولا على اطلاع غيرهم عليها بل ولا يسمحون أحيانا لاصحابهم بالاطلاع وقد حدثنا أصغر فيضى مثلا في مقدمته لتحقيق كتاب " دعائم الاسلام " وهو من كتب الاسماعيليه مالاقاه من صعوبة فى جمع المخطوطات حتى أن صاحب احدى النسخ لم يسمح له بالاطلاع على نسخته الا لمدة ساعة واحده ولم يتركه ينفرد بها بل أقام ابنه على رأسه حتى انتهت الساعة فأخذها منه هذا مع أصحاب مذهبهم فكيف بالآخرين .

وأضرب مثلا لمعاناتي ما حدث لي في الحصول على تفسير لاحد المذاهب المعاصرة مع أن أتباعه ينكرون التقيه ويرفضونها ومع هذا فقد التقيت بأحد علمائهم وشرحت له مهمتي فرفض أن يعيرني أو يقدم لي شيئا من كتبهم واتصلت بالمكتب الثقافي الذى يقوم بطبع مؤلفاتهم ولم أجد أى مساعده واتصلت بسفارتهم هناك وكان الصدود المقصود .

وعدت الى الرياض هنا وكتبت الى سفارة بلادهم والى وزارة التراث القومي عندهم والى مفتي بلادهم وفي كل حاله لا أجد الا الصمت المطبق ثم ومن حيث لا أحتسب هيأ الله لي الحصول على ما أردت .

ولم ينته الأمر الى هنا أو لم أشأ أن ينتهي اليه فأردت أن أصل معهم الى أقصى خطوه فكتبت الى أحد علمائهم البارزين والمختصين بنشر تراثهم أعرض عليه أن أرسل اليه بصوره لما كتبته عن مذهبهم ليبدي رأيه فيما كتبت أو إن كنت قد قلت عنهم حرفا ليس من بطون مؤلفاتهم أو ان كنت نسبت اليهم عقيدة أو قولا ليس فى عقائدهم . ومع هذا فقد كان الجواب الصمت . .

كنت أظن الأمر غير مقصود أول مرة وثانيها وثالثها أما بعد ذلك فقد حسبته غير ذلك لاتسألونى عن السبب فما زلت أبحث عنه .

عذرا لحكاية حادثة مادعاني لذكرها هنا الا أنها ليست حادثة شخصية بل هي حادثة علمية من حق أهل العلم عليّ أن أنشرها وأن يعلموا بها .

أولئك نفر وذلك موضع واحد من المواضع التي جهدت في الحصول على بعض مؤلفاتهم حتى حصلت والحمد لله .

أما من لم أحصل على كتبهم فيرجع سبب ذلك الى أحد أربعة أسباب :

أولها : أن كتبهم سرية لا يطلع عليها أحد سواهم .. كالفرق الباطنية .

ثانيها : أن كتبهم مصادره أولم يؤذن لها بالنشر .

ثالثها : أنهم لم يؤلفوا فى التفسير أولم يطبعوا ما تم تأليفه لأسباب خاصه كالزيديه مثلا .

رابعها : قصوري الشخصي الذى لايمكننى من الاطلاع على كل المؤلفات فى التفسير .

هذا ما أردت بيانه في المقدمه فيما يتعلق بالباب الاول ومعذرة ان كان فيه إطالة فما قصدت الا البيان .

∴ الباب الثانى

وتحدثت فيه عن الاتجاهات العلمية فى التفسير وقسمته الى ثلاثة فصول

الفصل الاول : تحدثت فيه عن المنهج الفقهي في التفسير وتناولت كتب تفسير آيات الأحكام .

وفى الفصل الثانى : تحدثت عن المنهج الأثري في التفسير ونعني به كتب التفسير بالمأثور .

وان كانت كتب التفسير عامه تكاد لا تخلو من تفسير آيات الاحكام كما أن بعضها يوجد فيه تفسير بالمأثور . لكنى عنيت المؤلفات التى اقتصرت على تفسير آيات الاحكام ولم تتناول غيرها فى الفصل الأول أو المؤلفات التى أبرزت التفسير بالمأثور وأَولَته مزيد اهتمام وتَتَبَعَتْه حتى أصبح طابعها العام فى الفصل الثانى .

أما الفصل لثالث: فتحدثت فيه عن المنهج العلمي التجريبى في التفسير وهو منهج وان ضربت جذوره في عصور مبكره في تاريخ الاسلام الا أنه اتسع في العصر الحديث اتساعا كبيرا حتى كاد أن يصبح من سمات التفسير في هذا العصر أو كأنه ولد فى هذا العصر وقد بينت أصوله التى يضرب اليها في العصور السابقه ثم نهضته في العصر الحديث والحدود التى وصل اليها وما لهذا المنهج وما عليه أو المقبول منه والمردود .

.·. الباب الثالث :

وتحدثت فيه عن " الاتجاه العقلي الاجتماعي فى التفسير ، وانما مزجت فيه بين صفتين (العقليه والاجتماعيه) لأنه قد اشتهرت بهما فى العصر الحديث مدرسة واحدة فى التفسير هي مدرسة الاستاذ الامام محمد عبده ولا يعنى هذا أن لا يكون قد شاركها أحد في التفسيرالاجتماعي الذى يعنى باصلاح المجتمع وتشخيص عيوبه ثم علاجها على ضوء القرآن وانما يعنى أن هذه المدرسه قد أَولَت هذا الجانب من التفسير اهتماما خاصا وأنزلته منزله كبيره حتى أشتهرت به وعرفت بل ولقبت به فصار بعضهم يسميها المدرسه العقليه وآخرون يسمونها المدرسه الاجتماعيه ولذا رأيت أن أمزج بين الصفتين في اتجاه واحد .

∴ البـــاب الرابـــع

وتحدثت فيه عن الاتجاه الأدبي في التفسير وفيه فصلان :-

الفصل الاول : المنهج البيانى في التفسير ، وتحدثت فيه عن مدرسة أمين الخولي التى اهتمت بهذا اللون من التفسير حتى أصبح سمة لتفاسيرهم وقام به من بعده تلاميذه حتى كان له أسسه وقواعده .

وفى الفصل الثانى : تحدثت عن منهج التذوق الأدبى للقرآن الكريم ومع ندرة المؤلفات في هذا المنهج فان ما أحدثه تفسير سيد قطب رحمه الله تعالى من أثر في العصر الحديث ومن تلقي الأمه له بالقبول والرضا يرسم خطوطا واضحه لمنهج في التفسير جديد حتى وان لم يسلكه حتى الآن الا مفسر واحد لأن السالك هنا هو سيد قطب وحسبك به .

∴ الباب الخامس

" الاتجاه المنحرف فى التفسير " وهذا المنهج وان كانت ولادته بدأت منذ العصور الاولى فى صدر الاسلام الا أنه فى العصر الحديث اتخذ أشكالا وألوانا أخرى ولهذا فقد قسمت الحديث فيه الى ثلاثة فصول .

الفصل الاول : المنهج الالحادى فى التفسير .

وقصرت الحديث فيه على التفاسير المنحرفه لعلماء متخصصين توفرت فيهم أكثر شروط المفسر ومع هذا جاء تفسيرهم منحرفا ملحدا وينبغى أن أنبه هنا الى أمرين هامين جدا في هذا المنهج بالذات .

أولهما : أنه يجب التفريق بين التفسير الملحد والمفسر الملحد فقد يكون أحدهم ملحدا وتفسيره مقبولا لان الالحاد جاء فى غير هذا الموضع وقد يكون الامر عكس هذا فنعرض تفسيرا ملحدا وصاحبه غير ذلك لأنه قال بهذا التفسير من غير أن يعلم ما يوقعه فيه أو ما يلزمه وحين نبه الى خطئه وضلال تفسيره تاب وأناب وبقي تفسيره ملحدا .

قصدت من هذا أن أبين أن من الاعلام الذين ذكرتهم من استقام وقد يكون فيهم من رجع عن تفسيره وقد يكون منهم غير ذلك .

ثانيهما : أنى تحدثت أولا عن المنهج عامة فأجمع فيه الشوارد من هنا وهناك وقد لا يكون لصاحب التفسير الذى أتيت به غير هذا التفسير وبهذا فلا يكون من أصحاب المنهج ولا من ملتزميه .

وأضرب لذلك مثلا حين أورد تفسيرا ملحدا لآيه قرآنيه أو لايتين لأحمد حسن الباقوري فان هذا لا يعنى أن الباقوري صاحب منهج ولا يعنى أنه من ملتزميه بقدر ما يعنى أن هذا التفسير لهذه الآيه أَوْلَهُمَا تفسير ملحد يدخل في هذا المنهج من غير أن يدخل صاحبه معه في المنهجية والالتزام .

ثم انى تحدثت ثانيا عن أمثله خاصة للمنهج فذكرت تفاسير التزمت المنهج الالحادى في التفسير التزاما حقيقيا ليس في آيه أو آيات بل في قدر من الآيات تظهر فيه أسس متكامله للمنهج الالحادى وحتى صار طابعها فأصبحت جزءا منه .

هذان أمران أحببت التنبيه اليهما حتى لا يقول قائل وضعت فلانا مع الملحدين وهو ليس كذلك أو يقول آخر جعلت لفلان منهجا في التفسير وهو الذى لم يفسر من القرآن الا آيه أو آيتين ولعل ماأردت بيانه قد بان .

وفى الفصل الثانى :

تحدثت عن منهج المقصرين فى التفسير وأعنى بهم طائفه لم يدركوا شروط المفسر ولم يمنعهم هذا من أن يقولوا في القرآن بغير علم ، وانما سميته بهذا الاسم لأن أصحابه قصروا عن استيفاء شروط المفسر فكانوا كالقاصر فى التصرفات .

وفي الفصل الثالث :

تحدثت عن اللون اللامنهجي في التفسير وهم قوم ليسوا من هؤلاء ولا من أولئك حيث جاءوا بتفاسير لا تقوم على سند شرعي ولا على سند علمي آخر بل جاءوا بها خبط عشواء فلا تناسق ولا تناسب فيما بينها فهم لا يسيرون على منهج ولا يسلكون دربا واحدا بل يذهبون يمنه ويعودون من حيث لا يشعرون يسره عافانا الله واياكم من الزيغ والضلال .

∴ الخاتمه

وفي الخاتمه تحدثت عما توصلت اليه من نتائج وبينت المنهج السليم في تفسير القرآن الكريم ، وعن أسس المنهج الذى يطلبه ابناء العصر الحديث والذى يجب ـ فيما أرى ـ أن يوليه أصحاب العلم والمعرفه من ذوى الاختصاص عنايتهم وأن يوجهوا اليه همتهم .

وينبغي أن أشير الى أمور أرى ضرورة التنبيه اليها هنا في المقدمه : منها أني جانبت ـ ما استطعت ـ الاستطراد في الابحاث وكان بأمكاني مادامت أرض البحث مترامية الاطراف أن أستطرد في أبحاثه وأتوسع الا أني خشيت أن يكون الاستطراد على حساب المادة العلمية الأصيله ولذا فاني اقتصرت في أكثر الابحاث والمناهج على تقديم موجز لتأريخها والدراسات السابقه لها ان كان لها سابق ـ ثم ذكر أصولها وقواعدها وذكر أهم المؤلفات فحسب ثم اثبات ذلك بذكر نصوص متفرقه من هذه المؤلفات جميعا حسب اسس المنهج ثم دراسة لتفسير واحد أو لتفسيرين أظهر بها توفر هذه الاسس مجتمعه في كل واحد منهما وبهذا أثبت أسس المنهج أولا ثم التزام بعض المؤلفات له ثانيا وأرى ما نقص عن هذا قصورا حاولت تجنبه وما زاد عليه اطنابا حاولت تلافيه ولعلي وفقت في ذلك ان شاء الله .

ومما يلزم التنبيه اليه أيضا أنى قدمت الاتجاه العقائدى فى التفسير وقدمت فيه منهج أهل السنه والجماعه فيه ليكون في أول الدراسة ميزانا يزن به القارئ ما يراه بعد من آراء . ونورا يتبين به معالم الطريق . . ومعولا يهدم به صوامع الضلال والانحراف . ولهذا فانى لم أقف كثيرا في الرد على بعض التفاسير الخاطئة اذ لو فعلت لجاء البحث بأضعاف حجمه ولكان فيه من التكرار ما يبعث الملل ويفقد المنهجية فاكتفيت بتقديم بيان المنهج الحق في التفسير وحاولت جهدى أن أبين فيه الحكم الصحيح والتفسير الحق للمواضع التى تعد أصولا لمنهج آخر كرد متقدم على تفسير أو تفاسير خاطئة متأخره .

فأذكر مثلا موقف أهل السنه والجماعه من الصحابه رضى الله عنهم وأرضاهم وبه يرد على ما يتلوه من مناهج يقلل أصحابها مكانة الصحابه رضوان الله عليهم أو من مكانة بعضهم .

وأذكر مثلا موقف أهل السنه من عقيدة البداء والتقيه والعصمه ونكاح المتعه وان كانت هذه الابحاث لا تعد من أصول عقائد أهل السنه أو من أسس منهجهم ـ كرد على من صرفوا آيات القرآن لتوافق ما جاءوا به . وأظن الأمر بعد هذا قد أصبح واضحا .

ومن الملاحظات التى أنبه اليها أني لا أنقل عقائد مذهب وأصوله الا من مؤلفات اتباعه فلم أنقل عقائد الشيعه مثلا الا من مؤلفاتهم ولا الاباضية الا من كتبهم وهذا أمر واجب في مثل هذه الابحاث فألزمت به نفسي فالتزمته والحمد لله .

ومنها أني قد أذكر تفسيرا في منهج وأذكره في منهج آخر لا يكون متعارضا مع المنهج الاول . فقد يكون مثلا تفسير " أضواء البيان " للشيخ محمد الامين الشنقيطي رحمه الله تعالى مثالا لمنهج أهل السنة

والجماعه في التفسير ولا يمنع هذا أن يكون مثالا للتفسير بالمأثور . لاشتماله على المنهجين وعدم التعارض بينهما . وحين أفعل ذلك فقد يكون الباعث له أحد أمرين :ـ اما قلة التفاسير في منهج فأضطر الى ذكر تفسير سبق التمثيل به لمنهج آخر ، واما لكون هذا التفسير التزم المنهجين التزاما بينا حتى ظهرا فيه ظهورا أوضح من غيره . فأذكره هنا وأذكره هناك .

ومن ذلك أيضا أنه لم يكن من شأني بطبيعة الحال أن أتحدث عن المفسرين جميعا أو التفاسير كلها . كلًّا منها أو منهم على حده فهذا عمل تقصر عنه طاقتي ويعجز عنه جهدى ويضيق عنه مجال البحث . لذلك ذكرت في كل منهج ما يثبت وجوده فى فترة البحث ومجاله ، ودرست أبرز التفاسير فى ذلك وعنيت بالجانب التطبيقى لاثبات ما أقول حتى لا يكون فيما أسوقه مظنه وقد سُبِقْتُ الى هذه الطريقه (١)

ولذلك قد لا أذكر في كتابى هذا تفسيرا بعينه وان كان كبيرا مادمت أشرت الى غيره مثالا لمنهجه .

ولقد أثار التزام هذه الطريقه كما أثار على غيرى ممن نهجوا هذا النهج صعوبات كثيره لعل أولها أنى لا أكاد آنس الى طريقة مفسر واسلوبه حتى تنقلني طبيعة البحث الى مفسر آخر له اسلوبه الخاص وطريقته الخاصه بل ومذهبه الخاص وعقائده الخاصه وتلك صعوبه قد لا يعانيها الا من يكابدها .

وألفت الانتباه أيضا الى أني أذكر التأريخ حينا ولا أضع حرف الهاء علامة للهجرى لأنه الاصل ، واذا ماذكرت التاريخ الآخر فانى أذكر حرف الميم.

---

(١) انظر مثلا : الاتجاهات الفكرية في التفسير : د / الشحات السيد زغلول ص ٢ وقد تناول فى دراسته التفاسير حتى نهاية القرن الخامس الهجرى .

وأخيرا أحب أن أوضح أمرا هاما كان حقه التقديم الا أن المسائل زاحمته فزحمته مع أنه قد يثور مع أول كلمة يواجهها قارئ هذا البحث حين يقرأ عنوانه " اتجاهات التفسير فى القرن الرابع عشر الهجري" مالمراد بالاتجاه ؟ وما المراد بالمنهج ؟ وما المراد بالطريقة ؟

والحقيقه أن تلكم الكلمات الثلاث اصطلاحات حديثة لم أجد لها ـ فيما قرأت ـ ذكرا عند أصحاب الدراسات القرآنية الأوائل ، وحتى أصحابها في العصر الحديث لا تكاد تجد اتفاقا على معنى واحد لكل منها ولهذا ترى كثيرا منهم يعبر بهذه الكلمة مره وبالأخرى مرة عن مدلول واحد وترى آخرين منهم يذكرون تعريفا لكل مصطلح منها ويذكر غيرهم غيره .

وعلى كل حال مادامت هذه المصطلحات لم يقر قرارها فان من حقي أن أذكرهـا ما أردت بكل واحد منها .

واذا كان الأمر كذلك فان الاتجاه ـ عندى ـ هو الهدف الذى يتجه اليه المفسرون في تفاسيرهم ويجعلونه نصب أعينهم وهم يكتبون مايكتبون أما المنهج فهو السبيل التى تؤدي الى هذا الهدف المرسوم ، وأما الطريقه فهى الاسلوب الذى يطرقه المفسر عند سلوكه للمنهج المؤدي الى الهدف أو الاتجاه .

أضرب لذلك مثلا جماعة يريدون السفر الى مدينه واحده ، فانطلقوا واتجاههم تلكم المدنيه لكنهم سلكوا مناهج مختلفة منهم من سلك المنهج البرى الاول ومنهم من سلك المنهج الثانى ومنهم من سافر جوا ومنهم من سافر بحرا وغير ذلك وهذه كلها مناهج لاتجاه واحد . أما الطريقة فتظهر حيث أن أحد هؤلاء اتجه اتجاها مباشرا الى الهدف وجعل آخرون سفرهم سياحه فلا يمرزن فى استراحه الا واستراحوا فيها ولا يمرزن بمدينة

أو بقرية الا ويتجولون فيها ولا يمرون بروضة أو حديقه الا ويقضون سحابة يومهم فيها ولا يمرون بواد أو بجبل الا ويملأون النظر من تأمله . يفعلون هذا وهم سائرون على المنهج لا يخرجون عنه بعيدا ولا يسلكون منهجا آخر بعيدا عن الهدف .

ذلكم فى رأيى هو مثل الطرق الخاصةللمفسرين وان شئت تطبيقه على اتجاهات ومناهج وطرق المفسرين فاليك البيان .

قد يكون الهدف (الاتجاه) هو مسائل العقيده وتقريرها وبسط معالمها والذود عنها وما يتعلق بهذا ويظهر هذا الهدف على مجموعة من التفاسير فيكون الاتجاه لهذه التفاسير " الاتجاه العقدى " .

ويسلك كل واحد من هؤلاء المفسرين سبيلا خاصا لتقرير العقيدة فيسلك أحدهم أصول عقيدة أهل السنه والجماعه فيكون منهجه " منهج أهل السنه والجماعه " ويسلك آخر أصول عقيده الشيعه فيكون منهجه " منهج الشيعه " ويسلك ثالث أصول عقيده الأباضية فيكون منهجه "منهج الاباضيه" وهكذا .

وقد تختلف طرق هؤلاء فى التفسير بل قد تختلف طرق أصحاب المنهج الواحد . فيبدأ أحدهم بالنص أولا ثم بيان المفردات ثم المعنى الاجمالى للآيات ثم يستخرج أحكامها ويختلف آخر فيذكر النص أولا ويمزج بين المفردات والمعنى الاجمالى ويتوسع فى هذا المقام فيبسط الحديث عند كل قضية ويرد على الشبه أثناء ذلك ويختلف ثالث فيذكر بعد النص بيان المفردات ويخلطها بشىء من المعنى الاجمالى ثم يعقد الابحاث المطوله بعد ذلك للقضايا التى تناولتها الآيات وقد يفسر الآيات مرتبه كما هى في المصحف وقد يختار سورا محدده وقد يختار موضوعا خاصا يجمع أطرافه من مختلف السور وهذا كله هو ما نقصده بطريقة المفسر .

ولعلي بهذا قد وضحت ما أردت من الاتجاه والمنهج والطريقه وان كنت قد خالفت فيه غيري فلا مشاحه في الاصطلاحات .

وقد كتبت ما كتبت فان كان صوابا فمن الله ، وان كان غير ذلك فمني وغفر الله لي .

وجزى الله عني خير الجزاء استاذي الدكتور مصطفى مسلم محمد المشرف على هذه الرساله الذي وجدت فيه خير معين بعد الله فقد كان وفقه الله دقيق الملاحظه حسن التوجيه ولا نزكي على الله أحدا ، فجزاه الله عني خير الجزاء وأجزل له المثوبه .

وجزى الله عني خير الجزاء كل من ساعد على اظهار هذه الدراسة بمساعدتي عند سفرهم لبعض البلدان بالبحث عن كتب معينه واحضارها لي أو إعارتي إياها أو إرشادي اليها ولئن كانت كثرتهم بارك الله فيهم تمنعني من ذكرهم جميعا فانها لاتمنعني من أذكر شيخا جليلا وقورا قدم لي كثيرا من الابحاث والتقارير عن بعض المؤلفات غير المنشوره أو المصادره وهو البالغ من الكِبَر عتيّا ذلكم الشيخ مصطفى محمد الحديدي الطير جزاه الله خيرا .

كما لا يفوتني أن أدعو لوالديّ ان يجزيهم الله عني من الخير أجزله ومن الثواب أعظمه جزاء ما أولياني اياه من حسن رعايه من غير سابق فضل ومن غير كلل ولا ملل فلهما مني الدعاء أن يحفظهما ويمتع بحياتهما ويجعل الجنه ثوابهما وسائر المسلمين .

وختام شكري وخالصه من قبل ومن بعد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على خير خلقه محمد وصحبه الى يوم الدين .

فهد بن عبد الرحمن الرومي

الرياض

يوم السبت ١٢ / ٥ / ١٤٠٥

التمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

نشأة التفسير :

حين من الدهر أتى على البشرية وهى تائهة ضالة على بسيط الأرض تعيش في بحار من الظلام وتسير فى غمرة من الأوهام ، ثم شاء الله أن يبعث فيهم رسولا منهم يخرجهم من الظلمات الى النور .

فدب فيها دبيب الصحة والعافية في جسد أنهكه المرض ، وان شئت فقل أشرق فيهم نوره كما تشرق الشمس بعد ليل بهيم ، فاذا بالنور يضيء أرجاء الأرض لا يستطيع له عدو منعا ولا يستطيع له دفعا ، واذا به يغشى أبصار الذين كفروا واذا به يحرق أبصار أولئك ألفوا الظلمة وأعتادوا الضلال حتى صار جزءا من حياتهم فكانوا له محاربين وكانوا له معاندين ومكذبين ، ولم يكن هؤلاء ولا أمثالهم بالذى يزعزع من كيان هذا النور أو يؤثر فى سيره فى الكون .

لم يكن ذلكم النور الا دين الاسلام وعماده وأساسه القرآن الكريم الذى تداعى المسلمون لقراءته وحفظه والعمل به فلم يتجاوزوا عشر آيات وتعلموا ما فيها من العلم والعمل .

والعمل لا يكون الا بعد علم وبعد فهم وتدبر لمعانى القرآن الكريم وهكذا كان القوم رضى الله عنهم وألفهم والتدبر لا يكون الا بعد الكشف عن مرامى القرآن الكريم وبيان معانيه وحل الفاظه وجلاء دلالاته وهذه المعانى هى ما يجمعها مصطلح التفسير .

والقوم كانوا خالصي العروبه والقرآن الكريم نزل بلسان علربى مبين فلا عجب أن يدركوا جل ذلك بهذه الخاصة ادراكا لا تعكره عجمه ولا يشوهه قبح ابتداع ولا يكدر صفوه عقيده زائفه .

وكان عليه الصلاة والسلام يشرح لهم ما صعب عليهم فهمه بعد ذلك مما لا يعود فهمه الى اللغه ويجلى لهم ما عجزوا عن ادراكه امتثالا لأمر ربه

" وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون" (١)

وكان هذا الفهم المرتكز أساسا على مدلول اللغه وبيان الرسول صلى الله عليه وسلم هو النواة الاولى للتفسير ، وبهذا المنهج الصافي النقى كانت طريقة الصحابه رضى الله عنهم في فهم القرآن وان شئت أن ترى أثره فيهم فانظر الى أثرهم فى مجتمعهم بل وخارج مجتمعهم .

كانوا في مجتمعهم مثالا شامخا للمجتمع الاسلامي الذى بعث من أجله محمد صلى الله عليه وسلم حتى جعلهم خير القرون وجعلهم القدوه لمن سيأتى بعدهم من المسلمين .

وكانوا خارج مجتمعهم جنودا للدعوة الى الاسلام بالكلمه الصالحه وبالنفس والنفيس حتى ارتفعت راية الاسلام فى شرق الارض وغربها في بضع سنين وحتى دانت لهم أرجاء المعموره .

كيف لا والقرآن الكريم احتوى جميع ما تحتاج اليه البشرية فى أمور دينها ودنياها ماضيها وحاضرها ومستقبلها فى عقائدها وفى أخلاقها في عباداتها وفى معاملاتها فى اقتصادها وفي سياستها الداخلية والخارجية في سلمها وفي حربها .

كيف لا وتفسير القرآن الكريم هو الجسر الموصل لهذه المبادىء والمفتاح لهذه الكنوز .

لذلك فلا عجب ان يحرص المسلمون في ذلك الوقت على تلقى علوم التفسير وان يحضروا ذلك في مجالس الصحابه رضوان الله عليهم للتلقى عنهم مباشرة أوعن تلاميذهم من بعدهم .

واتسعت رقعة البلاد الاسلامية أرضا فدخلت فيه بلدانا أخرى واتسعت رقعته لسانا فدخلت فيه أمم أعجميه شتى بمختلف الألسنه ومختلف المذاهب والعقائد دخل فيه بعد المشركين الذين يعبدون الأوثان أمم مجوسيه ،، وأهل كتاب وملل ونحل أخرى وكان لهذا أثره في مسار التفسير .

---

١ - سورة النحل : من الآية ٤٤

فكدرته من بعد العجمه وخالطة قبح الابتداع وتحكمت فيه عقائد فاسده زائفه جعلها بعض ذوى الملل والنحل أصلا يصرفون اليها التفسير ويلوونه اليها ليّا .

فتعددت من ثمّ مشارب التفسير وتنوعت من بعد مناهجه وطرقه فجدّ فيه مصادر محدثه وطرق مبتدعه وأهواء منكره ، وبقيت طائفه على المنهج الصافى الذى لا تكدره الأهواء ولا تبلبل أفكاره زائف العقائد تحكي مثال التزام المنهج الحق فى تفسير القرآن .

ولم يكن الفاصل بين تلك المرحلتين وجيزا أو قصيرا بل كان بينهما مراحل أخرى نحسبها مجتمعه هى مراحل التفسير التى مرّ بها من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم الى عصرنا الحاضر .

مراحل التفسير :

المرحلة الاولى : عضر الصحابه رضى الله عنهم

وهو الذى سبقت الاشاره اليه ، وقد كانوا ان غمض عليهم معنى أو دقّ عليهم مرمى رجعوا اليه عليه الصلاة والسلام فجلاه لهم وبينه أحسن وأصدق بيان .

وقد كان التفاوت بينهم بينا فيما يحتاج الى اجتهاد شأن التفاوت فى عقول سائر البشر فكان بعضهم يرجع الى من قد يكون أكثر منه فهما لمعنى او ادراكا لرمز ، وقد يكون أعلم فيما أحاط بالآيه عند نزولها من أحداث لها التأثير في فهم مدلولها .

ونضرب لذلك مثلا ماروا البخارى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال : كان عمر يدخلنى مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد فى نفسه فقال لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله فقال عمر أنه من حيث علمتم فدعاه ذات يوم فأدخله معهم فما رؤيت أنه دعانى يومئذ الا ليريهم قال ما تقولون فى

قول الله تعالى : اذا جاء نصر الله والفتح فقال بعضهم أمرنا نحمد الله ونستغفره اذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئا . فقال لي أكذاك تقول يابن عباس ؟ فقلت لا قال فما تقول ؟ قلت هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه له قال اذا جاء نصر الله والفتح وذلك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فقال عمر ما أعلم منها الا ما تقول "[1]

هذا مثل واحد من أمثله كثيره على تفاوتهم رضى الله عنهم اجمعين في ادراك معانى القرآن الكريم واشاراته .

ومع هذا فقد كان كثير منهم رضى الله عنهم يمتنع - متحرجا - في تفسير القرآن الكريم خشية من أن لا يوافق الحقّ قوله فهذا أبو بكر الصديق رضى الله عنه وأرضاه وهو مثال الورع والايمان يقول " أى سماء تظلنى وأى أرض تقلني اذا قلت في القرآن برأيي أو بما لا أعلم" وروى عن غيره كثير من الصحابه نحو ذلك فى التحرج من القول في التفسير من غير علم ولم يكن هذا التخوف ليمنعهم عن القول فيما لهم به علم .

ولم يكن ذلك الجيل الفريد من المسلمين يتناول الاسرائيليات فى تفسيره فقد كان عليه الصلاة والسلام حريصا على أن لا يستقوا من غير نبع الاسلام الصافي ولذا فقد غضب عليه الصلاة والسلام حين رأى فى يد عمر رضى الله عنه قطعه من التوراة .

وبطبيعة حالهم الذى أوتوه من المعرفه بدقائق اللغة فقد كانوا لا يحتاجون الى الوقوف عند كل آيه يتناولونها بالتفسير حيث يعرفون معناها بالسليقه التى أوتوها ولذا لم يكن تفسيرهم شاملا للقرآن كله كما هو حال من جاء من بعدهم .

---

١ - رواه البخارى باب التفسير جـ ٦ ص ٢٢١

ومن خصائص هذه المرحله ايضا أنهم لا يتكلفون في التفسير ولا يتعمقون ذلك التعمق المذموم فاكتفوا من الآيات بمعناها العام ولم يلتزموا تفصيل ما لا فائدة كبيرة في تفصيله ، فيكتفون مثلا بمعرفة أن المراد بقوله تعالى " وفاكهه وأبا "[1] أنه تعداد لنعم الله تعالى على عباده[2] .

ومن خصائصه قلة التدوين فقد كانوا في غالبهم أميين ولا تتوفر وسائل وأدوات الكتابه ثم بعد هذا كله فقد نهاهم عليه الصلاة والسلام أن يكتبوا عنه شيئا غير القرآن خشية أن يلتبس عليهم كلامه بالآيات ثم أذن لهم بالكتابه بعد أن أمن عليهم من اللبس .

فكتب عبد الله بن عمرو بن العاص " الصحيفه الصادقة " كما سماها صاحبها حيث قال " هذه الصادقة فيها ما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بيني وبينه فيها أحد[3] " .

المرحلة الثانية : عهد التابعين

انتشر عدد من الصحابه فى أرجاء العالم الاسلامي يلقون عن كاهلهم عبء الأمانه ويؤدون الرسالة ففتحوا مدارس التفسير فى أنحاء البلاد .

فأقامها عبد الله بن عباس رضى الله عنه في مكة المكرمه وكان من تلاميذه أئمة في التفسير منهم سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمه مولى ابن عباس وطاوس بن كيسان وعطاء بن أبى رباح .

وأقامها أبي بن كعب رضى الله عنه فى المدينه وكان من تلاميذه زيد بن أسلم وأبو العاليه ومحمد بن كعب القرظي .

---

١ - سورة عبس : الآيه ٣١
٢ - مجموع الفتاوى لابن تيميه : جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد ج ١٣ ص ٣٧٢
٣ - الطبقات الكبرى : ابن سعد ص ١٨٩ قسم ٢ جـ ٧ وتقييد العلم للخطيب البغدادى تحقيق يوسف العش ص ٨٤ ، وهى موجودة في مسند الامام أحمد من ص ٢٣٥ جـ ٩ والجزئين العاشر والحادى عشر بكاملهما وجـ ١٢ الى ص ٥١ .

وأقامها عبد الله بن مسعود رضى الله عنه في العراق وكان من تلاميذه علقمه بن قيس ومسروق والأسود بن يزيد وعامر الشعبى والحسن البصرى وقتاده بن دعامه السدوسي .

ولم يكن هناك من فارق كبير فيذكر بين منهج الصحابه ومنهج التابعين لكونهم انما تلقوا التفسير عن الصحابه ، وورثوا عنهم أيضا الورع عن القول فى القرآن الكريم بغير علم فهذا سعيد بن المسيب كان اذا سئل تفسير آية من القرآن سكت كأنه لم يسمع وهذا الشعبى يقول والله ما من آية الا وقد سألت عنها ولكنها الرواية عن الله ، وهذا - كما قلنا عن الصحابه رضى الله عنهم - محمول على تحرجهم عن الكلام فى التفسير بما لا علم لهم به فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعا فلا حرج عليه .(1)

وثمة فروق بين المنهجين هى ثمرة اتساع انتشار العلم ودخول أمم شتى ذات أفكار ومنازع متعدده كان له أثر في التفسير .

فاتسعت رواية الاسرائيليات لدخول كثير من أهل الكتاب فى الاسلام وكان عندهم علم من الكتاب لاقى نفوسا متفتحه لسماع تفاصيل أخبار القرآن وقصصه فزجت طائفه منهم في التفسير بكثير من تلك الأخبار دون تحر لصحه أو تحقق لخبر .

وكثرت الاختلافات والأقوال في التفسير للآيه الواحدة بل للكلمه الواحدة ، ومن جهة أخرى اتساع نطاق التفسير فشمل آيات لم يشملها في الفترة السابقة وذلك لدخول أمم اعجمية وأشخاص لم يعاصروا نزول الآيات وأسبابها فكانت حاجة هؤلاء وأولئك ماسه لأن يبين لهم مالم يبين من قبل فاتسع بهذا مجال التفسير عمقا ومساحة .

وازداد التدوين للتفسير فى هذه الفترة فقد كثر عدد الكتاب وتوفرت وسائل الكتابه ونسخ المنع لكتابه شيء غير القرآن أو انتهى أمده لكنه لم

---

١ - مجموع الفتاوى : ابن تيميه جـ ١٣ ص ٣٧٣ - ٣٧٤

يكن مبوبا فكانت الاحاديث فيه غير مرتبه فحديث عن الزكاه يتلوه تفسير آيه عن الخمر مثلا ثم يتلوه حديث عن البيع ونحو ذلك ، ومما تم تدوينه في هذه المرحله الصحيفة الصحيحة وهي التي املاها ابو هريره رضي الله عنه على همام بن منبه وهي موجوده في مسند الامام أحمد بكاملها ونقل الامام البخارى رحمه الله تعالى منها عددا كثيرا .

هذه بعض الفوارق بين منهج الصحابه رضى الله عنهم ومنهج التابعين..

المرحلة الثالثه : عصر التدوين

ونقصد بهذه المرحله تدوين الحديث النبوى مبوبا ، وكون التفسير بابا من أبوابه حيث نشط في عهد الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى .

وكان لهم عناية خاصة بالاسناد . ولم تكن التفسيرات كلها مرفوعه الى النبى صلى الله عليه وسلم بل ضم اليها تفاسير الصحابه رضى الله عنهم وتفاسير التابعين رحمهم الله تعالى .

ودخل في التفسير في تلك المرحله الكثير من الاسرائيليات وزادت كثيرا عن المرحله السابقه .

واتسع التفسير بالرأى فهذا مجاهد بن جبر يفسر قوله تعالى " ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين"(١) بقوله " مسخت قلوبهم ولم يمسخوا قرده وانما هو مثل ضربه الله لهم كمثل الحمار يحمل أسفارا " وقد رد عليه تفسيره هذا ابن جرير الطبرى رحمه الله تعالى وعقب عليه بما ابطله(٢) وهذا الحسن البصرى رحمه الله تعالى يفسر القرآن على اثبات القدر ردا على من ينكره ، وهذا قتاده بن دعامه السدوسى كان يقول بشىء من القدر .(٣)

---

١ - سوره البقرة الايه : ٦٥

٢ - جامع البيان عن تأويل آى القرآن : تفسير الطبرى ت. محمود وأحمد شاكر ج ٢ ص ١٧٣

٣ - الطبقات الكبرى : ابن سعد ج ٧ ص ٢٢٩

وهذا ولا شك كان نواة لظهور المذاهب الفكرية ونشأة التفسير بالرأى بعد ذلك .

المرحلة الرابعة : مرحلة " التصنيف "

ونعنى بها كتابة التفسير بالمأثور مستقلا عن الحديث شاملا لآيات القرآن مرتبا حسب ترتيب المصحف ومن المؤلفات في تلك المرحلة نسخة كبيره جمعها أبو العاليه . في التفسير عن أبى بن كعب[1] رضى الله عنه ، وكتب عمرو بن عبيد شيخ المعتزله تفسير للقرآن عن الحسن البصرى[2] رحمه الله تعالى وكان عند زيد بن أسلم كتابا فى التفسير[3] . وألف اسماعيل بن عبد الرحمن السدى تفسيرا للقرآن[4] بل ومن أشهرها تفسير الطبرى رحمه الله تعالى .

ومن خصائص تلك المرحلة :

١ - ان مادون فيها كان التفسير بالمأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه وتابعيهم . وكان مشوبا بالرأى وتأييد بعض المذاهب

٢ - انهم اعتنوا بالاسناد المتصل الى صاحب التفسير المروى .

٣ - لم تكن لهم عناية بالنقد وتحرى الصحه فى رواية الأحاديث في التفسير اكتفاء منهم بذكر السند بل كان بعضهم يذكر كل ماروى في الآيه من صحيح وسقيم ولم يتحر الصحه بل لم يقصدها كابن جريج مثلا .[5]

٤ - اتسعت الروايه بالاسرائيليات في تلك الفترة ، اتساعا كبيرا ودون كثير منها في التفسير .

١- التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبى جـ ١ ص ١١٥
٢ - وفيات الاعيان : ابن خلكان جـ ٣ ص ١٣٢
٣ - تذكرة الحفاظ : شمس الدين الذهبى جـ ١ ص ١٣٣
٤ - الاتقان : السيوطي جـ ٢ ص ١٨٨ . تفسير الطبرى جـ ١ ص ١٥٦ - ١٦٠
٥ - التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبى جـ ١ ص ١٥٥

المرحلة الخامسة :

وهى من أهم مراحل التفسير وأخطرها وكأنما كان كل ما شاب التفسير فى المراحل السابقة من كدر انما هو تمهيد وتوطئه لتلك المرحلة .

حيث وجدت فيها طائفة من أعداء الاسلام فرصة لبث أفكارهم وشبهاتهم ودس أكاذيبهم عبرها .

وكان من خصائص تلك المرحلة أنهم اختصروا فيها الأسانيد ونقلوا الآثار المروية عن السلف دون أن ينسبوها لقائليها[1] . مما سهل لأعداء هذا الدين وممن يريد الكيد له أن يبث سمومه بهذه الطريقة فتلتبس على كثير من المسلمين .

ومن خصائصها أن ازداد القول فى التفسير بالرأى واتسع مجاله المذموم منه والمحمود ، وتجرؤا على القول فى القرآن من غير علم وحرص بعضهم على الاكثار من ايراد الأقوال فى تفسير الآية الواحدة ، فصار كل من يسنح له قول يورده ومن يخطر بباله شىء يعتمده فيأتى من بعده فيظنه صحيحا أو أن له أصلا .

أما عن الاسرائيليات وغزوها للتفسير فى هذه المرحلة فحدث ولا حرج فهو عصرها الذهبى واشتغلوا بها عن البحث الجاد الأسمى فى أمور الدين .

المرحلة السادسة :

وهي نتيجة حتمية للمرحلة السابقة حيث انفتح الباب على مصراعيه فدخل منه الغث والسمين الصحيح والعليل ولم يزل الباب مفتوحا الى عصرنا هذا .

فدخل فى التفسير من هو ليس من أهله ، وقول مسار التفسير الى أن يعتنى أرباب العلوم بما يوافق مذاهبهم وعلومهم فكان كل من برع فى علم

---

١ ـ الاتقان فى علوم القرآن : السيوطى جـ ٢ ص ١٩٠

من العلوم غلب ذلك على تفسيره . فالفقيه يكاد يسرد فيه الفقه ولا شيء سواه وربما استطرد الى اقامة أدلة الفروع والرد على المخالفين ..كالقرطبى والجصاص والاخبارى ليس له هم الا سرد القصص واستيفائها كالثعلبى والنحوى ليس له هم الا الاعراب وتكثير الأوجه المحتمله فيه . . كالزجاج والواحدى وأبى حيان وصاحب العلوم العقلية ملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة وشبههم والرد عليها كالفخر الرازى حتى قال فيه بعضهم " فيه كل شيء الا التفسير ".(1)

ونشأت كثير من الفرق والمذاهب المنحرفه وكلها يستدل بآيات من القرآن يدعم بها أصول مذهبه وان لم توافقها انحرف بمعانيها انحرافا يلحد بها اليها .

وظهر التعصب المذهبى بأسوأ أحواله فتشعبت الآراء والمذاهب الفلسفية وتعددت مسائل الكلام .

ذلكم موجز المراحل التى مرّ بها التفسير في العصور السالفة مراحل بعضها لا يحتوى الا على منهج واحد في التفسير وتعددت المناهج بتقدم المراحل فجاءت المرحلة الأُخيرة شاملة لمناهج فى التفسير عديدة .

مناهج التفسير عند السابقين :

يحدثنا التاريخ الاسلامي عن نكبات كبرى مرّ بها العالم الاسلامى من أعدائة المتربصين به الذين أفرغوا جام غضبهم على تراث المسلمين كيف لا وهو نتاج فكرهم فأحرقوا ماأحرقوا وسرقوا ماسرقوا وأُلقوا فى النهر ماألقوا ولذا فأنه ليس من السهل أن نجزم - جزما - بحصر اتجاهات التفسير عند السابقين . وانما هو التحرى المستطاع أو بعضه .

وقد تعددت مناهج التفسير وتنوعت فان أردنا أن نعرض لذكرها هنا فانما هو ذكر الاشارة والا تداخلت الأبحاث وتشعبت والحق أن كل عصر من

---

١ - الاتقان فى علوم القرآن : السيوطى جـ ٢ ص ١٩٠

العصور السالفه بحاجة لدراسة اتجاهات التفسير فيه حتى تظهر لنا جلية سلسلة التفسير بمناهجه واتجاهاته وحتى يكتمل العقد .

وبهذا الطريق - طريق الاشاره - نعرض سريعا لتعداد مناهج واتجاهات التفسير عند السابقين وأمثلة للمؤلفات فى كل منهج .

الاتجاهات العقائدية :

وهو من الاتجاهات التى تأثرت بمرور السنين حيث اندثرت بعض المذاهب التى كان لها صولة وكان لها جوله فلم نعد نجد لها فى العصر الحديث من أثر يذكر .

وضعفت مذاهب أخرى واندثرت أكثر فرقها كفرقة الخوارج مثلا حتى لم يبق الا فرقة واحدة هى فرقة الأباضيه وهى فى صراع مع خصومها الذين يلصقونها بالخوارج وهى تنكرهم وترفضهم .

ولم يعد للفرق الباطنية من نشاط فى التفسير كسابق عهدهم بل اكتفى أتباعهم وغيرهم بنشر كتبهم القديمه .

ولم تعد فرقة الزيدية ولا الصوفية تولي التفسير عناية كتلك العنايه لسلفهم فلم يؤلفوا تلك المؤلفات العديدة والتفاسير المطوله .

وفى جانب آخر نشأت المدرسة العقلية الحديثة متأثرة بعض التأثر بمدرسة الاعتزال ، والمدرسة العقلية القديمة . وجدّ فى هذا الاتجاه مناهج الحادية ليست هي بالباطنية التى يقولون بتفسير القرآن بالباطن أو الذين يظهرون خلاف ما يبطنون ، وليست بالتى تسلك التفسير الصحيح بل تعلن التفسير الملحد وتعلن اعتقادها له وتعلن أنه التفسير الصحيح للقرآن .

المؤلفات فى منهج أهل السنة :

ونحمد الله أن تفاسير أهل السنة فى الفترة السابقة كثيرة تحفظ للمسلمين النبع الصافى للعقيدة الاسلامية الصحيحة وقد أجمل ابن تميه رحمهالله تعالى

الحديث عن تفاسير أهل السنة بقوله " وأما " التفاسير " التى في أيدى الناس فأصحها " تفسير محمد بن جرير الطبرى " فانه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابته وليس فيه بدعه ولا ينقل عن المتهمين كمقاتل بن بكير، والكلبى ، والتفاسير غير المأثوره بالأسانيد كثيره ، كتفسير عبد الرزاق ، وعبد بن حميد ووكيع وابن أبى قتيبه ، وأحمد ابن حنبل ، واسحاق بن راهويه "[1].

قلت ومنها تفسيره هو رحمه الله تعالى الذى طبع عدة مرات مستقلا مرة وضمن مجموع الفتاوى مرات أخرى .

ومنها تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى الذى طبع أيضا عدة طبعات واختصره بعض العلماء .

هذه بعض التفاسير لأهل السنه والجماعه .

المؤلفات فى منهج المعتزلة :

وقد ألف كثير من مفسريهم تفاسير للقرآن الكريم على أصول مذهبهم يعلنونها صريحه مرة ويخفونها حينا حتى لاتكاد تستخرج الا بالمناقيش .

ومن أشهر مؤلفاتهم تفسير عبد الرحمن بن كيسان الاصم[2] ، المتوفى سنة ٢٤٠ ، وتفسير أبى على الجبائى[3] ت ٣٠٣ ، ومنها التفسير الكبير للقاضى عبد الجبار بن أحمد الهمدانى[4] ، وتفسير على بن عيسى الرمانى[5] ولأبى القاسم عبد الله بن أحمد البلخى المعروف بالكعبى المعتزلى تفسير في اثنى عشر مجلدا[6] ، ولأبى مسلم محمد بن بحر الأصفهانى

---

١ - مجموع الفتاوى : ابن تيميه جـ ١٣ ص ٣٨٥
٢ - المرجع السابق جـ ١٣ ص ٣٥٧ وطبقات المفسرين شمس الدين محمد الداودى جـ ١ ص ٢٦٩
٣ - المرجع السابق من الفتاوى ، وطبقات المفسرين جـ ٢ ص ١٨٩
٤ - المرجع السابق من الفتاوى ، وطبقات المفسرين جـ ١ ص ٢٥٧
٥ - " " " " " " جـ ١ ص ٤٢٠
٦ - كسف الظنون عن أسامى الكتب والفنون : جـ ١ ص ٢٣٤ ، وطبقات المفسرين جـ ١ ص ٢٢٣

ت ٣٢٢ تفسيره " جامع التأويل لمحكم التنزيل " ويقع في أربعة عشر مجلدا[1] وعبد السلام بن محمد القزويني له تفسير في ثلاث مئه مجلد منها سبع مجلدات في الفاتحه كذا قال السيوطي[2] .

ومن أهم مؤلفاتهم المطبوعه والموجودة في العصر الحاضر تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار وهو في مجلد واحد فسر فيه الآيات المتشابهه .

ومنها وهو أهمها تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل . تأليف محمود بن عمر الزمخشري ويقع تفسيره في أربعة مجلدات كبار وقد نال هذا التفسير اهتمام كثير من العلماء فكتبوا التعليقات والحواشي وأخرجوا اعتزالياته وخرجوا أحاديثه .

ومنها غرر الفوائد ودرر القلائد المعروف بـ " أمالي المرتضى" ومؤلفه علي بن الطاهر الملقب بـ " الشريف المرتضى " وهو كتفسير القاضي عبد الجبار لا يشمل تفسير القرآن كله بل آيات تدور حول العقائد .

المؤلفات في منهج الشيعه :

وهم كما هو معلوم فرق شتى غالى بعضهم حتى خرج عن ربقة الاسلام كالاسماعيليه وغيرها من الباطنية واعتدل بعضهم حتى كاد أن يكون من أهل السنه والجماعه كالزيديه . وعلى ضوء هذا الميزان فانا نشير لاهم مؤلفاتهم في هذه المواقع الثلاثه الباطنية ، والزيديه والمتوسطين بين هؤلاء وهؤلاء أعني الاماميية الاثني عشريه .

مؤلفات الباطنية :

نحمد الله أن هذه الطائفه لم تجمع تفسيرا كاملا للقرآن الكريم

---

١ ـ الفهرست : ابن النديم ص ٥١ ، وطبقات المفسرين : الداودي ج ٢ ص ١٠٦ والتفسير والمفسرين : الذهبي ج ٣ ص ٣٨٨

٢ ـ طبقات المفسرين : السيوطي : ص ٦٧

وقد علل الشيخ محمد حسين الذهبى رحمه الله تعالى ذلك بقوله " أنهم لم يستطيعوا أن يتمشوا بعقائدهم مع القرآن آية آيه ولو أنهم حاولوا ذلك لاصطدموا بعقبات وصعاب لا يستطيعون تذليلها ولا يقدرون على التخلص منها "[١].

وقد بحثت كثيرا فلم أجد تفسيرا مستقلا كما ذكر الذهبى رحمه الله ووجدت ابن النديم فى كتابه الفهرست يعد من الاسماعيليه الحسين ابن منصور الحلاج ، الزنديق المتصوف والذى يتبرأ بعض الصوفيه من نسبته اليهم[٢] وقد عدّ ابن النديم والداودى في طبقات المفسرين من كتبه كتاب " تفسير قل هو الله "[٣].

أما ما عدا ذلك فمدسوس في ثنايا كتبهم .

مؤلفات الامامية الاثنى عشريه :

وهذه الطائفة تعد أكثر فرق الشيعه تأليفا فى التفسير ويشهد لذلك تلك المؤلفات الكثيرة عددا وحجما على أصول مذهبهم الشيعى ومن هذه المؤلفات .

تفسير الحسن العسكرى ت ٢٥٤ طبع فى مجلد واحد وتفسير العياشي من علماء القرن الثالث الهجرى وتفسير ابراهيم ابن محمد بن هلال ت ٣٨٣ ، وتفسير على بن ابراهيم القمي من القرن الثالث وأوائل الرابع وطبع في مجلد واحد كبير وتفسير أبى عبد الله محمد بن عمر الواقدى المسمى الرغيب في علوم القرآن وتفسير أبو الفتوح الرازى الحسين توفى فى القرن السادس وتفسير الصافي لمحمد بن مرتضى الشهير بملا محسن الكاشي وتفسير الأصفى للمؤلف السابق اختصره من الصافي وطبع فى مجلد واحد والبرهان لهاشم

---

(١) التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبى جـ ٢ ص ٢٢٩
(٢) طبقات المفسرين : الداودى جـ ١ ص ١٥٩
(٣) المرجع السابق : جـ ١ ص ١٦٠ والفهرست لابن النديم ص ٢٧٢

البحراني ت ١١٠٧ وطبع في مجلدين كبيرين ومرآة الأنوار ومشكاة الاسرار للمولى عبد اللطيف الكازراني وتفسير " المؤلف " لمحمد مرتضى الحسينى من علماء القرن الثانى عشر وهو مخطوط فى مجلد واحد صغير بدار الكتب المصرية . وتفسير المولى السيد عبد الله بن محمد رضا العلوى ت ١٢٤٢ ويقع في مجلد كبير وتفسير التبيان : لابى جعفر محمد بن الحسن ابن على الطوسي ت ٤٦٠ ، وتفسير مجمع البيان في تفسير القرآن لأبي على الفضل بن الحسن الطبرسي من علماء القرن السادس وهو تفسير كبير يقع في عده مجلدات وتفسير نور الثقلين لمؤلفه عبد علي !! ابن جمعه العروسي الحويزى من علماء القرن الحادى عشر ويقع فى خمسة مجلدات كبار.(1)

هذه أهم مؤلفات الاثنى عشريه في التفسير .

مؤلفات الزيديه :

وهم أيضا من المقلين فى التأليف في التفسير وأشهر مؤلفاتهم فيه التفسير المشهور فتح القدير للعلامه محمد بن على الشوكاني وهو في خمسة مجلدات كبار وجمع فيه رحمه الله تعالى بين الروايه والدرايه وهناك تفسير آخر هو شرح لآيات الأحكام واسمه " الثمرات اليانعه والأحكام الواضحه القاطعه " لمؤلفه شمس الدين يوسف بن أحمد بن محمد الثلاثي فى ثلاثة أجزاء كبار .

وقد نقب الشيخ محمد حسين الذهبى رحمه الله تعالى عن مؤلفاتهم فلم يعثر على غير ما ذكرنا لكنه وجد ذكرا لمؤلفات أخرى لهم في التفسير لكنها غير موجوده الآن وذكر منها .

كتاب التفسير الكبير ، وكتاب نوادر التفسير وكلاهما لمقاتل بن سليمان والتفسير الكبير والتفسير الصغير وهما للمرادى . وتفسير غريب القرآن للامام زيد بن على جمعه ابن يزيد وتفسير البستى وتفسير التهذيب لابن كرامه المعتزلى ثم الزيدى وتفسير عطيه النجرانى ت ٦٦٥

---

١ - انظر التفسير والمفسرون : الذهبى جـ ٢ ص ٤٢ - ٤٣ .

والتيسير فى التفسير للحسن النحوى ت ٧٩١ وتفسير ابن الأقضم وشرح الخمس مئه آيه (تفسير آيات الاحكام) لحسين بن أحمد النجرى من علماء القرن الثامن ومنتهى المرام شرح آيات الاحكام لمحمد بن الحسين ابن القاسم من القرن الحادى عشر وتفسير القاضى عبد الرحمن بن مجاهد من علماء القرن الثالث عشر .[1]

المؤلفات فى منهج الخوارج :

والخوارج - أيضا - من المقلين في التفسير في القديم والحديث ولعل ما ذكره ابن النديم في الفهرست عن كتبهم بأنها " مستورة محفوظة"[2] يكشف قلة مؤلفاتهم وقلة انتشارها ولا أدرى ان كان من أثره ما عانيته في الحصول على بعض مؤلفاتهم ومطبوعاتهم في العصر الحديث .

وقد سأل الشيخ محمد حسين الذهبى رحمه الله تعالى أحد علمائهم المعاصرين وهو الشيخ ابراهيم اطفيّش عن أهم مؤلفاتهم في التفسير فذكر له ستة مؤلفات ثلاثة منها قديمه وهى :-

١- تفسير عبد الرحمن بن رستم الفارسي من أهل القرن الثالث الهجرى .

٢- تفسير هود بن محكم الهوارى من أهل القرن الثالث الهجرى مخطوط فى أربعة مجلدات .

٣ - تفسير ابي يعقوب يوسف بن ابراهيم الورجلاني . . من أهل القرن السادس الهجرى " .[3]

وقد بحثت كثيرا عن ذكر لهذه المؤلفات في كتب التفسير وطبقات المفسرين فلم أعثر لها على أثر الا أنى وجدت الزركلى ذكر ان لعبد الرحمن ابن رستم تفسيرا ولم يذكر ليوسف بن ابراهيم الورجلاني شيئا فى التفسير

---

١ - التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبي ج ٢ ص ٢٨١ - ٢٨٤
٢ - الفهرست : النديم ص ٢٥٨
٣ - التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبى ج ٢ ص ٣١٥

وكذا عمر كحاله فى معجمه للمؤلفين ، أما هود بن محكم فلم يترجما له الا أن الأستاذ فؤاد سزكين ذكر له ترجمه وأشار الى أن له تفسيرا للقرآن ووصل الينا وتوجد منه نسخه مخطوطه فى الجزائر[١] .

وعلى هذا فلا يوجد شيء من مؤلفات الخوارج فى التفسير الا تفسير هود بن محكم الذى يقع فى أربعة مجلدات وهو متداول بين الاباضيه في بلاد المغرب ويوجد عند الأستاذ ابراهيم اطفيش المذكور آنفا جزءان مخطوطان هما الأول والرابع منه[٢] .

المؤلفات فى منهج الصوفيه :

ومنه المؤلفات الصوفيه فى التفسير ، تفسير بشير لنجم دايه[٣]
ومنها تفسير القرآن العظيم لسهل بن عبد الله التسترى وهو مطبوع في مجلد صغير ومنها " حقائق التفسير " لابي عبد الرحمن السلمي وهو في مجلد واحد كبير ، مخطوط ، ومنها عرائس البيان في حقائق القرآن لابي محمد الشيرازى وهو مطبوع في جزئين . ومنها التأويلات النجميه لنجم الدين دايه وأتمه علاء الدوله السمناني وهو مخطوط في خمسة مجلدات كبار . وأهم هذه المؤلفات وأخطرها التفسير المسمى " تفسير القرآن الكريم " والمنسوب لأبي بكر محي الدين محمد بن على المعروف بابن عربي وانما قلت المنسوب لأن هناك من يشكك في نسبته لابن عربي وليس المقام هنا مقام تحقيق ذلك .

هذه أهم المؤلفات فى التفسير لأهم الفرق والمذاهب قديما وكلها تحت الاتجاه العقائدى في التفسير .

---

١ - تاريخ التراث العربى : فؤاد سزكين المجلد الاول جـ ١ ص ٩٦
٢ - التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبى جـ ٢ ص ٣١٦
٣ - مفتاح السعادة ومصباح السياده : طاسن كبرى زاده جـ ٢ ص ١٢٣

الاتجاه العلمي في التفسير :

وهو اتجاه يتسع فيشمل فيما نرى مناهج ثلاثه :-

١ - منهج التفسير بالمأثور .

٢ - منهج التفسير الفقهي .

٣ - منهج التفسير العلمي التجريبي .

وسنذكر هنا بعض المؤلفات لكل من :-

منهج التفسير بالمأثور :

ولا شك أن أهم المؤلفات في هذا اللون في التفسير هو جامع البيان عن تأويل آى القرآن والمعروف بتفسير الطبرى وقد طبع عدة مرات آخرها بتحقيق وتعليق الشيخ محمود محمد شاكر وراجعه وخرج أحاديثه الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله تعالى وصدر منه ستة عشر مجلدا حتى الآن وتوقف عند الآيه ٢٨ من سورة ابراهيم أما الطبعه التى لم تحقق فكامله .

ومن المؤلفات فى ذلك الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي وهو مطبوع في ستة مجلدات كبيره .

ومنها تفسير القرآن العظيم لابن كثير الدمشقي في أربعة مجلدات وطبع عدة مرات وحظي هذا التفسير باهتمام العلماء به فخرجوا أحاديثه وعلقوا عليه ، واختصروه .

منهج التفسير الفقهي :

وهي مؤلفات كثيره جدا

ففي الفقه الحنفي ألف أبو بكر الرازى المعروف بالجصاص تفسيره أحكام القرآن وطبع عدة مرات في ثلاثة مجلدات .

وفى الفقه المالكي ألف ابو بكر بن العربي كتابه أحكام القرآن المطبوع في أربعة مجلدات ، وألف أبو عبد الله القرطبي تفسيره الجامع لأحكام القرآن المطبوع في عشرة مجلدات كبار .

وفي الفقه الشافعي ألف أبو الحسن الطبرى المعروف بـ الكيا الهراسي كتابه أحكام القرآن وألف السيوطي كتابه الاكليل في استنباط التنزيل وطبع فى مجلد كبير .

وفي الفقه الحنبلي تفسير الخرقي لابى القاسم عمر بن أبي علي الحسين الخرقي [١] .

وفي الفقه الزيدى ألف مقاتل بن سليمان كتاب " تفسير الخمس مائه آيه " [٢] وكذا ألف حسين بن احمد النجرى " شرح الخمسمائه آيه " وألف محمد بن الحسين بن القاسم من علماء القرن الحادى عشر كتاب " منتهي المرام شرح آيات الأحكام " [٣] .

وفى الفقه الجعفرى الف مقدار السيورى " كنز العرفان فى فقه القرآن " [٣] .

منهج التفسير العلمي التجريبي :

وأشهر المؤلفات فيه التى أصبحت علما في هذا تفسير " مفاتيح الغيب في تفسير القرآن " أو التفسير الكبير لأبي عبد الله محمد بن عمر المعروف بالفخر الرازى وقد أطنب فيه مؤلفه في أبحاث عديده واستطرد الى العلوم الرياضيه والطبيعية والعلوم الفلكية وغير ذلك حتى قيل عنه فيه كل شيء الا التفسير .

وبعد تلكم هى أبرز الاتجاهات والمناهج في تفسير القرآن الكريم عند العلماء السابقين لم نقصد استيفاءا لها ولا استقصاءا وانما رسم هيكل عام من زواياه ننظر الى اتجاهات التفسير في العصر الحديث ومناهجه فنعرف ماجد منها وما اندثر وما بقي على المناهج السابقه .

---

(١) مفتاح السعاده : طاشكبرى زاده جـ ٢ ص ١٠٦

(٢) الفهرست : النديم ص ٢٥٤

(٣) التفسير والمفسرون : محمد الذهبى جـ ٣ ص ١٠٣

وقد جدت فى العالم الاسلامي بعد ذلك أحداث ووقعت الوقائع فأصبح المسلمون بعد أن كانوا يجوبون الآفاق بجيوشهم لنشر الاسلام يغزون في عقر دارهم وبعد أن كانت الأرض الاسلامية فى حالة تمدد اضحت في حاله تقلص وانكماش .

بدأت الحروب الصليبيه الواحدة بعد الأخرى وكان العالم الاسلامي في حالة ضعف وتفكك فكان لهذه الحروب أثرها حيث نقلت الحضاره الاسلامية الى بلاد الافرنج متمثله بالكتب والمؤلفات في شتى العلوم والمعارف وحتى تدرك أبعاد هذا الأثر يكفى أن تعلم أن نقل هذه العلوم بث الحياة العلمية وأوقد نارها فكثر طلابها وكثرت النظريات والاكتشافات العلمية ووقع الصدام بين العلم والكنيسه ولم يزل الى أن قامت الثوره على الكنيسه بعد ذلك .

أما أثر هذه الحروب داخل العالم الاسلامي فقد اشغلته عن العلم وطلبه لأن الحرب في أرضه وفي دياره خلاف الافرنج الذين كانت ديارهم بعيدة عن أتون الحرب وسعارها .

أضف الى ذلك ان شئت الحروب التى عاناها العالم الاسلامي بعد ذلك من هجمات المغول وسقوط الدولة العباسية والمذابح التى ارتكبت والمجازر التى انتشرت زد على هذا القضاء على الفكر باحراق الكتب واغراقها فى نهر دجله حتى صارت جسرا يعبر عليه المعتدون .

هذه ولا شك أمور لها أثرها فى انهاك الشعوب الاسلاميه والشعوب كالافراد يصيبها ما يصيبهم والفرد اذا انهكت قواه ركن الى الاستسلام وطلب الراحه وقد يستغرق فى نوم عميق . وقد كانت هذه حال العالم الاسلامى .

وكما يدخل اللصوص الدار اذا نام صاحبها دخل المستعمرون العالم الاسلامي وهو يقظ فى نومته هذه ، فسلبوا خيرات البلاد الاسلاميه وسخروا أهلها وهم نيام لتحقيق مآربهم واهدافهم وبثوا أفكارهم وسمومهم حتى ألفت

طائفة النوم وأزعجها الضجيج فوضعت في آذانها العجين وباتت فى نوم كالموت بل هو أشد .

وأبت طائفه النوم ولم يقر لها قرار ولم يطلب لها مضجع ولم يدخل النوم لها جفنا فأخذت على عاتقها عبء هذه الرساله والقيام بهذه الأمانه فلم يزالوا فى كفاح وجهاد ولم يزالوا يصرخون فى النائمين حتى استقيظ الجميع أو أكثرهم .

وكانت النهضه الاسلامية الحديثة متمثلة فى مظاهر شتى فى مختلف أرجاء بلاد المسلمين فبدأت شعائر الاسلام - والحمد لله - ترفع وانتشر الدعاه في أرجاء الأرض وفتحت المدارس والجامعات وانتشر التعليم وعدلت المناهج والمقررات المدرسية وانجلي الحق وسيزهق الباطل بأذن الله عما قريب .

وصاحب هذا كله عوده الى مصادر الاسلام يدرسونها ويتذاكرونها فصدرت المؤلفات العديده الكثيره فى مختلف جوانب الثقافه الاسلاميه وكان نصيب الدراسات القرآنيه منها عامه والتفسير خاصة كبيرا .

وكغيره من العلوم لم يكن التفسير صورة مطابقة كل التطابق لسابق عهده في مناهجه وطرقه فى مؤلفيه واتجاهاتهم وانما كان هناك وجوه تشابه ووجوه اختلاف .

وليس من المناسب أن أعرض لهذين النوعين قبل أن تعرف مناهج التفسير واتجاهاته فى القرن الرابع عشر وهما ولا شك صلب الدراسة وأسّها فلنرجىء هذا الحديث الى الخاتمه ان شاء الله .

وانما المناسب أن نجمل اجمالا مناهج التفسير واتجاهاته هذه اتجاهات التفسير فى القرن الرابع عشر :

وهى متعدده منها الجديد ومنها القديم كما اشرت آنفا وقد جمعت منها حسب قدرتى المحدودة .

١ - **الاتجاه العقائدى فى التفسير :**

وتحته مناهج

١ - منهج أهل السنه والجماعه .

٢ - منهج الشيعه ويشمل :

١ - المذهب الامامي الاثناعشرى

٢ - المذهب الزيدى .

٣ - مذهب الاماميه السبعية أو " الاسماعيليه "

٣ - منهج الأباضيه

٤ - منهج الصوفيه

٢ - **الاتجاه العلمي في التفسير :**

وتحته أيضا مناهج

١ - منهج التفسير بالمأثور

٢ - منهج التفسير الفقهى " تفسير آيات الأحكام "

٣ - منهج التفسير العلمى التجريبى

ولعلي ألمح سؤالا يوحي باعتراض على هذا التقسيم أحب أن أجيب عليه مادام رطبا ، يقول السؤال فيما أحسبه ، لم فصلت الاتجاه العقائدى عن الاتجاه العلمي ولم تجعل الأول منهجا من مناهج الاتجاه الثانى ؟ !

أقول لهذا المعترض لقد رأيت في الاتجاه الأول " العقائدى" ما يوجب فصله عن الاتجاه الثانى واستقلاله باتجاه خاص ذلكم ان العقيده أصل تنبثق منها العلوم الأخرى وليست فرعا صغيرا منه .

وبعباره أوضح أن التفسير السنّى وهو منهج من مناهج الاتجاه العقائدى قد تكون وسيلته . . التفسير بالمأثور وقد يصطبغ بالمنهج العلمي التجريبي وقد يكون فقهيا وهو باق متربع في منهج أهل السنه والجماعه . لكنه لا يكون بحال من الأحوال متأثرا بالمذهب الشيعى أو الأباضي فبينهما فاصل كبير .

وكذا المذهب الشيعى وهو فرع من فروع الاتجاه الأول " العقائدى" قد يكون بالمأثور عن أئمتهم . . وقد يكون فقهيا وقد يكون مصطبغا بالصبغه العلمية التجريبيه لكنه لا يكون سنيا ولهذا فأنى رأيت فصل الاتجاه العقائدى بمناهجه عن الاتجاه العلمى بمناهجه .

٣ ـ الاتجاه العقلى الاجتماعى

وانا أغردته كذلك لأن أصحابه لم يتأثروا كل التأثر بالمدرسه العقليه القديمه " المعتزله " والا لاعتبرتها امتدادا لمدرسة الاعتزال وأدخلتها ضمن الاتجاه الاول " العقائدى " لكن الفاصل بينهم بيد وكبيرا حيث لم يلتزموا أصولهم الخمسه التى لا يصح الاعتزال بدونها كما يعترف بذلك أئمة المعتزله ، وانما كان نصيبهم التأثر بتحكيم العقل تأثرا بينا ، بقى أن أقول أني لم أدخلهم أيضا فى الاتجاه الأول" العقائدي" كفرقة مستقلة لأنهم لم يأتوا بما يجعلهم ذوي عقيدة مستقلة تنفصل انفصالا كاملا عن أهل السنه والجماعه وان أتوا بما يميز فكرهم بعض التمييز ويجعل لهم اتجاها خاصا فى سبيل الوصول الى المعرفه .

أُضف الى هذا تلك الصبغه الاجتماعية التى يحلون بها تفسيرهم من العناية بالقضايا الاجتماعية وتطبيق الآيات القرآنيه مباشرة على تلك القضايا والمجتمع الذى يعيشون فيه مما كان له الاثر في احداث الوعي بين مختلف الطبقات فكان حقا ان يستقلوا باتجاه خاص من سماته العقلانيه الاجتماعية ، بغض النظر عن اصابة الحق أو الحيدة عنه .

٤ ـ الاتجاه الأدبى :

وتحته

١ ـ المنهج البيانى

٢ ـ منهج التذوق الأدبى للقرآن الكريم

وهذا الاتجاه كالاتجاه الذى قبله جديد من سمات هذا القرن الرابع عشر وسنعرض ان شاء الله لبيان ذلك في موضعه .

٥ - الاتجــاه المنحــــرف

وتحتــه مناهـــج

١ - المنهــج الالحـــادى

٢ - منهــج المقصريـــــن

٣ - اللـــون اللامنهجـــي

وهذا الاتجاه فيـه أوجه اتفاق وأوجـه تجديد - وان كان تجديدا الـى الأســوأ- مع المناهج القديمه . ذلكم أن الالحاد موجود فى القديم مــــن التفاسـير لكنه كان يسير على مبادئ واحـده تجمعـها عقيـدة واحـدهوان كانـت ضالـه ، أما الالحاد في العصر الحديث فهـو أضل ذلـكم أنه لا يلتزم أصــلا حتى وان كان باطـلا يقوم عليه وانما نزعات نفسيه متأثره بمطالب أو أهـــــواء ورغبات خاصـه تعـرض لبعض المفسرين فتظـهر آثارها جليـه فى تفاسيرهم .

وانـما قسمت الالحاد الى هذه الأقسام أو المناهج الثلاثـه لأمـــور سيأتى الحديـث عنها فى موضعه ان شاء اللـــه .

وعلى هذا فالمنهج الأول الالحادى موجود فى القديم والحديث مـــع الاختـلاف في القاعدة التى يقــوم عليهــا .

أمـا المنهج الثانـي واللــون الثالـث فأحسبـها مناهج جديدة مــــن السمات السيئـه لهــذا العصـــر .

تلكـم - فيما أرى - اتجاهات التفسـير ومناهجـه فى القرن الرابع عشــر وهذا أوان الحديـث عنهـا مفصلـه ، واللـــه المستعان .

الباب الأول

الاتجاه العقائدى في التفسير

وتحته مناهج

أولا : منهج أهل السنه والجماعه في تفسير القرآن الكريم

ثانيا : منهج الشيعه فى تفسير القرآن الكريم

ثالثا : منهج الأباضيه فى تفسير القرآن الكريم

رابعا : منهج الصوفيه فى تفسير القرآن الكريم

نشأة الفرق الاسلاميه :

جاء الرسول صلى الله عليه وسلم والناس في جاهليه جهلاء وضلالة عمياء فنشر عليه الصلاة والسلام العقيده الصحيحه ونفى زغل الجاهليه وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم والعقيدة السليمه الطاهرة النقيه هي السائدة بين المسلمين .

الى أن دخل فى الاسلام من ليس الحق هدفهم ولا الوصول اليه مرادهم فعملوا على تزييف الحقائق ونشر العقائد الضاله والمنحرفه ونشأت المذاهب الاسلامية المتعددة وافترقت أمة محمد الى فرق عديدة كلها في النار الا من هم على ما عليه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم ودافع علماء كل فرقة عن مذهبهم وعقائدهم بكل وسيله .

وحمل التعصب المذهبى بعض أرباب هذه المذاهب والفرق الى تأييدها بتفسير الآيات القرآنية الكريمة بما يتناسب مع أصول مذاهبهم وقواعدهم ولو بطريق اخضاع النصوص القرآنيه لذلك وصرفها عن معارضته وانكار جميع التفاسير الأُخرى اذا لم توافق آراءهم .

وتعددت مذاهب التفسير بتعدد المذاهب فى العقيدة وكان لهاصولة وكان لها جولة ثم خبا سعيرها وأصبح لا يرى فى رمادها الا وميض نار ونام العالم الاسلامي نومته .

الى أن جاء بعض المجددين ونبهوا المسلمين الى دينهم وأيقظوهم من نومهم وأفاق المسلمون وعاد الكثير منهم الى الاسلام عودا حميدا واشتعل وميض النار من خلال الرماد فنشطت أيضا بعض الفرق الاسلامية وأصبح كل منهم يدعو الى مذهبه والى فرقته .

واذا ما نظرنا الى الفرق القائمة الآن وأردنا أن تدرس تفاسير المعاصرين منهم فى القرن الرابع عشر فأنا نجد أن الفرق القائمة الآن هى

١ ـ أهل السنه والجماعـــه .

٢ ـ الشيعـــه .

٣ ـ الأباضيـــه .

٤ ـ الصوفيـــه .

ولو كان بحثنا هذا بحث عقيده لكان لزاما علينا أن ندرس بتفصيـــل نشأة هذه الفرق ، أما وقد كان مرادنا عرض مناهج هذه الفرق فى التفسير فقد اكتفينا بالاشارة السريعه لنشأة كل فرقه والاتجاه بعد ذلك لبيـــان منهجهم فى التفســير .

وانمـا قدمنا منهج أهل السنه والجماعه على المناهج الاخرى ليكون ميزانـا بيد القارئ يزن به ما يرد من عقائد للفرق الأخرى ، وليكن أيضا مرجعـا يرجع اليه اذا ماالتبس عليــه رأى أو أراد الحقيقه فى حكم أو قضيه .

ومن ثمّ فلا تثريب علىّ اذا ما أوجزت فى شرح مذهب أهل السنـه فى أمر متفق عليه ، أو اذا ماطنبت فى أمر خالفتهم فيه فرقة من الفرق .

ولا تثريب علىّ أيضا اذا لم أرد على كثير من الآراء لبعض الفرق خشية تكرار ماسبق وان كتبته في منهج أهل السنـه .

ولنبـدأ بعـد هـــذا بمرادنـا .

الباب الاول : الاتجاه العقائدى في التفسير

الفصل الاول

منهج أهل السنه والجماعه

في

تفسير القرآن الكريم

منهج أهل السنه والجماعه في التفسير :

التعريف بهم :

أما السنه فهي الطريقه وتطلق شرعا على عده معان فعند المحدثين هي ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من أقواله وأفعاله وتقريره وما هم بفعله[1] وأما في عرف أهل الفقه والأصول فأنهم يطلقونها على المندوب وهو مايثاب فاعله ولا يعاقب تاركه .

وليس هذا ولا ذاك هو المقصود في مباحث العقائد اذ هي عندهم عباره عما سلم من الشبهات في الاعتقادات خاصة في مسائل الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وكذلك مسائل القدر وفضائل الصحابه وصنفوا في هذا العلم تصنايف وسموها كتب السنه وانما خصوا هذا العلم باسم السنه لأن خطره عظيم والمخالف فيه على شفا هلكه[2] .

ولا ريب في أن أهل النقل والأثر المتبعين آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم وآثار أصحابه هم أهل السنه - كما يقول ابن الجوزى وغيره - لأنهم على تلك الطريق التي لم يحدث فيها حادث وانما وقعت الحوادث والبدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه[3] .

وانما سموا بأهل السنه لالتزامهم قول الرسول صلى الله عليه وسلم " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي[4] " الحديث ونحوه .

ويسمون أيضا بأهل الكتاب والسنه لأنهم " يعلمون أن أصدق الكلام كلام الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم ويؤثرون كلام الله

---

(١) فتح الباري : ابن حجر العسقلاني جـ ١٣ ص ٢٤٥
(٢) كشف الكربه : ابن رجب ص ١١- ١٢
(٣) نقد العلم والعلماء أو تلبيس ابليس : لابن الجوزى ص ١٠١
(٤) رواه الامام أحمد في مسنده جـ ٤ ص ١٢٦ - ١٢٧ ، الترمذي جـ ٥ ص ٤٤ وسنن ابي داود جـ ٤ ص ٢٠١ وابن ماجه جـ ١ ص ١٩- ٢٠ والدارمي جـ ١ ص ٤٤ - ٤٥

على كلام غيره من كلام أصناف الناس ويقدمون هدى محمد صلى الله عليه وسلم على هدى كل أحد وبهذا سموا أهل الكتاب والسنه[(١)] .

ويسمون أيضا بالجماعه فيقال أهل السنه والجماعه وعلل ابن تيميه رحمه الله تعالى هذه التسمية بقوله " وسموا أهل الجماعه لأن الجماعه هي الاجتماع وضدها الفرقه وان كان لفظ الجماعه قد صار اسما لنفس القوم المجتمعين " والاجماع " هو الاصل الثالث الذى يعتمد عليه فى العلم والدين[(٢)] " وزاد هذا الأمر توضيحا فى مكان آخر فقال " فمن قال بالكتاب والسنه والاجماع كان من أهل السنه والجماعه[(٣)] " .

نشأتهم :

لم يكن فى عهده عليه الصلاة والسلام فرقة بين المسلمين أى فرقه وانما ظهر الافتراق بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فكل ما افترقت فرقه ظهرلها اسم خاص بها وبقي السالمون من الافتراق والخروج هم أهل السنه والجماعه لأنهم الأصل فبقوا على أصلهم هذا ولذا لما سئل مالك رحمه الله تعالى عن أهل السنه قال أهل السنه الذين ليس لهم لقب يعرفون به لا جهمي ولا قدرى ولا رافضي[(٤)] ولذا - أيضا - قال بن تيميه رحمه الله تعالى " ومذهب أهل السنه والجماعه مذهب قديم معروف قبل أن يخلق الله أبا حنيفه ومالكا والشافعي وأحمد فأنه مذهب الصحابه الذين تلقوه عن نبيهم[(٥)] " .

اذا فالسؤال عن نشأتهم انما هو سؤال عن نشأة الاسلام فأن قلت انما أسأل عن نشأة تسميتهم بأهل السنه والجماعه وانفرادهم بهذا اللقب دون غيرهم وهو لقب شرفهم الله بحمله وهو عنوان عقيدتهم ويتضمن

---

(١) مجموع فتاوى بن تيميه جـ ٣ ص ١٥٧
(٢) المرجع السابق جـ ٣ ص ١٥٧
(٣) المرجع السابق جـ ٣ ص ٣٤٦
(٤) الانتقاء : ابن عبد البر ص ٣٥
(٥) منهاج السنه : بن تيميه جـ ٢ ص ٤٨٢

الشهاده بسلامتها أعمى الله أرباب الفرق الأخرى فسلموا لهم بهذا اللقب واعترفوا لأنفسهم بألقاب لا تحمل من الاسلام مايربطها به أو يدل من قريب أو بعيد على انتمائهم اليه . فهي عقيدة ترفع ويرفع معها خصومها حجتها فوق رأسها وهل هناك أسمى من اعتراف الخصم بأن عقيدتك هي السنه وهي عقيدة الجماعه جماعة المسلمين .

عودة الى التساؤل عن تاريخ اطلاق هذه التسميه وهو تساؤل أحسب أنه ليس بذى كبير فائدة خاصة أن اصول التاريخ الاسلامي لم تبين بالتحديد تاريخ هذه التسمية اذ لا يوجد يوم أو شهر أو سنه بارزه ظهرت فيها هذه التسمية وانما كانت تبرز هذه التسمية فى مقابله أهل البدع فيقول مثلا ابن سيرين رحمه الله تعالى وهو من أهل القرن الأول الهجرى " لم يكونوا يسألون عن الاسناد فلما وقعت الفتنه قالوا سموا لنا رجالكم فينظر الى أهل السنه فيؤخذ حديثهم وينظر الى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم (1) .

الخلاصه ان نشأة أهل السنه مع نشأة الاسلام وان اطلاق هذا الوصف عليهم كان معروفا فى القرن الأول الهجرى .

عقيدة أهل السنه والجماعه :

مرادى في هذا البحث ان اذكر من عقائد أهل السنه الأصول التى خالفهم فيها أهل الفرق والمذاهب التى سأعرضها في مناهج التفسير العقدى . أما ما وافقت هذه الفرق فيه أهل السنه فلا أرى موجبا لذكره اللهم الا ضمن مجمل عقائد أهل السنه .

ولذا سيكون تناولي لعقيدة أهل السنه والجماعه على سبيل الاجمال ثم على سبيل التفصيل لبعض الأصول .

---

(1) رواه مسلم : جـ ١ ص ٨٤

مجمل عقيدة أهل السنه والجماعه :

أفرد هذه العقيدة عدد من العلماء رحمهم الله تعالى منهم ابن تيميه رحمه الله تعالى في العقيدة الواسطيه ومنهم أبو جعفر الطحاوي رحمه الله تعالى بشرح ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالي وغيرهما كثير .

ونذكر هنا مجمل عقيدة أهل السنه ملخصا من أولها أعني العقيده الواسطيه حيث بدأه رحمه الله تعالى بقوله : أما بعد فهذا اعتقاد الفرقه الناجيه المنصوره الى قيام الساعه ـ أهل السنه والجماعه وهو الايمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، والبعث بعد الموت والايمان بالقدر خيره وشره .

الايمان بالله : ومن الايمان بالله بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله محمد صلي الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل بل يؤمنون بأن الله سبحانه : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)[1] .

فمن الكتاب :

ما وصف به نفسه في سورة الاخلاص ، وآيه الكرسي ، وقوله سبحانه " هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم[2] " وقوله " نبأني العليم الخبير[3] " . . وقوله " ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين[4] " وقوله " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير[1] " وقوله " ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله[5] " وقوله " ان الله يحكم ما يريد[6] " وقوله " وأحسنوا ان الله يحب المحسنين[7] " وقوله " وهو الغفور الودود[8] "

---

(١) سورة الشورى : الايه ١١
(٢) سورة الحديد : الايه ٣
(٣) سورة التحريم : الايه ٣
(٤) سورة الذاريات: الايه ٥٨
(٥) سورة الكهف : الايه ٣٩
(٦) سورة المائده: الايه ١
(٧) سورة البقره : الايه ١٩٥
(٨) سورة البروج : الايه ١٤

وقولـه " بسم اللـه الرحمن الرحـيم[1] " وقولـه " رضى اللـه عنهم ورضوا عنـه[2] "
وقولـه " ومن يقتل مؤ منا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه[3] "
وقولـه " ولكن كـره اللـه انبعاثهـم فثبطهـم[4] " وقولـه " كلا اذا دكت
الارض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا[5] " وقولـه " ويبقي وجـه ربك
ذو الجلال والاكرام[6] " وقولـه " واصبر لحكم ربك فأنك بأعيننا[7] " وقولـه
" انني معكما أسمع وأرى[8] " وقولـه " انهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا[9] "
وقولـه " الرحمن على العرش استوى[10] " وقولـه " ياعيسى انى متوفيك
ورافعك الـي[11] " وقولـه " لا تحزن ان اللـه معنا[12] " وقولـه " ومن
أصدق من اللـه حديثا[13] " وقولـه " وكلم اللـه موسى تكليما[14] " وقولـه
" وهذا كتاب أنزلناه مبارك[15] " وقولـه " وجوه يومئذ ناضره الى ربها
ناظره[16] " وهذا الباب فى كتاب اللـه تعالى كثير من تدبر القرآن
طالبا للهدى منه تبين له طريق الحق .

---

(١) سورة النمل : الآيه ٣٠
(٢) سورة البينه : الآيه ٨
(٣) سورة النساء : الآيه ٩٣
(٤) سورة التوبه : الايه ٤٦
(٥) سورة الفجر : الآيتين ٢١ - ٢٢
(٦) سورة الرحمن : الآيه ٢٧
(٧) سورة الطور : الآيه ٤٨
(٨) سورة طه : الآيه ٤٦
(٩) سورة الطارق : الآيتين ١٥ - ١٦
(١٠) سورة طه : الآيه ٥
(١١) سورة آل عمران : الآيه ٥٥
(١٢) سورة التوبه : الآيه ٤٠
(١٣) سورة النساء : الآيه ٨٧
(١٤) سورة النساء : الآيه ١٦٤
(١٥) سورة الانعام : الآيه ١٥٥
(١٦) سورة القيامه : الآيتين ٢٢ - ٢٣

ومن السنه :

وأهل السنه يؤمنون بما وصف الرسول صلى الله عليه وسلم به ربه عز وجل فى الأحاديث الصحاح التى تلقاها أهل المعرفه بالقبول .

مثل : قوله صلى الله عليه وسلم " ينزل ربنا الى سماء الدنيا كل ليه حين يبقي ثلث الليل الآخر الحديث متفق عليه[(١)] ، وقوله " الله أشد فرحا بتوبه عبده من أحدكم براحلته الحديث متفق عليه[(٢)] وقوله " يضحك الله الى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنه " متفق عليه[(٣)] وقوله " لا تزال جهنم يلقي فيها وهي تقول هل من مزيد ؟ حتى يضع رب العزه فيها رجله - وفى روايه : عليها قدمه - فينزوى بعضها الى بعض وتقول : قط قط متفق عليه[(٤)] . وقوله " يقول الله تعالى ياآدم فيقول لبيك وسعديك فينادى بصوت : ان الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا الى النار " رواه البخارى[(٥)] وقوله للجاريه أين الله ؟ قالت فى السماء قال من أنا ؟ قالت أنت رسول الله قال اعتقها فانها مؤمنه رواه مسلم[(٦)] وقوله " انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون فى رؤيته فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا " متفق عليه[(٧)] .

الى أمثال هذه الاحاديث التى يخبر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه بمايخبر به .

فان الفرقه الناجية أهل السنة والجماعه - يؤمنون بذلك كما يؤمنون بما أخبر الله به فى كتابه العزيز من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل .

---

(١) صحيح البخارى جـ٢ص٤٧ باب التهجد ، مسلم صلاة المسافرين جـ١ص٥٢١-٥٢٢
(٢) ،، ،، جـ٧ص١٤٦ كتاب الدعوات ، مسلم كتاب التوبه جـ ٤ص٢١٠
(٣) ،، ،، جـ٣ص٢١٠ كتاب الجهاد ، مسلم كتاب الاماره جـ٣ص١٥٠٤-١٥٠٥
(٤) ،، ،، جـ٧ص٢٢٥ كتاب الايمان ، مسلم كتاب الجنه جـ ٤ ص٢١٨٧
(٥) ،، ،، كتاب التفسير جـ ٥ ص ٢٤١
(٦) ،، ،، كتاب المساجد جـ ١ ص ٣٨٢
(٧) ،، ،، كتاب المواقيت جـ ١ ص ١٣٩ صحيح مسلم كتاب المساجد جـ١ صـ ٤٣٩

الايمان بكتبه :

ومن الايمان بالله وبكتبه الايمان بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ واليه يعود وأن الله تعالى تكلم به حقيقه وأن هذا القرآن الذى أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم هو كلام الله حقيقه لا كلام غيره .

الايمان باليوم الآخر :-

ومن الايمان باليوم الاخر الايمان بكل ما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت فيؤمنون بفتنة القبر وبعذاب القبر وبنعيمه وبالبعث وبالموازين والدواوين - وهى صحائف الأعمال - فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله . وبالحساب وبالعرض والحوض والصراط وهو الجسر الذى بين الجنة والنار يمر الناس عليه على قدر أعمالهم فمنهم من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالفرس الجواد ومنهم من يمر كركاب الابل ومنهم من يعدو عدوا ومنهم من يمشي مشيا ومنهم يزحف زحفا ومنهم من يخطف فيلقى في جهنم ، ويؤمنون بالشفاعه ، ويؤمنون بأصناف ما تضمنته الدار الآخره من الحساب والثواب والعقاب والجنه والنار وتفاصيل ذلك مذكورة فى الكتب المنزله من السماء والآثار من العلم المأثور عن الأنبياء وفى العلم الموروث عن محمد صلى الله عليه وسلم من ذلك ما يشفي ويكفى .

الايمان بالقدر :

وتؤ من الفرقة الناجيه - أهل السنة والجماعة - بالقدر خيره وشره والايمان بالقدر على درجتين .

الاولى : الايمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم الذى هو موصوف به أزلا وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والارزاق والآجال .

الثانيـة : مشيئة اللـه النافـذه وقدرتـه الشامله وهو الايمان بأن ما شـاء اللـه كان ومالم يشأ لم يكن وأنه ما في السموات والأرض من حركـه ولا سكون الا بمشيئة اللـه سبحانه لا يكون فى ملكه الا ما يريـد وأنه سبحانه وتعالى على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات. والعباد فاعلون حقيقه والله خالق أفعالهم والعبد هو المؤمـن والكافر والبر والفاجـر والمصلي والصائم وللعباد قدره علـي أفعالهم ولهم اراده والله خالقهم وخالق قدرتهم وارادتهـم كما قال تعالى (لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاؤن الا أن يشـاء اللـه رب العالمـين " (١).

ومن أصول أهل السنة ان الايمان قول وعمل قول القلب واللسان وعمـل القلب واللسان والجوارح وأنه يزيد بالطاعه وينقص بالعصيـان .

ولا يكفرون أحدا من أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر بل الاخـوة الايمانيه ثابتة مع المعاصى كما قال سبحانه وتعالي في آيه القصـاص " فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف (٢) " ولا يسلبون الفاسق الملي اسم الايمان بالكليه ولا يخلدونه فى النار ويقولون هو مؤمن ناقص الايمـان أو مؤمـن بايمانـه فاسق بكبيرتـه .

ومن أصول أهل السنه سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم كما وصفهم اللـه به فى قولـه سبحانه " والذين جـاؤا من بعدهم يقولون : ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمـان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنـوا ربنا إنك رؤف رحـيم (٣) " وطاعـة البنى صلى اللـه عليه وسلم فى قوله " لا تسبوا أصحابي فو الذى نفسي بيـده

---

(١) سورة التكويـر : الايتـين ٢٨ - ٢٩
(٢) سورة البقـرة : الآيـه ١٧٨
(٣) سـورة الحشـر : الآيـه ١٠

لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه "(١)
ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنه والاجماع من فضائلهم ومراتبهم ويقرون
بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضي الله عنه
وعن غيره من أن خير هذه الأمه بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ، ويثلثون
بعثمان ويربعون بعلى رضى الله عنهم كما دلت عليه الآثار واختلف بعض
أهل السنه فى عثمان وعلى رضى الله عنهما وان كانت مسألتهما ليست في
الأصول التى يضلل فيها المخالف عند جمهور أهل السنة والجماعه لكن
المسألة التى يضلل المخالف فيها هي مسألة الخلافة وذلك أنهم يؤمنون
ان الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان
ثم على ومن طعن فى خلافة أحد من هؤلاء الأئمة فهو أضل من حمار
أهله .

ومن عقائد أهل السنه أنهم يحبون أهل بيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم
حيث قال يوم غدير خم أذكركم الله فى أهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى .

ويتولون أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين
رضى الله عنهن ويمسكون عما شجر بين الصحابه رضوان الله عليهم
وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابه معصوم عن كبائر الاثم
وصغائره بل تجوز عليهم الذنوب فى الجمله ولهم من الحسنات التى تمحو
السيئات ما ليس لمن بعدهم وقد ثبت بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنهم خير القرون وأن المد من أحدهم اذا تصدق به أفضل من جبل
أحد ذهبا ممن بعدهم .

ثم القدر الذى ينكر من فعل بعضهم قليل نزر فى جنب فضائل القوم
ومحاسنهم من الايمان بالله ورسوله والجهاد فى سبيله والهجره والنصره
والعلم النافع والعمل الصالح .

---

(١) صحيح البخارى كتاب الفضائل جـ٤ ص١٩٥ مسلم الفضائل جـ ٤ ص ١٩٦٧

ومن اصول أهل السنة والجماعة التصديق بكرامات الأولياء وما يجرى الله على أيديهم من خوارق العادات فى أنواع العلوم والمكاشفات كالمأثور عن سالف الأمم فى سورة الكهف وغيرها وعن صدر هذه الأمة من الصحابه والتابعين وسائر قرون الأمة الى يوم القيامه .

ومن أصولهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما توجبه الشريعه ويرون اقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد مع الأمراء أبرارا كانوا أو فجارا ويحافظون على الجماعات ، ويدينون بالنصيحه للأمة ويأمرون بالصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بمر القضاء ، ويندبون الى أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفوا عمن ظلمك ويأمرون ببر الوالدين وصلة الأرحام وحسن الجوار والاحسان الى اليتامى والمساكين وابن السبيل والرفق بالمملوك وينهون عن الفخر والخيلاء والبغى والاستطاله على الخلق بحق أو بغير حق ويأمرون بمعالى الأخلاق وينهون عن سفاسفها وكل ما يقولونه أو يفعلونه من هذا أو غيره فانما هم فيه متبعون للكتاب والسنه وطريقتهم هي دين الاسلام الذى بعث الله به محمد صلى الله عليه وسلم (١) .

ذلكم مجمل عقيدة أهل السنة والجماعة أما تفصيل ما وعدت بتفصيله مما كان موضع خلاف بين أهل السنة والجماعة وما عداهم من الفرق فأني مورده هنا بتفصيل مناسب لأبحاث فى التفسير لا لأبحاث فى العقيدة .

تنزيه الله عن البداء :

البداء فى لغة العرب على معنيين

أولهما : الظهور بعد الخفاء وورد هذا المعنى فى القرآن الكريم في عدة مواضع منها قوله سبحانه" وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون " (٢)

---

(١) هذا مجمل عقيدة أهل السنه والجماعه لخصته من العقيدة الواسطيه لابن تميمية رحمه الله تعالى انظر مجموع الفتاوى جـ٣ من ص ١٢٩ الى ص ١٥٩

(٢) سورة الزمر الآيه ٤٧

وقولـه سبحانة"وبدا لـهم سيئات ما عملـوا[1]" وقوله عز وجل " وان تبـــد وا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم بـه اللــه[2] "

ثانيهما : نشأة الرأى الجديد ومنـه فى القـرآن الكريم قولـه تعـالى " ثــم بدا لـهم من بعد مارأوا الآيات ليسجننـه حتى حــين[3] " .

والبـداء بـهذين المعنيـين لا يجوز نسبتـه الى اللـه سبحانه وتعالى لمــا يلزمهمـا من سبق الجـهل وحدوث العلم بـعده وكلا هما تنزه اللــه عنـــه لانـهما صفتا نقص والأدلـة كثيرة من الكتاب والسنة كقولـه تعـالى " ما أصـاب من مصيبة فى الارض ولا فـى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلــك على اللـه يسـير[4] " وقولـه سبحانه " وعنـده مفاتح الغـيب لا يعلمها إلا هــو ويعلم ما فى البر والبحـر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمــات الأرض ولا رطب ولا يابـس إلا فى كتاب مبـين[5] "وغير ذلك من الآيات وكقــول الرسول صلى اللـه عليـه وسلـم " قـدر اللـه تعـالى مقادير الخلـق قبــل أن يخلـق السموات والارض بخمسـين الـف سنه وكان عرشـه على المـــاء[6] "

وكما أن أهل السنة والجماعة وسط فى فرق الأمـة كما أن الأمـه هـــى الوسـط فى الأمـــم[7] فأنهم هنا أيضا فى هـذا المعتقـد يتربعـون على عرش الوسطيـه مرتفعـين عن اليهـود والرافضـه حيث انكـر اليهـود النسخ لأنـــه يستلزم البداء على اللـه بزعمهم وقالـت الرافضـة بالنسخ وأثبتوا لا زمـــه بزعمهم وهـو البداء ، وتوسـط أهل السنة والجماعة فأخذوا بأدلة الكتـاب والسنه وقالـوا بالنسخ وأنكروا البداء وقالوا أنه سبحانه يعلم ما كان وما يكـون

---

(١) سورة الجاثيـه الايـة ٣٣
(٢) سورة البقـرة الايـة ٢٨٤
(٣) سورة يـوسـف الايـه ٣٥
(٤) سورة الحديد : الاية ٢٢
(٥) سورة الانعام : ٥٩
(٦) قال الالبانـي فى هــذا الحديث" صحيح وأخرجه أيضا أحمد ٢/١٦٩ والترمذى وصححه دون قوله " وكان عرشه " وهوروايـة لمسلم ورواه البيهقى فى الأسماء ٢٦٩" شرح الطحاوية ص ١٤٠
(٧) مجموع الفتـاوى : لابن تيميـة جـ ٣ ص ١٤١

وما لم يكن ان لو كان كيف يكون كما قال تعالى (ولو ردوا لما نهوا عنه)[1] وان كان يعلم أنهم لا يردون ولكن أخبر أنهم لو ردوا كما قال تعالى (ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون)[2] وقالوا على العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمه في كل كائن من خلقه فقدر ذلك تقديرا محكما مبرما ليس فيه ناقص ولا معقب ولا مزيل ولا مغير ولا ناقص ولا زائد من خلقة في سماواته وأرضه[3] وسيأتي تفسير الآيات المتعلقه بهذا البحث في موضعه ان شاء الله .

اثبات الرؤيه :

ويعتقد أهل السنة أن أهل الجنة يرون ربهم يوم القيامة بغير احاطه ولا كيفيه كما نطق به كتاب ربنا " وجوه يومئذ ناضره الى ربها ناظره[4] وتفسيره على ما أراد الله تعالى وعلمه وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كما قال ومعناه على ما أراد لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا فانه ما سلم في دينه الا من سلم لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم ورد علم ما اشتبه عليه الى عالمه - وهي عندهم أعني الرؤية - من أشرف مسائل أصول الدين وأجلها وهي الغاية التى شمر اليها المشمرون وتنافس المتنافسون .[5]

واستدلوا لاثبات الرؤية بعده أدله من الكتاب فمن الكتاب قوله تعالى " وجوه يومئذ ناضره الى ربها ناظره "[6] وقوله سبحانه على لسان

---

(١) الانعام : الآيه ٢٨
(٢) الانفال : الآيه ٢٣
(٣) شرح الطحاويه : على بن أبى العز الحنفى ص ١٥٢ (الشرح)
(٤) شرح الطحاويه : على بن أبى العز الحنفى ص ٣٠٢ (المتن)
(٥) سورة القيامه : الآيتين ٢٢ - ٢٣
(٦) شرح الطحاوية : ص ٢٠٣ - ٢٠٤

موسى عليه السلام " رب أرني انظر اليك "[1] ولا يجوز ان يسأل موسي عليه السلام ربّه ما يستحيل عليه فاذا لم يجز ذلك على موسي عليه السلام علمنا انه لم يسأل ربه مستحيلا وأن الرؤيه جائزه على ربنا تعالى[2] واستدلوا بقوله سبحانه جوابا لموسى عليه السلام " فان استقر مكانه فسوف تراني"[1] قالوا لما كان الله تعالى قادرا على أن يجعل الجبل مستقرا كان قادرا على الأمر الذى لو فعله لرآه موسي صلى الله عليه وسلم فدل ذلك على أن الله تعالى قادر أن يرى عباده نفسه وانه جائز رؤيته[3].

واستدلوا بقوله سبحانه " للذين احسنوا الحسنى وزياده"[4] قالوا أن الزيادة هي النظر الى الله عز وجل ولم ينعم الله تعالى على أهل الجنه بأفضل من نظرهم اليه ورؤيتهم له وقال تعالى " ولدينا مزيد" قيل النظر الى الله عز وجل وقال تعالى " تحيتهم يوم يلقونه سلام" واذا لقيه المؤمنون رأوه وقال تعالى " كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون" فحجبهم عن رؤيته ولا يحجب عنها المؤ .

ومن السنه :

وقد تواترت الأحاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم الداله على الرؤيه رواها أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن ومنها " حديث

---

١ - سورة الاعراف : من الآيه ١٤٣
٢ - انظر الابانه عن أصول الديانه : لأبى الحسن الأشعرى ص ٤١
٣ - المرجع السابق : ص ٤٣
٤ - سورة يونس : من الآيه ٢٦
٥ - سورة ق : من الآيه ٣٥
٦ - سورة الاحزاب : من الايه ٤٤
٧ - سورة المطففين : الآيه ١٥
٨ - الابانه عن اصول الديانه لابي موسي الاشعرى ص ٤٥ - ٤٦
٩ - شرح الطحاويه ص ٢٠٩

ابى هريره رضى الله عنه " أن ناسا قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ؟ قالوا لا يارسول الله قال هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا لا قال فأنكم ترونه كذلك الحديث .[1]

وحديث جرير بن عبد الله البجلي رضى الله عنه قال كنا جلوسا مع النبى صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة أربع عشرة فقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا لا تضامون فى رؤيته .[2]

وما رواه صهيب رضى الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم " للذين أحسنوا الحسنى وزيادة "[3] قال " اذا دخل أهل الجنه الجنه وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنه إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه فيقولون ما هو ؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنه ويجرنا من النار فيكشف الحجاب فينظرون اليه فما أعطاهم شيئا أحب اليهم من النظر اليه وهى الزيادة ".[4]

وقد روى أحاديث الرؤيه نحو ثلاثين صحابيا .[5]

الأسماء والصفات :

أما على سبيل الاجمال فقد سلف بيان عقيدة أهل السنه فى ذلك وأما على التفصيل فسأعرض لبعضها بشيء من ذلك وهو ما كان موضع خلاف بين أهل السنة والفرق التالية فى هذه الدراسه .

---

١ ـ البخارى ك الأذان جـ ١ ص ١٩٥ ومسلم ك الايمان جـ ١ ص ١٦٣ مسند الامام احمد جـ ٣ ص ١٦ وغيرهم .
٢ ـ صحيح البخارى : المواقيت جـ ١ ص ١٣٩ ، صحيح مسلم المساجد جـ ١ ص ٤٣٩
٣ ـ سورة يونس : الآيه ٢٦
٤ ـ صحيح مسلم كتاب الايمان جـ ١ ص ١٦٣ مسند أحمد جـ ٤ ص ٣٣٣ سنن الترمذى كتاب التفسير جـ ٥ ص ٢٨٦ وسنن ابن ماجه المقدمه جـ ١ ص ٨١
٥ ـ شرح الطحاويه : ص ٢١٠

الجهـــه :

قلنـا ان أهل السـنه يصفـون اللـــه سبحانه بما وصف به نفســه وبمـــا وصفـه به رسولـــه صلى اللـه عليـه وسلم من غير تحريـف ولا تـعطيل ومن غـــير تكييـف ولا تمثيـل ، ومعلـوم أنه ليس في النـص اثبات لفـظ الجهـه ولا نفيـه .(١)

وأحســن من اطلعت على قولـه في هذا ابن تيميـه رحمـه اللـه تعالـــي حيث وضـح ذلك توضيحا شافيا في مثـل هذا اللفـظ ونحوه من الالفــــاظ حيـث قال رحمـه اللـــه تعالـــي : -

وبالجملـة فمعلوم ان الألفـاظ " نـــوعـــان " : -

لفظ ورد في الكتاب والسنه أو الاجماع ، فهذا اللفـظ يجب القول بموجبـــه سواء فـهمنـا معناه أو لم نفـهمـه لأن الرسول صلى اللـه عليـه وسلم لا يقـــول الا حقـا والأمـــة لا تجتمـع على ضــلالـــه .

(والثاني) لفظ لم يرد بـه دليل شرعي كهذه الألفاظ التى تنازع فيهـــا اهل الكلام والفلسفه هذا يقول : هـو متحيز وهذا يقول : ليس بمتحـــيز ، وهذا يقول هـو في جهــه وهذا يقول ليس هـو في جـهه وهذا يقول : هـــو جسم أو جوهـر وهذا يقول ليس بجسم ولا جـوهـر فـهذه الألفاظ ليس علـــي أحـد أن يقول فيـها بنفـي ولا اثبات حتى يستفسر المتكلم بذلك فان بـــين أنه أثبت حقـا اثبتـه وان أثبـت باطلا رده وان نفى باطلا نفاه وان نفـــى حقا لم ينفـه وكثير من هؤلاء يجمعـون من هذه الأسماء بين الحق والباطـــل فى النفـي والاثبـات " .(٢)

ثم طبق رحمـه اللـه تعالى هذا القول على من قال بالجهـه فقال عنـــه " فمـن قال انه في جهــه وأراد بذلك أنه داخل محصور فى شـيء مـــــن المخلوقات ـ كائنا من كان ـ لم يسلم اليـه هذا الاثبات وهذا قول الحلوليـه

---

١ ـ مجموع الفتـاوى : ابن تيميـــه جـ ٣ ص ٤١

٢ ـ مجموع الفتـاوى : ابن تيميـة جـ ٥ ص ٢٩٨ - ٢٩٩

وان قال أنه مباين للمخلوقات فوقها لم يمانع فى هذا الاثبات بل هذا ضد قول الحلولية ، ومن قال ليس فى جهة فان أراد أنه ليس مباينا للعالم ولا فوقه لم يسلم له هذا النفي[1] "

وبهذا يتضح مذهب أهل السنه فى نحو هذه الألفاظ أعنى الجهة والجسم والجوهر والحيز ونحوها .

الاستواء :

ورد لفظ الاستواء فى القرآن الكريم سبع مرات ومنها قوله تعالى " ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش "[2] ومنها قوله سبحانه " الرحمن على العرش استوى "[3] .

وأهل السنة والجماعة يؤمنون باستواء الله على عرشه بالكيفيه التى يعلمها سبحانه ويقولون كما قال ربيعه بن عبد الرحمن الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ومن الله الرساله وعلى الرسول البلاغ المبين وعلينا التصديق وكما قال تلميذه مالك بن أنس حسين جاءه رجل فقال يا أبا عبد الله (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى ؟ فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرحضاء[4] ثم قال : الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعه وما أراك الا مبتدعا ثم أمر به أن يخرج .

قال ابن تيمية " فقول ربيعه ومالك الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب موافق لقول الباقين أمروها كما جاءت بلا كيف فانما نفوا علم الكيفيه ولم ينفوا حقيقة الصفه "[5] .

---

١ ـ مجموع الفتاوى : جـ ٥ ص ٢٩٩
٢ ـ سورة الاعراف من الآيه ٥٤ وسوره يونس من الآيه ٣
٣ ـ سورة طه الآيه ٥
٤ ـ قال فى القاموس الرحضاء عرق يغسل الجلد كثره جـ ٢ ص ٣٣١
٥ ـ مجموع الفتاوى : ابن تيميه جـ ٥ ص ٤٠ - ٤١

يميـن الرحمــــن :

والحديث عن يمين الرحمن حديث عن يدى الله سبحانه وتعالى وعقيدة أهل السنه فى ذلك أن لله تعالى يدين مختصتين به ذاتيتين له كما يليق بجلاله وأنه سبحانه خلق آدم بيده وأنه يقبض الأرض ويطوى السموات بيده اليمنى وأن يديه مبسوطتان ومعنى بسطهما بذل الجود وسعة العطاء،[1] وقد أثبت أهل السنه اليدين لله تعالى لنصوص القرآن الكريم الكثيره ومنها قوله تعالى " وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء "[2] وقال سبحانه ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى "[3] وقال عز وجل " وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامه والسموات مطويات بيمينه"[4] وقال سبحانه "أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون ".[5]

وقد تواتر فى السنة مجئ اليد في حديث النبى صلى الله عليه وسلم .[1]

هذه بعض الأبحاث الداخله تحت عقيده الايمان بالله عند أهل السنة وانما خصصناها بالذكر لورود بعض التفاسير المخالفة لها عند بعض أرباب الفرق فيما سيأتى من أبحاث . أما العقيدة فى القرآن الكريم فهي :-

القـرآن كلام اللـه منزل غير مخلـوق :

يعتقد أهل السنه والجماعه أن القرآن كلام الله منه بدا بلا كيفيه

---

١ - مجموع الفتاوى لابن تيميه جـ ٦ ص ٣٦٣
٢ - سورة المائدة : من الآيه ٦٤
٣ - سورة ص : من الآيه ٧٥
٤ - سورة الزمر : من الآيه ٦٧
٥ - سورة يس : من الآيه ٧١

قولا ، وأنزله على رسوله وحيا ، وصدق المؤمنون على ذلك حقا ، وأيقنوا أنه كلام الله تعالي بالحقيقه ليس بمخلوق ككلام البريه فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر وقد ذمه الله وأوعده بسقر حيث قال تعالى سأصليه سقر [1] فلما أوعد الله بسقر لمن قال (ان هذا الا قول البشر) [1] علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر ولا يشبه قول البشر " . [2]

تلكم عقيده أهل السنة والجماعة فى القرآن الكريم قال عنها شارح الطحاويه " هذه قاعده شريفه وأصل كبير من أصول الدين ضل فيه طوائف كثيره من الناس وهذا الذى حكاه الطحاوى رحمه الله هو الحق الذى دلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة لمن تدبرهما وشهدت به الفطرة السليمه التى لم تغير بالشبهات والشكوك والآراء الباطله " . [3]

سلامة القرآن من التحريف :

قال تعالى : إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون " [4] وقال سبحانه " وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد " . [5]

ولذا ولغيره من النصوص أجمع أهل السنة على سلامة القرآن من التحريف أو التغيير أو التبديل أو الزياده أو النقص ومن اعتقد أن القرآن الكريم غير محفوظ فقد خرج عن ربقة الاسلام .

---

١ - سورة المدثر : الايتين ٢٥ - ٢٦
٢ - شرح الطحاويه : ص ١٧٩
٣ - شرح الطحاويه : ص ١٧٩
٤ - سورة الحجر : الايه ٩
٥ - سورة فصلت : من الآيتين ٤١ - ٤٢

ونصوص علماء أهل السنه فى ذلك كثيره ومنها قول القاضي عياض رحمه الله تعالى قد أجمع المسلمون أن القرآن المتلو فى جميع أقطار الأرض المكتوب في المصحف بأيدى المسلمين مما جمعه الدفتان من أول الحمد لله رب العالمين الى آخر قل أعوذ برب الناس أنه كلام الله ووحيه المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأن جميع ما فيه حق وأن من نقص منه حرفا قاصدا لذلك أو بدله بحرف آخر مكانه أو زاد فيه حرفا مما لم يشتمل عليه المصحف الذى وقع الاجماع عليه واجمع على أنه ليس من القرآن عامدا لكل هذا أنه كافر ولهذا رأى مالك قتل من سب عائشه رضي الله عنها بالفريه لأنه خالف القرآن ومن خالف القرآن قتل أى لأنه كذب بما فيه وقال ابن القاسم من قال ان الله تعالي لم يكلم موسي تكليما يقتل وقاله عبد الرحمن بن المهدى وقال محمد ابن سحنون فيمن قال المعوذتان ليستا من كتاب الله يضرب عنقه الا أن يتوب وكذلك كل من كذب بحرف منه . . وقال أبو عثمان الحداد جميع من ينتحل التوحيد متفقون أن الجحد لحرف من التنزيل كفر وكان أبو العاليه اذا قرأ عنده رجل لم يقل له ليس كما قرأت ويقول أما أنا فأقرأ كذا فبلغ ذلك ابراهيم فقال أراه سمع أنه من كفر بحرف منه فقد كفر به كله وقال عبد الله بن مسعود من كفر بآيه من القرآن فقد كفر به كله . . "(1)

وقال ابن قدامه " ولا خلاف بين المسلمين فى أن من جحد من القرآن سورة أو آيه أو كلمه أو حرفا متفقا عليه أنه كافر ".(2)

وكذا قال البغدادى " وأكفروا ـ أى أهل السنه ـ من زعم من الرافضه أن لا حجه اليوم في القرآن والسنه لدعواه أن الصحابه غيروا بعض القرآن وحرفوا بعضه ".(3)

---

١ ـ الشفا : القاضى عياض جـ ٢ ص ٢٦٤ - ٢٦٥

٢ ـ لمعه الاعتقاد : موفق الدين عبد الله بن احمد بن محمد بن قدامه المقدسي ص ١٦ - ١٧

٣ ـ الفرق بين الفرق : عبد القاهر البغدادى ص ٣١٥

وقال ابن حزم "القول بأن بين اللوحين تبديلا كفر صريح وتكذيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم" (١) .

وها أنت ترى حكم علماء أهل السنه والجماعه فيمن أنكر حرفا واحدا من القرآن الكريم فكيف بمن ادعى أكثر من ذلك والعياذ بالله .

وما كنت لأزيد عن الاشارة لعقيده أهل السنه فى مثل هذا لولا أن نابته من علماء الشيعه فى العصر الحديث كادت ومكرت فى سبيل تقرير هذه العقيده اذ لم يثبتوها بطريق مألوف مباشر بل أنكروا قولهم بالتحريف وزعموا أنها عقيدة أهل السنه وذهبوا يستدلون لافترائهم هذا بأدله لا اشك في اعتقادهم وهنها وضعفها دلالة أو ثبوتا وانما أوردوها خداعا وتمويها وما عدا ذلك فاستدلوا بقول أهل السنه بالناسخ والمنسوخ وباختلاف القراءات وشبه لهم أن قول أهل السنه بهذا قول بالتحريف قلبوا الحقيقه فقول أهل السنه بهذا دليل على الحفظ لا على ضده اذا أنهم لم يفتهم من القرآن حتى ما نسخ وحتى القراءات المتعددة للكلمه فاذا كان لم يفتهم شيء من هذا ولا ذاك بل دونوه وميزوا بين الناسخ والمنسوخ وبين ما يقرأ به وما لا يقرأ به وهذا لعمرى من أقوى الادله علي حفظ هذا القرآن الكريم الا عند صاحب هوى وبدعه .

وان المسلم ليعجب الحماس الشيعه فى ايراد الادله عند أهل السنه والتكلف لاثباتها وتقرير دلالتها وهم يزعمون انكار التحريف ويعجب لهذا الحرص على تصحيحهم لهذه الأدلة ولا يدرى سببا لم ينكرون - بزعمهم - القول بالتحريف اذا كانوا يعتقدون صحة هذه الأقوال .

ويبطل عجب المسلم اللبيب اذا عرف أنهم ينكرون القول بالتحريف تقيه وكيدا ومكرا ويعوضون هذا الانكار بايراد الادلة والشبه وحشو ذهن القارىء بها ونسبت ذلك الى عقيدة أهل السنه حتى اذا ما قبل القارئ

١ - الفصل فى الملل والنحل : ابن حزم جـ ٤ ص ١٨٢

دلالة هذه الادلة وقبلها قال بتحريف القرآن فوافق معتقدهم حقيقة وان رفضها وأنكرها فانما أنكر أدلة أهل السنة ورفض رأى أهل السنه وخرجوا منه أبرياء . . . وهذا لعمرى كيد أى كيد ومكر أى مكر .

وأمر آخر ذلكم أن كل من خالف من أهل الفرق فأنه أول آيات القرآن وحرف معانيها وحرف مدلولاتها عن حقيقتها الى مايؤيد مذهبه ولم يجرؤ أحد من أصحاب المذاهب والفرق الى القول بالزيادة أو النقصان فى القرآن الا فرقة واحدة فرقة الشيعة إذ لم يجدوا من النصوص القرآنية ما يؤيد عقيدتهم ولم يستطيعوا تأويلها وصرف معانيها عن حقيقتها صرفا يوازى انحراف عقيدتهم فلم يجدوا موازيا لهذا الانحراف الا القول بتحريف القرآن وبغيره لا يستطيعون اثبات عقائدهم .

وما كان نهجي أن أعرض للرأى المخالف وأنا أسوق عقائد أهل السنه لولا أن المخالف هنا متعين أولا ، والحاجه ماسه الى بيان اسلوبه ومكره فى هذا ثانيا .

ظاهر القرآن وباطنه :

وجل ما يعتمد عليه أصحاب القول بأن للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا ماروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل حرف منها ظهر وبطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع والحديث الذى سئل عنه ابن تيمية " للقرآن باطن وللباطن باطن الى سبعة أبطن" فكان جوابه رحمه الله تعالى " أما الحديث المذكور فمن الأحاديث المختلقه التى لم يروها أحد من أهل العلم ولا يوجد فى شىء من كتب الحديث ولكن يروى عن الحسن البصرى موقوفا أو مرسلا " أن لكل آيه ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا " .(1)

---

(1) مجموع فتاوي بن تمية جـ ١٣ ص ٢٣١ - ٢٣١

وأما حديث ابن مسعود رضى الله عنه فقد أورده الامام الطبرى رحمه الله تعالى بسندين قال عنهما الشيخ احمد شاكر " هو حديث واحد باسنادين ضعيفين أما أحدهما فلانقطاعه بجهاله راويه عن ذكره عن أبى الأحوص ، وأما الآخر فمن أجل ابراهيم الهجرى راويه عن أبي الأحوص " ثم قال " والحديث بهذا اللفظ الذى هنا ذكره السيوطي فى الجامع الصغير رقم ٢٧٢٧ ونسبه للطبراني فى المعجم الكبير ورمز له بعلامة الحسن ولا ندرى اسناده عند الطبراني ".(١)

ومع وصف ابن تيميه رحمه الله تعالى لنحو هذه الأحاديث بالاختلاق وتضعيف أحمد شاكر لهما فان أهل السنه بينوا المراد بالظاهر والباطن فيهما .

بين ذلك الامام الطبرى رحمه الله تعالى فقال " وقوله صلى الله عليه وسلم " وان لكل حرف منها ظهرا وبطنا " فظهره الظاهر فى التلاوة وبطنه ما بطن من تأويله "(٢) وعلق على هذا الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى بقوله " الظاهر ما تعرفه العرب من كلامها وما لا يعذر أحد بجهالته من حلال وحرام والباطن : هو التفسير الذى يعلمه العلماء بالاستنباط والفقه ولم يرد الطبرى ما تفعله طائفة الصوفيه وأشباههم في التلعب بكتاب الله وسنة رسوله والعبث بدلالات الفاظ القرآن وادعائهم أن لالفاظه " ظاهرا " هو الذى يعلمه علماء المسلمين و " باطنا " يعلمه أهل الحقيقه ، فيما يزعمون " .

وبين ذلك ابن تيميه رحمه الله تعالى حيث قسم الباطن الى قسمين " أحدهما : باطن يخالف العلم الظاهر و " الثاني " لا يخالفه فأما الأول فباطل : فمن ادعى علما باطنا أو علما بباطن وذلك يخالف العلم

---

(١) تفسير الطبرى : تخريج أحمد محمد شاكر جـ ١ ص ٢٢-٢٣
(٢) المرجع السابق : جـ ١ ص ٧٢

الظاهر كان مخطئا اما ملحدا زنديقا واما جاهلا ضالا ، وأما الثاني فهو بمنزلة الكلام فى العلم الظاهر قد يكون حقا وقد يكون باطلا . . . فان علم أنه حق قبل وان علم أنه باطل رد والا أمسك عنه ، وأما الباطن المخالف للظاهر المعلوم فيمثل ما يدعيه الباطنية القرامطة من الاسماعيليه والنصيريين وأمثالهم . ممن وافقتهم من الفلاسفة وغلاة المتصوفه والمتكلمين"(1)

ووضح هذا من موضع آخر فقال " وجماع القول فى ذلك أن هذا الباب نوعان :

" احدهما " أن يكون المعنى المذكور باطلا لكونه مخالفا لما علم فهذا هو فى نفسه باطل فلا يكون الدليل عليه الا باطلا لأن الباطل لا يكون عليه دليل يقتضي أنه حق .

و" الثاني " ما كان فى نفسه حقا لكن يستدلون عليه من القرآن والحديث بألفاظ لم يرد بها ذلك فهذا الذى يسمونه " اشارات " و" حقائق التفسير" لأبي عبد الرحمن فيه من هذا الباب شيء كثير وأما النوع الأول" فيوجد كثيرا في كلام القرامطة والفلاسفة المخالفين للمسلمين فى أصول دينهم . .

وأما النوع الثاني " فهو الذى يشتبه كثيرا على بعض الناس فان المعنى يكون صحيحا لدلالة الكتاب والسنه عليه ، ولكن الشأن فى كون اللفظ الذى يذكرونه دل عليه وهذان قسمان :-

" أحدهما " ان يقال أن ذلك المعنى مراد باللفظ فهذا افتراء علي الله فمن قال المراد بقوله " تذبحوا بقره " هي النفس وبقوله " اذهب الي فرعون " هو القلب (والذين معه) أبو بكر (اشداء على الكفار) عمر (رحماء بينهم) عثمان (تراهم ركعا سجدا) علي ، فقد كذب على الله اما متعمدا واما مخطئا .

---

(1) مجموع الفتاوى جـ ١٣ ص ٢٣٥ - ٢٣٦

" القسم الثاني " أن يجعل ذلك من باب الاعتبار والقياس لا من باب دلاله اللفظ فهذا من نوع القياس فالذى تسميه الفقهاء قياسا هو الذى تسميه الصوفيه اشارة وهذا ينقسم الى صحيح وباطل كانقسام القياس الى ذلك "(١).

ثم قال " وقد تبين من ذلك أن من فسر القرآن أو الحديث وتأوله على غير التفسير المعروف عن الصحابه والتابعين فهو مفتر على الله ملحد في آيات الله محرف للكلم عن مواضعه وهذا فتح لباب الزندقه والالحاد وهو معلوم البطلان بالاضطرار من دين الاسلام ، وأما ما يروى عن بعضهم من الكلام المجمل مثل قول بعضهم : لو شئت لأوقرت من تفسير فاتحة الكتاب الخ(٢) فهذا اذا صح عمن نقل عنه كعلي وغيره لم يكن فيه دلالة على الباطن المخالف للظاهر بل يكون هذا من الباطن الصحيح الموافق للظاهر الصحيح .

وقد تقدم أن الباطن اذا أريد به ما لا يخالف الظاهر المعلوم فقد يكون حقا وقد يكون باطلا ولكن ينبغي أن يعرف أنه قد كذب على علي وأهل بيته لاسيما على جعفر الصادق مالم يكذب على غيره من الصحابه"(٣)

وعذرا اذا ما استطردت بعض الاستطراد في بيان هذا اذ أن كثيرا من الفرق يقوم انحرافها على التأويلات الباطنية . فلزم أن أفصل مذهب أهل السنه فى ذلك .

الامامه :

ان الامامه فرض واجب على الأمه لأجل إقامة الإمام ، ينصب لهم القضاه والأبناء ويضبط ثغورهم ويغزى جيوشهم ويقسم الفىء بينهم

---

(١) مجموع فتاوى بن تيمية : جـ ١٣ ص ٢٤٠ - ٢٤٢

(٢) بقية الاثر كما ورد في السؤال الموجه الى بن تيميه " كذا وكذا حمل جمل " .

(٣) مجموع فتاوى بن تيميه جـ ١٣ ص ٢٤٣ - ٢٤٤

وينتصف لمظلومهم من ظالمهم وبالجمله[1] يقيم شأن الدولة بجميع مرافقها .

ويرون أن طريق عقد الإمامه للإمام في هذه الأمة الإختيار بالإجتهاد . وقالوا ليس من النبى صلي الله عليه وسلم نص على إمامة واحد بعينه نصا صريحا[2] ويثبتون الخلافه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أولا لأبي بكر الصديق رضى الله عنه تفضيلا له وتقديما على جميع الأمة ثم لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ثم لعثمان رضى الله عنه ثم لعلي بن أبى طالب رضى الله عنه وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون[3] .

وقالوا لا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا ، وان جاروا ولا ندعوا عليهم ولا ننزع يدا من طاعتهم ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة ، مالم يأمروا بمعصية وندعوا لهم بالصلاح والمعافاه ، والحج والجهاد ماضيان مع أولى الأمر من المسلمين برهم وفاجرهم الى قيام الساعه لا يبطلها شيء ولا ينقصها[4] ، والرافضه أخسر الناس صفقة في هذه المسألة لأنهم جعلوا الامام المعصوم هو الإمام المعدوم الذى لم ينفعهم في دين ولا دنيا !! فانهم يدعون أنه الامام المنتظر محمد بن الحسن العسكرى[5] .

هذا مجمل عقيدتهم في الامامه .

العصمة :

ويعتقدون أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه وتعالى وفى تبليغ رسالاته باتفاق الأمه بخلاف غير الأنبياء فإنهم ليسوا معصومين كما عصم الأنبياء ولو كانوا أولياء لله[6] .

---

(١) الفرق بين الفرق : عبد القاهر البغدادى ص ٣٤٠
(٢) المرجع السابق ص ٣٤٠
(٣) العقيدة الطحاوية : ص ٥٧
(٤) العقيدة الطحاويه : ص ٤٧ - ٤٨
(٥) شرح الطحاويه : ت جماعه من العلماء ص ٤٣٧
(٦) مجموع فتاوى ابن تيميه : جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد جـ ١٠ ص ٢٨٩ - ٢٩٠

وقد سئل ابن تيميه رحمه الله تعالى عمن ادعى العصمه لغير نبي فقال " فان الرافضه ادعت ذلك فيمن لا شك في إيمانه وتقواه بل فيمن لا يشك أنه من أهل الجنه كعلي والحسن والحسين رضى الله عنهم ومع هذا فقد اتفق أهل العلم والإيمان على أن هذا القول من أفسد الأقوال وأنه من أقوال أهل الإفك والبهتان فإن العصمه فى ذلك ليست لغير الأنبياء وعليهم السلام . . ثم قال " والمقصود أن من ادعى عصمة هؤلاء الساده المشهود لهم بالإيمان والتقوى والجنه هو فى غاية الضلال والجهاله ولم يقل هذا القول من له فى الأمة لسان صدق بل ولا من له عقل محمود "[1].

المهدى :

والمهدى حق قال السيوطى رحمه الله تعالى " قال أبو الحسن محمد بن الحسين بن ابراهيم بن عاصم السحرى قد تواترت الاخبار واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى صلى الله عليه وسلم بمجئ المهدى وأنه من أهل بيته وأنه سيملك سبع سنين وأنه يملأ الأرض عدلا وأنه يخرج مع عيسي عليه السلام فيساعده على قتل الدجال بباب لدّ بأرض فلسطين وأنه يؤم هذه الأمه وعيسي يصلي خلفه[2] وحكى التواتر أيضا محمد بن رسول الحسينى فى كتابه الإشاعه لأشراط الساعه[3] وحكاه ابن قيم الجوزيه فى المنار المنيف في الصحيح والضعيف[4].

قال الشيخ الذهبى رحمه الله تعالى " لم نر من المسلمين من ذهب مذهب الاماميه من تعيين المهدى ودعواهم أنه الإمام الثانى عشر الذى اختفى حيا وسيعود في آخر الزمان "[5].

---

(١) مجموع الفتاوى ابن تيميه جـ ٣٥ ص ١٢٠و ١٢٦
(٢) الحاوى للفتاوى : الامام السيوطى جـ ٢ ص ١٦٥ - ١٦٦
(٣) الاشاعه لاشراط الساعه : محمد بن رسول الحسينى ص ١١٢
(٤) المنار المنيف فى الصحيح والضعيف : ابن قيم الجوزيه ص ١٤٢
(٥) التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبى جـ ٢ ص ٨

انكار الرجعه :

ومن عقائد أهل السنه انكار رجعة أحد من الأموات قبل قيام الساعه فلا يرجع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من أصحابه إلا يوم القيامه إذا رجع الله المؤمنين والكافرين للحساب والجزاء هذا إجماع أهل الإسلام قبل حدوث الروافض" (١)

وقد نص القرآن الكريم نصا صريحا على أن لا رجعه قال تعالى " حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون" (٢) وقال سبحانه " ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون " (٣).

الميزان والصراط حسيان :

ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما جاء فى الكتاب وبكل ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت .

فيؤمنون بنصب الموازين لوزن أعمال العباد قال تعالى" ونضع الموازين القسط ليوم القيامه فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين" (٤) والذى دلت عليه السنه أن ميزان الاعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان (٥) قال شارح الطحاويه " فلا يلتفت الى ملحد معاند يقول الأعمال إعراض لاتقبل الوزن وانما يقبل الوزن الاجسام !! فان الله يقلب الأعراض أجساما " (٥) وقال فعلينا الإيمان بالغيب كما أخبرنا به الصادق صلى الله عليه وسلم من غير زياده ولا نقصان (٦).

---

(١) المحلى : ابن حزم ص ٢٤ جـ والمعتمد في أصول الدين : محمد بن الحسين بن الغراء ص ٢٥٥
(٢) سورة المؤمنون : الآيتين ٩٩ - ١٠٠
(٣) سورة السجده : الايه : ١٢ (٤) الانبياء : الآية ٤٧
(٥) شرح الطحاوية : على بن ابي العز ص ٤٧٢ ، ٤٧٤
(٦) شرح الطحاوية : على بن أبى العز ص ٤٧٥

ونؤ من بالصراط وهو جسر على جهنم يمر الناس عليه على قدر أعمالهم فمنهم من يمر كلمح البصر ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمشي مشيا ومنهم من يزحف زحفا ومنهم من يخطف فيلقي في جهنم فان الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم فمن مر على الصراط دخل الجنه .(١)

أهل الكبائر يوم القيامه :

ثار جدل طويل بين الفرق والمذاهب الإسلامية هل يسمى مرتكب الكبيره مؤمنا أو غير مؤمن ، وهل يخلد في النار أو يخرج منها ، وهل يشفع له أولا يشفع له .

وأصل النزاع بين هذه الفرق يتعلق بأصل الإيمان هل يكون شيئا واحدا إذا زال جميعه وإذا ثبت ثبت كله أم لا .

أما المرجئه والجهمية والخوارج والمعتزله فجماع شبهتهم أن الحقيقه المركبه تزول بزوال بعض أجزائها . وانقسم هؤلاء الى قسمين

المرجئه قالوا كل فاسق فهو كامل الإيمان وايمان الخلق متماثل لا متفاضل والتفاضل في غير الإيمان من الأعمال والأعمال ليست من الايمان .

وقالت الجهمية والخوارج والمعتزله لا يكون مع الفاسق ايمان ثم انقسموا إلى قسمين الخوارج قالت هو كافر والمعتزله قالت هو في منزله بين المنزلتين ، ثم اتفقوا في الحكم فقالوا هو خالد في النار لا يخرج منها بشفاعه ولا غيرها .

وكما أن الاسلام وسط بين الأديان فان أهل السنة استقروا في وسط الوسط بين الفرق والمذاهب وتوسطهم في هذه المسأله أنهم قالوا ان الإيمان يتبعض فيذهب بعضه ويبقي بعضه كما في قوله عليه الصلاة

---

(١) مجموع فتاوى بن تيميه جـ ٣ ص ١٤٦ - ١٤٧

والسلام " يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان " ولهذا مذهبهم أن الإيمان يتفاضل ويتبعض وهذا كما قال ابن تيميه - مذهب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم[(١)].

ولهذا فأنهم لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر بل الأخوه الإيمانيه ثابته مع المعاصى كما قال سبحانه وتعالى فى آيه القصاص " فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف "[(٢)] وقال سبحانه " وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين إنما المؤمنون إخوه فأصلحوا بين أخويكم "[(٣)].

ويقولون هو مؤمن ناقص الإيمان ، أو مؤمن بايمانه فاسق بكبيرته فلا يعطى الاسم المطلق ولا يسلب مطلق الاسم[(٤)].

وقالوا ان أهل الكبائر لا يخلدون في النار كما قال تعالى " ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها " الآيه[(٥)] قال ابن تيميه رحمه الله تعالى وقوله " جنات عدن يدخلونها " مما يستدل به أهل السنه على أنه لا يخلد فى النار أحد من أهل التوحيد وأما دخول كثير من أهل الكبائر النار فهذا مما تواترت به السنن عن النبى صلى الله عليه وسلم كما تواترت بخروجهم من النار "[(٦)].

---

(١) مجموع الفتاوى جـ ١٨ ص ٢٧٠
(٢) سورة البقره من الآيه : ١٧٨
(٣) سورة الحجرات : من الآيتين ٩ ، ١٠
(٤) مجموع الفتاوى : ابن تيميه جـ ٣ ص ١٥١ - ١٥٢
(٥) سورة فاطر : من الآيتين ٣٢ ، ٣٣
(٦) مجموع الفتاوى : ابن تيميه جـ ١١ ص ١٨٤

وما داموا لا يخلدون في النار فأنهم يخرجون منها فالصحابه والتابعون لهم باحسان وسائر الأئمه الأربعه وغيرهم يقرون بما تواترت به الأحاديث الصحيحه عن النبى صلى الله عليه وسلم أن الله يخرج من النار قوما بعد أن يعذبهم الله ما شاء أن يعذبهم يخرجهم بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ويخرج آخرين بشفاعه غيره ويخرج قوما بلا شفاعه (١)

ذلكم رأى أهل السنه فى إيمان أهل الكبائر وعدم خلودهم في النار والشفاعه لهم .

الولاء والبراء :

ومذهب أهل السنه محبه أهل العدل والأمانه وبغض أهل الجور والخيانه وهذا من كمال الإيمان وتمام العبودية فإن العبادة تتضمن كمال المحبه ونهايتها ، وكمال الذل ونهايته ، فمحبة رسل الله وأنبيائه وعباده المؤمنين من محبة الله وإن كانت المحبه التي لله لا يستحقها غيره فغير الله يحب فى الله لا مع الله فان المحب يحب ما يحب محبوبه ويبغض ما يبغض ويوالي من يواليه ويعادى من يعاديه ويرضي لرضائه ويغضب لغضبه ويأمر بما يأمر به وينهي عما ينهي عنه فهو موافق لمحبوبه في كل حال ، وقد يجتمع في العبد سبب الولايه وسبب العداوه والحب والبغض فيكون محبوبا من وجه ومبغوضا من وجه والحكم للغالب . (٢)

محبة الصحابه :

وخلاصة عقيدة أهل السنه فى محبة الصحابه رضوان الله عليهم ما عبر عنه الطحاوى رحمه الله بقوله " ونحب أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم ولا نفرط في حب أحد منهم ولا نتبرأ من أحد منهم ونبغض

---

(١) مجموع الفتاوى : ابن تيميه جـ ١ ص ١٤٩
(٢) انظر شرح الطحاويه : ابن ابي العز ص ٤٣٢ - ٤٣٣

من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم ولا نذكرهم إلا بخير وحبهم دين وإيمان وإحسان وبغضهم كفر ونفاق وطغيان " [(١)]

وما قاله ابن تيميه رحمه الله تعالى : " ومن أصول أهل السنه والجماعه سلام قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما وصفهم الله به فى قوله تعالي " والذين جاءوا من بعدهم يقولون : ربنا اغفرلنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم " [(٢)] وطاعة النبى صلي الله عليه وسلم فى قوله " لا تسبوا أصحابي فوالذى نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه" [(٣)] ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم " [(٤)].

محبة أهل البيت :

وأهل السنه والجماعه يحبون أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله صلي الله عليه وسلم حيث قال يوم غدير خم أذكركم الله فى أهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى " . [(٥)]

ويتولون أزواج رسول الله صلي الله عليه وسلم أمهات المؤمنين ويؤمنون بأنهن أزواجه فى الآخره . [(٦)]

وهم مع هذا لا يشهدون لهم بعصمه ولا يغالون فى أوصافهم ولا يعتقدون سقوط التكاليف عنهم روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال

---

(١) شرح الطحاويه : ص ٥٢٨

(٢) سورة الحشر : الايه ١٠

(٣) صحيح البخارى : فضائل الصحابه جـ ٤ ص ١٩٥ صحيح مسلم فضائل الصحابه جـ ٤ ص ١٩٦٧

(٤) مجموع الفتاوى : ابن تيميه جـ ٣ ص ١٥٢

(٥) رواه مسلم فى فضائل على رضي الله عنه جـ ٤ ص ١٨٧٣

(٦) مجموع الفتاوى : ابن تيميه جـ ٣ ص ١٥٤

قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل الله " وأنذر عشيرتك الأقربين "[1] قال يا معشر قريش أو كلمة نحوها اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئا يابنى عبد مناف لا أغنى عنكم من الله شيئا ياعباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئا وياصفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أغنى عنك من الله شيئا ويافاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم سلينى ماشئت من مالي لا أغنى عنك من الله شيئا".[2]

التقيـــة :

التبس الأمر على طائفة من الناس جلاء هذا اللبس ونبراس هذه القضية يكمن فى التفريق بين كلمتى الإكراه ، والخوف ، وبالتفريق بينهما تتضح جوانب القضية وتضيء زواياها .

فالخوف هو توقع خلول مكروه أو فوت محبوب[3] أما الإكراه فهو من الكره وهو فعل المضطر[4] ولا يكون الاضطرار إلا بعد خوف ، إذا فالاكراه خوف زيادة .

والخوف ليس عذرا في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واذا لوكان عذرا لما نهض أحد بتكاليف الاسلام بل لما بلغ الأنبياء رسالاتهم التى أرسلوا بها إلا إذا ارتقي الخوف من درجه " التوقع " إلى درجة " اليقين " فحينئذ يكون بمنزلة الإكراه .

وهل للمكره أن يقول أو يفعل ما يخالف عقيدته الإسلاميه تقيه ممن ألزمه بذلك .

---

(١) سورة الشعراء : الآيه : ٢١٤

(٢) رواه البخارى : كتاب التفسير سورة الشعراء جـ ٦ ص ١٧

(٣) المعجم الوسيط : جـ ١ ص ٢٦١

(٤) تاج العروس : محمد مرتضي الزبيدى جـ ٩ ص ٤٠٨

نصوص القرآن صريحة في جواز لا وجوب ـ قول ما يخلص المؤمن من إكراه الكفار له قال تعالى : " لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير " (١) وقال سبحانه " من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أُكره وقلبه مطمئن بالإيمان " (٢) قال القرطبى رحمه الله تعالى " والقضيه لا تحل الا مع خوف القتل أو القطع أو الايذاء العظيم ومن اكره على الكفر فالصحيح أن له ان يتصلب ولا يجيب الى التلفظ بكلمة الكفر بل يجوز له ذلك " (٣) بل قال حكى الإجماع فقال " أُجمع العلماء على أن من أُكره على الكفر فاختار القتل أنه أعظم عند الله ممن اختار الرخصه واختلفوا فيمن أُكره على غير القتل من فعل مالا يحل له " (٤).

بل روى عن معاذ بن جبل ومجاهد رضى الله عنهما : كانت التقيه في جدّة الإسلام قبل قوة المسلمين فأما اليوم فقد أعز الله الاسلام أن يتقوا من عدوهم " (٥).

هذا اذا كانت التقيه مع الكفار والاكراه بالقتل ، فانها تكون رخصه وأجمعوا على أُن تركها أفضل فكيف بمن اتخذها مطيه للكذب المطلق بالقول والفعل بلا حدود ولا قيود مع المسلمين وزعم أُنها من أُصول الدين بل إنها تسعة أعشار الدين وأُن لا دين لمن لا تقية له (٦)، إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون (٧).

---

(١) سورة آل عمران : الآيه ٢٨
(٢) سوة النحل : الآيه ١٠٦
(٣) تفسير القرطبى : جـ ٤ ص ٥٧
(٤) تفسير القرطبى : جـ ١٠ ص ١٨٨
(٥) تفسير القرطبى : جـ ٤ ص ٥٧
(٦) الكافي : الكلينى جـ ٢ ص ٢١٧
(٧) سورة الأعراف آية ١٣٩

الإيمان بالقدر خيره وشره :

قال ابن تيميه رحمه الله تعالى " وتؤمن الفرقه الناحيه - اهل السنه والجماعة - بالقدر خيره وشره والايمان بالقدر على درجتين كل درجه تتضمن شيئين :-

فالدرجة الأولى : الإيمان بأن الله تعالى علم ماالخلق عاملون بعلمه القديم الذى هو موصوف به أذلا وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والارزاق والآجال .

ثم كتب الله فى اللوح المحفوظ مقادير الخلق فأول ما خلق الله القلم قال له : اكتب قال : ما أكتب ؟ قال أكتب ما هو كائن الى يوم القيامه "[1] فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه جفت الأقلام وطويت الصحف كما قال سبحانه وتعالى " ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والأرض إن ذلك فى كتاب إن ذلك على الله يسير"[2] وقال " ما أصاب من مصيبه فى الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير"[3] ... فهذا القدر قد كان ينكره غلاة القدريه قديما ومنكره اليوم قليل .

وأما الدرجة الثانية : فهومشيئة الله النافذه وقدرته الشامله وهو الايمان بأن ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن وأنه ما فى السموات والأرض من حركه ولا سكون الا بمشيئة الله سبحانه لا يكون في ملكه الا ما يريد وأنه سبحانه وتعالى على كل شئ قدير من الموجودات والمعدومات . فما من مخلوق فى الأرض ولا فى السماء إلا الله خالقه سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه .

---

(١) رواه أبو داود كتاب السنه جـ ٤ ص ٢٢٥ - ٢٢٦
(٢) سورة الحج : الآيه ٧٠
(٣) سورة الحديد : الآيه ٢٢

ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعه رسله ونهاهم عن معصيته ، وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين والمقسطين ويرضىعن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا يحب الكافرين ولا يرضى عن القوم الفاسقين ولا يأمر بالفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر ولا يحب الفساد .

والعباد فاعلون حقيقة ، والله خالق أفعالهم والعبد هو المؤمن والكافر والبر والفاجر والمصلي والصائم ، وللعباد قدرة على أعمالهم ولهم ارادة والله خالقهم وخالق قدرتهم وارادتهم كما قال تعالى " لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤن الا أن يشاء الله رب العالمين ".(١)

وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامه القدريه الذين سماهم النبى صلى الله عليه وسلم مجوس هذه الأمه ويغلو فيها قوم من أهل الاثبات حتى سلبوا العبد قدرته واختياره ، ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها " .(٢)

ذلكم تفصيل ما أردت تفصيله من عقيده أهل السنة والجماعه وانما خصصت بعضها به لأنه موضع خلاف بين أهل السنة ومن عداهم من المذاهب فيما يلى من أبحاث فكان لزاما أن أذكره تفصيلا هنا حتى إذا ما تناولته فى مواضع تاليه لعقائد منحرفه أكون قد قدمت الرأى الحق لمن أراده وتبرأ ذمتى من عرض آراء ضاله من غير تبيان الصراط السوى ..

أسس تفسير أهل السنة :

يقوم منهج أهل السنه والجماعه فى التفسير على أسس واضحه بينه أهمها :

---

(١) سورة التكوير : الآيتين ٢٨ ، ٢٩

(٢) مجموع الفتاوى : ابن تيميه ج ٣ ص ١٤٨- ١٥٠ باختصار .

أولا : تفسير القرآن بالقرآن

وهو أصح طرق التفسير فما أجمل في مكان فأن قد فسر في موضع آخر وما اختصر فى مكان فقد بسط فى موضع آخر .

ثانيا : تفسير القرآن بالسنه

فانها شارحه للقرآن وموضحه له بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن قال الله تعالى " إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما" [(١)] وقال تعالي (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون) [(٢)] وقال تعالي (وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) [(٣)] ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " الا أنى أوتيت القرآن ومثله معه " [(٤)] يعنى السنه . [(٥)]

وقال -أيضا- الامام الشافعى رحمه الله تعالى " وسنن رسول الله مع كتاب الله وجهان : أحدهما نص كتاب فاتبعه رسول الله كما أنزل الله والآخر جمله بين رسول الله فيه عن الله معنى ما أراد بالجمله وأوضح كيف فرضها هاما أو خاصا وكيف أراد أن يأتى به العباد وكلاهما اتبع فيه كتاب الله " . [(٦)]

وقال الطبرى رحمه الله تعالى " إن مما أنزل الله من القرآن على نبيه صلى الله عليه وسلم ما لا يوصل الى علم تأويله الا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك تأويل جميع ما فيه من وجوه أمره واجبه وندبه ،

---

(١) سورة النساء فى الايه ١٠٥
(٢) سورة النحل من الآيه ٤٤
(٣) سورة النحل من الايه ٦٤
(٤) رواه أحمد جـ ٤ ص١٣١ وابو داود في السنه وسنده صحيح جـ ٤ ص ٢٠٠
(٥) مجموع الفتاوى جـ ١٣ ص ٣٦٣ - ٣٦٤
(٦) الرسالـه : للامام الشافعي تحقيق أحمد محمد شاكر ص ٩١

وإرشاده ، وصنوف نهيه ، ووظائف حقوقه وحدوده ومبالغ فرائضه ومقادير اللازم بعض خلقه لبعض وما أشبه ذلك من أحكام آيه التى لم يدرك علمها الا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته وهذا وجه لا يجوز لأحد القول فيه الا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم تأويله بنص منه عليه أو بدلالة قد نصبها دالة أمته على تأويله .(١)

وقال الامام الشاطبى رحمه الله تعالى " ان السنه توضح المجمل وتقيد المطلق وتخصص العموم فتخرج كثيرا من الصيغ القرآنيه عن ظاهر مفهومها فى أصل اللغه وتعلم بذلك أن بيان السنه هو مراد الله تعالى من تلك الصيغ فاذا طرحت واتبع ظاهر الصيغ بمجرد الهوى صار صاحب هذا النظر ضالا في نظره جاهلا بالكتاب خابطا فى عمياء لا يهتدى الى الصواب فيها ، إذ ليس للعقول من ادراك المنافع والمضار فى التصرفات الدنيويه الا النزر اليسير وهى فى الأخروية أبعد على الجملة والتفصيل .(٢)

هذا بعض ما قاله علماء السنه فى تفسير القرآن بالسنه ومنه يعرف منزلة هذا النوع من التفسير بل إنهم لا يقبلون سواه إذا صح عندهم قال ابن تيميه رحمه الله تعالى " ومما ينبغى أن يعلم أن القرآن والحديث إذا عرف تفسيره من جهة النبى صلى الله عليه وسلم لم يحتج فى ذلك إلى أقوال أهل اللغه فأنه قد عرف تفسيره "(٣) وقال أيضا " ولم يكن السلف يقبلون معارض الآيه الا بآيه أخرى تفسرها وتنسخها أو بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم تفسرها فان سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تبين القرآن وتدل عليه وتعبر عنه "(٣)

---

(١) تفسير الطبرى تحقيق محمود شاكر ج ١ ص ٧٤
(٢) الموافقات : الشاطبى جـ ٤ ص ٢١
(٣) مجموع فتاوى ابن تيميه : جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد جـ ١٣ ص ٢٧ - ٢٩

ثالثا : تفسير القرآن بأقوال الصحابه :

فأنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرآن والأحوال التى اختصوا بها كمعرفة أوضاع اللغه وأسرارها ، ومعرفة عادات العرب وقت نزول القرآن ومعرفة عادات اليهود والنصارى حينذاك وقوة الفهم وسعة الإدراك ومعرفة أسباب النزول وما أحاط بآيات القرآن من أحداث وقت نزولها ، لذا ولغيره تبوأ تفسيرهم هذه المنزله من المقبول عند علماء أهل السنه والجماعه لاسيما علماء الصحابه وكبرائهم كالأئمه الأربعه الخلفاء الراشدين والأئمه المهديين كابن مسعود وابن عباس .

رابعا : اعتبار أقوال التابعين :

لأنهم تلقفوا علم الصحابه ووعوه ودارسوهم القرآن الكريم وسألوهم عنه كما قال مجاهد بن جبر رحمه الله تعالى عرضت المصحف على بن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته أوقفه عند كل آيه منه وأسأله عنها وقال قتاده مافى القرآن آيـة إلا وقد سمعت فيها شيئا .

وانما قلت اعتبار أقوال التابعين لان بعض علماء أهل السنه والجماعه اعتبر أقوالهم حجةً ملزمه وبعضهم لم يعتبرها كذلك إلا أنه يأخذ بها ويميزها عن أقوال من جاء بعدهم .

خامسا : تفسير القرآن بعموم لغة العرب :

لان القرآن الكريم نزل (بلسان عربي مبين)[1] ويتوقف فهمه علي شرح امفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع ، والمعانى تختلف باختلاف اعرابها ومن هنا مست الحاجه الى اعتبار علم النحو والتصريف الذى تعرف به الأبنيه والكلمه المبهمه يتضح معناها بمصادرها ومشتقاتها[2]

---

(١) سورة الشعراء : من الآيه ٥٩

(٢) مباحث فى علوم القرآن : مناع القطان ص ٣٣١

ونقل عن بعض علماء السلف تأكيد مثل هذا فقال مجاهد لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم فى كتاب الله اذا لم يكن عالما بلغات العرب "[١] وروى البيهقي فى شعب الايمان عن مالك بن أنس قال لا أوتي برجل غير عالم بلغات العرب يفسر كتاب الله الا جعلته نكالا "[٢] بل قال الشاطبى " كل معنى مستنبط من القرآن غير جار على اللسان العربى فليس من علوم القرآن فى شيء لا مما يستفاد منه ولا مما يستفاد به ومن ادعي فيه ذلك فهو فى دعواه مبطل "[٣]

سادسا : التحذير من التفسير بالرأى المجرد

وأهل السنه حين جعلوا هذه الدرجات الخمس السابقة للتفسير حسب ترتيبها السالف حذروا بعد هذا من التفسير بمجرد الرأى لقوله تعالى " ولا تقف ماليس لك به علم "[٤] وقوله " وأن تقولوا على الله مالا تعلمون "[٥] وقوله " لتبين للناس ما نزل اليهم "[٦] فأضاف البيان اليه وعليه حملوا قوله صلى الله عليه وسلم " من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار " رواه البيهقى من طرق من حديث ابن عباس وقوله صلى الله عليه وسلم " من تكلم فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ" أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى وقال غريب من حديث ابن جندب وقال البيهقى في " شعب الايمان " هذا ان صح فانما أراد - والله أعلم - الرأى الذى يغلب من غير دليل قام عليه فمثل هذا الذى لا يجوز الحكم به فى النوازل وكذلك لا يجوز تفسير القرآن به "[٧]

(١) الاتقان : السيوطى جـ ٢ ص ١٨٠
(٢) البرهان فى علوم القرآن : الزركشي جـ ٢ ص ١٦٠
(٣) الموافقات : الشاطبى جـ ٣ ص ٣٩١
(٤) سورة الاسراء : من الآيه ٣٦
(٥) سورة البقرة : من الآيه ١٦٩
(٦) سورة النحل : من الآيه ٤٤
(٧) البرهان : بدر الدين الزركشى جـ ٢ ص ١٦١ - ١٦٢

ولهذا تحرج بعض الصحابة رضى الله عنهم من نحو هذا فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه أى سماء تظلنى وأى أرض تقلنى إن أنا قلت فى كتاب الله ما لا أعلم وغير ذلك كثير حكى ابن تيميه رحمه الله تعالى طائفه منها ثم قال " فهذه الآثار الصحيحه وما شاكلها عن أئمة السلف محموله على تحرجهم عن الكلام فى التفسير بما لاعلم لهم به فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعا فلا حرج عليه ولهذا روى عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير ولا منافاة لأنهم تكلموا فيما علموه وسكتوا عما جهلوه وهذا هو الواجب على كل أحد ".[1]

سابعا : الشمول فى القرآن الكريم :-

والشمول متفرع من الشمول فى الرسالة الاسلامية فهي عامه لكل الناس قال تعالى " قل يأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا"[2] " وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا "[3] وما دامت الشريعه الإسلاميه ليست لطائفه دون أخرى بل هي للناس كافه فى كل زمان ومكان فلا عجب أن يكون كتابها القرآن الكريم شاملا وعاما " ان هو الا ذكر للعالمين"[4] " وأوحي الى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ " .[5]

لهذا بنى أهل السنة قاعدة ساروا عليها فى تناول آيات القرآن بشمول آيات القرآن الكريم ومنع اختصاصها بسبب نزولها .

قال ابن تيميه رحمه الله تعالى " . . قولهم - إن هذه الآيه نزلت في فلان وفلان . . لايريدون به أنها آيه مختصه به كآيه اللعان وآيه القذف وآيه المحاربه ونحو ذلك لا يقول مسلم أنها مختصه بمن كان نزولها

---

(١) مجموع الفتاوى : ابن تيميه ج ١٣ ص ٣٧٤
(٢) سورة الاعراف : من الآيه : ١٥٨
(٣) سورة سبأ : من الآيه : ٢٨
(٤) سورة يوسف : الآيه : ١٠٤
(٥) سورة الانعام : الآيه : ١٩

بسببه . . ثم قال " فلا يقول مسلم أن آية الظهار لم يدخل فيها الا أوس ابن الصامت وآيه اللعان لم يدخل فيها الا عاصم بن عدى أو هلال بن اميه وأن ذم الكفار لم يدخل فيه الا كفار قريش ونحوذلك مما لا يقوله مسلم ولا عاقل .

فان محمدا صلى الله عليه وسلم قد عرف بالاضطرار من دينه أنه مبعوث الى جميع الانس والجن والله تعالى خاطب بالقرآن جميع الثقلين"[(١)].

حتى ما خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم فانهم شملوا به أمته ما لم يقم دليل على التخصيص وجعلوا هذا هو الاصل فى الخطاب فقال ابن تيميه " إن الأصل فيما خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم في كل كا أمر به ونهي عنه وأبيح له سار فى حق أمته كمشاركة أمته له في الأحكام وغيرها حتى يقوم دليل التخصيص فما ثبت فى حقه من الاحكام ثبت في حق الأمه اذا لم يخصص ، هذا مذهب السلف والفقهاء "[(٢)] .

وقال أيضا " ان قصر عمومات القرآن على أسباب نزولها باطل"[(٣)] وهذا ما عبّر عنه علماء السلف بالقاعده الشرعيه " العبره بعموم اللفظ لا بخصوص السبب" .

ثامنا : ترك الاطناب فيما أبهم من القرآن :

قال تعالى " ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا"[(٤)] وفى قوله تعالى " وما أوتيتم من العلم الا قليلا"[(٥)] لمحة ترشدنا الى أن فى خلق الله أسرار لا تدرك للعباد فان فى الصلاة من جهه اعداد ركعاتها وأوقاتها وفى انصبة الزكاة ومقادير الكفارات لمحات أخرى واضحه جليه فى أن لله سبحانه في تكاليفه ما يعجز البشر عن

---

(١) مجموع الفتاوى : ابن تيميه جـ ١٦ ص ١٤٨
(٢) مجموع الفتاوى : ابن تيميه جـ ١٥ ص ٨٢
(٣) المرجع السابق : جـ ١٥ ص ٣٦٤
(٤) سورة الاسراء : الآيه : ٣٨
(٥) سورة الاسراء من الآيه : ٨٥

ادراك اسراره وما عليهم الا أن يؤمنوا ويمتثلوا فتصدق فيهم العبودية ويخلص منهم الايمان [١] .

والقرآن الكريم فيه مما نعجز نحن البشر عن ادراك حقائقه وأمرنا أن نقول عنه " آمنا به كل من عند ربنا " [٢] .

وهذا لا يطرد فيما وضحت دلالته العربية وثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم بيانه بل الواجب أن نفهم منه ما بين فيه في موضع آخر أو بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أحد أصحابه أو وضحت دلالته العربيه .

وما سوى ذلك نكل علمه الى الله سبحانه وتعالى فلو كان في ذكره فائدة لنا دنيا أو أخرى لذكره سبحانه وهو أعلم بصلاح أمورنا وما يستقيم عليه ديننا ولهذا لما صعد عمر بن الخطاب رضى الله عنه المنبر وقرأ " وفاكهة وأبا " [٣] فقال ما الأب ؟ ثم قال ان هذا لهو التكلف فما عليك أن لا تدريه وسأل رجل ابن عباس رضى الله عنهما عن " يوم كان مقداره الف سنه " [٤] فقال له ابن عباس فما " يوم كان مقداره خمسين الف سنه" [٥] فقال الرجل إنما سألتك لتحدثني فقال ابن عباس هما يومان ذكرهما الله في كتابه الله أعلم بهما [٦] .

والفرق بين هذا الأساس في التفسير والاساس السادس الخاص بالتحذير من التفسير بالرأى المجرد أن الاساس السابق خاص في الآيات التي للرأى مجال فيها اذا لم يكن مجردا أما هذا النوع - أعني المبهمات - مرجعه النقل المحض ولا مجال للرأى فيه - كما قال السيوطي [٧] والله أعلم .

---

(١) تفسير القرآن الكريم : محمود شلتوت ص ٥٧
(٢) سورة آل عمران : من الآيه ٧
(٣) سورة عبس : الآيه ٣١
(٤) سورة السجده : من الآيه ٥
(٥) سورة المعارج : من الآيه ٤
(٦) مجموع الفتاوى : جـ ١٣ ص ٣٧٢ - ٣٧٣
(٧) الاتقان : السيوطي جـ ٢ ص ١٤٥

تاسعا : التقليل من شأن الاسرائيليات :

وخلاصه موقف أهل السنه والجماعه من الاسرائيليات أنهم يقسمونها الى أقسام ثلاثه

أولها : ما وافق شريعتنا فتجوز روايته للاستشهاد لا للاعتقاد .

ثانيها : أن ما خالف شريعتنا لاتصح روايته .

ثالثها : أن ما ليس في شريعتنا مايوافقه ولا مايخالفه فلا بأس بحكايته من غير تصديق ولا تكذيب .

قال ابن كثير رحمه الله فأما ما شهد له شرعنا بالصدق فلا حاجة لنا اليه استعناء بما عندنا ، وما شهد له شرعنا منها بالبطلان فذاك مردود لا يجوز حكايته الا على سبيل الانكار والابطال .(١)

أما النوع الثالث فقال عنه " وما ليس فيه موافقة ولا مخالفة لانصدقه ولا نكذبه بل نجعله وقفا ، وما كان من هذا الضرب منها فقد رخص كثير من السلف فى روايته وكثير من ذلك مما لافائدة فيه ولا حاصل له مما ينتفع به فى الدين ولو كانت فائدته تعود على المكلفين فى دينهم لبينته هذه الشريعة الكاملة الشاملة " (٢) .

وقال ابن تيميه رحمه الله تعالى عن هذا النوع " وغالب ذلك مما لافائدة فيه تعود الى أمر دينى " وضرب لذلك مثالابماذكرعن أسماء أصحاب الكهف ولون كلبهم وعدتهم وعصا موسى من أى الشجر كانت وأسماء الطيور التى أحياها الله لابراهيم ، وتعيين البعض الذى ضرب به القتيل من البقره ، (٣) وغير ذلك .

---

(١) البداية والنهاية : ابن كثير ج ١ ص ٦ - ٧

(٢) تفسير ابن كثير : ج ٣ ص ١٩٢

(٣) مجموع الفتاوى : ابن تيميه ج ١٣ ص ٣٦٧

نماذج من تفسير أهل السنه والجماعه في العصر الحديث :-

تزخر المكتبة الاسلامية بعدد كبير من تفاسير أهل السنه والجماعه والحمد لله ، وحين نتناول هذه التفاسير بالدراسة هنا فأن هذا لا يعني سلامتها كلها من أي شائبه أو خطأ لكنه يعني أنها في الجمله على هذا المنهج وان كان في بعضها ما يؤخذ منها وما يرد .

تنزيه الله عن البداء :-

قال الشيخ عبد الرحمن الدوسري [1] في تفسيره لقوله تعالى (ما ننسخ من آيه أو ننسها نأتي بخير منها أو مثلها) [2] :- " لقد أقام اليهود عليهم لعائن الله - حملات عنيفه مركزه ضد الاسلام والمسلمين متخذين من نسخ بعض الآيات والأحكام ذريعه للطعن في ذات الله زاعمين أن النسخ مناف لعلم الله مستلزم للبداء " [3]

ثم رد رحمه الله على هذا الزعم وأبطله .

ورفض الاستاذ محمد حمزه الزعم [4] بأن القول بالنسخ يلزم منه وصف الله بالبداء . رفض هذا وأنكره ورد عليه بأدلة العقل والنقل قال "

---

(١) هو الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن خلف الدوسري ولد في البحرين عام ١٣٣٢ ونشأ في الكويت وتعلم في المدرسة المباركيه واشتغل بالأعمال الحره ، وكان له نشاط كبير في الدعوة وفي الصحافه ومنابر المساجد في الداخل والخارج وأنفق من ماله بسخاء في سبيل ذلك ء وله عدد من المؤلفات منها تفسير صفوة الآثار والمفاهيم في تفسير القرآن العظيم " وأذيع أكثره على شكل حلقات من إذاعة المملكة العربية السعوديه ثم بدأت مؤخرا طباعته فصدر منه حتى الان ثلاثة مجلدات وله غيره كثير من المؤلفات " رحمه الله تعالى "

(٢) سورة البقرة : الآيه ١٠٦

(٣) صفوة الآثار والمفاهيم : عبد الرحمن بن محمد الدوسرى ج ٢ ص ٢٩١

(٤) لم أجد له ترجمه .

" وأمـا النقـل . فأن الآيات التى تدل على احاطة علم اللـه سبحانه وتعالى بجميع المعلومات أكثر من أن تذكر . قال اللـه تعالـي (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هـو . ويعلم ما فى البر والبحر . وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين) (١) وقال سبحانه " والله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شى عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال " (٢) وقال جل شأنه " قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا اللـه " (٣) نعلم من هذا ان البداء لا يجوز ان يتصف به الرب سبحانه وقد خسىء الروافض والمختاريه اذا أجازوا على الله سبحانه أن يتصف بالبداء فهذا ميزان العقل والشرع بين أيدينا ولكن شتان ما بين البداء والنسخ فالبداء تجدد وحدوث في العلم والنسخ تجدد فى المعلوم لا فى العلم فالعلم واحد .

فانه لم ينكشف لله تعالى ما كان جاهلا به حتى أمر بنقيض ما كان آمرا بل علم اللـه سبحانه أنه يأمر عباده بأمر مطلق معلوم النهايه لديه مستور على خلقه لحكمة يعلمها ثم يقطع ذلك التكليف فى الوقت المعلوم عنده للحكمه التى أرادها . فلا جهل ولا بداء . ولكن حكمه واختبار" (٤)

أما الدكتور أحمد الكومي والدكتور محمد طنطاوى فأكدا فى تفسيرهما لقوله تعالى " وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم مافي البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين " (٥) أكدا إحاطة علم اللـه سبحانه وتعالـي بكل شىء وأنه يعلم الكليات والجزئيات فقالا " ان علم اللـه تعالي محيط

---

(١) سورة الانعام : الآيـه : ٥٩
(٢) سورة الرعـد : الآيـه : ٨ - ٩
(٣) سورة النمـل : الآيـه : ٦٥
(٤) دراسات الاحكام والنسخ فى القرآن الكريم : محمد حمزه ص ٦٠ - ٦١
(٥) سورة الانعام : الآيـه : ٥٩

بالكليات والجزئيات وبكل شيء في هذا الكون وبذلك يتبين بطلان رأى بعض الفلاسفة الذين قالوا بأن الله يعلم الكليات ولا يعلم الجزئيات "[(١)] ومادام علمه سبحانه في الكليات والجزئيات فأنه منزه عن البداء .

اثبات الرؤيه :

وقد أثبت مفسروا أهل السنه والجماعه رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامه مستدلين بآيات من القرآن الكريم وأحاديث من السنه النبويه .

ففي تفسير قوله تعالى " وجوه يومئذ ناضره الى ربها ناظره"[(٢)] قال الشيخ محمد العثمان القاضي[(٣)] : - " أى وجوه يومئذ حسنه مشرقه تعرف فيها نضرة النعيم ، تنظر الى وجه ربها عيانا بلا حجاب وقد تواترت بها أحاديث سنة رسول الله وهي من المتواتر " .[(٤)]

وقال الاستاذ على رفاعي محمد[(٥)] في تفسيرها بعد أن أورد بعض أحاديث الرؤيه " هذه الأحاديث وغيرها كثير تدل دلالة قاطعه على أن المؤمنين يوم القيامه ينظرون الى ربهم في عرصات القيامه وفى الجنات ومن تأول (ناظرة) بأنها تنتظر الثواب فقد بعد عن الحق والصواب ولم يفهم قوله تعالى فى حق الكفار " كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون "

---

(١) تفسير سورة الانعام : د أحمد السيد الكومي د محمد سيد طنطاوى ص ١٦٣

(٢) سورة القيامه : الآيتين ٢٢ - ٢٣

(٣) هو الشيخ محمد بن عثمان بن صالح بن عثمان القاضي من قبيلة آل تميم من الوهبه ، قرأ على والده وعلى الشيخ عبد الرحمن بن سعدى ثم على الشيخ محمد الصالح العثيمين وعلى غيرهم من العلماء . وله عدد من المؤلفات منها مقتطفات العلوم الفائقه ، والحديقه اليانعه ، وهذا الكتاب فى التفسير " منار السبيل في الأضواء على التنزيل " ويقع في أربعة أجزاء فى مجلدين .

(٤) منار السبيل في الأضواء على التنزيل : محمد العثمان القاضي ج٤ ص٢٨٦

(٥) على رفاعي محمد من علماء الأزهر الشريف ومدرس الدعوه الي الله بالدراسات العليا بجامعة الأزهر .

(٦) سورة المطففين آيه ١٥

فقد قال الامام الشافعي : ما حجب الفجار الا وقد علم أن الأبرار يرونه عز وجل وقد تواترت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما دلت عليه الآيه الكريمه " [(١)].

وقال به الشيخ محمد عبد الله الجزار[(٢)] فقال في تفسيرها " في هذا اليوم نرى وجوه أهل الايمان الخالص مشرقه مبتهجه ممتعه بالنظر الى ربها الكريم فتراه سبحانه بلا كيف ولا إحاطه فيكون ذلك كمال لذتها وتمام سرورها وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وأسألك لذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك وفي معنى الحديث الآخر انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليله البدر ، ولما كانت رؤية المؤمنين لربهم سبحانه في الآخره تكميلا لسرورهم فان الله تعالى حرم الكفار من ذلك "(كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون)"[(٣)] ومن عقائد أهل السنه ان المؤمنين يرون الله تعالى في الآخره ونعوذ بالله من طريقه من يلحد في آيات الله كالمعتزله الذين يقولون تحريفا لمعنى الآيه منتظره نعم ربها فنحن نقول حقيقة وجوه المؤمنين ناظره الى ربها ورائيه له وهم يقولون منتظره الخ ونعوذ بالله من اتباع غير سبيل المؤمنين "[(٤)].

وقد رجح الدكتوران أحمد السيد الكومي ، ومحمد سيد طنطاوى في تفسيرهما لسورتي الأنعام والأعراف مذهب أهل السنه والجماعه في ذلك فقالا في تفسير قوله تعالى " لا تدركه الأبصار وهو يدرك الابصار"[(٥)] " والذى نراه ان رأى أهل السنه أقوى لأن ظواهر النصوص تؤيدهم ولا مجال هنا لبسط حجج كل فريق فقد تكفلت بذلك كتب علم الكلام"[(٦)]

---

(١) بشائر الرضوان في تفسير القرآن : على رفاعى محمد جـ ٢٩ ص ١٣٢
(٢) لم أجد له ترجمه . (٣) سورة المطففين : الآيه ١٥
(٤) الذخيره في تفسير اجزاء قرآنيه : محمد عبد الله الجزار ص ٥١٦-٥١٧
(٥) سورة الانعام : الآيه : ١٠٣
(٦) تفسير سورة الانعام : الدكتور احمد الكومي والدكتور محمد طنطاوى ص ٢٠١

وقال فى تفسير قوله تعالى حكايه لقول موسى " رب أرنى انظر اليك" (١)
" والذى نراه أن رؤيه الله فى الآخره ممكنه كما قال أهل السنه لورود الآيات القرآنيه والأحاديث النبويه الصحيحه التى تشهد بذلك ". (٢)

وقال الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي (٣) في تفسيرها : - " وفي هذا دليل على أن رؤيته تعالي جائزه في الجمله لان طلب المستحيل من الأنبياء محال " قال " له " لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني " هذا كلام على سبيل الاستدراك يريد أن يبين به أنه لا يطيق الرؤيه ، وفي تعليق الرؤيه على الاستقرار دليل على جوازها لان استقرار الجبل عند التجلى ممكن بأن يجعل الله تعالى له قوة على ذلك " . (٤)

وقال الشيخ حسنين مخلوف (٥) في تفسير الزياده في قوله تعالي " للذين احسنوا الحسنى وزيادة " هي النظر الى وجه الله الكريم وهي المغفره والرضوان " . (٦)

ض وقال في تفسير قوله تعالى " قال رب أرنى انظر اليك " : - " وأما في النشأة الأخرى فقد ثبت فى الحديث الصحيح أن المؤمنين يرون ربهم في عرصات يوم القيامه وفي روضات الجنات ويدل عليه قوله تعالي : - " وجوه يومئذ ناضره الى ربها ناظره (٧) " وفي الآيه دلالة على امكان الرؤيه فى ذاتها لأنه تعالى علقها على استقرار الجبل وهو ممكن

---

(١) سورة الاعراف : من الآيه ١٤٣
(٢) تفسير سورة الاعراف : الدكتور احمد الكومي والدكتور محمد طنطاوى ص ١٨١
(٣) لم أجد له ترجمه

(٤) تفسير القرآن الحكيم : محمد عبد المنعم خفاجى ج ٩ ص ٧٢
(٥) حسنين محمد مخلوف ولد سنة ١٨٩٠م في القاهرة ولما أكمل الدراسة في الازهر التحق بالقسم العالي بمدرسة القضاء الشرعي ونال شهادتها في سنة ١٩١٤ ، عضو في هيئة كبار العلماء وتولي رئاسة محكمة طنطا ومنصب مفتي مصر وعضو لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر ونال سنة ١٤٠٣هـ جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الاسلام ، ومن مؤلفاته صفوة البيان لمعاني القرآن في مجلدين وكلمات القرآن تفسير وبيان .
(٦) صفوة البيان : حسنين مخلوف ج ١ ص ٣٤٥
(٧) سورة القيامه الآيتان ٢٢ - ٢٣

وتعليق الشيء بما هو ممكن يدل على امكانه واليه ذهب أهل السنه"(١)

وفسر الأستاذ عبد الله كنّون(٢) النظر فى قوله تعالى " ان الأبرار لفي نعيم على الأرائك ينظرون "(٣) بقوله " ينظرون ما اعطاهم الله من عظيم الكرامه وجليل النعمه وأفضلها النظر الى وجهه الكريم فهذا في مقابل ما عومل به الفجار من حجبهم عن الله عز وجل "(٤) .

وفسر قوله تعالى " كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون "(٥) بقوله :- " فلا يرونه كما يراه المؤمنون قال الشافعي لما حجب الله قوما بالسخط دل على أن قوما يرونه بالرضى "(٦) .

الاستواء : -

وقد قال مفسرو أهل السنه والجماعه في القرن الرابع عشر الهجرى فى آيات الصفات كما قال سلفهم .

ففسر الاستاذ عبد الله كنون الاستواء فى قوله تعالى " ثم استوى على العرش "(٧) بقوله " استواءا يليق به كما هو مذهب السلف وقد سئل عنه مالك رحمه الله فقال " الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عن هذا بدعه"(٨)

---

(١) صفوة البيان لمعاني القرآن : حسنين مخلوف جـ ١ ص ٢٧٨

(٢) عبد الله عبد الصمد كنّون من مواليد فاس بالمغرب سنة ١٣٢٦ نال شهادة العالمية من جامعة القرويين سنة ١٣٤٩ ، ونال بعض المناصب منها ، الأمين العام لرابطة علماء المغرب ، عضو مجمع اللغة العربية بمصر وعضو بمجمع البحوث الاسلامية بمصر وعضو المجمع العلمي بدمشق . ومن مؤلفاته مفاهيم اسلامية - اسلام رائد ، على درب الاسلام - تحركات اسلاميه ، وغيرها .

(٣) سورة المطففين : الآيتين ٢٢ - ٢٣

(٤) تفسير سور المفصل من القرآن الكريم : عبد الله كنون ص ٣٣٨

(٥) سورة المطففين : الآيه ١٥

(٦) تفسير سور المفصل : عبد الله كنون ص ٣٣٧

(٧) سورة الحديد من الآيه ٤

(٨) تفسير سور المفصل من القرآن الكريم : عبد الله كنون ص ١١٠

وفسره بهذا الأستاذ على رفاعي محمد فقال " استوى على العرش استواءا يليق بجلاله والله وحده هو الذي يعلم حقيقه معنى استوائه على العرش" .[(١)]

وفسره بهذا الأستاذ حسنين محمد مخلوف فقال " أي استواء يليق بكماله تعالى بلاكيف ولا تشبيه ولا تمثيل " .[(٢)]

أما السيد عبد القادر ملا حويسن آل غازي العاني فرفض تفسير الاستواء في قوله تعالي " الرحمن على العرش استوى "[(٣)] بالاستيلاء لان الاستيلاء معناه حصول الغلبه بعد العجز وهو محال في حقه تعالى ولأنه لا يقال استولى على كذا الا اذا كان له منازع فيه ، وهذا في حقه تعالى محال ايضا وانما يقال استولى اذا كان المستولى عليه موجودا قبل والعرش انما حدث بتخليقه تعالى وتكوينه له وايضا الاستيلاء واحد بالنسبه الى كل المخلوقات فلا يبقى الى تخصيص العرش بالذكر فائده لذلك فالأولى ان يفسر بما فسرناه هنا من أنه استواء يليق بذاته كما هو الحال في آيات الصفات من المجيء واليد والقبضه وغيرها لأن القانون الصحيح وجوب حمل كل لفظ ورد في القرآن العظيم على ظاهرة الا اذا قامت الأدله القطعيه على وجوب الانصراف عن الظاهر ولا داعي للتأويل بما قد يوجب الوقوع في الخطأ وزلة القدم وانظر ما قاله السلف الصالح في هذا الباب"[(٤)] ثم اورد عددا من أقوال علماء السلف رحمهم الله تعالى في الاستواء .

أما الشيخ محمد العثمان القاضي فاكتفي في تفسير قوله تعالى " ثم استوى على العرش"[(٥)] بالاستشهاد بتفسير ابن كثير رحمه الله تعالى

---

(١) بشائر الرضوان في تفسير القرآن : على رفاعي محمد جـ ٢٧ ص ١٠٨
(٢) صفوة البيان لمعاني القرآن : حسنين محمد مخلوف جـ ٢ ص ١٤
(٣) سورة طه : الآيه : ٥
(٤) بيان المعاني : عبد القادر العاني جـ ٢ ص ١٨٤
(٥) سورة الاعراف : من الآيه ٥٤

لذلك ، ثم أورد قول مالك رحمه الله تعالى ورد بعد هذا تفسير المعتزلة للاستواء بالاستيلاء قائلا " ورد هذا القول بأن العرب لا تعرف استوى بمعنى استولى وانما يقال استولى فلان على كذا واذا لم يكن في ملكه ثم ملكه والله تعالى لم يزل مالكا للأشياء كلها ومستوليا عليها فأي تخصيص للعرش هنا دون غيره من المخلوقات "[١] .

يمين الرحمن :

قال الشيخ محمد العثمان القاضي في تفسير قوله تعالى " والسموات مطويات بيمينه "[٢] قال " كثير من المفسرين فسرها بالقدره وهذا صرف للفظ عن ظاهرة وقد روى البخاري في[٣] صحيحه عن أبي هريره قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقبض الله الأرض ويطوى السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الارض ؟! والسلف الصالح يثبتون الصفات ولا يتعرضون للكيفيه قال سفيان بن عيينه كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عن كيفيته "[٤] .

وقال الشيخ فيصل بن عبد العزيز المبارك[٥] في تفسير قوله تعالى : " بل يداه مبسوطتان "[٦] قال ابن جرير واختلف أهل الجدل في تأويل قوله

---

(١) مفار السبيل في الأضواء على التنزيل : محمد العثمان القاضي ج ١ ص ١٤١

(٢) سورة الزمر : من الآيه ٦٧

(٣) صحيح البخاري : كتاب الرقاق ج ٧ ص ١٩٤

(٤) منار السبيل : محمد العثمان القاضي ج ٤ ص ٤٠

(٥) ولد في حريملاء سنة ١٣١٣ وأخذ العلم عن علماء الرياض وقطر وتولي القضاء بالجوف وله عدد من المؤلفات منها توفيق الرحمن في دروس القرآن في أربعة أجزاء وخلاصة الكلام شرح عمدة الاحكام في مجلد واحد وبستان الأحبار مختصر نيل الاوطار في جزئين كبيرين ولذة القارى مختصر - فتح الباري ، في ثمانية أجزاء وغير ذلك في الفقه والفرائض والنحو .

(٦) سورة المائدة من الآيه : ٦٤

بل يداه مبسوطتان فقال بعضهم عنى بذلك نعمتان وقال آخرون منهم عنى بذلك القوة وقال آخرون منهم بل يد الله صفة من صفاته هي يد غير أنها ليست بجارحة كجوارح آدم وبذلك تظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال به العلماء وأهل التأويل . انتهى ملخصا . قال البغوى ويد الله صفة من صفات ذاته كالسمع والبصر والوجه وقال جلّ ذكره " لما خلقت بيدى [(١)] " وقال النبى صلى الله عليه وسلم كلتا يديه يمين والله أعلم بصفاته فعلى العباد فيها الايمان والتسليم وقال أئمة السلف من أهل السنه في هذه الصفات أمروها كما جاءت بلا كيف " . [(٢)]

القرآن كلام الله منزل غير مخلوق :

قال الأستاذ محمد رشدى حمادى [(٣)] في تفسير قوله تعالى : " " ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه " الآية [(٤)] : - احتج كثير من المعتزله به [(٥)] على نفي الصفات وعلى أن القرآن مخلوق أما الثاني فلأن القرآن شيء فيدخل تحت العموم وأما الاول فلأن الصفات لو كانت موجوده له تعالى لزم أن تكون مخلوقه له . وأجيب بأنكم تخصون هذا العام بحسب ذاته ضرورة أنه يمتنع أن يكون خالقا لنفسه ، وبحسب أفعال العباد ، فنحن أيضا نخصصه بحسب الصفات وبحسب القرآن ونظرا لأن كثيرا من آراء المعتزله تطل برؤوسها عند كل آيه من القرآن الكريم يشتمون من لفظها الظاهرى أنها يصح أن تكون دليلا على خلق القرآن فسدا لهذه الذرائع وردا عليهم فيما يختص بقضيه خلق القرآن فاني أحيلهم الى كتاب " لكى تكون . . . من قادة الفكر " تأليف صاحب هذا التفسير " . [(٦)]

---

(١) سورة ص من الآيه رقم ٧٥
(٢) توفيق الرحمن فى دروس القرآن : فيصل المبارك جـ ٢ ص ٤٤
(٣) لم أجد له ترجمه . (٤) سورة الأنعام : من الآيه ١٠٢
(٥) أى عموم الآيه .
(٦) الموجز فى تفسير القرآن الكريم : محمد رشدى حمادى جـ ٢ ص ٤٩٣

ثم نقل فى تفسيره بعض الأقوال لعلماء السلف وجاء فيها والقول المحفوظ عن جمهور السلف هو ترك الخوض فى ذلك والتعمق فيه والاقتصار على القول بأن القرآن كلام الله وأنه غير مخلوق " .[١]

سلامة القرآن من التحريف :

وقد نص على حفظ القرآن قوله تعالى " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون "[٢] قال الشيخ فيصل المبارك فى تفسيرها " وقال في آية أخرى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه[٣] فأنزله الله ثم حفظه فلا يستطيع ابليس أن يزيد فيه باطلا ولا ينقص منه حقا حفظه الله من ذلك وقال ابن كثير ثم قرر تعالى أنه هو الذى أنزل عليه الذكر وهو القرآن وهو الحافظ له من التغيير والتبديل قلت والحكمه فى حفظ الله تعالى للقرآن دون سائر كتبه أنه آخرها وأن الذى جاء به خاتم الأنبياء فأبقاه الله محفوظا حجه على خلقه " .[٤]

وقال الشيخ محمد العثمان القاضى فى تفسيرها " الضمير في قوله له راجع الى الذكر يعنى : وإنا للذكر الذى أنزلناه على محمد لحافظون يعنى من الزياده فيه والنقص منه والتغيير والتبديل والتحريف فالقرآن العظيم محفوظ من هذه الأشياء كلها ، لا يقدر أحد من جميع الخلق من الجن والانس أن يزيد فيه أو ينقص منه حرفا واحدا أو كلمة واحدة وهذا مختص بالقرآن العظيم بخلاف سائر الكتب المنزله فأنه قد دخل في بعضها التحريف والتبديل والزيادة والنقصان .

---

(١) المرجع السابق : جـ ٢ ص ٤٩٥
(٢) سورة الحجر : الآيه ٩
(٣) سورة فصلت من الآيه ٤٢
(٤) توفيق الرحمن فى دروس القرآن : فيصل المبارك جـ ٢ ص ٣٢٠

ولما تولي الله عز وجل حفظ هذا الكتاب بقي مصونا على الأبد محروسا من الزياده والنقصان " .[1]

وكذا الشيخ حسنين مخلوف فى تفسيرها قال " وانا له لحافظون أى من كل ما يقدح فيه كالتحريف والتبديل والزياده والنقصان ".[2]

العصمة :

وعند تفسير قوله تعالى " وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى "[3] عقد السيد عبد القادر ملا العاني مطلبا في عصمة الأنبياء جاء فيه " واعلم أن خبط القول فيها على ما قاله الامام فخر الدين الرازى يرجع الى أربعة أقسام : الأول مايقع في باب الاعتقاد وهو اعتقاد الكفر والضلال فان ذلك غير جائز فى حقهم البته ، الثاني ما يقع بالتبليغ فكذلك ممتنع فى حقهم حتى الخطأ والنسيان فضلا عن التعمد على الصحيح لأن الأمة[4] أجمعت على عصمتهم من الكذب ومواظبتهم على التبليغ والتحريض والا لارتفع الوثوق بالأداء واتفقوا على أن ذلك لا يجوز وقوعه منهم عمدا ولا سهوا ولا خطأ ولا نسيانا ومن الناس من جوز سهوا لأن الاحتراز منه غير ممكن وليس بشيء ، ولا عبرة ولا قيمة له ، الثالث ما يقع بالفتيا فقد أجمعوا أيضا على أنه لا يجوز قطعا خطؤهم فيها ونسيانهم وسهوهم سواء ، فعدم جواز العمد من باب أولى . وما أجازه بعضهم على طريق السهو لاصحة له ، لأن الفتيا من قسم التبليغ بالنسبه اليهم اذ لافرق في وجوب اتباعهم فى أفعالهم وأقوالهم .

---

(١) منار السبيل : محمد العثمان القاضى ج ٢ ص ٩٦

(٢) صفوة البيان لمعانى القرآن : محمد حسنين محمد مخلوف ج ١ ص ٤١٨

(٣) سورة طه : من الآيتين ١٢١ - ١٢٢

(٤) الذى ورد فى النص هو " لأن الآيه " وكذلك وردت فى الاصل الذى نقل منه هذا النص ، وقد تتبعت النص فلم أجد فيه ذكر لآيه وظهر لي أنه تصحيف لـ " لأن الامة " وبه تستقيم العباره فأثبته .

الرابع ما يقع من أفعالهم قال الامام الفخر والمختار عندنا أهل السنه والجماعه أنه لم يصدر منهم ذنب ولا صغيره ولا كبيرة من حين تنبئهم لأن الذنب لو صدر عنهم لكانوا أقل درجه من أحد الأمه .

ولأن معنى النبوة والرسالة أن يشهد على الله أنه شرع هذا الحكم مثلا وهو يوم القيامه شاهد على الكل راجع الآية ٤٠ من سورة النساء .. والآيه ٨٩ من سورة النحل ... وهذا ما عليه اجماع أهل السنه والجماعه .

واجتمعت الأمه على أن الأنبياء كانوا يأمرون الناس بطاعة الله فلو لم يطيعوه هم لدخلوا تحت قوله تعالى " أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم "(١) وقد قال تعالى حكايه عن شعيب عليه السلام " وما أريد ان اخالفكم الى ما أنهاكم عنه(٢) وقال تعالى " انهم كانوا يسارعون في الخيرات "(٣) -(٤)

لا رجعه لأحد قبل يوم القيامه :

وقال بهذا أهل السنة والجماعة مستدلين بالكتاب والسنه ، وقد سلف ايراد الأدله .

وفسر الشيخ محمد على الصابوني(٥) قوله تعالي " ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل

(١) سورة البقره : من الآيه ٤٤
(٢) سورة هود : من الآيه ٨٨
(٣) سورة الانبياء : من الآيه ٩٠
(٤) بيان المعانى : عبد القادر ملا حويش العاني جـ ٢ ص ٢٢٥-٢٢٧ ملخصا
(٥) هو الشيخ محمد علي بن جميل الصابوني ولد فى حلب سنة ١٩٢٨ م أتم دراسته الثانوية فى سوريا ثم التحق بالأزهر فنال العالمية ١٩٥٢م والماجستير تخصص القضاء الشرعى ١٩٥٤م ثم عاد الى سوريا فدرس ثماني سنوات ثم انتدب للتدريس بكلية الشريعه بمكة المكرمه ولا يزال بها وله عدد من المؤلفات منها النبوه والانبياء روائع البيان فى تفسير آيات الاحكام فى القرآن ، وصفوة التفاسير ومختصر تفسير ابن كثير وغير ذلك .

بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون "[١] قال : - " أى لو ردوا على سبيل الفرض لأنه لا رجعة الي الدنيا بعد الموت لعادوا الى الكفر والاضلال وانهم لكاذبون في وعدهم بالايمان " .[٢]

الميزان :

قال الشيخ محمد العثمان القاضى في تفسير قوله تعالى " والوزن يومئذ الحق "[٣] : - أى وزن الأعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها ، . . . . . واختلف في كيفية الوزن فقيل توزن صحف الاعمال بميزان له لسان وكفتان تنظر اليه الخلائق تأكيدا للحجة واظهارا للنصفه وقطعا للمعذره . . . . وقيل توزن الأعمال قال تعالي " فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره "[٤] " ونضع الموازين القسط ليوم القيامه فلا تظلم نفس شيئا " الآيه .[٥]

وقيل يوزن الأشخاص دليله حديث يؤتي بالرجل العظيم السمين يوم القيامه فلا يزن عند الله جناح بعوضه[٦] وقول النبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) سورة الانعام : الآيتين ٢٧ - ٢٨
(٢) صفوة التفاسير : محمد على الصابوني ج ١ ص ٣٨٥
(٣) سورة الأعراف : من الآيه ٨
(٤) سورة الزلزلة : الآيتين ٧ ، ٨
(٥) سورة الانبياء : في الآيه ٤٧
(٦) صحيح البخارى كتاب التفسير ج ٥ ص ٢٣٦ ، صحيح مسلم كتاب صفات المنافقين ج ٤ ص ٢١٤٧

لعبد الله بن مسعود ألا تعجبون من دقة ساقيه ! لهما عند الله أعظم من جبل أحد ". (١) (٢)

وقال الشيخ حسنين مخلوف فى تفسيرها " أى والوزن الحق ـ أى العدل الذى لا ظلم فيه لصحائف الأعمال ـ كائن يوم يسأل الله الامم ورسلهم ، وانما توزن الصحائف يومئذ بميزان لاظهار العدل الالهي على رءوس الاشهاد " (٣)

أما الشيخ محمد على الصابوني فأورد فى تفسيرها رأى ابن كثير رحمه الله تعالي ثم قال " أقول لا غرابة فى وزن الأعمال ووزن الحسنات والسيئات بالذات ، فأذا كان العلم الحديث قد كشف لنا عن موازين للحر والبرد واتجاه الرياح والأمطار أفيعجز القادر على كل شيء عن وضع موازين لأعمال البشر " (٤)

---

(١) رواه الامام أحمد فى مسنده جـ ١ ص ١١٤ بلفظ ، عن أم موسى قالت سمعت عليا رضى الله عنه يقول أمر النبى صلى الله عليه وسلم ابن مسعود فصعد على شجرة أمره أن يأتيه منها بشىء فنظر أصحابه الى ساق عبد الله بن مسعود حين صعد الشجرة فضحكوا من حموشة شاقيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تضحكون لرجل عبد الله أثقل فى الميزان يوم القيامه من أحد" . جـ ١ ص ١١٤ : قال الأستاذ عبد القادر عطا والدكتور محمد عاشور : أخرجه الهيثمي ٩ / ٢٨٨ وعزاه الى أبى يعلي الطبراني وقال رجاله رجال الصحيح غير أم موسى وهى ثقه ، ورواه الحاكم عن معاويه بن قره عن أبيه ، بمعناه : ٣ / ٣١٧ والحموشه :- الدقه . ا.هـ المسند للامام أحمد ت عبد القادر عطا ومحمد عاشور جـ ١ ص ٣٩٥

(٢) منار السبيل : محمد العثمان القاضى جـ ١ ص ١٣٧ - ١٣٨

(٣) صفوة البيان : حسنين مخلوف جـ ١ ص ٢٥٢

(٤) صفوة التفاسير : محمد على الصابوني جـ ١ ص ٤٣٧

أهــل الكبائــر :-

قال تعالى " وان منكم الا وارد ها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجــى الذين اتقوا ونــذر الظالمين فيها جثيــا " [(١)] قال الشيخ محمد العثمــان القاضى فى تفسيرها " ثم ننجي الذين اتقوا " الشرك وهم المؤ منــــون " ونــذر الظالمين فيها جثيا " جاثين على الركب . قالت المعتزلــــه : فى هذه الآيـــه حجه على مذهبنا وهو تخليد أهل الكبائر والفساق فــــي النــار ، بدليــل أن اللــه بـين أن الكل يرد ونـها ثم بـين صفة من ينجــــو منها وهم المتقــون . والفاسـق لايكون متقيا ، فيبقي مخلدا فى النــار ، وهذا احتجاج باطـل . فالمتقى هنا هو الذى يتقى الشـرك بقولـــه : (لا الــه الا اللـــه) فصاحب الكبيره متـــق للشـرك لانــه مؤ مــــن باللــه ورسوله . ومن آمـن بذلك صح أن يقـال : أنــه متـق للشـــرك . فصارت الآيــة التى توهموها حجـة لـهم هى عليهم لاسيما والنص شاهـــد بذلك ، فقد روى البخارى فى صحيحـه عن أنس قال : قال رسول اللـــه صلى اللـه عليه وسـلم : يخـرج من النار من قال لااله الا اللـــــــــه ، وفى قلبـه وزن شعيره من خـير ، ويخـرج من الـنار من قال : لا الـــه الا اللـــه ، وفى قلبـه وزن بـره من خـير . ويخرج من النار مـن قـــال لا الـه الا اللـــه وفى قلبـه وزن ذره من خـير وفى لفظ : من ايمـــان . وفى الصحيحـين من حديث أبى هريرة الطويـل : ان الناس قالوا : يارسول اللـه هل نرى ربنا يوم القيامـه ؟ فذكر الحديث الى قولــــه : ويحـك يابن آدم ما أغدرك : الحديث بألفاظـه . فصاحب الكبيره قـــد يعاقب بقدر ذنبـه ثم ينجـو والنصوص الصحيحـه تؤيـد هـذا قطعـا" [(٢)]

---

(١) سـورة مريـم : الآيتـين ٧١ - ٧٢

(٢) منـار السبيـل : محمد العثمان القاضى جـ ٣ ص ٢٥

أما السيد عبد القادر ملاحويش فقال فى تفسير هاتين الآيتين " ولا دليل فى هذه الآيه لمن يقول ان الفاسق وصاحب الكبيره يخلد فى النار ، لأن المراد بالتقي المستثنى من الورود من اتقى الشرك لأن من آمن بالله ورسوله يصح أن يقال له متق الشرك ولو كان مقترفا الكبائر من غير استحلال لأن المستحل لها كافر ، ومن صدق عليه أنه متق الشرك صح عنه أنه متق ، لأن التقى جزء من التقي من الشرك[1] ومن صدق عليه المركب صدق عليه المفرد فثبت أن صاحب الكبيره والفاسق متق ، واذا ثبت لك هذا وجب أن لا يخلد فى النار وأنه يخرج منها لعموم هذه الآيه ، وعليه اجماع الأمه من علماء التوحيد"[2] ، ثم استدل بالحديث السالف الذى رواه البخارى ثم قال " فدلت الآية الأولي على أن الكل دخلوا النار ، ودلت الثانية والأحاديث على أن الله أخرج منها المتقين والموحدين وترك فيها الظالمين المشركين فقط"[2] وقال " هذا . وان مذهب أهل السنه والجماعه هو أن صاحب الكبيره قد يعاقب بقدر ذنبه ثم ينجو لا محاله ، ويجوز أن يعفو الله عنه ، وهذه الطريقة يجب التمسك بها والجنوح اليها فكل قول يخالف هذا باطل لا قيمة له اذ لا مستند له على الآيات الصريحه والأحاديث الصحيحه أما أقوال المخالفين فهي كيفية لاعبرة بها"[2] ثم ذكر أقوال المخالفين وأبطلها .

الولا والبراء :

قال تعالى " يآأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض . ومن يتولهم منكم فأنه منهم ان الله لا يهدى القوم الظالمين "[3] فسرها الأستاذ محمد سيد طنطاوى وقال " والخطاب في

---

(١) الصحيح أن التقي من الشرك جزء من التقى ، وليس العكس ولعله سبق قلم من المؤلف .

(٢) بيان المعاني : عبد القادر ملاحويش جـ ٢ ص ١٧٠-١٧٣ بتلخيص.

(٣) سورة المائدة : الآيه ٥١

قوله عز وجل " يآأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء" للمؤمنين جميعا فى كل زمان ومكان اذ العبره بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . والأولياء جمع ولي . ويطلق بمعنى النصير والصديق والحبيب.. والمراد بالولاية هنا : مصافاة أعداء الاسلام والاستنصار بهم والتحالف معهم دون المسلمين . أى ياأيها الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . . . لايتخذ أحد منكم أحدا من اليهود والنصارى وليا ولا نصيرا أى : لاتصافوهم مصافاة الأحباب ولاتستنصروا بهم فانهم جميعا يد واحده عليكم ، يبغونكم الغوائل ويتربصون بكم الدوائر . فكيف يتوهم بينكم وبينهم موالاة ؟ " [1] .

وأما المراد بالذين آمنوا من قوله تعالى " انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون " [2] فقال فى بيانه " وما ورد من آثار تفيد أن المراد بالذين آمنوا شخصا معينا وهو على بن أبي طالب - رضى الله عنه - لا يعتمد عليها لأنها كما يقول ابن كثير " لم يصح شيء منها بالكلية لضعف أسانيدها وجهالة رجالها " وقد توسع الامام الرازى في الرد على الشيعة الذين وضعوا هذه الآثار فارجع اليه ان شئت " [3] .

وأكد الدكتور طنطاوى هذه المعاني عند تفسيره لقوله تعالى" يآأيها الذين آمنوا لاتتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون " [4] بتحريم موالاة الكافرين مهما بلغت درجة قرابتهم واعتبار هذه الموالاة من الكبائر لوصف فاعلها بالظلم" [5]

---

(١) تفسير سورة المائدة : الدكتور محمد سيد طنطاوى ص ٢٤٩
(٢) سورة المائدة : الآيه ٥٥
(٣) تفسير سورة المائدة : الدكتور محمد سيد طنطاوى ص ٢٦٥
(٤) سورة التوبه : الآيه ٢٣
(٥) تفسير سورة التوبه : الدكتور محمد سيد طنطاوى ص ٨٦

أما الأستاذ محمد رشدى حمادى فبين المراد بالولايه ، فى آية سورة المائدة السابقة فقال : المراد بالولايه التناصر والمحالفه - وقيده بعضهم بكونها على المؤمنين ، وليس المقصود استعمالهم فى الوظائف غير القياديه والشئون العامة التى لا تمس عزة المؤمنين " (١) ثم قال " وهذا الحكم " فى قطع الموالاه " باق الى يوم القيامه " (١)

أما الشيخ محمد العثمان القاضى فبين معنى الولايه في الآيه المشار اليها بقوله " والمراد من النهي عدم معاملتهم ومعاشرتهم ومناصرتهم فلا يجوز وصفهم بالأخوه كما نسمع في بعض الاذاعات والله يقول " فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين" (٢) والمفهوم نفي الأخوه عنهم اذا لم يتوبوا ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة . ويقول " ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم" (٣) وليت المسلمين طبقوا أحكام شريعتهم وسلكوا ما كان عليه سلفهم الصالح " (٤) لكنه قال " وأما مبايعتهم فلا بأس بها فقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهون عند يهودى " (٤)

محبة الصحابه وسائر المؤمنين :

وقد ورد الأمر بذلك فى قوله تعالى " والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم " (٥) قال الشيخ محمد العثمان القاضى " وفى قوله سبحانه " سبقونا بالايمان" دليل على المشاركه فيه . وانهم تابعون للصحابه فى عقائد الايمان وأصوله ، وهم أهل السنه والجماعه ، الذين لا يصدق هذا الوصف التام الا عليهم ووصفهم بالاقرار

---

(١) الموجز فى تفسير القرآن الكريم : محمد رشدى حمادى جـ ٢ ص٣٢٤-٣٢٥
(٢) سورة التوبة : آيه ١١
(٣) سورة آل عمران : آيه ٧٣
(٤) منار السبيل : محمد العثمان القاضى جـ ١ ص ٩٩ - ١٠٠
(٥) سورة الحشر : الآيه ١٠

بالذنوب والاستغفار منها ، واستغفار بعضهم لبعض ، واجتهادهم في ازالة الغل والحقد عن اخوانهم المؤمنين ، وأن يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه وأن يكونوا كالعضو الواحد اذا اشتكي منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمي - ثم قال وفي ذلك حث على وجوب محبة من تقدم من المؤمنين ومراعاة حقوقهم علينا فى السبق ، وصفاء القلوب من بغض أحد منهم ، عن ابن عمر أنه سمع رجلا يتناول بعض المهاجرين بالسب ، فقرأ عليه " للفقراء المهاجرين[1] " الآيه ثم قال هؤلاء المهاجرون ، أفمنهم أنت ؟ قال : لا ثم قرأ عليه " والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم[1] " الآيه ثم قال : هؤلاء الانصار ،أفأنت منهم ؟ قال لا . ثم قرأ عليه " والذين جاءوا من بعدهم[1] " الآيه ثم قال أفمن هؤلاء أنت ؟ قال أرجو أن أكون منهم . قال : ليس من هؤلاء والله من سبهم "[2]

وقال الأستاذ على رفاعى محمد فى الآيه السابقة " وترشد الآيه الى الترغيب فى الدعاء للصحابه ولكل مؤمن ، وثمرة ذلك تصفية القلوب وتطهيرها من الحقد والعداوة ، وفي الآيه تحذير من بغض أحد من الصحابه أخرج ابن مردويه عن ابن عمر رضى الله عنهما "[3] ثم ساق الحديث السابق " .

محبة أهل البيت :

قال تعالى " قل لا اسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى"[4] قال الشيخ محمد القاضى فى تفسيرها " أى لا اسألكم على تبليغ الرسالة جعلا " الا المودة فى القربي "

---

(١) الحشر الآيه ٨ ــ ١٠
(٢) منار السبيل : محمد العثمان القاضى جـ ٤ ص ٢٠٠ - ٢٠١
(٣) بشائر الرضوان فى تفسير القرآن : على رفاعى محمد جـ ٢٨ ص ٤٠
(٤) سورة الشورى : من الآيه : ٢٣

قال الزجاج : استثناء ليس من الاول أى الا أن تؤ د وا قرابتي فتحفظوها . والخطاب لقريش خاصة . قاله ابن عباس وعكرمه ومجاهد . والمعنى : الا أن تود وني في قرابتى منكم ، أى تراعوا ما بينى وبينكم فتصد قونى . فالقربي ها هنا قرابة الرحم . كأنه قال : اتبعوني للقرابه ان لم تتبعوني للنبوه . وقيل القربي : قرابة الرسول صلى الله عليه وسلم أى لا أسألكم أجرا الا أن تؤ د وا لقرابتي حقهم وهم أهل البيت ، للحديث الصحيح : اذكركم الله في أهل بيتي .

وقد وردت أحاديث صحيحه فيها الأمر باكرام أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابته . . . فواجب على الانسان مودتهم ، وحب قرابته وآله من حبه "[1] .

ووضح الأستاذ أبو الأعلي المودودى[2] المراد بأهل البيت في تفسيره لقوله تعالى " انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا "[3] فقال " يظهر من السياق الذى وردت فيه هذه الآيه أن المراد بأهل البيت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم الطاهرات لأن الخطاب بدأ بقوله " يانساء النبى " وهن بعينهن المخاطبات فيما قبل الآيه التى بين يدينا وما بعدها . كما أن لفظ " أهل البيت " - علاوة على هذا - يستخدم فى اللغة العربية في نفس المعنى الذى نستخدم نحن فيه لفظ أصحاب البيت[4] ويدخل بالطبع في هذا المعنى زوجة الرجل وأولاده ولا يستطيع أحد أن يطلق لفظ " أهل البيت " مستثنيا منه الزوجه بل ان هذا اللفظ جاء في موضعين آخرين من القرآن الكريم نفسه

---

(١) منار السبيل : محمد العثمان القاضي جـ ٤ ص ٦٦

(٢) ولد سنة ١٩٠٣م فى حيدرآباد ، وبدأ نشاطه فى الصحافة ، وأسس الجماعه الاسلامية بلاهور ١٩٤١م وانتخب رئيسا لها سجن عدة مرات وحكم عليه بالاعدام ثم خفف الى التأبيد واطلق سراحه ١٩٥٥م واستمر فى الدعوة الى ان نال جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الاسلام سنة ١٣٩٩ هـ وتوفى رحمه الله سنة ١٩٧٩م وله عدد من المؤلفات منها تفهيم القرآن ، تفسير سورة النور ، تفسير سورة الاحزاب ، ماهى القاديانية ، الحجاب ، الجهاد وغير ذلك .

(٣) سورة الاحزاب : من الاية ٣٣ . (٤) التفسير فى أصله مؤلف بالاوردية ثم ترجم الى العربيه .

بمعنى يشمل "الزوجه" في داخله ان لم تكن مقدمه فيه على غيرها ،
فقد جاء في سورة هود حين بشرت الملائكة ابراهيم عليه السلام بولده
اسحاق وتعجبت زوجته حين سمعت ذلك وقالت "ياويلتى أألد وأنا عجوز
وهذا بعلى شيخا ان هذا لشئ عجيب" فردت عليها الملائكة "اتعجبين
من أمر الله رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت" (آيات ٧٢ - ٧٣)
وجاء في سورة القصص حين وصل موسى عليه السلام الى بيت فروعون وهو رضيع
وكانت امرأة فرعون تبحث عن مرضعه لترضع موسى فقالت أخته "هل
أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم" (آيه ١٢) فاستخدام أهل اللغه
اذن واستخدام القرآن نفسه لهذا اللفظ وسياق الآيه ذاتها كل ذلك يدل
دلالة قاطعه على أن زوجات النبى المطهرات يدخلن كذلك في أهل بيته
صلى الله عليه وسلم كما يدخل أولاده . بل الأصح أن الخطاب فى الآيه
اليهن أصلا أما أولاده فيدخلون فيه ضمنا وعلى هذا الأساس قال ابن عباس
وعروه بن الزبير وعكرمه أن المراد بأهل البيت في هذه الآيه أزواج النبى
صلى الله عليه وسلم ". [1]

ثم قال " وهناك فرقة لم تكتف في تفسير هذه الآيه بارتكاب ظلم اخراج
نساء النبى من زمرة أهل البيت وقصر اللفظ على سيدنا علي وفاطمه وأولادهما
بل بلغت في الظلم والعسف قدرا أكبر وأعظم اذ استنتجت من قوله تعالى
" انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تظيرا" [2] ان عليا
وفاطمه وأولادهما رضى الله عنهم معصومون كعصمة الأنبياء عليهم وعلى
نبينا الصلاة والسلام فهم يقولون ان المراد بالرجس الخطأ والذنب وقد طهر
أهل البيت منه بنص هذه الآيه غير أن لفظ الآيه لا يقول أن الله قد
اذهب عنكم الرجس وطهركم تماما بل ان الله يريد اذهاب الرجس عنكم

---

(١) تفسير سورة الاحزاب : أبو الاعلى الموردى . ترجمة أحمد ادريس
ص ٦٦ - ٦٧
(٢) سورة الأحزاب الآيه ٣٣

وتطهيركم وسياق الآيه وما يتصل بها من قبل ومن بعد لا يفصح عن أن المقصود هنا ذكر مناقب أهل البيت انما الموضوع هنا هو نصح أهل البيت ان افعلوا كذا ولا تفعلوا كذا لأن الله يريد أن يطهركم . وبألفاظ أخر يعني انكم اذا اخترتم كذا وكذا من السلوك فسوف تنالكم نعمة الطهر والنظافه والا فلا . ذلكم اننا لوفهمنا من قوله تعالى " انما يرد الله ليذهب عنكم الرجس . . . ويطهركم تطهيرا " أنه قد عصمهم فليس هناك ما يمنعنا من التسليم بأن كل المسلمين المتوضئين والمغتسلين والمتيممين معصومون كذلك لأن الله تعالى قال فيهم " ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم " المائده - ٦ -" (١)

وقد بين المراد بأهل البيت وبالتطهير في الآيه السابقة آية الاحزاب الدكتور مصطفى زيد فقال في المراد بأهل البيت" ان نساء النبي هن سبب نزول هذه الآيات ، فدخولهن في أهل البيت موضع اتفاق بين جميع المفسرين اما وحدهن على قول ، واما مع غيرهن على قول آخر هو الصحيح" (٢) ثم ذهب يستدل لما رجحه من القولين وأورد بعد هذا ما زعمه ابن المطهر الحلي من الشيعه يقوله " وفي هذه الآيه دلالة على العصمه مع التأكيد بلفظ (انما) وادخال اللام في الخبر والاختصاص في الخطاب بقوله " ويطهركم تطهيرا " وغيرهم ليس بمعصوم الخ " وعلق الدكتور مصطفى زيد على هذا الزعم بأنه لا اعتبار له وساق بعد هذا نصا لابن تيميه رحمه الله تعالى في كتابه منهاج السنه في الرد على ما زعمه ابن المطهر وهو طويل لكن فيه البيان كل البيان فليرجع اليه من شاء ، وقد عقب الدكتور مصطفى عليه بقوله " وقد آثرنا أن ننقل عن ابن تيميه

---

(١) تفسير سورة الاحزاب : أبو الأعلى المودودي ص ٦٨ - ٦٩

(٢) سورة الاحزاب عرض وتفسير : الدكتور مصطفى زيد ص ١٠٤

هذا النص كاملا بالرغم من طوله لأن مسأله الاستدلال بالآيه على الامامه والعصمه مسألة بالغة الخطر ، فان فيها تحميلا للآيه مالا تحتمله بحال ولا تدل عليه من قريب ولا بعيد وفيها فوق هذا خروج على مبدأ مقرر ينبغي ألا يكون موضع رأى ، وألا يكون محلا لاجتهاد قد يخطئ وقد يصيب وهذا المبدأ هو الوقوف بالآيات عند ما تدل عليه ، دون تكلف ، ولا انحراف بها عما أنزلت لتقرره . وأنه اذا كان فريق من المفسرين يقصر ما تدل عليه الآيه على سبب نزولها ـ فلا أقل من أن يعتبر سبب النزول داخلا دخولا أوليا فيما تدل الآية عليه وهو ما يقرره ويؤكده جمهور المفسرين الذين يرون العبره بعموم اللفظ لا بخصوص السبب أما ان يهمل سبب النزول ولا تعتبر الآيه داله عليه مما يوحي بأن له حكما آخر غير الحكم الذى تقرره الآيه ـ فهذا مما يستنكره المفسرون بجملتهم ولا يفترقون في الحكم عليه !

لا تدل الآيه اذن على حصر اهل البيت في على وفاطمه وابنيهما الحسن والحسين فان سياقها صريح في النص على دخول نساء النبى فيهم . ومن ثم تقرر بحق ان الآيه لم تتعرض للامامه من قريب أو بعيد .

كذلك لا تدل الآيه على عصمة أهل بيت الرسول من الخطأ ، والا ففيم كان دعاء النبى صلى الله عليه وسلم لهم بعد نزول الآيه ؟ وفيم كانت الأوامر والنواهي التي وجهت في الآيات الى نساء النبى وهن من أهل البيت ؟ وفيم كان الوعيد لهن بمضاعفة العذاب ، ثم الوعد بالأجر المضاعف ، حين يأتين بفاحشه وحين يقنتن ؟ وأخيرا ... فيم كان تذكيرهن بما يتلى في بيوتهن من آيات الله والحكمه ؟ وما السر في ان هذا التذكير لم يجئ في الآيات الا بعد تقرير أن الله يريد لهن أن يذهب الرجس عنهن ، وان يطهرهن تطهيرا ؟ ". [1]

---

(١) سورة الاحزاب عرض وتفسير : الدكتور مصطفى زيد ص ١١٤- ١١٥

أما الشيخ الغزالي خليل عيد[1] رحمه الله تعالى فقد بين المراد بأهل البيت عند تفسير الآيه بقوله : " وقد اختلف فى أهل البيت فقيل هم زوجات النبى صلى الله عليه وسلم وقيل هم علي وفاطمه والحسن والحسين خاصة ، وقيل : وهو الاولى : هم كل من يكون من الزام النبى صلى الله عليه وسلم من الرجال والنساء والازواج والاماء والأقارب وكلما كان الواحد منهم أقرب وبالنبى صلى الله عليه وسلم ألزم وأخص كان أجدر وأحق بالدخول تحت هذا اللقب فيكون أحرى باراده الله أن يذهب عنه الرجس"[2] .

أما الشيخ حسنين مخلوف فقد أكتفي بتفسير المراد بأهل البيت بقوله " هم نساؤه صلى الله عليه وسلم بقرينة السياق "[3] .

وانما أطلت - بعض الاطاله - في بيان هذا لأنه أصل ضلت فيه طائفه الشيعه وتطرفوا فى تقريره حتى كان هو أصل ضلالهم ومبدأ انحرافهم نسأل الله لنا ولهم الهدايه .

التقيه والاكراه :

قال تعالى " لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى الله المصير "[4] وقال سبحانه " من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم "[5] .

---

(١) ولد شيخنا الغزالي خليل عيد سنة ١٩١١م وتخرج من كلية اصول الدين بالازهر سنة ١٩٣٩م ودرس فى المعاهد الدينيه ثم شيخا لمعهد بنى سويف سنة ١٩٦٩م ثم عمل مدرسا في كلية الشريعه بالرياض ثم فى كلية اصول الدين بها الى أن توفي رحمه الله تعالى أواخر سنة ١٤٠٢ ومن مؤلفاته تفسير لاربع عشرة سورة من المفصل ، الضياء فى احكام الضعفاء الثلاثة من سورة النساء ، تفسير سورة الاحزاب ، تفسير سورة الانفال .

(٢) تفسير سورة الاحزاب جـ الغزالي خليل عيد ص ٦٨

(٣) صفوة البيان لمعاني القرآن : حسنين مخلوف جـ ٢ صـ ١٨٣

(٤) سورة آل عمران : الآيه ٢٨ . (٥) سورة النحل : الآيه ١٠٦

قال الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي فى تفسير الآيه الأولى"الا أن تتقوا منهم تقاة أى الا أن تخافوا منهم مخافة فلكم موالاتهم باللسان دون القلب.... وهذا قبل عزة الاسلام ويجرى في بلد ليس قويا فيها قال معاذ بن جبل : كانت التقيه فى بدء الاسلام قبل استحكام الدين وقوة المسلمين ، وأما اليوم فقد أعز الله الاسلام فليس ينبغى لأهل الاسلام ان يتقوا من عدوهم "[1] وقال " هذا وتدل هذه الآيه على أن للمسلم أن يتقي ما يتقي من مضرة الكافرين ، وقصارى ما تدل عليه آية سورة النحل . . . ان ذلك من باب الرخص لأجل الضرورات العارضه لا من أصل الدين المتبعه دائما [2] ولذلك كان من مسائل الاجماع وجوب الهجرة على المسلم من المكان الذى يخاف فيه من اظهار دينه ويضطر فيه الى التقيه ، ومن علامة المؤمن الكامل أن لا يخاف فى الله لومة لائم قال تعالى " فلا تخشوهم واخشوني "[3] وقال " فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين "[4] وكان النبى وأصحابه يتحملون الأذى في ذات الله ويصبرون ، وأما المدارة فيما لا يهدم حقا ولا يبنى باطلا فهي كياسة مستحبه يتقضيها أدب المجالسه ما لم تنته الى حد النفاق والدهان والاختلاق ، وتكون مؤكده في خطاب السفهاء تصونا من سفههم واتقاء لفحشهم "[5] .

وقد فسرها بنحو هذا الشيخ حسنين مخلوف فقال " الا أن تتقوا منهم تقاة أى الا أن تخافوا منهم مخافة أو تخافوا من جهتهم أمرا يجب اتقاؤه من الضرر في النفس أو المال أو العرض وذلك اذا كان الكفار غالبين ظاهرين أو كنتم في قوم كفار فيرخص لكم في مداراتهم باللسان على أن لا تنطوى

---

(١) تفسير القرآن الحكيم : محمد عبد المنعم خفاجي جـ ٣ ص ١٨٦
(٢) كما تزعم الشيعه .
(٣) سورة البقرة من الآيه (١٥٠)
(٤) سورة آل عمران الآيه - ١٧٥ -
(٥) تفسير القرآن الحكيم : محمد خفاجى جـ ٣ ص ١٨٨ - ١٨٩

قلوبكم على شيء فى مودتهم ، بل تداورنهم وانتم لهم كارهون وألا تعملوا ما هو محرم كشرب الخمر ، واطلاعهم على عورات المسلمين والانحياز اليهم في مجافاة بعض المسلمين فلا رخصة الا في المداراة باللسان وعن معاذ ومجاهد أن هذا الحكم قد نسخ بعد قوة الاسلام وعن الحسن جواز التقية في كل وقت ، لدفع الضرر بقدر الامكان " .(١)

أما الأستاذ محمد رشدى حمادى فقال في تفسيرها " الا أن تتقوا منهم تقاة " أى من خاف في بعض البلدان والأوقات من شرهم فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته . قال ابن عباس : ليس التقيه بالعمل انما التقيه باللسان . ويؤيد ما قال ابن عباس قوله تعالى " من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان الآيه . وقال البخارى - قال الحسن : التقيه الى يوم القيامه . وللتقيه أحكام منها اذا كان الرجل في قوم كفار يخاف منهم على نفسه جاز له أن يظهر المحبه والموالاه ولكن بشرط أن يضمر خلافه ويعرض في كل ما يقول ما أمكن فان التقيه تأثيرها في الظاهر لا في أحوال القلب . ومنها : أنها رخصة فلو تركها كان أفضل لما روى الحسن " أنه أخذ مسيلمه الكذاب رجلين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لأحدهما اتشهد أن محمدا رسول الله ؟ قال نعم قال أتشهد أني رسول الله ؟ قال نعم وكان مسيلمه يزعم أنه رسول بني حنيفه ومحمد رسول قريش فتركه ودعا الآخر وقال أتشهد أن محمدا رسول الله فقال : نعم نعم نعم فقال أتشهد أني رسول الله ؟ فقال انى أصم ثلاثا فقدمه وقتله - فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أما هذا المقتول فمضى على يقينه وصدقه فهنيئا له ، وأما الآخر فقبل رخصة الله فلا تبعة عليه " ونظير هذه الآيه " الا من اكره

---

(١) صفوة البيان لمعانى القرآن : حسنين محمد مخلوف ج ١ ص ١٠٣-١٠٤

وقلبه مطمئن بالايمـان " (١) .

ومنها : انما تجوز فيما يتعلق باظهار الموالاة والمعادة . وقد يجوز أن تكون أيضا فيما يتعلق باظهار الدين فأما الذى يرجع ضرره الى الغير كالقتل والزنا وغصب الأموال وشهادة الزور وقذف المحصنات واطلاع الكفار على عورات المسلمين فذلك غير جائز البتـه " (٢) .

وها أنت ترى أن التقيه عند مفسرى أهل السنة والجماعة لا تكون الا عند تحقق الخوف من الكفار وأنها مع هذا رخصه تركها أفضل ، وبشرط أن لا يرجع ضررها الى غير صاحبها وأنها باللسان لا بالعمل ولا بالقلب.

القضاء والقدر :

وقد وضح الأستاذ محمد عبد الله الجزار عقيدة أهل السنه والجماعة في الايمان بالقضاء والقدر عند تفسيره لقوله تعالى " وما تشاءون الا أن يشاء الله ان الله كان حكيما " (٣) فقال " ان عقيدة القضاء والقدر من الدين وأنها لا تنافي اختيار الانسان وتمكنه من سلوك سبيل السعادة ففي قوله فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا اثبات ان للعبد مشيئة واختيارا وذلك يقتضى الاجتهاد والسعى واثبات الأسباب والمسببات وذلك شرع الله . وفى قوله " وما تشاءون الا أن يشاء الله اثبات قدر الله وعموم مشيئته وأنه لا يقع في ملكه شيء قهرا عنه بل ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وذلك يقتضى الالتجاء الى الله مع العمل والاستعانة به والتوكل عليه وعدم غرور النفس بقوتها ولا يعلمها فان ذلك من ظلمها وجهلها جعلنا الله واياكم ممن يتخذ الى ربه سبيلا وممن يدخلهم سبحانه فى رحمته آمين " (٤) .

---

(١) سورة النحل : من الآيه ١٠٦
(٢) موجز تفسير القرآن : محمد رشدى حمادى جـ ١ ص ٣٦٢ - ٣٦٣
(٣) سورة الانسان : الآيه ٣٠
(٤) الذخيره الدينيه فى تفسير أجزاء قرآنيه : محمد عبد الله الجزار ص ٥٣٩

أما الأستاذ محمد رشدى حمادى فقال فى تفسير قوله تعالى" سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين "[1] قال " .. ومثل هذه الآيه قوله تعالى من هذه السورة ٦ : ١٠٦ - ولو شاء الله ما أشركوا " وقوله منها أيضا" ٣٦ - ولو شاء الله لجمعهم على الهدى " وأيضا " ٣٩ - من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم " وقوله " ٥ : ٥١ - ولو شاء الله لجعلكم أمة واحده " وقوله " ١١ : ١١٨ - ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ، ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم" وقوله " ١٠ : ٩٩ - ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين " فالآيات في هذا المعنى كلها بيان لسنه الله في خلق الانسان - وهي حجة على المجبره والقدريه جميعا لا لهما . وقد تمارى المعتزله والأشعرية في تطبيق هذه الآيات على مذاهبهما " ثم قال " . . . وقد احتج السلف بالآيه على منكرى القدر قبل حدوث مذهبى المعتزلة والاشعرية - فقد روى أكثر مدونى التفسير المأثور وأبو الشيخ والحاكم وصححه والبيهقي فى الأسماء والصفات عن ابن عباس أنه قيل له أن أناسا يقولون ان الشر ليس بقدر فقال ابن عباس : بيننا وبين أهل القدر هذه الآيه " سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما اشركنا - الى قوله - فلله الحجه البالغه فلو شاء لهداكم أجمعين " وأخرج أبو الشيخ عن علي ابن زيد قال : انقطعت حجة القدريه عن هذه الآيه . وقال الحافظ ابن كثير في قوله تعالي في

---

(١) سورة الانعام : الايتين ١٤٨ - ١٤٩

رد الآيه على شبهتهم . أى بهذه الشبهه ضل من ضل قبل هؤلاء
وهي حجة داحضة باطله لأنها لو كانت صحيحه لما أذاقهم الله بأسه
ودمر عليهم وأدال عليهم الرسل الكرام وأذاق المشركين من أليم الانتقام
ا . هـ وقد جارى أحمد بن المنير صاحب الكشاف على جعل شبهة
المشركين عين شبهة المجبره ثم جعل الآيتين مبطلتين لمذهبى المعتزله
والمجبره جميعا " ثم نقل نص أحمد بن المنير وجاء فيه " ... وجماع
الرد على المجبره ... فى قوله تعالى " سيقول الذين اشركو - الى قوله
تعالى - قل فلله الحجه البالغه " وتتمه الآيه ردّ صراح على طائفة
الاعتزال القائلين بأن الله تعالى شاء الهداية منهم أجمعين فلم تقع
من أكثرهم ووجه الرد أن " لو " اذا دخلت على فعل مثبت نفته فيقتضي
ذلك أن الله تعالى لما قال " فلو شاء " لم يكن الواقع أنه شاء هدايتهم
ولو شاءها لوقعت فهذا تصريح ببطلان زعمهم ومحل عقدهم فاذا ثبت
اشتمال الآيه على رد عقيدة الطائفتين المذكورتين المجبره في أولها
والمعتزله في آخرها فأعلم أنها جامعة لعقيدة السنه منطبقه عليها فأن
أولها كما بينا يثبت للعبد اختيارا وقدرة على وجه يقطع حجته وعذره في
المخالفة والعصيان وآخرها يثبت نفوذ مشيئة الله فى العبد وأن جميع
أفعاله على وفق المشيئة الالهيه خيرا أو غيره وذلك عين عقيدتهم فأنهم
كما يثبتون للعبد مشيئة وقدره يسلبون تأثيرهما ويعتقدون أن ثبوتهما قاطع
لحجته ملزم له بالطاعة على وفق اختياره ويثبتون نفوذ مشيئة الله أيضا
وقدرته في أفعال عباده فهم كما رأيت تبع للكتاب العزيز يثبتون ما أثبت
وينفون ما نفى مؤيدون بالعقل والنقل والله الموفق ا . هـ" (١)

---

(١) الموجز فى تفسير القرآن الكريم : محمد رشدى حمادى جـ ٢
ص ٥٤٧ - ٥٥٠ باختصار .

هـــذه :

أمثلـة تطبيقيـة لتفسـير أهل السنة والجماعـة حسب أصول عقائد هــــم

ليس قصد نا من ايراد ها اثبات مذ هب كل مفسـر استشهد نا له بتفسـير أوانكار

سلامة سواه ، بل قصد نا اثبات القول بأصول أهل السنة وتفسيرهم فــــي

العصـــر الحد يـــث .

أما القصد الآخـر فيثبتـه ايراد نماذج من مفسرى أهل السنه والجماعـه

وتحقيـق ذلك فى تفاسيرهم وتطبيقــه .

ولقد اخترت من تفاسيرهم تفاسـير ثلاثة ، راعيت فيها أن يكون كــــل

منها شاملا لآيـات القرآن الكريـم كلـها ، وأن يكون صاحبها ممن اشتهـــر

بـغـزير علمـه ، وسعـة اطلاعه ، واستقامـة أمـره ، وصلاح سـيرته ، وصحـــة

مذ هبــــه .

ومع هذا فأنـي وقد اخترت هذه التفاسـير لا أنكـر فضـل سـواها ولا أغمـط

حـق غيرها ومالنا عـذ ر الا أن المقام مقام تمثيـل وليس مقام استيفاء وشمـــو ل

واللــــه الموفـــق .

نماذج من مفسري أهل السنه :

وهؤلاء الذين وقع عليهم الاختيار

١ - محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي

وتفسيره " اضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن "

٢ - عبد الرحمن السعدى

وتفسيره " تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان "

٣ - محمد جمال الدين القاسمي

وتفسيره " محاسن التأويل "

وسنبدأ بترجمة موجزه لكل منهم يعقبها تطبيق لتفسيره على أصول وعقيدة أهل السنة والجماعة .

أولا : تفسير اضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن :

صاحب التفسير :

هو : محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي

مولده : ولد رحمه الله سنة ١٣٢٥ في (تنبه) من أعمال مديريه " كيفا " في شنقيط وهي دولة موريتانيا الاسلامية الآن .

نشأته :

توفى والده وهو صغير يقرأ في جزء عمّ وترك له ثروة من الحيوان والمال فسكن مع أمه عند أخواله وحفظ القرآن على خاله وعمره عشر سنوات وتعلم رسم المصحف العثماني على ابن خاله ، ودرس الأدب دراسة واسعه على زوجة خاله قال : أخذت عنها مبادئ النحو كالأجروميه وتمرينات ودروس واسعه في أنساب العرب وأيامهم والسيره النبويه ونظم الغزوات وشروحه (١) . فكان بيت أخواله المدرسه الأولى له .

(١) ترجمة للشيخ رحمه الله : محاضره القاها تلميذه عطيه محمد سالم ملحقه في آخر الجزء التاسع من التفسير ص ٢٣ منها .

ثم درس الفقه المالكي وألفيه ابن مالك ثم أخذ بقية الفنون على مشايخ متعدده في فنون مختلفه وكلهم من الجكنيين الى أن برع فيها .

رحلة الحج :

أزمع رحمه الله تعالى على الحج عن طريق البر وعلى نية العوده بعد الحج وكان كغيره في نفسه شيء غير قليل من رواسب الشبهات الملصقه بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وما أن وصل الى البلاد حتى اتصل ببعض علمائها وقرأ بعض كتب الدعوه من مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيميه وتلميذه ابن القيم وبعض رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله جميعا ، وكان هذا كافيا لتنقية عقله وفكره مما شابه من تدنيس الخصوم وجلاء الحقيقة أمام ناظريه ، وانقلب ثم عزمه على العوده الى رغبة في البقاء .

تدريسه في المسجد النبوي :

كان رحمه الله يقول " ليس من عمل أعظم من تفسير كتاب الله في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم " وتم له ذلك بأمر من جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله " (1) فبعد أن كان مقتصرا على المذهب المالكي ولما عزم على البقاء وبدأ التدريس في المسجد النبوي وخالط العامه والخاصه وجد من يمثل المذاهب الأربعه ومن يناقش فيها وقد ظهر ذلك في منهجه في تفسيره أضواء البيان حينما يعرض لآيات الاحكام فيستوفي أقوال العلماء ويرجح ما يظهر له بمقتضى الدليل .

تدريسه في الرياض :

سنة ١٣٧١ افتتح في الرياض معهد علمي اعقبه افتتاح كليتي الشريعه واللغه العربية وقد اختير رحمه الله لتدريس التفسير والأصول الى سنة ١٣٨١ حين افتتحت الجامعه الاسلامية بالمدينه المنوره .

---

(1) ترجمه الشيخ ملحقه بالجزء التاسع من التفسير : كتبها تلميذه عطيه محمد سالم ص ٣٧

عودته الى المدينه المنوره :

عاد رحمه الله تعالى الى المدينه المنوره للتدريس في الجامعه الاسلاميه ، وفى سنة ١٣٨٦هـ افتتح في الرياض المعهد العالي للقضاء فكان رحمه الله استاذا زائرا للتفسير والأصول .

وفى سنة ١٣٩١ صدر تشكيل لهيئة كبار العلماء وكان رحمه الله أحد أعضاءها .[1]

وفى رابطة العالم الاسلامى كان عضو المجلس التأسيسي فيه ، وكان له فيه خدمات جليله .

وفاته :

توفي رحمه الله تعالى ضحي يوم الخميس ١٧/١٢/١٣٩٣هـ بمكه المكرمه مرجعه من الحج ودفن بمقبرة المعلاة وصلي علي جثمانه فى الحرم المكي ، وفى ليلة الاحد أقيمت عليه صلاة الغائب بالمسجد النبوى .

مؤلفاته :

من أهم مؤلفاته رحمه الله تعالى :

١ - منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والأعجاز .

وغرضه فيه ، نفي ادعاء المجاز فى أسماء الله تعالى وصفاته ، واجراؤها على طريقة السلف بلا تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ، وزاد هذا المعنى ايضاحا فى كتابه آداب البحث والمناظره .

٢ - دفع ايهام الاضطراب عن آى الكتاب .

أبان فيه مواضع قد يبدو تعارضها عند بعض الناس ، وأزال هذه الشبهه بما يجلو هذا العارض .

---

(١) مشاهير علماء نجد وغيرهم : عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ص ١٤٦

٣ - مذكرة الاصول على روضة الناظر .

جمع فيها بين أصول الحنابله والمالكيه والشافعيه والفه لطلبة كليتى الشريعه والدعوه بالجامعه الاسلاميه .

٤ - اداب البحث والمناظره

بين فيه آداب البحث من ايراد المسائل وبيان الدليل ونحو ذلك ويقع في جزئين وهو أيضا مقرر فى الجامعه .

٥ - " أضواء البيان فى ايضاح القرآن بالقرآن " ونفرده بالدراسة هنا .(١)

التفسير :

" أضواء البيان فى ايضاح القرآن بالقرآن "

تعريف عام :-

وصل المؤلف رحمه الله تعالى فى تفسيره هذا الى قوله تعالى أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون " آخر سورة المجادلة واستغرق هذا سبعة مجلدات .

صدر المجلد الأول فى غرة ذى القعده سنة ١٣٨٦ فى حياة المؤلف .

،، ز ،، الثاني ،، ذى الحجه سنة ١٣٨٦ فى حياة المؤلف .

صدر المجلد الثالث فى غرة ربيع الأول سنة ١٣٨٣ فى حياة المؤلف .

صدر المجلد الرابع فى غرة ذى القعدة سنة ١٣٨٤ فى حياة المؤلف .

صدر المجلد الخامس فى غرة ربيع الأول سنة ١٣٩٠ فى حياة المؤلف .

صدر المجلد السادس فى غرة محرم سنة ١٣٩٢ فى حياة المؤلف .

صدر المجلد السابع فى شهر شوال سنة ١٣٩٦ بعد وفاة المؤلف رحمه الله ثم أكمل التفسير من بعده تلميذه عطيه محمد سالم في مجلدين كبيرين .

---

(١) اقتبسنا هذه الترجمه من : ١ - الترجمه التى الحقها تلميذه عطيه محمد سالم بالجزء التاسع من التفسير .
٢ - علماء ومفكرون عرفتهم : الاستاذ محمد المجزوب .

صدر المجلد الثامن وهو الاول من التتمه في شهر رمضان سنة ١٣٩٧ هـ

صدر المجلد التاسع وهو الثانى بدون تاريخ وفيه تفسير جزء عم ، وضم معه بعض مؤلفات الشيخ رحمه الله وهي رساله فى الناسخ والمنسوخ ثم رساله منع جواز المجاز عن المنزل للتعبد والاعجاز ، ثم دفع ايهام الاضطراب عن آى الكتاب ثم محاضره لتلميذه الشيخ عطيه محمد سالم وهي ترجمة لحياة الشيخ رحمه الله تعالى :-

منهجه :

بين المؤلف رحمه الله تعالى غرضه من تأليف هذا التفسير بقوله :-

" واعلم أن من أهم المقصود بتأليفه أمران :

أحدهما : بيان القرآن بالقرآن لاجماع العلماء على أن اشرف أنواع التفسير وأجلها تفسير كتاب الله بكتاب الله . اذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله جل وعلا من الله جل وعلا ، وقد التزمنا أنا لا نبين القرآن الا بقراءة سبعيه سواء كانت قراءة أخرى في الآيه المبينه نفسها ، أو آية أخرى غيرها . ولا نعتمد على البيان بالقراءات الشاذه وربما ذكرنا القراءه الشاذه استشهادا للبيان بقراءة سبعيه ، وقراءة أبى جعفر ويعقوب وخلف ليست من الشاذ عندنا ولا عند المحققين من أهل العلم بالقراءات.

والثانى : بيان الاحكام الفقهية في جميع الآيات المبينه بالفتح في هذا الكتاب ، فاننا نبين ما فيها من الاحكام وأدلتها من السنة وأقوال العلماء فى ذلك ونرجح ما ظهرلنا أنه الراجح بالدليل من غير تعصب لمذهب معين ولا لقول قائل معين لاننا ننظر الى ذات القول لا الى قائله لأن كل كلام فيه مقبول ومردود الا كلامه صلى الله عليه وسلم ومعلوم أن الحق حق ولو كان قائله حقيرا . .

وقد تضمن هذا الكتاب أمورا زائده على ذلك كتحقيق بعض المسائل اللغوية وما يحتاج اليه من صرف واعراب والاستشهاد بشعر العرب وتحقيق

ما يحتاج اليه فيه من المسائل الأصوليه والكلام على أسانيد الأحاديث كما ستراه ان شاء الله تعالى "[1]

وقال أيضا في بيان منهجه رحمه الله تعالى " واعلم أن مما التزمنا في هذا الكتاب المبارك أنه ان كان للآيه الكريمه مبين من القرآن غير واف بالمقصود من تمام البيان فانا نتمم البيان من السنه من حيث انها تفسير للمبين باسم الفاعل "[2] .

وقال أيضا " وربما كان في الآيه الكريمه أقوال كلها حق وكل واحد منها يشهد له قرآن فانا نذكرها ونذكر القرآن ، الدال عليها من غير تعرض لترجيح بعضها لأن كل واحد منها صحيح "[3] .

وقد التزم رحمه الله تعالى بهذا فالتزم تفسير القرآن بالقرآن معتمدا على القراءات السبع متبعدا عن القراءات الشاذه ومستندا الى السنه النبوية الطاهرة معتبرا لأقوال العلماء الثقات ، لا يتعصب لرأى ، ولا يحقر قولا بل ينظر الى ذات القول لا الى قائله ، يستوفى الأقوال ويرجح بالدليل والبرهان ، ان كنت أصوليا وجدت في تفسيره دقائقه ، وان كنت من علماء الحديث وجدت فيه بدائعه ، وان كنت فقيها وجدت فيه وفاءه ، وان كنت من علماء العقيدة وجدت فيه صفاءها ونقاءها بل عقيدة أهل السنة والجماعة التى لا تشوبها شائبه ، وان كنت من علماء كل هذا وجدت فيه رواءك وشفاءك .

---

(١) أضواء البيان فى ايضاح القرآن : محمد الامين الشنقيطي
جـ ١ ص ٣ - ٤

(٢) المرجع السابق : جـ ١ ص ٢٤

(٣) المرجع السابق : جـ ١ ص ٢٠

نماذج من تفسيره :

الاسماء والصفات :

أفرد المؤلف رحمه الله تعالى آيات الأسماء والصفات برسالة خاصه بين فيها أن كثرة الخوض والتعمق في البحث في آيات الصفات وكثرة الاسئله في ذلك الموضوع من البدع التي يكرهها السلف .[١]

ثم أجمل الحديث عن آيات الصفات فقال عنها : دل القرآن العظيم أنه ـ أي مبحث آيات الصفات ـ يتركز على ثلاثة أسس من جاء بها كلها فقد وافق الصواب وكان على الاعتقاد الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والسلف الصالح ومن أخل بواحد من تلك الأسس الثلاثه فقد ضل :ـ وكل هذه الأسس الثلاثه يدل عليها قرآن عظيم .

أحد هذه الاسس الثلاثه هو تنزيه الله عز وجل وعلا عن أن يشبه شيء من صفاته شيئا من صفات المخلوقين وهذا الأصل يدل عليه قوله تعالى (ليس كمثله شيء)[٢] (ولم يكن له كفوا أحد)[٣] (فلا تضربوا لله الامثال)[٤] .

الثاني من هذه الاسس : هو الايمان بما وصف الله به نفسه لانه لا يصف الله أعلم بالله من الله (أأنتم اعلم أم الله)[٥] والايمان بما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لأنه لا يصف الله بعد الله أعلم بالله من رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال في حقه : (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى)[٦] [٧]

---

(١) منهج ودراسات لآيات الاسماء والصفات: ص ٥ تأليف محمد الأمين الشنقيطي
(٢) سورة الشورى : من الآيه ١١
(٣) سورة الاخلاص : الآيه ٤
(٤) سورة النحل : من الآيه ٧٤
(٥) سورة البقره : من الآيه ١٤٠
(٦) سورة النجم : الآيتين ٣ و ٤
(٧) منهج ودراسات لآيات الاسماء والصفات : محمد الامين الشنقيطي ص ٥

ولم يذكر رحمه الله تعالى الأساس الثالث هنا لكنه في آخر بحثه قال " هذه الأسس الثلاثه التى ركزنا عليها البحث وهي :-

١ - تنزيه الله عن مشابهة الخلق .

٢ - الايمان بالصفات الثابته بالكتاب والسنه وعدم التعرض لنفيها .

٣ - قطع الطمع عن ادراك الكيفيه "(١)

ذلكم مجمل موقفه رحمه الله تعالي من آيات الصفات .

اثبات الرؤيه :

أبطل رحمه الله تعالى مذهب المعتزله فى رؤية الله تعالى يوم القيامه واستدلالهم بقوله تعالى " قال رب أرنى انظر اليك قال لن تراني "(٢) فقال " استدل المعتزله النافون لرؤية الله بالأبصار يوم القيامه بهذه الآيه على مذهبهم الباطل ، وقد جاءت آيات تدل على أن نفى الرؤيه المذكوره ، انما هو في الدنيا ، وأما في الآخره فان المؤمنين يرونه جل وعلا بأبصارهم كما صرح الكفار(٣) " كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون "(٤) فانه يفهم من مفهوم مخالفته أن المؤمنين ليسوا محجوبين عنه جل وعلا .

وقد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال في قوله تعالي : " للذين أحسنوا الحسنى وزيادة "(٥) الحسنى : الجنه والزيادة : النظر الى وجه الله الكريم ، وذلك هو أحد القولين في قوله تعالى " ولدينا مزيد "(٦) وقد تواترت الأحاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم :

---

(١) المرجع السابق : ص ٢٧ - ٢٨ وانظر تفسيره اضواء البيان جـ ٢ ص ٢٧٢ - ٢٨٨ فقيه البيان الوافي .

(٢) سورة الاعراف : من الآيه ١٤٣

(٣) هكذا وردت ولعل العباره " كما صرح بحجب الكفار " .

(٤) سورة المطففين : الآيه ١٥

(٥) سورة يونس : من الايه ٢٦

(٦) سورة ق : من الآيه ٣٥

أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامه بأبصارهم ، وتحقيق المقام فى المسأله :
أن رؤية الله جل وعلا بالأبصار : جائزه عقلا فى الدنيا والآخره ،
ومن أعظم الأدلة على جوازها عقلا فى دار الدنيا : قول موسى " رب أرني أنظر اليك " لأن موسى لا يخفي عليه الجائز والمستحيل في حق الله تعالي وأما شرعا فهي جائزه وواقعة فى الآخره كما دلت عليه الآيات المذكورة ، وتواترت به الأحاديث الصحاح وأما في الدنيا فممنوعة شرعا كما تدل عليه آيه الاعراف هذه ، وحديث " انكم لن تروا ربكم حتى تموتو " كما أوضحناه فى كتابنا (دفع ايهام الاضطراب عن آيات الكتاب) [(١)] .

الاستواء :

قدم رحمه الله تعالى لحديثه عن الاستواء بمقدمه وافيه كافيه عن صفات الله تعالى عموما ثم قال وأمثال هذا من الصفات الجامعه كثيره في القرآن . ومعلوم أنه جل وعلا متصف بهذه الصفات المذكورة حقيقة على الوجه اللائق بكماله وجلاله ، وأن ما وصف به المخلوق منها مخالف لما وصف به الخالق ، كمخالفة ذات الخالق جل وعلا لذوات الحوادث ولا اشكال في شيء من ذلك . . الى أن قال . . فاذا حققت كل ذلك علمت أنه جل وعلا وصف نفسه بالاستواء على العرش ، ووصف غيره بالاستواء على بعض المخلوقات فتمدح جل وعلا في سبع آيات من كتابه باستوائه على عرشه ولم يذكر صفة الاستواء الا مقرونه بغيرها من صفات الكمال والجلال القاضيه بعظمته وجلاله جل وعلا وأنه الرب وحده المستحق لأن يعبد وحده . . . . ثم ذكر رحمه الله تعالى الآيات السبع عن الاستواء فى الاعراف وفى سورة يونس وفى سورة الرعد وفى سورة طه وفي سورة الفرقان

---

(١) أضواء البيان : محمد الأمين الشنقيطى جـ ٢ ص ٢٩٧ - ٢٩٨

وفى سورة السجده وسورة الحديد ، ثم قال " وقال جل وعلا فى وصف الحادث بالاستواء على بعض المخلوقات " لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه " [١] " فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك " [٢] الآيه " واستوت على الجودى " [٣] الآيه ونحو ذلك من الآيات وقد علمت مما تقدم أنه لا اشكال في ذلك وأن للخالق جل وعلا استواء لائقا بكماله وجلاله وللمخلوق أيضا استواء مناسب لحاله ، وبين استواء الخالق والمخلوق من المنافاة ما بين ذات الخالق والمخلوق . على نحو " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير " [٤] كما تقدم ايضاحه [٥] .

يد اللـه تعالى :

قال رحمه الله تعالى " كل لفظ دل على صفة الخالق ظاهره المتبادر منه أن يكون لائقا بالخالق منزها عن مشابهة صفات الخلق ، وكذلك اللفظ الدال على صفة المخلوق لا يعقل أن تدخل فيه صفة الخالق ، فالظاهر المتبادر من لفظ اليد بالنسبه للمخلوق هو كونها جارحه وهي عظم ولحم ودم ، وهذا هو الذى يتبادر الى الذهن في نحو قوله تعالى (فاقطعوا ايديهما " [٦] والظاهر المتبادر من اليد بالنسبه للخالق في نحو قوله تعالى " ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى " [٧] انها صفة كمال وجلال ، لائقة بالله جل وعلا ثابته له على الوجه اللائق بكماله وجلاله .... ولا يصح هنا تأويل اليد بالقدره البته لاجماع أهل الحق

---

(١) سورة الزخرف : من الآيه ١٣
(٢) سورة المؤمنون : من الآيه ٢٨
(٣) سورة هود : من الآيه ٤٤
(٤) سورة الشورى : من الآيه ١١
(٥) اضواء البيان : محمد الامين الشنقيطى جـ ٢ ص ٢٨٢ - ٢٨٥ بتلخيص
(٦) سورة المائدة : من الآيه ٣٨
(٧) سورة ص : من الآيه ٧٥

والباطل كلهم على أنه لا يجوز تثنية القدره . ولا يخطر فى ذهن المسلم المراجع عقله دخول الجارحه التى هي عظم ولحم ودم فى معنى هذا اللفظ الدال على هذه الصفة العظيمه من صفات خالق السموات والارض فأعلم أيها المدعي أن ظاهر لفظ اليد في الآيه المذكورة وأمثالها لا يليق بالله لأن ظاهرها التشبيه بجارحة الانسان وأنها يجب صرفها عن هذا الظاهر الخبيث ، ولم تكتف بهذا حتى ادعيت الاجماع على صرفها عن ظاهرها أن قولك هذا كله افتراء عظيم على الله تعالى وعلى كتابه العظيم ، وأنك بسببه كنت أعظم المشبهين والمجسمين وقد جرك شؤم هذا التشبيه الى ورطه التعطيل ، فنفيت الوصف الذى أثبته الله فى كتابه لنفسه بدعوى أنه لا يليق به وأولته بمعنى آخر من تلقاء نفسك بلا مستند من كتاب ولا سنة ولا اجماع ولا قول أحد من السلف . وماذا عليك لو صدقت الله وآمنت بما مدح به نفسه على الوجه اللائق بكماله وجلاله من غير كيف ولا تشبيه ولا تعطيل ؟ وبأى موجب سوغت لذهنك أن يخطر فيه صفة المخلوق عند ذكر صفة الخالق ؟ هل تلتبس صفة الخالق بصفة المخلوق عن أحد [1] ؟ حتى يفهم صفة المخلوق من اللفظ الدال على صفة الخالق ؟ فاخش الله يا انسان واحذر من التقول على الله بلا علم ، وآمن بما جاء في كتاب الله مع تنزيه الله عن مشابهة خلقه واعلم أن الله الذى أحاط علمه بكل شيء لا يخفى عليه الفرق بين الوصف اللائق به والوصف غير اللائق به حتى يأتى انسان فيتحكم في ذلك فيقول هذا الذى وصفت به نفسك غير لائق بك وأنا أنفيه عنك بلا مستند منك ولا من رسولك وآتيك بدله بالوصف اللائق بك . فاليد مثلا التى وصفت بها نفسك

---

(١) هكذا وردت ولعلها (عند أحد) .

لا تليق بك لدلالتها على التشبيه بالجارحه ، وأنا أنفيها عنك نفيا باتـــا ، وأبد لها لك بوصف لائق بك وهو النعمه أو القدره مثلا أو الجود !! سبحانك هذا بهتان عظيم" .(١)

وقال أيضا " فان قيل : ان هذا القرآن العظيم نزل بلسان عربي مبين والعرب لا تعرف في لغتها كيفيه لليد مثلا الا كيفية المعاني المعروفه عند ها كالجارحه وغيرها من معاني اليد المعروفه في اللغه فبينوا لنا كيفية لليد ملائمة لما ذكرتم فالجواب من وجهين :-

الوجه الأول : أن العرب لا تدرك كيفيات صفات الله من لغتهـا ، لشدة منافاة صفة الله لصفة الخلق ، والعرب لا تعرف عقولهم كيفيات الا لصفات الخلق فلا تعرف العرب كيفية للسمع والبصر الا هذه المشاهدة في حاسة الأذن والعين ، أما سمع لا يقوم بأذن ، وبصر لا يقوم بحدقه ، فهذا لا يعرفون له كيفية البتة ، فلا فرق بين السمع والبصر ، وبين اليد والاستواء ، فالذى تعرف كيفيته العرب من لغتها من جميع ذلك هو المشاهد في المخلوقات . وأما الذى اتصف الله به من ذلك فلا تعرف له العرب كيفية ، ولا حدا لمخالفة صفاته لصفات الخلق الا أنهم يعرفون من لغتهم أصل المعنى ، كما قال الامام مالك رحمه الله : الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعه ، كما يعرفون من لغتهم أن بين الخالق والمخلوق والرزق والمرزوق والمحيي والمحيا ، والمميت والممات فوارق عظيمه لا حد لها ، تستلزم المخالفة التامه بين صفقات الخالق والمخلوق .

الوجه الثانى : أن نقول لمن قال : بينوا لنا كيفية لليد ملائمه لما ذكرتم من كونها صفه كمال وجلال منزهه عن مشابهه جارحه المخلوق :

---

(١) أضواء البيان : محمد الأمين الشنقيطي جـ ٧ ص ٤٤٤ - ٤٤٦ بتلخيص .

هل عرفت كيفية الذات المقدسة المتصفه باليد ، فلا بد أن يقول : لا . فان قال ذلك قلنا : معرفة كيفية الصفات تتوقف على معرفة كيفية الذات فالذات والصفات من باب واحد ، فكما أن ذاته جل وعلا تخالف جميع الذوات فان صفاته تخالف جميع الصفات ، ومعلوم أن الصفات تختلف وتتباين باختلاف موصوفاتها ، ألا ترى مثلا أن لفظ رأس كلمة واحده ؟ ان أضفتها الى الانسان فقلت رأس الانسان ، والى الوادى فقلت رأس الوادى ، والى المال فقلت رأس المال ، والى الجبل فقلت رأس الجبل . فان كلمة رأس اختلفت معانيها وتباينت تباينا شديدا بحسب اختلاف اضافتها مع أنها في مخلوقات حقيره . فما بالك بما أضيف من الصفات الى الله وما أضيف منها الى خلقه فانه يتباين كتباين الخالق والمخلوق ، كما لا يخفى ".(١)

سلامة القرآن من التحريف :

قال رحمه الله تعالى فى تفسير قوله تعالى " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون "(٢)

" بين تعالى في هذه الآيه الكريمه أنه هو الذى نزل القرآن العظيم وأنه حافظ له من أن يزاد فيه أو ينقص أو يتغير منه شيء أو يبدل ، وبين هذا المعنى في مواضع أخر كقوله "وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد"(٣) وقوله " لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه " الى قوله " ثم ان علينا بيانه "(٤) وهذا هو الصحيح في معنى هذه الآيه أن الضمير في قوله" وانا له لحافظون " راجع الى الذكر

---

(١) اضواء البيان : محمد الأمين الشنقيطي جـ ٧ ص ٤٤٩ - ٤٥١
(٢) سورة الحجر : الآيه ٩
(٣) سورة فصلت : الآيه ٤٢
(٤) سورة القيامه : الآيات ١٦ - ١٩

الذى هو القرآن وقيل الضمير راجع الى النبى صلى الله عليه وسلم كقوله " والله يعصمك من الناس " [١] والأول هو الحق كما يتبادر من ظاهر السياق . [٢]

ظاهر القرآن :

عند قوله تعالى " أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها " [٣] رد رحمه الله تعالي على الذين يصرفون آيات القرآن الكريم عن ظاهرها حتى زعم أحدهم أن العلماء قالوا أن الاخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر ، رد رحمه الله تعالى على هذا الزعم ونحوه فقال " من هم العلماء الذين قالوا ان الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر ؟ سموهم لنا ، وبينوا لنا من هم ؟ والحق الذى لا شك فيه أن هذا القول لا يقوله عالم ، ولا متعلم لأن ظواهر الكتاب والسنة هي نور الله الذى أنزله على رسوله ليستضاء به فى أرضه وتقام به حدوده ، وتنفذ به أوامره ، وينصف به بين عباده في أرضه ، والنصوص القطعيه التى لا احتمال فيها قليلة جدا لا يكاد يوجد منها الا أمثلة قليلة جدا كقوله تعالى " فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كامله " [٤] والغالب الذى هو الأكثر هو كون نصوص الكتاب والسنة ظواهر ، وقد أجمع جميع المسلمين على أن العمل بالظاهر واجب حتى يرد دليل شرعى صارف عنه ، الى المحتمل المرجوح ، وعلى هذا كل من تكلم في الأصول . فتنفير الناس وابعادها عن كتاب الله وسنة رسوله بدعوى أن الأخذ بظواهرهما من أصول الكفر هو من أشنع الباطل وأعظمه كما ترى وأصول الكفر يجب على كل مسلم أن يحذر منها كل الحذر ويتباعد منها كل التباعد ويتجنب أسبابها كل الاجتناب

---

(١) سورة المائدة : من الآيه ٦٧
(٢) اصواء البيان : محمد الأمين الشنقيطى جـ ٣ ص ١٠٧
(٣) سورة محمد : الآيه ٢٤
(٤) سورة البقره : من الآيه ١٩٦

فيلزم على هذا القول المنكر الشنيع وجوب التباعد من الأخذ بظواهر الوحى " . [(١)]

وفى تفسير قوله تعالى " وما يعلم تأويله الا الله " [(٢)] قال" وحاصل تحرير مسألة التأويل عند أهل الاصول أنه لا يخلو من واحده من ثلاث حالات بالتقسيم الصحيح .

الاولى : أن يكون صرف اللفظ عن ظاهره بدليل صحيح في نفس الأمر يدل على ذلك ، وهذا هو التأويل المسمى عندهم بالتأويل الصحيح والتأويل القريب . . . . . ثم ضرب له مثالا .

الحالة الثانية : أن يكون صرف اللفظ عن ظاهره لأمر يظنه الصارف دليلا وليس بدليل فى نفس الأمر وهذا هو المسمى عندهم بالتأويل الفاسد والتأويل البعيد . . . . ثم ضرب لها مثالا .

ا الحالة الثالثة : أن يكون صرف اللفظ عن ظاهره لا دليل له أصلا ، وهذا يسمى في اصطلاح الأصوليين لعبا كقول بعض الشيعه " ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة " [(٣)] يعنى عائشه رضى الله عنها " . [(٤)]

الامامة :

في تفسير قوله تعالى " واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفه " [(٥)] قال (قال مقيده (عفا الله عنه) من الواضح المعلوم من ضرورة الدين أن المسلمين يجب عليهم نصب امام تجتمع به الكلمة وتنفذ به أحكام الله في أرضه . ولم يخالف فى هذا الا من لا يعتد به . . . . وأكثر العلماء على أن وجوب الامامة الكبرى بطريق الشرع كما دلت عليه الآيه

---

(١) أضواء البيان : محمد الأمين الشنقيطي جـ ٧ ص ٤٤٢ - ٤٤٣
(٢) سورة آل عمران : من الآيه ٧
(٣) سورة البقرة : من الآيه ٦٧
(٤) أضواء البيان : محمد الأمين الشنقيطي جـ ١ ص ٢٣٤ - ٢٣٥
(٥) سورة البقرة : من الآيه ٣٠

المتقدمه وأشباهها واجماع الصحابه رضى الله عنهم ، ولأن الله قد يزع بالسلطان ما لا يزعه بالقرآن وكما قال تعالى " ولقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس "(١) لأن قوله " وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد " فيه اشارة الى أعمال السيف عند الاباء بعد اقامة الحجه . . . .
وأعلم أن ما تتقوله الاماميه من المفتريات على أبي بكر وعمر وأمثالهم من الصحابه ، وما تتقوله في الاثني عشر اماما ، وفي الامام المنتظر المعصوم ونحو ذلك من خرافاتهم وأكاذيبهم الباطله كله باطل لا أصل له ، واذا أردت الوقوف على تحقيق ذلك فعليك بكتاب " منهاج السنه النبويه في نقض كلام الشيعه والقدريه " للعلامه الوحيد الشيخ تقى الدين أبي العباس بن تيميه - تغمده الله برحمته - فانه جاء فيه بما لا مزيد عليه من الادلة القاطعه والبراهين الساطعه على ابطال جميع تلك الخرافات المختلفه "(٢) .

لا رجعة قبل يوم القيامه :

قال رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى " يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل "(٣) بين تعالى فى هذه الآيه الكريمه أن الكفار اذا عاينوا الحقيقه يوم القيامه يقرون بأن الرسل جاءت بالحق ويتمنون أحد أمرين أن يشفع لهم شفعاء فينقذوهم ، أو يردوا الى الدنيا ليصدقوا الرسل ويعملوا بما يرضى الله ، ولم يبين هنا هل يشفع لهم أحد ؟ وهل يردون ؟ وماذا يفعلون لوردوا ؟ وهل اعترافهم ذلك بصدق الرسل ينفعهم ؟ ولكنه تعالى بين ذلك كله في مواضع أخر ،

(١) سورة الحديد : من الآيه ٢٥
(٢) أضواء البيان : محمد الأمين الشنقيطي جـ ١ ص ٥٠ - ٥١
(٣) سورة الاعراف : من الآيه ٥٣

فبين أنهم لا يشفع لهم أحد بقوله " فما لنا من شافعين " (١) الآيه ،
وقوله " فما تنفعهم شفاعة الشافعين " (٢) وقوله " ولا يشفعون الا لمن
ارتضى" (٣) مع قوله " ولا يرضى لعباده الكفر " (٤) وقوله " فان الله
لا يرضى عن القوم الفاسقين " (٥) . وبين أنهم لا يردون في مواضع
متعدده كقوله " ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم ، ربنا
ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون . ولو شئنا لآتينا كل
نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس
اجمعين " (٦) فقوله " ولكن حق القول منى لأملأن جهنم " الآيه .
دليل على أن النار وجبت لهم فلا يردون ولا يعذرون وقوله " وهم
يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل أولم نعمركم
ما يتذكر فيه من تذكر ، وجاءكم النذير " (٧) فصرح بأنه قطع عذرهم في
الدنيا بالامهال مدة يتذكرون فيها وانذار الرسل ، وهو دليل على عدم
ردهم الى الدنيا مرة أخرى وأشار الى ذلك بقوله " أولم تكونوا أقسمتم من
قبل مالكم من زوال " (٨) جوابا لقولهم " أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك
ونتبع الرسل " وقوله " ذلكم بأنه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك
به تؤمنوا " (٩) بعد قوله تعالى عنهم " فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج
من سبيل " (١٠) وقوله " وتراهم يعرضون علينا خاشعين من الذل ينظرون
من طرف خفي " (١١) الآيه . بعد قوله " وترى الظالمين لما رأو العذاب

---

(١) سورة الشعراء : من الآيه ١٠٠
(٢) سورة المدثر : الآيه ٤٨
(٣) سورة الانبياء : من الايه ٢٨
(٤) سورة الزمر : من الآيه ٧
(٥) سورة التوبه : من الآيه ٩٦
(٦) سورة السجده : من الآيه ١٢
(٧) سورة فاطر : من الآيه ٣٧
(٨) سورة ابراهيم : من الايه ٤٤
(٩) سورة غافر : من الآيه ١٢
(١٠) سورة غافر : من الايه ١١
(١١) سورة الشورى : من الايه ٤٥

يقولون هل الى مرد من سبيل " وقوله هنا " قد خسروا أنفسهم " الآيـه بعد قوله فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد " الآيه فكل ذلك يدل علي عدم الرد الى الدنيا وعلى وجوب العذاب ، وأنه لا محيص لهم عنه " (١).

الميزان :

قرر رحمه الله تعالى أن ظاهر القرآن الكريم يدل على تعدد الموازين لكل شخص فقال " وقوله فى هذه الآيه الكريمة " ونضع الموازين" (٢) جمع ميزان وظاهر القرآن تعدد الموازين لكل شخص لقوله " فمن ثقلت موازينه " (٣) وقوله " ومن خفت موازينه " (٣) فظاهر القرآن يدل على أن للعامل الواحد موازين يوزن بكل واحد منها صنف من أعماله كما قال الشاعر :

ملك تقوم الحادثات لعدله   فلكل حادثة لها ميزان

والقاعدة المقرره فى الأصول أن ظاهر القرآن لا يجوز العدول عنه الا بدليل يجب الرجوع اليه وقال ابن كثير فى تفسير هذه الآيه الكريمه : الأكثر علي أنه انما هو ميزان واحد وانما جمع باعتبار تعدد الأعمال الموزونة فيه (٤)

الموالاة والمعاداة :

قال رحمه الله تعالى عند قوله تعالى " لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم " (٥) وما تضمنته هذه الآيه الكريمة من النهي والزجر العظيم عن موالاة أعداء الله جاء موضحا فى آيات أخر كقوله تعالى " قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم

---

(١) أضواء البيان : محمد الأمين الشنقيطي جـ ٢ ص ٢٧٠ - ٢٧١
(٢) سورة الانبياء : من الآيه ٤٧
(٣) سورة القارعه : الآيتين ٦ ، ٨
(٤) أضواء البيان : محمد الأمين الشنقيطى جـ ٤ ص ٥٨٤ - ٥٨٥
(٥) سورة المجادلة : من الآيه ٢٢

انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده " [(١)] وقوله تعالى :- " محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم" [(٢)] وقوله تعالى " فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين " [(٣)] وقوله تعالى " وليجدوا فيكم غلظه " [(٤)] الآية وقوله تعالى " يأيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم " [(٥)] الى غير ذلك من الآيات " [(٦)].

وقال رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى " ومن يتولهم منكم فأنه منهم " [(٧)] ذكر فى هذه الآية الكريمة أن من تولى اليهود والنصارى من المسلمين فأنه يكون منهم بتوليه اياهم وبين في موضع آخر أن توليهم موجب لسخط الله والخلود في عذابه وأن متوليهم لو كان مؤمنا ما تولاهم ، وهو قوله تعالى " ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ، ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون" [(٨)].

ونهى في موضع آخر عن توليهم مبينا سبب التنفير منه وهو قوله " يا أيها الذين آمنوا لاتتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخره كما يئس الكفار من أصحاب القبور ". [(٩)]

الى أن قال رحمه الله تعالى " ويفهم من ظواهر هذه الآيات أن من تولى الكفار عمدا اختيارا رغبة فيهم أنه كافر مثلهم " . [(١٠)]

---

(١) الممتحنه : من الآيه ٤
(٢) سورة الفتح : من الآيه ٢٩
(٣) سورة المائدة : من الآيه ٥٤
(٤) سورة التوبه : من الآيه ١٢٣
(٥) سورة التوبه : من الآيه ٧٣
(٦) اضواء البيان : محمد الأمين الشنقيطى جـ ٧ ص ٨٢٤ - ٨٢٥
(٧) سورة المائده : من الآيه ٥١ (٨) مسورة المائدة : من الايه ٨٠-٨١
(٩) سورة الممتحنه : من الآيه ١٣
(١٠) اضواء البيان : محمد الأمين الشنقيطي : جـ ٢ ص ٩٨ - ٩٩

محبة الصحابة :

قال رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى " والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه " الآيه[١] ولا يخفى أنه تعالى صرح في هذه الآيه الكريمه أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم باحسان وهو دليل قرآني صريح في أن من يسبهم ويبغضهم أنه ضال مخالف لله جل وعلا ، حيث أبغض من رضى الله عنه ، ولا شك أن من أبغض من رضى الله عنه مضاد له جل وعلا ، وتمرد وطغيان ".[٢]

أهل البيت :

رد رحمه الله تعالى على بعض العلماء الذين قالوا ان أزواجه صلى الله عليه وسلم لايدخلن في أهل بيته في قوله تعالى :" انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا "[٣] بأن قرينه السياق صريحة فى دخولهن لأن الله تعالى قال " قل لأزواجك ان كنتن تردن " ثم قال فى نفس خطابه لهن " انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت " ثم قال بعده " واذكرن ما يتلى في بيوتكن " الآيه وقد أجمع جمهور علماء الأصول على أن صورة سبب النزول قطعيه الدخول فلا يصح اخراجها بمخصص .....

والتحقيق ان شاء الله أنهن داخلات فى الآيه وان كانت الآيه تتناول غيرهن من أهل البيت ".[٤]

وبين المراد باذهاب الرجس عنهم فقال " يعنى أنه يذهب الرجس عنهم ويطهرهم بما يأمر به من طاعه الله وينهي عنه من معصيته ، لأن من اطاع

---

(١) سورة التوبه : من الآيه ١٠٠
(٢) أضواء البيان : محمد الأمين الشنقيطى جـ ٢ ص ٤٢٤
(٣) سورة الاحزاب : من الآيه ٣٣
(٤) أضواء البيان : محمد الأمين الشنقيطى جـ ٧ ص ٥٧٧

الله أذهب عنه الرجس وطهره من الذنوب تطهيرا " [(١)] .

أما المراد بالمودة في القربى من قوله تعالى " قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى " [(٢)] فقال " والتحقيق ان شاء الله أن معنى الآيه هو القول الأول (الا المودة في القربي أى الا أن تودوني في قرابتي فيكم وتحفظوني فيها فتكفوا عنى أذاكم وتمنعوني من أذى الناس كما هو شأن أهل القرابات [(٣)] .

القضاء والقدر :

قال رحمه الله تعالى ان في قوله تعالى " وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون " [(٤)] وفي قوله سبحانه " سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا والآباؤنا ولا حرمنا من شيء " [(٥)] وفي قوله سبحانه " وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا " [(٦)] ، اشكال ، ووجه الاشكال أن الله صرح بكذبهم في هذه الدعوى التى ظاهرها حق . وأجاب عن هذا بأن مراد الكفار بقولهم " لوشاء الرحمن ما عبدناهم " وقولهم " لوشاء الله ما أشركنا " مرادهم به أن الله لما كان قادرا على منعهم من الشرك وهدايتهم الى الايمان ولم يمنعهم من الشرك دل ذلك على أنه راض منهم بالشرك في زعمهم قالوا لأنه لو لم يكن راضيا به لصرفنا عنه فتكذيب الله لهم في الآيات المذكورة منصب على دعواهم أنه راض به والله جل وعلا يكذب هذه الدعوى في الآيات المذكورة وفي قوله " ولا يرضى لعباده الكفر " [(٧)] فالكفار زعموا أن الاراده الكونيه القدريه تستلزم الرضى وهو

---

(١) المرجع السابق : جـ ٧ ص ٥٧٩
(٢) سورة الشورى : من الآيه : ٢٣
(٣) أضواء البيان : محمد الأمين الشنقيطي جـ ٧ ص ١٩٢
(٤) سورة الزخرف : الآيه ٢٠
(٥) سورة الانعام : من الآيه ١٤٨
(٦) سورة النحل : من الآيه ٣٥
(٧) سورة الزمر : من الآيه ٧

زعم باطل وهو الذى كذبهم الله فيه في الايات المذكوره .[١]

الى أن قال رحمه الله تعالى " وحاصل هذا أن الله تبارك وتعالي قدر مقادير الخلق قبل أن يخلق الخلق ، وعلم أن قوما صائرون الى الشقاء وقوما صائرون الى السعاده ، فريق فى الجنة وفريق فى السعير.

وأقام الحجة على الجميع ، ببعث الرسل وتأييد هم بالمعجزات التى لا تترك في الحق لبسا فقامت عليهم حجة الله في أرضه لذلك ، ثم انه تعالى وفق من شاء توفيقه ، ولم يوفق من سبق لهم فى علمه الشقاء الأزلي ،[٢] وخلق لكل واحد منهم قدرة وارادة يقدر بها على تحصيل الخير والشر وصرف قدرهم وارادتهم بقدرته وارادته الى ما سبق لهم في علمه من أعمال الخير المستوجبه للسعاده ، وأعمال الشر المستوجبه للشقاء فأتوا كل ما أتوا وفعلوا كل ما فعلوا ، طائعين مختارين غير مجبورين ولا مقهورين " وما تشاءون الا أن يشاء الله "[٣] " قل فلله الحجة البالغه فلو شاء لهداكم أجمعين " .[٤]

وادعاء أن العبد مجبور لا ارادة له ضرورى السقوط عند عامة العقلاء ، ومن أعظم الضروريات الداله عليه أن كل عاقل يعلم أن بين الحركه الاختياريه والحركه الاضطراريه كحركة المرتعش فرقا ضروريا لا ينكره عاقل أنك لو ضربت من يدعي أن الخلق مجبورون ، وفقأت عينه مثلا ، وقتلت ولده واعتذرت له بالجبر فقلت له : أنا مجبور ولا ارادة لي في هذا السوء الذى فعلته بك ، بل هو فعل الله ، وأنا لا دخل لي فيه فانه لا يقبل منك هذه الدعوى بلا شك بل يبالغ فى ارادة الانتقام منك قائلا : ان هذا بارادتك ومشيئتك .

---

(١) أضواء البيان : محمد الامين الشنقيطي جـ ٧ ص ٢٢١ ، ٢٢٢ باختصار
(٢) كذا ولعلها " فى علمه الازلى . الشقاء .
(٣) سورة الانسان : الآيه ٣٠
(٤) سورة الانعام : من الآيه ١٤٩

ومن أعظم الأدلة القطعية الدالة على بطلان مذهب القدرية ، وأن العبد لا يستقل بأفعاله دون قدرة الله ومشيئته ، أنه لا يمكن لأحد أن ينكر علم الله بكل شيء ، قبل وقوعه والآيات والأحاديث الدالة على هذا لا ينكرها الا مكابر ، وسبق علم الله بما يقع من العبد قبل وقوعه برهان قاطع على بطلان تلك الدعوى ، وايضاح ذلك أنك لو قلت للقدرى اذا كان علم الله في سابق أزله تعلق بأنك تقع منك السرقه أو الزنا في محل كذا في وقت كذا ، وأردت أنت بارادتك المستقلة في زعمك دون ارادة الله ألا تفعل تلك السرقه أوالزنا الذى سبق بعلم الله وقوعه ، فهل يمكنك أن تستقل بذلك ؟ وتصير علم الله جهلا ، بحيث لا يقع ما سبق في علمه وقوعه في وقته المحدد له ؟ والجواب بلا شك هو أن ذلك لا يمكن بحال كما قال تعالى " وما تشاؤن الا أن يشاء الله" (١)

انكار البداء على الله جل وعلا :

وفي قوله تعالى " واذا بدلنا آيه مكان آيه والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون " (٢) قال رحمه الله تعالى " ومازعمه المشركون واليهود من أن النسخ مستحيل على الله لأنه يلزمه البداء وهو الرأى المتجدد - ظاهر السقوط واضح البطلان لكل عاقل لأن النسخ لا يلزمه البداء البته ، بل الله جل وعلا يشرع الحكم وهو عالم بأن مصلحته ستنقضي في الوقت المعين ، وأنه عند ذلك الوقت ينسخ ذلك الحكم ويبدله بالحكم الجديد الذى فيه المصلحه فاذا جاء ذلك الوقت المعين أنجز جل وعلا ما كان في علمه السابق من نسخ ذلك الحكم الذى زالت مصلحته بذلك الحكم الجديد الذى فيه المصلحه كما أن حدوث المرض بعد الصحه وعكسه ، وحدوث الغنى بعد الفقر وعكسه ، ونحو ذلك لا يلزم

---

(١) أضواء البيان : محمد الأمين الشنقيطى جـ ٧ ص ٢٢٣ - ٢٢٥
(٢) سورة النحل : الآيه ١٠١

فيه البداء لأن الله عالم بأن حكمته الالهيه تقتضي ذلك التغيير في وقته المعين له على وفق ما سبق في العلم الأزلي كما هو واضح .

وقد أشار جل وعلا الى علمه بزوال المصلحه من المنسوخ وتمحضها في الناسخ بقوله هنا " والله أعلم بما ينزل " وقوله " نأت بخير منها أو مثلها الم تعلم أن الله على كل شيء قدير"(١) وقوله " سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله انه يعلم الجهر وما يخفى"(٢) فقوله " انه يعلم الجهر وما يخفى " بعد قوله " الا ما شاء الله " يدل على أنه أعلم بما ينزل ، فهو عالم بمصلحة الانساء ومصلحة تبديل الجديد من الأول المنسى " .(٣)

الشفاعه :

في قوله تعالى " واتقوا يوما لاتجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعه ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون "(٤) قال رحمه الله تعالي " ظاهر هذه الآيه عدم قبول الشفاعه مطلقا يوم القيامه . ولكنه بين في مواضع أخر أن الشفاعه المنفيه هي الشفاعه للكفار والشفاعه لغيرهم بدون اذن رب السموات والأرض ، أما الشفاعه للمؤمنين باذنه فهي ثابته بالكتاب ، والسنه ، والاجماع فنص على عدم الشفاعه للكفار بقوله " ولا يشفعون الا لمن ارتضى "(٥) وقد قال " ولا يرضى لعباده الكفر"(٦) . . . الى أن قال " هذا الذى قررنا من أن الشفاعه للكفار مستحيلة شرعا مطلقا يستثنى منه شفاعته صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب في نقله من محل من النار الى محل آخر منها . كما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيح فهذه الصوره التي ذكرنا من تخصيص الكتاب بالسنه " .(٧)

---

(١) البقرة الايــة ١٠٦ . (٢) الاعلى الايــه ٦ ، ٧
(٣) أضواء البيان : محمد الامين الشنقيطي جـ ٣ ص ٣٢٨
(٤) سورة البقـره : الآيــه ٤٨
(٥) سورة الانبيـاء : من الآيه ٢٨ (٦) سورة الزمر : من الآيه ٧
(٧) اضواء البيان : محمد الامين الشنقيطى جـ ١ ص ٦٤- ٦٥

دقته في استخراج الأحكام :

الى جانب التزامه رحمه اللهتعالى منهج أهل السنه والجماعه في التفسير فان الله قد آتاه قسطا وافرا من فهم العميق وعميق الفهم يدرك به مدلول الاشاره ، ويغوص به في دقائق الأمور فيجلوها ويوضح ما لا يفطن اليه الا مثله ، ولهذا نضرب مثالا :

أينا يفهم من قوله تعالى "اهدنا الصراط المستقيم ،صراط الذين أنعمت عليهم (سورةالفاتحهآيه ٧)" أينا يفهم دلالتها على صحة امامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ولنقرأ له رحمه الله تعالى تقرير ذلك حيث قال " يؤخذ من هذه الآيه صحة امامة أبي بكر الصديق رضى الله عنه لأنه داخل فيمن أمرنا الله فى السبع المثاني والقرآن العظيم - أعنى الفاتحه - بأن نسأله أن يهدينا صراطهم . فدل ذلك على أن صراطهم هو الصراط المستقيم وذلك في قوله " اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم " وقد بين الذين أنعم عليهم فعد منهم الصديقين .[1] وقد بين صلى الله عليه وسلم أن أبا بكر رضى الله عنه من الصديقين فاتضح أنه داخل في الذين أنعم الله عليهم الذين أمرنا الله أن نسأله الهداية الى صراطهم فلم يبق لبس فى أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه على الصراط المستقيم وأن امامته حق " .[2]

وهاك مثالا آخر فى استنباطه الفقهي فمن قول هارون لأخيه موسى عليهما السلام " يبنؤم لا تأخذ بلحيتى "[3] استنبط رحمه الله تعالى لزوم اعفاء اللحيه واليك البيان " هذه الآيه الكريمه بضميمة آيه

---

(١) وذلك في قوله تعالى " ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا " ٦٩ النساء .

(٢) اضواء البيان : محمد الأمين الشنقيطى جـ ١ ص ٣٦

(٣) سورة طه : من الآيه ٩٤

الانعام اليها تدل على لزوم اعفاء اللحيه فهى دليل قرآني على اعفاء اللحيه وعدم حلقها وآية الأنعام المذكوره هي قوله تعالى " ومن ذريته داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهارون " الآيه ثم انه تعالى قال بعد أن عد الأنبياء الكرام المذكورين " أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده " (١) فدل ذلك على أن هارون من الأنبياء الذين أمر نبينا صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بهم ، وأمره صلى الله عليه وسلم بذلك أمر لنا لأن أمر القدوه أمر لاتباعه كما بينا ايضاحه بالادله القرآنيه فى هذا الكتاب المبارك فى سورة المائده . . . .

فاذا علمت بذلك أن هارون من الأنبياء الذين أمر نبينا صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بهم فى سورة الانعام وعلمت أن أمره أمر لنا لأن لنا فيه الاسوه الحسنه وعلمت أن هارون كان موفرا شعر لحيته بدليل قوله لأخيه " لاتأخذ بلحيتي " لأنه لوكان حالقا لما أراد أخوه الأخذ بلحيته تبين لك من ذلك بايضاح أن اعفاء اللحيه من السمت الذى أمرنا به فى القرآن العظيم وأنه كان سمت الرسل الكرام صلوات الله وسلامه عليهم " (٢). ومثل هذا عنده كثير .

هذان مثالان فيهما بيان دقته فى الاستنباط وهو قصدنا ، ولمن أراد مزيد علم فليرجع الى تفسيره رحمه الله تعالى ففيه بغيته .

وبعد

ذلكم تفسير أضواء البيان فى ايضاح القرآن بالقرآن ما رأيت تفسيرا قديما أو حديثا فسر القرآن بالقرآن مثله لايكاد يتناول آيه قرآنيه الا وبين ما تدل عليه ومالاتدل عليه ثم أورد الآيات التى تكشف مالم تدل عليه الآية الأولى فأصبحت الآيات مجتمعه كالسبيكه الواحده تجلو كل ابهام وتوضح كل غامض .

---

(١) سورة الانعام : من الآيه ٩٠

(٢) أضواء البيان : محمد الأمين الشنقيطى جـ ٤ ص ٥٠٦ - ٥٠٧

ولا يعدل عن ظاهر القرآن الكريم الا بدليل وقد رد ردودا طويلة على أولئك الذين يصرفون آيات القرآن عن ظاهرها لالشئ الا لشئ توهموه في صدورهم كبعض الصفات مثلا ، أولدليل حسبوه يعارض الظاهر فأذا به يجلو هذا الاشتباه فاذا بالتعارض قد زال بل ذاب كما يذوب الملح في الماء .

وفصل رحمه الله تعالى آيات الأحكام تفصيلا موسعا كدت أقول لا مزيد عليه فيه بغيه كل باحث ومراد كل فقيه .

أما أصول الفقه فهو الخبير فيه ، لا تكاد تمر آيه قرآنيه فيها لاهل الاصول معترك الا ودخل فيها وخرج والأنظار ترمقه هممت ان أذكر مثالا فاذا بالأمثله تصطرع ولم استطع الحكم لأحدها فلينزل من أراد وردة الى الحديقه وليقتطف منها ما شاء .

أما مباحث اللغهوالبلاغه والبيان ففيه منها ما يوقفك متربعا على عرش الاقتناع .

ليس ما قلته وما لم أقله أيضا مصدره عين الرضا التي تكل عن كل عيب ولكنه عين ما رأيته حقا فوجب قوله ورأيت في ذكر المحاسن الأخرى اطالة فسكت عنها ولو كان لي من الأمر شئ لقررته في كلياتنا الشرعية منها ليدرك به طلبة العلم الشرعي رائحة علماء السلف في استقامتهم وفي سعة أفقهم وأنها لا تزال قريبه منهم فيشمروا عن سواعد الجد والطلب وما ذلك على الله بعزيز .

رحم الله الشيخ ووفق الله طلبه العلم لخدمة هذا التفسير الجليل اذ لا يزال بحاجة ماسة الى الترقيم والفهرسه ونحوها والله الموفق .

ثانيا : تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان

صاحب التفسير :

هو الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدى الناصرى التميمى الحنبلي . ولد في مدينة عنيزه بالقصيم سنة ١٣٠٧ توفيت والدته وهو فى الرابعة ثم والده وهو فى الثانية عشره فكفلته زوجة والده وعطفت عليه أكثر من عطفها على أولادها وادخلته مدرسة تحفيظ القرآن فحفظه فى الرابعه عشرة من عمره .

ثم اشتغل بطلب علم التوحيد والتفسير والحديث والفقه وأصوله والنحو فقرأ الكتب وحفظ المتون ، الى أن بلغ الثالثه والعشرين من عمره فجلس للتدريس فكان يعلم ويتعلم واشتهر بعلمه وارتفع قدره فأقبل طلبة العلم عليه وتلقى العلوم والمعارف عنه واشتهر عدد من تلاميذه .

وفاته :

توفي رحمه الله تعالى قبل فجر الخميس ٢٢ جمادى الآخره سنة ١٣٧٦ بسبب نزيف فى المخ اصابه يوم الأربعاء وقد أرسل الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله تعالى طائرة تحمل الأطباء لعلاجه ولسوء الأحوال الجويه ذلك اليوم لم تستطع الطائره الهبوط على أرض المطار .

مؤلفاته :

ترك رحمه الله تعالى عددا كبيرا من المؤلفات العلمية طبع أكثرها على نفقته ووزعها مجانا وما زال بعضها مخطوطا لم يطبع ، ومن أهم مؤلفاته :

١ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، وهو موضوع بحثنا هنا وسنفرده بالدراسه .

٢ - تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ، وهو خلاصة التفسير المطول السابق .

٣ - فوائد قرآنيه . لخصها بعض الباحثين من خلاصة التفسير السابق

٤ - القواعد الحسان لتفسير القرآن ، ذكر فيه سبعين قاعده تعين علي فهم كلام الله والاهتداء به ، وتفتح له من طرق التفسير ومنهاج الفهم عن الله ما يغنى عن كثير من التفاسير الخاليه من هذه البحوث النافعه ، طبع الكتاب بمطبعة أنصار السنة المحمديه ، بتصحيح محمد حامد الفقى سنة ١٣٦٦ هـ .

٥ - المواهب الربانيه من الآيات القرآنيه

وهي فوائد فتح الله عليه بها فى شهر رمضان سنة ١٣٤٧هـ فقيدها طبع طبعة جديدة سنة ١٤٠٢ .

٦ - فوائد مستنبطه من قصة يوسف .

وافق الفراغ من تأليفها شهر صفر سنة ١٣٧٥ وطبعت فى نفس السنه .

٧ - الدلائل القرآنيه فى أن العلوم والأعمال النافعه العصرية داخله فى الدين الاسلامي .

وهي رساله صغيره فى حجمها تقع في خمسين صفحه من القطع الصغير كتبها فى محرم سنة ١٣٧٥ وطبعت بمطابع الرياض سنة ١٣٧٦ .

٨ - التنبيهات اللطيفه فيما احتوت عليه الواسطيه من المباحث المنيفه وعليها منتخبات من تقارير الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، ثم الفراغ منها فى جماد الأول سنة ١٣٦٩ طبعت بدون تاريخ .

٩ - الفواكه الشهيه فى الخطب المنبريه .

طبعت سنة ١٣٧٢ هـ .

١٠- ارشاد أولي البصائر والألباب لنيل الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب بطريق مرتب على السؤال والجواب .

طبع الطبعه الأولى سنة ١٣٦٥ والطبعه الثانيه سنة ١٤٠٠هـ .

١١ - الفتاوى السعديه

وهي مجموعه فتاوى وكتابات وأسئله وأجوبه كتبها رحمه الله تعالي بيده جمعها بعض محبيه وطبعت الطبعه الاولى سنة ١٣٨٨ والثانيه سنة ١٤٠٢هـ .

هذه بعض مؤلفاته رحمه الله تعالى التى تجاوزت الثلاثين مؤلفا ، نفع الله بها وغفر له انه سميع مجيب .[1]

التفسير :

يقع تفسيره " تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان " في سبعة مجلدات ، وقد فرغ رحمه الله تعالى من تأليفه سنة ١٣٤٤ وصدرت طبعته الاولى سنة ١٣٦٥ بمطبعة الترقي بدمشق ووزع مجانا على نفقة المؤلف .

ثم صدرت طبعته الثانية بالمطبعه السلفيه بالقاهره .

وصدرت طبعته الثالثه بالرياض بدون تاريخ ولكن فيها ما يستدل به على أن طبعها كان سنة ١٩٧٦ م وسنة ١٩٧٧ م .

وهذا التفسير وهو وان كان شاملا لآيات القرآن الكريم كلها الا أنه ليس من التفاسير المطوله وتحدث رحمه الله تعالى عن ذلك فقال : -

" كثرت تفاسير الأئمه رحمهم الله لكتاب الله فمن مطول خارج في أكثر بحوثه عن المقصود، ومن مقتصريقتصر على حل بعض الألفاظ اللغوية بقطع النظر عن المراد ، وكان الذى ينبغي في ذلك أن يجعل المعنى هو المقصود ، واللفظ وسيلة اليه فينظر في سياق الكلام وما سيق لأجله ويقابل بينه وبين نظيره في موضع آخر ، ويعرف أنه سبق لهداية الخلق كلهم ، عالمهم وجاهلهم حضريهم وبدويهم ، فالنظر لسياق الآيات مع العلم بأحوال

---

(١) لخصنا هذه الترجمه من كتاب مشاهير علماء نجد وغيرهم . تأليف عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ومن قرآءتي الخاصه لمؤلفاته . وانظر ترجمته في الاعلام : للزركلي ومعجم المؤلفين ، عمر رضا كحاله .

الرسول وسيرته مع أصحابه وأعدائه وقت نزوله من أعظم ما يعين على ما يعين على معرفته وفهم المراد منه خصوصا اذا انضم الى ذلك معرفة علوم العربية على اختلاف أنواعها .

فمن وفق لذلك لم يبق عليه الا الاقبال على تدبره وتفهمه وكثرة التفكر في ألفاظه ومعانيه ولوازمها وما تتضمنه وما تدل عليه منطوقا ومفهوما ، فاذا بذل وسعه في ذلك فالرب أكرم من عبده ، فلا بد أن يفتح عليه من علومه أمورا لا تدخل تحت كسبه .

ولما منّ الباري عليّ وعلى اخواني بالاشتغال بكتابه العزيز بحسب الحال اللائقة بنا ، أحببت أن أرسم من تفسير كتاب الله ما تيسر ، وما من به الله علينا ليكون تذكرة للمحصلين وآلة للمستبصرين ، ومعونة للسالكين ، ولأقيده خوف الضياع ، ولم يكن قصدى فى ذلك الا أن يكون المعنى هو المقصود ، ولم أشتغل في حل الألفاظ والعقود ، للمعنى الذى ذكرت . ولأن المفسرين قد كفوا من بعدهم فجزاهم الله عن المسلمين خيرا " (١)

قلت وجزاه الله أيضا خيرا ومع التزامه بما قال من الاكتفاء بأقوال المفسرين السابقين عن الاطناب في حل ألفاظ القرآن الكريم وتفسيره فان تفسيره يقع في سبعة مجلدات وذلك بسبب طريقه أحسبها خاصة به نبه بنفسه عليها فى مقدمته فقال أعلم أن طريقتى في هذا التفسير أني أذكر عند كل آيه ما يحضرني من معانيها ، ولا أكتفي بذكرى ما تعلق بالمواضع السابقه عن ذكر ما تعلق بالمواضع اللاحقه لأن الله وصف هذا الكتاب أنه " مثاني " تثنى فيه الأخبار والقصص والأحكام وجميع المواضيع النافعه لحكم عظيمه ، وأمر بتدبره جميعه لما في ذلك من زيادة العلوم والمعارف وصلاح الظاهر والباطن واصلاح الأمور كلها " (٢).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن : عبد الرحمن بن ناصر السعدى جـ ١ ص ١٢-١٤
(٢) المرجع السابق : جـ ١ ص ٢

وقد التزم رحمه الله تعالى بما رسم لنفسه من منهج فجاء تفسيره وسطا بين طويل التفاسير ومختصره .

نماذج من تفسيره :

رؤية الله :

قال رحمه الله تعالى مثبتا لرؤية الله يوم القيامه عند تفسير قوله تعالى " ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارنى انظر اليك قال لن تراني "(١) الآيه قال : -
أى لن تقدر الآن على رؤيتى فان الله تبارك وتعالى أنشأ الخلق فى هذه الدار على نشأة لا يقدرون بها ولا يثبتون لرؤية الله ، وليس في هذا ، دليل علي أنهم لا يرونه في الجنه ، فأنه قد دلت النصوص القرآنيه والأحاديث النبويه على أن أهل الجنة يرون ربهم تبارك وتعالى ، ويتمتعون بالنظر الى وجهه الكريم وأنه ينشئهم نشأه كامله يقدرون معها علي رؤية الله تعالى "(٢) . وبين في موضع آخر أنهم ينظرون الى ربهم حسب مراتبهم فقال فى تفسير قوله تعالى " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظره "(٣) أى ينظرون الى ربهم على حسب مراتبهم ومنهم من ينظره كل يوم بكرة وعشيا ، ومنهم من ينظر كل جمعة مرة واحدة "(٤) .

وفسر الزياده فى قوله تعالى " للذين أحسنوا الحسنى وزياده "(٥) بالنظر الى وجهه الكريم فقال " وهي النظر الى وجه الله الكريم ، وسماع كلامه والفوز برضاه والبهجة بقربه فبهذا حصل أعلى ما يتمناه المتمنون ، ويسأله السائلون "(٦) .

---

(١) سورة الاعراف : من الآيه ١٤٣
(٢) تيسير الكريم الرحمن : عبد الرحمن السعدى جـ ٣ ص : ٨٧
(٣) سورة القيامه : الآيتين ٢٢ - ٢٣
(٤) تيسير الكريم الرحمن : عبد الرحمن السعدى جـ ٧ ص ٥٢٦
(٥) سورة يونس : من الآيه ٢٦
(٦) تيسير الكريم الرحمن : عبد الرحمن السعدى جـ ٣ ص ٣٤٥

الاستواء :

فى قوله تعالى " ثم استوى على العرش" [١] قال " استوى استواءا يليق بجلاله ، وعظمته وسلطانه [٢] وقال في موضع آخر " استواءا يليق بجلاله فوق جميع خلقه . [٣]

العرش :

قال عنه رحمه الله تعالى " العرش الذى هو سقف المخلوقات وأعلاها وأوسعها وأجملها [٤] وقال فى موضع آخر العرش العظيم الذى يسع السموات والأرض وما فيهما وما بينهما . [٥]

سلامة القرآن الكريم من التحريف :

فى تفسير قوله تعالى " لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد " [٦] قال أى لا يقربه شيطان من شياطين الانس والجن لا بسرقه ولا بادخال ماليس منه به ، ولا بزياده ولا نقص فهو محفوظ فى تنزيله ، محفوظه الفاظه ومعانيه ، قد تكفل من أنزله بحفظه كما قال تعالي " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون " [٧] [٨] وقال في تفسير هذه الآيه الأخيره " وانا له لحافظون أى فى حال انزاله وبعد انزاله ، ففي حال انزاله حافظون له من استراق كل شيطان رجيم ، وبعد انزاله أودعه الله في قلب رسوله واستودعه في قلوب أمته وحفظ الله

---

(١) سورة الاعراف : من الآيه ٥٤
(٢) المرجع السابق : جـ ٣ ص ٣٨
(٣) المرجع السابق : جـ ٧ ص ٢٨٣
(٤) المرجع السابق : جـ ٥ ص ٤٨٩
(٥) المرجع السابق : جـ ٣ ص ٣٨
(٦) سورة فصلت : الآيه ٤٢
(٧) سورة الحجر : الآيه ٩
(٨) المرجع السابق : جـ ٦ ص ٥٨٢

الفاظه من التغيير فيها والزياده والنقص ومعانيه من التبديل ، فلا يحرف محرف معنى من معانيه الا وقيض الله له من يبين الحق المبين ، وهذا من أعظم آيات الله ونعمه على عباده المؤمنين ، ومن حفظه أن الله يحفظ أهله من أعدائهم ولا يسلط عدوا يجتاحهم " [1] .

كلام الله غير مخلوق :

فى تفسير قوله تعالى " واذ قال ربك للملائكه انى جاعل فى الارض خليفه " الايات [2] قال رحمه الله تعالى " وفى هذه الآيات من العبر والآيات اثبات الكلام لله تعالى وأنه لم يزل متكلما يقول ما شاء ويتكلم بما شاء وانه عليم حكيم " [3] وفي قوله تعالى " وكلم الله موسى تكليما" [4] قال أى مشافهه منه اليه لا بواسطه حتى اشتهر بهذا عند العالمين فيقال موسى كليم الرحمن [5] وقال في موضع آخر " وأما كلام الله فانه من جملة صفاته ، وصفاته غير مخلوقه ، ولا لها حد ولا منتهى " . [6]

لا رجعة لاحد قبل يوم القيامه :

قال رحمه الله تعالى فى تفسير قوله تعالى " حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت " [7] يخبر تعالى عن حال من حضره الموت من المفرطين الظالمين أنه يندم في تلك الحال اذا رأى مآله وشاهد قبح أعماله فيطلب الرجعه الى الدنيا لا للتمتع بلذاتها واقتطاف شهواتها وإنما ذلك ليقول (لعلي أعمل صالحا فيما تركت) من العمل وفرطت في جنب الله (كلا) أى لا رجعة له ولا امهال قد قضى الله أنهم اليها لا يرجعون " . [8]

---

(١) المرجع السابق : جـ٤ ص ١٥٨
(٢) سورة البقرة : الآيات ٣٠ - ٣٤
(٣) المرجع السابق : جـ١ ص ٧٣
(٤) سورة النساء : من الآيه ١٦٤
(٥) المرجع السابق : جـ٢ ص ٢١٨ (٦) المرجع السابق : جـ٥ ص ٨٦
(٧) سورة المؤمنون : الآيتين ٩٩ - ١٠٠
(٨) المرجع السابق : جـ٥ ص ٣٧٩

وقال في تفسير قوله تعالى " وترى الظالمين لما رأو العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل "[١] أى هل لنا طريق أو حيله الى رجوعنا الى الدنيا لنعمل غير الذى كنا نعمل ، وهذا طلب للأمر المحال الذى لايمكن " .[٢]

أصحاب الكبائر :

فى الوعيد لمن قتل مؤمنا متعمدا المنصوص عليه بقوله تعالى " ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما "[٣] قال رحمه الله تعالى " وهذا الوعيد له حكم أمثاله من نصوص الوعيد على بعض الكبائر والمعاصى بالخلود فى النار أو حرمان الجنه ، وقد اختلف الائمه رحمهم الله فى تأويلها ، مع اتفاقهم على بطلان قول الخوارج والمعتزله الذين يخلدونهم فى النار ، ولو كانوا موحدين "[٤] ثم نقل قولا لابن القيم رحمه الله تعالى بين فيه موقف أهل السنه والجماعه المعروف من أصحاب الكبائر .

أما في تفسير قوله تعالى " بلى من كسب سيئه واحاطت به خطيئته فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون "[٥] فقال رحمه الله تعالى فيها " وقد احتج بها الخوارج على كفر صاحب المعصية وهي حجه عليهم كما ترى فانها ظاهره فى الشرك وهكذا كل مبطل يحتج بآيه أو حديث صحيح على قوله الباطل فلا بد أن يكون فيما احتج به حجه عليه " .[٦]

---

(١) سورة الشورى : من الآيه ٤٤
(٢) المرجع السابق : جـ ٦ ص ٦٢٦
(٣) سورة النساء : من الايه ٩٣
(٤) المرجع السابق : جـ ٢ ص ١٢٩
(٥) سورة البقره : من الايه ٨١
(٦) تيسير الكريم الرحمن : عبد الرحمن السعدى جـ ١ ص ١٠٣

أما الوعيد لمن عاد الى أكل الربا فى قوله تعالى " ومن عاد فأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون "[١] فقال عنه " فى هذا أن الربا موجب لدخول النار والخلود فيها وذلك لشناعته مالم يمنع من الخلود مانع الايمان وهذا من جملة الاحكام التى تتوقف على وجود شروطها ، وانتفاء موانعها وليس فيها حجة للخوارج كغيرها من آيات الوعيد ، فالواجب أن تصدق جميع نصوص الكتاب والسنه فيؤ من العبد بما تواترت به النصوص من خروج من في قلبه أدنى مثقال حبه خردل من الايمان ، من النار ومن استحقاق هذه الموبقات لدخول النار ان لم يتب منها "[٢]

الموالاة والمعاداة :

في تفسير قوله تعالى " ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان "[٣] الآيه بين رحمة الله تعالي أصل الولاية فقال " وأصل الولايه : المحبه والنصره وذلك ان اتخاذهم أولياء موجب لتقديم طاعتهم على طاعة الله ومحبتهم على محبة الله ورسوله ولهذا ذكر السبب الموجب لذلك وهو أن محبة الله ورسوله يتعين تقديمها على محبة كل شيء وجعل جميع الاشياء تابعةٍ لهما".[٤]

وفى قوله تعالى " بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما ، الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين "[٥] الايه قال " وفى هذه الآيه الترهيب العظيم من موالاة الكافرين وترك موالاة المؤمنين وأن ذلك من صفات المنافقين وأن الايمان يقتضى محبة المؤمنين وموالاتهم ، وبغض الكافرين وعداوتهم "[٦]

---

(١) سورة البقرة : من الآيه ٢٧٥
(٢) المرجع السابق : جـ ١ ص ٣٣٨ - ٣٣٩
(٣) سورة التوبه : من الآيه ٢٣
(٤) المرجع السابق : جـ ٣ ص ٢١٢ - ٢١٣
(٥) سورة النساء : من الآيتين ١٣٨ - ١٣٩
(٦) تيسير الكريم الرحمن : عبد الرحمن السعدى جـ ٢ ص ١٩٧

وفي موضع آخر بين رحمه الله تعالى الولاية الواجبه على المؤمنين وما تدرك به وفائدتها وما يوجبها على المؤمنين فقال رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى " انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون "[(١)] فقال : - " لما نهى عن ولاية الكفار من اليهود والنصارى وغيرهم وذكر مآل توليهم أنه الخسران المبين أخبر تعالى من يجب ويتعين توليه . وذكر فائدة ذلك ومصلحته فقال " انما وليكم الله ورسوله " فولاية الله تدرك بالايمان والتقوى فكل من كان مؤمنا تقيا كان لله وليا ومن كان لله وليا فهو ولي لرسوله ، ومن تولى الله ورسوله كان تمام ذلك تولي من تولاه وهم المؤمنون الذين قاموا بالايمان ظاهرا وباطنا وأخلصوا للمعبود باقامتهم الصلاة بشروطها وفروضها ومكملاتها وأحسنوا للخلق وبذلوا الزكاة من أموالهم لمستحقيها منهم وقوله " وهم راكعون " أي خاضعون لله ذليلون فأداة الحصر في قوله انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا تدل على أنه يجب قصر الولايه على المذكورين والتبرى من ولاية غيرهم . ثم ذكر فائدة هذه الولاية فقال " ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون ، أي فأنه من الحزب المضافين الى الله اضافة عبوديه وولاية وحزبه الغالبون ، الذين لهم العاقبة فى الدنيا والآخره كما قال تعالى " وان جندنا لهم الغالبون " وهذه اشارة عظيمه لمن قام بأمر الله وصار من حزبه وجنده ان له الغلبه وان أديل عليه فى بعض الاحيان لحكمة يريدها الله تعالى فآخر أمره الغلبه والانتصار ومن أصدق من الله قيلا "[(٢)]

---

(١) سورة المائده : الآيتين ٥٥ - ٥٦

(٢) تيسئير الكريم الرحمن : عبد الرحمن السعدى جـ ٢ ص ٣١٠ - ٣١١

محبة الصحابة :

في تفسير قوله تعالى " للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم" الآيات[1] تحدث رحمه الله تعالى عن المهاجرين ثم عن الأنصار ثم قال " فهذان الصنفان الفاضلان الزكيان هم الصحابة الكرام والأئمة الأعلام الذين حازوا من السوابق والفضائل والمناقب ما سبقوا به من بعدهم ، وأدركوا به من قبلهم فصاروا أعيان المؤمنين وسادات المسلمين وقادات المتقين وحسب من بعدهم من الفضل أن يسير خلفهم ويأتم بهداهم " .[2]

القضاء والقدر :

فصل رحمه الله تعالى الحديث عن القضاء والقدر عند تفسيره لقوله تعالى " سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون . قل فلله الحجه البالغه فلو شاء لهداكم أجمعين "[3] فقال رحمه الله تعالى " هذا اخبار من الله أن المشركين سيحتجون على شركهم وتحريمهم ما أحل الله بالقضاء والقدر ، ويجعلون مشيئة الله الشامله لكل شيء من الخير والشر حجة لهم في دفع اللوم عنهم ، وقد قالوا ما أخبر الله أنهم سيقولون كما قال في الآيه الأخرى " وقال الذين أشركو لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء"[4] الايه فأخبر تعالى أن هذه الحجة لم تزل الأمم المكذبه تدفع بها عنهم دعوة الرسل ويحتجون بها فلم تجد فيهم شيئا ، ولم تنفعهم ، فلم يزل هذا دأبهم حتى أهلكهم الله وأذاقهم بأسه ، فلو كانت حجة صحيحه لدفعت

---

(١) سورة الحشر : الآيات ٨ ، ٩ ، ١٠

(٢) تيسير الكريم الرحمن : عبد الرحمن السعدى ج ٧ ص ٣٣٦

(٣) سورة الانعام: الآيتين ١٤٨ - ١٤٩

(٤) سورة النحل : من الآيه ٣٥

عنهم العقاب و، ولما أحل الله بهم العذاب ، لأنه لا يحل بأسه الا بمن استحقه فعلم أنها حجة فاسدة وشبهة كاسدة من عدة أوجه :-

منها : ما ذكر الله من أنها لو كانت صحيحه لم تحل بهم العقوبه .

ومنها : ان الحجه لابد أن تكون حجة مستنده الى العلم والبرهان فأما اذا كانت مستنده الى مجرد الظن والخرص الذى لايغنى من الحق شيئا فأنها باطله ولهذا قال " قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا " فلو كان لهم علم وهم خصوم الداء - لأخرجوه فلما لم يخرجوه علم أنه لا علم عندهم " ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون " ومن بنى حجه على الخرص والظن فهو مبطل خاسر فكيف اذا بناها على البغي والعناد والشر والفساد ؟ ...

ومنها أن الله تعالى أعطى كل مخلوق قدره وارادة يتمكن بها من فعل ما كلف به ، فما أوجب الله على أحد مالا يقدر على فعله ولا حرم على أحد مالا يتمكن من تركه ، فالاحتجاج - بعد هذا - بالقضاء والقدر ظلم محض وعناد صرف .

ومنها : أن الله تعالى لم يجبر العباد على أفعالهم بل جعل أفعالهم تبعا لاختيارهم فان شاءوا فعلوا وان شاءوا كفوا . وهذا أمر مشاهد لاينكره الا من كابر ، وأنكر المحسوسات فان كل أحد يفرق بين الحركه الاختياريه والحركه القسريه ، وان كان الجميع داخلا فى مشيئة الله ومندرجا تحت ارادته .

ومنها : ان المحتجين على المعاصي بالقضاء والقدر يتناقضون في ذلك فانهم لايمكنهم أن يطردوا ذلك بل لو أساء اليهم مسيء بضرب أو أخذ مال أو نحو ذلك واحتج بالقضاء والقدر لما قبلوا منه هذا الاحتجاج ولغضبوا من ذلك أشد الغضب ، فياعجبا كيف يحتجون به على معاصى الله ومساخطه ولا يرضون من أحد أن يحتج به في مقابلة مساخطهم ؟ !!

ومنها أن احتجاجهم بالقضاء والقدر ليس مقصودا ويعلمون أنه ليس بحجه ، وانما المقصود منه ، دفع الحق ، ويرون أن الحق بمنزله الصائل منهم يدفعونه بكل ما يخطر ببالهم من الكلام المصيب عندهم والمخطىء [1] .

وقال رحمه الله تعالى فى قوله تعالى " وما تشاؤن الا أن يشاء الله رب العالمين " [2] " وفى هذه الآيه وأمثالها رد على فرقتى القدريه النفاه والقدرية المجبره " [3] .

هذه امثله من تفسير ابن سعدى رحمه الله تعالى سلك فيها منهج أهل السنة والجماعة اكتفى فى بيانه بوجيز العباره من غير اطناب ممل ولا ايجاز مخل وهو وان لم يعرض الكثير من آراء أهل السنه والجماعه بالشرح والبيان لاعتقاده - كما قرر فى مقدمته - أن المفسرين قد كفوا من بعدهم ، ومع هذا فان تفسيره رحمه الله تعالى قد جاء وسطا بين حاجة العلماء وحاجة من دونهم ليس بالصعب الذى لا ترتقي اليه أفهام هؤلاء ولا بالسهل الذى لا يجد فيه أولئك بغيتهم بل جمع هذا وذاك وأحسبه لم يفصل الحديث فى العقائد لأنه انما كان يخاطب طائفة من أهل السنة والجماعة لم يكن بينهم من منازع أو خصم فكان يكتفى بوجيز العباره ودقيق الاشاره .

نفع الله به وبعلومه انه سميع مجيب .

---

(١) تيسير الكريم الرحمن : عبد الرحمن السعدى جـ ٢ ص ٤٩٥ - ٤٩٧

(٢) سورة التكوير : الآيه ٢٩

(٣) تيسير الكريم الرحمن : عبد الرحمن السعدى جـ ٧ ص ٥٨١

ثالثا : محاسن التأويل

صاحب التفسير :

اسمه : محمد جمال الدين أبو الفرج بن محمد سعيد بن قاسم ، وقاسم هذا فقيه الشام في عصره الشيخ قاسم بن صالح بن اسماعيل بن أبى بكر المعروف بالحلاق والى هذا الفقيه ينسب حفيده فيسمى جمال الدين القاسمي .

ولادته : ولد رحمه الله تعالى يوم الاثنين ١٢٨٣/٥/٨ الموافق ١٧ أيلول ١٨٦٦ من الميلاد ، في دمشق .

نشأته :

تعلم رحمه الله تعالى القرآن أولا ثم تعلم الكتابه ثم انتقل الى مكتب فى المدرسه الظاهريه فأخذ مبادئ التوحيد والصرف والنحو والمنطق والبيان والعروض وغيرها ثم جود القرآن على شيخ القراء الشيخ أحمد الحلواني وقرأ على الشيخ سليم العطار والشيخ بكرى العطار وأجازه كثير من علماء عصره .

تدريسه :

بدأ فى التعليم بسن مبكره ، وانتدبته الحكومه أربع سنوات من سنة ١٣٠٨ الى سنة ١٣١٢ لالقاء دروس عامه خلال شهر رمضان فى وادى العجم والنبك وبعلبك وقام مقام أبيه فى الدرس العام وامامة الجامع والقاء الدروس فيه بعد وفاة والده سنة ١٣١٧ واستمر فيه الى وفاته رحمه الله تعالى .

نشاطه :

اتهم بعد عودته من الانتداب سنة ١٣١٣ وزيارته لمصر وللمدينه بتأسيس مذهب فقهى خامس هو " المذهب الجمالي " فقبضت عليه الحكومه ليلة واحده ثم أخلى سبيله فى الصباح واعتذر له والي دمشق .

وانقطع بعدها للتأليف والقاء الدروس الخاصه والعامه ، وفى سنة ١٣٢٦ حدثت له حادثه أخرى حيث فتشت كتبه وصودر بعضها وأعيدت له بعد شهرين .

وحادثه ثالثه حيث استدعى أمام قاضي التحقيق بدمشق حيث اتهم أن جمعية النهضة السورية لم تنشأ الا بتشويقه هو والشيخ عبد الرزاق البيطار وأنهما من أركانها وأنها فرع لجمعيات فى البلاد كاليمن ونجد .....

وأن لهم مكاتبات مع أمراء نجد ومواصلات ... وما مذهب الوهابيه وكم عدة الوهابيين في الشام ... الى نحو ذلك .

اسلوبه في الدعوه :

عرف عنه رحمه الله تعالى أنه كان عف اللسان والقلم لم يتعرض بالأذى لأحد من خصومه سواء أكان ذلك فى دروسه الخاصة أو العامة فى مجالسه أو ندواته ، وانما كان يناقش بالبرهان والدليل من الكتاب والسنه .

ولم تتضمن كتبه على كثرتها مع أن بعضها انما وضع للرد على المخالفين لم تتضمن لفظا نابيا أو كلمه جارحه وانما اعتصم بالنقاش العلمى الأدبى ولم يكن رحمه الله تعالى يريد من الرد على مخالفيه افحامهم أو تصغير أقدارهم أو الحط من شأنهم وانما كان هدفه الهدى والرشاد الى صراط مستقيم .

وفاته :

توفى رحمه الله تعالى فى دمشق مساء السبت ١٣٣٢/٥/٢٣ ودفن في مقبرة الباب الصغير بدمشق وله من العمر ٤٩ عاما .

مؤلفاته :

ترك رحمه الله تعالى عددا كبيرا من المؤلفات تقارب المئه عددا وقد اطلع الزركلى على اثنين وسبعين مصنفا له .. وأهم مؤلفاته :

١ - محاسن التأويل وهو التفسير الذى سنفرده بالحديث ان شاء الله .

٢ - قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث . في مجلد ، بين يدى طبعه دار احياء الكتب العربية الطبعه الثانية سنة ١٣٨٠ بتحقيق وتعليق محمد بهجت البيطار أما الطبعة الأولى ففى شهر شوال سنة ١٣٥٣ هـ .

٣ - اصلاح المساجد من البدع والعوائد ،

في مجلد واحد تبلغ صفحاته قرابة ٢٨٠ صفحه صدرت طبعته الأولى فى القاهره سنة ١٣٤١ ، وبين يدى الطبعه الرابعه سنة ١٣٩٩ في بيروت خرج أحاديثها وعلق على بعض مواطن الاشكال فيها الشيخ محمد ناصر الدين الألباني .

٤ - تاريخ الجهميه والمعتزله

صدرت آخر طبعاته من مؤسسة الرساله ببيروت سنة ١٣٩٩

٥ - تعطير المشام فى مآثر دمشق الشام

مخطوط فى أربعة مجلدات ذكره الزركلى فى أعلامه .

٦ - موعظة المؤمنين من احياء علوم الدين

وغير ذلك من المؤلفات رحمه الله رحمة واسعه ونفع بعلمه انه سميع مجيب . (١)

التفسير :

(محاسن التأويل)

ويعرف هذا التفسير بـ " تفسير القاسمي " طبع في سبعة عشر مجلدا ويقع في ٦٣١٦ صفحه بدون المجلد الأول الذى جعله مقدمة لتفسيره وصدرت الطبعة الاولى بين عامي ١٣٧٦ - ١٣٧٧ من دار احياء الكتب العربيه ،

---

(١) اعتمدت فى ترجمته رحمه الله تعالى على ماورد فى ترجمته في كتابه " قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ، وعلى ماورد فى الاعلام للزركلى ، ومعجم المؤلفين عمر رضا كحاله ، وفي كتاب الادب العربي المعاصر فى سوريه للاستاذ سامي الكيالى .

ووقف على طبعه وتصحيحه ورقمه وخرج آياته وأحاديثه وعلق عليه الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى وأصدرت دار الفكر ببيروت الطبعه الثانيه سنة١٣٩٨ مصوره عن الطبعه الأولى .

طريقته في التفسير :

بين رحمه الله تعالى في مقدمه تفسيره أنه اطلع على ما قدر له من تفاسير السابقين وتعرف ما تخللها من الغث والسمين ثم بعد أن صرف في الكشف عن حقائق التفسير شطرا من عمره ووقف على فحص دقائقه قدرا من دهرى قال " أردت أن انخرط فى سلك مفسريه الأكابر قبل أن تبلى السرائر وتفنى العناصر وأكون بخدمته موسوما وفي جملته منظوما فشحذت كليل العزم وأيقظت نائم الهم واستخرت الله تعالى فى تقرير قواعده وتفسير مقاصده فى كتاب اسمه بعون الله الجليل " محاسن التأويل " أودعه ما صفا من التحقيقات وأوشحه بمباحث هى المهمات وأوضح فيه خزائن الأسرار وأنقد فيه نتائج الافكار وأسوق اليه فوائد التقطتها من تفاسير السلف وفرائد عثرت عليها فى غضون الدفاتر وزوائد استنبطتها بفكرى القاصر مما قادنى الدليل اليه ، وقوى اعتمادى عليه وسيحمد السابح في لججه والسانح فى حججه ما أودعته من نفائسه الغريبه البرهان وأوردته من أحاديثه الصحاح والحسان وبدائعه الباهره للأذهان فانها لباب اللباب ومهتدى أولى الألباب ولم أطل ذيول الأبحاث بغرائب التدقيقات بل اخترت حسن الايجاز فى حل المشكلات اللهم الا اذا قابلت فرسان مضمار الحق جولة الباطلات ، فهنالك تصوب أسنة البراهين نحو نحور الشبهات " .(١)

وقد جعل رحمه الله تعالى الجزء الأول مقدمة لتفسيره قال عنها : وهي قواعد فائقه وفوائد شائقه جعلتها مفتاحا لمغلق بابه . ومسلكا لتسهيل خوض عبابه تعين المفسر على حقائقه وتطلعه على بعض أسراره ودقائقه "(١)

---

(١) محاسن التأويل : جـ١ ص ٥ - ٦

ومفسرنا رحمه الله تعالى كثيرا ما ينقل نقولا طويله عن علماء السلف فينقل عن أحمد ابن حنبل وابن تيميه وابن القيم وابن كثير وابن جرير الطبري والشاطبي والعزبن عبد السلام وابن حزم والرازي والزمخشري والراغب والقرطبي والبقاعي وغيرهم رحمهم الله أجمعين .

وكثيرا ما يستشهد رحمه الله - وهو من علماء الحديث - بالاحاديث النبويه من الصحاح والسنن والمسانيد .

وفي اللغه يرجع الى كتب اللغه كالقاموس والصحاح وغيرهما .

وقد عاب بعض النقاد عليه رحمه الله تعالى كثرة نقله من الكتب وزعموا ان الرجل لم يكن له رأي شخصي وأنه انما كان يعتمد في تأليفه على نقل آراء غيره فرد عليهم الاستاذ سامي الكيالي فقال عنهم " أخطأوا من ناحيتين :

١ - لأن النقل بحد ذاته رأي وقديما قيل " اختيار المرء قطعه من عقله " فما كانت الآثار والآراء والأقوال التي ينقلها الا آراء ، ولو ارتأى أن يكتبها بنفسه ، لكتب مثلها أو خيرا منها ، ولكنه آثر أن يكتبها بقلم غيره للسبب الذي أشرت اليه .

٢ - لأن بعض تآليفه التي وضعها في أخريات أيامه لم يكن فيها النقل الا عرضا ولتأييد فكرته بقول غيره وقد كان ذلك في الوقت الذي لم يعد فيه يبالي بالخصوم وأصبح اسمه علما ضخما في العالم الاسلامي" .(١)

أما السبب الذي أشار اليه الاستاذ سامي الكيالي فهو حسب اعتقاده أن الشيخ القاسمي لما رأى البدع قد تفشت وأن الخرافات قد استولت على الاذهان أدرك أن أقواله سوف لا يكون لها من القيمه مالأقوال الأئمه السابقين فكان يرتب الافكار التي تجب معالجتها وينقل عن الغزالي وابن تيميه وابن حزم وابن الجوزي وابن القيم والشافعي وأبي حنيفه وأحمد ومالك

---

(١) الادب العربي المعاصر في سوريه : سامي الكيالي ص ١٥٥ - ١٥٦

وأمثالهم الاقوال الصحيحه التى تؤيد فكرته ولهذا ظهر قسم من مؤلفاته وليس فيه الا المقدمه وبعض الأقوال القليله النادره ولم يكن ذلك عن عجز عن الكتابه وانما كان مقصودا لنشر الفكرة الاصلاحية التى يسعى اليها وليحمل الخصوم على قبولها والقناعة بها من أقوال أئمة لا يستطيعون أن يردوا عليها "[1] .

والحق أن الشيخ القاسمى رحمه الله تعالى كثيرا ما يعتمد على النقل نضرب لذلك مثلا فى بيان المحكم والمتشابه فى الآيه السابعه من آل عمران اكتفى رحمه الله تعالى بنقل نص لابن تيميه رحمه الله تعالي فى ٣٢ صفحه ثم ينص لابن المرتضى اليمانى صاحب كتاب ايثار الحق على الخلق فى ١٢ صفحه ولم يكن له الا الربط بين النصين ولا يعد هذا عيبا اذ لم يكن هدفه رحمه الله تعالى التأليف بل كان هدفه الاصلاح ونشر الحق بين الناس وازالة البدع والمنكرات وتحت ظلال هذه الاهداف فأن الأمر سيان بين أن يأتى بكلام من عنده ، أو بكلام غيره مادام يعتقده حقا ويعتقده صوابا بل الثانى أولى لما ذكره الأستاذ سامي .

نماذج من تفسيره :

الأسماء والصفات :

أفرد القاسمي رحمه الله تعالى فى المجلد الأول بيانا في أن الصواب في آيات الصفات هو مذهب السلف أورد فيه نقولا لبعض العلماء فى اثبات ذلك فنقل الباب الثانى في اقامه البرهان على أن الحق مذهب السلف من كتاب الجام العوام عن علم الكلام للامام الغزالى ثم نقل ما وصفه بالقول الشامل فى هذا الباب ما قاله الامام أحمد رضى الله عنه ثم نقل عن الأوزاعي من كتابي الأسماء والصفات للبيهقى والسنه لأبي بكر الخلال ثم نقل شرح ابن القيم لحديث " فرح الله بتوبة عبده " من كتابه طريق الهجرتين .

---

(١) الادب العربى المعاصر فى سوريه : سامى الكيالى ص ١٥٥ - ١٥٦

ولئن كان رحمه اللـه ينقل هذه النصوص نقل المستشهد المؤيد فانـي لم أعتبرها رأيا له مع أن من يفعل فعله فينقل نقل المستشهد المؤيد انما عبر عن رأيه بلفظ غيره فهى ان لم تكن رأيا له فهى حتما دليل عليه . وانما لم أعتبرها رأيا له دفعا للحجه وقطعا للمنازع ، وسأعتمد فى هذا وفى سواه على ألفاظه رحمه اللـه تعالى .

فمن ذلك تفسيره لقوله تعالى " ليس كمثله شىء وهو السميع البصير"(١) قال " كما أن صدر الآيه فيه رد على المشبهه فكذا تتمتها وهو قوله تعالى " وهو السميع البصير " رد على المعطله ولذا كان أعدل المذاهب مذهب السلف فانهم اثبتوا النصوص بالتنزيه من غير تعطيل ولا تشبيه وذلك أن المعطلين لم يفهموا من أسماء اللـه تعالى وصفاته الا ما هو اللائق بالمخلوق ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات فجمعوا بين التمثيل والتعطيل فمثلوا أولا وعطلوا آخرا فهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته تعالى بالمفهوم من أسماء حلقه وصفاتهم فعطلوا ما يستحقه سبحانه وتعالى من الأسماء والصفات اللائقه به عز وجل بخلاف سلف الأمه واجلاء الائمه فانهم يصفون اللـه سبحانه وتعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به نبيه صلى اللـه عليه وسلم من غير تحريف ولا تشبيه قال تعالى " ليس كمثله شىء وهو السميع البصير " فرد على المشبهه بنفي المثليه ورد على المعطله بقوله " وهو السميع البصير " (٢) .

اثبات الرؤيه :

قال رحمه اللـه تعالى فى تفسير قوله تعالى " وجوه يومئذ ناضره الى ربها ناظره " (٣) أى مشاهدة اياه ترى جمال ذاته العليه ونور وجهه الكريم كما وردت بذلك الأخبار والآثار عن رسول الله صلوات الله عليه وسلامه" (٤) .

---

(١) سورى الشورى : من الآيه ١١
(٢) محاسن التأويل : جـ ١٤ ص ٥٢٢٧ (٣) سورة القيامه : الايتين ٢٢-٢٣
(٤) محاسن التأويل : جـ ١٧ ص ٥٩٩٦

وكذا فى قوله تعالى " ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر اليك قال لن تراني " الآيه [(١)] قال رحمه الله تعالى " نبه تعالى على أن الجبل مع شدته وصلابته اذا لم يستقر فالآدمي مع ضعف بنيته أولى بأن لا يستقر ، وفيه تسكين لفؤاد موسى بأن المانع من الانكشاف الاشفاق عليه وأما أن المانع محالية الرؤيه فليس فى القرآن اشارة اليه" [(٢)].

ثم رد على المعتزله فقال " وأما زعم المعتزله أن الرؤيه مجاز عن العلم الضرورى فمعنى قوله " أرني " أى اجعلنى عالما بك علما ضروريا - خلاف الظاهر فان النظر الموصول بـ " الى " نص فى الرؤية البصرية فلا يترك بالاحتمال مع أن طلب العلم الضرورى لمن يخاطبه ويناجيه غير معقول وكذا زعمهم أن موسى عليه السلام كان سألها لقومه حيث قالوا " لن نؤمن لك حتى نرى الله جهره " [(٣)] فسأل ليعلموا امتناعها - فانه خلاف الظاهر وتكلف يذهب رونق النظم فترده ألفاظ الآيه ، وقد ثبت وقوع رؤيته تعالى فى الآخره بالكتاب والسنه أما الكتاب فلقوله تعالى " وجوه يومئذ ناضره الى ربها ناظره " وأما السنه فلا تحصى أحاديثها ولكن اذا أصيب أحد بداء المكابرة فى الحق الصراح عسر اقناعه مهما قوى الدليل وعظمت الحجه " [(٤)]

وأكد هذه العقيده عند تفسيره لقوله تعالى " للذين أحسنوا الحسنى وزياده" [(٥)] فسر الزياده بالتفضل كما قال تعالى " ويزيد هم من فضله " وأعظم أنواعه النظر الى وجهه تعالى الكريم ، ولذا تواتر تفسيرها بالرؤيه عن غير واحد من الصحابه والتابعين ورفعها ابن جرير الى النبى صلوات الله عليه عن أبى موسى وكعب بن عجره وأبي وكذا ابن أبى حاتم وروى الامام أحمد عن صهيب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) سورة الاعراف : من الآيه ١٤٣
(٢) محاسن التأويل : جـ ٧ ص ٢٨٥١
(٣) سورة البقره : من الآيه ٥٥
(٤) محاسن التأويل : جـ ٧ ص ٢٨٥٢
(٥) سورة يونس : من الآيه ٢٦

تلا هذه الآيه " للذين أحسنوا . ." الخ وقال اذا دخل أهل الجنه الجنه وأهل النار النار نادى مناد : ياأهل الجنه ! ان لكم عند الله موعدا ، يريد أن ينجزكموه فيقولون : ما هو ؟ ألم يثقل موازيننا ، ألم يبيض وجوهنا ويدخلنا الجنه ويزحزحنا عن النار ؟ قال فيكشف لهم الحجاب فينظرون اليه . فوالله ما أعطاهم الله شيئا أحب اليهم من النظر اليه ، ولا أقرّ لأعينهم . وهكذا رواه مسلم "(١)

الاستواء :

ما رأيت الشيخ القاسمى رحمه الله تعالى أفاض الحديث عن صفه من صفات الله تعالى كما أفاضه فى صفة الاستواء فقد كتب عن قوله تعالى " ثم استوى على العرش" من ص ٢٧٠٢ الى ص ٢٧٥٠ وليس له رحمه الله تعالى فيما كتب الا الربط بين نصوص علماء السلف فقد نقل عن البخارى والذهبى من كتابه " العلو " وعن الامام أحمد بن حنبل من كتابه الرد على الجهميه وعبدالقادر الجيلاني من كتابيه " تحفة المتقين " و" الغنيه" وعن أبى اسماعيل الأنصارى من كتابه ذم الكلام وأهله وعن الكناني من كتابه " الرد على الجهميه " وابن عرفه من كتابه " الرد على الجهميه " وعن أبي الحسن الأشعرى من كتابه الابانه وعن ابن عبد البر من كتابه التمهيد وعن ابن تيميه من الرسالة المدنيه " ومن ولى الله الدهلوى من كتابه حجة الله البالغه ، وعن الألوسي من محاكمه الأحمدين ، وأكثر نقله عن ابن تيميه رحمه الله تعالى .

ثم عقب رحمه الله تعالى بعد هذه النقول بقوله " وانما أشبعنا الكلام فى هذا المقام لأنه من أصول العقائد الدينيه ومهمات المسائل التوحيديه وقد كثر فيه تعارك الآراء وتصادم الأهواء ولم يأت جمهور المتكلمين المؤولين بشىء يعلق بقلب الأذكياء بل اجتهدوا في ايراد

---

(١) محاسن التأويل : جـ ٩ ص ٣٣٤١

التمحلات التي تأباها فطرة الله أشد الاباء فبقيت نفوس أنصار السنه المحققين مائلة الى مذهب السلف الصالحين فان الأئمة منهم كان عقدهم ما بيناه فلا تكن من الممترين ، والحمد لله رب العالمين ". (١)

كلام الله :

وفي قوله تعالى " وكلم الله موسي تكليما " (٢) قال رحمه الله تعالى " يعني خاطبه مخاطبة من غير واسطه لأن تأكيد " كلم " بالمصدر يدل على تحقيق الكلام وأن موسى عليه السلام سمع كلام الله بلا شك لأن أفعال المجاز لا تؤكد بالمصادر فلا يقال أراد الحائط يسقط ارادة ، وهذا رد على من يقول ان الله خلق كلاما في محل فسمع موسى ذلك الكلام . قال الفراء العرب تسمي كل ما يوصل الى الانسان كلاما بأي طريق وصل لكن لا تحققه بالمصدر واذا حقق بالمصدر لم يكن الا حقيقة الكلام فدل قوله تعالى " تكليما " على أن موسى قد سمع كلام الله حقيقة من غير واسطه قال بعضهم كما أن الله تعالى خص موسى عليه السلام بالتكليم وشرفه به ولم يكن ذلك قادحا في نبوة غيره من الأنبياء فكذلك انزال التوراة عليه جملة واحدة لم يكن قادحا في نبوة من أنزل عليه كتابه منجما من الانبياء كذا في اللباب" (٣)

ثم قال رحمه الله تعالى " تنبيه : يحسن في هذا المقام ايراد عقيدة السلف الكرام في مسألة الكلام فانها من أعظم مسائل الدين ، وقد تحيرت فيها آراء أهل الأهواء من المتقدمين والمتأخرين ، واضطربت فيها الأقوال وكثرت بسببها الأهوال وأثارت فتنا وجلبت محنا وكم سجنت اماما وبكت أقواما وتشعبت فيها المذاهب واختلفت فيها المشارب ولم يثبت الا قول أهل السنة والجماعة المقتفين لأثر الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضى الله عنهم فنقول ". (٤)

---

(١) محاسن التأويل : جـ ٧ ص ٢٧٥٠ . (٢) سورة النساء : من الآيه ١٦٤
(٣) محاسن التأويل : جـ ٥ ص ١٧٢٣ .
(٤) محاسن التأويل : جـ ٥ ص ١٧٢٣ - ١٧٢٤

ثم نقل رحمه الله تعالى نصوص السلف فى كلام الله واثباته على الوجه اللائق به جل وعلا وأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق فنقل نصوصا مطوله لابن تيميه تقع فى ٢٣ صفحه ونقل بعد ذلك نصوصا لعلماء آخرين على مذهب أهل السنه والجماعه .

سلامة القرآن من التحريف :

قال رحمه الله تعالى فى قوله تعالى " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون "(١) أى من كل من بغى له كيدا فلا يزال نور ذكره يسرى وبحر هداه يجرى وظلال حقيقته في علومه تمتد على الآفاق ودعائم أصوله الثابته تطاول السبع الطباق رغما عن كيد الكائدين وافساد المفسدين " يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون " وفي ايراد الجملة الثانية اسميه دلالة على دوام الحفظ"(٢) وقال فى تفسير قوله تعالى " وانه لكتاب عزيز "(٣) قال " أى منيع محمى عن التغيير والتبديل وعن محاكاته بنظير "(٤) .

الامامه والعصمه :

رد رحمه الله تعالى ما يستدل به المعتزله والشيعه فى قوله تعالى " واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال انى جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لاينال عهدى الظالمين "(٥) فقال " وقد استدلت المعتزله بهذه الآيه على أن الظالم ليس بأهل للامامه والكشاف أوسع المقال في ذلك ، هنا وأبدع في ايراد الشواهد ، كما أن الشيعه استدلت بها على

---

(١) سورة الحجر : الآيه ٩
(٢) محاسن التأويل : جـ ١٠ ص ٣٧٤٨ - ٣٧٤٩
(٣) سورة فصلت : من الآيه ٤١
(٤) محاسن التأويل : جـ ١٤ ص ٥٢١١
(٥) سورة البقره : الآيه ١٢٤

صحة قولهم في وجوب العصمه فى الأئمه ظاهرا وباطنا على ما نقله الرازى عنهم وحاورهم - أقول - ان استدلال الفرقتين على مدعاهما وقوف مع عموم اللفظ الا أن الآيه الكريمه بمعزل عن ارادة خلافة السلطنه والملك. المراد بالعهد تلك الامامه المسئول عنها ، وهل كانت الا الامامه في الدين وهى النبوه التى حرمها الظالمون من ذريته ؟ كما قال تعالى " وباركنا عليه وعلى اسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين" (١) ولو دلت الآيه على ماادعوا لخالفه الواقع . . فقد نال الامامة الدنيويه كثير من الظالمين فظهر أن المراد من العهد انما هو الامامة فى الدين خاصه والاحتجاج بها على عدم صلاحية الظالم للولايه تمحل لأنه اعتبار لعموم اللفظ من غير نظر الى السبب ولا الى السياق أو ذهاب الى أن الخبر في معنى الأمر بعدم تولية الظالم كما قاله بعضهم وهو أشد تمحلا ومعلوم أن الامام لابد أن يكون من أهل العدل ، والعمل بالشرع ، كما ورد ومتى زاغ عن ذلك كان ظالما " (٢) .

لا رجعه :

في قوله تعالى " ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين " (٣) قال رحمه الله تعالى " تمنوا الرجوع الى الدنيا حين لا رجوع واعدين أن لا يكذبوا بما جاءهم وأن يكونوا من المؤمنين " (٤) .

---

(١) سورة الصافات : من الآيه ١١٣
(٢) محاسن التأويل : جـ ٢ ص ٢٤٦
(٣) سورة الانعام : الآيه ٢٧
(٤) محاسن التأويل : جـ ٦ ص ٢٢٧٩

الميزان :

في تفسير قوله تعالى " والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون "[١] قال " قال السيوطي فى الاكليل فى هذه الآيه ذكر الميزان ويجب الايمان به انتهى " ثم قال " الذى يوضع فى الميزان يوم القيامه قيل الأعمال وان كانت أعراضا الا أن الله تعالى يقلبها يوم القيامه أجساما . . ثم ذكر أدلة هذا القول . . وقيل صحائف الأعمال هي التى توزن . . . ثم استدل له . . . وقيل يوزن صاحب العمل . . . ثم استدل له ، وقال بعد هذا قال الحافظ ابن كثير وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كله صحيحا فتارة توزن الأعمال وتارة يوزن محلها وتارة يوزن فاعلها والله أعلم . . ثم ذكر الحكمه في وزن الأعمال فقال ان قلت : أليس الله عز وجل يعلم مقادير أعمال العباد ؟ فما الحكمه في وزنها ؟ قلت فيه حكم

منها اظهار العدل وان الله عز وجل لا يظلم عباده .

ومنها : امتحان الخلق بالايمان بذلك فى الدنيا واقامة الحجه عليهم فى العقبى .

ومنها : تعريف العباد مالهم من خير وشر وحسنه وسيئه .

ومنها : اظهار علامة السعادة والشقاوه .

ونظيره أنه تعالى أثبت أعمال العباد فى اللوح المحفوظ ثم فى صحائف الحفظة الموكلين ببنى آدم من غير جواز النسيان عليه سبحانه وتعالى كذا فى اللباب" .[٢]

الصراط :

وفى قوله تعالى عن الكافرين " ولو ترى اذ وقفوا على النار"[٣] الآيه

---

(١) سورة الاعراف : الآيه ٨
(٢) محاسن التأويل : جـ ٧ ص ٢٦١٢ الى ص ٢٦١٨ باختصار .
(٣) سورة الانعام : من الآيه ٢٧

قال " على اما على حقيقتها أى أقيموا واقفين فوق النار على الصراط وهو جسر فوق جهنم أو هي بمعنى في أى أقيموا في جوف النار وغاصوا فيها وهي محيطه بهم وصحح معنى الاستعلاء حينئذ كون النار دركات وطبقات بعضها فوق بعض" .[1]

القضاء والقدر :

فصل رحمه الله تعالى القول فى القضاء والقدر وبين عقيدة الفرقه الناجيه فقال فى تفسيره لقوله تعالى " سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شىء"[2] الايتين . قال رحمه الله تعالى " هذه الآيه تكرر نظيرها في التنزيل الكريم في عدة سور وهي من الآيات الجديره بالتدبر لتمحيص الحق في المراد منها ، فقد زعم المعتزلة أن فيها دلالة واضحه لمذهبهم من أن الله لايشاء المعاصي والكفر كما تبجح بذلك منهم الطبرسي الشيعي فى تفسيره وقال ان فيها تكذيبا ظاهرا لمن أضاف مشيئة ذلك الى الله سبحانه ، وكذا الزمخشرى في تفسيره .

ومعلوم ان عقيدة الفرقة الناجية الايمان بأن ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وأنه ما في السموات والأرض من حركة ولا سكون الا بمشيئة الله سبحانه ، لايكون فى ملكه الا ما يريد ، وهو خالق لأفعال العباد .

وقد خالف فى ذلك عامة القدرية ـ الذين سماهم النبى صلى الله عليه وسلم مجوس هذه الأمه ـ فقالوا لا ارادة الا بمعنى المشيئه وهو لم يرد الا ماأمربه ، ولم يخلق شيئا من أفعال العباد فعندهم أكثر ما يقع من أفعال العباد على خلاف ارادته تعالى .

ولما كان قولهم هذا فى غاية الشناعه تبرأ منهم الصحابة ، وأصل بدعتهم ـ كما قال ابن تيميه ـ كانت من عجز عقولهم عن الايمان بقدر الله والإيمان بأمره ونهيه و سنبين تحقيق ذلك بعد أن نورد شبهتهم فى هذه

(١) محاسن التأويل : جـ ٦ ص ٢٢٧٨
(٢) سورة الانعام : من الآيتين ١٤٨ - ١٤٩

الآيـــه وندفعها - بعـون اللــه تعالـى - بعـدة وجـوه فنقـــول : -

(قالوا) : ان اللــه تعالى حكى عن المشركـين أنهم قالوا أشركنـــا باراد ة اللــه تعالـى ولو أراد عدم اشراكنا لما أشركنا ولما صدرعنا تحريــم المحللات ، فقـد أسندوا كفرهـم وعصيانهم الى اراد تـه تعالى كما تزعمـون أنتم . ثم انه تعالى رد عليهم مقالتهم وبين بطلانها وذمهم عليها وأوعدهـم عليها وعيدا شديدا فلو كان يجوز اضافـة المشيئة الى اللـه تعالى فـــى ذلك . على ما تضيفـون أنتم ، لم يكن يرد ذلك عليهم ويتوعدهم !

(قلنا) ان المشيئة فى الآيه تتخرج على وجوه " ثم ذكر الشيـــــخ القاسمي رحمه اللـه تعالى سبعة وجوه فى الرد على شبهتهم نكتفي بايــراد واحد من هذه الوجوه عن الباقي قال رحمه اللـه :-" ان المشيئة في الآيـه بمعنى الأمر والدعاء الى ذلك . أى يقولون ان اللـه أمرهم بذلك ودعاهـم اليه كما أخبر عنهم فى سورة الاعراف بقولـه " واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنـا عليها آباءنا واللـه أمرنا بها " فرد تعالى عليهم بقولـه : " قل ان اللــــه لا يأمر بالفحشـــاء " .

ثم ذكر رحمـه اللـه تعالى بقية الوجوه فى الرد على شبهتهم ونقل بعـد هذا نصا لابن القيم الدمشـقى من كتابه طريق الهجرتين ثم بحثا ضافيــــا لابن تيميـــه وأعقب هذا كله بقولـه :-

" اذن معنـــا قضيتان قطعيتا الثبـوت .

(احداها) كون الانسان يعمل بقدرة وارادة يبعثها علمـه على الفعــــل أو الترك والكـف ، وهى بديهيـــه .

و (الثانيـه) هى أن اللـه هو الخالق الذى بيده ملكوت كل شىء وهـــى نظريـه ويتولـد من هاتـين القضيتين القطعيتين مسألتان نظريتان : -

الأولى : ما الفرق بين علم اللـه تعالى وارادته وقدرته وبين علــــم الانسان وارادتـه وقدرتـه ؟ والجواب من وجـــوه .

. . . ثم ذكر رحمه اللـه تعالى ثلاثة وجوه أجملها فى آخرها فقال . . .
وبالجمله : ان المشاركة بين صفات اللـه تعالى وصفات عباده انما هى فى الأسم لا فى الجنس كما زعم بعضهم فبطل زعم من قال : ان اثبات كون الأفعال التى تصدر من الانسان هى بقدرته وارادته ـ يقتضى أن يكون شريكا للـه تعالى سبحان ربك رب العزه عما يصفون .

المسألة الثانية : وهي عضلة العقد ومحك المنتقد ـ أن القضاء عباره عن تعلق علم اللـه تعالى أو ارادته فى الأزل بأن الشىء يكون على الوجه المخصوص من الوجوه الممكنه والقدر وقوع الأشياء فيما لا يزال على وفق ما سبق فى الأزل ومن الأشياء التى يتعلق بها القضاء والقدر أفعال العباد الاختيارية ، فاذا كان قد سبق القضاء المبرم ـ بأن زيدا يعيش كافرا ويموت كافرا ـ فما معنى مطالبته بالايمان وهو ليس فى طاقته ؟ ولا يمكن فى الواقع ونفس الأمر أن يصدر منه لأنه فى الحقيقة مجبور على الكفر في صورة مختار له ؟ كما قال بعضهم .

والجواب عن هذا

ان تعلق العلم والارادة بأن فلانا يفعل كذا لاينافى أن يفعله باختيار الا اذا تعلق العلم بأن يفعله مضطرا كحركة المرتعش مثلا ، ولكن أفعال العباد الاختيارية قد سبق في القضاء بأنها تقع اختيارية . أى بارادة فاعليها لا رغما عنهم وبهذا صح التكليف ولم يكن التشريع عبثا ولا لغوا .

وثم وجه آخر في الجواب ، وهو : لوكان سبق العلم أو الارادة بأن فاعلا يفعل كذا يستلزم أن يكون ذلك الفاعل مجبورا على فعله لكان الواجب، تعالى وتقدس ، مجبورا على أفعاله كلها ، لان العلم الازلى قد تعلق بذلك ، وكل ما تعلق به العلم الصحيح لابد من وقوعه .

فتبين بهذا أن الجبريه ومن تلا تلوهم قد غفلوا عن معنى الاختيار واشتبهت عليهم الانظار فكابروا الحس والوجدان ودابروا الدليل والبرهان

وعطلوا الشرائع والأديان وتوهموا أنهم يعظمون الله ولكنهم ماقدروا الله حق قدره ولا فقهوا سر نهيه وأمره ، حيث جرؤا الجهال على التنصل من تبعة الذنوب والأوزار ، وادعاء البراءة لأنفسهم والاحالة باللوم على القضاء والقدر ، وذلك تنزيه لانفسهم من دون الله ولا حول ولا قوةالابالله بل ذلك اغراء للانسان بالانغماس فى الفسوق والعصيان ، فياعجبا لهم كيف جعلوا أعظم الزواجر من الاغراء وهو الاعتقاد باحاطة علم الله بالاشياء أليس من شأن من لم يفسد الجبر فطرته ويظلم الجهل بصيرته أن يكون أعظم مهذب لنفسه ومؤدب لعقله وحسه اعتقاده بأن الله عليم بما يسر ويعلن ويظهر ويبطن وأنه ناظر اليه ومطلع عليه ؟ بلى ان الاحسان هو أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وأما الذين ضلوا السبيل واتبعوا فاسد التأويل فيقولون كماقال من قبلهم وقص الله علينا ذلك بقوله عز وجل ـ سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا . . الآيه فانظر كيف رماهم العليم الحكيم بالجهل وجعل احتجاجهم بالقدر من أسباب وقوع البأس والبلاء بهم . وفى هذا القدر كفايه لمن لم ينطمس نور الفطرة من قلبه والله عليم حكيم " .(١)

أهل الكبائر :

فى تفسير قوله تعالى " بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون "(٢) قال رحمه الله تعالى " ذهب أهل السنة والجماعة الى أن الخلود فى النار انما هو للكفار والمشركين لما ثبت فى السنه تواترا من خروج عصاة الموحدين من النار فيتعين تفسير السيئة والخطيئه فى هذه الآيه بالكفر والشرك ويؤيد ذلك كونها نازلة فى اليهود " .(٣)

---

(١) محاسن التأويل : جـ ٦ من ص ٢٥٤٢ الى ص ٢٥٦٣ باختصار .
(٢) سورة البقرة : الآيه ٨١
(٣) محاسن التأويل : جـ ٢ ص ١٧٧

وبهذا النحو فسر قوله تعالى عن آكلي الربا " ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون "[١] قال " ومن عاد أى الى تحليل الربا بعد النص فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون " لكفرهم بالنص ورد هم اياه بقياسهم الفاسد بعد ظهور فساده ومن أحل ما حرم الله عز وجل فهو كافر فلذا استحق الخلود وبهذا تبين أنه لا تعلق للمعتزله بهذه الايه فى تخليد الفساق حيث بنوا على أن المتوعد عليه بالخلود العود الى فعل الربا خاصة ولا يخفي أنه لا يساعدهم على ذلك الظاهر الذى استدلوا به . فان الذى وقع العود اليه محمول على ما تقدم كأنه قال : ومن عاد الى ما سلف ذكره ، وهو فعل الربا واعتقاد جوازه والاحتجاج عليه بقياسه على البيع . ولا شك أن من تعاطى معاملة الربا مستحلا لها مكابرا فى تحريمها مسندا احلالها الى معارضة آيات الله البينات. بما يتوهمه من الخيالات - فقد كفر ثم ازداد كفرا واذ ذاك يكون الموعود بالخلود فى الآيه من يقال أنه كافر مكذب غير مؤمن وهذا لا خلاف فيه فلا دليل اذا للمعتزله على اعتزالهم فى هذه الآيه والله الموفق أشار لذلك فى الانتصاف . قال فى فتح البيان والمصير الى هذا التأويل واجب ، للاحاديث المتواتره القاضيه بخروج الموحدين من النار".[٢]

الولاء والبراء :

فسر رحمه الله تعالى قوله سبحانه " لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله لو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه "[٣] الآيه بقوله :- " أى لا تجد قوما جامعين بين الايمان بالله واليوم الآخر وبين موادة أعداء الله ورسوله . والمراد بنفي الوجدان نفي الموادة على معنى أنه لا ينبغي

---

(١) سورة البقرة : من الآيه ٢٧٥
(٢) محاسن التأويل : جـ ٣ ص ٧٠٩
(٣) سورة المجادلة : من الآيه ٢٢

أن يتحقق ذلك وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال مبالغة في النهي عنه والزجر عن ملابسته والتوصية بالتصلب في مجانبة أعداء الله ومباعدتهم والاحتراس من مخالطتهم ومعاشرتهم وزاد ذلك تأكيدا وتشديدا بقوله " ولو كانوا آباءهم" أي آباء الموادين والضمير في كانوا لمن حاد الله ورسوله والجمع باعتبار معنى (من) كما أن الافراد فيما قبله باعتبار لفظها" .[1]

أهل البيت :

في قوله تعالى " قل لا اسئلكم عليه أجرا الا المودة في القربى"[2] قال رحمه الله تعالى " أي أن تودوني في القرابة التي بيني وبينكم ، وتصلوا الرحم التي بيننا ولا يكن غيركم يامعشر قريش أولى بحفظي ونصرتي ومودتي منكم .... والاستثناء منقطع ومعناه نفي الأجر أصلا لأن ثمرة مودتهم عائدة اليهم لكونها سبب نجاتهم فلا تصلح أن تكون أجرا له . وقيل المعنى أن تودوا قرابتي والذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم وقيل (القربى) التقرب الى الله تعالى أي الا أن تتوددوا الى الله فيما يقربكم اليه ، والمعنى الاول هو الذي عول عليه الائمة ولم يرتض ابن عباس رضي الله عنه غيره ففي البخاري عنه رضي الله عنه أنه سئل عن قوله تعالى (الا المودة في القربى) فقال سعيد بن جبير : القربى آل محمد فقال بن عباس عجلت ان ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش الا كان له فيهم قرابة فقال : الا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة "[3] ثم لخص رحمه الله تعالى ما ورد في تفسير بن كثير ، وأورد كلام ابن تيميه في ذلك من كتابه منهاج السنه وفيه رد على تأويلات الشيعه في هذه الآيه بما يبطلها ، ولولا أني التزمت أن لا أنقل الا نصوص المؤلف وأقواله لنقلتها لابطال مزاعم الشيعه في ذلك فليرجع اليها في موضعها من يطلب الحق .

---

(١) محاسن التأويل : جـ ١٦ ص ٥٧٢٩

(٢) سورة الشورى : من الآيه ٢٣

(٣) محاسن التأويل : جـ ١٤ ص ٥٢٣٧-٥٢٣٨ وانظر صحيح البخاري كتاب التفسير جـ ٦ ص ٣٧

الشفاعه :

رد رحمه الله تعالى على من ينكر الشفاعه فقال في تفسير قوله تعالى " واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعه ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون "[١] قال " تمسكت المعتزله بهذه الآيه على أن الشفاعه لا تقبل للعصاة لأنه نفى أن تقضي نفس عن نفس حقا أخلت به من فعل أو ترك ، ثم نفى أن يقبل منها شفاعه شفيع فعلم أنها لا تقبل للعصاه .

والجواب : أنها خاصة بالكفار . ويؤيده أن الخطاب معهم كما قال " ما تنفعهم شفاعة الشافعين "[٢] ، وكما قال عن أهل النار " فما لنا من شافعين ولا صديق حميم "[٣] فمعنى الآيه أنه تعالى لا يقبل فيمن كفر به فدية ولا شفاعه ولا ينقذ أحدا من عذابه منقذ ولا يخلص منه أحد"[٤]

تلكم أمثلة من تفسير محاسن التأويل لجمال الدين القاسمي رحمه الله تعالى نهج فيها نهج أهل السنه والجماعه لا يعطل صفه ولا يشبه ولا يمثل ، ولا يرد حديثا صحيحا ولا يطنب في بيان مبهم ولا يعنى بايراد الاسرائيليات وهو في كل هذا لا يكاد يخطو خطوه في تفسيره الا في طريق اتضحت جادته ورأى فيها آثار علماء السلف الصالح فبهم يقتدى ولا قوالهم يستدل .

ولا يكاد القارىء يدلج في تفسيره حتى يتضح له أن المؤلف رحمه الله تعالى يكتفي بالنقل عن علماء السلف ، ويورد حججهم وأدلتهم ، ورد ودهم على شبه الخصوم بما يؤكد أن المؤلف رحمه الله تعالى كان يجعل همه كل همه الاصلاح ليس الا وانما يورد هذه النصوص - كما أسلفنا - ليلجم بها الخصوم فانهم ان استطاعوا جدلا رد أقواله ، صعب عليهم ابطال أقوال علماء بهم يقتدون ولعلمهم يعترفون فكانت حجته لهم غالبه .

---

(١) سورة البقرة : من الآيه ٤٨
(٢) سورة المدثر : م الآيه ٤٨
(٣) سورة الشعراء : الآيتين ١٠٠ - ١٠١
(٤) محاسن التأويل : جـ ٢ ص ١٢١

ولالتزامي بأن لا أنقل الاعبارته وأن لااستدل الا بنصوصه فاني لم أكد أجد في بعض القضايا له من لفظ الا الربط بين نصوص علماء السلف ولذا كانت بعض العقائد هنا غفلا من ايراد تفسيره لها رحمه الله تعالى ، ونفع بتفسيره وبسائر مؤلفاته .

رأيي في هذا المنهج :

لا شك أن منهج أهل السنه والجماعه في التفسير هو أسلم المناهج كسلامة منهجهم فى العقيدة وهل العقيدة الصحيحه الا الفهم الصحيح للقرآن الكريم وللسنه النبويه .

وان كانت من فروق بين مفسرى أهل السنه والجماعه فى القديم وفى العصر الحديث فثم فروق بعضها يحسب حسنة للسابقين وبعضها فضيلة للمتأخرين .

أول هذه الفروق حسب ملاحظتى القاصره أن المفسرين السابقين أو أكثرهم يعتنى بتفصيل عقيدة أهل السنه والجماعه فيما يمر فى تفسيره من آيات قرآنيه ويرد على شبه الخصوم وعلى الملل والنحل الباطله والتفسيرات المنحرفه حتى اذا قضى عليها وطمس باطلها صب فى أذنيك القول الصحيح والتفسير السليم فلا يبقى فى ذهنك الا مذهب السلف الحق ولم تقم لغيره قائمه ولا تعكر صفوه شبهه .

أما المفسرون فى العصر الحديث فان أكثرهم وفى أكثر المسائل الخلافيه لا يكاد يعرض لبيان تفسير باطل يرد عليه ، أو نحله منحرفه يبطلها ويكشف زيفها ، بل يتجه اتجاها مباشرا الى الفاظ الآيه وماتدل عليه من غير تعرض للشبهات والتفسيرات الزائفه ومن غير تعرض أحيانا الى جلاء الحقيقه في معركة احتدمت في هذه الآيه أو تلك فكأنه وقر في ذهنه أنه انما يؤلف لطائفة لا تجادل في معنى ولا تطلب دليلا لمنحى . وهذا أمر أحسب أن تلافيه واجب وأن الحاجه ماسه الى تفسير يعنى فيه صاحبه الى بيان عقائد أهل السنه وشرحها وبيان ما يتعلق بها وما يثار حولها من شبهات وما يستدل به منها بعض النحل وبيان الحق الواضح والدواء الشافى بما يجلو كل شبهه ويثبت كل حقيقه .

وان كان هذا الفارق يحسب لصالح المفسرين السابقين فان الفارق الثاني يعد من حسنات المعاصرين من أهل السنه والجماعه ألا وهو نبذ الاسرائيليات فلا تكاد تجد بينهم والحمد لله من يعتنى بها أو يوردها الا ماندر .

وفي مقابل ذلك نجد بعض تفاسير علماء السلف السابقين لم يطهروا تفاسيرهم منها فأوردها بعضهم رحمهم الله تعالى وأطال فيما أورد اطالة خرجت عن حد المقبول الى حد المذموم .

وثمة فارق ثالث وهو عناية كثير من المفسرين فى العصر الحديث بتطبيق التفسير على المجتمع وتوجيه الأمه الى ما ينبغى أن يكونوا عليه حسب توجيهات القرآن الكريم ، والعبور من خلال آيات القرآن الكريم الى علاج مشاكل المجتمع الاسلامي السياسى والاجتماعي والاقتصادى وهو أمر لا نظلم السابقين فننكر وجوده عندهم ولكنه لم يكن كمنزلته عند المعاصرين ولم يعتنوا به عنايتهم .

وفارق رابع برز فى تفاسير المعاصرين وهو الاهتمام بالتفسير العلمي التجريبى وهو وان كنا سنفرده - ان شاء الله - بحديث الا أن وروده هنا كفارق بين القديم والحديث فقد اعتنى به المعاصرون أو أكثرهم لا أريد به مايقع من المتطرفين ولكن تلك الاشارات واللمحات الخاطفة بين ثنايا التفسير التى تشير فى غالبها اشارة تدبر وتفكر لا اشارة تفسير وربط بين النص والنظريه هذه الاشارات تجدها فى تفاسير المعاصرين أكثر منها عند من سبقهم .

وفارق خامس وهو الميل الى اختصار العباره أدى الى اختصار الابحاث ثم تولد عندهم ميل الى المختصرات فاختصروا تفاسير السابقين كابن كثير والنسفى والبيضاوى وغيرهم بل مالوا الى جمع الصفوه من التفاسير والى المختارات منها ولا أدرى سبب ذلك أهو ضعف فى عطاء المفسر أو ضعف في همة المتلقى . وقد اكتفى بعض المفسرين من التفسير بتفسير سورة منه أو سور معدوده ، لا أغمط بهذا حق بعضهم ممن أجاد وأفاد ولكنى قصدت بعضهم وبعضهم قليل . والله المستعان .

الباب الاول

الاتجاه العقائدى فى التفسير

الفصل الثانى

منهج الشيعه فى تفسير القرآن الكريم

تعريف الشيعه :

شيعة الرجل بالكسر اتباعه وأنصاره ، والفرقه على حده ، ويقع على الواحد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث [(١)] ومن ذلك قوله تعالى " وان من شيعته لابراهيم " [(٢)] . وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعه ... وكل من عاون انسانا وتحزب له فهو له شيعه . [(٣)]

قال في القاموس وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى عليا وأهل بيته حتى صار اسما لهم خاصا " [(١)] والحق أن هذا غير صحيح لأن أهل السنه والجماعه يتولون عليا رضى الله عنه وأهل بيته ، ولا يطلق عليهم شيعه اذا فلا بد من اطلاق آخر .

واذا ماطلبنا تعريفا لهم من كتبهم وجدنا شيخهم " المفيد " يقرر ان لفظ الشيعه يطلق على " أتباع أمير المؤمنين عليّ على سبيل الولاء والاعتقاد لامامته بعد الرسول صلوات الله عليه وآله بلا فصل ونفي الامامه عمن تقدمه في مقام الخلافه وجعله فى الاعتقاد متبوعا لهم غير تابع لأحد منهم على وجه الاقتداء " . [(٤)]

وهو نفسه يعترف بأن هذا التعريف "لايشمل الا الاماميه والجاروديه من فرقة الزيديه أما باقى فرقة الزيديه فلا يشملهم التشيع ، وكذا لم يعتبر فى التعريف الاعتقاد بامامة أئمتهم المعروفين بعد علي رضى الله عنه مع أنه هو ومشايخهم ينكرون سمة التشيع لمن لم يؤمن بالائمة وزد على هذا العقائد الأخرى كالتقيه والرجعه وغيرها فقد ربط علماؤهم وصف التشيع بالايمان بها وكل هذا غير داخل فى تعريف المفيد .

---

(١) القاموس المحيط : الفيروز آبادى مادة شاع جـ ٣ ص ٤٧
(٢) سورة الصافات : الآيه ٨٣
(٣) تاج العروس : محمد مرتضى الزبيدى جـ ٥ ص ٤٠٥
(٤) أوائل المقالات : أبى عبد الله العكبرى الملقب بـ المفيد ص ٣٩

وهناك تعاريف أخرى كثيره وكلها تدور حول وصف الايمان بامامة علي رضي الله عنه ولا يذكر الخصائص الأخرى التى لا يشاركهم فيها أحد غيرهم ولهذا فأن بعض علمائهم يتمسك بتعريف ابن حزم للشيعه حيث قال " ومن وافق الشيعه في أن عليا رضى الله عنه أفضل الناس بعد رسول الله صلي الله عليه وسلم وأحقهم بالامامه وولده من بعده فهو شيعي وان خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون فان خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعيا" (١) .

ومن هذا نرى أن ابن حزم جعل من خصائصهم الايمان بامامة علي رضى الله عنه وولده من بعده ، فهو أدق من تعريف المفيد وبين أيضا أن هذا هو الأصل فى التشيع ولا أثر بعد ذلك فيما عداه من العقائد الأخرى ويقصد بها التقيه والعصمه والرجعه وغيرها .

ومع أن هذا التعريف فيما نرى هو الأقرب وهو الذى اختاره بعض كتاب الشيعه المعاصرين .

وينبغى أن نفرق بين الشيعه فى أطوارهم الأولى والشيعه المتأخرين فالشيعى فى الطور الأول يطلق على كل من فضل عليا وقدمه على عثمان رضى الله عنهما ولهذا قال ليث بن أبى سليم - الذى أخرج له مسلم - أدركت الشيعة الأولى وما يفضلون على أبى بكر وعمر أحدا " (٢) وقال أبو اسحاق السبيعي " خرجت من الكوفه وليس أحد يشك في فضل أبى بكر وعمر وتقديمهما وقدمت الآن وهم يقولون ويقولون ولا والله ماأدرى مايقولون" (٣) ولما سأل سائل شريك بن عبد الله - الذى أخرج له البخارى ومسلم وغيرهما - فقال له أيهما أفضل أبو بكر أو علي فقال له : أبو بكر فقال له السائل تقول هذا وأنت شيعى ؟ فقال له نعم ومن لم يقل هذا فليس شيعيا والله لقد رقى عليّ هذه

---

(١) الفصل فى الملل والاهواء والنحل : ابن حزم جـ ٢ ص ١٠٧
(٢) المنتقى من منهاج الاعتدال : أبى عبد الله الذهبى ت ٣٦٠ - ٣٦١
(٣) المرجع السابق ص ٣٦٠

الأعواد فقال ألا ان خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر فكيف نرد قوله وكيف نكذبه ؟ والله ماكان كذابا ". (١)

ولهذا لا يستغرب وجود طائفه من أعلام المحدثين وغيرهم يطلق عليهم وصف التشيع وهم من أعلام السنه ذلكم أن للتشيع فى زمن السلف مفهوما آخر غير مفهومه لدى المتأخرين " (٢) ولهذا فرق الذهبى فى ميزانه بين التشيع فى عهد السلف والتشيع عند المتأخرين فعد الأول بدعه صغرى لا يرد معها الحديث ولو رد لذهبت جملة من الآثار النبويه ، وعدّ الثانى بدعه كبرى كالرفض والغلو فيه والحط على أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فهذا النوع لا يحتج بهم ولا كرامه. (٣)

وكما مر بنا فان تعريفا ابن حزم الذى نقلناه آنفا لا يدخل فيه الشيعه فى عصر السلف فهو مختص بمن بعدهم ولذا فأنا نراه هو الأقرب للصواب والله أعلم .

بداية ظهور التشيع :

اختلف المؤرخون في بداية ظهور التشيع :-

القول الاول :

وهو رأى الشيعه أنفسهم ان بداية ظهور التشيع كان فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم نفسه فقال محمد الحسين آل كاشف الغطاء :-" ان أول من وضع بذرة التشيع فى حقل الاسلام هو نفس صاحب الشريعة الاسلاميه يعنى أن بذرة التشيع وضعت مع بذرة الاسلام جنبا الى جنب وسواء بسواء

---

(١) منهاج السنه : ابن تيمية ت محمد رشاد سالم جـ ١ ص ٧ - ٨
(٢) فكرة التقريب بين أهل السنة والشيعه : رسالة ماجستير مسحوبه على الاستنسل للشيخ ناصر القفارى جـ ١ ص ١١٥
(٣) ميزان الاعتدال : " لابى عبد الله محمد بن أحمد الذهبى جـ ١ ص ٥ - ٦

ولم يزل غارسها يتعاهدها بالسقى والعناية حتى نمت وأزهرت فى حياته ثم أثمرت بعد وفاته "[(١)] ثم استدل لذلك بأدله واهيه ليس هذا مجال نقدها وابطالها .

القول الثانى :

ان التشيع ظهر يوم السقيفه بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم حيث داعا بعض الصحابه فى هذا اليوم الى استخلاف علي رضى الله عنه . والحق أنه لادلالة في هذه الحادثه على بداية ظهور التشيع .

القول الثالث :

أن التشيع حدث يوم مقتل عثمان رضى الله عنه[(٢)] . قال ابن تيميه رحمه الله تعالى " ففي خلافة أبي بكر وعمر وعثمان لم يكن أحد يسمى من الشيعه ولا تضاف الشيعة الى أحد . فلما قتل عثمان تفرق المسلمون فمال قوم الى أولياء عثمان . ومال قوم الى عليّ . وقيل حينئذ شيعة علي وشيعة عثمان .[(٣)]

القول الرابع :

ان موقعة صفين . والتحكيم بين علي ومعاوية رضى الله عنهما هو بداية ظهور التشيع . وظهور الخوارج أيضا .[(٤)]

القول الخامس :

ان مقتل الحسين بن علي رضى الله عنهما يعتبر بداية لظهور التشيع[(٥)]

هذه مجمل الاقوال في بداية ظهور التشيع أقربها فيما نرى القول الثالث وليس هذا موضع تحقيق ذلك .

---

(١) أصل الشيعه وأصولها : محمد حسين آل كاشف الغطاء ص ٤٣
(٢) انظر المذاهب الاسلامية : محمد أبو زهره ص ٥١ - ٥٤
(٣) منهاج السنه : ابن تيميه : جـ ٢ ص ٦٤
(٤) نظرية الامامة لدى الشيعه الاثنى عشرية : أحمد محمود صبحى ص ٤٠
وتاريخ الامامية : عبد الله فياض ص ٣٧
(٥) نظرية الامامه : أحمد صبحي ص ٤٧

فرق الشيعه :

ولم تتفق الشيعه في المذهب والعقيده بل افترقوا الى فرق شتى . غالى بعضهم وتطرف في مذهبه حتى خرج عن ربقة الاسلام . وتوسط بعضهم حتى كاد أن يكون من أهل السنه والجماعه .

وليس من شأني هنا أن أتناول جميع فرقهم ومذاهبهم ولكنى أقتصر على بيان بل بعض بيان للفرق المعاصره فى المذهب الشيعى حيث اندثرت أكثر الفرق .

وقد ذكر مصطفى غالب [1] " أنه لم يبق من جميع فرق الشيعه حتى الآن الا الاماميه الجعفريه الاثنى عشرية ، والزيديه ، والاسماعيليه - الآغاخانيه والبهره - والنصيريه والدرزيه المتفرعه عن الاسماعيليه " [2]

وحدد مصطفى غالب مرتكز الخلاف بين فرق الشيعه بأنه " فى سوق الامامه . وفي اشخاص الائمه . فالكيسانيه منهم أخرجوها عن ولد فاطمه بعد الاعتراف بامامة علي والحسن والحسين (ع) وكذلك صنع الزيديه فانهم لم يعترفوا بامامة الائمة من بعد الامام (الرضا) لعدم تحقق شرائط الامامه فيهم على مذهبهم ، وأما الاسماعيليه فقد وافقوا الاماميه في إمامة خمسة منهم وافترقوا عنهم في امامة السادس وهو عند الاماميه السابع موسى بن جعفر الصادق الى تمام اثنى عشر اماما وعند الاسماعيلية اسماعيل بن جعفر (ع) وولده مبتدئه بـ محمد بن اسماعيل وبعقبة الى يوم الناس هذا " . [3]

وعلى هذا يكون التقسيم التقريبى لهذه الفرق على الشكل التالى : -

---

(١) أحد دعاة الاسماعيليه فى العصر الحديث والمروجين لافكارهم .
(٢) الحركات الباطنيه فى الاسلام : مصطفى غالب ص ٥٦
(٣) المرجع السابق : ص ٥٧

١ - الاماميه : الاثنى عشريه / السبعيه (الاسماعيلية) ← الآغاخانيه / البهره

٢ - الدرزيه

٣ - النصيريه

٤ - الزيديه

وندرسها على هذا الترتيب .

الاماميـة :

نسبة إلى الامامة . وهم يعتقدون " أن هذا هو الأصل الذى امتازت به الامامية وافترقت عن سائر فرق المسلمين وهو فرق جوهرى أصلي "(١)

ويعتقدون أن الامامة كالنبوه لا تكون إلا بالنص من الله تعالى على لسان رسوله أو لسان الامام المنصوب بالنص اذا أراد أن ينص على الإمام من بعده ".(٢)

ويعتقدون " أن النبى صلى الله عليه وسلم نص على خليفته والامام في البريّه من بعده . فعيّن ابن عمه علي بن أبي طالب أميرا للمؤمنين وأمينا للوحي واماماللخلق "(١)

ويعتقدون أن الإمامه لعلي رضى الله عنه جاءت بطريق التلويح والتصريح والاشارة والنص(٣) وليس كما يعتقد الزيديه أنها بطريق التعريض بالوصف .

ويعتقدون أن الإمامه انتقلت من بعد على بن أبي طالب إلى الحسن ابن علي ثم إلى أخيه الحسين بن علي ثم الى ابنه محمد على ابن الحسين " زين العابدين " ثم إلى ابنه محمد بن علي " الباقر" ثم الى ابنه جعفر بن محمد " الصادق " .

---

(١) أصل الشيعه وأصولها : محمد الحسين آل كاشف الغطاء ص ٦٥
(٢) عقائد الاماميه : محمد رضا المظفر ص : ١٠٣
(٣) أصل الشيعه وأصولها : محمد الحسين آل كاشف الغطاء ص ٦٦

ثم افترقوا بعد ذلك الى فرقتين

١ - الاماميه " الاثنى عشريه "

٢ - الاماميه " السبعيه " أو الاسماعيليه

الاماميه الاثنى عشريه :

ويرون أن الامامه انتقلت بعد جعفر الصادق الى ابنه موسى " الكاظم" ثم الى ابنه على الرضا ثم الى ابنه محمد " الجواد" ثم الى ابنه على " الهادى " ثم الى ابنه " الحسن " العسكرى " ثم الى ابنه محمد " المهدى " المنتظر فى عقيدتهم " وبهذا يكون الأئمه عندهم اثنا عشر فنسبوا الى هذا .(١)

وأصول العقيده عندهم خمسة :(٢)

الاول : التوحيد

الثانى : النبوه

الثالث: الامامه

الرابع : العدل

الخامس : المعاد

وهذه الأصول الخمسه تتضمن عقائد أخرى انفردت بها الاماميه الاثنا عشرية ومنها :-

١ - البداء :

حيث يقسمون القضاء الالهى الى ثلاثة أقسام :

الأول قضاء الله الذى لم يطلع عليه أحد من خلقه . والعلم المخزون الذى استأثر به لنفسه (قالوا) ولا ريب فى أن البداء لايقع فى هذا القسم .

---

(١) أصل الشيعه وأصولها : محمد الحسين آل كاشف الغطاء ص٥٩

(٢) المرجع السابق انظر الصفحات ٦١ - ٧٥

الثانـي : قضاء اللـه الذى أخـبر نبيـه وملائكتـه بأنه سيقـع حتمـا .

(قالوا) ولا ريب في أن هذا القسم أيضا لا يقـع فيه البداء .

الثالث : قضاء اللـه الذى أخـبر نبيـه وملائكتـه بوقوعه فى الخارج الا أنـه موقوف على أن لا تتعلـق مشيئـة اللـه بخلافه (قالوا) وهـذا القسـم هو الذى يقـع فيـه البـداء . [1]

ومعنى ذلك عندهم أنه تعالى قد يظهر شيئا على لسان نبيـه أو وليّـه أو فى ظاهر الحال لمصلحه تقتضى ذلك الاظهار ثم يمحوه فيكون غير ما قـد ظهـر أولا مع سبق علمـه تعالى بذلك كما فى قصة اسماعيل لما رأى أبـوه ابراهيم أنـه يذبحـه .. [2] قالوا وقريب من البداء فى هذا المعـنى نسخ أحكام الشرائـع السابقه بشريعة نبينا صلى اللـه عليه وسلم . بل نسـخ بعض الاحكام التى جاء بها نبينا صلى اللـه عليـه وسلـم [2]

٢ - الامامـه والعصمـه :

فقالوا " ونعتقد أن الامام كالنبى يجب أن يكون معصوما من جميـع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن من سـنّ الطفوله الى الموت عمدا وسهوا كما يجب أن يكون معصوما من السهو والخطأ والنسيان " [3]

٣ - المهديـه :

ويعتقدون أن المهدى " هـو شخص معين معروف ولـد سنة ٢٥٦ هجريه ولا يزال حيا هـو ابن الحسن العسكرى واسمه (محمـد)([4]

---

(١) البيـان في تفسـير القـرآن : ابى القاسـم الموسوى الخوئـي ص ٣٨٧ - ٣٨٨

(٢) عقائـد الاماميـه : محمـد رضا المظفـر ص ٧٠

(٣) المرجـع السابـق : ص ٤٥

(٤) المرجـع السابـق : ص ١٠٨

٤ - الرجعـــه :

وهى مرتبطه بالعقيدة السابقة فى المهدى ذلك أنهم يعتقدون " أن الله تعالى يعيد قوما من الأموات الى الدنيا في صورهم التى كانوا عليها فيعز فريقا ويذل فريقا آخر ويديل المحقين من المبطلين والمظلومين منهم من الظالمين وذلك عند قيام مهدى آل محمد عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام "[١]

وقالوا " ولا يرجع الا من علت درجته في الايمان أو من بلغ الغايه من الفساد "[١]

٥ - التقيـــه :

ويعرفونها بأنها " كتمان الحق وستر الاعتقاد فيه ومكالمة المخالفين وترك مخالفتهم بما يعقب ضررا فى الدين والدنيا".[٢]

وما زالت التقيه سمة تعرف بها الامامية دون غيرها من الطوائف والأمم " .[٣]

٦ - انهم لا يقبلون من السنه الا ما صح لهم من طرق أهل البيت عن جدهم يعنى مارواه الصادق عن أبيه الباقر عن أبيه زين العابدين عن الحسين السبط عن أبيه أمير المؤمنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أما ما يرويه مثل أبي هريره وسمره بن جندب ومروان بن الحكم وعمران ابن حطان وعمرو بن العاص ونظائرهم فليس له عند الاماميه من الاعتبار مقدار بعوضه .[٤]

---

(١) عقائد الامامية : محمد رضا المظفر ص ١٠٩
(٢) الصله بين التصوف والتشيع : كامل مصطفى الشيبى ص ٤٠٣
(٣) عقائد الاماميه : محمد المظفر ص ١١٤
(٤) أصل الشيعه وأصولها : محمد الحسين آل كاشف الغطاء ص ٧٩

٧ - انهم لا يعملون بالقياس وينسبون الى أئمتهم القول " ان الشريعه اذا قيست محق الدين "[(١)] .

٨ - وفى الصلاة تعطل الاماميه الاثنا عشريه صلاة الجمعه لانها لا تجوز ماداام الامام غائبا ولا تقام حتى يظهر الامام المستتر وقد أمر الخميني فى شعبان سنة ١٤٠٠ بأداء صلاة الجمعه .

٩ - الخمس :

ويجب عندهم في سبعة أشياء :-

١ - غنائم دار الحرب ٢ - الغوص ٣ - الكنز ٤ - المعدن

٥ - ارباح المكاسب ٦ - الحلال المختلط بالحرام

٧ - الارض المنتقله من المسلم الى الذمي .

ويدفع الخمس الى الامام ان كان ظاهرا والى نائبه وهو (المجتهد العادل) ان كان غائبا . وهو عندهم حق فرضه الله لآل محمد صلى الله عليه وسلم عوض الصدقه التى حرمها عليهم من زكاة الأموال والأبدان .

١٠- نكاح المتعه :

أو عقد الانقطاع والمراد به عقد الزواج الى أجل مسمى وتجب العده على الزوجه بعده " وهي على الأقل خمسة وأربعون يوما"[(٢)]

هذه

هي أهم سمات مذهب الامامية الاثنى عشريه وما تتميز به عن سائر المذاهب الأخرى اكتفينا منها بأهمها ومن عرضها بالاشاره حتى لا يطغى على مسار البحث وهدفه .

* * * * *

---

(١) أصل الشيعه وأصولها : محمد الحسين آل كاشف الغطاء ص ٧٩
(٢) المرجع السابق : ص ١١٢

منهجهم فى تفسير القرآن الكريم :

ولهم منهج مستقل فى التفسير ساروا عليه لا يشاركهم أحد فى جميع جوانبه . وتعدد نواحى الخلاف بين منهجم ومنهج أهل السنه والجماعه .

طرق التفسير :

فأصبح طرق التفسير عند أهل السنه والجماعه ـ كما مر ـ والشيعه أيضا تفسير القرآن بالقرآن ثم بأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم . ثم اختلفوا بعد ذلك فأهل السنه يأخذون بعد هذا بأقوال الصحابه أما الاماميه الاثناعشريه فهى " ترى أن الصحابه والتابعين كبقية المسلمين لا حجية فى أقوالهم الا ما ثبت أنه حديث نبوى " (١)

أما الطريق عندهم بعد أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم فهى أقوال أئمتهم قالوا " وقد ثبت بطرق متواتره فى حديث الثقلين أن أقوال العترة الطاهره من أهل بيته عليهم السلام هي تاليه لأقوال الرسول فهى حجة أيضا " (٢)

بل وتجاوزوا هذا فرفضوا ما رواه الصحابه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وردوا رواياتهم كلها الا ما صح من طرق أهل البيت حيث يقول محمد الحسين آل كاشف الغطاء عن فرقته الاماميه ومذهبهم في قبول الروايات " انهم لا يقبلون من السنه (أعنى الاحاديث النبويه) الا ما صح لهم من طرق أهل البيت " (٣)

أما القياس فقد سبق ذكر قولهم " ان الاماميه لا تعمل بالقياس وقد تواتر عن أئمتهم أن الشريعه اذا قيست محق الدين " (٣)

---

(١) القرآن في الاسلام : محمد حسين الطباطبائى ص ٥٩ - ٦٠
(٢) المرجع السابق : ص ٦٠
(٣) أصل الشيعه واصولها : محمد الحسين آل كاشف الغطاء ص ٧٩

أما الاجماع فليس حجه بنفسه الا اذا كان الأمام المعصوم من المجمعين ، أو كان الاجماع يعتمد على دليل معتبر ، أو كاشفا عن رأيه في المسأله .(١)

أما العقل ودليله فلا يدخل فيه عندهم القياس ، ولا المصالح ولا الاستحسان .(١)

اذا فطرق التفسير التى سلكوها هي تفسير القرآن بالقرآن وبالسنه (ويعنون بها ما ورد عن طرق أهل البيت) وبالاجماع بشرطه السابق ، وبدليل العقل بخصوصه السابق .

لذلك كان لهم آراء فقهيه انفردوا بها بناء على هذه الأصول وجاء تفسيرهم لكثير من آيات الأحكام فى القرآن الكريم متأثرا بهذه النظره كاباحة نكاح المتعه ومنع المسح على الخفين ، وان الواجب مسح الرجلين في الوضوع دون غسلهما ونحو ذلك . . . وسيأتى ان شاء الله بيان بذلك .

للقرآن ظاهر وباطن :

وللقرآن عندهم ظهر وبطن ويقصدون بهذا " أن للقرآن مراتب من المعانى المراده بحسب مراتب أهله ومقاماتهم وان الظهر والبطن أمران نسبيان فكل ظهر بطن بالنسبه الى ظهره وبالعكس" (٢) ويستدل الطباطبائى لهذا بما ورد فى " تفسير العياشي عن جابر قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن شيء من تفسير القرآن فأجابنى ثم سألته ثانيه فأجابنى بجواب آخر فقلت جعلت فداك كنت أجبت فى المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم ! فقال ياجابر ان للقرآن بطنا وللبطن بطن وظهرا وللظهر ظهر ياجابر وليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن ان الآيه تكون أولها فى شيء وأوسطها فى شيء وآخرها فى شيء وهو كلام متصل ينصرف على وجوه " .(٢)

---

(١) أعيان الشيعه جـ ١ ص ٤٧٧ عن التفسير والمفسرون ٢/ ٢٦

(٢) الميزان جـ ٣ ص ٧٣

وقال" وقد روى عن علي عليه السلام : ان القرآن حمال ذو وجوه" [١]
أما الراسخون الذين يعلمون تأويله فالمراد بهم عندهم آل محمد [٢] ويروون عن الصادق عليه السلام نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تأويله. [٣]

اسلوب الجرى في القرآن عندهم :

وهو أن تطبق الآيات القرآنية على أئمتهم أو على أعدائهم قال الطباطبائى في تفسيره " واعلم أن الجرى - وكثيرا ما نستعمله فى هذا الكتاب - اصطلاح مأخوذ من قول أئمة أهل البيت عليهم السلام". [٤]

وقال أيضا " والروايات في تطبيق الآيات القرآنية عليهم (عليهم السلام) أو على أعدائهم أعنى روايات الجرى كثيره في الأبواب المختلفه وربما تبلغ المئين ". [٥]

وسنعرض لهذا فيما بعد .

التفسير العقلى :

ذكرنا آنفا أن من طرق تفسير القرآن عندهم التفسير بالعقل وتفاسيرهم لمسائل علم الكلام متأثره تأثرا بينا بنظرة المعتزله ويرجع هذا التأثر الى أن عددا كبيرا من سلف الشيعه تتلمذ لبعض مشايخ المعتزله وهذا واضح بين فى تفاسير الحسن العسكرى ، والشريف المرتضى وأبي علي الطبرسى [٦] وسيأتى ان شاء الله بيان ذلك فى تفاسير المحدثين

تحريف القرآن :

لا يكاد يذكر القول بتحريف القرآن الا ويذكر مذهب الشيعه ولا تكاد تقلب كتابا عن عقائد الشيعه الا وتجده قد أفرد القول بتحريف القرآن

---

(١) تفسير الميزان فى تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائى جـ ٣ ص ٨٧
(٢) المرجع السابق جـ ٣ ص ٦٧
(٣) المرجع السابق جـ ٣ ص ٦٩
(٤) المرجع السابق جـ ١ ص ٤١ (٥) المرجع السابق جـ ١ ص ٤٢
(٦) التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبى جـ ٢ ص ٢٥ - ٢٦

بمقال وهم فيما يكتبون سلكوا أحد طريقين :-

١ - اما أن يثبتوا بأدلتهم تحريف القرآن الكريم .

٢ - واما أن ينكروا القول بالتحريف وينكروا نسبته الى الشيعه .

ولنتحدث عمن سلك الطريق الأول .

القول بتحريف القرآن :

ذكر امامهم الخوئى فى البيان فى تفسير القرآن ان التحريف يراد منه عدة معان :

الاول : نقل الشيء عن موضعه وتحويله الى غيره ومنه قوله تعالى " ومن الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ٤ : ٤٦ ثم ذكر أن كل من فسر القرآن بغير حقيقته وحمله على غير معناه فقد حرفه ،

الثانى : النقص أو الزيادة فى الحروف أو فى الحركات مع حفظ القرآن وعدم ضياعه وان لم يكن متميزا فى الخارج عن غيره .

الثالث : النقص أو الزياده بكلمة أو كلمتين مع التحفظ على نفس القرآن المنزل .

الرابع : التحريف بالزيادة والنقيصه فى الآيه والسوره مع التحفظ على القرآن المنزل والتسالم على قرآءه النبى -ص- اياها "

ثم زعم أن هذه الأنواع الأربعه من التحريف واقعه فى القرآن قطعا .[1]

النوع الخامس: التحريف بالزيادة بمعنى أن بعض المصاحف الذى بأيدينا ليس من الكلام المنزل " والتحريف بهذا المعنى باطل باجماع المسلمين بل هو مما علم بطلانه بالضروره "[2] والحق أن كل من قرأت له ممن تعرض لهذا النوع ذكر الاجماع على عدم القول بتحريف القرآن بالزيادة فيه الا أنى اطلعت على نص عند الشيعه يقول

---

(١) البيان فى تفسير القرآن : الخوئى ص ١٩٧ - ١٩٩
(٢) المرجع السابق ص ٢٠٠

بهذا النوع وهو مارواه ميسره عن أبى جعفر عليه السلام قال :

لولا أنه زيد فى كتاب الله ونقص منه ما خفى حقنا على ذى حجى" (١)

النوع السادس : التحريف بالنقيصه بمعنى أن المصحف الذى بأيدينا

لا يشتمل على جميع القرآن الذى نزل من السماء فقد ضاع بعضه

من الناس "

ثم قال " والتحريف بهذا المعنى هو الذى وقع فيه الخلاف فأثبته قوم

ونفاه آخرون " (٢).

والقول بتحريف القرآن الكريم عند الشيعه مما اتفقوا عليه من القرن الرابع الى القرن السادس ولم ينكر أحد منهم القول بتحريف القرآن الا أربعة ابن بابويه القمي الملقب عندهم بالصدوق (ت ٣٨١) والمرتضى (ت ٤٣٦) والطوسي (ت ٤٥٠) والطبرسي (ت ٥٤٨).

واعترف بهذا الاستثناء شيخ الشيعه النورى الطبرسي حيث قال" انه لم يعرف الخلاف صريحا الا من هؤلاء الاربعه" (٣).

واعترف به ايضا نعمة الله الجزائرى بقوله " ان الأصحاب قد اطبقوا على صحة الأخبار المستفيضه بل المتواتره الداله بصريحها على وقوع التحريف فى القرآن " (٤) ثم قال " نعم قد خالف فيها المرتضى والصدوق والشيخ الطبرسي وحكموا بأن ما بين دفتي هذا المصحف هو القرآن المنزل لاغير ولم يقع فيه تحريف ولا تبديل " (٤).

وما لنا ولعلمائهم السابقين والقول بتحريف القرآن يتشدق به طائفه من علمائهم المعاصرين فهذا شيخهم محمد بن حيدر الخراساني يعتقد

---

(١) تنظر تفسير العياشي ١/١٣ والصافى للمحسن الكاشي المقدمه السادسه ص ١٠ والبرهان لهاشم البحراني ١/٢٢ والبحار للمجلسى ١٩/٣٠
(٢) المرجع السابق ص ٢٠٠
(٣) فصل الخطاب فى تحريف كتاب رب الأرباب : حسين الطبرسي ص ١٥
(٤) الانوار النعمانية : نعمة الله الجزائرى جـ ٢ ص ٣٥٧

فصلا في مقدمة تفسيره قال فيه " الفصل الثالث عشر في وقوع الزياده والنقيصه والتقديم والتأخير والتحريف والتغيير في القرآن الذي بين أظهرنا " ثم قال " اعلم أنه قد استفاضت الأخبار عن الائمه الاطهار (ع) بوقوع الزيادة والنقيصه والتحريف والتغيير فيه بحيث لا يكاد لا يقع شك في صدور بعضها منهم وتأويل الجميع بأن الزيادة والنقيصه والتغيير انما هي في مدركاتهم من القرآن لا في لفظ القرآن كلفه " (١).

وقال في موضع آخر عند تفسيره لقوله تعالى " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون " (٢) ولا ينافي حفظه تعالى للذكر بحسب حقيقته التحريف في صورة تدوينه فان التحريف ان وقع وقع في الصوره المماثلة له كما قال فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هو من عند الله وما هو من الله " (٣).

ولا يكتفي شيخهم هذا بالادعاء بتحريف القرآن فيعمد الى ذكر المواضع التي زعم وقوع التحريف فيها فقد أورد في تفسير قوله تعالى :" وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع الايه" (٤).

قال " وعن أمير المؤمنين (ع) في جواب مسائل الزنديق الذي سأل عن اشياء أنه اسقط بين طرفي تلك الآيه أكثر من ثلث القرآن " (٥).

هذا شيخ من شيوخ المعاصرين قال بتحريف القرآن الكريم بل أن بعض علمائهم أفردوه بمؤلفات مستقله فقد ألف شيخهم حسين بن محمد تقي الدين الطبرسي المتوفى سنة ١٣٢٠ كتابه " فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الارباب " وصفه صاحبه بأنه " كتاب لطيف وسفر شريف عملته في اثبات

---

(١) بيان السعاده في مقامات العباده جـ ١ ص ١٢
(٢) سورة الحجر الآيه : ٩
(٣) بيان السعادة : محمد حيدر جـ ١ ص ٤٠٢ وقد وقع المؤلف في خلط بين الآيتين ٧٩ من البقره و ٧٨ من آل عمران .
(٤) سورة النساء من الآيه ٣
(٥) بيان السعادة : محمد حيدر جـ ١ ص ١٩٠

تحريف القرآن وفضائح أهل الجور والعدوان وسميته " فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الارباب " .[1]

وفى الهند ألف ميرزا سلطان أحمد الدهلوى كتابا سماه " تصحيف كاتبين ونقص آيات كتاب مبين " والف محمد مجتهد اللكفوى كتابه " ضربه حيد ريه " .

ولست هنا بصدد جمع أقوال أصحاب هذا الرأى وأدلتهم فهذا شأن آخر وانما أردت اثبات ان هذا القول هو مذهب راسخ عند الشيعه حتى أفردوه فى مؤلفات خاصه .

ولنذكر بعد هذا من سلك الطريق الثانى منهم فأنكر القول بتحريف القرآن ونسبته الى الشيعه .

القول بسلامة القرآن من التحريف :

وقد ذهب بعض الشيعه خاصه من العصر الحديث الى انكار القول بتحريف القرآن الكريم وأنكروا نسبة ذلك الى الشيعه بل زعموا نسبه ذلك الى بعض علماء أهل السنه وعدوا القول بنسخ التلاوه قول بالتحريف متجاهلين ولا أقول جاهلين لان مثل هذا لا يخفى - ان النسخ أمر الهي والتحريف من شأن البشر فلا يعد ذاك تحريفا ولا يعد ذا نسخا .

ثم ذهب كثير منهم فى عصرنا هذا يعددون الأدلة على عدم تحريف القرآن فيقول الخوئى " والحق بعد هذا كله ان التحريف " بالمعنى الذى وقع النزاع فيه " غير واقع فى القرآن أصلا بالادله التاليه الدليل الاول قوله تعالى " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون " ١٥ : ٩ " الدليل الثانى قوله تعالى " وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد " (٤١ : ٤٢)[2]

وقال شيخهم محمد رضا المظفر " نعتقد ان القرآن هو الوحى الالهى

"(١) فصل الخطاب : حسين الطبرسي الورقة أ

(٢) البيان فى تفسير القرآن : ابى القاسم الخوئي ص ٢٠٧ - ٢١٠

لا يعتريه التبديل والتغيير والتحريف وهذا الذى بين أيدينا نتلوه هو نفس القرآن المنزل على النبى ومن ادعى فيه غير ذلك فهو مخترق أو مغالط أو مشتبه وكلهم على غير هدى فانه كلام الله الذى " لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه " [(١)] .

وقال الخوئى أن القول بعدم التحريف هو المشهور بل المتسالم عليه بين علماء الشيعه ومحققيهم [(٢)] .

وقال محمد الحسين آل كاشف الغطاء " يعتقد الشيعه الاماميه .... أن الكتاب الموجود فى أيدى المسلمين هو الكتاب الذى أنزله الله اليه للاعجاز والتحدى ولتعليم الأحكام وتمييز الحلال من الحرام وأنه لا نقص فيه ولا تحريف ولا زياده وعلى هذا اجماعهم ومن ذهب منهم أو من غيرهم من فرق المسلمين الى وجود نقص فيه أو تحريف فهو مخطئ نص الكتاب العظيم " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون " والأخبار الواردة من طرقنا أو طرقهم الظاهره فى نقصه أو تحريفه ضعيفه شاذه وأخبار آحاد لا تفيد علما ولا عملا فاما أن تأول بنحو من الاعتبار أو يضرب بها الجدار " [(٣)]

وقال السيد محسن الأمين أن " كتب المحققين ومن يعتنى بقولهم من علماء الشيعه مجمعه على عدم وقوع تحريف فى القرآن لا بزيادة ولا نقصان" [(٤)]

ولسنا بحاجه هنا الى أن نسوق النصوص الكثيره فى أنكارهم تحريف القرآن أو نسبة ذلك الى الشيعه وأن القارئ لتصيبه الحيره مما تقول هذه الطائفه منهم واذا ما علم أن من عقائدهم التقيه لم يجد بدا من حمل انكارهم هذا على تلك العقيده ذلك أن تواتر الروايات عندهم فى تحريف القرآن مما لا يمكن انكاره .

---

(١) عقائد الاماميه محمد رضا المظفر ص ٨٥

(٢) البيان : ص ٢٠٦

(٣) أصل الشيعه وأصولها محمد حسين آل كاشف الغطاء ص ٦٣ - ٦٤

(٤) الشيعه بين الحقائق والأوهام السيد محسن الأمين ص ١٦٠

ولنعيد هنا قولين من أقوال علمائهم لا نزيد عليها قال شيخهم نعمة الله الجزائرى " ان القول بصيانه القرآن وحفظه يغض الى طرح الأخبار المستفيضه بل المتواتره الداله بصريحها على وقوع التحريف فى القرآن ... مع أن أصحابنا رضوان الله عليهم - قد أطبقوا على صحتها والتصديق بها"[1]

وقال الطبرسي " ان ملاحظة السند فى تلك الأخبار الكثيرة توجب سد باب التواتر المعنوى فيها بل هو أشبه بالوسواس الذى ينبغى الاستفاده منه "[2].

فاذا كانت هذه الروايات وصلت عندهم الى تلك الدرجه فكيف يجرؤ أولئك على انكار القول بتحريف القرآن وانكار ونسبة ذلك الى عقيدة الشيعه .

واذا أضفنا الى ذلك أن أولئك الذين انكروا نسبة هذا الى الشيعه وأنكروا تواتره فضلا عن صحته أنهم أقروا بأنفسهم فى مواضع أخرى وهم يتخبطون بين الانكار تقيه والاعتراف عقيده أقروا بالقطع بصحه بعض الروايات فى تحريف القرآن فقال الخوئى مثلا عن تلك الروايات " الا أن كثرة الروايات تورث القطع بصدور بعضها عن المعصومين عليهم السلام ولا أقل من الاطمئنان بذلك وفيها ماروى بطريق معتبر فلا حاجه بنا الى التكلم فى سند كل رواية بخصوصها "[3].

ولا ندرى لم يزعم محمد جواد فقيه أن القول بسلامة القرآن من الزياده والنقصان " اليوم أصبح هذا القول ضرورة من ضرورات الدين وعقيده لجميع المسلمين اذ لا قائل بالنقيصه لا من السنه ولا من الشيعه فاثارة هذا الموضوع والتعرض له فى هذا العصر لغو وعبث أو دس وطعن على الاسلام والمسلمين"[4]

---

(١) الأنوار النعمانيه : نعمة الله الجزائرى ٢/ ٣٥٧ - ٣٥٨
(٢) فصل الخطاب : ورقه ١٢٤
(٣) البيان فى تفسير القرآن : الخوئى ص ٢٢٦
(٤) الشيعه فى الميزان : محمد جواد مغنيه ص ٥٨

ولا تدرى لم يزعم هذا وهو ممن لا يخفى عليه الحق في تلك القضيه لا تخفى عليه أبدا تلك المؤلفات لعلماء الشيعه فى عصرنا هذا التى أفردوها لهذه الفريه وهذا الزعم .

وليس لنا الا أن نسأل أولئك الذين أنكروا القول بتحريف القرآن ونسبوا القول بذلك - بهتانا - الى جماعة من علماء السنه والشيعه وأنكروا - زورا - وجود أحد في هذا العصر يقول بهذا القول . ليس لنا الا أن نسألهم. ما تقولون فيمن يعتقد هذا الاعتقاد ؟ فيمن يعتقد تحريف القرآن الكريم أمؤمن هو أم كافر ؟ ان قلتم مؤمن قلنا انه ايمان فريد من نوعه لكنه حتما ليس بالايمان الذى جاء به الأنبياء والمرسلون وان قلتم هو كافر قلنا لقد حكمتم على كثير من علمائكم . وبقى تخبطكم هذا من أى الصنفين هو الايمان أو الكفر أو هو من قبيل التقية التى هى دينكم ودين آبائكم كما تقولون ؟!

نماذج من تفسيرهم :-

ذكرت فيما سبق موقف الشيعه من القرآن الكريم وتفسيره . واذا أردنا أن نذكر شيئا من تفاسير الاماميه الاثنا عشرية للقرآن الكريم فانا نرى وجوب الاقتصار على تفسير الآيات التى يدعمون بها ما انفردوا به من آراء ، ويستندون اليها في اثباتها ، ونضيف الى هذا ما اشتهر عنهم في قضايا أخرى .

أولا : الامامه :

للامامه عند الاماميه مكانه كبيره اذ هى المحور الذى تدور حوله عقائدهم وترتكز عليه مبادئهم . حتى نسبوا اليها وسموا بالاماميه .

ففي قوله تعالى خطابا لابراهيم عليه السلام : " انى جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتى قال لاينال عهدى الظالمين "(1) يفسر السيد محمد الطباطبائى(2) ذلك بقوله " انى جاعلك للناس اماما أى مقتدى يقتدى بك

(1) سورة البقرة من الآيه : ١٢٤
(2) سيأتى الحديث عنه ان شاء الله .

الناس ويتبعونك فى أقوالك وأفعالك "[1] ويرفض القول بأن المراد بالامامه النبوه ويصفه بأنه فى غاية السقوط "[1]

ثم يزيد تفسيره للامامه ايضاحا فيقول " والذى نجده فى كلامه تعالى انه كلما تعرض لمعنى الامامه تعرض معها للهداية تعرض التفسير قال تعالى فى قصص ابراهيم عليه السلام " ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا " الأنبياء - ٧٣- وقال سبحانه " وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون" السجده / ٢٤ / فوصفها بالهداية وصف تعريف ثم قيدها بالأمر فبين أن الامامه ليست مطلق الهدايه بل هي الهدايه التى تقع بأمر اللـه ".[2]

وهذا هو الفارق بين الامامه والنبوه فالنبوة والرسالة ليست الا مجرد ارائة الطريق اذ يقول " وبالجملة فالامام هاد يهدى بأمر ملكوتى يصاحبه فالامامه بحسب الباطن نحو ولايه للناس في أعمالهم وهدايتها ايصالها اياهم الى المطلوب بأمر اللـه دون مجرد ارائه الطريق الذى هو شأن النبى والرسول وكل مؤمن يهدى الى اللـه سبحانه بالنصح والموعظه الحسنه ".[3]

ومن صفات الامام عند الاماميه أنه " يجب أن يكون انسانا ذا يقين مكشوفا له عالم الملكوت - متحققا بكلمات من اللـه سبحانه -"[4] وهو أيضا أى الامام " يحضر عنده ويلحق به أعمال العباد خيرها وشرها وهو المهيمن على السبيلين جميعا سبيل السعادة وسبيل الشقاوة ".[4]

أما أفعال الامام فهى " خيرات يهتدى اليها لا بهداية من غيره بل باهتداء من نفسه بتأييد الهي وتسديد ربانى ".[5]

---

(١) المرجع السابق : جـ ١ ص ٢٧٠
(٢) الميزان فى تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائى :جـ ١ ص ٢٧٢
(٣) المرجع السابق : جـ ١ ص ٢٧٢
(٤) المرجع السابق : جـ ١ ص ٢٧٣
(٥) الميزان : الطباطبائى جـ ١ ص ٢٧٤

أما أقواله كما يقول محمد جواد مغنيه فى تفسيره " فأن قول الامام نبيا كان ، أو وصيا هو قول الله وهداه هدى الله وحكمه حكم الله الذى لا يحتمل العكس ".[(١)]

ويد هي بعد هذا أن يكون الامام عندهم معصوما من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن من سن الطفوله الى الموت عمدا وسهوا كما يجب أن يكون معصوما من السهو والخطأ والنسيان[(٢)] أما مستندهم فى هذا فيقول عنه محمد جواد مغنيه فى تفسيره " واستدل الشيعه الاماميه بقوله تعالى " لا ينال عهدى الظالمين " على وجوب العصمه للنبى والوصي ووجه الدلاله ان الله قد بين صراحه أنه لا يعهد بالامامه الى ظالم ، والظالم من ارتكب معصيه فى حياته مهما كان نوعها حتى ولو تاب بعدها حيث يصدق عليه هذا الاسم ولو آنا ما ، ومن صدق عليه كذلك فلن يكون اماما "[(٣)] وقال " ويكفى دليلا على عصمه أهل البيت (ع) شهادة الله لهم بالعصمه فى الآيه ٣٣ من الاحزاب " انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا "[(٤)].

وهو أيضا ما فسره بن الطباطبائى فى الميزان حيث قال فى تفسير الآيه السابقه " فمن المتعين حمل اذهاب الرجس فى الآيه على العصمه"[(٥)].

وقد حاول محمد جواد مغنيه فى تفسيره ان يعمم القول بالعصمه وأنكر اختصاص الشيعه بالقول بها فقال " وفكرة العصمة لا تختص بالشيعه وحدهم فان السنه قالوا بها ولكنهم جعلوها للأمه مستندين الى حديث لم يثبت عند الشيعه وهو " لا تجتمع أمتى على ضلاله "

---

(١) التفسير الكاشف : محمد جواد مغنيه جـ ١ ص ١٩٧
(٢) عقائد الاماميه : محمد رضا المظفر ص ٩٥
(٣) الكاشف جـ ١ ص ١٩٨ والتفسير المبين : محمد جواد مغنيه ص٢٥
(٤) الكاشف جـ ١ ص ١٩٨
(٥) الميزان جـ ١٦ ص ٣١٢

والمسيحيون قالوا بعصمة البابا والشيوعيون بعصمه ماركس ولينين وقال القوميون السوريون بعصمة انطون سعاده والاخوان المسلمون بعصمة حسن البنا [1] وكل من استدل بقول انسان واتخذ منه حجه دليلا فقد قال بعصمته من حيث يريد أو لا يريد وفي الصين مئات الملايين اليوم تؤمن بعصمة ماودتسي تونغ - نحن الآن في سنة ١٩٦٧ - ويشيدون بتعاليمه واذا اختلف الشيوعيون فيما بينهم وكذلك غيرهم ممن ذكرنا فانهم يختلفون في تفسير أقوال الرؤساء والمراد منها لا في وجوب العمل بها، والولاء لها ، تماما كما يختلف المسلمون في تفسير نصوص القرآن والمسيحيون في تفسير الانجيل . . . ومن خص العصمه بالشيعه فهو واحد من اثنين : اما جاهل مغفل ، واما مفتر متآمر " [2] .

وهذا كلام لا يخلو من مغالطه ذلكم أن الشيعه لا تنفرد بالقول بالعصمه على اطلاقها فأهل السنه أيضا قالوا بالعصمه للأنبياء لكن لم يقل أحد منهم بالعصمه للائمه من بعدهم وهو ما اختص به الشيعه ، أما قول المسيحيين والشيوعيين والقوميين فما لايحتج به ولا ينظر اليه عند مناقشه آراء الفرق الاسلاميه .

ثانيا : البداء :

مذهب أهل السنة في تفسير قوله تعالى " يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب " أنه "(يمحو الله ما يشاء) من الأقدار (ويثبت) ما يشاء منها ، وهذا المحو والتغيير في غير ما سبق به علمه وكتبه قلمه فان هذا لا يقع فيه تبديل ولا تغيير ، لأن ذلك محال على الله ، أن يقع في علمه نقص ، أو خلل ، ولهذا قال : (وعنده أم الكتاب) أى اللوح المحفوظ ، الذى ترجع اليه سائر الأشياء فهو أصلها وهى فروع وشعب .

---

(١) هذا محض افتراء وبهتان على الاخوان المسلمين .
(٢) الكاشف جـ ١ ص ١٩٨ - ١٩٩
(٣) سورة الرعد ٣٩

فالتغيير والتبديل يقع في الفروع والشعب كأعمال اليوم والليله التي تكتبها الملائكه ويجعل الله لثبوتها أسبابا ، ولمحوها أسبابا ،لاتتعدى تلك الأسباب ، ما رسم في اللوح المحفوظ .

كما جعل الله البر ، والصله ، والاحسان ، من أسباب طول العمر وسعة الرزق وكما جعل المعاصي سببا لمحق بركة الرزق والعمر وكما جعل أسباب النجاة من المهالك والمعاطب سببا للسلامه وجعل التعرض لذلك سببا للعطب فهو الذي يدبر الأمور بحسب قدرته وارادته وما يدبره منها لا يخالف ما قد علمه وكتبه في اللوح المحفوظ" (١)

هذا ما ذهب اليه أهل السنه في ذلك ولم يقل أحد منهم بالبداء أما الاماميه الاثنا عشريه فلهم رأى أخر في هذه الآيه ونحوها ففي تفسيرها يقول محمد حسين الطباطبائي " أقول والروايات في البداء عنهم عليهم السلام متكاثره مستفيضه فلا يعبأ بما نقل عن بعضهم أنه واحد " (٢)

ثم يوضح ما تدل عليه الآيه بزعمه فيقول " والروايه كما ترى تنفي البداء بمعنى علمه تعالى ثانيا بما كان جاهلا به أولا ، بمعنى تغير علمه في ذاته كما ربما يتفق فينا تعالى عن ذلك ، وانما هو ظهور أمر منه تعالى ثانيا بعد ما كان الظاهر منه خلافه أولا ، فهو محو الأول واثبات الثاني والله سبحانه عالم بهما جميعا " . (٣)

ويستدل الخوئي بهذه الآيه أيضا ـ على اثبات النوع الثالث من أنواع البداء وعلى وقوعه فيقول " الثالث قضاء الله الذي أخبر به نبيه وملائكته بوقوعه في الخارج الا أنه موقوف على أن لاتتعلق مشيئة الله بخلافه وهذا القسم هو الذي يقع فيه البداء" يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب" ١٣ : ٣٩ لله الامر من قبل ومن بعد ٢٩ : ٤" (٤) وقد دلت

---

(١) سورة الرعد الآيه ٣٩
(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : عبد الرحمن السعدي ج٤ ص١١٦-١١٧
(٣) الميزان ج ١١ ص ٣٨١
(٤) البيان : للخوئي ج ١ ص ٣٨٨

على ذلك روايات كثيره منها هذه :

١ - ما فى تفسير على بن ابراهيم عن عبد الله بن مسكان عن أبى عبد الله عليه السلام قال اذا كان ليلة القدر نزلت الملائكه والروح والكتبه الى سماء الدنيا فيكتبون ما يكون من قضاء الله تعالى فى تلك السنه فاذا أراد الله أن يقدم شيئا أو يؤخره أو ينقص شيئا أمر الملك أن يمحو ما يشاء ، ثم أثبت الذى أراده ، قلت وكل شىء هو عند الله مثبت فى كتاب ؟ قال : نعم ، قلت : فأى شىء يكون بعده ؟ قال : سبحان الله ، ثم يحدث الله أيضا ما يشاء تبارك وتعالى" (١)

واستدل أيضا بـ : ما فى كتاب الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال " لولا آية فى كتاب الله لأخبرتكم بما كان وبما يكون وبما هو كائن الى يوم القيامه ، وهي هذه الآيه : يمحو الله . . " (١)

وقال أيضا " أن انكار البداء يشترك بالنتيجه مع القول بأن الله غير قادر على أن يغير ما جرى عليه قلم التقدير تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا " . (٢)

أما محمد رضا المظفر فعرف البداء فى الانسان بـ " أن يبدو له رأى فى الشىء لم يكن له ذلك الرأى سابقا بأن يتبدل عزمه فى العمل الذى كان يريد أن يصنعه اذ يحدث عنده ما يغير رأيه وعلمه به ، فيبدو له تركه بعد أن كان يريد فعله وذلك عن جهل بالمصالح وندامة على ما سبق منه .

ما المقصود من انزال هذا المعتقد هذه المنزله لو كان الأمر فيه اعتقاد كاعتقاد أهل السنه ما احتاج . ذلك الى كل هذا التوثيق والتأكيد وما احتاج الى أن يجعل أصلا من أصول العقيده وما احتاج الى أن يكون أكبر ماعيد أو عظم الله به ، ولكن الأمر أكبر من ذلك .

---

(١) المرجع السابق جـ ١ ص ٣٨٨ - ٣٨٩
(٢) المرجع السابق جـ ١ ص ٣٩٢ - ٣٩٣

قال سليمان بن جرير أن أئمة الرافضه وضعوا لشيعتهم مقالتين لا يظهرون معهما من أئمتهم على كذب أبدا وهما القول بالبداء واجازة التقيه " الى أن قال فأما البداء فان أئمتهم أحلوا أنفسهم من شيعتهم محل الأنبياء من رعيتها في العلم .... فيما كان ويكون والاخبار بما يكون في غد وقالوا لشيعتهم أنه سيكون في غد كذا وكذا فان جاء ذلك الشيء على ما قالوه قالوا لهم : الم نعلمكم أن هذا يكون فنحن نعلم من قبل الله عز وجل ما علمه الأنبياء وبيننا وبين الله عز وجل مثل تلك الأسباب التي علمت بها الانبياء عن الله ما علمت ، وان لم يكن ذلك الشيء الذى قالوا أنه يكون على ما قالوا ، قالوا لشيعتهم بدا لله في ذلك مكونه ". (١)

ويؤكد هذا ما نسبوه الى أبى عبد الله وأبي جعفر وعلى بن الحسين والحسين بن علي والحسن بن علي وعلي بن أبي طالب رضى الله عنهم : " لولا آية في كتاب الله لحدثناكم بما يكون الى أن تقوم الساعه : يمحو الله ما يشاء ... " (٢)

والبداء بهذا المعنى يستحيل على الله تعالى لأنه من الجهل والنقص وذلك محال عليه تعالى ولاتقول به الاماميه " .

ثم اعترف بعد ذلك قائلا " غير أنه وردت عن أئمتنا الأطهار عليهم السلام روايات توهم القول بصحة البداء بالمعنى المتقدم كما ورد عن الصادق عليه السلام : " ما بدا لله في شيء كما بدا له في اسماعيل ابني " ولذلك نسب بعض المؤلفين في الفرق الاسلاميه الى الطائفه الاماميه القول بالبداء طعنا في المذهب وطريق آل البيت وجعلو ذلك من جملة التشنيعات على الشيعه ". (٣)

---

(١) المقالات والفرق : سعد القمي ص ٧٨ وفرق الشيعه : النوبختي ص ٥٥ - ٥٦

(٢) البيان في تفسير القرآن : الخوئي ص ٣٩٠

(٣) عقائد الاماميه محمد رضا المظفر ص ٦٩

وليس لنا الا أن نقول اذا كان الأمر كما تزعم فلماذا هذا التطرف والتشدد فى الأخذ بهذا المبدأ من جانب الشيعه ولماذا جعلوه أصلا من أصول مذهبهم حتى قالوا " ما عبد الله بشيء مثل البداء" (١) وقالوا " ما بعث الله نبيا قط الا بتحريم الخمر وأن يقر لله بالبداء" (٢) وقالوا " ما عظم الله عز وجل بمثل البداء " (٣) وقالوا " لو علم الناس ما فى القول بالبداء من الأجر مافتروا عن الكلام فيه " (٣) .

بل ان صاحب الكافى عقد بابا فى أن الأئمه يعلمون علم ما كان وما يكون وأنهم لا يخفى عليهم الشيء " (٤) وعقد المجلس بابا فى " أنهم أعلم من الأنبياء عليهم السلام " . (٥)

اذا فلا بد من اللجوء الى عقيدة البداء بمعناها الباطل اذ هو المخرج اذا وقع خلاف ما نسب الى أئمتهم ، واذا ما أنكر (بعضهم) أن الاماميه يقولون بهذا فانكارهم تقيه اذ كتبهم على ما ينكرون شاهده .

ثالثا : المهديه

مرّ عند ذكر أئمه الشيعه الاثنا عشر أنهم على الترتيب على بن أبي طالب ثم الحسن ثم الحسين ثم أبو جعفر محمد بن على (الباقر) ثم أبو عبد الله جعفر بن محمد (الصادق) ثم موسى بن جعفر (الكاظم) ثم على بن موسى (الرضا) ثم محمد بن على (الجواد) ثم على بن محمد (الهادى) ثم الحسن بن على (العسكرى) .

أما الامام الثانى عشر فهو محمد بن الحسن " المهدى " وتعتقد الاماميه أنه ولد للنصف من شعبان سنة ٢٥٥ فى سامراء أيام الخليفه المعتمد وتوفى والده وله من العمر خمس سنين (٦) ثم اختفى المهدى بعد ذلك

---

(١) الكافى كتاب التوحيد باب البداء : محمد بن يعقوب الكليني جـ ١ ص ١٤٦
(٢) المصدر السابق ١٤٨/١
(٣) البيان : لخوئي جـ ١ ص ٣٩٢
(٤) الكافى : الكلينى جـ ١ ص ٢٦٠ - ٢٦٣
(٥) البحار : المجلسي جـ ٢٦ ص ١٩٤ - ٢٠٠
(٦) الشيعه فى الميزان محمد جواد مغنيه ص ٢٥٢

واختفاؤه عندهم مرّ بمرحلتين الأولى الغيبه الصغرى والثانيه الغيبه الكبرى .

الغيبه الصغرى :

يقول محمد جواد مغنيه " ومعنى الصغرى أن الأمام كان يحتجب عن الناس الا عن الخاصه وان اتصاله بشيعته كان عن طريق السفراء فكان الشيعه يعطون الأسئله الى السفير وهو بدوره يوصلها الى الامام وبعد الجواب عنها والتوقيع عليها يرجعها الى السائلين على يد سفيره ومن هنا سميت الغيبه الصغرى أى أنها ليست بغيبه كامله بحيث انقطع فيها عن جميع الناس وكانت مدتها ٧٤ سنه ".(١)

وهم يعتقدون أن الفراء بين المهدى والناس فى غيبته الصغرى أربعه " وكان السفير الأول بين الامام الغائب وشيعته رجل يدعى عثمان ابن عمر العمرى الأسدى . . . ولما توفى عثمان تولى السفاره بعده ولده محمد بأمر المهدى ثم تولاها بعده الحسين بن روح النوبختى ثم على بن محمد السمرى وبعد هؤلاء السفراء الأربعه انتهت الغيبه الصغرى ".(٢)

الغيبه الكبرى :

" وتبتدئ بمنتصف شعبان ٣٢٨ هـ وفيها انقطعت الاتصالات والسفارة بين الامام وشيعته ".(٣)

واذا ما سألت عن سبب اختفائه أجابك الطوسي " لاعلة تمنعُ من ظهور المهدى الا خوفه على نفسه من القتل لأنه لو كان غير ذلك لما ساغ له الاستتار ".(٤)

---

(١) الشيعه فى الميزان : محمد جواد مغنيه جـ ٢٥٢
(٢) المرجع السابق ص ٢٥٣
(٣) المرجع السابق ص ٢٥٣
(٤) الغيبه : الطوسى ص ١٩٩

وهم يروون أن أبا عبد الله جعفر الصادق قال " للغلام غيبه قبل قيامه قيل ولم قال يخاف على نفسه الذبح " .[١]

ولا شك أن هذا تعليل واه فقد مر التشيع بفترات كان له الدوله وكانت له القوه ولا تزال الى أيامنا هذه له دوله وكلهم ينتظر خروجه فلم لم يظهر حتى الآن ان كان مازعموه سببا .

ورتبت الاماميه الاثنا عشريه على غيبة الامام المهدى أحكاما منها تكفير من أنكر مهديهم وزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عن منتظرهم " من أنكر القائم من ولدى فقد أنكرني "[٢] وقال بن بابويه القمى من أنكر القائم عليه السلام فى غيبته مثل ابليس فى امتناعه من السجود لآدم " .[٣]

ومن ذلك أنهم جعلوا انتظاره أصلا من أصول الدين رووا عن أبي جعفر " والله لأعطينك دينى ودين آبائى الذى تدين الله به ، شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله . . وانتظار قائمنا" .[٤]

ورتبوا على هذا عدم وجوب صلاة الجمعه لأنها لاتجب الا مع الامام ويقولون الجمعه والحكومه لامام المسلمين "[٥] ويقول الخمينى " تجب صلاة الجمعه في هذه الاعصار مخيرا بينها وبين صلاة الظهر والجمعه أفضل والظهر أحوط وأحوط من ذلك الجمع بينهما "[٦] وما رأيت تخبطا مثل هذا التخبط كيف تجب الجمعه ثم يخير بينها وبين الظهر ثم كيف تكون الجمعه أفضل والظهر أحوط ؟! وهل الاحتياط فى ترك الأفضل ؟! ثم كيف

---

(١) الكافى للكليني : جـ ١ ص ٣٤٠
(٢) اكمال الدين : بن بابويه القمي ص ٣٩٠
(٣) انظر منتخب الأثر : لطف الله الصافى ص ٤٩٨
(٤) الكافى (عن منتخب الاثر ص ٤٩٩)
(٥) منهاج الكرامه : ابن المطهر الحلي جـ ٢ ص ٦٩
(٦) تحرير الوسيله : الخميني ١/ ٢٣١

يجمع بينها وبين الظهر فهي اما صحيحه فلا يصلي معها ظهرا أو باطله فلا يصليها أصلا ولكنه أراد أن يقول باسقاطها بدليل اباحته البيع بعد الاذان مخالفا نص القرآن الكريم فيقول " لا يحرم البيع يوم الجمعه بعد الاذان في أعصارنا مما لاتجب الجمعه فيه تعيينا "[١]

أما تعسفهم في تأويل آيات القرآن الكريم لتوافق رأيهم في مهديهم المنتظر فكثير ذلك بل ان أحدهم وهو صادق الحسيني الشيرازي ألف كتابا في ذلك أسماه " المهدي في القرآن " ذكر فيه الآيات الكثيره زعم أنها في المهدي . قال في مقدمته (وبعد : فهذه عشرات من الآيات القرآنيه البينات التي نزلت - تفسيرا أو تأويلا أو تنزيلا أو تطبيقا أو تشبيها في ثاني عشر أئمة أهل البيت ولي أمر الله الامام المهدي المنتظر عليه السلام . . . . وعجل الله فرجه الشريف "[٢] ولقوة هذا المعتقد في نفسه قال " وكان شروعي لجمع هذه الآيات في ليلة ميلاد الامام المهدي المنتظر سلام الله عليه من عام ١٣٩٦ هـ حيث يمضي على ولادة الامام (١١٤١هـ) ولنذكر هنا أمثله مما ذهب يتعسف في تأويلها .

في تفسير قوله تعالى " هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب"[٣] قال (أقول يعني أن المتقين هم المؤمنون بالامام المهدي عليه السلام ويعني الغيب هو نفس الامام المهدي) .[٤]

وفي تفسير قوله تعالى " أولئك الذين خسروا أنفسهم "[٥] يقول (هم الشاكون في الامام المهدي عجل الله فرجه الشريف) .[٦]

---

(١) تحرير الوسيله : الخميني ١/ ٢٤٠
(٢) المهدي في القرآن : صادق الحسيني الشيرازي ص ٥
(٣) سورة البقره من الآتيين ٢ ، ٣
(٤) المهدي في القرآن : ص ١٠
(٥) سورة هود : من الايه ٢١
(٦) المهدي في القرآن : ص ٧٣

وان شئت شيئا من المضحكات المبكيات فاستمع الى تفسيره لقوله تعالى حكاية لقوله لوط عليه السلام (قال لو أن لي بكم قوة أو آوى الى ركن شديد " (١) قال فى ذلك " أقول اذن (القوه و (الركن الشديد) فى هذه الآيه الكريمه تأويلها الامام المهدى عليه السلام وأصحابه " . (٢)

حتى قوله تعالى " فلا أقسم بالخنس" (٣) لم يسلم من تعسف هذا فى التفسير فقال فى ذلك " أقول الخنس بمعنى الاختفاء وتفسير الآيه وارد فى النجوم التى يختفي بعضها فى وقت اختفائها وتأويلها وارد فى الامام المهدى عليه السلام لأنه يختفي حيث يأمره الله بالاختفاء ويظهر ـ كالشهاب الثاقب ـ حيث يأمره الله بالظهور " . (٤)

أما فى قوله تعالى (ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يخدرون " (٥) فقد أورد روايه تقول " ان فرعون وهامان هنا شخصان من جبابره قريش يحييهما الله تعالى عند قيام القائم من آل محمد فى آخر الزمان فينتقم منهما بما أسلفا " وقد علق على هذا قائلا " أقول اذن تكون هذه الآيه الكريمه محققه فى عصر الامام المهدى عليه السلام ومن علامات ذلك العصر وسمات ذاك الزمان " . (٦)

وزعم ولبئس ما زعم أن المهدى سيتحقق على يديه مالم يتحقق على أيدى الأنبياء من قبله بل عجزوا عنه حيث قال فى تفسير قوله تعالى " أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون" (٧)

---

(١) سورة هود من الآيه : ٨٠
(٢) المهدى فى القرآن : ص ٧٥
(٣) سورة التكوير : ١٥
(٤) المهدى فى القرآن ص ٢٥٣
(٥) سورة القصص من الآيه ٦
(٦) المهدى فى القرآن : ص ١٤٤
(٧) سورة آل عمران : الآيه ٨٣

قال المؤلف " روى الحافظ القندوزى (الحنفي) . . . عن جعفر الصادق (رضى الله عنه) فى قوله تعالى " وله اسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها " يقول اذا أقام (القائم المهدى) لايبقى أرض الا نودى فيها شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله (أقول) يعنى أن هذه الآيه الكريمه اشارة الى عهد (المهدى) المنتظر عليه السلام اذ فى زمانه الكلمه كلها لله على وجه الارض كلها لان كل من فى الارض يسلم ويخضع لله تعالى ولم يتم هذا حتى اليوم لا فى عهد الانبياء السابقين عليهم السلام ولا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا فى عهود بعده أن يكون كل من على وجه الارض مسلما لله خاضعا لدين الله (طوعا وكرها) "(١)

ولم ينفرد بهذا الزعم الباطل فقد ذهب اليه الخمينى فى كلمه وجهها فى ١٥ شعبان ١٤٠٠هـ من اذاعته فى طهران (٢) وقد استنكرت بعض الصحف الاسلاميه ذلك وأصدرت رابطه العالم الاسلامى بيانا بهذا الصدد .(٣)

وذهب الى هذا الباطل أيضا محمد الصادق فى تفسيره حيث قال فى قوله تعالى " هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون "(٤) قال " فلا يبقى دين الا دين الاسلام ، وكما وعدناه فى دولة القائم المهدى محمد بن الحسن العسكرى عليه السلام الذى به يملأ الله الأرض قسطا وعدلا بعد ما ملئت ظلما وجورا .

ان جذور ومؤهلات هذه الغايه متواجده فى شريعة الاسلام مهما لم تتحقق زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وآله وسلم وخلفائه حتى الان ظهورا على الاديان ولكنها سوف تتحقق فى الدولة المحمدية الاخيره التى يتبدء بها

---

(١) المهدى في القرآن : ص ٢١
(٢) جريدة الرأى العام الكويتيه ١٧ شعبان ١٤٠٠
(٣) جريدة المدينه المنوره ٤ رمضان ١٤٠٠
(٤) سورة الصف : الآيه ٩

مؤسسا لها حفيده المهدى المنتظر عليه السلام "[(١)] ويقول" ان الديانات الأخرى ، من حق وباطل ليست لها مؤهلات الغلبه الشامله وتأسيس دوله موحده عاليه لا في ذواتها ، ولا في زعاماتها ، ولكنا الاسلام يملك هذه الأهليه فيها معا فدستوره العالمي هو قرآنه الكامل ، الحافل لكافة متطلبات الحياه وقيادته العالميه هي الظاهرة في رسوله وأوصيائه والباهره أخيرا (!!) في القائم المهدى عليه السلام "[(٢)]

ومن عجائب تفسيرهم تفسير محمد الصادقي لقوله تعالى " والفجر وليال عشر "[(٣)] حيث يقول : - فما هو الفجر هنا ؟ انه هو كل فجر من كل ليله ، وفجر شمس الرسالة المحمديه وفجر قيام المهدي عليه السلام من ولده ، وفجر العقول عن ظلمات الأهواء وفجر العيون والانهار؟"[(٤)] ثم نقل روايه" عن الصادق (ع) قال : - والفجر هو القائم . والليالي العشر الأئمه من الحسن الى الحسن والشفع أمير المؤمنين وفاطمه ، والوتر هو الله وحده لا شريك له والليل اذا يسر هى دولة حبتر[(٥)] فهي تسرى الى دولة القائم "[(٤)] .

---

(١) الفرقان فى تفسير القرآن : محمد الصادقي جـ ٢٨ ص ٣١٦
(٢) الفرقان فى تفسير القرآن : محمد الصادقي جـ ٢٨ ص ٣١٦
(٣) سورة الفجر : الآيتين : ١ - ٢
(٤) الفرقان فى تفسير القرآن : محمد الصادقي جـ ٣٠ ص ٣٠٥ - ٣٠٦
(٥) قال فى القاموس جـ ٢ ص ٣ الحبتر كجعفر الثعلب ، والقصير . ويريد به الشيعه أبا بكر أو عمر - رضي اللهعنهما - على خلاف بينهم . وفى تفسير العياشى أحد أئمتهم لقوله تعالى " لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم " ٤٤ الحجر قال : " عن أبي بصير عن جعفر بن محمد عليه السلام قال " تؤتى بجهنم لها سبعة أبواب بابها الأول للظالم وهو زريق (يريد أبا بكر رضى الله عنه) وبابها الثانى لحبتر (يريد عمر رضى الله عنه) والباب الثالث للثالث (يريد عثمان رضى اللهعنه) والرابع لمعاويه (رضى الله عنه) والباب الخامس لعبد الملك والباب السادس لعسكر بن هوسر (كنايه عن بعض خلفاء بنى أميه أو بنى العباس - كذا قال المجلسي) والباب السابع لأبى سلامه (كناية عن أبى جعفر الدوانيقى) فهم أبواب لمن اتبعهم" تفسير العياشي جـ٢ ص ٢٤٣ قال المجلسى في بحار الأنوار جـ٤ ص٣٧٨" يحتمل أن يكون عسكر كنايه عن عائشه وساير أهل الجمل اذ كان اسم جمل عائشه عسكرا وروى أنه كان شيطانا" بقى أن أقول أن المجلسى والعياشى من أئمة الشيعه .

ويعلق - الصادقي - على هذا التفسير قائلا :- " أقول وهذا تأويل لطيف (!!) لا ينافي تفسيره بغيره فالليالي العشر هم الائمة العشرة اعتبارا بما ظلموا وأظلمت عليهم حياتهم ولكن عليا (ع) مهما ظلم - فقد حكم ردحا من الزمن ثم القائم المهدى هو فجر الاسلام حيث يحى ويتسع في زمنه " (١)

رابعا : الرجعه :

وترتبط بالعقيده السابقه

ويريدون بالرجعه " أن الله تعالى يعيد قوما من الأموات الى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها فيعز فريقا ويذل فريقا آخر ويديل المحقين من المبطلين والمظلومين منهم من الظالمين " (٢).

أما زمن ذلك فقالوا " وذلك عند قيام مهدى آل محمد عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام " (٢)

أما من يرجع فقالوا " ولا يرجع الا من علت درجته في الايمان أو من بلغ الغايه من الفساد ثم يصيرون بعد ذلك الى الموت ومن بعده الى النشور وما يستحقونه من الثواب أو العقاب " (٢)

أما موقفهم من تلك العقيدة فقالوا " والاماميه بأجمعها عليه : الا قليلون" (٢)

ونذكر من تأويلهم للآيات في ذلك .

تفسير سلطان بن حيدر لقوله تعالى " واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقه وأنتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون " (٣) قال " وهذه الآيه تدل على جواز الرجعه كما ورد الأخبار بها وصارت كالضروري في هذه الأمه وقد احتج أمير المؤمنين عليه السلام بها على ابن الكوافي انكاره الرجعه " (٤)

---

(١) الفرقان : محمد الصادقي جـ ٣٠ ص ٣٠٦
(٢) عقائد الاماميه محمد رضا المظفر ص ١٠٩ - ١١٠
(٣) سورة البقره : الايه ٥٥
(٤) بيان السعادة في مقامات العباده : سلطان محمد بن حيدر الجنابذى جـ ١ ص ٥٤

وفي تفسير قوله تعالى "ويوم نحشر من كل أمة فوجا" قال محمد حسين الطباطبائي " وظاهر الآيه أن هذا الحشر في غير يوم القيامه لانه حشر للبعض من كل أمه لا لجميعهم وقد قال الله تعالى في صفة الحشر يوم القيامه : (وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا) الكهف: ٤٧)[1] ثم قال " فقد بان أن الآيه ظاهره في كون هذا الحشر المذكور فيها قبل يوم القيامه وان لم تكن نصا لا يقبل التأويل "[1] ثم ذكر روايه عن حماد عن أبي عبد الله عليه السلام قال ما يقول الناس في هذه الآيه (يوم نحشر من كل أمة فوجا) ؟ قلت : يقولون انه في القيامه قال ليس كما يقولون انها في الرجعه أيحشر الله في القيامه من كل أمه فوجا ويدع الباقين ؟ انما آية القيامه (وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا)[2] ثم علق قائلا " أقول : وأخبار الرجعه من فرق الشيعه كثيره جدا"[2]

وفي تفسير قوله تعالى " كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون"[3] قال محمد الصادقي في تفسيره " علمان متتابعان يفوق بعضهما البعض بعد الجهل المتمادى - العامد - يوم الدنيا : كلا سوف تعلمون : عند سكرات الموت وهو بداية العلم ، وفي الكّره[4] : يوم قيامه القائم (ع) بعد (الموت) ثم كلا سوف تعلمون في المحشر"[5] وقال أيضا " أقول الكرة هنا هي الرجعه في دولة الامام المهدى (ع) وليست للكل وقد يقال بما أن المخاطبين هنا هم الكفره الذين محضوا الكفر محضا فهم كلهم حسب الروايات يرجعون ثم أقول لا مانع من كون المره الأولى للعلم شامله للكره ولسكرات الموت وما بعد الموت ، وبذلك يجمع بين

---

(١) الميزان في تفسير القرآن : جـ ١٥ ص ٣٩٧ - ٣٩٨
(٢) المرجع السابق جـ ١٥ ص ٤٠٦
(٣) سورة التكاثر الآيتين ٣ و ٤
(٤) الكره والرجعه بمعنى واحد .
(٥) الفرقان : محمد الصادقي جـ ٣٠ ص ٤٣٤

الروايات . الا أن العلم بعد الكره ـ اذا ـ تحصيل للحاصل قبل الكره بعد الموت اذا فما العلم هنا الا عند الموت وبعده "[(١)] .

خامسا : التقيه :

ويريدون بها كما يقول أحد علمائهم المعاصرين " أن تقول أو تغفل غير ما تعتقد لتدفع الضرر عن نفسك أو مالك أو لتحتفظ بكرامتك"[(٢)]

وأدلتهم كما يقول " الآيه ٢٨ من سورة آل عمران " لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا أن تتقوا منهم تقاة"فالآيه صريحه في النهي عن اتخاذ الكافرين أولياء الا في حال الخوف واتقاء الضرر والأذى واستدلوا بالآيه ١٠٦ من سورة النحل " من كفر بالله بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان.. واستدلوا أيضا بالآيه ٢٨ من سورة غافر " وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه " فكتم الايمان واظهار خلافه ليس نفاقا ورياءا كم زعم من نعت التقيه بالنفاق والرياء وبالآيه ١٩٥ من سورة البقره " ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكه " .[(٣)]

أما منزلة التقيه عندهم فبينها أحد معاصريهم فقال " روى عن صادق آل البيت عليه السلام في الأثر الصحيح " التقيه ديني ودين أبائي" و" من لا تقيه له لا دين له " وكذلك هي لقد كانت شعارا لآل البيت عليهم السلام دفعا للضرر عنهم وعن أتباعهم وحقنا لدمائهم واستصلاحا لحال المسلمين وجمعا لكلمتهم ، ولما لشيعتهم " .[(٤)]

وفي التفسير لقوله تعالى " الا أن تتقوا منهم تقاة "[(٥)] قال الطباطبائي " وفي الآيه دلالة ظاهرة على الرخصه في التقيه على ما روى عن أئمة أهل البيت عليهم السلام . . وبالجملة الكتاب والسنه متطابقان في جوازها

---

(١) الفرقان : محمد الصادقي جـ ٣٠ ص ٤٣٤
(٢) الشيعه في الميزان : محمد جواد مغنيه ص ٤٨
(٣) الشيعه في الميزان : محمد جواد مغنيه ص ٥٠
(٤) عقائد الاماميه : محمد رضا المظفر ص ١١٤
(٥) آل عمران : من الآيه ٢٨

في الجملـه والاعتبار العقلي يؤكده "[1] ـ يقول " أقول : والأخبار فـي مشروعيـة التقيـه من طرق أئمة أهـل البيت كثيره جدا ربما بلغت حــد التواتـر "[2] .

ونقـل في تفسيره ما ورد في الصافي (عن كتاب الاحتجاج عن أمـير المؤمنين عليـه السـلام في حديث : وآمرك أن تستعمل التقيـه فـي دينك فان اللـه يقول (! ! !) واياك ثم اياك أن تتعرض للـهلاك وأن تترك التقيـه التي أمرتك بـها فانك شائـط بدمك ودماء اخوانك . . "[3]

وللتقيـه عندهم حدود يبـين بعضـها الخميـني فيقول " في روايـه سابقـه عن الامام الصادق (ع) ترون أن الامام بالرغم من ظروف التقيـه المحيطه به وفقدانـه للسلطه يبـين للمسلمـين أو يعـين لـهم الحاكـم والقاضـي ويأمرهم بالرجوع والتحاكم اليـه "[4] .

ويقول " فرض الائمـه عليهم السلام على الفقهاء فرائض مهمـه جـدا والزموهم أداء الأمانه وحفظـها فلا ينبغـي التمسك بالتقيه في كل صغـيره وكبيره فقد شرعت التقيـه للحفاظ على النفس أو الغير من الضرر في مجـال فروع الاحكام أما اذا كان الاسـلام كله في خطـر فليس في ذلك متسـع للتقيـه والسكوت "[5] .

وللتقيه فيهم آثار خطيره على الاسلام والمسلمـين ولولا أن المقام هنـا مقام عرض للتفسير واثبات لعقائد هم فيه مجر اثبات لولا ذلك لذكرنا مـن آثار تلك العقيده الكثير الكثير مما يحز في نفس المسلم ولا يخطر له ببـال

---

(١) الميزان في تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائي جـ ٣ ص ١٥٣
(٢) المرجـع السابـق : جـ ٣ ص ١٦٣
(٣) المرجـع السابـق : جـ ٣ ص ١٦٢ - ١٦٣
(٤) الحكومةالاسلاميـه : الخميـني ص ١٢٩
(٥) المرجـع السابـق : ص ١٤٢

ان يصدر هذا عن فرقه أى فرقه تعلن انتمائها للاسلام .

سادسا : فى القرآن الكريم :

١ - للقرآن ظهر وبطن

ويريدون بذلك كما أسلفنا " أن للقرآن مراتب من المعانى المراده بحسب مراتب أهله ومقاماتهم وان الظهر والبطن أمران نسبيان فكل ظهر بطن بالنسبه الى ظهره وبالعكس" [١]

ويوضح الطباطبائى هذا فيقول " يقول الله تعالى فى كلامه المجيد " واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا " [٢] ظاهر هذه الآيه الكريمه انها تنهى عن عباده الأصنام كما جاء فى قوله تعالى " فاجتنبوا الرجس من الاوثان " [٣] ولكن بعد التأمل والتحليل يظهر أن العله فى المنع من عبادة الاصنام أنها خضوع لغير الله تعالى وهذا لا يختص بعبادة الاصنام بل عبر عز شأنه عن اطاعة الشيطان أيضا بالعباده حيث قال : " الم أعهد اليكم يابنى آدم ان لاتعبدوا الشيطان" [٤] الى أن قال الطباطبائى : " نرى بالنظره البدائيه فى قوله " ولا تشركوا به شيئا" أنه تعالى ينهى عن عبادة الاصنام وعند ما نتوسع بعض التوسع نرى النهى عن عبادة غير الله من دون أذنه ولو توسعنا أكثر من هذا لنرى النهي عن عباده الانسان نفسه باتباع شهواتها أما لو ذهبنا الى توسع أكثر فنرى النهى عن الغفله عن الله والتوجه الى غيره .

---

(١) تفسير الميزان جـ ٣ ص ٧٣
(٢) سورة النساء : ٣٦
(٣) سورة الحج : ٣٠
(٤) سورة يس : ٢٣

ان هذا التدرج - ونعني به ظهور معنى بدائى من الآيه ثم ظهور معنى أوسع وهكذا - جاء في كل من الآيات الكريمه بلا استثناء ".[1]

" هذا الذى ذكره الطباطبائى هنا مثالا للتفسير الباطن تجده يستند الى آيات أخرى فى بيان الآيه الأولى اضافة الى هذا فان هذا التفسير تربطه بالآيه روابط قويه من حيث المعنى فى الآيات جميعا ومن حيث العموم والخصوص .

ولكن هل قول الشيعه بأن للقرآن ظهرا وبطنا على هذا النحو ؟ الحق أن الكثير والكثير من تفسير الشيعه من التفسير الباطني وان أغلبه من النوع الذى لا تربطه بالآيه رابطه وكان القرآن طلسم من الطلاسم أو ضرب من المعميات والالغاز .

ويكفى أن نذكر هنا مثالا أو مثالين لولا خشينا أن يقال هذان قولان شاذان لاعبره بهما لذا فسأستطرد بعض الإستطراد فى الأمثله حتى يزيد المؤمن ايمانا ويزول شك من فى قلبه كبير شك قبل هذا .

فى تفسير قوله تعالى " والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم "[2] يورد الطباطبائى في ميزانه عن ابن شهر آشوب عن على بن عبد الله بن عباس عن أبيه وزيد بن على بن الحسين عليه السلام . . . " ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم " يعنى ولاية على بن أبي طالب" ويعلق على هذا قائلا " أقول ان كانت الروايه موقوفه فهى من الجرى أو من الباطن من معنى القرآن ، وفى معناها روايات أخر ".[3]

---

(١) القرآن فى الاسلام : محمد حسن الطباطبائى ص ٢٧ - ٢٨
(٢) سورة يونس الآيه : ٢٥
(٣) الميزان فى تفسير القرآن : جـ ١٠ ص ٤١

وفي قوله تعالى " اهدنا الصراط المستقيم "[١] يقول " في الفقيه وتفسير العياشي عن الصادق عليه السلام قال " الصراط المستقيم أمير المؤمنين عليه السلام " .[٢]

وهذا عن الحسين شرف الدين الموسوي يقول في مراجعاته " عن أئمتهم " اليسوا حبل الله الذي قال : واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا " الصادقين الذين قال " وكونوا مع الصادقين وصراط الله الذي قال " ان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه " وسبيله الذي قال " لا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله . . . . الى أن قال " وأشار في السبع المثاني والقرآن العظيم اليهم فقال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم . . . ألم يجعل المغفره لمن تاب وآمن وعمل صالحا مشروطه بالاهتداء الى ولايتهم اذ يقول " واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى " ألم تكن ولايتهم من الأمانه التي قال الله تعالى " انا عرضنا الأمانه على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ألم تكن من السلم الذي أمر الله بالدخول فيه فقال " ياايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافه ولا تتبعوا خطوات الشيطان " اليست هي النعيم الذي قال تعالى " لتسألن يومئذ عن النعيم " .[٣]

بقي أن أقول ان هذه السفسطه لم ترد في مؤلف مستور بل في أحد مؤلفاتهم الحديثه المنشوره والموجهه لاهل السنه لاقناعهم بمذهب الشيعه ؟ !!

---

(١) الفاتحه : الآيه السابعه

(٢) الميزان : جـ ١ ص ٤١

(٣) المراجعات : عن الحسين شرف الدين الموسوي ص ٥٤ - ٥٧

فعلى أى أساس ذهب الى هذه الاقوال وأي رابطه بين الآيـــه وما فســـرها بـــه .

وهذا الدكتور محمد الصادقي يفسر قولـــه تعالـــى : -
"مرج البحرين يلتقيان ، بينهما برزخ لا يبغيان "(١) بقوله " أقـــول فقد اتصل بحر النبوه بفاطمه الصديقه بنت النبى صلى الله عليـــه وسلم ، ببحر الامامه على (ع) بحران ملتئمان متلاقيان ، بينهما برزخ الرسالة القدسية المحمدية ، اذ اتصل بحر الامامة والنبوه روحانيا مسبقا ، أن تربى على فى حجر النبى وفى جو الوحى والتنزيل ، ثـم اكتمل الاتصال الروحانى بوصله جسمانيه فى زواج على بفاطمه والنـبى هو البرزخ بين البحرين إذ جمع الولاية والنبوه ، وعلى له الولاية دون النبوه والوحى ، وفاطمه هى بصفة النبوه ، دون الرسالة والامامـــه والخارج منهما اللؤلؤ والمرجان : الحسنان هما مجمع الولاية روحانيا والنبوه نسبا "(٢) .

وقال الطباطبائى (وفى الدر المنثور أخرج ابن مرد ويه عن ابن عباس فـــى قوله" مرج البحرين يلتقيان" قال علي وفاطمه"بينهما برزخ لا يبغيان" قال النبى (ص) "يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان" قال الحسن والحسين . (أقول) ورواه أيضا عن ابـــن مرد ويه عن انس بن مالك مثله ، ورواه فى مجمع البيان عن سلمان الفارسي وسعيد بن جبير وسفيان الثورى . وهو من البطن "(٣)
وقال بهذا أيضا من المعاصرين محمد حسين الكاشف الغطاء حيـــث قال فى تفسيرها " على بحر نور الامامه وفاطمه بحر نور النبوه والكرامـــه"(٤)
وقال محمد الصادقى فى تفسير قوله تعالى " ويبقى وجه ربـــك"(٥)
" ما يتوجه به الى الله : ذوات قدسية ربانية ، منهم باقون ، لانهم منه

---

(١) سورة الرحمن : الآيتين ١٩ - ٢٠
(٢) الفرقان فى تفسير القرآن محمد الصادقى جـ ٢٧ ص ٣٢
(٣) الميزان جـ ١٠ ص - ١٠٣
(٤) حياة الامام الحسن بن على : بأقر شريف القرشى تقديم محمد حســين آل كاشف الغطـــاء .
(٥) الرحمـــن : ٢٧

(!!!) وهم عند الله " وما عند الله باق "[1] فهو هنا انصرف عن المعنى المتبادر الظاهر " لوجه " الى معنى التوجه ويستدل لذلك بما ورد فى تفسير القمي عن على بن الحسين (ع) نحن الوجه الذى يؤتى الله منه " .[1]

ويزيد الطباطبائى فيقول فى تفسيره " وفى مناقب ابن شهر أشوب " قوله " ويبقى وجه ربك " قال الصادق عليه السلام : نحن وجه الله .[2]

ب - اسلوب الجرى فى القرآن :

وهو نوع من أنواع التفسير الباطنى للقرآن الا أنه مخصوص بتطبيق الآيات القرآنيه على أئمتهم أو على اعدائهم كما قال الطباطبائى فى تفسيره " واعلم أن الجرى - وكثيرا ما نستعمله فى هذا الكتاب - اصطلاح مأخوذ من قول أئمة أهل البيت عليهم السلام " وقال " والروايات فى تطبيق الآيات القرآنيه عليهم السلام وعلى اعدائهم أعنى روايات الجرى كثيره فى الابواب المختلفه "[3]

وهو كما قال فى كثير من تفاسيرهم وما ورد من رواياتهم ومن العجب انهم يحرصون على ايراده والقول به فى تفسير الآيه ولكنهم لا يعدونه تفسيرا بل ينصون على أنه من الجرى وسنذكر هنا أمثله لذلك .

فى تفسير قوله تعالى " الذين يؤمنون بالغيب "[4] يقول محمد حسين الطباطبائى " وفى المعانى عن الصادق عليه السلام فى قوله تعالى : الذين يؤمنون بالغيب قال : من آمن بقيام القائم عليه السلام انه حق أقول وهذا المعنى مروى فى غير هذه الروايه وهو من الجرى"[5]

---

(١) الفرقان فى تفسير القرآن : محمد الصادق ج ٢٧ ص ٣٥ - ٣٦
(٢) الميزان ج ١٩ ص ١٠٣
(٣) المرجع السابق ج ١ ص ٤١ - ٤٢
(٤) سورة البقرة : من الآيه ٣
(٥) الميزان ج ١ ص ٤٦

وفي موضع آخر يضرب مثـالا للاخبار الواردة في جري القرآن وانطباقه فيقول " كما ورد في قوله (وسيعلم الذين ظلموا آل محمد حقهم) وما ورد من قوله : (ومن يطع الله ورسوله في ولايه علي والائمه من بعده فقد فاز فوزا عظيما " وهي كثيره جدا " .[١]

ويعلق على ماورد في تفسير العياشي عن المفضل قال : سألت الصادق عليه السلام عن قوله " اجعل بينكم وبينهم ردما " قال التقيه .... الخ فيقول " أقول الروايتان من الجرى وليستا بتفسير "[٢]

وفي تفسير قوله تعالى " الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا "[٣] يقول " أقول وفي العيون عن الرضا عليه السلام تطبيق الآيه على منكرى الولايه وهو من الجري "[٢]

وعلى ما في تفسير القمي في قوله تعالى " من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئه فكبت وجوههم في النار قال الحسنه والله ولايه أمير المؤمنين عليه السلام والله عداوته " علق الطباطبائي على هذا بقوله " أقول وهو من الجرى وليس بتفسير "[٤].

أما المدعو صادق الحسيني الشيرازي فيقول في تفسير قوله تعالى " بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين ...) هود : ٨٦ أخرج العالم (الشافعي) السيد المؤمن الشبلنجي في (نور الأبصار) قال عن أبي جعفر رضي الله عنه) قال في حديث طويل ذكره وفيه فاذا خرج (يعني المهدى) استند ظهره الى الكعبه واجتمع اليه ٣١٣ رجلا من أتباعه فأول ما ينطق به هذه الآيه

---

(١) الميزان جـ ١٢ ص ١١٣
(٢) الميزان جـ ١٣ ص ٣٧٧
(٣) سورة الكهف : الآيه ١٠١
(٤) الميزان جـ ١٥ ص ٤٠٦

" بقيه الله خير لكم ان كنتم مؤمنين " ثم يقول أنا بقيه الله وخليفته وحجته عليكم . . (أقول) ولا ينافى هذا التأويل نزول الآيه فعلا عن النبى شعيب عليه السلام لأن التنزيل والتأويل شيئان والقرآن له ظاهر وله باطن فلا ينافى قصد أحدهما كون المراد فى الآيه الآخر أيضا " .[١]

وفى تفسير قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم . . . . الايه "[٢] قال الشيرازى (لا منافاة بين ورود تأويل هذه الآيه تارة من الامام أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليهما (كذا) السلام) وتارة فى أصحاب الامام المهدى المنتظر (عليه السلام) وذلك لأن عليا - القائم مع أصحابه كلاهما مصدقان لهذه الآيه . . . وكم لمثل ذلك من نظائر فى القرآن فالقرآن ظاهر وباطن وتنزيل وتأويل ، وتفسير ومعنى" .[٣]

وهذا الدكتور محمد الصادقى يقول فى تفسير قوله تعالى " والشفع والوتر "[٤] " والوتر بين الأوصياء الأوفياء هو على عليه السلام والشفع الحسنان عليهما السلام " ويقول " أقول وقد وردت روايات أخرى فى تأويل الشفع والوتر كلها من باب التطبيق ، تشملها الآيه الكريمه ".[٥]

أما الليالى العشره عنده فيورد ما جاء فى البرهان عن الصادق (ع) قال : والفجر هو القائم والليالى العشر الأئمه من الحسن الى الحسين والشفع أمير المؤمنين وفاطمه والوتر هو الله وحده لا شريك له والليل اذا يسر هى دولة حبتر فهي تسرى الى دولة القائم ثم يقول " أقول وهذا تأويل لطيف لا ينافى تفسيره بغيره فالليالى العشر هم الأئمة العشره اعتبارا بما ظلموا واظلمت عليهم حياتهم " .[٦]

---

(١) المهدى فى القرآن : صادق الحسينى الشيرازى ص ٧٦
(٢) سورة المائدة : من الآيه ٥٤
(٣) المهدى فى القرآن : صادق الشيرازى ص ٣٩ - ٤٠
(٤) سورة الفجر الايه ٣ - (٥) الفرقان : جـ ٣٠ ص ٣٠٨
(٦) تفسير الفرقان : جـ ٣٠ ص ٣٠٦

وفى قوله تعالى " مرج البحرين يلتقيان " وقوله سبحانه " يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان " يقول " ومن باب الجرى والتأويل قد يشمل البحران واللؤلؤ والمرجان بحرى النبوة والامامه بحرى عذب فرات لا ملح ولا أجاج "(١)

وأخيرا ففى تفسير قوله تعالى " فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا والله بما تعملون خبير "(٢) يقول " قد وردت أحاديث أن الائمة من آل محمد هم النور وهذا من التأويل والجرى . ."(٣)

والامثله هنا كثيرة جدا وربما تبلغ المئين كما قال محمد حسين الطباطبائى فى تفسيره .(٤)

ولا شك أن هذا من الالحاد فى آيات الله سبحانه ولا يخفى حكم الله على الملحدين فى آياته " ان الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى يوم القيامه اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير " .(٥)

قال القاسمى شملت الآيه من يضع الكلام فى الآيات على غير مواضعه كما فسرها ابن عباس قال فى الاكليل ففيها الرد على من تعاطى تفسير القرآن بما لا يدل عليه جوهر اللفظ كما يفعله الباطنيه والاتحادية والملاحده وغلاة المتصوفه "(٦)

ولأن القرآن الكريم انما أنزل لهداية الناس وفيما سلكوه الغاء لهذه الهدايه وابطال لها - ولكن والحمد لله لن تبلغه أنفاسهم -

---

(١) الفرقان جـ ٢٧ ص ٣٢
(٢) سورة التغابن : الآيه ٨
(٣) الفرقان جـ ٢٨ ص ٣٧٨
(٤) الميزان جـ ١ ص ٤٢
(٥) سورة فصلت : الآيه ٤٠
(٦) تفسير القاسمى جـ ١٤ ص ٥٢١١ وانظر الاكليل للسيوطى ص ٣٥٤

أما الغزالي رحمه الله فقد عد هذا من الطامات حيث قال " وأما الطامات فيد خلها ما ذكرناه في الشطح وأمر آخر يخصها وهو صرف الفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومه الى أمور باطنه لا يسبق منها الى الافهام فائده كدأب الباطنيه في التأويلات فهذا أيضا حرام وضرره عظيم فان الألفاظ اذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع ومن غير ضروره تدعو اليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقه بالألفاظ وسقط به منفعة كلام الله تعالى - كلام رسوله صلى الله عليه وسلم فان ما يسبق منه الى الفهم لا يوثق به والباطن " لا ضابط له بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه شتى وهذا أيضا من البدع الشائعه العظيمة الضرر"[1]

ومن العجب انهم لما شعروا أن باب التأويل الباطني باب واسع يستطيع كل من دخل منه أن يصل الى كل ما يدور بخلده ويجيش بخاطره [2] وأن يدخل على القرآن ماليس منه وخشيه من أن ينافسهم في هذا الباب منافس قصروا هذا الحق على أنفسهم بل على أئمتهم فبوبوا الأبواب على " أنه لا يعرف تفسير القرآن الا الأئمة " [3] وقالوا " ان جميع التفاسير الوارده عن غير أهل البيت لا قيمة لها ولا يعتد بها" [4]

وقد أدى بهم هذا الى التخبط حتى فيما نسب من التفسير الى امام واحد ؟ ! أورد الطباطبائي في تفسيره كما رواه العياشي في تفسيره عن جابر قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن شيء من تفسير القرآن فأجابني ثم سألته ثانيه فأجابني بجواب آخر فقلت جعلت فداك

---

(١) احياء علوم الدين : الغزالي جـ ١ ص ٤٣
(٢) التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبي جـ ٢ ص ٣٢
(٣) الفصول المهمه : الحر العاملي ص ٥٧
(٤) الشيعه والرجعه : محمد رضا النجفي ص ١٩

كنت أجبت فى المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم : فقال ياجابر ان للقرآن بطنا وللبطن بطن ، وظهرا وللظهر ظهر ، ياجابر وليس شىء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن : ان الآيه تكون أولها فى شىء وأوسطها فى شىء وآخرها فى شىء وهو كلام متصل ينصرف على وجوه "(١)

أليس هذا تخبط وأليس من الطامات كما قال الغزالى رحمه الله .

جـ - **التفسير العقلى :**

قلنا أن الشيعه تأثروا تأثرا بينا بالمعتزله فى هذا المنحى ويرجع هذا التأثر الى أن عددا كبيرا من سلف الشيعه تتلمذ لبعض شيوخ المعتزله كما يظهر لنا جليا أن هذا الارتباط فى التفكير شىء قديم غير جديد "(٢)

يقول محمد جواد مغنيه فى تفسير قوله تعالى " ادع الى سبيل ربك بالحكمه والموعظة الحسنه . . "(٣) الآيه " والمراد بالحكمه والموعظة الحسنه الاعتماد على العقل فيما يستقل بادراكه كالألوهيه التى يتوصل الانسان الى معرفتها بالامعان والتأمل فى خلقه وفى خلق السموات والأرض ، وكنبوة محمد صلى الله عليه وسلم التى يعرفها الباحثون من سيرته وطبيعة رسالته أما منهج الاسلام فى معرفة مالا يستقل العقل بادراكه من أصول العقيده كبعض المغيبات فهو الاعتماد على وحى من الله الى نبيه الذى ثبت بدليل العقل نبوته وصدقه فيما أخبر به عن الله جل وعز ، أما المنهج لاثبات الشريعة فهوالكتاب والسنه والعقل(٤) .. "

---

(١) الميزان : ٣ ص ٧٣
(٢) التفسير والمفسرون : الذهبى جـ ٢ ص ٢٥
(٣) سورة النحل من الآيه ١٢٥
(٤) تفسير الكاشف : جـ ١ ص ٥١

ومن المعلوم أن الشيعه لا توافق المعتزله فى كل ماذهبت اليه من آراء والا لا تحدث الفرقتان وشق التميز بينهما ولكن الوشائج - لما ذكرنا - قويه ووجوه الشبه بارزه فى الآراء الكلاميه .

فذلكم محمد جواد مغنيه يقول فى تفسير قوله تعالى " وكذلك جعلنا فى كل قريه أكابر مجرميها .. "[1] " وتسأل : ظاهر الآيه يدل على أن الله سبحانه هو الذى جعل أكابر المجرمين يجرمون ويمكرون بأهل الحق مع العلم بأنه تعالى ينهى عن المكر والاجرام ، ويعاقب عليها ، فما هو التأويل ؟ الجواب أن القصد من هذه النسبه اليه جل ثناؤه هو الاشارة الى أن مشيئة الله قضت بأن تقوم السنن الاجتماعيه على أساس التناقض بين المحقين والمبطلين ، بين أرباب السلطان المعتدين وبين الناس المعتدى عليهم ، ولا مفر من هذا التناقض والصراع الا بالقضاء على المجرمين ولا بد أن يتم ذلك وتعلو كلمة الحق على أيدى دعاة العدل والصلاح مهما تضخم الباطل واستطال"[2] .

ويظهر رأيه أكثر وضوحا عند تفسيره لقوله تعالى " فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام .. الآيه "[3] حيث يقول " قال الرازى (تمسك أصحابنا - يريد السنه الاشاعره - بهذه الآيه فى بيان ان الضلال والهداية من الله تعالى " أما أصحابنا فيقولون : لو كان الضلال والهداية من الله لسقط التكليف وبطل الحساب والجزاء لأنه تعالى أعدل من أن يفعل الشيء ويحاسب غيره عليه كيف وهو القائل

---

(١) سورة الانعام من الايه ١٢٣

(٢) تفسير الكاشف : محمد جواد مغنيه جـ ٣ ص ٢٥٩

(٣) سورة الانعام من الآيه : ١٢٥

" ولا تزر وازره وزر أخرى " أما الآيه التى نحن فى صدد تفسيرها فلا تدل على دعوى الرازى وأصحابه لأنها لم ترد البيان مصدر الضلاله والهدايه وأنه من الله أو من غيره وانما وردت لبيان أن الناس فريقان .

الفريق الأول : تتسع صدورهم للحق ويتفاعلون معه ويطمئنون اليه

الفريق الثانى : لا تتسع صدورهم للحق لجهلهم وضيق أفقهم . ." [1]

ولنسلم جدلا بما يقول فى دلالة الآيه ولننتقل معه الى تفسيره لقوله تعالى " من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون " [2] ولنقرأ تفسيره حيث يقول : " ليس المراد أن من يخلق الله فيه الهدايه فهو المهتدى ومن يخلق فيه الضلال فهو الضال . كلا ، ان هذا تأباه الفطره والبديهه . . لان الله ليس بظلام للعبيد . . " الى أن قال " والذى نراه أن المعنى المقصود من الآيه أن المهتدى حقا هو من كان عند الله مهتديا (!!) ولو كان عند الناس ضالا وليس من شك أن الانسان لا يكون من المهتدين فى الميزان الالهي الا اذا آمن وعمل صالحا " ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم - ٩ يونس " " والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين - ٦٩ - العنكبوت " وكذلك الضال فانه من كان ضالا فى حساب الله لا فى حساب الناس وبكلمه ان الآيه تحدد معنى كل من المهتدى والضال بأنه من كان كذلك عند الله تماما كما قال الامام على (ع) : الغنى والفقر بعد العرض على الله " . [3]

---

(١) تفسير الكاشف جـ ٣ ص ٢٦١ - ٢٦٢
(٢) سورة الاعراف الآيه ١٧٨
(٣) تفسير الكاشف جـ ٣ ص ٤٢٤

وكذا فى تفسير قوله تعالى " ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا "[١] يقول " ليس المراد بمن أضل الله ويضلل الله خلق الاضلال فيهم كلا وانما المراد أن من جاد عن طريق الحق والهدايه بارادته ، وسلك طريق الباطل والضلال باختياره فان الله يعرض عنه ويدعه وشأنه (! !)[٢] .

رؤيه الله :

وكذا فى الرؤيه نجد مفسرى الشيعه ينكرون جوازها ووقوعها ونورد هنا آراء ثلاثه من مفسريهم فى القرن الرابع عشر .

فهذا محمد بن حيدر يقول فى تفسيره لقوله تعالى " وجوه يومئذ ناضره الى ربها ناظره "[٣] " وجوه يومئذ ناضره جواب سؤال عن حال الآخره : الى ربها ناظره أى الى ربها المضاف لظهور الولايه وصاحبها فى ذلك اليوم أو الى ربها المطلق لظهور آثاره أى الى آثاره ناظره أو منتظره الى ثواب "[٤] .

وفى تفسير قوله تعالى " واذ قلتم ياموسى لن نؤ من لك حتى نرى الله جهره "[٥] . يقول مغنيه " وحيث جاء فى الآيه الكريمه " حتى نرى الله جهره " نشير الى النزاع القائم بين أهل المذاهب الاسلاميه وفرقها من أن العقل : هل يجيز رؤ ية الله بالبصر أو يمنعها ؟ قال الأشاعره ـ السنه ـ : ان رؤيةالله بالبصر جائزه عقلا لأنه موجود وكل موجود يمكن رؤ يته ، وقال الاماميه والمعتزله : لا تجوزالرؤية البصريه على الله بحال ، لا دينا ولا دينا ، لأنه ليس بجسم ، ولا حالا فى جسم ولا فى جهه . وبعد أن منعوا الرؤ يه عقلا حملوا الآيات

---

(١) سورةالنساء من الايه ٨٨ . (٢) تفسير الكاشف جـ ٢ ص ٤٠٠

(٣) سورة القيامه جـ الا تيين ٢٢ - ٢٣

(٤) بيان السعادة فى مقامات العباده : محمد بن حيدر الجنابذى جـ ٢ ص ٢٩٤

(٥) سورة البقره : من الايه ٥٥

الداله بظاهرها على جواز الرؤيه ، حملوها على الرؤية بالعقل والبصيرة لا بالعين والبصر ، وبحقائق الايمان ، لا بجوارح الأبدان على حد تعبير الفيلسوف الشهير الكبير محمد بن ابراهيم الشيرازى المعروف بالملاصدرا ، وبصدر المتألهين . ومما استدل به الملاصدرا على امتناع الرؤيه قوله " ان الاحساس بالشيء حاله وضيعه للجوهر الحاس ، بالقياس الى المحسوس الوضعى ، ففرض مالا وضع له أنه محسوس ، كفرض مالا جهه له أنه فى جهه " .

ثم يستدل بقول الفيلسوف الانكليزى جون لوك فيقول " وانتقل ذهنى وأنا أقرأ عبارة هذا العظيم - يعنى الملاصدرا - الى الفيلسوف الانكليزى جون لوك القائل بالواقعيه النقديه ، وملخصها ان للشيء صفات أوليه ثابته له واقعا ، ولا تنفصل عنه اطلاقا ، سواء أوجد من يدركها ، أم لم يوجد ، كالعناصر المقومه المكونه للشيء ... وأيضا له صفات ثانويه نسبيه لا توجد مستقله عن ذات تحسها وتدركها كاللون والصوت والطعم فاللون ليس صفة للشيء ، كما يتراءى وانما هو موجات ضوئيه خاصه بين الشيء والعين عند العلماء ، وأيضا الصوت موجات هوائيه ، والطعم لا وجود له لولا الفم ، ومن هنا يختلف باختلاف الذائق صحة ومرضا . . . واختصارا أنه لا لون بلا عين . ولا صوت بلا أذن ولا طعم بلا فم ، وليس من شك أن نور الله سبحانه يطغى على الموجات الضوئيه وغيرها ، واذا انتفت هذه الموجات انتفت الرؤيه " (1) !؟

ولا شك أن مثل هذا الزعم يخالف الشرع والعقل أما مخالفته الشرع فان الأدله الكثيره جاءت باثبات رؤيه المؤمنين لربهم يوم القيامه

---

(1) تفسير الكاشف : محمد جواد مغنيه جـ ١ ص ١٠٧ - ١٠٨

وهو نفسه يعترف بهذا لكنه صرفها الى الرؤية بالعقل والبصيره مع أن الفاظها لا تقبل أن تنصرف الى الرؤيه بالعقل والبصيره .

أما مخالفته العقل فان ذات الله تعالى لا تشبه الذوات فلا يصح أن تقاس على مخلوقاته عز شأنه ، فكيف نقيس رؤية الخالق على رؤية المخلوق وذات الخالق على ذات المخلوق تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام .

وهذا ينطبق أيضا على تفسير محمد الصادقى لقوله تعالى " وجوه يومئذ ناضره الى ربها ناظره ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة "(1) حيث قال " نسبة الظن الى الوجوه الباسره والنظر الى الربّ للوجوه الناضره هذه النسبه وتلك تصرفها عن وجوه الأبصار الى وجوه البصائر فالوجه الظاهر لا يظن ، وانما يبصر ، والبصر الظاهر لا ينظر الى الرب ذاته اذ " لا تدركه الابصار وهو يدرك الأبصار" ٦ : ١٠٣) وانما البصيره الباطنه هى التى تراه رؤية المعرفه دون كيفية ولا احاطه . اضافة الى أن النظر لا يستلزم الأبصار " تراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرونّ ٧ : ١٩٨) وأحرى بعدم الأبصار اذا كان المنظور اليه غير مبصر ! ثم النص - بعد ذلك كله - " الى ربها " لا إلى الله والربوبيه هى الرحمه والثواب والنعمه وأهمها المعرفه الناتجه عن غاية الربوبيه" الى أن قال " فرؤيته تعالى بالبصر وحتى ادراكه والحيطة به بالبصيره انها مستحيله فى كافة العوالم لكافة العالمين .... فلا يمكن رؤيته بالبصر الا اذا صار مبصرا كخلقه (!!) ولا ادراكه بالبصيره الا اذا صار خلقه مثله فى الأُلوهيه ، (!!) استحالة مزدوجه فى خرافة الرؤية والادراك والاحاطة اذا فالمعنى من نظر الوجوه هو نظر المعرفه (!!) وانتظار الثواب والرحمه ... " .(2)

---

(1) سورة القيامه : الآيات ٢٢ - ٢٥

(2) الفرقان : محمد الصادقي ج ٢٩ ص ٢٨٥ - ٢٨٧

ولا نستطرد بعد هذا في بيان تأثرهم بالمعتزله في بعض الأراء الكلاميه ، وقد سبق الاشاره الى سببه .

سابعا : في آيات الأحكام :

كثيره هي مواضع الخلاف في الفقه بين أهل السنه والشيعه وليس في الامكان في مثل هذا الموضع الاشارة اليها فضلا عن دراسة كل موضع وقد سبقت الاشارة الى رأيهم في اقامة صلاة الجمعه مادام الامام غائبا ، وكذا الخمس ، وغير ذلك .

ومما لاشك فيه أن نكاح المتعه وشذوذ الشيعه في القول به من بين سائر المذاهب ، حتى أصبح سمه من أهم سمات المذهب الشيعي لاشك أن مثل هذا يوجب علينا هنا .

الاشاره اليه كمثال لمنهج الشيعه في تفسير آيات الأحكام وصرفها لتأييد آرائهم الفقهيه كما صرفوا آيات العقائد لتأييد آرائهم العقائديه ونحو ذلك .

ونظرة في تاريخ نكاح المتعه في الاسلام تكشف لنا أنه كان قد أبيح في فترة من الفترات في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وقد أختلف في مدة الاباحه وزمانها حتى قالوا انها ابيحت ثلاثة أيام "[1]

عن أياس بن سلمه عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم رخص في متعة النساء عام أوطاس ثلاثة أيام ثم نهى عنها .[2]

عن قتادة عن الحسن أنه قال والله ما كانت متعة النساء الا ثلاثة أيام ما كانت قبلها ولا بعدها ، زمن اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) أخرجه مسلم جـ ٤ ص ١٣١ والبيهقي جـ ٧ ص ٢٠٤ والدارقطني جـ ٣ ص ٢٥٨ .

(٢) أخرجه عبد الرزاق جـ ٧ ص ٥٠٥ في مصنفه ، وأخرجه سعيد بن منصور في سننه جـ ٢ ص ٢٠٨ من مرسل الحسن البصري .

واختلفوا فى زمانها فمن قائل عام خيبر أو عام الفتح أو فى حجة الوداع أو عام أوطاس ، ولم يزل الناس حينذاك بين القول بالاباحه والقول بالتحريم .

حتى حسم ذلكم النزاع الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه بقوله على المنبر لا أوتى برجل تزوج بنكاح المتعه الا غيبته تحت الحجاره"

ثم توفى عمر رضى الله عنه وظهرت بعد ذلك فرق .. كالشيعه والخوارج ونحوهم ، فأخذت المتعه كغيرها شائبه الطائفيه حيث نهى عنها عمر واختلفت الروايه فيها عن على ، رضى الله عنهما فتعصب لها الشيعه وأخذوا يدافعون عنها حتى أصبحت شعارا لهم [1] وكثرت الروايات الموضوعه فى ذلك حتى رووا فيما رووا " أن من خرج من الدنيا ولم يتمتع جاء يوم القيامه وهو أجدع " [2] ورووا " ليس منا من لم يؤمن بكرتنا (يعنى الرجعه) ويستحل متعتنا " [3] وزعموا فيما زعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " من تمتع مرة كانت درجته كدرجة الحسين عليه السلام ومن تمتع مرتين فدرجته كدرجة الحسن ومن تمتع ثلاث مرات كانت درجته كدرجة على ومن تمتع أربع مرات كانت درجته كدرجتى " [4]

وبلغت درجة تمسكهم بالقول بنكاح المتعه أنهم لا يقبلون فيه التقيه فقال محمد حسين آل كاشف الغطاء " ومن طرقنا الوثيقه عن جعفر الصادق عليه السلام أنه كان يقول : ثلاث لا أتقي فيهن أحدا متعة الحج ومتعة النساء ، والمسح على الخفين " [5].

---

(١) نكاح المتعه عبر التاريخ : عطيه محمد سالم ص ١٦
(٢) تفسير منهج صادقين : الملا فتح الله كاشانى ص ٣٥٦
(٣) تفسير الصافى ١/٣٤٧ والوسائل للحر العاملى ج ٧ ص ٤٣٨
(٤) تفسير منهج صادقين : لملا فتح الله كاشانى ص ٣٥٦
(٥) أصل الشيعه وأصولها : محمد حسين كاشف الغطاء ص ١٠٠

ولا عجب بعد هذا وقد بلغوا فى التمسك بهذا القول هذا الحد أن يبحثوا له عن سند فى القرآن الكريم .

ففى تفسير قوله تعالى " فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضه ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضه " ان الله كان عليما حكيما "[1] يقول محمد بن حيدر الجنابذى من علماء القرن الرابع عشر " وفى لفظ الاستمتاع وذكر الأجور وذكر الأجل على قرآه الى أجل - دلالة واضحه على تحليل المتعه فريضه فرضت أو حالكونها[2] مفروضه عليكم بالعقد ، (ولاجناح عليكم فيما تراضيتم به) من اعطاء الزياده على الفريضه أو اسقاطهن شيئا من الفريضه (من بعد الفريضه) وفيه إشعار بكون الأجر من أركان عقد التمتع كما عليه من قال به وروى عن الباقر (ع) لابأس بأن تبزيدها وتزيدك اذا انقطع الأجل فيما بينكما تقول استحللتك بأجل[3] آخر برضى منهما ولاتحل لغيرك حتى تنقضى عدتها وعدتها حيضتان (ان الله كان عليما حكيما) فحلل المتعه عن علم ولغايات منوطه بالمصالح والحكم "[4]

وقال محمد جواد مغنيه فى تفسير الآيه نفسها " لاجناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضه " اذا تم الزواج المؤقت بين الرجل والمرأة وانقضى الوقت أو أوشك ثم بدالهما أن يزيدا فى الوقت والأجره فلا بأس فى ذلك " .[5]

---

(١) سورة النساء من الآيه : ٢٤
(٢) هكذا وردت ولعلها أوحال كونها .
(٣) كذا وردت ولعلها بأجر آخر .
(٤) بيان السعادة فى مقامات العبادة : سلطان محمد حيدر جـ ١ ص ١٩٥
(٥) التفسير المبين : محمد جواد مغنيه ص ٨٩

وبعد

فتلكم نماذج لمنهج الشيعه فى القرن الرابع عشر فى تفسير القرآن الكريم ومحاولتهم تطبيق آياته على أصولهم وينطبق عليهم قول ابن تيميه رحمه الله تعالى " ان مثل هؤلاء اعتقدوا رأيا ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه وليس لهم سلف من الصحابه والتابعين لهم باحسان ولا من أئمة المفسرين لافى رأيهم ولا في تفسيرهم "(١)

وما أصدق الشيخ محمد حسين الذهبى رحمه الله تعالى حين قال : " فغالب ما فى كتب الاماميه الاثنى عشريه فى تأويل الآيات وتنزيلها وفى ظهر القرآن وبطنه استخفاف بالقرآن الكريم ولعب بآيات الذكر الحكيم .. واذا كان لهم فى تأويل الآيات وتنزيلاتها أغلاط كثيره فليس من المعقول أن تكون كلها صادرة عن جهل منهم ، بل المعقول أن بعضها قد صدر عن جهل . والكثير منها صدر عمدا عن هوى ملتزم وللشيعه - كما بينا - أهواء التزمتها " .(٢)

* * * * * *

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيميه : عبد الرحمن بن قاسم جـ ١٣ ص ٣٥٨
(٢) التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبى جـ ٢ ص ٤١

أهم كتب التفسير عند الامامية الاثنى عشريه في القرن الرابع عشر

للاماميه الاثنى عشريه في القرن الرابع عشر الهجرى عدد كبير من المؤلفات في التفسير منها ما كان شاملا للقرآن الكريم كله ومنها ما اقتصر على تفسير سوره واحده أو سور محدوده . ومنها ما لم يكمل بعد فصدرت بعض أجزائه دون الباقي .

وليس من السهل أن أذكر كل هذا وكل ما ألف فيه ، ولعلى اكتفي هنا بذكر بعضها باختصار ثم أقدم دراسه مختصره من أهمها .

فمن المؤلفات :

١ - تفسير الميزان في تفسير القرآن ، في عشرين مجلدا .

تأليف علامتهم السيد محمد حسين الطباطبائي . وسنفرده بحديث .

٢ - التفسير الكاشف ، في سبعة مجلدات .

تأليف محمد جواد مغنيه . . صدرت طبعته الاولى في بيروت سنة ١٩٦٨ وبين يدى الطبعه الثانية الصادره في ١٩٧٨ م الناشر دار العلم للملايين .

٣ - التفسير المبين :-

تأليف محمد جواد مغنيه

قال عنه صاحبه " ان هذا الكتاب تفسير وجيز لا نقاش فيه ولا مقارنه بين أقوال المفسرين ولا اسرائيليات ومطولات لان الهدف منه أن يتصور قارىء القرآن الكريم موضوع الآيه ويتمثله ولو من بعض جوانبه ".(١)

وكان في أول أمره يريد أن يختصر تفسير جوامع الجامع لشيخهم الفضل بن الحسن الطبرسي ، ثم عدل عن الاختصار وألفه تأليفا .

---

(١) التفسير المبين : محمد جواد مغنيه ص ٣

الكتاب نشرته دار التعارف للمطبوعات ، بيروت سنة ١٣٩٨ هـ في مجلد عدد صفحاته ٧٣٠ من القطع الكبير .

٤ - البيان في تفسير القرآن :

لامامهم الاكبر زعيم الحوزه العلميه السيد أبو القاسم الخوئي

صدر منه المجلد الاول في ص ٥٥٧ ويحتوى على مدخل ، وتفسير فاتحة الكتاب .

صدرت طبعته الاولى سنة ١٩٥٧م وبين يدى الطبعه الرابعه وقد صدرت سنة ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م والناشر دار الزهراء ، بيروت .

٥ - الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنه :

تأليف محمد الصادقي

وصدر منه حتى الآن أربعة مجلدات هي الاجزاء ٣٠ ، ٢٩ ، ٢٧ ، ٢٨ وهما في مجلد واحد ، ٢٦

"وعلل المؤلف بدايته بالجزء الثلاثين من القرآن بقوله " لأن السور التى يضمها هى بداية الوحي الشامل لما يحتاجه البدائيون في معرفة الاسلام فلنبدأ بها كلنا ، علنا ندخل المدينه من بابها ".[1]

أما هذا التفسير فهو " دراسات .. أُلقيناها على طلاب علوم الدين في الحوزتين المباركتين (قم والنجف الاشرف) على زيادات وتنقيحات لفظيه ومعنويه تفسيرا للقرآن بالقرآن متنا ، وبالحديث هامشا"[1]

وقد صدرت طبعات الكتاب ما بين عامي ١٣٩٥ - ١٣٩٧ .

٦ - بيان السعادة في مقامات العباده في مجلدين كبيرين

تأليف سلطان محمد بن حيدر محمد بن سلطان محمد ، الجنابذى الخراساني .

---

(١) الفرقان في تفسير القرآن : محمد الصادقي جـ ٣٠ ص ٧

انتهى مؤلفه من كتابته في ١٣١١/٢/١٤ وصدرت طبعته الاولى والأخيره في اذ لم يطبع بعدها في ١٣٠٤/٩/١٤هـ .

وقد كنت أقوى الحديث عنه بتفصيل لولا أن الشيخ محمد حسين الذهبي رحمه الله قد تناوله بتفصيل لايحتاج الى مزيد .

٧ - آلاء الرحمن في تفسير القرآن في ٣ أجزاء

محمد جواد البلاغي توفي سنة ١٣٥٢ هـ

طبع في صيدا سنة ١٩٣٣ - ١٩٣٤ م

هذا بعض ما اطلعت عليه وقرأت فيه من تفاسيرهم ولم أشأ أن أذكر غير هذا اما لأني لم أطلع عليه أو لانه غير مستوف للقرآن كله بل هو في سور أو آيات أو موضوعات دون غيرها .

وأحسب أني لست بحاجة أيضا الى الكتابه عن كل مؤلف منها . بل سأكتفي بذكر تفسير واحد كبيان لمنهج الشيعه في تفسير القرآن الكريم في العصر الحديث فأكتفي بتفسير الميزان في تفسير القرآن .

الميزان في تفسير القرآن :

بعد بحث وتنقيب شديدين لم أجد للمؤلف ترجمه الا أنه ولد عام ١٩١٤م [(١)]

أما التفسير فالنسخه التي بين يدى هي الطبعه الثانية وجاء فيها أنها تمتاز عن غيرها بالتحقيق والتصحيح الكامل واضافات وتغييرات هامه من قبل المؤلف . وقد صدرت هذه الطبعه بين عامي ١٣٩١ - ١٣٩٤هـ وهي من منشورات الاعلمي للمطبوعات ببيروت .

وتقع في عشرين مجلدا .

وفرغ المؤلف من تأليفه كما يقول " في ليلة القدر المباركه الثالثه والعشرين من ليالي شهر رمضان من شهور سنة ١٣٩٢ هـ .

---

(١) معجم المؤلفين العراقيين جـ ٣ ص ١٥٢

طريقـــة المؤلـــف :

لا شـك أن هذا الكتاب يعتبر من أهم مؤلفات الاماميه الاثنى عشريه فى التفسـير فى القرن الرابع عشر بل أهما على الاطلاق نظرا للشموليه التى سلكها مؤلفه فيه فلم يقتصر فيه على لون من ألوان التفسير للقرآن فحسب بل هو كما وصفه مؤلفه على غلاف كل جزء " كتاب علمي ، فنى فلسفى ، أدبى ، تاريخي ، روائي ، اجتماعي ، حديث يفسر القرآن بالقرآن " وقد حدد المؤلف فى مقدمته خطته فقال" وقد اجتنبنا فيها عن أن نركن الى حجة نظريه فلسفيه ، أو الى فرضيه علميه ، أو الى مكاشفة عرفانية ، واحترزنا فيها عن أن نضع الا نكته أدبيه يحتاج اليها فهم الأسلوب العربي أو مقدمه بديهيه أو عمليه لايختلف (كذا) فيها الافهام " (١)

ثم قال " وأما آيات الأحكام فقد اجتنبنا تفصيل البيان فيها لرجوع ذلك الى الفقه . . . ثم وضعنا فى ذيل البيانات متفرقات من أبحاث روائيه نورد فيها ما تيسر لنا ايراده من الروايات المنقوله عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأئمة أهل البيت سلام الله عليهم أجمعين من طرق العامه والخاصه ، وأما الروايات الواردة عن مفسرى الصحابه والتابعين ، فانها على ما فيها من الخلط والتناقض لا حجة فيها على مسلم (٢) وسيطلع الباحث المتدبر فى الروايات المنقوله عنهم عليهم السلام أن هذه الطريقة الحديثة التى بنيت عليها بيانات هذا الكتاب أقدم الطرق المأثوره فى التفسير التى سلكها معلموه سلام الله عليهم .

---

(١) الميزان فى تفسير القرآن : ج ١ ص ١٢ - ١٣

(٢) كذا زعم المؤلف والحق أن الصحابه والتابعين رضى الله عنهم أجمعين هم أعلم الناس بالتفسير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أما الاختلاف الواقع فى بعض أقوالهم فهو من باب اختلاف قوى الفهم والادراك والتدبر والتأمل فى آياته سبحانه ثم ان علماء المسلمين جعلوا مقاييس يعرف بها الصحيح من الضعيف والسمين من الهزيل وبها ادركنا ضعف وهزال بل وضع ما لجأ اليه المؤلف .

ثم وضعنا ابحاثا مختلفه ، فلسفيه وعلميه ، وتاريخيه واجتماعيه وأخلاقيه ، حسب ما تيسر لنا "[(١)]

وقد جرى المؤلف على هذا النحو وهذه أمثله من تفسيره :

فى تفسير قوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال انى جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتى قال لاينال عهدى الظالمين "[(٢)] ربط المؤلف بين هذه وما بعدها فقال عنها أنها " شروع بجمل من قصص ابراهيم عليه السلام وهو كالمقدمه والتوطئه لآيات تغيير القبله وآيات أحكام الحج وما معها من بيان حقيقة الدين الحنيف الاسلامى "[(٣)] ثم بين المراد بهذه الآيه فقال " فقوله تعالى " واذ ابتلى ابراهيم ربه الخ اشارة الى قصة اعطائه الامامه وحبائه بها "[(٣)] . ثم بين المراد بالامامه فى الآيه فقال " قوله تعالى " انى جاعلك للناس اماما أى مقتدى يقتدى بك الناس ويتبعونك فى أقوالك وأفعالك فالامام هو الذى يقتدى ويأتم به الناس ولذلك ذكره عدة من المفسرين ان المراد به النبوه لأن النبى يقتدى به أمته فى دينهم قال تعالى " وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله " النساء ٦٣ لكنه في غاية السقوط" .[(٤)]

وهو يرى ان الامامه أعلى درجه من النبوه فيقول " وبالجملة فالامام هاد يهدى بأمر ملكوتى يصاحبه فالامامه بحسب الباطن نحو ولاية الناس للناس فى أعمالهم وهدايتها ايصالها اياهم الى المطلوب بأمر الله دون مجرد ارائة الطريق الذى هو شأن النبى والرسول وكل مؤمن يهدى الى

---

(١) تفسير الميزان : جـ ١ ص ١٣ - ١٤

(٢) سورة البقره : الآيه ١٢٤

(٣) الميزان : جـ ١ ص ٢٦١

(٤) الميزان : جـ ١ ص ٢٧٠

الله سبحانه بالنصح والموعظه الحسنه قال تعالى " وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء" ابراهيم - ٤ وقال تعالى فى مؤمن آل فرعون " وقال الذى آمن ياقوم ابتعون أهدكم سبيل الرشاد " مؤمن - ٣٨ - وقال تعالى " فلولا نفر من كل فرقه فهم طائفه ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون " التوبه - ١٢٢ -" [1] .

ولا يخفى ضعف الاستدلال بالآيات المذكوره بل عدمه فيما ذهب اليه من التفريق بين الامامه والنبوه وان كان مراده الاستدلال على الجمله الأخيره " كل مؤمن يهدى الى الله سبحانه بالنصح والموعظه الحسنه " فليس هذا محل النزاع بل هو محل تسليم وانما محله ما زعمه من فرق بين الامامه والنبوه .

التقيه : وفى تفسير قوله تعالى " الا أن تتقوا منهم تقاه " [2] قال " الاتقاء فى الأصل أخذ الوقايه للخوف ثم ربما استعمل بمعنى الخوف استعمالا للمسبب فى مورد السبب ولعل التقيه فى المورد من هذا القبيل .

والاستثناء منقطع فان التقرب من الغير خوفا باظهار آثار التولى ظاهرا من غير عقد القلب على الحب والولايه ليس من التولى فى شئ لأن الخوف والحب أمران قلبيان متباينان ومتنافيان أثرا فى القلب فكيف يمكن اتحادهما ؟ فاستثناء الاتقاء استثناء منقطع .

وفى الآيه دلاله ظاهرة على الرخصه فى التقيه على ماروى عن أئمة أهل البيت عليهم السلام كما تدل عليه الآيه النازله فى قصة عمار وأبويه ياسر وسميه وهي قوله تعالى " من كفر بالله بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم النحل ١٠٦ .

---

(١) الميزان جـ ١ ص ٢٧٢
(٢) آل عمران من الآيه ٢٨

وبالجمله الكتاب والسنه متطابقان في جوازها في الجملة والاعتبار العقلي يؤكده اذا لابغيه للدين ولا هم لشارعه الا ظهور الحق وحياته وربما يترتب على التقيه والمجاراه مع أعداء الدين ومخالفي الحق من حفظ مصلحة الدين وحياة الحق مالا يترتب على تركها وانكار ذلك مكابره وتعسف " .[١]

وقال أيضا " أقول والأخبار في مشروعية التقيه من طرق أئمة أهل البيت كثيره جدا ربما بلغت حد التواتر وقد عرفت دلاله الآيه عليها دلالة غير قابله للدفع " .[٢]

رؤية الله :

وفي تفسير قوله تعالى " وجوه يومئذ ناضره الى ربها ناظره "[٣] يقول " والمراد بالنظر اليه تعالى ليس هو النظر الحسي المتعلق بالعين الجسمانية الماديه التي قامت البراهين القاطعه على استحالتة في حقه تعالى بل المراد النظر القلبي ورؤية القلب بحقيقه الايمان على ما يسوق اليه البرهان ويدل عليه الأخبار المأثوره عن أهل العصمه عليهم السلام "[٤]

الخلود في النار :

في تفسير قوله تعالى " وما هم بخارجين من النار "[٥] قال " ومسألة انقطاع العذاب والخلود مما اختلف فيه انظار الباحثين من حيث النظرالعقلى ومن جهه الظواهر اللفظيه .

---

(١) الميزان في تفسير القرآن : جـ ٣ ص ١٥٣
(٢) المرجع السابق ص ١٦٣ ولمعرفة الحق في هذا وغيره من العقائد انظر ما كتبناه في منهج أهل السنه .
(٣) سورة القيامه الايتين ٢٢ - ٢٣
(٤) الميزان جـ ٢٠ ص ١١٢
(٥) سورة البقره من الآيه ١٦٧

والذى يمكن أن يقال : أما من جهة الظواهر فالكتاب نص فى الخلود قال تعالى : " وما هم بخارجين من النار الآيه " والسنه من طرق أئمة أهل البيت مستفيضه فيه وقد ورد من غير طريقهم أخبار فى الانقطاع ونفى الخلود وهى مطروحه بمخالفة الكتاب "[(١)] ثم ذهب يعدد بعض الاشكالات ويرد عليها .

التفسير الباطنى :

في تفسير قوله تعالى " قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن " [(٢)] الآيه يقول " وفى تفسير العياشى عن محمد بن منصور قال سألت عبدًا صالحا عليه السلام عن قول الله " انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن " قال : ان للقرآن ظهرًا وبطنا فأما ما حرم به فى الكتاب هو فى الظاهر والباطن من ذلك أئمة الجور ، وجميع ما أحل فى الكتاب هو فى الظاهر والباطن من ذلك أئمة الحق .

أقول : ورواه فى الكافي عن محمد بن منصور مسندا وفيه فجميع ما حرم الله فى القرآن هو الظاهر والباطن من ذلك أئمة الجور ، وجميع ما أحل الله فى القرآ ن هو الظاهر ، والباطن من ذلك أئمة الحق .

أقول : انطباق المعاصى والمحرمات على أولئك والمحللات على هؤلاء لكون كل واحد من الطائفتين سببا للقرب من الله أو البعد عنه ، أو لكون اتباع كل سببا لما يناسبه من الاعمال .

ومن هذا الباب ما في التهذيب باسناده عن العلاء بن سيابه عن أبى عبد الله عليه السلام فى قوله تعالى " خذوا زينتكم عند كل مسجد " قال الغسل عند لقاء كل إمام "[(٣)]

---

(١) تفسير الميزان جـ ١ ص ٤١٢
(٢) سورة الاعراف من الآيه ٣٣
(٣) تفسير الميزان : جـ ٨ ص ٩٤ - ٩٥

وفي تفسير قوله تعالى " والنجم اذا هوى "[1] قال " أقول وروى تسميته صلى الله عليه وآله وسلم بالنجم باسناده عن أبيه عن الحسين بن خالد عن الرضا عليه السلام وهو من البطن "[2]

فرض الرجلين في الوضوء :

وفي تفسير قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين"[3] قال " وأما قوله وأرجلكم فقد قرىء بالجر وهو لا محاله بالعطف على رؤسكم .. وقرىء وأرجلكم بالنصب وأنت اذا تلقيت الكلام فخلى الذهن[4] غير مشوب الفهم لم يلبث دون أن تقضى أن " أرجلكم " معطوف على موضع رؤسكم وهو النصب وفهمت من الكلام وجوب غسل الوجه واليدين ومسح الرأس والرجلين ولم يخطر ببالك أن ترد " أرجلكم " الى وجوهكم " في أول الآيه مع انقطاع الحكم في قوله " فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق" بحكم آخر وهو قوله " وامسحوا بوجوهكم "[5] فان الطبع السليم يأبى عن حمل الكلام البليغ على ذلك " الى أن قال " وعلى ذلك وردت الروايات عن أئمة أهل البيت عليهم السلام ، وأما الروايات من طرق أهل السنة فانها وان كانت غير ناظره الى تفسير لفظ الآيه وانما تحكى عمل النبى صلى الله عليه وآله وسلم وفتوى بعض الصحابه لكنها مختلفه : منها ما يوجب مسح الرجلين ومنها ما يوجب غسلها .

---

(١) سورة النجم الآيه الاولى .
(٢) تفسير الميزان جـ ١٩ ص ٣٣
(٣) سورة المائدة من الآيه ٦
(٤) القرآن الكريم لا يتلقاه المؤمنون بخلو ذهن بل لابد أن يضموا اليه بيان من أرسله الله ليبين لهم مانزل اليهم ولا يعد هذا شائبه ؟ !
(٥) كذا وردت وهو لا شك يقصد " وامسحوا برؤوسكم " .

وقد رجح الجمهور منهم أخبار الغسل على أخبار المسح ولا كلام لنا معهم في هذا المقام لأنه بحث فقهي راجع الى علم الفقه خارج عن صناعة التفسير "[1] ؟!

وهكذا لما أعيته الحيله وعجز عن رد أدلة الجمهور المستنده الى فعل الرسول صلى الله عليه وسلم زعم أنها خارجه عن صناعة التفسير وما درى أن فعل الرسول صلى الله عليه وسلم وقوله ما هو الا التفسير الصحيح للقرآن الكريم .

إرث الأنبياء

وقال في ميراث الانبياء ما قال به المذهب الشيعي ففسر قوله تعالى " وورث سليمان داود "[2] بقوله " أي ورثه ماله وملكه وأما قول بعضهم : المراد به وراثة النبوه والعلم ففيه أن النبوه لا تقبل الوراثه لعدم قبولها الانتقال ، والعلم وان قبل الانتقال بنوع من العنايه غير أنه انما يصح في العلم الفكرى الاكتسابى . والعلم الذى يختص به الأنبياء والرسل كرامه من الله لهم وهبيّ ليس مما يكتسب بالفكر فغير النبى يرث العلم من النبى لكن النبى لا يرث علمه من نبى آخر ولا من غير نبى"[3]

وكذا فى تفسير قوله تعالى حكايه لقول عبده زكريا " فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا "[4] نحا المؤلف فى تفسيرها هذا النحو .[5]

---

(١) تفسير الميزان جـ ٦ ص ٢٢٢
(٢) سورة النمل من الآيه : ١٦
(٣) تفسير الميزان جـ ١٥ ص ٣٤٩
(٤) سورة مريم آيه ٤ - ٥
(٥) لمعرفة الحق فى هذا انظر تفسير الشيخ الشنقيطي رحمه الله تعالى لهذه المسأله فى الفصل الأول : الاتجاه الفقهى فى التفسير من الباب الثانى . فانه أجاد وأفاد رحمه الله تعالى .

نكـــاح المتعـــــه :

والطباطبائـى يجزم وبلا شك فى جواز نكاح المتعه بناء على مذهبـــه وها هو يفسر قوله تعالى " فما استمتعتم بـه منهن فأتوهن أجورهن فريضـه ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضه ان اللـه كان عليما حكيما"[1]

فيقـول : " والمراد بالاستمتاع المذكور فى الآيه نكاح المتعـه بلا شك فان الآيـــه مدنيـه نازله فى سورة النساء فى النصف الأول من عهد النـــبى صلى اللـه عليه وسلم بعد الهجرة على ما يشهد بـه معظم آياتها وهذا النكاح أعنى نكاح المتعـه كانت دائرة بينهممعمولـه عندهم فى هذهالبرهـه مـــن الزمان من غير شـك - وقد أطبقت الأخبـار على تسلم ذلك - سواء كـــان الاسلام هو المشرع لذلك أو لم يكن فأصل وجوده بينهم بمرأى من النـــبى ومسمع منه لا شك فيـه ، وكان اسمه هذا الاسم ولا يعبر عنه الا بهذا اللفظ

فلا مناص من كون قوله " فمااستمتعتم بـه منهن " محمولا عليـه مفهوما منـه هذا المعنى كما أن سائـر السنن والعادات والرسومالدائـرة بينهـــم فى عهد النزول بأسمائها المعروفه المعهوده كلما نزلت آيـه متعرضـــه لحكم متعلق بشىء من تلك الأسماء بامضـــاء أو رد أو أمـر أو نـهى لم يكـن بـد من حمل الأسماء الوارده فيها على معانيها المسماه بها من عيرأن تحمل على معانيها اللغويـة الأصليـه . . . فمن المتعـين أن يحمل الاستمتـــاع المذكور فى الآيـه على نكاح المتعه لدورانـه بهذا الاسم عندهم يوم نـــزول الآيـه سواء قلنا بنسـخ نكاح المتعـه بعد ذلك بكتاب أو سنه أو لم نقـــل فانما هو أمـر آخـر .

وجملة القول أن المفهوم من الآيـــه حكم نكاح المتعه وهو المنقـــول عن القدماء من مفسرى الصحابـه والتابعـين كابـن عباس وابن مسعـــــود وأبـي بن كعب وقتاده ومجاهد والسدى وابن جبير والحسن وغيرهم وهـــو مذهب أئمة أهل البيت عليهم السـلام " .[2]

---

(١) سورة النســاء من الايـه ٢٤

(٢) تفسـير الميزان : محمد الحسين الطباطبائى جـ ٤ ص ٢٧١ - ٢٧٢

ثم أنكر أن تكون هذه الآيه منسوخه وتتبع الأقوال فى نسخها وناسخها ورد عليها بمزاعم يطول ذكرها وتفنيدها ، وقال بعد أن أورد التفسير الروائى للآيه :- " وأما حديث النسخ بالكتاب أو بالسنه فقد عرفت عدم رجوعه الى محصل على أن بعض الروايات يدفع البعض فى جميع مضامينها الا في أن عمر بن الخطاب هو الناهى عنها المجرى للمنع المقرر حرمة العمل وحد الرجم لمن فعل "[(١)].

وان شئت الحق فى هذه المسأله وغيرها من المسائل التى شذ بها الاماميه أو غيرهم من الفرق الضاله فعليك بما ذكرته فى تفسير أهل السنه والجماعه وفى منهج التفسير الفقهى فقد جعلتهما ميزانا تزن به الأقوال الشاذه وترجع اليهما عند التباس السبيل والله الهادى .

التفسير العلمي :

نص المؤلف في مقدمة تفسيره على أنه سيجتنب في بياناته عن أن " نركن الى حجة نظرية فلسفيه أو الى فرضيه علمية أو الى مكاشفة عرفانية "[(٢)].

والحق أنه التزم الابتعاد عن النظريات العلمية فندر أن أجد فيما أطلعت عليه من تفسيره حديثا عن هذه النظريات لا بالنفى ولا بالاثبات ومن النادر هذا ما جاء فى تفسيره لقوله تعالى " ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار " الى قوله " لآيات لقوم يعقلون "[(٣)] فقال فيها " ثم ان هذه الأجرام

---

(١) المرجع السابق : جـ ٤ ص ٢٩٩
(٢) المرجع السابق : جـ ١ ص ١٢
(٣) سورة البقرة : الآيه ١٦٤

الجويه المختلفه بالصغر والكبر والبعد والقرب (وقد وجد الواحد في الصغر على ما بلغه الفحص العلمي ما يعادل :

٣٣ . . . . ر . من سانتيمتر مكعب

والواحد في الكبر ما يعادل الملايين من حجم الارض وهو كره يعادل قطرها ٩٠٠٠ ميلا تقريبا ، واكتشف من المسافه بين جرمين علويين ما يقرب من ثلاثة ملايين سنه نوريه ، والسنه النوريه من المسافه تعدل :

٣٦٥ × ٢٤ × ٦٠ × ٦٠ × ٣٠٠٠٠٠ كيلو متر تقريبا) فانظر الى هذه الأرقام التي تدهش اللب وتبهت الفكر وأقض ما أنت قاض في غرابة الأمر وبداعته " .[1]

أقول وان هذه المعلومه العلمية التي قالها لم يذكرها من باب التفسير القائم على ألفاظ الآيه وانما من باب الاستشهاد وقد أحسن والحق يقال بهذا الصنيع .

رأيي في هذا التفسير :

قرآءه قصيره في هذا التفسير تدرك منها أول ما تدرك أن هذا الكتاب لم يؤلف للعامه وانما للعلماء نظرا لما فيه من أبحاث دقيقه عميقه ويقال فيه ما قيل في تفسير الكشاف أنه من أحسن التفاسير لولا ما فيه من الاعتزال أما هذا التفسير فهو من أحسن التفاسير في العصر الحديث لولاما فيه من التشيع المتطرف .

---

(١) تفسير الميزان : جـ ١ ص ٣٩٦

ومن مزاياه هذه الابحاث الواسعه الشاملة التى يوردها فى تفسير بعض الآيات مستقصيا مستوفيا لأطراف القضيه التى يبحثها فمن ذلك مثلا تفسيره لقوله تعالى " واذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله "[1] الآيات فقد جاء تفسيره لها فى ١٣٧ صفحه وجاء تفسيره لقوله تعالى " هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات "[2] الآيات فى حوالى ٧٠ صفحه وتفسير قوله تعالى " واذ قال ابراهيم لابيه آزر "[3] .. الآيات فى حوالى ٨٦ صفحه وغير هذا كثير .

وانى لأعجب حقا من هذه العقلية التى تغوص بك في عويص المعانى وتجلو لك غامض الحقائق أعجب منها اذا ما طفت الى السطح كيف يلتبس عليها الأمر . وكيف تختلط عليها الحقائق وتلتبس السبل ، وكيف تقبل هذه الخرافات والمهازل ؟!

صحيح أن المؤلف أورد غالب هذه الأمور تحت عنوان بحث روائي ، وصحيح أن المؤلف يجعل بعضها من أسلوب الجرى الذى قال عنه :

روايات الجرى كثيره فى الأبواب المختلفه وربما تبلغ المئين . ونحن بعد هذا التنبيه العام نترك ايراد أكثرها فى الأبحاث الروائيه لخروجها عن الغرض في الكتاب ، الا ما تعلق بها غرض في البحث . فليتذكر " .[4]

---

(١) سورة المائدة : الآيه ١١٦

(٢) سورة آل عمران : الآيه ٧

(٣) سورة الانعام : الآيه ٧٤

(٤) الميزان فى تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائى ج ١ ص ٤٢

ان هذا التنبيه لا يعفيه من مسئولية ايرادها ، ولا يبرئه من انحراف اعتقادها .

وليست هذه الروايات هي المأخذ عليه فحسب بل يؤخذ عليه كل ما يؤخذ على العقيده الامامية فما تفسيره الا على مذهبها . وما منهجه الا منهجها . ولعل في هذا غنى عن استعراضها .

رأيي في هذا المنهج :

وما مثلي وأنا أريد الحديث عن منهجهم فى التفسير الا كمثل رجل وقف أمام قصر منيف انهد عموده فتساقطت أركانه وانطمرت معالمه فلم يظهر الا العيوب والفجوات .

لست أقول هذا تعصبا ولست أقوله حقدا ولكنى أرى منهجا أسقط من حسابه العمود الذى تقوم عليه أصول التفسير وأركانه وهم يعترفون بهذا .

فقد أرسل الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم مبينا للقرآن الكريم فقال سبحانه " وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون "[1] وقال سبحانه " وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون "[2] . والآيات والاحاديث فى هذا كثيرة جدا .

---

(١) سورة النحل من الآيه ٤٤

(٢) سورة النحل : الآيه ٦٤

ولا يشك عاقل أن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهم هم الذين تلقوا هذا البيان منه . وهم الذين نشروه بعد ذلك بين المسلمين كافه فالطريق اليه لا يكون الا عن طريقهم .

فاذا ما قامت فرقه وأعلنت أنها لا تثق بهذا المروى عن طريق الصحابه رضى الله عنهم فانما تعلن جهلها وتعلن انحرافها وقد نقلنا نص أحد علمائهم المعاصرين الذى صرح فيه بقوله : -
" أنهم لا يعتبرون من السنه (أعنى الأحاديث النبويه) الا ماصح لهم من طرق أهل البيت عن جدهم يعنى مارواه الصادق عن أبيه الباقر عن أبيه زين العابدين عن الحسين عن السبط عن أبيه أمير المؤمنين عن رسول الله سلام الله عليهم جميعا . أما ما يرويه مثل أبى هريره وسمره بن جندب ومروان بن الحكم وعمران بن حطان الخارجى وعمرو بن العاص ونظائرهم فليس لهم عند الاماميه من الاعتبار مقدار بعوضه وأمرهم أشهر من أن يذكر" (١)

ولا أدرى لم خص هؤلاء بالذكر مع أنه فى أول حديثه لم يعترف الا بطرق أهل البيت ، وما عداهم فلا يصح عندهم .

ولا شك أن طرق أهل البيت لو سلمنا جدلا صحتها كلها فانه لم ترد بها كل أحكام الاسلام ولهذا النقص الكبير قامت طائفه بل طوائف بسد هذا النقص بالروايات الموضوعه والافتراءات ونسبتها زورا وبهتانا الى أهل البيت اذ كيف يقصرون الناس على طرق غير وافيه . !

---

(١) أصل الشيعه وأصولها : محمد الحسين آل كاشف الغطاء ص ٧٩ - ٨٠

وأحسب أن هذا الانحراف في مصادر التشريع هو سبب كل انحراف في منهجهم هذا اذا نظرنا الى هذا المنهج نظرة من بعد تظهره بصوره كامله . واذا ما قربنا الصوره الى أعيننا ظهر لنا عدد من رجال الباطنيه الذين أدخلوا في هذه العقيدة مازادها شططا عن الحق وأهله وقد كنت أظنهم اندثروا وهلكوا فاذا بهم ما يزالون بين أظهر المسلمين يتزيون بزيهم ويأكلون معهم .

وقد كنت الى عهد قريب من أولئك المخدوعين بهم الذين يؤرق مضاجعهم ويقلق راحتهم ان يقوم على منبر أو يكتب فى كتاب رجل فيذمهم ويكشف سترهم وكنت أقول يكفي ما أصاب المسلمين من سهام الأعداء فلنتجه اليهم ولنترك خصوماتنا فيما بيننا فاذا بي والأيام تكشف لى كيدهم ومكرهم وقرأت فى كتبهم الحديثه قبل القديمه مما جعلنى أوقن بأنه يجب أن نعلن الدعوه الى الاسلام بين صفوفهم فى نفس الوقت الذى نعلنه عند غير المنتسبين الى الاسلام ان لم يكن قبل ذلك . وأنه من الواجب أن نكشف خطرهم قبل أن نكشف خطر أولئك اذ هم أشد وأنكى

وليس المقام هنا مقام كشف لهذه الحقائق ولكنه ومضه قصدت فيها لفت انتباه من لم ينتبه فسيرى بعد ذلك الحقيقه .

عودة الى منهجهم فى التفسير

قلت ان عدم اعتبارهم لما رواة الصحابه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو مصدر انحراف منهجهم وسقوطه . ولذلك لجأوا الى أمور عده يسدون بها ماانثلم :

١ - فروا الروايات الموضوعه ونسبوها الى أئمتهم .

٢ - اعتبروا كل روايه لأحد أئمتهم تشريعا لأنهم بزعمهم معصومون .

٣ - لم يساعدهم ظاهر القرآن الكريم على ماانتحلوه من آراء وانحرافات فقالوا بالباطن وقالوا بالجرى .

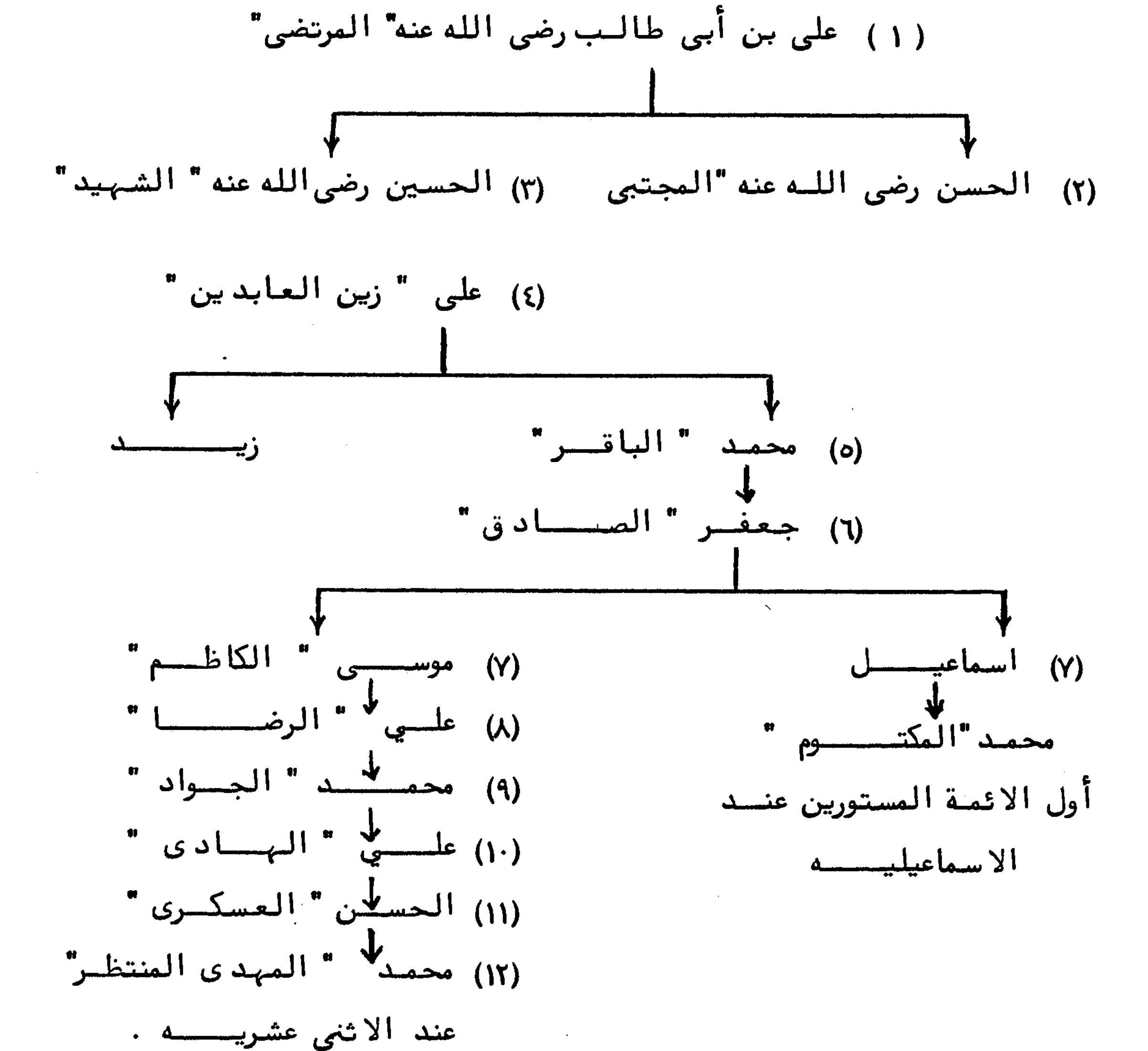
٤ - ولم تكف هذه الأمور كلها فقالوا بتحريف القرآن الكريم وهم وان انكره بعضهم فانما ينكره تقيه فكتبهم التى بها يؤمنون وبأقوالها يعتقدون مليئة بروايات التحريف .

٥ - وقالوا بالتقيه والرجعه والبداء والامامه والعصمه وو الخ مما لا يقوم على أصل ولا يستند الى كتاب ولا الى سنه صحيحه هذا كله بل بعضه يكشف زيف منهجهم وضلاله وحين يعودون الى القرآن الكريم ويعترفون - حقا - بسلامته من الزيادة أو النقصان وحين يعترفون بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى رواها أصحابه العدول الثقات حينئذ يكون الاتجاه السليم بل بدايته وحينئذ يؤخذ من تفسيرهم ويرد أما والحالة هذه فلا . ولاكرامه .

وغنى عن القول بعد هذا أن أصولهم فى التفسير بل فى العقيدة كلها لا يقوم لها أصل ولا تقوم لها قائمة ما دام عمودها منهدا وركنها الأساس ساقطا والله المستعان .

الاسماعيليـــــه :

افترقت هذه الفرقه عن الاماميه الاثنى عشريه بعد وفـاة جعفـر ابن محمد الصادق . فقالـت الاثنا عشريه بامامة ابنه موسى الكاظـم الى اثنى عشر اماما فسموا بالاماميه الاثنى عشريه ، وقالت الاسماعيليه بامامة ابنه اسماعيل فنسبوا اليه ، وانتهى بوفاته دور الظهور وبدأ دور الستر فكانت الأئمه عندهم سبعه فلقبوا بالسبعيه ، وكان ابنه محمد المكتوم أول الأئمه المستورين عندهم . وهذا جدول لتوضيح تسلسل الامامه عند فرق الشيعه الثلاث الاثنى عشريـه والاسماعيليه ، والزيديه .



وانما قال الاسماعيليه بامامة محمد بن اسماعيل بن جعفر لانهم يعتقدون أن جعفرا قد أوصى بالامامة لابنه اسماعيل وعندما توفي اسماعيل فى حياة والده جعفر علموا أنه انما نصب ابنه اسماعيل للدلاله على امامة ابنه محمد .

وقويت شوكة هذه الطائفه فىعهد المأمون وكان على رأسهم ميمون القداح مولى " جعفر الصادق " حيث تظاهر وصحبه بحب آل البيت وادعوا الولاء التام والموالاة لهم واعلنوا الامامه لمحمد بن اسماعيل ابن جعفر الذى " اضطر الى ترك مسقط رأسه المدينه المنوره وهاجر الى خوزستان (جنوب غرب ايران) ثم تركها الى بلاد الديلم (جنوب بحر قزوين) ولم يسمع عنه شىء بعد ذلك " .(١)

ولا نستبعد أن يكون ميمون القداح هذا هو الذى دبّر هذه الخطه ليتولى أمور الدعوه من بعده ، فقد زعم أنه ابن لمحمد بن اسماعيل ابن جعفر هذا ، ثم انتقلت أمور الدعوه من بعده الى ولده عبد الله بن ميمون الذى كان يدعي علم الغيب . والأسرار الروحانيه والعلوم الخفيه ويزعم أنها انتهت اليه من جده محمد بن اسماعيل بن جعفر "(٢)

واتخذ من بلدة " ساباط " مركزا لدعوته ثم انتقل الى الشام ولم تلعب الاسماعيليه دورا سياسيا الا بعد الانتقال من" دور الستر" الى دور" الظهور" .

---

(١) طائفة الاسماعيليه : محمد كامل حسين ص ١٤

(٢) اخوان الصفاء : عمر الدسوقى ص ٢٠

وقد بدأ دور الستر بتولي محمد بن اسماعيل بن جعفر للامامه وقد اختلف في عدد الائمه وترتيبهم في هذا الدور ، واستمر دور الستر هذا الى ظهور عبيد الله المهدى مؤسس الدوله الفاطميه في أواخر القرن الثالث الهجرى وبه يبدأ دور الظهور .

وانبثق عن هذه الفرقه فرق باطنية أخرى كالقرامطه والنصيريه والدروز بل ينسب اليها فرق باطنيه أخرى حدثت وما تزال تحدث في العصور المتأخره كالبابيه والبهائيه والقاديانيه وما يسمى بالرسالة الثانيه التى عاني وما زال يعاني منها المسلمون الأذى الشديد .

وأصبحت هذه الفرق كلها تعرف باسم الحركات الباطنيه وهم جميعا كما وصفهم العلماء " ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض" .

وأمر مؤلفاتهم اشتهر حتى لايكاد يخفى على ذى معرفة ذلكم التستر الشديد والتكتم الذى يسد لونه على مؤلفاتهم وكتبهم وأشار الى ذلك كل من كتب عنهم شيئا لافرق بين من يؤيدهم ومن يخالفهم فكلاهما يلاقى العناء الشديد فى ذلك .

وقد اعترف أحد الدارسين عنهم وهو منهم بقوله " وأعترف أنى أثناء دراساتى الطويله عن الإسماعيليه لم أقابل شيخا غيره عنده رغبة صادقه فى اعارة كتبه أو تقديم يد المعونه لمن يدرس عقائد الفاطميين وتاريخهم وفقههم " الى أن قال " ونرجو مخلصين أن تزول التقيه والستر فقد أصبحا لا قيمة لهما الآن " (١)

---

(١) من مقدمه آصف بن علي أصغر فيض . لتحقيقه كتاب دعائم الاسلام : النعمان بن حيّون جـ ١ ص ١٥

وتحدث في موضع آخر عن احدى النسخ المخطوطه لكتاب يحققه فقد مكث ثمان سنوات ونصف في البلد الذى توجد به النسخه عند أحد أصدقائه الاسماعيليين ولم يسمح له برؤيتها الا ساعه من الزمان برقابة ابنه في مقره الرسمي[(١)] .

ولست بهذا أريد دفاعا عن نفسي وتبريرا لعجزى ولكني أحكي واقعا عاناه كبار الباحثين المتخصصين مع صلتهم وصداقتهم بأصحاب المخطوطات وأقامتهم معهم .

وقد بحثت ونقبت كثيرا عن كتب الاسماعيليه بل الباطنيه عامه قديما وحديثا وقد حصلت على مجموعه من مؤلفاتهم والعجيب أنني لم أجد لهم كتابا في التفسير لا في القديم ولا في الحديث بل أن بعض مؤلفاتهم خاصة الحديث منها تقرأها من أولها الى آخرها فلا تجد فيها آيه ولا حديثا والحمد لله على ذلك .

وكل من كتب عن التفسير لدى الأقدمين منهم فانما التمس نصوصا بين ثنايا مؤلفاتهم لم يفردوها بحديث ولم يقصدوا ذلك بل عرضت لهم عرضا فقالوا بتفسيرها حسب ما يلائم عقائدهم .

وفي البابيه والقاديانيه مثل هذه النصوص لكن أصحابها ليسوا من أهل القرن الرابع عشر . وقد عدّ الشيخ محمد حسين الذهبى رحمه الله تعالى تفسير البابيه مثالا للتفسير الباطنى فأورد[(٢)] منه جملة مبثوثه في بعض كتبهم .

ولئن أخذنا مفهوم الباطنيه هذا وجعلناه يشمل كل فرقه انحرفت عن الاسلام وظهر الحادها وتأويلاتها الضاله مع زعمها الانتماء اليه

---

(١) المرجع السابق ج ١ ص ٢١

(٢) التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبي ج ٢ ص ٢٦٤ - ٢٧٩

والالتزام به خاصه اذا رأينا كثيرا من العلماء والمؤرخين مجمعين على أن فرق النصيريه والدروز والاسماعيليه كلها يجمعها " الفرقه الباطنيه " مع أن فيما بينها اختلاف كبير فى اعتقادها وتباين ظاهر في معبوداتها ويضمون اليها البابيه والبهائية والقاديانيه وهى كذلك أيضا فانا نعتقد بوجوب ضم طائفة جدّت فى القرن الرابع عشر ولها أتباع ومؤلفات وكادت أن تكون لها دوله لولا أن قيض الله للاسلام والمسلمين من أنقذهم من ذلك أعنى اتباع ما يسمى " بـ الرساله الثانيه " وداعيتها المتنبى المزعوم محمود طه . فان كان الأمر كذلك فانى سأشير سريعا اليه كمثال للتفسير الباطنى في العصر الحديث وحسبك به من باطنى .

الجمهوريون :

وهذا الاسم مايطلقه اتباع محمود محمد طه على أنفسهم ويطلقون على أنفسهم اسم " المسلمون " وعلى دعوتهم " الرسالة الثانيه" ودجالهم محمود طه من متطرفي الباطنيه والمتصوفه الذين ينكر أفعالهم وأقوالهم كل أحد حتى الصوفيون المعتدلون ، أظهر أفكاره ودعوته فى السودان .

وتقوم دعواه على الزعم بأن الرسول صلى الله عليه وسلم حين بعث فى مكه جاء بالاسلام ، ولما تبين له أن للناس في هذا الوقت لايطيقون تلقي الاسلام(١) انتقل الى المدينه ودعا الى الايمان فأجابوه فالرسول صلى الله عليه وسلم ـ بزعمهم ـ انما جاء بالايمان وفصله للناس أما الاسلام فلم يقع فى حقه التفصيل بل جاء به مجملا

---

(١) رسالة الصلاة : محمود محمد طه ص ٦٨ والرسالة الثانية من الاسلام : محمود طه ص ١٢١

وزعم أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو طليعة المسلمين المقبلين فكأنما جاء لأمته " المؤمنين " من المستقبل فهو المسلم الوحيد بينهم كما أن أبا بكر طليعة المؤمنين وكان بينه وبين النبى أمدا بعيدا .

وسمى دعوته هذه بـ الرساله الثانية لزعمه أن الرسالة الأولى المحمديه كانت للايمان ، والرسالة الثانيه للاسلام . ووصف الأولى كما جاء في عنوان أحد كتبه " الرساله الأولى لا تصلح للقرن العشرين" فالرساله الثانيه بزعمه ناسخه للرسالة الاولى .

وقال عن الرسالة الثانية " الرسالة الثانية هى الاسلام وقد أجملها المعصوم اجمالا ولم يقع فى حقها التفصيل الا فى التشاريع - كذا - المتداخله بين الرسالة الأولى وبينها كتشاريع العبادات وتشاريع الحدود "(1)

وينكر أن الدين قد كمل وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد بيّن القرآن .

ويزعم أن الأمة الاسلامية لم تظهر بعد وهي مرجوه - كذا - الظهور في مقبل أيام البشرية وسيكون يوم ظهورها يوم الحج الأكبر وهو اليوم الذى يتم فيه الخطاب الرحماني بقوله تعالى " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا"(2) (3) وأن دخول الاسلام مرتبة لم تتحقق في المجتمعات الماضيات الا للأنبياء حتى هؤلاء قصر عنها بعضهم (!!!) كما يحدثنا القرآن " انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا" الايه (4) (5)

---

(1) الرسالة الثانية : محمود محمد طه ص ١٤٢ . (2) سورة المائدة آية ٣

(3) الرسالة الثانية : محمود محمد طه ص ١٤٧ - ١٤٨ . (4) سورة المائدة آية ٤٤

(5) رسالة الصلاة : محمود محمد طه ص ٦٩

فهذا الدجال قد فهم من قوله تعالى " الذين أسلموا " أن هناك أنبياء لم يسلموا وهذا سوء فهم وسوء معتقد لأن قوله تعالى "الذين اسلموا " وصف للنبيين يبين ماكانوا عليه ، وليس للاحتراز من أنبياء غير مسلمين فالوصف هنا للبيان لا للاحتراز . وذلك لأن الدين عند الله الاسلام " ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخره من الخاسرين " [1] فكيف يبتغ هؤلاء الانبياء غير الاسلام دينا ومن ابتغى سواه فهو من الخاسرين .

ذلكم احمال نظرته الى الايمان والى الاسلام ونظرته الى موقع دعوته المزعومه من الاسلام .

وبعد أن الزمت نفسي بقرآءة كثير من كتبه والردود عليه ظهر لي رأى فيه وفي دعوته لم أجد من أظهره وأبرزه عند الحديث عنه ولعل ما توصلت اليه يكشف جانبا من أهداف دعوته الباطنيه فلئن كان يقف خلف الباطنيه الأولى اليهودى عبد الله بن سبأ فلعل ابن سبأ نصرانى يقف خلف دعوة الباطنيه فى العصر الحديث وما أكثر السبأيين خاصة اذا علمنا أن الافساد [2] البريطانى كان وراء الدعوات الباطنيه في العالم الاسلامي كالقاديانيه والبابيه والبهائية وكل ما من شأنه نشر الالحاد والفساد فى العالم الاسلامي بل وزرع اليهود فى أرض المسلمين .

أعود فأقول اذا علم هذا فليس بمستغرب أن يقف هؤلاء أو غيرهم من " سبأيه " النصارى خلف دعوة محمود طه . ذلكم أن الدعوة الاسلامية تقوم على الوحدانية لله سبحانه وتعالى وتختلف عنها

---

(١) سورة آل عمران الآيه : ٨٥

(٢) ويسميه بعض الناس " الاستعمار " وما هو بذاك .

عقيدة النصارى فنقوم على عقيدة " التثليث " واذا نظرنا بتأمل الى عقيده محمود طه هذا وجدناها تقوم على " الثنائية " في كل شيء وكأنها تريد أن تشكك في الوحدانيه فتستعد للتثليث وجاءت الثنائيه هذه في كثير من عقائد الجمهوريين هؤلاء .

فجاءت الثنائيه بزعم وجود الهين واحد في السماء وآخر في الأرض واله الخير واله الشر وان الله والرحمن الهان متحدان في واحد وقال بوجود ذاتين ذات قديمه وذات حادثه وارادتين واحدة للخير وأخرى للشر وان الله واحد وله شركاء في نفس الوقت .(١)

وجاءت بزعم أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو " الرسالة الاولى " وما سيأتي بأنه " الرساله الثانيه " وهو يكتب ويشرح عقائد الرسالة الثانية وكأنه النبي الذى جاء بها ؟! .

وجاءت بزعم أن الاسلام اسلامان اسلام أولي هو اسلام الأعراب الذين قالوا آمنا ورد عليهم القرآن " قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم " (٢) ثم الايمان الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم يليه الاسلام الثاني ، وهو الذى حان وقته في هذا العصر فالاسلام اسلامان .(٣)

وجاءت الثنائيه بزعم أن للقرآن الكريم معنيين معنى ظاهر ومعنى باطن .

---

(١) جريدة المدينه العدد ٥٦٣٤ مقال " دجال السودان " بقلم سعد حسن لطفي ص ٨ الجمعه ١٤٠٢/١١/٨هـ

(٢) سورة الحجرات : من الآيه ١٤

(٣) رسالة الصلاة : محمود محمد طه ص ٨٣

وجاءت الثنائيه في مفهوم الصلاة فالصلاة بالمعنى القريب هي الصلاة الشرعيه ذات الحركات المعروفه [١] وهي للذى يمر بمرحلة الايمان الذى هو مرتبة الأمة الأولى فالصلاة الشرعيه فى حقه فرض له أوقات يؤدى فيها ... وحين يرتفع السالك الى مرتبة الأصاله ويخاطب بالاستقلال عن التقليد ويتهيأ ليأخذ صلاته الفرديه من ربه بلا واسطه تأسيا بالمعصوم .. فهو حينئذ لا تسقط عنه الصلاة وانما يسقط عنه التقليد ويرفع من بينه وبين ربه بفضل الله ثم بفضل كمال التبليغ المحمدى الحجاب الأعظم .. الحجاب النبوى"..[٢]

ولتوضيح هذه العبارات أقول أن عقيدته تقوم على أن أمه المؤمنين هم أمة التقليد فهم يتلقون الأوامر الالهيه بواسطة النبى أما أمة المسلمين فهم كالأنبياء يتلقون من الله مباشرة فهم أمة التلقى فاذا انتقل الانسان من التقليد وسقط عنه ماسماه " الحجاب الاعظم " حجاب النبوه ؟! أصبح يتلقى الأوامر من ربه مباشرة وأصبح في حدود الشريعه الفرديه وخرج من الشريعه الجماعيه " وتكون شريعتة الفرديه من الله بلا واسطه فتكون له شهادته وتكون له صلاته وصيامه وزكاته وحجه ويكون فى كل أولئك أصيلا " [٣] وله بعد ذلك أن لا يفعل شيئا من هذه العبادات لأنه بزعمهم يتلقى الأوامر من الله مباشرة ومن الذى يستطيع أن يحتج عليه بتشريعات أمة التقليد ؟! ولهذا عرف عن محمود طه هذا أنه لا يصلى ؟! وليس هذا بمستغرب منه .

---

(١) المرجع السابق : ص ٧٤
(٢) المرجع السابق : ص ٨٤ - ٨٥
(٣) المرجع السابق : ص ٧٨

وجاءت الثنائية بمفهوم العقل فالعقل عنده عقلان العقل الواعي والعقل الباطن[١] ، مالعلم عنده علمان : علم الظاهر وهو علم آيات الآفاق وعلم يقين وهو علم آيات النفوس وهو لا بدّ آت ولكن الوقت بطبيعة الحال طرف فيه وهو لم يجيء بعد ذلك بأن " حكم الوقت" فيما مضى من تاريخ البشرية لم ينضح ليقضي بمثل هذا اليقين وانه لآت لا ريب فيه وبمثل هذا اليقين يجيء العلم الذى هو سبب الرزق[٢] .

وجاءت الثنائية بمفهوم الساعه قال محمود طه " والساعه ساعتان ساعة التعمير وساعة التخريب . . وفأما ساعة التعمير فهي لحظة مجيء المسيح ليرد الأشياء الى ربها حسا ومعنى وليملأ الارض عد لا كما ملئت جورا . . يومئذ يظهر الاسلام على جميع الأديان . . .

وأما ساعة التخريب فهي لحظة مجيء المسيح للمرة الثانيه ليرد الأشياء الى الله حسا وقد أبطأ المعنى وذلك " يوم نطوى السماء كطيّ السجل للكتب . . كما بدأنا أول خلق نعيده . . وعدا علينا . . انا كنا فاعلين[٣] " والساعتان منضوبتان فى بعضهما في سياق القرآن فهو عندما يقول " الساعة " انما يعنى المعنى القريب للساعه وهي ساعة التعمير والمعنى البعيد للساعهوهي ساعة التخريب وانما يقع التميز بينهما عند القادرين عليه بفضل الله ثم بفضل التفريد فى التوحيد[٤] " .

---

(١) رسالة الصلاة : محمود محمد طه ص ٣٢

(٢) الدين والتنمية الاجتماعيه : محمود طه ص ١٤ - ١٥

(٣) سورة الأنبياء الآيه رقم : ١٠٤

(٤) القرآن ومصطفى محمود والفهم العصرى : محمود محمد طه ص ١٨٠

وجاءت الثنائيه أيضا فى الزواج وهما عنده : - الزواج في الحقيقة والزواج في الشريعه وقال عامله الله بعدله عن الزواج في الحقيقة أنه زواج الانسان الكامل بالله ، وقال "- وتكون ثمرة العلاقه بين الذات القديمة وزوجها - الانسان الكامل - المعارف اللدنيه"[1]

أما الزواج فى الشريعه فهو الزواج المعروف بين الرجل والمرأه .

واذا ضممنا الى هذه المبادئ تقسيمه الاسلام الى قسمين " مرحلة الايمان " الرساله الأولى " ومرحلة الاسلام " الرساله الثانيه وقوله " فأما مرحلة الايمان - ويقصد بها دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم - فهى مرحلة أقرب الى بدائية اليهود ومرحلة الاسلام- ويقصد بها دعوته - فهى أقرب الى روحانية النصرانية " .[2]

فإذا قارنا بين عقيدة النصارى في أن الله هو المسيح عيسى ابن مريم واعتقاد هذا الدجال ان الله هو الحقيقه المحمدية أىالانسان الكامل واعتقاد النصارى أن الله هو زوج مريم واعتقاد الدجال أن الله زوج نساء البشر تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

واذا ضممنا هذا الى ذاك فان العلاقه تبدو لي واضحه ان هناك قوى نصرانيه ذات نفوذ تقف خلف هذا الدجال خاصة اذا علمنا أن أحد العلماء صرح بأن موظفي الاذاعه والتليفزيون قالوا له أنهم يؤيدونه ضد الدجال وأنهم يكرهونه ولكنهم موظفون ويخافون على وظائفهم وقالوا له بصراحه أن الحكومة السودانيه أعطت الدجال حصانه وجعلته فوق القانون فلا يحاكم ولا ينشر أو يذاع نقد لدعوته " .[3]

---

(١) تطوير شريعة الأحوال الشخصية : محمود محمد طه ص ٥٩ - ٦٠

(٢) القرآن ومصطفى محمود والفهم العصرى : محمود طه ص ١٦٨

(٣) جريدة المدينه : العدد ٥٦٣٤ مقال " دجال السودان " بقلم سعد حسن لطفى ص ٨ الجمعه ١٤٠٢/١١/٨هـ .

قال هذا فى فترة من الفترات لكنه حوكم قبلها عدة مرات وحكم عليه بالرده ومع هذا فلم ينفذ شيء من هذه الاحكام . وهو الآن بحمد الله في سجون السودان بعد اعلان تطبيق الشريعه الاسلاميه وما زلنا ننتظر تطبيقها عليه وعلى أتباعه .

نماذج من تفسيره :

ولم يعمد زعيم الجمهوريين الى تفسير القرآن الكريم آية آيه ولا في سورة كاملة منه ، انما تناول آيات تعرض له أثناء عرض الحادثه فيلحد بها وفق آرائه الزائغه واتجاهه الضال .

وليس بمستغرب ذلك منه فهذه سيرة سلفه الباطنيين لا يتأتي لهم أن يفسروا القرآن كاملا وفق نظرياتهم مهما أوتوا من الجرأة على التحريف والتبديل فى معانيه وقد يجدون أنفسهم بعد هذا بحاجه الى الزعم بتحريف القرآن فيلجأون اليه . أو يعرضون عن تفسيره كاملا فيريحون ويستريحون .

وليس من السهل وقد يكون ليس فى الامكان استخراج منهج كامل لسالك هذه الطريقه في تفسير القرآن الكريم وانما يمكن فيما أرى رسم خطوط عريضه لطريقته فى التفسير .

فإن كان الأمر كذلك فأنى أحسب الخطوط العريضه لطريقة محمود طه هذا فى تفسير القرآن الكريم لا تختلف اختلافا كبيرا عن سلفه الباطنيين .

فهو مثلا لا يلتزم تفسير القرآن الكريم بالمأثور في شتى أنواعه من تفسير القرآن بالقرآن أو بأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم أو أقوال أصحابه رضى الله عنهم أو أقوال التابعين رحمهم الله تعالى .

ويفسر القرآن الكريم بما يخالف قواعد اللغه العربيه وأحيانا بما يتعارض معها .

ويقول بالتفسير الباطني للقرآن الكريم ويأتى من المعانى لآيات القرآن الكريم على ضوء هذا المعنى عنده بما لا يستند الى كتاب ولا الى سنه ولا الى لغه .

ويستشهد بأقوال غلاة الصوفيه ويورد أقوالهم ويعتقد بوحدة الوجود .

هذا كله مع الآراء والاعتقادات الجديدة التى جاء بها والتى أراد أن يفسر بها شريعة الاسلام بما زعمه تطوير الشريعه وما أدخله من عقائد زعمها عقائد الاسلام وما هي الا عقائد الكفروالضلال ولعلى أذكر بعد هذا أمثلة من هذه التفاسير الضاله .

ثنائيه الاله :

قلنا آنفا أنه يعتقد بالثنائية حتى في الاله الذى اتفق المسلمون على وحدانيته فهو يعتقد أن الرحمن هو اله الأرض وأن الله هو اله السماء وهما اله واحد فقال فى تفسير قوله تعالى " وهو الذى في السماء اله وفي الارض اله وهو الحكيم العليم"(١) :- " فاله الأرض اله الاراده ... واله السماء اله الرضا .. اله الأرض الرحمن . واله السماء الله .. وانما هو اله واحد "(٢) .

---

(١) سورة الزخرف : الآيه ٨٤

(٢) تطوير شريعه الأحوال الشخصيه : محمود طه ص ٢١

وقال " اسم الله يطلق على معنيين أيضا معنى بعيد وهو ذات الله الصرفه وهي فوق الأسماء والصفات ومعنى قريب وهو مرتبة البشر الكامل الذى أقامه الله خليفة عنه في جميع العوالم وأسبغ عليه صفاته وأسماءه حتى اسم الجلاله (!!) فكلمة الله حيث قيلت تشير الى هذين المعنيين "[1] وأكد هذا القول في موضع آخر حيث قال " الله هو الانسان الكامل (!!) الذى ليس بينه وبين ذات الله المطلقه أحد وهو بين الذات وبين سائر الخلق وهو الذى يتولى حسابهم نيابة عن الله وهذا الانسان الكامل المسمى الله هو المعنى في المكان الأول بقوله تعالى " هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة"[2].

وقد فسر هذه الآيه في مواضع عديده من كتبه ومؤلفاته فقال " هل ينظرون " الأشاره هنا الى الكافرين والمنافقين والمعنى : ما ينتظرون قوله " الا أن يأتيهم الله " يعنى " الانسان الكامل" يعنى "الحقيقه المحمديه " قوله " في ظلل من الغمام " يعنى يأتيهم مجسدا في الدم واللحم وتلك اشارة لمجئ المسيح وقوله " والملائكه " اشارة الى أعوان المسيح .. قوله " وقضي الأمر " اشارة لسرعة مجيئه .. قوله " والى الله ترجع الأمور " اشارة الى الكمالات التى تظهر بمجئ المسيح وأعوانه . وهي الكمالات التى بها تملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا "[3].

---

(١) جريدة المدينه : الرسالة الثانية مستمده من الفكر الكنسي المحرف بقلم سعد حسن لطفى العدد ٥٧٦٨ فى الجمعه ١٤٠٣/٣/٢٣هـ عن كتاب رسائل ومقالات : محمود طه ص ٢٦

(٢) المقال السابق : عن كتاب رسائل ومقالات : محمود طه ص ٢٩

(٣) القرآن ومصطفى محمود : محمود طه ص ٤٥

واذا تأملت بعد ذلك فى أقواله رأيت ما هو أعجب وأعجب فهو يقرر فى أحد كتبه " كما كانت عقيدة التعدد عقيدة اسلاميه وكلا هما قد كان مرادا ومرضيا من الله "[١] ويقول " قد مرّ وقت كانت فيه عبادة الصنم عند الله وذلك بحكم الوقت " ؟ ![٢]

وقال أيضا عن الطاقه المتولده عن انفلاق الذره " هذه القوه الهائله هذه الطاقه ارادة الله .. هى الله "[٣] وله نصوص أخرى كثيره من هذا النوع . مما يدل على انحراف عقيدته وتخبطه وضلاله .

ومن تخبطه أيضا قوله " انك ان اشركت بالله غيره فأنت ضال وان نزهته عن الشريك فأنت ضال "[٤] ويقول " ان الله تبارك وتعالى قد خلقنا على صورته "[٥] وقال عن الله عز وجل " فهو لا يسمى ولا يوصف ومن ثم لا يعرف .. ولولا أنه تقيد في منزلة الاسم " الله " لما كان اليه من سبيل "[٦] وقال " انه من الكفر أن ننفي النقص عن الله لأن تصورك للنقص ذنب في حدّ ذاته "[٧] وقال " ان اسماء الله هي قيد والله لا قيد له ولذلك فان ذكر الأسماء لله كفر صريح "[٧] .

---

(١) الدين والتنمية الاجتماعيه : محمود طه ص ٤
(٢) القرآن ومصطفى محمود والفهم العصرى : محمود طه ص ١٦٨
(٣) الدين والتنمية الاجتماعيه : محمود طه ص ٧
(٤) القرآن ومصطفى محمود : محمود طه ص ٣٨
(٥) المرجع السابق : ص ٤٢
(٦) المرجع السابق : ص ٤٤
(٧) جريدة المدينه : العدد ٥٧٦٨ الجمعه ٢٣/٣/١٤٠٣
مقال الرسالة الثانيه : سعد لطفى ص ١٠

الصـــلاة :

وله فهم جديد لكلمة موقوتا من قوله تعالى " ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا " (١) فهو يعقد بحثا عنوانه " الصلاة بين المؤمين والمسلم " ويعني بالمؤمن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وبالمسلم أتباعه ويقول " ماذا يكون من أمر آيه " ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا " فأسمع اذن .. المقصود هنا الصلاة الشرعيه و " كتابا موقوتا " يعني فرضا له أوقات يؤدى فيها و " على المؤمنين " مرحلة أمة البعث الأول وهي الأمه التى تعيش في أخريات (كذا) أيامها وقد ندبت لتواصل سير ترقيها وتطورها الى " أمة المسلمين ".

الى ان قال " ويصبح شأن الآيه " ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا " مع المسلم الذى يمر بمرحلة الايمان الذى هو مرتبة الأمه الأولى أن الصلاة الشرعيه في حقه فرض له وأوقات يؤدى فيها ، فاذا ارتقى بحسن أدائها بتجويده تقليد المعصوم حتى ارتقي في مراقي الايقان .. حتى بلغ حق اليقين وسكن قلبه واطمأنت نفسه فاسلمت طالعةُ المعنى البعيد لكلمه " موقوتا " فى الآيه " ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا " وذلك المعنى فى حقه هو ان الصلاة الشرعيه فرض له وقت ينتهى فيه وذلك حين يرتفع السالك الى مرتبة الأصاله ويخاطب بالاستقلال عن التقليد ويتهيأ ليأخذ صلاته الفرديه من ربه بلا واسطه (!!) تأسيا بالمعصوم ... فهو حينئذ لا تسقط عنه الصلاه وانما يسقط عنه التقليد ويرفع من بينه وبين ربه بفضل الله ثم بفضل كمال التبليغ المحمدى الحجاب الاعظم الحجاب النبوى " (٢)

---

(١) سورة النساء : من الآيه ١٠٣

(٢) رسالة الصلاة : محمود محمد طه ص ٨٤ - ٨٥

ولا تفهمن من قوله" فهو حينئذ لا تسقط عنه الصلاة " أنه لا يسقطها بل هو يسقط الصلاة المعروفه ذات الحركات والقيام والركوع والسجود عمن ارتقى من درجة الايمان الى درجة الاسلام والا فما معنى قوله ان الصلاة الشرعيه فرض له وقت ينتهي فيه وذلك حين يرتفع السالك الى مرتبة الأصاله "

فالصلاة الشرعيه صلاة المقلدين أما صلاته هو فصلاة الأصاله ولكل فرد صلاته الخاصة التى يتلقاها عن ربه مباشرة كما يزعمون وهذا ولا شك منتهى الكيد للاسلام والمسلمين كيف لا وهم يريدون هدم عموده .

الـــزواج :

وقد احترت في اختيار عنوان لهذا البحث ذلكم أنه تحدث فيه عن الذات الالهيه ، وأنها هي النفس الواحده !! وتحدث عن الزواج فى الحقيقة والشريعه وزعم زواج الله بالانسان والعياذ بالله وعن حطيئه آدم وأنها الزنا بحواء قبل أن تباح له فى الشريعه ؟! كل هذه وغيرها مما ألحد فيه في هذا المبحث وأخترت له العنوان الذى اختاره له صاحبه لا لشىء الا لتنظر تشتت الأفكار فى مؤلفاته .

ففى تفسير قوله تعالى " يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء " الآيه"[1] قال : ـ" وهذه النفس الواحده هى فى أول الأمر وفى بدء التنزل نفس الله تبارك وتعالى ـ هي الذات القديمه التى منها تنزلت الذات الحادثه وتلك هي الانسان الكامل (الحقيقه المحمديه) والانسان الكامل هو أول قابل لتجليات أنوار الذات القديمه ـ الذات الالهيه ـ وهو من ثمّ زوجها . . وانما كان الانسان الكامل زوج الله لأنه انما هو فى مقام العبوديه . . ومقام العبوديه مقام انفعال في

---

(١) سورة النساء : من الآيه الاولى .

حين أن مقام الربوبيه مقام فعل .. فالرب فاعل والعبد منفعل ثم تنزلت من الانسان الكامل زوجته فكان مقامها منه مقامه هو من الذات فهي منفعله وهو فاعل .. وهذا هو فى الحقيقه مستوى العلاقة " الجنسيه " بين الرجل والمرأه ... وحين تكون انجاب الذريه هو نتيجه العلاقه " الجنسية (بيننا وبين نسائنا " وبث منهما رجالا كثيرا ونساء " تكون ثمرة العلاقه بين الذات القديمة وزوجها - الانسان الكامل - المعارف اللدنيه " .[1]

ثم تحدث عن الزواج فى الشريعه بعد أن أفاض الحديث عن الزواج فى الحقيقه فقال " أسلفنا القول عن الزواج فى الحقيقه وندخل الآن على الزواج في "الشريعه " ونبدأ بأن حواء قد كانت زوج آدم في الحقيقه " يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحده وخلق منها زوجها " ففي هذا المقام فان النفس الواحده هي نفس آدم الانسان الكامل الذى أقيم مقام الخلافه وانما كانت حواء زوج آدم في هذا المقام لأنها تنزل عنه " وخلق منها زوجها " فهي انبثاق نفسه عنه خارجه .. ثم انه لما كان آدم أول رسول شريعة من رسل التوحيد فقد أراد الله له ولزوجه أن يكونا زوجين في الشريعه .. ومن أجل ذلك فقد نهاه أن يتصل بها قبل أن تحلل له بالشريعه ... والى ذلك الاشاره بقوله " ولا تقربا هذه الشجره فتكونا من الظالمين " ... وقد جاءت هذه الاشاره في سياق هو في غاية الامتاع والروعه يقول تعالى فيه " ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنه فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ماووري عنهما من

---

(١) تطوير شريعة الأحوال الشخصية : محمود محمد طه ص ٥٩- ٦٠ باختصار

سوءاتهما وقال : مانهاكما ربكما عن هذه الشجره الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمنها انى لكما لمن الناصحين " الآيات[1] . . .

قوله " ويآادم " يعنى الخليفه يعنى الانسان الكامل " اسكن أنت وزوجك " يعنى زوجك في الحقيقه " الباطنه " والتى سيتم اقترانك بها في شريعتك " الظاهره " فتنطبق بذلك الصنيع شريعتك وحقيقتك وظاهرك وباطنك . . ولكن قبل أن يتم هذا الاقتران الشرعى يجب أن لاتقربها وقد وردت الاشاره اللطيفه الى ذلك بقوله " ولا تقربا هذه الشجرة " فانكما ان تفعلا تكونا من الظالمين " المعتدين على حدّ الشرع . . . وهذه اشاره الى أول الشرائع التى بدأ الانسان يرتفع بها في مراقي النفوس وجاءت منظمه للغريزه الجنسيه . . . . . .

" والشجرة " هنا لها درجات من المظاهر أولها وأدناها لآدم نفسه التى بين جنبيه . . ثم هي في تنزلها عنه شهوه نفسه هذه الى الجنس . . ثم هى حواء . . ثم هي شجرة التين فان شجرة التين انما هي رمز النفس الأماره . . وانما نهى عنها لئلا تقوى بأكلها نفسه الحيوانيه فتتكثف وتغلظ فلا تطيعه على التصعد باتباع الأمر الشرعي واجتناب النهى الشرعى . . . . فشجرة التين هي الشجرة المعنيه في الظاهر فلما وقع الخلاف بأكلها تلاحقت حلقات السلسله حتى وقع الخلاف بالمماسه فتغشى زوجه بغير شريعه (! ! !) وحلقات هذه السلسله المتلاحقه طويت فى عبارة " فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما " والاشاره بقوله " بدت لهما سوآتهما " انما هي للأعضاء التناسليه فقد كانت محجوبه عنها بنور البراءه والتقى فظهرت بظلام الاثم والمخالفه قوله " وطفقا يخصفان

---

(1) سورة الأعراف من آيه ٢٠ - ٢١

عليهما من ورق الجنه " اشارة الى الحجاب الذى أملاه الخزى الذى صاحب الخطيئه " (١)

ويظهر فى تفسيره هذا تخبطه في عقيدة الايمان بالله وتفسيره الباطنى الذى يصله بأصوله فرق الباطنيه وأحسب أن أمر بطلان هذا التفسير واضح بين لايحتاج القارئ لمثل هذا البحث الى ايراده لان ابطاله وهدمه معلوم من الشريعه بالضروره وتنكرهالاصول قبل الفروع .

الحجاب :

وهو يزعم أن الأصل في الاسلام السفور وليس الحجاب ويقول " الحجاب ليس أصلا في الاسلام والأصل في الاسلام السفور لأن مراد الاسلام العفه وهو يريدها عفه تقوم في صدور النساء والرجال لاعفه مضروبه بالباب المقفول والثوب المسدول " (٢).

ويفسر قوله تعالى عن آدم وحواء عليهما السلام لما أكلا من الشجره وبدت لهما سوآتهما " وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنه" بقوله الذى نقلناه آنفا " اشاره الى الحجاب الذى أملاه الخزى الذى صاحب الخطيئه وقد تحدثنا عن ذلك في موضعه من كتابنا " الرساله الثانيه من الإسلام " تحت عنوان الحجاب ليس أصلا فى الاسلام " (٣)

---

(١) تطوير شريعة الأحوال الشخصيه : محمود طه ص ٦٤ - ٦٦ باختصار .

(٢) القول الفصل في الرد على محمود طه : حسين زكى ص ١١٦ عن الرساله الثانيه : محمود طه ص ١٢٩

(٣) تطوير شريعة الأحوال الشخصيه : محمود طه ص ٦٦

واذا رجعنا الى الموضع الذى أشار اليه وجدناه يقول هناك : -

" فأخذا يستران عوراتهما بورق التين يومئذ بدأ الحجاب فهو نتيجة الخطيئه وسيلازمها حتى يزول بزوالها ان شاء الله - هكذا يقول ويتمنى - ومن ذلك قوله تعالى (يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سؤآتكم) وهو يعنى قد خلقناكم وفرضنا عليكم لبس ثياب القطن والصوف وغيرهما مما يوارى عوراتكم . . وقوله (ولباس التقوى) يعنى التوحيد والعفه والعصمه المودعه فى قلوبكم قوله (ذلك) يعنى الباس العفه (خير) من الباس القطن" (١)

الاباحيه المطلقه :

ويستدل بقوله تعالى " ليس على الذين آمنو وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات الآيه (٢) .

على الاباحيه المطلقه فيقول : - وكلما استقامت السيره ضاقت لذلك دائره المحرمات وانداحت دائره المباحات على قاعدة الآيه الكريمه (ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما " (٢) فاذا استمر السير بالساير الى نهايته المرجوه وهى تمام نقاء السريره وكمال استقامة بالسيره عادة جميع الاعيان المحسوبه الى أصلها من الحل وانطبقت الآيه الكريمه (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين " (٣) .

---

(١) القول الفصل في الرد على محمود طه : حسين زكي ص ١١٦
(٢) سورة المائدة : من الآيه ٩٣
(٣) سورة النساء : من الآيه ١٤٧

واستدلاله هذا ينبئ عن جهل تام بأسباب النزول وتحريف لآيات الله ذلكم أن هذه الايه نزلت فيمن شرب الخمر من المؤمنين ومات قبل تحريمها فقد قال ابن عباس رضى الله عنهما " لما نزل تحريم الخمر قالوا يارسول الله فكيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ؟ فنزلت " ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح " الآيه " (١)

وما كنت لأرد عليه لولا أن هذه الشبهه قد تلتبس على بعض الأبصار فأردت بيان حقيقتها ، والا فقد جاء بما هو أعظم فريه وأكثر انحرافا والحادا ولم أعمد الى الرد عليه لأن الحق فيه واضح معلوم بالضرورة من الشريعه التى يزعم الانتساب اليها .

الظلم :

وقد ورد عن المصطفى صلى الله عليه وسلم تفسير الظلم في قوله تعالى " الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون " (٢) بأنه الشرك . ولم يرتضى محمود طه هذا التفسير مع علمه بوروده عن الرسول صلى الله عليه وسلم وصحته وجاء بتفسير جديد قال " ولما نزل قوله تعالى " الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الامن وهم مهتدون " شق على الناس فقالوا يارسول الله أينا لايظلم نفسه ؟

---

(١) قال الاستاذ أحمد شاكر رحمه الله تعالى (اسناده صحيح رواه أحمد فى مسنده ٢٠٨٨/ ، ٢٤٥٢ ، ٢٦٩١ مطولا ، ٢٧٧٥ ، ورواه الترمذى فى السنن (كتاب التفسير) وقال هذا حديث حسن صحيح" ورواه الحاكم فى المستدرك ٤ : ١٤٣ وقال هذا حديث صحيح ولم يخرجاه " ووافقه الذهبى وقال : " صحيح " (تفسير الطبرى جـ ١٠ ص ٥٧٧)

(٢) سورة الانعام : الآيه ٨٢

فقال انه ليس الذى تعنون ... الم تسمعوا ما قال العبد الصالح يابنىّ لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم "[(١)] فسرى عنهم لانهم علموا أنهم لم يشركوا مذ آمنوا ... والحق أن المعصوم فسر لهم الآيه فى مستوى المؤمن (!!) وهو يعلم أن تفسيرها فى مستوى المسلم فوق طاقتهم ذلك بأن الظلم فى الآيه يعنى الشرك الخفي على نحو ما ورد فى آيه سرّ السر (وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما "[(٢)] [(٣)] .

ولا يخفى مافى هذا التفسير من مخالفه لبيان الرسول صلى الله عليه وسلم أما الزعم بأنه فسر لهم الظلم على مستوى المؤمنين ولم يفسره لهم على مستوى المؤمن فأمر باطل منكر لانه عليه الصلاة والسلام جاء بدين واحد كامل الخطاب فيه لأول الامه خطاب لآخرها بل جعل أصحابه هم القدوه التى يقتدى بهم ، وما عدا ذلك فمحض افتراء .

المؤمن والمسلم :

ويقول فى تفسير قوله تعالى " وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم "[(٤)] : - فيه اشارة لطيفه جدا الى أن المسلمين الذين يجيئون بعد المؤمنين ثم يكونون خيرا منهم "[(٥)]

وبعد

هذه المامة سريعه لافكار محمود طه وتفسيراته الزائغه ، ولست

---

(١) صحيح البخارى كتاب التفسير ج ٦ ص ٢٠ صحيح مسلم كتاب الايمان ج ١ ص ١١٤ - ١١٥

(٢) سورة طه : الآيه ١١١

(٣) القول الفصل : حسين محمد زكى ص ٦٥ - ٦٦ عن الرسالة الثانيه : محمود طه ص ١٢٢

(٤) سورة محمد : الايه ٣٨

(٥) الاسلام رسالة خاتمه لارسالتان : اعداد وزارة الشئون الدينيه والاوقاف فى السودان عن الرسالة الثانية : محمود طه ص ١٢٦

بأول من صنفه مع الباطنيه بل سبقني الى ذلك علماء أعلام ممن رد عليه فقد قال الاستاذ سعد حسن لطفي مثلا عن محمود طه " والدجال " محمود " من متطرفي الباطنيه والمتصوفه ".(١)

وقال الأستاذ أحمد البيلي " لقد تبين لي من مجموعة الكتب والرسائل التي وضعها لشرح أرائه فوجدته يذهب مذهب الباطنيين في تفسير الآيات على النحو الذى ادعاه من قبل البهائيه والقاديانيه وهما فرقتان خرجتا عن دائرة الاسلام وصارتا مستقلتين وان تمسح أتباعهما بالاسلام "(٢)

وفي موضع آخر قارن الاستاذ أحمد البيلي بين دعوة محمود طه وبين البابيه والبهائيه والقاديانيه ثم قال " مما سبق نرى أن الجمهوريين أخذوا من كل فرقة من هذه الفرق شيئا وأطلقوا على هذا الخليط (الدعوة الاسلامية الجديدة).(٣)

وغيرهما كثير ممن نسبه الى الباطنيه أضف الى ذلك عقائده الباطله وتفسيراته الالحاديه وانكاره لأصول الدين وتشكيكه في كثير مما هو معلوم من الدين بالضروره كل هذا وغيره يدل على نهجه الذى سلكه وأمر الباطنيه معلوم لا يخفى ، يلبسون لكل عصر لباسه " ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ".(٤)

---

(١) جريدة المدينه : العدد ٥٦٣٤ مقال دجال السودان : سعد حسن لطفي ص ٨

(٢) الاسلام رساله خاتمه لا رسالتان : ص ٦٥

(٣) المرجع السابق : ص ٥٥

(٤) سورة الانفال : من الآيه ٣٠

وأختتم حديثي عنه بخبر نشرته جريدة المدينة المنورة عنوانه " استجابة لضغوط دينيه حظر الأنشطه العامة لدجال السوادن" ونصه كما يلي :- " علمت المدينه أن السلطات الأمنية والدينيه في السودان قد منعت الأنشطه والتجمعات العامه لجماعات - دجال السودان - محمود محمد طه الذى يسمى جماعته (بالجمهوريين) وكانت أنشطة هذا الدجال قد تواصلت بصورة مكثفه طيلة السنوات العشر الأخيره في العاصمه السودانيه المثلثه وبقية المدن السودانيه الكبرى وخاصة عاصمة الاقليم الأوسط مدني وهي مسقط رأس الدجال الذى بدأ حياته كمهندس رى بمشروع الجزيره ثم تحول الى الدجل والتحريف تحت زعم (الرسالة الثانية للاسلام) والتى قال أنه هو داعيتها الوحيد ، وكانت جهات سودانيه دينيه عديدة قد اشتكت من أنشطة هذا الدجال والذى استغل خطر السلطات السودانية بالانشطة الحزبيه والطائفيه العامة وأخذ يجند (الشباب والشابات والصبايا والأحداث لخدمة دعوته بعد أن يقوم بتهيئتهم وشحنهم بأفكاره التخريبيه ويدفع بهم الى الشوارع والطرقات والمقاهي والحدائق العامه ليلا ونهارا لتوزيع مطبوعاته الدجليه المنافيه للاسلام .

والمعروف أن القضاء الشرعي السوداني كان قد أصدر في الستينات فتوى شرعيه أعلن فيها ردة الدجال محمود محمد طه عن الاسلام.

هذا وقد قوبل القرار السوداني الأخير بترحيب كبير من جماهير المسلمين السودانيين كما أشاد كبار العلماء ورجالات الدين بدور وجهد (جريدة المدينه) في فضح أفكار الدجال المشبوه " [1] .

---

(١) جريدة المدينة المنورة العدد ٥٧٥٠ يوم الاثنين ٥/٣/١٤٠٣

بقى أن أقول أن نشاطه فى السودان قديم فقد حدثنا الأستاذ محمد أمان بن على الجامى فى كتابه أضواء على طريق الدعوه الى الاسلام انه زار السودان فى العطله الصيفيه من عام ١٣٨٣ والتقى فى عطبره فى " دار النشاط الاسلامى " بمحمود طه هذا وكان يبث أفكاره والحاده (١) .

أما الحكم عليه فقد حكم عليه بالرده من محكمة الخرطوم العليا الشرعيه وذلك يوم الاثنين ٢٧ شعبان ١٣٨٨ الموافق ١٨ / ١١ /١٩٦٨ لكن المحكمه صرفت النظر عن البنود من نمره ٢ الى نمره ٦ من الدعوى التى أقامها ضده حسبة الاستاذ الامين داؤد محمد والاستاذ حسين محمد زكى وهى من الامور التى تتعلق وتترتب على الحكم بالرده (٢) .

ولهذا فلم يكن لهذا الحكم الاثر الذى ينتظره المسلمون ولعله ينفذ بعد أن أعلنت السودان تطبيق الشريعة الاسلاميه (٣) وفق الله العاملين المخلصين وحفظ الله الاسلام والمسلمين من كيد الأعداء ورد كيدهم فى نحورهم انه سميع مجيب .

---

(١) طريق الدعوة الى الاسلام : محمد أمان الجامى ص ٨٢

(٢) انظر نص الحكم وما يتعلق به فى ملحق (الاسلام رسالة خاتمه لا رسالتان) نشر وزارة الشئون الدينيه والاوقاف - جمهورية السودان الديمقراطيه ص ٨٣

(٣) حمدا لله كثيرا فقد تم بعد طباعة هذا البحث تنفيذ حكم الاعدام فى محمود محمد طه فى يوم الجمعه ٦ ٢ /٤ /١٤٠٥ الموافق ١٩ /١ /١٩٨٥م وقد تصدر بيان رئاسة السجون عن تنفيذ حكم الاعدام فيه قوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والاخره واولئك أصحاب النار هم فيها خالدون" وقول الرسول صلى الله عليه وسلم "من بدل دينه فأقتلوه"
انظر جريدة الايام السودانية الصادرة يوم السبت ٢٧ /٤ /١٤٠٥ العدد ٤٦٠ /١١ السنه ٣٢ .
وانظر جريدة الصحافة السودانية الصادرة يوم السبت ٢٧ /٤ /١٤٠٥ العدد ٦ ٩٤ ٧

الزيديه :

وهم أتباع زيد بن علي بن الحسين الملقب بـ "زين العابدين" وهو أخ لـ "محمد الباقر" الامام الخامس من الأئمة الاثنى عشر عند الشيعه .

وحين سئل زيد هذا عن أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ترضى عنهما فانقسم الشيعه فى زيد الى قسمين قسم رفضه فقال لهم رفضتموني ؟ فسموا رافضه ، وقسم وافقه فسموا زيديه نسبة اليه[1] .

ثم ان الزيديه انقسموا الى فرق ثلاث :-

١ - البتريه أو الصالحيه .

٢ - الجريريه أو السليمانيه .

٣ - الجاروديه .

فالبتريه :-

نسبة الى كثير النوى ، ويلقب بالأبتر ، ويسمون أيضا بالصالحيه نسبة الى الحسن بن صالح ابن حى ، واعتبرهما الشهرستانى فرقة واحدة لاتفاق مقالتهما[2] .

وهم يعتقدون أن عليا رضى الله عنه كان أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولاهم بالامامه ، وأن بيعة أبى بكر وعمر ليست بخطأ ، لان عليا ترك ذلك لهما ، ويقفون فى عثمان وفى قتلته ولا يقدمون عليه باكفار ، وينكرون رجعة الأموات الى الدنيا ولا يرون لعلى كرم الله وجهه - امامه الا حين بويع[3] .

---

(١) منهاج السنه : ابن تيميه جـ ١ ص ٩ - ١٠

(٢) والملل والنحل : الشهرستانى جـ ١ ص ١٦١

(٣) مقالات الاسلاميين : أبى الحسن الاشعرى جـ ١ ص ١٤٤

أما الجريريه أو السليمانيه :-

فنسبة الى سليمان بن جرير الزيدى ، الذى أثبت امامة أبى بكر وعمر. وزعم أن الامة تركت الأصلح فى البيعه لهما لأن عليا كان أولى بالامامه منهما ، الا أن الخطأ فى بيعتهما لم يوجب كفرا ولا فسقا .... وأهل السنه يكفرون سليمان بن جرير من أجل أنه كفر عثمان رضى الله عنه [1]

أما الجاروديه :

فنسبة الى أبى الجارود . زياد بن أبى زياد ، وزعموا أن النبى صلى الله عليه وسلم نص على امامة على بالوصف دون الاسم وزعموا أيضا أن الصحابه كفروا بتركهم بيعة علي ، وقالوا أيضا أن الحسن بن على كان هو الامام بعد على ثم أخوه الحسين كان اماما بعد الحسن ......

ثم صارت الامامه بعد الحسن والحسين شورى فى ولدى الحسن والحسين فمن خرج منهم شاهرا سيفه داعيا الى دينه وكان عالما ورعا فهو الامام . قال عبد القاهر البغدادى هذا قول الجاروديه ، وتكفيرهم واجب لتكفيرهم أصحاب رسول الله عليه السلام [2].

والبتريه أو الصالحيه أقرب الفرق الزيديه الى مذهب أهل السنه ، وأبعدهم عنه الفرقه الجاروديه ، حتى أن بعض علماء الشيعه يخرجوا ما عدا الجاروديه من فرق الزيديه عن اسم التشيع [3].

---

(١) الفرق بين الفرق : عبد القاهر البغدادى ص ٢٣ - ٢٤
(٢) المرجع السابق : ص ٢٢ - ٢٣
(٣) أوائل المقالات : محمد بن النعمان المفيد
(من شيوخ الشيعه . ص : ٤٠

وهـا أنت ترى أن الخلاف في مجمله بين فرق الزيديه الثلاث انما هو في الامامه . وما يتعلق بها من أحكام ، أما ما عدا ذلك فهم يوافقون المعتزله في الأصول لأن زيد بن علي تلقى العلم على يد واصل ابن عطاء فاقتبس منه الاعتزال وصار أصحابه كلهم معتزله كما يقول الشهرستاني [(١)] وان كان قوله هذا - فيما أرى - تغليبا ، والا فالحق أنهم لا يوافقونهم تمام الموافقه ، فمذهبهم مزيج من أراء أهل السنة والمعتزلة والخوارج والاثنى عشريه ، ويخالفون الشيعه الاثني عشريه في كثير من الآراء فهم لا يتبرؤن من الشيخين ولا يكفرونهما ويجوزون امامتها [(٢)] وينكرون التقيه [(٣)] والعصمة للأئمه والنص على الأئمه [(٤)] ويترضون عن الصحابه رضي الله عنهم [(٥)] والذين يقولون خلاف ذلك يخالفون امامهم زيد بن علي . وهذا هو رأى الزيديه الحقه أما المتطرفه منهم والغاليه فهم الجاروديه كما ذكرنا ولذا فان البتريه والسليمانيه يكفرون الجاروديه ، وكذا الجاروديه تكفر السليمانيه والبتريه . [(٦)]

ومما أجمعت عليه الزيديه من آراء :

١ - قال عبد القاهر اجمعت الفرق الثلاث الذين ذكرناهم من الزيديه على القول بأن أصحاب الكبائر من الأمه يكونون مخلدين في النار فهم من هذا الوجه كالخوارج . [(٧)]

---

(١) الملل والنحل : الشهرستاني جـ ١ ص ١٥٥
(٢) المرجع السابق : جـ ١ ص ١٥٥
(٣) الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم : محمد بن ابراهيم الوزير اليماني ص ٤٩ - ٥
(٤) الامام زيد : محمد أبو زهره ص ١٨٨
(٥) الروض الباسم : محمد الوزير ص ٤٩ - ٥٠
(٦) الفرق بن الفرق : عبد القاهر البغدادي ص ٢٤
(٧) المرجع السابق ص ٢٥ ومقالات الاسلاميين : أبي الحسن الاشعري جـ ١ ص ١٤٩

٢ - وأجمعوا على تصويب علي بن أبي طالب رضى الله عنه في حربه، وعلى تخطئه من خالفه .(١)

٣ - وأجمعت الزيديه على أن عليا رضى الله عنه كان مصيبا في تحكيمه الحكمين ... وهما اللذان أخطآ وأصاب هو .(٢)

٤ - والزيديه بأجمعها ترى السيف والعرض على أئمة الجور وازالة الظلم واقامة الحق .(٣)

٥ - وهي بأجمعها لا ترى الصلاة خلف الفاجر ولا تراها الا خلف من ليس بفاسق .(٤)

٦ - وأجمعت على تفضيل علي على سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أنه ليس بعد النبى صلى الله عليه وسلم أفضل منه .(٥)

أما فى الفروع فهم على مذهب أبى حنيفه رحمه الله تعالى ، الا في مسائل قليلة وافقوا فيها الشافعى رحمه الله تعالى والشيعه .(٦)

منهج الزيديه في تفسير القرآن الكريم :

ليس هناك من كبير فارق بين منهج الزيديه ومنهج أهل السنه والجماعه الا الجاروديه منهم فانهم أقرب الى الاثنى عشريه منهم الى أهل السنه .

---

(١) المرجع السابق : جـ ١ ص ١٤٩

(٢) الملل والنحل : الشهرستانى جـ ١ ص ١٥٠

(٣) (٤) (٥) مقالات الاسلاميين : أبى الحسن الاشعرى ص ١٥٠

(٦) الملل والنحل : الشهرستانى جـ ١ ص ١٦٢

ولهذا فأنا - كما قال الشيخ محمد حسين الذهبي رحمه الله الله تعالى : لانطمع بعد ذلك أن نرى للزيديه أثرا مميزا وطابعا خاصا في التفسير كما رأينا للاماميه لأن التفسير انما يتأثر بعقيدة مفسره ويتخذ له طابعا خاصا واتجاها معينا حينما يكون لصاحبه طابع خاص واتجاه معين ، وليست الزيديه - بصرف النظر عن ميوليهم الاعتزاليه - بمنأى بعيد عن تعاليم أهل السنه وعقائدهم حتى يكون لهم في التفسير خلاف كبير .[1]

واذا كان الذهبي رحمه الله تعالى لم يكد يظفر بشيء من تفاسيرهم الا تفسير الشوكاني رحمه الله تعالى المسمى " فتح القدير " وتفسير آخر لآيات الأحكام اسمه " الثمرات اليانعه" لشمس الدين يوسف بن أحمد ، وقال رحمه الله " هذا هو كل ما عثرنا عليه للزيديه من كتب في التفسير "[2] اذا كان الذهبي رحمه الله تعالى قال هذا ومجاله أوسع زمنا ، وذهنه أوسع علما ، فاني بحثت عن شيء من تفاسيرهم في القرن الرابع عشر مجال بحثي ونقبت في بطون الكتب والأبحاث وسألت أهل الذكر وأهل العلم من أهل السنه والزيديه وغيرهم فلم يرشدني أحد منهم الى كتاب في التفسير للزيديه ألف في القرن الرابع عشر الهجري .

وأرفع القلم هنا لانتظار تفسير جديد أو للاستمرار في البحث والتنقيب علّي أجد مالم أعثر عليه فيما مضى . وحينئذ أمسك القلم كرة أخرى وبالله التوفيق .

---

(١) (٢) التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبي
ج ٢ ص ٢٨١

الباب الأول

الاتجاه العقائدى فى التفسير

الفصل الثالث

منهج الاباضيه فى تفسير القرآن الكريم

الأباضيـــــه :

لا أريد أن أتحدث عن نشأة . فرقة الخوارج هنا لان انقـــداح شرارتهم الاولى بعد التحكيم بين على ومعاوية رضى الله عنهما - أمـــر مشهور . هذا أولا ولانه لم يبق منهم فى وقتنا هذا أحد ، وهـــذا ثانيا . أما ثالثا فلأن الاباضية يرفضون كل الرفض وينفون كل النفـــى نسبتهم الى الخوارج ويصفون " اطلاق لفظ الخوارج على الاباضيـــة أهل الحق والاستقامة من الدعايات المغرضة التى نشأت عن التعصـــب السياسى أولا ثم المذهبى ثانيا لما ظهر غلاة المذاهب وقد خلطـوا بين الاباضية والأزارقة والصفرية والنجدية فالاباضية أهل الحق لـــم يجمعهم جامع بالصفرية والازارقة ومن نحا نحوهم الآ انكار التحكيـم بين على ومعاوية وهو رأى على قبل الضغط عليه بقبول التحكيم ولما كان مخالفونا لا يتورعون ولا يكلفون أنفسهم مؤونة البحث عن الحق ليقفـــوا عنده خلطوا بين الاباضية أهل الحق الذين لا يستبيحون مالا ولا قطرة من دم موحد وبين من استحلوا الدماء بالمعصية الكبيرة حتى قتلـــوا الاطفال تبعا لابائهم مع أن الفرق كبير جدا كالفرق بين المستحـل والمحرم فماذا بعد الحق الآ الضلال " (١).

لهذه الأمور نقتصر فى هذا الموضع على فرقة الاباضية وحدهـا وقد آثرنا ألآ ننقل الآ من كتبهم أو ما طبع تحت اشرافهم أو ما لا ينكرون نسبته اليهم .

أما نسبتهم فالى عبدالله بن اباض بن تيم اللات بن ثعلبه مـــن بنى مره بن عبيد رهط الأحنف بن قيس آل مقاعس التميمى ، كان مـــن أهل العراق جاء الى الامام جابر بن زيد لأخذ العلم عنه وكان يناظره فى أموره وفى مهماته الدينيه وفيما يأتى منها وما يذر (٢).

---

(١) الاباضيه بالجريد تأليف صالح باجيّه من مقدمة محمد حمد الحارثـــى " أباضى " ص ٢

(٢) طلقات المعهد الرياضى فى حلقات المذهب الأباضى ، سالم بن حمود بن شامس السيابى ص ٧٧

وأما مركز المذهب الاباضى فقد كان فى البصره حيث نشأ فيها ثم اتصل بعمان وقامت له بالمغرب دوله ، وامتد المذهب الى اليمن والى خراسان والى مصر والى الجزيرة العربية .[(١)]

أما فى وقتنا هذا فذكر السفير العمانى فى تونس أن مذهبهم الاباضى منتشر فى (المغرب والمشرق : فهم فى مكه والمدينة والبصره وخراسان واليمن وحضرموت وعمان وافريقيه الشرقية) .[(٢)]

ولا أعتقد صحة انتشارهم فى المناطق الست الأولى المذكورة أما انتشارهم فى افريقيه الشرفية فلعل الصحيح انهم فى زنجبار وليس فى كل هذه المنطقة ، كما أنه لم يذكر لهم وجود فى تونس والجزائر وليبيا مع وجودهم فى جبل نفوسه وزواره من طرابلس وجزيرة جربه من تونس ووادى ميزاب بالجزائر .[(٣)]

هذا بالنسبة لنسبته ومركزه أما تاريخ ظهوره ففى القرن الأول من الهجرة اذ أن عبد الله بن أباض كان معاصرا لعبد الملك بن مروان (٢٦ - ٨٦ هـ) وكان بينهما مراسلات ولا يعرف لولادة أو وفاة عبد الله ابن أباض تاريخ .[(٤)]

عقائدهم :

فى معرفة الله :

قالوا " أن معرفة الله تبارك وتعالى واجبة بالعقل قبل ورود الشرع فلما ورد الشرع زادها ايضاحا وأعلن ايجابها " .[(٥)] وقال أحد أئمتهم نظما

---

(١) المرجع السابق ص ٧٩ - ٨٠
(٢) الاباضيه بالجريد صالح باجيّه مقدمة محمد حمد الحارثى (أباضي) .
(٣) مختصر تاريخ الاباضيه تأليف أبى ربيع سليمان البارونى ص٢٧ (أباضي) .
(٤) المرجع السابق ص ٢٠
(٥) طلقات المعهد الرياضى فى حلقات المذهب الأباضى سالم بن حمود ابن شامس السيابى ص ٩١ .

معرفة البارى من العقول ∴ فكيف بالسماع والنقول
ولا يجوز جهلها لجاهل ∴ طرفة عين عند ذى الدلائل[(١)]

أما فى الصفات فقالوا " لا يخفى على أهل العلم أن الله عز وجل خاطبهم بلسانهم وحاورهم بما يجرى بمعقولهم ، فهم يفهمون الخطاب من نفس القرائن قبل التحقق لفحوى الخطاب ، ولما تقرر فى الشريعة أن الله عز وعلا مباين لمخلوقاته فى الذات والصفات والأفعال لم يعد لهم وهم أوجهل فى شئ من وحى الله عز شأنه فان صفات المخلوق تخالف صفات الخالق تبارك وتعالى فلا يرتبك الفهم العربى مهما كان فى معرفة اللسان . فلذا لما كان الأخذ فى اللغة باليد ومراقبة الأشياء المبصره بالعين وهكذا عبر الله تبارك وتعالى عن معانيها بمثل ما عبر به عن نفس ما فى الانسان فقال " ولتصنع على عينى)[(٢)] فالعين فى حق الله عز وعلا معروقه بأنها حفظه واليد مفهومه فى حقه قدرته لما قدمنا من استقرار الفهم باستحالة صفة الانسان أن تكون صفة الرحمن وهكذا بقية الصفات كالقبضه والاستواء والمجئ والجد والمكر والجنب فان هذه عبارات يتخاطب بها البشر فيما بينهم فخاطبهم الله عز وجل فيما بينهم واياه لاستقرار معانيها عندهم فى حق الله فلا يذهبون بها الى غيرها وقد علموا ان الله جلت قدرته مباين لهم فى الأحوال كلها كما وضع لهم ذلك فى قوله " ليس كمثله شئ ")[(٣)] [(٤)]

---

(١) جوهر النظام فى علمى الأديان جـ ١ ص ٦ - ٧ عبد اللهبن حميد بن سلوم السالمى .
(٢) سورة طه من الآية ٣٩
(٣) سورة الشورى من الآية ١١
(٤) طلقات المعهد الرياضى فى حلقات المذهب الأباضى سالم بن حمود ابن شامس ص ٩٩ - ١٠٠

ثم قالوا " فمن حاد عن نهجهم فقد رمى نفسه فى لجه لا يرى خلاصه منها أبدا ، ومعنى جدّ الله عظمته وجنبه أمره كما صرح به العلماء والمكر عقوبته واستوى على العرش معناه القهر والغلبه .. ووجهه تعالى ذاته "(١).

وقالوا " أنه موجود بغير مشاهدة ، قديم بلا بدايه أوجد منها نفسه دائم بلا نهايه ، حى قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، عالم بما كان وما يكون ، لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ولا يخفى عليه شئ فى الظلمات قادر بلا تكلف متكلم بلا لسان ، سميع بلا آذان بصير بلا حدقه ولا أجفان اله كل شئ وخالقه واليه منتهاه ، اخترع الخلق من غير مثال سبحانه من قادر حكيم يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد "(٢).

انكار الرؤيه :

مذهبهم فى الرؤيه الانكار بشدة حيث قالوا " لا يخفى أن القول بالرؤيه يهدم التوحيد من أساسه ، ويقضى عليه من أصله فان الرؤيه توجب الحلول والله منزه عنه وتثبت التحيز ، وتقرر الظرفيه وتحقق التلون ، وتقضى بالجهه ونحو ذلك ، فهذه كلها قوادح فى صحة الألوهيه يتعالى الله عز وجل عنها ، ولم تبق صفة من الصفات الالهية ثابته على أساسها ولا قائمة على قواعدها ، فالذى ، يرى لا يصلح أن يكون ربا (!!) فان الرؤيه للمخلوقات ، ورب الأرض والسموات منزه عنها ، والتكييف لا يليق بجلال الله وعظمته وهو من لوازمها والتمييز للذات العليه غير ممكن ، والقائل بالرؤيه مخطئ خطأ لا يغتفر أو يتوب الى الله ويستغفره ، وما ورد مثبتا لها

---

(١) طلقات المعهد الرياضى سالم بن حمود بن شامس ص ١٠٠

(٢) المرجع السابق ص ١٠١

فقد أنكره المسلمون (!!) وحكموا بوضعه ،فان أصله فى دسائس اليهود لفهم الله (!!) ".[1]

القرآن الكريم :

ترى الاباضيه أن القرآن مخلوق فقال أحد علمائهم المعاصرين : -
" الأباضيه يقولون أن الله خالق كل شىء والقرآن شىء من الأشياء وقال تعالى " وخلق كل شىء فقدره تقديرا "[2] والقرآن كما قلنا شىء من الأشياء ، وهو كلام الله خلقه الله وقدره بحسب الحوادث التى ستكون من العباد كما اقتضاها قضاؤه وقدره فان دلائل الحدوث فى نفسه ظاهرة وهى شاهدة بخلقه ولو كان غير مخلوق لكان قديما ، ولو كان قديما لكان مشاركا لله فى صفة القدم ،ولو شاركه فى صفة القدم لتعددت القدماء ولو تعددت القدماء انتفى قدمه الخاص به الذى اتصف به فانه صار له فيه شركاء وهذا ظاهر الفساد ساقط الاعتبار ،ولو كان متكلما كخلقه لزم له ما يلزم لخلقه من اللسان التى هى آلة الكلام ولزم له أشداق وفم يخرج منه الكلام ،وهذا باطل عقلا ،ثم وصفه الله بأنه حادث فى قوله عز وجل : (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون "[3] ووصفه بأنه منزل من اللوح وكان حالا فيه والتنزيل صفة الحدوث ، وكونه حالا فى اللوح ، فاللوح حادث ولا يحل فى الحادث الا حادث عقلا وبديهه وهذه الصفات كلها تعطى معنى الحدوث ، ووصفه بانه آيات بينات فى صدور الذين أوتو العلم وصدورهم حادثة والحال فى الحادث حادث قطعا ،لأن القديم منزه عن الحوادث فالله

---

(١) طلقات المعهد الرياضي سالم بن حمود بن شامس العمانى ص ١٠٧
(٢) سورة الفرقان : من الآية ٢
(٣) سورة الانبياء : الآية ٢

عز وجل لا يطرقه معنى الحدوث ولا يليق به تعالى والا لم تصح الصفات الكمالية له تعالى ، وكلام الله ليس على وتيرة كلام الخلق وان كان الكلام المعروف هو ما على المنهج المألوف تتألف كلماته من الحروف ، فان الله جل جلاله خالق الحروف والأصوات والآلات التى بها يتكون ، والله منّزه عن هذا كله قطعا ". [(١)]

مسألة الخلود :

يعتقد الأباضيه أن " داخل النار من عصاة الموحدين مخلد فيها لا يخرج منها أبدا فهو فى الخلود مثل داخل الجنة الا أن الموحّد أخف عذابا من غيره " [(٢)] وقال ناظمهم : -

ومن يمت على الكبير عذبا * وذاك فى القرآن حكما وجبا

. . . .

لكنه فى النار قطعا يخلد * فهو بها معذّب مؤبّد

خروجهم فى الذكر قد نفاه * ربّى فيا ويل لمن يلقاه [(٣)]

وقال أحد علمائهم المعاصرين : - " ان ثواب الله لعباده المؤمنين الجنة وان عقاب الله لأعدائه النار ، وان الجنة والنار لا يفنيان ، ومن اعتقد فناءهما كفر شركا ، لأن الله قال فى الجنة : (خالدين فيها) وكذلك قال فى النار والعياذ بالله منها فى مئات من الآيات وصرح جل وعز بذلك فالثواب والعقاب أبديان ، وكذلك ثبت فى السنة النبوية اذ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم " اذا دخل أهل الجنة الجنة

---

(١) الحقيقة والمجاز : سالم بن حمود بن شامس " أباضى " ص ٢٧- ٢٨
(٢) مختصر تاريخ الأباضية : ابى الربيع سليمان البارونى " أباضى " ص ٦٥
(٣) جوهر النظام فى علمى الأديان والأحكام : عبد الله بن حميد بن سلوم " أباضى " جـ ١ ص ١٢

وأهل النار النار جيء بالموت فيذبح بين الجنه والنار وينادى مناد يا أهل الجنه خلود ولا موت ويا أهل النار خلود "(١) وعلى هذا عقيدة الأباضية متابعة القرآن وسنة المصطفى من آل عدنان صلى الله عليه وسلم ، ومن خالف هذه العقيدة متأولا فهو فاسق ضال منافق كافر نعمة ، ومن خالفها بغير تأويل فهو كافر شركا "(٢).

مسألة الشفاعة :

ويرون أن الشفاعة لا تنال أصحاب الكبائر من الأمه المحمدية ولا ينالها الا من مات منهم على الوفاء والتوبة النصوح "(٣).

قال أحد علمائهم نظما (٤) : -

ومن يمت على الكبير عذّبا * وذاك فى القرآن حكما وجبا
ليس له شفاعة من أحد * من الورى حتى النبى أحمد

ارتكاب الكبيرة :

يطلق الأباضية على الموحد العاصى كلمة كافر ويعنون بها كافرالنعمة ويجرون عليه أحكام الموحدين . فالكفر عندهم كفر نعمة ونفاق وهو هذا وكفر شرك وجحود وهو الذى يخرج الانسان من الملة الاسلامية (٥).

فالعصاة من الموحدين عندهم " قد خرجوا من الشرك بلا اله الا الله محمد رسول الله ، وخرجوا عن المؤمنين بفعل المعاصى فان الرسول عليه الصلاة والسلام يقول " لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن (٦)

---

(١) صحيح البخارى كتاب التفسير جـ ٥ ص ٢٣٦ وصحيح مسلم كتاب الجنه جـ ٤ ص ٢١٨٩
(٢) الحقيقة والمجاز : سالم بن حمود بن شامس السيابى (أباضى معاصر ص : ٢٩ - ٣٠
(٣) مختصر تاريخ الأباضية : ابى الربيع سليمان البارونى (أباضي معاصر) ص: ٦٦
(٤) جوهرالنظام في علمي الأديان : عبد الله بن حميد بن سلوم (أباضى) جـ١ ص ١٢
(٥) مختصر تاريخ الأباضيه : للبارونى " أباضى" ص ٦٦
(٦) رواه ابن ماجه فى سننه أبواب الفتن جـ ٢ ص ٤٦١

الحديث ، وذلك فرع على قوله تعالى " وقالت الأعراب آمنا قل " لهم يا محمد " لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم"[(١)] ومعنى قولوا انا مسلمون بقولكم لا اله الا الله محمد رسول الله ،أما الايمان فلا لأنكم تفعلون مالا يرضاه ،فأنتم باعترافكم بواحدانية الله حين قلتم لا اله الا الله محمد رسول الله ،فبهذا أسلمتم فحرمت دماؤكم وأموالكم الا بحقها وحسابكم على الله ،اما عفو واما عقاب "[(٢)].

وهم ينكرون ما قال به المعتزله من أن مرتكب الكبيرة قد خرج من الايمان بكبيرته ولم يدخل الكفر لاقراره بشهادة أن لا اله الا الله وانما هو فى منزله بين المنزلتين ينكر الأباضيه هذه المنزله حيث يقول ناظمهم فى " باب فى الكفر" :

من لم يكن متقيا لله ∴ فهو أخو كفر بلا اشتباه

لأنه ما بينهن منزله ∴ كذاك فى القرآن ربى أنزله

وكشفه بأن تقسمنه ∴ للشرك والنعمة فأفهمنه[(٣)]

والخلاصة عندهم ان الدرجات عندهم ايمان ،كفر نعمه كفر شرك ،

الميزان والصراط :

ويرى جمهور الأباضيه أن الميزان ليس بحسى والله غنى عن الافتقار اليه وانما هو تمييز معنوى للأعمال " والوزن يومئذ الحق "[(٤)] كيف والاعمال ليست بأمور محسوسه حتى توزن بميزان من نوعها والصراط أيضا ليس بحسى وانما هو دين الله الحق وطريقه القويم فمن اتبعه فاز ونجا

---

(١) سورة الحجرات : الآية ١٤

(٢) جوهر النظام فى علمى الأديان والاحكام : عبد اللهبن حميد بن سلوم "أباضى" جـ ١ ص ١٤

(٣) طلقات المعهد الرياضى سالم حمود بن شامس "أباضى" ص ٨٦

(٤) مختصر تاريخ الأباضيه ص ٦٦- ٦٧

ومن حاد عنه خسر وهوى ، ومن الأباضيه من يجيزان يكون الميزان والصراط حسيين .[1]

الولاية والبراءة :

تعتقد الأباضيه أن كلا من الولايه والبراءة تنقسم الى قسمين ولايه أشخاص وولايه جمله وكذا البراءة براءة الأشخاص وبراءة الجملة قالوا " ولا يخفى ان الولاية والبراءة تجبان للافراد كما تجبان للجماعة ومن خصهما بالجماعة دون الافراد وقع فى قصور وتقصير .[2]

ومن ولاية الأشخاص ولاية أم موسى وامرأة فرعون وكذلك مؤمن آل فرعون والرجل الذى جاء من أقصى المدينة يسعى ،

وفى البراءة ما يقابل هؤلاء كالذى حاج ابراهيم فى ربه ، وكالذى جاء فى قوله تعالى " الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها "[3] فهذه أدلة واضحة كالشمس ولا توجد هذه الأحوال الا مع الأباضية ".[4]

هذا شأن الولاية والبراءة للأشخاص عندهم أما الولاية أو البراءة للجملة ، فقالوا " لا يخفى أن وجوب الاستغفار للمؤمنين والمؤمنات موجب لولايتهم اذ لا معنى للأمر بالاستغفار للمؤمنين والمؤمنات فى مثل هذا المقام الا الوجوب ولا يصح الاستغفار لغير الولى "[4] ولا يخفى أن البراءة تجب من أهل المعاصى مطلقا سواء كانت كبائر كفر نعمه ، أو كبائر شرك كما نص على ذلك القرآن واجماع المسلمين مطلق على ذلك ، والبراءة الشرعية توجب البغض ، أى ان البغض ثمرة البراءة من أهل المعاصى مطلقا وكذلك الشتم اى شتم العاصى لعصيانه ولعن الكافر لكفره" .[5]

---

(١) مختصر تاريخ الأباضيه ص ٦٦- ٦٧
(٢) طلقات المعهد الرياضى سالم بن حمود بن شامس ص ١١٧
(٣) سورة الاعراف من الآية ١٧٥
(٤) طلقات المعهد الرياضى سالم بن حمود بن شامس ص ١١٨
(٥) المرجع السابق ص ١١٩

أما صورة الولايه فهى " أن يتولى المكلفون من تثبت ولايته وهو الطائع الوفى بما أمره الله فيحبونه لذلك ويستغفرون له ويساعدونه فى شئونه الدنيويه من بيع وشراء وسائر المعاملات ،وأما البراءةفصورتها أن يتبرأوا من العاصي ويقطعون معاملته ويهجرونه بحيث يصير كأنه بمعزل عن العالم الى أن يتوب الى الله فاذا تاب وأقلع عن معصيته أعيدت اليه هذه الحقوق وعومل بما يعامل به سائر اخوانه "[1].

ولذلك وجد عندهم اصطلاحات الخطه والهجران والابعاد والطرد وهى " ألفاظ تترادف على معنى واحد وذلك متى أجرم واحد من أهل الطريق أو ظهرت عليه خزيه أو أتى بنقيصه فى قول أوعمل فانه يهجره أهل الصلاح فلا يكلم ولا يحضر جماعه ولا يؤم ولا يؤاكل ولا يجالس وكانت خطه حالت بينه وبين أهل الخير فان تاب واستغفر قبل منه ورجع الى الجماعه وزال عنه شين ذلك الوسم ويكون بقاؤه في وحشه الهجران بقدر عظم الذنب وصغره وتوبة المجرم واصراره "[2]

ولا يزال هذا الامر يطبق فى بعض جهاتهم قال الاستاذ حافظ رمضان عن هؤلاء " لاتزال بقية هؤلاء فى بلاد الجزائر وهم يعيشون على وتيره منظمه وتقاليد عريقه ولا تحكم بينهم محاكم الدوله واذا ما طل مدين دائنه دخل المسجد وأعلن ذلك وحينئذ يقاطع الناس المدين فلا يسلمون عليه ولا يعاملونه حتى يوفى ما عليه "[3].

وهو أيضا حال الميزابيين اليوم بالجزائر " فانهم مازالوا فى تطبيق أحكام الولايه والبراءه[4].

---

(١) مختصر تاريخ الاباضيه أبو الربيع سليمان البارونى ص ٦٥
(٢) الاباضيه بالجريد : صالح باجّيه ص ١٨٦
(٣) أبو الهول قال لى : حافظ رمضان ص ١٥٠
(٤) مختصر تاريخ الاباضيه : أبو الربيع سليمان البارونى ص ٦٦

الامامـــة :

قلت ان الأباضية ترفض كل الرفض انتماءها او نسبتها الى فرقـــة الخوارج ، مع أنهم يوافقون فرقة الخوارج في كل مواقفهم مما جرى بين علي ومعاويه رضي الله عنهما ومع أن الخوارج لم يطلق عليهم هذا الوصف الا لمواقفهم تلك .

وعلى كل حال فالأباضيه ترى أن عليا (رضي الله عنه) حين قبـــل بالتحكيم بينه وبين معاويه (رضي الله عنه) فانه بهذا قد خلع نفسه عـــن الامامة وولاها الحكمين على عهد الله وميثاقه ، ولهما أن يوليا مـــن شاءا و يعزلا من شاءا وقد اتفق الحكمان على خلع على واختلفا فـــى تولية معاوية فولاه اياها عمرو بن العاص ولم يولها اياه أبو موســـى الأشعرى . وهم لا يرضون معاوية اماما في الدنيا فضلا عن أن يكـــون اماما للدين ، لذلك تسرعوا الى بيعة عبد الله بن وهب الراسبي المعـروف بذى الثفنات ، ولما وقعت البيعة منهم له لزمت وحرم تركها بغير موجب ، فاذا فعل الامام موجب فسخها لزم خلعه منها ، وان أصر عليها وجـــب على المسلمين قتاله ، وذلك كما اذا فسخ امامته أو جار أو ظلم أو تـــرك واجبا دينيا وذلك بعد تتوبيه فاذا تاب قبل منه .(١)

وبهذا يتبين أن خروجهم على علي رضي الله عنه انما هو لقبولـــه التحكيم وهم يعتبرون هذا القبول فسخا لامامته وفسخه لامامته يوجب عند هم خلعه وان أصر على الامامه وجب قتاله بعد استتابتـه .

ولا ريب بعد هذا أن تكون الامامه عند هؤلاء في منزلة كبرى وأصـــلا من أصولهم يضعون له ويبنون عليه الأحكام .

---

(١) الحقيقة والمجاز سالم بن حمود بن شامس ص ١٦ بتصرف .

ولذلك قالوا " وعندنا أن الامامة من الأصول لما صح عن عمر وغيره من الأمر بقتل من تعين نصبه اماما فأبى من قبولها (!!) الّا أنها ليست مما يقدح تخلفه فى صفة الله . فمعنى كونها من الاصول أنه لا يجوز الخلاف فيها "[1]

والامامه عندهم واجبه (ووجوب نصب الامام فى الأمه معروف من الكتاب والسنة واجماع الأمة ألا ترى أن الصحابة اشتغلوا بعلاج قضية الامامه عندما تحققوا موت النبى صلى الله عليه وسلم لما يرون من لزوم أمرها فان النبى صلى الله عليه وآله وسلم لم يدفن بعد وهم فى أمر الامامه .... وفى القرآن الأمر بالحدود فى الزنى والخمر[2] والقذف والسرقة وقتل القاتل وقطاع الطرق وغير ذلك والمخاطب بذلك الامام ومن فى معناه من سلطان وأمير وامام فان هذه القاب لا معول عليها بل المعول على العدل ولا يخفى ان الانسان لا يحكم على نفسه ، وليس له ان ينفذ حدّا على غيره فضلا عن نفسه ما لم يكن اماما أو سلطانا عادلا . فان السلطان العادل ظل الله فى أرضه سواء كان اماما أو أميرا أو خليفة أو سلطانا بحسب الاصطلاح قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " الحدود والجمعات والفىء والصدقات الى الأئمة " والمراد من هؤلاء كلهم العادل قال الله عز وجل لنبيه ابراهيم الخليل على الصلاة والسلام " انى جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين "[3] .... وكذلك الأمر فى تعجيل امامه عمر رضى الله عنه لولا وجوبها لكان لقائل أن يقول : ماحاجة على الامامه (كذا) وليترك الناس على ماهم عليه ولكنهم لم يتركوهم بل بايعوا بعد عمر عثمان بن عفان ثم بايعوا بعد عثمان

---

(١) مختصر تاريخ الاباضيه ابو الربيع سليمان البارونى (ص٦٨) نقلا من شرح محمد ابن يوسف اطفيش للعقيدة .

(٢) ليس فى القرآن حد للخمر فلعله سهو .

(٣) سورة البقرة : الآية ١٢٤

علي بن أبي طالب . وهكذا ... وبذلك اجمعت الأمة على وجوب الامامة"[١]

ولهم شروط في وجوب الامامة اذا توفرت الشروط وجبت الامامة ولهم شروط أيضا في الامام الذي تصح له البيعه .

أما شروط وجوب الامامه (فأن يكون أهل الحق[٢] نصف عددهم المتخوف منه أو أكثر ، ولهم ما يكفيهم من علم ومال وسلاح وكراع ، واذا عقدت الامامه لمن هو لها أهل لم يجزله تركها "[٣] ولم أجد بيان الحكم اذا كانوا أقل من نصف عددهم .

أما شروط الامام فـ (أن يكون ذكرا بالغا عاقلا عالما بالأصول والفروع متمكنا من اقامة الحجج وازالة الشبه ذا رأى وخبرة في الحروب شجاعا ولو كان لا يباشرها بنفسه لا يلين ولا يفشل من أهوالها ولا يهاب اقامة الحدود وضرب الرقاب في سبيل الله ونصرة الحق واذا توفرت هذه الشروط في القرشي فهو أولى والا فغيره ممن رضيه أهل الحل والعقد من المسلمين ، ولا يفهم من هذه الشروط أن نصب الامام غير واجب اذا فقد شرط منها لا بل يتعين عليهم نصبه ولو كان دون هذه المنزلة اذ العبرة بالشروط الأساسية التي لا يشاد صرح الامامه بدونها "[٣] .

قالوا " والقوة والعلم من ضروريات صفات الامام الذي يصلح أن يكون قائد أمة أو زعيم عامه فانه اذا كان ضعيفا فان ضعفه يؤخره عن القيام بالواجبات التي تناط به ... والعلم هو الاساس الذي يجب على المسلم أن يمشي عليه ما عاش.. وبالأخص أهل المناصب اذ تتوجه الى الامام حدود وولايه وبراءة وما اليها من جباية الزكاة وبيوت الأموال والقيام

---

(١) الحقيقة والمجاز بن حمود بن شامس ص ٢٣- ٢٥ باختصار .
(٢) المراد بهم هنا الاباضيه .
(٣) مختصر تاريخ الاباضيه ص٦٦ عن الشرح الكبير على العقيدة للشيخ محمد ابن يوسف اطفيش .

بمصالح الأمة الى أشياء عديده فينظر بالعلم من يقدم على العمل ومن يؤخر فان بالعلم يقوم الدين ولهذا أوجب الأباضيه العلم فى الامامه[(١)].

أما شرط القرشيه فلا يقولون به بل قالوا " ان وجد المستقيم فى قريش حسنت بيعته واذا بويع وجبت طاعته لا من حيث أنه قرشى بل من حيث أنه صالح فان المطلوب فى الأمه الصلاح وهل لقريش مزيد فضل بدون الصلاح فان الله عز وجل أمر بالصلاح ودعا .... والواقع ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يول قريشا فقط وانما ولى من عدة قبائل فى العرب ، وصحة الامامه أصل لصحة الولاية فانها فرع عليها ، وما جاز فى الاصل جاز فى الفرع ولم يجعل الله عز وعلا الأمر فى أمه خاصة أو فى قبيلة خاصة أو فى بلد خاص "[(٢)].

بل يكفى ان يكون الخليفة متصفا بالفضيلة سائرا بموجب الكتاب والسنه لتصح خلافته فان انحرف عنهما أى الكتاب والسنه فقد تهور فى أعماله ، ورجع القهقرى ، ولا بد أن يكون تعلق بالهوى وخلع ربقه التقوى فلا يصح أن يبقى على هذا الحال اماما ...... وليس من الحق أن نترك المنحرف عن واجب الكتاب والسنه لا عقلا ولا نقلا فيما علمنا "[(٣)] وتجب طاعته ما دام على الحق والعدل شعاره فان جار فى الحكم وخالف الحق ولم يتب جاز بل وجب الخروج عنه[(٤)].

موقفهم من الصحابه رضوان الله عليهم :

ان الاباضيه يوالون أبابكر وعمر رضى الله عنهما ، أما الأول فقد كان " عاملا بما جاءت به النبوه تابعا لأوامرها قائما بما قامت به الأمه

(١) الحقيقة والمجاز ص ٢٢ - ٢٣
(٢) المرجع السابق ص ٢٥ - ٢٦
(٣) المرجع السابق ص ٢٦ - ٢٧
(٤) مختصر تاريخ الاباضيه ابو الربيع سليمان البارونى ص ٦٨

محافظا لسيرتها ، وبذلك لم يفقد من النبى عليه الصلاة والسلام الا شخصه الكريم ونزول الوحى بعده .[(١)] ومات والأمه الاسلامية كلمة واحدة راضيــة عنـه عند موتـه .[(٢)]

أما عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقد " سار مسيرة صاحبه وأعطــى القوس باريها وأجرى الأمور مجاريها[(١)] حتى مات شهيدا مبكيا عليــه مأسوفا على مآثره وعلى سيرته المرضيه وأيامه الزاهيه البهيه .[(٣)]

أما عثمان رضى الله عنه فليس له عندهم مثل منزلة صاحبيه رضى اللـه عنهما ونذكر هنا ما يتعلق به رضى الله عنه من رسالة بعث بها امامهم عبد الله بن أباضى الى عبد الملك بن مروان قال فيها " فولوا عثمان فعمـل ما شاء الله بما يعرف أهل الاسلام حتى بسطت له الدنيا وفتح له مــن خزائن الأرض ما شاء الله ثم أحدث أمورا لم يعمل بها صاحباه قبلــه وعهد الناس بنبيهم حديث فلما رأى المؤمنون ما أحدث أتوه فكلمــوه وذكروه بكتاب الله وسنة من كان قبله من المؤمنون فشق عليه أن ذكــروه بآيات الله (! !) وأخذهم بالجبروت وضرب منهم من شاء وسجن ونفى"[(٤)] وقال أحد معاصريهم " فان كان عثمان على حق فالخارجون عليه المحاربون له ضالون بذلك تجب منهم البراءة ، فما لكم تقولون رضى الله عنهم وهــم خارجون على امام الحق وان كان عثمان ظالما وخرجوا عليه لظلمه فمـن الواجب القيام على الظالم حتى يرجع عن ظلمه الى أن قال " أما كون عثمان أمير المؤمنين وكل ما يفعله أمير المؤمنين من الحق والباطل مقبول عند اللـه وهو لذلك يجب أن يحترم . واذا كان كذلك فما بال مائة ألف سيف فــى المدينة بأيدى المهاجرين والانصار الذين وصفهم الله عز وجل بالاستقامـة

---

(١) طلقات المعهد الرياضى سالم بن حمود بن شامس ص ٧٣
(٢) مختصر تاريخ الاباضيه ص ١٥
(٣) مختصر تاريخ الاباضيه ص ١٦
(٤) المرجع السابق ص ٢١

في الدين لا تدافع عن الامام المحق فما لهؤلاء الناس لا يأتون بالحق [(١)] الذي يجب على كل مسلم أن يكون عليه " [(٢)].

أما على بن أبى طالب رضى الله عنه فهم يعتقدون أنه امام بالاجماع بايعه المسلمون عن رضى به واختيار له من بين أقرانه لما يرون فيه المناسبة لمنصب الامامه .. وزاد على أقرانه الستة بكونه من بيت النبوة فهو العالم العابد الزاهد الأمين الثقة التقى الذى سلم من الأهواء والتحيزات العنصرية متجردا لله ، قائما بحقوق الله ، ثابتا على سلطان الله ، يتساوى معه البعيد والقريب فى الحق لا تأخذه فى الله لومة لائم . وهذه هى صفة على بن أبى طالب وهو لم يزل كذلك حتى دخل عليه داخل [(٣)] فى سياسته ليضله عن طريقه وهو يعتقد فيه أنه يريد الحق ويدعو اليه وهو بطانة سوء لعلى بن ابى طالب فلذلك أثر عليه .... ولا نعتقد فى على ما تعتقده فيه الشيعه ، بل هو عبد من عباد الله وهو هكذا يقول وبسبب بطانته السيئة وقع ما وقع [(٤)].

أما خلاصة رأيهم فيه رضى الله عنه بعد ذلك فانهم يرون انه بقبوله

---

(١) أما وقد دعا الى الاتيان بالحق فانا نقول أن المئة ألف سيف التى بأيدى المهاجرين والانصار لم تغمد عبثا ولا تخليا عن عقيدة ولكنها بعثت واحدا منها هو المغيرة بن شعبه رضى الله عنه الى عثمان وهو محاصر تخيره بثلاثه أمور : اما أن تخرج فتقاتلهم فان معك عددا وقوة وأنت على الحق وهم على الباطل ، واما أن تخرق لك بابا سوى الباب الذى هم عليه فتقعد على راحلتك فتلحق بمكه فانهم لن يستحلوك وأنت بها ، واما أن تلحق بالشام فانهم أهل الشام وفيهم معاويه . فقال عثمان رضى الله عنه اما أن أخرج فأقاتل فلن أكون أول من خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمته بسفك الدماء ، واما أن أخرج الى مكه فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يلحد رجل من قريش بمكه يكون عليه نصف عذاب العالم فلن أكون أنا اياه ، واما أن ألحق بالشام فلن أفارق دار هجرتى ومجاورة رسول الله صلى الله عليه وسلم (رواه الامام احمد فى مسنده ج ١ ص ٦٧ من مسند عثمان بن عفان رضى الله عنه . بل ان عثمان رضى الله عنه كان ينهى أهل بيته عن تجريد السلاح ، اتمام الوفاء فى سيرة الخلفاء محمد الخضرى ص ١٩٨

(٢) الحقيقة والمجاز سالم بن حمود بن شامس ص ٢١

(٣) يقصد : الاشعث بن قيس رضى الله عنه .

(٤) الحقيقة والمجاز ص ٢١ - ٢٢

التحكيم قد خلع نفسه عن الامامه وولاها الحكمين على عهد الله وميثاقه أن يوليا من شاءا ويعزلا من شاءا فقد اتفقا على خلعه واختلفا في التولية له فولى أحدهما معاوية واحر نجم الثانى فلم يفعل شيئا وافترقا على ذلك ، ولما رأى أولئك المؤمنون نهاية الواقع وما كانوا يرضون معاوية اماما فى الدنيا فضلا عن أن يكون اماما للدين فلذلك تسرعوا الى البيعة لعبد الله بن وهب الراسبى المعروف بذى الثغنات ، فلما وقعت البيعة لزمت وحرم تركها بغير موجب" (١)

ولذا فهم يعتقدون أن البيعة انتقلت بعد على رضى الله عنه الى عبد الله بن وهب الراسبي الذى بايعوه بعد التحكيم ،

" ولما بايعوه بعثوا الى أصحابهم مسرورين ببيعتهم مبتهجين برضاه وقبوله على يقين واطمئنان أن على بن أبى طالب لا يعود يطالبهم بامامة أو يدعيها " (٢)

ولكن عليا رضى الله عنه توجه الى عبد الله الراسبى وأباد جيشه فى الفهروان وكان عبد الله من بين القتلى ، قال أحد مؤرخيهم " ولا أظنه أمر بقتلهم ولا أشار اليهم ورأى السكوت يسعه حيث قال له القائمون بأمره عن القوم ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم حيث نسبوا الى أهل الحق ما نسبوا ليتوصلوا الى الباطل بما حصلوا ولا أرى عليا الا خليا من دماء القوم ولا ألومه وهو قاصدهم ليتفاهم معهم ويتفاوض هو واياهم (٣).

لكنهم مع هذا لا يتبرأون من عبد الرحمن بن ملجم قاتل على رضى الله عنه .

---

(١) المرجع السابق ص ١٥
(٢) طلقات المعهد الرياضى سالم بن حمود بن شامس ص ٢١
(٣) الحقيقة والمجاز ص ١٧

أما معاويه رضى الله عنه فانهم يعتقدون أن دماء أولئك القائمون بالنهروان كل واحد منهم أفضل من معاويه بمسافات "[1] (كذا) وهم يعتقدون أنه " خرج على الامام محاربا له شاقا عصا المسلمين يريد أن يفرق جمعهم ويهدم بناءهم ويقلب أمورهم ظهرا لبطن ليسيطر عليهم فيكون ملكا فيهم وزعيما عليهم "[2] وقالوا " فخرج معاويه على على وعلى المسلمين بل خرج على الدين لما كان على بن أبى طالب امام عامه ثبتت امامته باجماع خرج عليه يشق عصا المسلمين ولا يبالى بما يكون من خصام وما يكون من دماء تسفك على غير حق بل خرج على الامام يشق طريق الخصام ولا يبالى بسفك دماء المسلمين "[2] هكذا زعموا فى معاويه رضى الله عنه أما طلحه بن عبيد الله والزبير بن العوام وعائشة رضى الله عنهم أجمعين فقالوا عنهم بعد بيعتهم لعثمان رضى الله عنه " وبايعه فيمن بايع طلحه ابن عبيد الله والزبير بن العوام ثم نكثا ما بعنقهما من البيعة واستنفرا معهما أم المؤمنين عائشه بنت ابى بكر فحاربهم على وقهرهم . . . أما السيدة عائشه فقد تابت من عملها بعد ذلك وندمت أشد الندم "[3]

موقفهم من مخالفيهم :

سأكتفى هنا بايراد جزء من خطبة أبى حمزة المختار بن عوف أحد كبار أئمتهم ،التى وجهها الى أهل المدينة المنورة بعد استيلائه عليها فقال " أيها الناس نحن من الناس والناس منا الا عابد وثن وملكا جبارا ،وصاحب بدعة يدعو الناس اليها ،وان امتنعوا من ذلك دعوناهم الى أن نجرى عليهم حكم الله تعالى من دفع الحقوق والخضوع لواجب الأحكام

---

(١) الحقيقة والمجاز ص ١٤
(٢) المرجع السابق ص ١١ - ١٢
(٣) مختصر تاريخ الاباضيه ابو الربيع سليمان البارونى ص ١٦ - ١٧

فان أذعنوا لذلك تركناهم على ما هم عليه ووجب لهم من الحقوق والأحكام ما يجب لنا وعلينا الا ما كان من الاستغفار فلا حق لهم فيه ما داموا متمادين على ما هم عليه ووسعنا واياهم العدل ولهم حقوقهم من الفئ والغنائم والصدقات على وجوهها ولهم علينا دفع الظلم عنهم كما يجب لسائر المسلمين ، والعدل فى الأحكام والدفاع عنهم وان غزوا معنا فلهم سهامهم كما لنا ، ومن امتنع منهم مما وجب عليه فى الحقوق أدبناه بما يقمعه ونرده الى سواء السبيل وان جاوزوا ذلك سفكنا دماءهم واستحللنا قتالهم وان اعترفوا بطاعتنا وانفردوا ببلادهم وأجروا فيها أحكامهم تركناهم وذلك ما لم يكن رد على آية محكمه أو سنة قائمة ونستقضى عليهم منهم من يقوم بواجب الحقوق عليهم ولهم ونقبل قوله فى ذلك على أسلوب القضاة كلهم ولا يمنعنا من ولايتهم الا ما هم عليه ونأخذ منهم كل ما يجب عليهم من الحقوق ونردها فى فقرائهم وذوى - الحاجة منهم وان اتهمناهم فى شئ أعذرنا اليهم ولا نتركهم يظهرون منكرا بين أيدينا اذا كان عندهم منكرا ديانة ونمنعهم أن يحدثوا فى أيامنا ما لم يكن الا أن يكون أمرا لا مكروه تحته وان خرجوا علينا وهزمناهم فانا لا نتبع مدبرا ولا نجهز على جريح وأموالهم مردودة عليهم الا ما كان عائدا لبيت المال فانا نأخذه ونصرفه فى وجوهه .... وان قدرنا عليهم قتلنا منهم كل من قتل أحدا منا بعينه قصاصا ونسرح سبيل الأسارى ولا نتبع المنهزمين ولا نعترض أحدا منهم الا من طعن فى الدين أو قتل من المسلمين أو دل عليهم فهؤلاء يقتلون اذا قدرنا عليهم الا من تاب قبل ذلك ونصلى على قتلاهم وندفنهم ونجرى المواريث بيننا وبينهم على وجوهها والأموال والحرمات على وجوهها ". (١)

---

(١) مختصر تاريخ الأباضيه أبو الربيع سليمان البارونى ص ٧٢ - ٧٣

مصادر التشريع :

مصادر التشريع عند الأباضيه هى مصادره عند أهل السنه . أعنى الكتاب والسنه والاجماع والقياس لا ينكرون شيئا منها ولا يجحدونه كما وصفهم بعض من كتب عنهم ، قال أحد علماء الأباضيه " وأحكام الشريعة كلها مأخوذة من طريق واحد وأصل واحد وهو كتاب رب العالمين وهو قوله تبارك وتعالى " اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم . . . الآيه "[(١)] ، والسنة مأخوذة من الكتاب قال الله تعالى " وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول "[(٢)] . . . . .

والسنة علم بكتاب الله عز وجل وبه أوجب اتباعها والاجماع ايضا علم بكتاب الله عز وجل وبالسنة التى هى من كتاب الله لأن الاجماع توقيف والتوقيف لا يكون الا عن الرسول صلى الله عليه وسلم "[(٣)]

وعندهم أن ما ذكر فى الكتاب أو السنة أو الاجماع فهو نص والنص أصل يقاس عليه قالوا " فما وجد فى هذه الثلاثة الأصول فهو أصل وما لم يوجد فهو فرع ويقاس عليهن ما لم يذكر فى احداهن[(٤)] وقالوا لا تقاس الأصول بعضها ببعض والاصول ما جاء من الكتاب والسنة والاجماع ويقاس ما لم يأت فى الاصول على الأصول والأصول مسلمه على ما جاءت[(٥)]

وقال ناظمهم :

يستخرج الحكم من الكتاب ** وهكذا من سنة الأواب
كذلك الاجماع فيما اجتمعوا ** كذلك القياس فيما فرعوا[(٦)]

---

(١) سورة الأعراف من الآية ٣
(٢) سورة النساء من الآية ٥٩
(٣) المصنف لابى بكر احمد بن عبد الله بن موسى الكندى السمدى النزوى (أباضى) جـ١ ص ٥٠-٥١
(٤) المصنف: لابى بكر احمد بن عبد الله بن موسى (أباضى) جـ ١ ص ٥٠
(٥) المصنف: لابى بكر احمد بن عبد الله بن موسى (أباضى) جـ ١ ص ٥٠-٥١
(٦) جوهر النظام فى علمى الاديان والاحكام : عبد الله بن حميد السالمى جـ١ ، ص ٢١

والمراد بالكتاب القرآن الكريم لا يقولون بتحريفه لا بزيادة ولا نقصان ،أما عمادهم فى السنه فهو ما جمعه أحد علمائهم وهو: " الجامع الصحيح " مسند الامام الربيع بن حبيب قال عنه أحد علمائهم المعاصرين " أعلم أن هذا المسند الشريف أصح كتب ، الحديث رواية وأعلاها سندا "[(١)] وقال " فجميع ما تضمنه الكتاب صحيح باتفاق أهل الدعوة (يقصد الأباضية) وهو أصح كتاب بعد القرآن العزيز . فى الرتبة الصحاح من كتب الحديث "[(١)]

ويقصد بكتب الحديث كتب أهل السنة فهم يقدمون مسند الربيع ابن حبيب أولا ثم صحيح البخارى ومسلم وغيرها ثانيا . فهم يقبلون ما جاء فى كتب الحديث عند أهل السنة ولكن ليس بنفس درجتها عندهم بل هى تالية لمسند الربيع وعلى هذا فان وقع خلاف بين مسند الربيع مثلا وصحيح البخارى أخذوا بما فى مسند الربيع .

الآراء الفقهية :

ولا تكاد تجد كبير فارق بين أهل السنة والأباضية الا كما تجد الفارق بين المذاهب الأربعة ، ويرجع ذلك للاتفاق على أصول التشريع من الكتاب والسنة والاجماع والقياس ، زد على هذا اعترافهم بالكتب الصحاح عند أهل السنه ولا تكاد تجد لموقفهم من الصحابة رضوان الله عليهم من أثر على اتجاههم الفقهى لأنهم لا يردون رواياتهم وان ردوا فقليلا لا يكاد يبين له أثر بخلاف الشيعه الذين لا يقبلون الا ما يرد عن أئمة أهل البيت . فكان الاختلاف بينهم وبين أهل السنه فى الأصول والفروع .

ولا أرى من داع لذكر أمثله على ذلك فالفروع كثيرة . أما

---

(١) الجامع الصحيح : مسند الربيع بن حبيب من مقدمة عبد الله بن حميد السالمى ص ٢١

فى الأركان فقال أحد علمائهم " ولا أعلم بين الفريقين - يعنى الأباضيه وأهل السنه - خلافا فى الصلاة ووجوبها وآدائها فى الأوقات الخمسة وعدد الركعات . ولا فى الحج وأركانه ومناسكه . ولا فى الزكاة ونصابها ومواضع صرفها . ولا فى الصوم ووجوبه وأغلب مصححاته ومفسداته "(١).

قلت واذا كان الاتفاق فى الاصول فان الاختلاف فى الفروع أمر مقبول ان شاء الله مادام الاجتهاد فيها مستندا الى الكتاب والسنه والاجماع والقياس - ما داموا يرجعون الى كتب أهل السنة والجماعة .

التصوف :

أما الفرق الصوفيه كالقادرية والعروسيه والرفاعية والعيساوية والساعديه والتيجانية والسنوسيه والبكطاشيه وغيرها كثير فليس لها وجود فى المذهب الأباضي وهى فى نظره من البدع المحرمة شرعا ولا يتوقف الوعظ والارشاد وتهذيب النفوس على أحداث مثل هذه الطرق والانتساب الى رجالها على النمط المعهود عندهم ومع هذا فلا ينكر الأباضيون كرامة الأولياء ووجود الصالحين من عباد الله المخلصين ولزوم احترامهم لكن لا على هذا الوجه" واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا "(٢) (٣).

فهم كأهل السنه يؤمنون بالكرامات ووجود الصالحين من عباد الله لكن ليس على الوجه الذى يقوم به الصوفيه من التبرك بهم والطواف

---

(١) مختصر تاريخ الأباضيه : أبوالربيع سليمان الباروني ص ٧١

(٢) سورة البقرة من الآية ٤٨

(٣) مختصر تاريخ الأباضية : ص ٧٠ - ٧١

حول قبورهم وتقديسهم ولذا لا تجد في بلاد الأباضية المزارات والقبور ونحو ذلك .

التفسير الأباضي :

ظاهرة بارزة في تأريخ الاباضيه العلمي هي قلة المؤلفات ليس في العصر الحديث فحسب بل في القديم أيضا ، وتبرز هذه الظاهرة أكثر ما تبرز في انتاجهم في تفسير القرآن الكريم اذ لا يكاد يذكر لهم من تفسير سوى تفاسير ثلاثة في القديم وثلاثة في العصر الحديث .

ومن الثلاثة القديمة لا يوجد الا تفسير واحد في أربعة مجلدات ومؤلفه هود بن محكم وتداوله بين الاباضيه في المغرب ، أما الباقي فمفقود .

وفي العصر الحديث لا تجد الا ثلاثة تفاسير وتعجب اذا عرفت أنها كلها لمؤلف واحد وأن المطبوع من هذه الثلاثة اثنان أما الثالث فلم يتمه مؤلفه ولم يطبع .

وظاهرة أخرى متعلقة بالظاهرة الأولى تلكم هي قلة ما يطبع من هذه المؤلفات القليلة .ثم قلة انتشار المطبوع وتوزيعه . وقد عانيت كثيرا في الحصول على بعض هذه المطبوعات وكنت أظن الأمر خاصا بي فاذا به أعم وكنت أظنه غير مقصود . فاذ بي أحسبه مقصودا ،واطلعت على ما حصلت عليه في مطبوعاتهم عليّ فيها تعليلات فلم أحد ما يوجب هذا العمل .

وعلى كل حال فقد حصلت والحمد لله على بغيتي وفوق هذا حصلت على الموجود من مؤلفاتهم التفسيرية في العصر الحديث وهما كما قلت آنفا ثلاثة الموجود منها اثنان وكلها للشيخ محمد بن يوسف اطفيش :-

١ - تفسير داعي العمل ليوم الأمل .

وهو التفسير الذى لم يكمله مؤلفه وقد اطلع الشيخ محمد حسين الذهبى على نسخته المخطوطه لدى ابن أخ المؤلف فى القاهرة ورآها تحتوى على تفسير الأجزاء الأربعة الأخيرة من القرآن وتقع فى مجلدين .(١)

٢ - هميان الزاد الى دار المعاد .

وهو تفسير يقع فى ١٣ مجلدا .

٣ - تيسير التفسير ويقع فى مجلدات سبعة .

وهذان التفسيران هما المطبوع من تفاسير الأباضيه فى العصر الحديث بل لم أجد ذكرا لغيرهما ولم يؤلف سواهما فى التفسير .

وقد وقفت عندهما حائرا هل قراءة هذين التفسيرين وهما لمؤلف واحد تعطى صورة حقيقية عن منهج الأباضيه فى التفسير أوأنهما يعطيان صورة عن منهج مؤلفهما فى التفسير لا منهج الاباضية .

وقد انقدح فى ذهنى أن هذا يرجع الى مدى التزام المؤلف بمذهبه فان كان ملتزما بعقيدته الأباضيه التزاما كاملا فهو ان لم يعط صورة كاملة بدقائق تفصيلها عن المنهج الأباضى فانه حتما سيعطى الخطوط العريضه لمنهج الأباضية فى التفسير باعتباره ملتزما به .

ثم نظرت الى مؤلفهما فوجدته اماما من أئمتهم المعتبرين الذين لهم مكانتهم عند الأباضيه علما والتزاما ولو لم يكن متصفا بهاتين الصفتين لما حل عندهم بهذه المنزله .

فتوكلت على الله وعزمت على اعتبار هذين التفسيرين مصدرا لمنهج

---

(١) التفسيروالمفسرون محمد حسين الذهبى جـ٢ ص ٣١٦

الأباضيه فى التفسير فى العصر الحديث . وكان لا بد أن أكتب ترجمة موجزة عن مؤلفهما ، ثم تعريفا بالتفسيرين .

التعريف بالمؤلف :

اسمه ونسبه :

أما اسمه فهو : محمد بن يوسف بن عيسى بن صالح اطفيّش (١) ، أو أطفيّش (٢) . وأما ألقابه فكثيرة منها ماهو نسبته الى بلده ومنها ما هو نسبته الى مذهبه . فمن الاول " الميزابى المصعبى اليسجنى (٣) * ومن الثانى ز الوهبى الاباضى " (٣) ومنها " الحفصى العدوى الجزائرى (٤)

مولده ونشأته :

ولد سنة ١٢٣٦ فى بلدة يسجن فى وادى ميزاب بالجزائر ونشأ بين قومه وعرف عندهم بالزهد والورع واشتغل بالتدريس والتأليف وهو شاب لم يتجاوز السادسة عشرة وانكب على القراءة والتأليف وله من المؤلفات فى شتى العلوم ما يربو على الثلاث مئة مؤلف (٥) .

لذا فهو علامة فى التفسير والفقه والأدب أباضى المذهب كان له أثر بارز فى قضية بلاده السياسية (٦) .

---

(١) التفسير والمفسرون محمد حسين الذهبى جـ٢ ص ٣١٩ عن ابن أخ المؤلف .
(٢) الاعلام : خيرالدين الزركلى جـ٧ ص١٥٦ وقال انه لفظ بربرى مركب من ثلاث كلمات أطّف بمعنى أمسك و" أيّا" بمعنى أقبل- تعال . و" أش" ومعناها كل ، قال يقال أن أحد أسلافه لقب به لمناداته صديقا له يدعوه الى الطعام .
(٣) مقدمه تيسير التفسير ، لصاحب الترجمه جـ١ ص ٥
(٤) الاعلام : خير الدين الزركلى جـ٧ ص١٥٦ وقال الحفصى نسبه الى أبى حفص عمر بن الخطاب والعدوى نسبه الى عدى بن كعب القرشى جد عمر .
(٥) التفسير والمفسرون: محمد الذهبى عن ابن اخ المؤلف جـ٢ ص٣١٩ والاعلام للزركلى جـ٧ ص ١٥٧
(٦) الاعلام : الزركلى جـ ٧ ص ١٥٧

مؤلفاتـــــه :

له داعى العمل ليوم الأمل فى مجلدين ، وتفسيرهميان الـــزاد فى ١٣ مجلدا وتيسير التفسير فى سبعة مجلدات وشرح النيل فـــى ١٠ أجزاء كبيرة فى الفقه و " حى على الفلاح " ٦ أجزاء فقـــه و " شامل الاصل والفرع " فىعلوم الشريعـة فى جزئيـن . و " وفـــاء الضمانه بأداء الأمانه " حديث ٣ أجزاء ونظم المغنى لابن هشـام فى خمسة آلاف بيت ، وله مؤلفات عديده فى النحو والصرف والبلاغـــه والفلك والعروض والوضع والفرائض وغيرها [1].

وفاتـــــه :

توفى فى ٢٣ [2] ربيع الثانى سنة ١٣٣٢ هـ وله من العمــــر ست وتسعون سنة .

التعريف بالتفسيرين :

أول هذين التفسيرين هو " هميان الزاد الى دار المعاد" [3] وهو التفسير الذى ألفه صاحبه فى صغره [4] طبع فى زنجبار بالمطبعة السلطانية سنة ١٣١٤هـ ، وأصدرت الطبعة الثانية وزارة الـــتراث القومى والثقافة ، فى سلطنة عمان سنة ١٤٠١هـ وبين يدى الجزء الأول من هذه الطبعة ما صدر منها حتى الآن .

---

(١) انظر التفسير والمفسرون : الذهبى جـ٢ ص٣١٩ والاعلام : للزركلى جـ٧ ص ١٥٧ ومعجم المؤلفين : عمر رضا كحاله جـ ١٢ ص ١٣٣ .

(٢) معجم المؤلفين : عمر رضا كحالهجـ ١٢ ص ١٣٣

(٣) ورد هيميان بياءين قبل الميم وبعدها الا أنه فى مقدمة كتابه تيسير التفسير اشار اليه باسم" هميان" بياء واحده بعد الميم ، وأرى أن الصحيح هو بياء واحدة لانى لم أجد له معنى بياءين ، قال فى القاموس الهميان بالكسر شداد السراويل ، ووعاء للدراهم "

(٤) تيسير التفسير : محمد بن يوسف اطفيش جـ١ ص ٧ ط ٢

وسأرجع فى دراستى هذه الى الطبعة الثانية فى الجزء الأول فقط أما بقية الأجزاء فسأرجع الى الطبعة الأولى اذ لا يوجد حتى الآن سواها .

أجزاء الكتاب :

أجزاء الكتاب :

ذكر فى " التفسيروالمفسرون " أن تفسير هميان الزاد الى دار المعاد يقع فى ١٣ مجلدا كبيرا [(١)] ، وذكر الزركلى أنه يقع فى ١٤ جزءا [(٢)] ، أما فى مقدمة الطبعة الثانية فذكر وزير التراث العمانى أنهم عثروا على نسخة وحيده منه فى ١٥ جزءا . وقد حاولت التأكد من العدد الصحيح لمجلدات الكتاب فطلبت المجلد الأخير منه فى دار الكتب المصرية فناولونى المجلدالثانى عشر وآخره تفسير سورة الحجرات واعتذروا بعدم وجود ما بعد هذا المجلد .

وقد لخص المؤلف منهجه فى هذا التفسير بقوله " وبعد فهذا تفسير رجل يسجنى اباضى وهبى ويعتمد فيه على الله سبحانه وتعالى ثم على ما يظهر لفكره بعد افراغ وسعه ولا يقلد فيه أحدا الا اذا ، حكى قولا أو قرآءة أو حديثا أو قصة أو أثرا لسلف ،وأما نفس تفاسير الآى والرد على بعض المفسرين والجواب فمنه ، الا ما تراه منسوبا ، وكان ينظر بفكره فى الآيه أولا ثم تارة يوافق نظر جار الله والقاضى [(٣)] وهو الغالب والحمد لله وتارة يخالفهما ،ويوافق وجها أحسن مما أثبتاه

---

(١) التفسير والمفسرون جـ٢ ص ٣١٦

(٢) الاعلام : للزركلى جـ ٧ ص ١٥٧

(٣) أى البيضاوى .

أو مثله . . . ويتضمن ان شاء الله الكفاية ، فى الرد على المخالفين فيما زاغوا فيه وايضاح مذهب الاباضيه الوهبيه واعتقادهم وذلك بحجج عقليه ونقليه [(١)] .

وثانى هذين التفسيرين :" تيسير التفسير للقرآن الكريم " وهو اختصار للتفسير السابق صدرت الطبعة الأولى منه فى سبعة مجلدات طبع بلاد المغرب ، وبالحروف المغربية "وصدرت أجزاؤه بين سنتى ١٣٢٥ - ١٣٢٧هـ ، وقد أعادت وزارة الثراث القومى والثقافة فى سلطنة عمان طبعه فصدر الجزء الأول منه بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجرى وبين يدى من هذه الطبعة الجزء الأول وهو ما صدر منها حتى الآن . وكالتفسير السابق سأرجع الى الجزء الاول من الطبعة الثانية ، وبقية الأجزاء الى الطبعة الأولى .

وذكر المؤلف فى مقدمة هذا التفسير سبب تأليفه له فقال : " أما بعد فانه لما تقاصرت الهمم عن أن تهيم بهميان الزاد الى دار المعاد الذى ألفته فى صغر السن ، وتكاسلوا عن تفسيرى داعى العمل ليوم الأمل انشطت همتى الى تفسير يغتبط ولا يمل فان شاء الله قبله بفضله وأتمه قبل الأجل ، وأنا مقتصر على حرف نافع ولمصحف عثمان تابع ، وأسأل ذا الجلال أن ينعم علىّ بالقبول والاكمال " [(٢)] .

---

(١) هيميان الزاد الى دار المعاد جـ ١ ص ٥

(٢) تيسير التفسير : محمد بن يوسف اطفيش جـ ١ ص ٧

منهجـه فى التفسـير :

درج المؤلف خاصة فى تفسيره هميان الزاد على أن يقدم لكل سورة بمقدمه يذكر فيها أسماء هذه السوره والمدنى والمكى منها وعدد آياتها وكلماتها وحروفها ثم ما ورد من الأحاديث فى فضلها ويختم ذلك ببيان فوائدها .

ذكر المؤلف فى أسماء سورة البقرة أن " خالد بن سعدان كان يسميها فسطاط القرآن[1] وورد فى حديث مرفوع فى مسند الفردوس ، وذلك لعظمها ولما جمع فيها من الأحكام التى لم تجمع فى غيرها وفى حديث المستدرك تسميتها سنام القرآن[1] وسنام كل شئ أعلاه وفى صحيح مسلم تسميتها وآل عمران الزهراوين[1] .

وفى المكى والمدنى منها قال " وهى مدنيه واستثنى بعضهم منها آيتين (فاعفوا واصفحوا) (ليس عليك هداهم)[1] . . . الخ .

وفى عدد آياتها وكلماتها وحروفها قال " أيها مائتان وخمس وثمانون ، وقيل مائتان وست وثمانون ، وقيل مائتان وسبع وثمانون وكلمها ستة آلاف ومائة واحدى وعشرون وحروفها خمسة وعشرون ألفا وخمسمائة حرف "[1] .

ثم تحدث عن فضلها فقال : " قال أبو برده سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول " اقرؤا القرآن فانه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه . اقرءوا الزهراوين البقرة وآل عمران فانهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيابتان أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما . اقرءوا البقرة فان أخذها بركه وتركها حسرة ولا يستطيعها البطله "[2] . وأورد غير ذلك من الأحاديث[3] .

---

(١) هميان الزاد جـ١ ص ١٦٣ وانظر سنن الدارمى جـ٢ ص٤٤٦-٤٤٧

(٢) رواه الامام احمد فى مسنده جـ٥ ص٢٤٩ ومسلم فى صحيحه جـ٦ ص٩٠ باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة .

(٣) هميان الزاد جـ ١ ص ١٦٣

ثم يختتم كل مقدمة بذكر فوائد للسورة أو التداوى بها بما يشبه الأوهام والخرافات حاشا ان أنكر ان القرآن شفاء ولكن تخصيص بعض الآيات أو بعض السور ببعض الأمراض والآفات مما لا أعرف له دليلا .

قال عن سورة البقرة " قال جعفر الصادق من كتب سورة البقرة وأمسكها عليه زالت عنه الأوجاع كلها ، وان علقها ايضا على صغير زالت عنه أوجاعه وهان عليه الفطام ، ولم يخف عليه بحول الله تعالى ، وان علقت على المصروع زال عنه الصرع " .(١)

واذكر تأكيدا ما أورده ايضا فى سورة الفاتحة حيث قال عنها : " وقالوا . . . واذا كتبت فى اناء طاهر وغسلت ومسح بها المريض وجهه عوفى باذن الله تعالى واذا شرب من هذا الماء من يجد خفقانا سكن باذن الله تعالى ، واذا كتبت بمسك وزعفران فى اناء من زجاج طاهر ثم محيت بماء ورد وشرب منها البليد الذى لا يحفظ شيئا حفظ كل ما سمع وزالت بلادته واذا كتبت يوم الجمعة فى الساعة الأولى فى اناء ذهب(٢) بمسك وكافور ومحيت بماء ورد وجعل ذلك فى قارورة ومسح بها وجهه من يدخل على السلطان أو يخاف من عدو نال القبول والهيبة والمحبة من عدوه ، واذا كتبت بماء ورد ومسك فى جام زجاج ومحيت بماء كانون وسحق به كحل اصفهانى جلا البصر وصححه وحفظ صحة العين وأزال أمراضها وان أضيف الى الاثمد مرارة ديك أفرق ومرارة دجاجة سوداء واكتحل به نظر الى الأشخاص الروحانيه وخاطبهم وخاطبوه بما يريد "(٣) (! !) ثم يستمر فى ذكر هذه الخرافات ولا ينسى أن يقول انه انما يذكر فضائل السور فى أوائلها ليرغب الطالب القارىء

---

(١) المرجع السابق جـ ١ ص ١٦٤

(٢) لا يجوز اتخاذ الاناء من ذهب .

(٣) هميان الزاد جـ ١ ص ١٦ - ١٧

في تفسيرنا هذا في درسها وحفظها وتكرار قراءتها رجاء لنيل ثوابها"[1]

هذا بيان للمقدمة التي التزمها الشيخ اطفيش قبل تفسيره للسورة. ونأتي هنا الى ذكر أهم القضايا والأسس التي يقوم عليها منهجه في التفسير .

الاطناب :

وانما بادرت الى ذكر هذا الأساس وتقديمه على ما سواه لانه سمة بارزة في هذين التفسيرين . ومما لا شك فيه أن للاطناب محاسن وعيوب ولكنه هنا أدى بالمؤلف الى اقتراف مالا ينبغي وقوعه من مفسر في تفسيره نذكر من ذلك أمثله ثلاثة وقصدي الاختصار .

أولها : عدم الاكتفاء بالتفسير الصحيح الثابت .

في فوله تعالى " فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم "[2] ورد بيان الكلمات في آية أخرى بقوله تعالى " قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين "[3]

وهو نفسه يورد هذا التفسير الصحيح[4] لكنه يضيف الى هذا ـ اطنابا ـ أقوالا لا تصح أو على الأقل لا يصح ذكرها بجانب التفسير، القرآني . فذكر أقوالا عديده نذكر منها قوله " وعن ابن عباس في روايه : هن ما روى أن آدم عليه السلام قال يارب ألم تخلقني بيدك ؟ قال بلى قال ألم تكن أسكنتني الجنة ؟ قال بلى قال : فلم أخرجتني منها ؟ قال بخطيئتك قال : يارب أأنا أتيت شيئا ابتدعته من تلقاء نفسي ، أو شيئا قدرته على قبل أن تخلقني ؟ قال بل قدرته عليك قبل أن أخلقك قال يارب كما قدرته على فاغفرلي ..... وقال محمد بن كعب القرظي :

---

(١) هميان الزاد جـ١ ص ١٧
(٢) سورة البقرة الآية ٣٧
(٣) سورة الاعراف الآية ٢٣
(٤) هميان الزاد جـ١ ص ٤٨٥ تيسير التفسير جـ١ ص ٥٩

هى قوله سبحانك لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسي فارحمنى انك انت أرحم الراحمين ، وقيل لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفرلي فانك انت الغفور الرحيم لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك ربى عملت سوءا وظلمت نفسي فارحمني انك انت أرحم الراحمين . . . وقالت طائفة ان آدم رأى مكتوبا على ساق العرش محمد رسول الله فتشفع به فهى الكلمات . . . وقيل ان الله تعالى أنزل ياقوته من ياقوت الجنة ووضعها على موضع البيت على قدر الكعبة لها بابان باب شرقي وباب غربي وفيها قناديل من نور ثم أوحى الله تعالى اليه ان لى حرما بحيال عرشي فآته فطف به كما طاف حول عرشي وصل عنده كما يصلى عند عرشي فهناك استجيب دعاك فانطلق آدم من أرض الهند الى أرض مكه لزيارة بيت الله وقيض الله تعالى له ملكا يرشده فكان كلما نزل موضعا وضع عليه قدمه صار عمرانا وما تعداه صار مفاوز وقفار . فلما وقف بعرفه وكانت حواء تطلبه وقصدته من جده فالتقيا بعرفه يوم عرفات فعرف كل منهما الآخر فسمى عرفات ، فلما انصرف الى منى قال لآدم تمن قال أتمنى المغفرة والرحمة فسمى ذلك الموضع منى وغفر ذنبهما "(١) .

هذه بعض الأقوال لا كلها التى أوردها فى بيان " الكلمات ولا شك ان الاطناب أدى به الى ايراد مالا يصح .

ثانيها : أدى به الاطناب الى ايراد الكثير مما ليس مجاله التفسير بل هو الى شعوذة الدجالين أقرب ففى تفسير قوله تعالى" وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الانهار"(٢)

---

(١) هميان الزاد الى دار المعاد جـ١ ص ٤٨٥ - ٤٨٦ وانظر تيسيرالتفسير جـ١ ص ٥٩
(٢) سورة البقرة الآية ٢٥

الآيـة قال " ومن كانت أشجاره قليله الاثمار فليصم الخميس ويفطـــر في المغرب على هندبا ويصلى المغرب ثم يكتب هذه الآيات (وبشر الذين آمنوا) الى (خالدون) في قرطاس ولا يتكلم ويمضي الـى شجره تكون في وسط البستان ويعلقها عليها فان كان فيها ثمـــر فليأكل منها واحدة وان لم يكن لها ثمر فليأكل ورقه من ورقها وان لم يكن لها ورق فليأكل من ثمر مثلها ، ويشرب عليها ثلاث جرعات مـن ماء وينصرف ، فانه يرى ما يسره من حسن الثمرة والبركة ان شاء الله"[1]

وقال أيضا " ومن أراد أن يحبه أحد محبة عظيمة فليأخذ مرآة من فضة جديده أو عاج ويكتب في كاغد (يكاد البرق يخطف أبصارهم) الى قوله (قدير)[2] الى قوله (واذا أظلم عليهم قاموا)[2] في يـوم الجمعه في زيادة الهلال ويأخذ نملتين من شجرة تكون الواحـدة طالعه والأخرى هابطه ، ومـا فيها ثم تجتمعان ويقفان قليلا وجـه الواحده الى وجه الأخرى "[3] قلت ونقف بالقلم هنا فلا نهبط معـه بنقل هذه الشعوذة والدجل بل السحر ،

وأقف أيضا هنا عن نقل أمثلة كثيرة متوفرة وقد سبقت الاشـارة الى أنواع منها عند حديثنا عن ما يقدمه عند تفسيره لكل سوره مـن بيان فوائد السورة وما يستطب بها لأجله .

ثالثها : أدى به ذلك الى الاطناب فيما أبهم في القرآن الكريم كالحروف المقطعه في أوائل السور فانه يورد في تفسير ذلك أقوالا عديدة

---

(١) هميان الزاد جـ١ ص ٣٧٩ - ٣٨٠
(٢) سورة البقرة الآية ٢٠
(٣) هميان الزاد جـ١ ص ٣٢٥

استغرقتها الصفحات من ١٦٥ الى ص ١٨٣ ولا أرى كبير فائدة في ايراد هذه الاقوال أو بعضها ما دامت لا تقوم على دليل صحيح ومع هذا فاني سأورد الرأى الذى مال اليه واكتفى بايراده عن ايراد ما عداه قال : " وكنت أشبه المقام بمقام من أراد أن يتكلم لمن استغرق قلبه فى شيء فيقدم اليه ما يصغى به الى الكلام كأن يجيده أو يغمز بدنه أو يقرعه بالحصى ، ومن ذلك الوادى أن تشير الى من كان فى كلام دنيوى بالبسمله تنبيها على أن يقر ، ثم رأيت عن الجوينى ما يناسبه اذ قال : القول انها تنبيهه[1] جيد لأن القرآن كلام عزيز ، وفوائده عزيزه ، فينبغى أن يرد على سمع متنبه فكان من الجائز أن يكون الله قد علم فى بعض الأوقات كون النبى صلى الله عليه وسلم فى عالم البشر مشغولا فأمر جبريل بأن يقول عند نزوله آلم آلم حم ليسمع النبى صلى الله عليه وسلم صوت جبريل فيقبل عليه ويصغى اليه ، وانما لم تستعمل الكلمات المشهوره فى التنبيه كألا وأما لأنها من الالفاظ التى تعارفها الناس فى كلامهم والقرآن كلام لا يشبه الكلام فناسب أن يؤتى فيه بالفاظ تنبيه لم تعهد لتكون أبلغ فى قرع سمعه . انتهى "[2] .

لكنى أذكر فأشكر للمؤلف أنه ذكر تفسير السلف لهذه الأحرف فى تفسيره الآخر تيسير التفسير حيث قال " الم الله هو العالم بمعناه وبمعنى المص ، و ، المر ، ألر . . . واذكر ما قيل "[3] ثم ذكر قولا واحدا .

---

(١) كذا وردت ولعلها " تنبيهيه "
(٢) هميان الزاد جـ١ ص ١٧١ - ١٧٢
(٣) تيسير التفسير جـ١ ص ١٣

ومن أسس منهجه : تفسير القرآن بالقرآن :

وهذا ولا شك أصح طرق التفسير وأولاها والمؤلف كثيرا ما يذكر تفسير القرآن بالقرآن أو ما يكون شاهدا للآيه المفسره لكنه كما سبقت الاشارة فى الأساس الأول كثيرا ما يورد مع هذا التفسير تفاسير أخرى لا تصح وكان الأولى الاكتفاء بالتفسير القرآنى وبيان معناه ونذكره من تفسيره القرآن بالقرآن ما أورده عند تفسير الكلمات فى قوله تعالى " فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه "(١) حيث قال : " قال ابن عباس وسعيد بن المسيب والحسن بن على ومجاهد وعكرمه تلك الكلمات هى ما حكى الله سبحانه وتعالى عنه " ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين "(٢)(٣) وفى تيسير التفسير ذكر ان هذا التفسير هو الأصح(٤)

وفى تفسير قوله تعالى " غير المغضوب عليهم ولا الضالين "(٥) يذكر ما ورد من حديث مرفوع عن الرسول صلى الله عليه وسلم من تفسيرها باليهود والنصارى ثم يعقب" وذلك واضح من كتاب الله لأن ذكر غضب الله على اليهود متكرر فى كتاب الله كقوله عز وعلا : (وباءوا بغضب من الله)(٦) وقوله (قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله) الآيه(٧). وأما النصارى فمذكورون فى الضلال كقوله تعالى " ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلواكثيرا وضلوا عن عن سواء السبيل)(٨) (٩)

---

(١) سورة البقرة من الآية ٣٧
(٢) سورة الاعراف الآية ٢٣
(٣) هميان الزاد جـ١ ص ٤٨٥
(٤) تيسير التفسير جـ١ ص ٥٩
(٥) سورة الفاتحة الآية ٧
(٦) سورة آل عمران من الآية ١١٢
(٧) المائدة من الآية ٦٠
(٨) سورة المائدة من الآية ٧٧
(٩) هميان الزاد جـ١ ص١٥٥-١٥٦

تفسير القرآن بالسنه :

أصح طرق التفسير بعد تفسير القرآن بالقرآن هو تفسيره بالسنه والمؤلف هنا يأخذ بهذا النوع من التفسير ويورده كثيرا فى تفسيره يورد منه ما هو تفسير للآيه وما هو شاهد أو له وجه علاقة بها ، وهو هنا وهناك لا يلتزم الأخذ بالصحيح فيورد فيه الصحيح والضعيف بل الموضوع وكل منها كثير وكثير فى تفسيره .

فمن ذلك تفسيره لقوله تعالى " غير المغضوب عليهم ولا الضالين"(١) قال " أخرج أحمد والترمذى وحسنه(٢) وابن حبان فى صحيحه عن عدى بن حاتم عنه - صلى الله عليه وسلم - أن المغضوب عليهم هم اليهود وأن الضالين هم النصارى ، وأخرج ابن مردويه عن ابى ذر ، سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن المغضوب عليهم قال " اليهود " وعن الضالين قال " النصارى " وكذلك فسر ابن مسعود وابن عباس ومجاهد والسدى وابن زيد و الحسن "(٣).

وفى تفسير قوله تعالى عن حكايه لقول الملائكة " قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك"(٤) قال المؤلف " وروى البخارى ومسلم عن أبى ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أى الكلام أفضل ؟ فقال ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده سبحان الله وبحمده "(٥).

---

(١) سورة الفاتحة : الآية ٧

(٢) قال الترمذى حسن غريب لا نعرفه الا من حديث سماك بن حرب جـ ٥ ص ٢٠٤

(٣) هميان الزاد جـ١ ص ١٥٥

(٤) سورة البقرة من الآية ٣٠

(٥) هميان الزاد جـ١ ص ٤٢٣-٤٢٤ ولم أجده فى البخارى ، ورواه مسلم كتاب الذكر جـ٤ ص ٢٠٩٣

وفى تفسير قوله تعالى " حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى"[1] روى " قال صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم نارا "[2]

وفى قوله تعالى " وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا "[3]. قال " وعن ابى سعيد عنه صلى الله عليه وسلم : يجيء النبى صلى الله عليه وسلم يوم القيامه ومعه الرجل أو النبى ومعه الرجلان وأكثر فيدعى قومه فيقال لهم : هل بلغكم هذا ؟ فيقولون : لا فيقال له : هل بلغت قومك ؟ فيقول نعم فيقال له : من يشهد لك ؟ فيقول محمد وأمته فيدعى محمد وأمته فيقال لهم هل بلغ هذا قومه ؟ فيقولون نعم فيقال وما أعلمكم ؟ فيقولون جاءنا نبينا صلى الله عليه وسلم فأخبرنا ان الرسل قد بلغوا ، فذلك قوله تعالى " وكذلك جعلناكم أمة وسطا .. الآية "[4] [5].

وكما أشرت آنفا فان المؤلف لا يلتزم بالصحيح من الحديث بل يستدل بالموضوع منها من غير بيان لوضعه أو درجته ومن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى " ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين "[6] أورد من الموضوعات الكثير ومنها قوله " وروى سفيان باسناده من حديث قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " لما هبط آدم من الجنه الى الأرض بأرض الهند وعليه ذلك الورق الذى كان لباسه من الجنه الى أرض الهند يبس وتطاير فعبق منه شجر

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٣٨

(٢) تيسير التفسير جـ١ ص ٣٨٠ والحديث رواه مسلم جـ٥ ص ١٢٨ كتاب المساجد

(٣) سورة البقرة من الآية ١٤٣

(٤) تيسير التفسير جـ١ ص ١٩٦-١٩٧

(٥) رواه الامام احمد جـ٣ ص ٥٨

(٦) سورة البقرة من الآية ٣٦

الهند ففاح العود والصندل والمسك والعنبر والكافور قالوا يا رسول الله : المسك هو من الدواب ؟ قال انما هى دابه شبه الغزال رعت من ذلك الشجر فصير الله تعالى المسك من عرقها اذا رعت الربيع جعله مسكا وتساقط فينتفع به الآدميون قالوا يارسول الله : العنبر من دابه فى البحر ؟ قال أجل كانت فى البر ترعى فبعث الله تعالى اليها جبريل فساقها وما معها حتى قذفها فى البحر" (١) (٢)

وذكر أيضا عند تفسيره للآيه السابقة حديثا " عن ابى امامه الباهلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " عليكم بلباس الصوف تجدون به قلة الأكل ، وعليكم بلباس الصوف تعرفون به الآخره ، ان النظر فى الصوف ليورث فى القلب التفكر والتفكر يورث الحكمة والحكمة تجرى فى الجوف مجرى الدم فمن كثر تفكره قل طعامه وكل لسانه ومن قل تفكره كثر طعامه وقسى قلبه والقلب القاسى بعيد من الله -عز وجل- بعيد من الجنه قريب من النار" (٣) (٤).

وقد يذكر المؤلف الحديث الصحيح الذى لا يوافق مذهبه بصيغة التشكيك فى صحته فمن ذلك مثلا قوله عن حديث الرؤيه الثابت " انكم سترون ربكم الحديث . وحديث الرؤيه ان صح فمعناه...." (٥)

الأخذ بالاسرائيليات :

ولا شك ان الموقف الصحيح من الاسرائيليات معروف بين

---

(١) هميان الزاد جـ١ ص ٤٧٦

(٢) الحديث موضوع انظر تنزيه الشريعه المرفوعه عن الاخبار الشنيعه الموضوعه لابى الحسن على بن محمد بن عراق الكنانى جـ١ ص٢٤٦

(٣) هميان الزاد جـ١ ص ٤٧٧

(٤) قلت ما أورده المؤلف من الحديث انما هو الزياده واصل الحديث "عليكم بلباس الصوف تجدوا حلاوة الايمان فى قلوبكم" قال البيهقى عن هذه الزيادة ، " وهذه زياده منكره" وقال ابن الجوزى فى الموضوعات " لا يصح الكديمى يضع ، وشيخه لا يحتج به" وقال بهذا ايضا السيوطى فى اللالى المصنوعه فى الاحاديث الموضوعه جـ٢ ص ٢٦٤

(٥) هميان الزاد جـ٥ ص ١٧٣

فما وافق شريعتنا تجوز روايته للاستشهاد لا للاعتقاد وما خالفها لا تصح روايته وما ليس من هذا ولا من ذاك فلا بأس بحكايته من غير تصديق ولا تكذيب ،بل قال ابن كثير رحمه الله عن هذا النوع " وكثير من ذلك مما لا فائدة فيه ولا حاصل له مما ينتفع به في الدين ولو كانت فائدته تعود على المكلفين في دينهم لبينته هذه الشريعة الكاملة الشاملة "(١) .

والاستشهاد بالاسرائيليات على كل حال مذموم في التفسير للقرآن الكريم خاصة اذا كثر ايراده والاستطراد فيه الى حد رواية الغرائب والعجائب التي تصرف عن التدبر في آيات القرآن الكريم .

والمؤلف أكثر من الأخذ بالإسرائيليات وأورد منها في القصص والاخبار ما يصرف القارئ عن تدبر الآيات ومعانيها واستطرد فيه استطرادا يجعل القارئ ينسى لطول الحديث الآيات المتناولة بالتفسير .

وقد أورد في تفسير قوله تعالى " فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه "(٢) أقوالا في كيفية ازلال الشيطان لعنه الله لآدم وحواء عليهما السلام ومن ذلك " .. وقيل قام عند الباب فناداهما وروى أنه أراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل في فم الحيه فدخلت به وهم لا يشعرون (!!) وقيل تمثل في صورة دابة فدخل ولم يشعروا (!!) وقيل كانت الجن تدخل الجنه وانما منع منها ابليس وحده فأرسل بعض اتباعه منهم فأزلهما فنسب الازلال - اليه لأنه آمر به ومحب له وذكر بعضهم ان الحية كانت صديقة لابليس فلما منعته الخزنه من الدخول أتاها فسألها أن تدخله الجنة في فيها فأدخلته وهم لا يعلمون به (!!) مع أنها مرت عليهم وكان

(١) تفسير بن كثير جـ٣ ص ١٩٢
(٢) سورة البقرة من الآية ٣٦

لها أربع قوائم كقوائم البعير من أحسن الدواب وكانت من خزان الجنة قيل وسم أنيابها من مكث ابليس فى فيها ومسخها الله عز وجل لذلك ورد قوائمها فى بطنها وقيل كانا على باب الجنة وكانا يخرجان منها وكان ابليس عدو الله قريبا من الباب فوسوس لهما وقد دخل مع آدم الجنه لما دخل ورأى ما فيها من النعيم والكرامه .... وقيل ان ابليس - عدو الله - لما سمع بدخول آدم الجنه حسده وقال يا ويلاه أأنا أعبد الله منذكذا وكذا ألف سنه ولم يدخلنى الله الجنه وهذا خلق خلقه الله الآن فادخله الله الجنه ؟ فاحتال فى اخراج آدم عليه السلام فوقف على باب الجنه ثلاثمائه سنه حتى اشتهر بالعباده وعرفوه بها وهو فى كل ذلك ينتظر خروج خارج من الجنه فبينما هو كذلك اذ خرج الطاووس ، وكان من سادات الطيور فلما رآه ابليس قال أيها الخلق الكريم على الله من أنت وما اسمك ؟ فما رأيت من خلق الله تعالى أحسن منك ؟ قال أنا طائر من طيور الجنه اسمى طاووس فقال له ابليس أنا من الملائكه الكروبيين وجعل يبكى "(١) .

وخلاصة بقية القصة التى أوردها المؤلف كاملة أن ابليس حاول اقناع الطاووس بادخاله الجنه فأرشده الطاووس الى من يستطيع ادخاله الجنه وهى الحيه وبعد حوار معها اقتنعت وادخلت ابليس الجنه ثم اتصل ابليس بآدم وحواء فأرشدهما الى شجرة الخلد حيث أكلا منها .

حتى فى تفسيره المختصر " تيسير التفسير " أشار الى هذه الأقوال ثم ذكر المواضع التى أهبطوا اليها فقال " فنزل آدم - بسرنديب من الهند على جبل يسمى نود ، وحواء بجده بضم الجيم

---

(١) هميان الزاد جـ١ ص ٤٦٣ - ٤٦٥

فى مدة أربعين عاما فيما قيل والله قادر على أقل كما ينزل جبريل وغيره فى لحظه وابليس بالأبله من أعمال البصره ، وزوجه بأصبهان أو سجستان أو نصيبين والحيه بأصبهان والطاووس بالشام "(١) . ثم يذكر ترتيب الهبوط " اهبط ابليس ثم الحيه فالطاووس ثم آدم وحواء(١)

وقال فى تفسير قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك الحجر "(٢) الذى فر بثوبك لتتبعه من مغسلك عاريا ليرى بنو اسرائيل أنه مابك أدره ، كانوا يغتسلون عراة وموسى فى خلوه فاتهموه بانتفاخ بيضته وهو(٣) ذراع له أربعة أوجه ، وقيل كرأس الرجل من رخام وقيل خفيف . . . وقيل حجر كان عند آدم وصل مع العصا الى شعيب فأعطاهما موسى . . ويقال حجر مربع يخرج من كل وجه ثلاثه أعين لكل سبط عين وكانت من أمس الجنه طولها عشرة أذرع على طول موسى لها شعبتان تتقدان فى الظلمة نورا حيثما كان وأمامهم فى التيه فلهم عمود من نور ليلا حملها معه آدم من الجنه وتوارثها الأنبياء الى شعيب فأعطاها موسى "(٤).

وذكر فى تفسير قوله تعالى " واذا قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقره(٥) . . . الآيه " قصة قتيل بنى اسرائيل فقال (وقد قتل لهم قتيل لا يدرى قاتله . اسمه عاميل وسألوا موسى أن يدعو الله أن يبينه لهم والقتيل ذو مال قتله بنو عمه وقيل ابنا عمه

---

(١) تيسير التفسير جـ ١ ص ٥٨
(٢) سورة البقرة من الآية ٦٠
(٣) آى الحجر
(٤) تيسير التفسير جـ١ ص ٨٦ - ٨٧
(٥) سورة البقرة من الآيه ٦٧

اثنان ، وقيل أخوه وقيل ابن أخيه ، وهم فقراء ليرثوه ، وحملوه الى باب قريه وألقوه فيه فطلبوا آثاره وادعوا القتل على رجال جاءوا بهم الى موسى عليه السلام وروى أنه قتله قريب له ليتزوج زوجه ، وقيل ليتزوج بنتـه وقد أبى "[1].

واستمر فى سرد هذه القصة وانما أوردت أولها لبيان شدة اهتمامه بكل تفاصيل هذه الاسرائيليات واستقصائه للأقوال فيها .

وفى تفسير قوله تعالى " ان في خلق السموات والأرض"[2] الآيه . ذهب يذكر أنواع السموات فقال " فالأولى من زبد الماء متجمدا والثانية من رخام ابيض والثالثه من حديد والرابعة من نحاس والخامسة من فضة والسادسة من ذهب والسابعة من ياقوت أحمر وقيل الأولى : زبد جامد والثانية من نحاس والثالثة من فضة والرابعة من ذهب والخامسة من ياقوت والسادسه من زمرد والسابعة من نور العرش"[3].

ويلاحظ أنى أوردت أكثر ما أوردت من الامثله من تفسيره تيسير التفسير وفيه الكثير وقصدى من هذا أنه اذا كان هذا ما أورده فى المختصر ففى المطول أكثر منه وأطول - وهذا هو الواقع ، فللاسرائيليات فى التفسيرين مجال رحب .

اهتمامه بالمسائل النحويه واللغويه والبلاغيه :

ومن السمات البارزه أيضا فى هذا التفسير اسهاب صاحبه فى المسائل النحويه خاصة وفى اللغويه والبلاغيه لكنها أقل من الاولى .

---

(١) تيسير التفسير ج ١ ص ٩٨ - ٩٩

(٢) سورة البقره من الآيه ١٦٤

(٣) تيسير التفسير ج ١ ص ٢٢٦

ومن أمثله ذلك ما ذكره فى أعراب غير من قوله تعالى " غير المغضوب عليهم ولا الضالين "(١) فقال " (غير) هو بدل من (الذين) بدل مطابق نظرا الى معنى أن المغضوب عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال ، وذكر ابن هشام ان البدل بالمشتق ضعيف ، لكن لفظه (غير لست مشتقه وتأويلها بالمشتق مثل المخالف والمغاير لا يمنع ابدالها ولا يضعفه فان الاسميه غالبة عليه وتأويلها فرع ويجوز أن تكون نعتا للذين مبينا أن أريد ب (الذين) المؤمنون فقط ، ومقيدا ان أريد به كل من أنعم الله عليه بنعمته ودنيويه أو أخرويه أو بمطلق الايمان وعلى كل من الابدال والنعت بوجهيه يكون المعنى أنهم جمعوا بين النعمه المطلقه وهي نعمة الايمان وبين السلامه من غضب الله والضلال ، وان قلت (الذين) معرفه و (غير) لا يتعرف باضافه فكيف تنعت المعرفه بالنكره ؟ قلت التحقيق أنها تتعرف بالاضافه اذا وقعت بين المتضادين كما هنا وذلك ان كان الضد له ضد واحد كما هنا ، فانه ليس فى المكلفين الا المغضوب عليهم والمنعم عليهم وكما فى قولك الحركه غير السكون وأما الضدان اللذان لهما أجزاء وأكثر فلا تتعرف بالوقوع بينهما نحو البياض غير السواد فان هناك صفره وحمره وغير ذلك ، والتعريف فى ذلك والتعريف فى الآيه للجنس فان المنعم عليه ليس شخصا واحدا وكذا المغضوب غليه كما نصت عليه الآيه بصيغه الجمع وأيضا اذا تقرر أن المراد بالذين الجنس جاز نعته بغير ولو قلنا أن غير أهو نكره لجواز نعت المعرفه بأل الجنسيه والموصول الجنسي بالنكره نحو قوله

* في أنيابها السم ناقع *

---

(١) سورة الفاتحه الآيه ٧

فنعت السم بناقع ومقتضى الظاهر أن يقول سم ناقع أو السم الناقع وبسطت الكلام على هذه في النحو وقد أجازوا في الجمله بعد ذلك أن يكون نعتا حالا " (١)

وفي اعراب " ياأيها الناس" (٢) قال " لم يقع النداء في القرآن بغير يا ، وهي الأصل ، فما حذف منه حرف النداء مثل : " ربنا لاتؤاخذنا " وأية المؤمنون قدر فيه يالذكرها في غيره ولأصالتها " . (٣)

ويناقش أحيانا المفسرين في أعراب الآيات وما يراه فيها فمن ذلك - اعرابه لقوله تعالى " أم تقولون ان ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط كانوا هودا أو نصارى " (٤) فقال " وأم متصله متعلقه بقوله أتحاجوننا ، أو منقطعة للانتقال من التوبيخ على المحاجة الى التوبيخ على الافتراء على الانبياء ووجه الاتصال ذمهم بجمعهم بين المحاجة في الله والقول بأن ابراهيم ومن معه كانوا هودا أو نصارى ، مع كون واحد منهما كافيا في القبح ، وأبو حيان لما رأى أن الغالب في المتصله استدعاء وقوع احدى الجملتين والسؤال عن أحدهما وما هنا ليس كذلك ، اقتصر على المنقطعه وهكذا عادته ، يرى غير الغالب كأنه غير موجود فيقتصر على الغالب" (٥)

وأحيانا يستشهد لصحة الاعراب ببعض القرآءات فمن ذلك أعراب قوله تعالى " كلما أضاء لهم مشوا فيه " (٦) فقال " . . . ومفعول

---

(١) هميان الزاد ج ١ ص ١٥٦ - ١٥٧
(٢) سورة البقره من الآيه ٢١
(٣) تيسير التفسير ص ٣١
(٤) سورة البقرة من الآيه ١٤٠
(٥) تيسير التفسير ج ١ ص ١٩١
(٦) سورة البقرة من الآيه ٢٠

أضاء محذوف أى كلما أضاء لهم مومضا أو شيا شجره (كذا)
أى نوره مشوا فى مطرح نوره فالهاء عائده الى البرق ويجوز
عودها الى الوضع الذى أضاء لهم المحذوف ويجوز كونه لازما
أى كلما ظهر لهم البرق ولمع مشوا فيه ويدل له قراءه ابن أبى عبله
كلما أضاء [1] لهم بترك الهمزه الاولى والهاء للبرق " . [2]

ويعتنى فى تفسيره بالمسائل اللغويه والبلاغيه ويوليها اهتماما
بالغا وبيانا واضحا فقال مثلا فى تفسير قوله تعالى " صم بكم
عمي فهم لا يرجعون " [3] : -" والعمى عدم البصر مما فى شأنه
أن يبصر فلا يقال لغير الحيوانات أعمى ولا لمالا عين له منها فمن
خلق بلا عينين لا يقال له أعمى لأنه ليس من شأنه أن ينظر بلا عين
وكذا من خلق بعين واحده لا يقال لموضع عينه الاخرى أعمى ،
ويطلق العمى أيضا على عدم نور القلب فمن لا نور فى قلبه يميز به
الحق فلا فائده فى نظر عينيه لما لم يستعملوا آذانهم وألسنتهم
وعيونهم فيما خلقت له من الهدى سموا بأسماء من لا سمع ولا نطق
ولا بصر لهم اذ لم ينتفعوا بها ، فكانت كالعدم فهم كمن ايفت
حاسته - بكسر الهمزه واسكان الياء كبيعت أى أصيبت بآفه -
قال الشاعر :

مابال قوم صديق ثم ليس لهم * * عهد وليس لهم دين اذا أتمنوا
صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به * * وان ذكرت بسوء عند هم أذنوا

---

(١) كذا كتبت ولعله أراد " ضاء " بحذف الهمزه الأولى .
(٢) هميان الزاد جـ ١ ص ٣١٦
(٣) سورة البقره الآيه ١٨

أى اذا سمعوا خيرا ذكرت به صاروا كمن لا يسمع فلا ينطقون به ولا ينشرونه وان ذكرت بسوء كانت لهم آذان السمع فيعونه وينشرونه أو من أذنت للشيء اذا أصغيت اليه . وقال آخر :

* أصم عما ساءه سميع **

وقال آخر :

أصم عن الشيء الذى لا أريده * * واسمع خلق الله حين أريد

وعدى أصم بعن لتضمين معنى التغافل وقال آخر :-

وأصممت عمرا وأعميته * * عن الجود والفخر يوم الفخار

وكل من لفظ أصم وأبكم وأعمى صفه مشبهه لا اسم تفضيل ، والآيه من باب الاستعاره التصريحيه باعتبار كل واحد من لفظ صم ولفظ بكم ولفظ عمي فتلك ثلاث استعارات ، أو ذلك كله استعاره تمثيليه ، وانما قلت بأن ذلك من الاستعاره مع كون المشبه والمشبه به كليهما مجتمعين في الكلام من حيث أن المشبه به خبر للمشبه المحذوف المقدر المجعول من أجزاء الكلام فكأنه مذكور ، أى هم صم بكم عمى ، أو هؤلاء صم بكم عمي لأنه لا فرق عندى فى الاستعارة بين عدم كون المشبه من أجزاء الكلام وكونه من أجزائه مذكورا أو مقدرا ، اذا لم يقصد المتكلم التشبيه بل قصد أن المشبه هو نفس المشبه به مبالغة "[1] ثم ذهب يوجه هذا القول فى شيء من الاستطراد لا حاجة لنقله هنا .

وهو لا يسلم دائما بما يقوله علماء اللغه بل يناقشهم ويرد عليهم فمن ذلك ما جاء فى تفسيره لقوله تعالى "

" ان الله لا يستحى أن يضرب مثلا ما بعوضه فما فوقها "[2] فقال :-

---

(١) هميان الزاد جـ ١ ص ٢٩٧ - ٢٩٨
(٢) سورة البقره : من الآيه ٢٦

" والبعوضه واحد البعوض وهو البق الصغار فيما ذكره الجوهري وليس كذلك بل هو الحيوان الذى يطير وينتشر فى الأجنة صيفا سمي من البعض بمعنى القطع يقال بعضه وبضعه وعضبه أى قطعه قال الشاعر :-

لنعم البيت بيت بنى دثار * * اذا ما خاف بعض القوم بعضا

أى قطعا " (٢)

وأحيانا يستشهد من اللغه لاسلوب القرآن ففى الآيه السابقه مثلا يقول " ومما قيل فى الاستخفاف بالبعوض قوله

اذا كان شيء لا يساوى جميعه * * جناح بعوض عند من كنت عبده

وأشغل جزء منه كلك ما الذى * * يكون على ذا الحال قدرك عنده

يعنى الدنيا وقوله

لا تستخفن الفتى بعداوة * * ابداً وان كان العدو ضئيلا

ان القذى يؤذى العيون قليله * * ولربما جرح البعوض الفيلا

وقوله :

لا تحقرن صغيرا فى عداوته * * ان البعوضه تدمى مقلة الاسد " (٢)

وهو لا يتعصب لرأيه فى اللغه فيستدل للرأى الآخر كما يستدل لرأيه ففى تفسير الفوقيه في قوله تعالى " فما فوقها " من الآيه السابقه يرى أن المراد بها " مازاد على بعوضه فى صغر الجثه كجناحها كما ضرب به المثل فى الحديث وهكذا كنت أفسر الفوقيه بالغلبه فى الصغر والزياده فيه ورأيت بعد ذلك زكريا قال : انه مذهب المحققين

---

(١) هميان الزاد ج ١ ص ٣٨٤

(٢) المرجع السابق ج ١ ص ٣٨٤ - ٣٨٥

لمطابقته البلاغه ، ولما سيق له الكلام " الى أن قال " وقيل : معنى ما فوقها وما زاد عليها فى الكبر كالذباب والعنكبوت أى لا يستحى أن يضرب مثلا بالبعوضه فضلا عما فوقها ويحتمل الوجهين ما روى مسلم عن ابراهيم عن الأسود أنه دخل شباب من قريش على عائشه وهى بمنى وهم يضحكون فقالت : ما يضحككم ؟ فقالوا فلان خرّ على طنب فسطاط فكادت عنقه أو عينه تذهب فقالت :-
لا تضحكوا انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " ما من مسلم يشاك شوكه فما فوقها الا كتبت له بها درجه ومحيت عنه بها خطيئة " (١) فانه يحتمل أن يكون المراد ما جاوز الشوكه فى القله كنخبه النمل أى عضتها فى قوله صلى الله عليه وسلم " ما أصاب المؤمن من مكروه فهو كفاره لخطاياه حتى نخبة النمله " ويحتمل ما هو أشد من الشوكه وأوجع كالخرور على طنب الفسطاط " (٢)

وقارى هذا التفسير يعجب لسعة معارف المؤلف اللغويه خاصة اذا عرف أن لغته الاصليه هى البربرية فقد قال فى أحد المواضع " وذلك متبين فى لغتنا البربريه " (٣) وقال فى موضع آخر " أنا نقول فى لغتنا البربريه . . " (٤)

اهتمامه بالقراءات وتوجيه بعضها :

اعتنى المفسر فى تفسريه ببيان أوجه القرآءات فيما يتناوله من الآى مما يدل على سعة اطلاعه فى هذا المجال وهو حينما يتناول

---

(١) رواه مسلم كتاب البر والصله جـ ٤ ص ١٩٩١
(٢) هميان الزاد جـ ١ ص ٣٨٦
(٣) المرجع السابق جـ ١ ص ٤٥٤
(٤) المرجع السابق جـ ١ ص ٤٣٦

هذا لا يقف موقفا سلبيا بل تراه يوجه بعض القراءات ويستدل لها ويبين معنى الآية على تلك القراءه ،قال فى تفسير قوله تعالى" ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم "[١] :- " وقرأ ابن أبى عبله : لأذهب بأسماعهم وأبصارهم فالباء فيها صلة للتأكيد ومدخولها مفعول به والتعديه بالهمزة لا بها بخلافها فى قراءة الجمهور ، فانها للتعديه لعدم الهمزة فيها وانما جعلت حرف التعديه فى قراءة ابن أبى عبله هو الهمزة والصلة هى الباء لأن الأصل فى التعديية الهمزة لا الباء ولأنها الكثير فى التعديه والباء فيها قليلة بالشبه"[٢]

وقال فى تفسير قوله تعالى " ولهم فيها أزواج مطهره "[٣] :- " وقرأ عبيد بن عمير : مطهره بتشديد الطاء وكسر الهاء مشدده والأصل متطهره أبدلت التاء طاء فأدغمت فى الطاء بعدها قال بعض العرب ما أحوجنى الى بيت الله فأطهر به تطهرة وفى هذا الكلام دليل على جواز لحوق التاء للمصدر الذى على وزن التفعل ولو كان صحيح اللام اذا أريدت الوحده مثل تعلم تعلمة ، وان قلت لم لم يقل طاهره أو متطهره ؟ قلت لأن مطهرة أبلغ لأن معناه أن غيرهن قد طهرهن ، وما هو الا الله - عز وجل - وأما طاهره ومتطهره فمعناها طاهرات لا ان مطهرا طهرهن ، ومتطهره أبلغ من طاهره لان - التفعل للكسب والعلاج فكأنهن قصدن الطهاره وبالغن فيها ،وكذا قرأ به عبيد لكن أدغم[٤]

---

(١) سورة البقرة من الآية ٢٠
(٢) هميان الزاد جـ١ ص ٣٢٢ - ٣٢٣
(٣) سورة البقرة من الآية ٢٥
(٤) هميان الزاد جـ١ ص ٣٧٧ - ٣٧٨

ويستدل أحيانا لبعض الأقوال فى التفسير ببعض القراءات فمن ذلك ما جاء فى تفسيره لقوله تعالى " اهبطوا مصرا "[١] :-

" والمراد مصرا من الأمصار ، أو القاهره أو أعمالها ، وعلى الاخيرين نون مع أنه علم القاهرة أو أعمالها لأنه ثلاثى ساكن الوسط كهند ، أو بتأويل البلد أو المحل ، ويدل لهما قراءة عدم التنوين "[٢].

وقال فى عند قوله تعالى " فتلقى آدم من ربه كلمات "[٣] :-

" وقرأ ابن كثير بنصب آدم ، ورفع كلمات ، لأن المتلاقيين كل منهما لقى الآخر فالكلمات جئن الى آدم واستقبلنه حتى وصلنه تقول تلقيت المسافر وتلقانى . والتلقى استقبال من جاء من بعد واستعماله فى آدم على قراءة الجمهور وفى الكلمات على قراءة ابن كثير مجاز ، وما ذكرته أولى من حمل قراءة ابن كثير على القلب"[٤].

وفى قوله تعالى " التى وقودها "[٥] قال " أى ما توقد به وأما الوقود - بضم الواو - فمصدر - بمعنى اشتعال النار ، وقرأ به عيسى بن عمر الهمدانى . اما على المصدريه مبالغه بحيث نزل قوة الاشتعال منزله الناس والحجارة ، كأن نفس الناس والحجارة هى الاشتعال ، كقولك زيد صوم اذا أكثر الصوم وقولهم حياة السراج الزيت أى ما يحيا الا به ، فكأنه نفس الزيت ، وما تتقد النار الا بالناس والحجارة فكأن الاتقاد نفس الناس والحجارة . واما على المصدرية وتقدير مضاف اى متعلق وقودها الناس والحجاره ، أو محل وقودها

---

(١) سورة البقرة من الآية ٦١

(٢) تيسير التفسير جـ١ ص ٨٩ - ٩٠

(٣) سورة البقرة من الآية ٣٧

(٤) هميان الزاد جـ١ ص ٤٨٥

(٥) سورة البقرة من الآية ٢٤

الناس والحجاره ،أو وقودها احتراق الناس والحجارة ، أو اشتعال الناس والحجارة بها ،- اما على التسميه بالمصدر بدون أن تعتبر المبالغة ولا تقدير مضاف كقولك : زيد فخر قومه وزين بلده أى ، والذى يفتخر قومه به ويزين بلده به وقيل : كل من الوقود بالفتح ، والوقود بالضم يكون اسما لما تتقد به ومصدرا بمعنى الاتقاد قال سيبويه سمعنا من يقول وقدت النار وقود عاليا ،والاسم بالضم" [(١)].

ولا أدل من اهتمام المؤلف بالقراءات وتوجيهها من أنه يعقد أحيانا فصولا استطراديه فمن ذلك مثلا الفصول التى عقدها فى احكام الياء عند القراء ، فصل كل ياء بعدها همزة مفتوحه ، فصل كل ياء بعدها همزة مكسوره ، فصل كل ياء بعدها همزة مضمومة ، فصل كل ياء بعدها ألف ولام ، فصل كل ياء بعدها ألف مفرده، فصل أحكام الياء عند باقى حروف المعجم. [(٢)]

عنايته بالأحكام الفقهية :

قلت فى الحديث عن آراء الاباضيه الفقهيه أنه ليس بينهم وبين أهل السنه فارق يذكر فهم يوافقونهم فى الأصول . أما فى الفروع فخلافهم كالخلاف بين المذاهب الأربعة وقد يتجاوزونه فينفردون ، برأى دون المذاهب الأربعة .

وصاحب التفسيرين سار فى تفسيره لآيات الأحكام وفق مذهبه الأباضى ولا يمنعه هذا من أن يورد آراء المذاهب الفقهية الأخرى.

---

(١) هميان الزاد جـ١ ص ٣٥٦ - ٣٥٧

(٢) انظر الصفحات من ٥٠١ الى ٥٠٥ هميان الزاد جـ ١

قال فى تفسير قوله تعالى " هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا "[١] :-

" استدل المعتزله والفخر بالآيه على أن الأشياء قبل ورود الشرع على الحل ان كانت نافعه ، وعليه كثير من الشافعيه والحنفية ولا تحتمل الآيه أن اللام للضرر ،مثل " وان أسأتم فلها " ولا دليل على أن المراد بالآيه الاباحه على شرط نزول الوحى بها ، وقيل أنها قبل الشرع على الحظر ،وقيل بالوقف ، والأول أولى "[٢] .

وأفاض فى تفسير قوله تعالى " وأتموا الحج والعمره لله فان أحصرتم فما استيسر من الهدى "[٣] الآيه ، فمما قال" وأئتوا بهما تامين بشروطهما وأركانهما ولا تكدروهما بشئ ،والأمر فيهما واجبان ذاتا وتماما "[٤] .

ثم رد على من قال أن العمره ليست واجبه ،أما الاحصار فى قوله تعالى ،فان أحصرتم " فقال " أى منعتم عن الاتمام بعدو أو مرض أو غيرهما كضياع نفقه ،" ثم قال " هذا مذهبنا ومذهب أبى حنيفه ويدل له قوله صلى الله عليه وسلم لا احصار الا من مرض أو عدو أو أمر حابس وهو عموم . قال عروه كل شئ حبس المحرم فهو احصار وروى عن بعض الصحابه من أحرم بحج أو عمره ثم حبس عن البيت بمرض بجهده أو عدو يحبسه فعليه ذبح ما استيسر من الهدى ، وأهل عمر بن سعيد بعمره فلسع فقال ابن مسعود ابعثوا بالهدى واجعلوا بينكم وبينه يوم أماره فاذا كان ذلك فليحل وخص مالك والشافعى الحكم بحصر العدو لقوله" فاذا أمنتم" وقول

---

(١) سورة البقرة من الآية : ٢٩
(٢) تيسير التفسير جـ١ ص ٤٦
(٣) سورة البقرة من الآيه ١٩٦
(٤) تيسير التفسير جـ١ ص ٢٨٧

ابن عباس لا حصر الا حصر العدو ويعترض بالحديث المرفوع قبل هذا ، وليس ضعيفا ، قيل لأنه روى من طرق مختلفه ، وأن شرط الحاج محلي حيث حبست فلا هدى عليه ان حبس بعدو أو غيره لقوله صلى الله عليه وسلم لضباعه بين الزبير بن عبد المطلب حجى واشترطى وقولى محلى حيث حبستنى يا الله [(١)] والأصل أنه لا يختص هذا بها بل هو لها ولغيرها عند أحمد ، وأحد قولى الشافعى والحديث حجه لنا ولأبى حنيفه أن غير العدو كالعدو فى الآية والعمرة كالحج " [(٢)]

ويرى أن المرض الذى يبيح الفطر فى رمضان لقوله تعالى" فمن كان منكم مريضا " [(٣)] الآيه : " مرضا يشق معه الصوم بعض مشقه أو يضره أو يتأخر معه برؤه أو يزيد به المرض وذلك بالتجربة أو باخبار الطبيب المسلم الحاذق لقوله تعالى " يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر " [(٤)] فاذا كان الصوم يعسر مع مرض حل الافطار، لا كما قيل عن ابن سيرين انه أفطر لوجع أصبعه ولا كمال قال الشافعى لا يفطر حتى يجهده الجهد الذى لا يحتمل وروى عن مالك أنه يفطر صاحب الرمد الشديد أو الصداع المضر وليس به مرض يضجعه ان شاء ، واحتج من أباح الافطار بالمرض ولو لم يعسر ولم تكن فيه مشقه باطلاق الآيه " وهو رواية عن الشافعى وهو قول ابن سيرين والحسن البصرى ، وبأن السفر قد يخلوا من مشقه وحل الافطار فيه ولو بلا مشقه لأنه سبب لهما ، ويجاب بأن الرخصه

---

(١) البخارى : النكاح جـ٦ ص ١٢٣ مسلم : الحج جـ٢ ص ٨٦٨ وكلاهما بلفظ : اللهم محلى حيث حبستنى .
(٢) تيسير التفسير جـ١ ص ٢٨٩ - ٢٩٠
(٣) سورة البقرة من الآيه ١٨٤
(٤) سورة البقرة من الآيه ١٨٥

لم تتعلق بنفس المرض لتنوعه الى ما يزاد بالصوم ،والى ما يخفف به ، ولا يكون مرخصا ألبته ، فجعل ما يزاد به مرخصا بخلاف السفر ، لأنه لا يعرى عن المشقه فجعل نفسه عذرا "(١).

أما القدر المباح عند الضرورة من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فى قوله تعالى " فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه "(٢) " فى الأكل من ذلك بقدر ما يوصله أو يحيا به ولا يأخذ معه من ذلك ،والمذهب تحريم الزياده على ما يمسك الرمق وكذا روى عن ابى حنيفه والشافعى وقال عبدالله بن الحسن البصرى يأكل قدر ما يدفع الجوع وقال مالك يأكل حتى يشبع ويتزود فاذا وجد الحلال طرحه "(٣).

وغالب آراء المؤلف الفقهيه بل المذهب الأباضى موافق لمذهب أبى حنيفه رحمه الله تعالى لذا كثيرا ما نرى المؤلف يقول ومذهبنا ومذهب ابى حنيفه بل قال فى أحد المواضع عن ابى حنيفه رحمه الله تعالى " وهو كثير الوفاق بينه وبيننا معاشر الاباضيه الوهبيه فى المسائل "(٤).

وقد يختلفون برأى عن الحنفيه بل عن المذاهب الأربعة كلها فشذوا مثلا بالقول بفطر من أصبح جنبا حيث قال المؤلف فى تفسير قوله تعالى " وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الأسود من الفجر"(٥) " حتى غاية للأكل والشرب لا لهما وللجماع

---

(١) تيسير التفسير جـ١ ص ٢٦٢
(٢) سورة البقرة من الآيه ١٧٣
(٣) تيسير التفسير جـ١ ص ٢٤٣
(٤) المرجع السابق جـ١ ص ٣٥٧
(٥) سورة البقرة من الآية ١٨٧

لقوله صلى الله عليه وسلم من أصبح جنبا أصبح مفطرا ، فيجب الكف عنه اذا لم يبق ما يتطهر فيه "[١] فهو اذا يرى أن تبين الخيط الأبيض من الخيط الاسود من الفجر انما هو غايه للأكل والشرب فقط . أما الجماع فغايته قبل هذا التبين بوقت كاف للغسل وهو خلاف مذهب الأئمة الأربعة وجمهور العلماء سلفا وخلفا "[٢] .

والمؤلف لا يلتزم كثيرا المذهب الأباضي في الفقه بل يخالف أحيانا بعض أصحابه ،فهو يرى فيمن أفطر شهر رمضان كله لعذر أنه يفضى عدد أيام شهر رمضان الذى أفطره " ان كان تسعة وعشرين قضى تسعة وعشرين فقط . ولو بدأ القضاء من أول شهر وكان فيه ثلاثون فلا تهم فانما عليه قضاء شهر رمضان الذى خوطب به فاذا كان من تسعة وعشرين لم يزدد والآيه حجة لى وذكر بعض أصحابنا وشهروه وبعض قومنا أنه ان بدأ من أول الشهر أتمه زاد على رمضان أو نقص وبعض ان نقص أتمه "[٣] .

وكذا فى افطار المريض أيلزمه تبييت النيه للافطار أم لا ؟ فقال : " أما المريض فيبيت الافطار من الليل وان أفطر بلا تبييت وخاف على نفسه أو عضوه أفطر بقدر ما يصل به الليل ، وقيل أو بما يشاء فيبيت نية الافطار فى الليل المستقبل ، وزعم بعض قومنا أن يفطر المريض بلا تبييت افطار بخلاف المسافر لقوله تعالى" أو على سفر وليس بشىء لقوله تعالى " لا تبطلوا أعمالكم " فليتم المريض يومه ان قدر على اتمامه كالمسافر "[٤] .

---

(١) تيسير التفسير جـ١ ص ٢٧٣
(٢) انظر تفسير بن كثير جـ١ ص ٢٣٠
(٣) تيسير التفسير جـ١ ص ٢٦٣
(٤) تيسير التفسير جـ١ ص ٢٦٣

وأحيانا يصرح بخلافه للمذهب فمن ذلك قوله " والمذهب أن شرع من قبلنا ليس شرعا لنا ، والذى عندى أنه شرع لنا وأنه يقدم على الاجتهاد مالم ينافه القرآن أو الحديث أو الاجماع بدليل راجح ولا خلاف فى أنه ليس شرعا لنا اذا صرح فى ذلك بخلافه ولا يصح أن شيئا شرع لمن قبلنا الا أن ذكر عنهم فى القرآن أو الحديث أو الاجماع أو رواه ثقه أسلم منهم كعبد الله بن سلام "[(١)] .

التزام المذهب الأباضى فى العقيدة :

التزم المفسر فى تفسيرين المذهب الأباضى فى العقيدة وهو كغيره من المفسرين أصحاب المذاهب الأخرى لا يكاد يجد آيه يوافق ظاهرها مذهبه الا جعلها دليلا عليه ولا آيه تخالف مذهبه الا أولها بما لايكون بينها وبين مذهبه خلاف أو معارضة ، ونحن حين نسوق تأويله لبعض الآيات من هذا وذاك نعنى بالعرض اكثر من سواه - كما هو مسلكنا فى غيره من المذاهب - فنقول :

الأسماء والصفات :

يرى المؤلف " أن أسماء الله توقيفيه ، وقيل تقاس فيما ورد فيه لفظ الفعل أو غيره مسندا فنقول الله تائب على عباده لورود تاب عليه وتاب عليهم ، وبانى السماء وداحى الأرض "[(٢)]

وينكر الجهة لله تعالى فيقول " والله ينزه عن الجهات والامكنة والتنقل "[(٣)]

أما الغضب فى قوله تعالى " غير المغضوب عليهم "[(٤)] فقال

---

(١) المرجع السابق جـ ١ ص ٣٢٧
(٢) تيسير التفسير جـ ١ ص ٦٠
(٣) المرجع السابق ص ٦٠
(٤) سورة الفاتحة من الآية ٧

عنه " والغضب هيجان النفس اراده الانتقام ،وعبارة بعضهم تغير يحصل عند غليان دم القلب لارادة الانتقام وقيل هيجان دم القلب لارادة الانتقام وذلك كله فى حق المخلوق ،واذا كان مسندا الى الله تعالى كما هو المراد فى الآية فالمقصود لازم ذلك ومسببه وهما الانتقام وان شئت فقل العقاب "[1].

أما الاستواء فى قوله تعالى " ثم استوى الى السماء "[2] فقال " ومعنى استوائه تعالى الى السماء قصده اليها وتوجيه الارادة ، اليها بأن يخلقها يقال استوى زيد الى كذا كالسهم المرسل اذا قصده من غير ان يميل الى غيره فكذا خلق مافى الارض وخلق بعده السموات بلا خلق شئ بين خلقهن وخلق ما فى الأرض ووزن استوى : افتعل بمعنى تكلف السواء وهو أصل معناه واطلق فى اللغه على الاعتدال : تسوية وضع الأجزاء ، تقول استوى زيد على الارض أى جلس عليها جلوسا مستويه اليه أعضاؤه التى جلس بها معتدلا ولا يصح حمل الآية على ذلك لأنه من خواص الجسم والله - جل وعلا - ليس جسما ولا عرضا - لو كانت الآية على هذا المعنى لقال : ثم استوى فى السماء أو على السماء لا استوى الى السماء لكن الله - جل وعلا - لا يوصف بهذا المعنى ولو قال فى السماء أو على السماء لكان ماولا[3] بالقهر والغلبه ويجوز تأويل الآية بهما ، لكن تأويلها بالقصد والارادة أولى لأنه أقرب الى أصل الاستواء وهو تكلف السواء ولتعديته بالى وللتسويه المرتبة عليه بالفاء ،وعن ابن عباس استوى الى السماء ارتفع اليها وفى رواية صعد والمراد :

---

(١) هميان الزاد جـ١ ص ١٥٨

(٢) سورة البقرة من الآية ٢٩

(٣) كذا وردت ولعلها مؤوّلاً

ارتفاع أمره أو صعد أمره أو ارتفع اليها وصعد بقصد وارادة قال الطبرى : علا أمره وقدرته وسلطاته ، وقال ابن كيسان قصد الى السماء أى بخلقه واختراعه وذلك لأنه تعالى منزه عن الانتقال والحلول والمراد بالسماء الجهة العليا التى فيها السموات لأنه ليس فيها حين الاستواء اليها سماء ولا سموات "[١] .

وفى تفسير قوله تعالى " ثم استوى على العرش "[٢] قال " واستوى بمعنى استولى بالملك والغلبه والقوه والتصرف فيه كيف شاء والعرش جسم عظيم وذلك مذهبنا ومذهب المعتزلة وابى المعالى وغيره من حذاق المتكلمين وخص العرش بذكر الاستيلاء لعظمه ويصح أن يكون المعنى استوى أمره ولم يكن فيه عوج فكنى عن ذلك باستوى على العرش "[٣] .

أما يمين الرحمن فأولها بقوله " ويمين الرحمن عبارة عن المنزلة الرفيعه والعرب تذكر يمين فى الأمر الحسن ودل لذلك قوله " كلتا يديه يمين "[٤] ـ التأويل فى مثل ذلك هو الحق وأما قول سلف الأشعريه فى مثل ذلك أنا نؤمن به وننزهه عن صفة الخلق ونكل معناه الى الله ونقول هو على معنى يليق وكذا طوايف من المتكلمين فجمود وتعام عن الحق "[٥] .

---

(١) هميان الزاد جـ١ ص ٤٠٦
(٢) سورة الاعراف من الآيه ٥٤
(٣) هميان الزاد جـ٦ ص ٣٦١
(٤) من حديث " ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم وأهلهم وما ولوا . رواه مسلم : الاماره جـ٣ ص ١٤٥٨ واحمد جـ٢ ص ١٦٠ والنسائى : آداب القضاة جـ٨ ص ٢٢١
(٥) هميان الزاد جـ٥ ص ٣٣٩

انكار الرؤيـــــه :

وهو ينكر امكان رؤية الله تعالى فى الدنيا والآخرة ،بل يكفـر من قال بها أو أجازها . فقد طلب قوم موسى عليه السلام لرؤيـة الله " ارتداد منهم ".[(١)] وقد ذكر فى هذا الموضع عددا مـــن الروايات عن طلب قوم موسى رؤية الله ثم ذكر رواية أن موسى عليه السلام سأل ربه أن ينظر اليه بالمجاهره ثم عقب على هذه الرواية بقوله " وهذه الروايه تقتضى أن موسى يجيز الرؤيه حتى سألهــــا ومنعها وليست كذلك بل ان صح سياق هذه الروايه فقد سألـــوه الرؤيه قبل ذلك فنهاهم عن ذلك وحرمه أو سكت انتظارا للوحـــى فى ذلك فلما فرغ وخرج عاودوه ذكر ذلك فقال لهم قد سألتـــه على لسانكم كما تحبون لأخبركم بالجواب الذى يقمعكم لا لجــــواز الرؤيه فتجلى للجبل بعض آياته فصار دكا فكفروا بطلب الرؤيـــه لاستلزامها اللون والتركيب والتحيز والحدود والحلول والعجز عن الاستقلال وعما بعد عن المحل كل العجز أو بعضه والجهل بـه كل الجهل أو بعضه وذلك كله يستلزم الحديث وذلك كله محال ، عن الله واذا كان ذلك مستلزما عقلا لم يختلف دنيا وآخـــــرى فالرؤيه محال دنيا وأخرى ، ولا بالايمان والكفر والنبوه وعدمها)[(٢)]

والمؤلف ينكر على من علل أخذ الصاعقه لهم بسبب اشتراطهـم الرؤيه للايمان " واذْ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى اللـــه جهره "[(٣)] وليست الصاعقه لمجرد طلبهم الرؤيه ،ينكر المؤلف هــــذا

---

(١) تيسير التفسير جـ١ ص ٧٩

(٢) هميان الزاد جـ٢ ص ٤٢ - ٤٣

(٣) سورة البقرة من الآية ٥٥

القول ،حيث يقول " فأخذتهم الصاعقة بظلمهم اذ سألوا رؤية الله جل وعلا الموجبه لتشبيهه بالخلق والصاعقه نار لطيفه من السماء وقالت الاشعريه الصاعقه انما هى من أجل امتناعهم من الايمان بما وجب ايمانه [1] الا بشرط الرؤيه لا من أجل طلب الرؤيه وهو خلاف ظاهر الآيه مع أن الرؤيه توجب التحيز والجهات والتركيب والحلول واللون وغير ذلك من صفات الخلق ويدل لما قلته قوله تعالى " لا تدركه الابصار وهو يدرك الأبصار " [2] والأشعريه لما افحموا قالوا بلا كيف وحديث الرؤيه ان صح فمعناه يزدادون يقينا بحضور ما وعد الله فى الآخرة فلا تشكون فى وجود الله وكمال صدقه وقدرته كما لا تشكون فى البدر " [3].

وقال فى قوله تعالى " واذا قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهره فأخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون [4] الآيه " والآيه دليل على كفر مجيز الرؤيه دنيا أوأخرى وذلك لأن اجازتها ولو فى القلب اجازه لتكييفه ، وتكييفه ممتنع لأن فيه تشبيها ،وادراكه بالقلب تكييف لا يتصور بدونه فلا يصح قولهم بلا كيف وتكييفه فى القلب بلا تقدير ان يكيفه لغيره هو من نفس المحذور ، فبطل قول طوائف من المبتدعة أن الصاعقة ليست لمجرد الطلب بل لعنادهم واشتراطهم واذا كان المنع للتشبيه لم يضرنا أنها نزلت لطالبها فى الدنيا" [5]

---

(١) صحة العبارة بما وجب الايمان به .
(٢) سورة الانعام : من الآية ١٠٣
(٣) هميان الزاد جـ٥ ص ١٧٢-١٧٣
(٤) سورة البقرة : من الآية ٥٥
(٥) تيسير التفسير جـ١ ص ٨١

القول بخلق القرآن :

جرى المؤلف في تفسيرين على مذهبه المذهب الأباضي في القول بأن كلام الله مخلوق فقال في تفسير قوله تعالى " واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة الآيه "[1]" والقائلون هم السبعون الذين اختارهم موسى من قومه الذين لم يعبدوا العجل لميقات وقت لهم من خيارهم أمره الله أن يأتي بهم الى طور سيناء ليعتذروا ويطلبوا العفو عن عباد العجل فأتى بهم وأمرهم أن يتطهروا ويطهروا ثيابهم ويصوموا وقالوا له ادع الله أن يسمعنا كلامه فأسمعهم " الى أن قال " سمعوا كلام الله بأن خلق صوتا في أبدانهم أو في الهواء أو حيث شاء وفي أبدانهم واسماعهم "[2].

بل قال ما هو أصرح من هذا في تفسير قوله تعالى" مانسخ من آيه أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها "[3]، حيث قال : " والنسخ دليل على أن القرآن حادث مخلوق ، ولا نثبت الكلام النفسي فضلا عن أن يقال التعبير من عوارض ما يتعلق به الكلام النفسي ، وهي الافعال ، في الأمر والنهي ، والنسب الخبريه في الخبر ، وفي اثبات الكلام النفسي اثبات كون الله ظرفا ومتحيزا وان رجع ذلك الى العلم لزم أن كل ما علمه قديم ، والقرآن هو هذه الألفاظ لا غيرها "[4].

---

(١) سورة البقرة من الآيه ٥٥

(٢) تيسير التفسير جـ١ ص ٨٠

(٣) سورة البقرة من الآيه ١٠٦

(٤) تيسير التفسير جـ١ ص ١٥١

حقيقة الايمان :

أفاض الشيخ اطفيش الحديث فى تفسير قوله تعالى فى وصف المتقين بـ " يؤمنون بالغيب "[1] أفاض فى الحديث عن الايمان فكتب فيه من ص ١٩٣ الى ص ٢١٠ اى ما يقرب من ثمان عشرة صفحة ليس بوسعنا هنا نقلها بل أذكر ما يعطى صورة واضحة عن عقيدة المؤلف عن المذهب الأباضى .

بعد أن عرف الايمان لغة قال " والايمان فى الشرع يطلق تارة على التصديق بما علم بالضروره أنه من دين سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - كنفى الشركه عن الله سبحانه وتعالى واثبات النبوه والرساله والبعث والجزاء ، ومعنى كون ذلك معلوما بالضرورة أنه مشهور ، حتى كأنه أمر ضرورى لا يحتاج الى كسب ، ثم ما لوحظ اجمالا كالملائكة والكتب والرسل ، كنفى[2] الايمان به اجمالا وما لوحظ تفصيلا كجبريل وموسى والانجيل اشترط الايمان به تفصيلا حتى ان من لم يصدق بمعين من ذلك فهو مشرك ، كذا ذكر بعض ، الشافعيه وهو حق كما نقول معشر الأباضيه الوهبيه ، الا أن ، جمهورنا يوجب معرفة جبريل وآدم ، ولا يمهل المكلف الى ورود - معرفتهما عليه ، كما لا نمهله نحن ولا قومنا فى معرفة النبى محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ، ولا يشرك الانسان بانكار نبى لم يتواتر .

---

(١) سورة البقرة من الآية ٣

(٢) هكذا وردت ، وصحة العباره (اشترط الايمان به اجمالا) وبه يستقيم المعنى .

وتارة يطلق على مجموع الاعتقاد والاقرار أو العمل[1] بمقتضى ذلك ، فمن أخل بالاعتقاد وحده أو به وبالعمل فهو مشرك من حيث الانكار منافق أيضا ،من حيث أنه أظهر ما ليس في قلبه ومن أخذ[2] بالاقرار وحده أو بالاقرار والعمل فهو مشرك عند جمهورنا وجمهور قومنا ،وقال القليل أنه اذا أخل بالاقرار وحده مسلم عند الله من أهل الجنة وان أخل به وبالعمل ففاسق كافر نعمه ، ونريد باسم آخر له وهو لفظ منافق وان أخل بالعمل فقط فمنافق عندنا فاسق ضال كافر كفرا دون شرك ،غير مؤمن الايمان التام ، وقالت المعتزلة خارج عن الايمان غير داخل في اسم الكفر سواء كفر الشرك ومادونه ،وروى الايمان اقرار باللسان وعمل بالاركان واعتقاد بالجنان ،وقيل هو من كلام بعض السلف واختلفوا - الخوارج - وهم الذين خرجوا عن ضلاله على[3] ، فقالت الاباضيه الوهبيه وسائر الاباضيه فيمن أخل بواحد من الثلاثة ما تقدم : من اشراكه بترك الاعتقاد أو بترك الاقرار ،وينافق بترك العمل ،ويثبتون الصغيره وقال الباقون كذلك وأنه لا صغيرة ، ومذهب المحدثين أن انضمام العمل والاقرار الى الاعتقاد على التكميل لا على أنه ركن ، ونحن نقول : - انضمامها اليه ركن وهما جزء ما هيته ،وقيل شرط خارج عن الماهيه لا ينتفع به بدونهما ،وأن ماهيته هى التصديق بالقلب فقط وأما الاقرار فلاشهار دين الله - تبارك وتعالى - وتعظيمه والدعاء اليه ،ونفى أحكام المشركين عن نفسه ،وأما العمل فلوجوب الصدق ،فمن لم يعمل فقد كذب اعتقاده واقراره ان أقر وخرج عن

---

(١) هكذا وجدتها بالطبعتين وصحة العبارة لها والاقرار والعمل) بدون أو ،كما يدل سياق الكلام .

(٢) هكذا وجدتها بالطبعتين ايضا وصحتها ومن أخل باللام لا بالذال ،كما يدل سياق الكلام .

(٣) يقصد على بن ابى طالب كرم الله وجهه ورضى الله عنه .

عبادته من أقر له واعترف له وأغتقد أنه عبده ، وعلى كلا القولين من أن الاقرار والعمل شرطان ، أو شطران لما هيه الايمان يكفى اقراره وعمله فى خلوة عن حضور أحد ، وزعمت الكراميه الايمان هو التلفظ بالشهادتين سواء طابقه الاعتقاد أم لا ، فان طابقه نجا ولو لم يعمل والا فهو مخلد فى النار من غير أن يسموه مشركا ، فعندهم التلفظ ينفى اسم الشرك باطنا كما ينفيه ظاهرا ، ولا ينفى حكمه وهو الجزاء بالنار ان لم يطابقه الاعتقاد ، ويبطل قولهم ما وردت به لغة العرب والقرآن والسنه أن الايمان تصديق بالقلب واذعانه ، وقال أبو حنيفه وبعض الأشاعره : الايمان تصديق بالجنان واقرار باللسان ، لأن التصديق لما اعتبر بكل من اللسان والجنان كان كلا منهما جزءا من ما هيه الايمان ، ولكن تصديق القلب ركن لا يحتمل السقوط ، وتصديق اللسان يسقط لنحو خرس أو اكراه وهو موافق لما نقوله معشر الاباضيه الوهبيه غير أنا نقول : -

ان العمل جزء من ماهيه الايمان لكن لا يخفى أنه جزء من ماهيه الايمان التام لا من مطلق الايمان ، بدليل أنه لا نحكم بالشرك على من ترك العمل ، قال [1] الايمان باق فيمن ترك العمل ، ولكنه لا ينفيه فمطلق الايمان تركت ما هيته عندنا بالاعتقاد والاقرار فقط ورجح بأن الله جل وعلا ذم المعاند أكثر من الجاهل المقصر ويجاب بأن الذم للانكار والعناد لا لمجرد عدم الاقرار" [2]

ثم بعد هذا كله ذكر الشيخ محمد اطفيش الرأى الذى يميل اليه بين هذه الآراء فقال " وقيل - أى الايمان - الاعتقاد فقط ،

---

(١) صحة العبارة : فان الايمان .

(٢) هميان الزاد ج ١ ص ١٩٤ - ١٩٦

وأما الاقرار فلما مر من اشهار الدين والدعاء اليه ونفى أحكام الشرك ونحو ذلك ، وللعبادة والثواب والتوكيد ويدل له اضافة الايمان الى القلب مثل : (وقلبه مطمئن بالايمان) [١] ولم يؤمن قلبه (ولما يدخل الايمان فى قلوبكم) [٢] وعطف العمل الصالح عليه في مواضع لا تحصى ، ونطق اللسان من العمل الصالح ، وقرنه بالمعاصي كالاقتتال والقتل والظلم فى نحو (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) [٣] (كتب عليكم القصاص فى القتلى) [٤] (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) [٥] مع ما فى ذلك من قلة التغير عن معناه اللغوى ، ومن قربه اليه ويدل لذلك تعديه بالباء يتبادر منه التصديق ويدل له أنا اذا رأينا من أحد أمارة المؤمنين حكمنا بايمانه وأزلنا عنه حكم الشرك وكذا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم - فعلم أن الايمان فى القلب ، وأنه بأى علامه كشف عنه حكمنا به ، سواء كشف عنه اللسان أو غير اللسان ، ولست فى ذلك قاصدا لمخالفة أصحابنا رحمهم الله ولكن ذكرت ماأدى اليه اجتهادى " . [٦]

وهو بما أدى به اليه اجتهاده من القول بأن الايمان هو الاعتقاد قد خالف جمهور الأباضيه حيث يقول " غير أن جمهورنا كما علمت الا قليلا جدا وجمهور قومنا أيضا يقولون لا ايمان بلا اقرار " . [٦]

---

(١) سورة النحل من الآيه ١٠٦
(٢) سورة الحجرات من الآيه ١٤
(٣) سورة الحجرات من الآيه ٩
(٤) سورة البقرة من الآيه ١٧٨
(٥) سورة الانعام من الآيه ٨٢
(٦) هميان الزاد : جـ ١ ص ١٩٦ - ١٩٧

وقد وهم الشيخ محمد حسين الذهبي رحمه الله تعالى فقد اعتقد أن المؤلف سار على رأي الأباضيه في هذا فقال في وصفه " أنه يحاول محاولة جديه في تحقيق أن العمل جزء من الايمان ، ولا يتحقق الايمان بدونه " [١] مع أن الذهبي نفسه نقل نصا للمؤلف خلاف هذا .

ففي تفسير قوله تعالى " وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار " [٢] أكد المؤلف على قيمة العمل مع الايمان لكنه لم يجعله جزءا منه أولا يتحقق الايمان بدونه بل صرح بأن عطف العمل الصالح على الايمان يدل على المغايره بين المتعاطفين ولنسق كلام المؤلف بنصه : -" (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) ترى الانسان يقيد كلامه مره واحده بقيد فيحمل سائر كلامه المطلق على هذا القيد ، فكيف يسوغ لقومنا أن يلغوا تقييد الله عز وجل الايمان بالعمل الصالح مع أنه لا يكاد يذكر الفعل من الايمان الا مقرونا بالعمل الصالح ، بل الايمان نفسه مفروض لعباده من يجب الايمان به وهو الله تعالى ، اذ لا يخدم الانسان مثلا سلطانا لا يعتقد بوجوده وبثبوت سلطنته فالعمل الصالح كالبناء النافع المظلل المانع للحر والبرد والمضرات والايمان أس فلا ينفع الأس بلا بناء عليه ولو بنى الانسان ألوفا من الأسوس ولم يبن عليها ، لهلك باللصوص والحر والبرد وغير ذلك فاذا ذكر الايمان مفردا قيد بالعمل الصالح واذا ذكر العمل الصالح فما هو الا فرع الايمان ، اذ لا تعمل لمن لا تقر بوجوده وفي عطف الأعمال الصالحات على الايمان دليل على أن كلا

---

(١) التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبي جـ ٢ ص ٣٢٢

(٢) سورة البقره من الآيه ٢٥

منهما غير الآخر لأن الاصل فى العطف المغايره بين المتعاطفين ففى عطف الأعمال الصالحات على الايمان ايذان بأن البشارة بالجنات انما يستحقها من جمع بين الأعمال الصالحات والايمان ، لكن الاعمال الصالحات تشمل الفرض والنفل والمشروط الفرض وأما النفل فزيادة خير" (١)

وبهذا يتبين أن الايمان عند المؤلف هو الاعتقاد فقط أما الاعمال الصالحات والايمان فكل منهما غير الآخر ولكن الجمع بينهما شرط لاستحقاق البشاره بالجنات .

حكم مرتكب الكبيره :

سار الشيخ اطفيش في هذا على مذهبه مذهب الأباضيه الوهبيه وهم كما سبق القول يطلقون على الموحد العاصى كلمة كافر ويعنون بها كافر النعمه ويجرون عليه أحكام الموحدين ، ويقسمون الكفر الى قسمين كفر نعمه ونفاق وهو هذا الذى نتحدث عنه ، وكفر شر وجحود وهو المخرج من المله الاسلاميه .

وقد قارن الشيخ اطفيش فى تفسير قوله تعالى " يؤمنون بالغيب" (٢) بين آراء المذاهب فقال " ثم انه لا يخفى ان الحق معنا فى قولنا : ان مرتكب الكبيره كافر كفر نفاق وهو كفر نعمه موحد ايمانه ناقص ، لا كما زعمت المرجئه أنه مؤمن كامل الايمان ولا كما زعمت المعتزله أنه لا كافر ولا مؤمن فان أرادوا لا مؤمن ايمانا كاملا ولا كافر كفر شرك فقد صدقوا وان ارادوا نفي اسم الكفر عنه مطلقا كذبتهم آثار

---

(١) هميان الزاد جـ ١ ص ٣٦١ - ٣٦٢

(٢) سورة البقره من الآيه ٣

وأحاديث جمعتها في بعض ما من الله به على من التأليف . . ولا كما قالت المالكيه والشافعيه والحنابله والحنفيه : انه لا يسمى باسم كافر أصلا ، ووافقنا محققوهم على أنه يسمى به على معنى كفر النعمه ، ولا كما زعمت الصفريه من أنه مشرك ، ولا كما زعم بعض الصفريه أنه مشرك بالمعصيه مطلقا ولو لم تكن كبيره " (١)

ويظهر لي والله أعلم أن الخلاف في هذه الجزئيه لفظي ذلكم أن أهل السنة يصفون مرتكب الكبيره بأنه مؤمن ناقص الايمان أما الأباضيه - والشيخ اطفيش من أئمتهم - فيعتقد أنه يجوز نفي الايمان عن ناقص الايمان باعتبار الكمال فهؤلاء سموه ناقص الايمان ووقفوا وهؤلاء قالوا انه غير مؤمن بل كافر نعمه لا كفر شرك لا يخرج من المله ولا يحكم عليه باحكام المرتدين ويعامل معاملة الموحدين ، وهذا كلام الشيخ اطفيش في تفسير احدى الآيات حيث يقول " أنه يجوز نفي الايمان عن ناقص الايمان باعتبار الكمال كما في قوله صلى الله عليه وسلم " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن " أي لا يزني وهو مؤمن ايمانا كاملا ، بل ناقصا ،فحينئذ يقال له آمن ولا يقال مؤمن كما نفى عنه في الحديث اسم مؤمن لأنه يوهم كمال ايمانه الابقيد ، فيجوز مؤمن ناقص الايمان " (٢)

اذا فالخلاف بين الفريقين لفظي هؤلاء سموه ناقص الايمان وهؤلاء قالوا ان ناقص الايمان لا يسمى مؤمنا لتوهم كمال الايمان فيجوز ناقص الايمان ، وسموه هم كافر نعمه لا كافر شرك .

لكن الخلاف الشديد بين الفريقين في عقاب مرتكب الكبيره وهو حتما ليس خلافا لفظيا .

---

(١) هميان الزاد جـ ١ ص ٢٠٤
(٢) هميان الزاد جـ ١ ص ٢٠٢

لا يغفر لصاحب الكبيره ما لم يتب :

هذا أول خلاف بين الفريقين ذلكم أن الاباضيه يرفضون قول أهل السنه بأن صاحب الكبيره تحت المشيئة ان شاء غفرله وان شاء عذبه .

فالشيخ اطفيش مثلا فى تفسير قوله تعالى " وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء"[(١)] يقول : -" ولا دليل فى الآيه على جواز المغفره لصاحب الكبيره الميت بلا توبه منها كما زعم غيرنا لحديث هلك المصرون "[(٢)] وكذا قال فى تفسير قوله تعالى " ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم"[(٣)] " والمراد بالآيه التنبيه على أنه لايجوز لمن عصى الله - أى عصيان كان - ان يظن أنه لا يغفر له ولا تقبل توبته ، وذلك مذهبنا معشر الأباضيه وزعم القاضى - يقصد البيضاوى - وغيره أن غير الشرك يغفر بلا توبه ، ومشهور مذهب القوم - يريد أهل السنه - ان الموحد اذا مات غير تايب يرجى له - أنه ان شاء الله عذبه بقدر ذنبه وأدخله الجنه وان شاء غفر له ، ومذهبنا أن من مات على كبيره غير تايب لايرجى له "[(٤)]

أما اذا صدمته بالآيه التى تنص على مغفرة الله لمن يشاء وتعذيبه لمن يشاء فى قوله سبحانه " يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء " قال" يغفر لمن يشاء الغفران له أن يوفقه للتوبه ويعذب من يشاء تعذيبه بأن لا يوفقه . . وليس من الحكمه أن يعذب المطيع الموفى وليس منها أن يرحم العاصى المصر وقد انتفى الله من أن يكون ظالما وعد من الظلم النقص من حسنات المحسن والزيادة في سيئات المسيء وليس من الجايز عليه

---

(١) سورة البقرة من الآيه ٢٨٤
(٢) هميان الزاد جـ ٣ ص ٤٤٣
(٣) سورة الزمر من الآيه ٥٣
(٤) هميان الزاد جـ ١٢ ص ٧٣

ذلك خلافا للاشعريه في قوله[1] يجوز أن يدخل الجنه جميع المشركين والنار جميع الابرار وقد أخطوا في ذلك لا يجوز ذلك ولو شخص واحد "[2]

هذا هو الخلاف الأول نحو مرتكب الكبيره فأهل السنه كما ذكرنا قالوا أنه تحت المشيئه والاباضيه قالوا لا يغفر له الا بالتوبه ، أما الخلاف الثاني ففي خلوده في النار بعد دخوله .

خلود مرتكب الكبيره في النار :

أما أهل السنه فيعتقدون أن أصحاب الكبائر في النار لا يخلدون هذا ان أدخلهم الله اياها ولم يغفر لهم قبل الدخول ، أما الاباضيه فيعتقدون خلود أصحاب الكبائر في النار لا يفنون ولا تفني ، ففي تفسير قوله تعالى " بلى من كسب سيئه وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون "[3] قال : " لا يخرجون منها المشركون والفاسقون والاصل في الخلود الدوام ، وحمله على المكث الطويل انما يصح لدليل ولا خلاف في دوام المشرك في النار ومعنى احاطة الخطيئة به أنها أهلكته اذ لم يتخلص منها بالتوبه وليس المراد أنها به معنى أنها في قلبه وجوارجه فلا دليل في الآيه على أن الخلود انما هو لمن عمت[4] قلبه بالشرك لانه اذا صرنا الى معنى تعميم البدن بالمعصيه ورد علينا أن من جسد الكافر ما لم تصدر منه معصيه مثل عنقه وأعلى صدره اذا لم تصدر منهما "[5]

---

(١) كذا بالافراد والضمير يرجع للاشعريه .

(٢) هميان الزاد جـ ٤ ص ٢٤٠ - ٢٤١

(٣) سورة البقره الآيه ٨١

(٤) اى الخطيئة .

(٥) تيسير التفسير جـ ١ ص ١١٣ - ١١٤

وفسر الخلود بالدوام فى قوله تعالى " اولئك أصحاب الجنه هم فيها خالدون "[1] حيث قال " دائمون وخلود أهل النار فيها وأهل الجنه فيها دوام "[2]

وقال فى تفسير قوله تعالى عن آكلى الربا " ومن عاد فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون "[3] :- وأصحاب الكبائر من أهل التوحيد مخلدون ،

أما الخلاف الثالث فى حق مرتكب الكبيرة بين أهل السنه والاباضيه ففى الشفاعه لاصحاب الكبائر اذ ينكرها الاباضيه الا للموحدين لا لاصحاب الكبائر ولا للمشركين .

الشفاعه :

أما أهل السنه فيعتقدون شفاعته صلى الله عليه وسلم لاهل الكبائر من أمته ويشاركه فيها الملائكه والنبيون والمومنون أيضا[4]
أما الأباضيه فقال الشيخ اطفيش فى تفسير قوله تعالى " واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعه "[5] :- والآيه دليل لنا وللمعتزله على أن لا شفاعه لاهل الكبائر لأن الآيه ولو كانت فى المشركين لكنها فى صفة يوم من شأنه أنه لا شفاعة فيه بدفع العذاب عن مستحقيه ولا مقام أو زمان من مقامات الموقف وأزمنته نص فيها على ثبوتها للفساق[6] ولا الشخص المصر .[7]

---

(١) سورة البقره من الآيه ٨١
(٢) تيسير التفسير جـ ١ ص ١١٤
(٣) سورة البقره من الآيه ٢٧٥
(٤) انظر شرح الطحاويه ص ٢٥٨
(٥) سورة البقرة من الآيه ٤٨
(٦) بل ثبت بالتواتر عند أهل السنه ثبوت الشفاعه لاهل الكبائر انظر شرح الطحاويه ص ٢٥٨
(٧) تيسير الفتسير جـ ١ ص ٧١

وقال في تفسير قوله تعالى " ولا تنفعها شفاعه "[١] قال " وذلك مخصوص بالمشرك فانه لا شفاعه له هنالك الا شفاعة القيام لدخول النار ولا نفع له فى دخول النار وانما الشفاعه للموحد التايب".[٢]

وفى تفسير قوله تعالى " ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء "[٣] قال " فالآيه نص أو كالنص فى آن لا شفاعة لاهل الكبائر أى أنت برى منهم على كل وجه "[٤] .

اذا فخلاصة رأى الشيخ اطفيش فى تفسيريه بل مذهبه الاباضى ان مرتكب الكبيره كافر كفر نعمه ، لا يغفر الله له ان لم يتب ، خالد فى النار لاتغنى ولا يفنى ، ولا يشفع له فيخرج منها أو يخفف عنه ، والله أرحم مما قالوا .

خلق أفعال العباد :

يعتقد المؤلف أن الله سبحانه وتعالى هو الخالق لافعال العباد وأن وقوع المعاصى بارادته ومشيئته مع اختيار العاصى جاء ذلك في تفسيره لقوله تعالى " ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا "[٥] حيث قال " ولو شاء الله عدم اشراكهم بالله تعالى ما أشركوا به تعالى شيئا فالآيه دليل على أن اشراكهم بارادة الله ومشيئته ، وفيه رد على المعتزله فى قولهم لم يرد معصية العاصى ... وزعموا أن المعنى لو شاء الله لأكرههم على عدم الاشراك ، ولزم عليهم أن يكون مغلوبا على أمره اذا عصى ولم يرد المعصيه ، بل

---

(١) سورة البقره من الآيه ١٢٣
(٢) هميان الزاد جـ ٢ ص ٢٩٩
(٣) سورة الانعام من الآيه ١٥٩
(٤) هميان الزاد جـ ٦ ص ٢٧٤
(٥) سورة الانعام من الآيه ١٠٧

أراد الايمان منهم ولم يقع - تعالى الله عن ذلك - والحق أن المعصيه بارادته ومشيئته مع اختيار العاصى ، لاجبر ، للذم عليها والعقاب والنهى عنها " (١)

وكذا عند تفسيره لقوله تعالى " الله خالق كل شيء " (٢) قال " من ايمان وكفر وخير وشر مما هو كاين دنيا وأخرى " (٣)

أما الاراده فى قوله تعالى يريد الله بكم اليسر " (٤) فقال :- " يريد الله بكم اليسر فى دينه أى بشرعه ، وهو مراد أبى حيان اذ فسر الاراده بالطلب قال ذلك خروجا عن تبديل الارادة فان ارادة الله لاتتبدل وذلك منه خروج عن مذهب الاعتزال اذ زعمت المعتزله أن ارادته تعالى قد يخالفها العبد وتبطل " (٥)

موقفه من الصحابه رضوان الله عليهم :

هم يوالون أبا بكر الصديق وعمر الفاروق رضى الله عنهما ويذمون عثمان وعليا رضى الله عنهما وهذا اطفيش يقول فى تفسير قوله تعالى " وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض " (٦) فقال " قال المخالفون عن الضحاك ان الذين آمنوا هم عمر وأبو بكر وعثمان وعلي وأن استخلافهم امامتهم العظمى وسيأتي - وقد مر أيضا - ما يدل على بطلان دخول عثمان وعلي فى ذلك " (٧)

---

(١) هميان الزاد ج ٦ ص ٦٨
(٢) سورة الزمر من الآيه ٦٢
(٣) هميان الزاد ج ١٢ ص ٧٧
(٤) سورة البقره من الآيه ١٨٥
(٥) تيسير التفسير ج ١ ص ٢٦٧
(٦) سورة النور من الآيه ٥٥
(٧) هميان الزاد ج ١٠ ص ٢٨٠

وقال أيضا " وفى أيام أبى بكر وعمر وعثمان وعلى بعد هم كانت الفتوح العظيمه وتمكن الدين لأهله لكن لا دليل فى ذلك على اصابة عثمان وعلى فانهما - ولو كانت خلافتهما حقا برضى الصحابه - لكن ماماتا الا وقد بدلا وغيرا فسحقا " (!!) [1]

أما ما قاله فى عثمان رضى الله عنه وحده فمنه ما قاله فى تفسير قوله تعالى " فاولئك هم الفاسقون " من الآيه السابقة حيث قال " وأقول والله أعلم بغيبه أن أول من كفر تلك النعمه وجحد حقها عثمان بن عفان " [2] ثم ذهب يذكر من مثالبه ما هو منه برىء أولا يصل به رضى الله عنه الى حد الجرأه على ذمه وقدحه .

وكعادته فى تأويل ما يخالف مذهبه من الآى أو الحديث ذهب يؤول تأويلا باطلا ما ورد من الحديث فى فضل عثمان رضى الله عنه من مثل ما قاله فيه صلى الله عليه وسلم بعد أن جهز عثمان جيش العسره فقال عليه الصلاة والسلام " ماضر عثمان ما عمل بعد اليوم" فقال فى تأويل ذلك مشككا فى صحة الحديث " فان صح هذا فذلك أيضا دعاء " [3]

وقال فى الحديث الآخر فى ذلك ايضا " لا يضر عثمان ما عمل بعدها" قال " فأن صح ذلك فمعنى ذلك الدعاء له بالخير لا القطع بأنه من أهل الجنه " [4]

ولن نذهب نذكر درجة هذين الحديثين ومدى دلالتهما فى البشاره لعثمان رضى الله عنه بالجنه ولكن نذكر حديثا رواه البخارى

---

(١) المرجع السابق جـ ١ ص ٢٨١
(٢) هميان الزاد جـ ١٠ ص ٢٨٢
(٣) المرجع السابق جـ ٧ ص ٣١٣
(٤) رواه البخارى كتاب أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم باب مناقب عثمان رضى الله عنه جـ ٤ ص ٢٠٢

فى صحيحه قال النبى صلى الله عليه وسلم من يحفر بئر رومه فله الجنه فحفرها عثمان وقال من جهز جيش العسره فله الجنه فجهزه عثمان .

ولا ننسى الحديث الآخر الذى رواه البخارى أيضا فى صحيحه عن النبى صلى الله عليه وسلم حين صعد أحد فرجف فقال عليه الصلاة والسلام اسكن أحد فليس عليك الا نبى وصديق وشهيدان .(1)

هذا من ناحية عثمان رضى الله عنه أما ما قال فى على رضى الله عنه فمنه ما قد مربنا من وصفه للخوارج بأنهم " الذين خرجوا عن ضلالة على "(2) وقال فى موضع آخر معرضا بعلى رضى الله عنه وأيضا الباغى من يرى التحكيم فيما كان لله فيه حكم ، والسافك دماء من لم يتبعه على هذه الزله "(3) .

وعند استدلال على رضى الله عنه بحديث سمعه من الرسول صلى الله عليه وسلم قال يخرج قوم من أمتى يقرأون القرآن ليس قرآءتكم الى قرآتهم ولا صلاتكم الى صلاتهم بشىء . . الخ للحديث علق الشيخ اطفيش على هذا الاستدلال قائلا " فترى على بن أبى طالب وهو خصم يتأول الحديث في من خاصموه أعنى غلبوه فى الخصومه فخصموه والحمد لله رب العالمين وهو مدع ويأتيك ما يبطل هذه الدعوى ولا يخفى بطلانها ".(4)

وقال فى بعض الأحاديث فى فضل آل محمد :-

" وذلك كله صحيح الروايه لكن المراد بآله ، آله الذين لم يبدلوا فخرج على ونحوه ممن بدل فانه قتل من قال صلى الله عليه وسلم لايدخل قاتله الجنه"(5)

---

(1) المرجع السابق ص ٢٠٤ جـ ٤
(2) هميان الزاد جـ ١ ص ١٩٥
(3) المرجع السابق جـ ٩ ص ١٨٣ - ١٨٤
(4) المرجع السابق جـ ٤ ص ١٨٥
(5) هميان الزاد جـ ١٢ ص ٢٢٧

وهكذا بعد عثمان وعلي رضى الله عنهما سلك الأباضيه فى بقية الصحابه فجعلوا القياس من بعد هما التحكيم فمن رضى بالتحكيم فهو مبطل وذموه ، وصرح بهذا الشيخ اطفيش فى تأويله لقوله تعالى " ولا تكونوا كالدين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاء هم البينات "(١).

فقال " ان الراضين بالتحكيم هم المبطلون "(٢)

اشادته بمذهبه

كثيرا ما يشيد الشيخ اطفيش بمذهبه الأباضى الوهبى ويحسنه ويرجح أدلته ويصفه بالحق وأهله أهل الحق وها هو فى تفسير قوله تعالى " فاستقم كما أمرت ومن تاب معك "(٣) يقول " واعلم يا أخى - رحمك الله - أنى استقربت المذاهب المعتبره كمذهبنا معشر الأباضيه ومذهب المالكيه ومذهب الشافعيه ومذهب الحنفيه ومذهب الحنبليه بالمنقول والمفعول(٤) ولم أرى مستقيما منها فى علم التوحيد والصفات سوى مذهبنا فانه مستقيم خال عن التشبيه والتعطيل حجه لا تقاومها حجه ولا تثبت لها والحمد لله وحده"(٥).

ومن قام بالقرآن والسنه فهو الجماعة والسواد الأعظم وأهل السنة ولو كان واحدا ومن خالفهما فهو مبتدع ضال . ولذا فهو يرى أن الأباضيه هم الجماعة والسواد الأعظم وهم أهل السنة أيضا ، وها هو يقول فى تفسير قوله تعالى " واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا .. الآية(٦) فقال " والآيه ما نعةً لمن قدر على الاجتهاد فى التقليد وما نعةً لمن قدر على النظر. والترجيح

---

(١) سورة آل عمران : من الآية : ١٠٥
(٢) هميان الزاد : جـ٤ ص ١٨٦
(٣) سورة هود من الآية ١١٢
(٤) هكذا وردت وصحة العبارة والمعقول .
(٥) هميان الزاد جـ٨ ص ٢١٢-٢١٣
(٦) سورة البقرة من الآيه ١٧٠

أن يقلد قولا من الأقوال ويترك نظره وترجيح ما يظهر ترجيحه له واتباع القرآن والسنه ليس تقليدا واعلم أن الحق هو القرآن والسنه وما لم يخالفهما من الآثار فمن قام بذلك فهو الجماعة والسواد الأعظم ولو كان واحدا لأنه نائب النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين الذين اهتدوا وكل مهتد ، ومن خالف ذلك فهو مبتدع ضال ولو كان جمهورا هذا ما يظهر لى بالاجتهاد وكنت أقرره للتلاميذ عام تسع وسبعين ومائتين وألف فأصحابنا الأباضيه الوهبيه هم الجماعة والسواد الاعظم وهم أهل السنه ولو كانوا أقل الناس لأنهم المصيبون فى أمر التوحيد وعلم الكلام والولايه والبراءة والاصول دون غيرهم وأما الفروع فقولهم فيها أصح لادلته لكن قد يشاركهم غيرهم فى الصحه فيما خالفهم ثم اطلعت بعد ذلك بنحو عامين على ماذكرته ووجدته نصا للثورى قال الشعرانى كان سفيان الثورى يقول المراد بالسواد الاعظم هم من كان من أهل السنه والجماعه ولو كان واحد والحمد لله والشاهد فى قوله ولو كان واحدا مع حقيقة قوله أهل السنة والجماعة الصادقة على أصحابنا ولو أراد هو أهل المذاهب الأربعة وهم أهل أهواء[1] ! !

موقفه من المذاهب الأخرى :

جرى المؤلف على اطلاق لقب " أصحابنا " ويريد به اتباع ، المذهب الاباضى . أما أهل السنه والجماعه ، فيسميهم " القوم " أو " قومنا " ويطلق عليهم غالبا التقسيم الفقهى (الحنفية والشافعيه والمالكيه والحنبليه) فيقول مثلا وهو يبحث فى العقيدة لا الفقه " لا كما قالت المالكيه والشافعيه والحنابله والحنفيه "[2] يقول هذا تهربا من اطلاق وصف أهل السنه ،أما اذا أراد أن يذكر هذا

---

(١) هميان الزاد جـ٢ ص ٤٥٥ - ٤٥٦
(٢) هميان الزاد جـ١ ص ٢٠٤

اللقب فانه يقول " ووافقنا على ذلك فحققوا المتسمين بأهل السنة "(١) لأن أهل السنه عنده - كما مر - آنفاهم الاباضيه .

وهو مع هذا يخصهم بمزيه من بين المذاهب الاخرى فهو يقدم أقوال أهل السنه بقوله " قالوا " أو "وقال " . أما بقية المذاهب الأخرى فيقدم أقوالهم بالزعم فيقول وزعمت المرجئه ، وزعمت المعتزلة وزعمت الشيعه وزعمت الصفريه ونحو ذلك (٢) وهو أحيانا يتجاوز هذا كله ، ويتعصب ضدهم بشده ويصف أهل المذاهب الأربعة بأنهم أهل أهواء (٣) ولكن هذا فى تفسيريه قليل .

المعتزلة :

وتأثر الشيخ اطفيش بل المذهب الأباضي بالمعتزلة واضح بين فى بعض العقائد بل حرص المؤلف على النص فى مقدمته القصيدة كيف وهميان الزاد حرص على أن ينص على أنه " يوافق نظر جار الله والقاضى وهو الغالب والحمد لله وتارة يخالفهما ويوافق وجها أحسن مما أثبتاه أو مثله " (٤) .

لذا فقد وافق المعتزلة مثلا فى أنه " لو لم يبعث الله رسلا ولا كتبا لوجب الايمان من العقل كما قال (وفى أنفسكم أفلا تبصرون) لما نصب من الأدلة فى أنفسهم وفى غيرهم وانما الرسل والكتب لتفصيل الأحكام والشريعه هذا تحقيق المقام ولو اشتهر فى المذهب أن حجة الله الكتب والرسل " (٥) .

---

(١) المرجع السابق جـ ١ ص ٢٠٢
(٢) انظر مثلا هميان الزاد جـ١ ص ٢٠٤ وجـ٥ ص ٣٧٦
(٣) هميان الزاد جـ ٢ ص ٤٥٦
(٤) هميان الزاد جـ ١ ص ٥
(٥) هميان الزاد جـ ١ ص ٤٩٠

ووافقهم أيضا فى صفات الله تعالى وفى انكار الرؤيه وفى القول بخلق القرآن وفى خلود أهل الكبائر فى النار وانكار الشفاعه لاهل الكبائر ، وفى التهجم على بعض الصحابه رضى الله عنهم وفى غير ذلك

وهو مع هذا فيخالفهم فى بعض الأمور مثل ان مرتكب الكبيرة كافر كفر نعمه لا كما قالت المعتزله لا كافر ولا مؤمن بل منزلة بين المنزلتين ويخالفهم أيضا فى نحو أن العبد يخلق فعله فهو يرى - كما مر - أن الله هو خالق الأفعال من غير انكار اختيار العبد وغير ذلك .

الصفريه :

وهى احدى فرق الخوارج فان المؤلف كثيرا ما يرد أقوال هذه الفرقه ويصفها بالزعم ويخصها بالأحاديث الواردة عن الخوارج ومن ذلك أنه أورد الحديث الذى رواه على بن أبى طالب رضى الله عنه " أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج قوم من أمتى يقرأون القرآن ليس قراءتكم الى قراءتهم ولا صلاتكم الى صلاتهم بشى"[(١)] فيعلق اطفيش على هذا الحديث بقوله " فلعل الحديث فيمن رضى بالتحكيم بعد زمان على من المخالفين الفايقين فى العباده المصوبين للتحكيم الذى أخذوا به وفى الصفرية ونحوهم "[(٢)] ثم أضاف حديثا آخر خصهم به فقال " ومن ذلك ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وأهوى بيده الى العراق يخرج منه قوم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الاسلام مروق السهم من الرميه[(٣)]

(١) رواه مسلم كتاب الزكاة باب ٤٨ جـ ٢ ص ٧٤٨
(٢) هميان الزاد جـ ٤ ص ١٨٥
(٣) صحيح البخارى كتاب الاستتابه جـ ٨ ص ٥٣

هذا نفس الحديث فأخطأ سهل بن حنيف فى تأويله هذا الحديث بمن لم يرضى الحكومه وانما هو فى الصفريه "[١] وهو كثيرا ما يرد أقوالهم وينكر عليهم ويذمهم "[٢].

الصوفية :

أما التصوف والصوفيه وتفسيرها فقد انحى عليهم باللائمة وذمهم ولم يقدرهم وأعلن أنه لا يقبل شهادتهم ويتقرب الى الله ببغضهم والبراءة منهم وأن تفاسيرهم لم يأذن الشرع بها بل يضعف الأقوال بمقدار قربها من تفسير الصوفيه ولعلى أكتفى بعد هذه المقدمة بسوق النصوص .

قال فى تفسير قوله تعالى " ومما رزقناهم ينفقون "[٣] : -

" وقيل المعنى ومما خصصناهم به من أنوار معرفة الله جل وعلا يفيضون وهذا القول الذى قبله[٤] أظنهما للصوفيه أو لمن يتصوف وليس تفسير الصوفيه عندى مقبولا اذا خالف الظاهر وكان تكلفا أو خالف أسلوب العربيه ولا أعذر من يصغر به ولا أقبل شهادته وأتقرب الى الله تعالى ببغضه والبراءة منه ، فانه لو كان فى نفسه حقا لكن جعله معنى للآيه أو للحديث خطأ لأنه خروج عن الظاهر وأساليب العرب الذين يتخاطبون بها وتكلف من التكلف الذى يبغضه الله "[٥] .

---

(١) هميان الزاد جـ ٤ ص ١٨٥
(٢) انظر مثلا هميان الزاد جـ١ ص ٢٠٤ وتيسير التفسير جـ١ ص ٢٥٣
(٣) سورة البقرة من الآيه ٣
(٤) هكذا وردت فى الطبعتين ولعله بالعطف اى والذى قبله .
(٥) هميان الزاد جـ١ ص ٢١٦

وفى تفسير قوله تعالى " كلما رزقوا منها من ثمره رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل "[1] أنكر تفسيرها بـ" أن هذا[2] رزقناه فى الجنه هو الذى يرزقنا الله فى الدنيا من المعارف والطاعات أى جزاؤها فهو يتفاوت بتفاوتها فى اللذه ووجه الشبه والشرف والمزيه وعلو الطبقة " أنكر هذا التفسير وقال " وتفسيرها بهذا قريب من تفاسير الصوفيه وبمقدار قربها منها يضعف لأن تفاسيرهم لم يأذن الشرع بها وبها خرجوا عنه اذا اعتقدوا أنها معان نزل القرآن على ارادتها أعاذنا الله - جل وعلا - والله أعلم "[3].

وفى تفسيره قوله تعالى " فأخرجهما مما كانا فيه "[4] قال " وقيل المعنى أخرجهما من رفعة المنزل الى سفالة الذنب وهذا ضعيف قريب من تفسير الصوفيه لا يتبادر من اللغة العربية ولا يرد فيها "[5].

حكم اتباع هذه المذاهب :

رد الشيخ اطفيش حديث على رضى الله عنه السابق عن الخوارج انهم " يقرأون القرآن ليس قرآءتكم الى قراءتهم ولا صلاتكم الى صلاتهم بشىء ولا صيامكم الى صيامهم بشىء " رد تأويله بأنهم الذين خرجوا على علىّ رضى الله عنه لأن عباد أهل السنه وقراءهم أكثر عبادة وقرآءة فقال " فان عباد قومنا - يعنى أهل السنه - فيما نرى من اجتهادهم

---

(١) سورة البقرة من الآيه ٢٥
(٢) هكذا أوردت ولعلها أن هذا الذى ...
(٣) هميان الزاد جـ١ ص ٣٧٢
(٤) سورة البقرة من الآيه ٣٦
(٥) هميان الزاد جـ١ ص ٤٧٢

في كتب القوم اكثر عباده وقراءة وهم المعروفون بذلك اكثر وليس نافع لهم مع بغضهم المسلمين واعتقادهم الرؤيه وغيرها مما يقدح في توحيدهم واسلامهم " [١].

هذا رأيه في أهل السنه الذين يصفهم بقومنا ،ويعد مذهبهم من المذاهب المعتبره [٢] ،ورأيه في غيرهم من المذاهب الأخرى أشد ، وهؤلاء وأولئك أصحاب كبائر لانهم اقترفوا ما يقدح في توحيدهم واسلامهم مع بغضهم للمسلمين واعتقادهم بالرؤيه فما موقفه من أصحاب هذه المذاهب وهم أصحاب الكبائر .

خلاصة رأيه أن حكمهم " حكم المؤمن في أنه يناكح ويوارث ويغسل ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين ، وهو كالمشرك في الذم واللعن والبرآءة منه واعتقاد عداوته وألا تقبل له شهادة " [٣]

رأيي في ذلك :

والى هنا يقف القلم في دراسة هذين التفسيرين وهما ما أعرف من تفاسير الاباضيه في العصر الحديث لذا اعتمدتهما كمثال لمنهج الاباضيه في تفسير القرآن وان كان اعتبار مفسر واحد لا يدل دلالة قاطعة على منهج مذهبه الا أنه ولا شك في ذلك يعطي الخطوط العريضه التي تقوم عليها أسس مذهبه لن نزعم أن : -

١- الاكثار من ايراد الاسرائيليات .

٢- الاهتمام بالمسائل النحويه والبلاغيه واللغويه .

٣- الاطناب في المبهمات .

---

(١) المرجع السابق جـ ٤ ص ١٨٥
(٢) هميان الزاد جـ ٨ ص ٣١٣
(٣) المرجع السابق جـ ١ ص ٣٩٤

٤ - العنايه بتوجيه القراءات .

لن نزعم أن هذه الأسس هى أسس المنهج الاباضى فى التفسير ولكنا نجزم بأن من أسسهم .

١ - تأويل ما يخالف عقيدتهم من آيات القرآن .

٢ - تأويل ما يخالف عقيدتهم من السنه وتقديم ما رواه علماؤهم على ما سواه وينبنى عليه موقفهم من تفسير الآيه وكذا رأيهم الفقهى .

٣ - تأثرهم بالمعتزله وهو وان لم يكن تأثرا فهو موافقة لهم فى كثير من الآراء فى العقيدة كالقول بخلق القرآن وانكار الرؤيه وتقديم العقل ونحو ذلك .

٤ - الولايه والبراءة وأثرها فى عقيدتهم وتفسيرهم بين واضح .

٥ - موقفهم من الصحابة رضوان الله عليهم وذم بعضهم والتهجم عليهم .

٦ - اشادتهم بمذهبهم وذم ما سواه من المذاهب الأخرى ، واعتقادهم أنهم هم أهل الحق وما سواهم كافر كفر نعمه .

نجزم أن هذه الأسس فى منهجه هى من أسس المنهج الأباضى ذلكم أن هذه الأسس متفرعه عن العقيدة وعقيدة الرجل التى يصرح بها هى الأباضية .

أما مناقشة آرائهم والرد على ما يخالف عقيدة أهل السنة منها فانى أحيل القارئ الى قرآءة رأى أهل السنه فى كل ما يعرض له من تفاسير ضاله سواء كان فى المنهج الأباضى أو فى غيره اذا جعلت منهج أهل السنه فى أول المناهج ليكون ميزانا حقا يوزن به ما يرد من أقوال وآراء لمذاهب أخرى تاليه .

وان كان لى من وقفه فانى أقف متسائلا لم يرفض الاباضيه كل هذا

الرفض تسميتهم بالخوارج ما داموا يدافعون عن الخوارج ويبررون أفعالهم ويتأولون ما ورد في حقهم من أحاديث بل ان الشيخ اطفيش نفسه يعد أحيانا الفرقه الاباضيه من الخوارج فيقول مثلا " واختلفوا الخوارج وهم الذين خرجوا عن ضلاله على فقالت الاباضية الوهبيه وسائر الاباضيه ..."[(١)] .

لا أدرى لم يرفض بعضهم هذا الوصف بشده ويقرره آخرون في مواضع أخرى .

ووقفه أخرى حديثى عن الاباضيه ومنهجهم في التفسير فأقول اذا كان الاباضيه يعدون من الكبائر الاصرار على ترك السنه كاحفاء الشارب وجعل طرف العمامه تحت الحلق (!!) بلا استخفاف بهذه السنه يعدون هذا كفر نفاق[(٢)] ثم يحكمون على من كفركفر نفاق ،ان الله لا يغفر له وأنه خالد في النار ولا يشفع له أبدا فان هذا وحده كاف على بطلان مذهبهم وانحراف عقيدتهم لأن الله سبحانه أرحم مما يزعمون وهو الرحمن الرحيم .

الحكم عليهم :

وأختم حديثى عنهم ببيان أقوال أهل السنه فيهم وقد أوجزه ابن قدامه فقال : " والخارجون عن قبضة الامام أصناف أربعة ثم قال " الثالث الخوارج الذين يكفرون بالذنب ويكفرون عثمان وعليّا وطلحه والزبير وكثيرا من الصحابه ويستحلون دماء المسلمين وأموالهم الا من خرج معهم فظاهر قول الفقهاء من أصحابنا المتأخرين أنهم بغاة

---

(١) هميان الزاد جـ١ ص ١٩٥

(٢) هميان الزاد جـ١ ص ٢٠١

حكمهم حكمهم وهذا قول ابي حنيفه والشافعي وجمهور الفقهاء وكثير من أهل الحديث .

ومالك يرى استتابتهم فان تابوا والا قتلوا على افسادهم لا على كفرهم وذهبت طائفة من أهل الحديث الى أنهم كفار مرتدون حكمهم حكم المرتدين وتباح دماؤهم وأموالهم فان تحيزوا فى مكان وكانت لهم منعه وشوكة صاروا أهل حرب كسائر الكفار وان كانوا فى قبضة الامام استتابهم كاستتابة المرتدين فان تابوا والا ضربت أعناقهم وكانت أموالهم فيئا لا يرثهم ورثتهم المسلمين .

ثم قال " وأكثر الفقهاء على أنهم بغاة ولا يرون تكفيرهم ،قال ابن المنذر لا أعلم أحدا وافق أهل الحديث على تكفيرهم وجعلهم كالمرتدين ... وذكر ابن عبد البر عن علي رضى الله عنه أنه سئل عن أهل النهر أكفار هم ؟ قال من الكفر فروا . قيل فمنافقون ؟ قال ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا قيل فما هم قال قوم أصابتهم فتنة فعموا فيها وصموا وبغوا علينا وقاتلونا فقاتلناهم" .... وهذا رأى عمر بن عبد العزيز فيهم وكثير من العلماء"[1] . ومع هذا فقد رجح ابن قدامه جواز قتلهم ابتداء والاجازة على جريحهم .

والذى أراه انهم لا يكفرون الا اذا استحلوا محرما كبدء قتال المسلمين أو تكفير مسلم أو استحلال ماله أو دمه من غير حله ، والله الهادى .

---

(١) المغنى : ابن قدامه جـ٨ ص ١٠٤ - ١٠٧ باختصار .

الباب الاول

الاتجاه العقائدى فى التفسير

الفصل الرابع

منهج الصوفيه فى تفسير القرآن الكريم

الصوفيه :

أول ما يواجه الباحث عن الصوفيه الاختلاف في أصل وسبب هذه التسمية والاقوال في ذلك كثيره .

أورد عبد الحليم محمود طائفه منها نقلا عن القشيري في رسالته مع مناقشة لكل رأى بايجاز فقال ان الآراء أصبحت معروفه بل لقد كانت معروفه من قديم الزمان وصاحب الرسالة القشيريه يستعرضها رأيا رأيا وينقضها جميعا .

١ - فأما قول من قال : انه من الصوف وتصوف اذا لبس الصوف كما يقال : تقمص اذا لبس القميص فذلك وجه ، ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف .

٢ - ومن قال انهم منسوبون الى صفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فالنسبه الى الصفه لا تجيء على نحو الصوفي .

٣ - ومن قال انه من الصفاء فاستقاق الصوفي من الصفاء بعيد في مقتضى اللغه .

٤ - وقول من قال انه مشتق من الصف فكأنهم في الصف الاول بقلوبهم من حيث المحاضره من الله تعالى : المعنى صحيح ولكن اللغه لا تقتضي هذه النسبه الى الصف .

واذا كان صاحب الرسالة القشيريه ينتقد كل هذه الآراء فانه اذن لا يرى الاشتقاق ويقول هذه التسميه غلبت على هذه الطائفه فيقال رجل صوفي وللجماعه صوفيه ومن يتوصل الى ذلك يقال له متصوف وللجماعه: المتصوفه .

وليس يشهد للاسم من حيث العربيه قياس ولا اشتقاق والا ظهر فيه أنه كاللقب" (١)

---

(١) قضية التصوف : عبد الحليم محمود ص ٣٠ - ٣١

وحقيقه أنني لا أرى من ثمره لاعمال الذهن وتضييع الوقت في الربط بين الاسم والمسمى فليس من المحتم دائما - كما يقول عبد الحليم- أن يكون المعنى الاصلي للاسم هو المراد مما وضع الاسم له اذ المعنى الاصلي قد يتطور ويتغير ويختلف وقد يقصد عكسه ... حقيقة أن الباحثين كثيرا ما يجدون صلة وثيقه بين المعنى الاصلي للاسم وما وضع الاسم له أو بين الاسم والمسمى ولكن ذلك ليس مطردا "(١)

ومما يزيد الانفصام بين الاسم والمسمى خاصه في عصرنا هذا ما اعترف به عبد الحليم هذا حيث قال " على أني أرى - كما يرى كثير غيري وكما يثبت التاريخ - ان هذه الكلمه " تصوف " لم توضع في الاصل للتصوف بمعناه العادي الذي نفهمه الان ، وانما وضعت في المبدأ لتدل على نمط من العزوف عن الدنيا ، انها كانت علامة الزاهدين والمتنسكين فسمي بها هؤلاء الذين انصرفوا عن الدنيا" .(٢)

المراد بالتصوف :

وأكثر من اختلافهم ذاك اختلفوا في معنى التصوف ولا أعد مبالغا اذا ما قلت انهم ذكروا مئات المعاني للتصوف ونحن نحرص هنا أن نذكر أقوال المعاصرين أو ما يصرح المعاصرون بترجيحه فمن الاول ما ذكره الشيخ عبد الواحد يحي حيث قال " أما أصل هذه الكلمه " صوفي" فقد اختلف فيه اختلافا كبيرا ووضعت فروض متعدده وليس بعضها أولى من بعض وكلها غير مقبوله انها في الحقيقه تسميه رمزيه واذا أردنا تفسيرها ينبغي لنا أن نرجع الى القيمة العددية لحروفها وانه لمن الرائع أن نلاحظ أن القيمة العدديه لحروف " صوفي " تماثل القيمه العدديه لحروف " الحكيم الالهي " فيكون الصوفي الحقيقي اذن هو

---

(١) المرجع السابق ص ٣٤
(٢) المرجع السابق ص ٣٥

الرجل الذى وصل الى الحكمة الالهيه انه (العارف بالله) اذ أن الله لا يعرف الا به "[1]

وانى لاعجب لهذه العقليات التى تقيم عقائدها على أوهام ومتى كانت الاوهام أساسا تقام عليه العقائد ولسنا نوافق الدكتور عبد الحليم محمود على وصفه للقول السابق بأنه رأى لا يمكن أن ينقض بالأدله المنطقيه وأنه ينفر منه آخرون من غير ما حجه وان كنا نوافقه على أنه " ولكنه لا يمكن أيضا أن يؤيد بالادله المنطقيه ويستسيغه قوم دون برهان "[1] لا نوافقه فى النصف الاول من عبارته ونحمد الله أنه لم يطلب الرد عليه بالادله الشرعيه اذ ننزه هذه الادله عن الخوض بها فى مثل هذه الاوهام أما الرد على الرجل بمثال منطقى فنقول قياسا على قوله :- ان القيمه العدديه لحروف " صوفى " تماثل القيمة العدديه لحروف " مزل الحكيم "[2] فيكون الصوفى الحقيقى اذن هو الرجل الذى أوصل نفسه الى منطقه ان كان حكيما زل بها وان كان دونه كان أزل .

هذا هو الرد حسب منطقه وحسب مفهومه وما كنا لنستدل بمثل هذه الادله لولا أنه جرنا اليها جرا .

ولندع هذا التعريف ونورد هنا بعض التعاريف التى رأى الدكتور عبد الحليم أنها تتجه الوجهه الصحيحه فيما يتعلق بالمعنى الحقيقى لهذا الموضوع فأورد من هذه الأقوال :-

١ - أبو سعيد الخزار المتوفى سنة ٢٦٨ هـ .

سئل عن الصوفى فقال " من صفّى ربه قلبه فامتلأ قلبه نورا ومن دخل فى عين اللذه بذكر الله " .

---

(١) قضية التصوف : ص ٣٢

(٢) كلمة " صوفى " " الحكيم الالهى " " مزل الحكيم " مجموع القيمة العدديه لكل منها ١٨٦

٢ - " الجنيد البغدادى " المتوفى سنة ٢٩٧ هـ

التصوف هو أن يميتك الحق عنك ويحييك به (!!) .

٣ - أبو بكر الكتانى المتوفى سنة ٣٢٢ هـ

التصوف صفاء ومشاهده .

٤ - جعفر الخلدى المتوفى سنة ٣٤٨ هـ

التصوف : طرح النفس فى العبوديه ، والخروج من البشريه

(!!) والنظر الى الحق بالكليه .

ونقد هذه الأقوال ونقاشها يخرج بنا عن الحدود التى رسمناها فى منهج البحث وأشرنا اليها كثيرا .

نشأة التصوف وتطوره :

يقسم بعض الباحثين الأدوار التى مر بها التصوف من نشأته الى عصرنا هذا الى أربعة أدوار .

الدور الاول : الدور التمهيدى

ويبدأ بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وينتهى بنهاية القرن الثانى الهجرى وهو دور الزهد .

الدور الثانى : الدور الفلسفى

ويبدأ من أوائل القرن الثالث الهجرى وينتهى فى منتصف القرن السابع وهو دور البلوغ والكمال .

الدور الثالث : دور الانحطاط

ويبدأ من منتصف القرن السابع وينتهى فى منتصف القرن الثالث عشر .

الدور الرابع : وهو دور التجديد

ويبدأ من منتصف القرن الثالث عشر حتى وقتنا الحاضر وهو دور النهضه والانطلاق "[(١)]

---

(١) التصوف بين الحق والخلق محمد فهر شقفه ص ٤٠ .

وهذا التقسيم وان كان ليس دقيقا كل الدقه الا أنه يرسم الخطوط العريضه التى أحاطت بالتصوف يمنه ويسره حتى يومنا هذا وان كان مدلول التصوف فى كل دور يختلف عن مفهومه فى الدور الآخر وقد نقلنا آنفا عبارة الدكتور عبد الحليم محمود ان اطلاق كلمة تصوف فى الاصل غير اطلاقها الذى نفهمه الآن ، ذلكم أن المراد به فى الدور الاول نمط من العزوف عن الدنيا وانه كان علامة الزاهدين والمتنسكين الى أن أنتقل الى الدور الثانى حيث دخلت الفلسفه التصوف فتحول الى التصوف الفلسفى فأصبح بعض الصوفيه يدين بمسائل " فلسفيه لاتتفق ومبادىء الشريعه بما أثار عليهم جمهور أهل السنه وجعلهم يحاربون التصوف الفلسفى ويؤيدون التصوف الذى يدور حول الزهد والتقشف وتربيه النفس واصلاحها ، حتى كادوا يقضون عليه فى نهاية القرن السابع الهجرى "(١) وبهذا دخل التصوف الدور الثالث وهو دور الانحطاط حيث تحولت الصوفيه شيئا فشيئا عن الفلسفه والبحث فيما وراء الطبيعه الى جلسات الذكر والمجاهده مع الغناء والرقص وتأسست التكايا ونشأت الطرق وكثر المرتزقه والدجالون والمحتالون والمشعوذون وكثر التكلم بالكرامات وخوارق العادات واشتد الأيمان بالأولياء فنصبت فوق قبورهم القباب واقيمت لهم الموالد والأعياد ونسبت اليهم شتى المعجزات وكانت قبورهم تزار لجلب الأولاد أو الشفاء من الامراض والعاهات أو جلب الحظ والاكثار من الرزق .(٢)

---

(١) التفسير والمفسرون محمد حسين الذهبى جـ ٣ ص ٥

(٢) التصوف بين الحق والخلق ص ٥٠ - ٥١

أما الدور الرابع الذى ذكره بعض الدارسين وهو دور النهضه والتجديد فلا أعتقد صحته ذلكم أن الصوفيه قد لاقت فى العصور المتأخره صحوة اسلاميه كانت حربا عليها فنهضت فى الجزيره العربيه دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فهدمت القباب وابطلت النذور لها واقامة الموالد ونحوها حتى كاد التصوف أن يزول لولا طائفة لاتزال تبث سمومها المخدره فى المجتمع .

وقامت ضد الصوفيه دعوات أخرى ورجال آخرون فى مناطق شتى فى العالم الاسلامى فى مصر والشام والهند وغير ذلك لكن لم يكن لهذه الدعوات ما للدعوه الاسلاميه فى الجزيره العربيه .

ولذا فلاتزال الصوفيه فى تلك المناطق على تفاوت بينها تزاول شعائرها وتبث خرافاتها وأوهامها ولاأدرى لم يسمى بعض الباحثين هذه الفترة بالدور الرابع عضر النهضه والتجديد . الا أن كانوا يقصدون به تجديد الخرافات والبدع والمنكرات .

والا فكيف يزعم زاعم أن الرسول صلى الله عليه وسلم أوتى علم كل شيء (!!) حتى الروح والخمس التى فى آيه ان الله عنده علم الساعه (!!) وكيف يزعم أن للرسول صلى الله عليه وسلم أن يقطع أرض الجنه (!!) وكيف يصف الرسول صلى الله عليه وسلم أنه لم يقع ظله على الأرض ولا رؤى له ظل فى شمس ولا قمر لأنه كان نورا (١) !!

اذا كان قائل هذا القول من المنتسبين الى العلماء فلا عجب ان تنتشر بين عامتهم هذه المجالس والتكايا والغناء والرقص فيما يسمونه مجالس الذكر وان يكثر بينهم المرتزقه والمشعوذون والدجالون .

---

(١) حوار مع المالكى : عبد الله بن منيع ص ٢١ - ٢٢

ولا شك أن واجبا كبيرا يلقى اليوم على عاتق العلماء المسلمين لتحرير هؤلاء العامه من اولئك الادعياء .

عقائد التصوف :

لن نذهب بعيدا في ايراد النصوص وبسطها لبيان ذلك ونقصر الحديث على بيان جوهر التصوف وهل هناك أكثر بيانا للشيء من بيان جوهره كيف وصاحب البيان من الصوفيه يقول الدكتور عبد الحليم محمود " وجوهر الطريق الصوفي هو ما سماه الصوفيه المقامات والاحوال " .(1)

فما هي المقامات ؟ وما هي الأحوال ؟

قال " والمقامات هي المنازل الروحيه التي يمر بها السالك الى الله فيقف فيها فترة من الزمن مجاهدا في اطارها حتى يهيئ الله سبحانه وتعالى له سلوك الطريق الى المنزل الثاني لكي يتدرج في السمو الروحي من شريف الى أشرف ومن سام الى أسمى وذلك مثلا كمنزل " التوبه " الذى يهيئ الى منزل " الورع " ومنزل " الورع " يهيئ الى منزل " الزهد " وهكذا حتى يصل الانسان الى منزل المحبه والى منزل الرضى " (2)

" أما الاحوال فانها النسمات الروحيه التي تهب على السالك فتنتعش بها نفسه لحظات خاطفه ، ثم تمر تاركه عطرا تتشوق الروح للعوده الى تنسم أريجه وذلك مثل الانس بالله " (2)

وقد اختلف الصوفيه في المقامات والأحوال بين مجمل لها ومفصل ولكن الملاحظ - كما يقول عبد الحليم - أنه ليس اختلاف تناقض وتعارض وانما

---

(1) قضية التصوف : عبد الحليم محمود ص ٤٨
(2) قضية التصوف : عبد الحليم محمود ص ٤٨ - ٤٩

هو اختلاف بسط وايجاز [١] .

وللتفريق بين الاحوال والمقامات قال أحد أئمتهم :-

" فالأحوال مواهب والمقامات مكاسب والاحوال تأتى من عين الجواد والمقامات تحصل ببذل المجهود وصاحب المقام ممكن فى مقامه وصاحب الحال مترق عن حاله " [٢]

منازل المقامات ::

للصوفى عند الصوفى منازل للسالكين ومقامات للطالبين يرتقى فيها منزلة ومقاما مقاما هذه المنازل والمقامات هى :

التوبه :

فالتوبه أول منزل من منازل السالكين وأول مقام من مقام الطالبين [٣] .

الورع :

قالوا واذا صدقت التوبه استلزمت لا محاله : الورع و والورع هو أن يترك الانسان كل ما فيه شبهه [٤] .

الزهد :

قال أحد أئمتهم " والورع يقتضى الزهد " [٤]

التوكل :

وللتوكل درجات هي التوكل ، التسليم ، التفويض ، ومع ذلك فان كلمة التوكل تطلق على كل درجاته وتستعمل فى كل أنواعه . [٥]

---

(١) المرجع السابق ص ٤٩
(٢) الرسالة القشيريه جـ ١ ص ٢٠٦
(٣) المرجع السابق جـ ١ ص ٢٧٦
(٤) حقيقة التصوف ص ٦٢
(٥) حقيقة التصوف ص ٧٦ عبد الحليم محمود .

المحبه :

ولن يتأتى حب الله سبحانه دون أداء الفرائض والحب دون أداء الفرائض زيف وكذب .[1]

الرضا :

قالوا واذا كانت المحبة تبعها الرضا وذلك ان المحب راضى دائما عن أعمال محبوبه .[2]

وقالوا " والرضا آخر المقامات ثم يقتضى من بعد ذلك أحوال أرباب القلوب ومطالعة الغيوب وتهذيب الأسرار لصفاء الأذكار وحقائق الأحوال "[3] ؟!

من شروط التصوف :

ويكفى هنا ذكر شرط جوهرى للتصوف ذكره أحد علمائهم ننقله هنا بنصه : " ولا بد فى التصوف من شرط جوهرى هو التأثير الروحى أو بتعبير أدق " البركه " وهي لاتتأتى الا بواسطه " شيخ " ومن هنا كانت السلسله ، وهل السلسله الا بركات تنتقل من شيخ الى مريد يوشك أن يصبح شيخا فيؤثر بدوره فى مريد أو مريدين ؟ "[4]

طبيعة التصوف :

وقد أشار اليها الدكتور عبد الحليم محمود فقال عن طبيعة التصوف " ان التصوف ليس عملا علميا ولا بحثا نظريا انه لا يتعلم بواسطة الكتب على الطريقه المدرسية بل ان ما كتبه كبار مشايخ الصوفيه أنفسهم لايستخدم

---

(١) المرجع السابق ص ٨٦
(٢) المرجع السابق ص ٨٩
(٣) المرجع السابق ص ٩٣ عن اللمع ص ٨٠ - ٨١
(٤) حقيقة التصوف عبد الحليم محمود ص ١١٦

الآ كحافز مقو للتأمل والانسان لا يصير بمجرد قرآءته متصوفا علـــى أن ما كتبه كبار الصوفيه لا يفهمه الآ من كان أهلا لفهمه ولأجل أن يسير الانسان فى طريق التصوف لابد له من :

١- استعداد فطرى خاص لا يغنى عنه اجتهاد أو كسب .

٢- الانتساب الى " سلسلة " صحيحه اذ أن " البركه " الــتى تحصل من الانتساب الى السلسه الصحيحه هى الشرط الاساسى الذى لا يصل الانسان بدونه الى أى درجه من درجات التصوف حتى البدائية منهــا .

٣- ثم يأخذ المتصوف ، الطيب الفطره ، الذى باركه شيخــه فى الجهاد الاكبر : التأمل الروحى ، وفى الذكر : أى استحضـــار الله فى كل ما يأتى وما يدع وفى تركيز الذهن فى الملأ الأعلى فيصل موفقا من درجة الى درجة حتى يصل الى أعلى الدرجات وهى حالة تسمو على حدود الوجود المؤقت فيصبح ربانيا ذلك هو الصوفــــى الحقيقى (١) .

هذا ما قاله أحد علمائهم المعاصرين الذين حرصت كثـــيرا على أن اعتمد على ما كتبه فى بيان عقائد الصوفيه لمعاصرته لفـترة البحث أولا ولكونه من الصوفيه ثانيا ولكونه من كبار علمائهم بـل شـــيخ الأزهر ثالثا .

ولا أدرى من أين جاء أو جاءوا باشتراط هذه السلسلة فـــى العباده ومتى كان التعبد فى الاسلام بواسطة وقد جاء بالقضاء علـى الواسطة بين العبد وربه وما الفرق بينهم وبين " الذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الآ ليقربونا الى الله زلفى " (٢) .

---

(١) حقيقة التصوف عبد الحليم محمود ص ١١٨

(٢) سورة الزمر من الآية ٣

" وقال ربكم أدعوني أستجب لكم " فألغى كل واسطه بين العبد وربه ،الا أنها عودة الى الجاهلية وشر منها نسأل الله لنا ولهم الهدايه .

أقسام التصوف :

مما سبق في بيان أدوار الصوفيه يتبين أن التصوف ينقسم الى قسمين :

الأول : تصوف نظرى فلسفى وهو التصوف الذى يقوم على دراسات وأبحاث فلسفيه ، وقد تطور هذا النوع وأدى بأكثر أصحابه الى الالحاد .

والخروج عن الاسلام بما أوردوه من اصطلاحات وعبارات تخالف الاسلام من أصوله وهو الحاد فكرى .

الثانى : تصوف عملى وهو القائم على التقشف والزهد والتفانى فى الطاعة ،وقد أدى هذا القسم بطائفة كبيرة من المنتسبين اليه الى أمور شركيه من اتخاذ الأولياء وعبادة القبور واتخاذ التكايا وما يسمى مجالس الذكر فكثر فيهم المشعوذون والدجالون واتخذوا بعض الاصطلاحات والعبارات وضمنوها أسرارا ومكنونات لا يكشفها ولا يدريها الا أصحاب المقامات وفسروا على ضوئها آيات القرآن الكريم .

وعلى ضوء هذين القسمين انقسم التفسير عند الصوفيه الى اتجاهين :

١- تفسير صوفى نظرى .

---

(١) سورة غافر من الآية ٦٠

٢- تفسير صوفى فيضى أو اشارى .

التفسير الصوفى النظرى :

وقد سلك هذا الاتجاه فى التفسير فلاسفة الصوفية ويعد ابن عربى شيخ هذه الطريقة [(١)] وهى طريقه قصدها الشيخ محمد حسين الذهبى حين قال " يأبى الصوفى الا أن يحول القرآن عن هدفه ومقصده الى ما يصده هو ويرمى اليه وغرضه بهذا كله أن يروج لتصوفه على حساب القرآن وأن يقيم نظرياته وأبحاثه على أساس من كتاب الله وبهذا الصنيع يكون الصوفى قد خدم فلسفته التصوفيه ولم يعمل للقرآن شيئا اللهم الا هذا التأويل الذى كله شر على الدين والحاد فى آيات الله !!! [(٢)]

واذا كان الذهبى - رحمه الله تعالى - يصرح ب " هذا ولم نسمع بأن أحدا ألف فى التفسير الصوفى النظرى كتابا خاصا يتبع القرآن آية آية كما ألف مثل ذلك بالنسبة للتفسير الاشارى وكل ما وجدناه من ذلك هو نصوص متفرقه اشتمل عليها التفسير المنسوب الى ابن عربى وكتاب الفتوحات المكيه له وكتاب الفصوص له أيضا كما يوجد بعض من ذلك فى كثير من كتب التفسير المختلفة المشارب" [(٣)]

اذا كان الذهبى يصرح بهذا والفترة التى يدرسها فترة طويله من نشأة التصوف الى عصرنا هذا وضمنها فترة انتشر فيها التصوف وكثر فيها أربابه - فانى أقول ايضا انى لم أجد فى هذا العصر ايضا أحدا كتب فى هذا الاتجاه من التفسير الصوفى وان كان

---

(١) التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبى جـ٣ ص ٦
(٢) التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبى جـ ٣ ص ١٢
(٣) المرجع السابق جـ٣ ص ١٧

هناك من يقول به الا أنه لم يتعرض في دراسته له الى القرآن الكريم والحمد لله ، فلنعرض عن هذا اللون من التفسير الصوفى .

التفسير الفيضى ((الاشارى) :

تعريفه : هو تأويل آيات القرآن الكريم بغير ظاهرها بمقتضى اشارات خفيه تظهر لأرباب السلوك ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر المراد أيضا .

وقد ذكر الشيخ محمد حسين الذهبى وجهين للتفريق بين التفسير الصوفى الاشارى والتفسير الصوفى النظرى هما :

أولا : أن التفسير الصوفى النظرى وينبنى على مقدمات علميه تنقدح فى ذهن الصوفى أولا ثم ينزل القرآن عليها بعد ذلك .

وأما التفسير الاشارى فلا يرتكز على مقدمات علميه بل يرتكز على رياضه روحيه يأخذ بها الصوفى نفسه حتى يصل الى درجة تنكشف له فيها من سجف العبارات هذه الاشارات القدسية وتنهل على قلبه من سحب الغيب ما تحمله الآيات من المعارف السبحانيه .

ثانيا : أن التفسير الصوفى النظرى يرى صاحبه أنه كل ما تحتمله الآيه من المعانى وليس وراء معنى آخر يمكن أن تحمل الآيه عليه هذا بحسب طاقته طبعا أما التفسير الاشارى فلا يرى الصوفى أنه كل ما يراد من الآيه ويراد منها أولا وقيل كل شىء : ذلك هو المعنى الظاهر الذى ينساق اليه الذهن قبل غيره "(١)

---

(١) التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبى جـ ٣ ص ١٨

موقف العلماء من هذا اللون فى التفسير :

اختلف العلماء فى قبول التفسير الاشارى أو رده . فمنهم من قبله ومنهم من اعتبره من صفات الكمال والعرفان ومنهم من رده ومنهم من أعتبره الحادا فى آيات الله وخروجا به عن الحق.

وليس لنا أن نطلب من الرافضين لهذا التفسير دليلا ذلكم أن الاصل عدم قبول هذا النوع من التفسير لأن تفسير القرآن الكريم لا يكون الا بالقرآن أو بالسنه أو بالمتبادر من عموم لغة العرب لأن القرآن الكريم نزل بلسان عربى مبين فلا يصح تفسيره بخلاف ظاهرا للفظ الا بدليل يصرف المعنى المراد من ظاهر اللفظ الى معنى آخر .

أما من قال بهذا اللون من التفسير ومال اليه فهو المطالب بالدليل .

أدلة المؤيدين :

ومن الأدلة التى استدلوا بها :

١- ما رواه القريابى لسنده عن الحسن عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال " لكل آية ظهر وبطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع ، وسبق ذكر القول الصحيح فى هذا الحديث ونحوه .

٢- ما رواه البخارى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال: كان عمر يدخلنى مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد فى نفسه فقال لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله فقال عمر انه من حيث علمتم فدعاه ذات يوم فأدخله معهم فما رؤيت أنه دعانى يومئذ الآ ليريهم . قال ما تقولون فى قول الله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح

فقال بعضهم أمرنا نحمد الله ونستغفره اذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئا فقال لى أكذلك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت لا قال فما تقول ؟ قلت هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه له قال اذا جاء نصر الله والفتح وذلك علامة اجلك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فقال عمر ما أعلم منها الا ما تقول)(١)

٣- ما أخرجه ابن ابى حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس أنه قال " ان القرآن ذو شجون وفنون وظهور وبطون لا تنقضى عجائبه ولا تبلغ غايته فمن أوغل فيه برفق نجا ومن أخبر فيه بعنف هوى أخبار وأمثال وحلال وحرام وناسخ منسوخ ومحكم ومتشابه وظهر وبطن فظهره التلاوة وبطنه التأويل فجالسوا به العلماء وجانبوا به السفهاء .

وما روى عن أبى الدرداء أنه قال " لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يجعل للقرآن وجوها .

وما روى عن ابن مسعود انه قال " من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن "

قالوا : وهذا الذى قاله هؤلاء الصحابه رضوان الله عليهم لا يحصل بمجرد تفسير الظاهر .(٢)

ونختم حديثنا عن التفسير الاشارى بايراد أقوال بعض العلماء فى ذلك فمنهم : -

---

(١) رواه البخارى باب التفسير جـ ٦ ص ٢٢١

(٢) انظر التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبى جـ٣ ص ٢٠

الزركشي في برهانه :

قال الزركشي في البرهان " كلام الصوفيه فى تفسير القرآن قيل انه ليس بتفسير وانما هو معان ومواجيد يجدونها عند التلاوة "(١) .

ابن الصلاح في فتاويه :

وقال ابن الصلاح فى فتاويه وقد سئل عن كلام الصوفيه فى القرآن : ـ " وجدت عن الامام ابى الحسن الواحدى المفسر أنه قال : صنف أبو عبد الرحمن السلمى حقائق التفسير فان كان قد اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر . قال ابن الصلاح وأنا أقول الظن بمن يوثق به منهم أنه اذا قال شيئا من أمثال ذلك أنه لم يذكره تفسيرا ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمه المذكوره من القرآن العظيم فانه لوكان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنيه وانما ذلك منهم تنظير لما ورد به القرآن فان النظير يذكر بالنظير . . ثم قال . . ومع ذلك فياليتهم لم يتساهلوا فى مثل ذلك لما فيه من الابهام والالباس"(٢)

النسفي والتفتازاني :

قال النسفى فى العقائد " النصوص على ظواهرها والعدول عنها الى معان يدعيها أهل الباطل : الحاد " وعلق التفتازانى فى شرحه للعقائد على هذا بقوله :ـ

" سميت الملاحده باطنيه لادعائهم أن النصوص ليست على ظاهرها بل لها معان لايعرفها الا المعلم وقصدهم بذلك نفي الشريعة بالكليه

(١) البرهان فى علوم القرآن : بدر الدين الزركشى جـ ٢ ص ١٧٠
(٢) فتاوى ابن الصلاح ص ٢٩

قال : ـ وأما ما يذهب اليه بعض المحققين من أن النصوص على ظواهرها ومع ذلك ففيها اشارات خفيه الى دقائق تنكشف لأرباب السلوك يمكن التوفيق بينها وبين الظواهر المراده فهو من كمال الايمان ومحض العرفان "[1]

الغزالى فى الاحياء :

وقال الغزالى فى احياء علوم الدين : ـ" وأما الشطح فنعنى به صنفين من الكلام أحدثه بعض الصوفيه .

(أحدهما) الدعاوى الطويله العريضه فى العشق مع الله تعالى والوصال المغنى عن الاعمال الظاهرة حتى ينتهى قوم الى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهده بالرؤيه والمشافهه بالخطاب فيقولون قيل لنا كذا وقلنا كذا . . . وهذا فن من الكلام عظيم ضرره فى العوام حتى ترك جماعه من أهل الفلاحه فلاحتهم وأظهروا مثل هذه الدعاوى فان هذا الكلام يستلذه الطبع اذ فيه البطالة من الاعمال مع تزكية النفس بدرك المقامات والاحوال .

فلا تعجز الاغبياء عن دعوى ذلك لانفسهم ولا عن تلقف كلمات مخبطه مزخرفه ومهما أنكر عليهم ذلك لم يعجزوا عن أن يقولوا هذا انكار مصدره العلم والجدل والعلم حجاب والجدل عمل النفس وهذا الحديث لا يلوح الا من الباطن بمكاشفة نور الحق . فهذا ومثله مما قد استطار فى البلاد شرره وعظم فى العوام ضرره حتى من نطق بشىء منه فقتله أفضل فى دين الله من احياء عشره . . .

---

(١) العقائد النسفيه وشرحها : سعد الدين التفتازانى ص ١٤٣

الصنف الثانى من الشطح كلمات غير مفهومة لها ظواهر رائقه وفيها عبارات هائله وليس وراءها طائل وذلك اما أن تكون غير مفهومه عند قائلها بل يصدرها عن خبط فى عقله وتشويش فى خياله لقلة احاطته بمعنى كلام قرع سمعه وهذا هو الاكثر ، واما أن تكون مفهومة له ولكنه لا يقدر على تفهيمها وايرادها بعبارة تدل على ضميره لقله ممارسته للعلم وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعانى بالالفاظ الرشيقه ولا فائدة لهذا الجنس من الكلام الا أنه يشوش القلوب ويدهش العقول ويحير الاذهان أو يحمل على أن يفهم منها معانى ما أريدت بها ويكون فهم كل واحد على مقتضى هواه وطبعه..

الى أن قال " وأما الطامات فيدخلها ما ذكرناه فى الشطح وأمر آخر يخصها وهو صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومه الى أمور باطنه لا يسبق منها الى الافهام فائده كدأب الباطنيه فى التأويلات فهذا أيضا حرام وضرره عظيم فان الالفاظ اذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع من غير ضروره تدعوا اليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقه بالالفاظ وسقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم فان ما يسبق منه الى الفهم لا يوثق به والباطن لا ضبط له بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه شتى وهذا أيضا من البدع الشائعة العظيمة الضرر وانما قصد أصحابها الاغراب لان النفوس مائلة الى الغريب ومستلذه له وبهذا الطريق توصل الباطنيه الى هدم جميع الشريعه بتأويل ظواهرها وتنزيلها على رأيهم " . . . ومثال تأويل أهل الطامات قول بعضهم فى تأويل قوله تعالى - اذهب الى فرعون انه طغى - أنه اشاره الى قلبه وقال هو المراد بفرعون

وهو الطاغي على كل انسان وفى قوله تعالى - وأن الق عصاك - أى كل ما يتوكأ عليه ويعتمده مما سوى الله عز وجل فينبغى أن يلقيه ..... الى أن قال " ومن يستجيز من أهل الطامات مثل هذه التأويلات مع علمه بأنها غير مراده بالالفاظ ويزعم أنه يقصد بها دعوة الخلق الى الخالق يضاهى من يستجيز الاختراع والوضع على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هو فى نفسه حق ولكن لم ينطق به الشرع .... بل الشر فى تأويل هذه الالفاظ أطم وأعظم لانها مبطله للثقه بالالفاظ وقاطعه طريق الاستفادة والفهم من القرآن بالكليه " (١)

هذا ما قاله الامام الغزالى رحمه الله تعالى وانما أطلت فى نقل نصوصه لما فيها من الدقه والشمول بحيث لم يبق لاحد منهم حجه فيما ادعاه .

ولا أحب فى ختام حديثى هذا عن موقف العلماء من التفسير الاشارى الا أن أجعل فى ختامه رأى عالم أو عالمين من العلماء المعاصرين فى التفسير الاشارى فاكتفى بنقل رأى الذهبى والزرقانى ففيهما الكفايه والسداد .

رأى الذهبى :

بعد أن نقل الذهبى رأى ابن الصلاح والتفتازانى وابن عطاء الله السكندرى قال " فهولاء العلماء حسنوا ظنهم بالقوم فحملوا أقوالهم الغريبه التى قالوها فى القرآن على أنها ذكر لنظير ما ورد به القرآن أو على أنها اشارات خفيفه ومعان الهاميه تنهل على قلوب العارفين وتزهوهم

---

(١) احياء علوم الدين : الغزالى جـ ١ ص ٤٢ - ٤٤ باختصار .

عن ارادة التفسير الحقيقى لكتاب الله بمثل هذه الشروح الغريبه التى نقلت عنهم وهذا عمل حسن وصنيع جميل من هؤلاء العلماء وقد تابعناهم عليه حملا لحال المؤمن على الصلاح ... ولكن لم يلبث أن تبدد حسن ظننا بالقوم على أثر تلك المقاله التى قرأناها لابن عربى فى فتوحاته وفيها يصرح بأن مقالات الصوفيه فى كتاب الله ليست الا تفسيرا حقيقيا لمعانى القرآن وشرحا لمراد الله من الفاظه وآياته ويذكرلناأن تسميتها اشاره ليس الا من قبيل التقيه والمداراة لعلماء الرسوم أهل الظاهر وفى هذه المقاله يحمل حملة شعواء على أهل الرسوم - على حد تعبيره - الذين ينكرون عليه وعلى غيره من الصوفيه " (1)

رأى الزرقانى :

أما الشيخ عبد العظيم الزرقانى فيقول عن التفسير الأشارى .

" ولعلك تلاحظ معي أن بعض الناس قد فتنوا بالاقبال على دراسة تلك الاشارات والخواطر فدخل فى روعهم أن الكتاب والسنه بل الاسلام كله ما هي الاسوانح وواردات على هذا النحو من التأويلات والتوجيهات وزعموا أن الأمر ما هو الا تخييلات وأن المطلوب منهم هو الشطح مع الخيال أينما شطح فلم يتقيدوا بتكاليف الشريعه ولم يحترموا قوانين اللغه العربيه فى فهم أبلغ النصوص العربيه كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .... فواجب النصح لاخواننا المسلمين يقتضينا أن نحذرهم الوقوع فى هذه الشباك ونشير عليهم أن ينفضوا أيديهم من أمثال تلك التفاسير الاشاريه الملتويه ولا يعولوا على

---

(1) التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبى جـ ٣ ص ٣٥ - ٣٦

اشباهها مما ورد فى كلام القوم بالكتب الصوفيه لانها كلها أذواق ومواجيد خارجه عن حدود الضبط والتقييد وكثيرا ما يختلط فيها الخيال بالحقيقه والحق بالباطل واذا تجردت من ذلك فقلما يظهر منها مراد القائل واذا ظهر فقد يكون من الكفريات الفاحشه التى نستبعد صدورها من العلماء والمتصوفه بل من صادقى عامة المسلمين ... فالاحرى بالفطن العاقل أن ينأى بنفسه عن هذه المزالق وأن يفر بدينه من هذه الشبهات وأمامه فى الكتاب والسنه وشروحها على قوانين الشريعه واللغه رياض وجنات " اتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير " (١)

شروط قبول التفسير الاشارى :-

ثم ان العلماء الذين قبلوا هذا النوع من التفسير وضعوا له شروطا أربعه هى :-

١ - الا يتنافى وظاهر النظم القرآنى الكريم

٢ - أن يكون له شاهد شرعى يؤيده .

٣ - الا يكون له معارض شرعى أو عقلى .

٤ - أن لا يدعى أن التفسير الاشارى هو المراد وحده دون الظاهر بل لابد من الاعتراف والتسليم بالمعنى الظاهر أولا اذ لا يطمع فى الوصول الى الباطن قبل أحكام الظاهر ومن ادعى فنهم أسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن ادعى البلوغ الى صدر البيت قبل أن يجاوز الباب " (٢)

---

(١) مناهل العرفان : عبد العظيم الزرقانى جـ ١ ص ٥٥٧-٥٥٨ باختصار

(٢) الاحياء : الغزالى : جـ ١ ص ٢٩٨ الاتقان : السيوطى جـ ٢ ص ١٨٥

ثم ان المراد بالقبول هنا عدم رفضه لا وجوب اتباعه والأخذ به . أما عدم رفضه فلعدم منافاته لظاهر القرآن ولوجود الشاهد الذى يعضده من الشرع وكل ما كان كذلك لا يرفض . أما عدم وجوب الأخذ به لأن النص القرآنى لم يوضع للدلالة عليه بل هو من قبيل الوجدانيات التى لا تقوم على دليل ولا تستند الى برهان والتى لا تنضبط بلغة ولا تتقيد بقانون .

أهم المؤلفات فى التفسير الاشارى :

انقسم المفسرون السابقون فى تفاسيرهم من ناحية التفسيرالاشارى الى أقسام خمسة :

الأول : من أعرض كل الاعراض عن هذا اللون من التفسير ولا تجد له فيه ذكرا ،وأمثلة هذا النوع كثيرة .

الثانى : من التزم فى اكثر تفسيره التفسير بالظاهر مع اشارات قليلة الى التفسير الاشارى ومثاله تفسير النيسابورى .

الثالث : من جعل غالب همه فى التفسير الاشارى لكن يضيف اليه بقلة التفسير الظاهر كتفسير سهل التسترى .

الرابع : من جعل همه كله فى التفسير الاشارى ولا يشير مطالقا الى التفسير الظاهر كتفسير أبى عبد الرحمن السلمى .

الخامس : من جمع بين التفسير الاشارى والتفسير الصوفى النظرى مع الاعراض كل الاعراض عن التفسير بالظاهر وذلك كتفسير أبن عربى .

هذه أقسام خمسة كان المفسرون عليها قديما . واذا عدت الى الحاضر لم تكد تجد أحدا من الأنواع الثلاثة الأخيرة ـ على حد علمى ـ أما اللون الأول فهو الموجود وبكثرة . وأما اللون الثانى فموجود ولكن أقل كثرة من سابقه .

ومما زاد القلة قلة أن بعض أقطاب التصوف فى العصر الحديث ألفوا فى التفسير ، ولا يكاد القارئ يجد أى دلالة لا من قريب ولا من بعيد على انتمائهم الصوفى فى التفسير بينما تنضح بل تفيض كتبهم الاخرى برموزهم واصطلاحاتهم .

وفى مقابل هؤلاء وجد فى تفاسير بعض غير الصوفيين بل ومن المعروفين بمحاربة بدع الصوفية وجد فى تفاسيرهم هذا اللون من التفسير وهو وان كان بقلة الا أنهم عرفوا به وذلك كبعض تفاسير محمد عبده فى تفسير المنار . وهم وان كانوا لا يشيرون لا من قريب ولا من بعيد الى انتماء هذا النوع من التفسير لديهم الى اللون الصوفى الا أن العلاقة بينهما واضحة فكلاهما يصرف ظاهر الآيه عن معناه الحقيقى الى معنى باطنى لا صلة له لفظيه أو معنويه بها فهو صرف للفظ عن ظاهره من غير سبب سواء سمى تفسيرا رمزيا أو اشاريا أو تمثيليا .

ولعلى بعد هذا أذكر بعض المؤلفات الصوفيه التى تضمنت تفسيرا اشاريا فمن ذلك :

١- بيان السعادة فى مقامات العباده (فى مجلدين كبيرين) تأليف سلطان محمد بن حيدر الجنابذى .

٢- أسرار القرآن .
السيد محمد ماضى أبو العزائم

٣- ضياء الأكوان فى تفسير القرآن .
صدر منه جزءان ، تأليف أحمد سعد العقاد

وسنتناول بعض هذه التفاسير بشئ من التفصيل ان شاء الله .

أولا : بيان السعادة فى مقامات العبادة :

المؤلف :

أما اسم مؤلفه كما جاء فى تفسيره فهو سلطان محمد بن حيدر محمد بن سلطان محمد بن دوست محمد بن نور محمد بن الحاج محمد بن الحاج قاسم على البير ختى الجنابذى الخراسانى ، كان حيا سنة ١٣١١ ولم أجد له ترجمه .

التفسير :

وهو تفسير " بيان السعاده فى مقامات العباده "
ويقع فى مجلدين كبيرين ، فرغ منه مؤلفه فى الرابع عشر من شهر الصفر المظفر من شهور السنة الحاديه عشره بعد الثلثمائه بعد الألف من الهجره النبويه ، وثم طبعه فى الرابع عشر من شهر رمضان المبارك سنة ١٣١٤ (١)

منهجه فى التفسير :

لا أريد هنا أن أدرس منهج هذا التفسير دراسه مستوفيه الاّ من الجانب الصوفى ليس غير ، ولكن هذا لا يعنى ان نغفل الاشارة الى ذكر أهم سمات هذا التفسير واتجاهاته .

فأقول أن صاحب التفسير مع أنه صوفى فهو شيعى متطرف من الشيعه الاماميه الاثنى عشريه نضرب مثلا من آرائه الشيعيه المتطرفه .

الأئمة هم ورثة علم محمد صلى الله عليه وسلم :

قال المؤلف فى مقدمة تفسيره " ان عليّاً أول العشرة ووارث علم محمد صلى الله عليه وسلم وبعده الأحد عشر من ولده وان الحادى

---

(١) بيان السعاده فى مقامات العباده : محمد حيدر جـ٢ الصفحة الأخيرة .

عشر منهم غائب قائم منتظر لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج ويملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا وأن هؤلاء الاثنى عشر أئمته وشفعاؤه يوم القيامة "[١] .

وقال عن العتره " ان العتره مبينون[٢] القرآن فالقرآن امام صامت والعتره قرآن ناطق وكما أن محبة العالم من العتره وتعظيمه والنظر اليه والجلوس عنده واستماع قوله والتدبر فى أفعاله وأحواله وأخلاقه والتفكر فى شئونه والتسليم له ولمتشابهات ما مسه[٢] وتخلية بيت القلب لنزوله بملكوته فيه بملاحظة أنه حبل الله الممدود الى الناس ومن غير عناد معه من أعظم العبادات[٣] .

وعقد الفصل العاشر فى مقدمته لتأكيد هذه الأمور السابقة وجاء فى هذا الفصل " الفصل العاشر فى أن علم القرآن بتمام مراتبه منحصر فى محمد صلى الله عليه وسلم وأوصيائه الاثنى عشر وليس لغيرهم الآ بقدر مقامه . قد مضى أن بطون القرآن وحقايقه كثيرة متعدده وان بطنه الاعلى وحقيقته العليا هو محمديه محمد وعلويه على وهو مقام المشيّه التى هى فوق الامكان وكل نبى ووصى كان لا يتجاوز مقامه الامكان سوى محمد وأوصيائه ومن لم يبلغ الى مقام المشيّه لا يعلم ما فيه ولا يبيّن . من ذلك المقام شيئا " الى أن قال " ولما كان مقام محمد صلى الله عليه وسلم وعلى عليه السلام وأولاده المعصومين مقام المشيه كان علم القرآن كله عندهم وكان على هو من عنده علم الكتاب كما فى الآيه باضافة العلم الى الكتاب المفيد للاستغراق "[٤] .

---

(١) بيان السعاده فى مقامات العباده : محمد حيدر جـ١ ص ٢
(٢) كذا وردت .
(٣) بيان السعاده : محمد حيدر جـ٢ ص ٢
(٤) بيان السعادة : محمد حيدر جـ ١ ص ١٠

تحريـــف القـــرآن :

ذكرنا في المنهج الشيعي لتفسير القرآن استفاضة الأخبار عن أئمتهم بوقوع التحريف في القرآن وهو ما يؤكده صاحب هذا التفسير محمد حيدر الخراساني اذ جاء في مقدمة تفسيره وفي الفصل الحادي عشر منها قوله: " الفصل الثالث عشر في وقوع الزيادة والنقيصة والتقديم والتأخير والتحريف والتغيير في القرآن الذي بين أظهرنا [1] الذي أمرنا بتلاوته وامتثال أوامره ونواهيه . . الخ ." أعلم أنه قد استفاضت الاخبار عن الائمة الاطهار (ع) بوقوع الزيادة والنقيصة والتحريف والتغيير فيه بحيث لا يكاد لا يقع [2] شك في صدور بعضها منهم وتأويل الجميع بأن الزياده والنقيصه والتغيير انما هي في مدركاتهم من القرآن لا في لفظ القرآن كلفة ،ولا يليق بالكاملين في مخاطباتهم العامه لأن الكامل يخاطب بما فيه حظ العوام والخواص وصرف [3] للفظ من ظاهره من غير صارف وما توهموه صارفا من كونه مجموعا عندهم في زمن النبي وكانوا يحفظونه ويدرسونه وكانت الاصحاب مهتمين بحفظه عن التغيير والتبديل حتى أنهم ضبطوا قراءات القراء وكيفيات قراءاتهم ، فالجواب عنه : ان كونه مجموعا غير مسلم فان القرآن نزل في مدة رسالته الى آخر عمره نجوما . وقد استفاض الأخبار بنزول بعض السور وبعض الآيات في العام الأخير وما ورد من أنهم جمعوه بعد رحلته وأن عليا جلس في بيته مشتغلا بجمع القرآن أكثر من أن يمكن انكاره وكونهم يحفظونه ويدرسونه

---

(١) لا أدري لم عدل المؤلف عن وصفه بين ايدينا ،الى بين اظهرنا وقد ذم الله في كتابه الذين نبذوه وراء ظهورهم .

(٢) هكذا بالنفي وصحة سياق العباره : لايكاد يقع .

(٣) علق المؤلف على هذا بأنه عطف على كلفه .

مُسَلَّم لكن كان الحفظ والدرس فيما كان بايديهم واهتمام الاصحاب بحفظه وحفظ قراءات القراء وكيفيات قراءاتهم كان بعد جمعه وترتيبه وكما كان الدواعي متوفره في حفظه كذلك كانت متوفره من المنافقين في تغييره وما قيل انه لم يبق لنا حينئذ اعتماد عليه والحال أنا مأمورون بالاعتماد عليه واتباع أحكامه والتدبر في آياته وامتثال أوامره ونواهيه واقامة حدوده وعرض الأخبار عليه لا يعتمد عليه في صرف مثل هذه الاخبار الكثيره الداله على التغيير والتحريف عن ظواهرها لأن ، الاعتماد على هذا المكتوب ووجوب اتباعه وامتثال أوامره ونواهيه واقامة حدوده وأحكامه انما هي للاخبار الكثيره الداله على ماذكر لا للقطع بأن ما بين الدفتين هو الكتاب المنزل على محمد (صلى) من غير نقيصة وزيادة وتحريف فيه "[1] .

نزول القرآن بتمامه في الأئمة وفي أعدائهم :

وعقد المؤلف الفصل الرابع عشر في أن القرآن نزل بتمامه في الأئمة الاثنى عشر بوجه ونزل فيهم وفي أعدائهم بوجه ونزل اثلاثا ثلث فيهم وفي أعدائهم وثلث سنن وأمثال وثلث فرايض وأحكام بوجه"[2]

هذه أمور ثلاثة حرصت على سياقها مستطردا لأنها ما اجتمعت الآ في متطرفي الشيعة الاثنى عشرية وهو ما أردت اثباته بادئ ذي بدء لهذا التفسير ،ومن ثم ننطلق الى مرادنا من هذا التفسير وهو التفسير الصوفي فيه .

المنهج الصوفي في تفسيره :

وأول ما يواجهنا في تفسيره من انتمائه الى التفسير الاشاري

(١) بيان السعاده : محمد حيدر جـ١ ص١٢

(٢) المصدر السابق جـ ١ ص ١٢

قوله فى مقدمة تفسيره " وقد كان يظهر لى بعض الأحيان من اشارات الكتاب وتلويحات الأخبار لطائف ما كنت أجدها فى كتاب ولا أسمعها من خطاب فأردت أن اثبتها فى وريقات وأجعلها نحو تفسير للكتاب "[1] .

وقد أغرق المؤلف تفسيره بكثرة التأويلات الصوفيه والشطحات والمواجيد والاشارات والاصطلاحات التى لا يكاد يعرف لها معنى بل هى أشبه ما تكون بالطلاسم .

قصة خلق آدم :

ونبدأ ذكر الامثله على اشاراته ورموزه وتفسيره الصوفى بما فسر به الآيات القرآنيه فى خلق آدم وحواء عليهما السلام حيث قال : " اعلم أن قصة خلق آدم (على) وحواء (على) من الطين ومن ضلعه الأيسر ومن أمر الملائكه بسجود آدم[2] (على) واباء ابليس عن السجده واسكان آدم (على) وحواء (على) الجنه ونهيهما عن أكل شجرة من أشجارها ووسوسه ابليس لهما وأكلهما من الشجرة المنهية وهبوطهما من المرموزات المذكوره فى كتب الأمم السالفة وتواريخهم كما ذكرنا سابقا . فالمراد بآدم فى العالم الصغير اللطيفه العاقلة الآدميه الخليفه على الملائكه الارضيين وعلى الجنه والشياطين المطرودين عن وجه ارض النفس والطبع المسجوده للملائكه المخلوقة من الطين الساكنه فى جنة النفس الانسانية وهى أعلى عن مقام النفس الحيوانيه من المخلوق من ضلع جنبها الايسر الذى يلى

---

(١) بيان السعاده : محمد حيدر جـ١ ص ٣

(٢) كذا ولعل الصحيح بالسجود لآدم

النفس الحيوانيه زوجتها المسماه بحواء لكدرة لونها بقربها فى النفس الحيوانيه ، والمراد بالشجرة المنهيه مرتبه النفس الانسانيه التى هى جامعه لمقام الحيوانيه ، والمرتبه الآدميه والمراد بالحية واختفاء ابليس بين لحييها القوّه الواهمه فانها لكونها مظهرا لابليس تسمى بابليس فى العالم الصغير ووسوسته تزيينها ما لا حقيقة له للجنب الأيسر من آدم المعبر عنه بحواء وهبوط آدم (على) وحواء (على) عباره عن تنزلهما الى مقام الحيوانيه وهبوط ابليس والحيه وذريتهما عباره عن تنزلها عن مقام التبعيه لآدم فان ابليس لما كان الواهمة أحد مظاهره كان رفعتها رفعته وشرافتها باستخدام آدم لها شرافته ،وهبوط الواهمه كان هبوطا له ،واذا أريد بالشجرة النفس الانسانيه ارتفع الاختلاف من الأخبار فان النفس الانسانيه شجرة لها أنواع الثمار والحبوب وأصناف الأوصاف والخصال ،لأن الحبوب والثمار وان لم تكن بوجوداتها العينيه الدانيه الموجوده فيها لكن الكل بحقائقها موجوده فيها ،فتعيين تلك الشجره بشئ من الحبوب والثمار أو العلوم والأوصاف بيان لبعض شئونها . روى فى تفسير الامام(على) أنها شجره علم محمد (صلى) وآل محمد (صلى) الذين آثرهم الله تعالى به دون ساير خلقه فقال الله تعالى (لا تقربا هذه الشجرة) شجرة العلم فانها لمحمد (صلى) وآله (صلى) دون غيرهم ولا يتناول منها بأمر الله الاّ هم ،ومنها ما كان يتناوله النبى (صلى) وعلى (على) وفاطمه (على) والحسن (على) والحسين(على) بعد اطعامهم المسكين واليتيم والأسير حتى لم يحسوا بجوع ولا عطش ولا تعب ولا نصب وهى شجرة تميزت من بين ساير الاشجار بأن كلا منها انما يحمل نوعا من الثمار وكانت هذه الشجره وجنسها تحمل البر والعنب والتين والعناب وساير أنواع الثمار والفواكه والاطعمه

فلذلك اختلف الحاكون فقال بعضهم برة وقال آخرون هى عنبه وقال آخرون هى عنابه وهى الشجره التى من تناول منها باذن الله ألهم علم الأولين والآخرين من غير تعلم ومن تناول بغير اذن الله خاب من مراده وعصى ربه (أقول آخر الحديث يدل على ما قالته الصوفيه من أن السالك ما لم يتم سلوكه ولم ينته الى مقام الفناء ولم يرجع الى الصحو بعد المحو باذن الله لم يجز له الاشتغال بالكثرات ومقتضيات النفس زائدا على قدر الضرورة وشجرة علم محمد (صلى) وآل محمد (صلى) اشارة الى مقام النفس الجامع لكمالات الكثره والوحده " (١) .

وهذا النوع من التفسير عنده وعند الصوفيه لا يدرك بالقوة البشريه ولا بالمدارك الشيطانيه فلم يبق الا الالهام الالهى حيث يقول " ولما كان قصة آدم وخلقته وأمر الملائكة بسجدته واباء ابليس عن السجود وهبوطه عن الجنه وبكائه فى فراق الجنه . . . . الخ من مرموزات الأوائل وقد كثر ذكره فى كتب السلف خصوصا كتب اليهود وتواريخهم ورد أخبارنا مختلفه فى هذا الباب اختلافا كثيرا مرموزا بها الى ما رمزوه ومن أراد أن يحملها على ظاهرها تحيّر فيها ومن رام أن يدرك المقصود بقوته البشريه والمدارك الشيطانيه منها طرد عنها ولم يدرك منها الاّ خلاف مدلولها ." (٢)

وهذا النوع من التفسير هو الذى سلكه الاستاذ الامام محمد عبده فى تفسيره فقال فى تفسير الآيات السابقة فى قصة آدم عليه السلام : " وتقرير التمثيل فى القصه على هذا المذهب هكذا ان أخبار الله الملائكه بجعل الانسان خليفه فى الأرض هو عباره عن

---

(١) بيان السعاده : جـ١ ص ٤٥-٤٦

(٢) المرجع السابق جـ ١ ص ٤٢

تهيئة الأرض وقوى هذا العالم وأرواحه التى بها قوامه ونظامه لوجود نوع من المخلوقات يتصرف فيها فيكون به كمال الوجود فى هذه الأرض- وسؤال الملائكه عن جعل خليفه يفسد فى الأرض لأنه يعمل باختياره ويعطى استعدادا فى العلم والعمل لا حدّ لهما هو تصوير لما فيه استعداد الانسان لذلك وتمهيد لبيان أنه لا ينافى خلافته فى الأرض - وتعليم آدم الأسماء كلها بيان لاستعداد الانسان لعلم كل شئ فى هذه الأرض وانتفاعه به فى استعمارها - وعرض الاسماء على الملائكه وسؤالهم عنها وتفصلهم فى الجواب ، تصوير لكون الشعور الذى يصاحب كل روح من الأرواح المدبرة للعوالم محدودا لا يتعدى وظيفته - وسجود الملائكه لآدم عبارة عن تسخير هذه الارواح والقوى له ينتفع بها فى ترقية الكون بمعرفة سنن الله تعالى فى ذلك - واباء ابليس واستكباره عن السجود تمثيل لعجز الانسان عن اخضاع روح الشر وابطال داعية خواطر السوء التى هى مثار التنازع والتخاصم والتعدى والافساد فى الأرض ولولا ذلك لجاء على الانسان زمن يكون فيه أفراده كالملائكه بل أعظم أو يخرجون عن كونهم من هذا النوع البشرى "(١).

وهو أيضا نفس التأويل الذى أوّل به محمد عبده المراد بالملائكه بقوله " يشعر كل من فكر فى نفسه ووازن بين خواطره عندما يهم بأمر فيه وجه للحق أو للخير ووجه للباطل أو للشر بأن فى نفسه تنازعا كأن الأمر قد عرض فيها على مجلس شورى فهذا يورد وذاك يدفع واحد يقول أفعل وآخر يقول لا تفعل حتى ينتصر أحد الطرفين ويترجح أحد الخاطرين فهذا الشئ الذى أودع فى

---

(١) تفسير المنار جـ ١ ص ٢٨١ - ٢٨٢

أنفسنا ونسميه قوة وفكرا - وهو فى الحقيقة معنى لا يدرك كنهه وروح لا تكتنه حقيقتها - لا يبعد أن نسميه الله تعالى ملكا أو يسمى أسبابه ملائكه أو ما شاء من الاسماء فان التسمية لا حجر فيها على الناس فكيف يحجر فيها على صاحب الاراده المطلقة والسلطان النافذ والعلم الواسع " ثم قال " ولو أن نفسا مالت الى قبول هذا التأويل لم تجد فى الدين ما يمنعها من ذلك والعمدة على اطمئنان القلب وركون النفس الى ما أبصرت من الحق " وقد علق تلميذه السيد رشيد رضا على هذا بقوله " ان غرض الاستاذ من هذا التأويل الذى عبر عنه بالايماء وبالاشاره اقناع منكرى الملائكه بوجودهم بتعبير مألوف عندهم تقبله عقولهم " (١).

ولا أشك فى ضلال هذا النوع من التفسير الذى يصرف أخبار القرآن عن ظاهرها وحقائقها الى أوهام يتخيلها ايماءات أو اشارات مهما كان هدف قائلها ومهما كان مراده ما دامت المعانى التى ساقها لا تمت الى النص بصله أصيله أو أدله قويه صريحه .

الانسان بين نشأتى الجذب والسلوك :

وظهر تفسيره الصوفى الملئ باصطلاحات ورموز واشارات الصوفية فى تفسيره لقوله تعالى " وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون " (٢). وقد ذكر فى سبب نزولها ما خلاصته أن عليّا رضى الله عنه حلف أن لا ينام بالليل ، وأن بلالا رضى الله عنه حلف أن لا يفطر بالنهار أبدا وأما عثمان ابن مظعون فانه حلف

---

(١) تفسير المنار جـ ١ ص ٢٦٨ - ٢٧٠
(٢) سورة المائدة الآيه ٨٨

أن لا ينكح أبدا . فلما علم الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك، " صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ما بال أقوام يحرمون على أنفسهم الطيبات ،انى أنام الليل وأنكح وأفطر بالنهار فمن رغب عن سنتي فليس منى فقام هؤلاء فقالوا يا رسول الله فقد حلفنا على ذلك فأنزل الله آيات الحلف الآتيه " .(١)

وبما أن المؤلف امامى يعتقد بعصمة عليّ رضى الله عنه فان فى هذا الأمر اشكالان وضحهما ورد عليهما بقوله : ـ " أولا بأن أمثال هذه المعاتبات ونسبة التحريم والاعتداء والتقوى ولغو الايمان غير مناسبه لمقام علي على وثانيا بأن على اما كان عالما بأن تحريم الحلال ان كان بالاستبداد والرأى كان من البدع والضلال وان كان بالنذر وشبهه كما دل عليه الخبر كان مرجوحا غير مرضى لله تعالى ومع ذلك حرمه على نفسه أو كان جاهلا بذلك وكلا الوجهين غير لائق بمقامه على . . .

والجواب الجلى لطالبى الآخره والسالكين الى الله الذين بايعوه بالولايه وتابعوه بقدم صدق واستشموا نفحات نشأته حال سلوكه أن يقال : ـ ان السالك الى الله يتم سلوكه باستجماعه بين نشأتى الجذب والسلوك بمعنى توسطه بين تفريط السلوك الصرف وأفراط الجذب الصرف فانه ان كان فى نشأة السلوك فقط جمد طبعه ببرودة السلوك حتى يقف عن السير ، وان كان من نشأة الجذب فقط فنى بحرارة الجذب عن أفعاله وصفاته وذاته بحيث لا يبقى منه أثر ولا خبر وهو وان كان فى روح وراحة لكنه ناقص كمال النقص من حيث أن المطلوب منه حضوره بالعود لدى ربه مع جنوده وخدمه واتباعه وحشمه وهو طرح الكل وتسارع بوحدته فالسالك الى الله

---

(١) بيان السعادة : محمد حيدر ج ١ ص ٢٥٠

تكميله مربوط بأن يكون في الجذب والسلوك منكسرا برودة سلوكه بحرارة جذبه فالجذب والسلوك كالليل والنهار أو كالصيف والشتاء من حيث أنهما يربيان المواليد بتضادهما فهما مع كونهما متنازعين متآلفان متوافقان .

اذا علمت ذلك فاعلم أن السالك اذا وقع في نشأة الجذب وشرب من شراب الشوق الزنجبيلي سكر وطرب ووجد بحيث لا يبقى في نظره سوى الخدمه للمحبوب وكلما رآه منافيا للخدمه رآه ثقلا ووبالا على نفسه ومكروها لمولاه فيصمم في طرحه ويعزم على ترك الاشتغال به وهو من كمال الطاعه لا أنه ترك الطاعه كما يظن فلا ضير أن يكون أمير المؤمنين على حال سلوكه وقع في تلك النشأه وحرم على نفسه كل ما يشغله عن الخدمه لكمال الاهتمام بالطاعه ولما لم يمكن تحصيل الكمال التام الا بالجمع بين النشأتين أسقاه محمد صلى من شراب السلوك لأنه كان مكملا مربيا له ولغيره ولذا قالوا لابد أن يكون للسالك شيخ والا فيوشك ان يقع في الورطات المهلكة ولا منقصه في أمثال هذه المعاتبات على الأحباب بل فيها من اللطف والترغيب في الخدمه مالا يخفى وعلي على كان عالما بأن الكمال لا يحصل الا بالنشأتين لكنه يرى حين الجذب أن كلما يشغله عن الخدمه فهو مكروه المحبوب ومرجوح عنده فخلف على ترك المرجوح ، أو يقال أن عليا على لما كان شريكا للرسول صلى الله عليه وسلم في تكميل السلاك لقوله أنت مني بمنزلة هارون من موسى وكان له شأن الدلاله ولمحمد صلى الله عليه وسلم شأن الارشاد والمرشد بنشأته النبويه شأنه تكميل السالك بحسب نشأة السلوك وان كان بنشأته الولويه ، وشأن الارشاد شأنه التكميل بحسب الجذب والدليل بنشأته الولويّه شأنه التكميل

بحسب نشأة الجذب وان كان بنشأته النبويه وشأن الدلاله شأنه التكميل بحسب السلوك فالدليل بولايته يقرب السالك الى الحضور ويعلمه آداب الحضور وطريق العبوديه من عدم الالتفات الى ما سوى المعبود وطرح جميع العوائق من طريقه والمرشد بنبوته يبعده عن الحضور ويقربه الى السلوك ويرغبه فيه فهما فى فعلهما كالنشأتين متضادان متوافقان فأمير المؤمنين على لما رأى بلالا وعثمان مستعدين لنشأة الجذب رغبهما الى تلك النشأه بطرح المستلذات وترك المألوفات وشاركهما فى ذلك ليستكمل بذلك شوقهما ويتم جنبهما ولما مضى مدة ورأى الرسول صلى ألله عليه وسلم أن عودهما الى السلوك أوفق وانفع لهما ردهما الى نشأة السلوك وعاتبهما بالطف عباره ولا يرد نقص على أمير المؤمنين على " (١)

مراتب السالك :

وضح المؤلف فى تفسيره المراتب التى يمر بها السالك وذلك عند تفسيره لقوله تعالى " ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يجب المحسنين " (٢) فقال :- " اعلم أن للانسان من أول تخيره الى آخر مراتبه تطورات ونشآت وبحسب كل نشأة له أعمال وارادات وشرور وخيرات وللسالك الى الله من بدو سلوكه الى آخر مراتبه الغير المتناهيه مقامات ومراحل وأسفار ومنازل ، والتقوى تارة تطلق على التحفظ عن كل ما يضر الانسان فى الحال أو فى المآل

---

(١) بيان السعادة : محمد حيدر جـ ١ ص ٢٥٠ - ٢٥١

(٢) سورة المائده الآيه ٩٣

وهو معناها اللغوى وبهذا المعنى تكون قبل الاسلام وقبل الايمان
ومعهما وبعدهما ، وتارة تطلق على التحفظ عما يصرفه عن توجهه
الى الايمان وبهذا المعنى تكون مع الاسلام وقبل الايمان ومع الايمان
لكن فى مرتبة الاسلام فان مالم يسلم لم يتصور توجه واهتداء الى
الايمان حتى يتصور صارف له عن الايمان وحفظ عن ذلك الصارف ،
والتقوى بهذا المعنى عبارة عن تحفظ النفس عن جملة المخالفات الشرعيه
وتارة تطلق على ما يصرفه عن الطريق الموصل له الى غايته ويدخله
فى الطريق الموصله الى الجحيم وبهذا المعنى لاتكون قبل الايمان
لانه لم يكن ح (١) فى الطريق بل تكون مع الايمان الخاص الذى به
يكون الوصول الى الطريق ، والايمان قد يطلق على الاذعان وهو
معناه اللغوى وقد يطلق على ما يحصل بالبيعه العامة وهو الايمان
العام المسمى بالاسلام وقد يطلق على ما قد يحصل بالبيعه الخاصه
الولوّيه وهو الايمان الحقيقى وقد يطلق على شهود ما كان
موقنا به وهو الايمان الشهودى " الى أن قال " والانسان من أول
تميزه نشأته نشأة الحيوان لايدرى خيرا الا ما اقتضته القوى
الحيوانيه ، ولا شرا الا ما ستكرهته ، ولا يتصور له التقوى سوى
التقوى اللغويه فاذا بلغ مقام المراهقه حصل له فى الجمله تميز
الخير والشرو الانسانيين وتعلق به زاجر الهى باطنى بحيث يستعد
لقبول الامر والنهى من زاجر بشرى لكن لا يكلف لضعفه ويمرن لوجود
الاستعداد والزاجر الباطنى ويتصور له التقوى بالمعنى الأول والثانى
فى هذا المقام بمقدار تميزه الخير والشر الانسانيين فاذا بلغ
أوان التكليف وقوى التميز الاستعداد والزاجر الالهى تعلق به
التكليف من الله بواسطة النذر ، وبقبوله التكليف بالبيعه والميثاق

---

(١) كذا فى الكتاب .

يحصل له الاسلام ويتصور له التقوى أيضا بالمعنى الأول والثاني
ولا يتصور له التقوى بالمعنى الثالث لعدم وصوله الى الطريق بعد ،
وفى هذا المقام يكلفه المكلف الالهي بالتكاليف الغالبيه وينبهه
على أن للانسان طريقا الى الغيب وله بحسب هذا الطريق تكاليف أخر
ويدله على من يريه الطريق ويكلفه التكليفات الاخر اشارة أو تصريحا
أو يريه بنفسه الطريق فاذا ساعده التوفيق وتمسك بصاحب الطريق
حتى قبله وكلفه بالبيعهوالميثاق التكليفات القلبيه صار مؤمنا بالايمان
الخاص ومتمسكا بالطريق متقيا بالمعنى الثالث وسالكا الى الله وله
فى سلوكه مراحل ومقامات وزكاة وصوم وصلاة وترؤات وفناءات ففى
المرتبة الاولى ويرى من نفسه الفعل والترك وجملة صفاته فاذا
ترقي وطرح بعض ما ليس له ويرى الفعل من الله ولا حول ولا قوة الا بالله
صار فانيا من فعله باقيا بفعل الحق فاذا ترقى وطرح بعضا آخر
بحيث لا يرى من نفسه صفه صار فانيا من صفته باقيا بصفة الله
فاذا ترقى وطرح الكل بحيث لا يرى نفسه فى البين صار فانيا من ذاته
وفى هذا المقام ان أبقاه الله صار باقيا بعد الفناء ببقاء الله وتم
له السلوك وصار جامعا بين الفرد والجمع والوحده والكثرة وجعل
العرفاء الشامخون بحسب الأمهات أسفار السالك وسيره أربعه
وسموها أسفارا أربعه السفر الأول السير من النفس الى حدود القلب
وهو سيرة فى الاسلام وعلى غير الطريق ويسمونه السفر من الخلق الى
الحق والثانى سيره من حدود القلب الى الله وهو سيرة فى الايمان
وعلى الطريق وبدلالة الشيخ المرشد وفى هذا السير يحصل الفناءات
الثلاثه ويسمونه السفر من الحق فى الحق الى الحق والثالث سيره
بعد الفناء فى المراتب الالهيه من غير ذات وشعور بذات ويسمونه

السفر بالحق فى الحق والرابع سيرة بالحق فى الخلق بعد صحوه وبقائه بالله ويسمونه السفر بالحق فى الخلق اذا علمت ذلك فنقول معنى الآيه أنه ليس على الذين بايعوا بالبيعه العامه النبويه وقبول الدعوه الظاهره وأسلموا بقبول الأحكام الغالبيه وتوجهوا من ديار الاسلام التى هى صدورهم الى ديار الايمان التى هى قلوبهم وعملوا الاعمال التى أخذوها من صاحب اسلامهم جناح فيما فعلوا وحصلوا من الافعال والعلوم ولما كان المراد فى التقوى فى لسان الشارع هو المعنى الثانى والثالث دون الأول لم يقل تعالى شأنه ليس على الذين اتقوا وآمنوا فى تلك المرتبه واقتصر على الايمان والعمل الصالح لكن نفى الجناح بشرط ان اتقوا صوارفهم عن التوجه الى الايمان والترحل الى السفر الثانى والوصول الى الطريق وجملة المخالفات الشرعيه صوارفه عن هذا التوجه وآمنوا بالبيعه الخاصه الولويه وقبول الدعوى الباطنه وعملوا الصالحات التى أخذوها من صاحب الطريق ثم اتقوا نسبة الأفعال والصفات الى أنفسهم وآمنوا شهودا بما آمنوا به غيابا وفى هذا المقام يقع السالك فى ورطات الحلول والاتحاد والالحاد وساير أنواع الزندقه من الثنويه وعبادة الشيطان والرياضه بخلاف الشرايع الالهيه ومغلطة الأرواح الخبيثه بالارواح الطيبه فانه مقام تحته مراتب غير متناهيه وورطات غير محصوره وأكثر ما فشا فى القلندريه من العقايد والأعمال نشأ من هذا المقام والسالك فى هذه المرتبه لا يرى صفه لنفسه ولا فعلا من نفسه ولذلك أسقط العمل الصالح ولم يذكره ثم اتقوا من رؤية ذواتهم وهذا هو الفناء التام والفناء الذاتى وفى هذا المقام لا يكون لهم ذات بعد التقوى حتى يتصور لهم ايمان أو عمل والسالك فى هذا السفر لا نهايه لسيره ولا تعين لوجوده ولا نفسيه له ويظهر منه الشطحيات التى لا تصح من غيره كما تظهر منه

فى المقام السابق أيضا وكما لايرى السالك فى هذا المقام لنفسه عينا ولا أثرا لايرى لغيره أيضا عينا ولا أثرا ومن هذا المقام ...... نشأت الوحده الممنوعه وما يترتب عليها من العقايد الباطله والأعمال الكاسده فان أدركته العنايه وأفاق من فنائه وصار باقيا ببقاء الله صار محسنا بحسب الذات والصفات والأفعال ولذلك قال تعالى بعذ ذكر التقوى وأحسنوا واسقط الايمان والعمل جميعا لانه بعد فنائه الذاتى وبقائه بالله صار ذاته وصفته وفعله حسنا واحسانا حقيقيا وأما قبل ذلك فانه لايخلوا من شوب سوئه واساءته بقدر بقاء نسبة الوجود الى نفسه قبل فنائه وأيضا قبل الفناء بقدر نسبة الوجود الى نفسه يكون مبغوضا لامحبوبا على الاطلاق وبعد الفناء وقبل البقاء بالله لاموضوع له حتى يحكم عليه بالمحبوبيه والمبغوضيه وبعد البقاء بالله يصير محبوبا على الاطلاق ولذلك قال والله يحب المحسنين فى آخر الايه " (١)

مراتب الكمال :

وتحدث فى تفسيره عن مراتب كمال الانسان عند تفسيره لقوله تعالى مخاطبا ابراهيم عليه السلام " انى جاعلك للناس اماما " (٢) فقال " فالامامة آخر جميع مراتب كمالات الانسان فان أول كمالاته العبوديه من أولى درجاتها وهي أولى درجات السلوك الى الطريق متدرجا فيه الى الوصول الى الطريق متدرجا فى السلوك على الطريق الى الله الى أن خرج من أنانيته ورقيه نفسه وذخل فى زمرة عباده واستكمل العبودية وصار عبدا خالصا فان أدركته العنايه وابقاه الله بعد فنائه وأحياه

---

(١) بيان السعادة : محمد حيدر ج ١ ص ٢٥١ - ٢٥٢
(٢) سورة البقره من الآيه ١٢٤

بحياته لتكميل خلقه فاما أن يوكله باصلاح قلبه الذى هو بيت الله حقيقة وباصلاح أهل مملكه نفسه من غير اذن له فى الرجوع الى خارج مملكته وهو مقام النبوه المفرده عن الرسالة أو يأذن له مع ذلك باصلاح المملكة الخارجه وهو الرسالة المفرده عن الخلهأو يختاره مع ذلك لنفسه ممتازا به عن ساير رسله معيدا له كره أخرى غير العود الاول فأن العود الاول كان يطرح كل ما أخذ وبهذا العود يعود معه جميع ما أعطاه الله وهو جميع ما سواه وهو الخله فان استكمل مقام الخله بان كان مقامه مع الحق هو مقامه مع الخلق مع التمكن فى ذلك اختاره للامامه وتفويض جملة الأمور اليه بحيث لا يسقط ورق من شجر الا باذن وكتاب وأجل منه وليس وراء هذه مقام ومرتبه وقد علم من هذا أن كل امام خليل رسول وكل رسول نبى وكل نبى عبد وليس بالعكس وأن الامامه بهذا المعنى هو الجمع بين المقام فى الخلق والمقام عند الحق من غير قصور فى شىء منهما مع التمكن فى ذلك"(١)

هذا ما قاله ذلكم المفسر عن مقام الامامه ولئن كان وقوفى عند كثير من كلماته كثير وكثير فان أشده دهشه وأعظمه استغرابا عند قوله المنقول آنفا " . . . اختاره للامامه وتفويض جملة الامور اليه بحيث لا يسقط ورق من شجر الا باذن وكتاب وأجل منه " لا يدهشنى قوله " وليس وراء هذه مقام ورتبه لأنى أعتقد أنه ليس بعد مقام الألوهيه مقام والرجل خص مقام الامامه بأدق خصائص الألوهيه والعياذ بالله فهل يعتقد أن المرء يترقى فى مقامات الكمال حتى يصل الى مقام الامامه بخصائص الالوهيه ، أو يعتقد أن مقام الامامه ومقام الألوهيه سياق ورمزين لمعنى واحد أو يعتقد غير هذا وذاك وكلها

---

(١) بيان السعادة : محمد حيدر ج ١ ص ٧٩

اعتقادات لاتخرج بحال من الأحوال عن الانحراف والالحاد في آيات الله .

اصطلاحات ورموز :

وتفسيره ملىء باصطلاحات الصوفيه ورموزها ولو ذهبنا نذكر أمثله لخرجنا عن حد الاعتدال في عرض المقصود الى الاطناب ونسلم من الخروج عنه بذكر بعضها فمن ذلك :-

القريه :

للقريه في قوله تعالى " وما لكم لاتقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القريه الظالم أهلها "[1]

فسرها بقوله " ان كان النزول في ضعفاء مكه فلا اختصاص لها بهم كما في الخبر فالقريه مكه وكل قريه لا يجد الشيعه فيها وليا من الامام ومشايخهم ، وكل قرية وقع بها الائمه على بين منافقى الامه وقرية النفس الحيوانيه التي لايجد الجنود الانسانيه فيها وليا ويطلبون الخروج منها الى قرية الصدور ومدينة القلب ويسئلون الحضور عند امامهم أو مشايخهم على في بيت القلب خاليا عن مزاحمة الاغيار بقولهم واجعل لنا من لدنك وليا واجعل بنا من لدنك نصيرا " .[2]

اليتيم :

في قوله تعالى : " وآتوا اليتامى أموالهم "[3] قال في تفسيره : " اعلم أن اليتيم كالرحم روحاني وجسماني فالجسماني من انقطع من صغره

---

(١) من سورة النساء من الآيه ٧٥
(٢) بيان السعادة ج ١ ص ٢١١
(٣) سورة النساء من الآيه ٢

عن أبيه الجسمانى ، والروحانى من انقطع عن امامه الذى هو أبوه الروحانى كما ورد تصريحا واشارة . واليتيم عن الامام إمّا بغيبته عن شهود حسه بموت وغيره أو بغيبته عن شهود بصيرته بعدم استعداد الحضور وعدم حصول الفكر الذى هو مصطلح الصوفيه فان من لم يتمثل مثال الشيخ فى صدره ولم يشاهد صورته المثاليه بعين بصيرته كان منقطعا عن امامه وحقه الخدمه والمواساة والمحبة والنصيحة التى يعطون الميثاق عليها هذا هو اليتيم الروحانى فى العالم الكبير وأما فى العالم الصغير فالقوى الحيوانيه والبشريه مالم تبلغ فى التبعيه للنفس الى مقام التمتع والالتذاذ بشهود النفس لشيخها تكون يتامى ومالها وحقها التلذذ بمشتهياتها ومقتضياتها فى الحلال فان التلذذ فى الحلال جعل قسيما لتزود المعاد فى الأخبار" (١)

البروج والسراج والقمر :

وذلك فى تفسيره ولقوله تعالى " تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا " (٢)

فسر البروج بقوله " يجوز أن يراد بالبروج الكواكب السياره . . . . . أو أن يراد اللطائف النبويه والولويه المحصوره كلياتها فى اثنى عشره الغير المنتهى جزئياتها الى حدّ المحدوده بحسب الأمهات التى مائه وأربعه وعشرين ألفا أو مائه وعشرون ألفا أو مائه ألف ، وأن يراد الأنبياء (على) والأولياء (على) فانهم بتعلقهم بأبدانهم الأرضيه : أركان الارض ، وبتجردهم الذاتى عن أرض الطبع أركان السماء وأن يراد الجهات الفاعليه المحييه والمميته والمفيضه للأرزاق أو المفيضه للعلوم والمعبر عنها بإسرافيل وعزرائيل وميكائيل وجبرائيل" (٣) .

---

(١) بيان السعادة : محمد حيدر ج ١ ص ١٩٠
(٢) سورة الفرقان من الآيه ٦١
(٣) بيان السعادة محمد حيدر ج ٢ ص ٨٧

وفسر سراجا وقمرا بقوله " والمراد بحسب التأويل من السراج لطيفة الولايه فانها المضيئه بذاتها ومن القمر لطيفه النبوه والرساله فانها كاسبة للنور من الولاية "[(١)]

التعليم والتلقين :

وقد بين كيفيه التعليم والتلقين عند الصوفيه عند تفسيره لقوله تعالى " واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا "[(٢)].
فقال : " وقد بقى بين الصوفيه أن يكون التعليم والتلقين بتعاضد نفسين متوافقتين يسمى أحد الشخصين هاديا والآخر دليلا والشيخ الهادى له الهدايه وتولى أمور السالك فيما ينفعه ويجذبه والشيخ الدليل ينصره لمدافعته الأعداء ويخرجه عن الجهل والردى بدلالته طريق التوسل الى شيخ الهدى وفى الآية اشارة الى أن السالك ينبغى له أن يطلب دائما حضوره عند شيخه بحسب مقام نورانيته ومقام صدره وهو معنى انتظار ظهور الشيخ فى عالم الصغير وأما ظهور الشيخ بحسب بشريته على بشرية السالك فلا يصدق عليه أنه من لدن الله واذا ظهر الشيخ بحسب النورانيه كان وليا من لدن الله ونصيرا من لدنه "[(٣)].

وبعد

هذه أمثله من تفسيره الصوفى رأينا فيها كيف جنح بصوفيته فى تفسير القرآن الكريم من معانيها الظاهره الى رموز واصطلاحات واشارات فجعل مثلا القرية قرية النفس واليتيم من لا امام له والبروج

---

(١) بيان السعادة : محمد حيدر جـ٢ ص ٨٧
(٢) سورة النساء : من الآيه ٧٥
(٣) بيان السعاده : محمد حيدر جـ١ ص ٢١١

الانبياء والأولياء أو الجهات الفاعليه المحييه والمميته والسراج الولاية والقمر النبوه والولى والنصير الشيخ الهادى والشيخ الدليل ،وغير ذلك من الأوهام التى جرفه اليها تصوفه والمعانى التى لا يدل عليه لفظ ظاهر ولا دليل صحيح .

ولا يفوتنى أن أذكر هنا انى انما ذكرت من تفسيره الجانب الصوفى اذ انى أكتب عن المنهج الصوفى عامه وليس عن تفسيره خاصة فان طلبت أبرز عقائده أجملتها بأنه شيعى امامى متطرف يعتقد ان عليا وارث علم محمد صلى الله عليه وسلم وبعده الأئمة الاحد عشر من ولده ،وأن العترة هم المبينون للقرآن الكريم وأن علم القرآن عندهم وما عداهم فعلمه قاصر ويعتقد بتحريف القرآن وتبديله ويقول بالرجعه وجواز نكاح المتعه ومسح الرجلين فى الوضؤ ، وأن الانبياء يورثون وينكر رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامه ،وغير ذلك من عقائد الشيعه .

والتفسير يحتوى على خرافات وأوهام فى العقائد وفى القصص وفى الأخبار لا يجمعها سليم العقيده ولا يدونها سليم الرأى ، لا أريد أن أعدد بعضها من غير اثبات لنصوصها ولو فصلت هذا وذاك طال بنا الحديث ودلفنا عن المراد ولعل فيما ذكرنا من تفسيره الصوفى وفاء ولو بعض وفاء بالموضوع .

ثانيا : ضياء الأكوان فى تفسير القرآن : أحمد سعد العقاد

المؤلف : قالوا فى تعريفه انه العارف بالله تعالى أحمد سعد عثمان على العقاد .

ولد بمدينه الفيوم سنة ١٣٠٧هـ وأنه من سلالة الأولياء والصالحين فقد كان أجداده من الساده الصوفيه ولهم مؤلفات عديده ومخطوطات

كثيرة فى كافة علوم التصوف والفقه والتفسير .

وقالوا ان العنايه الالهيه أرادت به أن يلتقى بالعارف بالله السيد محمد ماضى أبو العزائم فوجهه نحو الاستقامة .

والتحق بالأزهر سنة ١٣٢٤ ولما انتهت دراسته فيه عينته وزارة الأوقاف اماما وخطيبا فى أحد المساجد فاشتغل فيه بالتدريس للعامة .

وله عدد من المؤلفات منها ما طبع ومنها ما لم يزل مخطوطا ومن الأول :

١- الدين النصيحة .

٢- كنوز العارفين فى ميراث الانبياء والصالحين .

٣- كتاب الهجرة النبويه .

٤- كتاب مواهب الانسان .

٥- الأنوار القدسيه فى شرح أسماء الله الحسنى .

٦- السعاده فى الدخول من باب التوبة .

ومن الثانى :

١- ريحانة العارفين فى حكمة أحكام الدين .

٢- الشرف الأعلى فى اسراء من (دنا فتدلى) .

٣- الانسان الكامل .

٤- مقامات أهل اليقين .

٥- الفقه على المذاهب الاربعة .

وفاته : توفى فى ١٦ صفر سنة ١٣٧٣ [1]

تفسيره :

وأما تفسيره " ضياء الأكوان فى تفسير القرآن " فقد صدر منه تفسير

---

(١) انظر ترجمته فى آخر الجزء الثانى من تفسيره ومناهج المفسرين : منيع عبد الحليم محمود ص ٣٦١ - ٣٦٢

الجزء الأول - الجزء الثانى من القرآن الكريم ، وصدرت الطبعة الاولى سنة ١٣٩١ ولم أحصل الا على الجزء الثانى من التفسير ويحتوى على تفسير الجزء الثانى من القرآن الكريم .

وقد حدد المؤلف فى حقوق الجزء الأول منهجه لقوله " فقد عزمت بحول الله تعالى وقوته على كتابة تفسير للقرآن الكريم يكون سهل العباره ريّق الاشاره يجمع بين جمال تفسيره وأسرار تأويله متحريا فى ذلك الصحيح من الأقوال مجتنبا الحشو، والتطويل "(١)

وكتب الدكتور عبد الحليم محمود مقدمة للجزء الثانى جاء فيها " ولصاحب الفضيلة الشيخ أحمد - فى تفسيره - أنفاس مباركة ولمحات روحيه طيبه نابعة من ممارسته للتصوف علما وعملا . وقد شاعت هذه الانفاس واللمحات فى تفسيره فزادته بهجة الى بهجة ونورا على نور "(٢) .

وقد انتشرت هذه الأنفاس التى أشار اليها عبد الحليم فى هذا التفسير وتباعدت وتتبعت عددا منها وجعلت لها عناوين هى من عبارات الصوفيه أولا ويدور عليها الحديث ثانيا ووردت بحروفها ثالثا قصدت من ايرادها اثبات نهجه النهج الصوفى فى التفسير وهذه بعضها :-

التجلى :

فى تفسير قوله تعالى " ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك "(٣) قال " ويعنى التوجه للكعبه

---

(١) عن كتاب مناهج المفسرين : منيع عبد الحليم محمود ص ٣٦٢

(٢) ضياء الاكوان فى تفسير القرآن : احمد سعد العقاد من مقدمة عبد الحليم محمود ص ٤٠

(٣) سورة البقرة من الآيه ١٤٩

حق وكأن الله تعالى يقول أنا الحق وتجليت بنور الحق على الكعبة المكرمة . فالمعظم لها انما يعظم الحق والزائر لها انما يزورالحق فبنور الروح ترى الحق متجليا فى رسول الله وفى كتاب الله وفى الكعبه المكرمه تجليا خاصا كأهل المعرفة جعلنا الله ممن خضعوا للحق وعرفوا الحق "[١] .

الصلاة :

وفى تفسير قوله تعالى " حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين "[٢] قال " وللعارفين مشاهد فصلاة الجسم بالحركات الظاهره وصلاة القلب بالحضور والخشيه وصلاة النفس بالخوف والأدب وصلاة الروح بشهود الحق متجليا مشهودا بأنواره حيث أشار لذلك رسول الله بقوله " وجعلت قرة عينى فى الصلاة " فالمؤمن لا تقر عينه ويشرح صدره الا بشهود مولاه قريبا حاضرا جميلا جليلا "[٣] .

الحج :

وفى قوله تعالى " وأتموا الحج والعمره لله "[٤] تحدث عن الحج المعروف عند المسلمين ثم ذكر نوعا آخر من الحج هو الحج عند من سماهم العارفين فقال " ولكن للعارفين حج آخر يحجونه متى - اشتاقوا لحبيبهم وهو حج الروح لا يتكلفون سفرا ولا انتقالا لأن مطلوبهم فى أنفسهم وهو القلب الذى هو بيت الله العامر بأسرار الله وأنواره وقد قال بعض العارفين عجبت لمن يحن ويرحل لبيت الخليل[٥]

---

(١) ضياء الأكوان جـ ٢ ص ١٤-١٥
(٢) سورة البقرة الآية ٢٣٨
(٣) ضياء الأكوان جـ٢ ص ١٤٩
(٤) سورة البقرة من الآيه ١٩٦
(٥) تقليل من شأن الكعبة المشرفه التى وضعها الله بالبيت الحرام وبقوله سبحانه " فليعبدوا رب هذا البيت" فهل البيت بعد هذا بيت ، الخليل أو بيت الله .

وهو الكعبه كيف لا يحن ويشاهد العجائب فى بيت بناه الــــرب الجليل وهو القلب والغرض من القلب هو العامر بالايمان والحــب والتقوى والرحمه فهو كنز السعاده فكعبة الأشباح بمكة المكرمة وكعبة الارواح معك وهو قلبك فاحرص على الطواف حول المعانى التى فيك يتجلى لك خالقك وباريك متعنا الله بتلك المعانى" [(١)] .

أما نحن المسلمون فنحمد الله أن حمانا من هذه المعانـــــى الضالة التى تمس حرمة بيت الله وتقلل من شأن ركن من أركان الاسلام لمصلحة شبهه من شبهات الشيطان .

شراب المعانى :

وأشار الى هذا عند تفسيره لقوله تعالى : " يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمها اكبر من نفعها" [(٢)] فقال " فحرمها الله تحريما كليا لأنه علم من قلوبهم الاستعـــــداد لقبول الأمر وذوقهم لحلاوة المعانى الروحيه التى هى ألذ عنـــد النفوس من كل شراب وهى الراح الطهور التى من شرب منها كأسا هام فى الحبيب واطلع على السر العجيب" [(٣)] .

الذكــــــر :

قال تعالى " فاذكرونى أذكركم " [(٤)] وفسرها المؤلف الذكر هنـــا بقوله " والذكر له ثلاث حقائق ذاكر ومذكور وذكر . فالذاكر هـــو العبد الطائع ، والمذكور هو الرب النافع ، والذكر صفه تسكن فـــى

---

(١) ضياء الاكوان : احمد العقاد جـ٢ ص ٨٤
(٢) سورة البقرة الآية : ٢١٩
(٣) ضياء الاكوان : جـ ٢ ص ١٠٦
(٤) سورة البقرة من الآية ١٥٢

قلب العبد فتوقظه وتنوره وتشرح صدره وتصله بربه " ثم ذكر صفة الذكر فقال : " والذكر اما باللسان ليذكر غيره أو بالقلب ليتذكر ما فيه من أسرار ربه وذكر القلب انفع للذاكر والكمال أن يجمع العبد بين ذكر القلب واللسان فينفع نفسه وينفع اخوانه ،أما ذكر اللسان فهو أن تقول الله الله بأدب وخشوع حتى يشرق عليك نور الاسم أو تذكر اخوانك بنعم الله وتشوقهم الى جماله حتى يصطلحوا عليه أما ذكر القلب فهو أن تفكر وتتذكر ما فيك من روح وعقل وحواس وايمان وجمال "(١) .

حقيقة الانسان :

تحدث بذلك عند تفسيره لقوله تعالى : " ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين "(٢) فقال " ولما كان الانسان مكونا من حقيقتين الأولى روحيه والثانية بشريه . فالروحيه تتنجس بالمعاصى والبشرية تتنجس بالجنابه والحيض والنفاس وجميع النجاسات والعبد لا يؤذن له بالدخول فى الحضره الالهيه الآ اذا تطهر من النجاستين ، وتجمل بالطهارتين " ثم قال " فيعلم من ذلك أن سالك الطريق الى الله يجب عليه أن يعتنى بالظاهر والباطن حتى يتجمل بجمال أسمائه تعالى الظاهر والباطن ،ولهذا السر قال تعالى : " ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) يعنى يا أيها المؤمن لست معصوما من الوقوع فى النقائص فبادر بالتوبه وهى انغماسك فى بحر اسمه التواب فتخرج وعليك حلل الجمال والكمال ويمنحك الله الحب بسبب اعترافك بالنقص وذلك يكون بكثرة تكرار التوبه والتواب هو الذى يشعر

---

(١) ضياء الاكوان : احمد العقاد جـ٢ ص ١٨

(٢) سورة البقرة من الآيه ٢٢٢

بالنقص فى نفسه فيجعله يتوب فى كل نفس فينال مقام المحبة فالنقص عند العارفين معراج الى الكمال ، ثم قال : " فاعرف سبيل الوصول الى مقام المحبه وحافظ على طهارة الضمير وطهارة الجسم فتتمكن من مقام المحبوبين "(١) .

جنة الشهود :

وان شئت ان تعرف بعد هذا رأيه فى ثواب التائبين قبل ثواب الأخره فقد أورده عند تفسيره لقوله تعالى " والله يقبض ويبسط واليه ترجعون "(٢) فقال " وقد ذاق العارفون حلاوة هذا السر فرجعوا من الاكوان الى المكون ورجعوا من أنفسهم الى بارئها ومن رجع الى الله بالتوبه فقد وصل الى الله وقامت قيامته ونصب له الميزان ودخل جنة الشهود وسيدخل جنة النعيم ان شاء الله بغير حساب "(٣) .

ايلام الحواس :

ذلكم أن المؤلف جرى على نهج الصوفيه فى اعتقادهم أن ايلام الحواس يوصل العبد للصفات الملكيه وهذا ما زعمه عند تفسيره لقوله تعالى " ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين "(٤) .

فقال " والمراد بالجوع الصيام فانه يؤلم البشريه ويوصل العبد للصفات الملكيه بل يرفعه الى الحظائر القدسيه " الى أن قال " ومن

---

(١) ضياء الاكوان : أحمد العقاد جـ٢ ص ١١٨-١١٩
(٢) سورة البقرة من الآيه ٢٤٥
(٣) ضياء الاكوان : جـ٢ ص ١٥٣
(٤) سورة البقرة الآيه ١٥٥

هذه الآيه عرف أهل الطريق أن الحس لا يأخذ العبد بشهادته وحكمه فهو كثير الخطأ يرى : اللذه فى الأموال والأنفس والثمرات والحق تعالى يراها فى المؤلم للحس والمخوف للنفس فالحس قاطع الطريق الآخرة محجوب بمناظره وظواهره . فكل مؤلم فيه خير كما قال الحكماء كل مر دواء ومتى انكشفت تلك الحقائق يسجد العبد شكرا لله على عنايته به فى البلاء وترتفع ستائر عن النتائج فتزول المراره وتحل محلها اللذه والبهجه والسرور " (١)

ومما لا شك فيه أن هذا ليس هو منهج الاسلام الذى اطلق ميزانه بقوله : عجبا لأمر المؤمن ان أمره كله خير وليس ذاك لأحد الا للمؤمن ان أصابته سراء شكر فكان خيرا له وان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له " (٢) واطلقه بقوله " وفى بضع أحدكم صدقه قالوا يا رسول الله أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر قال أرأيتم لو وضعها فى حرام كان عليه وزر فكذلك اذا وضعها فى الحلال كان له أجر " (٣) وأطلقه بقوه لأولئك النفر الذين قال أحدهم أما أنا فانى أصلى الليل أبدا ، وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال ثالثهم أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا فأعلنها رسول الحق " أما والله انى لأخشاكم لله وأتقاكم له لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى " (٤) .

هذا هو منهج الاسلام فى ايلام الحواس وما أخال هؤلاء الذين اعتقدوا أن ايلام الحواس يوصل العبد للصفات الملكيه ما أخالهم الا

---

(١) ضياء الاكوان : احمد العقاد جـ٢ص٢٢-٢٣
(٢) رواه مسلم كتاب الزهد جـ ١٨ ص ١٢٥
(٣) رواه مسلم كتاب الزكاة جـ ٧ ص ٩٢
(٤) رواه البخارى كتاب النكاح جـ٦ ص ١١٦ ومسلم كتاب النكاح جـ٩ص١٧٦

رغبوا عن سنته عليه الصلاة والسلام ولذلك فهم يفرحون ويستبشرون بالابتلاء ويسألون الله الحفظ اذا وقعت عليهم النعمه وهذا ماقالوه فى الابتلاء .

الابتـــلاء :

وذلك عند قوله تعالى :" وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه رجعون " (١) .

فقال " ولا بد أن يكون الاسترجاع بالقلب والروح لا باللسان فقط فالمؤمن ان أتته النعمه تنبه وخاف أن تكون بليه ،وسأل الله الحفظ وان أتته البليه فرح واستبشر لأن فى طيها عطيه جعلناالله من أهل اليقظة (٢) والحضور (٣) .

الصيـــــام :

والصيام الحقيقى كما يقول فى تفسير قوله تعالى " ثم أتموا الصيام الى الليل " (٤) " والصيام الحقيقى يكون بسبع جوارح صوم البطن عن الأكل والشرب وصوم الفرج عن النكاح وصوم اللسان عن كل ما لا يرضى الله تعالى وصوم العين عن النظر الى المحرمات والأذن عن التجسس على العورات واليد عن ايذاء الخلق أو كتابة ما يسىء لأحد والرجل عن السعى الى ما يغضب الله وهذا هو الصيام الكامل الذى يجعل صاحبه تتفتح له أبواب الجنان وتغلق له أبواب النيران" (٥)

---

(١) سورة البقرة من الآيه ١٥٥-١٥٦

(٢) أهل اليقظه هم الذين يلتزمون حديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن المؤمن انه اذا أصابته سراء شكر واذا أصابته ضراء صبر ، ولم يقل فرح ويستبشر كما يزعم هؤلاء

(٣) ضياء الاكوان : أحمد العقاد جـ٢ ص ٢٥

(٤) سورة البقرة من الآية ١٨٧

(٥) ضياء الاكوان جـ ٢ ص ٦٤

حـــد ود اللـــــه :

أما المراد بقربهـا المنهـى عنـه فى قولـه تعـالى من الآيـه السابقـــــه " تلك حد ود اللـــه فلا تقربوها " فخصه بأهل اليقين فقال." يعـــــنى يأأهل اليقـين لاتقربوا الحد ود واجعلوا بينكم وبينها سـدا من الخـــلال حتى لاتقربوا منها ولقد كان بعض الصحابه يقول كنا نترك سبعـين بابا مـن الحـلال مخافـة أن نقـع فى باب واحـد من الحرام والعارفون باللـه يـــرون أن الـد نو من المنكرأشد من الد نومن النارالملتهبةأوالوحوش المغتالةأوالحشرات السامــــه " .(١)

اتيــــان البيــــوت :

المبـين فى قولـه تعـالى " وأتـوا البيـوت من أبوابـها واتقـوا اللــــــــه لعلكم تفلحـــــون " (٢)

فسـره بقولـه " وفى الآيــه اشـاره لاهل الـذ وق والفهم وهي أن العلـــوم التى يجـب أن يطلبـها العـبد أولا ويحرص عليها ويجتـهد فى البحث عنهـــا هـي العـلوم الد ينيـه كعلم التو حيـد وعلـم الفقـه وعلم التصوف أما بحـــــث الانســان عن علم الفلك وعلوم الحساب والرياضـه والجغـرافيـا قبـل أن يتمكــن من العـلوم الد ينيـه فهـو خطأ ومثالـه كمـن يأتى البيـوت من ظهـورها فكـــأن الحـــق يقـول اد خلوا الى حضرات القـرب من باب السعـاد ة والعنايـــــه وهـو فهم العـلوم الشرعيـه ولا تعكسوا الأمـر فتطلبوا علـوم الد نيا فقـط " (٣)

---

(١) المرجـــع الســابـــق جـ ٢ ص ٦٧

(٢) ســــورة البقـــــره : من الآيـــــه ١٨٩

(٣) ضيــــاء الاكـــوان جـ ٢ ص ٧٠

جهـــاد النفـــس :

وتحدث عن جهاد النفس في تفسيره لقوله تعالى " فان انتهوا فأن الله غفور رحيم " [1] قال " ومن أراد أن يذوق حلاوة الجهاد في نفسه فعليه أن يسل عليها سيوف العزم والمحاسبه ويقهرها في قيود الشريعه حتى لاتلتفت الى منكر أو محرم وتحيا فيها المعاني اللطيفه فيكون صاحبها فتح الله له باب الملكوت ونصره على أعدى الاعداء وهى النفس فاذا حارب الكفار تمت له السعادتان سعادة النفس والآفاق فيتجلى له الحق ويأنس بالحق ويزول الباطل جعلنا الله من المجاهدين في سبيله " [2]

منـــى :

ومنى من المشاعر المقدسه في الحج لكن المؤلف يفهم منه معنى آخر عند تفسيره لقوله تعالى " واذكروا الله في أيام معدودات " [3] فقال " لما أكرم الله الحجاج بالوقوف بعرفه ثم الذهاب الى منى وفيه الاشاره بأن الله تعالى أعطاهم المنى أو تجلى لهم بسر كرمه وحبه ونوره وظهوره لهذا قال لهم " واذكروا الله فى أيام معدودات " [4]

أدب الدعـــاء :

وهى آداب خص بها العقل والقلب ، والروح بينها عند تفسيره لقوله تعالى " واذا سألك عبادى عنى فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان " [5]

---

(١) سورة البقره : الآيه ١٩٢
(٢) ضياء الأكوان جـ ٢ ص ٧٢ - ٧٣
(٣) سورة البقره فى الآيه ٢٠٣
(٤) ضياء الاكوان : أحمد العقاد جـ ٢ ص ٨٣
(٥) سورة البقره : من الآيه ١٨٦

فقال في بيانها : - " ونحن نؤمن أن هذا القرب كما يليق بنزاهة جنابه فالعقل نقول له تأدب واعتقد أن قرب الله هو احاطه بك وقهر لك تحت سلطانه فلا تخرج عن الحدود والقلب نقول له شاهد أنوار الله في آياته الداله على أنه أقرب الينا من كل قريب فالأشياء قامت به وهو قيومها وهي عدم والوجود منه فان جاءتك نعمة فهو الموصل لها اليك بالوسائل والأسباب ونقول للروح شاهدى أنوار تجليه وظهور معانيه فظهور المعاني يستر المباني ويجعلها أقرب للقلب من كل روحاني وجسماني وقد وصل العارفون الى الله على معراج اسمه القريب فانهم خشعوا وتأدبوا وشاهدوه قريبا مجيبا " (١)

الأوليـــاء :

وقد خص المؤلف في تفسيره الأولياء بخصائص وأولاهم عناية كبيره وهذه بعض تلك المواضع .

شهادة الاولياء : يختلف الأولياء بالشهادة عن غيرهم فغيرهم يستشهد بالقتل في ميدان الجهاد أما الاولياء فاستشهادهم بالقتل بسيف المحبه وسهام مخالفة النفس وسيف طلب العلم نص على هذا عند تفسيره لقوله تعالى " ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون " (٢) حيث قال " والأولياء لهم قدم صدق في هذه الحياة فان منهم من قتل بسيف المحبه ومنهم من قتل بسهام مخالفة النفس ومنهم من قتل بسيف طلب العلم والسهر في تحصيله والتلذذ به ونسيان البشريه فيحييهم الله في برازخهم ويكتبهم عنده شهداء جعلنا ممن استنارت بصائرهم فساهدوا تلك الحقائق . (٣)

---

(١) ضياء الاكوان : أحمد سعد العقاد ج ٢ ص ٦١
(٢) سورة البقره : الآيه ١٥٤
(٣) ضياء الأكوان ج ٢ ص ٢١

زيارة الاولياء :

وهو لا يحث على زيارة الأولياء فحسب بل يوجب اعانة زوار الأولياء وتقديم المال والطعام اللازمين لهم وعد" زوار الأولياء من أبناء السبيل الذين تدفع اليهم الزكاة المستحبه والواجبه (وساوى) بين المسافر الذى يطلب العلم والمسافر الذى يزور الأولياء قال بهذا عند تفسيره لقوله تعالى " ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكه والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل الآيه " (١) ففسر ابن السبيل بقوله " وابن السبيل هو المسافر الذى يطلب العلم أو يزور الأولياء أو ينظر فى آيات الله أو يتعرف باخوان المؤمنين فله حق على من نزل بهم أن يكرموه ويدخلوا عليه السرور ويعطوه مما أعطاهم الله " ثم قال " واذا دعا ابن السبيل لمن أكرمه استجاب الله دعاءه فهو من رتبة المهاجرين الذين تركوا الأوطان والخلان " (٢)

رياض الأولياء :

ولم يكتف بوجوب اعانة زوار الأولياء بل جعل رياض الاولياء من الاماكن الطاهره التى تستجاب فيها الدعوات فقال " والافضل أن يتحرى العبد أوقات الاجابه كوقت السحر والأماكن الطاهره كالمساجد ورياض الأولياء ويقدم التوبه والاستغفار ويتوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم ويرفع شكواه الى الله معتقدا فى نفسه أنه كالغريق ولا يأخذ بيده الا مولاه القادر " (٣) ومن المعلوم أن التوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجوز أيضا .

---

(١) سورة البقره : من الآيه ١٧٧
(٢) ضياء الاكوان : احمد العقاد جـ ٢ ص ٤٩
(٣) ضياء الاكوان : أحمد العقاد جـ ٢ ص ٦١

ذنوب الاولياء :

ولكن والحق يقال لم يعتقد العصمه للأولياء ونص على هذا عند تفسيره لقوله تعالى " فتاب عليكم وعفا عنكم " (١) فقال " فاذا وقع من الولي ذنب فلا تعرض عنه فانه يذنب ويتوب ومن اعتقد العصمه فى الأولياء فقد أخطأ ـ فاقتد برسول الله صلى الله عليه وسلم فهو الامام المعصوم " (٢)

والى هنا نكتفى بما ذكرنا من تفسيره الصوفى ولعل فيه ان شاء الله كفايه لمرادنا .

رأيي في التفسير الصوفي الحديث :

استدل المتصوفه على صحة تفسيرهم بقوله تعالى " أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفالها " (٣) وقوله سبحانه " أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا" (٤) وبقوله صلى الله عليه وسلم (لكل آيه ظهر وبطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع " (٥) واستدلوا بحادثه استدعاء عمر لابن عباس في مجلسه مع أشياخ بدر رضى الله عنهم أجمعين وقد سبق بيان الحادثه .

هذا هو أهم ما استدلوا به لصحة تفسيرهم وأن هذا دليل على سلامة تفاسيرهم وأن لها أصلا شرعيا .

---

(١) سورة البقره من الآيه ١٨٧
(٢) ضياء الاكوان : أحمد العقاد جـ ٢ ص ٦٤
(٣) سورة محمد : الآيه ٢٤
(٤) سورة النساء : من الآيه ٧٨
(٥) أخرجه الفريابى من رواية الحسن مرسلا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبق تخريج هذا الحديث عند بيان منهج أهل السنه فى التفسير .

ونحن لا ننكر وجوب التدبر في القرآن الكريم ولا ننكر ايضا أن يكون لمعاني القرآن معان ظاهره متبادره للذهن ومعان أخرى حق تحتاج الى تدبر وتمعن يؤتيه الله من يشاء من عباده وتتفاوت فيه الدرجات لكننا نرفض كل الرفض أن يكون هذا النوع هو الذى يزعمه الصوفيه من اشارات ورموز وطلاسم قوامها الوجد والذوق ، تذهب صفاء القرآن الكريم ونقاءه .

ولا بد أن نبين هنا رأيا لم نكد نجد أحدا قال به الا الدكتور السيد أحمد خليل الذى أجمل الاشاره اليه وليته زادها تفصيلا .(١)

أنه يجب أن نفرق بين نوعين من التفسير هما :

١ - التفسير الاشارى .

٢ - التفسير الرمزى .

أما الاول فحق وهو ينقسم الى قسمين :

تفسير اشارى معنوى .

وتفسير اشارى لفظى .

ونريد بالتفسير الاشارى المعنوى : التفسير المرتبط باشارة المعنى العام للآيه أو السوره وهي الدلاله على معنى آخر يستبطن المعنى الاجمالى فهما يؤتيه الله من يشاء من عباده لا يخالف نصا ولا يجافي لفظا ولا يجاوز معنى حقا . ومن هذا النوع ما سبق ذكره من استدعاء عمر لابن عباس رضى الله عنهم فى مجلسه مع شيوخ بدر رضي الله عنهم وسؤال عمر لهم ما تقولون فى قوله تعالى : اذا جاء نصر الله والفتح فقال بعضهم أمرنا نحمد الله ونستغفره اذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئا فقال لى أكذاك تقول يابن عباس ؟

---

(١) دراسات فى القرآن : الدكتور السيد أحمد خليل ص ١٢٧ - ١٢٨

فقلت لا قال فما تقول ؟ قلت هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه له قال اذا جاء نصر الله والفتح وذلك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فقال عمر ما أعلم منها الا ما تقول " رواه البخارى .

ومن هذا النوع أيضا ما رواه ابن جرير الطبرى لما نزلت " اليوم أكملت لكم دينكم " (١) وذلك يوم الحج الاكبر بكى عمر فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ما يبكيك ؟ قال أبكانى أنا كنا فى زيادة من ديننا فاما اذ كمل فانه لم يكمل شىء الا نقص ! فقال صدقت" (٢)

كل هذه المعانى معان باطنه لا تخالف المعنى الظاهر للآيه ولا تنتهك نطاق لفظه ولا حدود معانيه فكان القبول لها حليفا .

ونريد بالتفسير الاشارى اللفظى : التفسير المرتبط باشاره لفظه خاصه يستدل بها على معنى آخر يستبطن معناها فى سياقها العام ومن هذا النوع من التفسير ما استدل به العز بن عبد السلام على صحة أنكحة الكفار من قوله تعالى " وأمرأته حمالة الحطب" (٣)
ومنه أيضا ما استدل به المفسرون من قوله تعالى " وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن " (٤) بأنه " عبر عنه بهذه العباره اشاره الى جهة وجوب المؤن عليه لأن الوالدات انما ولدن للآباء ولذلك ينسب الولد للأب دون الأم " (٥)

---

(١) سورة المائده من الآيه ٣
(٢) تفسير الطبرى : جـ ٩ ص ٥١٩
(٣) سورة تبت الآيه ٤
(٤) سورة البقره : من الآيه ٢٣٣
(٥) تفسير القاسمى : جـ ٣ ص ٦١٠

هذا هو التفسير الاشارى السليم بقسميه فهم لا يعكر معنى ولا يخالف نصا ولا يجافى لفظا بل يستمد مقوماته من النص الماثل أمامه من غير تحريف ولا تأويل خارج عن حدود الدين واللغه

وهو الذى تدل عليه النصوص والأدله التى استدلوا بها لصحة التفسير الاشارى اذ هذا هو ما تدل اليه .

أما النوع الذى يجب أن نفرق بينه وبين التفسير الاشارى فهو التفسير الرمزى وهو التفسير الذى سلكه الصوفيون وهم يحسبون أنهم يسلكون الاول وما هم بسالكيه .

ذلكم أن التفسير الرمزى تفسير صوفي يعتمد فى سبيل الوصول الى المعرفه على منهج قوامه الوجد والذوق والترقي فى مقاماتهم حتى يصل المتصوف مقام العرفان فتفيض عليه - بزعمهم - مكنونات العلم وأسرار المعرفه بل يصل الى أبعد من هذا فتفوض جملة الأمور اليه بحيث لا يسقط ورق من شجر إلّا باذن وكتاب وأجل منه وليس وراء هذه مقام ومرتبه .(١)

ولأن تفاسيرهم لا تخضع لقاعدة ولا لأصل بل تختلف باختلاف مقام الصوفى ومواجده وذوقه لذا تختلف تفسيراتهم اختلافا شديدا لا يمكن حده أو النظر فى أبعاده .(٢)

ولهذا جعل الصوفيه معجما خاصا باصطلاحات حتى هم أنفسهم لا يعرفون بعضها ويحذرون المريد من الشك فيما لا يفهمه من طلاسمهم وهذا النوع هو الذى أراده الامام الغزالى فى الصنف الثانى من الشطح

---

(١) بيان السعادة : محمد حيدر جـ ١ ص ٧٩

(٢) دراسات فى القرآن : د . السيد أحمد خليل ص ١٢٧

عند الصوفيه حيث قال عنه " كلمات غير مفهومه لها ظواهر رائقه وفيها عبارات هائله وليس وراءها طائل وتلك اما أن تكون غير مفهومه عند قائلها بل يصدرها عن خبط فى عقله وتشويش فى خياله لقلة احاطته بمعنى كلام قرع سمعه وهذا هو الاكثر واما أن تكون مفهومه له ولكنه لا يقدر على تفهيمها وايرادها بعباره تدل على ضميره لقلة ممارسته للعلم وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعانى بالالفاظ الرشيقه ولا فائدة لهذا الجنس من الكلام الا أنه يشوس القلوب ويدهش العقول ويحير الاذهان أو يحمل على أن يفهم منها معان ما أريدت ويكون فهم كل واحد على مقتضى هواه وطبعه " (١)

هذه ناحيه من ناحيتين يؤدى اليهما التفسير الذى يقوم على الوجد والذوق .

أما الناحيه الثانيه فهو ما زعموه من الحب لله وتفريغ القلب من سواه والعشق والهيام وقسموا أنفسهم حسب تفاوتهم فى هذا الى مراتب وأعلاها مرتبة الفناء وهي أن ينتهى سلوكه الى الله تعالى فى الله يستغرق فى بحر التوحيد والعرفان بحيث تضمحل ذاته فى ذاته وصفاته فى صفاته ويغيب عن كل ما سواه ولا يرى فى الوجود الا الله وهو الذى يسمونه الفناء فى التوحيد " (٢)

وقد مر بنا أن الغزالى عد هذا النوع من شطح الصوفيه وانها " الدعاوى الطويله العريضه فى العشق مع الله تعالى والوصال المغنى عن الاعمال الظاهره حتى ينتهى قوم الى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهده بالرؤيه والمشافهه بالخطاب فيقولون قيل لنا كذا وقلنا كذا " (٣)

---

(١) احياء علوم الدين جـ ١ ص ٤٢ - ٤٣
(٢) مصرع التصوف : برهان الدين البقاعى ص ٨١ عن التفتازانى فى شرح المقاصد
(٣) احياء علوم الدين : الغزالى جـ ١ ص ٤٣

وقد حرصت فى التفسيرين الذين درسناهما فى التصوف وهما :-
بيان السعادة فى مقامات العباده ، وضياء الأكوان فى تفسير القرآن :
أن يكون أولهما من النوع الأول فى التفسير الرمزى وهو التفسير الذى
يكثر فيه الألفاظ الغامضه والطلاسم والاصطلاحات ، وأن يكون ثانيهما
من النوع الثانى فيه وهو ما تكثر فيه عبارات العشق والشوق ، حيث
جعل الحج عند العارفين حج الروح الى القلب الذى هو بيت الله
العامر وليس الى بيت الخليل ؟! وزعم حلاوة المعانى راحا طهورا
من شربها هام فى الحبيب وجعل الذكر ترديد الله الله حتى
يشرق عليك نور الاسم وجعل شهادة الأولياء بقتلهم بسيوف المحبه
وسهام مخالفة النفس ونحو ذلك .

وقد حان وقت صلاة الظهر وأنا فى مكتبة أحدهم فى بلد اسلامى
وعدت بعد أداءها والرجل لا يزال فى مكانه وحين سألته لم لم يصل ؟
اكتفى بضحكة أحسبها ساخره وكأنه يقول كما وصفهم الغزالى فى النص
السابق " انه قام بالوصال المغنى عن الأعمال الظاهره ، أما وصاله
فقد امتلأت كتبه بشنيع الاقوال فهو يزعم حب الآله فينادى الهه بقوله
" أحببتك حبا لا يعد له حب مخلوق لك اللهم سوى مصطفاك وحده
الذى خلقته بالحب ومن الحب وفى الحب" ثم ندم على هذا الاستثناء
فاعاده : " لقد أحببتك يامولاى حبا لا يساويه حب أحد
قبلى ولن يدانيه حب أحد بعدى " (1)

وهو يزعم أنه رأى الله لا فى صنعه بل فى الحقيقه وعلى الحقيقه
فقال : الهي لم أرد أنى رأيتك فى صنعك وفى ابداعك وفيما أنشأته

---

(1) الحب : ابن الخطيب ص ٨٢ - ٨٣

فى ملكك وتنشئه فى ملكوتك فحسب فهذا ما تراه البهم والعجماوات بل رأيتك فى الحقيقه : على الحقيقه "(١)

ذكرنى هذا بقول الغزالى عنهم وصال مغنى عن الأعمال الظاهرة وادعاء المشاهده بالرؤيه .

خلاصة الرأى أن المقبول هو التفسير الاشارى على المعنى الذى ذكرته والمرفوض هو التفسير الرمزى الصوفى الذى لا يقوم على قواعد صحيحه ولا أسس سليمه وانما قوامه الوجد والذوق الذى ما أنزل الله به من سلطان .

---

(١) الحب : ابن الخطيب ص ٩٠



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم القرآن وعلومه



اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري

رسالة لنيل درجة الدكتوراه

إعداد

فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي

إشراف

الدكتور / مصطفى مسلم محمد
أستاذ مشارك في كلية أصول الدين

(الجزء الثاني)

العام الجامعي

١٤٠٤هـ ـ ١٤٠٥هـ

الباب الثاني

الاتجاهات العلمية في التفسير

الفصل الاول

المنهج الفقهي في التفسير

أنزل الله سبحانه وتعالى هذا القرآن العظيم لحكم عظيمه غايتها ونهايتها : -

١ - تصحيح العقيدة .

٢ - تقويم السلوك .

أما أولها فقامت به آيات العقائد وبنته على قواعد سليمة قوامها أركان الدين الاسلامى .

أما الثانى فتكفلت به آيات الأحكام على وجه أختاره الله لعباده ضلوا ان عملوا بسواه وكفروا ان حكموا بغيره .

وقد استحوذ هذان الركنان على جل أو ان شئت فقل كل آيات القرآن الكريم وما عداهما من آيات القصص والأمثال والوعد والوعيد لا يخرج كله عن تقرير عقيدة أو تقويم سلوك فهو داخل فى دائرة هذين الركنين لا يخرج عنهما بحال من الأحوال .

ولكونه عليه الصلاة والسلام هو المبين لما نزل فقد أولى هذين الركنين جل اهتمامه وكبير عنايته فلا تكاد تمر مناسبة أو يقع انحراف فى العقيدة عن خطأ أو جهل أو عن عمد من المشركين الا وبين عليه الصلاة والسلام العقيده الصحيحه ونقاها من الشوائب كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس فتعود بيضاء نقية بل هى المحجة البيضاء التى لا يزيغ عنها الا هالك ولا تكاد تقع حادثه أو قضية من القضايا الا وبين لهم صلى الله عليه وسلم حكم الله فيها بما يزول به الباطل ويظهر به الحق ويذعن له المؤمنون ويحكمونه فيما بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضى ويسلموا تسليما .

بل لم يكن صلى الله عليه وسلم فى كل هذا أو ذاك ينتظر وقوع حادثة

أو سؤال سائل بل كان يشرح لهم جوانب العقيده ويبسط لهم أحكام الشريعه على كل حال وفى كل آن ،قد يبين هذا من نفسه وقد تنزل به آيات القرآن فصار هذان منهلين ينهل منهما العلماء الاحكام الشرعية .

اذا فلم تكن السنه وحدها مختصه ببيان الأحكام ولم يكن القرآن الكريم كذلك بل هما معا المصدر الحق لاستمداد كل هذا .

ولا شك أن دلالة النصوص القرآنيه لا تظهر بصورة شاملة للحكم فى كثير من الأحوال ،كما أنها لا تدل بصورة قطعيه على الأحكام فى بعض الأحوال .

كما أن السنه النبويه ليست على درجة واحدة فى الثبوت عن الرسول صلى الله عليه وسلم بل هى تتفاوت بين الصحة والضعف ، فكان لزاما لمن أراد استنباط الأحكام الشرعيه من أن يأخذ بالكتاب والسنه معا فكلاهما مبين للآخر بالخصوص والعموم أو الاطلاق والتقييد وغير ذلك ولا ينكر هذا الامكابر معاند .

ولهذه الاختلافات فى دلالة النصوص القرآنيه وتفاوت ثبوت بعض الأحاديث ، وللعلاقة الثابته بين الكتاب والسنه : لهذا كله أصبح المجال فى غالبه مجال اجتهاد واعمال ذهن ،واستنباط بل سمّه فقها .

وبهذا تكون نشأة الفقه مبكرة فى صدر الاسلام لكن تطور الاختلاف فى الفروع الى أن يكون لكل طريقه فى الاستنباط مذهب فقهى له قواعده وأصوله ومنهجه فى استخراج الأحكام انما حدث فى القرن الثانى الهجرى حيث نشأت المذاهب الفقهيه المعروفه والمعترف بسلامة أصولها وصحة قواعدها وهى : -

١- المذهب الحنفى

٢- المذهب المالكى .

٣- المذهب الشافعى

٤- المذهب الحنبلى .

وقد ظهرت مذاهب أخرى لكنها اندثرت أو لم تكن كالمذاهب الأربعة من حيث سلامتها وكثرة اتباعها وصحة قواعدها وأمثلة هذا مدرسة الليث وابن أبى ليلى والأوزاعى والطبرى ،وأبى داود الظاهرى والجعفرى والزيدى والأباضى . وغير ذلك .

وقد سعى اتباع كل مذهب فقهى الى آيات الأحكام فى القرآن الكريم . يفردونها بالتأليف يفسرونها حسب قواعد مذهبهم فى استنباط الأحكام فخرجت تفاسير لآيات الأحكام لا تكاد تجد بينها وبين كتب الفقه كبير فارق ذلكم أن أصول الاستنباط وقواعده واحد . وخالط بعضها تعصب للمذهب مذموم وجاء بعضها الآخر محمودا .

فمن المؤلفات فى ذلك :

من المذهب الحنفى :

تفسير أحكام القرآن لأبى بكر الرازى المعروف بالجصاص ويقع فى ثلاثة مجلدات .

ومن المذهب المالكى :

تفسير أحكام القرآن لأبى بكر بن العربى ويقع فى أربعة مجلدات ، ومنه أيضا تفسير الجامع لأحكام القرآن لأبى عبد الله القرطبى ويقع فى عشرة مجلدات كبار .

ومن المذهب الشافعى :

كتاب أحكام القرآن جمعه أبو بكر البيهقى من نصوص الامام الشافعى ويقع فى مجلد واحد ،وأحكام القرآن للكيا الهراسى ويقع فى مجلدين

وكتاب الاكليل فى استنباط التنزيل لجلال الدين السيوطى فى مجلد

أما المذهب الحنبلى :

فلم أجد تفسيرا لآيات الأحكام على أصول هذا المذهب ولعل تفسير زاد المسير لابن الجوزى وان لم يكن خاصا بآيات الأحكام الا أنه حنبلى المذهب .

وهناك مؤلفات لتفسير آيات الأحكام لغير هذه المذاهب لا أرى موجبا لذكرها . وما ذكرته من أمثله للمؤلفات ليس كل ما كتب فيها فقد اعتنى العلماء فى القديم ، بهذا اللون من التفسير ، واذا ما حولنا النظر الى العصر الحديث فلا نكاد نجد منها ما يتجاوز أصابع اليد الواحده ، وقد تبين لى من مطالعتى لهذه التفاسير أن هناك فروقا بين المؤلفات الحديثة والمؤلفات القديمة أذكر منها :

أولا :

أن غالب المؤلفات الحديثه غير شامله لآيات الأحكام كلها بل تقتصر على بعض الآيات من بعض السور ، ولعل سبب ذلك أن هذه المؤلفات انما وضعت لطلبة الدراسات فى الكليات فكان ما يكتب فيها حسب مناهج الدراسة فى هذه الكليات ، بخلاف المؤلفات فى القديم . فهى شامله لآيات الأحكام الصريحه وغير الصريحه لأنه لا يلتزم منهجا وضعه له غيره لا يحيد عنه .

ثانيا :

أن التفاسير فى العصر الحديث لا تلتزم مذهبا بعينه فهى تفسر آيات القرآن الكريم حسب المتبادر منها من غير توجيه لها أو صرف الى مذهب معين ، ولذا فلا تجد فيها التعصب للمذهب الذى سرى فى بعض المؤلفات القديمه . بل ان مؤلفى العصر الحديث

يصرحون فى مقدمة تفاسيرهم بأنهم لا يلتزمون مذهبا بعينه وانما يتبعون ما يرون أنه الحق .

ثالثا :

أن التفاسير فى العصر الحديث لا تستطرد فى الحديث عن فروع الفروع بل تكتفى ببيان مهمات الآيات المدروسه ودلالتها من غير توسع يحول التفسير الى كتاب فقهى موسع بكل أبعاده وجوانبه .

وهذا خلاف بعض التفاسير القديمة التى تذكر فى تفسير الآيه ما لا يمت لها بصلة ولا مكان له الا كتب الفقه المطوله .

رابعا :

وهذا الفارق متولد عن الفارق الذى قبله وهو أن اقتصار المؤلفات الحديثه على ما ذكرنا وكونها تؤلف للدارسين جعلها أقل حجما من المؤلفات القديمه اذ لا يتجاوز حجم أكبرها عن مجلدين بخلاف المؤلفات القديمة التى وصل بعضها الى عشرة مجلدات كبار.

خامسا :

اختلاف الأسلوب بين العصرين ذلكم أن المؤلفين فى القديم يكتبون بأسلوب علمى مركز تحتاج بعض العبارات فيه الى شرح وبيان خلاف الأسلوب الحديث الذى يكتب به المتأخرون حيث يوفى العبارة حقها بل قد يزيد التوضيح الى درجة الاطناب .

سادسا :

اعتنى بعض المؤلفين فى العصر الحديث بالرد على ما يثار حول بعض القضايا الفقهيه من شبهات كحد قطع يد السارق ورجم الزانى وتحريم الربا وتعدد الزوجات ونحو ذلك ولم يكن هذا موجودا

بهذا الاهتمام عند الأولين .

وبعد ..

فان هذه المزايا وان كان ظاهرها أنها لصالح المؤلفين في العصر الحديث فانها لا تعني أن مؤلفاتهم هي الأفضل بل الأفضل لو كتب أحد المعاصرين تفسيرا شاملا لآيات الأحكام كشمول السابقين لها ،غير ملتزم بمنهج دراسي ،وبأسلوب حديث ويعتني فيه بالرد الواضح على ما يثار من شبهات ،أقول لو وجد هذا لكان عندي هو الأفضل أما والأمر على غير ذلك فلكل من هؤلاء وأولئك فضل لا ينكر .

واذا ما أردنا أن ندرس تفسير آيات الأحكام في العصرالحديث بشيء من التفصيل فاني أؤثر تفسيمها تفسيما عقائديا ذلكم أن اتباع المذاهب الأربعة في الفقه كلهم ينص على أنه لا يتعصب لمذهب بعينه من المذاهب الأربعة فآراؤهم في مجملها لا تخرج عن هذه المذاهب ورابطتها مذهب أهل السنه .

أما الفقه الجعفري فهو وان كان مذهبا غير معترف به عند العلماء المعتبرين الا أنا رأينا عدم اغفاله ونحن نكتب عن تفسير آيات الأحكام لتناول مفسري الشيعة لها وتأويلهم لها حسب مذهبهم الشيعي ،وكذا الأباضيه تناول بعض مفسريهم آيات الأحكام ما يخالف المذهب الصحيح فرغبت الاشاره اليه وعلى هذا فسيكون تناولي للفقه على هذا الترتيب .

أولا : فقه أهل السنه والجماعه .

ثانيا : فقه أهل الشيعه (الاماميه الاثنى عشريه) .

ثالثا : فقه الاباضيه .

علما أن تناولى لفقه أهل السنه سيكون على الاجمال ثم على التفصيل . أما الاجمال فأعرض فيه لتفسير آيات الأحكام عند من فسّر القرآن الكريم كاملا ، أما التفصيل فدراسه لتفاسير أفردت آيات الأحكام ولم تتناول سواها .

وهذا فى فقه أهل السنه أما من سواهم فعلى الاجمال دون التفصيل وذلك امّا لعدم حصولى على تفسير خاص بآيات الأحكام عندهم أو لعدم وجود هذا النوع من التفاسير لديهم .

أولا : فقه أهل السنه والجماعة :

من المسائل الفقهيه ما وافقت فيه الشيعه والأباضيه أهل السنه والجماعه تمام الموافقه أو خالفتهم فيه مخالفة لا تذكر ومن المسائل وهو محصور ومعدود ما كان الاختلاف فيه كبيرا وقد يصل الى درجه التضاد ،هذا النوع الأخير من المسائل هو ما توسع الحديث فيه هنا أما غيره فنذكره - ان ذكرناه - لبيان طريقه تناول هؤلاء وأولئك لآيات الأحكام ليس الآ .

ونحن نذكر رأى كل فرقة فى مكانه ولذا تتكرر الأبحاث حسب تكرر المذاهب فنتناول مثلا بحث نكاح المتعه عند أهل السنة عامة ثم عند مفسرى آيات الأحكام آحادا ثم نتناوله بايراد آراء الشيعة عند دراسة فقهم وهكذا .

أولا : غسل الرجلين فى الوضوء :

فى تفسير قوله تعالى " يأأيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين"[1] الآية . اتفق أصحاب المذاهب الأربعة

---

(١) المائده آيه: ٦

أن فرض الرجلين الغسل وليس المسح وبسطوا فى ذلك حججهم ومنهم الشيخ الشنقيطى رحمه الله تعالى حيث قال فى تفسيرها " فى قوله " وأرجلكم ثلاث قرآءات واحده شاذه واثنتان متواتران أما الشاذه : فقرآءه الرفع وهى قرآءه الحسن . وأما المتواترتان فقرآءه النصب وقرآءه الخفض . أما النصب فهى قرآءه نافع ، وابن عامر الكسائى وعاصم فى رواية حفص من السبعه ، ويعقوب من الثلاثة وأما الجر فهى قرآءه ابن كثير ، وحمزه ، وأبى عمرو وعاصم فى رواية أبى بكر ، أما قرآءه النصب فلا اشكال فيها . لأن الأرجل فيها معطوفه على الوجه وتقرير المعنى عليها :- فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وأرجلكم الى الكعبين وامسحوا برءوسكم وانما أدخل مسح الرأس من المغسولات محافظة على الترتيب لأن الرأس يمسح بين المغسولات . ومن هنا أخذ جماعة من العلماء وجوب الترتيب فى أعضاء الوضوء حسبما فى الآية الكريمة .

وأما على قرآءه الجر : ففى الآيه الكريمه اجمال وهو أنها يفهم منها الاكتفاء بمسح الرجلين فى الوضوء عن الغسل كالرأس وهو خلاف الواقع للأحاديث الصحيحه الصريحه فى وجوب غسل الرجلين فى الوضوء والتوعد بالنار لمن ترك ذلك كقوله صلى الله عليه وسلم " ويل للأعقاب من النار "(١).

اعلم أولا أن القرآءتين اذا ظهر تعارضهما فى آيه واحده لها حكم الآيتين كما هو معروف عند العلماء ، واذا علمت ذلك فاعلم أن قرآءه " وأرجلكم " بالنصب صريح فى وجوب غسل الرجلين فى

---

(١) صحيح البخارى كتاب الوضوء جـ ١ ص ٤٩ ، ومسلم كتاب الطهاره جـ ١ ص ٢١٣

الوضوء . فهى تفهم أن قرآءة الخفض انما هى لمجاورة المخفوض مع أنها فى الأصل منصوبه بدليل قرآءة النصب والعرب تخفض الكلمة لمجاورتها للمخفوض مع أن اعرابها النصب أو الرفع .

وما ذكره بعضهم من أن الخفض بالمجاوره معدود فى اللحن الذى يتحمل لضرورة الشعر خاصه ، وأنه غير مسموع فى العطف وأنه لم يجز الآ عند أمن اللبس فهو مردود بأن أئمة اللغة العربية صرحوا بجوازه وممن صرح به الأخفش وأبو البقاء ، وغير واحد ولم ينكره الا الزجاج وانكاره له مع ثبوته فى كلام العرب وفى القرآن العظيم - يدل على أنه لم يتبع المسأله تتبعا كافيا .

والتحقيق أن الخفض بالمجاوره أسلوب من أساليب اللغة العربية وأنه جاء فى القرآن لأنه بلسان عربى مبين ..." ثم ذكر الشيخ الشنقيطى رحمه الله تعالى عددا من الأمثله من الشعر العربى فذكر بيتا لامرئ القيس ثم لذى الرمه ثم للنابغه ثم لامرئ القيس ثانية ثم لزهير ثم لشاعر لم يسمه . وأورد بعد ذلك أمثله لورود الخفض بالمجاوره فى القرآن الكريم . وقال بعد هذا كله" : -

" وبهذا تعلم أن دعوى - كون الخفض بالمجاوره لحنا لا يحتمل الا لضرورة الشعر - باطله ، والجواب عماذكروه من أنه لا يجوز الآعند أمن اللبس هو أن اللبس هنا يزيله التحديد بالكعبين اذ لم يرد تحديد الممسوح وتزيله قرآءه النصب كما ذكرنا فان قيل قرآءة الجر الدالة على مسح الرجلين فى الوضوء هى المبينه لقرآءه النصب بأن تجعل قرآءة النصب عطفا على المحل لأن الرؤس مجرورة بالباء فى محل نصب على حد قول ابن مالك فى الخلاصة :

وجر ما يتبع ما جر ومن ∴ راعى فى الاتباع المحل فحسن

وابن مالك وان كان أورد هذا فى " اعمال المصدر " فحكمه عام أى وكذلك الفعل والوصف كما أشار له فى الوصف بقوله :

وأجرر أو انصب تابع الذى انخفض ∴ كمبتغى جاه ومالا من نهض

(فالجواب) أن بيان قرآءة النصب بقرآءة الجر - كما ذكر - تأباه السنة الصريحة الصحيحة الناطقة بخلافه ، وبتوعد مرتكبه بالويل من النار بخلاف بيان قرآءة الخفض بقرآءه النصب ، فهو موافق لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الثابته عنه قولا وفعلا . فقد أخرج الشيخان فى صحيحيهما عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : تخلف عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفرة سافرناها فأدركنا ، وقد أرهقتنا الصلاة صلاة العصر ونحن نتوضأ فجلعنا نمسح على أرجلنا فنادى بأعلى صوته " أسبغوا الوضوء ، ويل للأعقاب من النار " . وكذلك هو فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه .

وفى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال " أسبغوا الوضوء ويل للأعقاب من النار" وروى البيهقى والحاكم باسناد صحيح عن عبد الله بن حارث بن جزء أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " ويل للأعقاب وبطون الأقدام من النار ، وروى الامام أحمد وابن ماجه وابن جرير عن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " ويل للأعقاب من النار" وروى الامام أحمد عن معيقيب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال " ويل للأعقاب من النار" وروى ابن جرير عن ابى أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم" ويل للأعقاب من النار" قال فما بقى فى المسجد شريف ولا وضيع الا نظرت اليه يقلب عرقوبيه ينظر اليهما .

وثبت من أحاديث الوضوء عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان وعلى

وابن عباس ومعاويه وعبدالله بن زيد بن عاصم والمقداد بن معد يكرب " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غسل الرجلين فى وضوئه اما مرة أو مرتين أو ثلاثا " على اختلاف رواياتهم .

وفى حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ فغسل قدميه " ثم قال : " هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة الآ به " (١) .

والأحاديث فى الباب كثيرة جدا وهى صحيحه "صريحة" فى وجوب غسل الرجلين فى الوضوء وعدم الاجتزاء بمسحها " (٢) .

ذلكم تفسير الشيخ الشنقيطى لهذه الآيه وقد قال بهذا أيضا الشيخ عبدالرحمن السعدى رحمه الله تعالى ولكن باختصار فقال معددا الأحكام التى تؤخذ من الآية المذكوره " الثالث عشر : الأمر بغسل الرجلين الى الكعبين ، ويقال فيهما ما يقال فى اليدين (الرابع عشر فيها الرد على الرافضه ، على قرآءة الجمهور بالنصب ، وأنه لا يجوز مسحهما ما دامتا مكشوفتين (الخامس عشر) فيه الاشارة الى مسح الخفين ، على قرآءة (وأرجلكم) وتكون كل من القرآءتين محمولة على معنى فعلى قرآءة النصب فيها غسلهما ، ان كانتا مكشوفتين وعلى قرآءه الجر فيها مسحهما اذا كانتا مستورتين بالخف " (٣)

وكذا الدكتور محمد سيد طنطاوى فانه أورد ملخصا لتفسير القرطبى رحمه الله تعالى للآيه ثم أشار الى أن ابن كثير عقد فصلا أورد فيه كثيرا من الأحاديث التى وردت فى غسل الرجلين وجعل عنوانه " ذكر الأحاديث الوارده فى غسل الرجلين وأنه لا بد منه "

---

(١) رواه ابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنهما . كتاب الطهاره جـ١ ص١٦٢
(٢) أضواء البيان فى ايضاح القرآن بالقرآن : محمد الأمين الشنقيطى جـ ٢ ص ٧-١٣ باختصار .
(٣) تيسير الكريم الرحمن : عبدالرحمن السعدى جـ٢ ص ٢٥٢

وأورد بعض الأحاديث التى ساقها ابن كثير ثم استدل ببعض الأقوال الأخرى وختم نقوله هذه بقوله " هذا ومن كل ما تقدم نرى وجوب غسل الرجلين فى الوضوء ، سواء أكانت القرآءة بالنصب أم بالجر وقد بسطت بعض كتب الفقه والتفسير هذه المسأله بسطا موسعا فليرجع اليها من شاء "[1] .

وبهذا ترى أنه اكتفى بعرض آراء العلماء السابقين المعتبرين فى تفسير الآية ، واكتفى بتأييد هذه الآراء .

ثانيا : صلاة الجمعة :

وقد أفاض الشيخ عطيه محمد سالم تلميذ الشيخ محمد الأمين الشنقيطى فى تتمته لتفسير شيخه أفاض الحديث فى أحكام صلاة الجمعة والآذان من قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع" الآية[2] . حتى فاق فى فصوله التى عقدها كثيرا من كتب الفقه المتخصصه ومن بين هذه الفصول فصلا تحت عنوان " حكم صلاة الجمعة عند الفقهاء" قال فيه بعد ايراد الآية السابقة " وفيه الأمر بالسعى اذا نودى اليها ، والأمر يقتضى الوجوب ما لم يوجد له صارف ، ولا صارف له هنا فكان يكفى حكاية الاجماع على وجوبها ، كما حكاه بن المنذر وابن قدامه وغيرهما ونقله الشوكانى ، وهو قول الأئمة الأربعة رحمهم الله ولكن وجد من يقول ان الجمعة ليست بواجبه ولعله ظن فى الآية صارفا للأمر عن الوجوب وهو ما جاء فى آخر السياق فى قوله تعالى " وذروا البيع ذلكم خير لكم" فقالوا : ان الأمر لتحصيل الخير المذكور ، وقد نقل عن بعض أتباع بعض الأئمة رحمهم الله ما يوهم

---

(١) تفسير سورة المائدة : الدكتور محمد سيد طنطاوى ص ٨٢
(٢) سورة الجمعه من الآية ٩

أنها ليست بفرض ، وهو مسطر فى كتبهم ، مما قد يغتر به بعض البسطاء ، ولا سيما مع ضعف الوازع وكثرة الشاغل فى هذه الآونه ، مما يستوجب ايراده وبيان رده من أقوال أصحابهم وأئمتهم رحمهم الله جميعا "[1].

ثم أورد أقوال أصحاب المذاهب الأربعة وأئمتهم بما يثبت به قولهم جميعا بوجوبها ثم قال بعد ما أورده كله " فهذه نصوص المذاهب الأربعة فى وجوب الجمعه وفرضها على الأعيان فلم يبق لأحد بعد ذلك أدنى شبهة يلتمسها من أى مذهب ولا تتبع شواذه للتهاون بفرض الجمعه لنيابة الظهر عنها .

ثم أعلم أن فى الآيه قرينة على هذا الوجوب وأنه لا صارف للأمر عن وجوب السعى اليها ، وذلك أن مع الأمر بالسعى اليها الأمر بترك البيع والنهى عنه واذا كان ترك البيع واجبا من أجلها فما وجب هو من أجله كان وجوبه هو أولى قال فى المغنى : فأمر بالسعى ويقتضى الأمر الوجوب ولا يجب السعى الا الى الواجب ونهى عن البيع لئلا يشغل به عنها ، فلو لم تكن واجبه لما نهى عن البيع من أجلها ، وهو واضح كما ترى ، والأحاديث فى الوعيد لتاركها بدون عذر مشهورة تؤكد الوجوب "[2] ثم ذكر بعض الأحاديث فى ذلك .

أما الشيخ جمال الدين القاسمى فقد أوجز العبارة فى أحكام صلاة الجمعه ، ورد على من زعم فرضية الظهر بعدها فقال رحمه الله تعالى " وظاهره أنه لا يشرع بعدها صلاة ما ، غير أنه كان صلى الله عليه وسلم يتنفل بعدها فى بيته ركعتين . وفى رواية أربعا . وأما اعتقاد

---

(١) أضواء البيان فى ايضاح القرآن بالقرآن : تتمة الشيخ عطيه محمد سالم جـ ٨ ص ٢٨٧
(٢) المرجع السابق جـ ٨ ص ٢٩٢

فرضية الظهر بعدها اذا تعددت فتعصب مذهبي لا برهان له "[١]

ثالثا : الخمس في الغنائم :

يرى فقهاء المذاهب الأربعة أن المراد بالغنيمه ما حواه المسلمون من أموال الكفار ، وذلك في قوله تعالى " واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل "[٢]

فقال الشيخ الشنقيطي في تفسيره لها " ظاهر هذه الآيه الكريمه أن كل شيء حواه المسلمون من أموال الكفار فانه يخمس حسبما نص عليه في الآية سواء أوجفوا عليه الخيل والركاب أولا ، ولكنه تعالى بين في سورة الحشر أن ما أفاء الله على رسوله من غير ايجاف المسلمين عليه الخيل والركاب أنه لا يخمس ومصارفه التي بين أنه يصرف فيها كمصارف خمس الغنيمه المذكورة هنا وذلك في قوله تعالى في فيء بني النضير " وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب " الآية [٣] ثم بين شمول الحكم لكل ما أفاء الله على رسوله من جميع القرى بقوله " ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول " الآية [٤] .

اعلم أولا أن أكثر العلماء فرقوا بين الغنيمه والفيء فقالوا : الفيء هو ما يسره الله للمسلمين من أموال الكفار من غير انتزاعه منهم بالقهر . . . . وأما الغنيمه فهي ما انتزعه المسلمون من الكفار بالغلبة والقهر . . . .

---

(١) تفسير القاسمي : جـ١٦ ص ٥٨٠٤
(٢) سورة الانفال : من الآية ٤١
(٣) سورة الحشر : من الآية ٦
(٤) سورة الحشر : من الآية ٧

وقال بعض العلماء ان الغنيمة والفيء واحد فجميع ما أخذ من الكفار على أى وجه كان غنيمه وفيئا وهذا قول قتاده رحمه الله وهو المعروف فى اللغة " [(١)]

هذا ما قاله رحمه الله تعالى فى الغنيمه أما تفسيره للخمس الذى يؤخذ من هذه الغنيمه فقال عنه " ظاهر الآيه أنه يجعل ستة أنصباء : نصيب لله جل وعلا ونصيب للرسول صلى الله عليه وسلم ونصيب لذى القربى ونصيب لليتامى ونصيب للمساكين ونصيب لابن السبيل . (ثم قال) والتحقيق أن نصيب الله جل وعلا ونصيب الرسول صلى الله عليه وسلم واحد ، ذكر اسمه جل وعلا استفتاح كلام للتعظيم (ثم استدل لهذا القول بعدة أدلة أعقبها بقوله) : فاذا عرفت أن التحقيق أن الخمس فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم يقسم خمسة أسهم لأن اسم الله ذكر للتعظيم وافتتاح الكلام به مع أن كل شيء مملوك له جل وعلا فاعلم أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصرف نصيبه الذى هو خمس الخمس فى مصالح المسلمين بدليل قوله فى الأحاديث التى ذكرناها آنفا " والخمس مردود عليكم " [(٢)] وهو الحق .. (ثم ذكر الأقوال فى نصيبه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته راجعة الى شيء واحد وهو صرفه فى مصالح المسلمين " [(٣)] .

أما نصيب ذوى القربى من الخمس فقد ذكر فيه ثلاث مسائل : الأولى : هل يسقط بوفاته أم لا ؟ وقال فيها " وقد ذكرنا أن الصحيح عدم السقوط خلافا لأبى حنيفه أما الثانية فعن المراد بذى القربى

---

(١) أضواء البيان : محمد الأمين الشنقيطى : جـ٢ ص : ٣١٥ - ٣١٦ باختصار
(٢) الامام احمد : جـ ٥ ص ٣١٦ النسائى كتاب قسم الفيء ٧ ص ١٣١
(٣) أضواء البيان : محمد الأمين الشنقيطى جـ٢ ص ٣٢٠ - ٣٢٣ باختصار .

وقال عن ذلك " أما ذو القربى فهم بنو هاشم : وبنو المطلب على أظهر الأقوال دليلا واليه ذهب الشافعى وأحمد بن حنبل وأبو ثور ومجاهد وقتاده وابن جريج ومسلم بن خالد ،أما المسألة الثالثة فهل يفضل ذكرهم على أنثاهم ؟ ورجح رحمه الله تعالى أنه لا يفضل ذكرهم على انثاهم .(١)

ثم عقب على هذه الأبحاث فى الخمس بقوله " وأما قول بعض أهل البيت كعبد الله بن محمد بن على وعلى بن الحسين رضى الله عنهم : بأن الخمس كله لهم دون غيرهم وأن المراد باليتامى والمساكين يتاماهم ومساكينهم ،وقول من زعم أنه بعد النبى صلى الله عليه وسلم يكون لقرابة الخليفه الذى يوليه المسلمون ،فلا يخفى ضعفها والله تعالى أعلم(٢)

وخلاصة رأيه رحمه الله تعالى أن الخمس من الغنائم فى الحروب وأنه يقسم الى خمسة أسهم أما سهم الرسول صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فيصرف فى مصالح المسلمين وسهم ذوى القربى فيصرف لبنى هاشم والمطلب أما أسهم اليتامى والمساكين وابن السبيل فليس المراد بهم يتامى ومساكين أهل البيت بل هو عام ليتامى ومساكين المسلمين .

وهذا الذى قاله الشيخ الشنقيطى رحمه الله هو الذى قال به أصحاب المذاهب الأربعة مع بعض الاختلافات الفرعية خلافا للشيعه كما سيأتى بيانه ان شاء الله ، وهو أيضا ماقال به طائفة المفسرين فى العصر الحديث .

ومنهم الشيخ جمال الدين القاسمى فقد بين هذا اجمالا وتفصيلا قال فى اجماله " واعلموا أنما غنتهم من شىء" أى قل أو كثر من الكفار

---

(١) أضواء البيان : محمد الأمين الشنقيطى جـ٢ ص٣٢٣-٣٢٦ باختصار.
(٢) أضواء البيان : محمد الأمين الشنقيطى جـ٢ ص ٣٢٨

" فان لله " أى الذى منه النصر المتفرع عليه الغنيمه " خمسه " شكرا له على نصره واعطائه الغنيمه " وللرسول " أى الذى هو الأصل فى أسباب النصر " ولذى القربى " وهم بنو هاشم والمطلب " واليتامى " أى من مات آباؤهم ولم يبلغوا ،لأنهم ضعفاء " والمساكين " لأنهم أيضا ضعفاء كاليتامى " وابن السبيل " وهو المسافر الذى قطع عليه الطريق ويريد الرجوع الى بلده ولا يجد ما يتبلغ به "(1)

هذا ما ذكره رحمه الله تعالى اجمالا ولا موجب لذكر تفصيله خشية الاطالة . ومن المفسرين أيضا الذين ذكروا ما ذكره الشيخ عبد الرحمن السعدى رحمه الله تعالى فقال " واعلموا أنما غنمتم من شيء " أى أخذتم من مال الكفار قهرا بحق ، قليلا كان أو كثيرا (ثم قال) وأما هذا الخمس فيقسم خمسة أسهم . سهم للهولرسوله يصرف فى مصالح المسلمين العامه من غير تعيين لمصلحة ، لأن الله جعلهلهولرسولهوالله ورسوله غنيان عنه فعلم أنه لعباد الله فإذ الم يعين الله له مصرفا دل على أن مصرفه للمصالح العامه .

والخمس الثانى : لذى القربى وهم قرابة النبى صلى الله عليه و وسلم من بنى هاشم ،وبنى المطلب واضافة الله الى القرابة دليلا على أن العلة فيه مجرد القرابه فيستوى غنيهم وفقيرهم ،ذكرهم وأنثاهم .

والخمس الثالث : لليتامى وهم الذين فقدت آباؤهم وهم صغار جعل الله لهم خمس الخمس رحمة بهم حيث كانوا عاجزين عن القيام بمصالحهم ، وقد فقد من يقوم بمصالحهم .

والخمس الرابع : للمساكين أى المحتاجين الفقراء من صغار وكبار ذكور واناث .

---

(1) تفسير القاسمى : جـ٨ ص ٢٩٩٧

والخمس الخامس : لابن السبيل وهو الغريب المنقطع به فى غير بلده .

وبعض المفسرين يقول ان خمس الغنيمه لا يخرج عن هذه ، الأصناف ولا يلزم أن يكونوا فيه على السواء بل ذلك تبع للمصلحة وهذا هو الأولى " (١)

وقد أجمل الغزالى خليل عيد رحمه الله تعالى المعنى العام للآيه فقال " يبين الله تعالى لعباده أن الأشياء التى غنموها من الكفار وحصلوا عليها بالقوة يجب أن تخمس أى تقسم الى خمسة أخماس وأن يكون خمسها لله ولرسوله ولأقرباء الرسول صلى الله عليه وسلم من بنى هاشم وبنى المطلب وللأيتام الذين فقدوا آباءهم وهم صغار لم يبلغوا الحلم وللمساكين الذين ليس عندهم ما يكفيهم ولأبناء السبيل المسافرين الذين يحتاجون الى ما يساعدهم فى سفرهم . (٢)

ولن أطيل بذكر غير من ذكرت ، والخلاصة أن رأى فقهاء أهل السنة أن الخمس انما هو من غنائم الحرب وأنه للرسول ويصرف فى مصالح المسلمين ولبنى هاشم وبنى المطلب من قرابته صلى الله عليه وسلم واليتامى والمساكين وابن السبيل من سائر أمته عليه الصلاة والسلام .

رابعا : ارث الأنبياء عليهم السلام :

والأنبياء لا يورثون وانما قال بأنهم يورثون بعض الرافضه ومما استدلوا به كما سيأتى بسط وجهه قوله تعالى عن زكريا عليه السلام " وانى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقرا فهب لى

---

(١) تيسير الكريم الرحمن : عبد الرحمن السعدى جـ ٣ ص ١٦٩-١٧٠

(٢) تفسير سورة الأنفال : الغزالى خليل عيد ص ٩١

من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا "[1] زاعمين أن الارث هنا ارث مالي وقد بين الشيخ محمد الأمين الشنقيطي الموروث هنا بقوله رحمه الله تعالى : -

معنى قوله " خفت الموالي " أي خفت أقاربي وبني عمي وعصبتي أن يضيعوا الدين بعدي ولا يقوموا لله بدينه حق القيام فارزقني ولدا يقوم بعدى بالدين حق القيام وبهذا التفسير تعلم أن معنى قوله " يرثني " أنه ارث علم ونبوه ودعوة الى الله والقيام بدينه ، لا ارث مال . ويدل لذلك أمران : -

(أحدهما) - قوله " ويرث من آل يعقوب " ومعلوم أن آل يعقوب انقرضوا من زمان . فلا يورث عنهم الا العلم والنبوه والدين .

(والأمر الثاني) ما جاء من الأدله على أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لا يورث عنهم المال ، وانما يورث عنهم العلم والدين فمن ذلك ما أخرجه الشيخان في صحيحيهما عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال " لا نورث ما تركنا صدقة "[2] ومن ذلك أيضا ما رواه الشيخان أيضا عن عمر رضي الله عنه أنه قال لعثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد وعلي والعباس رضي الله عنهم : أنشدكم الله الذي باذنه تقوم السماء والأرض أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " لا نورث ما تركناه صدقه " قالوا : نعم[3] ومن ذلك ما أخرجه الشيخان أيضا عن عائشة رضي الله عنها أن أزواج النبي صلى الله عليه حين توفي أردن أن يبعثن عثمان الى أبي بكر

---

(١) سورة مريم : الآيتين ٥ و ٦
(٢) البخاري باب فرض الخمس جـ ٤ ص ٤٢ ومسلم كتاب الجهاد جـ٣ص ١٣٨٠
(٣) البخاري باب فرض الخمس جـ٤ ص ٤٣ ومسلم كتاب الجهاد جـ٣ ص١٣٧٧- ١٣٧٨

يسألنه ميراثهن فقالت عائشة : أليس قال النبى صلى الله عليه وسلم " ما تركنا صدقه "[١] ومن ذلك ما رواه الشيخان أيضا عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا تقتسم ورثتى دينارا ما تركت بعد نفقة نسائى ومئونه عاملى فهو صدقة "[١] وفى لفظ عند أحمد : " لا تقتسم ورثتى دينار ولا درهما " ومن ذلك أيضا ما رواه الامام احمد والترمزى وصححه[٢] عن ابى هريره : أن فاطمه رضى الله عنها قالت لأبى بكر رضى الله عنه : من يرثك اذا مت ؟ قال ولدى وأهلى قالت فما لنا لا نرث النبى صلى الله عليه وسلم ؟ قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : " ان النبى لا يورث " ولكن أعول من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوله وانفق على من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفق .

فهذه الأحاديث وأمثالها ظاهرة فى أن الأنبياء لا يورث عنهم المال بل العلم والدين "[٣] .

ثم ذكر رحمه الله تعالى عددا من الأحاديث فى عموم عدم الارث المالى فى جميع الأنبياء وقال بعد ذلك " وبهذا الذى قررنا تعلم أن قوله هنا " يرثنى ويرث من آل يعقوب " يعنى وراثة العلم والدين لا المال . وكذلك قوله " وورث سليمان داود .[٤] الآية فتلك الوراثه أيضا وراثه علم ودين والوراثه قد تطلق فى الكتاب والسنه على وراثة العلم والدين كقوله تعالى " ثم أرثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا . ."[٦] الآيه وقوله " وان الذين أورثوا

---

(١) صحيح البخارى : باب فرض الخمس جـ٤ ص٥٤ صحيح مسلم كتاب الجهاد جـ٣ ص ١٣٨٢ واحمد جـ٢ ص ٢٤٢

(٢) مسند الامام احمد جـ١ ص١٠ وسنن الترمذى كتاب السير جـ٤ ص١٥٧ وقال حسن غريب من هذا الوجه ، ولعله رحمه الله وهم حين قال والترمذى وصححه .

(٣) أضواء البيان : محمد الامين الشنقيطى جـ٤ ص٢٠٦-٢٠٧

(٤) سورة النمل : من الآية ١٦ (٥) سورة فاطر : من الآية : ٣٢

الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب "[1] وقوله " فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب . . . ." الآية[2] الى غير ذلك من الآيات .

ومن السنه الواردة فى ذلك ما رواه أبو الدرداء رضى اللهعنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال " العلماء ورثة الأنبياء " وهو فى المسند والسنن "[3] [4] .

هذا بعض ما ذكره رحمه الله تعالى فى ارث الأنبياء وأكتفى به كمثال لتفسير هذه الآية عند علماء السنة والجماعة .

خامسا : نكاح المتعة :

أجمع فقهاء أهل السنه والجماعة بل سائر المذاهب على تحريم نكاح المتعه الا طائفة الشيعة بل صار القول بها سمه من سمات التشيع العديده .

واستدلوا بقوله تعالى " فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن " الأية[5] وفسرها أهل السنه بما مثاله فى تفسير الشيخ الشنقيطى رحمه الله تعالى حيث قال : -

" يعنى كما أنكم تستمتعون بالمنكوحات فاعطوهن مهورهن فى مقابله ذلك وهذا المعنى تدل له آيات من كتاب الله كقوله تعالى " وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض"[6] الآية فافضاء بعضهم الى بعض المصرح بأنه سبب لاستحقاق الصداق كاملا هو بعينه

---

(١) سورة الشورى : من الآية ١٤
(٢) سورة الاعراف : من الآية ١٦٩
(٣) اضواءالبيان : محمد الأمين الشنقيطى جـ٤ ص ٢٠٨-٢٠٩
(٤) البخارى كتاب العلم (الترجمة) جـ١ص١٠ وأحمد جـ٥ص ١٩٦ وأبود اود كتاب العلمجـ٣ ص٣١٧ وابن ماجه: المقدمةجـ١ ص ٩٧-٩٨
(٥) سورة النساء : من الآية : ٢٤
(٦) سورة النساء : من الآية : ٢١

الاستمتاع المذكور هنا فى قوله " فما استمتعتم به منهن " الآية وقوله " وآتوا النساء صدقاتهن نحله "[1] وقوله " ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا " الآية [2] ، فالآية فى عقد النكاح لا فى نكاح المتعة كما قال به من لا يعلم معناها فان قيل التعبير بلفظ الأجور يدل على أن المقصود الأجره فى نكاح المتعه لأن الصداق لا يسمى آجرا فالجواب أن القرآن جاء فيه تسمية الصداق أجرا فى موضع لا نزاع فيه لأن الصداق لما كان فى مقابلة الاستمتاع بالزوجة كما صرح به تعالى فى قوله " وكيف تأخذونه " الآيه صار له شبه قوى بأثمان المنافع فسمى أجرا ، وذلك الموضع هو قوله تعالى " فانكحوهن باذن أهلهن وآتوهن أجورهن "[3] اى مهورهن بلا نزاع ، ومثله قوله تعالى " والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن أجورهن " الآية[4] أى مهورهن فاتضح أن الآيه فى النكاح لا فى نكاح المتعه فان قيل : كان بن عباس وأبى بن كعب وسعيد بن جبير والسدى يقرأون فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى ، وهنا يدل على أن الآية فى نكاح المتعة ، فالجواب من ثلاثة أوجه[5] : -

الأول : أن قولهم الى أجل مسمى لم يثبت قرآنا لاجماع الصحابة على عدم كتبه فى المصاحف العثمانيه ، وأكثر الأصوليين على أن ما قرأه الصحابى على أنه قرآن ولم يثبت كونه قرآنا لا يستدل به على

---

(١) سورة النساء : من الآية ٤
(٢) سورة البقرة : من الاية ٢٢٩
(٣) سورة النساء : من الآية ٢٥
(٤) المائده الآيه : ٥
(٥) لكنه رحمه الله تعالى ذكر أربعة أوجه .

شيء لأنه باطل من أصله لأنه لم ينقله الا على أنه قرآن فبطل كونه قرآنا ظهر بطلانه من أصله .

الثاني : أنا لو مشينا على أنه يحتج به كالاحتجاج بخبر (لآحاد) كما قال به قوم أو على أنه تفسير منهم للآيه بذلك فهو معارض بأقوى منه لأن جمهور العلماء على خلافه . ولأن الأحاديث الصحيحه الصريحه قاطعه بكثرة بتحريم نكاح المتعه وصرح صلى الله عليه وسلم بأن ذلك التحريم دائم الى يوم القيامه كما ثبت فى صحيح مسلم من حديث سبرة بن معبد الجهنى - رضى الله عنه - أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكه فقال " يا أيها الناس انى قد كنت أذنت لكم فى الاستمتاع من النساء وان الله قد حرم ذلك الى يوم القيامه فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله ، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا " وفى رواية لمسلم فى حجة الوداع [1] ولا تعارض فى ذلك لامكان أنه صلى الله عليه وسلم قال ذلك يوم فتح مكه ، وفى حجة الوداع ايضا والجمع واجب اذا أمكن ، كما تقرر فى علم الأصول وعلوم الحديث .

الثالث : أنا لو سلمنا تسليما جدليا أن الآية تدل على اباحة نكاح المتعة فان اباحتها منسوخه كما صح نسخ ذلك فى الأحاديث المتفق عليها عنه صلى الله عليه وسلم وقد نسخ ذلك مرتين : الأولى يوم خيبر كما ثبت فى الصحيح والآخرة يوم فتح مكه كما ثبت فى الصحيح أيضا ...

الرابع : أنه تعالى صرح بأنه يجب حفظ الفرج عن غير الزوجة والسريه فى قوله تعالى " الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم " [2]

---

(١) صحيح مسلم كتاب النكاح جـ٢ ص ١٠٢٥

(٢) سورة المؤمنون : من الآية ٦ وسورة المعارج الآية ٣٠

في الموضعين ثم صرح بأن المبتغى وراء ذلك من العادين بقوله " فمن ابتغى وراء ذلك " الآية . ومعلوم أن المستمتع بها ليست مملوكه ولا زوجه فمبتغيها اذن من العادين بنص القرآن أما كونها غير مملوكه فواضح ،وأما كونها غير زوجه فلانتفاء لوازم الزوجيه عنها كالميراث والعده والطلاق والنفقه ولو كانت زوجه لورثت واعتدت ووقع عليها الطلاق ووجبت لها النفقه كما هو ظاهر "[1] .

وخشية الاطالة فى هذا البحث ولما سيأتى من زيادة بيان ان شاء الله نكتفى بما أوردناه هنا فى نكاح المتعه وفى غيره .

وهذا ما وعدنا بذكره مجملا لتفاسير شامله تناولت آيات الأحكام . أما ما وعدنا بذكره مفصلا أو ببعض التفصيل فهى دراسة تفاسير تناولت آيات الأحكام خاصة ولم تتناول سواها وهنا ، مكان الوفاء بالوعد .

تفاسير آيات الأحكام :

وهذا النوع من التفسير كما أشرت سابقا لم يؤلف فيه الكثير بل هى مؤلفات معدوده حصلت منها على ما يأتى : -

١- نيل المرام فى تفسير آيات الأحكام .

تأليف السيد محمد صديق حسن ، وبين يدى طبعه١٣٩٩ هـ ، فى مجلد واحد صفحاته تقريبا ٥٧٠ وبتحقيق وتعليق على السيد صبح المدنى .

٢- تفسير آيات الأحكام .

اشرف على طبعه وتنقيحه : محمد على السايس.

---

(١) أضواء البيان : محمد الأمين الشنقيطى جـ١ ص ٣٢٢ - ٣٢٤

٣- تفسير آيات الأحكام .
تأليف مناع القطان

٤- روائع البيان تفسير آيات الأحكام .
تأليف محمد على الصابونى

٥- قبس من التفسير الفقهى ، الدكتور الشافعى عبد الرحمن السيد .

٦- دراسات فى تفسير بعض آيات الأحكام الدكتور كمال جوده أبو المعاطى .

وسنعرض لها آحادا بشىء من التفصيل وعلى هذا الترتيب

أولا : نيل المرام فى تفسير آيات الاحكام :

أولا - المؤلف :[1]

هو أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن على بن لطف الله الحسينى البخارى القنوجى .

ولد فى " بريلى " ثم رحل صغيرا الى قنوج وتعلم بـ" دلهى " فى الهند ،وأنتهى به الترحال فى " بهوبال "،حيث تزوج ، ملكتها عرف بكثرة الكتابة فكان يكتب فى اليوم الواحد عدةكراريس ومن مؤلفاته :

الاذاعه لما كان ويكون بين يدى الساعه والدين الخالص والعبرة بما جاء فى الغزو والشهاده والهجره وفتح البيان فى مقاصد القرآن فى عشرة مجلدات ،وغير ذلك وقد بلغت مؤلفاته نيفا وستين مصنفا بالعربية والفارسيه والهنديه .

ولد سنة ١٢٤٨ وتوفى سنة ١٣٠٧

---

(١) اقتبست الترجمة من ترجمته المنشوره فى مقدمة تفسيره هذا .

ثانيا : التفسير :

تناول رحمه الله تعالى فى تفسيره الآيات التى يحتاج الى معرفتها كل راغب فى معرفة الأحكام الشرعيه القرآنية ، ويرى أنها مئتا آيه أو قريب من ذلك ولم يصح عنده القول بأنها خمس مئه آية قال " وان عدلنا عنه وجعلنا الآية كل جمله مفيده يصح أن تسمى كلاما فى عرف النحاة كانت اكثر من خمس مئة آية وهذا القرآن من شك فيه فليعد "[١] .

ثم بين رحمه الله تعالى أنه لم يستقص فى تفسيره هذا نوعين من آيات الأحكام :-

أحدهما : ما مدلوله بالضرورة كقوله سبحانه وتعالى " وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة " للأمان من جهله الآن تشتمل الآيه من ذلك على مالا يعلم بالضروره بل بالاستدلال فأذكرها لأجل القسم الاستدلالى منها كآية الوضوء والتيمم .

وثانيهما : ما اختلف المجتهدون فى صحة الاحتجاج على أمر معين وليس بقاطع الدلالة ولا واضحها ،فانه لا يجب على من لا يعتقد فيه دلاله أن يعرفه ،اذ لا ثمرة لايجاب معرفة الاستدلال به وذلك كالاستدلال على تحريم لحوم الخيل بقوله تعالى " لتركبوها وزينه"[٢] وهذا لا تجب معرفته الا على من يحتج به من المجتهدين اذ لا سبيل الى حصر كل ما يظن أو يجوز فيه استنباط الأحكام من خفى معانيه، ولا طريق الى ذلك الا عدم الوجدان وهى من أضعف الطرق عند علماء البرهان "[٣] .

---

(١) نيل المرام من تفسير آيات الأحكام : محمد صديق حسن ص : ١٣

(٢) سورة النحل : من الآية : ٨

(٣) نيل المرام من تفسير آيات الاحكام محمد صديق حسن ص ١٣ -١٤

ثم بعد أن بين ما لا يريد ذكره وضح ما يتصد ذكره بقولــه " وليس القصد الا ذكر ما يدل على الأحكام دلالة واضحة لتكــون عناية طالب الأحكام به أكثر والا فليس يحسن من طالب العلم أن يهمل النظر فى جميع كتاب الله تعالى مقدما للعناية فيه ، شامـلا للطائف معانيه ، مستنبطا للأحكام والآداب من ظواهره وخوافيه فانـه الأمان من الضلال والعمود الأعظم فى جميع الأحوال [(١)] .

ثم أوجز منهجه فيما تناوله من هذه الآيات لقوله" وها أنــا أفسر تلك الآيات المشار اليها بتفسير وجيز جامع لما له وعليه ، ولم آخذ فيها من الأقوال المختلفة الا الأرجح ،ومن الدلائل المتنوعه الا الأصح الأصرح ولعمرى لا يوجد قط تفسير موجز بهذا النمط" [(١)]

نماذج من تفسيره :

والأمثلة على التزامه المنهج الذى رسمه لنفسه آنفا ـ كثيرة نقتبــس منها بعض الأبحاث التى وقع فيها خلاف بين أهل السنه ومن عداهم حتى يتضح منها انتماؤه ، فمن ذلك :

غسل الرجلين في الوضوء :

قال تعالى " وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين " [(٢)] فجــاء تفسيره لها بقوله " قرأنافع بنصب الأرجل ،وهى قرآءة الحسن البصرى والأعمش وقرأ بن كثير ،وأبو عمرو ،وحمزه بالجر ،فرآءه النصب تدل على أنه يجب غسل الرجلين ،لأنها معطوفه على الوجوه والأيدى ،والى هذا ذهب جمهور العلماء .

---

(١) نيل المرام من تفسير آيات الأحكام : محمد صديق حسن ص ١٣-١٤

(٢) سورة المائدة : من الآية ٦

والفصل بالممسوح بين المغسولات يفيد وجوب الترتيب فى تطهير هذه الأعضاء ، وعليه الشافعى .

وقرآءة الجر تدل على أنه يجوز الاقتصار على مسح الأرجل لأنها معطوفه على الرؤوس واليه ذهب ابن جرير الطبرى وهو مروى عن ابن عباس قال داود الظاهرى " يجب الجمع بين الأمرين على اقتضاء القرآءتين " .

وقال ابن العربى " اتفقت الأمة على وجوب غسلهما وما علمت من رد ذلك الا الطبرى من فقهاء المسلمين ، والرافضه من غيرهم وتعلق الطبرى بقرآءة الجر " .

ثم قال رحمه الله تعالى "

ولكن قد ثبت فى السنه المطهرة بالأحاديث الصحيحه من فعله صلى الله عليه وسلم وقوله غسل الرجلين فقط .

وثبت عنه أنه قال " ويل للأعقاب من النار " وهو فى الصحيحين وغيرهما فأفاد وجوب غسل الرجلين ، وأنه لا يجزىء مسحهما لأن شأن المسح أن يصيب ما أصاب ويخطىء ما أخطأ ، فلو كان مجزيا لما قال " ويل للأعقاب من النار "

وقد ثبت أنه قال بعد أن توضأ وغسل رجليه " هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة الا به " وقد ثبت فى صحيح مسلم وغيره أن رجلا توضأ فترك على قدمه مثل موضع الظفر فقال له " ارجع فأحسن وضوءك"[(١) (٢)]

---

(١) نيل المرام من تفسير آيات الاحكام : محمد صديق حسن ص٣١٤-٣١٥

(٢) صحيح مسلم كتاب الطهارة جـ ١ ص ٢١٥

الخمس من الغنائم :

وذلك من قوله تعالى " واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل "(١) . فقال رحمه الله تعالى فى بيانها " قال القرطبى " اتفقوا على أن المراد بالغنيمه فى هذه الآية ، مال الكفار اذا ظفر بهم المسلمون على وجه الغلبه والقهر " قال " ولا تقتضى اللغه هذا التخصيص ولكن عرف الشرع قيد اللفظ بهذا النوع" .

ثم قال " وقد حكى الاجماع جماعة من أهل العلم على أن أربعة أخماس الغنيمه للغانمين وممن حكى ذلك ابن المنذر وابن عبد البر والداودى والمازرى والقاضى عياض وابن العربى ،

والأحاديث الواردة فى قسمة الغنيمه من الغانمين وكيفيتها كثيرة جدا ،قال القرطبى " ولم يقل أحد - فيما أعلم - ان قولهتعالى " يسألونك عن الانفال " الآيه ناسخ لقوله تعالى " واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه " الآيه بل قال الجمهور : ان قوله " أنما غنمتم من شيء " ناسخ وهم الذين لا يجوز عليهم التحريف، ولا التبديل لكتاب الله "(٢) .

أما بيانه لكيفية قسمة الخمس فقال فيه : " قد اختلف العلماء فى كيفية قسمة الخمس على أقوال ستة :

الأول : قالت طائفة يقسم الخمس على ستة فيجعل السدس للكعبة وهو الذى لله ،والثانى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والثالث لذوى القربى ،والرابع لليتامى ،والخامس للمساكين ،

---

(١) سورة الانفال : من الآيه ٤١
(٢) نيل المرام من تفسير آيات الاحكام : محمد صديق حسن ص٣٧٨-٣٧٩

والسادس لابن السبيل .

القول الثاني : قال أبو العاليه والربيع انها تقسم - أى الغنيمة - على خمسة ،فيعزل منها سهم واحد ويقسم أربعة على الغانمين ثم يضرب يده فى السهم الذى عزله فما قبضه من شئ جعله للكعبة ويقسم بقية السهم الذى عزله على خمسة للرسول ومن بعده فى الآيه .

القول الثالث : عن زين العابدين على بن الحسين أنه قال : ان الخمس لنا فقيل له : ان الله يقول : واليتامى والمساكين وابن السبيل ؟ فقال : يتامانا ، ومساكيننا وأبناء سبيلنا .

القول الرابع : قول الشافعى : ان الخمس يقسم على خمسة ،وان سهم الله وسهم رسوله واحد يصرف فى مصالح المؤمنين ، والأربعة الأخماس على الأصناف الأربعة المذكورةفى الآية .

القول الخامس : قول ابى حنيفه : انه يقسم الخمس على ثلاثه اليتامى والمساكين ،وابن السبيل وقد ارتفع حكم قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بموته كما ارتفع حكم سهمه ،قال ويبدأ من الخمس باصلاح القناطر ،وبناء المساجد وأرزاق القضاة والجند وروى نحو هذا عن الشافعى .

القول السادس : قول مالك انه موكول الى نظر الامام واجتهاده فيأخذ منه بغير تقدير ويعطى منه الغزاه باجتهاده ، ويصرف الباقى فى مصالح المسلمين قال القرطبى :" وبه قال الخلفاء الأربعة وبه عملوا " وعليه يدل قوله صلى الله عليه وسلم " مالى مما أفاء الله عليكم الا الخمس ،والخمس مردود عليكم " فانه لم يقسمه أخماسا ولا أثلاثا وانما ذكر

ما فى الآيه من ذكره على وجه التنبيه عليهم لأنهم من أهم من يدفع اليه " .

قال الزجاج محتجا لهذا القول : قال الله تعالى " يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين "[1] وجائز بالاجماع أن ينفق فى غير هذه الأصناف اذا رأى ذلك "[2] .

أما سهم " ذى القربى " فقال عنه " اختلف أهل العلم ، هل ثبت وبقى سهمهم اليوم أم سقط بوفاته صلى الله عليه وسلم ، وصار الكل مصروفا الى الثلاثة الباقية ؟ فذهب الجمهور - ومنهم مالك والشافعى - الى الثبوت واستواء الفقراء والأغنياء للذكر مثل حظ الانثيين وقال أبو حنيفه وأهل الرأى بسقوط ذلك والتفصيل يطلب من مواطنه "[3] .

نكاح المتعة :

والآيه مثار البحث هذا هى قوله تعالى " فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن "[4] وقد بحثها رحمه الله تعالى بحثا شافيا كافيا فقال :

وقد اختلف أهل العلم فى معنى الآية فقال الحسن ومجاهد وغيرهما المعنى فيما انتفعتم وتلذذتم بالجماع من النساء بالنكاح الشرعى فآتوهن أجورهن أى مهورهن .

وقال الجمهور : ان المراد بهذه الآية نكاح المتعه الذى كان

---

(١) سورة البقرة : من الآية ٢١٥
(٢) نيل المرام من تفسير آيات الاحكام : محمد صديق حسن ص ٣٨٠-٣٨١
(٣) نيل المرام من تفسير آيات الاحكام : محمد صديق حسن ص ٣٨٢
(٤) سورة النساء : من الآية ٢٤

فى صدر الاسلام ، ويؤيد ذلك قرآءة أبى بن كعب وابن عباس وسعيد ابن جبير : فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى فآتوهن أجورهن ؟! ثم نهى عنها النبى صلى الله عليه وسلم . كما صح ذلك من حديث على عليه السلام قال " نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن نكاح المتعه وعن لحوم الحمر الأهليه يوم خيبر " وهو فى الصحيحين[(١)] وغيرهما .

وفى صحيح مسلم من حديث سبرة بن معبد الجهنى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم فتح مكه " يا أيها الناس انى قد كنت أذنت لكم فى الاستمتاع من النساء والله قد حرم ذلك الى يوم القيامه ، فمن كان عنده منهن شىء فليخل سبيلها ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا " .

وفى لفظ لمسلم : أن ذلك كان فى حجة الوداع فهذا هو الناسخ وقال سعيد بن جبير : نسختها آيه الميراث ، اذ المتعة لا ميراث فيها .

وقال القاسم بن محمد وعائشه : تحريمها ونسخها فى القرآن ، وذلك قوله تعالى " والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين "[(٢)] . وليست المنكوحه بالمتعة من أزواجهم ولا مما ملكت أيمانهم ، فان من شأن الزوجه أن ترث وتورث وليست المتمتع بها كذلك .

وقد روى عن ابن عباس أنه قال بجواز المتعه وأنها باقيه لم تنسخ . وروى عنه أنه رجع عن ذلك عند أن بلغه الناسخ . وقد قال بجوازها جماعة من الروافض ولا اعتبار بأقوالهم وقد أتعب

---

(١) البخارى كتاب المغازى جـ٥ ص ٧٨ ، صحيح مسلم كتاب النكاح جـ٢ ص ١٠٢٧

(٢) سورة المؤمنون : الايتين ٥ و ٦

نفسه بعض المتأخرين بتكثير الكلام على هذه المسألة وتقوية ما قاله المجوزون لها وليس هذا المقام مقام بيان بطلان كلامه .

وقد طول الشوكانى رحمه الله البحث ودفع الشبهة الباطلة التى تمسك بها المجوزون لها فى شرحه للمنتقى فليرجع اليه . وأشرنا اليه فى مسك الختام شرح بلوغ المرام "[١] .

نكاح المشركات والكتابيات :

وذلك فى قوله تعالى " ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن "[٢] فقال رحمه الله تعالى " فى هذه الآية النهى عن نكاح المشركات وتزوجهن . قيل المراد بالمشركات الوثنيات وقيل انها تعم الكتابيات لأن أهل الكتاب مشركون " وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله "[٣] وقد اختلف أهل العلم فى هذه الآيه فقالت طائفة : ان الله حرم نكاح المشركات فيها والكتابيات من الجمله ثم جاءت آية المائدة[٤] فخصت الكتابيات من هذا العموم وهذا محكى عن ابن عباس ومالك وسفيان بن سعيد وعبد الرحمن بن عمر ، والأوزاعى ، وذهبت طائفة الى أن هذه الآية ناسخه لآية المائدة وأنه يحرم نكاح الكتابيات والمشركات - وهذا أحد قولى الشافعى -

---

(١) نيل المرام من تفسير آيات الأحكام : محمد صديق حسن ص١٩٨-١٩٩

(٢) سورة البقرة من الآية ٢٢١

(٣) سورة التوبه : من الاية ٣٠

(٤) وهى قوله تعالى "اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير سافحين ولا متخذى أخدان .. الآيه ٥

وبه قال جماعة من أهل العلم ويجاب عن قولهم ان هذه الآية ناسخة لآية المائدة بأن سورة البقرة من أول ما نزل وسورة المائدة من آخر ما نزل والقول الأول هو الراجح "[1] .

قطع يد السارق :

وذلك في قوله تعالى : " والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزآءً بما كسبا "[2] قال رحمه الله تعالى في تحديد موضع القطع : -

" والقطع معناه الإبانه والإزاله وجمع الأيدى لكراهة الجمع بين اثنتين ، وقد بينت السنة المطهره أن موضع القطع الرسغ ، وقال قوم : يقطع من المرفق ، وقال الخوارج : من المنكب "[3] .

وبعد

هذه أمثلة من تفسيره رحمه الله تعالى لآيات الأحكام ومنها يتضح عدم تأويله لأى منها بما تقول به بعض الفرق كالشيعة والخوارج ونحوهم بل التزم - أقوال علماء أهل السنه والجماعه بل لم يخرج فيها عن المذاهب الأربعة من غير تعصب لأحدها .

وسبق أن ذكرنا بيانه رحمه الله تعالى أنه لم يتناول فى تفسيره الا الآيات الصريحه فى الدلالة على الأحكام الفقهية بل وترك من هذا النوع الأخير ما هو متفق عليه أو معلوم بالضروره كإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة .

وهو بحق كتاب فى آيات الأحكام جمع فيه صاحبه نفائس الأقوال بعبارة قصيرة فحق له أن يكون من أصول المراجع فى ذلك .

(١) نيل المرام من تفسير آيات الأحكام : محمد صديق حسن ص٨٢-٨٣
(٢) سورة المائدة : من الاية : ٣٨
(٣) نيل المرام من تفسير آيات الاحكام : محمد صديق حسن ص ٣٢٧

ثانيا : روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن :

أولا : المؤلف[(١)] :

هو الاستاذ محمد على بن جميل الصابونى ، ولد فى مدينة حلب عام ١٩٢٨م .

تحصيله العلمى : تخرج من الثانوية الشرعيه وهى آخر مراحله الدراسية فى سوريا ، وأكمل دراسته فى الأزهر فنال الشهادة العاليه " الليسانس " سنة ١٩٥٢م ونال شهادة الماجستير فى تخصص القضاء الشرعى سنة ١٩٥٤م وكان موفدا من جهة وزارة الأوقاف السورية لاتمام الدراسة العليا .

أعماله : اشتغل بالتدريس ثمانى سنوات فى الثانويات العامة بحلب ثم انتدب للتدريس بمكة المكرمه فى كلية الشريعة وقد أمضى فى التدريس بالكليه ما يزيد على عشرين عاما .

مؤلفاته : له عدة مؤلفات هى : -

١- من كنوز السنه (دراسات أدبيه ولغويه من الحديث الشريف) .

٢- المواريث فى الشريعة الاسلامية على ضوء الكتاب والسنه

٣- النبوة والأنبياء .

٤- روائع البيان فى تفسير آيات الأحكام فى القرآن .

٥- شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم .

٦- مختصر تفسير ابن كثير فى ثلاثة مجلدات .

٧- صفوة التفاسير فى ثلاثة مجلدات .

٨- التبيان فى علوم القرآن .

---

(١) هذه الترجمة أرسلها المؤلف الى الاستاذ محمد بن عبد العزيز السديس ، ونشرها فى كتابه الدراسات القرآنيه المعاصره : ص ٢٦٩ - ٢٧٠ وقد أضفت اليها ما جدّ من مؤلفات ونحوها .

ثانيا : الكتـــاب :

هو : روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن جاء وصفه على الغلاف بأنه " تفسير خاص لآيات الأحكام مستمد من أوثـــق مصادر التفسير القديمة والحديثة بأسلوب مبتكر وطريقة جديـــدة مع عرض شامل لأدلة الفقهاء وبيان الحكمه التشريعية "

ويقع هذا التفسير في مجلدين متوسطى الحجم تبلغ صفحـــــات المجلد الأول ٦٣١ صفحة (بدون فهارسه) والمجلد الثانـــى كذلك يقع في ٦١٩ صفحة ، وانتهى المؤلف منه في غرة رجب سنة ١٣٩١هـ .

وصدرت طبعته الأولى في نفس العام ، والطبعة الثانية سنة ١٣٩٧ هـ

طريقته في التفسـير :

وقد وضح الشيخ طريقته في التفسير بقوله : " جمعت فيه الآيات الكريمة " آيات الأحكام خاصة " على شكل محاضرات علميه جامعـــــة تجمع بين القديم في رصانته والحديث في سهولته ، وسلكت في هـذه المحاضرات طريقة ربما تكون جديده ميسره وهي أنني عمدت الـــى التنظيم الدقيق مع التحرى العميق فتناولت الآيات التي كتبت عنهـــا من عشرة وجوه على الشكل الآتى :

أولا : التحليل اللفظي مع الاستشهاد بأقوال المفسرين وعلماء اللغة .

ثانيا : المعنى الاجمالي للآيات الكريمه بشكل مقتضب .

ثالثا : سبب النزول ان كان للآيات الكريمه سبب .

رابعا : وجه الارتباط بين الآيات السابقه واللاحقه .

خامسا : البحث عن وجوه القرآءات المتواتره .

سادسا : البحث عن وجوه الاعراب بايجاز .

سابعا : لطائف التفسير وتشمل (الأسرار والنكات البلاغيه والدقائق العلميه) .

ثامنا : الأحكام الشرعية وأدلة الفقهاء ، مع الترجيح بين الأدلة .

تاسعا : ما ترشد اليه الآيات الكريمه بالاختصار .

عاشرا : خاتمة البحث وتشمل (حكمة التشريع) لآيات الأحكام المذكورة " (١) .

ثم وبتواضع العلماء أنكر أن يكون ما جاء فى هذا الكتاب بجهده فحسب بل هو خلاصة نتاج أدمغة فطاحل العلماء ثم شبه نفسه بقوله : " وما مثلى الآ كمثل انسان رأى جواهر ولآلىء ودررا ثمينه مبعثرة هنا وهناك فجمعها ونظمها فى عقد واحد ، أو كمثل شخص دخل حديقة غنّاء فيها أحاسن الأثمار والورود والأزهار ما يدهش الأبصار ، فامتدت يده برفق اليها فجعلها فى باقة واحده ووضعها فى كأس فكانت بهجة للقلب وفتنة للعين " (١) .

وقال : " وما كنت أسطر شيئا حتى أقرأ ما يزيد على خمسة عشر مرجعا من أمهات المراجع فى التفسير عدا عن مراجع اللغة والحديث ثم أكتب هذه المحاضرات مع التنبيه الى المصادر التى نقلت عنها بكل دقة وأمانة " (١) .

وسنذكر أمثلة من تفسيره لأحكام خاصة ثم نذكر بعدها ما رأينا من ملاحظات .

نماذج من تفسيره :

خمس الغنائم : -

قال تعالى " واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه وللرسول

(١) روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن : محمد على الصابونى ج١ ص١١ - ١٢

ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير " .

وقد بسط العلماء أحكام الغنائم وكيفية تقسيم الخمس منها ، مستندين الى هذه الآية . وقد وضح الشيخ الصابونى هذه الأحكام بالوجوه التى أشار اليها آنفا فقال تحت عنوان : التحليل اللفظى .

غنمتم : الغنيمه ما أخذ من الكفار قهرا بطريق القتال والغلبة أما ما أخذ منهم بغير حرب أو قتال فهو " فيء " كما مر سابقا [(١)]

قال الشاعر :

وقد طوفت فى الآفاق حتى ∴ رضيت من الغنيمة بالاياب

خمسه : بضم الميم واسكانها لغتان وقد قرئ بهما ،والخمس أن يقسم الشيء الى خمسة أجزاء ثم يؤخذ جزء واحد منه ، والواجب الشرعى أن تخمس الغنائم فيصرف الخمس فيما ذكره الله ويوزع الباقى وهو أربعة أخماس بين الغانمين قال القرطبى لما بين الله تعالى حكم الخمس وسكت عن الباقى دل ذلك على أنه ملك للغانمين .

لذى القربى : هم قرابة الرسول صلى الله عليه وسلم وهم " بنوهاشم ، وبنو المطلب " على الصحيح من الأقوال كما سيأتى ان شاء الله .

اليتامى : هم أولاد المسلمين الذين هلك آباؤهم فى سن الصغر قبل البلوغ لأنه لا يتم بعد البلوغ .

المساكين : هم أهل الفاقه والحاجه من المسلمين .

ابن السبيل : هو المنقطع فى سفره مع شدة حاجته وانما قيل " ابن السبيل " لأنه لما انقطع فى سفره أصبح الطريق كأنه آب له"[(١)]. . . . . ألخ .

---

(١) المرجع السابق : جـ١ ص ٦٠٠-٦٠١

وقال تحت عنوان : ـ المعنى الاجمالى .

" يقول الله جل ثناؤه ما معناه : اعلموا أيها المؤمنون أن كل ما غنمتموه من الكفار المحاربين أيا كان قليلا أو كثيرا حق ثابت لكم . وحكمه ؛ أن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل . فاقسموه خمسة أقسام واجعلوا خمسه لله ينفق فى مصالح الدين واقامة الشعائر وعمارة الكعبة وكسوتها ، ثم اعطوا الرسول صلى الله عليه وسلم منه كفايته لنفسه ولنسائه ثم اعطوا منه ذى القربى من أهله وعشيرته ، ثم المحتاجين من سائر المسلمين وهم اليتامى والمساكين وابن السبيل ثم بين سبحانه وتعالى أن هذا هو مقتضى الايمان وهو الاذعان والخضوع لأوامره وأحكامه وعدم الخلاف والنزاع فيما بينهم لأن الله عز وجل هو الذى قسم فأعطى كل ذى حق حقه كما راعى مصالح العباد جميعا فما على المؤمنين الا الرضى والتسليم لحكم الله العلى الكبير " (١) .

ومن بيانه فى المعنى الاجمالى هذا يظهر أنه يرجح القول أن الغنائم توزع الى خمسة أقسام وأن الخمس يوزع الى ستة أسهم لله ولرسوله ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، خلافا لمن قال أن سهم الله سبحانه وتعالى وسهم رسوله واحد ثم ذكر وفقه الله تعالى لطائف تحت : لطائف التفسير .

نذكر منها قوله : " اللطيفه الأولى : التنكير فى قوله تعالى (من شىء) يفيد التقليل أى أى شىء كان سواء كان هذا الشىء قليلا أو كثيرا ، عظيما أو حقيرا حتى الخيط والمِخْيَط (الابره) .

---

(١) المرجع السابق : جـ١ ص ٦٠١ - ٦٠٢

اللطيفه الثانية : ذكر الله تعالى فى القسمه فى قوله تعالى (فان لله خمسه) لتعليمنا التبرك بذكر اسم الله المعظم ، واستفتاح الأمور باسمه تعالى ولا يقصد منه أن الخمس يقسم على سته منها (الله) فان لله الدنيا والآخره والله هو الغنى الحميد أو يراد منه انفاقه فى سبيل الله فيكون الكلام على (حذف مضاف)" [(١)] .

ومما ذكرنا فى المعنى الاجمالى علمنا أن المؤلف قسم الخمس الى سته أسهم عدّ منها سهم الله سبحانه وتعالى وذكر أنه ينفق فى مصالح الدين واقامة الشعائر وعمارة الكعبه وكسوتها فهو اذا ، يؤيد أن الكلام على حذف مضاف وليس ذكر اسمه تعالى للتبرك .

ثم ذكر وفقه الله تعالى عددا من الأحكام المستفاده من الآية تحت عنوان : - الأحكام الشرعية .

نذكر منها : الحكم الثانى : كيف يوزع الخمس بين الغانمين ؟ وجاء فيه قوله " ذكرت الآية الكريمة أن خمس الغنائم يوزع لمن سماهم الله عز وجل فى كتابه العزيز وهم سته (الله ، الرسول ، ذو القربى ، اليتامى ، المساكين ، ابن السبيل) وسكتت عن الباقى فدل ذلك على أنه يوزع على الغانمين .

سهم الله :

أما سهم الله عز وجل فقد اختلف المفسرون فيه على قولين :

أ - انه يصرف على الكعبه لأن قوله " الله " اى لبيت الله فهو على حذف مضاف .

ب - وقال الجمهور ان قوله (لله) استفتاح كلام يقصد به التبرك فلله الدنيا والآخره وهو المالك لكل ما فى السموات والارض...

---

(١) المرجع السابق : جـ١ ص ٦٠١ - ٦٠٢

وعلى هذا الرأى يكون الخمس بين خمسه (الرسول ،ذى القربى ، اليتامى ،المساكين ،ابن السبيل) .

سهم الرسول :

أما سهم الرسول صلى الله عليه وسلم فانه حق له صلى الله عليه وسلم يأخذه من الغنيمه ويضعه حيث شاء لأهل بيته أو فى مصالح المسلمين يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (ما لى مما أفاء الله عليكم الا الخمس والخمس مردود عليكم) .

وقال آخرون : أن لفظ (الرسول) فى الآية استفتاح كلام كما قالوا فى قوله " لله " وأن الخمس يقسم على أربعة أسهم (ذى القربى ، واليتامى ، والمساكين ،وابن السبيل) .

سهم ذى القربى : والمراد قرابة الرسول صلى الله عليه وسلم وقد اختلف فى (ذى القربى) على ثلاثة أقوال : -

١- قيل انهم قريش جميعا .

٢- وقيل انهم بنو هاشم فقط .

٣- وقيل انهم (بنو هاشم وبنو المطلب ، هذا هو الرأى الصحيح والراجح ، ومما يدل عليه ما رواه البخارى عن (مطعم بن جبير) من بنى نوفل قال " مشيت أنا وعثمان بن عفان - من بنى عبد شمس - الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا : يارسول الله أعطيت بنى المطلب وتركتنا ونحن وهم بمنزلة واحدة . فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم (انما بنو المطلب وبنو هاشم شيء واحد انهم لم يفارقونا فى جاهليه ولا إسلام) فدل الحديث على أن المراد بذى القربى (بنو المطلب وبنوعاشم) ويرى بعضهم أن القرابة لا يعطون الا أن ، يكونوا فقراء وهذا الحكم ثابت للرسول صلى الله عليه وسلم ولذى قرباه

فى حياته وأما بعد وفاته فانه يرجع الى بيت مال المسلمين .

قال أبو حنيفه : يقسم الخمس على ثلاثه (اليتامى ، المساكين ، وابن السبيل) لأنه قد ارتفع سهم الرسول صلى الله عليه وسلم بموته ، كما ارتفع سهم أقربائه بموته وهذا منقول عن الشافعى أيضا ، قالوا : ويبدأ من الخمس باصلاح القناطر وبناء المساجد وأرزاق القضاة والجند ، ويصرف فى مصالح المسلمين .

سهم اليتامى :

وهذا السهم يصرف على أطفال المسلمين الذين هلك أباؤهم وهم فى سن الصغر . وأما بعد البلوغ فيزول عنهم وصف اليتم .

سهم المساكين :

وهم أهل الفاقه والحاجة من ضعفاء المسلمين الذين لا يملكون من حطام الدنيا شيئا ويحتاجون الى مواساة ومساعده .

سهم ابن السبيل :

وهو الغريب الذى انقطع فى سفره فانه يعطى من الخمس حتى ولوكان غنيا فى بلده ، ذلك لأننا نعتبر حالته التى هو عليها الآن .

مذهب المالكيه :

وقد خالف المالكيه هذه الأقوال المتقدمة جميعا ورأوا أن الخمس - خمس الغنيمه - يجعل فى بيت المال ينفق منه على ما ذكر فى الآية وعلى غيرهم بحسب ما يراه الامام من المصلحة وقالوا : ان ذكر هذه الأصناف فى الآيه الكريمه انما هو على سبيل المثال لا على سبيل التمليك وهو من باب اطلاق (الخاص وأريد به العام) [1] ثم أدله هذا القول وعقب عليه بقوله " وهذا الرأى للمالكيه سديد ووجيه " [1].

(١) المرجع السابق : جـ١ ص ٦٠٤ - ٦٠٦

هذا غالب ما قاله فى الغنائم والخمس وانما أطلت فيما نقلت حتى أعطى صورة لطريقته فى تناول الآيه من جوانب عدة . ثم لما فى تفسيره من بيان واضح وسأختصر ان شاء الله ما سأذكره من أمثلة لتفسيره بعد .

نكاح المتعه :

وشبهة من أباحه قوله تعالى " فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن "[1]. وتحت عنوان الأحكام الشرعيه رد الشيخ الصابونى على من أباح نكاح المتعه ووضح الحكم الصحيح وذلك فى الحكم الخامس منها فقال :

" الحكم الخامس : حكم المتعه وآراء الفقهاء فيها . .

وقد أجمع العلماء وفقهاء الأمصار قاطبة على حرمة (نكاح المتعة) لم يخالف فيه الا الروافض والشيعه ، وقولهم مردود لأنه يصادم النصوص الشرعيه من الكتاب والسنه ويخالف اجماع علماء المسلمين والأئمة المجتهدين .

وقد كانت المتعه فى صدر الاسلام جائزه ثم نسخت واستقر على ذلك النهى والتحريم ، وما روى عن ابن عباس من القول بحلها فقد ثبت رجوعه عنه كما أخرج الترمذى عنه رضى الله عنه أنه قال : " انما كانت المتعه فى أول الاسلام . كان الرجل يقدم البلده ليس له بها معرفه فيتزوج المرأة بقدر ما يرى أنه مقيم فتحفظ له متاعه وتصلح له شأنه " حتى نزلت الآية الكريمه الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم)[2] فكل فرج سواهما فهو حرام.[3]

---

(١) سورة النساء : من الآية ٢٤
(٢) سورة المؤمنون : من الآية ٦ والمعارج : من الآيه ٣٠
(٣) رواه الترمذى كتاب النكاح جـ ٣ ص ٤٣٠

فقد ثبت رجوعه عن قوله وهو الصحيح ، وحكى أنه انما أباحها حالة الاضطرار ، والعنت فى الأسفار فقد روى عن ابن جبير انه قال : قلت لابن عباس : لقد سارت بفتياك الركبان وقال فيها الشعراء قال : وما قالوا ؟ قلت قالوا :

قد قلت للشيخ لما طال مجلسه ∴ يا صاح هل لك فى فتوى ابن عباس
هل لك فى رخصة الأطراف آنسه ∴ تكون مثواك حتى مصدر الناس

فقال : سبحان الله ما بهذا أفتيت ؟ ! وما هى الا كالميته ، الدم ولحم الخنزير ولا تحل الا للمضطر .

ومن هنا قال الحازمى : انه صلى الله عليه وسلم لم يكن أباحها لهم وهم فى بيوتهم وأوطانهم ، وانما أباحها لهم فى أوقات بحسب الضرورات حتى حرمها عليهم فى آخر الأمر تحريم تأبيد "

ثم ذكر الأدلة الشرعيه والعقليه على تحريم المتعه ذكر منها خمسة أدله ثم ختمها بقول الخطابى " تحريم المتعه كالاجماع الا عن بعض الشيعه ولا يصح على قاعدتهم فى الرجوع فى المخالفات الى (على) رضى الله عنه فقد صح عنه أنها نسخت ، ونقل البيهيقى عن (جعفر بن محمد) أنه سئل عن المتعة فقال هى الزنى بعينه ، فبطل بذلك كل مزاعم الشيعه "[1] .

الحجاب :

وقد أفاض الحديث - جزاه الله خيرا - عن حجاب المرأه المسلمة وأجاد ولئن كان لا يتسنى لنا أن نشم كل الورود التى قطفها كما قال فى مقدمة تفسيره فانه أيضا لا يسعنا الا أن نقف عند بعضها وقفة تبهج

---

(١) روائع البيان : محمد على الصابونى جـ١ ص ٤٥٧ - ٤٥٩

النفس وتمتع النظر وتشنف الأسماع بسامى المعانى وقويم العبارات .

وكان مما قال فى تفسيره قوله تعالى " قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمورهن على جيوبهن " الآية (١) .

قال تحت عنوان الأحكام الشرعية ، وتحت الحكم الثانى : -

" وأما عورة المرأة بالنسبة للرجل : فجميع بدنها عوره على الصحيح وهو مذهب (الشافعيه والحنابله) وقد نص الامام أحمد رحمه الله على ذلك فقال (وكل شيء من المرأة عورة حتى الظفر ، وذهب (مالك وأبو حنيفه) الى أن بدن المرأة كله عوره ما عدا (الوجه والكفين) ولكل أدله سنوضحها بايجاز ان شاء الله تعالى .

أدلة المالكية والأحناف :

استدل المالكيه والأحناف على أن (الوجه والكفين) ليسا بعورة بما يلى :

أولا : قوله تعالى (ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها) فقد استثنت الآية ما ظهر منها أى ما دعت الحاجة الى كشفه واظهاره وهو الوجه والكفان . وقد نقل هذا عن بعض الصحابه والتابعين فقد قال (سعيد بن جبير) فى قوله تعالى (الا ما ظهر منها) قال : الوجه والكف . وقال (عطاء) : الكفان والوجه ، وروى مثله عن الضحاك .

ثانيا : واستدلوا بحديث عائشه ونصه (أن أسماء بنت أبى بكر) دخلت

---

(١) سورة النور : الآيتين : ٣٠ - ٣١

على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال لها (يا أسماء ان المرأة اذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها الا هذا وهذا) وأشار الى وجهه وكفيه .

ثالثا : وقالوا مما يدل على أن الوجه والكفين ليسا بعورة أن المرأة تكشف وجهها وكفيها فى صلاتها وتكشفهما أيضا فى الاحرام فلو كانا من العورة لما أبيح لها كشفها لأن ستر العوره واجب لا تصح صلاة الانسان اذا كان مكشوف العوره .

أدلة الشافعية والحنابلة :

١ - استدل الشافعية والحنابلة على أن الوجه والكفين عوره بالكتاب والسنة

والمعقول :

أولا : أما الكتاب فقوله تعالى (ولا يبدين زينتهن) فقد حرمت الآية الكريمة ابداء الزينه ، والزينه على قسمين : خلقيه ومكتسبه والوجه من الزينه ، الخلقية بل هو أصل الجمال ومصدر الفتنة والاغراء ، وأما الزينة المكتسبه فهى ما تحاوله المرأه فى تحسين خلقتها كالثياب والحلى والكحل والخضاب . والآية الكريمه منعت المرأه من ابداء الزينه مطلقا ، وحرمت عليها أن تكشف شيئا من أعضائها أمام الرجال أو تظهر زينتها أمامهم وتأولوا قوله تعالى : (الا ما ظهر منها) أن المراد ما ظهر بدون قصد ولا عمد مثل أن يكشف الريح عن نحرها أو ساقها أو شيء من جسدها ، ويصبح معنى الآية على هذا التأويل (لا يبدين زينتهن أبدا وهن مؤاخذات على ابداء زينتهن الا ما ظهر منها بنفسه

وانكشف بغير قصد ولا عمد فلسن مؤاخذات عليه فيكون الوجه والكف من الزينه التى يحرم ابداؤها .

ثانيا : وأما السنه فما ورد من الأحاديث الصحيحه الكثيره التىتدل على حرمة النظر منها :

أ - حديث جرير بن عبد الله (سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجأة فقال : اصرف نظرك[١] .

ب - حديث على " يا على لا تتبع النظرة النظرة فانما لك الأولى وليست لك الآخره .[٢]

جـ - حديث الخثعميه الذى رواه بن عباس رضى الله عنهما وفيه: أن النبى صلى الله عليه وسلم أردف الفضل بن العباس يومالنحر خلفه وكان رجلا حسن الشعر أبيض وسيما فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه فجعل الفضل ينظر اليها وتنظر اليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل الى الشق الآخر . . .)[٣] الحديث فى حجة الوداع .

فجميع هذه النصوص تفيد حرمة النظر الى الأجنبيه ،ولا شك أن الوجه مما لا يجوز النظر اليه فهو اذا عورة "[٤] .

قلت هذا ما رأيت ذكره من الأدلة التى أوردها ثم رجح رأى الشافعيه والحنابله ورد على ماذكر من أدلة المالكيه والحنفية ثم قال بعد ذلك : -

---

(١) مسلم : الآداب جـ٣ ص ١٦٩٩ احمد جـ٤ ص ٣٥٨ سنن ابىداود كتاب النكاح جـ٢ ص ٢٤٦ وسنن الترمذى كتاب الأدب جـ٥ ص ١٠١

(٢) سند احمد : جـ٥ ص ٣٥١ وسنن ابى داود كتاب النكاح جـ٢ ص ٢٤٦ والترمذى : الأدب جـ٥ ص١٠١ الدارمى : الرقاق جـ٢ ص ٢٩٨

(٣) صحيح البخارى كتاب الحج جـ٢ ص ١٤٠ مسلم : كتاب الحج جـ٢ص٩٧٣

(٤) روائع البيان : محمدعلى الصابونى جـ٢ ص ١٥٤-١٥٦

" أقول : الأئمة الذين قالوا بأن (الوجه والكفين) ليسا بعوره اشترطوا بألا يكون عليهما شيء من الزينه وألا يكون هناك فتنه أما ما يضعه النساء في زماننا من الأصباغ والمساحيق على وجوههن وأكفهن بقصد التجميل ويظهرن به أمام الرجال في الطرقات فلا شك في تحريمه عند جميع الأئمه ، ثم ان قول بعضهم : ان الوجه والكفين ليسا بعوره ليس معناه أنه يجب كشفهما أو أنه سنه وسترهما بدعه فان ذلك ما لا يقول به مسلم وانما معناه أنه لا حرج في كشفهما عند الضرورة ، وبشرط أمن الفتنه . أما في مثل هذا الزمان الذي كثر فيه أعوان الشيطان وانتشر فيه الفسق والفجور ، فلا يقول أحد بجواز كشفه لا من العلماء ولا من العقلاء ، اذ من يرى هذا الداء والوباء الذي فشى في الأمه وخاصة بين النساء بتقليدهن لنساء الأجانب فانه يقطع بحرمة كشف الوجه لأن الفتنه مؤكده والفساد محقق ، ودعاة السوء منتشرون ولا نجد المجتمع الراقي المهذب الذي يتمسك بالآداب الفاضله ويستمع لمثل قوله تعالى : " قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم " ولا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (اصرف بصرك) فالاحتياط في مثل هذا العصر والزمان واجب . والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم " (١) .

هذا ما قاله وفقه الله هنا وقال مثله أو أحسن منه تحت عنوان بدعه كشف الوجه وجعله خاتمة لهذا البحث وقال مثل هذا في سورة الأحزاب وكله حريّ به أن يقرأ ويدرك كيف لا وهي فتنة ترقب الشباب وكيف لا وهم عماد الأمه ومستقبلها .

---

(١) المرجع السابق : جـ٢ ص ١٥٧ - ١٥٨

قطع يد السارق :

قال تعالى : " السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم "[1] قال في بيان موضع قطع اليد : -

" دل قوله تعالى (فاقطعوا أيديهما) على وجوب قطع اليد في السرقة وقد أجمع الفقهاء على أن اليد التي تقطع هي (اليمنى) لقرآءة بن مسعود (فاقطعوا ايمانهما) .

ثم اختلفوا من أين تقطع اليد فقال فقهاء الأمصار تقطع من المفصل (مفصل الكف) لا من المرفق ولا من المنكب ، وقال الخوارج تقطع الى المنكب ، وقال قوم : تقطع الأصابع فقط .

حجة الجمهور ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع يد السارق من الرسغ ، وكذلك ثبت عن (على) و (عمربن الخطاب) أنهما كانا يقطعان يد السارق من مفصل الرسغ فكان هو المعول عليه "[2] .

وقال في حكمة هذا التشريع" وأعداء الانسانيه يستعظمون قتل القاتل وقطع يد السارق ويزعمون أن هؤلاء المجرمين ينبغي أن يحظوا بعطف المجتمع ، لأنهم مرضى بمرض نفساني ، وأن هذه العقوبات الصارمه لا تليق بمجتمع متحضر يسعى لحياة سعيدة كريمة انهم يرحمون المجرم من المجتمع ولا يرحمون المجتمع من المجرم الأثيم الذى سلب الناس أمنهم واستقرارهم وأقلق مضاجعهم ، وجعلهم مهددين بين كل لحظة ولحظة في الأنفس والأموال والأرواح .

---

(١) سورة المائدة : الآيه : ٣٨

(٢) روائع البيان : محمد على الصابوني جـ١ ص ٥٥٥ - ٥٥٦

وقد كان من أثر هذه النظريات التى لا تستند على عقل ولا منطق سليم أن أصبح فى كثير من البلاد (عصابات) للقتل وسفك الدماء وسلب الأموال ، وزادت الجرائم ، واختل الأمن ، وفسد المجتمع ، وأصبحت السجون ممتلئة بالمجرمين وقطّاع الطريق .

والعجيب أن هؤلاء الغربيين الذين يرون فى الحدود الاسلامية شدة وقسوة لا تليق بعصرنا المتحضر ، والذين يدعون الى إلغاء عقوبة (القتل والزنى وقطع يد السارق) الخ ، هم انفسهم يفعلون ما تشيب له الرؤس ، وتنخلع لهوله الأفئدة ، فالحروب الهمجيه التى يثيرونها ، والأعمال الوحشيه التى يقومون بها من قتل الأبرياء والاعتداء على الأطفال والنساء ، وتهديم المنازل على من فيها ، لا تعتبر فى نظرهم وحشيه ، ولقد أحسن الشاعر حين صور منطق هؤلاء الغربيين بقوله :

قتل امرئ فى غابة ∴ جريمه لا تغتفر
وقتل شعب آمن ∴ مسألة فيها نظر

نعم ان الاسلام شرع عقوبة قطع يد السارق وهى عقوبة صارمة ولكنه أمّن الناس على أموالهم وأرواحهم ، وهذه اليد الخائنة التى قطعت انما هى عضوا أشل تأصل فيها الداء والمرض ، وليس من المصلحة أن نتركها حتى يسرى المرض الى جميع الجسد ، ولكن الرحمة ان نبترها ليسلم سائر البدن ، ويد واحدة تقطع كفيلة بردع المجرمين ، وكف عدوانهم وتأمين الأمن والاستقرار للمجتمع . فأين تشريع هؤلاء من تشريع الحكيم العليم الذى صان به النفوس والأموال والأرواح !! " (١)

---

(١) المرجع السابق : جـ١ ص ٥٥٧ - ٥٥٨

هذا ما قاله وفقه الله فى هذا الحد الشرعى وأحب أن اهمس فى أذنه - ومثله خبير بهذا - أن أولئك القوم ما نقموا هذه الحدود لبشاعتها بزعمهم . وما نقموها لوحشيتها - كما يدعون . وانما نقموها لأنهم ينقمون أصلها أعنى الدين الاسلامى كله وفى التاريخ المعاصر شواهد على ما أقول كثيرة ان أردت أن أذكر منها شاهدا واحدا ذكرت موقف الولايات المتحدة الامريكية وهى أم المكائد والمشاكل فى العصر الحديث . من باكستان الاسلامية ، ما ان فكرت أو اتجهت باكستان لصناعة القنبله الذريه حتى وضعت أمامها العراقيل والعقبات وحتى صاحت فى آذان جنودها احذروا القنبلة الذريه الاسلامية . لم ترفع هذه الصيحه وهذا النداء وهذه السمة ضد القنبلة النصرانيه ولا ضد القنبله الشيوعيه ولا اليهوديه ولا حتى الهندوسيه ولكن وقد كانت الدوله المعنيه تحمل الصبغة الاسلامية فان لجنة الشؤون الخارجية فى مجلس الشيوخ الامريكى توقف أية مساعدة عسكرية أو تكنولوجيه لباكستان ما لم يلتزم الرئيس الامريكى ، بأن لا تحوز باكستان سلاحا نوويا أو تسعى لحيازة مثل هذه الأسلحة (١)

ولا أقصد من هذا أن أقول لا تردوا على شبهاتهم فى الحدود ونحوها لأن عداءهم أكبر من ذلك ولكنى قصدت القول لا تطمعوا منهم باعتراف ولا تمنوا أنفسكم به وصدق الله العظيم " والله متم نوره ولو كره الكافرون " (٢) .

وبعد :

هذه أمثله لتفسير الشيخ محمد على الصابونى لآيات الأحكام فى

---

(١) جريدة الرياض العدد ٥٧٦٤ يوم الاربعاء ٣/٧/١٤٠٤هـ ص ٢١

(٢) سورة الصف : من الآية : ٨

القرآن الكريم ،التى التزم فيها منهجه الذى بينه وذكرناه فى مقدمة تفسيره وفى مقدمة حديثنا عنه .

وقد اتسم تفسيره لها بمزيه قد لا تجدها فى كثير من التفاسير مثل تفسيره فقد حرص على أن لا يورد الأحكام جافة من عطر تطبيقها فى المجتمعات الاسلامية ، أو ازالة ما أصابها من دنس أصحاب الشبهات والشهوات فقل أن يتناول حكما شرعيا ،إلا وبَيَّن محاسنه ومزاياه ،ورد ما يلصق به من لدن خصومه كتشريع تعدد الزوجات والحجاب الذى أوردنا بعض ما قال فيه وأبدع ، ورد على دعاة الاختلاط وأصحاب الصور والتماثيل ،وألجم الناقمين على الحدود الاسلامية وقطع كيدهم .

وان كان لى من ملاحظات ان صحت تسميتها بذلك فهى أنه وفقه الله لم يتناول كثيرا من آيات الأحكام وبعضها هام جدا ولم يتناول كذلك آيات الميراث فى سورة النساء ونحو ذلك .

وأذكر منها أيضا أنه تناول آيات القرآن على شكل محاضرات ولو تناولها على طريقة السلف أن يورد السورة ثم الآيات التى ، يريد دراستها مرتبه ويشير اليها فى الفهارس على هذا النحو لا أفضل هذه الطريقة لكونها طريقة السلف فحسب ولكن لكونها أيسر على الباحث فى حصوله على مراده .

وأذكر منها أيضا ضرورة التوسعة فى بعض الأبحاث والاختصار فى بعضها والاطناب المحبب فى حكم التشريع التى يذكرها لبعض الأحكام الشرعية خاصة أنه قل أن تجد تفسيرا يعتنى بها على هذا النحو .

هذا ما أردت بيانه والله أسأل أن ينفع به وبتفسيره انه سميع مجيب ....

ثالثا : تفسير آيات الاحكام

أولا : المؤلف :

العجيب أن هذا الكتاب القيم لا يعرف له مؤلف وكثير من طلبه العلم يعده للشيخ محمد على السايس ، وبين يدى طبعه صدرت سنة ١٣٥٦ - ١٩٣٧ م خالية من اسم مؤلفها ، وطبعة أخرى بين يدى صدرت سنة ١٣٧٣ كتب على غلافها : -

أشرف على تنقيحها وتصحيحها فضيلة الأستاذ الشيخ محمد على السايس ، ولعل هذا هو ما جعل الكتاب ينسب الى الشيخ بقى أن نقول أن الصحيح انها نسبة تنقيح وتصحيح وليست جمعا وتأليفا ، ولهذه النسبه نكتب تعريفا للشيخ محمد على السايس .

المنقح المصحح (١) :

ولد فى مدينة مطوبس التابعه لمحافظة كفر الشيخ احدى محافظات الوجه البحرى لمصر فى يوم ١٦ أغسطس ١٨٩٩ ميلاديه (١٣١٩هجريه) وتوفى عن عمر ٧٧ عاما فى فجر يوم الاربعاء الموافق ٢٤ نوفمبر ١٩٧٦ م (أول ذى الحجه ١٣٩٦هـ) حفظ القرآن كله فى سن التاسعه والتحق بالأزهر وتدرج فيه حتى حصل على عالميه الأزهر فى سن ٢٨ وعين فى مدينة أسيوط ثم نقل الى كلية أصول الدين مدرسا وتدرج فى الرقى حتى أصبح عميدا لكلية أصول الدين ثم عميدا لكلية الشريعه سنة ١٩٥٧م.

---

(١) زودنى بهذه الترجمه ابنه الدكتور سامى محمد على السايس الذى يعمل استاذا مساعدا فى مركز العلوم والرياضيات بالرياض ، وقد حرصت على أن أنشر هذه الترجمه كاملة - رغم طولها نسبيا - لأننى لم أجد أحدا ترجم له من قبل .

نال الشهادة العالمية (عودلت بالدكتوراه) ١٩٢٧ م الموافق ذى القعدة ١٣٤٥ هـ ثم نال تخصص القضاء الشرعى (ابريل ١٩٣٢م) الموافق ذى الحجه ١٣٥٠ هـ ثم عضوية جماعة كبار العلماء (١٩٥٠م) وبعد أن الغيت الجماعه نال عضوية مجمع البحوث الاسلامية فى ١٩٦١/٧/٥ م وكان عضوا فى المجلس الأعلى للأزهر من ١٩٥٤/٢/١٨ حتى توفى وكانت تجدد له كل ثلاثة أعوام .

وعين عميدا لكلية أصول الدين سنة ١٩٥٤ م لمدة ثلاثة سنوات فعميدا لكلية الشريعة الاسلامية سنة ١٩٥٧م لمدة سنتين حيث أحيل على المعاش فى ١٩٥٩/٣/١ قبل السن القانونية وذلك لمعارضته لتغيير نظام التعليم فى الازهر .

وعين أمينا لمجمع البحوث الاسلامية ثم أحيل على المعاش فى السن القانونية فى ١٩٦٤/٨/١٦ بعد بلوغه ٦٥ سنه .

أهم مؤلفاته (تاريخ التشريع الاسلامى) وبقية المؤلفات خاصة بمناهج الدراسة فى كلية الشريعه ومن بحوثه (تحديد أوائل الشهور العربية)

أشرف وناقش عددا كبيرا من الرسائل العلمية ومن أصحاب تلك الرسائل الشيخ محمد حسين الذهبي ومنهم الدكتور يوسف القرضاوى .

وكانت له جلسات علمية مع بعض المشايخ بقاعة محمد عبده فى الأزهر مع بعض المشايخ مثل الشيخ عبد الرحمن تاج والشيخ محمود شلتوت والشيخ محمد أبو زهره والشيخ محمد دراز وغيرهم .

وحصل على عدد من الأوسمه منها الوسام الملكى فى عهد الملك فاروق ووسام الشرف لجمهورية مصر من الطبقه الأولى فى عهد الثوره .

وتوفى عقب مناقشته لاحدى رسائل الدكتوراه بثلاث ساعات رحمه الله رحمه واسعه .

ثانيا : تفسير آيات الأحكام

قلت آنفا أن بين يدى طبعه صدرت سنة ١٣٥٦ وعليها ما يدل على صدورها عن الجامع الأزهر - كلية الشريعة الاسلامية ، وجاء عنوانها " مذكرة فى تفسير آيات الأحكام " ثم صدرت طبعة أخرى بعد ذلك سنة ١٣٧٣ حذف منها كلمة " مذكره في " وبقى الاسم تفسير آيات الاحكام ، وأضيف اليها اسم من أشرف على التنقيح والتصحيح .

وأحسب أن هذه المذكره وضعها أحد المشايخ لتلاميذه فى الأزهر ثم تناوبتها أيدى المشايخ من بعده بالحذف والاضافه والتنقيح والتغيير ونحو ذلك . فلم ينسبها أحد لنفسه فبقيت مجهولة المؤلف .

كما أن هناك فارق بين الطبعتين المذكورتين أن الأولى تزيد على الاخيره بتفسير آيات الأحكام فى سورتى العنكبوت والروم بينما حذفت من الاخيره .

وسأعتمد فى الاشارة الى النقول هنا على الطبعه الأخيره المنقحه المصححه والله الهادى .

نماذج من تفسيره :

فرض الرجلين فى الوضوء :

قال فى ذلك عند تفسير قوله تعالى " وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين " (١) وقوله وأرجلكم بالنصب معطوف على وجوهكم فيجب غسل الأرجل الى الكعبين يؤيد ذلك عمل النبى صلى الله عليه وسلم وعمل أصحابه فى حياته وبعد مماته فكان الحكم مجمعا عليه وأما قرآءه الجر فمحموله على الجوار كما فى قوله فى سورة هود " انى أخاف عليكم عذاب يوم أليم " بجر الميم لمجاورة يوم المجروره ،

---

(١) سورة المائده : من الآيه ٦

وفائدة الجر للجوار هنا فى قوله وأرجلكم التنبيه على أنه ينبغى الاقتصاد فى صب الماء على الأرجل وخص الأرجل بذلك لأنها مظنة الاسراف لما يعلق بها من الأدران "[١]

خمس الغنائم :

والنص الوارد فى ذلك كما مرّ بنا قوله تعالى " واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل " الايه[٢] .

قال المؤلف " هذه الآيه بينت أن غنائم الحرب تخمس فيجعل خمس لله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وأربعة الأخماس الباقيه بينت السنه أنها تقسم على الجيش للرجل سهم وللفارس ثلاثة أسهم أو سهمان على اختلاف فى الروايات "

وقال " وقد ذكرت الآيه أن الخمس لسته :-

أولها : الله عز وجل وقد اختلف المفسرون فيه على قولين :-

١ - أن قوله " لله خمسه " مفتاح كلام لم يقصد به أن الخمس يقسم على سته منها الله ، لله الدنيا والآخره ، بل يقسم الخمس على خمسة للرسول ولذى القربى الخ ويكون الغرض من ذكر الله تعليمنا التبرك بذكره وافتتاح الأمور باسمه أو يكون معناه أن الخمس مصروف فى وجوه القرب الى الله ثم بين تلك الوجوه فقال للرسول ولذى القربى فأجمل أولا ثم فصل ...

٢ - أن المراد لبيت الله فسهم الله يصرف فى الكعبه نقل عن أبى العاليه والظاهر القول الأول لاجماع الحجه عليه .

---

(١) تفسير آيات الاحكام : تنقيح محمد على السايس ج ٢ ص ١٧٣
(٢) سورة الانفال : من الآيه ٤١

ثانيهـا : رسول اللـه وقد ذكر بعضهم أنه افتتاح كلام كما قالوه فى " اللـه "
والغنيمة تقسم على أربعة ، وقال الأكثرون أن الغنيمة تقسم على
خمسة أولها سهم الرسول يضعه حيث رأى .

ثالثها :ذو القربى : والمراد بها قرابة الرسول صلى الله عليه وسلم
وقد اختلف في ذوى القربى فقيل هم قرابة رسول الله من
بنى هاشم وقيل هم قريش كلها ، وقيل هم بنو هاشم وبنو المطلب
وهو الراجح . . .

رابعها : اليتامى وهم أطفال المسلمين الذين هلك آباؤ هم

خامسها : المساكين وهم أهل الفاقه والحاجه من المسلمين .

سادسها : ابن السبيل وهو المجتاز سفرا قد انقطع به .

وقد خالفت المالكيه هذه الأقوال المتقدمة جميعها ، ورأوا أن خمس الغنيمه يجعل فى بيت المال ينفق منه على من ذكرو على غيرهم بحسب ما يراه الامام وكأنهم رأوا أن ذكر هذه الأصناف على سبيل المثال وهو من باب الخاص أريد به العام ، وأصحاب الأقوال المتقدمه رأوا أنه من باب الخاص أريد به الخاص"[1] .

نكاح المتعه :

قال من قوله تعالى " ما ستمتعتم به منهن فأتوهن أجورهن فريضه ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضه "[2] قال انها " أمر بايتاء الأزواج مهورهن وأجاز الحط بعد الاتفاق برضا الزوجين - وعلى ذلك تكون الآيه نزلت في النكاح المتعارف .

---

(١) تفسير آيات الأحكام : تنقيح محمد على السايس جـ ٣ ص ٦-٨

(٢) سورة النساء من الآيه : ٢٤

وقيل نزلت فى المتعه وهي أن يستأجر الرجل المرأة بمال معلوم الى أجل معين ، وكان الرجل ينكح امرأة وقتا معلوما ليله أو ليلتين أواسبوعا بثبوت أو غير ثبوت ويقضى منها وطرا ثم يتركها .

واتفق العلماء على أنها كانت جائزه ثم اختلفوا فذهب الجمهور الى أنها نسخت وذهب ابن عباس الى أنها لم تنسخ وهناك روايه عنه أنها نسخت وروى أنه رجع عن القول بها قبل موته .

والراجح أن الآيه ليست فى المتعه لأن الله ذكر المحرمات فى النكاح المتعارف ثم ذكر أنه أحل ماوراء ذلكم أى فى هذا النكاح نفسه .

والراجح أن حكم المتعه الثابت بالسنه قد نسخ لما أخرجه مالك عن على أن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن متعة النساء وعن أكل لحوم الحمر الأنسيه .

وروى الربيع بن سبره الجهنى عن أبيه قال غدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو قائم بين الركن والمقام مسندا ظهره الى الكعبه يقول " ياأيها الناس انى أمرتكم بالاستمتاع من هذه النساء ألا وان الله قد حرمها عليكم الى يوم القيامه فمن كان عنده منهن شئ فليخل سبيلها لا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا .

وروى عن عمر لا أوتى برجل تزوج امرأة الى أجل الا رجمتها بالحجاره (١) ويدل على تحريم المتعه قوله تعالى " والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ماملكت أيمانهم " (٢) والمستمتع بها ليست ملك يمين بالاتفاق ، وليست زوجه لانتفاء خصائص الزوجيه عنها لأنها لا ترثه ولا يلحق به ولدها ." (٣)

---

(١) مصنف ابن أبى شيبه جـ٤ص٢٩٢ وسنن ابن ماجه : ابواب النكاح جـ١ ص ٦٠٥
(٢) سورة المؤمنون : من الآيه ٦
(٣) تفسير آيات الأحكام : تنقيح محمد على السايس جـ٢ ص ٧٦ - ٧٧

نكاح الكتابيـــات :

ذكر المؤلف في قوله تعالى " ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمـــن " الآيـه [١] أنه " قد اختلف العلماء في هذه الآيه فذهب بعضهم الـــى أن لفظ المشركات يعم كل مشركه سواء أكانت وثنيه أم يهوديه أم نصرانيه ولم ينسخ أو يخص منها شيء فيكن جميعا قد حرم على المسلم زواجهن .

وذهب بعضهم على أن المراد بالمشركات من لا كتاب لهن من المجوس والعرب دون الكتابيات ، وذهب بعضهم الى أن المراد المشركات عام فـــي جميع من ذكرن الا أنه نسخ بقوله " والمحصنات من الذين أوتوا الكتـــاب من قبلكم " [٢]

ثم ذكر المؤلف سبب الخلاف وأنه فرع عن التفريق بين الكافـــــر والمشرك ثم علق على ما روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فرق بـــين طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه ، وزوجته اليهوديه ، وبين حذيفـــه بن اليمان وزوجته النصرانيه فقال " ورحم الله عمر بن الخطاب فقد كـان ينظر الى مصالح المسلمين نسائهم ورجالهم وتسوسهم بالنظر والمصلحـــه ، وما أحوجنا الى مثل هذه السياسه فان كثيرا من الشباب المسلمين فـــى مصر رغبوا عن زواج المحصنات المسلمات الى زواج الكتابيات الأجنبيات" [٣]

قطع يد السارق :

ونص على ذلك قوله تعالى " والسارق والسارقه فاقطعوا أيديهما" [٤] قال المؤلف " واليد تطلق على العضو المخصوص الى المنكب ، وعلى هـــذا العضو الى مفصل الكف كما فى قوله تعالى لموسى عليه السلام (وأدخـــل

---

(١) سورة البقره : من الآيـه ٢٢١
(٢) سورة المائده : من الآيه ٥
(٣) تفسير آيات الأحكام : تنقيح محمد على السايس ج ١ ص ١٢٧ - ١٢٨
(٤) سورة المائده : من الآيـه : ٣٨

يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء "[1] والمراد ما كان الى مفصل الكف ولا خلاف بين السلف من الصدر الأول ولا بين فقهاء الأمصار في أن قطع يد السارق يكون الى مفصل الكف لا الى المرفق ولا الى المنكب، وقال الخوارج تقطع الى المنكب وقال قوم تقطع الأصابع فقط .

حجة الجمهور ماروا ه محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان عن أبي هريره رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع يد السارق من الرسغ وما روى عن على بن أبي طالب وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما أنهما كانا يقطعان يد السارق من مفصل الرسغ فكان هو المعول عليه "[2]

رأيي في هذا التفسير :

وان كان لي من ملاحظات على هذا التفسير فهي ملاحظات بعضها أشرت اليه في التفاسير التي قبله وبعضها خاص به .

أما الأول منها فكونه مؤلفا لطلاب يلتزم فيه المؤلف بالمنهج المقرر عليهم فيؤدى به هذا الالتزام الى الاختصار لا أقصد الاختصار المحمود بل الاختصار القاصر الذى يجعل صاحبه يعرض عن بيان بعض الأحكام جمله وعن بيان أدلة بعض الآراء الأخرى أحيانا أو ترجيح رأى لم تستوف أدلة ترجيحه ونحو ذلك .

أما الثاني فملا حظه خاصه وأحسبها ترجع الى تعاقب المؤلفين على هذا التفسير أو تعدد هم وهي ذلك الاضطراب في بعض العبارات والأخطاء اللغويه في بعضها . والله الموفق .

---

(١) سورة النمل : من الآيه ١٢
(٢) تفسير آيات الأحكام : محمد على السايس جـ ٢ ص ١٩١

رابعا : تفسير آيات الأحكام

أولا : المؤلف :(١)

هو أبو محمد مناع خليل القطان .

ولد في شهر اكتوبر ١٩٢٥ م في قريه " شنشور " مركز أشمون من محافظة المنوفيه .

حياته العلميه :

بدأ حياته العلمية بحفظ القرآن الكريم في كتاب القريه ، والتحق بمدرستها الابتدائية ثم التحق في شبين الكوم بالمعهد الديني ومن أبرز مشايخه في تلك الفترة الشيخ عبد الرزاق عفيفي والشيخ عبد المتعال سيف النصر والشيخ على شلبي ، ثم التحق بكلية أصول الدين وتخرج سنة ١٩٥١ م مع اجازه التدريس ، ومن أساتذته في هذه الفترة محمد زيدان ، والدكتور محمد البهي والدكتور محمد يوسف موسى

تدريسه :

أعير للتدريس في المملكة العربية السعودية سنة ١٩٥٣ للتدريس بالمعاهد العلميه الى سنة ١٩٥٨ م ثم انتقل للتدريس في كلية الشريعه بالرياض سنة ١٣٧٨ وشارك في التدريس بالمعهد العالي للقضاء منذ افتتاحه سنة ١٣٨٧ وعين مديرا للمعهد سنة ١٣٩٢ .

مؤلفاته :

له عدد من المؤلفات منها :-

١ - مباحث في علوم القرآن .　　٢ - تفسير آيات الأحكام .

---

(١) انظر ترجمته في :

١ - الدراسات القرآنية المعاصره : محمد بن عبد العزيز السديس ص ١٦٥ - ١٦٦

٢ - علماء ومنكرون عرفتهم : محمد المجذوب ص ٤٢٥ - ٤٣٧

٣ - نظام الأسره في الاسلام .

٤ - التشريع والفقه في الاسلام تاريخا ومنهجا .

٥ - نظرية التملك في الاسلام

٦ - الثقافه الاسلاميه .

٧ - الدعوه الى الاسلام .

٨ - الحديث والثقافه الاسلاميه .

ثانيا : التفسير

تفسير آيات الأحكام :-

ويقع في جزئين : الأول منهما يحوى مقرر السنه الثالثه في كلية الشريعه بالرياض وعدد صفحاته ١٨٧ والثاني يحوى مقرر السنه الرابعه فيها وعدد صفحاته ٢٢٠ بدون الفهارس

وصدرت الطبعه الأولى من التفسير عن المكتب الاسلامي سنه ١٣٨٤ .

طريقته في التفسير :

ذكر المؤلف في مقدمته الحامل له على تأليف هذا التفسير فقال " وقد حملني على كتابته - حين عهد اليّ بتدريس مادة التفسير بكلية الشريعه بالرياض رغبة الطلاب في تدوين الدرس واملائه ، حتى يتوفر عليهم الجهد في البحث بأمهات الكتب واني اذ أستجيب لرغبتهم أوصيهم بالاعتماد على المراجع والتدريب على منهج المفسرين فذلك سبيل العلم "

اذا فهو من التفاسير التى ألفت لفئة معينه أولا وعلى حسب منهج مرسوم سلفا لا يزيد عنه ولا ينقص منه ثانيا لذا فقد بدأ في التفسير من سورة الانعام وانتهى بسورة الاحزاب .

والمؤلف يذكر الآيه التى يريد تفسيرها ثم يذكر بعدها سبب نزولها ان كان له سبب ثم أحيانا يذكر صلة الآيه بما قبلها تحت عنوان الربط حينا وتحت عنوان مكان هذه الآيات من السوره ، حينا آخر وتحت عنوان صله الآيه بما قبلها حينا ثالثا ثم المفردات والأعراب ويذكر فيه القرآءات ان كان فى الآيه قراءات ثم بعد ذلك ان كان بين العلماء اختلاف فى تفسير الآيه عقد عنوان " الأحكام " وان لم يكن بينهم خلاف جعل العنوان " ما يستفاد من الآيات " ويختم بعض الآيات ببيان حكمة التشريع .

هذه هي عناصر تفسيره لآيات الأحكام قد تجتمع في آيه وهو قليل وقد لاتجتمع على ما أشرنا اليه

وهو في كل هذا يلتزم عقيدة أهل السنة والجماعة فى آيات العقائد ان عرضت له ، ويلتزم المذاهب الصحيحه فى آيات الأحكام معرضا عن المذاهب الباطله منتقدا لها .

نماذج من تفسيره :-

غاية الجهاد فى الاسلام :

يرى الشيخ مناع أن غاية القتال فى الاسلام أن لا يوجد شرك يدفع المسلمين الى البلاء والشده ، وحتى لا يفتن مسلم عن دينه بضروب الالحاد والفساد ودليله لهذا قوله تعالى " وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير وان تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير"(١) فقال فى حديثه عن الأحكام فى الآيه :-

---

(١) سورة الانفال : الآيتين ٣٩ - ٤٠

" حددت الآيه غاية القتال فى الاسلام وهى زوال الأديان الباطله جميعا من العالم ، حتى لا يبقى شرك ، ويكون التوحيد خالصا لله " وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله " وفى الصحيحين " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا اله الا الله ، فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها ، وحسابهم على الله عز وجل" (١) ومقتضى ذلك : فقال من امتنع عن الدخول فى الاسلام أما ترك قتال من يؤدى الجزيه ، فلتخصيص أهل الكتاب من العموم فى الآيه والحديث حيث أن المراد التعبير عن اعلاء كلمة الله ، واذعان المخالفين ، والغرض من دفع أو ضرب الجزيه اضطرارهم الى الاسلام ، فالمعنى المقصود : الأمر بالقتال حتى يسلموا ،أو يلتزموا ما يؤدى بهم الى الاسلام ، وبهذا يتبين أن القتال بأى دافع آخر ، كالوطنيه والقوميه ليس قتالا فى سبيل الله " (٢)

وأكد الشيخ مناع هذا المفهوم عند حديثه عن حكمة التشريع فى هذه الآيه حيث رد على طائفة من المسلمين بقوله " وهذه الآيه ترد على هؤلاء الذين يتملقون خصوم الاسلام ، بتحريف الكلم عن مواضعه فى رد دعوى انتصار الاسلام بالسيف ، حيث يقولون بحرية الأديان مستدلين بما جاء فى صدر الاسلام مثل قوله تعالى " لا اكراه فى الدين " البقره : ٢٥٦ وتظهر حكمة مشروعية القتال فى

---

(١) صحيح البخارى : كتاب الايمان جـ ١ ص ١١ - ١٢ صحيح مسلم كتاب الايمان جـ ١ ص ٥٢

(٢) تفسير آيات الاحكام : مناع القطان جـ ١ ص ٦٦ ، قلت : رد أبى عبيده بن الجراح رضى الله عنه الجزيه على أهل بعض بلاد الروم لما عجز عن الدفاع عنهم وقوله " ما كان لنا أن نأخذ أموالكم ولا نمنع بلادكم " يدل على أن أخذها مقابل حمايتهم ونشر الأمن في بلادهم وما يلزم ذلك من مؤنه ،فلا يصح القول بأن أخذها لاضطرارهم الى الاسلام والا لكان هناك ما هو انجع من وسائل الاضطرار .

الاسلام اذا عرفنا أنه ضروره اجتماعيه لاقامة الحق واعلاء الدين ، والا لتغلب أهل الشر والفساد (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا " الحج : ٤٠ وما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفك الدماء وما كان انتشار دينه على أشلاء اعدائه ، ولكنه رحمة الله المسداه لانقاذ الانسانيه من أوضار الشرك والشقاء ، وبلسمها الشافي لعلاج أمراضها ، حتى يحقق لها السعادة والأمن والرخاء تحت لواء شريعة الله ، فلا ضير على الاسلام أن يجبر [1] الكفار على الدخول فيه لأنه يقدم لهم السعادة فى الدنيا ، والثواب فى الآخره ، كما لا ضير على طبيب يجبر مريضا على تناول الدواء لأنه يقدم له ما فيه علاجه وعافيته " [2]

خمس الغنائم :

فى الحكم الخامس من الأحكام التى ذكرها فى قوله تعالى " واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل " [3] الايه قسم الشيخ مناع أقوال العلماء فى خمس الغنائم فقال " اختلف فى كيفية تقسيم الخمس - فقال بعضهم:

١ - يقسم الخمس على سته ، لظاهر الآيه فالسدس الأول لله ، ويجعل للكعبه وورد عن أبى العاليه أثر ضعيف فى ذلك .

٢ - وزعم بعض أهل البيت أن الخمس كله لهم ، دون غيرهم وهذا زعم باطل .

---

(١) نص القرآن الكريم على أنه " لا اكراه فى الدين " فلا ينبغى أن نقول أنه لا ضير أن يجبر الكفار على الدخول فيه وأحب أن أشير الى وجوب التفريق بين الاجبار على الدخول فى الدين والاكراه على اقامة نظام اسلامى يظلل البشريه كلها ، فالأول محظور بنص القرآن والثاني واجب بنصوص الجهاد .

(٢) تفسير آيات الأحكام : مناع القطان جـ ١ ص ٦٦ - ٦٧

(٣) سورة الانفال : من الآيـه ٤١

٣ - وقال كثير من أهل العلم : يقسم الخمس على خمسة . وسهم الله وسهم رسوله واحد يصرف فى مصالح المسلمين وذكر اسم الله فى الآيه استفتاح كلام ، للتعظيم وبهذا قال أحمد والشافعى ، وأبو حنيفه ، الا أنهم اختلفوا فى سهم رسول الله وسهم ذوى القربى بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم والمشهور: أن سهم الرسول باق للامام .

٤ - وقال جماعه ان خمس الغنيمه موكول الى نظر الامام واجتهاده ، فيأخذ منه من غير تقدير ويعطى القرابه باجتهاده ويصرف الباقى فى مصالح المسلمين والمراد بذكر الله فى الآيه بيان أن الخمس يصرف فى وجوه القرب الى الله وتخصيص الوجوه المذكورة ، للتنبيه على فضلها ، وهو قول مالك ، وأيده ابن تيميه وقال عليه أكثر السلف ، وهو أصح الأقوال " (١)

الدولة : دين وسياسه :

وعند تفسيره لقوله تعالى " وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين " (٢)

أنكر الشيخ مناع على أولئك الذين فصلوا بين الدين والسياسه فعد من الأحكام لهذه الآيه أن " فيها جمع سلطه النبوه ، والحكم وسياسه الأمور وحماية الدولة فى الشريعه ، فكيف يسوغ للمارقين عن شريعة الاسلام فصل الدين عن الدوله مع عموم رسالة الاسلام ، وكمالها ؟ !" (٣)

---

(١) تفسير آيات الأحكام : مناع القطان جـ ١ ص ٧١

(٢) سورة الأنبياء : الآيه ٧٨

(٣) تفسير آيات الاحكام : مناع القطان : جـ ٢ ص ٩

ثم قال فى المعنى الاجمالى لهذه الآيه " وبهذا جمع الله فى سلطة داود الدين والدوله أو النبوه والحكم ، وقد عرف الناس فى تاريخ الحضاره الغربية ثورتها على الكنيسه ورجالها ، لأسباب ليست فى طبيعة الاسلام وحضارته ويأبى ببغاواتنا المستغربون ، الا أن ينهجوا نهج أساتذتهم فيقفوا من الاسلام ورجاله موقف أولئك من الكنيسه ورجالها حتى فصلوا بين الدين والدوله ، وعزلوا الاسلام عن تنظيم حياة المجتمع ، وسياسة شئون الأمه فأصبحت الشريعة المحمديه في معظم ديار الاسلام طقوسا تعبديه ، يؤديها من يشاء فى المنزل أو المسجد ، أفلا ينظر هؤلاء الى داود فى نبوته وحكمه . وقد كانت رسالته قبل رسالة محمد صلى الله عليه وسلم بعشرات القرون ، ليأخذوا من ذلك العظه والعبره ؟! "(١)

حجاب المرأه :

فى قوله تعالى " مخاطبا نساء المؤمنين " ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها "(٢) قال الشيخ مناع" والذى يدل عليه سياق الآيه النهى عن ابداء الزينه الا ما كان ظاهرا لا يمكن اخفاؤه ، أو ظهر بدون قصد ، فيما لابد منه للمرأه من حركه أو اصلاح شأن أو هبوب ريح أو نحو ذلك مما تدعوا اليه الضرورة لأن قوله تعالى " الا ما ظهر منها " يفيد أنه ظهر بنفسه من غير قصد ، وهذا بخلاف ما يتعمد الانسان اظهاره .

وعلى هذا فلا يصح أن يرجع الخلاف فى وجوب ستر الوجه والكفين أو عدم وجوب ذلك الى الآيه ، وانما يرجع الى اختلاف الأدله من السنه فيستدل من يرى عدم الوجوب بحديث خطبة العيد ، حيث يقول الرواى : فقامت امرأة من وسط النساء سفعاء الخدين ،(٣) وبحديث

---

(١) تفسير آيات الأحكام : مناع القطان جـ ٢ ص ١٠

(٢) سورة النور : من الآيه : ٣١

(٣) صحيح مسلم كتاب العيدين جـ ٢ ص ٦٠٣ مسند الامام أحمد جـ ٣ ص ٣١٨ سنن الدارمي العيدين جـ ١ ص ٣٧٧ والنسائى العيدين جـ ٣ ص ١٨٦

المرأه الخثعميه فى الحج التى جاءت تستفتى رسول الله صلى الله عليخ وسلم وقد أردف خلفه الفضل بن عباس فأخذ يلتفت اليها وتنظر اليه والرسول يحول وجهه من الشق الآخر ، ويعدم وجوب ستر ذلك في الصلاة والحج .

واستدل من يرى وجوب ستر الوجه والكفين ، بقول عائشه في حديث الافك حين استيقظت على استرجاع صفوان : فخمرت وجهي بجلبابي ، وبقولها كان الركبان يمرون بنا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم محرمات . فاذا جازوا بنا أسدلت احدانا جلبابها من رأسها على وجهها ، والنهى عن انتقاب المرأه المحرمه ، ولبس القفاز دليل على أن النقاب والقفاز كانا معروفين فى النساء اللآتى لم يحرمن وذلك يقتضى ستر وجوهن وأيديهن . وفرق بين لباس الصلاة والحجاب فالمرأة لا يجوز لها أن تصلى مكشوفة الرأس ولو كانت فى بيتها لا يراها أحد . وفى غير الصلاة يجوز لها ذلك فالحجاب شيء آخر فوق زينة الصلاة وان سمى ذلك الفقهاء " باب ستر العوره فى الصلاة " .

هذا وقد اتفق الجميع على منع النساء أن يخرجن سافرات الوجوه عند خوف الفتنه أو كثرة الفساق ونحن فى عصر تفنن فيه النساء فى تزيين وجوههن وأيديهن بأنواع من الزينه ، والأصبغه ، وضعف الايمان ، وكثر الفساد ، وأهدرت الفضيلة وعمت الفتنه فلا ينبغى لمسلم أن يشك في وجوب ستر الوجه والكفين قطعا لدابر الشر ، ولو وقف الأمر عند الوجه والكفين فى المجتمعات السافره لهان الخطب بل كشفت المرأة باسم المدنيه --- والحريه فى ديار الاسلام عن الساق **والفخذ** والرأس والصدر والظهر وأظهرت تفاصيل ما سترته من جسدها بما يثير الفتنه ويجعل العرى أهون شرا منه "(١)

---

(١) تفسير آيات الأحكام : مناع القطان جـ ٢ ص ١٠١ - ١٠٢

وبعـــد

هـذه بعض الأمثلـه من تفسـير آيات الأحكام عند الشيخ مناع القطـــان وانما لم نذكـر بعض الأحكام الأخرى التى وقـع الخلاف فيها بين أهل السنـه ومن عداهـــم لكون المؤلـف لم يتناولها فى تفسيره اذ بدأ تفسيره كمـــا أشرنا من سورة الأنعام وانتهى بسورة الأحزاب فلم يكن شاملا لسور القـــرآن ولم يكن لأحكام السورة كلها متقصيا وهـى كما قلنـا فيمن سبقه ضريبـــــة الالتزام بالمنهج الدراســى اذ الكتاب مؤلـف لطائفة من الطـلاب وليـــس تفسيرا شاملا . وفيمـا ذكرنا كفايــة ان شاء اللـــه للدلالة على اتجـاه المؤلـــف .

خامسا : قبس من التفسير الفقهي

أولا : المؤلف

هو الدكتور الشافعي عبد الرحمن السيد ، ولم أعثر له على ترجمه .

ثانيا : التفسير :

هو قبس من التفسير الفقهي (بحوث في بعض آيات القرآن الكريم) ومن عنوان الكتاب " قبس" و " بعض آيات " يتضح أن مادة الكتاب ما هي الا بحوث فقهيه في بعض آيات الأحكام في القرآن الكريم .

واذا ما القينا نظرة على هذا التفسير وجدنا عدد صفحاته تبلغ ٢٠٨ صفحه كما وخمسة دروس أو ان شئت فقل تفسير خمس آيات كيفا والكتاب يذكرني بتفسير الجصاص وابن العربي والقرطبي في توسعهم في تفسير آيات الأحكام حتى كادت تختلط بكتب الفقه وأحسبه لو فسر آيات الأحكام كلها لجاء تفسيره هذا لا يقل عنها حجما أيضا .

وقد وضح الدكتور الشافعي في مقدمة تفسيره هذا منهجه في التفسير بقوله " ولما كان من الخطأ الذي يقع فيه البعض أن يقدم على بحث مسأله من المسائل أو تقرير حكم من الأحكام وفي ذهنه ترجيح مسبق لبعض الآراء على بعضها الآخر أو لديه حافز يغريه بالعمل على نصر فريق على آخر ربما كان هذا الحافز ولاءه لمذهب من المذاهب أو حاكم من الحكام .

فأنني سوف أعمل ما وسعني من جهد لتجنب هذا الخطأ وسأعرض في تناولي لبعض آيات الأحكام بعض معاني مفرداتها من الناحية اللغويه والعربية (كذا) بقدر ما يتضح به المعنى ثم أجمل المعنى العام للآيه الكريمة وأربطها بما يسبقها مع ذكر سبب نزولها ان وجد .

وبعد ذلك أعرض لما تشتمل عليه من أحكام فى مسألة أو مسائل على حسب ما يقتضيه المقام : وسأذكر ان شاء الله المسأله والآراء فيها وأدلة كل رأى والمناقشات التى وردت عليها ثم ان بدا لى ترجيح بعضها فعلت والا فحسبي أننى ذكرت الأدلة ومناقشاتها من مصادرها المختلفه ثم صغتها فى عبارة سهلة ميسره وترتيب حسن يعطى فكره شاملة للموضوع كله "[1]

وقسم تفسيره الى خمسة دروس تناول فى كل درس آيه من آيات الأحكام هن حسب ورودها عنده كما يلى

الدرس الأول فى الحج

تفسير قوله تعالى " ان أول بيت وضع للناس للذى ببكه مباركا"[2]

وجاء فيه ٥٢ صفحه .

الدرس الثانى : المحافظة على أموال السفهاء واليتامى

تفسير قوله تعالى " ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معرفا "[3]

وجاء فى ٥٠ صفحه .

الدرس الثالث : القتل الخطأ ، وما يتعلق به من أحكام

تفسير قوله تعالى " وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ"[4] الآيه

وجاء تفسيرها فى ٥٣ صفحه .

---

(١) قبس من التفسير الفقهى : الدكتور الشافعى عبد الرحمن السيد صـ ٤

(٢) سورة آل عمران الآيتان ٩٦ - ٩٧

(٣) سورة النساء الآيتان ٥ - ٦

(٤) سورة النساء : من الآيه ٩٢

الدرس الرابع : بعض أحكام القتل العمد

تفسير قوله تعالى " ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما " (١)

وجاء تفسيرها فى ٢٤ صفحه .

الدرس الخامس : قصر الصلاة فى السفر

تفسير قوله تعالى " واذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ، ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا " (٢)

هذه هى الدروس الخمسه وهذه هى الآيات الخمس أو تزيد

وكما أنه لا يسعنا أن نورد مثالا كاملا لتفسير آيه فانه لا يسعنا الا أن نورد عرضا لتفسير درس من دروسه حتى نرى عمق الأبحاث الفقهيه فيه والتى قد لا تجدها فى كبير كتب الفقه ومثال ذلك .

الدرس الثانى : المحافظه على أموال السفهاء واليتامى

ذكر أولا نص الآيه ثم صلتها بما قبلها ثم معانى المفردات ثم المعنى العام للنص الكريم ، وكل هذه الأبحاث التفسيريه حقا لم تتجاوز تسع صفحات أما البقيه فعقد بحثا عنوانه " بعض المطالب التى يتضح من خلالها ما فى النص الكريم من أحكام " ومن هذه المطالب :-

المطلب الأول (فى الحجر على السفيه)

بين فيه معنى الحجر لغه واصطلاحا ومعنى السفه كذلك ثم آراء العلماء في الحجر على السفيه وبسط أدلة كل قول من الكتاب والسنه ثم بحث في من يضرب الحجر على السفيه ؟

---

(١) سورة النساء : الايه ٩٣
(٢) سورة النساء : من الآيه ١٠١

المطلب الثانى : فى تصرفات السفيه

تحدث عن تصرفاته قبل الحجر عليه ، ثم بعد الحجر عليه وقسم الأخير الى تصرفات فيما ليس بمال وتصرف بما كان ماليا وتصرف بما يفضى الى الماليه وبحث كل نوع على حده .

المطلب الثالث : الانفاق على السفهاء

وفصل القول فيه وذكر أقوال العلماء وأدلتهم .

المطلب الرابع : كيفية اختبار اليتامى وشروط دفع أموالهم اليهم

فتحدث أولا عن كيفية اختبارهم ثم ثانيا عن شروط دفع المال الى اليتيم فذكر أقوال العلماء فى الشرط الأول (بلوغ النكاح) وفصل القول فيه ثم فى الشرط الثانى (ايناس الرشد) ثم ذكر الخلاف فى شرط ثالث .

ثم تحدث عن تصرف المرأه فى مالها وذكر آراء العلماء وأدلتهم ثم عن الاشهاد على الدفع ثم تحذير للأولياء

المطلب الخامس : ما يحل للأولياء من مال اليتامى

ذكر فيه أقوال العلماء فى المخاطب بهذه الآيه " ومن كان غنيا فليستعفف " الآيه وأدلة كل قول ثم بحثا عنونه بـ التكييف الفقهى لما يأكله الولى والقول بأنه أجره ثم بحث ماوجه لهذا الرأى من نقد ثم القول بأنه قرض ثم القول بأنه رزق للأولياء ثم استنتاج .

ومن هذا العرض للأبحاث التى تناولها عند تفسير الآيه السالفه يتضح لنا مدى تعمقه فى الأبحاث الفقهيه حتى يحسبه القارئ كتابا فى الفقه قدم صاحبه لكل درس فيه بآيه وبعض تفسير لها .

ومعذره اذا كان عرضي لهذا التفسير من دون ذكر أمثله فما تركت ذلك الا خشية الاطاله وفيما عرضت بيان لمنهجه وفيه الكفايه والسداد ان شاء الله .

سادسا : دراسات فى تفسير بعض آيات الاحكام

أولا : المؤلف

هو الدكتور كمال جودة أبو المعاطي

مدرس الفقه المقارن ، بكلية الشريعه والقانون - فى جامعة الأزهر ، وهو أيضا لم أجد له ترجمه .

ثانيا : التفسير

دراسات فى تفسير بعض آيات الأحكام

صدرت الطبعه التى بين يدى سنة ١٤٠٠ وعدد الصفحات ١٨١ صفحه بدون الفهارس .

لخص المؤلف طريقته فيه بقوله " فهذه دراسات فى تفسير بعض آيات الاحكام . وقد حاولت في هذه الدراسات تفسير الآيات المختاره بما قاله علماء التفسير القدامى منهم والمحدثون مرجحا مارأيته جديرا بالترجيح ومضعفا ما كان جديرا بالتضعيف .

كما حاولت المحافظة على الأسلوب العلمى الرصين والممتاز لأعلام المفسرين موضحا ما يحتاج الى توضيح ، وقد نسقت ذلك كله في صوره ميسره توفر على الدارس الكثير من العناء والجهد "(١)

وهذا التفسير قريب من سابقه فقد قسمه مؤلفه الى أربعة أبواب تناول فى الباب الأول أربع آيات من سورة الانفال ، وفيها الباب الثانى ثمانى آيات من سورة التوبه وفى الباب الثالث مثلها من سورة النحل وفى الباب الرابع آيتين من سورة الاسراء وآيه من سورة الكهف .

---

(١) دراسات فى تفسير بعض آيات الأحكام : الدكتور كمال جودة أبوالمعاطى صـ ٣

ومن هذا يظهر أنه غير شامل لسور القرآن بل ولا لآيات الأحكام في السور التى تناولها وانما قصد صاحبه فيه الاختصار .

والمؤلف يقدم أحيانا تمهيدا للسورة التى يتناول آيات الأحكام منها ثم يتناول الآيه الأولى تحت عنوان الفصل الأول : أما الابحاث التى يعقدها تحت هذه الفصول عاده فهى مبحث في توضيح بعض المفردات ومبحث فى أسباب النزول ومبحث فى ما يستنبط من الآيه وأحيانا يربط الآيه بما قبلها وأحيانا يجمل معنى الآيه وعدة أبحاث فى دراسات فقهيه للآيه التى يتناولها .

مثال من تفسيره :

وهذه بعض الأمثله من تفسيره :-

خمس الغنائم :

وذلك في قوله تعالى " واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه"[1] الآيه

قال : - المبحث الأول فى توضيح بعض المفردات .

(واعلموا انما غنمتم) والغنيمه فى اللغه : ما ينال الرجل أوالجماعه بسعي ، والمغنم والغنيمه بمعنى واحد ، يقال : غنم القوم غنما ومغنما .

واعلم أن الاتفاق حاصل على أن المراد بقوله تعالى " غنمتم من شىء " مال الكفار اذا ظفر به المسلمون على وجه الغلبه والقهر ، ولا تقتضى اللغه هذا التخصيص على ما بيناه ، ولكن عرف الشرع قيد اللفظ بهذا النوع .... "[2]

---

(١) سورة الانفال : من الآيه ٤١
(٢) دراسات فى تفسير بعض آيات الأحكام: د /كمال جودة أبو المعاطى ص ٢٠

المبحث الثانى فى كيفية قسمة الغنائم وقال فيه " اعلم أن هذه الآيه تقتضى أن يؤخذ خمسها وفى كيفيه قسمة ذلك الخمس قولان :-

الاول : وهو المشهور أن ذلك الخمس يخمس فسهم لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسهم لذوى قرباه من بنى هاشم وبنى المطلب ، دون بنى شمس وبنى نوفل . . . وثلاثة أسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل ، وأما بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فعند الشافعي - رحمه الله - أنه يقسم على خمسه أسهم سهم لرسول الله يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من الكراع والسلاح . وسهم لذوى القربى أغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الانثيين ، والباقى للفرق الثلاثه وهم : اليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل ، وقال أبو حنيفه : انه بعد وفاة الرسول عليه السلام سهمه ساقط بسبب موته ، وكذلك سهم ذوى القربى ، وانما يعطون لفقرهم فهم أسوة بسائر الفقراء ولا يعطى أغنياؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل ، وقال مالك ،الأمر في الخمس مفوض الى رأى الامام ان رأى قسمته على هؤلاء فعل ، وان رأى اعطاء بعضهم دون بعض فله ذلك .

واعلم أن ظاهر الآيه مطابق لقول الشافعي - رحمه الله - وصريح فيه لايجوز العدول عنه الا لدليل منفصل أقوى منها ، وكيف.. ؟ وقد قال في آخر الآيه (ان كنتم آمنتم بالله) يعني - ان كنتم آمنتم بالله فاحكموا بهذه القسمه ، وهو يدل على أنه متى لم يحصل الحكم بهذه القسمه لم يحصل الايمان بالله .

القول الثانى :

وهو قول أبى العاليه ان خمس الغنيمة يقسم على ستة أقسام فواحد منها لله وواحد لرسول الله والثالث لذوى القربى والثلاثه الباقيه لليتامى

والمساكين وابن السبيل والدليل عليه أنه تعالى جعل خمس الغنيمه لله ثم للطوائف الخمسه ، . . . . "[1]

المبحث الثالث

تناول فيه هذه الآيه من حيث أنها منسوخه أو محكمه ورجح أن الآيه محكمه غير منسوخه .

المبحث الرابع

في الباقي من الغنيمه بعد الخمس .

قال فيه " لما بين الله عز وجل حكم الخمس وسكت عن الأربعه أخماس دل ذلك على أنها ملك للغانمين . . . وذلك مالا خلاف فيه بين الأمه والأئمه على ما حكاه ابن العربي في (أحكامه) وغيره .[2]

المبحث الخامس

وفيه معنى الآيه الاجمالي وذكر أيضا ما يستفاد منها .

فقال في المعنى الاجمالي :

"واعلموا أيها المسلمون : أن ما ظفرتم به من مال الكفار فحكمه أن يقسم خمسة أخماس خمس منها لله وللرسول ولقرابة النبي واليتامى ، وهم أطفال المسلمين الذين مات آباؤهم وهم فقراء والمساكين وهم ذو والحاجه من المسلمين وابن السبيل ، وهو المنقطع في سفره المباح

والمخصص من خمس الغنيمة لله وللرسول يرصد للمصالح العامه التي يقررها الرسول في حياته والامام بعد وفاته وباقي الخمس يصرف للمذكورين وأما الاخماس الأربعه الباقيه من الغنيمة وسكتت عنها الآيه ، فهي للمقاتلين ، فاعلموا ذلك واعملوا به ان كنتم آمنتم بالله حقا ، وآمنتم بما أنزلنا على عبدنا محمد من آيات التثبيت والمدد ، ويوم الفرقان الذي فرقنا فيه بين الكفر والايمان ، وهو اليوم الذي التقى فيه جمعكم

---

(١) دراسات في تفسير بعض آيات الأحكام : د / كمال جودة أبو المعاطي ص٢٢-٢٣

(٢) " " " " " " " " " ص ٢٥

وجمع الكافرين ببدر والله عظيم القدره على كل شىء وقد نصر المؤمنين مع قلتهم وخذل الكافرين مع كثرتهم "[1]

وبهذا انتهى تفسيره للآيه

والمؤلف كثير النقل عن الرازى والقرطبى وابن العربى وأبى السعود والكتاب بحاجه لتوسعه بعض الابحاث وتنقيح بعضها واصلاح بعض جمله من حيث اللغه ، وحبذا لو قام صاحبه بتفسير بقية آيات الأحكام نفع الله به .

وبعد

هذه هى المؤلفات فى تفسير آيات الأحكام عند أهل السنه والجماعه والتى أطلعت عليها .

وقد اجملت مالاحظته عليها فى أول هذا الفصل بما لا أرى موجبا لاعادته .

بقى أن أقول هنا ما قلته عن تفسير أهل السنة والجماعة لآيات العقائد فكما قلت هناك ان الحاجه ماسه لتأليف تفسير يعنى بآيات العقائد ويرد فيه على شبهات الخصوم وتأويلات الباطنيه الباطله فان الحاجه هنا أيضا لا تقل عنها درجه فى كتابه تفسير لا يلتزم منهج مدرسى يقيد صاحبه - بل ينظر فى مجتمعه فيفسر آياته بما يبرز علاجها لأمراضه ، وينظر أخرى فينفي عنها التأويلات الزائفه للفرق الضاله وينظر ثالثه فينشر أريجها بين المسلمين داعيا الى امتثالها ودفع وازالة ما يعوق تطبيقها في المجتمعات الاسلاميه كافه . . وانا لمنتظرون .

---

(١) المرجع السابق : ص ٢٦ - ٢٧

ثانيا : فقه الشيعه الامامية (الاثنى عشريه)

بعد بحث وتنقيب لم أعثر على تفسير لآيات الأحكام في القرآن الكريم عند الشيعه الاماميه (الاثنى عشرية) ، وقد سبق القول مني أني سأعرض فقههم من كتب غير مقتصره على آيات الأحكام بل هي تفاسير شامله لآيات القرآن الكريم .

كما أن المجال لا يتسع لعرض كل مواضع الخلاف بين فقه أهل السنه وفقههم وانما يذكر بعض مواضعه وذلك لأحد أمرين :

أولهما : خشية الاطاله فيما لو أردنا مواضع الخلاف كلها حتى ولو كان العرض مختصرا .

ثانيهما : ان بعض مواضع الخلاف لم يرد دليله في القرآن الكريم فلا تناوله الفريقان أو يتناوله أحدهما توسعا في أبحاث الآيه لا في تفسيرها ومثله لا يدخل في مجالنا هنا .

أما المواضع التي رأينا تناولها فهي المواضع التي عرضنا تفسيرها وأقوال العلماء فيها عند أهل السنة والجماعة وها نحن هنا نعيد هذه الابحاث لبيان الآراء الفقهيه فيها عند الشيعه ليظهر رأى كل والله الموفق .

فرض الرجلين في الوضوء :

وعرفنا فيما سبق أن فرض الرجلين عند أهل السنه غسلهما وأدلتهم في ذلك ، أما الشيعه فيرون أن فرضهما المسح وهذا محمد حسين الطباطبائي يقول في تفسير قوله تعالى " وامسحوا برؤسكم وأرجلكم الى الكعبين "[1] " وأما قوله وأرجلكم فقد قرىء بالجر وهو لا محاله

---

(١) سورة المائدة : من الآيه ٦

بالعطف على رؤسكم ، وربما قال القائل : ان الجر للاتباع ، كقوله :-
" وجعلنا من الماء كل شيء حي " (الانبياء ٣٠) وهو خطأ فان الاتباع
على ما ذكروه لغة رديئه لا يحمل عليها كلام الله تعالى وأما قوله :
" كل شيء حي " فانما الجعل هناك بمعنى الخلق ، وليس من
الاتباع في شيء .

على أن الاتباع - كما قيل - انما ثبت فيما ثبت فى صورة اتصال التابع
والمتبوع كما قيل فى قولهم جحر ضب خرب ، بجر الخرب اتباعا لا فى
مثل المورد مما يفصل العاطف بين الكلمتين .

وقرئ وأرجلكم - بالنصب وأنت اذا تلقيت الكلام مخلى الذهن
غير مشوب الفهم لم يلبث دون ان تقضي أن " أرجلكم " معطوف على موضع
" رؤسكم " وهو النصب ، وفهمت من الكلام وجوب غسل الوجه واليدين
ومسح الرأس والرجلين ، ولم يخطر ببالك أن ترد " أرجلكم " الى
" وجوهكم " في أول الآيه مع انقطاع الحكم فى قوله " فاغسلوا وجوهكم
وأيديكم الى المرافق " بحكم آخر وهو قوله " وامسحوا بوجوهكم "[1]
فان الطبع السليم يأبى عن حمل الكلام البليغ على ذلك ، وكيف يرضى
طبع متكلم بليغ أن يقول مثلا : قبلت وجه زيد ورأسه ومسحت بكتفه
ويده بنصب يد عطفا على " وجه زيد " مع انقطاع الكلام الأول وصلاحية
قوله " يده " لأن يعطف على محل المجرور المتصل به ، وهو أمر
جائز دائر كثير الورود فى كلامهم .

وعلى ذلك وردت الروايات عن أئمة أهل البيت عليهم السلام وأما
الروايات من طرق أهل السنة فانها وان كانت غير ناظره الى تفسير لفظ
الآيه ، وانما تحكى عمل النبى صلى الله عليه وسلم وآله وسلم وفتوى

---

(١) هكذا وردت ولعلها سبق قلم اذ المراد والصحيح" وامسحوا برؤوسكم"

بعض الصحابه ، لكنها مختلفه : منها ما يوجب مسح الرجلين ومنها ما يوجب غسلهما .

وقد رجح الجمهور منهم أخبار الغسل على أخبار المسح ، ولا كلام لنا معهم فى هذا المقام لأنه بحث فقهى راجع الى علم الفقه خارج عن صناعة التفسير "(١)

الى أن قال :ـ" فالأخرى للقائل بوجوب غسل الرجلين فى الوضوء أن يقول كما قال بعض السلف كأنس والشعبى وغيرهما على ما نقل عنهم : أنه نزل جبرئيل بالمسح والسنه الغسل (كذا) ، ومعناه نسخ الكتاب بالسنه . وينتقل البحث بذلك عن المسأله التفسيريه الى المسأله الاصوليه : هل يجوز نسخ الكتاب بالسنه أولا يجوز ، والبحث فيه من شأن الأصولى دون المفسر، وليس قول المفسر بما هو مفسر : ان الخبر الكذائى (٢) مخالف للكتاب الا للدلاله على أنه غير ما يدل عليه ظاهر الكتاب دلاله معولا عليها فى الكشف عن المراد دون الفتيا بالحكم الشرعى الذى هو شأن الفقيه "(٣)

ومن الشيعه أيضا محمد جواد مغنيه حيث قال فى تفسيره لهذه الآيه " وأرجلكم الى الكعبين " ورد فى الارجل قراءتان : أحداهما النصب والاخرى الخفض . وقال السنه : يجب غسل الأرجل . لا مسحها لانها معطوفه على الأيدى ، على القراءتين . أما قراءه النصب فواضح اذ الأيدى منصوبه لفظا ومحلا . وأما على قراءة الجر فللجوار والاتباع أى الرؤوس مجروره والأرجل مجاورة لها ، فجرت الأرجل لعلاقة المجاورة تماما كقول العرب" جحر ضب خرب" مع العلم بأن خرب يجب رفعه

---

(١) الميزان فى تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائى جـ ٥ ص ٢٢٢
(٢) نسبة الى (كذا) والمعنى الخبر الفلانى .
(٣) الميزان فى تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائى جـ ٥ ص ٢٢٤

لأنه صفة للجحر لا للضب ، ولكنه خفض لمجاورته للضب .

وقال الشيعه : يجب مسح الأرجل لأغسلها لأنها معطوفة على الرؤوس ، أما على قراءه الجر فواضح ، اذ الرؤوس مجروره بالباء ، وأما على قراءه النصب فمعطوفه على محل الرؤوس ، لأن كل مجرور لفظا منصوب محلا .

ثم قال الشيعه : ان العطف على الأيدى لا يجوز لأمرين :-

الأول : أنه خلاف الفصاحه لوجود الفاصل بين الأيدى والأرجل وهو قوله : " وامسحوا برؤوسكم " ولو كان الأرجل معطوفه على الأيدى لقال: (وأيديكم الى المرافق وأرجلكم الى الكعبين " ولم يفصل بين الأيدى والأرجل بمسح الرأس .

الثانى : أن العطف على الأيدى يستدعى أن يكون لكل قراءه معنى مغايرا للآخر ، اذا يكون المعنى على قراءه النصب الغسل ، وعلى قراءة الجر المسح . . وهذا بخلاف العطف على الرؤوس فان المعنى يكون واحدا على القراءتين بالاضافه الى أن الجر للجوار ردئ لم يرد فى كلام الله اطلاقا " . (١) (٢)

---

(١) التفسير الكاشف : محمد جواد مغنيه جـ ٣ ص ٢٣

(٢) لوقال المؤلف لم يرد فى كلام العرب ، أو فى اللغه ، لملكت زمام نفسي والزمتها القاعده التى التزمتها وهي الاحاله الى رأى أهل السنه ، أما وقد نسب عدم الورود الى كلام الله فانى أسمح لنفسي أن أورد قول الشنقيطى رحمه الله تعالى فى ذلك " ومن أمثلة الخفض بالمجاوره فى القرآن فى النعت قوله تعالى " عذاب يوم محيط " بخفض محيط مع أنه نعت للعذاب . وقوله تعالى " عذاب يوم اليم" ومما يدل على أن النعت للعذاب ، وقد خفض للمجاورة كثرة ورود الألم في القرآن نعتا للعذاب . وقوله : " بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ على قراءة من قرأ بخفض" محفوظ" كما قاله القرطبى " أضواء البيان فى ايضاح القرآن بالقرآن : محمد الامين الشنقيطى جـ ٢ ص ١١ - ١٢

هـذا مذهب الشيعه فى فرض الرجلين فى الوضوء ولا يخلو ماقاله الطباطبائى أولا ومغنيه ثانيا من بعض الأقوال التى يرد عليها فتبطل وتهوى لو تعقبناها لطال ، وانما بسطنا رأى أهل السنه قبل حتى يرجع اليه من لم يسعفه ذهنه بالدليل والحجه حتى يكون على المحجه وسنفعل كذلك فيما سيأتى من أبحاث ان شاء الله تعالى .

صلاة الجمعه :

قال تعالى " ياأيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعه فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع" الآيه [(١)]

قال محمد جواد مغنيه في تفسيرها " صلاة الجمعه فرض كتابا وسنة واجماعا وهى ركعتان مع خطبتين قبلها ، ويكتفى بها عن صلاة الظهر وتختص بالرجال دون النساء . ولا خلاف فى شىء من ذلك بين المسلمين وانما الخلاف بينهم : هل تجب صلاة الجمعه مطلقا من غير شرط، أو تجب مع وجود السلطان أو من يستنيبه لها ؟

قال الحنفيه والاماميه : وجود السلطان أو نائبه شرط . ولكن اشترط الاماميه عداله السلطان والا كان وجوده كعدمه . واكتفى الحنفيه بوجود السلطان وان لم يكن عادلا .

وقال الشافعيه والمالكيه والحنابله : تجب مطلقا وجد السلطان أم لم يوجد ، وقال كثير من فقهاء الاماميه : اذا لم يوجد السلطان العادل أو نائبه ووجد فقيه عادل يخير بينها وبين الظهر" [(٢)]

---

(١) سورة الجمعه : من الآيه ٩

(٢) التفسير الكاشف : محمد جواد مغنيه جـ ٧ ص ٣٢٦ - ٣٢٧

ومغنيه لم يوضح حالات وجوب الجمعه ووجود الامام والعلاقة بينهما حتى يتسنى له أن يقرن الامامية مع الحنفيه وهو وأتباعه حريصون كل الحرص على مثل هذا ، والحالات التى لاتخرج عنها الأقوال كلها أربع :-

١ - وجوب صلاة الجمعه وجد السلطان أم لم يوجد وهو رأى المالكيه والشافعيه والحنابله .

٢ - وجوب صلاة الجمعه اذا وجد السلطان وهو رأى الحنفيه .

٣ - وجوبها مع وجود الامام العدل . وقال به طائفة من الشيعه .

٤ - انها لاتجب الا مع وجود الامام المعصوم وقال به طائفة من الشيعه .

ومن هذا يظهر أن الشيعه كلهم يسترطون وجود الامام العادل وخصته طائفة بالامام المعصوم .

وعلى القول الاخير لاتجب الجمعه لعدم ظهور الامام المنتظر وعلى القول الثالث لاتجب لعدم وجود الامام العدل ، وان كانت نسبته الامام للعدل أمر يختلف فيه متى يكون عدلا يصلى معه ومتى يكون غير ذلك .

وبهذا يظهر أن الشيعه على القولين لاتوجب صلاة الجمعة فى هذه العصور ، أما وقد صدر أمر الخمينى فى السنوات الأخيره بأدائها فلعله يرى أحد أمرين .

١ - اما أنه الامام العادل ، فتجب لذلك عنده

٢ - واما أن أمره أمر ندب لا ايجاب ويؤيد هذا قوله فى كتابه تحرير الوسيلة " تجب صلاة الجمعه فى هذه الأعصار مخيرا بينها وبين صلاة الظهر ، والجمعه أفضل ، والظهر أحوط وأحوط من ذلك الجمع بينهما " (١) وقوله أيضا

---

(١) تحرير الوسيله : الخمينى جـ ١ ص ٢٣١

" لا يحرم البيع يوم الجمعه بعد الآذان في أعصارنا مما لا تجب فيه تعيينا " (1) هذا ما ادعاه ودع عنك التعارض والتضارب فى عبارته على قصرها فكيف تجب على التخيير وكيف تكون الأفضل ، ويكون الظهر الأحوط وعلى كل حال قصدت من هذا أن أقول ما خلاصته أن الشيعه فى العصر الحديث اما انهم يشترطون الامام العادل واما انهم يشترطون الامام المعصوم ومن الذين يشترطون الامام العادل وينكرون شرط الامام المعصوم محمد الصادقي حيث يقول في تفسير الآيه :-

" لا توجد أية حجه تختص فريضه الجمعه بالمؤمنين زمن حضور المعصومين ولو كانت لضربت عرض الحائط لمخالفتها الكتاب والسنه الثابته ومنها ما رواه الفريقان (يقصد السنة والشيعة) عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه خطب لأول جمعه أقامها في المدينه المنوره فقال : (ان الله افترض عليكم الجمعه في مقامي هذا ، في يومي هذا ، في شهرى هذا ، في عامى هذا ، الى يوم القيامه فمن تركها استخفافا بها ، أو جحودا لها ، فلا جمع الله له شمله ، ولا بارك له فى أمره ، ألا ولا صلاة له ، ألا ولا زكاة له ، ألا ولا حج له ، ألا ولا صيام له ، ألا ولا بر له ، ألا ولا بركة له حتى يتوب ، فمن تاب تاب الله عليه " (2) ولم يستثن - في من استثنى - المؤمنون زمن غيبة الامام المعصوم رغم استثناء المجنون والصغير اللذين لم يشملهما قلم التكليف " (3) .

---

(1) تجريد الوسيله : الخمينى ج ١ ص ٢٤٠

(2) نسبه المؤلف الى " الدر المنثور ج ٦ ص ٢١٨ وسائل الشيعه ج ٣ ص ٧ ح ٢٨ وابن ماجه ج ١ ص ٣٣٤ باب فرض الجمعه " ١هـ الا أنى

(3) رأيته عند بن ماجه وفيه " فى عامي هذا الى يوم القيامه فمن تركها في حياتي أو بعدى وله امام عادل أو جائر استخفافا بها " الحديث والمؤلف لم يذكر هذا النص لأنه حجه عليه .

(3) الفرقان فى تفسير القرآن : محمد الصادقي ج ٢٨ ص ٣٤٠

وقال أيضا " ان السعي الى ذكر الله فيها ، والاجتماع فيه ، ليس الا عند اجتماع الشرائط : عددا ومسافة ، وعدالة للامام ، وقدرة على القاء الخطبه ، ثم ما دونها هراء مختلق كاشتراط حضور المعصوم أو اذنه الخاص فلا أثر له اسلاميا عندنا " (١)

اذا فصلاة الجمعه عنده واجبة اذا وجد الامام العدل ، بل تؤدى حتى مع عدم وجود الامام العدل وغيره من شروطها ولكن بصورة أخرى غير الصوره المعروفه لصلاة الجمعه فقال " وعند فقد الشرائط أو بعضها فأربع ركعات بنية الجمعة " (١) والسبب في ذلك أنه " لا صلاة ظهرا يوم الجمعه الا صلاة الجمعه ، هي ركعتان بعد خطبتين مع شرائطها ، وهى أربع ركعات كصلاة الظهر لولا الشرائط أو امكانيتها يجهر فى الأوليين كما فى ركعتى الجمعه بنية الجمعه لا الظهر ، وكما فى المعتبره المستفيضة" (١)

وعلق على جملته الأخيره فى الهامش بقوله " منها موثقه سماعه قال سألت أبا عبد الله (ع) عن الصلاة يوم الجمعه ، فقال : أما مع الامام فركعتان وأما من يصلى وحده فهي أربع ركعات بمنزلة الظهر (وسائل الشيعه جـ ٣ ص ١٣-١٤) راجع كتابنا (على شاطىء الجمعه)" (٢)

قلت وكل كلامه لتقرير ما جاء في هذا الأثر عن امامهم وخلاصه أقواله انه اذا وجد الامام العادل فصلاة الجمعه ركعتان واذا لم يوجد فأربع ركعات بنية الجمعه ، ولا دليل عنده ولا عندهم الا رواياتهم الباطله عند أهل السنة والجماعة .

---

(١) المرجع السابق : جـ ٢٨ ص ٣٤٤ - ٣٤٥

(٢) الفرقان في تفسير القرآن : محمد الصادقى جـ ٢٨ هامش ص ٣٤٥

خمس الغنائم :

والمراد بالغنيمه وتوزيع الخمس منها موضع خلاف بين أهل السنه والجماعه وبين الاثنى عشريه والنص الوارد فى ذلك قوله تعالى " واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل " الايه (١)

قال مغنيه من الشيعة فى تفسيرها :-

" وقد اختلف السنة والشيعة فى المعنى المراد من الغنيمه فى الآيه فقال السنه : هى ما يغنمه المسلمون من الكفار بقتال . وعلى قولهم هذا تكون مسألة الخمس عباره عن قضية لا واقع لها من الناحيه العمليه فى هذه الأيام ، تماما كمسألة العبيد والاماء ، اذ لا دولة اسلاميه تجاهد الكفار والمشركين فى هذا العصر (٢) .

وقال الشيعة : ان الغنيمة أعم مما يأخذه المسلمون من الكافرين بقتال وانها تشمل المعدن كالنفط والذهب وغيرهما ، وأيضا تشمل الكنز المدفون تحت الأرض واذا لم يعرف له صاحب ، وتشمل ما يخرجه الانسان من البحر بالغوص كاللؤلوء وما يفضل عن مؤنه الانسان وعياله مما اكتسبه فى سنته ، وتشمل المال الذى فيه حلال وحرام ، ولم يعلم شخص الحرام ولا مقداره ولا صاحبه ، وتشمل الأرض التى يشتريها الذمى من المسلم ، والتفصيل فى كتب الشيعة ، ومنها الجزء الثانى من كتابنا

---

(١) سورة الانفال : من الآيه ٤١

(٢) ما رأيت مثل مكر هذا : انه يلسع ولكن من القفى والا فهل يجهل أن عدم وقوع قضية من القضايا فى عصر من العصور لا يعنى عدم صحة تشريعها ؟! أولا يعلم أن الشريعه الاسلاميه جاءت لكل عصر وليس لعصر معين . ثم أنه ما عطل أحد من الشريعه مثل ما عطلت الشيعه بزعم غيبة الامام ؟ أفلا يصح أن يصرح سواهم بالحكم الشرعى مع عدم وجود دواعيه ؟ ولكنه الهوى .

فقه الامام جعفر الصادق . . . وعلى قول الشيعه تكون مسألة الخمس مسألة لها واقع من الناحية العملية (! !)

وكما اختلف الشيعة والسنة فى معنى الغنيمة فقد اختلفوا فى عدد أسهم الخمس وتقسيمها على مستحقيها ، قال الشيعة : يقسم الخمس الى قسمين والأول منهما ثلاثة أسهم : سهم لله وسهم لرسوله وسهم لذوى القربى ، وما كان لله فهو للرسول ، وما كان للرسول فهو لقرابته ، وولي القرابه بعد النبى هو الامام المعصوم القائم مقام النبى (! !) فان وجد أعطي له ، والا وجب انفاقه فى المصالح الدينيه ، وأهمها الدعوه الى الاسلام ، والعمل على نشره واعزازه أما القسم الثانى فهو ثلاثة أسهم : سهم لأيتام آل محمد صلى الله عليه وسلم وسهم لمساكينهم وسهم لأبناء السبيل منهم خاصة ، لا يشاركهم أحد فى ذلك ، لأن الله حرم عليهم الصدقات فعوضهم عنها بالخمس. وقال الطبرى فى تفسيره وأبو حيان الأندلسي فى البحر المحيط : " قال على بن أبى طالب عليه السلام : اليتامى والمساكين أيتامنا ومساكيننا " . وقال الطبرى فى تفسيره أيضا : " أن على بن الحسين رضى الله عنه قال لرجل من أهل الشام : أما قرأت في الأنفال "واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه وللرسول ، قرأ الآيه . قال الشامي نعم وانكم لأنتم ؟ قال : نعم " [1]

أما مذهب السنه فندع الكلام عنه الى عالمين كبيرين : أحدهما من القدماء وهو الرازى ، والثانى من الجدد وهو المراغي " [2]

---

(١) علق الشيخ محمود شاكر رحمه الله تعالى على اسناد هذا الأثر فقال هذا اسناد هالك " تفسير الطبرى جـ ١٣ ص ٥٥٤

(٢) التفسير الكاشف : محمد جواد مغنيه جـ ٣ ص ٤٨٢- ٤٨٣

ثم نقل نصا للرازى فيه ذكر أقوال أهل السنة ، ونصا آخر للمراغي ذكر مغنيه منه مايبين أن المراد بذوى القربى بنوهاشم وبنو المطلب ، ولم يذكر السطر الذى قبله ونص فيه المراغي على أن المراد باليتامى والمساكين وابن السبيل هم المحتاجون من سائر المسلمين [١] ، وانما اكتفى بما نقل لأمر فى نفسه يخفيه .

ومن الشيعه أيضا محمد حسين الطباطبائى فقال في تفسيره للآيه :-

" وظاهر الآيه أنها مشتملة على تشريع مؤبد كما هو ظاهر التشريعات القرآنيه وأن الحكم متعلق بما يسمى غنما وغنيمه سواء كان غنيمة حربيه مأخوذة من الكفار أو غيرها مما يطلق عليه الغنيمه لغة كأرباح المكاسب والغوص والملاحه والمستخرج من الكنوز والمعادن وان كان مورد نزول الآيه هو غنيمة الحرب فليس للمورد أن يخصص .

وكذا ظاهر ما عد من موارد الصرف بقوله " لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل " انحصار الموارد في هؤلاء الاصناف وأن لكل منهم سهما بمعنى استقلاله في أخذ السهم كما يستفاد مثله من آية الزكاة من غير أن يكون الأصناف من قبيل التمثيل .

فهذا كله مما لا ريب فيه بالنظر الى المتبادر من ظاهر معنى الآيه وعليه وردت الاخبار من طرق الشيعه عن أئمة أهل البيت عليهم السلام وقد اختلفت كلمات المفسرين من أهل السنة فى تفسير الآيه وسنتعرض لها في البحث الروائى التالي ان شاء الله تعالى " [٢]

---

(١) انظر تفسير المراغي : أحمد مصطفى المراغي : جـ ٤ ص ٥

(٢) الميزان فى تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائى جـ ٩ ص ٩١

واذا ما انتقلنا الى ما أشار اليه وجدناه يسوق هناك عددا من رواياتهم ومنها " في الكافي عن علي بن ابراهيم عن أبيه عن أبي عمير عن الحسين بن عثمان عن سماعه قال : سألت أبا الحسن عليه السلام عن الخمس فقال : في كل ما أفاد الناس من قليل أو كثير ، وفيه عن علي بن ابراهيم عن أبيه عن حماد بن عيسى عن بعض أصحابنا عن العبد الصالح قال : الخمس في خمسة أشياء من الغنائم والغوص ومن الكنوز ومن المعادن والملاحة يؤخذ من كل هذه الصنوف الخمس فيجعل لمن جعل الله له ويقسم أربعة أخماس بين من قاتل عليه وولي ذلك ويقسم بينهم الخمس على ستة أسهم : سهم لله ، وسهم لرسوله وسهم لذي القربى ، وسهم لليتامى ، وسهم للمساكين ، وسهم لأبناء السبيل ، فسهم الله وسهم رسوله لأولي الأمر من بعد رسول الله وراثه ، فله ثلاثة أسهم : سهمان وراثه ، وسهم مقسوم له من الله فله نصف الخمس كلا ونصف الخمس الثاني بين أهل بيته : فسهم ليتاماهم وسهم لمساكينهم ، وسهم لأبناء سبيلهم يقسم بينهم على الكتاب والسنة ما يستغنون به في سنتهم فان فضل منهم شيء فهو للوالي ، وان عجز أو نقص عن استغنائهم كان على الوالي أن ينفق من عنده ما يستغنون به ، وانما صار عليه أن يمونهم لأن له ما فضل عنهم . ...

وهؤلاء الذين جعل الله لهم الخمس هم قرابة النبي صلى الله عليه وآله الذين ذكرهم الله فقال " وأنذر عشيرتك الأقربين " وهم بنو عبد المطلب أنفسهم الذكر منهم والأنثى ليس فيهم من أهل بيوتات قريش ولا من العرب أحد ، ولا فيهم ولا منهم في هذا الخمس من مواليهم ، وقد تحل صدقات الناس لمواليهم ، وهم والناس سواء .

وقال أيضا " أقول والأخبار عن أئمة أهل البيت عليهم السلام متواتره في اختصاص الخمس بالله ورسوله والامام من أهل بيته ويتامى قرابته ومساكينهم وأبناء سبيلهم لا يتعداهم الى غيرهم ، وأنه يقسم ستة أسهم على ما مر في الروايات ، وأنه لا يختص بغنائم الحرب بل يعم كل ما يسمى غنيمه لغة من أرباح المكاسب والكنوز والغوص والمعادن والملاحه وفي رواياتهم - كما تقدم - أن ذلك موهبة من الله لأهل البيت بما حرم عليهم من الزكوات والصدقات "[1]

اذا فالخلاف بينهم وبين أهل السنه في أن الغنائم هي عندهم تشمل أرباح التجارة والكنوز والغوص والمعادن والملاحه . أما عند أهل السنه والجماعه فهي غنائم الحرب مع الكفار ، أما الخمس فلأهل البيت عند الشيعه وعند أهل السنه فسهم الله ورسوله لمصالح المسلمين وذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل من سائر المسلمين

نكاح المتعه :

وهذا هو أشهر الاختلافات الفقهية بين أهل السنه والجماعه وبين الشيعة الاثنى عشريه ذلك أن نكاح المتعه محرم عند أهل السنه اجماعا ومباح عند الشيعه بل كاد أن يكون شعارا لهم .

وموضع استدلالهم قوله تعالى " فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة "[2] قال مغنيه في تفسيره لها " وقد كثر الكلام والنقاش حول هذه الآيه : هل المراد بها الزواج الدائم فقط أو زواج المتعة فقط ، أو هما معا ، وعلى فرض ارادة المتعه ، فهل نسخت هذه الآيه ونسخ معها زواج المتعه ؟

---

(١) تفسير الميزان في تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائي جـ ٩ ص ١٠٣ - ١٠٤ باختصار .

(٢) سورة النساء : من الآيه ٢٤

وفيما يلي يتضح الجواب عن جميع ما أثير أو يثار من التساؤلات حول زواج المتعه .

جاء في كتب الحديث والفقه والتفسير للسنة والشيعة أن المسلمين اتفقوا قولا واحدا على أن الاسلام شرع متعة النساء وأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بها أصحابه ، من ذلك ما جاء في الجزء السابع من صحيح البخاري ، كتاب الترغيب في النكاح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في جيش للمسلمين ، فقال لهم : قد أذن الله لكم أن تستمتعوا ، فاستمتعوا . . وفي رواية ثانية للبخاري أيما رجل وامرأه توافقا فعشرة ما بينهما ثلاث ليال ، فان أحبا أن يتزايدا أو يتتاركا تتاركا .(١)

وفي صحيح مسلم جـ ٢ باب " نكاح المتعه" ص ٦٢٣ طبعة ١٣٤٨ هـ عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال : استمتعنا على عهد رسول الله وأبي بكر وعمر وفي الصفحة نفسها حديث آخر عن جابر قال فيه : ثم نهانا عمر . . . .(٢) ومثله عن الجزء الثالث من مسند الامام أحمد بن حنبل . . . .

---

(١) ما رأيت تدليسا مثل تدليس هذا الرجل ودسه . نص الحديث الذي بتره هنا بترا جاء باقيه" أويتتاركا تتاركا ، فما أدري أشيء كان لنا خاصه أم للناس عامه قال أبو عبد الله وبينه عليّ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه منسوخ " صحيح البخاري كتاب النكاح باب (٣١) نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نكاح المتعه آخراً . جـ ٦ ص ١٢٩ .

(٢) وهذا أيضا من النصوص المبتوره وبقية الحديث عند مسلم ثم نهانا عنهما عمر فلم نعد لهما " صحيح مسلم بشرح النووي جـ ٩ ص ١٨٤

ثم قال " وهذه الروايات موجوده في أكثر صحاح السنه وتفاسيرهم وكتبهم الفقهيه وعليه يكون النزاع في أنه : هل المراد بقوله تعالى "فما استمتعتم به الخ " الزواج الدائم فقط أو زواج المتعه أو هما معا ، يكون هذا النزاع عقيما لاجدوى منه ، لأن النتيجه هي لا تختلف في شيء ، سواء أقلنا : أن آية (فما استمتعتم) عامة للمتعه ، أو قلنا : هي مختصه بالزواج الدائم ، اذ المفروض أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بزواج المتعه باتفاق المسلمين ، وأن كل ما أمر الرسول به فان الله يأمر به أيضا ، لقوله تعالى " وماآتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا - ٧ - الحشر"

أجل بعد أن اتفق السنه والشيعه على أن الاسلام شرع المتعه اختلفوا في نسخها وتحريمها بعد الجواز والتحليل ؟ .

قال السنة : حرمت بعد أن كانت حلالا . . وقال الشيعه : كانت حلالا ، ولا تزال الى آخر يوم . . وبديهة أن على السنة أن يثبتوا النسخ والتحريم من الرسول صلى الله عليه وسلم . . "

الى أن قال " والسنه يعترفون بأن عليهم عبء الاثبات دون الشيعه ولذلك استدلوا على ثبوت النسخ بروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ورد الشيعه هذه الروايات وناقشوها متنا وسندا ، وأثبتوا بالمنطق السليم أنها موضوعه على الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم بأدلة :

(منها) أن السنه يعترفون بأنها مضطربه متناقضه ، قال ابن رشد في الجزء الثاني من البداية ، مسألة نكاح المتعه ما نصه بالحرف : " في بعض الروايات أن النبي صلى الله عليه وسلم

حرم المتعه يوم خيبر وفي بعضها يوم الفتح وفى بعضها فى غزوة تبوك وفى بعضها في حجة الوداع ، وفي بعضها فى عمرة القضاء ، وفى بعضها عام أوطاس ، وهو اسم مكان فى الحجاز ، ومحل غزوة من غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم - ثم قال ابن رشد : روى عن ابن عباس أنه قال : ما كانت المتعه الا رحمة من الله رحم بها أمة محمد صلى الله عليه وسلم ولولا نهى عمر عنها ما اضطر الى الزنا الا شقى " .

(ومنها) أى من ردود الشيعه على روايات النسخ أنها ليست بحجه حتى ولو سلمت من التناقض لانها من أخبار الآحاد . . والنسخ انما يثبت بآيه قرآنيه أو بخبر متواتر ، ولا يثبت بالخبر الواحد

(ومنها) ما جاء فى صحيح مسلم من أن المسلمين تمتعوا على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعهد أبى بكر ، وهذا ينفى نسخها في عهد الرسول ، والا كان الخليفه الأول محللا لما حرم الله والرسول . . . وأصدق شئ فى الدلالة على عدم النسخ فى عهده صلى الله عليه وسلم قول عمر بالذات : " متعتان كانتا على عهد رسول الله أنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما " ومهما شككت فلا أشك ولن أشك فى أن عمر لو سكت عن هذا النهي لما اختلف اثنان من المسلمين فى جواز المتعه وحليتها الى يوم يبعثون

وتسأل : بعيد جدا أن يقول عمر هذا . . لأنه تحريم لما أحله الله ، ورد على رسول الله الذى لا ينطق عن الهوى ؟ .

الجواب : أجل هو أبعد من بعيد ، لأنه كما قلت : رد على الله ورسوله . . . ولكن المسلمين اتفقوا على أن عمر قال ذلك ، وما رأيت واحدا منهم نفى نسبته اليه . . بل فى بعض الروايات أن عمر

نهى عن ثلاثة أشياء أمر بها النبى لا شيئين قال القوشجي في شرح التجريد - وهو من علماء السنه - قال فى آخر مبحث الامامه " أن عمر صعد المنبر وقال : أيها الناس ثلاث كن على عهد رسول الله أنا انهى عنهن وأحرمهن وأعاقب عليهن : متعة النساء ، ومتعة الحج ، وحي على خير العمل " . . . وروى كل من الطبرى والرازى أن عليا قال : لولا أن عمر نهى عن المتعه مازنى الا شقى . ومثله عن تفسير الثعلبى والسيوطى "(1) .

هذا ما قاله مغنيه ولقد عانيت ما عانيت من كبح جماح القلم من الرد على مزاعمه ، لأنى آثرت اتصال حلقات كلامه حتى يتم له اتمام أدلته الواهيه ثم أعود عليها ناقضا لها عودا سريعا خشية فوات ما فيه نفع وأنفه من الخوض فى الحديث مع مثله ولكم آسف أن أقول مثل هذا لولا أنى وقد قرأت فى تفسيره ظهر لى ظهور الشمس في وسط النهار كيف يصوغ الفاظه ويبتر النصوص ويدلس على قراء كتابه بما لا يستغرب من مثله .

ونأخذ بعد هذا ما زعمه من ردود الشيعه على روايات أهل السنه في نسخ نكاح المتعه ووصفه لهذه الردود بأنها ناقشت الروايات متنا وسندا ؟! واذا ما نظرنا للأمثله التى ذكرنا فانا لا نرى فيها نقدا لا لسند ولا لمتن حديث بعينه ؟! دع عنك ما زعمه أنهم " أثبتوا بالمنطق السليم أنها موضوعة على الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم .

ولا أدرى كيف سوغ لنفسه مثل هذا القول ؟ وهو الذى لم يذكر حديثا واحدا أثبت وضعه لا بالمنطق السليم ولا بمنطقه هو !! لا أحجه بأنه قد رواها البخارى ومسلم ؟ فمنزلتهما عنده لا تخفى ولكن أحجه باستشهاده هو بأحاديثهما التى تنص على تشريع المتعه ، وهى نفسها

---

(1) التفسير الكاشف: محمد جواد مغنيه جـ٢ص٢٩٥-٢٩٨ باختصار .

تنص على أنها نسخت فأخذ ببعضه وأعرض عن بعض .

ثم وعجب بعد عجب أو يحسب نفسه يؤلف تفسيرا فى سبعة مجلدات للعامه أم يستخف بقراء تفسيره ؟! لا أشك أن من يقرأ تفسيرا بحجم تفسيره أنه قد ارتقى من درجة العامى الذى لايعلم شيئا من شئون العلماء الى درجه من درجات العلم ومهما كانت هذه الدرجه من العلم فانه لا يخفى على صاحبها أن ورود أحاديث كثيرة تنص على أن تحريم المتعه كان يوم خيبر وفى بعضها فى غزوة تبوك وفى بعضها فى حجة الوداع الى آخر هذه الأحاديث لا يعنى تناقضها وانما يعنى تكرر التنبيه على تحريم المتعه عدد هذه المرات . ولكن الرجل يحسب أنه وهو يسوق عبارة ابن رشد قد عثر على حجة له فاذا هى عليه ولا أظنه يخفى عليه هذا ولكنه ما ذكرت ؟! .

أما ما ذكره من أن روايات النسخ ليست بحجة لأنها من أخبار الآحاد فانا نقول له أو تظن أنت أن اباحة المتعه ثبت بالتواتر حتى تطلب ناسخا متواترا ؟! ان زعمت أن الآيه تنص على ذلك فلا يسلم لك ذلك عاقل اذا الخلاف فى المراد بها مشهور ، وأنت نفسك قلت فى تفسيرك أن النزاع فى المراد بالآيه عقيم لا جدوى منه ، قلت أن المفروض أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بزواج المتعه باتفاق المسلمين .

اذا فليست الآيه دليلا قاطعا لكم ولا لنا وانما مرجعنا فى ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولننظر بعد هذا فى أحاديثه عليه الصلاة والسلام .

قال أبو الفتح نصر بن ابراهيم المقدسى * كل ما نقل اباحة المتعه ، نقل تحريمها أيضا ، وحصلت رواية التحريم عن غير من نقل

الاباحـه زيـادة عليهم فان كانت اباحتها بنقـل من نقـل من حيث الاجمـاع فتحريمهـا أيضـا من حيث الاجماع لأن ما ثبت بـه الاباحـه ثبـت بـــه التحريـــم " [(١)]

ود ونك أحاديثه الصحيحـه عنـه صلى اللـــه عليـه وسلم اقرأهـــا بتمامها وسترى ما نقـول أما ان أغلقت عينا وفتحت عينا فأنك لم تـــر الحقيقـة كاملـة ان كانت الحقيقة ضالتـك .

وسأرشدك الى النص الذى نقلتـه أنت عن ابن رشـد وقرأت فيـــه كم مـــرة حرمـــت المتعـه وجاءت النصوص لتحريمها .

أما ما ذكرت من أنـه أبعـد من بعيـد أن يقول عمـر (رضى اللـــه عنـه) متعتان كانتـا على عهـد رسول اللـه أنا انهى عنهما وأعاقـــب عليهمـا لأنـه رد على اللـــه ورسولـه " فقد كنت أتمنى لك الثبات علـــى حســن الظـن بصحابـة رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم وأنك لم تستشـن بقولك " ولكن المسلمين اتفقوا على أن عمـر قال ذلك وما رأيت واحـــدا منهم نفا نسبتـه اليـه " كنت أتمـنى أن قومت ميزان فهمك وبحثـــت عن الفهم الصحيح الذى يناسـب حسن الظـن فى صحابـة الرسول صلـــى اللـــه عليـه وسلم ان كنت تملكـه وأن تشـك فى فهمك ولا تشك فى عقيـدة هذا الصحابـى وتسأل أهـل الذكـر ان كنت لا تعلم .

فأن سألـت أجابوك " أن هذا غلط قبيـح لأن عمـر بن الخطـــاب رضى اللـــه عنـه مع علمـه وزهده لا يجوز أن يقـول ما أحلـه رسول اللـــه صلى اللـه عليـه وسلم أنا أحرمـه وأعاقب عليـه ، وقد ثبت عنـه فى أخبار كثيره

---

(١) رسالة تحريم نكاح المتعـه : لأبـى الفتـح نصر بن ابراهـــيم المقدســى الشافعـى ص ١٢٣

أنه يقفو فيها أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويطلب البينة على ما يدعى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعاقب من خالف شيئا من سنته ويأمر بالمواظبه عليها والأخذ بها والمنع من تعديها ومجاوزتها ولو رام تحريم ما أحله رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقره الصحابه عليه ولم يقبلوه منه ولا عترضوا عليه فيه كما اعترضوا فيما هو أيسر من ذلك وأخف ، فبطل الدليل ، وانما أراد عمر رضى الله عنه بذلك أنها كانت مباحه في أول الاسلام فنسخت الاباحه وحرمت من جهة النبى صلى الله عليه وسلم .

فمعنى قوله : " ان من استحلها وفعلها بعد ما حرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ونسخها عاقبته على ذلك " وهذا واضح لالبس فيه . . . فانه قد ثبت أن رجلا فعل ذلك ولم يعلم بالنسخ فلذلك زجر عمر عنها لما يكون له من النظر في أمور الدين " (١)

ولقالوا لك أيضا أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه نهى عنها على المنبر وتوعد عليها وغلظ أمرها . . . وذلك بحضرة المهاجرين والأنصار فلم يعارضه أحد منهم ولا رد عليه قوله فى ذلك . . . ولا يجوز لمثلهم المذاهنه فى الدين ولا السكوت على استماع الخطأ لاسيما فيما هو راجع الى الشريعه وثابت فى أحكامها على التأبيد فلما سكتوا على ذلك ولم ينكره منهم أحد علم أن ذلك هو الحق وأنه ثابت فى الشريعه من نسخ المتعة وتحريمها كما ثبت عنده مضار ذلك كأن جميعهم قرروا تحريمها وتثبتوا نسخها فكانت حراما على التأبيد ، وقد روى ذلك عن جماعة من الصحابه سوى عمر فروى تحريمها عن على بن أبى طالب

---

(١) رسالة تحريم نكاح المتعه : أبو الفتح نصر بن ابراهيم المقدسى الشافعى ص ١٠٧ - ١٠٨

وعبد الله بن عمر وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عباس ، لأنه رجع عن اباحتها لما بان له الصواب فى ذلك ونقل اليه تحريمها عن النبى صلى الله عليه وسلم . . . وهو مذهب التابعين والفقهاء والأئمة أجمعين ولو لم يقل بتحريم المتعه الا واحد من الصحابه رضوان الله عليهم اذا لم يكن له فيهم مخالف لوجب علينا الأخذ بقوله والمصير الى علمه لأنه لم يقل ذلك الا عن علم ثاقب ورأى صائب . . وقد أجمعوا كلهم على ذلك فكان من خالف ذلك واستحل نكاح المتعه مخالفا للاجماع معاندا للحق والصواب" [(١)]

وبعد عذرا ان أطلت فى الرد بعض الاطاله فما الرد عليه قصدت ولكن شبهة أردت ازالتها حتى تنجلى الحقيقه لمن التبس عليه الأمر.

وخشية من أن احتاج الى اعتذار آخر مع اعتذارى هذا فانى :
أكتفى بالاشارة الى ذلك البحث الطويل عن نكاح المتعه الذى بسطه محمد حسين الطباطبائى فى تفسيره [(٢)] وذلك البحث الآخر الذى أورده أبو القاسم الموسوى الخوئى فى تفسيره [(٣)] أيضا أترك هذين البحثين اكتفاء بما نقلته عن مغنية فى تفسيره أولا ، ولطول هذين البحثين حتى ولو اختصرتهما ثانيا وبالله التوفيق

نكاح المشركات والكتابيات :

قال تعالى " والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن أجورهن " الآيه [(٤)] جاء فى تفسير محمد جواد مغنيه لها قوله :- " اتفق فقهاء المذاهب على أن المسلم لا يحل

---

(١) رسالة تحريم نكاح المتعه : أبو الفتح نصر المقدسى ص ٧٧-٧٨ باختصار
(٢) الميزان فى تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائى انظر جـ ٤ ص ٢٧١ - ٣١٠
(٣) انظر البيان فى تفسير القرآن : أبو القاسم الخوئى جـ ١ ص ٣١٣- ٣٣٠
(٤) سورة المائدة آيه ٥

له أن يتزوج بمن لا تدين بشيء اطلاقا ، ولا بمن تعبد الأوثان والنيران ، وما اليها ، واختلفوا في زواج الكتابيه ، أي النصرانيه واليهوديه فقال أصحاب المذاهب الأربعه السنية : يجوز ، واستدلوا بهذه الآيه ، واختلف فقهاء الشيعه بين مجيز ومانع ومفصل بين الزواج الدائم والمنقطع ، فأجاز الثاني ومنع الاول .

ونحن مع القائلين بالجواز مطلقا . ومستندنا : أولا : الأدلة الداله على اباحة الزواج بوجه عام . ثانيا : قوله تعالى :"والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب" ثالثا : الروايات الكثيره عن أهل البيت رضي الله عنهم وذكرها صاحب الوسائل والجواهر ، ووصفها هذا بالمستفيضه أي بلغت حدا من الكثره يقرب من التواتر ونقلنا بعضها في الجزء الخامس من فقه الامام جعفر الصادق .

وتسأل وما أنت صانع بقوله تعالى " ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن " (١) وقوله " ولا تمسكوا بعصم الكوافر " (٢)؟

الجواب : المشركات غير الكتابيات بدليل عطف المشركين على أهل الكتاب في الآيه الاولى من سورة البينه : " لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينه " . أما قوله :"ولا تمسكوا بعصم الكوافر" فغير صريح في الزواج لأن الامساك بالعصم كما يكنى به عن الزواج يكنى به عن غير الزواج أيضا ، قال صاحب المسالك : " ان الآيه ليست صريحه في ارادة النكاح ولا فيما هو أعم منه " (٣)

---

(١) سورة البقره : من الآيه ٢٢١

(٢) سورة الممتحنه : من الآيه ١٠

(٣) التفسير الكاشف : محمد جواد مغنيه ج ٣ ص ١٩-٢٠

وهكذا انهى مغنيه تفسيره لهذه الآيه وان كان في جوابه المختصر هذا ما لا يسلم وتثور فيه الاسئله لكنه مر عليها على عجل لا يمكنه من استقصاء الأدله وابطال الاعتراضات ، وحسبنا أنه ذكر رأيه .

أما أبو القاسم الخوئي فقد تحدث في تفسيره عن بعض الآيات التي قيل أنها ناسخه أو منسوخه وبين أنه لا تناسخ بينها ومن هذه الآيات التي تناولها : قوله تعالى " ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن " [1] قال في تفسيره : " أدعي أنها منسوخه بقوله تعالى : " والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن أجورهن" [2] ذهب اليه ابن عباس ، ومالك بن أنس ، وسفيان بن سعيد ، وعبد الرحمن بن عمر ، والأوزاعي ، وذهب عبد الله بن عمر الى أن الآيه الثانيه منسوخه بالاولى فحرم نكاح الكتابيه ،

والحق : أنه لانسخ في شيء من الآيتين فان المشركه التي حرمت الآيه الاولى نكاحها ، ان كان المراد منها التي تعبد الأصنام والأوثان - كما هو الظاهر - فان حرمة نكاحها لا تنافى اباحة نكاح الكتابيه التي دلت عليها الآيه الثانيه لتكون احداهما ناسخه والثانيه منسوخه ، وان كان المراد من المشركة ما هو أعم من الكتابيه - كما توهمه القائلون بالنسخ - كانت الآيه الثانيه مخصصه للآيه الأولى ، ويكون حاصل معنى الآيتين جواز نكاح الكتابيه دون المشركه نعم المعروف بين علماء الشيعه الاماميه أن نكاح الكتابية لا يجوز الا بالمتعه اما لتقييد اطلاق آية الاباحه بالروايات الداله على تحريم النكاح الدائم ، واما لدعوى ظهور الآيه الكريمه فى المتعه دون العقد الدائم ، ونقل عن الحسين والصدوقين جواز الدائم ايضا " [3]

---

(١) سورة البقرة : من الآيه ٢٢١ (٢) سورة المائدة : من الآيه ٥

(٣) البيان فى تفسير القرآن : ابو القاسم الخوئى جـ ١ ص ٣٠٦ - ٣٠٧

وهذا محمد حسين الطباطبائي أيضا يقول بجواز نكاح الكتابيه في تفسيره لقوله تعالى " ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن " [(١)] بعد أن بين بيانا فيه طول أن لفظ المشركين في القرآن غير ظاهر الاطلاق على أهل الكتاب قال بعد ذلك " فقد ظهر من هذا البيان على طوله : ان ظاهر الاطلاق الآيه أعني قوله تعالى : ولا تنكحوا المشركات ، قصر التحريم على المشركات والمشركين من الوثنيين دون أهل الكتاب .

ومن هنا يظهر : فساد القول بأن الآيه ناسخه لآيه المائدة ، وهي قوله تعالى : " اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم " الآيه . [(٢)]

أو أن الآيه أعني قوله تعالى : " ولا تنكحوا المشركات ، وآية الممتحنه أعني قوله تعالى " ولا تمسكوا بعصم الكوافر " [(٣)] ناسختان لآيه المائدة ، وكذا القول بأن آية المائدة ناسخه لآيتي البقره والممتحنه .

وجه الفساد :- أن هذه الآيه أعني آية البقره بظاهرها لا تشمل أهل الكتاب وآية المائدة لا تشمل الا الكتابيه فلا نسبة بين الآيتين بالتنافي حتى تكون آية البقره ناسخه لآية المائدة أو منسوخه بها ، وكذا آية الممتحنه ، وان أخذ فيها عنوان الكوافر وهو أعم من المشركات ويشمل أهل الكتاب ، فان الظاهر ان اطلاق الكافر يشمل الكتابي بحسب التسميه بحيث يوجب صدقه عليه انتفاء صدق المؤمن عليه كما يشهد به قوله تعالى " من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله

---

(١) سورة البقرة : من الآيه ٢٢١
(٢) سورة المائدة : من الآيه ٥
(٣) سورة الممتحنه : من الآيه ١٠

عـد و للكافريـــن " [1] الا أن ظاهر الآيـه ـ كما سيأتى ـ ان شاء اللـه العزيز أن من آمـن من الرجال وتحتـه زوجـة كافـره يحرم عليـه الامســاك بعصمتها أى ابقائها على الزوجيه السابقـه الا أن تؤ مـن فتمسـك بعصمتها فلا د لالـة لها على النكاح الابتد ائـى للكتابيـة .

ولـو سلم د لالـة الآيتـين أعنى : آيـة البقره ، وآيـة الممتحنـه على تحريـم نكاح الكتابيـه ابتد ائيـا لم تكونا بحسب السياق ناسختـين لآيـه المائـد ه وذلك لأن آيـة المائـد ة وارد ة مورد الامتنان والتخفيـف ، علـى ما يعطيـه التد بـر فى سياقها ، فهى آبيـة عن المنسوخيه بل التخفيـف المفهوم منها هو الحاكم على التشد يد المفهـوم من آيـة البقره ، فلـو بنى على النسخ كانت آيـة المائـد ة هى الناسخـه .

على أن سورة البقرة أول سورة نزلت بالمد ينه بعد الـهجره ، وسـورة الممتحنـه نزلت بالمد ينه قبل فتح مكه ، وسورة المائد ة آخر سورة نزلـت على رسول اللـه ناسخـه غير منسوخـه ولا معنى لنسخ السابق اللاحق ". [2]

الحجـاب :

والحجاب كما قلنا متفـق على وجوبـه بين المسلمين ولكن اختلفوا فـى حد ود ه وهذا محمد جواد مغنيـه يقـول فى تفسـير قولـه تعالى " ولا يبد ين زنتهـن الا ما ظهر منها " [3] والمراد بالزينـه هنا موضعها لان الزينـه بما هى لايحرم النظـر اليها ، والمراد بالظاهـر من موضع الزينه الوجـه والكفـان فقط ، وقد استد ل الفقهاء بهـذ ه الآيـه على وجوب الحجاب ، وأن جميع بد ن المرأه عوره الا ماستثنى منه أى الوجه والكفين ، فقد سئل الامام

---

(١) سورة البقرة : من الآيـه ٩٨
(٢) الميزان فى تفسير القـرآن : محمـد حسين الطباطبائـى جـ ٢ ص ٢٠٣ - ٢٠٤
(٣) سورة النـور : من الآيـه ٣١

جعفر الصادق (ع) عن الذراعين :-
هل هما من الزينه التى قال الله عنها : ولا يبدين زينتهن ؟ فقال نعم وما دون الوجه والكف من الزينه أى المحرمه وفي أحكام الآيات للجصاص أحد أئمة الأحناف : والمراد بما ظهر الوجه والكفان " وفى تفسير الرازى الشافعى : " اتفقوا على أن الوجه والكفين ليسا بعوره" (١)

وقال فى تفسير قوله تعالى " ياأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن " الآيه (٢) " ان قوله تعالى : " يدنين عليهن من جلابيبهن " عام يشمل الستر والحجاب لجميع أجزاء البدن بما فيه الرأس والوجه ويؤيد هذا الشمول قوله سبحانه " ذلك أدنى أن يعرفن فلايؤذين " فقد كانت المسلمات فى أول الاسلام يخرجن من بيوتهم سافرات متبذلات على عادة الجاهليه فطلب سبحانه من نبيه الكريم في هذه الآيه أن يأمرهن بالستر والحجاب والأمر يدل على الوجوب فيكون الحجاب واجبا ... أجل ، لقد خرج من هذا العموم الوجه والكفان لقوله تعالى " ولا يبدين زينتهن الا ماظهر منها " (٣) (٤) .

وأما محمد حسين الطباطبائى فقال فى تفسير آية الاحزاب :
وأما قوله " ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها ، فالابداء الاظهار ، والمراد بنزينتهن مواضع الزينه لان نفس مايتزين به كالقرط والسوار ولا يحرم ابداؤها فالمراد بابداء الزينه ابداء مواضعها من البدن .

---

(١) التفسير الكاشف : محمد جواد مغنيه جـ ٥ ص ٤١٥
(٢) سورة الاحزاب : من الآيه ٥٩
(٣) التفسير الكاشف : محمد جواد مغنيه جـ ٦ ص ٢٤٠
(٤) سورة النور : ٣١

وقد استثنى الله سبحانه منها ما ظهر ، وقد وردت الرواية أن المراد بما ظهر منها الوجه والكفان والقدمان كما سيجئ ان شاء الله " (١)

وقد أورد الطباطبائي في البحث الروائي عدد من رواياتهم في تحديد حجاب المرأه منها قوله " وفيه - الكافي - باسناده عن مروك بن عبيد عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : ما يحل أن يرى من المرأه اذا لم يكن محرما ؟ قال : الوجه والكفان والقدمان .

أقول ورواه في الخصال عن بعض أصحابنا عنه عليه السلام ولفظه الوجه والكفين والقدمين .

وفي قرب الاسناد للحميري عن علي بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام قال : سألته عن الرجل ما يصلح له أن ينظر اليه من المرأه التي لاتحل له ؟ قال : الوجه والكف وموضع السوار" (٢)

هذا ما قاله محمد حسين الطباطبائي وذاك ما قاله محمد جواد مغنية ومن هذه النصوص عنهما يتضح أنهما يريان أن المستثنى من الزينه التي لا يصح أن ينظر اليها الرجل الأجنبي هما الوجه والكفين وزاد الطباطبائي القدمين وقد سبق بيان آراء اصحاب المذاهب الأربعه أهل السنه والجماعه بما يغنيني من مناقشة أدلتهما والرد عليهما وبما يثبت الحق ان شاء الله فأنظر وعند حديثنا عن تفسير آيات الأحكام للشيخ محمد علي الصابوني .

---

(١) الميزان في تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائي جـ ١٥ ص ١١١

(٢) المرجع السابق : جـ ١٥ ص ١١٦

ارث الأنبياء :

والشيعه خلاف أهل السنه والجماعه فى أن الأنبياء عليهم السلام يورثون ويستدلون بما حكاه الله سبحانه وتعالى من دعاء زكريا عليه السلام " فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا " [1] .

وقد أفاض محمد حسين الطباطبائى فى تفسير هذه الآيه على مذهب الشيعه فقال " والمراد بالوراثه وراثة ما تركه الميت من الأموال وأمتعة الحياه وهو المتبادر الى الذهن من الارث بلا ريب اما لكونه حقيقة فى المال ونحوه مجازا في غيره كالارث المنسوب الى العلم وسائر الصفات والحالات المعنويه واما لكونه منصرفا الى المال ان كان حقيقة فى الجميع فاللفظ على أى حال ظاهر في وراثة المال ويتعين بانضمامه الى الولي كون المراد به الولد ، ويزيد فى ظهوره في ذلك قوله قبل " وانى خفت الموالي من ورائى " [2]

ثم بدأ السيد الطباطبائى يرد على بعض الأقوال التى فسرت الارث بارث النبوه أو ارث العلم أو ارث التقوى ردّ على القول منها بقوله : " يدفعه ما عرفت آنفا أن الذى دعاه عليه السلام الى هذا الدعاء والمسأله هو ما شاهده من مريم ، ولا خبر فى ذلك عن النبوه ولا أثر فأى رابطة بين أن يشاهد منها عبارة وكرامه فيعجبه ذلك وبين أن يطلب من ربه ولدا يرثه النبوة ؟ .

على أن النبوة مما لا يورث بالنسب وهو ظاهر ولو أصلح ذلك بأن المراد بالوراثه مجرد اتيان نبى بعد نبى أو ظهور نبى من ذرية نبى بنوع

---

(١) سورة مريم : ٥ ، ٦
(٢) الميزان فى تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائى جـ ١٤ ص ١١

من العنايه مجازا ظهر الاشكال من جهة أخرى وهي عدم ملاءمة ذلك قوله بعد : " واجعله رب رضيا ، اذ لامعنى لقول القائل : هب لى من لدنك ولدا نبيا واجعله رضيا ، ولو حمل على التأكيد كان من تأكيد الشيء بما هو دونه ، وكذا احتمال أن يكون المراد بالرضى المرضى عند الناس لمنافاته اطلاق المرضي كما تقدم مع عدم مناسبته لداعيه كما مر " (١)

وقد استطرد بعد ذلك في ردود أخرى على أقوال أخرى بما يطول نقله أو الاشارة اليه فيكفى منه ما نقلناه .

وأن أردت الحق فى هذه المسأله فانظر بيانه فيما نقلناه من تفسير الشيخ الشنقيطى فى أول هذا المبحث .

قطع يد السارق :

وهذا أيضا من مسائل الخلاف في الأحكام الفقهيه بين أهل السنه والجماعه وبين الشيعة ، فقد اتفقت المذاهب الأربعة الاسلامية على أن اليد تقطع من مفصل الكف ، أما الشيعه فلهم رأى آخر .

قال محمد جواد مغنيه فىتفسير قوله تعالى " السارق والسارقه فاقطعوا أيديهما " (٢) الآيه : ـ " أما كيفية القطع فقد اتفقت المذاهب الأربعه على أن الكف اليمنى من المفصل . وقال الامامية : تقطع أصابعه الأربعه من الكف اليمنى وتترك الراحه والابهام " (٣)

أما الطباطبائى فقد اختصر الحديث هنا على غير عادته فيما نقلناه عنه من أحكام بل قد جاءت عبارته مجمله محتمله حيث قال " واليد مادون

---

(١) المرجع السابق : جـ ١٤ ص ١١
(٢) سورة المائدة : من الآيه : ٣٨
(٣) التفسير الكاشف : محمد جواد مغنيه جـ ٣ ص ٥٥

المنكب والمراد بها في الآيه اليمين بتفسير السنه ، ويصدق قطع اليد بفصل بعض أجزائها أو جميعها عن البدن بآله قطاعه" (1)

وكلامه هذا مجمل تدخل تحته كل الأقوال التي قيلت من أن القطع من الكتف أو من المرفق أو من الكف أو أربعة أصابع بل يدخل فيه ما لم يقل به أحد وهو قطع بعض الأصبع .

وأعيدك مرة أخرى الى تفسير أهل السنه والجماعه معدن الحق ومنهله لتعرف هناك صحيح القول من سقيمه أعادنا الله واياكم من سقمه .

تلكم أمثله قليله من آراء الفقه الشيعي المسمى بالفقه الجعفري اقتصرت فيما أوردت من الخلاف بين فقههم وفقه أهل السنة على ما ورد في القرآن الكريم بل بعض ما ورد أما باقي الخلاف وأكثره ففي آيات أخرى وفي مواضع لم يرد دليلها من الكتاب ، وهي اختلافات كثيره جعلت الفقه الجعفري فقها غير معترف به عند العلماء المعتبرين .

وأذكر في هذه المناسبه واقعة جرت في رابطة العالم الاسلامي حينما قدم مندوب ايران طلبا باعتراف الرابطه بالمذهب الجعفري ومعه وثيقة من بعض الجهات العلميه ذات الوزن الكبير (!!) تؤيده على دعواه وتجيبه الى طلبه فان قبلوا طلبه دخلوا مأزقا وان رفضوه واجهوا حرجا فاقترحوا أن يتولى الأمر الشيخ محمد الامين الشنقيطي رحمه الله تعالى وكان حينذاك عضوا في المجلس التأسيسي للرابطه ، فعقدت جلسه خاصة لذلك فقال رحمه الله في هذا المجلس : لقد اجتمعنا للعمل على جمع شمل المسلمين والتأليف بينهم وترابطهم أمام خطر

---

(1) الميزان في تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائي جـ ٥ ص ٣٢٩

عدوهم ونحن الآن مجتمعون مع الشيعه فى أصول هي :-

الاسلام دين الجميع ، والرسول محمد صلى الله عليه وسلم رسول الجميع ، والقرآن كتاب الله ، والكعبة قبلة الجميع ، والصلوات الخمس وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام ، ومجتمعون على تحريم المحرمات من قتل وشرب وزنا وسرقه ونحو ذلك ، وهذا القدر كاف للاجتماع والترابط وهناك أمور نعلم جميعا أننا نختلف فيها وليس هذا مثار بحثها ، فان رغب العضو الايراني بحثها واتباع الحق فيها فليختر من علمائهم جماعه ونختار لهم جماعه ويبحثون ما اختلفنا فيه ويعلن الحق ويلتزم به أو يسحب طلبه الآن ، فأقر الجميع قوله رحمه الله تعالى وسحب العضو طلبه .(1)

وما أجمل أن نختم حديثنا عنهم وعن فقههم بهذه الحادثه .

---

(1) انظر ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى الملحقه فى آخر الجزء التاسع من تفسيره أضواء البيان ، ص ٥٠ - ٥١

ثالثا : الفقه الأباضي :

لا يكاد الباحث يجد من فارق كبير بين الفقه الأباضي وفقه المذاهب الأربعه عند أهل السنه والجماعه الا النادر والا مثل ما يقع بين مذهب وآخر منها .

وقد ذكر الشيخ أبو الربيع سليمان البارونى من الأباضيه بعض أوجه الخلاف بين أهل السنة والجماعة ، والأباضيه فى مسائل العقيده وعقب على ما ذكر قائلا " وما عدا ما تقدم فالخلاف فيه سواء في العبادات والمعاملات شأنه شأن الخلافات الواقعه بين المذاهب الاربعه فما تجده سائغا عند الأباضيه والمالكيه قد تجده ممنوعا عند الحنفيه والشافعيه مثلا والعكس وهكذا فى أغلب المسائل" (١)

وقد نظرت فى بعض الخلافات ولم أجد من فارق اللهم الا المسح على الخفين اذ يرى أهل السنة والجماعة أنه متواتر عن الرسول صلى الله عليه وسلم والا أن الأباضيه لا يقولون به وما عدا هذا فيما اطلعت لا يكاد يذكر .

ولذا فاني أقتصر على بعض الأمثله على تفسيرهم لبعض ما ورد من آيات الأحكام .

وكما كانت دراستى عن منهج الأباضيه فى التفسير معتمدة على تفسيرين للشيخ محمد بن يوسف إطفيش لعدم وجود سواهما فان الأمر كذلك هنا .

---

(١) مختصر تاريخ الأباضيه : أبو الربيع سليمان البارونى ص ٦٩

الامثلـــه :

مســح الرجلـــين :

وفرضهما فى الوضوء ورد في قوله تعالى " وامسحوا برؤ وسكـم وأرجلكـم الى الكعبين " (١) قال الشيخ اطفيش في تفسيرها " وأرجلكم" عطف على وجوه أو أيدى فهي مغسوله كما جاءت بـه السنه وعمل الصحابـه وهو قول الجمهور وكما جاء الحد بقوله عز وجل " الى الكعبين " ولـم يجىء في المسح الحد ، وساغ الفصل بين المتعاطفين بجمله غـير معترضه وهي فاغسلوا للايماء الى تقليل صب الماء حتى كأنها تمسـح كالرأس لأنها مظنة الاسراف فى الماء الى الآن ، والى الترتيب وجوبا أو ندبا ولو كانت الواو لا تفيده لكن يستفاد بذكرها بعد والترتيب يفـاد بالذكر اذا لم يكن مانع كما يفاد بحرفه كالفاء قال صلى الله عليـه وسلم فى السعي أبدأ بما بدأ اللـه بـه ولولا قصد الترتيب لم يفصـل بالرأس وليس واجبا عندنا وعند أبى حنيفه . . . . ثم انها ان كانـت تمسح فقد نسخ مسحها بالحديث قال عطاء واللـه ما علمت أحد مـن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على القدمين عن عائشـه رضى الله عنها لأن تقطعا أحب الى من تمسحا " (٢) .

ولعل هناك صلة بين شدة انكارهم المسح الرجلين فى الوضـوء ، وانكارهم لمسح الخفين . الا أن الشيخ اطفيش لم يتناول الأخير فـى تفسيره .

---

(١) ســورة المائــدة : من الايـه ٦

(٢) تيسـير التفسـير : محمد بن يوسـف إطفيـش (الطبعـه الاولـى) جـ ٢ ص ٣٠ - ٣١

نكاح الكتابيات :

أما نكاح الكتابيه فانهم فرقوا بين الحربيه والذميه فحرموا الأولى منهن قال الشيخ فى تفسير قوله تعالى " ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن " (١) " ولو كتابيات ذميات ، جروا على تحريم الكتابيات الذميات كغيرهن ثم نسخ تحريمهن بقوله تعالى " والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب " (٢) وبقيت الكتابيات المحاربات وسائر المشركات على التحريم ولو اقترنت الآيتان لقلت ان ذلك تخصيص للعموم ، كما شهر فى المذهب وعند الشافعيه من أن ذلك من تخصيص العام ، ومن جواز تأخير دليل الخصوص فى العموم ، لو كانت مقارنه بين العام والخاص ولك أن تقول لا نسخ ولا تخصيص ، بل المشركات في الآيه غير الكتابيات لأنه كثر فى القرآن مقابلة المشركات بالكتابيات كقوله تعالى " لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين " (٣) ولو كان أهل الكتاب أيضا مشركين لقوله سبحانه " عما يشركون " (٤) وأجاز بعض قومنا نكاح الحربيات الكتابيات والمحصنات من الذين اوتو الكتاب وليس بشئ ، ونص بن عباس على المنع وهو الصحيح ". (٥)

وقد أكد هذا المنع فى تفسيره لآية المائدة فقال " ولا تحل الحربيه ولو حره عندنا وهو قول ابن عباس لبعد شأنها ولأن التزوج بر وقد قال الله جل وعلا " انما ينهاكم الله " (٦) الخ وقال الله

---

(١) سورة البقرة : من الآيه ٢٢١
(٢) سورة المائدة : من الآيه ٥
(٣) سورة البينه من الآية الاولى .
(٤) سورة التوبه : من الآيه ٣١
(٥) تيسير التفسير : محمد بن يوسف اطفيش ج ١ ص ٣٣٥
(٦) سورة الممتحنه من الآيه : ٩

عـز وجل " لاتجـد قومـــا "[1] الخ وقـال " ومـن آياتـه أن خلق لكـم من أنفسكـم أزواجـا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمــة " [2] وكيـف يكون الود والرحمه للكافره ، ويستثنى من ذلك الحب الممنوع مقدار مخصوص للكتابيه التى ليست محاربه فيجوز في حقها لها على متزوجها .... وذهب بعض الى أن هؤلاء الآيات تفيد الكراهـه فقط وعن الشافعى كراهـة تـزوج الحـره الكتابيـه المحاربـه ، وأباحـها الشافعيـه " [3]

الاصبــاح على جنابــه :

وعند الأباضية أنه يجب الكف عن الجماع قبل وقت الامساك بوقـت كاف للغسـل فان أصبح جنبا فقد أفطر وقد أشـار الى ذلك اشارة سريعـه الشيخ اطفيـش عند تفسيره لقولـه تعـالى " وكلوا واشربوا حتى يتبين لكـم الخيط الابيض من الخيط الأسود من الفجر" [4] فقال " (حتى) غايـة للأكل والشرب لا لـهما وللجماع لقولـه صلى اللـه عليه وسلم من أصبح جنبـا أصبح مفطـرا ، [5] فيجـب الكف عنه اذا لم يبق ما يتطـهر فيـه " [6]

هذه بعض الأمثله على تفسير آيات الأحكام عند الشيخ محمد بن يوسف اطفيـش وان كنت قد اكتفيت بالقليـل فمرجع ذلك الى ضيـق مجال الخـلاف بيننـا وبينهـم فى الأحكام الفقهيـه وانما ينحصـر الخـلاف الكبير فى بعــض العـقائـد وقد سبق تناولنـا لـهذا الخلاف فى موضع آخر ليس هذا محله .

---

(١) سورة المجادلة : من الآيــه ٢٢
(٢) سورة الروم : من الآيــــه ٢١
(٣) تيسـير التفسـير : محمـد يوسـف اطفيـش (الطبعه الاولى) جـ ٢ صـــ ٢٥
(٤) سورة البقرة : من الآيـه ١٨٧
(٥) ابن ماجـه كتاب الصيام جـ ١ ص ٥٢٠
(٦) تيســير التفســير : محمد بن يوســف اطفيـش جـ ١ ص ٢٧٣

وبنهاية حديثي عن تفسير آيات الأحكام عند الأباضيه ينتهي حديثنا عن تفسير آيات الأحكام في العصر الحديث .

ولا أحسبني بحاجه الى ابداء الرأى فيه فقد ذكرت رأيي في كل منهج من هذه المناهج عند ذكره وتناول أمثلته ، وما لم أناقشه من الآراء الفقهيه عند الشيعه أو الأباضيه فانما فعلت ذلك اكتفاءا بذكرى تفسير أهل السنة له في موضعه اذ هو المقياس الصحيح وبالله التوفيق ..

الباب الثانى

الاتجاهات العلمية في التفسير

الفصل الثانى

المنهج الأثري في التفسير

المـراد بـــه :

نقصد بالمنهج الأثرى فى التفسير ما يعرف بالتفسير بالمأثور وقد اتفق أهل التفسير الآ فيما ندر على أن المراد به : -

ما جاء فى القرآن الكريم نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته وما نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما نقل عن أصحابه رضى الله عنهم من ذلك ،واختلفوا فيما نقل عن التابعين رحمهم الله تعالى هل هو من التفسير بالمأثوز أو من التفسير بالرأى .

ومما لا شك فيه أن أصح طرق التفسير تفسيرالقرآن بالقرآن ثم تفسيره بالسنه ثم تفسيره بأقوال الصحابه والى هذه الدرجات ينقسم التفسير بالمأثور .

وقد أولى علماء التفسير من السلف التفسير بالمأثور بأنواعه السالفه عناية كبيرة فأوردوا فى تفاسيرهم الكثير والكثير منها وزادوا عليه أحيانا ببيان آرائهم بالترجيح فيما فيه احتمال .

وليس من الحق الاعتقاد بأن التصنيف فى التفسير بالمأثور عمل آلى ليس لصاحبه من عمل فيه الآ النقل ، بل ان هذا النوع من التفسير يحتاج الى جهد من المفسر وجهد من القارئ للتفسير لتحرى مذهب المفسر جهد من المفسر ليجمع حول الآية " ما يرى " انها متجهة اليه فيقصد الى " ما يتبادر الى ذهنه" من معناها وتحت هذا التأثير قد يقبل مرويا ويعنى به ولو لم يكن صحيحا ويرفض مرويا حين لا يرتاح اليه ،وجهد من القارئ لاستشفاف مذهب المفسر وآرائه وتحرى الآثار التى رفضها المفسر لعدم موافقتها له . ومن ثم كان التفسير المأثور لصاحب الرأى من

أخطر التفاسير حيث أن المفسر بالرأى ينص على رأيه صريحا بينما ذو الرأى المفسر بالمأثور يلبس آراءه ثوب المأثور فيخدع به من لا يعرف صحيحه من ضعيفه .

ولا يقلل هذا بحال من الأحوال من قيمة التفسير بالمأثور اذ المراد بثناء العلماء ما صح من التفسير بالمأثور وليس دونه .

وليس من شأننا هنا بحث هذا النوع من التفسير والتوسع فيه . فذلك شأن آخر لا يعنينا هنا . ما دام الاتفاق على تقديمه قائم وعلى فضله دائم ، فلننظر فى تفاسير القرن الرابع عشر الهجرى ولننظر موقعها من هذا التفسير .

التفسير بالمأثور فى القرن الرابع عشر الهجرى :

مما يؤسف له ويحز فى النفس أنى لم أكد أجد من يعنى بهذا النوع من التفسير ويوليه جل اهتمامه من مفسرى القرن الرابع عشر الهجرى " وحاشا أن أسىء بهم الظن فأعتقد أنهم ينكرونه ، وحاشا أن أسىء الظن بعلمهم فأظنهم لا يدركونه .

وان التمست لهم عذرا بعد ذلك فلا أظنه الا أنهم اكتفوا من التفسير بالمأثور بمعانيه عن ألفاظه ونصوصه فان عرضت لهم آية من القرآن يفسرونها ذكروا التفسير من غير أن يذكروا الآية المفسّرة ، أو ذكروه من غير ذكر الحديث الصحيح فيه .

والذى يجعلنى أجزم جزما بقيمة هذا النوع من التفسير عند مفسرى القرن الرابع عشر حرص بعضهم على وصف تفاسيرهم به بل اشتقاق أسمائها منه فهذا الشيخ محمد الأمين الشنقيطى رحمه الله تعالى يسمى تفسيره أضواء البيان فى ايضاح القرآن بالقرآن ، وأحسبه

اسما على مسمى .

بل تعلق بهذه التسميه من لم يلتزمها ولا يقصد التزامها فهذا الأستاذ عبدالكريم الخطيب يسمى تفسيره " التفسير القرآنى للقرآن " . وهو كما يقول فى مقدمة تفسيره لم يكتب فيه الا ما وقع فى مشاعره (!!) من صور العجب والدهش والروعة عند ما يرتل آيات الله ترتيلا ..

وتعلق بهذه التسمية من ادعاها لدس آراء مختلقة وتلبيسها هذا اللباس المحبب الى المؤمنين فهذا محمد الصادقى من مفسرى الشيعة يسمى تفسيره " الفرقان فى تفسير القرآن بالقرآن والسنه " .

بل وقد تعلق بهذه التسميه أحد الملحدين فى هذا العصر واتخذ من هذه التسميه ستارا لالحاده وكفره يحسب أنه يخدع بهذا المؤمنين فهذا محمد أبوزيد يسمى تفسيره بل الحاده " الهدايه والعرفان فى تفسير القرآن بالقرآن " .

قصدت من هذا بيان أن التفسير بالمأثور ليس شعارا يتخذ بل هو مضمون يلتزم ، وقصدت أن أبين منزلة هذا النوع من التفسير - أعنى التفسير بالمأثور - عند المعاصرين حتى التزمه أهل الحق وأدعاه أهل الضلال والالحاد .

ثم أنى نظرت فيما بين يدى من التفاسير فى القرن الرابع عشر فوجدت أكثرها اهتماما بالتفسير بالمأثور هما : -

١- أضواء البيان فى ايضاح القرآن بالقرآن .
للشيخ محمد الأمين الشنقيطى .

٢- الموجز فى تفسير القرآن الكريم " المصفى " الجامع بين صحيح المأثور وصريح المعقول "

تأليف المستشار محمد رشدى حمادى .

ولذا فانى آثرت أن أفرد كلا منهما بدراسة موجزة : -

أولا : أضواء البيان فى ايضاح القرآن بالقرآن :

أما المؤلف : فهو الشيخ محمد الأمين الشنقيطى ،

وقد سبقت ترجمته .

أما الكتاب :

فهو هو أضربه مثلا مرة أخرى ولكن للتفسير بالمأثور هنا . وما ذنبى اذا كان المؤلف رحمه الله تعالى التزم مذهب أهل السنه والجماعة فضربته لهم مثلا ، وما ذنبى اذا كان رحمه الله قد برع فى تفسير آيات الأحكام فاقتبست من تفسيره لها أمثلة للتفسير الصحيح ، وما ذنبى ثالثة اذا كان رحمه الله قد برّز على أقرانه فى التفسير بالمأثور فكان بحق امام المفسرين فى القرن الرابع عشر .

فهل يشفع لى ان ذكرته وشكرته فى جانب أن أغمطه حقه فى جانب آخر لا أظن هذا ولا يخطر لى ببال ،كيف وهو قد صرح فى مقدمة تفسيره تصريحا لا لبس فيه أن من أهم المقصود بتأليفه أمران : -

أحدهما : بيان القرآن بالقرآن لاجماع العلماء على أن أشرف أنواع التفسير وأجلها تفسير كتاب الله بكتاب الله . اذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله جل وعلا من الله جل وعلا "[1] .

ثم شرح الطريقة التى التزمها فى هذا النوع من التفسير

---

(١) أضواء البيان فى ايضاح القرآن بالقرآن : محمد الأمين الشنقيطى جـ١ ص ٣

بقوله " وقد التزمنا أنا لا نبين القرآن الا بقرآءه سبعيه ، سواء كانت قرآءه أخرى فى الآية المبينة نفسها ،أو آية أخرى غيرها ، ولا نعتمد على البيان بالقرآءات الشاذه وربما ذكرنا القرآءة الشاذه استشهادا للبيان بقرآءه سبعيه ،وقرآءه أبى جعفر ويعقوب وخلف ليست من الشاذ عندنا ولا عند المحققين من أهل العلم بالقرآءات " (١) .

وذكر أن الأمر الثانى من مقصوده فى هذا التفسير بيان الأحكام الفقهية . فاذا كان مقصوده بيان القرآن وتفسير آيات الاحكام ، فهو بلا شك مثال صحيح لهذين المنهجين فى التفسير واذا كان قد التزم فيها بمذهب أهل السنة والجماعة لم يحد عنه فهو مثال أيضا يجب اعتباره .

أمثلة من تفسيره :

ذكرنا آنفا أن التفسير بالمأثور على ثلاثة طرق أصحها تفسير القرآن بالقرآن ثم بالسنه ثم بأقوال الصحابة . وعلى هذه الطرق الثلاثة سيكون سيرنا باذن فى هذا التفسير المبارك .

أولا : تفسير القرآن بالقرآن :

وهذا النوع من التفسير هو الذى أبرزه المؤلف فى تفسيره وأعتنى به عناية كبيرة ،بل أفرده بدراسة قيمة فى مقدمة تفسيره لا أحسبك تجدها بهذا الجمع والترتيب عند سواه ولولا أنه ذكر من أنواع بيان القرآن بالقرآن أكثر من عشرين نوعا فى أكثر من عشرين صفحة لسقتها لك بحذافيرها فهى الكنز عليك به من معدنه

---

(١) أضواء البيان فى ايضاح القرآن بالقرآن : محمد الأمين الشنقيطى جـ ١ ص ٣

وتعجب حين تقرأ له بعد أن عدد هذه الأنواع قوله :

" واعلم - وفقنى الله واياك لما يحبه ويرضاه - أن هذا الكتاب المبارك - يعنى تفسيره - تضمن أنواعا كثيرة جدا من بيان القرآن بالقرآن غير ما ذكرنا تركنا ذكر غير هذا منها خوف اطالة الترجمة ، والمقصود بما ذكرنا من الأمثلة مطلق بيان كثرة الأنواع التى تضمنها واختلاف جهاتها - وفى البعض تنبيه لطيف على الكل - والغرض أن يكون الناظر فى الترجمه على بصيره مما يتضمنه الكتاب فى الجملة قبل الوقوف على جميع ما فيه "[1] .

ولذا فلا تثريب علىّ أن ذكرت بعض الأمثلة لبعض الأنواع التى جاءت فى تفسيره رحمه الله تعالى فهى أنواع كثيرة وأمثلة أكثر ، فمن ذلك :

بيان الاجمال :

وقد ذكر رحمه الله تعالى فى مقدمة تفسيره أن الاجمال يكون بسبب الاشتراك سواء كان الاشتراك فى اسم أو فعل أو حرف.

ومن الاشتراك فى اسم قوله تعالى " وليطوفوا بالبيت العتيق"[2]

قال رحمه الله تعالى فى ذلك : " فى المراد بالعتيق هنا للعلماء ثلاثة أقوال :

الأول : أن المراد به القديم ،لأنه أقدم مواضع التعبد .

الثانى : أن الله أعتقه من الجبابره .

الثالث : أن المراد بالعتق فيه الكرم ، والعرب تسمى القديم

---

(١) أضواء البيان : محمد الأمين الشنقيطى جـ١ ص ٢٦

(٢) سورة الحج : من الآية ٢٩

عتيقا وعاتقا ومنه قول حسان رضى الله عنه .

كالمسك تخلطه بماء سحابة ∴ أو عاتق كدم الذبيح مدام

لأن مراده بالعاتق الخمر القديمه التى طال مكثها فى دنها زمنا طويلا وتسمى الكرم عتقا ومنه قول كعب بن زهير .

قنواء فى حرتيها للبصير بها ∴ عتق مبين وفى الخدين تسهيل

فقوله عتق مبين : أى كرم ظاهر ومنه قول المتنبى :

* ويبين عتق الخيل فى أصواتها *

أى كرمها ، والعتق من الجبابره كالعتق من الرق ، وهو معروفا .

واذا علمت ذلك فاعلم : أنه قد دلت آية من كتاب الله على أن العتيق فى الآية بمعنى : القديم الأول وهى قوله تعالى " ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا " الآية مع أن المعنيين الآخرين كلاهما حق ، ولكن القرآن دل على ماذكرنا وخير ما يفسر به القرآن بالقرآن "[1] .

وقد يكون الاجمال بسبب ابهام فى اسم جنس جمعا كان أو مفردا أو اسم جمع أو صلة موصول أو معنى حرف .

ومثال الاجمال بسبب الابهام فى اسم جنس مجموع : قوله تعالى " فتلقى آدم من ربه كلمات "[2] قال رحمه الله تعالى فى ذلك " لم يبين هنا ما هذه الكلمات ولكنه بينها فى سورة الأعراف بقوله " فالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين "[3] [4] .

---

(١) أضواء البيان : محمد الأمين الشنقيطى جـ٥ ص٦٨٦-٦٨٧

(٢) سورة البقرة : من الآية ٣٧

(٣) سورة الاعراف : من الآية ٢٣

(٤) أضواء البيان : محمد الأمين الشنقيطى جـ١ ص ٦٣

ومثال الاجمال بسبب الابهام فى اسم جنس مفرد قوله تعالىٰ : " وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا " الآيــــة[1] . قال رحمه الله تعالى فى تفسيرها " لم يبين هنا هذه الكلمة الحسنى التى تمت عليهم ولكنه بينها فى القصص بقوله : " ونريد أن نمـــن على الذين استضعفوا فى الأرض ، ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الأرض ونُري فرعون وهامان وجنود هما منهم ما كانـــوا يحذرون "[2] [3] .

ومن أمثلة هذا النوع أعنى أن يكون الاجمال بسبب الابهـــام فى اسم جنس مفردا ، قوله تعالى : " ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين "[4] قال رحمه الله تعالى " فقد بينها بقوله" ولكن حـــق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين "[5] ونحوها مـــن الآيات "[6] .

ومثال الاجمال بسبب الابهام فى اسم جمع قوله تعالـــى : " وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربهـــا" الآية[7] . قال رحمه الله تعالى فى تفسيرها " لم يبين هنا من هؤلاء القوم ولكنه صرح فى سورة الشعراء بأن المراد بهم بنو اسرائيل لقوله: فى القصة بعينها " كذلك وأورثناها بنى اسرائيل "[8] الآية ، وأشـــار الى ذلك هنا بقوله بعده " وتمت كلمة ربك الحسنى على بـــنى اسرائيل "[9] الآية "[10]

---

(١) سورة الاعراف : من الاية ١٣٧
(٢) سورة القصص : الآيتين ٥-٦
(٣) أضواء البيان : محمد الأمين الشنقيطى جـ٢ ص ٢٩٧
(٤) سورة الزمر : من الاية : ٧١ (٥) سورة السجدة : من الآية ١٣
(٦) اضواء البيان : للشنقيطى جـ١ ص ٨ (٧) سورة الاعراف : من الآية ١٣٧
(٨) سورة الشعراء : من الآية ٥٩ (٩) سورة الاعراف : من الآيـة ١٣٧
(١٠) أضواء البيان : محمد الشنقيطى جـ٢ ص ٢٩٧

ومثال الاجمال بسبب الابهام في صلة موصول قوله تعالى " صراط الذين أنعمت عليهم " (سورة الفاتحه : ٧) قال رحمه الله تعالى فى تفسيرها " لم يبين هنا من هؤلاء الذين أنعم الله عليهم . وبين ذلك فى موضع آخر بقوله " فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا " (١)

ومثال الاجمال بسبب الابهام فى معنى حرف قوله تعالى" ومما رزقناهم ينفقون" (٢) وقال رحمه الله تعالى فى تفسيرها" عبر فى هذه الآيه الكريمه بمن التبعيضية الدالة على أنه ينفق لوجه الله بعض ماله لا كله ، ولم يبين هنا القدر الذى ينبغى انفاقه ، والذى ينبغى امساكه ، ولكنه بين فى مواضع آخر أن القدر الذى ينبغى انفاقه : هو الزائد على الحاجة وسد الخلة التى لابد منها وذلك كقوله" ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو" (٣) . والمراد بالعفو: الزائد على قدر الحاجة التى لابد منها على أصح التفسيرات وهو مذهب الجمهور " (٤)

ومن أنواع البيان : بيان الاجمال الواقع بسبب احتمال فى مفسر الضمير ومن أمثلته قوله تعالى " وانه على ذلك لشهيد" (٥)

قال رحمه الله تعالى " فان الضمير يحتمل أن يكون عائدا الى الانسان وأن يكون عائدا الى رب الانسان المذكور فى قوله " ان الانسان لربه لكنود" (٥) . ولكن النظم الكريم يدل على عوده الى الانسان وان كان هو الاول فى اللفظ بدليل قوله بعده " وانه لحب الخير لشديد " (٥) فانه للانسان بلا نزاع وتفريق الضمائر بجعل الأول للرب والثانى للانسان لا يليق بالنظم الكريم " (٦)

ومن أنواع البيان : أن يذكر شىء فى موضع ثم يقع سؤال عنه فى موضع آخر كقوله تعالى " الحمد لله رب العالمين " (٧) . قال المؤلف

---

(١) أضواء البيان الشنقيطى جـ ١ ص ٣٥ والآيه من سورة النساء : ٦٩
(٢) سورة البقرة : من الآيه ٣
(٣) سورة البقرة : من الآيه ٢١٩
(٤) أضواء البيان : محمد الشنقيطى جـ ١ ص ٣٨
(٥) سورة العاديات : الآيات ٦ - ٨
(٦) أضواء البيان الشنقيطى جـ ١ ص ٩- ١٠
(٧) سورة الفاتحه : الآيه الاولى .

رحمه الله تعالى " لم يبين هنا ما العالمون وبين ذلك فى موضع آخر بقوله : " قال فرعون وما رب العالمين ؟ قال رب السموات والأرض ، وما بينهما "[1] الآية "[2] .

ومن أمثلته قوله تعالى " مالك يوم الدين "[3] قال رحمه الله تعالى " لم يبينه هنا وبينه فى قوله " وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئا " الآية[4] [5] .

ومن أنواع البيان التى ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى أن يذكر أمر فى موضع ،ثم يذكر فى موضع آخر شىء يتعلق بذلك الأمر، كأن يذكر له سبب أو مفعول أو ظرف مكان أو ظرف زمان أو متعلق .

فمثال ذكر سببه قوله تعالى" ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة "[6] ، قال المؤلف رحمه الله تعالى : " لم يبين هنا سبب قسوة قلوبهم ولكنه أشار الى ذلك فى موضع آخر كقوله " فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية "[7] ، وقوله " فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم "[8] الآية "[9] .

ومن أمثلة المتعلق قوله تعالى " فاذا انشقت السماء فكانت ورده "[10] الآيه وقوله " وانشقت السماء فهى يومئذ واهيه "[11] وقوله " اذا السماء انشقت "[12] فقد ذكر لانشقاقها متعلقا فى الفرقان فى قوله " ويوم تشقق السماء بالغمام "[13] الآية "[14] .

---

(١) سورة الشعراء : من الآيتين ٢٣-٢٤
(٢) أضواء البيان : الشنقيطى جـ ١ ص : ٣٣
(٣) سورة الفاتحة : الآية ٤ (٨) سورة الحديد : من الآية ١٦
(٤) سورة الانفطار : الآيات ١٧-١٩ (٩) اضواء البيان : الشنقيطى جـ ١ ص ١٦
(٥) أضواء البيان : الشنقيطى جـ١ ص ٣٤
(٦) سورة البقرة : من الآية ٧٤ (١٠) سورة الرحمن :من الآية ٣٧
(٧) سورة المائدة : من الآية ١٣ (١١) سورة الحاقة : من الآية ١٦
(١٢) سورة الانشقاق : الاية الاولى (١٣) سورة الفرقان : الآية ٢٥
(١٤) أضواء البيان : محمد الشنقيطى جـ ١ ص ١٥

هـذه بعض الأمثلة الكثيرة جدا والتى وردت فى تفسيره رحمه الله تعالى على أصح طرق التفسير ألا هو تفسير القرآن بالقرآن وهو النوع الأول من التفسير بالمأثور .

تفسير القرآن بالسنه :

أما تفسير القرآن بالسنه ومن أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم فقد أورد رحمه الله تعالى عددا كثيرا منها وهذه بعضها :-

فمن ذلك : تفسيره لقوله تعالى " غير المغضوب عليهم ولا الضالين "[1] ، قال : " قال جماهير من علماء التفسير " المغضوب عليهم " اليهود " الضالون " النصارى . وقد جاء الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث عدى بن حاتم رضى الله عنه "[2] .

وقال فى تفسير قوله تعالى " ثلاثة قروء "[3] ، وأما الذين قالوا الأطهار فاحتجوا بقوله تعالى : " فطلقوهن لعدتهن "[4] " وقالوا عدتهن المأمور بطلاقهن لها الطهر لا الحيض كما هو صريح الآيه . ويزيده ايضاحا قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث ابن عمر المتفق عليه " فان بداله ان يطلقها فليطلقها طاهرا قبل أن يمسها فتلك العدة كما أمره الله "[5] قالوا ان النبى صلى الله عليه وسلم صرح فى هذا الحديث المتفق عليه بأن الطهر هو العده التى أمر الله أن يطلق لها النساء ، مبينا أن ذلك هو معنى قوله تعالى " فطلقوهن لعدتهن " وهو نص من كتاب وسنة نبيه محل النزاع .

---

(١) سورة الفاتحة : من الآية ٧ (٤) سورة الطلاق : الآية الاولى .
(٢) أضواء البيان : محمد الشنقيطى جـ١ ص ٣٧
(٣) سورة البقرة : من الآية ٢٢٨ (٥) البخارى : التفسير جـ٦ ص٦٧ مسلم : الطلاق جـ٢ ص١٠٩٣

قال مقيده عفا الله عنه - الذى يظهر لى أن دليل هؤلاء هذا فصل فى محل النزاع لأن مدار الخلاف هل القرء والحيضات أو الاطهار ؟ وهذه الآيه ،وهذا الحديث ،دلا على أنها الأطهار.

ولا يوجد فى كتاب الله ،ولا سنة نبيه صلى الله عليه وسلم شىء يقاوم هذا الدليل ،لا من جهة الصحه ،ولا من جهة الصراحة فى النزاع ،لأنه حديث متفق عليه مذكور فى معرض بيان معنى آية من كتاب الله تعالى "[1].

وفى تفسير قوله تعالى " أفغير الله تتقون "[2] قال رحمه الله تعالى" أنكر جل وعلا فى هذه الآيه الكريمه على من يتقى غيره لأنه لا ينبغى أن يتقى الا من بيده النفع كله والضر كله لأن غيره لا يستطيع أن ينفعك بشىء لم يرده الله لك ولا يستطيع أن يضرك بشىء لم يكتبه الله عليك " الى أن قال " وقد ثبت فى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال " اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد "[3] ،وفى حديث ابن عباس المشهور" واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشىء لم يضروك الا بشىء كتبه الله عليك ،رفعت الأقلام وجفت الصحف"[4] "[5]

وفى تفسير قوله تعالى " قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم "[6] الآيتين ،قال " وهذا الذى دلت عليه الآيتان من الزجر عن النظر

---

(١) أضواء البيان : محمد الشنقيطى جـ١ ص ١٣٠
(٢) سورة النحل : من الآية ٥٢
(٣) البخارى : كتاب الأذان جـ١ ص٢٠٥ مسلم: كتاب الصلاةجـ١ص٣٤٧
(٤) رواه الامام احمد فى سنده جـ١ ص ٢٩٣ والترمذى فى سننه كتاب القيامه باب ٥٩ جـ٤ ص ٦٦٧
(٥) أضواء البيان : محمد الشنقيطى جـ٣ ص ٢٥٦-٢٥٧
(٦) سورة النور : الآيتين : ٣٠ - ٣١

الى ما لا يحل جاء موضحا فى أحاديث كثيرة .

منها ما ثبت فى الصحيح عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال " اياكم والجلوس بالطرقات ، قالوا يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها ، قال فاذا أبيتم الا المجلس فأعطوا الطريق حقه ، قالوا وما حق الطريق يارسول الله صلى الله عليه وسلم قال غض البصر ، وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر " انتهى .

هذا لفظ البخارى فى صحيحه "[1] وذكر رحمه الله تعالى عددا من الأحاديث غير هذا .

والأمثلة فى تفسيره القرآن بالسنه كثيرة جدا منها ما هو تفسير مبهم ، ومنها ما هو تخصيص للعام ومنها ما هو مقيد لمطلق ومنها ما هو بيان لمعنى أو متعلقه ومنها ما هو بيان أحكام زائده على ما جاء فى القرآن ومنها ما هو بيان للناسخ والمنسوخ ومنها ما هو تأكيد لما جاء فى القرآن ، وغير ذلك .

تفسير القرآن بأقوال الصحابه :

والمؤلف رحمه الله تعالى كثيرا ما يستشهد بالتفسير الصحيح لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكثيرا ما يذكر لتفاسيرهم ، شواهد من آيات القرآن الكريم أو من سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

ففى تفسير قوله تعالى " وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة

---

(١) أضواء البيان : محمد الشنقيطى جـ٦ ص ١٩٠ وانظر البخارى : كتاب المظالم جـ ٣ ص ١٠٣

مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون "[(١)] .

قال رحمه الله تعالى " وقوله " فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون " وقع نظيره قطعا لأهل مكة لما لجّوا في الكفر والعناد ودعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال " اللهم أشدد وطأتك على مضر ، واجعلها عليهم سنين كسنين يوسف "[(٢)] فأصابتهم سنه أذهبت كل شيء حتى أكلوا الجيف والعلهز" وهو وبر البعير يخلط بدمه اذا نحروه " وأصابهم الخوف الشديد بعد الأمن وذلك الخوف من جيوش رسول الله صلى الله عليه وسلم وغزواته وبعوثه وسراياه ، وهذا الجوع والخوف أشار لهما القرآن على بعض التفسيرات فقد فسر ابن مسعود آية " الدخان " بما يدل على ذلك " .

ثم ذكر رحمه الله تعالى بعض الروايات عن ابن مسعود رضى الله عنه وعقب عليها قائلا " وفي تفسير ابن مسعود رضى الله عنه لهذه الآية الكريمة - ما يدل دلالة واضحة أن ما أذيقت هذه القرية المذكوره في " سورة النحل " من لباس الجوع أذيقه أهل مكه حتى أكلوا العظام وصار الرجل منهم يتخيل له مثل الدخان من شدة الجوع . وهذا التفسير من ابن مسعود رضى الله عنه له حكم الرفع لما تقرر في علم الحديث : من أن تفسير الصحابي المتعلق بسبب النزول له حكم الرفع ،كما أشار له صاحب طلعة الأنوار بقوله .

تفسير صاحب له تعلق بالسبب الرفع له محقق

---

(١) سورة النحل : الآية ١١٢
(٢) البخاري كتاب التفسير جـ٦ ص٣٩ صحيح مسلم كتاب صفات المنافقين جـ٤ ص ٢١٥٧

وكما هو معروف عند أهل العلم "[1] .

وقال رحمه الله تعالى مثل هذا التوثيق لتفسير الصحابى عند تفسيره لقوله تعالى " فاذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله "[2] فساق الحديث الذى رواه الشيخان وأبو داود والترمذى[3] عن جابر رضى الله عنه قال " كانت اليهود تقول اذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول ، فنزلت " نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم "[4] . ثم علق على ذلك قائلا " فظهر من هذا أن جابرا رضى الله عنه يرى أن معنى الآية فأتوهن فى القبل على أية حالة شئتم ولو كان من ورائها "[5] ،ثم قال والمقرر فى علوم الحديث" الخ النص السابق .

وفى تفسير قوله تعالى " وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء "[6] الآية قال رحمه الله تعالى " لا يخفى ما يسبق الى الذهن فى هذه الآيه الكريمه من عدم ظهور وجه الربط بين هذا الشرط وهذا الجزاء وعليه ففى الآية نوع اجمال والمعنى كما قالت أم المؤمنين عائشه رضى الله عنها أنه كان الرجل تكون عنده اليتيمه فى حجره فان كانت جميلة تزوجها من غير أن يقسط فى صداقها ،وان كانت دميمه رغب عن نكاحها وعضلها أن تنكح غيره لئلا يشاركه فى مالها فنهوا أن ينكحوهن الا أن يقسطوا اليهن ويبلغوا بهن أعلى سنتهن فى

---

(١) أضواءالبيان : الشنقيطىجـ١ ص ٣٤٠-٣٤٢
(٢) سورة البقرة من الآية : ٢٢٢
(٣) البخارى : كتاب التفسير جـ٥ ص ١٦٠ مسلم: النكاح جـ٢ ص١٠٥٨ ، سنن ابى داود : النكاح جـ٢ص٢٤٩ والترمذى : التفسير جـ٥ص ٢١٥
(٤) سورة البقرة : من الآية ٢٢٣
(٥) اضواءالبيان : الشنقيطىجـ١ ص ١٢٤
(٦) سورة النساء : من الآية ٣

الصداق وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن .....

وهذا المعنى الذى ذهبت اليه أم المؤمنين عائشه رضى الله عنها يبينه ويشهد له قوله تعالى " ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن "[(١)] . وقالت رضى الله عنها : ان المراد بما يتلى عليكم فى الكتاب هو قوله تعالى " وان خفتم ألاّ تقسطوا فى اليتامى " الآيه فتبين أنها يتامى النساء بدليل تصريحه بذلك فى قوله " فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن " الآيه فظهر من هذا أن المعنى : وان خفتم ألا تقسطوا فى زواج اليتيمات فدعوهن ، وانكحوا ما طاب لكم من النساء سواهن وجواب الشرط دليل واضح على ذلك ، لأن الربط بين الشرط والجزاء يقتضيه ، وهذا هو أظهر الأقوال لدلالة القرآن عليه"[(٢)] .

وكذا فى تفسير قوله تعالى " ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا "[(٣)] قال رحمه الله تعالى " فى معنى هذه الآية أوجه للعلماء منها : أن المعنى " ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين يوم القيامة سبيلا وهذا مروى عن على بن أبى طالب وابن عباس رضى الله عنهم ويشهد له قوله تعالى فى أول الآية " فالله يحكم بينكم يوم القيامه ولن يجعل الله للكافرين " الآية وهو ظاهر"[(٤)]

وفى تفسير قوله تعالى " وان كان رجل يورث كلاله "[(٥)] قال رحمه الله تعالى " والتحقيق أن المراد بالكلاله عدم الأصول والفروع .... وهذا قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه وأكثر الصحابه وهو

---

(١) سورةالنساء : من الآية ١٢٧

(٢) اضواءالبيان : الشنقيطى جـ١ص٢٦٦-٢٦٧

(٣) سورة النساء : من الآية ١٤١

(٤) أضواءالبيان : الشنقيطى جـ١ص٣٧٧

(٥) سورةالنساء : من الآية ١٢

الحق ان شاء الله تعالى "[1].

هذه بعض الأمثلة لتفسير الصحابه رضى الله عنهم التى أوردها المؤلف رحمه الله تعالى فى تفسيره والمطلع على تفسيره يدرك بحق اهتمامه رحمه الله تعالى بتحرى تفسير الصحابة - الصحيح منه - والقول به والاستشهاد لما يعضده من الآى والحديث .

ومن هذه الأمثلة التى سقناها من تفسيره القرآن بالقرآن وبالسنه وبأقوال الصحابه رضى الله عنهم يظهر أثر التفسير بالمأثور فى تفسير أضواء البيان فى ايضاح القرآن بالقرآن " بما يجعله فى مقدمة التفاسير فى العصر الحديث من غير منازع حسب ما اطلعت عليه من التفاسير .

ثانيا : الموجز فى تفسير القرآن الكريم

" المصفى : الجامع بين صحيح المأثور وصريح المعقول "

أما المؤلف : فهو الاستاذ محمد رشدي حمادي

ولم أجد له ترجمة .

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطي جـ ١ ص ٢٧٥

أما الكتـــاب :

فهو : الموجز فى تفسير القرآن الكريم " المصفى : الجامـــع بين صحيح المأثور وصريح المعقول .

وبين يدى الجزء الأول منه ويقع فى ٥٥١ صفحة بدون الفهارس . وفيه تفسير سور الفاتحة والبقرة وآل عمران . والجزء الثانى ويقع فى ٥٦٧ صفحة كذلك وفيه تفسير سور النساء والمائده والانعام

وهما ما حصلت عليه من هذا التفسير الذى ليس فيه ما يدل على رقم الطبعة ولا تاريخها ،وطبع هذان الجزءان فى دار احياء الكتب العربية .

منهجه فى التفسير :

قال المؤلف فى مقدمته للتفسير معرفا به " هو خلاصة التفاسير المجمع عليها بين المفسرين من علماء الأمه الاسلاميه وقد خـــلا من تأويلات المذاهب الشاذه ، والاسرائيليات والتفسير بالرأى ،التى عمرت بها كتب التفاسير دون مبرر فضلا عن أنه تفسير واف لفهم نصوص القرآن العظيم كما بينها الرسول الكريم وكما أجمع عليهـــا المفسرون طوال العصور من تفسيرات لا تخرج النصوص عن مبانيها أو معانيها وليس لى فيه من فضل سوى الاقتباس والاختيار ولـــم أضف اليه بدعا من المذاهب أو الآراء ، وعلى الله قصد السبيل" (١) وسنذكر ان شاء الله - آخر - ما التزم به من هذه الأمور وما لـم يلتزم بــه .

---

(١) الموجز فى تفسير القرآن الكريم : محمد رشدى حمادى ج ١ ص ٣

أمثلة من تفسيره :

تفسير القرآن بالقرآن : -

ففى الفاتحه مثلا فسر يوم الدين من قوله تعالى " مالك يوم الدين "[1] . بقوله " وبينه الله تعالى فى سورة الانفطار بقوله " وما أراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين . يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله (١٧-١٩) الانفطار "[2] .

وفسر قوله تعالى " صراط الذين أنعمت عليهم "[1] بقوله : " ويعنى الأنبياء والمؤمنين وقد بينه فى سورة النساء بقوله " من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين " ٦٩ النساء "[3] .

وفسر قوله تعالى " غير المغضوب عليهم ولا الضالين "[1] بقوله " وقال السهيلى وشاهد ذلك قوله تعالى فى اليهود " فباءوا بغضب على غضب "[4] وفى النصارى " قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا "[5] "[6] .

ومن سورة البقرة مثلا فسر قوله تعالى " كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين "[7] الآيه بقوله " ونحن ذاكرون لك ان شاء الله ما يجلى المعنى فى الآيه مقتفين أثر ابن العدل[8] ، والقرطبى فيما قالاه فى معنى " كان " وأنها للثبوت لا للمضى غير أنا نقدم لك ما جاء فى كتاب الله من وصف الأمه بالواحده والمعنى من ذلك الوصف فى مواضعه المختلفة ليكون فى ذلك توضيح لما نقصد

---

(١) سورةالفاتحه : الايتين ٤ و ٧
(٢) الموجزفى تفسيرالقرآن الكريم : محمد رشدى حمادى جـ١ص٨
(٣) الموجزفى تفسيرالقرآن الكريم : ،، ،، جـ١ ص٩
(٤) سورة البقرة : من الآية ٩٠ (٥) سورةالمائدة : من الآية ٧٧
(٦) الموجزفى تفسيرالقرآن الكريم : محمد رشدى حمادى جـ١ص ٩
(٧) سورةالبقرة : من الآية : ٢١٣ (٨) هكذا ولعلمها (ابن العربى)

اليه وسند لنا فيما اليه نعمد والله الموفق .

ورد وصف الأمه بالواحده فى قوله تعالى فى سورة الأنبياء " ٢١ : ٩٢ - ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم باعبدون (٩٣) وتقطعوا أمرهم بينهم كل الينا راجعون " جاءت هذه الآية الكريمة " ان هذه أمتكم " الخ بعد ذكر جمع من الأنبياء صلوات الله عليهم وذكر ما كان من شأنهم مع قومهم والخطاب فيها للأنبياء كما يفسره قوله تعالى فى سورة المؤمنين بعد ماذكر من أحوال الأنبياء والمرسلين وما كان من أقوامهم معهم " ٢٣ : ٥١ ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم (٥٢) وان هذه أمتكم أمة واحده وأنا ربكم فاتقون (٥٣) فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون " وقد جاء لفظ (أمة) بالنصب فى الآيتين على الحال والخبر قد تم فى قوله " وان هذه أمتكم " أى هذا الجمع من الأنبياء والمرسلين أمتكم اى جماعتكم حال أنها أمة واحده أى ليس جمعا تربطه الروابط البعيده كما يقال أمة الهند على اختلاف مللها وتفرق كلمتها بل هى أمة تربطها رابطة قريبه هى رابطة الاهتداء بنور الله والدعوة الى توحيده والقيام على شرعه وحمل الناس على اتباع أحكامه فهى مجتمعه على أمر واحد لا تعدد فيه هو الحق والعدل فهى جديرة بأن تكون أمة واحدة وان شئت قلت كما قالوا ان الأمة بمعنى المله فى الآيتين - يراد بذلك أن الله يخبر المرسلين بأن هذا الذى سبق فى الكلام من السير فى الناس بهداية الله والمثابرة على ذلك وعدم المبالات بما يكون منهم من تكذيب أو تعذيب هذه هى ملتكم ودينكم وهو أمر

واحد لا تعدد فيه يأتي به السابق ويتبعه عليه اللاحق لا يختلف فيه نبي عن نبي ولا يناكر فيه مرسل مرسلا

هذا المعنى من الوحده هو الذى جاء فى قوله تعالى فى سورة هود " ١١ : ١١٨ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين " وفى قوله فى سورة الشورى " ٤٢ : ٨ - ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء فى رحمته والظالمون ما لهم من ولى ولا نصير " .(١)

هذا بعض ما قاله المؤلف جزاه الله خيرا وقد أطال فى الحديث عن هذه الآيات ونحوها وصله بعضها ببعض .

ومن سورة آل عمران فى قوله تعالى " اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك ورافعك الى " الآية (٢) قال بعد بيان " واعلم أن نص القرآن دل على أنه تعالى حين رفعه ألقى شبهه على غيره قال تعالى " وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا (١٥٧) بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما (١٥٨) النساء " .(٣)

ومنه أيضا تفسير قوله تعالى " وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء " (٤) قال " وهذا هو الغيب الذى أمر المكلفون بالايمان به ومدحوا عليه فى مثل قوله

---

(١) الموجز فى تفسير القرآن الكريم : محمد رشدى حمادى ج١ ص١٨٧-١٨٨
(٢) سورة آل عمران : من الآية ٥٥
(٣) الموجز فى تفسير القرآن الكريم : محمد رشدى حمادى ج١ ص ٣٨٨
(٤) سورة آل عمران : من الآية : ١٧٩

تعالى " ٢ : ١ - آلم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين-٢- الذين يؤمنون بالغيب" والدليل على كون المراد أن من يجتبيهم من رسله يطلعهم على ما شاء أن يبلغوه لعباده من خبر الغيب هو مثل قوله تعالى " ٧٢ : ٢٦ - عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحد (٢٧) الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا (٢٨) ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم "[1]

ومن سورة النساء قوله تعالى " والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا "[2] . قال في تفسيرها " في الكلام اضمار تقديره " ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر " فقرينهم الشيطان " ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا" والقرين : المقارن أى الصاحب والخليل والمعنى من قَبِلَ من الشيطان في الدنيا فقد قارنه ،أى أن الحامل لأولئك المتكبرين على ما ذكر هو وسوسة الشيطان التى عبّر عنها فى آية البقرة بقوله" ٢ : ٢٦٨ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء " فبين أن هؤلاء قرناء الشيطان "[3] .

ومن سورة المائدة فى قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام الا ما يتلى عليكم "[4] قال" الا ما ما يتلى عليكم مما حرّم أى يقرأ عليكم فى القرآن والسنه من قوله تعالى " حرمت عليكم الميتة " الآية ٣ من هذه السوره ،وقوله عليه الصلاة والسلام " وكل ذى ناب من السباع حرام " وهو الذى استثناه "[5] .

---

(١) الموجز فى تفسير القرآن الكريم : محمد رشدى حمادى جـ١ ص ٥٢٦
(٢) سورة النساء : من الآية ٣٨
(٣) الموجز فى تفسير القرآن الكريم : محمد رشدى حمادى جـ٢ ص٥٨
(٤) سورة المائدة : الآية الاولى
(٥) المرجع السابق : جـ٢ ص ٢٣٤

ومن سورة الأنعام فى قوله تعالى عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم " وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست "[1] قال " أى قرأت ، الكتب وقيل " دارست " أى دارست أهل الكتاب وتعلمت منهم روى هذا عن ابن عباس وأولى القراءات بالصواب عند الطبرى قراءة من قرأ " وليقولوا درست " بتأويل قرأت وتعلمت لأن المشركين كذلك كانوا يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم وقد أخبر الله عن قيلهم ذلك بقوله " ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين "(١٠٣) النحل " فهذا خبر من الله ينبىء عنهم أنهم كانوا يقولون : انما يتعلم محمد ما يأتيكم به من غيره "[2].

هذه بعض الأمثلة على تفسيره القرآن بالقرآن أصح طرق التفسير بالمأثور بل أصح طرق التفسير على الاطلاق . .

تفسير القرآن بالسنه :

فمن ذلك مثلا تفسيره لقوله تعالى " ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم "[3] ، قال " يقول لا تجعلوا الله بالحلف به - مانعا لكم من أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس ولكن اذا حلفتم على أن لا تصلوا رحما ولا تتصدقوا ولا تصلحوا وعلى أشباه ذلك من أبواب البر - فكفروا وأتوا الذى هو خير وفى الحديث : " اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذى هو خير وكفر عن يمينك "[4] [5].

---

(١) سورة الانعام : الآية ١٠٥

(٢) المرجع السابق : جـ٢ ص ٤٩٨

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٢٤

(٤) صحيح البخارى كتاب الايمان جـ٧ص٢١٦ وصحح مسلم كتاب الايمان جـ١١ص١١٦ الا أن الحد يث فيهما بتقديم "فكفرعن يمينك" على "وائت الذى هو خير"

(٥) الموجز فى تفسير القرآن الكريم : محمد رشدى حمادى جـ١ص٢١٣

وفى قوله تعالى " الذين يأكلون الربا "[١] الآية قال " وفى الحديث " الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل يدا بيد فمن زاد أو استزاد فقد أربى الآخذ والمعطى فيه سواء "[٢] [٣].

وفى قوله تعالى عن أمرأة عمران لما وضعت ابنتها مريم " وانى سميتها مريم وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم"[٤] قال " وفى صحيح البخارى عن ابى هريره رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال " ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها " ثم يقول أبو هريرة : واقرءوا ان شئتم : " وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم "[٥].

وفى تفسير قوله تعالى " الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون "[٦] قال " وفى الصحيحين عن ابن مسعود لما نزلت : " الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم " شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا أينا لم يظلم نفسه ؟ فقال رسول الله : ليس هو كما تظنون انما هو كما قال لقمان لابنه " يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم "[٧] [٨].

ولولا خشية الاطالة لسقنا اكثر من ذلك من تفسيره القرآن بالسنه وفيما ذكرنا كفايه ان شاء الله .

---

(١) سورة البقرة : من الآية ٢٧٥

(٢) رواه الامام احمد فى مسنده ومسلم فى صحيحه والنسائى فى سننه عن ابى سعيد الخدرى . (٣) الموجز فى تفسير القرآن : محمد رشدى حمادى جـ١ ص ٢٧١

(٤) سورة آل عمران : من الآية ٣٦

(٥) الموجز فى تفسير القرآن : محمد رشدى حمادى جـ١ ص٣٠٧ صحيح البخارى : التفسير جـ٥ ص١٦٦ ومسلم : الفضائل : جـ٤ ص١٨٣٨

(٦) سورة الانعام الآيه : ٨٢ (٧) سورة لقمان : من الآية : ١٣

(٨) الموجز فى تفسير القرآن الكريم : محمد رشدى حمادى جـ٢ ص٤٦٤

تفسير القرآن بأقوال الصحابه :

وهى الدرجة الثالثة من التفسير بالمأثور وقد أورد الأستاذ محمد رشدى حمادى كثيرا من هذا النوع من التفسير فى تفسيره نذكر منه:

فى تفسيره " مالك يوم الدين "[١] قال " وعن ابن عباس فى قوله تعالى " مالك يوم الدين " أى قاضى يوم الدين وهو يوم الحساب والقضاء فيه بين الخلائق أى يوم يدان فيه الناس بأعمالهم لا قاضى غيره "[٢].

وفى قوله تعالى " لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم "[٣] الآية قال " عن ابن عباس هو قول الرجل فى درج كلامه واستعجاله فى المحاوره لا والله وبلى والله دون قصد لليمين "[٤].

وفى قوله تعالى " والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء "[٥] قال " وفى كتاب أبى داود والنسائى عن ابن عباس قال فى قوله تعالى " والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء " الآيه وذلك أن الرجل كان اذا طلق امرأته فهو أحق بها وان طلقها ثلاثا فنسخ ذلك وقال : " الطلاق مرتان " الآية[٦].

وفى تفسير قوله تعالى " أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب "[٧] قال " وروى عن ابن عباس أيضا أنه قال : هذا مثل ضربه

---

(١) سورة الفاتحة : من الآية ٤
(٢) المرجع السابق : جـ١ ص ٨
(٣) سورة البقرة : من الآية ٢٢٥
(٤) المرجع السابق : جـ١ ص ٢١٤
(٥) سورة البقرة : من الآية ٢٢٨
(٦) الموجز فى تفسير القرآن الكريم : محمد رشدى حمادى جـ١ ص ٢١٥
(٧) سورة البقرة : من الآية : ٢٦٦

الله للمرائين بالأعمال يبطلها يوم القيامه أحوج ما كان اليها كمثل رجل كانـــت له جنه وله أطفال لا ينفعونه فكبر وأصاب الجنة اعصار أى ريح عاصف فيه نار فاحترقت ففقدها أحوج ما يكون اليها " [(١)] .

وفى تفسير قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم " [(٢)] قال " قال ابن عباس أمرهم بالانفاق من أطيب المال وأجوده وأنفسه ونهاهم عن التصدق برذالة المال ودنيئه وهو خبيثه فان الله طيب لا يقبل الاّ طيبا " [(٣)] .

وبعد هذه بعض الأمثلة أيضا من تفسيره للقرآن بأقوال الصحابى ، وبهذا يكون هذا التفسير محتويا على أنواع التفسير بالمأثـــور الثلاثه تفسير القرآن بالقرآن ، وتفسيره بالسنه ، وتفسيره بأقـــوال الصحابـه .

رأيى فى هذا التفسير :

والحق أن هذا التفسير مع حرصه على ايراد التفسير بالمأثـــور الاّ أنا نراه لم يلتزم تماما بما وعد به فى مقدمة تفسيره .

فهو تفسير لم يخل من الاسرائيليات كما وعد صاحبه بل انـــه ينقل عن هذه الكتب مباشرة أعنى التوراة والانجيل وعن غيرها مـــن مصادر الاسرائيليات وأحسب أن الذى أدى به الى ذلك توسعـــه فى التاريخ القديم منه توسعا يوقعه أحيانا فى الاسرائيليات وما لا فائدة ترجى من تناوله .

---

(١) المرجع السابق : جـ١ ص ٢٦٦

(٢) سورة البقرة : من الآية ٢٦٧

(٣) المرجع السابق : جـ١ ص ٢٦٧

ومن المآخذ عليه أيضا تلك الأبحاث العلمية والفلكية التى ، يتوسع فيها أحيانا توسعا مذموما فى تفسير للقرآن ومن ذلك مثلا : ذلك الحديث المسهب [1] عن علم الفلك الذى تحدث فيه عن علمى الفلك عند علماء المسلمين وتسلسل هذا العلم إلى نزول رجلين على سطح القمر ثم حديث عن المجموعة الشمسية والمسافات بينها ودرجات الحراره فيها ثم حديث عن المجرات ثم حديث عن علم النجوم وكان الأولى لمثل تفسيره أن لا يعرض فيه مثل هذه الأبحاث خاصة أنه وعد فى المقدمة بأن تفسيره خلا من التفسير بالرأى فهل هذه المعلومات خارجه عن الرأى ؟ !

ومنها أيضا ذلك البحث الذى ألحقه بالجزء الأول تحت عنوان تفسير فواتح السور " [2] أدرج فيه ماسماه بتفسير علمى لفواتح سور القرآن ، وذكر فيه أيضا ما ينبغى تنزيه مثل هذا التفسير عنه .

ومآخذ أخرى ، هى أقل شأنا مما ذكرنا ، ومع هذا فتبقى لهذا التفسير محاسنه من التفسير بالمأثور ، ومن معالجته لشئون الحكومة الاسلاميه ووجوب تعديل القوانين حتى توافق التشريع الاسلامى وتكراره لذلك عند كل مناسبه ثم تشخيصه لداء العالم الاسلامى فى العصور الحديثه ووصفه الدواء لكثير من مشاكله .

رأيى فى تفاسير هذا اللون فى القرن الرابع عشر :

الحق أنى لم أجد مثل هذين التفسيرين عناية بالمأثور مع الفارق الكبير بين عناية الأول منهما أعنى الشيخ محمد الأمين الشنقيطى وعناية الثانى : أعنى المستشار محمد رشدى حمادى . فقد تفوق الأول بلا نزاع فى هذا اللون من التفسير تفوقا لا يدانيه الثانى ، ومع هذا

---

(١) انظر تفسيره جـ٢ ص٠ ٤٨ (٢) انظر تفسيره ايضا جـ١ ص ٥٤٧

يبقى للأستاذ محمد رشدى حمادى درجته المتقدمة فى هذا اللون .

ومع هذا وذاك فلا يزال ميدان التفسير بالمأثور يعانى قلة خائضي عبابه وكم كنت أتمنى أن يقوم من آتاه الله سعة فى العلم بتأليف أو بجمع الآيات التى يفسر بعضها بعضا وأن يضم اليها الأحاديث الصحيحة المرفوعة الى الرسول صلى الله عليه وسلم مبينا درجة كل حديث ،ويرتب هذا كله حسب ترتيب المصحف وليس له فيما جمع الا الربط بين آية وآية أو آية وحديث ،وله ايضا مع هذا تخريج الأحاديث ليس الا . وأحسب أن العلماء والعامة بحاجة ماسة الى هذا التفسير وعسى أن يكون فرجا قريبا .

وان كان لى من رأى بعد هذا أقوله فى الموجود من التفاسير الحديثه فهو أنها أو غالبها لا تهتم بالتفسير بالمأثور حاشا أن أتهمهم بقصد هذا ،ولكن الأمر فيما أظن اعتقاد بعضهم أن الناس قد انصرفوا عن هذا اللون من التفسير ، وايراد بعضهم الآخر التفسير بالمأثور بالمعنى من غير ايراد الآيات أو الأحاديث بنصوصها وانشغال بعض ثالث الى مباحث أخرى على حساب التفسير بالمأثور وقد يكون هنا تعليلات أخرى .

والله الموفق .

الباب الثاني

الاتجاهات العلمية في التفسير

الفصل الثالث

المنهج العلمي التجريبي في التفسير

المراد بــه

بادئ ذى بدء ينبغى أن ننبه الى أمرين هامين فى هــذه المسألة :

أولهما : جواب لشبهه أو سؤال ماذا نعنى بالعلمى من قولنـا التفسير العلمى ، هل يعنى هذا أن التفاسير الأخرى غيـر علمية ؟ ولا شك أن مدار الخلاف ومركزه فى المراد بالعلم هنا .

فالعلم كلمة شاملة شتى أنواع المعارف البشرية القديم منها والجديد ، ثم تجاذبت هذا الاصطلاح أيدى العلمـاء كل يطلقه على ما تدور فلك أبحاثه عليه ، فقال الحكماء فـى تعريفه أنه صورة الشيء الحاصلة فى العقل أو حصول الصـورة فى العقل، أو تعلق النفس بالشيء على جهة انكشافه .

وقال المتكلمون انه صفة يتحلى بها الأمر لمن قامت بـه وزعم الماديون أنه ليس الا خصوص اليقينيات التى تستند الـى الحس وحده ، وقال علماء التدوين أنه المسائل المضبوطة بجهة واحدة والغالب أن تكون تلك المسائل نظرية كلية وقد تكـون ضرورية . وقد تكون جزئية[1] .

هذا ما قاله أولئك وليس سبيلنا هنا بيان تلك الاصطلاحات ونقدها وانما سبيلنا عرضها دون ما سواه لنقف منه على اطلاقات هذا اللفظ " العلم " .

واذا ما نظرت الى المراد به عند علماء الشرع وجـدت الغزالى يوضح ذلك بقوله " قد كان العلم يطلق على العلـم بالله تعالى وبآياته وبأفعاله فى عباده وخلقه . . . وقد تصرفوا فيه بالتخصيص حتى شهروه فى الأكثر بمن يشتغل بالمناظره مع

---

(١) انظر مناهل العرفان : عبد العظيم الزرقانى جـ١ ص ٥-٦

الخصوم فى المسائل الفقهية وغيرها ...... ولكن ماورد من فضائل العلم والعلماء أكثره فى العلماء بالله تعالى وبأحكامه وبأفعاله وصفاته وقد صار الآن مطلقا على من لا يحيط من علوم الشرع بشىء سوى رسوم جدليه فى مسائل خلافية فيعد بذلك من فحول العلماء مع جهله بالتفسير والأخبار وعلم المذهب وغيره وصار ذلك سببا مهلكا لخلق كثير من أهل الطلب للعلم .(١)

هذه بعض الاصطلاحات فى لفظة " علم " فهل هى أو أحدها المراد فى التفسير العلمى للقرآن .

نظرة واحدة الى كتب التفسير العلمى تفيدك أن ليست هذه الاصطلاحات أو أحدها هى المراد من " العلمى " أو " العلم" فلنبحث عن اصطلاح آخر ولنطوى صفحات التاريخ الى العصر الحديث .

اذ قد ظهر فى هذا العصر مدلول آخر للعلم نلمس جوانبه فى وصفهم لهذا القرن أو العصر بأنه عصر العلم (والتطور والنهضة) الى آخره وانما يهمنا وصفه بعصر العلم وهم يقصدون بذلك أن العلم هو العلم الطبيعى القائم على دراسة ما فى الكون من مواد وعناصر وكائنات لها خصائصها الذاتية وأ نظمتها التى تحكمها من كيمياء وطبيعة وميكانيكا وغير ذلك من علوم الطب والرياضة والفلك وما يتضمنه ذلك من حقائق كونيه ، وأن العمل فى اطار هذا المفهوم للعلم هو تطبيق العلم

---

(١) أحياء علوم الدين : أبو حامد الغزالى جـ ١ ص ٣٩

عمليا باستعمال الأجهزة والأدوات والوسائل الأخرى الحديثة من مختبرات ومراصد وتجارب واستنباطات منطقية وغير ذلك "(١)

هذا ما قصدوه من وصف عصرهم بعصر العلم وهو ما تناولوه فيما سموه بالتفسير العلمى .

ونحن وان كنا نقول انه لا مشاحة فى الاصطلاح لكنه ينبغى ان يكون فى الاصطلاح ما يميزه عن سواه حتى لا تلتبس الأمور وتتداخل الاسماء . ولذا فانى نظرت ونظر غيرى الى هذه العلوم التى تناولها المفسرون تحت عنوان التفسير العلمى - فوجدتها تجمعها التجربة والتجارب فهى علوم ماثلة للأعيان وخاضعة فى غالبها للتجربة اذا فلم لا نخصها بهذه الصفة فلنسم هذا اللون من التفسير " التفسير العلمى التجريبى للقرآن الكريم " حتى يتميز هذا اللون من التفسير العلمى عن الألوان العلمية الأخرى من العقائد والفقه ونحوها وكلها علم لا شك فيه.

ثانيهما :

وهو متولد عن الأمر الأول . اذ يظهر من اطلاق التفسير العلمى على هذه العلوم فى العصر الحديث أن هذه التسمية " التفسير العلمى للقرآن الكريم " تسمية حديثة ،وانما قلنا التسمية ولم نقل التفسير العلمى نفسه لأنا نجزم بوجود هذا اللون فى وقت مبكر لكنه لم يكن مثل العصر الحديث كثرة ولا مقاربا له .

بل ان كتب التفسير فى العصر الحديث أفردته بمؤلفات

---

(١) القرآن واعجازه العلمى : محمد اسماعيل ابراهيم ص ٤٤ بتصرف.

خاصة .

وظهرت تفاسير تحمل فى عنوانها " التفسير العلمى " أو"الاعجاز العلمى " ونحو ذلك ، فكان التفسير العلمى من خصائص العصر الحديث فى التفسير وان وجد بقلة فيما قبله .

تعريفه :

ومن الطريف أنك لا تكاد تجد فى كتب التفسير العلمى وغيره من يذكر تعريفه وبيان المراد منه ولعله لظهوره يغفل أولئك تعريفه ولكنه على كل حال بحاجة الى تعريف يحدد مجاله فيعرف مايدخل فيه وما لا يدخل .

ولم أجد من ذكر له تعريفا الا الأستاذ أمين الخولى من حيث قال :

" هو التفسير الذى يحكم الاصطلاحات العلمية فى عبارة القرآن ويجتهد فى استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها "[(١)]

ونقل هذا التعريف بحروفه الشيخ محمد حسين الذهبى فى كتابه التفسير والمفسرون[(٢)] وهو وان لم يشر الى مصدر التعريف فان كتاب الخولى من مصادره فتبادر الى الذهن أنه نقله عنه والله أعلم .

واختصر هذا التعريف الدكتور موسى شاهين لاشين فقال فى تعريفه " يقصد بالتفسير العلمى التفسير الذى يحكم الاصطلاحات العلمية فى عبارات القرآن ، ويحاول استخراج العلوم المختلفة من آياته "[(٣)].

---

(١) التفسير معالم حياته ، منهجه اليوم : أمين الخولى ص ١٩-٢٠
(٢) التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبى ج ٣ ص ١٤٠
(٣) اللآلىء الحسان فى علوم القرآن : موسى شاهين لاشين ص ٣٧٧

وهذا التعريف الذى ذكره الدكتور موسى هو نفس التعريف السابق مع بعض التغيير ، ولم يشر الدكتور أيضا الى مصدره ،

وتأثر بهذا التعريف أيضا الأستاذ محمد الصباغ فقال فى تعريفه " انه تحكيم مصطلحات العلوم فى فهم الآية ، والربط بين الآيات الكريمه ومكتشفات العلوم التجريبية والفلكية والفلسفية " (١) .

ولعلك تقول بعد هذا تذكر هذه التعريفات ثم تقول انك لا تكاد تجد تعريفا ؟ ومخلصى وعذرى من هذا أن التعريفات الثلاثة الأخيرة مرجعها كلها الى التعريف الأول فهى اما ناقله له بحروفه واما ناقلة له بتقديم وتأخير واما متأثره به وبألفاظه .

وتجد القاسم المشترك بين هذه التعريفات أنها تصف هذا اللون من التفسير بأنه " تحكيم " !! للمصطلحات العلمية فى عبارة القرآن ولا شك أن فى هذا التعبير شىء من القسوة .

وتجد أيضا أنها اتفقت على عبارة " المصطلحات العلمية " ولم يذكر أحدهم الحقائق أو النظريات أو المكتشفات أو المشاهدات العلمية . وهذا يؤيد اتحاد مصدر التعريف عندهم .

وتجدها أيضا تصف صاحب التفسير العلمى بأنه " يجتهد فى استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية" والذى اعتقده ان التفسير العلمى بمعناه المعروف لا يشمل ايراد الآراء الفلسفية ،كما لا يعم مختلف العلوم بل فى أنواع معينه منها كالطب والرياضيات والفلك وعلم الحيوان والنبات والكيمياء وعلم طبقات الأرض ونحو ذلك من

---

(١) لمحات فى علوم القرآن : محمد الصباغ ص ٢٠٣

العلوم التجريبية فلا يشمل مختلف العلوم على اطلاقها .

ولذا فانى أعتقد قصور هذا التعريف وقد انتقد هذا التعريف أيضا الشيخ عبدالله الأهدل فى رسالته " التفسير العلمى للقرآن الكريم " فقال عن تعريف الخولى والذهبى " فقولهما : يحكم الاصطلاحات العلمية فى عبارة القرآن غير دقيق لأنه ما كل تفسير على كذلك وتعبيرهما هذا " يحكم " يوحى بأن الآية المراد تفسيرها لها معنى آخر ، غير المعنى العلمى الذى يراد منها أن تدل عليه ، وهذا وان صدق على بعض التفسير المتمحل، والشطحات العلمية فانه لا ينطق على البعض الآخر ،ثم قال : " وربما كان التعريف الصحيح للتفسير العلمى أن يقال :" هو تفسير الآيات الكونيه الواردة فى القرآن على ضوء معطيات العلم الحديث، بغض النظر عن صوابه وخطئه " ليشمل التفسير الصحيح والتفسيرالخاطئ"[1]

والذى يظهر لى والله أعلم أن التعريف الأقرب الى أن يكون جامعا مانعا أن يقال : ـ المراد بالتفسير العلمى : هو اجتهاد المفسر فى كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم ومكتشفات العلم التجريبى على وجه يظهر به اعجاز للقرآن يدل على مصدره ، ـ وصلاحيته لكل زمان ومكان " .

ولا شك أن وصفه بـ " اجتهاد المفسر " يدخل فيه التفسير العلمى المقبول والمرفوض لأن المجتهد قد يخطئ وقد يصيب وقولنا " الربط " ليشمل ما هو تفسير وما هو من قبيله كالاستئناس بالآية فى قضية من قضاياه ونحو ذلك وقولنا " العلم التجريبى" يخرج

---

(١) التفسير العلمى للقرآن الكريم : بحث ماجستير أعده الشيخ عبد الله بن عبد الله الاهدل (نسخة مسحوبة على الاستنسل ص ١٥) .

بقية العلوم الكلامية والفلسفية ونحوها وقولنا " على وجه " لبيان ثمرته وقولنا " يدل على مصدره " نقصد به أنه اذا ما ثبت هذا التوافق بين نصوص القرآن الكريم وحقائق العلوم ولم يقع أى تعارض بين نص قرآنى وحقيقة علمية مهما كانت جدتها وحداثتها فانه لا يمكن أن يقول مثل هذه النصوص بشر قبل اكتشافها بقرون ولا بد من أن يكون المتكلم بها هو موجد هذه الحقائق ومكونها وهو الله سبحانه وتعالى ، وقولنا " وصلاحيته لكل زمان ومكان " نقصد به أنه صالح لكل عصر لا تأتى عليه الأيام ولا الحدثان بما يبطل شيئا منه فهو صالح لكل عصر وأوان .

هذا ما ظهر لى الآن من المعنى المراد به ، والله أعلم .

موقف العلماء السابقين من التفسير العلمى التجريبى :

مما لا شك فيه أن مثل هذا اللون فى تفسير القرآن الكريم فى جدته وتجدده سيكون له خصوم وسيكون له أنصار يلتمس كل منهم دليلا ينصر به رأيه ويؤيده به ثم يكر على دليل الخصم فيبطله .

وقد كان هذا الأمر فى التفسير العلمى للقرآن الكريم منذ لحظات بزوغه ونحن وان كنا لا نعرف هذا الحدث باليوم أو بالسنة الا أن العلماء اتفقوا على أن الامام الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥ هـ ، من أوائل المتكلمين فى هذا النوع من التفسير ، وعلى هذا فيكون ظهوره على وجه التقريب فى أواخر القرن الخامس الهجرى ، واتفقوا أيضا على أن الغزالى نفسه اكثر من استوفى بيان هذا القول الى عهده .(١)

---

(١) انظر مثلا : التفسير معالم حياته : أمين الخولى ص ٢ والتفسير والمفسرون محمد حسين الذهبي جـ٣ ص ١٤٠ ولمحات فى علوم القرآن : محمد الصباغ ص ٢٠٣ والتفسير العلمى للقرآن الكريم : عبد الله الاهدل ص ٨٥ اتجاهات التفسير فى العصر الراهن : عبد المجيد المحتسب ص ٢٤٧ وغيرهم .

ومما لا شك فيه أن الامام الغزالى لم يكن وحيدا فى الميدان يجول ويصول فقد نزل معه أنصار ونازله خصوم وما زالت المعركة الفكرية قائمة لم تهدأ لها ثائرة ولم تقعد لها قائمة ولم تطفأ لها نار .

وما دام حديثنا هنا محصورا فى العصر الحديث فانه لا يسعنا ونحن ندخل معركة طال عمرها وسد الأفق غبارها الا وأن يكون لدينا علم ومعرفة بما قاله السابقون من الأنصار والخصوم حتى نبدأ الطريق من أوله ونأتى البيوت من أبوابها .

وبما أن الامام الغزالى من أوائل المتكلمين فى ذلك وهو أيضا من المؤيدين والمروجين لهذا اللون من التفسير فانا نبدأ بذكر آراء المؤيدين وبرأيه هو قبلهم ،

رأى المؤيدين :

ونذكر من هؤلاء المؤيدين لهذا التفسير العلمى عددا من العلماء المسلمين الذين أظهروا تأييدهم له وأعلنوه وكانوا من أوائل مطبقيه على نصوص القرآن الكريم ومن هؤلاء :

الامام الغزالى :

وقد بسط القول فى هذا فى كتابيه احياء علوم الدين ،وجواهر القرآن ، فقد عقد فى أولهما الباب الرابع من كتاب آداب تلاوة القرآن فى : " فهم القرآن وتفسيره بالرأى من غير نقل " دلل فيه على أن القرآن يشتمل على مجامع العلوم كلها . فقال مثلا :

" اعلم أن من زعم أن لا معنى للقرآن الا ما ترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن جد نفسه وهو مصيب فى الاخبار عن نفسه ولكنه مخطئ فى الحكم برد الخلق كافة الى درجته التى هى حده ومحطه

بل الاخبار والآثار تدل على أن فى معانى القرآن متسعا لأرباب الفهم قال على رضى الله عنه الاّ أن يؤتى الله عبدا فهما فى القرآن فان لم يكن سوى الترجمة المنقوله فما ذلك الفهم وقال صلى الله عليه وسلم " ان للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا " (١)

ويروى أيضا عن ابن مسعود موقوفا عليه ، وهو من علماء التفسير ، فما معنى الظهر والبطن والحد والمطلع ، وقال على كرم الله وجهه لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب" فما معناه وتفسير ظاهرها فى غاية الاقتصار وقال ابو الدرداء لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها وقد قال بعض العلماء ولكل آية ستون ألف فهم وما بقى من فهمها اكثر وقال آخرون القرآن يحوى سبعة وسبعين ألف علم ومائتى علم اذ كل كلمة علم ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف اذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع ، وترديد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم عشرين مرة (٢) لا يكون الاّ لتدبره باطن معانيها والاّ فترجمتها وتفسيرها ظاهر لا يحتاج مثله الى تكرير وقال ابن مسعود رضى الله عنه من أراد علم الأولين والآخرين فليتدبر القرآن " وذلك لا يحصل بمجرد تفسيره الظاهر ،

---

(١) سئل بن تيميه رحمه الله تعالى عن حديث" للقرآن باطن وللباطن باطن الى سبعة أبطن ، فقال "أما الحديث المذكور فمن الأحاديث المختلقة التى لم يروها أحد من اهل العلم ولا يوجد فى شيء من كتب الحديث ولكن يروى عن الحسن البصرى موقوفا أو مرسلا " أن لكل آية ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا" مجموع الفتاوى : لابن تيميه جـ١٣ ص٢٣١-٢٣٢ ، وانظر ما كتبته عن الظاهر والباطن فى منهج اهل السنة والجماعة .

(٢) رواه أبوذر الهروى فى معجمه من حديث ابى هريره بسند ضعيف" المغنى عن حمل الاسفار فى الاسفار فى تخريج مافى الاحياء من الاخبار" للحافظ زين الدين العراقى ، ضمن احياء علوم الدين للامام الغزالى جـ١ ص٢٨٩

وبالجملة فالعلوم كلها داخله فى أفعال الله عز وجل وصفاته وفى القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته وهذه العلوم لا نهاية لها. وفى القرآن اشارة الى مجامعها، والمقامات فى التعمق فى تفصيله راجع الى فهم القرآن ومجرد ظاهر التفسير لا يشير الى ذلك بل كل ما أشكل فيه على النظار واختلف فيه الخلائق فى النظريات والمعقولات، ففى القرآن اليه رموز ودلالات عليه يختص اهل الفهم بدركها " (١)

ثم زاد ذلك بيانا وتفصيلا فى كتابه جواهر القرآن وقد اختصر حديثه هذا الاستاذ أمين الخولى (٢) واختصره أحسن منه الشيخ محمد حسين الذهبى فقال رحمه الله تعالى " ثم اننا نتصفح كتابه (جواهر القرآن) الذى ألفه بعد الأحياء كما يظهر لنا من مقدمته، فنجده يزيد هذا الذى قرره فى الاحياء بيانا وتفصيلا فيعقد الفصل الرابع منه لكيفية انشعاب العلوم الدينية كلها وما يتصل بها من القرآن عن تقسيمات وتفصيلات تولاها لا نطيل بذكرها ويكفى أن نقول انه قسم علوم القرآن الى قسمين :

الأول : علم الصدف والقشر وجعل من مشتملاته : علم اللغة، وعلم النحو، وعلم القراءات، وعلم مخارج الحروف، وعلم التفسير الظاهر .

والثانى : علم اللباب وجعل من مشتملاته : علم قصص الأولين، وعلم الكلام، وعلم الفقه، وعلم أصول الفقه، والعلم بالله واليوم الآخر، والعلم بالصراط المستقيم وطريق السلوك .

---

(١) احياء علوم الدين : ابوحامد الغزالى جـ١ ص ٢٩٦

(٢) التفسير معالم حياته منهجه اليوم : امين الخولى ص ٢٠-٢١

ثم يعقد الفصل الخامس منه لكيفية انشعاب سائر العلوم من القرآن فيذكر علم الطب والنجوم وهيئة العالم وهيئة بدن الحيوان وتشريح أعضائه وعلم السحر ، وعلم الطلسمات وغير ذلك ثم يقول :
" ووراء ما عددته علوم أخرى يعلم تراجمها ولا يخلوا العالم عمن يعرفها ،ولا حاجة الى ذكرها بل أقول : ظهر لنا بالبصيرة الواضحة التى لا يتمارى فيها أن فى الامكان والقوة أصنافا من العلوم بعد لم تخرج من الوجود وان كان فى قوة الآدمى الوصول اليها ، وعلوم كانت قد خرجت الى الوجود واندرست الآن فلن يوجد فى هذه الأمصار على بسيط الأرض من يعرفها ،وعلوم أخر ليس قوة البشر أصلا ادراكها والاحاطة بها ويحظى بها بعض الملائكة المقربين فان الامكان فى حق الآدمى محدود والامكان فى حق الملك محدود الى غاية فى الكمال بالاضافة كما أنه فى حق البهيمة محدود الى غاية فى النقصان[(١)] وانما الله سبحانه هو الذى لا يتناهى العلم فى حقه " .

ثم يقول بعد ذلك (ثم هذه العلوم ما عددناها وما لم - نعدها ليست أوائلها خارجة عن القرآن فان جميعها مغترفه من بحر واحد من بحار معرفة الله تعالى وهو بحر الأفعال ، وقد ذكرنا أنه بحر لا ساحل له وأن البحر - لو كان مدادا لكلماته لنفذ البحر قبل أن تنفذ ، فمن أفعال الله تعالى وهو بحر الأفعال[(٢)] مثلا - الشفاء والمرض كما قال الله تعالى حكاية عن ابراهيم (واذا مرضت فهو يشفين)[(٣)] وهذا الفعل الواحد لا يعرفه

---

(١) فيما نقله الشيخ الذهبى - رحمه الله تعالى - هنا سقط (سبق نظر) اصلحته من مرجعه .
(٢) ان كان الضمير (هو) يرجع الى لفظ الجلاله فان (بحر الافعال) ليست من اسمائه ولا من صفاته عند السلف . (٣) سورة الشعراء من الآية ٨٠ .

الا من عرف الطب بكماله اذ لا معنى للطب الا معرفة المرض بكماله وعلاماته ومعرفة الشفاء وأسبابه . ومن أفعاله تقدير معرفة الشمس والقمر ومنازلهما بحسبان ، وقد قال الله تعالى (الشمس والقمر بحسبان)[١] وقال (وقدرناه منازل لتعلموا عدد السنين والحساب)[٢] وقال (وخسف القمر وجمع الشمس والقمر)[٣] وقال (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل)[٤] وقال (والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم)[٥] ولا يعرف حقيقة سير الشمس والقمر بحسبان وخسوفهما وولوج الليل فى النهار - وكيفية تكور أحدهما على الآخر الا من عرف هيئات تركيب السموات والأرض وهو علم برأسه . ولا يعرف كمال معنى قوله (يأيها الانسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك)[٦] الا من عرف تشريح الأعضاء من الانسان ظاهرا وباطنا وعددها وأنواعها وحكمتها ومنافعها وقد أشار فى القرآن فى مواضع اليها وهى من علوم الأولين والآخرين ، وفى القرآن مجامع علم الأولين والآخرين . وكذلك لا يعرف كمال معنى قوله (سويته ونفخت فيه من روحى)[٧] ما لم يعلم التسوية والنفخ والروح ، ووراءها علوم غامضة يغفل عن طلبها أكثر الخلق وربما لا يفهمونها ان - سمعوها من العالم بها ، ولو ذهبت أفصل ما تدل عليه آيات القرآن من تفاصيل الأفعال لطال ، ولا تمكن الاشارة الا الى مجامعها . . . . فتفكر فى القرآن والتمس غرائبه لتصادف فيه مجامع علم الأولين والآخرين وجملة أوائله "[٨] .

---

(١) سورة الرحمن من الآية ٥
(٢) سورة يونس من الآية ٥
(٣) سورة القيامة : الآيتين ٨-٩
(٤) سورة الحج من الآية ٦١
(٥) سورة يس من الآية ٣٨
(٦) سورة الانفطار الآيات ٦-٧-٨
(٧) سورة الحجر : من الآية ٢٩
(٨) جواهر القرآن : لابى حامد الغزالى ص ٣٠

هذه بعض نصوص الامام الغزالى واذا ما تأمل متأمل فيها وجد فى نصوصه نحو قوله" وفى القرآن اشارة الى مجامعها "" . . . ففى القرآن اليه رموز وعلامات " ودلالات عليه "ثم هذه العلوم ما عددناها وما لم نعدها ليست أوائلها خارجة عن القرآن " ، وأخيرا قوله " وفى القرآن مجامع علم الأولين والآخرين " .

وللمتأمل ان يسأل عن موقف الغزالى اذ أن هذه النصوص الدالة على أن فى القرآن رموز . . وعلامات . . ودلالات وأوائل . . ومجامع العلوم لا تدل دلالة كاملة على موقف صاحبها وان كانت صريحة فى تأييد التفسير العلمى الا أنها تقصر عن تحديد مدى هذا التأييد ولا يهمنا ، الأمر بقدر ما يهمنا أن هذه النصوص للامام الغزالى وهى من أقدم النصوص التى بين أيدينا من هذا النوع تدل على أن قائلها قد وضع الأسس النظرية للتفسير العلمى وبعبارة أخرى أصرح وأوضح ان الغزالى روج للتفسير العلمى ومهد السبيل لمن أراد سلوكه وان كان هو لم يسلكه لكن جاءمن بعده وقريب منه من التزم هذا النوع التزاما بلغت درجته فيه أن قيل عن تفسيره فيه كل شىء الا التفسير ، ذلكم هو الفخر الرازى .

رأى الفخر الرازى (ت ٦٠٦) :

والرازى نفسه يحس أنه مكثر من هذا النوع من التفسير فيفترض اعتراضا ويرد عليه فيقول فى تفسير قوله تعالى " ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام " الآية [١] : - ربما جاء بعض الجهال والحمقى وقال : انك اكثرت فى تفسير كتاب الله (تعالى)

---

(١) من سورة الأعراف : من الآية ٥٤

من علم الهيئة والنجوم وذلك على خلاف المعتاد فيقال لهذا المسكين : انك لو تأملت فى كتاب الله (عز وجل) حق التأمل لعرفت فساد ما ذكرته ، وتقريره من وجوه : -

الأول : أن الله تعالى ملأ كتابه من الاستدلال على العلم والقدره والحكمة بأحوال السموات والأرض وتعاقب الليل والنهار وكيفية أحوال الضياء والظلام ، وأحوال الشمس والقمر والنجوم وذكر هذه الأمور فى أكثر السور وكررها وأعادها مرة بعد أخرى ، فلو لم يكن البحث عنها والتأمل فى أحوالها جائزا لما ملأ الله كتابه منها .

والثانى : أنه تعالى قال : أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج "[2] فهو تعالى حث على التأمل فى أنه كيف بناها ولا معنى لعلم الهيئة الا التأمل فى أنه كيف بناها وكيف خلق كل واحد منها .

والثالث : أنه تعالى قال : لخلق السموات والأرض اكبر من خلق الناس ولكن اكثر الناس لا يعلمون "[3] فبين أن عجائب الخلقة وبدائع الفطره فى أجرام السموات اكثر وأعظم وأكمل مما فى أبدان الناس . . .

الرابع : أنه تعالى مدح المتفكرين فى خلق السموات والأرض ، فقال " ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا)[4] . ولو كان ذلك ممنوعا منه لما فعل .

---

(١) سورة الأعراف : من الآية ٥٤ (٢) سورة ق : الآية ٦

(٣) سورة غافر : الآية ٥٧ (٤) سورة آل عمران : الاية ١٩١

الخامس : أن من صنف كتابا شريفا مشتملا على دقائق العلوم العقلية والنقلية بحيث لا يساويه كتاب فى تلك الدقائق ، فالمعتقدون فى شرفه وفضيلته فريقان منهم من يعتقد كونه كذلك على سبيل الجملة من غير أن يقف على ما فيه الدقائق واللطائف على سبيل التفصيل والتعيين ومنهم من وقف على تلك الدقائق على سبيل التفصيل والتعيين ، واعتقاد الطائفة الاولى وان بلغ الى أقصى الدرجات فى القوة والكمال الا أن اعتقاد الطائفة الثانية يكون أكمل وأقوى وأوفى ، وأيضا فكل من كان وقوفه على دقائق ذلك الكتاب ولطائفة اكثر كان اعتقاده فى عظمة ذلك المصنف وجلالته أكمل "[1] .

ولذلك فان الرازى وقد أبدى رأيه فى التفسير العلمى فانه أكثر من تطبيقه فى تفسيره وتناول شتى العلوم والمعارف مما يبوئه درجة متقدمة فى صفوف مؤيدى التفسير العلمى بل بين متطرفى أنصاره .

رأى الزركشى : (ت ٧٩٤)

ومن المؤيدين أيضا الامام بدر الدين الزركشى متأثرا فيما يبدو لى بموقف الامام الغزالى لاتحاد الأدلة وبعض العبارات ، فقد أورد الزركشى بعض الاقوال التى أوردها الغزالى كقول بعض العلماء : لكل آية ستون الف فهم وما بقى من فهمها اكثر وقول آخر القرآن يحوى سبعة وسبعين ألف علم ومائتى علم اذ لكل كلمة علم ثم يتضاعف ذلك أربعة إذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع..

---

(١) التفسيرالكبير: الفخر الرازى جـ ١٤ ص ١٢١

ثم عقب الزركشى على هذه الأقوال وغيرها بقوله : " وبالجملة فالعلوم كلها داخلة فى أفعال الله تعالى وصفاته وفى القرآن شرح ذاته وصفاته وأفعاله فهذه الأمور تدل على أن فهم معانى القرآن مجالا رحبا ، ومتسعا بالغا وأن المنقول من ظاهر التفسير ليس ينتهى الادراك فيه بالنقل ، والسماع لابد منه فى ظاهر التفسير ، ليتقى به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط والغرائب التى لا تفهم الا باستماع فنون كثيرة . . ." (١).

بل ان الامام الزركشى رحمه الله تعالى عقد فصلا خاصا عنونه بقوله " فى القرآن علم الأولين والآخرين " وقال فيه " وفى القرآن علم الأولين والآخرين وما من شئ الا ويمكن استخراجه منه لمن فهمه الله تعالى . . ." (٢)

رأى السيوطى ت (٩١١) هـ

وذهب الامام السيوطى الى نحو ما ذهب اليه الامامان الغزالى والزركشى وزاد على أدلتهما أدلة أخرى ، وقد أفرد النوع الخامس والستين من أنواع علوم القرآن فى العلوم المستنبطة من القرآن ودلل لذلك بقوله تعالى " ما فرطنا فى الكتاب من شئ " (٣) وقال سبحانه " ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ " (٤) ، وقال صلى الله عليه وسلم ستكون فتن قيل وما المخرج منها قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم " أخرجه الترمذى وغيره ، وأخرج سعيد

---

(١) البرهان فى علوم القرآن : بدر الدين الزركشى جـ٢ ص١٥٤-١٥٥
(٢) البرهان فى علوم القرآن : بدر الدين الزركشى جـ٢ ص ١٨١
(٣) سورة الأنعام : من الآية ٣٨
(٤) سورة النحل : من الآية ٨٩

ابن منصور عن ابن مسعود قال من أراد العلم فعليه بالقرآن فان فيه خبر الأولين والآخرين ،وقال البيهقى يعنى أصول العلم"[1]

وقال أيضا " وأنا أقول قد اشتمل كتاب الله العزيز على كل شيء أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هى أصل - الا وفى القرآن ما يدل عليها وفيه عجائب المخلوقات وملكوت السموات والأرض وما فى الأفق الأعلى وتحت الثرى وبدء الخلق وأسماء مشاهير الرسل والملائكة وعيون أخبار الأمم السالفة . . . الى غير ذلك مما يحتاج شرحه الى مجلدات "[2] .

رأى ابن أبى الفضل المرسى :

وأورد السيوطى رحمه الله تعالى لتأييد مذهبه نصا طويلا لابن أبى الفضل المرسى قال فيه عن القرآن الكريم " قد احتوى على علوم أخرى من علوم الأوائل مثل الطب والجدل والهيئة والهندسة والجبر والمقابله والنجامه وغير ذلك "[3] .

ثم ذهب يبين بعض مواضع ذلك فيذكر مدار كل علم ثم يذكر الآية التى جمعت ذلك حسب رأيه ، وزاد على هذا بأن ذكر أن فى القرآن أصول الصنائع وأسماء الآلات التى تدعو الضرورة اليها كالخياطه والحداده والنجاره والغزل والنسج والفلاحه والصيد والغوص والصياغه والزجاجه والفخار والملاحه الخ . وهو يذكر بعد كل مهنة ما يراه شاهدا لها من القرآن الكريم .

كان هذا عرضا لبعض آراء مؤيدى التفسير العلمى للقرآن الكريم

---

(١) الاتقان فى علوم القرآن : للامام السيوطى جـ٢ ص١٢٥-١٢٦
(٢) المرجع السابق : جـ٢ ص ١٢٩
(٣) الاتقان : الامام السيوطى جـ ٢ ص ١٢٧

بل اشتماله على كل العلوم وشتى المعارف ،ولم يكن هذا مسلما لهم ولم يكن سالما عن المعارضه والرفض .

ولئن أبحث لنفسي بعض الاطناب في ذكر آراء المؤيدين فاني سأكبح من جماحها في ذكر آراء المعارضين ليس لتأييد فريق على فريق وانما لأن المعارض هنا هو الامام الشاطبي الذى أشبع الحديث حتى لم يبق مكانا لمزيد .

آراء المعارضين :

رأى الشاطبي : ت (٧٩٠)هـ

بدأ الشاطبي رحمه الله تعالى حديثه ببيان العلوم التي كانت منتشره بين العرب وقت نزول القرآن الكريم ، ثم بين موقف الشريعة من هذه العلوم بقوله : " فصححت الشريعة منها ما هو صحيح وزادت عليه وأبطلت ما هو باطل ، وبينت منافع ما ينفع من ذلك ومضار ما يضر منه "[١] وذكر من ذلك علم النجوم وعلم الأنواء وأوقات نزول المطر وعلم التاريخ وأخبار الأمم الماضيه ، ثم بين ما كان أكثره باطلا أو جميعه كعلم العيافه والزجر والكهانه وخط الرمل والضرب بالحصى والطيره ، ومن النوع الأول الطب والتفنن في علوم البلاغة وضرب الأمثال .[٢]

ثم قرر بعد هذا " أن كثيرا من الناس تجاوزا في الدعوى على القرآن الحد فأضافوا اليه كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين من علوم الطبيعيات والتعاليم[٣] والمنطق وعلم الحروف وجميع ما ينظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهها وهذا اذا عرضناه على

---

(١) الموافقات : للامام الشاطبي جـ ٢ ص ٧١-٧٦

(٢) ،، ،، ،، جـ٢ ص ٧١- ٧٢

(٣) أى الرياضيات من الهندسة وغيرها .

على ما تقدم لم يصح ، والى هذا فان السلف الصالح - من الصحابة والتابعين ومن يليهم - كانوا أعرف بالقرآن وبعلومه وما أودع فيه ولم يبلغنا أنه تكلم أحد منهم فى شيء من هذا المدعى سوى ما تقدم وما ثبت فيه من أحكام التكليف وأحكام الآخره وما يلى ذلك ولو كان لهم فى ذلك خوض ونظر لبلغنا منه ما يدلنا على أصل المسألة الا أن ذلك لم يكن فدل على أنه غير موجود عندهم وذلك دليل على أن القرآن لم يقصد فيه تقرير لشيء مما زعموا " (1) .

وبيّن ذلك فى موضع آخر عند ذكر العلوم المضافة الى القرآن فبعد أن ذكر من العلوم ما هو كالاداة لفهمه والوسيلة لاستخراج فوائده قال " ولكن قد يدعى فيما ليس بوسيله أنه وسيله الى فهم القرآن وأنه مطلوب كطلب ما هو وسيله بالحقيقة ، فان علم العربية أو علم الناسخ والمنسوخ ، وعلم الأسباب، وعلم المكى والمدنى ، وعلم القراءات ، وعلم أصول الفقه ، معلوم عند جميع العلماء أنها معينه على فهم القرآن ، وأما غير ذلك فقد يعده بعض الناس وسيلة أيضا ولا يكون كذلك كما تقدم فى حكاية الرازى فى جعل علم الهيئة وسيلة الى فهم ، قوله تعالى " أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج " (2) وزعم ابن رشد الحكيم فى كتابه الذى سماه بـ " فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال " ان علوم الفلسفة مطلوبه اذ لا يفهم المقصود من الشريعة على الحقيقة الا بها ولو قال قائل ان الأمر بالضد مما قال لما بعد فى المعارضة .

وشاهد ما بين الخصمين شأن السلف الصالح فى تلك العلوم هل

---

(1) الموافقات : الشاطبى جـ2 ص ٧٩-٨٠

(2) سورة ق : من الآية ٦

كانوا آخذين بها أم تاركين لها أو غافلين عنها ؟ مع القطع بتحققهم بفهم القرآن يشهد لهم بذلك النبى صلى الله عليه وسلم والجم الغفير ،فلينظر امرؤ اين يضع قدمه ؟ "[1].

ثم ذكر الشاطبى رحمه الله تعالى الرد على أولئك بما خلاصته ان ما استدلوا به من الآيات فالمراد بها عند المفسرين ما يتعلق بحال التكليف والتعبد ، أو المراد بالكتاب فى قوله تعالى "مافرطنا فى الكتاب من شىء "[2] اللوح المحفوظ ولم يذكروا فيها ما يقتضى تضمنه لجميع العلوم النقليه والعقليه . . وما ينقل عن على رضى الله عنه أو غيره فى هذا لا يثبت فليس بجائز أن يضاف الى القرآن ما لا يقتضيه كما أنه لا يصح أن ينكر منه ما يقتضيه "[3].

ذلكم موجز رأى الشاطبى رحمه الله تعالى ورده على أنصار التفسير العلمى للقرآن الكريم .

رأى أبى حيان الأندلسى : ت(٧٤٥) هـ

ونقتصر فى بيان رأيه رحمه الله تعالى على ذكر مثل طريف ضربه مثلا لمن فسر القرآن بالرأى فقد انتقد فى تفسيره البحر المحيط طريقة الرازى فى تفسيره وغيره ، بقوله : -

" ونظير ما ذكره الرازى وغيره أن النحوى مثلا يكون قد شرع فى كتاب فى النحو ،فشرع يتكلم فى الألف المنقلبه ، فذكر أن الألف فى الله أهى منقلبه من ياء أو واو ،ثم استطرد من ذلك الى الكلام فى الله تعالى فيما يجب له ويجوز عليه ويستحيل ، ثم استطرد من

---

(١) الموافقات : الشاطبى جـ ٣ ص ٣٧٥-٣٧٦
(٢) سورة الانعام : من الآية ٣٨
(٣) الموافقات : الشاطبى جـ٢ ص ٨٠-٨١

ذلك الى اعجاز ما جاء به القرآن وصدق ما تضمنه ، ثم استطرد
الى أن من مضمونه البعث والجزاء بالثواب وبالعقاب ، ثم المثابون
فى الجنة لا ينقطع نعيمهم ،والمعاقبون فى النار لا ينقطع عذابهم
فبينا هو فى علمه يبحث فى الألف المنقلبه اذا هو يتكلم فى
الجنة والنار ، ومن هذا سبيله فى العلم فهو من التخليط والتخبيط
فى أقصى الدرجة

وكان استاذنا العلامه أبو جعفر احمد بن ابراهيم بن الزبير
الثقفى قدس الله تربته يقول ما معناه : متى رأيت الرجل ينتقل
من فن الى فن فى البحث أو التصنيف فأعلم أن ذلك اما لقصور
علمه بذلك الفن أو لتخليط ذهنه وعدم ادراكه حيث يظن أن -
المتغايرات متماثلات ، وانما امعنت الكلام فى هذا الفصل لينتفع
به من يقف عليه ، ولئلا يعتقد أنا لم نطلع على ما أودعه الناس
فى كتبهم فى التفسير ، بل انما تركنا ذلك عمدا ، واقتصرنا على
ما يليق بعلم التفسير . وأسأل الله التوفيق والصواب "(١) .

وذلكم رأيه لا أظنه بحاجة الى بيان ، يرفض هذا اللون ويرفض
القول به لا عجزا عنه وانما عمدا وقصدا لعدم الخروج عن حدود
التفسير المقبول عنده

وحتى لا نبهت القوم حقهم ونحن نريد هنا الحديث عن موقف
العلماء المعاصرين فيعتقد معتقد أن لا فرق بين المؤيدين القدامى
والمعاصرين ، فعلينا أن نعلن هنا حقيقة فى حق العلماء السابقين
الذين أجازوا مبدأ تفسير القرآن بالعلوم تلكم هى أننا لا نكاد

---

(١) البحر المحيط : أبو حيان الاندلسى جـ ١ ص ٣٤١

نصادف فى آثارهم العلمية محاولات تطبيقية تلح على الربط بين النظرية العلمية والحقيقة القرآنية كما نجد فى آثار علمائنا المعاصرين ، ذلك أن شغلهم الشاغل فى ذلك الوقت كان الاقتباس مما نقل اليهم من التراث اليونانى والانتفاع بمقولاته الفلسفية والمنطقية فى تأكيد الحقيقة الدينية لتستقيم لهم قضية التوفيق بين العقل والنقل(١) .

أما فى العصر الحديث فان الذين يؤيدون هذا الاتجاه العلمى فى التفسير يزعمون أن القرآن يشير الى مستحدثات الاختراع وما يحقق بعض غوامض العلوم الطبيعية ولعل متحققا بهذه العلوم الحديثة لو تدبر القرآن وأحكم النظر فيه وكان بحيث لا تعوزه أداة الفهم ولا يلتوى عليه أمر من أموره لاستخراج منه اشارات كثيرة تومىء الى حقائق العلوم(٢) فلا يكاد يجدّ اختراع أو يظهر اكتشاف أو تنظر نظرية الا ويعيدون النظر والبحث فى آيات القرآن وكأنهم على موعد مؤكد مع آية قرآنية يطبقونها على هذا أو ذاك زاعمين أن القرآن نص على هذا قبل كذا وكذا من القرون .

بمعنى آخر أن السابقين جعلوا الحقيقة القرآنية أصلا ذكروا ما يؤيد هذه الحقيقة من نظريات أو حقائق علميه ،وأن المعاصرين جعلوا النظريات أو الحقائق العلمية أصلا يدعمونها ويفسرونها بآيات قرآنية قد تؤيدها صراحة أو يفهم منها ذلك وقد لا تدل على شىء من هذا فيتكلفون فى التوفيق بين هذا وذاك .

---

(١) الفكر الدينى فى مواجهة العصر : عفت محمد الشرقاوى ص٤٢٢-٤٢٣

(٢) اعجاز القرآن والبلاغه النبوية : مصطفى صادق الرافعى ص ١٤٢

وحقيقة أخرى ـ خاصة ـ أني لا أقصد فيما قلت هنا بـ "السابقين" أو بـ " المعاصرين " العموم والشمول وانما أردت غالبهم ، وما هم بقليل .

موقف العلماء المعاصرين من التفسير العلمي التجريبي :

ولا زالت المعركة العلمية هذه مشتعلة بل زاد لهبها واشتعل اوارها وتنوع وتطور سلاحها وتطرف المتطرفون واعتدل المعتدلون .

وقال أحد المتطرفين ولم يستثن أحدا " ان دراسة القرآن في العصور الخالية كانت تكلفيه ، وقرآءة سحطية وعلوما لفظية فعكف الناس على الألفاظ وكثر الحفاظ وقلّ المفكرون فجمدت القرائح وماتت العلوم "[1] بل دعا العلماء الى التفطن لما ذكره وتفسير القرآن نحو تفسيره " وان لم يفعلوا ذلك لم تعش الأمم الاسلامية قرنا واحدا بل تفنيها الأمم الآجنبية "[1] .

وقال متطرف آخر من الناحية الأخرى وهو وان تطرف في الرفض لكنه لم يتطرف في العباره كتطرف السابق . فقد اكتفى بأن وصف التفسير العلمي بأنه (بدعة حمقاء)[2] ووصفه بأنه " التفسير الحرباوي "[3] لأنه يعتقد أن صاحبه يغير تفسيره حسب تغير العلوم وتجدد النظريات .

واذا ما تأمل متأمل وتدبر في أقوال متعصبي الفريقين لرأى رأي العين أن الفريقين لا يتكلمون لغة واحدة ، ويصول كل منهم

---

(١) الجواهر في تفسير القرآن الكريم : طنطاوي جوهري جـ ٢ ص ٢١١
(٢) الذكر الحكيم : محمد كامل حسين ص ١٨٢
(٣) المرجع السابق : ص ١٨٦

ويجول فى غير ميدان الآخر ،ولو أزالوا عن أعينهم غشاوة التعصب لرأوا فيما بينهم جزيرة خضراء فيها الثمر الدانى والهواء العليل والماء القراح يمكن أن يلتقوا فيها ، ففيها متسع لآرائهم وفيها مجال لأقوالهم بحيث تكون كلمتهم واحده وموقفهم واحدا .

واذا ما تأمل وتدبر مرة أخرى فانه سيجد أن العلماء وان كانوا ينقسمون الى ثلاثة أقسام :

١- متطرفين فى التأييد .

٢- ،، ،، الرفض .

٣- معتدلين .

فانه اذا تدبر سيجد أنهم ينقسمون حقيقة الى قسمين من حيث القبول والرد . فالقسم الأول والقسم الثالث كلاهما يقبل التفسير العلمى وان اختلفت درجتهما فى القبول ، والقسم الثانى يرفضه ،ومن هذا التقسيم الأخير سيكون منطلقا لعرض آراء العلماء فى العصر الحديث فى ذلك ،

آراء القائلين بالتفسير العلمى التجريبى فى العصر الحديث :

وليس من السهل ولا من المقبول أن نبسط القول لكل قائل به ، بل نقتصر من كلامه ونعتصر ما فيه الدلالة . فمن هؤلاء :

الجواهرى

وانما نبدأ به لكونه قد أصبح علما فى هذا اللون من التفسير لا يكاد يذكر هذا الآ ويذكر ذاك . وان كنا سنعرض له بدراسة خاصة ولتفسيره . فانا نذكر هنا بعض عباراته لتأييد هذا اللون من التفسير ، فمن ذلك قوله مثلا : " يا أمة الاسلام آيات معدودات فى

الفرائض اجتذبت فرعا من علم الرياضيات فما بالكم أيها النـاس بسبعمائة آية فيها عجائب الدنيا كلها ، الله أكبر جل العلـم وجلت الحكمة . هذا زمان العلوم هذا زمان ظهور نور الاسلام هذا زمان رقيه ، يا ليت شعرى لماذا لا نعمل فى آيات العلوم الكونية ما فعله آباؤنا فى آيات الميراث. ولكنى أقول الحمد لله الحمد لله انك تقرأ فى هذا التفسير خلاصات من العلوم ودراستها أفضل من دراسة علم الفرائض لأنه فرض كفايه . فأما هذه فانها للازديـاد فى معرفة الله وهى فرض عين على كل قادر .

... ان هذه العلوم التى أدخلناها فى تفسير القرآن هى التى أغفلها الجهلاء المغرورون من صغار الفقهاء فى الاسلام فهذا زمان الانقلاب وظهور الحقائق والله يهدى من يشاء الى سـواء الصـراط " (١) .

ويقول أيضا " لماذا ألف علماء الاسلام عشرات الألوف من الكتب الاسلامية فى علم الفقه ، وعلم الفقه ليس له فى القرآن الا آيـات قلائل لا تصل مائة وخمسين آيه . فلماذا كثر التأليف فى علم الفقه وقل جدا فى علوم الكائنات التى لا تخلو منها سورة بل هى تبلغ ٧٥٠ آيه صريحه . وهناك آيات أخرى دلالتها تقرب من الصراحـة فهل يجوز فى عقل أو شرع أن يبرع المسلمون فى علم آياته قليلـة ويجهلون علما آياته كثيرة جدا ، ان آباءنا برعوا فى الفقه فلنبرع نحن الآن فى علم الكائنات لنقم به لترقى الأمـه " (٢) .

رأى الاسكندرانى :

وهو أحمد بن محمد الاسكندرانى صاحب كتاب " كشف الأسـرار

---

(١) الجواهر فى تفسير القرآن الكريم : طنطاوى جوهرى جـ٣ ص١٩-٢٠
(٢) المرجع السابق : جـ ٢٥ ص ٥٥-٥٦

النورانيه القرآنيه فيما يتعلق بالاجرام السماويه والأرضيه والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنيه" وهو تفسير لا يقل عن تفسيرالجواهر السابق فى توسعه العلمى ،وقد ألمح فى مقدمته القصيرة للتفسير عن موضوع علم التفسير بقوله " فموضوع علم التفسير كلام الله تعالى الذى يتوصل به الى معرفة الأجرام السماويه والأرضيه والمولدات الثلاثة والتوحيد والاحكام الشرعيه ، وغايته معرفة جميع الأحكام المستنبطه من الآيات الشريفه القرآنيه ، فمنفعته عامه لعموم الاحتياج اليه وفائدته مطلوبه لترتب بقاء الأحكام عليه . فلذلك كانت معرفته من أقرب الوسائل الى الاعتراف بالخالق ذى الصفات العليه ولا شك أن لهذه الاجرام المشار اليها والآثار مؤثر وهو الاله الموجد للعقول والنفوس والأجسام الفلكية والعنصرية "[(١)].

رأى الكواكبى :

وعبد الرحمن الكواكبى يرى أن القرآن الكريم سبق علماء أوروبا وأمريكا بثلاثة عشر قرنا الى كثير من الاكتشافات التى تعزى اليهم فيقول : - " ان العلم كشف فى هذه القرون الأخيره حقائق وطبائع كثيره تعزى لكاشفيها ومخترعيها من علماء أوروبا وأمريكا ، والمدقق فى القرآن يجد أكثرها ورد به التصريح أو التلميح فى القرآن منذ ثلاثة عشر قرنا ، وما بقيت مستورة تحت غشاء من الخفاء الا لتكون عند ظهورها معجزة للقرآن شاهدة بأنه كلام رب لا يعلم الغيب سواه "[(٢)].

---

(١) كشف الأسرار النورانيه : احمد محمد الاسكندرانى جـ١ ص ٣

(٢) طبائع الاستبداد : عبد الرحمن الكواكبى ص ٤٤

رأى محمد مصطفى المراغى :

وأيّد التفسير العلمى الشيخ محمد المراغى فقال فى مقدمته لكتاب الاسلام والطب الحديث فيقول " قرأت لسعادة الطبيب النطاسى عبدالعزيز اسماعيل باشا نتفا مما كان يكتب له بمجلة الأزهر تحت عنوان (الاسلام والطب الحديث) فأعجبنى منه ما توخاه من التوفيق بين معانى بعض الآيات القرآنية الكريمة وبين مقررات الطب الحديث وحمدت له هذه النزعة العلمية التى لو تحلى بها كل مبرز فى فرع من فروع العلم لاجتمع لدينا ذخر عظيم من هذه التطبيقات الثمينه تستفيد منه النابتة الحديثة زيادة معرفة باعجاز القرآن وايقان بأن الله ما فرط فى كتابه من شئ .

لست أريد من هذا أن أقول أن الكتاب الكريم اشتمل على جميع العلوم جملة وتفصيلا بالأسلوب التعليمى المعروف وانما أريد أن أقول بأنه أتى بأصول عامة لكل ما يهم الانسان معرفته والعمل به ليبلغ درجة الكمال جسدا وروحا ، وترك الباب مفتوحا لأهل الذكر من المشتغلين بالعلوم المختلفة ليبينوا للناس جزئياتها بقدر ما أوتوا منها فى الزمان الذى هم عائشون فيه " (١) .

رأى محمد رشيد رضا :

أما الشيخ محمد رشيد رضا فيعد هذا نوعا من أنواع الاعجاز للقرآن فيقول " الوجه السابع اشتمال القرآن على تحقيق كثير من

---

(١) الاسلام والطب الحديث : عبد العزيز اسماعيل مقدمة الشيخ محمد مصطفى المراغى ص ٥-٦

المسائل العلمية والتاريخية التى لم تكن معروفه فى عصر نزوله ثم عرفت بعد ذلك بما انكشف للباحثين والمحققين من طبيعة الكون وتاريخ البشر وسنن الله فى الخلق"[1] ثم ذكر الأمثله لذلك .

رأى محمد فريد وجدى :

وقال الاستاذ وجدى " من مطالب الأوساط من الدين أن يكون مرنا يتسع لما يجد من الآراء العلميه ولا يستعصى على ما يثبت أو يرجح من المذاهب الفلسفيه ولا ما يقوم الدليل عليه من الشؤون الكونيه ، والواقع أنه قليل على الاسلام أن يوصف بالمرونه وسعة الصدر للآراء والمذاهب والكونيات لأنه دين انطلاق وتعقل وتفكير ومطالبة بالفهم وبالدليل واشعار بالتبعيه الشخصية ونهى عن التقليد "[2] .

وقال فى موضع آخر " وخير ينبوع يستمد منه العلم كتاب الله عز وجل فهو الخضم الغطمطم[3] الذى لا ساحل له .. ثم قال : " هنا يتغالى بعضهم فيسألون : هل للتليفون والتلغراف والراديو الخ الخ من ذكر فى القرآن مصداقا لقوله تعالى (ما فرطنا فى الكتاب من شىء "[4] ؟ هذا التغالى ناشىء من سوء فهم الآيه الكريمة . قال العلامة البيضاوى فى تفسيرها " المراد بالكتاب هنا اللوح المحفوظ فانه مشتمل على ما يجرى فى العالم من الجليل والدقيق ،أو القرآن فانه قد دوّن فيه ما يحتاج اليه من أمر

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٢١٠
(٢) الاسلام دين الهدايه والاصلاح : محمد فريد وجدى ص ٥١
(٣) قال فى لسان العرب (الغطم : البحر العظيم الكثير الماء .. والغطمطه : التطام الأمواج)
(٤) سورة الانعام : من الآية ٣٨

الدين مفصلا أو مجملا "

فأنت ترى أن المفسرين لم يفهموا من هذه الآية ما يريد أن يفهمه الناس اليوم ، من أن القرآن يحوى كل شئ لفظا ومعنى ، وكل ما يكتشف من العلم فى سائر الوجود الى يوم القيامه اشارة وعبارة ، لذلك يتكلف المسئولون عن ورود المكتشفات الجديدة فى الكتاب أجوبة يصرفون فيها بعض الآيات عن معانيها ، لتنطبق على ما يسألون عنه مما لا علاقة لها به البته "[1] .

رأى جمال الدين القاسمى :

أما الشيخ جمال الدين القاسمى فقد عقد فى مقدمته لتفسيره فصلا بعنوان " فصل فى بيان دقائق المسائل العلمية الفلكية الوارده فى القرآن الكريم " جاء فيه بعد أن فسر بعض الآيات تفسيرا علميا " فالناس قديما فهموا أمثال هذه الآية بما يوافق علومهم ، حتى اذا كشف العلم الصحيح عن حقائق الأشياء ، علمنا أنهم كانوا واهمين ، وفهمنا معناها الصحيح ، فكان هذه الآيات جعلت فى القرآن معجزات للمتأخرين تظهر لهم كلما تقدمت علومهم"[2].

رأى مصطفى صادق الرافعى :

أما الرافعى فيقول عن اعجاز القرآن الكريم العلمى وتفسيره به ولعل متحققا بهذه العلوم الحديثه لو تدبر القرآن وأحكم النظر فيه وكان بحيث لا تعوزه أداة الفهم ولا يلتوى عليه أمر من أمره

---

(١) القرآن ينبوع العلوم والعرفان : على فكرى من تقريظ الاستاذ محمد فريد وجدى ص ٨-٩

(٢) محاسن التأويل : محمد جمال الدين القاسمى جـ ١ ص ٣٣٧

لاستخرج منه اشارات كثيرة تومىء الى حقائق العلوم وان لم تبسط من أنبائها وتدل عليها وان لم تسمها بأسمائها " [(١)] .

رأى محمود شكرى الألوسى :

قال فى مقدمة كتابه " ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئه الجديده القويمه البرهان " اعلم أن الشريعة الغراء لم ترد - باستيعاب قواعد العلوم الرياضية ، انما وردت بما يستوجب سعادة المكلفين فى العاجل والآجل ، وبيان ما يتوصلون به الى الفوز بالنعيم المقيم ، وربما أشارت لهذه الأغراض - الى ما يستنبط منه بعض القواعد الرياضيه .

وقد ورد القرآن الكريم - فى بيان ذلك - بما خاطب به العرب مما يعلمونه من علوم تلقوها خلفا عن سلف ، فقد كانت لهم علوم ذكرناها فى الكتاب الذى ألفناه فى بيان أحوالهم" [(٢)] .

رأى عبد الحميد بن باديس :

وقال الشيخ عبد الحميد " من أساليب الهدايه القرآنيه الى - العلوم الكونيه أن يعرض علينا القرآن صورا من العالم العلوى والسفلى فى بيان بديع جذاب يشوقنا الى التأمل فيها والتعمق فى أسرارها ،وهنا [(٣)] يذكر لنا ما خبأه فى السموات والارض لنشتاق اليه وننبعث فى البحث عنه ، واستجلاء حقائقه ومنافعه ، بدافع

---

(١) اعجاز القرآن والبلاغة النبوية : مصطفى صادق الرافعى ص ١٤٢
(٢) ما دل عليه القرآن : محمود شكرى الألوسى ص ١١
(٣) ورد هذا النص فى تفسيره لقوله تعالى" ألاّ يسجدوا لله الذى يخرج الخبأ فى السموات والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون" سورة النمل الآية : ٢٥

غريزة حب الاستطلاع ، ومعرفة المجهول ، ويمثل هذا انبعث أسلافنا في خدمة العلم واستثمار ما في الكون الى أقصى ما استطاعوا ومهدوا بذلك السبيل لمن جاء بعدهم ولن نعز عزهم الآ اذا فهمنا الدين فهمهم وخدمنا العلم خدمتهم "[1] .

وقال في موضع آخر " لنقف خاشعين متذكرين أمام معجزة القرآن العلمية ذلك الكتاب الذى جعله الله حجة لنبيه صلى الله عليه وسلم وبرهانا لدينه على البشر مهما ترقوا في العلم وتقدموا في العرفان . . "[2] .

رأى محمد أحمد الغمراوى :

أما الأستاذ الغمراوى فهو يرى أن الاعجاز العلمى هو الذى لا يتوقف تقديره والتسليم به على معرفة لغة لا تتيسر معرفتها لكل أحد ، ويرى أيضا أن الناحيه العلميه هذه تشمل كل ما عدا الناحية البلاغية ، فتشمل الناحيه النفسيه والتشريعيه والتاريخيه والكونية ثم قال " هذه النواحى هى التى ينبغى أن يشمر المسلمون للكشف عنها واظهارها للناس في هذا العصر الحديث ولن يستطيعوا ذلك على وجهه حتى يطلبوا العلوم كلها ليستعينوا بكل علم على تفهم ما اتصل به من آيات القرآن ويستعينوا بها جميعا على استظهار أسرار آيات القرآن التى اتصلت بالعلوم جميعا . ولا غرابة في أن يتصل القرآن بالعلوم جميعا فما العلوم إلا نتاج تطلب الانسانية أسرار الفطره والقرآن ما هو الآ كتاب " الله فاطر الفطره فلا غرو وأن يتطابق القرآن والفطره وتتجاوب كلماتها وكلماتهوان كانت كلماتها

---

(١) تفسير بن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير : عبد الحميد بن باديس ص ٤٦٠ (٢) المرجع السابق ص ٦٠

وقائع وسننا وكلماته عبارات واشارات تتضح وتنبههم طبق ما تقتضيه حكمة الله فى مخاطبة خلقه ، ليأخذ منها كل عصر على قدر ما أوتى من العلم والفهم ، وكذلك دواليك على مر العصور . . .

الى أن قال " هذا النوع من الاعجاز يعجز الالحاد أن يجد موضعا للتشكيك فيه الآ أن يتبرأ من العقل فان الحقيقة العلمية التى لم تعرفها الانسانيه الآ فى القرن التاسع عشر أو العشرين مثلا والتى ذكرها القرآن لابد أن تقوم عند كل ذى عقل دليلا محسوسا على أن خالق هذه الحقيقة هو منزل القرآن " (١) .

رأى الدكتور عبد العزيز اسماعيل :

ويرى الطبيب عبد العزيز اسماعيل فى كتابه الاسلام والطب الحديث أن من اعجاز القرآن فصاحته ، وأن المتأخرين أمثالنا فأكثرهم لا يقدر الفصاحة حق تقديرها لعدم تبحرهم فيها ، وأنه لهذا كان من الضرورى اظهار اعجاز القرآن مع نواح أخرى "فالقرآن ليس بكتاب طب أو هندسة أو فلك ولكنه يشير أحيانا الى سنن طبيعية ترجع الى هذه العلوم ، وبما أنه صادر من واضع السنن كلها كان جميع ما جاء فيه حقا لا شبهة فيه ، وان لم يكن ذلك مدركا وقت نزوله الآ على طريق الاجمال أو التأويل لعدم استبحار العلوم اذ ذاك . ولكن مع الترقى فى العلوم قلما كان يعمد الى تأويله وكثر ما وجب أخذه على ظاهره فى ذلك العهد " الى أن قال منبها " ويجب أن أنبه الى نقطة هامه وهى أن العلوم مهما

---

(١) الاسلام فى عصر العلم : محمد أحمد الغمراوى ص ٢٥٧ - ٢٥٩

تقدمت فهى عرضه للزلل ، فينبغى أن لا يطبق على الآيات الكريمة الا ما يكون قد ثبت ثبوتا قطعيا ولم يقبل الشك فكثير من النظريات العلمية عرضة للتغيير والتبديل ، وهذه لا يجوز تطبيقها على الآيات حتى ولو اتفقت مع ظاهرها ،انما يطبق منها ما يكون قد اجتاز دور النظريات وصار حقيقة ثابتة لا شك فيها " (١).

رأى حنفى أحمد :

وفى كتابه التفسير العلمى للآيات الكونيه فى القرآن يرى الأستاذ حنفى أحمد أن الحديث فى القرآن عن الكائنات جاء كما جاء غيره من الأحاديث مناسبا لجميع الناس على اختلاف درجات عقولهم وأفهامهم ثم قال " ولكن المتأملين فى هذا الحديث من أهل العلم والخبره بالكائنات يرون فى ألفاظه وعباراته فوق معانيها الظاهرة معانى أخرى دقيقه تنطوى على أصول وجوامع من العلم الواسع الدقيق عن الكائنات الذى لم يكن معروفا للناس من قبل ولم يتعرفوا عليه الا تدريجا بعد انتشار العلم الحديث بينهم فى القرنين الأخيرين ، وتنكشف هذه المعانى الدقيقه لهؤلاء المتأملين من أصحاب العقول الراجحه على ضوء علمهم الخاص اما من صريح النص حينا واما من اشارات ورموز فيه حينا آخر " (٢).

رأى عبد الرزاق نوفل :

أما الأستاذ عبد الرزاق نوفل فكل كتبه حديث عن الاعجاز العلمى الا القليل منها وجاء فى أحد مؤلفاته قوله " ان من ضمن أوجه

---

(١) الاسلام والطب الحديث : الدكتور عبد العزيز اسماعيل ص ١٣-١٤

(٢) التفسير العلمى للآيات الكونيه فى القرآن : حنفى احمد ص ٥-٦

اعجازه التى تخرص ألسنة كل مكابر الاعجاز العلمى . فقد أثبت التقدم الفكرى فى العلوم فى العصر الحديث أن القرآن كتاب علم قد جمع أصول كل العلوم والحكمة وكل مستحدث من العلم نجد أن القرآن قد وجه اليه النظر أو اشار اليه . . ." (1) .

رأى محمد متولى الشعراوى :

أما الشيخ محمد متولى الشعراوى فيرى أن القرآن الكريم مزّق حواجز الغيب الثلاثة . . مزق حجاب الزمن الماضى وروى لنا بالتفصيل تاريخ الرسل وحوادث من سبقنا من الأمم . . ومزق حجاب المكان . وروى لنا ما يدور داخل نفوس الكفار والذين يحاربون الاسلام . . . ومزق حجاب المستقبل القريب وتنبأ بأحداث ستقع بعد شهور . . ثم قال " ثم بعد ذلك مزق القرآن حجاب المستقبل البعيد . . ليعطى الأجيال القادمة من اعجازه ما يجعلهم يصدقون القرآن ويسجدون لقائله وهو الله ، ولكن القرآن نزل فى زمن لو أن هذه المعجزات المستقبله جاءت تفصيليه لكفر عدد من المؤمنين . . . وانصرف آخرون . . ذلك أن الكلام كان فوق طاقة العقول فى ذلك الوقت ومن هنا وحتى لا يخرج المؤمن عن ايمانه . . ويستمر الاعجاز جاء القرآن بنهايات النظريات . . بقمة نواميس الكون اذا تليت على المؤمنين فى ذلك الوقت . . مرت عليهم . . ولم ينتبهوا الى مدلولها الحقيقى العلمى . . واذا قيلت بعد ذلك على الأجيال القادمه . . عرفوا ما فيها من اعجاز . . وقالوا ان هذا الكلام لا يمكن أن يقوله شخص عاش منذ آلاف السنين اذن لابد أن هذا القرآن حق من عند الله . . وأن قائله هو الله الخالق" (1)

---

(1) معجزة القرآن : محمد متولى الشعراوى ص ٣٨ -٣٩

رأى محمود أبو الفيض المنوفي :

وذلك فى كتابه القرآن والعلوم الحديثه قال فيه " ان العلم فى عصرنا الحاضر قد كشف عن حقائق قرآنيه كثيره وردت فى آيات من كتاب الله قبل أن يرتقى العلم ويشب عن الطوق "[1] .

وعقد فى موضع آخر فصلا بعنوان " فى أن القرآن هو الامام الذى أحصى الله فيه كل شيء تصريحا أو تلميحا " وجاء فيه قوله " عن القرآن الكريم " أنه أول كتاب دينى تصدى للكلام عن أصول المعارف العلميه والفلسفيه أحيانا تلميحا وأخرى تصريحا ومرة اجمالا وأخرى تفصيلا . وكان ذلك طبعا قبل أن يكتشف العلم أسلوبه الحديث وقبل أن يخلق العلماء المحدثون وقد تكلم القرآن اجمالا عن الكائنات السماويه والأرضيه فى مجموعها من ألغاز الى السدم الى الكواكب والشموس والأفلاك والشهب والنيازك وعن شمسنا ونظامنا وانشقاق الأرض عنها وباقى السيارات وتوابعها وتكلم عن بقية الخليقة من جماد ونبات وحيوان وكيفية تكوين الجنينين النباتى والحيوانى وجنين الانسان . . "[2]

رأى محمود أحمد مهدى :

قال فى كتابه البرهان من القرآن " فى القرآن الكريم ٧٥٠ آية كونيه تشرح بايجاز خلاصة ما أكن الله سبحانه فى العوالم الكونية من تراكيب ماديه بدقة تدق على العقل أوجد بها هذه المكونات من سماء وأرض ونبات وحيوان "[3] .

وقال فى موضع آخر " والآن ونحن فى أواخر القرن العشرين هذا القرن الذى بلغ بزعم عرفائه القمه من ادراك العلم وتحقيق

(١) القرآن والعلوم الحديثه : محمود ابوالغيض المنوفى ص ١٨
(٢) ،، ،، ،، ،، ،، ،، ص ٤٩-٥٠
(٣) البرهان من القرآن : محمود احمد مهيدى ص ٤٧-٤٨

غاياته يجب أن نواتر من الآيات القرآنيه ما يتوافق مع الكشوف العلمية المستحدثه وما يرد العلم رغما عنه الى الموافقه على عظمة القرآن الكريم ،مقارنين كل آية بما يقابلها من التحقيق العلمى الحاضر "[(١)] .

رأى محمد بن سعد الدبل :

وعدد الأستاذ محمد الدبل وجوه الاعجاز فى القرآن الكريم وعد منها الاعجاز العلمى وقال عنه: " وقد سلك القرآن الكريم فى هذا الوجه طريقة الاستدلال على خالق الكون ومنشئه استدلالا فطريا يتناسب مع جميع العقول والأفهام فتحدثت آياته عن كل ما يحيط بالانسان من عجائب هذا الكون تحدث عن الأرض والسماء والليل والنهار ، والشمس والقمر ،وعن الجبال والبحار والرياح والنبات والحيوان وعن الانسان نفسه ذلك الآدمى الذى يسخر تلك المخلوقات فيما يزود به معاشه بقدرة الخالق الحكيم كما أشار القرآن الى حقائق أماط اللثام عن الحكمة من وجودها وأشار الى حقائق تارة بالتلميح وتارة بالتصريح ومرة بالاجمال وأخرى بالتفصيل "[(٢)] .

رأى الشيخ عبد العزيز بن خلف آل خلف :

قال فى كتاب له شحنه بالتفسير العلمى " فقد أنزل الله القرآن العزيز تبيانا أى مبين ودليل على كل ما يمكن أن يقال له شىء من جميع ما فى السموات وما فى الأرض"[(٣)] .

---

(١) المرجع السابق : ص ٤٦
(٢) النظم القرآنى فى سورة الرعد : محمد بن سعد الدابل ص ٢٩
(٣) دليل المستفيد على كل مستحدث شجديد : الشيخ عبد العزيز بن خلف بن عبد الله آل خلف ص ٦٨ جـ ١

وقال " انه من الواجب على المسلمين الفرد منهم والجماعة وعلى أولى العلم أوجب أن يفتشوا فى طياته حتى يظهر الدليل القطعى على كل صغير وكبير ونطبق معانيه المباركه على صيرورة تلك المستحدثات المصنوعه التى بهرت عقول الجاهلين كل فرد بمفرده حتى تكون صيرورتها معجزات متتابعات من معجزات القرآن العزيز" (١)

وقال " ان من الحق الذى لا ريب فيه أن القرآن العزيز قد حمل فى طياته للبشريه كل هدى وكل دليل بارز على كل أمر يحدث فى هذا الكون دينى أو دنيوى للنفع أو للضرر" (١) .

رأى الدكتور محمد عبد الله دراز :

قال الدكتور دراز فى كتابه مدخل الى القرآن الكريم تحت عنوان حقائق علميه " ولكن القرآن فى دعوته الى الايمان والفضيلة لا يسوق الدروس من التعاليم الدينيه والأحداث الجاريه وحدها ، وانما يستخدم فى هذا الشأن الحقائق الكونيه الدائمه ، ويدعو عقولنا الى تأمل قوانينها الثابته - لا بغرض دراستها وفهمها فى ذاتها فحسب وانما لانها تذكر بالخالق الحكيم القدير ونلاحظ أن هذه الحقائق التى يقدمها تتفق تماما مع آخر ما توصل اليه العلم الحديث " ثم ذكر رحمه الله تعالى أمثلة لذلك .

وعلق على ذلك بقوله " ولكن الحماس دفع بعض المفسرين المحدثين الى المبالغة فى استخدام هذه الطريقة التوفيقيه لصالح القرآن بحيث اصبحت خطرا على الايمان ذاته لأنها اما ان تقلل

---

(١) المرجع السابق : جـ ١ ص ٧٠

من الاعتماد على معنى النص باستنطاقه ما لا تحتمله ألفاظه وجملة ، واما أن تعول أكثر مما يجب على آراء العلماء ، وحتى على افتراضاتهم المتناقضة أو التى يصعب التحقق من صحتها .

وبعد أن نستبعد هذه المبالغات عن البحث نرى أن من مقتضيات الايمان التى لا غنى عنها - أن نضاهى الحقائق الفوريه التى نجدها فى القرآن مع نتائج العلماء المنهجيه البطيئة "(١)

رأى حسن البنا :

قسم - رحمه الله تعالى المقررات العلميه الى قسمين قسم تظاهرت عليه الأدلة وتوافرت الحجج حتى كاد يلحق بالبديهيات ، وقسم لا زال فى طور البحث العلمى ، وكل الذى بين يدى العلماء الكونيين منه فروض تؤيدها بعض القرائن التى لم ترق الى مرتبة الأدلة القاطعة أو الحجج المقنعة فما كان من القسم الأول فلا شك أن ما أشار اليه القرآن الكريم منه يوافق كل الموافقه ويطابق كل المطابقة ما عرفه العلماء الكونيون ، حتى أنه من الحق أن يقال ان ذلك من اعجاز هذا الكتاب الذى جاء به أمّى لم يتعلم فى مدرسة ولم يلتحق بجامعة من الجامعات ومن أمثلة ذلك اشاراته الى أطوار الجنين ، وتلقيح الرياح ، وتكوّن السحاب وصلته بالرياح الخ .....

وما كان من القسم الثانى فمن التجنى وظلم الحقيقه أن يوازن بينه وبين ما جاء فى القرآن الكريم فلننتظر حتى يطمئن العلم الكونى الى ما بين يديه "(٢)

---

(١) مدخل الى القرآن الكريم : الدكتور محمد عبد الله دراز ص ١٧٦-١٧٧

(٢) مقدمة فى التفسير مع تفسير الفاتحه وأوائل سورة البقرة : حسن البناص ٢١

وبعــــد :

هـذه اشارات لآراء بعض مؤيدى التفسير العلمى ولا شك أنـــى اكثرت من عددهم وان لم اكن أطلت فى بسط آراء كل منهم وعمدا أكثرت ، وقصدا أوجزت . وانما فعلت ما فعلت لأمور خمسة أمســت الكفاية فى بعضها قائمه وحجة أحسبها لى .

أول هذه الأمور أنى قصدت بيان مدى انتشار القول بالتفسير العلمى فى العصر الحديث وأنه قد أصبح شائعا وأضحى مطروقا .

وثانيها أنى قصدت بيان توزعهم زمنا حتى كان فيهم من توفى أوائل القرن الرابع عشر ومنهم من لا يزال حيّا يرزق وكلهم مؤيـد له ، مدافع عنه ، لم يرجع آخرهم عن قول أولهم .

وثالثها أنى قصدت بيان انتشارهم مكانا ففيهم المصرى والشامى والجزائرى والعراقى والسعودى وغيرهم .

ورابعها أنى قصدت تعدد مذاهبهم وعقائدهم . ففيهم السـنى وفيهم الشيعى وفيهم الصوفى وغيرهم .

وخامسها أنى قصدت تعدد تخصصهم العلمى . ففيهم القاضى وفيهم الطبيب والمهندس والصيدلى والفلكى واللغوى والمعلم الأديب وغيرهم .

وهذه مجتمعة رأيت أنها تشفع لى بل توجب على أن أذكـــر الكثير من مؤيدى التفسير العلمى حتى أعطى الصوره الحقيقيـــة للواقع ، وهى مرادنا .

وأخيرا حقيقة يجب أن أنبه اليها أن هؤلاء المذكورين ليســوا كلهم على درجة واحده فى قبولهم للتفسير العلمى ، فان فيهم مـن

يؤيده كل التأييد ويقبله كل القبول لا يرد منه شيئا ويعتقد أن القرآن تبيان لكل شيء بمعنى أنه مبين لكل شيء بخصوصه ودقائقه وتفاصيله ، وفيهم من يعتقد أن فيه تأييد كل الحقائق العلمية ، وفيهم أخيرا من يعتقد قبول التفسير العلمى على أضيق نطاق وعدم تطبيق الآيات القرآنيه على كل ماجد أو يجد من النظريات الا اذا ارتقت الى درجة الحقيقة العلمية ووجد فى نصوص الآيات القرآنية ما يدل دلالة صريحه عليها ، بمعنى آخر لا يجوز التفسير العلمى عندهم الا بالربط بين حقيقة علمية وحقيقية قرآنية ،أما الحقيقة العلمية فواضحة وبينه أما ـ مرادهم بالحقيقة القرآنيه فهى التى تكون الدلالة فيها واضحه بينه لا تكلف فيها ولا تحريف ولا صرف للألفاظ عن مدلولاتها أو تحميلها من المعانى ما لا تستوعبه ألفاظها .

وانما ساغ لى أن جمعتهم وهم على هذا الاختلاف أن قبوله والاعتراف به يجمعهم ،وأنهم تناولوه ـ على تفاوت ـ فى تفاسيرهم فكان هذا رباطا بينهم وجامعا لأقوالهم .

أما الطائفه الأخرى منهم الذين رفضوه ،ورفضوا القول به ورفضوا قبوله ورفضوا تطبيقه .

أقوال المعارضين للتفسير العلمي التجريبي للقرآن الكريم :

وهم ولا شك وان كانوا الأقل الا أنهم ليسوا بقله ، وفوق هذا منهم أعلام لرأيهم قيمته ومكانته ، وذكرنا لذلك العدد من المؤيدين يوجب علينا ذكر مثلهم أو ما يقاربه من المعارضين التماسا للحياد في العرض والعدالة في القسمة ، فمن هؤلاء : -

محمود شلتوت :

وهو من أبرز المعارضين للتفسير العلمي وأشهرهم. فقد ذكر في تفسيره ناحيتين يجب تنزيه التفسير عنهما وجعل تفسير القرآن على مقتضى النظريات العلميه الناحيه الثانية منهما فقال :

" وأما الناحية الثانية : فان طائفة أخرى هي طائفة المثقفين الذين أخذوا بطرف من العلم الحديث ، وتلقنوا ، أو تلقفوا شيئا من النظريات العلميه والفلسفيه والصحيه وغيرها ، أخذوا يستندون الى ثقافتهم الحديثه ويفسرون آيات القرآن على مقتضاها .

نظروا في القرآن فوجدوا الله سبحانه وتعالى يقول " ما فرطنا في الكتاب من شيء "[1] فتأولوها على نحو زيّن لهم أن يفتحوا في القرآن فتحا جديدا ، ففسروه على أساس من النظريات العلمية المستحدثة ، وطبقوا آياته على ما وقعوا عليه من قواعد العلوم الكونيه ، وظنّوا أنهم بذلك يخدمون القرآن ، ويرفعون من شأن الاسلام ، ويدعون له أبلغ دعاية في الأوساط العلميه والثقافيه .

نظروا في القرآن على هذا الأساس فأفسد ذلك عليهم أمر

---

(١) سورة الأنعام : من الآية ٣٨

علاقتهم بالقرآن وأفضى بهم الى صور من التفكير لا يريدها القرآن ولا تتفق مع الغرض الذى من أجله أنزله الله ،فاذا مرت بهم آية فيها ذكر للمطر أو وصف للسحاب ، أو حديث عن الرعد أو البرق تهللوا واستبشروا وقالوا هذا هو القرآن يتحدث الى العلماء الكونيين ،ويصف لهم أحدث النظريات العلميه عن المطر والسحاب وكيف ينشأ وكيف تسوقه الرياح " .

ولم يزل الشيخ شلتوت يذكر بعض الأمثله الخاطئه فى التفسير العلمى ثم عقب عليها ببيان جوانب الخطأ فى هذا الاتجاه بقوله :

" هذه النظره للقرآن خاطئه من غير شك لأن الله لم ينزل القرآن ليكون كتابا يتحدث فيه الى الناس عن نظريات العلوم ودقائق الفنون وأنواع المعارف .

وهى خاطئة من غير شك ، لأنها تحمل أصحابها والمغرمين بها على تأويل القرآن تأويلا متكلفا يتنافى مع الاعجاز ، ولا يسيغه الذوق السليم .

وهى خاطئة ، لأنها تعرض القرآن للدوران مع مسائل العلوم فى كل زمان ومكان ، والعلوم لا تعرف الثبات ولا القرار ولا الرأى الأخير ، فقد يصح اليوم فى نظر العلم ما يصبح غدا من الخرافات.

فلو طبقنا القرآن على هذه المسائل العلميه المتقلبه ،لعرضناه للتقلب معها وتحمل تبعات الخطأ فيها ،ولأوقفنا أنفسنا بذلك موقفا حرجا للدفاع عنه .

فلندع للقرآن عظمته وجلالته ،ولنحفظ عليه قدسيته ومهابته ، ولنعلم أن ما تضمنه من الاشاره الى أسرار الخلق وظواهر الطبيعة

انما هو لقصد الحث على التأمل والبحث والنظر ، ليزداد الناس ايمانا مع ايمانهم .

وحسبنا أن القرآن لم يصادم - ولن يصادم - حقيقة من حقائق العلوم تطمئن اليها العقول "(١) .

وها أنت ترى أن الشيخ شلتوت يرفض هذا اللون من التفسير ويعده مما يجب أن ينزه عنه التفسير ،ويذكر جوانب الخطأ فيه ويدعو الى أن ندع للقرآن عظمته وجلالته ، مع اعترافه أن القرآن لم يصادم ولن يصادم حقيقة علمية ،

والذى اعتقده أن الشيخ شلتوت ما اتخذ هذا الموقف الآكرد فعل لماشاهده فى عصره من جرأة كثير من المفسرين ونحوهم على آيات القرآن يفسرونها بكل ما فيه مسحة من العصر علمية ، معرضين أو غافلين عن التفريق بين حقها وباطلها مما أوقعهم وسيوقعهم فى حرج شديد حين ظهور بطلان ما اتكأوا عليه من النظريات ، وهو بعد نظر منه رحمه الله .

أمين الخولى :

ولئن كان الشيخ شلتوت من أبرز المعارضين ومن أشهرهم فان أمين الخولى هو أبرزهم وأشهرهم ان كان مقياس ذلك قوة الرفض وضعفه ، فقد عقد أمين الخولى فى رسالة له صغيره عن التفسير معالم حياته - منهجه اليوم عقد بحثا عنوانه (انكار التفسير العلمى) ذكر فيه قدم الاتجاه الى التفسير العلمى وقدم المخالفه فى صحته

---

(١) تفسير القرآن الكريم : محمود شلتوت الصفحات ١١و ١٣و ١٤

وعرض فيه أدلة الشاطبى وأقواله فى انكار هذا اللون من التفسير ثم عقب على هذا بقوله : -

" واذا كان هذا هو الرأى القديم العهد ،فى فهم القرآن فهما يجعله مصدر العلوم المختلفة ، ويأخذ كلمه باصطلاحات حادثه بعده بأزمنة غير قصيره ، فانك لتضم الى هذا البيان من النظرات الحديثه ما يؤيده ويعززه فمنها : -

١- الناحية اللغويه ، فى حياة الألفاظ وتدرج دلالتها ، لو ملكنا منها ما لا بد لنا أن نملكه ، فى تحديد هذا التدرج وتأريخ ظهور المعانى المختلفة للكلمة الواحده وعهد استعمالها فيها لوجدنا من ذلك ما يحول بيننا وبين هذا التوسع العجيب فى فهم ألفاظ القرآن ، وجعلها تدل على معانى واطلاقات لم تعرف لها ولم تستعمل فيها ،أو ان كانت تلك الألفاظ قد استعملت فى شئ منها ، فباصطلاح حادث فى المله بعد نزول القرآن بأجيال .

٢- الناحية الأدبيه أو البلاغيه - ان شئت - والبلاغة فيما يقال مطابقة الكلام لمقتضى الحال فهل كان القرآن على هذا النحو المتوسع من التفسير العلمى ، كلاما يوجه الى من خوطب به من الناس فى ذلك العهد مرادا به تلك المعانى المذكورة مع أنها معان من العلم لم تعرفها الدنيا الا بعد ما جازت آمادا فسيحه ،وجاهدت جهادا طويلا ارتقى به عقلها وعلمها !!! وهب هذه المعانى العلميه المدعاة كانت هى المعانى المراده بالقرآن فهل فهمها أهل العربية منه اذ ذاك وأدركوها ؟ !

واذا كانوا قد فهموها فما لنهضتهم العلميه فى علوم الحياة المختلفة لم تبدأ بظهور القرآن ،ولم تقم على هذه الآيات الشارحة لمختلف نظريات العلوم المفهمه لدقائقها !! وان كانت لم تفهم منها ، ولم يدركها أصحاب اللغه الخلص من عبارتها كما هو الواقع فعلا فكيف تكون معانى القرآن المراده ؟ وكيف تكون تلك الألفاظ مفهمة لها وهل هذه هى المطابقة لمقتضى الحال !

٣- وهناك الناحيه الدينيه ،أو الاعتقاديه وهى التى تبين مهمة كتاب الدين وهل هو كتاب يتحدث الى عقول الناس وقواهم العالمه عن مشكلات الكون وحقائق الوجود العلميه ؟؟ وكيف يساير ذلك حياتهم ويكون أصلا ثابتا لها تختم به الرسالات السماويه ،كما هو الشأن فى القرآن ، مع أن هؤلاء المتدينين لا يقفون من معرفة هذه الحقائق عند غاية محدوده ،ولا ينتهون منها عند مدى ما ؟؟ ! فكيف تؤخذ جوامع الطب والفلك والهندسة والكيمياء من القرآن على نحو ما سمعت آنفا ، وهى جوامع لا يضبطها اليوم أحد الا تغير ضبطه لها بعد يسير من الزمن أو كثير ، وما ضبطه منها القدماء قد تغير عليهم فيما مضى ، ثم تغير تغيرا عظيما فيما تلا !!

والحق البين أن كتاب الدين لا يعنى بهذا من حياةالناس ولا يتولاه بالبيان ،ولا يكفيهم مؤنته حتى يلتمسوه عنده ، ويعدوه مصدرا فيه .

وأما ما اتجهت اليه النوايا الطيبه من جعل الارتباط بين كتاب الدين والحقائق العلميه المختلفة ،ناحية من نواحى بيان

صدقه أو اعجازه أو صلاحيته للبقاء .. الخ ، فربما كان ضرره اكثر من نفعه على أنه ان كان لابد لأصحاب هذه النوايا ومن لف لفهم من أن يتجهوا اليه ، ليدفعوا مناقضة الدين للعلم فلعله يكفى فى هذا ويفى ألاّ يكون فى كتاب الدين نص صريح يصادم حقيقة علميه يكشف البحث أنها من نواميس الكون ونظم وجوده ، وحسب كتاب الدين بهذا القدر صلاحية للحياة ومسايرة للعلم وخلاصا من النقد " (١)

هذا ما يراه أمين الخولى وفيه ما يقبل وفيه ما يرد وما توقفت عند نصوصه مثل وقوفى عند قوله " والحق البين أن كتاب الدين لا يعنى بهذا من حياة الناس ولا يتولاه بالبيان الخ " . اذ لا أدرى على أى أساس قال هذا وما هى المقدمات التى كانت نتائجها الفصل بين الدين والعلم حتى ولن أقف طويلا فى محاورته ، اذ الحديث آت بعد ان شاء الله .

محمد حسين الذهبى :

أما الشيخ الذهبى رحمه الله تعالى فهو كالخولى يعقد فصلا عنوانه انكار التفسير العلمى ، بسط فيه رأى الشاطبى وأدلته وأطال فى ذلك ، ثم تحدث الذهبى عن اختياره فى هذا الموضوع قال فيه " أما أنا فاعتقادى أن الحق مع الشاطبى رحمه الله لأن الأدلة التى ساقها لتصحيح مدعاه أدلة قوية لا يعتريها ضعف ولا يتطرق اليها خلل ولأن ما أجاب به على أدلة مخالفيه أجوبة سديده - دامغه لا تثبت أمامها حججهم ولا يبقى معها مدعاهم .

---

(١) التفسير معالم حياته منهجه اليوم : امين الخولى ص ٢٥-٢٦

وهناك أمور أخرى يتقوى بها اعتقادنا أن الحق فى جانب الشاطبى ومن لف لفه "(١)

ثم ذكر الذهبى رحمه الله تعالى نفس الأمور الثلاثة التى ذكرها قبله أمين الخولى فى انكار التفسير العلمى ،مع بعض الاختلاف فى بعض العبارات وان كانت المعانى فى كل واحده ، والأمور الثلاثة كما مر هى :

١- الناحيه اللغويه .

٢- الناحية البلاغية .

٣- الناحية الاعتقادية .

ثم عقب على هذه الأمور الثلاثة نحو تعقيب الخولى فقال : -

" واذا كان أرباب هذا المسلك فى التفسير يستندون الى ما تناولته بعض آيات القرآن من حقائق الكون ومشاهده ، ودعوة الله لهم بالنظر فى كتاب الكون وآياته التى بثها فى الآفاق وفى أنفسهم ،اذا كانوا يستندون الى مثل هذا فى دعواهم أن القرآن قد جمع علوم الأولين والآخرين ، فهم مخطئون ولا شك وذلك لأن تناول القرآن لحقائق الكون ومشاهده ودعوته الى النظر فى ملكوت السموات والأرض وفى أنفسهم ، لا يراد منه الا رياضة وجدانات الناس ، وتوجيه عامتهم وخاصتهم الى مكان العظة والعبرة ،ولفتهم الى آيات قدرة الله ودلائل وحدانيته ، من جهة ما لهذه الآيات والمشاهد من روعة فى النفس وجلال فى القلب ،لا من جهة ما لها من دقائق النظريات وضوابط القوانين ، فليس القرآن كتاب فلسفة أو طب أو هندسة . . .

---

(١) التفسيروالمفسرون : محمد حسين الذهبى جـ٣ ص ١٥٧

وليعلم أصحاب هذه الفكره أن القرآن غنيّ عن أن يعتز بمثل هذا التكلف الذى يوشك أن يخرج به عن هدفه الانسانى الاجتماعى فى اصلاح الحياة ورياضة النفس ، والرجوع بها الى الله تعالى .

وليعلم أصحاب هذه الفكرة أيضا أن من الخير لهم ولكتابهم أن لا ينحو بالقرآن هذا المنحى فى تفسيرهم ، رغبة منهم فى اظهار اعجاز القرآن وصلاحيته للتمشى مع التطور الزمنى ، وحسبهم أن لا يكون فى القرآن نص صريح يصادم حقيقة علميه ثابته وحسب القرآن أنه يمكن التوفيق بينه وبين ما جد ويجد من نظريات وقوانين علمية تقوم على أساس من الحق ، وتستند الى أصل من الصحه "[1]

والذهبى كما ترى يرفض التفسير العلمى او تطبيق آيات القرآن عليه كل الرفض ، ويبدو لى أنه متأثر بهذا برجلين أولهما الامام الشاطبى رحمه الله تعالى فقد بسط رأيه وأدلته مؤيدا لها . وأما ثانيهما فأمين الخولى فقد أورد نفس حججه وأدلته التى زادها على أدلة الشاطبى .

محمد عزة دروزة :

رفض الأستاذ دروزه التفسير العلمى واستخراج النظريات العلمية والفنيه والكونيه من الكلمات والآيات القرآنيه عند تفسيره لقوله تعالى " بلى قادرين على أن نسوى بنانه "[2] فقال " ولقد قرأنا مقالا أراد كاتبه أن يجعله صلة بين اختصاص البنان بالذكر وبين ما ظهر حديثا من علم بصمات الأصابع وما صار له من خطورة فى اثبات

---

(١) التفسيروالمفسرون : محمد حسين الذهبى جـ٣ ص ١٥٩-١٦٠

(٢) سورة القيامه : الآية ٤

شخصيات الناس وتمشيا مع الفكرة التى سادت بعض الناس من النظريات العلمية والفنية والكونية من الكلمات والآيات القرآنيةللتدليل على صدق القرآن واعجازه ، ومعجزات الله المشار اليها فيه ، وفى هذا اعتقادنا تحميل لكلمات القرآن وآياته غير ما تتحمل واخراج له من نطاق قدسيته وغايته وتعريض له للجدل والنقاش .

ولقد نزل القرآن بلسان العرب على قوم يفهمونه وأمر الله نبيه صلى اللهعليه وسلم بشرحه وتبيانه والنظريات الحديثه لم تكن معلومة ولا مكشوفه ، ولا يصح لمسلم مهما حسنت نيته أن يدعى أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن يعرف جميع ما تضمنته آيات القرآن "[1]

عباس العقاد :

أما العقاد رحمه الله فقد رفض التفسير العلمى وجعل سبب رفضه تجدد العلوم الانسانيه وأنها لا تستقر على حال وقد تتقوض قاعدة علميه بعد أن رسخت ولهذا فهو يرفض أن يربط بين النص القرآنى المحكم مع هذه النظريات .

قال رحمه الله تعالى " تتجدد العلوم الانسانيه مع الزمن على سنة التقدم ، فلا تزال بين ناقص يتم وغامض يتضح ، وموزع يتجمع، وخطأ يقترب من الصواب ، وتخمين يترقى الى اليقين ،ولا يندر فى القواعد العلميه أن تتقوض بعد رسوخ أو تتزعزع بعد ثبوت . . ويستأنف الباحثون تجاربهم فيها بعد أن حسبوها من الحقائق المفروغ منها عدة قرون .

---

(١) التفسير الحديث : محمد عزه دروزه جـ٢ ص ٧

فلا يطلب من كتب العقيده أن تطابق مسائل العلم .. كلما ظهرت مسألة منها لجيل من أجيال البشر ولا يطلب من معتقديها أن يستخرجوا من كتبهم تفصيلات تلك العلوم ، كما تعرض عليهم في معامل التجربه والدراسه لأن هذه التفصيلات تتوقف على محاولات الانسان وجهوده ، كما تتوقف على حاجاته وأحوال زمانه .

قد أخطأ أناس في العصور الأخيره لأنهم أنكروا القول بدوران الأرض واستدارتها ، واعتمادا على ما فهموه من ألفاظ بعض الآيات" (١)

ثم ذكر أمثلة أخرى نحو هذا من الأخطاء من التفسير العلمي وعقب عليها قائلا :- " وخليق بأمثال هؤلاء المعتسفين أن يحسبوا من الصديق الجاهل ، لأنهم يسيئون من حيث يقدرون الاحسان ويحملون على عقيدة اسلامية وزر أنفسهم وهم لا يشعرون .

كلا لا حاجة بالقرآن الكريم الى مثل هذا الادعاء لأنه كتاب عقيدة يخاطب الضمير ، وخير ما يطلب من كتاب العقيدة في مجال العلم أن يحث على التفكير ولا يتضمن حكما من الأحكام يشل حركة العقل في تفكيره أو يحول بينه وبين الاستزادة من العلوم ما استطاع حيثما استطاع .. وكل هذا مكفول للمسلم في كتابه ، كما لم يكفل قط في كتاب من كتب الأديان " (٢) .

عائشة عبد الرحمن :

حين ألف الدكتور مصطفى محمود كتابه محاولة لفهم عصرى للقرآن أصدرت بنت الشاطئ الدكتورة عائشة كتابها القرآن والتفسير

---

(١) الفلسفة القرآنيه : عباس محمود العقاد ص ١٥

(٢) المرجع السابق : ص ١٦ - ١٧

العصرى ردت فيه على الدكتور مصطفى .

ثم كتبت (مستخلصا) لكتابها هذا وألحقته بكتاب آخر لها هو القرآن وقضايا الانسان ، وزادت عليه ردودا حتى جاء أضعاف الكتاب الأصلى .

وقد تساءلت وأجابت على تساؤلها بقولها : " فماذا عسانا أن نصنع ، لنرسخ الايمان فى ضمائر الشباب وعقولهم ، ممن يدرسون علوم العصر ويدخلون المشرحه والمعمل والمصنع ، ويتابعون جهود علماء الفضاء ورحلات القمر !

هل نأتيهم بقرآن غير هذا الذى نزل على نبى أمى فى بيئة بدوية ؟ أو نضحك على عقولهم ببدع من التأويلات تقدم لهم من القرآن كل علوم الدنيا وعصريات التكنولوجيا !؟

أبناء الجيل ليسوا من البلاهة والغفلة والسذاجة ، بحيث يجوز عليهم أن يقول لهم قائل اننا عرفنا الطائرات النفاثه ، اذ عذنا برب الفلق من " شر النفاثات فى العقد " واهتدينا الى أسرار الذرة بـ " مثقال ذرة " ! "[١]

الى أن قالت " وخطر على عقلية الجماهير أن نخايلها بهذه الألفاظ المضخمه من بدع التأويلات العصريه العلميه تمسخ عقليتهم ويختل بها منطقهم وتخدر وعيهم بغرور السبق الى علوم العصر "[٢]

وقالت " الاسلام يتجه الى العقل فى ترسيخ الايمان ، وكتابة المحكم يفصل الآيات لقوم يعقلون ويعلمون يؤمنون ، ويضرب الأمثال

---

(١) القرآن وقضايا الانسان : عائشه عبد الرحمن ص ٤٢٦

(٢) المرجع السابق : ص ٤٢٨

لعلنا نتفكر ونفقه ونؤمن . وقد حرر القرآن الانسان من الأغلال التى تعوق تحقيقه لآية انسانيته المكرمه أو تقيد مسعاه الطامح الى ما سخر له الله : كل ما فى السموات وما فى الأرض .

بغير العقل ،لا يتميز حق من باطل ،ولا هدى من ضلال ، وبغير العلم لا سبيل الى تسخير شىء مما فى الأرض أو فى السماء .

ولا حرج من الدين ،فى أن يقرأ أبناؤنا نظرية التطور وأصل الأنواع فى بحوث " دارون " والنظرية المادية فى اعلان" ماركس " ومؤلفاته وشروح تلاميذه العلماء واضافاتهم .

لكن المحظور أن يقرأوا النظريه مشوهة ممسوخه مدسوسه على القرآن باسم العلم والعصريه والايمان .

وأبناؤنا المسلمون يدرسون علوم العصر وأسرار الرياضيات والتكنولوجيا فى موسكو ولندن وباريس وأدنبره وفيينا وبرلين وبراج ويطلبون العلم ولو كان فى الصين !

ويحظر عليهم دينهم ،أن يطلبوا أى علم ممن يدعى أنه أحاط بكل شىء علما ووسع علمه السموات والأرض والدنيا والآخرة .

أذكر أن فقيها من علمائنا سأله سائل فى آية " وما فرطنا فى الكتاب من شىء " (١) فهل يعلم من القرآن : كم رغيفا يخبز من اردب قمح ؟ قال نعم ،واتصل تليفونيا بمخابز " الرمالى " فأعطاه مديرها الجواب . قال السائل : لكن هذا ليس من القرآن ؟ ورد شيخنا : بلى ، فى القرآن " فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون " (٢) وقد فعلت .. "

---

(١) سورة الأنعام : من الآية ٣٨
(٢) سورة النحل : من الآية ٤٣

ومن أهل الذكر نلتمس العلم ، ونطلب الدين فنرجع فيه الى الله والى الرسول في الكتاب والسنه وفقه الأئمه وبحوث العلماء" (١)

وهذا الموقف الذى وقفته من التفسير العلمى يبدو لى أنه متأثر بموقف استاذها وزوجها أمين الخولى الذى تأثرت به بنت الشاطىء كثيرا فلعل هذا من ذاك .

محمد كامل حسين :

وهو من أكثر المعارضين معارضة بل انه وصف التفسير العلمى بأوصاف لم يسبق اليها ،فقال عنه خاصه الآيات الكونيه " انه دعوى لا دليل عليها ولا حاجة للمؤمنين بها وأن هذه الآيات يجب أن تفهم على ما فهمه المسلمون الأولون حيث قالوا : هذا شيء نؤمن به ولا نصوره تصويرا واقعيا ، والذين يفسرون الآيات الكونيه تفسيرا علميا يدلون بذلك على ضعف ايمانهم ولو كانوا مؤمنين حقا ما كانت بهم حاجة الى شيء من ذلك يقوى به ايمانهم فليس مقصودا بالآيات الكونيه غير الوعظ ، والتفسير الحق هو الذى يقربها من أذهاننا تقريبا يؤدى الى الموعظة والعبره ، وكل تعمق في تصويرها تصويرا واقعيا هو بدعة حمقاء " (٢)

ولم يكتف بوصفه على عجل بأنه بدعة حمقاء بل جعل هذا ، الوصف عنوان فصل هو " التفسير العلمى بدعة حمقاء " وقال " كنت أحسب أن أمر هذه البدعة لا يعنى به أحد ولا يقام له وزن حتى اعتنقها طبيب كبير ،وقال بها قاض ممتاز ، ودافع عنها كيميائى

---

(١) القرآن وقضايا الانسان : عائشة عبد الرحمن ٤٢٨-٤٣٠

(٢) الذكر الحكيم : محمد كامل حسين ص ٥٩

معروف، وخيل الى الناس أن مفكرين وعلماء من هذا الطراز اذا قالوا : ان العلم الحديث موجود فى القرآن فلا بد أن يكون قولهم حقا"[(١)]

ومما لا شك فيه أن فى عباراته وألفاظه ما لا يقبل ،ولا يصح لا نريد نقدها وليس هذا هدفنا ، وان كان مرادنا يتحقق باثبات كونه من الرافضين المعارضين .

شوقى ضيف :

فقد تحدث شوقى ضيف فى مقدمة كتابه " سورة الرحمن وسور قصار " عن منهج ابن تيميه وابن قيم الجوزيه ثم عن منهج الشيخ الامام محمد عبده الى أن قال " وقد تلت الشيخ الامام تفاسير كثيرة منها ما اهتدى بهديه ومنها ما خاض فى مباحث علمية كنت ولا أزال أرها تجنح عن الحاده اذ القرآن فوق كل علم ،ومن الخطأ أن يتخذ ذريعه لاثبات نظريات علميه فى الطبيعه والعلوم الكونية والفلكية وهو لم ينزل لبيان قواعد العلوم ولا لتفسير ظواهر الكون . وماذكر فيه من خلق السموات والأرض والأفلاك والكواكب انما يراد به بيان حكمة الله وأن للوجود خالقا أعلى يدبره وينظم قوانينه ،ولا ريب فى أن القرآن يدعو أتباعه دعوة عامه الى العلم والتعلم للعلوم الرياضية والطبيعية والكونية ،ولكن هذا شئ والتحول بالقرآن الى كتاب تستنبط منه النظريات العلميه شئ آخر لا يتصل برسالته ولا بدعوته . انه دين لهداية البشرية يزخر بما لا يحصى من قيم روحيه واجتماعية وانسانيه ، وحسب المفسر أن يعنى ببيان ما فيه من هذه القيم ومن

---

(١) المرجع السابق : ص ١٨٢

أصول الدين الحنيف وتعاليمه التى أضاءت المشارق والمغارب أضواء غامـــره " [١] .

الدكتور صبحى الصالح :

عدد الدكتور صبحى الصالح آفاق الدراسات القرآنية الحديثة فعد الأفق الحديث الثانى : التوفيق العلمى وقال عنه " هذا الأفق الثانى مدعاة الى الزلل لدى أكثر الذين خاضوا فيه من المعاصرين لأن عمليه التوفيق تفترض غالبا محاولة للجمع بين موقفين يتوهـــم أنهما متعاديان ولا عداء ، أو يظن أنهما متلاقيان ولا لقاء ،أعنى أنه لا ينبغى أن يحالف النجاح بصورة حتميه كل عمليه من عمليات التوفيـــق " [٢] .

الى أن قال " وقد تولى كبر هذا التوفيق المحفوف بكثير من الزلل طنطاوى جوهرى فى تفسيره الجواهر الذى قيل فيه : ان فيه كل شىء ما عدا التفسير ! " [٣] .

ثم ذكر نصا للجوهرى فيه دفاع عن منهجه ، وعقب عليه بذكر أمور أخذت على تفسير الجوهرى ثم قال " لذلك انتقد شيخ الأزهر المرحوم محمود شلتوت هذه المحاولات التوفيقيه الخاطئة التى تبعد الناس عن هداية القرآن " [٤] . وساق بعد ذلك قول الشيخ محمود شلتوت .

أحمد محمد جمال :

عارض الأستاذ أحمد محمد جمال تفسير الآيات تفسيرا علميـــا

---

(١) سورة الرحمن وسور قصار : الدكتور شوقى ضيف ص ١٠

(٢) معالم الشريعة الاسلامية : الدكتور صبحى الصالح ص ٢٩١

(٣) المرجع السابق : ص ٢٩٢ (٤) المرجع السابق : ص ٢٩٣

والخوض بها فى ذلك فقال فى ذلك : " أجل .. القرآن الكريم هو كتاب الاسلام وحامل معجزاته الباهره .. من أنباء وقصص وغيوب غابره وحاضره وآتيه .. بعضها تحقق فعلا وبعضها يتحقق على مدار الزمن ، وتعاقب الأجيال .

ولكن " القرآن " مع ذلك ليس كتابا علميا .. أى ليس كتاب نظريات علمية ، وليس من شأنه أن يكون كذلك فالنظريات العلمية تتناقض وتصدق اليوم ، أو هكذا يبدو أنها صادقه ، ثم تكذب غدا .

وحاشا القرآن .. ما تناقض قط فى أنبائه ، ولا فى قصصه ، ولا فى مبادئه التشريعيه والخلقيه ..

ويخطىء بعض المثقفين من المسلمين حين يحاولون تطبيق بعض اشارات القرآن أو بعض لفتاته المعجزة ، على الاكتشافات أو النظريات الحديثه وهم يظنون أنهم يرفعون بذلك شأن القرآن ، بينما يعرضونه بادعاءاتهم للتناقض والانتقاد والتعارض ، ويضعونه دون موضعه من التقديس والتصديق " (١) .

وقد عرض الأستاذ أحمد جمال بعض التفاسير العلميه الحديثة وناقشها بما يبطلها .

عبد المجيد المحتسب :

أما الأستاذ عبد المجيد فهو ينكر نزعة التفسير العلمى للقرآن الكريم ولا يسوغ اخضاع الآيات القرآنيه للعلوم الكونيه والطبيعية البته ، ولا يوافق الذين يستخرجون النظريات العلميه من الآيات

---

(١) على مائدة القرآن مع المفسرين والكتاب : أحمد محمد جمال ٣٢٣

القرآنيه وعلل ذلك بـ " أن القرآن الكريم ليس كتاب علم مثل الكيمياء والذرة والهندسة والفلك والفيزياء وغير ذلك . وانما هو كتاب أنزله الله تعالى على رسوله محمد عليه الصلاة والسلام ليكون هدى ورحمة للناس " (١)

ثم ذكر أربعة أدلة لاتخاذه هذا الموقف من التفسير العلمى وقد فصل القول فى أدلته بعض التفصيل فقال ما خلاصته :-

أولها : أن جعل الارتباط بين القرآن وبين الحقائق العلمية المختلفة ناحية من نواحى بيان صدقه أو اعجازه أو صلاحيته للبقاء هو خلط بين علم التفسير وعلم اعجاز القرآن . . . .

ثانيها : من المعروف بداهة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يفهم القرآن جملة وتفصيلا ومن الطبيعى كذلك أن يفهم أصحاب - النبى صلى الله عليه وسلم القرآن فى جملته أى بالنسبة لظاهره وأحكامه وكل من يرجع الى كتب السنه يجد أنها قد أفردت للتفسير بابا من الأبواب التى اشتملت عليها ذكرت فيه كثيرا من التفسير المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا أمعنا النظر فى هذا التفسير المأثور فانا لا نجد فيه أى أصل من أصول العلوم المختلفة التى يتبجح بها أنصار وأصحاب الاتجاه العلمى فى تفسير القرآن .

ثالثها : أن القرآن اما أن يكون من عند الله أو من العرب أو من محمد ، ولا يمكن أن يكون من العجم لأن العرب عجزوا عن الاتيان بسوره من مثله فالأعاجم بالضروره أعجز ، فالقرآن ليس

---

(١) اتجاهات التفسير فى العصر الراهن : عبد المجيد المحتسب ص ٣١٤

من عند العرب ،أما محمد عليه السلام فلو كان القرآن من عنده
لكان أسلوب الحديث هو نفس أسلوب القرآن والمعروف أن القرآن
يختلف عن أسلوب الحديث اذن فالقرآن ليس من عند محمد ، واذا
لم يكن القرآن من عند محمد عليه السلام ولا من عند العرب فهو
من عند الله سبحانه وتعالى ،

هذه هى الطريقة الصحيحه لاثبات صدق القرآن وصلاحيته للحياة
وليست طريقة اثبات ذلك نظريات علميه فى القرآن الكريم .

رابعها : ان القرآن يشير كثيرا الى أشياء فى الكون مثل الشمس
والقمر والأهله والنجوم والرياح . وحث الانسان على أن يتدبر
خلق السموات والأرض .. كل ذلك لتهيئة الانسان الى الايمان
عن طريق العقل بالخالق وليربط الايمان بالله عن طريق
الفطرة بالايمان بالله عن طريق العقل ولكن الله سبحانه
وتعالى لم يطلق العنان للعقل البشرى فى بحث كل ما ورد
فى القرآن الكريم لأن عقل الانسان قاصر .. وقد يضيع فى
متاهات اذا بحث بعض الموضوعات .. وقد يكون التقدم العلمى
فى أحوال كثيرة عاملا مساعدا على الوصول الى الايمان بالخالق
الواجب الوجود وقد يكون خلاف ذلك ولكن هذا شىء واخضاع
الآيات القرآنيه للعلوم المختلفة شىء آخر وبخاصة النظريات
المتغيرة " (1) .

هذه خلاصة الأدلة التى أوردها الأستاذ عبد المجيد
المحتسب فى رده التفسير العلمى للقرآن الكريم

---

(1) اتجاهات التفسير فى العصر الراهن : عبد المجيد المحتسب ص ٣١٤ - ٣٢٣ باختصار .

والذى يظهر لى أن فى بعضها ضعف فى الاستدلال لا يقوى على الاحتجاج به وانما ذكرتها كوجهة نظر لأحد الباحثين أولا ، ولأنها تقوى باضافتها الى حجج العلماء الآخرين وتقويها . أحسبها كذلك .

سيد قطب :

وكما ختمت آراء المؤيدين برأى حسن البنا رحمه الله تعالى ، وهو من هو فانى أختم آراء المعارضين برأى سيد قطب رحمه الله تعالى وهو من هو .

وقد أفاض رحمه الله تعالى الحديث فى نقد التفسير العلمى وعذرا ان أكثرت من نقل جواهره وان كان لى من ملاحظات ليس على جواهره تلك وانما على تصنيفه مع الرافضين فسأرجؤه الى آخر نصوصه حتى يفهم عنى ما أردت قوله .

قال رحمه الله تعالى فى تفسير قوله تعالى " ويسألونك عن الأهله قل هى مواقيت للناس والحج " (١)

((لقد كان القرآن بصدد انشاء تصور خاص ، ونظام خاص ، ومجتمع خاص . . . كان بصدد انشاء أمة جديدة فى الأرض ، ذات دور خاص فى قيادة البشرية ، لتنشىء نموذجا معينا من المجتمعات غير مسبوق ، ولتعيش حياة نموذجية خاصة غير مسبوقة ، ولتقر قواعد هذه الحياه فى الأرض ، وتقود اليها الناس .

---

(١) سورةالبقرة : من الآية ١٨٩

والاجابة " العلمية " عن هذا السؤال ربما كانت تمنح السائلين علما نظريا فى الفلك ، اذا هم استطاعوا ، بما كان لديهم من معلومات قليلة فى ذلك الحين ، أن يستوعبوا هذا العلم ، ولقد كان ذلك مشكوكا فيه كل الشك ، لأن العلم النظرى من هذا الطراز فى حاجة الى مقدمات طويلة ، كانت تعد بالقياس الى عقلية العالم كله فى ذلك الزمان معضلات .

من هنا عدل عن الاجابة التى لم تتهيأ لها البشرية ، ولا تفيدها كثيرا في المهمة الاولى التى جاء القرآن من أجلها ، وليس مجالها على أية حال هو القرآن . اذ القرآن قد جاء لما هو أكبر من تلك المعلومات الجزئية . ولم يجيء ليكون كتاب علم فلكى أو كيماوى أو طبى . . كما يحاول بعض المتحمسين له أن يلتمسوا فيه هذه العلوم ، أو كما يحاول بعض الطاعنين فيه أن يتلمسوا مخالفاته لهذه العلوم !

ان كلتا المحاولتين دليل على سوء الادراك لطبيعة هذا الكتاب ووظيفته ومجال عمله . ان مجاله هو النفس الانسانية والحياة الانسانية . وان وظيفته أن ينشيء تصورا عاما للوجود وارتباطه بخالقه ، ولوضع الانسان فى هذا الوجود وارتباطه بربه ، وأن يقيم على أساس هذا التصور نظاما للحياة يسمح للانسان أن يستخدم كل طاقاته . . ومن بينها طاقته العقلية ، التى تقوم هي بعد تنشئتها على استقامة ، واطلاق المجال لها لتعمل - بالبحث العلمي - فى الحدود المتاحة للانسان - وبالتجريب والتطبيق ، وتصل الى ما تصل اليه من نتائج ، ليست نهائية ولا مطلقة بطبيعة الحال .

ان مادة القرآن التى يعمل فيها هى الانسان ذاته : تصوره واعتقاده ومشاعره ومفهوماته ، وسلوكه وأعماله ، وروابطه وعلاقاته . . أما العلوم المادية ، والابداع فى عالم المادة بشتى وسائله وصنوفه ، فهى موكولة الى عقل الانسان وتجاربه وكشوفه وفروضه ونظرياته . بما أنها أساس

خلافته فى الأرض ، وبما أنه مهيأ لها بطبيعة تكوينه . . والقرآن يصحح له فطرته كي لا تنحرف ولا تفسد ، ويصحح له النظام الذى يعيش فيه كي يسمح له باستخدام طاقاته الموهوبة له ، ويزوده بالتصور العام لطبيعة الكون وارتباطه بخالقة ، وتناسق تكوينه ، وطبيعة العلاقة القائمة بين أجزائه - وهو أى الانسان أحد أجزائه - ثم يدع له أن يعمل فى ادراك الجزئيات والانتفاع بها فى خلافته ولا يعطيه تفصيلات لأن معرفة هذه التفصيلات جزء من عمله الذاتى .

وانى لأعجب لسذاجة المتحمسين لهذا القرآن ، الذين يحاولون أن يضيفوا اليه ما ليس منه ، وأن يحملوا عليه ما لم يقصد اليه وأن يستخرجوا منه جزئيات فى علوم الطب والكيمياء والفلك وما اليها . . كأنما ليعظموه بهذا ويكبروه !

ان القرآن كتاب كامل فى موضوعه ، وموضوعه أضخم من تلك العلوم كلها . . لأنه هو الانسان ذاته الذى يكشف هذه المعلومات وينتفع بها . . والبحث والتجريب والتطبيق من خواص العقل فى الانسان .والقرآن يعالج بناء هذا الانسان نفسه . بناء شخصيته وضميره وعقله وتفكيره . كما يعالج بناء المجتمع الانسانى الذى يسمح لهذا الانسان بأن يحسن استخدام هذه الطاقات المذخورة فيه . . وبعد أن يوجد الانسان السليم التصور والتفكير والشعور ، ويوجد المجتمع الذى يسمح له بالنشاط ، يتركه القرآن يبحث ويجرب ، ويخطىء ويصيب ، فى مجال العلم والبحث والتجريب . وقد ضمن له موازين التصور والتدبر والتفكير الصحيح .

كذلك لا يجوز أن نعلق الحقائق النهائية التى يذكرها القرآن أحيانا عن الكون فى طريقه لانشاء التصور الصحيح لطبيعة الوجود وارتباطه بخالقه ، وطبيعة التناسق بين أجزائه . . لا يجوز أن نعلق هذه الحقائق

النهائية التى يذكرها القرآن ،بفروض العقل البشرى ونظرياته ، ولا حتى بما يسميه " حقائق علمية " مما ينتهى اليه بطريق التجربة القاطعه فى نظره .

ان الحقائق القرآنية حقائق نهائية قاطعة مطلقة . أما ما يصل اليه البحث الانساني - أيا كانت الأدوات المتاحة له - فهي حقائق غير نهائية ولا قاطعة ، وهى مقيدة بحدود تجاربة وظروف هذه التجارب وأدواتها . . فمن الخطأ المنهجى - بحكم المنهج العلمى الانسانى ذاته - أن نعلق الحقائق النهائية القرآنية بحقائق غير نهائية . وهى كل ما يصل اليه العلم البشرى !

هذا بالقياس الى " الحقائق العلمية " . . والأمر أوضح بالقياس الى النظريات والفروض التى تسمى " علمية " . ومن هذه النظريات والفروض كل النظريات الفلكية ، وكل النظريات الخاصة بنشأة الانسان وأطواره ، وكل النظريات الخاصة بنفس الانسان وسلوكه . . وكل النظريات الخاصة بنشأة المجتمعات وأطوارها . . فهذه كلها ليست " حقائق علمية " حتى بالقياس الانساني . وانما هى نظريات وفروض . كل قيمتها أنها تصلح لتفسير أكبر قدر من الظواهر الكونية أو الحيوية أو النفسية أو الاجتماعية . الى أن يظهر فرض آخر يفسر قدرا أكبر من الظواهر ، أو يفسر تلك الظواهر تفسير أدق ! ومن ثم فهى قابلة دائما للتغيير والتعديل والنقص والاضافة ، بل قابلة لأن تنقلب رأسا على عقب ، بظهور أداة كشف جديدة أو بتفسير جديد لمجموعة الملاحظات القديمة !

وكل محاولة لتعليق الاشارات القرآنية العامة بما يصل اليه العلم من نظريات متجددة متغيرة - أو حتى بحقائق علمية ليست مطلقة كما أسلفنا - تحتوى أولا على خطأ منهجى أساسي . كما أنها تنطوى على معان ثلاثة كلها لا يليق بجلال القرآن الكريم .

الأولى : هي الهزيمة الداخلية التى تخيل لبعض الناس أن العلم هو المهيمن والقرآن تابع . ومن هنا يحاولون تثبيت القرآن بالعلم . أو الاستدلال له من العلم . على حين أن القرآن كتاب كامل فى موضوعه ونهائى فى حقائقه . والعلم ما يزال فى موضوعه ينقض اليوم ما أثبته بالأمس ، وكل ما يصل اليه غير نهائى ولا مطلق ، لأنه مقيد بوسط الانسان وعقله وأدواته ، وكلها ليس من طبيعتها أن تعطى حقيقة واحدة نهائية مطلقة .

والثانية : سوء فهم طبيعة القرآن ووظيفته . وهي أنه حقيقة نهائية مطلقة تعالج بناء الانسان بناء يتفق - بقدر ما تسمح طبيعة الانسان النسبية - مع طبيعة هذا الوجود وناموسه الالهى . حتى لا يصطدم الانسان بالكون من حوله ، بل يصادقه ويعرف بعض أسراره ، ويستخدم بعض نواميسه فى خلافته ، نواميسه التى تكشف له بالنظر والبحث والتجريب والتطبيق ، وفق ما يهديه اليه عقله الموهوب له ليعمل لا ليتسلم المعلومات المادية جاهزة

والثالثة : هى التأويل المستمر - مع التمحل والتكلف - لنصوص القرآن كي نحملها ونلهث بها وراء الفروض والنظريات التى لا تثبت ولا تستقر . وكل يوم يجد فيها جديد .

وكل أولئك لا يتفق وجلال القرآن ، كما أنه يحتوى على خطأ منهجى كما أسلفنا . .

ولكن هذا لا يعنى ألا ننتفع بما يكشفه العلم من نظريات - ومن حقائق- عن الكون والحياة والانسان فى فهم القرآن . . كلا ! ان هذا ليس هو الذى عنينا بذلك البيان . ولقد قال الله سبحانه : " سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق " . .[1] ومن مقتضى

(١) سورة فصلت الآيه ٥٣

هذه الاشارة أن نظل نتدبر كل ما يكشفة العلم فى الآفاق وفى الانفس من آيات الله . وأن نوسع بما يكشفة مدى المدلولات القرآنية فى تصورنا .

فكيف ؟ ودون أن نعلق النصوص القرآنية النهائية المطلقة بمدلولات ليست نهائية ولا مطلقة ؟ هنا ينفع المثال :

يقول القرآن الكريم مثلا : " وخلق كل شيء فقدره تقديرا ". . ثم تكشف الملاحظات العلمية أن هناك موافقات دقيقة وتناسقات ملحوظة بدقة في هذا الكون . . الأرض بهيئتها هذه وببعد الشمس عنها هذا البعد ، وبعد القمر عنها هذا البعد ، وحجم الشمس والقمر بالنسبة لحجمها ، وبسرعة حركتها هذه ، وبميل محورها هذا ، وبتكوين سطحها هذا . . وبآلاف من الخصائص . . هى التى تصلح للحياة وتوائمها . . فليس شيء من هذا كله فلتة عارضة ولا مصادفة غير مقصودة . . هذه الملاحظات تفيدنا فى توسيع مدلول : " وخلق كل شيء فقدره تقديرا "(1) وتعميقه فى تصورنا . . فلا بأس من تتبع مثل هذه الملاحظات لتوسيع هذا المدلول وتعميقة . . وهكذا . .

هذا جائز ومطلوب . . ولكن الذى لا يجوز ولا يصح علميا ، هذه الأمثلة الاخرى :

يقول القرآن الكريم : ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين "(2) . . ثم توجد نظرية فى النشوء والارتقاء لوالاس وداروين تفترض أن الحياة بدأت خلية واحدة ، وأن هذه الخلية نشأت فى الماء ، وأنها تطورت حتى انتهت الى خلق الانسان . . فنحمل نحن هذا النص القرآنى ونلهث وراء النظرية . لنقول : هذا هو الذى عناه القرآن !!

---

(1) سورة الفرقان آيه ٢
(2) سورة المؤمنون آية ١٢ وقد جاءت هذه الآيه فى الاصل (خلق الانسان)

لا . . ان هذه النظرية أولا ليست نهائية . فقد دخل عليها من التعديل فى أقل من قرن من الزمان ما يكاد بغيرها نهائيا وقد ظهر فيها من النقص المبنى على معلومات ناقصة عن وحدات الوراثة التى تحتفظ لكل نوع بخصائصه ولا تسمح بانتقال نوع الى نوع آخر ، ما يكاد يبطلها . وهى معرضة غدا للنقض والبطلان . . بينما الحقيقة القرآنية نهائية . وليس من الضرورى أن يكون هذا معناها . فهى تثبت فقط أصل نشأة الانسان ولا تذكر تفصيلات هذه النشأة ، وهى نهائية فى النقطة التى تستهدفها وهي أصل النشأة الانسانية . . وكفى . . ولا زيادة . .

ويقول القرآن الكريم : " والشمس تجرى لمستقر لها " (١) فيثبت حقيقة نهائية عن الشمس وهى أنها تجرى . . ويقول العلم : ان الشمس تجرى بالنسبة لما حولها من النجوم بسرعة قدرت بنحو ١٢ ميلا فى الثانية . ولكنها فى دورانها مع المجرة التى هى واحدة من نجومها تجرى جميعا بسرعة ١٧٠ ميلا فى الثانية . . ولكن هذه الملاحظات الفلكية ليست هي عين مدلول الآية القرآنية . ان هذه تعطينا حقيقة نسبية غير نهائية قابلة للتعديل أو البطلان . . أما الآية القرآنية فتعطينا حقيقة نهائية - فى أن الشمس تجرى - وكفى . . فلا نعلق هذه بتلك أبدا .

ويقول القرآن الكريم : " أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض .. كانتا رتقا ففتقناهما " . . ثم تظهر نظرية تقول : ان الارض كانت قطعة من الشمس فانفصلت عنها . . فنحمل النص القرآنى ونلهث لندرك هذه النظرية العلمية . ونقول : هذا ما تعنية الآية القرآنية !

لا . . ليس هذا هو الذى تعنية ! فهذه نظرية ليست نهائيه وهناك عدة نظريات عن نشأة الأرض فى مثل مستواها من ناحية الاثبات العلمى ! أما الحقيقة القرآنية فهي نهائية ومطلقة وهي تحدد فقط

---

(١) سورة يس الآيه ٣٨

أن الارض فصلت عن السماء . . كيف ؟ ما هى السماء التى فصلت عنها ؟ هذا ما لا تتعرض له الآية . . ومن ثم لا يجوز أن يقال عن أى فرض من الفروض العلمية فى هذا الموضوع :-

انـــه المدلول النهائـــى المطابـــق للآيـــة !

وحسبنا هذا الاستطراد بهذه المناسبة ، فقد أردنا به ايضـــاح المنهج الصحيح في الانتفاع بالكشوف العلمية فى توسيع مدلول الآيـــات القرآنية وتعميقها ، دون تعليقها بنظرية خاصة أو بحقيقة علمية خاصـــة تعليق تطابـق وتصديق . . وفرق بين هذا وذاك". (١)

ذلكم الرأى الواضح البين لسيد قطب رحمه الله تعالى سقنـــاه بطوله وبحروفه لما فيه من استيفاء واستقصاء وشمول ولئن سماه رحمه اللـه " استطرادا " فانى لا أسميه الا وفاءا وجلاءا للحق ، وانى أعترف أنـــى قد حاولت أن أختصر هذا النص مع الوفاء بالمعنى فما استطعت ، ومـــا توقفت عند جملة أريد حذفها الا ورأيت تمام المعنى لا يقوم الا بها .

وقد وعدت قبل أن أسوق النص أن أوضح لـم صنفته رحمه اللـــــه تعالى مع المانعين للتفسير العلمى ولعل معترضا يقول كيف تضعه هنـــا وهو يقول في النص المنقول نفسه مستدركا : " ولكن هذا لا يعـــنى ألا ننتفع بما يكشفه العلم من نظريات ومن حقائق عن الكون والحياة والانسان فى فهم القرآن . . "

وللاجابة على هذا أقول أنه رحمه الله بين أن مادة القرآن التى يعمـــل فيها هى الانسان ذاته : تصوره واعتقاده . . الخ أما العلـــــوم المادية . . فهى موكوله الى عقل الانسان وتجاربه وكشوفه . . الخ .

---

(١) فى ظلال القرآن : سيد قطب جـ ١ ص ١٨١ - ١٨٤

وأقول أنه رحمه الله يعجب لسذاجة المتحمسين لهذا القرآن ووصفهم بأنهم :

١ - يحاولون أن يضيفوا اليه ما ليس منه .

٢ - وان يحملوا عليه ما لم يقصد اليه .

٣ - وأن يستخرجوا منه جزئيات فيعلم الطب والكيميا والفلك وماإليها فاذا كان وصفهم بهذا فكيف يكون مؤيدا أو أن يقبل قولهم !!

وأقول أنه رحمه الله تعالى وصف حقائق القرآن بأنها نهائية ووصف ما يصل اليه البحث الانسانى بأنها حقائق غير نهائية ولا قاطعة ثم وصف تعليق الحقائق النهائية القرآنية بحقائق غير نهائية بأنه خطأ منهجى .

هذا فى " الحقائق العلمية " أما النظريات والفروض العلمية فوصف كل محاوله لتعليق الاشارات القرآنية العامة بها اضافة الى الخطأ المنهجى بأنها تنطوى على ثلاثة معان كلها لاتليق بجلال القرآن .

أولها : الهزيمة الداخلية .. الخ

ثانيها : سوء فهم طبيعة القرآن ووظيفته .. الخ

ثالثها : التأويل المستمر مع التمحل والتكلف لنصوص القرآن .. الخ

فاذا كان رحمه الله وصف تعليق الآيات القرآنية بالحقائق العلمية بأنه خطأ منهجى ، ومجرد محاولة التعليق للاشارات القرآنية بالنظريات والفروض العلمية بأنه خطأ منهجى أيضا وذكر فيه زيادة ماذكر .. فأين التأييد أو القبول عنده للتفسير العلمى .

فان قلت انه أيد الانتفاع بالكشوف العلمية فى توسيع مدلول الآيات القرآنية وتعميقها .

قلت ان هذا لايعد قبولا للتفسير العلمى كتفسير وانما وهذا ما فهمته أن تذكر كشواهد لتوسيع المدلول وفرق بين هذا وذاك .

ويذكرنى موقفه منه بموقف ابن تيمية رحمه الله تعالى من الاسرائيليات حيث ذكر أنها تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد .[1]

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية :جـ ١٣ ص ٣٦٦

الرأى المختار :

قبل أن أذكر الرأى الذى أميل اليه يجب أن أذكر حقيقة قد كنت أظنها لا تخفى الى أن رأيت أحد الباحثين يقع فى خلافها .

تلكم هى التفريق بين " التفسير العلمى و " الاعجاز العلمى "
أما أولهما فهو مثار البحث والمناقشة وأما ثانيهما فأحسبه أمر مسلما لاجدل فيه ولا اشكال .

ذلكم أن كتابا أنزل قبل أربعة عشر قرنا من الزمن وعرض لكثير من مظاهر هذا الوجود الكونية كخلق السموات والأرض وخلق الانسان وسوق السحب وتراكمه ونزول المطر وجريان الشمس والقمر وتحدث عن الكواكب والنجوم والشهب وأطوار الجنين ، والنبات والبحار وغير ذلك كثير ، ومع ذلك كله لم يسقط العلم كلمة من كلماته ولم يصادم جزئية من جزئياته ، فاذا كان الامر كذلك فان هذا بحد ذاته يعتبر اعجازا علميا للقرآن .

هذه النتيجة المتولدة عن أن القرآن لم ولن يصادم حقيقة علمية لم أر بين علماء المسلمين من أنكرها لا فى القديم ولا فى الحديث ، وكل ما يثار من ضجه وما يسطر فى الصحف ما هو الا عن التفسير العلمى لا عن الاعجاز العلمى .

فالاعجاز العلمي قاعدة صلبه يقف عليها المسلمون جميعا بكل ثقه وكل أمن ، لكن طائفة منهم قالت مادام الاعجاز العلمي متحققا فى القرآن وثابتا فما علينا أن نطبقة بين آياته واحده واحده وبين الحقائق العلمية واحده واحده .

وامتنعت طائفة أخرى عن تطبيقة لا خوفا عليه من النقص وليس خشية على حقائقه ولكن لعدم الثقة فى مداركنا نحن البشر فقد نحسب نظرية علمية حقيقة علمية فما تلبث قليلا الا وتتقوض بعد رسوخ وتتزعزع بعد ثبوت ولات حين مناص نقع فى الحرج الشديد فيكذب القرآن وهو الصادق فتكون البليه فالعيب والنقص فى مداركنا وليس فى حقائق القرآن .

اذا فالمسلمون جميعا يقولون بالاعجاز العلمى للقرآن ولكنهم يختلفون فى التفسير العلمى . هذا ما أحببت الاشارة اليه وبيان ، وكنت أظن هذا من الوضوح بما لا يخفى حتى رأيت أحد الباحثين يعقد مبحثا فى رسالته ويقسم العلماء الى قسمين الأول القائلين بالاعجاز العلمى للقرآن والثانى المانعين من القول بالاعجاز العلمى وساق نصوصا لهؤلاء يرفضون بها التفسير العلمى وحسبهم ينكرون بها الاعجاز العلمى .

واذا ما اتضح هذا ، وحق لى أن أقول بعده الرأى الذى أميل اليه فى التفسير العلمى فأنى أقول رأيا ما فطرته ولا ابتدعته وقاله قبلي كثيرون .

ذلكم أن الحق فيما أرى وسط بين مذهبين

فلا رفض ولا انكار للتفسير العلمى يمنع من :-

١ - ادراك وجوه جديده للاعجاز فى القرآن من ناحية اثبات التوافق بين حقائقه النهائيه القاطعه وبين ما يثبت فى الحقائق العلمية التى لا يقبل ثبوتها أى نوع من الشك .

٢ - دفع مزاعم القائلين بأن هناك عداوة بين الدين والعلم

٣ ـ استمالة غير المسلمين الى الاسلام من هذا الطريق ببيان اعجازه العلمى لهم .

٤ ـ الحث على الانتفاع بقوى الكون ومواهبه

٥ ـ امتلاء النفس ايمانا بعظمة الله وقدرته حينما يقف الانسان فى تفسير كلام الله على خواص الأشياء ودقائق المخلوقات حسب ما تصورها علوم الكون (١) وحينما يرى الحقائق القرآنية ثابته وصامدة تتكسر تحت أقدامها " النظريات " العلمية وتعانقها بسلام " الحقائق" العلمية .

لا رفض يمنع هذا ، ولا تسليم مطلق للتفسير العلمى لأن :-

١ ـ اعجاز القرآن ثابت وهو غني عن أن يسلك فى بيانه هذا المسلك المتكلف الذى قد يذهب بالاعجاز ، وهناك من ألوان الاعجاز غير هذا ما يشهد للقرآن بأنه كتاب الله المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم (٢) .

٢ ـ ان الدعوة القرآنية الى النظر فى الكون والعلوم هي دعوة لعامة الناس وخاصتهم الى موضع العبره والعظه ليهتدى الناس بها الى خالقها وموحدها وليس الى بيان دقائقها وكشف علومها .

٣ ـ أنه مدعاة الى الزلل لدى أكثر الذين خاضوا فيه من المعاصرين لأن عملية " التوفيق " تفترض غالبا محاولة للجمع بين موقفين يتوهم أنهما متعاديان ولاعداء ، أو يظن أنهما متلاقيان ولالقاء ، أعنى أنه لا ينبغى أن يحالف النجاح بصورة حتمية كل عملية من عمليات " التوفيق " (٣)

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن : عبد العظيم الزرقانى ج ١ ص ٥٦٨-٥٦٩
(٢) التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبى ج ٣ ص ١٥٩
(٣) معالم الشريعة الاسلامية : صبحى الصالح ص ٢٩٠

٤ - أن تناول القرآن بهذا المنهج وبذلك المدى يضطر المفسر الى مجاوزة الحدود التى تحتملها الفاظ النص القرآنى الكريم ، لأنه يحس بالضرورة متابعة العلم فى مجالاته المختلفة مع أن كثيرا من حقائق العلم مؤقته ومتغيره ولا تظهر كلها دفعة واحدة بل تتكشف يوما بعد يوم وحينئذ يكون التعجل فى تلمس المطابقة بين القرآن والعلم تعجلا غير مشروع .[1]

٥ - ان ما يكشف من العلوم انما هو نظريات وفروض كل قيمتها أنها تصلح لتفسير أكبر قدر من الظواهر الكونية أو الحيوية أو النفسية أو الاجتماعية الى أن يظهر فرض آخر يفسر قدرا أكبر من الظواهر ، أو يفسر تلك الظواهر تفسيرا أدق ، ومن ثم فهى قابلة دائما للتغيير والتعديل والنقص والاضافة بل قابله لأن تنقلب رأسا على عقب بظهور أداة كشف جديدة أو بتفسير جديد لمجموعة الملاحظات القديمة [2] ومن ثم فلا يصح أن نعلق الحقائق القرآنية النهائية بمثل تلك النظريات حتى لا نقف محرجين عند ثبوت بطلان تلك النظرية .

أقول لا رفض للتفسير العلمى مطلقا ولا تأييد وتسليم له مطلقين بل جميع بين حقيقتين حقيقة قرآنية ثابته بالنص الذى لا يقبل الشك ، وحقيقة علمية ثابته بالتجربة والمشاهدة القطعيين ، ومن هنا كان المسلمون كلهم متفقين كما أسلفنا على أن القرآن الكريم لم ولن يصادم حقيقة علمية ، وانما يقع التصادم عند ما ندعي حقيقة علمية فى الكون وهي ليست حقيقة علمية ، أو ندعي حقيقة قرآنية وهي ليست حقيقة قرآنية .[3]

---

(١) الفكر الدينى في مواجهة العصر : عفت الشرقاوى ص ٤٤٣
(٢) فى ظلال القرآن : سيد قطب جـ ٢ ص ٩٧
(٣) معجزة القرآن : محمد متولى الشعراوى ص ٤٧

لهذا فلا بأس - فيما أرى - من ايراد حقائق علمية ثابته لا تقبل الشك عند تناول النص القرآني ، مع ادراك معنى النص وفهمه فهما سليما خاليا من الشوائب والمؤثرات الخارجية ، أو الميل به والانحراف لموافقة تلك الحقيقة العلمية وهذا أيضا كله مشروط ب :-

١ - الا تطغى تلك المباحث على المقصود الأول من القرآن وهو الهداية والاعجاز.

٢ - ان تذكر تلك العلوم لاجل تعميق الشعور الديني لدى المسلم والدفاع عن العقيده ضد أعدائها وبيان موافقة القرآن الكريم للحقائق العلمية الثابته .

٣ - ان تذكر تلك الابحاث على وجه يدفع المسلمين الى النهضة ويلفتهم الى جلال القرآن ويحركهم الى الانتفاع بقوى هذا الكون الذى سخره الله لنا انتفاعا يعيد للأمة الاسلامية مجدها .(١)

٤ - أن لا تذكر هذه الأبحاث على أنها هى التفسير الذى لا يدل النص القرآني على سواه . بل تذكر لتوسيع المدلول ، وللاستشهاد بها على وجه لا يؤثر بطلانها فيما بعد على قداسة النص القرآني ذلك أن تفسير النص القرآني بنظرية قابلة للتغيير والابطال يثير الشكوك حول الحقائق القرآنية فى أذهان الناس كلما تعرضت نظريه للرد أو البطلان .(٢)

---

(١) مناهل العرفان فى علوم القرآن : عبد العظيم الزرقاني ج ١ ص ٥٦٩ - ٥٧٠

(٢) مجلة كلية أصول الدين العدد الثاني ص ٥٨ مقال " نظرات فى مدرسة التفسير الحديثه " للدكتور مصطفى مسلم .

أهم المؤلفات فيه :

لا أقصد أن أذكر تحت هذا العنوان شيئا من التفاسير التى تناولت -عرضا - التفسير العلمى ، كما لا أقصد أن أذكر " كل " التفاسير التى أفردته بمؤلفات خاصة .

فظهر أن مرادى هنا أن أذكر أهم المؤلفات فى التفسير العلمى فى العصر الحديث والتى أفردته بالدراسة دون ما سواه من ألوان التفسير أو أن تكون الألوان الاخرى لا تكاد توجد فى أبحاثها ، وعلى هذا فانى سأقتصر على ما ذكرت مع تعريف موجز لكل منها . ثم أفرد بعضها بدراسة خاصة كنموذج للتفسير العلمى فى العصر الحديث .

فمن أهم المؤلفات فى ذلك :-

١ - الجواهر فى تفسير القرآن الكريم :

المؤلف : طنطاوى جوهرى .

٢ - كشف الأسرار النورانية القرآنية :

المؤلف : محمد بن أحمد الاسكندرانى .

٣ - الكون والاعجاز العلمى للقرآن :

المؤلف : الدكتور منصور حسب النبى .

٤ - الاعجاز العددى للقرآن الكريم

المؤلف : عبد الرزاق نوفل

٥ - مع الطب فى القرآن الكريم

المؤلف : عبد الحميد دياب والدكتور أحمد قرقوز

وسنفرد هذه المؤلفات انشاء الله بدراسة خاصة لكل منها ، لأهميتها فى هذا الموضوع أما البقية من التفاسير فهى :-

* * *

٦ - الاسلام فى عصر العلم

المؤلف : محمد أحمد الغمراوى .

ولد بمدينة زفتى بمحافظة الغربية فى مصر سنة ١٨٩٣ م حفظ القرآن الكريم وتخرج من مدرسة المعلمين العليا سنة ١٩١٤م ثم عمل مدرسا بالمدارس الثانويه للجمعية الخيرية الاسلامية وابتعث بعد ذلك الى انجلترا للتخصص فى الكيمياء والطبيعة وبعد عودته اختير استاذا للكيمياء فى كلية الصيدلة الى أن أحيل للمعاش وفى سنة ١٩٦٠ م دعى الى المملكة العربية السعودية فأسس كلية الصيدلة بجامعة الرياض وعمل بها استاذا وعميدا ثلاث سنوات ثم عهدت اليه ادارة الازهر بالتدريس فى كلية أصول الدين ثم درس طلبة الدراسات العليا بنفس الكلية ، وتوفى رحمه الله تعالى سنة ١٩٧١ م .

الكتاب :

حينما كان المؤلف رحمه الله تعالى يدرس فى كلية أصول الدين طبعت لجنة التأليف بعض محاضراته فيها بعنوان " فى سنن الله الكونية" وكان له نشاط فى المجلات الاسلامية ومنها تلك السلاسل تحت عنوان " دلالة القرآن على نفسه أنه من عند الله " و " السماء فى القرآن وفى العلم " و " الجبال فى القرآن " وكان له مذكرات دونها طلابه فى كراستين واحدة بعنوان " اسلاميات " والثانية بعنوان " سنن كونيه " .

وقد دعا هذا أحد أصدقاء المؤلف وهو الدكتور أحمد عبد السلام الكردانى الى القيام بجمع هذا الكنز العلمى وتنسيقه وترتيبه وطبعه فى هذا الكتاب " الاسلام فى عصر العلم " وقد كان لهذا الكتاب أثره بين علماء المسلمين فى العصر الحديث [1] ويقع الكتاب فى ٤٦٠ صفحه وفى مجلد واحد .

---

(١) أخذت ترجمة المؤلف وبعض المعلومات الواردة هنا من الترجمة التى كتبها الدكتور أحمد عبد السلام الكردانى فى مقدمة " الاسلام فى عصر العلم " .

وقد قسمه جامعه الى أربعة أبواب هي :-

تحدث المؤلف فى الباب الأول وعنوانه " الاسلام دين الفطرة " وفيه عشرة فصول تحدث عن الاسلام والفطرة ، والاسلام دين العزه ، ودين الكرامة ودين الوفاء وفى الفصل الخامس الاسلام والعلم والمدنية ، وفى السادس الاسلام وسنن العلم وفى السابع الطواف . نظره علمية ، وفى الثامن الاسلام وسنن الاجتماع ثم الاسلام والهجرة ثم الاستعمار والاسلام .

أما الباب الثانى فهو " محمد رسول الهدى " وفيه أربعة فصول وفى الباث الثالث القرآن المعجزة الخالدة وفيه تسعة فصول ، أما أهم الأبواب وأوسعها فهو

الباب الرابع" من الاعجاز العلمى للقرآن " وفيه ستة فصول تحدث فى الفصل الاول عن القرآن والعلم ، وفى الثانى " تفسير الآيات الكونية " وفى الثالث " الجبال فى القرآن " وفى الرابع" السماء فى القرآن " وفى الخامس " الظواهر الجويه فى القرآن " و" نظرة فى النبات" و "(الطاقة " وفى السادس " مخترعات العصر والقرآن " .

هذا هو الكتاب وهذه هى أبحاثه ، ولولا أنى أخشى المطالبة بالبراهين لسقت أهم محاسنه وأهم المآخذ عليه ، ولو أوردت هذا وذاك لأخذ حيزا فى البحث طويلا .

٧ - القرآن والعلوم العصرية :

المؤلف : طنطاوى جوهرى : ستأتى ترجمته ان شاء الله عند الحديث عن تفسيره . الجواهر فى تفسير القرآن الكريم .

الكتاب :

هو رسالة صغيرة لا تتجاوز صفحاتها ٨٥ ورقة من الحجم المتوسط بين يدى طبعتها الثانية وصدرت سنة ١٣٧١ من مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى .

اختار المؤلف فيه بعض الآيات ، وفسرها تفسيرا علميا فيذكر " فصل فى تفسير آية كذا " ثم يذكر تحت هذا الفصل شتى العلوم والمعارف التى يحسبها تفسيرا للآية .

٨ - القرآن ينبوع العلوم والعرفان :

المؤلف : على فكرى

هو على فكرى ابن الدكتور محمد عبد الله ولد سنة ١٢٩٦ فى القاهرة وتوفى بها سنة ١٣٧٢ ثم عمل مدرسا ثم كاتبا بوزارة المعارف ثم نقل الى دار الكتب المصرية سنة ١٣٣٠ تقريبا ، وله عدد من المؤلفات منها :-

١ - الكتاب موضع الحديث " ينبوع العلوم والعرفان "

٢ - آداب الفتى ٣ - آداب الفتاه

٤ - عظة النساء ٥ - مسامرات البنات

٦ - المكاتبات الفكرية ٧ - دليل العملة والمعاملة

٨ - سعادة الزوجين ٩ - التربية الاجتماعيه

١٠ - سبيل النجاح ١١ - تربية البنين

١٢ - الانسان ١٣ - الآداب الاسلامية

١٤ - تقويم الاخلاق ١٥ - السمير المهذب أربعة أجزاء

١٦ - المعاملات المادية والادبية ٤ أجزاء

١٧ - أحسن القصص خمسة أجزاء (١)

هذه هى مؤلفاته وانما سقتها ليتضح أن المؤلف غير متخصص فى التفسير وأن كتابته فى التفسير ككتابة كثير من المعاصرين كتابة مثقف وليست كتابة مفسر .

---

(١) أخذت هذه الترجمة من الأعلام : للزركلى جـ ٤ ص ٣١٩ - ٣٢٠

الكتـــاب :

القـرآن ينبـوع العلـوم والعرفـان

ويقـع الكتاب فى ثلاثـة أجزاء متوسطة الحجم وصدرت الطبعة الأولى من الكتاب سنة ١٣٦٥ .

وقد وضح فى مقدمته ما يحتوى عليه كتابه فقال بعد أن ذكر أن القرآن الكريم قد أشار بوضوح تام الى العلوم الكونية التى تدارسها العالم القديم والحديث قال " لهذا رأيت وجوبا علىّ - خدمة للدين والعلم والانسانية - أن أضع كتابا جامعا بقدر الامكان لما جاء فى كتاب الله العزيز من الآيات فى العلوم الاتية : -

الطب والصيدلة ، الصحة ، التاريخ الطبيعى ، الحيوان ، النبات ، المعادن ، الكيمياء ، علم طبقات الارض الجيولوجيا ، الطبيعه " الهواء ، الماء ، النار ، الحراره ، الصوت ، الضوء ، النور ، الكهرباء ، المغناطيسية ، اللاسلكى (الراديو) (التليفزيون) الفلك - الجغرافيا ، تقويم البلدان ، الملاحة البحرية ، السياحة والاسفار ، السباحه ، التاريخ الاثرى ، والتاريخ العام ، والفنون الحربية ، الصناعة والتجارة ، الحساب ، الهندسة ، العمارة والرى ، الكتابة وأدواتها والمكتبات .

هذا مع تفسير الآيات تفسيرا مقتصرا مفيدا يدل على معناها وأسميته " القرآن ينبوع العلوم والعرفان " ليكون فى اسمه ما يدل على ما فيه ، وأتبعت الآيات بنبذه عن كل علم مع خلاصة وجيزه من تعاريفه الأولية " (١)

---

(١) القرآن ينبوع العلوم والعرفان : على فكرى جـ ١ ص ١٥ - ١٦

" أما الآيات المتعلقة بالعلوم الشرعية والحكمية والفلسفية فلم أتعرض لها لأن لها كتبا خاصة بها وفيها ما يغني عن البحث في موضوعاتها" (1)

وقد قسم هذه الابحاث المذكورة على أجزاء كتابه الثلاثة ، وقد جرى المؤلف على أن يفرد كل علم بمبحث خاص يفسر فيه الآيات التي يعتقد صلتها به تفسيرا علميا ثم يورد نبذه مختصره أو كلمة عامه عن العلم الذي يتحدث عنه عن أصله ونشأته وأبحاثه الجديد منها والقديم. مما لا يعنينا استيفاؤه هنا أو ايراد أمثله منه .

٩ - القرآن والعلوم الحديثة

المؤلف : محمود أبو الفيض المنوفي

وهي رسالة صغيرة الحجم في ٨٠ صفحة . الناشر عيسى البابي الحلبي .

١٠ - الاسلام والطب الحديث

المؤلف : الدكتور عبد العزيز اسماعيل ، ولد سنة ١٣٠٦ وتوفي سنة ١٣٦١ تعلم الطب في القاهرة ثم في انجلترا وكان أستاذا للدراسات العليا وله من المؤلفات غير هذا الكتاب ، رسالة في " الطب والقرآن " وعددا من المقالات في المجلات الطبية . (2)

الكتاب :

ولقد نال الكتاب على صغر حجمه شهرة كبيرة عند من تناول هذا الموضوع ولعل هذه الشهره ترجع للمقدمة التي كتبها شيخ الازهر محمد مصطفى المراغي وأشاد بها في الكتاب وأثنى عليه وعلى صاحبه .

---

(1) القرآن ينبوع العلوم والفرقان : على فكرى جـ ١ ص ١٥ - ١٦

(2) الاعلام : الزركلي جـ ٤ ص ١٥

ويقع الكتاب فى ١٣٢ صفحة متوسط الحجم صدرت طبعته الثانية سنة ١٩٥٩ م .

١١ - ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان .

المؤلف : محمود شكرى الألوسي

وهو حفيد شهاب الدين محمود الألوسي صاحب التفسير المعروف " روح المعانى "

ولد فى بغداد سنة ١٢٧٣ وتلقى العلم عن أبيه وعمه أبى البركات نعمان خير الدين الألوسي وغيرهما وتوفى فى بغداد سنة ١٣٤٢ وله عدد من المؤلفات أهمها :-

١ - غاية الأماني فى الرد على النبهاني فى جزءين .

٢ - فصل الخطاب فى شرح مسائل الجاهلية للامام محمد بن عبد الوهاب.

٣ - الأدله العقلية على ختم الرسالة المحمدية .

وغير ذلك من المؤلفات (١)

الكتاب : ويقع الكتاب فى ١٤٤ صفحة تقريبا صدرت طبعته الاولى سنة ١٣٨٠ هـ والثانية سنة ١٣٩١ هـ والناشر المكتب الاسلامى .

١٢- التفسير العلمى للآيات الكونية فى القرآن :-

المؤلف : حنفى أحمد

الكتاب : وهذا العنوان وضعه له مؤلفه فى الطبعة الثانية وكان قد صدر فى الطبعة الأولى بعنوان " معجزة القرآن فى وصف الكائنات "

ويقع الكتاب فى طبعته الثالثة فى ٤٥٤ صفحة .

---

(١) انظر ترجمته فى مقدمة الكتاب نفسه ص ٨ - ٩

١٣ - شواهد العلم فى هدى القرآن " معجزات القرآن يشهد بها العلم الحديث " .

المؤلف : محمد سعدى المقدم

الكتاب : يقع فى جزئين أطلعت على الجزء الأول الذى صدرت طبعته الاولى سنة ١٩٥٠ فى ١٥٢ صفحة .

ويحتوى الكتاب على أربعة أبواب ، الاول القرآن والثانى بداية الخلق ، وهما فى الجزء الأول وباب يبحث فيما يختص بالأرض والرابع فى نهاية الدنيا أو " يوم القيامة " وهما فى الجزء الثانى .

وقد شن المؤلف فى مقدمته حملة على الأزهر والأزهريين الذين أهملوا الجديد وصاروا وراء القديم !! وحمل الأخطاء والشطط فى كتابه على الأزهر لأنهم رفضوا مراجعته قبل الطبع .

بقى أن أقول أن تخصص المؤلف ماجستير فى الاقتصاد السياسى وليس فيه تفسير للآيات بل هو أقوال لفلاسفة الغرب وعلمائهم .

١٤- الاعجاز العلمى فى القرآن

المؤلف : أحمد عبدالسلام الكردانى

وهو نماذج مستقاة من الكتاب السابق الاسلام فى عصر العلم ، للدكتور محمد أحمد الغمراوى .

١٥- العلوم الطبيعية فى القرآن

المؤلف : يوسف مرّوه

الطبعة الأولى - بيروت ١٣٨٧ ويقع فى ٢٧٤ صفحة .

١٦- القرآن ونهاية العالم

المؤلف : كتب على غلافة :- الأسيوطى الفلكى يقدم : القرآن ونهاية العالم ولا أعرف هذا المؤلف . وناشر الكتاب على السيد سليمان صاحب دار الكتب الشرقية بالأزهر ، بدون تاريخ ويقع فى ثمانين صفحة .

١٧ - رحلة عبر الغيب بين آيات القرآن وصفحات الأكوان .

المؤلف : عبد الكريم عثمان

الكتاب : متوسط الحجم ، يقع فى ١٤١ صفحة .

١٨ - معجزات القرآن الكريم فى العلم والسياسه والاجتماع " باللغتين العربية والانجليزية .

المؤلف : محمود مهدى الاستانبولي

الكتاب : كتاب موجز فى موضوعه يذكر نص الآيه ثم اشارة الى معناها ومدلولها العلمى ثم ترجمة ذلك الى اللغه الانجليزية صدر الكتاب سنة ١٣٨٠ ويقع فى ٧٦ صفحة .

١٩ - معجزة القرآن

المؤلفة : نعمت صدقي

صدرت الطبعة الثانية من دار الاعتصام بالقاهرة سنة ١٣٩٨ ويقع الكتاب فى ٩٥ صفحه .

٢٠ - القرآن واعجازه العلمي

المؤلف : محمد اسماعيل ابراهيم وعدد صفحاته ١٧٤ صفحه

٢١ - البرهان من القرآن

المؤلف : محمود أحمد مهدى عدد صفحاته ٣٦١ صفحه

٢٢ - القرآن والعلم الحديث

المؤلف عبد الرزاق نوفل . ستأتى ترجمته ان شاء الله .

الكتاب : طبع سنة ١٣٩٣ ببيروت ، عدد صفحاته ٢٢٥

٢٣ الرياضيات فى القرآن الكريم

المؤلف : خليفه عبد السميع خليفه

الكتاب : صدرت الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣ ، وجاء على غلافة أنه أول كتاب يتناول الاعجاز الرياضي وعلوم الحساب والجبر والهندسه وعلما الاحصاء والميكانيكا " وعدد صفحاته ١٨٤ صفحة .

٢٤ - معجزة القرن العشرين في كشف سباعية وثلاثية أوامر القرآن الكريم .

المؤلف : ابن خليفة عليوى

الكتاب : الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣ عدد صفحاته ١١٠ الناشر دار الايمان - دمشق .

٢٥ - الاعجاز الحسابي في القرآن الكريم

المؤلف : رشاد خليفه

الكتاب : رسالة صغيره في ٢٦ صفحه .

٢٦ - تسعة عشر دلالات جديدة في اعجاز القرآن

المؤلف : رشاد خليفه

الكتاب : نص محاضرة ألقاها المؤلف في الكويت ، وتقع في ٣٠ صفحة من الحجم الصغير .

٢٧ - معجزة القرآن العددية

المؤلف : صدقي البيك

الكتاب : نشرته مؤسسة علوم القرآن ، دمشق ، بيروت وصدرت الطبعة الأولى سنة ١٤٠١ والكتاب له صله وثيقة بالكتابين السابقين وبمؤلفهما ، ومتمم لهما .

٢٨ - لفتات علمية من القرآن

المؤلف : يعقوب يوسف

الكتاب : نشرته الدار السعودية للنشر والتوزيع والطبعة الثانية صدرت سنة ١٣٩٠ في ١٠٠ صفحة

٢٩ ـ الاعجاز العلمي في القرآن

المؤلف : حمزه سالم الصيرفي

الكتاب : صدرت طبعته الأولى سنة ١٣٩٩ وعدد صفحاته ٤٨ صفحه

٣٠ ـ القرآن الكريم والغلاف الجوى

المؤلف : محمد عفيفي الشيخ

الكتاب : صدر سنة ١٤٠٠ فى ١٣١ صفحة

٣١ ـ تفسير الآيات الكونيه

المؤلف : الدكتور عبد الله شحاته

الناشر : دار الاعتصام الطبعه الأولى سنة ١٤٠٠ فى ٣١٦ صفحه .

٣٢ ـ القرآن والطب

المؤلف : أحمد محمود سليمان ، وعدد صفحاته ١٤٦ صفحه

٣٣ ـ آيات الله تعالى

المؤلف : محمد وفا الاميرى

الكتاب : فى جزءين الاول ٤٥٠ صفحه والثانى ٣١٥ صفحة الناشر دار الرضوان حلب .

٣٤ ـ القرآن والطب

المؤلف : الدكتور الحاج محمد وصفى

الناشر : دار الكتب الحديثه بالقاهرة صدرت الطبعة الاولى سنة ١٣٨٠ فى ٢٢٠ صفحه .

٣٥ ـ الاعجاز الطبى فى القرآن

المؤلف : الدكتور السيد الجميلى

الناشر دار التراث العربى ، القاهرة ، صدرت الطبعه الثانية سنة ١٤٠٠ فى ١٩٤ صفحه .

هذه بعض المؤلفات فيالتفسير العلمى التجريبي فى العصر الحديث ولئن كان المقام لايسمح لنا بدراستها تفصيلا فانه لايعفينا من دراستين أولهما :- ١ - دراسة في التفسير ذاته مستمدا من هذه التفاسير بمجموعها .

٢ - دراسة تفاسير منها دراسة مستقلة .

يعبر عن أولاهما بدراسة نماذج للتفسير العلمى فى العصر الحديث ويعبر عن الثانية بـ دراسة نماذج من المؤلفات فى التفسير العلمى الحديث . وهذه أولى الدراستين .

نماذج للتفسير العلمي التجريبي فى العصر الحديث :

وكما أنه ليس بمقدورنا أن نقدم دراسه لكل هذه المؤلفات فانه ليس بمقدورنا أن نقدم أمثلة لكل الآيات التى تناولوها بالتفسير العلمى . فلنذكر بعضا منها ، ولنقدم قبله تفسير السلف لكل آيه حتى نعرف موقع تفسيرهم منه فمن ذلك :-

أولا : قوله تعالى : " وجعلنا من الماء كل شيء حي "

ذهب السلف فى المراد بالماء في هذه الآيه الى قولين أولهما أن المراد به الماء المعروف وثانيهما أن المراد به النطفه وعلى الأول أن الماء سبب حياة كل شيء حي وعلى الثانى أن أصل كل شيء هو النطفه قال الشوكانى رحمه الله تعالى في تفسيره " وجعلنا من الماء كل شيء حي أى أحيينا بالماء الذى ننزله من السماء كل شيءفيشمل الحيوان والنبات ، والمعنىأن الماء سبب حياة كل شيء وقيل المراد بالماء هنا النطفه وبه قال أكثر المفسرين "[1] وقال

---

(١) فتح القدير : الامام الشوكانى جـ ٣ ص ٤٠٥

ابن كثير وجعلنا من الماء كل شيء حي أى أصل كل الأحياء .[٢]

أما التفسير العلمي الذى يقدمه الأستاذ أحمد محمد سليمان فليس بهذا ولا بذاك فهو يفسره بأن الماء هو أصل الحياه بمعنى أن المخلوقات كلها نشأت أو ما نشأت فى الماء وخلقها الله أول ما خلقها فى الماء فأول ما ظهر من الحيوانات ذات الخلية الواحدة لاتراها العين المرجدة ثم تبع ذلك حيوانات ذات خلايا عده وهكذا تطورت الحياه فى الماء خلال ملايين الأعوام ثم بدأت بعض الحيوانات تخرج من البحر الى البر ثم نشأت الزواحف التى اتخذت البر لها سكنا ثم الطيور ثم ذوات الأربع، وذكر أن أول من قال بهذه النظرية هى التوراة أما القرآن فلم يقتصر على هذا (! !) بل أبان أن الماء هو أصل جميع الكائنات من حيوان ونبات مما يدل على هيمنه القرآن العلمية على ما سبقه من الكتب المقدسه ، وهذا قوله بنصه بعد أن قدم لتفسيره بأن الشمس تسطع على البحار فيتبخر ماؤها فتنشأ السحب الثقال ثم يهطل المطر وتتكون البحيرات والانهار قال بعد ذلك : -

" تلك قصة الماء التى يراها كل انسان في كل مكان وزمان جعل الله منه النبات وأحيا به الانسان والحيوان ، أما فى غابر الازمان حينما كان الانسان لايزال فى ضمير الكون سرا من الاسرار فانه بعد أن خلق الله الارض وبدأ يهيئها للعمران أودعها الحياه أول ماأودعها ماء البحار اذ خلق فى جوفها أبسط الكائنات من نبات وحيوانات .

وأول الحيوانات التى ظهرت فى الماء تلك التى تتكون من خلية واحده لاتراها العين المجرده ، ثم تبعت تلك الحيوانات حيوانات ذات خلايا عده : الحيوانات اللافقرية ثم الحيوانات الفقرية التى تنتمي اليها الاسماك .

---

(١) تفسير ابن كثير : جـ ٣ ص ١٨٧

ظلت الحيوانات حتى ذلك الحين فى جوف البحار والمحيطات الى أن ظهرت بعد ذلك الكائنات التى تجمع فى معيشتها بين البر والماء وهى الحيوانات البر مائية التى تنتمي اليها الضفادع

استمر هذا التطور الذى أخذ الملايين من الأعوام فى مجراه ، حتى نشأت الزواحف التى أخذت الأرض لها مسكنا دون الماء ، ثم تبعها في سلسلة التطور الطير الذى اتخذ الأرض له مسرحا والهواء ، ثم ختمت السلسلة بذوات الأربع فامتلأت الأرض بالزواحف والطيور والحيوانات وكلها قذفت بادىء ذى بدء من بطن مياه البحار والمحيطات .

وأول من قال بهذه النظرية التوراه التى تكلمت عن نشأة الحيوانات البرية فى الاصحاح الاول من سفر التكوين كما ذكرت آنفا ، ومضمون ماقالت التوراة :-

هو أن المياه أخرجت زحافات ، ثم خلق الله بعد ذلك الطير ثم تبع ذلك ظهور الحيوانات الثدييه .

أما القرآن الكريم فلم يقتصر على هذا بل أبان أن الماء هو أصل جميع الكائنات من حيوان ونبات مما يدل على هيمنة القرآن العلمية على ما سبقه من الكتب المقدسه وعلى اعجاز هذه الآية التى نزلت فى وقت كان العالم فيه غارقا فى دياجير الظلمات .

وهذه الآيه الكريمه - استغفر الله - بل هذا الجزء من الآيه لايحمل اعجازا فقط - بل يحمل فى ثناياه اعجازا فوق اعجاز ، فالماء هو أصل الحياة أو هو الذى نشأت في جوفه الكائنات أول ما نشأت " [(١)]

---

(١) القرآن والطب : أحمد محمد سليمان ص ٦٨

هذا ما زعمه تفسيرا للآيه وما هو بتفسير حق وما هو بتفسير مقبول بل أحسبه يعارض أخبار القرآن الكريم العديده ، ونصوصه الكثيره .

انظر الى قوله مثلا عن الزواحف والطيور والحيوانات " وكلها قذ فت بادئ ذى بدء من بطن مياه البحار والمحيطات " وقوله عن الماء هو الذى نشأت فى جوفه الكائنات أول ما نشأت .

كيف نسي أن الانسان وهو من الكائنات أنه شئ خلق من طين في السماء وأمر الله الملائكة بالسجود له ثم أدخله الله الجنه ثم أنزله الى الأرض فأين هذا والزعم بأن نشأت المخلوقات كلها فى جوف الماء .

دع عنك مناقشته فى دعواه فى هذا التطور للمخلوقات كلها وترتيب ظهورها .. الخ مما لا يقوم عليه دليل ولا يسنده برهان الا مالا يعتد به ولا يؤخذ به فى تفسير كتاب الله .

وأحسب أن ما زعمه تفسيرا للآيه ما هو بتفسير بل هو مردود على قائله وليستغفر الله منه .

ثانيا : قوله تعالى : ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله "(1)

قال الشوكانى رحمه الله تعالى فى تفسيره " وقوله " قل هو أذى " أى قل هو شيء يتأذى به : أى برائحته ، والأذى كناية عن القذر ويطلق على القول المكروه ، ومنه قوله تعالى ـ لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ـ(2) ومنه قوله تعالى ـ ودع أذاهم ـ(3)

---

(1) سورة البقرة الآيه ٢٢٢
(2) سورة البقرة : من الآيه ٢٦٤
(3) سورة الاحزاب : من الآيه ٤٨
(4) **فتح القدير : الشوكانى جـ ١ ص ٢٢٥**

وقال الامام الطبرى رحمه الله تعالى " القول فى تأويل قوله تعالى (قل هو أذى) يعنى تعالى ذكره بذلك قل لمن سألك من أصحابك يا محمد عن المحيض هو أذى والأذى هو ما يؤذى به من مكروه فيه وهو في هذا الموضع يسمى أذى لنتن ريحه وقذره ونجاسته وهو جامع لمعان شتى من خلال الأذى غير واحده " (١)

أما أصحاب التفسير العلمى الحديث فبينوا أضرار الجماع وقت الحيض الطبيه فقال الأستاذ أحمد محمود سليمان فى تفسيرها :-

انه والله لتشريع حكيم يدعو اليه الطب الحديث والذوق السليم والخلق القويم : فالمحيض الذى يشمل العادة الشهرية والأنزفه الرحمية والدم الناتج عن الولادة والاجهاض فوق أنه كريه الرائحة منفر ، فأنه يحمل أذى كبيرا وشرا مستطيرا للزوجين على السواء .

انه يعرض الرجل لالتهاب مجرى البول اذا ماتسرب بعض دم الحيض الفاسد اليه حاملا معه جراثيم الأمراض ، ولا يقتصر اذاه للرجل على ذلك فلو فرض ووجد عند المرأة مثلا عدوى وراثية بالزهرى فانها لا تظهر فى الأحوال العادية لان العدوى تكون كامنة ، أما دم الحيض فربما وجد به بعض الجراثيم مما قد يتسبب عنه عدوى الرجل .

هذا هو ضرره للرجال : التهاب فى مجرى البول وتعرض لمرض الزهرى من مرض قد يكون كامنا .

أما ضرره للنساء فأشد وأنكى ، فمقاومة المرأة للأمراض ومناعتها وقت الحيض تنقص الى حدها الأدنى ، فتكون أكثر تعرضا للعدوى اذا ما دخلت جراثيم الأمراض المهبل أو عنق الرحم ، وهو أمر كثير الحدوث وقت الجماع

---

(١) جامع البيان : الامام الطبرى جـ ٢ ص ٢٢٥

أما في غير أوقات الحيض فان هذه الجراثيم يتغلب عليها الجسم بشدة مقاومته ، وبما أن الرحم يكون مدة الحيض محتقنا ، فاذا أضيف اليه ما تحدثه المباشرة من الاحتقان الشديد ، فقد يحدثان نزفا ولا سيما اذا كان به أورام أو التهابات .

أما بعد الولادة فان الرحم لا يكون في حجمه الطبيعي ، ويستمر كذلك ستة أسابيع تقريبا ، وهي المدة التي قد يستمر فيها النزيف من الرحم عقب الولادة ، والتي تتطهر بعدها معظم النساء .

وقد تؤدي المباشرة في أثناء الحيض الى التهاب في الرحم يحدث عند السيدات حالات عصبية يستعصي علاجها ، ولذلك منعت المباشرة حتى تطهر المرأة فيعود اليها بهاؤها وجاذبيتها ، وتنتظم نفسيتها وتزول العوامل التي تضر بصحتها ، وحينئذ لا يوجد مانع من الجماع واتيان الرجل للمرأة من حيث أمرهما الله اتيانا طبيعيا ، اذ أن المباشرة من غير الموضع الطبيعي فيها ضرر كبير ، وهي تعتبر اثما يستوجب التوبة اذ أن هذه المباشرة قد يتسبب منها التهاب في مجرى البول للرجل وفي البروستاتا ، غير ما يحدث عندها من جروح ، فوق أنها تفقد الرجولة وتورث التخنث وتهد من قوى الرجل .

وقد حذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحذيرا شديدا المباشرة في أثناء الحيض ومن غير الطريق الطبيعي بقوله :

" ملعون من أتى امرأة وهي حائض (١) ، ملعون من أتى امرأة في دبرها (٢) ، ملعون من عمل عمل قوم لوط " (٣) (٤)

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ .

(٢) رواه أحمد في مسنده جـ ٢ ص ٤٤٤ وأبو داود في سننه كتاب النكاح جـ ٢٤٩

(٣) رواه الطبراني في الأوسط ورواه الحاكم (جامع الأصول جـ ٣ ص ٥٥٠) وأحمد في مسنده عن أبن عباس .

(٤) القرآن والطب : أحمد محمود سليمان ص ١١٥ - ١١٦

أما الدكتور عبد العزيز اسماعيل فقسم افرازات الجسم الى نوعين : نوع له فائدة فى الجسم مثل الهضم أو التناسل أو افرازات داخلية تنظم أجهزة الجسم وأنسجته الخ . . وهو ضرورى للحياة وليس فيه ضرر .

ونوع ليس له فائدة ، بل هو بالعكس يجب افرازه من الجسم الى الخارج ، وهو مكون من مواد سامة اذا بقيت في الجسم أضرت به ، وذلك مثل البول والبراز والعرق والحيض .

وقال أيضا فهذه الآيه الكريمة علمت الانسان قبل أن يعرف شيئا عن أنواع الافرازات أن المحيض أذى وأنه لا يفيد الجسم .

وأما الجزء الثانى من الآيه الكريمه " فاعتزلوا النساء فى المحيض" فسببه أن الاعضاء التناسلية تكون فى حالة احتقان ، والأعصاب تكون فى حالة اضطراب ، بسبب افرازات الغدد الداخلية فالاختلاط الجنسى يضرها وربما منع نزول الحيض كما يحصل كثيرا من الاضطراب العصبي وقد يكون سببا فى التهاب الأعضاء التناسلية .

وهذا هو السبب فى أن الطبيب الاخصائى لا يكشف على مرضاه من النساء وقت المحيض" (١) .

أما الدكتور الحاج محمد وصفى فقد أطال فى بيان أضرار وطء الحائض عندما تناول الآية المذكورة فتحدث أولا عن بلاغة القرآن الكريم فى اختيار التعبير بكلمة أذى التى لم يجد رغم محاولته كلمة تقوم مقامها أو تحمل حملها ثم تحدث عن حكم المحيض عند اليهود ثم عند النصارى ثم فى الاسلام ثم عن توجيه النهى للرجال ثم عن دورة الحيض وآلامه ثم عن عرضه الحائض للأمراض ثم عن الوسط المهبلي وتغيره بالحيض ثم عن

---

(١) الاسلام والطب الحديث : الدكتور عبد العزيز اسماعيل ص ٣٩ - ٤٠

أذى وطء المرأة أثناء الحيض وأنه سبب لالتهاب المهبل وما ينشأ عنه من مرض يكفى أنه يسبب العقم ، وذكر من اضراره حمل البكتريا الى داخل المهبل وما تسببه من أمراض ، وذكر من أضراره أنه من أهم الأسباب المهيئه لتعفن الرحم الذى يسبب العقم والآلام الشديدة للمرأة . وتحدث عن منابع العدوى ثم تحدث عن الأضرار التى تصيب الرجل ، ثم ذكر حكمتين للمنع أولهما تقوية الاراده وثانيهما أن الحيض لا انبات فيه [(١)]

أما الدكتور السيد الجميلى فزاد على ماذكر من أضرار الجماع وقت الحيض أن مرض الجذام ينتقل وينجم عن المباضعه فى المحيض . [(٢)]

هذه اشارات لما قاله أصحاب التفسير العلمى التجريبي فى تفسير هذه الآيه ، واذا ما نظرنا نظرة مقارنه بينه وبين ما أوردناه أولا من تفسير للطبرى وللشوكانى وبين نص الآيه أيضا .

لرأينا أن الآيه تنص نصا على أنه أذى ، لكنها لم تذكر ما هو هذا الأذى ونحن المسلمون يكفينا اعتقادا أن فى جماع الحائض أذى وأنه محرم ، واذا ما أردنا زيادة تعليل ليس لأجل تعليق الحكم عليها وانما للعلم والمعرفة ليس الا فلا بأس أن تقرأ للطبرى والشوكانى أن الاذى رائحته الكريهه ، ولا بأس أن يذكر الأطباء أن الأذى هو أضراره الطبيه . وعلى هذا فلم يخترع أصحاب التفسير العلمى هنا طريقا بدعا وانما ألتقوا مع السلف فى التعليل وانما لم يتفقوا على عله .

---

(١) القرآن والطب : الدكتور الحاج محمد وصفى انظر الصفحات ٦٦ - ٨٢

(٢) الاعجاز الطبي فى القرآن : الدكتور السيد الجميلى ص ١٤٠

ثالثا : قوله تعالى : ألا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور"[(١)]

قال الشوكانى رحمه الله تعالى فى تفسيرها " يقال ثنى صدره عن الشيء : اذا ازورّ عنه وانحرف منه ، فيكون فى الكلام كناية عن الاعراض لأن من أعرض عن الشيء ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه . وقيل معناه : يعطفون صدورهم على ما فيها من الكفر والاعراض عن الحق ، فيكون فى الكلام كناية عن الاخفاء لما يعتقدونه من الكفر كما كان دأب المنافقين والوجه الثانى أولى " الى أن قال " وجملة " يعلم ما يسرون وما يعلنون" مستأنفه لبيان أنه لا فائده لهم فى الاستخفاء لأن الله سبحانه يعلم ما يسرونه فى أنفسهم أو فى ذات بينهم وما يظهرونه ، فالظاهر والباطن عنده سواء ، والسر والجهر سيّان ، وجملة " انه عليم بذات الصدور " تعليل لما قبلها وتقرير له ، وذات الصدور هي الضمائر التى تشتمل عليها الصدور ، وقيل هي القلوب والمعنى : انه عليم بجميع الضمائر ، أو عليم بالقلوب وأحوالها في الأسرار والاظهار فلا يخفي عليه شيء من ذلك "[(٢)].

وقد فسر الدكتور عبد العزيز اسماعيل هذه الآيه تفسيرا علميا حديثا فقال " هذه الآية سهلة الفهم بعد ما تقدمت علوم النفس والتنويم المغناطيسي وغيرها ، وظهر جليا أن كل فكرة يقابلها تغيير كيماوى فى الخلايا المخية ، وكما أنه لا حركه فى الأرجل دون أن يحصل انقباض العضلات ، كذلك لا يمكن أن يفكر الانسان دون أن تحصل تغييرات فى خلايا المخ ، وليس هذا هو الذى يحصل فقط بل ان هذه التغيرات تبقى مسجلة فى المخ الباطنى ، ومن الممكن ان يتذكرها الشخص بعد مدة طويلة تحت تأثيرات

---

(١) سورة هود : الايه ٥

(٢) فتح القدير : الامام الشوكانى جـ ٢ ص ٤٨١ - ٤٨٢

مخصوصة كالانفعالات العصبية أو التنويم المغناطيسي وغيرها نسيها الشخص تمام النسيان .

وقد اكتشفت أخيرا أجهزه كهربائية يمكن بها معرفة حالة بعض الخلايا المخيه اذا كانت فى حالة هدوء أو حالة انشغال ، وقد ترتقي العلوم أكثر من ذلك ، هذا حال الانسان مع جهله .

والله سبحانه وتعالى يعلم ما يجول فى مخ الانسان وكل ما جال فى مخه وهو أعلم بها من الانسان نفسه لأنه عرضه للنسيان " (١)

وقد استغربت وصف الدكتور عبد العزيز لهذه الآيه بأنها سهلة الفهم بعد ما تقدمت علوم النفس والتنويم المغناطيسى ؟! ذلكم أن الآيه لم تكن صعبه الفهم قبل ذلك للذين يؤمنون بالغيب .

ثم انى لا أقبل أن يعلل علم الله سبحانه وتعالى بما فى صدر الانسان بالتغييرات التى تحدث فى خلايا المخ عند التفكير . فالله سبحانه وتعالى يعلم ذلك حتى ولو لم يحدث - ان كان يحدث - هذا التغيير فى الخلايا ، بل الله سبحانه يعلم ما فى الصدور وما سيكون فى الصدور أى قبل أن يفكر الانسان بالتفكير بالشيء فعلمه سبحانه علم قبل ومع وبعد التفكير الانسانى وهو علم مستقل بذاته عن التغييرات فى خلايا المخ فلا تزيده تلك علما ولا ينقصه عدمها علما .

ولذلك فان قول الدكتور اسماعيل آخرا والله سبحانه وتعالى يعلم كل ما يجول . . وكل ما جال . ." الخ بحاجة الى أن يزاد فيه " وكل ما سيجول " لأن الأمرين السابقين مرتبطان حسب قوله بالتغييرات وعلم الله كما قلنا لاتؤثر فيه هذه التغييرات فتقيده بمدلولاتها فكان علمه سبحانه بكل شيء والله أعلم .

---

(١) الاسلام والطب الحديث : الدكتور عبد العزيز اسماعيل ص ٩٢ - ٩٣

رابعا : قوله تعالى " كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم " (١)

قال الشوكاني رحمه الله تعالى في تفسيرها " لترون الجحيم جواب قسم محذوف ، وفيه زيادة وعيد وتهديد : أي والله لترون الجحيم في الآخره . قال الرازي : وليس هذا جواب لو ، لأن جواب لو يكون منفيا ، وهذا مثبت ، ولأنه عطف عليه (ثم لتسألن) وهو مستقبل لا بد من وقوعه قال : وحذف جواب لو كثير والخطاب للكفار وقيل عام كقوله - وان منكم الا واردها - . . . " الى أن قال " ثم كرر الوعيد والتهديد للتأكيد فقال " ثم لترونها عين اليقين " أي ثم لترون الجحيم الرؤية التي هي نفس اليقين وهي المشاهدة والمعاينه وقيل المعنى : لترون الجحيم بأبصاركم على البعد منكم ، ثم لترونها مشاهدة على القرب . وقيل المراد بالأول رؤيتها قبل دخولها والثاني رؤيتها حال دخولها ، وقيل هو اخبار عن دوام بقائهم في النار : أي هي رؤية دائمة متصله . وقيل المعنى لو تعلمون اليوم علم اليقين وأنتم في الدنيا لترون الجحيم بعيون قلوبكم ، وهو أن تتصوروا أمر القيامه وأهوالها " (٢)

قلت وها أنت ترى من الأقوال التي ساقها الشوكاني رحمه الله تعالى أن أحدا منهم لم يقل أن الرؤية للنار في الدنيا بالابصار وان قال أحدهم أنها في الدنيا بعيون القلوب ، ولم يقل بالعيون الباصره .

أما الاستاذ محمود القاسم ففسر الرؤية هنا بتفسير عجيب ذكر فيه أننا نعلم علم اليقين اذن فبامكاننا رؤية الجحيم وان الرؤية في الدنيا رؤية بصرية ، وقد رد التفاسير التي فسرت الرؤية بالآخره .

---

(١) سورة التكاثر : الآيتان ٥ - ٦

(٢) فتح القدير : الامام الشوكاني جـ ٥ ص ٤٨٩

فقسم أولا الكتلة الكونية الى قسمين

١ - نجوم ملتهبه لها كل صفات جهنم الواردة فى القرآن والحديث ،

٢ - وكواكب باردة يشملها قوله تعالى (وقودها الناس والحجارة) لأن الكواكب الباردة هي حجاره مختلفة الانواع مثل الأرض . وقال " اذن فالكتله الكونيه هى جهنم " .

ثم ذكر أنه يصح أن يوصف من رأى بعض الشيء بأنه رآه من باب اطلاق اسم الكل على الجزء فتقول لرفيقك لقد رأيت البحر وأنت لم تر منه الا جزءا صغيرا .

ثم تساءل عن الجزء الذى نراه فى قوله تعالى " كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم " وكان جوابه لنفسه " يكفى لتحقق الآيه .. أن نرى واحدا من النجوم الملتهبه التى هى من نوع جهنم ولها جميع صفاتها كالشمس مثلا ، مع العلم أن بالامكان رؤية نجوم أخرى مثلها أو أكبر وأشد حرا .

ثم تساءل مره أخرى هل الشمس من نوع جهنم ؟ وهل لها جميع صفاتها ؟ ثم أجاب بدراسة للشمس من حيث المظهر مع صور للشمس وسطحها ، ومن حيث طبيعتها ، ثم قرر النتيجه .

" للشمس من حيث مظهرها وطبيعتها جميع صفات جهنم الواردة فى القرآن والحديث " (١)

ثم قال " وبالتالى الكون (الدنيا) بكليته هو جهنم وهى موزعه حاليا على نجوم مضطربه وكواكب خنس وغبار وغازات والشمس جزء منها تمثلها ، وما علينا لنرى طبيعتها الجهنمية الا أن نضع عيننا على عدسة نظاره فلكيه خاصة نوجهها نحو الشمس" (١)

---

(١) براهين : محمود القاسم ص ١٥٧ وانظر الصفحات ١٣٢ - ١٥٦

وبعد فلن أطيل في الرد على هذا التفسير الا بما يستلزمه المقام فأقول أن جهنم من الأمور الغيبيه التى لا يحق لنا أن نزيد في بيانها غير ما ورد به الشرع ولم يرد فى الشرع بيان لمكان جهنم الآن وامكان رؤيتها لنا فى الدنيا ، وقد التزم علماء السلف رحمهم الله تعالى هذا الامر فلم يشر أحدهم الى شىء من ذلك وهم الاعلم باللغة ومدلولاتها والاعلم بالشرع ومفاهيمه ، ومع هذا فلم ينسب لاحدهم أنه أشار الى الشمس أو غيرها زاعما أنها جهنم .

أما انطباق أوصاف جهنم على بعض الموجودات الكونيه فلا يعنى هذا أن تلك الكتلة هى جهنم ولو صح هذا الزعم وصح هذا المقياس لجاءنا من يزعم أن الارض التى نعيش عليها هي الجنه فى الآخره ويشير الى مناطق لا تخلو منها الارض فيها الهواء العليل والظل الظليل والفواكه والثمار ، ولن يعدم من النصوص ما يستدل بها كاستدلال ذاك فيقول مثلا : روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنه "(1) وسيجد فى الصحيحين ما بين بيتي ومنبرى روضه من رياض الجنه "(2)

لكن هذا وذاك لا يكفيان ولا يدلون على أن الارض هى الجنه مع النص المباشر على هذه الاجزاء من الارض ، بخلاف الشمس فلم يكن هناك أى نص مباشر للشمس يجعل بعض أجزائها من النار فاذا كان الامر كذلك فى الارض فأنى لرجل أن يزعم أن الشمس جزء من جهنم .

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه كتاب الجنه باب ما فى الدنيا من انهار الجنه جـ ٤ ص ٢١٨٣

(٢) رواه البخارى فى كتاب فضل الصلاة فى مسجد مكة والمدينة باب فضل ما بين القبر والمنبر جـ ٢ ص ٥٥٧ ورواه مسلم فى كتاب الحج باب ٩٢ ما بين القير والمنبر روضة من رياض الجنه جـ ٢ ص ١٠١٠ وزاد فى احدى رواياته " ومنبرى على حوضى " .

لا شك أن هذا التفسير لو لم يربط بينه وبين النصوص القرآنية لكان من الحديث فى الامور الغيبية بلا برهان فكيف والامر تجاوز هذا الى تفسير النصوص القرآنية به . أحسب هذا أمرا لا ينبغى من مسلم يلتزم بأحكام دينه حتى ولو كان ذا قصد سام فى الدعوة الى الله ، فليس هذا بالطريق الحق والله الهادى .

خامسا : قوله تعالى " أيحسب الانسان ألن نجمع عظامه ، بلى قادرين على أن نسوى بنانه " (١)

قال الشوكانى رحمه الله تعالى " على أن نسوى بنانه " " على أن نجمع بعضها الى بعض فنردها كما كانت مع لطافتها وصغرها فكيف بكبار الاعضاء فنبه سبحانه بالبنان وهى الأصابع على بقية الاعضاء ، وأن الاقتدار على بعثها وارجاعها كما كانت أولى فى القدره من ارجاع الاصابع الصغيرة اللطيفة المشتملة على المفاصل والاظافر والعروق اللطاف والعظام الدقاق فهذا وجه تخصيصها بالذكر " (٢)

أما الاستاذ محمد اسماعيل ابراهيم فقال فى تفسيرها " تدل عبارة تسوية البنان على معنى لم يكشف العلم سره الا بعد نزول الآيه بأكثر من ألف سنه حينما عرف أن لكل بنان بصمه خاصة به تختلف فيها اتجاهات خطوطها اختلافا واضحا بين فرد وآخر ، وبين جميع البشر وقد استخدم الانسان هذه الاختلافات فى تحقيق الشخصية عن طريق البصمات وقد أفادت هذه الحقيقة فى التعرف على الاشخاص عن طريق بصماتهم فى حالة وقوع جرائم يترك الجناة فيها بصماتهم على أى شىء تناولوه " (٣)

---

(١) سورة القيامة : ٣ - ٤
(٢) فتح القدير : الامام الشوكانى جـ ٥ ص ٣٣٦
(٣) القرآن واعجازه العلمى : محمد اسماعيل ابراهيم ص ١١١

قلت والذى يجمع بين تفسيرى السلف والعلم الحديث أن كلا منهما يؤكد أن تخصيص البنان بالذكر يدل على أن من أعاد خلقها فهو أقدر على اعادة خلق غيرها من بقية الاعضاء وان اختلف التعليل عند هؤلاء وهؤلاء فالشوكانى حسب العلة صغرها ولطافتها ودقة عظامها ومحمد اسماعيل عللها بأن لكل بنان بصمه خاصة به من بين جميع البشر ، وفى الامر سعة لتعليل الكل . والله أعلم

سادسا : قوله تعالى :

" فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون " (١)

قال الطبرى رحمه الله تعالى فى قوله تعالى " كأنما يصعد فى السماء " وهذا مثل من الله تعالى ذكره ، ضربه لقلب هذا الكافر في شدة تضييقه اياه عن وصوله اليه (أى الى الاسلام) مثل امتناعه من الصعود الى السماء وعجزه عنه ، لان ذلك ليس في وسعه " (٢)

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى " وقال بن المبارك : عن ابن جريج ضيقا حرجا بلا اله الا الله ، حتى لا تستطيع أن تدخل قلبه كأنما يصعد فى السماء من شدة ذلك عليه ، وقال سعيد بن جبير يجعل صدره ضيقا حرجا قال : لا يجد فيه مسلكا الا صعد وقال السدى : (كأنما يصعد فى السماء) من ضيق صدره وقال عطاء الخراساني (كأنما يصعد فى السماء)) يقول : مثله كمثل الذى لا يستطيع أن يصعد الى السماء

---

(١) سورة الانعام : الآيه ١٢٥
(٢) جامع البيان : الامام الطبرى جـ ١٢ ص ١٠٩

وقال الحكم بن أبان عن عكرمه عن ابن عباس (كأنما يصعد فى السماء)
يقول : فكما لا يستطيع ابن آدم أن يبلغ السماء فكذلك لا يستطيع أن يدخل
التوحيد والايمان قلبه حتى يدخله الله فى قلبه " (١)

ذلكم تفسير السلف أما التفسير العلمى فقدمه الاستاذ محمد عفيفى
الشيخ فقال فى ذلك " الله سبحانه وتعالى يقرر أن الأرتفاع الى عنان
السماء يصحبه ضيق الصدر والشعور بالاختناق ، وقد اكتشف العلماء أخيرا
أن ذلك بسبب نقص الضغط الجوى وكميات الأكسجين التى تستقبلها الرئتان ،
وهذه الحقيقة لم تتوصل اليها البشرية علميا الا بعد أن صعد الانسان فعلا
الى طبقات الجو العليا " (٢)

سابعا : قوله تعالى :-

" مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان " (٣)

قال ابن كثير رحمه الله تعالى " أى وجعل بينهما برزخا وهو الحاجز من
الأرض لئلا يبغى هذا على هذا وهذا على هذا فيفسد كل واحد منهما
الآخر ، ويزيله عن صفته التى هي مقصوده منه " (٤)

أما التفسير العلمى فيستدل الاستاذ يعقوب يوسف بما " نشرت بعثة
السيرجون امرى مع بعثة الجامعة المصرية وخفر السواحل لدرس أعماق البحر
الاحمر والمحيط الهندى فى جنوب عدن ، بعض الملاحظات التى تستدعى
النظر و مما جاء (فى مجلة الفتح ٣٠٤) أن البعثة وجدت المياه فى خليج
العقبة تختلف فى خواصها وتركيبها الطبيعية والكيميائية عن المياه فى البحر الاحمر

---

(١) تفسير ابن كثير : جـ ٢ ص ١٨٩
(٢) القرآن الكريم وعلوم الغلاف الجوى : محمد عفيفى الشيخ ص ٨٧
(٣) سورة الرحمن : الآيتين ١٩ - ٢٠
(٤) تفسير بن كثير : جـ ٤ ص ٢٩٠

وحققت البعثه (بواسطة قياس الاعماق) وجود حاجز مغمور عند مجمع البحرين يبلغ ارتفاعه أكثر من الف متر وتبعد قمته نحو ثلاثمائة متر عن سطح البحر "

وذكر أيضا أن هذه النتيجة تماثل ما وصلت اليه السفينة " مباحث " أن مياه المحيط الهندى تختلف فى خواصها عن مياه البحر الاحمر ويعلل ذلك بوجود الحاجز المغمور عند ملتقى كل بحرين ثم قال " هذه الحقيقة الرائعة التى تثبتها الأرقام الموجودة فى خزائن كلية العلوم بالجامعة المصرية وفى خزائن جامعة كمبردج التى وصلت اليها (البعثة المذكورة) بعد أن زودت بأحدث الآلات العلمية وتدرعت بجنود من العلم - أنزلها الله فى قرآنه منذ ١٣ قرنا "(١)

والذى يظهر لى أن ما ذكره الاستاذ يعقوب - أن صح - لا يسمى حاجزا مادام اتصال خليج العقبة بالبحر الاحمر من جهة والبحر الاحمر بالمحيط الهندى من جهة أخرى. ظاهرا للعيان وتعبره البواخر الضخمة فالذى تلج منه تلك فالماء أكثر ولوجا منها فأين الحاجز هنا ؟ !

---

(١) لفتات علمية من القرآن : يعقوب يوسف ص ٥٧

وقد استمعت لمحاضرة للشيخ عبد المجيد الزنداني تناول فيها بيان هذا الحاجز وتحدث عنه بتفسير أوضح من تفسير الاستاذ يعقوب له حيث قال في محاضرته : -" يقول الله تعالى " مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان ، فبأى آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان " (1) هذان البحران اللذان التقياهما بحران مالحان بدليل قول الله تعالى " يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان " فالحديث في الآيه اذن عن بحر مالح ومالح وليس عن بحر مالح وعذب بنص الآيه ، وما معنى هذا ؟ نعم وجدوا ان بين البحر الاحمر مثلا والمحيط الهندى حاجزا في باب المندب يحجز بين مياه البحر الاحمر ، ومياه المحيط الهندى ولولا هذا الحاجز لطغت صفات مياه المحيط على مياه البحر لان البحر شيء يسير بجانب المحيط ، . . لكن هناك صفات وخصائص خاصة بمياه البحر الاحمر وصفات وخصائص خاصة بمياه المحيط الهندى . هذا الحاجز بينهما لكى لا يطغى هذا على هذا ثم هذا الحاجز ليس ثابتا لكنه في حالة ذهاب واياب واضطراب . ومرج في لغة العرب معناها الذهاب والاياب والاضطراب . . . والحاجز هذا بين البحرين ليس ثابتا لكنه في حاله يمرج فيها فهو مارج يمرج ولذلك قال تعالى " مرج البحرين يلتقيان .."

وقد أمكن تصوير هذا الحاجز ، وكنت اذا قرأت هذه الآيه يأتى في ذهنى الآيه الاخرى وهي قول الله سبحانه وتعالى " وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا " (2)

---

(1) سورة الرحمن : ١٩ - ٢٢

(2) سورة الفرقان : ٥٣

كثير من المفسرين يقولون هذه الايه مثل هذه الآيه . لكن استوقفتنى الآيه عند ما أردت أن أتأمل وأتعمق ، استوقفني في الآيه " وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج " هناك لم يذكر هذا عذب وهذا ملح ، قال البحرين " ثم قال " يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان " فدل على أنهما بخصائص متقاربه وأنهما مالحان ، ثم لما ذكر العذب والمالح قال " وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج "

قال : - " وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا " زياده " حجرا محجورا " على الآيه التى هناك ، هناك تقول " بينهما برزخ لا يبغيان " لكن هنا تقول " وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا " . . القرآن لا يقول لغوا كلام الله الحكيم : الحرف فيه له معنى . . . فما هذا المعنى ما هو هذا الشئ ؟ .

ذهبت أسأل اساتذة علوم البحار فى كلية علوم البحار فى جامعة الملك عبد العزيز : - ياأخوه الله يقول بين الانهار والبحار برزخ وحجر؟ قالوا أما البرزخ موجود . فهناك برزخ يحجز بين ماء النهر وماء البحر هذه مسألة واضحه وصورها عندنا وسترون الصورة بأعينكم . البرزخ موجود قلنا : طيب ، وحجر ما هو الحجر ؟ الحجر فى لغة العرب هو الشئ الذى يمنع به أشياء ولذلك هذه أرض محجوره أى يسمح فيها لبعض الحيوانات أو لبعض الناس وتحجر عن غيرهم قالوا : هو هذا الموجود بين البحر والنهر هناك شئ اسمه المصب مياه المصب هذه المياه ندرسها دراسة مستقلة لان لها خصائص مستقلة لانها ليست من ماء البحر وليست من ماء النهر . . لها خصائص مشتركه بين ماء البحر وبين ماء النهر لا هى عذبه ولا هى مالحه وانما وسط قالوا : - أبرز صفات مياه المصبات أنها أغنى

المناطق فى العالم بالاسماك لكن أسماك مخصوصه بالمصب وماء المصب ومنطقة المصب أرض محجورة على مجموع اسماك البحر ومجموع اسماك النهر فممنوع الدخول من أسماك النهر ومن أسماك البحر . . محجوره على بعض الانواع فقط لا يعيش فيها الا أنواع مخصوصة فقط أما باقى الكائنات الحية فهى ممنوعه محجوره . . اذن فهذا معنى " وجعلنا بينهما برزخا وحجرا محجورا " (١)

وفى نهاية المحاضرة عرض الشيخ عبد المجيد صورا للبرزخ والحجر أخذت عن طريق سفن الفضاء وقال " هذا الازرق الخفيف هو الحجر هو المصب ، فهذا الحاجز هو الحاجز بين النهر والبحر . " وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا " البرزخ هذا الحاجز الذى يفصل بين المائين والحجر هو المصب " .

هذا ما قاله الشيخ عبد المجيد فى هذا الحاجز " البرزخ " ولا يرد عليه ما أوردناه على ما ذكره الاستاذ ـ يعقوب ـ الذى وصف الحاجز بأنه حاجز مغمور يبلغ ارتفاعه أكثر من الف متر وتبعد قمته نحو ثلاثمائة متر عن سطح البحر " حيث وصفه الشيخ عبد المجيد بأنه ليس ثابتا بل هو مارج مضطرب يذهب ويؤب يدخل ماء المحيط فى البحر من غير أن يختلط ثم يعود الى الوراء وفى طريق عودته يدخل معه ماء البحر ومن غير أن يختلط أيضا ثم يعود الى الوراء وهكذا من غير أن يحدث اختلاط بين المائين بقى أن أقول وفوق كل ذى علم عليم .

ثامنا : قوله تعالى :ـ

" مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون" (٢)

---

(١) محاضرة للشيخ عبد المجيد الزندانى فى موسم حج ١٤٠٤ يعنوان" آيات الله تعالى فى الانفس والآفاق .

(٢) سورة العنكبوت : الايه ٤١

قال بن كثير رحمه اللهتعالى " هذا مثل ضربة الله تعالى للمشركين فى اتخاذهم آلهة من دون الله يرجون نصرهم ورزقهم ويتمسكون بهم فى الشدائد فهم فى ذلك كبيت العنكبوت فى ضعفه ووهنه فليس فى أيدى هؤلاء من آلهتهم الا كمن يتمسك ببيت العنكبوت فانه لا يجدى عنه شيئا " (١)

وأما التفسيرالعلمى فساقه الاستاذ يوسف مروه حيث يقول " كشف بعض علماء الحشرات الالمان عن أن بعض العناكب تنسج خيوطا دقيقه جدا اذ أنها تنسج بيتها من خيوط ، كل خيط منها مؤلف من أربعة خيوط أدق منه . وكل واحد من هذه الخيوط الاربعه مؤلف من الف خيط ، وكل واحد من الالف يخرج من قناة خاصة فى جسم العنكبوت ، وهذا يعنى أن كل خيط ينقسم الى ٤ × ١٠٠٠ = ٤٠٠٠ خيطا وذكر بعض العلماء الالمان الباحثين فى هذا الميدان أنه اذا ضم أربعة بلايين خيط (٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٤) الى بعضها لم تكن أغلظ من شعرة واحدة من شعر لحيته ، مع العلم أن متوسط قطر شعر اللحية لا يتجاوز ١ر٠ مليمتر وبذلك فان قطر مقطع الخيط الذى تنسجه العنكبوت يساوى ١ على ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٤٠ من المليمتر وان الكيفيه التى خلق الله بها فى جسم العنكبوت الف ثقب يخرج منها الف خيط فى آن واحد حيث يخرج الخيط الدقيق فيتجمع كل الف خيط فى خيط أغلظ ، ومن الخيوط الجديدة يتجمع كل أربعة سوية لتشكيل خيط أكبر ، وهكذا تتجمع الخيوط لتنشأ مسكنا ومصيده للعنكبوت ، لتدعو العاقل والعالم والمؤمن الى التفكير فى عظمة الخالق " (٢)

---

(١) تفسير ابن كثير : جـ ٣ ص ٤٣١

(٢) العلوم الطبيعية فى القرآن : يوسف مروه ص ٢٠٩ - ٢١٠

ولا شك أن ما ذكره الاستاذ يوسف من عجائب خلق الله سبحانه وتعالى لكن هذا يجب أن لا يصرفنا عن التفكير فى مدلول الآيه فالآيه دلت على وهن بيت العنكبوت وليس على خيط العنكبوت حتى نذكر من دقته ووهنه ، ووصف البيت بالوهن وهو مجموع الخيوط أبلغ من وصف الخيط الواحد بالوهن وعلى كل فهذا ليس بتفسير للآيه وانما شاهد لها أما وهن بيت العنكبوت فظاهر بين لا يحتاج الى استدلال ولا الى مكتشفات . والله أعلم .

تاسعا : قوله تعالى :-

" هو الذى خلقكم من نفس واحده وجعل منها زوجها "[1]

قال بن كثير رحمه الله تعالى " ينبه تعالى على أنه خلق جميع الناس من آدم عليه السلام وأنه خلق منه زوجته حواء ثم انتشر الناس منهما"[2]

وقال الشوكانى رحمه الله تعالى " قال جمهور المفسرين : المراد بالنفس الواحدة آدم وقوله " وجعل منها زوجها " معطوف على (خلقكم" أى هو الذى خلقكم من نفس آدم وجعل من هذه النفس زوجها وهي حواء خلقها من ضلع من أضلاعه وقيل المعنى (جعل منها) من جنسها كما فى قوله تعالى " جعل لكم من أنفسكم أزواجا")[3] والاول أولى "[4]

أما الاستاذ عبد الرزاق نوفل رحمه الله تعالى فقد فسر الآيه هنا تفسيرا علميا خاطئا وفى مؤلفاته كثير من ذلك ، ففسر النفس الواحدة وزوجها بالالكترونات والبروتونات فقال " اعتبر اكتشاف الالكترون أكبر نصر علمى

---

(١) سورة الاعراف : من الآيه ١٨٩
(٢) تفسير بن كثير : جـ ٢ ص ٢٩٤
(٣) سورة النحل : من الآيه ٧٢
(٣) فتح القدير : الامام الشوكانى جـ ٢ ص ٢٧٤

أمكن العقل البشرى أن يصل اليه حتى انهم يطلقون على هذا العصر الذى نعيش فيه الآن العصر الالكترونى ، اذ يعتبر أن هذا أروع وأهم اكتشاف تميز به عصر من العصور اذ أمكن الوصول الى الجوهر الفرد وحدة الخلق التى منها خلق كل شيء فى الوجود : الانسان والحيوان والماء والهواء . . الحي والجماد ، والارض والسماء فوجد أنها وحده تناهى فى الصغر الى درجة لا يقبل الفكر أن يتمثلها فقطعه الألكترون أقل من قطعة الذره بمائة ألف مره أما كتلته فى حالة السكون فان الغرام الواحد يزن ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٩ الكترون وان هذه الجسيمات التى يتكون منها الوجود هي جسيمات متشابهه أى واحدة تماما وان منها الموجب والسالب ، وهذه الحقيقة العلمية التى يتيه بها العصر الحديث قد جاء بها القرآن الكريم منذ ١٤٠٠ سنه فى صراحه ووضوح اذ تقرر الآية ١٨٩ من سورة الاعراف أن كل ما خلق الله انما خلقه من نفس واحدة وجعل منها زوجها " هو الذى خلقكم من نفس واحده وجعل منها زوجها " أليست هذه هى البروتونات والالكترونات . الكهارب الواحده موجبه وسالبه . . أى النفس الواحدة . . الزوجية الجنس بين موجب وسالب .

وكذلك الآيه الاولى من سورة النساء " ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحده وخلق منها زوجها " والآيه ٩٨ من سورة الانعام " وهو الذى أنشأكم من نفس واحده " وغيرها من الآيات التى تشير الى وحدة الخلق " (١)

ولا شك عندى أن هذا تفسير خاطئ وقع فيه الاستاذ عبد الرزاق نوفل ولو نظر الى كلمات الاية لتبين له ذلك .

---

(١) القرآن والعلم الحديث : عبد الرزاق نوفل ص ١٥٦ - ١٥٧

فالآيـه تنص على " نفس واحده " فهل البروتونات والالكترونات نفس ؟ !
والخطاب فى الآيـه " خلقكم " وفى النساء " ياايها الناس" وفى الانعـام
" أنشأكم " والآيـه تخاطب الناس أى البشر وتتحدث عن خلقهم ونشأتهـم
فكيف يقول " كل شئ فى الوجود " ويقول " ان كل ما خلق الله انمـا
خلقـه من نفس واحده " فمن أين جاء بهذا العموم ؟ !

وبقية الآيـه التى لم يوردها الاستاذ عبد الرزاق كاملة تقول " فلمـا
تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا
صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاها صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهمـا
فتعالى الله عما يشركون " فهل هذا ينطبق على البروتونات والالكترونات
المزعومة سبحانك ربـى .

فلننزه القرآن الكريم عن مثل هذه التفسيرات الباطله التى لا يحتـاج
بطلانها الى ثبوت بطلان النظرية العلمية بل أن الآيـه القرآنية نفسهـا
تحمل فى عباراتها مالا يدل على هذه النظريات فضلا عن تفسيرها به .

عاشـرا : قولـه تعالـى :-

اللـه الذى رفـع السموات بغير عمـد ترونها " [(١)]

قال بن كثير رحمه الله تعالى فى تفسيرها " روى عن ابن عباس ومجاهـد
والحسن وقتاده وغير واحد أنهم قالوالها عمـد ولكن لا ترى وقال ايـاس
ابن معاوية السماء على الارض مثل القبـه يعنى بلا عمد ، وكذا روى عـن
قتاده وهذا هو اللائق بالسياق والظاهر من قوله تعالى : (ويمسـك
السماء أن تقع على الارض الا باذنـه) [(٢)] فعلى هذا يكون قوله : (ترونها)

---

(١) سورة الرعـد : من الآيـه ٢
(٢) سورة الحج : من الآيـه ٦٥

تأكيدا لنفى ذلك أى هي مرفوعه بغير عمد كما ترونها ، وهذا هو الاكمل في القدره " [(١)] .

أما التفسير العلمى فقدمه الاستاذ محمود أحمد مهدى (شيعى معاصر) ذكر فيه أن الاعمده التى تمسك هذه العوالم الضخمه هى : قانون الجاذبيه فقال : " وعن هذا الامساك تحدث العلماء أخيرا وبعد لأى وجهد من أن الذى يمسك هذه العوالم الضخمه كلها ، ويتحكم فيها قبضا وبسطا بارادة الله طبعا ، هو : قانون الجاذبية . أجل انها الجاذبية التى اهتدى اليها العلماء والعلم ، ولكن بعد أن أشار اليها القرآن وبرهن بجلاء (بغير عمد ترونها) وما كانت تلك العمد أو الاعمدة الا الجاذبيه التى تجذب الثقيل الى الأثقل ، والكبير الى الاكبر " [(٢)]

الحادى عشر : قال تعالى " والذى أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى" [(٣)]

قال الشوكانى رحمه الله تعالى فى تفسيره " والذى أخرج المرعى : صفة أخرى للرب أى أنبت العشب وما ترعاه النعم من النبات الاخضر (فجعله غثاء أحوى) أى فجعله بعد أن كان أخضر غثاء : أى هشيما جافا كالغثاء الذى يكون فوق السيل (أحوى) أى أسود بعد اخضراره وذلك أن الكلأ اذا يبس اسود" قال قتاده : الغثاء الشىء اليابس ، ويقال للبقل والحشيش اذا انحطم ويبس غثاء وهشيم . . وقال الكسائى هو حال من المرعى أى أخرجه أحوى من شدة الخضرة والرىّ (فجعله غثاء) بعد ذلك ، والأحوى مأخوذ من الحوه وهي سواد يضرب الى الخضرة

---

(١) تفسير ابن كثير : جـ ٢ ص ٥٣٨

(٢) البرهان من القرآن : محمود أحمد مهدى ص ٧٥ - ٧٦

(٣) سورة الاعلى : الآيتين ٤ -٥

قال فى الصحاح : والحوه سمرة الشفه ، ومنه قول ذى الرمـــــه

لمياء فى شفتيها حوة لعـس وفى اللثات وفى أنيابـها شنب" (١)

ومن هذا التفسير للامام الشوكانى رحمه اللـه تعالى يظهر أن المــراد بالأحوى أى الأسود بعد اخضراره لان الكلأ اذا يبس اسود . لكـــن أصحاب التفسير العلمى أو أحدهم قدم تفسيرا آخر لم يسبق اليه فيما أعلــم فقال الاسيوطى الفلكى فى تفسير تلك الآيـه " الغثاء هو اليابس ، والأحـوى من الحوة وهى فى لسان العرب سواد الى الخضره أو حمرة الى الســواد ، وقد كثر فى كلام العرب حتى سموا كل أسود أحوى . . اذن فتفســـير (فجعله غثاء أحـوى) هو جعله بعد خضرته يابسا أسود . وهل هنـاك نبات اذا جف صار يابسا أسود . . . ؟ لا توجد - فيما نعلم - نباتـــات هكذا . اذن فكيف أخرج اللـــه تبارك وتعالى المرعى ثم جعله يابســـا أسود . . ؟ كيفومـــتى . . ؟

ألا ينطبق هذا كل الانطباق على الفحم الحجرى الذى تكون معظمــه فى حقبالحياة القديمة حينما ظهرت النباتات غير المزهره والسرخسيـــات بكثرة عظيمة ثم تراكمت فوقها فى بعض الجهات رواسب أخرى فتحولت الـــى فحم حجرى مع طول الزمن وارتفاع الضغط والحراره .

نعم هذا هو الغثاء الاحوى الذى تكلم عنه القرآن الكريم وعلله فأصـــاب وأوجز . قال وأصاب فى وقت كانت فيه مثل هذه الحقائق غريبه على عقـــول البشر . قال هذا فسبق العلم بقرون عده . أفليس هذا اعجازا ؟ بلـــى واللـــه انه نعم الاعجـــاز" (٢)

---

(١) فتح القدير : الامام الشوكانى جـ ٥ ص ٤٢٣ - ٤٢٤
(٢) القرآن ونهاية العالم : الاسيوطى الفلكى ص ٣٩

قلت والذى قاله الاسيوطى الفلكى نظرية علمية لم يرتق الى درجة الحقيقة العلمية الثابته التى يجوز جوازا ان يشار اليها اشارة فى تفسير القرآن ، فعلينا أن نجرد تفسير القرآن الكريم من هذه النظريات العلمية التى ما تزال تتأرجح يمنه ويسره خشية أن تميل معها بعض القلوب اذا مالت فلنتق الله ربنا ولنحترم كتابه ونـزله منزلته .

وليست هذه النظرية بالوحيده وليس هذا هو التفسير العلمى الخاطىء عند المسمى (الاسيوطى الفلكى) ففيه كثير وكثير من التفسيرات الجزئيه بنظريات لا تزال مهزوزه غير ثابته .

وبعد

هذه بعض الامثلة اقتبستها من بعض التفاسير العلمية حاولت فيما ذكرت منها أن أنوع الامثله العلمية من علم الطب والنفس والفلك وخلق الانسان ، والبحار ، والحشرات ، أصل المخلوقات ، والنباتات وغير ذلك .

وكما عددت مواضيعها فقد عددت مصادرها فضربت أمثله من عدد من التفاسير العلمية فى العصر الحديث حتى أعطى صورة قدرما استطعت عن التفسير العلمى فى العصر الحديث أبحاثه ومصادره ، وفيه المقبول وفيه المردود .

أما الدراسة فيما هو أعمق من ذلك وأوسع فهو شأن دراسة متخصصة فى التفسير العلمى . لا دراسة شاملة لعرض اتجاهات التفسير فى العصر الحديث .

وهذا ولا شك لا يعفينا من ضرب أمثله للمؤلفات فى التفسير العلمى فى العصر الحديث ودراستها دراسة مستقلة لنعطى صورة عن قرب لهؤلاء المفسرون بعد أن قدمنا ـ فيما أظن ـ صورة لهم مجتمعين عن بعد . وهذا أوان ذلك .

أمثلة من المؤلفات فى التفسير العلمى التجريبى :-

وعدنا سابقا أن نقدم دراسة موجزه لستة من المؤلفات فى التفسير العلمى التجريبى . وحان موعد ذلك هنا .

أولا : تفسير :

الجواهر فى تفسير القرآن الكريم

أولا : المؤلف :-

هو الشيخ طنطاوى جوهرى

ولد سنة ١٣٨٧ ، بكفر عوض الله حجازى فى " الشرقيه " تلقى العلم فى الازهر ثم فى المدرسة الحكومية ثم دار العلوم وتخرج منها سنة ١٣١٠ وعين بعد تخرجه مدرسا فى دار العلوم ، وقد طلب للقضاء فلم يقبل ، وكان رئيسا لجمعية المواساة الاسلامية بالقاهرة وتولى رياسة تحرير " مجلة الاخوان المسلمين " مدة وانقطع للتأليف فصنف كتبا كثيرة نحو ٣٠ مؤلفا منها :-

١ - الجواهر فى تفسير القرآن الكريم ، وهو موضوع بحثنا هنا

٢ - الأرواح ٣ - أصل العالم ٤ - أين الانسان ؟

٥ - التاج المرصع بجواهر القرآن والعلوم .

٦ - جمال العالم " دراسات فى الحيوان والطير والهوام والحشرات " .

٧ - جواهر العلوم ٨ - جواهر التقوى .

٩ - النظر فى الكون بهجة الحكماء وعبادة الأذكياء .

١٠ - الزهره فى نظام العالم ١١ - السر العجيب فى حكمة تعدد أزواج النبى

١٢ - سوانح الجوهرى

١٣ - ميزان الجواهر فى عجائب هذا الكون الباهر .

١٤- نظام العالم والامم .

١٥- النظام والاسلام .   ١٦- القرآن والعلوم العصرية .

وتوفى رحمه الله تعالى فى القاهرة سنة ١٣٥٨ (١)

وبالنظره السريعة لهذه المؤلفات ندرك ميل طنطاوى الى العلوم الحديثة واهتمامه اهتماما كبيرا حتى غلب على تفسيره .

ثانيا : الكتاب : الجواهر فى تفسير القرآن الكريم :

يقع هذا التفسير فى خمسة وعشرين جزءا أضاف اليها مؤلفها الجزء السادس والعشرين على أنه ملحق لتفصيل ما أجمل فيه من العلوم الكونية والاحكام الشرعية واختلاف المذاهب فيها . وجاء فى آخر هذا الجزء (ثم طبع الجزء الأول من (ملحق الجواهر : تفسير القرآن) مما يدل على أن المؤلف سيضيف الى هذا الملحق جزءا آخر ، والذى يهمنا هنا أنه أتم التفسير وعليه فانا نستطيع القول أنه أول تفسير علمى كامل للقرآن الكريم ولا يزال حتى الآن لم يؤلف أحد مؤلفا مثله فى شموله لآيات القرآن الكريم كما أنه من أوائل ان لم يكن أول تفسير كامل للقرآن الكريم فى مصر فى القرن الرابع عشر الهجرى .

ولهاتين المزيتين اتجهت اليه الأنظار اتجاها بينا فلم أر فيما أعلم تفسيرا حديثا تناولته الأقلام بالدراسة والنقد حتى كاد أن لا تخلو منه دراسة فى علوم القرآن ، حديثه ، مثل هذا التفسير الا تفسير المنار

---

(١) اقتبست هذه الترجمه من تقويم دار العلوم للأستاذ محمد عبد الجواد العدد الماسى بمناسبة مرور ٧٥ عاما على مدرسة دار العلوم ١٨٧٢ - ١٩٤٧ ، ومن الاعلام للزركلى ج ٣ ص ٢٣٠ - ٢٣١

سبب تأليفه :

وقبل أن تعرف سبب تأليف هذا الكتاب ينبغى أن تنظر الى أصل القضية وهو سبب اتجاه مؤلفه هذا الاتجاه العلمى . وهو سبب هام جدا لم أر فيما قرأت من أشار اليه مع أن المؤلف نفسه يذكره نصا فى تفسيره لهذا ولأنه القاعده التى أحسب أنه يقوم عليها أصحاب التفسير العلمى التجريبى المتطرفون منهم خاصة فانى رأيت أن أنقل هذا النص بطوله فلعل فيه بيانا لسبب اتجاه صاحبه وغيره . . قال :-

كنت فى أول أمرى مجاورا بالجامع الأزهر ثم قامت الحوادث العرابية ودخل الانجليز بلادنا فانقطعت ثلاث سنين عن العلم وكنت فى أثناء ذلك أزاول الاعمال الزراعية بيدى مع من يزرعون وقد اعترانى مرض طويل فى المعده لازمنى وقد كان والدى فى مرض أيضا وفوق ذلك كله كنت أفكر فى هذه الدنيا وأقول ياليت شعرى ألها خالق . وهل الانبياء كلموه انى لا أصدق الا اذا عرفت أنا بنفسى ولا أتكل على أحد . ان هذه الطرق الحديدية تجرى عليها القطرات وليست من صنع المسلمين . فياليت شعرى ماذا يقول الفرنجة الذين صنعوها . هل لهذا العالم اله ؟ أنا لا أصدق الا اذا عرف عقلى . ان هذا العالم ليس فيه شئ من النظام . انه مبعثر . انه مختل معتل . اننى أرى هذه البقرات وهؤلاء الرجال والنساء وهذه الحيات من الذرة توضع فى الأرض وهذا الماء الجارى فيها وهذه المحاريث التى تشق الأرض كل ذلك غير متناسب ولا منتظم فالمرأة واقفة والرجل كذلك والمحراث ممتد مستطيل من الأرض الى أعلى كأنه زاوية والثوران رؤسهما الى مام والرجال والنساء رؤسهم الى أعلى والماء يجرى على الارض لا يرفع رأسه مثلهما . فهذه الدنيا مضطربة مرتبكه مختله لا أرى فيها نظاما ولا احكاما ، واذا فقد النظام والأحكام

فلا اله خالق ان هى الا أحوال متغيرة وأمور مبعثرة ولد ها الاتفاق
وأظهرتها المصادفات . فلما أحسست بهذه الخواطر رجعت الى نفسى
وقلت ان العلماء فى الدين يقولون اننا ننظر للعالم العلوى والسفلى
فها أنا ذا نظرت فلم أجد الا خللا ولم أزد الا شكا فلم يبق عندى أمل
الا فى أمر واحد وهو أن أوجه قلبى الى من صنعنى فان كان موجودا
أجابنى وهذا هو الأمر الذى أجعله نصب عينى ، حينئذ شمرت عن ساعدى
الجد وأخذت أصوم بعض الأيام وأصلى بعض الليالى فكنت أجد فى ذلك
لذة وسرورا وتوجهت اليه سائلا بقلب محترق . ولكم قلت يا خالق هذه
الدنيا ، أنا لم أخلق نفسى بل وجدت أنى هكذا وانى أوجه قلبى الى
ذلك الموجود الذى خلقنى واذا كان خالقا لى فهو عظيم وكبير ورحيم
وأن لى جسما وروحا فلتتوجه الروح اليه ولتسأله أن أقف على الحقيقة .
يا الله أنت خلقتنى فعلمنى . أواه . ومن لى بأن أقف على هذا الوجود
وسره فأكتب ما أقف عليه لمن بعدنا حتى اذا وجد فى الدنيا من احترق
فؤاده لمعرفة هذه الدنيا رأى أمامه ما جربت من الاعمال وما قاسيت من
الاحوال فيهتدى ولا يجد هذا العناء . وصرت أطلب ذلك فى الحقول
وعلى شطوط الأنهار . ولكم دعوت فى الخلوات وناجيت فى الصلوات فى
المنزل وعلى شطوط الانهار. وتارة أحضر تفسير القرآن للجلالين وأقرأ
تفسير الالفاظ الذى كتب هناك فأقول يارب هذه الظواهر لم أقف على
سرها أما اللفظ ففهمته فأين عجائب الدنيا . وبينما أنا كذلك اذ وقع
فى يدى كتاب جاء فيه حديث " لقد أنزلت علىّ الليلة آية ويل لمن قرأها
ولم يتدبرها ويل له ويل له . ثم قرأ صلى الله عليه وسلم " ان فى خلق
السموات والأرض" الخ "(1) (2) فقلت هذا حسن أمن هذا الباب كان
دخول الأنبياء فصرت أقف على شواطئ الأنهار وفى الحقول وأنظر الى
السحاب وأفكر فيه وهذا ابتداء العجب .

---

(1) لم أجده (2) سورة البقرة الآيه ١٦٤

الى أن قال (ثم أخذت أطالع تفسير القرآن كل يوم ربعا وكان الجزء يتم فى ثمانية أيام وكنت أحفظ التفسير عن ظهر قلب حفظا عقليا ظنا منى أن فهمه حرام كما كان يقال الا بتوقيف من الشيخ ثم أخذت أدرس ذلك أشهرا قليلة وأنا أدعو الله فاستجاب الدعاء ووصلت الى الأزهر ثانيا وزال خطر الانقطاع منه وأتممت العلوم التى كانت فيه على وجه التقريب ثم دخلت الى مدرسة (دار العلوم) وكانت زاخرة بكل ما أريده ووجدت فيها كل ما كنت أصبو اليه وأنا فى الحقول وكنت أتعجب أن يكون هذا فى بلادنا وأنا عنه محجوب فوجدت أن النفوس الانسانية قد بحثت وفكرت ، ولقد كنت أعتقد أن الدروس التى أقرؤها عبادات وأنها خير العبادات حتى فن الرسم فكنت أرسم فى الدرس وأنا معتقد أنه عبادة لأنه مشحذ للذهن مقو للعلم للنظام الذى كنت أبحث عنه فى الحقل فلا أجده . كل ذلك بعد ما درست القرآن فى الأزهر الشريف على جلة الشيوخ الكبار ثم صرت مدرسا فى المدارس المصرية الابتدائية والتجهيزية والعالية وكذا (الجامعة المصرية) أيضا فى قليل من الزمن . وفى أثناء ذلك كنت أختلس من الوقت ما أقدر عليه وأؤلف كتبا فبلغت الرسائل والكتب ما يقرب من أربعين ونشرت بين المسلمين وذلك لأفى بعهدى الذى عاهدت الله عليه ولم يكن فى شىء من ذلك منى تكلف بل كان الوجدان هو الذى يسوقنى وهناك تجلت فى النفس أحوال تدعو الى النشر بين المسلمين لا محل لذكرها الآن . وها أنا ذا أكتب فى هذا التفسير ما يفتح به على . أقول وانى الآن أحمد الله عز وجل اذ وصلت فى التفسير الى هذه السورة وماكان ذلك من الميسور ولا بعضه ولكن الله هو الذى أعاننى وهو الذى سهل ذلك لى وان أقصى ماأردته فى هذه الحياة أن أتم هذا التفسير وأن ينشر وعند ذلك أعتقد أنى أديت ما أعتقد أنه واجب على دينا ووجدانا ، وهناك

هناك أشعر باتمام المطلوب وأن ولوعى بنشر هذه الآراء كولوعى بمعرفتها فأنا اليوم كنفسى من قبل يوم أن كنت صغيرا هنالك الاهتمام بالتعلم ، وهنا الاهتمام بالنشر وهما فى النفس سواء ، بل أنى أجد القلب شديد الاهتمام بثانيهما أكثر منه بأولهما . وها هو ذا أمانة فى يديك أيها الذكى وستقرأ فيما كتبه الكاتبون من الأمة الاسلامية فى الشرق والغرب فاجعل نصب عينيك هداية المسلمين " ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز " الى أن قال

" ان الدين الاسلامى دين حكمة وشريعة . دين يأمر بجميع العلوم . وها أنا ذا أديت ما على من النصح وتركت الأمر لمن بعدنا وسنفارق الدنيا وسيقوم بهذا رجال ذوو عقول كبيره ونفوذ وشوكه بين المسلمين وسيقلبون نظام الدنيا ويملئونها حكما وعدلا" ولتعلمن نبأه بعد حين" (١)

هذا ما قاله فى تعليل اتجاهه وهو اعتراف صريح منه بأن مبعثه كان الشك والتفكير فى هذه الدنيا ألها خالق ؟ وهل الأنبياء كلموه ؟ واعترف بأنه لم يصدق الا اذا عرف بنفسه ولا يتكل على أحد !! وتساءل عن رأى الفرنجه هل يقولون بأن لهذا العالم اله ؟ ثم اعترف أخرى بأنه لا يصدق الا عرف عقله !! واستمر شكه هذا الى أن دخل مدرسة دار العلوم وكانت زاخرة بكل ما يريده ووجد فيها كل مايصبو اليه ، ثم أبدى عجبه أن يكون هذا فى بلاده وهو عنه محجوب ووجد فن الرسم مقويا للعلم معلما للنظام (نظام الكون) الذى بحث عنه فى الحقل فلم يجده ؟ ! . وقد صرح فى موضع آخر بأنه أردا من تأليفه أن لا يشك الناس فى أمر هذا الوجود كما شك (٢) .

---

(١) الجواهر : طنطاوى جوهرى جـ ١١ ص ٧١ - ٧٤ باختصار .
(٢) الجواهر : طنطاوى جوهرى جـ ١٧ ص ١٨٢

اذن فسبب اتجاهه الاتجاه العلمي طلبه علاج الشك فى قلبه ، فهل هذا الشك هو الدافع له وحده . . . ودفع غيره كما دفعه الى طلب المانع لهذا الشك ، وهل الاتجاه الى العلوم التجريبية علاج للشك أم هو زياده فى الطمأنينة القلبية لمن لم يشك .

أحسب هذا وذاك وغيرهما أمورا توزعت بين أصحاب التفسير العلمى التجريبى للقرآن الكريم ، فمنهم من شك ومنهم من يطلب الطمأنينه التى طلبها ابراهيم عليه السلام " قال أولم تؤ من قال بلى ولكن ليطمئن قلبى "[(١)] وهؤلاء انقسموا الى قسمين أولهما طلب الطمأنينه فى التطبيق بين آيات القرآن والحقائق العلمية ، ومنهم من آثر طلبها من غير ربط بين هذه وتلك ، وفيهم المخطئ وفيهم المصيب والله عليم بذات الصدور .

وعودة الى الشيخ طنطاوى جوهرى لمعرفة سبب تأليفه لهذا التفسير الكبير بحجمه وبعلومه ومعارفه وقد أشار الى ذلك فى مقدمة تفسيره حيث قال " أما بعد فانى خلقت مغرما بالعجائب الكونية ومعجبا بالبدائع الطبيعية ومشوقا الى ما فى السماء من جمال ، وما فى الارض من بهاء وكمال ، وآيات بينات ، وغرائب باهرات ، شمس تدور ، وبدر يسير ، ونجم يضىء ، وسحاب يذهب ويجىء ، وبرق يتألق ، وكهرباء تخترق ، أو معدن بهىّ ، ونبات سنىّ ، وطير يطير ، ووحش يسير ، وأنعام تسرى ، وحيوان يجرى "، الى أن قال " ثم انى لما تأملت الأمة الاسلامية وتعاليمها الدينية ، ألفيت أكثر العقلاء ، وبعض أجلة العلماء ، عن تلك المعانى معرضين وعن التفرج عليها ساهين لاهين ، فقليل منهم من فكر فى خلق العوالم ، وما أودع فيها من الغرائب .

---

(١) سورة البقرة : من الآيه ٢٦٠

فأخذت أؤلف كتبا لذلك شتى ، كنظام العالم والأمم ، وجواهر العلوم والتاج المرصع ، وجمال العالم ، والنظام والاسلام ، ونهضة الأمة وحياتها ، وغير ذلك من الرسائل والكتب ، ومزجت فيها الآيات القرآنية بالعجائب الكونية ، وجعلت آيات الوحى مطابقة لعجائب الصنع وحكم الخلق ، وأشرقت الارض بنور ربها وتقبلها أجلة العلماء قبولا حسنا ، وترجم منها الكثير الى اللغة الهندية المسماة بالأوردية والى لغة القازان بالبلاد الروسية والى لغة جاوه فى الأوقيانوسية ، ولكن كل ذلك لم يشف منى الغليل ، ولم يقم على بنائه من دليل فتوجهت الى ذى العزه والجلال أن يوفقنى أن أفسر القرآن ، وأجعل هذه العلوم فى خلاله ، وأتفيأ فى بساتين الوحى وظلاله ، ولكم طلبت منه جل جلاله بالدعوات فى الخلوات وابتهلت اليه وهو المجيب ، فاستجاب الدعاء " (١)

اذن فالدافع له توجيه أنظار الامة الاسلامية الى هذه العلوم ، ولم يشف غليله أن يفرد هذه العلوم بمؤلفات خاصة بل شفاه أن فسر القرآن وجعل هذه العلوم فى خلاله .

لهذا فانه يدعو بكل ما أوتى من قوه الى الأخذ بهذه العلوم والمعارف وادخالها فى تفسير القرآن الكريم وينعى على العلماء السابقين الذين وجهوا عنايتهم الى كتب الفقه وآيات الفقه وهن لا يتجاوزن مائة وخمسين آية وأعرضوا كما يقول عن علوم الكائنات التى لا تخلو منها سورة بل هى تبلغ ٧٥٠ آية .؟ !

---

(١) الجواهر فى تفسير القرآن الكريم : طنطاوى جوهرى
ج ١ ص ٢

وقد جاوز في دعوته حد الاعتدال وأفرط في تجاوزه حد المباح فذم وعم وقال مالا يصح ان يقال ونسب آراءه ومفاهيمه قولا لله تعالى فقال مثلا " سيقول بعض المسلمين : لقد نظرنا فى النبات وعرفنا الله فاذا متنا وسألنا الله نقول :- هكذا قد نظرنا وعرفناك ، وأنا أقول :- لكن الله يقول (!!) :- النظر التام يكون بالعلم والتام فأين علمكم التام بهذه المخلوقات ولو بطريق فرض الكفاية ؟ فيقول العالم المسلم : انى قرأت كتب قدمائنا كالمواقف وأمثالها فيقال له : كلا ، ثم كلا هذه كتب وضعت لزمن غير زمانكم ولأمم غير أممكم ، وليس لها مقصود الا الرد على المبتدعه الذين ماتوا فأنتم تجادلون مع الأموات ، ولكن المقصود ادراك العوالم لذاتها لا للجدال بها ، وليس يمكنكم ذلك الا باشاعة هذه العلوم فى دياركم فيقرأ الصغار فى المدارس من الأشياء ، ويقرأ الكبار نفس هذه العلوم ، والعامة تبع الخاصة " (١)

وقال فيما قال من حديثه الذى لا نقبله ولا نرتضيه وذلك فى تفسيره لقوله تعالى " فلينظر الانسان الى طعامه " (٢) وما بعدها من الآيات قال " ألا تتعجب من هذه الآيات كيف ذكر الله فيها ما يأكله الانسان وما يأكله الحيوان وكأنه يشير بطرف خفي وحكمة الى باطن الامر فيقول :-

أيها المسلمون : أنا أمرتكم بالنظر فى النبات لأجل معرفتى وأنتم بذلك الأعلون ،. . ولو أنى اخترت لكم قراءة العلوم من طريق الحياة الدنيا لعشتم بها كما عاش الفرنجه وغلبوكم ، ولكنكم أنتم الذين أخترتكم لحفظ أرضى ، وقد ملأت الأرض بعلوم النبات وغيره من علوم الطبيعة ، وأنتم خير أمة أخرجت للناس فلتقوموا بعد قرآءة هذا التفسير وأمثاله (!!)

---

(١) الجواهر : طنطاوى جوهرى جـ٢٥ ص ٥٥

(٢) سورة عبس : الآيه ٢٤

ولتأخذوا علوم الأمم المحيطة بكم ، وأنتم تقصدون بقرآءتها الرقى الـــي وانى أرقيكم أسرع من غيركم ، ويكفى فى الترقي العلمى عشرون سنـــة كما يقولـه علماء السياسة والاجتماع عندكم فها أنا ذا أيهاالمسلمون مـلأت أوروبا وأمريكا واليابان بالعلم فقوموا من رقدتكم وخذوا هذه العلوم . هـم قرءوها للدنيا فأقرأوها أنتم لحبي وللغرام بي ولأجل لقائى ، بل أنـتم ستقرأونها وتعشقونى بها (!!!) " (١)

ونحن نرفض هذه الدعوة من الشيخ ظنطاوى الى العلوم بهذه الأساليب فلا يصح أن ينسب الى اللـه قولا لم يقله حتى ولو كان يعده اشارة مـــن طرف خفى ، ولا يصح هذه العبارات أعنى عبارات الغرام والعشق فهـى اصطلاحات ما أنزل اللـه بها في مقامه من سلطان .

وكثيرا ما يقارن طنطاوى جوهرى بين عناية العلماء بالفقه وآيات الفقـه وعدم اهتمامهم بالعلوم الكونية وآياتـه ويتسآءل ، " لماذا ألف علمـــاء الاسـلام عشرات الألوف من الكتب الاسلامية فى علم الفقه ، وعلم الفقـــه ليس له فى القرآن الا آيات قلائل لا تصل مائة وخمسين آيـه ، فلماذا كـثر التأليف فى علمالفقة ، وقل جدا فى علوم الكائنات التى لا تخلو منها سورة بل هى تبلغ ٧٥٠ آية صريحه . وهناك آيات أخرى دلالتها تقرب مــــن الصراحـة ، فهل يجوز فى عقل أو شرع أن يبرع المسلمون فى علم آياتـــه قليله ، ويجهلون علما آياتـه كثيره جدا ، ان أباءنا برعوا فى الفقة فلنـبرع نحن الآن فى علم الكائنات ، لنقم به لترقى الأمة فهذا الذى ينظر نظـــرا سطحيا لآيات النظر فى العالم نراه لم يكتف فى البيع والهبة والميراث والحج والصلاة بالنظر السطحى ، بل نراه فى الوضوء الذى هو شرط من شـــروط الصلاة لم يكتف بالنظر الظاهرى ،بل ازداد البحث فيه جدا فى مئـــات

---

(١) الجواهر : طنطاوى جوهرى جـ ٢٥ ص ٥٥

المجلدات المؤلفة فى المذاهب الأربعة وغيرها ، أفلا ينظر المسلمون اليوم الى علوم الدين الحقه وهى علوم الكائنات ، علوم معرفة الله ، ان علم الفقه لحفظ الأمم ، وعلم الكائنات لمعرفة الله وحياة الأمم ومابه الحياة مقدم على ما به حفظ الجياة اذ لا حفظ للحياة ولا عبادة لله الا بعد ثبوت الحياة " (١)

وتجاوز طنطاوى دعوته الى دراسة العلوم الكونيه الى ذم قراءة كتب لا مم مضت وانقضت بعبارة أخرى كتب السلف يقول مثلا :

" وكتب التوحيد كتب أكثرها جدليه ، وليس ينقذ أمةالاسلام من جهالتها الا تأليف رسائل قصيره وطويله ونشرها بين العامة حتى يعرفوا ربهم ويخشوه ، ومن جمع ما كتبناه فى هذا النتفسير استخرج منه رسائل تنشر بين الناس بلا مشقة ، فليعدل المسلمون عماهم فيه من قراءة كتب لأمم مضت وانقضت (! !) ونحن فى زمان أراد الله أن يظهر نور جماله الى الأمم الاسلامية فيشرق نوره على ربوعها ويكون ذلك مصداقا لقوله تعالى : " ليظهره على الدين كله " (٢) (٣)

أما علم الفرائض فقال ان دراستها فرض كفاية وان هذه العلوم فرض عين وقد أغقلها الجهلاء (! !) والمغررون (! !) من صغار الفقهاء فى الاسلام حيث قال " ياليت شعرى لماذا لا نعمل فى آيات العلوم الكونيه ما فعله آباؤنا فى آيات الميراث . ولكنى أقول الحمد لله انك تقرأ فى هذا التفسير خلاصات من العلوم ودراستها أفضل من دراسة علم الفرائض لأنه فرض كفايه ، فأما هذه فأنها للازدياد في معرفة الله

---

(١) المرجع السابق : جـ ٢٥ ص ٥٦
(٢) سورة التوبه : من الآيه ٣٣
(٣) الجواهر : طنطاوى جوهرى جـ ٢٥ ص ٥٧

وهى فرض عين على كل قادر كما هو مقرر فى باب الشكر للامام الغزالى وهى نفس علم التوحيد الحقيقى ، والمعرفة والشكر يكونان على كل امرىء بقدر طاقته ، ان هذه العلوم التى أدخلناها فى تفسير القرآن هى التى أغفلها الجهلاء المغررون (!!) من صغار الفقهاء فى الاسلام فهذا زمان الانقلاب وظهور الحقائق "[1]

وعباراته ونصوصه فى الحث على الاتجاه بالتفسير نحو طريقته كثيرة جدا ،[2] وبأساليب متعددة ، وهو كثير الاشادة والثناء على تفسيره[2] وكثيرا ما يكرر أن فى تفسيره خلاص الأمة وشقاءها[2] وأنه ينبغى بل يجب أن يسلك المفسرون هذا المسلك وينشروا هذه العلوم بين المسلمين حتى يفوزوا وينتصروا ان أرادوا الفوز وأرادوا النصر وتعجب اذا ما رأيته يقرر أن كتابته لهذا التفسير فرض عين ويقرر أن قراءة كتابه اما فرض كفايه لمن يقرأون العلوم للمنافع الدنيويه ، واما فرض عين على كل من أمكنه الازدياد من العلم[3]

ولهذا فلا عجب أن يكون بعض هذا دافعا له الى سلوك منهج التفسير العلمى التجريبى فى القرآن الكريم وأن يكون أحد بل أول مطبقيه تطبيقا كاملا على آيات القرآن الكريم كلها فى هذا القرن الرابع عشر

تاريخ تفسيره :

نص فى مقدمة تفسيره على بداية تناوله للتفسير بقوله " وكان ابتداء التفسير : اذ كنت مدرسا بمدرسة دار العلوم فكنت ألقى بعض آيات على طلبتها وبعضها كان يكتب فى مجلة الملاجىء العباسية ، وها أنذا اليوم أوالى التفسير مستعينا باللطيف الخبير "[4]

---

(١) المرجع السابق : جـ ٣ ص ١٩ - ٢٠
(٢) انظر مثلا مقدمة تفسيره جـ ١ ص ٣ جـ ٨ ص ١١٣
(٣) الجواهر : طنطاوى جوهرى جـ ٨ ص ١٩١
(٤) الجواهر : طنطاوى جوهرى جـ ١ ص ٣

طريقته فى التفسير :

يبدأ المؤلف تفسير كل سورة بمقدمة يذكر فيها ماللسورة من أسماء ومكيه هي أو مدنية وعدد آياتها وترتيبها فى النزول وأحيانا صلتها بالسورة التى قبلها وهذا كله فى أسطر قليلة جدا .

ثم يقسم السورة الى أقسام كل قسم يتكون من عدد من آيات السوره وغالبا ما يفرد البسمله فى أوائل كل سوره بقسم خاص هو القسم الاول ، وأحيانا يسميه الفصل الأول وأحيانا مبحث فى التسمية ثم يتبعه بالقسم الثانى وفيه التفسير اللفظى لآيات هذا القسم ، وهو تفسير لفظى مختصر جدا أقرب ما يكون لتفسير الجلالين ، ثم يتبعه بما يسميه (لطائف هذا القسم) وأحيانا يسميها أبحاثا وأحيانا جواهر وأحيانا حكايات وأحيانا : يضع عنوانا خاصا بما تحته من أبحاث ويفعل فى القسم الثالث وغيره ما فعله فى القسم الثانى . وفى نهاية السوره يكتب تذييلا لتفسير السوره وتحته فصول : وأحيانا يضع لطائف عامة آخر السوره لكل أقسامها وكل هذه الابحاث ما عدا التفسير اللفظى ملىء بالأبحاث العلمية التجريبيه البحته ، موضحه بالصور والتفصيل الدقيق .

وكثيرا ما يذكر فى هذه الأبحاث ، الأحداث التى تقع له فى حياته اليومية (١) وما يراه فى منامه (٢) وأحيانا خيالات يتحول بها من عالم الاشباح الى عالم الأرواح فيلقى بروح البصيره فتحدثها وتحدثه الامر العجاب (٣) وأحيانا كثيره يسميها الهاما أو نفحة ربانية وأشارة قدسيه وبشارة رمزية أمر به بطريق الالهام (٤) (!!) بل أحيانا يختلط عليه الامر فلا يدرى عما كتبه حلم هو أو حديث نفس أم الهام (٥)

---

(١) انظر مثلا جـ ١٨ ص ٤ جـ ٢٠ ص ١٠٣ جـ ٦ ص ١٠٩ جـ ١٧ ص ١٨١-١٨٦ جـ ٧ ص ٦٧ جـ ٨ ص ١٧٤ جـ ٢٥ ص ١٢٣

(٢) انظر مثلا جـ ١٨ص ١٣٩ وجـ ٢٠ ص ٢٣٤ - ٢٣٧ جـ ١٢ ص ٢١٥ جـ ٢٠ص ١٨ - ١٩ جـ ١٩ ص ١٠٧ - ١٠٨

(٣) انظر مثلا جـ ١٩ ص ١٦١ -- ٢٠٠ وجـ ٢٠ ص ٢٩

(٤) انظر مثلا جـ ١ ص ٣

(٥) انظر جـ ٧ص ١١٢ وانظرجـ٨ ص١١٧ - ١٢٠

وهو اضافة الى كثرة توضيحه لأبحاثه العلمية يورد صورا كثيره للأفلاك [١] والكواكب [٢] والشمس [٣] والقمر [٤] والسديم [٥] والمياه [٦] والأشجار [٧] والأحجار [٨] والحيوانات [٩] والحشرات [١٠] والأسماك [١١] والانسان [١٢] والنباتات [١٣] والجراثيم والميكروبات [١٤] وأجزاء الانسان كالبصمات [١٥] والعين [١٦] والأذن [١٧] والجهاز الهضمى [١٨] والديدان [١٩] والطيور [٢٠] ويضع الجداول العلمية الرياضية [٢١] والكيميائية والفيزيائية [٢٢] والفلكية [٢٣] والخرائط الجغرافية [٢٤] والصناعات والمخترعات الحديثة [٥]

---

(١) انظر مثلا : جـ ١٢ ص ٢٣٩ - ٢٤٢
(٢) انظر مثلا : جـ ٤ ص ٧٤ - ٧٥
(٣) انظر مثلا : جـ ٤ ص ٧٨
(٤) انظر مثلا : جـ ١٧ ص ١٩٩ - ٢٠١
(٥) انظر مثلا : جـ ٦ ص ٣٦ - ٣٩ جـ ٢٦ ص ٢٠٦ - ٢١٨
(٦) انظر مثلا : جـ ٩ ص ١٤٤ - ١٤٥ جـ ١٦ ص ١٨٤ جـ ٢١ ص ١٠٤-١١٣
(٧) انظر مثلا : جـ ١٧ ص ١٠٤ - ١٠٥ جـ ٢٥ ص ١٦ - ١٧
(٨) انظر مثلا : جـ ١٩ ص ١٢٢ - ١٢٦
(٩) انظر مثلا : جـ ٢٦ ص ٤ - ٥
(١٠) انظر مثلا : جـ ٢٤ ص ٣٩ - ٥٣ جـ ١١ ص ١١٦ - ١١٧ جـ ١١ ص ١٢٣ جـ ٩ ص ١٤٩ - ١٥٠ جـ ١٥ ص ٣٦-٣٩ جـ ٢٥ ص ١٣١-١٣٦
(١١) انظر مثلا : جـ ٢٤ ص ٣٥ - ٣٨ جـ ١١ ص ١٥٣ ١٥٤
(١٢) انظر مثلا : جـ ١١ ص ١٠٤ ، ١٠٦ جـ ١٧ ص ٢٣٤ - ٢٣٥
(١٣) انظر مثلا : جـ ١٥ ص ٢٠٧ - ٢١١ جـ ١٧ ص ٢١١ جـ ٢٥ ص ٧٠-٧١
(١٤) انظر مثلا : جـ ١٠ ص ١٥٥ جـ ٢٢ ص ٥٨ - ٥٩
(١٥) انظر مثلا : جـ ١٩ ص ١٥٤ - ١٦٠
(١٦) انظر مثلا : جـ ٢٣ ص ٣٠ جـ ٢ ص ٣٤
(١٧) انظر مثلا : جـ ٢ ص ٣١
(١٨) انظر مثلا : جـ ١٥ ص ٢٢٢-٢٢٣ جـ ١٧ ص ٧٤ - ٧٥
(١٩) انظر مثلا : جـ ١١ ص ١١٨ جـ ١٠ ص ١١٥ - ١١٧ - ١٢٤ جـ ٢٥ ص ١٣٧
(٢٠) انظر مثلا : جـ ٢٤ ص ٢٣٥ - ٢٤٠ جـ ١٥ ص ٤١ جـ ١٣ ص ١٧٣ - ١٨١
(٢١) انظر مثلا : جـ ٢٣ ص ١٣٧ - ١٤٢
(٢٢) انظر مثلا : جـ ١٩ ص ٢٣٥-٢٣٧ جـ ١٤ ص ١٣١ جـ ١ ص ٢٤٣
(٢٣) انظر مثلا : جـ ١٢ ص ٢٣٩ جـ ١٧ ص ٢٠٣-٢٠٥ جـ ١٨ ص ١٩٥-١٩٧
(٢٤) انظر مثلا : جـ ١٢ ص ٦١-٦٨ جـ ١٠ ص ٢٥١ جـ ١٦ ص ١٨١ جـ ١٧ ص ١٧٣
(٢٥) انظر مثلا : جـ ١٥ ص ١٦٨ جـ ١٧ ص ٥٣ جـ ١٧ ص ١٦٩

أما ما يستشهد به من الآراء والأقوال فاضافة الى رؤاه وأحلامه في اليقظه والمنام وما بعده الهاما فهو يستشهد بأقوال علماء الشرق والغرب في القديم والحديث وقد برز في تفسيره بروزا واضحا باستشهادة بنصوص انجيل برنابا [١] ،وجمهورية أفلاطون [٢] ونصوص أخوان الصفا [٣] وألف ليله وليله [٤] وكليله ودمنه [٥] والعديد من الجرائد والمجلات الغربية والعربية [٦] .

ولا يخفى على ذى لب أمر الاستشهاد بمثل هذا في تفسير القرآن الكريم واضافة الى هذه الشواهد فهو يذكر شواهد أخرى عجيبه من التنويم المغناطيسي وتحضير الأرواح [٧] زد حساب الجمل [٨] وخوضه في فواتح السور خوضا عجيبا [٩]

خلاصة الأمر الحق في هذا التفسير قول من قال عنه فيه كل شيء الا التفسير . ولئن كنا أجملنا الاشارة الى هذه السمات في تفسيره فانه يلزمنا لزوما أن نذكر أمثلة - بعض أمثله - لهذا التفسير ، لا نثبت فيها كل ما قلناه اذ لوفعلنا لاحتاج الأمر الى دراسة خاصة لهذا التفسير العجيب وانما مرادنا بعض الأمثلة التي تعطى صورة عامة لطريقته في التفسير وما عداذلك فقد أشرنا الى مواضعه في الهوامش اشارة فيها الكفاية .

---

(١) انظر مثلا جـ ١ ص ٦١-٦٣ جـ ٢ ص ١٢٢-١٢٤ جـ ١ ص ٤٧
(٢) انظر مثلا :جـ ١٧ ص ١٨٦ و ٢٤٣ جـ ٨ ص ١٧٧ جـ ٢٠ ص٢٤٢-٢٤٤
(٣) انظر مثلا :جـ ٢ / ٨٤ جـ ٨/ ١٥٠ -١٥١ جـ ٢٠ ص ٣٠ جـ ١٩ص٢٠٧-٢١٠ جـ ٢ ص ٨)
(٤) انظر مثلا : جـ ٢٠ ص ٢٣٣ - ٢٣٤
(٥) انظر مثلا : جـ ١٧ ص ٢٤٠
(٦) انظر مثلا جـ ٢٥ / ١٢٥ ، ١٨ / ٥٧ جـ ٢٠ ص١٩٥ جـ١٩ ص٢٤١
(٧) انظر مثلا : جـ ١ / ٨٤ جـ٨ / ١٨٢-١٨٣ جـ ١٩ص٢٩ جـ ١٩ص٢١٩-٢٢١ جـ ٩ ص ١٠ - ١٢
(٨) انظر مثلا : جـ ٢ ص ٥
(٩) انظر مثلا جـ ٢ / ٥-١٤ وجـ ٢٣ص٢٠-٢٦ جـ ٢٠ص٣٥-٣٨ ،جـ١٠ص٦١-٦٢ جـ ١٣ ص ٤-٥

نماذج من تفسيره :

أمران كانا سبب توقفى فترة من الزمن عند هذا المبحث على وضوحه وظهوره .

أولهـا : أن كثرة الأبحاث فى هذا التفسير التى كلها يصلح ان - يكون مثالا لطريقة صاحبه فى تفسير القرآن الكريم ، سبب لحيرة من يريد أن يختار بعضها أيها يقدم وأيها يؤخر . أيقدم هذا لقصر أبحاثه ويدع ذاك لطولها أم يقدم هذا لما فيه من التطرف فى التفسير ، أم يقدمه لما فيه من الرأى الغريب الشاذ أم يقدمه لما فيه من مخالفة الحق أو لما فيه من مخالفة النصوص الشرعيه ،أو يغمض عينه عن هذه الجوانب السلبيه فى التفسير ويقلب الصفحات تلو الصفحات ملتمسا تفسيرا مقبولا عله يجد فيه شيئا ،أو يذكر شيئا من هذا وذاك فأيها يترك ويأخذ من هذا وأين يجد ذاك قرّ قرارى فى نهاية الأمر أن أذكر من التفسير ما له صلة فى موضع البحث ذلكم أنى أبحث هنا فى التفسير العلمى التجريبى ولست أكتب عن منهج الجواهرى فى التفسير فلأدع الجوانب العقدية والاجتماعية والأدبية ولأحصر صلتى به فى الجانب العلمى ولأقتطف من هذا الجانب ما أراه المدى الذى وصل اليه فى التزام هذا الجانب،أما الجانب الآخر فلها شأن آخر مع غير هذا البحث .

ومن هنا فانى أذكر من الأمثله ما أراه متطرفا فيها فى التزامه التفسير العلمى فهو الجانب الذى نبحثه أولا وهى التى تكشف درجة المؤلف ومنزلته فى هذا اللون من التفسير ثانيا وانى لأجزم أنه يتربع حتى الآن فى المركز الأول لا يكاد ينافسه أحد .

أما ثانيهما : فلقد ترددت قليلا فى أن أذكر نصوصها بطولها أو أتصرف فيها بالاختصار والحذف ، خشيت أن يكون لتصرفى أثر فى معانيها فآثرت أن أذكرها بطولها لتعطى الصورة الصادقة الكاملة حتى وان كان فيها اطاله وآثرت أيضا أن يكون الاختصار فى الأمثلة فى عددها لا فى ذاتها .

علم تحضير الأرواح :

والمؤلف متأثر تأثرا بينا بما يسمى تحضير الأرواح . فكثيرا ما يورد فى تفسيره محاورات لأرواح يزعمها محضره ، وهو حين يورد هذه الأقوال يوردها مسلما مصدقا لها . أما من لم تصح عنده هذه الخزعبلات . فهو عند الشيخ طنطاوى مقلد مع أنه يقرأ بأن هذا العلم قد اختلط فيه الحق بالباطل والصدق بالكذب

ومع هذا يتأسف على تأخر المسلمين فى هذا المضمار وكان الأولى بالأمة المسلمه - حسب زعمه - أن تكون السباقه فى هذا المضمار المجده فى تعلمه .

وحديثه عن الأرواح وتفسيره لقوله تعالى : - واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة " (1) الآيات ، طويل انقل منه الموضع المراد على طوله حتى تكتمل الصورة قال فى تفسيره لهذه الآية : -

وأما علم تحضير الأرواح فانه من هذه الآية استخراجه ،ان هذه الآية تتلى والمسلمون يؤمنون بها حتى ظهر علم تحضير الأرواح بأمريكا أولا ، ثم بسائر أوروبا ثانيا . فلأذكر نبذة منه لتعرف كيف كان مبدأ

---

(1) سورةالبقرة : الآيات من الآية ٦٦ الى الآية ٧٤

هذا العلم وكيف كان انتشاره بين الأمم ، وفائدة هذا العلم أن من صحت عنده أحوال الأرواح وظهورها أيقن بالآخرة وبالحياة بعد الموت ايقانا تاما . وأما من لم تصح عنده فانه مقلد كسائر الناس ،ولتعلم أن هذا العلم متشعب اختلط فيه الحق بالباطل والصدق بالكذب ، وصار الناس فيه طائفتين ،طائفة مكذبة ،وطائفة مصدقة ،ولكل حجج ليس هذا محلها ، ولكن بالاجمال أقول ان فى العلم التباسا كثيرا وشكوكا بسبب الأحوال الطارئة على المشتغلين به ، وكان الأولى بأمة الاسلام أن تكون السابقة فى مضماره المجدة فى تعلمه المتقدمة على سائر الأمم فى تحصيله لتهدى الناس الى سواء الصراط . أفلا يرى المسلم ما جاء فى هذه السورة فى قوله تعالى " واذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أولم نؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى ،قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ، ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ، ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم" وفعل ابراهيم ذلك ، وقطع الطير ودعاها فأجابت فاطمأن ، وهل نحن أكثر ايمانا من ابراهيم كلا ؟ فاذا كان ابراهيم يطلب اليقين بالمعاينة فنحن أولى ، والأنبياء أعلم منا ، فكان يجب على المسلمين أن يكونوا هم البادئين بعلم احضار الأرواح لا أمريكا ،لأن الله ذكر لنا فى سورة البقرة هنا أنهم ضربوا القتيل فحيى وأخبر بمن قتله ،وهو الذى كان وارثا له فحرم الميراث ، واذا صح هذا فى نفس واحدة فجميع الأنفس يجب أن تكون كذلك ، وأنها حية بعد الموت وليس يمكن أن يكون هذا يقينا الا اذا رأيناه بأنفسنا فى زماننا بلا شك ،وأنى لنا ذلك الا بالكدّ ، والنصب ، والتعب ، والسهر ليلا ونهارا فى العلم والعمل .

ولقد ألفت كتابا سميته (كتاب الأرواح) ضمنته : ما ورد الينا من أوروبا وأمريكا من كيفية احضارها ، وهكذا ما يقابل ذلك ، مما ورد فى القرآن والحديث وكلام الصالحين ، فرأيت اتفاقا بين الأمتين فلأنقل لك الآن ما جاء فى التوراة من احضار الأرواح مثل ما فى عصرنا تماما ، ثم أتبعه بنبذة مما فى كتاب الأرواح الذى ألفته فى تاريخ هذا العلم ولست أريد بذلك أن نقلد ما أقول ، ولكن أقول يجب أن يكون فى المسلمين جماعة صادقون مخلصون قاصدون وجه الله ، والدار الآخرة ، لا عرض الدنيا ينقطعون لهذا العلم ويحضرون الأرواح لأجل العلم والمعرفة ولا يتكلون على أوروبا وأمريكا ويميزون الخبيث من الطيب . وطرق التحضير واضحة فى كتاب الأرواح المذكور) .

ثم ذكر نصا استدل به على ما ذكر من التوراة الى أن قال : أما ما جاء فى العصر الحاضر الذى يناسب مسألة القتيل الذى ضربوه ببعض البقرة ، ومسألة ابراهيم الخليل وقوله لله عز وجل " ولكن ليطمئن قلبى " ومسألة صموئيل النبى مع طالوت المعبر عنه بلفظ شارل فى التوراة الذى ذكرنا قصته الآن فهاكه . قلت فى كتاب الأرواح :

قال شير محمد : هل يذكر لى الأستاذ كيف كان بدء هذه الحركة فى العالم الحديث ؟ قلت : ان هذه الحركة بدأت مع الانسان على ظهر الأرض وعاشت مع الأمم دهورا وأحقابا ، فلما كانت هذه القرون الحاضرة وأظلمت الدنيا : واسودّ وجه الحقيقة وأخذ الناس يجهرون بالالحاد أرسل ربك لهم عجائب - وبث لهم من الأرض غرائب ، وانبعث لهم من عوامل الغيب ، وسطعت الحقائق

وأشرقت الأرض بنور ربها فى سنة ١٨٤٦م ذلك أنه سمع فى تلك السنة طرقات متوالية فى بيت رجل يسمى (فيكمان) من قرية (هيدسفيل) فى نواحى ولاية نيويورك وتوالى ذلك ليالى ذوات عدد ، فذعرت تلك الأسرة ، وقذف فى أفئدتهم الرعب ،فهجروا المكان بعد أشهر ، فسكنت الدار أسرة (جون فوكس) المؤلفة من الرجل وامرأته وابنتيه ، فعادت الطرقات وتوالت الضربات ،وهرع الجيران لينقبوا عن تلك الأصوات المزعجة ، ثم اهتدوا الى سبيل الرشاد اذعلموا أن تلك أفعال ناجمة عن عقل ، فاصطلحوا مع مصدرها على لفظ نعم ولفظ لا بطرقتين وثلاث ،ففهموا أنها روح أصابها شر قد قتلها رجل فى هذا البيت والذى كشف ذلك (مدام فوكس والقتيل الطارق يدعى (شارل ريان) قتل منذ أعوام عديدة فى ذلك البيت ، وكان فى حياته دوّارا قتله من كان يبيت عنده لسلب ماله ، وكان عمره احدى وثلاثين سنة ، ثم شاع الخبر وذاع ، واستهزأ الناس بذلك وسخروا منها ،وقالوا : ان هذا لكذب مبين ، وانتقلت عائلة فوكس الى قرية (روستر) من الولايات المتحدة ،وشاع الخبر وذاع ، وثار علماء الدين والملحدون وسائر الشعب على المرأة وابنتيها ، وتعرضن للموت مرارا ، فعين القوم لجنة من العلماء لكشف الحقيقة ، فأعلنت أنه لا أثر للشعوذة ولا للاحتيال . فهاج الشعب وعين لجنة أخرى ، فقررت كالأولى ، وعينوا ثالثة ، فأذعنت كسابقتها ،فهمّ الطغام باهلاك الابنتين ، وسبوا وشتموا علماء اللجان المذكورة ، ولكن الابنتين لم يصبهما ضرر ، وقامت الجرائد والمجلات تنشر مقالات الهزؤ والسخرية بهذا العمل ومن العجب أنه لم يمضى أربع سنين حتى فشا المذهب فى سائر

الولايات المتحدة حتى لم يكن يخلو بيت من وسيط أو وسيطة
تخابر القوم على يده الأرواح ، وقد يجلسون حول منضدة ، ويتلون
أحرف الهجاء ، وعند وصولهم الى الحرف المقصود تطرق المائدة
برجلها ، ولم تمضى سنة ١٨٥٤م اى بعد الحادث بثمان سنين
حتى أصبح أمر هذا الحادث من أعمال دار الندوة ومجلس الأعيان
الملتئم فى مدينة وشنطون ، الى أن قال : وتعجب من القرآن كيف
ذكر مسائل الحياة بعد الموت فى قصة الخليل كما ذكرناه ، وأنه
أمر بتقطيع الطيور وخلط لحمها بعظمها وريشها ،ثم يدعوها فتحيا
فى أواخر هذه السورة : وأنت تعلم أننا عن هذا عاجزون ، وهذه
معجزات لنبى ، وذلك النبى أراد أن يطمئن قلبه بالمعاينة بعد
الايمان ،ولا جرم أن ايماننا أقل من ايمان الأنبياء : فنحن أولى
بطلب المعاينة ، وطريق الخليل فيها مقفل بابها علينا . فمن
فضله تعالى ذكر هنا أن القتيل قد حيي بضربه ببعض البقرة ،
وهذا فتح باب لاحضار الأرواح فكأنه يقول فى مسئلة ابراهيم :
اطلبوا الحقائق لتطمئنوا ، وهنا يقول : اسلكوا السبل التى بها
تستحضرونها ، ولا تنالون شيئا من هذا الا بجدكم وكدكم ،فالعلم
لا ينال الا بالمشقة والنصب ، فاذا وجدتم أن طريق موسى فى
احياء الموتى يصعب عليكم فالتمسوا غيره " وأن ليس للانسان الا ما
سعى " هذا ما بدا لى فى هاتين الآيتين للخليل وموسى الذى
سار على قدم جده فى النبوة ، فحيى الميت على يديه وفى السورة
آيتان أخريان فى احياء الموتى وهما (ألم ترى الى الذين خرجوا
من ديارهم وهم ألوف حذر الموت . فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم"
والآية الأخرى نزلت فى العزير اذ قال فى بيت المقدس" انى

يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام " ثم نظر الطعام الذى كان معه والشراب فرآهما على حالهما لم يتغيرا وصار ينظر الى حماره وهو يحيا وتتصل العظام ببعضها وتكسى لحما فعلم " أن الله على كل شيء قدير " .

فالمسلم اذا قرأ هذه الآيات التى حكيت عن بنى اسرائيل يقول فى نفسه : أنا آمنت ، فان كان من العامة لم يطلب المزيد ، وان كان من الخاصة قال : أنا أطلب المعاينة والمشاهدة ، والمشاهدة باحدى طريقتين : الطريقة الأولى : ما سلكه المجاهدون الزاهدون ولكنها محفوفة بالخطر ، ومن شاهد منهم شيئا لا يمكن لغيره التصديق به . الطريقة الثانية : طريقة استحضار الأرواح ، وهى عامة كما تقدم فى هذا المقام ، ولكن استحضار الأرواح أيضا على ما يقولون صعب المنال ، ويقولون ان الأرواح النقية لا تخاطب الا قلوبا نقية خالصة ، فرجع الأمر عند الصوفية وعند علماء العصر الحاضر من أوروبا الى أن المدار على الاخلاص والصدق ، وطلب الحقيقة والتوجه لله : فهذا هو الأصل عند الجميع . ولذلك ترى الذين يظنون أنهم استحضروا الأرواح متى غلب عليهم حب الدنيا تحضر اليهم أرواح كاذبة خاطئة على مقدارهممهم وتكلمهم بالأكاذيب والمواعيد العرقوبية كما أن المجاهد من الصوفية لا ينال الزلفى الا باحتقار العالم الفانى ، ولما كانت السورة التى نحن بصددها قد جاء فيها حياة العزير بعد موته ، وكذلك حماره ومسئلة الطير وابراهيم الخليل ، ومسئلة الذين خرجوا من ديارهم فرارا من الطاعون فماتوا ثم أحياهم ، وعلم الله أننا نعجز عن

ذلك جعل قبل ذكر تلك الثلاثة فى السورة ما يرمز الى استحضار الأرواح فى مسئلة البقرة كأنه يقول : اذا قرأتم ما جاء عن بنى اسرائيل فى احياء الموتى فى هذه السورة عند أواخرها فلا تيأسوا من ذلك فأنى قد بدأت بذكر استحضار الأرواح فاستحضروها بطرقها المعروفة و " اسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون " ولكن ليكن المحضر ذا قلب نقى خالص على قدم الانبياء والمرسلين كالعزير وابراهيم وموسى : فهؤلاء لخلوص قلوبهم وعلوّ نفوسهم أريتهم بالمعاينة ليطمئنوا ،وأنا أمرت نبيكم أن يقتدى بهم فقلت" فبهداهم اقتده " فاقتدوا بهم فى تعلم ما تطمئنون به وتوقنون ،ولكن قبل ذلك اقتدوا بالأنبياء فى طهارة القلوب وزوال الرجس من النفوس فان هذه الأمور انما تعرف بالتجربة والعمل ، لا بالقياس ولا بالنظر والحدس الفكرى . " (١)

هذا أهم ما قاله الشيخ طنطاوى جوهرى فى تفسير هذه - الآيات وأمثالها صرف معانيها الى تحضير الأرواح ،وفسرها تفسيرا لا يقبله ذو لبّ يعرف مرامى القرآن الكريم وأهدافه حتى قال الشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير عن هذا التفسير" هو من أغرب ما يقال فى تفسير القرآن الكريم فهو أبعد ما يكون عن معناه وعن أهدافه وأغراضه ، كما أن تحضير الأرواح علم كاذب فلا يوافق الدين على الايمان به ولا يعترف بأخبار الأرواح التى تحضر عن طريقه فهى أرواح جنّ ، تكذب بادعاء أنها الأرواح المطلوب احضارها ومكالمتها ، وكيف يمكن أن تكون صادقة وهى تقول عن نفسها

---

(١) الجواهر : طنطاوى جوهرى : جـ١ ص ٨٤ - ٨٩

انها فى الجنه ، وقد تكون مشركة أو منكرة للدين فى حياتها ،
وكيف يمكن استحضارها فى حين أن السلطان عليها لله الواحد
القهار .

وعلى الرغم من أن الشيخ رحمه الله كان رجلا تقيا على ما
عرفته فيه ، وجربته منه ، فانه كان ذا خيال خصيب ، وكان لهذا
يخضع القرآن لما يتخيله فى معانيه بأفكاره العريضه ذات الآفاق
البعيدة - وان جانبها الصواب ، غفر الله له ما قال عن حسن ظن
مما خالف فيه ما ينبغى فى تفسير كتاب الله المجيد " (١) .

ونحن لا نزيد قولا ونقدا على ما قال الشيخ مصطفى الآن أن
تحضير الأرواح كان دعوة هدامه ذات صلة عميقه بالماسونية
والصهيونية العالمية ، واقرأ ان شئت ما كتبه الدكتور محمد محمد
حسين رحمه الله تعالى ، عن الروحيه فى كتابه الروحيه الحديثة
دعوة هدامه فقد كشف فيه زيف هذه الدعوة وذكر فيه أن من
أهدافها القضاء على الدين الحق والغاء أثره " فالذين يدعون
استحضار أرواح الموتى يستحضرون روح المسلم وروح النصرانى
وروح اليهودى وروح البوذى وغير أولئك ، وهؤلاء من أهل الجاهلية
على تباين تحلهم من مختلف بقاع الأرض ويزعمون أنهم يعيشون
جميعا فى سعادة وهناء ومعنى ذلك أن السعادة والهناء لا
تتوقف على الدين الذى يختاره الناس لأنفسهم فى حياتهم الأرضية ،
وذلك يؤدى الى الاستخفاف بالأديان كلها والى تكوين مفاهيم
دينيه جديده " (٢) .

---

(١) اتجاه التفسير فى العصر الحديث : مصطفى محمد الحديدى الطيرص ٧

(٢) الروحيه الحديثه : محمد محمد حسين ص ٦- ٧

على أن الذى يهمنا فى موضع بحثنا أن الشيخ طنطاوى كان من المخدوعين بهذه الدعوة الزائفة التى راجت فى عصره رواجا كبيرا فحشدها فى تفسيره ومع هذا ومع حسن ظننا به الآ أنه تجب الاشارة والتحذير من هذا الاتجاه .

قوامين بالقسط :

فى تفسير قوله تعالى " يآأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين " [1] .

أدخل الشيخ طنطاوى الاكتشافات العلميه الحديثة فى وسائل الاعتراف ، فى تفسير هذه الآية على نحو غريب لا أعلم أنه سبق اليه ، فقال : -

يقول الله تعالى " يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط الخ " يأمرنا أننا اذا قتلنا أو سرقنا أو زنينا ووقفنا تحت آلات القتل نقر، واذا رأيت أبى واقفا وآلة الشنق منصوبة له أقول ان أبى قاتل ولا أخجل ولا أخاف كل ذلك يأمرنى به الله .يأمرناالله بما لم يشهد أحد عمله الآ نادرا جدا وليس فى النوع الانسانى من يبادر الى ذلك الآ فى النادر ولكن الله سبحانه انما يريد أن يعيش الناس بسلام ووئام ويكونوا اخوانا لتحلو الحياة ويكون الصفاء .

فهل لك أن تسمع من العلم الحديث والكشف الغريب ما يجعل هذا الاقرار أمرا متداولا . هل لك أن تقرأ ما رسمته الدول المعاصرة لنا وما كشفوه فى هذا المقام حتى تحكم أنهم

---

(١) سورة النساء : من الآية ١٣٥

اذا ساروا على هذا المنوال سنين أصبح ما يقوله الله الآن أمرا معتادا ويقر الانسان على نفسه وعلى أمه وعلى أبيه وعلى قريبه وعلى ملكه وعلى اللص الذى سرق معه بل يصبح الناس لا سرقة عندهم ولا قتل الا نادرا ويزول الكذب فى الشهادات وتصدق الأحكام.
فلأذكر لك ثلاث مسائل :

المسألة الأولى : الاقرار بمصل الصدق .

وأصل هذا المصل أن طبيبا يسمى الدكتور هاوس من المختصين بالتوليد وعادة الأطباء أنهم اذا رأوا امرأة تعسر وضعها حقنوها بهذا المصل المسمى (اسكوبلامين) فلاحظ أثناء الحقن والمرأة تضع وهى لا تحس بألم أنها تفشى أسرارا ما كانت تنطق بها عادة بل تلك الأسرار من أكبر الفضائح والعار فتوجه الى رجال الحكومة وأحضروا من السجون نحو خمسمائة مسجون وحقنوهم بالمصل كما تحقن الوالدات واستنطقوهم فكانوا يجيبون اجابات صريحة ويخبرون بالحقائق كما هى ولم يجدوا فى جميع من سألوهم كلمة واحدة تخالف الصواب ولما أفاق أولئك الرجال دهشوا لما علموا أنهم أجابوا بالحقائق التى أنكروها قبلا ، وقد قال العلماء فى ذلك ان استعماله سيفضى الى اخلاء السجون من الأبرياء ، ولقد وضعوا الرجال المتهمين على موائد كما توضع المرضى وحقنوهم ثم سألوهم فى معارض حضرها رجال القضاء والطب فأسفرت عن النتائج عينها ويقولون انه فى بلاد الانجليز التى كشف فيها هذا المصل يقدم عشرة متهمين للمحاكمة فلا يحكم الا على واحد لثبوت التهمة ويبرأ الباقى ومتى حقنوا بهذا المصل ظهر المحق من المبطل

وأيضا يقبض على الثلث من المقبوض عليهم خطأ ويبرءون فيما بعد فهذا المصل ينفى التهمة ويخرجهم وليس هذا نافعا لانكلترا وحدها بل للعالم قاطبة متى انتشر فى الكرة الأرضية .

المسألة الثانية :

ان الجناة يعرفون فى العالم الانسانى الآن بآثار الابهام ، وذلك أن بلادنا المصرية جعلت ادارة خاصة لآثار الأصابع وجعلتها أصنافا وأنواعا بحيث ان الانسان ليس يكون أثر ابهامه له مشابه آخر فى الشرق أو فى الغرب ولذلك تراهم يأتون بالمذنبين ويأمرونهم بوضع أصابعهم على الورقة وهى ملوثة بالحبر فهذا الأثر يدل على صاحبه لا يشاركه فيه سواء . هكذا الأقدام فان عرب البادية فى بلادنا يعرفون الناس بآثارهم كالقدماء من العرب الذين كانوا يقصون الأثر فكل امرىء له قدم بصفات خاصة لا يشاركه سواه .

المسألة الثالثة :

لقد ظهر فى أمريكا وفى أوربا علم يقال له (السيكومترى) ، أعنى علم قياس الأثر ، وقد استعملت هذه اللفظة سنة ١٨٤٢ وهى مشتقة من لفظة يونانية (سيكى) أى النفس (ومترون) أى قياس، ومعناها اللفظى قياس النفس .

وقالوا فى هذا العلم انه لا يقع ظل على حائط من دون أن يترك أثرا فيه يمكن اظهاره بالوسائل الصناعية وكل غرفة تظن أنها محجوبة عن العيون فيها آثار كل ما حصل فيها ولو من مئات السنين بل كل حجر وشجر ومدر توجد عليه رسوم ما حصل عنده

من خير أو شر فكل حركة وكل فكرة تصدر من الناس ترسم على ما حولهم فكأن هناك صورا لطيفة لا عدد لها ثابتة على جميع الأشياء لا تزول بمرور القرون والدهور .

الى أن قال : أنظر الى هذه المسائل الثلاث بعقلك وتفكر فيها ألست ترى أن المسألة الأولى هى التى تحقق اقرار الانسان على نفسه وعلى أبويه وتكون الأمم أقرب الى السعادة منها الآن . واذا كان هذا الكشف الحديث يعم العالم ويظهر صدقه أفليس ذلك يكون مما يجب علينا الأخذ به متى تحققنا أن ما يقوله الفرنجه حق لا خطأ فيه فلسنا نحن نأخذ بقولهم بل نجرب تجاربهم ونعمل بها بعد التحقيق واذا كان النوع الانسانى ليس عنده من الصدق والأمانة ما يحمله على الاقرار على النفس والأهل أفلا يكون أمثال هذا المصل (اذا صح ما يقال) من أوجب الواجبات على أمة الاسلام بل أقول فوق ذلك انه يجب على أمراء الاسلام والمجالس النيابيه أن يظهروا رجالا فى العلوم ويمدوهم بقوتهم حتى يكشفوا ويخترعوا وينظروا وكفانا نوما فقد نامت عقول المسلمين آمادا طويله" (١) .

وهل هذا التفسير مقبول لا أشك أنه كسالفه وككثير من تفاسير الشيخ مرودة مرفوضة ،بل هو نفسه أورد اعتراضا على هذا التفسير من قبل أحد العلماء وذهب فى رده على هذا الاعتراض يقيسه على أمور الآخرة وأن الله سبحانه يشهد على الانسان يده ورجله ولسانه على ما فعل وما قال . فاذا كان الله قبل هذه

---

(١) الجواهر : طنطاوى جوهرى جـ ٣ ص ٩٧ - ٩٨ - ٩٩

الشهادة من الجلود والجوارح فكيف لا تقبل ممن يحقن بالمصل ويشهد بالحق ؟!

ولا شك أن هذا قياس مع الفارق ، ثم لو سلمنا جدلا فما دخل الأمر بالاعتراف والقول بالحق والقسط ،بوسائل استخراج اعترافه قسرا ، فرق بين الأمرين يجعل ما أورده مرفوضا منكرا في هذا المقام ،فضلا عن الخلاف فى اعتراف المكره أوغير العاقل ،

أما نقد هذا التفسير نقدا مفصلا فليس فى طاقة بحثنا هذا فلنعطه حقه العرض والأمثله فحسب .

الرواسي فى الأرض :

وذلك من قوله تعالى " وجعلنا فى الأرض رواسى أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون "[1] .

فقد أورد فى تفسيرها أحدث النظريات العلمية فى الجبال والبراكين وأسباب هيجان البراكين ، وقد تحدث قبل ذلك عن الآية التى قبلها ، وذكر أن فيها معجزتين أن السموات والأرض كانتا رتقا وأن الله جعل من الماء كل شئ حى . ثم تحدث عن المعجزة الثالثة فى هذه الآية فقال :-

ثم أتى بمعجزة ثالثة فقال (وجعلنا فى الأرض رواسى) أى جبالا ثوابت كراهة (أن تميد) أى تميل (بهم) وتضطرب فانك سترى أن الأرض لها ستة أدوار تقدم ذكرها فى سورة هود وهذه الأدوار الستة مقسمة الى ٢٦ طبقة والدور الأول منها كان عبارة عن الزمن الذى كون فيه على الكرة الأرضية النارية قشرة صوانية

(١) سورة الانبياء : الآية ٣١

صلبة . قدر زمنها بنحو ثلاثمائة مليون سنة . ومعلوم أن الأرض كانت نارا ملتهبة فبردت قشرتها وصارت صوانية وهى الغلاف الحقيقى لتلك الكرة النارية ولا تزال الأرض تخرج لنا من أنفاسها المتضايقة ونارها المتقدة فى جوفها كل وقت نارا بالبراكين التى شرحناها سابقا فى هذا التفسير فى سورة (آل عمران) فهذه البراكين أشبه بأفواه تتنفس بها الأرض لتخرج بعض النار من باطنها ثم يخرب ذلك البركان وينفتح بركان آخر . وهذه البراكين تخرج نارا ومواد ذائبة تدلنا على أصل أرضنا وما كانت عليه قبل الدهر. فهذه القشرة الصلبة لولاها لتفجرت ينابيع النار من سائر اطرافها كما كانت بعدما انفصلت من الشمس كثيرة الثورات والفوران وهذه القشرة الصوانية البعيدة المغلفة للكرة النارية هى التى ثبتت منها هذه الجبال التى نراها فوق أرضنا كما يقوله علماء طبقات الأرض. فمن هنا ظهر أن هذه الجبال جعلت لحفظها من أن تميل لأن الطبقة الصوانية هى الحافظة لكرة النار التى تحتها والكرة الصوانية هذه نبتت لها أسنان طالت وامتدت حتى ارتفعت فوق الأرض فلو زالت هذه الجبال لبقى ما تحتها مفتوحا واذ ذاك تثور البراكين آلافا مؤلفة وتضطرب الأرض اضطرابا عظيما وتزلزل زلزالا - شديدا لأن البراكين وثورانها زلزلة فما بالك اذا كانت الجبال كلها لم تكن وخلت أماكنها ثم ان هذه الجبال قطعة من نفس القشرة غاية الأمر أنها ارتفعت فما هى اذن الا حافظة للكرة النارية التى لو تركت وشأنها لاضطربت فى أقرب من لمح البصر فأهلكت الحرث والنسل . هذه هى المعجزة الأخرى للقرآن لأن السابقين ومن عاصروهم كانوا يؤمنون به فقط فظهور ذلك اليوم من

المعجزات القرآنية . ولقد أجمع العلماء قديما وحديثا أن الجبال
على الأرض لا قيمة لها بالنسبة للكرة الأرضية فلو فرضنا أن هذه
الكرة الأرضية كرة قطرها ذراع لم تكن الجبال فوقها الا كنحو
نصف سبع شعيرة فوقها . ولو أن الأرض كرة قطرها متر واحد لم
تزد الجبال عليها ملليمترا واحدا ونصفه فقط فما هذا الجزء
الحقير بالنسبة لتلك الكرة حتى أنه يمنع ميلها وسقوطها فكأن
الناس يؤمنون بهذه الآية . وقد ظهرت هذه النبوة فعلا في
العلم الحديث ولم تظهر الآن على يد من كفروا بسيدنا محمد صلى
الله عليه وسلم والمسلمون لا يعلمون الآن من الفرنجة ،وأنا أكتب
عنهم ومن كتبهم فصدق الله وجاءت المعجزات تترى في هذا
التفسير . فالله هو الذى فصل الأرض من الشمس وكانتا ملتحمتين
والله هو الذى خلق الدواب فى البحر ، ثم ارتقت الى أن ارتفعت
فى الهواء وان كان هذا المعنى فيه نظر ان حملنا الآية عليه
والله هو الذى جعل الجبال حافظة للكرة الأرضية أن تهتز -
وتضطرب لأنها نار والجبال متصلة بالطبقة الصوانية المحيطة بالنار
فالله هو الحافظ لها . كل ذلك دال على وحدته . ولكن
الأهم من ذلك أن القرآن ورد به ولم يعرفه الناس بل لم يفسر
به القرآن على وجه علمى برهانى الآن فى هذا العصر ، وانما كان
يفسر قديما بمجرد الايمان ، فهذه هى المعجزة الثالثة . واعلم
أن الكرة الأرضية بعد أن تمت أدوارها الستة المذكورة فى سورة
(هود) وفى سورة (الأنعام) ومضى دور الطوفان العام ثم
الدور الحالى ونظمت الأحوال على ما هى عليه الآن ظهرت فيها
(الفجاج) وهى المسالك الواسعة وكما نظمها الله وأخرج زرعها

ونوع حيوانها حتى وصل النبات الآن على ما يقول (اسبنسر)
٣٢٠ ألف نبات والحيوان أيضا مليونى نوع وخلق الانسان وأبدع
كل شىء فيها هكذا نظم السماء وجعلها سقفا محفوظا فحفظ
الشموس . فى مداراتها بحيث لا تختلط ولا تختبط بل حفظها سالمة فى
أماكنها الخاصة بها بوقة الجاذبية بالاصطلاح العلمى . فالقمر
والشمس والكواكب الأخرى متجاذبات حافظات لمداراتها لا تخرج
عنها والا لاختل هذا العالم" [1] .

السموات السبع :

ورد لفظ السموات السبع فى القرآن الكريم عدة مرات فى عدة
سور . أما الجوهرى فله فهم آخر فى تحديد السموات بسبع
أورده عند تفسيره لقوله تعالى " ثم استوى الى السماء فسواهن
سبع سموات " [2] ذهب الى أن السموات ليست سبعا وهو تفسير
عجيب من تفسيره لا يستغرب فقد أنكر أن يكون للعدد هنا
مفهوم . فالسموات ليست سبعا وورود سبع سموات لا يمنع أن
يكون العدد أكثر من سبع ، ثم أشار بهذا التفسير قائلا بهذا
فليرتق المسلمون وليتعلموا . وهذا نص تفسيره :

واعلم أن العدد ليس له مفهوم ،وبه قال أكابر المفسرين
والحكماء ، فاذا قال الله سبع سموات ،فليس ذلك بمانع أن يكون
العدد أكثر ، واذا عرفت أن هذا الجرم اللطيف العجيب الممتد
الى أمد ينقطع الفكر دونه ،ومجال لا يصل اليه الوهم فيه من
العجائب والبدائع والكواكب والمخلوقات ما لا يحصى ، فسواء أكان

---

(١) الجواهر : طنطاوى جوهرى جـ ١٠ ص ١٩٨-١٩٩
(٢) سورة البقرة : من الآية ٢٩

سبعا أم ألفا ، فذلك كله من فعل الله دال على جماله وكماله وهو تجلياته وأنواره المشرقة المتلألئة الفائضة من مقام القدس الأعلى متنزلة فى العوالم ، وكل كوكب من الكواكب الجارية له مدار خاص به ، وكل شمس من الشموس التى ذكرناها لها مدار خاص وسياراتها كذلك ، والله هو الفاعل المختار مفيض الخيرات والجمال والحسن والاشراق . قال الامام الغزالى : فى كتاب (تهافت الفلاسفة) .

(اذا ثبت حدوث العالم ،فسواء أكان كرة أو مثمنا أو مسدسا وسواء أكانت السموات وما تحتها ثلاث عشرة طبقة كما قالو أو أقل أو أكثر ، فنسبة النظر فيه الى البحث الآلهى كنسبة النظر الى طبقات البصلة وعددها وعدد حب الرمان ، فالمقصود كونها من فعل الله فقط كيفما كانت) .

أقول : اياك أن يصدّك أيها الفطن لفظ سبع عن البحث والتنقيب ، فالعدد ليس بقيد وانظر الى هذا الجمال ، ولا تكن من الخائفين الجبناء الذين يظنون أن هذا ينافى القرآن ، أو تكون من المساكين الذين يلحدون ويكفرون لسماع مثل هذا اللفظ ، وذلك لسخافة عقولهم ، وقلة علمهم ، وهذان الفريقان من الذين قال الله فيهم (يضل به كثيرا) فقال صاحبى اذن أنت تؤيد المذهب الحديث ، فقلت له حاشا لله أن أؤيد حديثا أو قديما ، وانما القرآن طبقناه على المذهب القديم ، ثم ظهر بطلان ذلك المذهب وجاء الحديث ، فوجدناه أقرب اليه ، والاّ فهو أعلى منهما وأعظم ، وما يدرينا أن يكون هناك مذاهب ستحدث فى المستقبل ،فهل القرآن كرة طرحت بصوالجة ، يتلقفها رجل رجل كلا انما هذا التطبيق الذى ذكرته ليطمئن قلب المسلم ، وليعلم أن عمل الله

وصنعه لا ينافى كلامه ،فالتطبيق للاطمئنان .

فقال : ولم كان المذهب الحديث أقرب الى القرآن ؟ قلت

أولا : جاء فى القرآن " ويخلق ما لا تعلمون " والمذهب الحديث
أرانا سعة مخلوقاته وأنها لا تدرك .

ثانيا : كان القدماء يقولون : الكواكب والأفلاك لا تفنى ، والرأى
الحديث يقول : أن الكواكب تتجدد وتفنى كالانسان والحيوان .
وقالوا انهم رصدوا كواكب لا تزال فى طور التكون ،وذكروا
منها نحو ستين ألفا وأن كواكب قد فنيت يقول الله (يوم تبدل
الأرض غير الأرض والسموات " ومنها ذلك الكواكب الذى بين
المشترى والمريخ ، وصار كواكب صغيرة جدا ، فهذا أقرب
الى القرآن لقوله تعالى " كل من عليها فان ويبقى وجه ربك
ذو الجلال والاكرام) .

فقال صاحبى : ما ملخص ما مضى ؟ فقلت

أولا : أن السماء يراها الناس واحدة .

ثانيا : أن الدين جعلها سبعة ، والفلاسفة جعلوها تسعة :

ثالثا : المسلمون القدماء جعلوا سبعة منها سموات ، والكرسى والعرش:
هما الفلكان الباقيان اتباعا للفلسفة القديمة ،وانجيل برنابا
تبعها ، فقال تسع سموات ، والمذهب القديم أبطل فبطل
تبعا له ما جاء فى انجيل برنابا وما جاء عن العلماء
الذين صدقوه من المسلمين .

رابعا : أن المذهب الحديث أبان أن عظمة الله فوق ما ذكره القدماء ،
وأصبح ما كان عند القدماء بالنسبة للعلم الحديث أشبه بذرة
بالنسبة للأرض والجبال والبحار ، بل أقل كثيرا جدا .

خامسا : العالم لا فراغ فيه ، فالسموات موجودة فعلا ببراهين القدماء والمحدثين .

سادسا : وهى سبع سموات وذلك حق لأنها طباق بعضها فوق بعض .

سابعا : المذهب الحديث يثبت فناء العالم ، وفناء الكواكب ، وهو موافق للقرآن فهو معجزة له .

ثامنا : أن ما قلناه ليس القصد منه أن يخضع القرآن للمباحث ، فانه ربما يبطل المذهب الحديث كما بطل القديم ، فالقرآن فوق الجميع ، وانما التطبيق ليأنس المؤمنون بالعلم ولا ينفروا منه لمخالفته لألفاظ القرآن فى نظرهم .

فقال صاحبى قد أفدت افادة تامة ، ولم يبق عندى الا سؤال واحد ، وهو لم عبر الله بسبع سموات ولم يعبر بسماء واحدة مع أن الناس لم يروا غيرها ؟

قلت : اعلم أن الله لو ذكر سماء واحدة لوقفت عقول المسلمين عليها ، ولم يبحثوا عن غيرها ، ولكنهم لما سمعوها أخذوا يقرءون فلسفة اليونان ، ثم قرأنا الفلسفة الحديثة ، فعرفنا نعمة الله وحكمته ، والتعبير بالسبع امتحان وابتلاء من الله لأنها تحير عقول الباحثين ، فمن كان مريض النفس ، صغير العقل ، ضئيل الفكر جبن وجزع وخاف . وقال : انى أخاف الله رب العالمين ، فلا يبحث فى العوالم ، ويظن أن الله يغضب على من بحث من المؤمنين فى جمال جلاله ، ومن قويت عزيمته ، وعلت همته ، وارتقت نفسه ، فانه يبحث ويعرف فعل الله عز وجل ، ويقول فى نفسه : ان هذا فعل الله ، وأنا أقرأ كلامه ، وكلاهما دال عليه وقوله لا يناقض فعله الا عند الجاهلين .

أما أنا فانى أبحث صنعته ، وبعد ذلك أطبقها على كلامه بهذا فليرتق المسلمون وليتعلموا ، فكم من ذكى مسلم قرأ العلوم الحديثة وكفر بالدين ظانا أنه نال من العلم ما جهله الأنبياء ، وكم من غبى مسلم اطلع على هذه المباحث فنفر منها لاعتقاده أنها تنافى الدين (والحق أقول) ان قليلا من الأذكياء المسلمين من يصدقون بالدين مع العلوم ، وأكثر المصدقين بالدين من الجهلاء وعلماء الدين . أما أكثر المتعلمين العصريين ، فانهم يقولون : الدين شئ والعلوم شئ . "[1] .

هذا ما قاله الجوهرى والذى يظهر لى أن الذى دعاه الى انكار مدلول العدد " سبع " أنه أخطأ فى التفريق بين السموات والأفلاك - وغريب منه هذا - وظن أن لا فرق بينهما ووجد أن القرآن ينص على لفظ سبع عدة مرات فى آيات متعددة من سور متفرقة ورأى مرة أخرى أن علماء الهيئة الجديده يذكرون من الأفلاك ما هو أكثر من ذلك . فوجد نفسه مضطرا لالغاء مفهوم العدد فى القرآن ؟!

ولو تأمل فى آيات القرآن الكريم التى بينت عدد السموات لوجدها تذكر ذلك بأساليب مختلفة " ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات "[2] " تسبح له السموات السبع "[3] " ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق "[4] " قل من رب السموات السبع "[5] " فقضاهن سبع سموات "[6] " الله الذى خلق سبع سموات "[7] " الذى خلق سبع سموات طباقا "[8] " وبنينا فوقكم سبعا شدادا "[9] " ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا "[10] .

---

(١) الجواهر: طنطاوى الجوهرى جـ١ ص ٥٠-٥١

(٢) سورة البقرة من الآية ٢٩ (٣) سورة الاسراء من الآية ٤٤

(٤) سورة المؤمنين من الآية ١٧ (٥) سورة المؤمنون من الآية ٨٦

(٦) سورة فصلت من الآية ١٢ (٧) سورة الطلاق من الآية ١٢

(٨) سورة الملك من الآية ٣ (٩) سورة النبأ سورة ١٢

(١٠) سورة نوح من الآية ١٥

ان اتفاق ونص هذه الآيات القرآنية كلها على سبع لا يصح أبدا أن يقال فيه لا مدلول له . وعلى هذا فلا يصح أن يترك أو يؤل نص القرآن هذا التأويل الباطل لأن العلم الحديث عجز عن ادراك هذه السموات فما زال علم الفلك يحبو فى الدرجات الدنيا فالحذر الحذر من صرف معانى القرآن الكريم عن معانيها لأجل نظريات ما زالت قاصرة أو من أجل فهم خاطئ لمدلول آية ومدلول نظريه .

ثم ان الحديث هنا حديث عن أمر غيبى لا ندعه لمثل هذه المفاهيم القاصره ، والنظريات البدائية .

وما تحت الثرى :

فى تفسير قوله تعالى " له ما فى السموات وما فى الأرض ، وما بينهما وما تحت الثرى "[1] ذكر طنطاوى أن قوله تعالى وما تحت الثرى تحريض للمسلمين على دراسة علوم المصريين التى تظهر الآن تحت الثرى ، وأن الأمم الأوروبية اليوم تقرأ علما يسمى (علم الآثار المصرية) وقال غير هذا واليك نص تفسيره : -

" لما ذكر العرش والاستواء عليه أخذ يشرح العوالم التى استولى عليها فبدأ بأهمها وهى السموات بخلاف انزال القرآن فانه من عالم أعلى الى عالم أدنى كما تقدم ثم ثنى بالأرض لأنها أدنى منزلة ، فمقام تعداد الممالك غير بيان المكان الذى أنزل القرآن لأهله وقوله " وما بينهما " دخل فى ذلك عوالم السحاب والكهرباء وجميع العلم المسمى (الآثار العلويه) وهو من علوم الطبيعة

---

(١) سورة طه : الآية : ٦

قديما وحديثا وقوله " وما تحت الثرى " يشير لعلمين لم يعرفا الآ في زماننا وهما علم طبقات الأرض المتقدم مرارا فى هذا التفسير وعلم الآثار المتقدم بعضه فى سورة يونس والآتى بعضه فى سورة سبأ وأن قوله هناك " يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها " يشيرالى ما ظهر فى بلاد اليمن (!!) التى تشتمل على (سبأ) فقد ظهرت هناك نقوش ومدائن لم تكن معروفة من قبل ، وظهر (سد العرم) وسيأتى رسمه ،كل ذلك والمسلمون لا علم لهم بذلك مع أنه فى بلادهم وعلى مقربة منهم . فالله هنا يقول (وما تحت الثرى) ، ليحرص المسلمين على دراسة علوم المصريين التى تظهر الآن تحت الثرى المذكورين فى هذه السورة ، وأن سحرتهم شهدوا بصدق النبوة الموسومه لأنهم وجدوا علما فوق علمهم وهو علم النبوة فجدير بعلوم هؤلاء أن تدرس وتعلم لهذا كله قال (وما تحت الثرى) (!!) .

واعلم أن الأمم الأوروبية اليوم يقرؤون علما يسمى (علم الآثار المصرية) فهو فن خاص وقد انتشرت الآثار هناك فى زماننا ويسمى (بعلم الاجيتلوجى) "[1] .

ان هذا التفسير مثل ما سبقه من تفاسير لا يحتاج الأمر فيه الى تتبعه بالنقد فكل من أوتى حظا من الفهم يدرك فيه بعد هذه المعانى عن آيات القرآن الكريم كتفسير لها ، .

تفسير الفاتحة :

وأحيانا كثيرة يدخل الشيخ طنطاوى الجوهرى فى تفسير السورة من العلوم ما لا يعقل ويحملها ما لا تحتمل لا أحسبه

---

(١) الجواهر : طنطاوى جوهرى جـ ٩ ص ٦٦

يورده كتفسير أو يقصده كذلك وانما استطرادا فى الحديث واستشهادا
وهو ولا شك عندى أنه أمر غير محمود لكنه أقل خطرا من ايراده
كتفسير للآية .

ومن السور التى أدخل فيها الشيخ طنطارى جوهرى هذه
العلوم أول سور القرآن الكريم أعنى سورة الفاتحة واليك بعض- أكرر
بعض - ما أدخل فيها ، قال : -

" نزلت هذه السورة لتعليم العباد : كيف يتبركون باسم الله
عز وجل فى سائر أحوالهم ،وكيف يحمدونه ويستعينون به ؟ فيبتدىء
القارىء قائلا : أقرأ متبركا باسم الله الرحمن المنعم بجلائل النعم:
كالسموات والأرض والصحة والعقل ،الرحيم المنعم بدقائقها ، كسواد
العين ، وتلاصق شعرات أهدابها المانعات من دخول الغبار
المؤذى لها ، مع أن النور يلمع من خلالها ، وينقل صور المرئيات
الى حدقتها . فشبكيتها ،فالدماغ ، فهذه الدقة فى الصنع والحكمة
فى الوضع التى أباحت لضوء الشمس والكواكب مثلا أن يلج ومنعت
الغبار أن يدخل يعبر عنها بلفظ ، الرحيم تتميما للنعمة ،وتكميلا
للهناء والسعادة .

ولما كان أكثر الناس لا يلحظون العجائب الكامنة فيهم ،ولا
يعرف نفسه الا قليل منهم ، وهم أكابر الحكماء والأولياء ،وجب أن
أبين فى هذا المقام بعض رحمة الله عز وجل فى العالم المشاهد :
فمنها ما أشار اليه (العلامة الأستاذ ميلن ادوارد : أن حيوانا
يسمى اكسلوكوب) يعيش منفردا فى فصل الربيع ، ومتى باض مات
حالا ، فمن رحمة الله وجميل صنعه ،ورأفته بالخلق أن ألهم هذا
الحيوان ان يبنى بيتا قبل أن يبيض على منوال ما كانت تفعله عاد

من اتخاذ البيوت بالحفر ،ولكن هذا فى خشب ،وأولئك فى صخر، فيعمد ذلك الحيوان الى قطعة من الخشب ، فيحفر فيها حفرة مستطيلة ، ثم يجلب طلع الأزهار وبعض الأوراق السكرية ويحشو بها ذلك السرداب ،ثم يبيض على ذلك بيضة ، ثم يأتى بنشارة الخشب ويجعلها عجينة ، ويجعل منها سقفا لذلك السرداب ، والحكمة فى ذلك: أن هذه البيضة متى فقست وخرجت الدودة كفاها ذلك الطعام سنة ، وهى المدة التى لا تستطيع تلك الدودة أن تحصل فيها قوتها ، ومتى أتم الحيوان ذلك صنع سردابا آخر فوقه على هذا المنوال ، وهكذا يضع جملة أدوار ، فانظر كيف شملت الرحمة ما خلق وما لم يخلق ، فان ذلك الطعام المخزون فى السرداب رحمة ألهمها ذلك الحيوان من الحشرات لولده الذى سيخلق .

(ومن هذه العجائب) ما شاهده العلماء الباحثون فى أمر النحل والنمل والعنكبوت (فأما النحل) فتعجب كيف جعل الرحمن الرحيم له سبلا مذللة ، فانه متى فتح زهرة أول النهار ليمتص رحيقها المختوم ويرجع به الى الخلية فيضعه فيها ، يلهم أن لا يفتح زهرة فى ذلك اليوم ، الا ما كان من جنس تلك الزهرة لرحمة النحل ورحمة الناس ، أما رحمة النحل ، فانه لا يعوزه أن يحتال فى فتح زهرات أخرى من نوع آخر ،فيطول عناؤه ، وأما رحمة الناس : فان ما يعلق برجلى النحلة من حبوب طلع الذكور من النبات ، اذا وصل الى زهرة أنثى علق بها من ذلك الطلع بعضه فأثمر ذلك النبات لحصول الالقاح بهذه الرحمة العجيبة .

(وأما النمل) فمن عجائب الرحمة الخاصة به : أن الله خلق له حشرة تسمى (افس) باللسان الافرنجى ، يحاربها النمل

ويغلبها ، ومتى غلبها أخذ يستولدها ويربيها ويسيمها فى ورق الورد ومتى أكلت وشبعت أقبل النمل عليها وامتص منها مادة حلوة. فكأنه بقرله يشرب لبنه .

(وأما العنكبوت) فانها ألهمت النسج البديع بهندسة فاقت هندسة الانسان ، وعلل ذلك العلماء بقولهم : ان هندستهالهية وهندسة الانسان بتعليم البشر ، فلذلك يغلط الانسان ، ولا يغلط العنكبوت فى الهندسة . ولما كان بيت العنكبوت أضعف بيت ألهمها الله أن تبحث عن صمغ وغراء من أماكنها وأشجارها وتلطخ بها خيوطها التى نسجتها فتكسبها لزوجة ، فلذلك لا تمزقها الرياح اذا فاجأتها ، ولا الأعاصير اذا ساورتها ، واذا مر بها الذباب التقطته بمادتها اللزجة .

فانظر الى آثار رحمة الله : كيف كانت المادة الصمغية صائنة بيت العنكبوت الضعيف من التمزيق اذا هبت الزعازع ، واهتاجت الأعاصير مع أنها قد تقتلع الأشجار وتخرب المساكن ، ثم تكون شبكة صائد وحيلة محتال ، هذه هى الرحمة والحكمة .[(١)]

وهكذا ألهم الله الأنبياء وأوحى اليهم أن يعلموا العباد كيف يتبركون باسم الله فى أول أعمالهم ، كالقراءة والأكل ذاكرين ربهم ورحمته الواسعة التى عمت سائر العوالم ، فيمتلىء قلب العبد ايقانا بالرحمة ، واستبشارا بالنعمة ، وفرحا برحمة الرحمن الرحيم"[(٢)] .

ولسنا نحن الذى نشعر بتحميله لهذه السوره وغيرها ما لا

---

(١) سترى عجائب وصورا شتى فى سورة النحل والنمل والعنكبوت (الجوهرى)

(٢) الجواهر : طنطاوى جوهرى جـ ١ ص ٣ - ٥

تحتمل من المعانى بل هو نفسه يدرك ذلك فيوجه لنفسه سؤالا عن ذلك قائلا " لعلك تقول ما لى أراك تحمل الفاتحة ما لا تحتمل وتدخل فيها من العلوم ما لا يعقل " ويجيب على هذا السؤال بما خلاصته أنه لا يلزم أن يلحظ كل قارئ للقرآن تلك المعانى فيه وضرب لذلك مثلا : كفلاح ركب دابته ومعه ولده الصغير واتجه الى حقله فرأى مهندسا للرى وعالما للطبيعة وحكيما ، وذكر أن كل واحد من هؤلاء تختلف نظرته الى الحقل علوا وانخفاضا ، وأن الأمر فى القرآن الكريم كذلك تختلف نظرات قرائه اليه ومداركهم فيه.[1]

ولا شك أن هذا جواب غير مقنع ذلكم أن القرآن الكريم أنزل لهداية الناس لا ليكون موسوعة علمية يحشر فيها كل ما هب ودبّ من النظريات والعلوم ويكفيه هنا وفى غيره من المواضع أن يشير اليها اشارة من غير استيعاب لها ، ويصرف اهتمامه الى مفهومها اللغوى ومدلولاتها الشرعية وحسبه وحسبنا هذا .

الحياة :

والحياة حياة النبات وحياة الحيوان تناولها الفلاسفة والعلماء فى القديم والحديث بحثوا ونقبوا عن سرها وعن أصلها وما زالت العلوم تتجدد وما زال السؤال قائما ما سر الحياة وما زالوا يعدونها لغزا .

وقد تعرض طنطاوى جوهرى لهذه الحياة ومادتها الأولى وذلك عند تفسيره لقوله تعالى " ومن آياته انك ترى الأرض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت "[2] وقوله " اليه يرد علم الساعة

---

(١) المرجع السابق : جـ١ ص ١٦ - ١٧
(٢) سورة فصلت : من الآية ٢٩

وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه " (١) حيث عقد فصولا طويله بعناوين عديده فمنها : -

كيف بدأت الحياة :

بدأت الحياة بمادة هلامية فى قعر البحر كشفها العلماء وسموها (بروتوبلاسما) وهى مادة رخوة لزجة تصيب كل الأشكال بسهولة ، ومتى تكاثفت كانت منها (حويصلات) جمع حويصلة ويقال لها (القلالى) فالحوصلة الواحدة تنقسم الى قسمين وكل قسم الى قسمين وتصبح هذه الحويصلات الجديدة متمتعة بحياة ونمو كالحوصلة الأولى ، والأسهل أن نسميها بيضا جمع بيضة كبيضة الدجاجة تسهيلا للفهم ، فكل نبات وكل حيوان وكل انسان فى الأصل بيضة واحدة تنقسم الى قسمين كل منهما يصير بيضة وهكذا هاتان تنقسمان ويطرد الانقسام ويصبح كل قسم بيضة كاملة تامة الحياة تتغذى بغذاء خاص ، فكل نبات تراه وكل انسان وأنا وأنت أجسامنا عبارة عن بيضة انفلقت فصارت بيضتين كل منهما كالأولى وهكذا ، وفى أثناء الانقسام صار لنا العين والأذن والقلب والشعر وصار للنبات الزهر والورق والثمرات وصار للحيوان الناب والظلف والظفر والقرن والأرجل وهكذا . هذه صورة الحياة على وجه الأرض .

صورة ارتقاء الحياة على الأرض :

ان الحياة على وجه الأرض سلسلة غير منقطعة كما قال الله تعالى - ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت - فالنبات عبارة عن البروتوبلاسما وقد تكونت فصارت بيضة فاجتمعت البيضات فكان النبات

---

(١) سورة فصلت : من الآية ٤٧

والنبات يولد ويحيا ويموت ويتغذى ويتناسل وهو محتاج الى النور والحرارة والماء وتقتله المواد السامة ويتنفس وفى بعض أنواعه احساس ثم أن النبات من أعلاه متصل بالحيوان فان نوع الذوفيت يربط الحيوان بالنبات فهو على شكل النبات لتثبته بالأرض ولكنه حيوان ، ويليه الاخطبوط الهلامى وهو لا يمتاز عن النبات الا بامكان التنقل وله معدة وبعض ظواهر الأعصاب وليس له نظر ولا شم ولا سمع. وبعد ذلك الديدان وهو أقوى وأقدر وأكمل أعضاء من الاخطبوط . ثم الحلزون والبزاق وذوات الأصداف التى ليس لها فقرات . ثم الحيوانات القشرية التى لها قشر كسرطان البحر . ثم عقرب البرّ وله سمع وبصر وله أعصاب عقدية . وبتلك الأعصاب تكون حركة الغذاء ودورة الدم . ثم ذوات الفقرات كالسمك وله دماغ ونخاع شوكى . ثم الدبابات الأرضية . ثم الطيور وأنثاها تبيض . ثم ذوات الثديين ومنها ذوات الكيس وهى تحمل فيها صغارها وهى توجد الآن فى استراليا . وهكذا ترتقى الحيوانات حتى تصل الى قرد ثم الانسان .

فهذه هى السلسلة التى نظمها الله عزّ وجل من أدنى الى أعلى . فبينما تكون الحياة مادة رخوة فى البحر اذا هى قد ارتقت فى النبات من أدناه مرتقية الى أعلاه . وفى الحيوان الأدنى مما يلى النبات وترتقى فيه الى أعلاه حتى تصل الى الانسان . ومعنى هذا أن هذه العوالم أشبه بعقد منظم موضوعة خرزاته بنظام مهندم وليس معنى هذا أن كل خرزة ولدت الخرزة التى بعدها بل معناه ان الذى نظم هذا أحسن صنعه ولم يدع فى العقد موضعا خاليا فأما كون هذه الخرزة قد انتجت ما بعدها فليس ذلك معلوما بل

قال به قوم ولم يقم الدليل عليه الآن ،وهذا لا يهم الباحث انما المهم النظام والجمال .

خلق الانسان :

وهنا وصلنا الى مقصودنا من تفسير الآيات ،فها أنت ذا اطلعت على نظام النبات اجمالا وكذا الحيوان وانظر قوله تعالى - وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه - ألست ترى أن الأكمام التى على الشجر والحمل الذى فى رحم المرأة عبارة عن تلك المادة الهلامية مضاعفة أضعافا مجتمعة ، فتأمل كيف كان اجتماع تلك البيضات التى لا عدد لها منتهيا بفوائد متحدة أى كيف كانت نتائج الأشكال النباتية ملائمة لنتائج الأشكال الحيوانية وأنها مناسبة لها غذاء ودواء . ثم كيف كان هذا الانسان اذ كان أرقاها يودّ أن يستولى عليها عقليا وعمليا ، فهو مغرم بمعرفة كل نباب وحيوان ويحوز كل منهما . اذن أنظر فى تركيبه فى بطن أمه . أنظر كيف كان خلقه تدريجيا لا طفرة . يقول الله تعالى - اقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الانسان من علق - وانظر كيف رأى العلماء انه يكون دودة صغيرة وهى العلقة المذكورة ثم حلزونة ثم سمكة ثم ذبابة ثم قردا ثم يتوارى ذنبه ويصير انسانا . الدودة والحلزونة والسمكة والذبابة والقرد هى التى أشار لها الله تعالى فقال : - ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة - أى مسوّاه وغير مسوّاه ، فما قبل الانسانية هى غير المسوّاة ، والانسانية هى المسوّاة ، واعلم أن هذه الصورة التى رآها العلماء ليست يقينية بل هى تخمينية (انظر هذا المقام فى سورة آل عمران) .

وانما المهم فى هذا المقام أن نفكر فى أمر حياتنا فانها فى أول -

أمرها بيضة تصلح للنبات والحيوان ثم ترتقى فتصير حيوانا ثم تصير انسانا .

هذا درس ألقاه الله الينا . يقول لنا : أنا لم أخلقكم لأهينكم بل أنا أرقيكم . ففى أمد قصير ارتقيتم فى بطون أمهاتكم درجات كثيرة وهى النباتية والحيوانية . فاذا عشتم على وجه الأرض رأيتم الحيوان خاضعا لكم . ثم أنزلت عليكم علوما وقلت لكم ان لى ملائكة ولى عرش وعالم أرواح وبعث الى آخره . فاذا متم فاعلموا أن العوالم التى تصلون اليها عظيمة جدا لا تقاس بعالمكم . فالىّ يردّ علم الساعة لا غيرى لأنها عوالم لا تعقلونها لأنكم لم تروها ولا تدركون زمانها اذ جعلته مجهولا عندكم لحكمة أردتها ونعمة قصدتها . ألا وأن خروجكم من أجسامكم الأرضية كخروج الثمر من أكمامه والولد من بطن أمه . فكلاهما نتيجة لما خرج منه وقد انتهى الى عوالم لم تخطر بباله فهل كان التفاح يشعر أنه يكون على موائد الملوك أو كان الجنين فى بطن أمه يدور بخلده أنه يوما ما يكون ذا ملك عظيم ويذهب ويجيء فى الأرض ويركب الخيل ويدبر الأمور . هكذا حياتكم بعد موتكم تكون فى عالم نسبته الى أرضكم كنسبة الدنيا الى بطن الأم .

هذا اذا كانت النفوس عظيمة . فأما النفوس الضعيفة فانها تكون هناك عمياء أشبه بالطفل الأعمى الأصم فى الأرض فتكون السعة هناك على مقدار درجات الأرواح العائشات هناك . والحمد لله رب العالمين ." (١)

وهل تفسيره هذا لسر الحياة وتسلسل خلق الانسان بحاجة الى تعليق ،لا أظن الحقيقة التى تجسدت فيما تناولناه من تفاسيره

---

(١) الجوهر: طنطاوى جوهرى جـ ١٩ ص ٩٨-١٠١

وأثبتت رفض هذه التفاسير كتفسير للقرآن أو مجرد ذكرها بهذه الافاضة عند الحديث عن آيات القرآن . لا أظنها بحاجة الى مزيد بيان ، اذا فالحق فى الموقف من هذه التفاسير ونحوها أحسبه بين واضح .

تصريف الرياح :

أما تصريف الرياح فى قوله تعالى " واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون "(١)

فقد زاده شرحا فى هذا الموضع اضافة الى ما أدخله من علوم فى الآيات السابقة التى تعرضت لذكر الرياح فقال فى تفسير هذه الآية : -

" قد مر الكلام على الرياح فى تفسير سورة الحجر ، وهو مفصل أيضا فى سورة الأعراف ، فترى هناك كيف كانت الرياح تمر بين استراليا والهند والصين ، ولا بد من ايضاح المقام هنا ليعجب المسلمون من عجائب تدبير الله تعالى .

أنظر أيها الذكى الى الشمس فى سيرها كما تراه فى الجدول(٢) ، وكيف انتقلت فى البروج ، وانظر آثارها ، آثارها هى الحرارة بالقرب ، والبرودة بالبعد ، فيا سبحان الله : حرارة بقربها وبرودة ببعدها يكون بهما نظام أرضنا . وكيف يتم النظام الآن اذا كان ذلك بحساب ها أنت ذا رأيت الحساب ، فانظر الآن الى الأرض عند خط الاستواء ، ألم تر أن الشمس هناك شديدة الحرارة ، انها تلح دائما

---

(١) سورة الجاثيه : الآية ٥

(٢) انظر الى الجدول فى الصفحه التاليه .

جدول في الفصول

وبيان الزيادة والنقص في الليل والنهار من الدرجات كل يوم مع بيان البروج وتدخلها في الشهور القبطية وتدخل الشهور القبطية في الشهور السريانية المتصلة الموافقة لشهور الرومية ، وذكر المنازل وطلوعها بالفجر محسوبة بالشهور القبطية ، واعلم أن هذا الجدول يفهم القارىء على وجه التقريب عدد ساعات النهار والليل ودقائقهما في كل فصول السنة ، فهو نتيجة اجمالية دهرية ، واعلم أن كل مقدار نقصه النهار زاده ليله وبالعكس

الفصول الأربعة	النقص والزيادة في الليل والنهار	البروج	اليوم الذي يدخل فيه البرج من الشهر	الشهور القبطية الشمسية المتناظرة	شهور السريان الشمسية الاسكندرية	عدد الأيام	شهور الروم الشمسية الأفرنجية	عدد الأيام	المنازل	طلوعها بالفجر
الخريف	ينقص النهار نصف درجة	الميزان	١٤ من	توت يدخل في	٢٦ آب	٣١	أغسطس	٣١	الشرطان	٢٣ برموده
	ثلث درجة	العقرب	١٠ من	بابه يدخل في	٢٨ أيلول	٣٠	سبتمبر	٣٠	البطين	٦ بشنس
	سدس درجة	القوس	١٤ من	هاتور يدخل في	٢٨ تشرين الأول	٣١	اكتوبر	٣١	الثريا	١٩ بشنس
الشتاء	يزيد النهار سدس درجة	الجدي	١٤ من	كيهك يدخل في	٢٧ تشرين الثاني	٣٠	نوفمبر	٣٠	الدبران	٢ بؤنه
	ثلث درجة	الدلو	١٣ من	طوبه يدخل في	٢٧ كانون الأول	٣١	ديسمبر	٣١	الهقعه	١٠ «
	نصف درجة	الحوت	١٣ من	أمشير يدخل في	٢٦ كانون الثاني	٣١	يناير	٣١	الهنعه	٢٨ «
الربيع	يزيد النهار نصف درجة	الحمل	١٣ من	برمهات يدخل في	٢٥ شباط	٢٨	فبراير	٢٨	الذراع	١١ أبيب
	ثلث درجة	الثور	١٤ من	برموده يدخل في	٢٧ آذار	٣١	مارس	٣١	النثره	٢٤ «
	سدس درجة	الجوزاء	١٤ من	بشنس يدخل في	٢٦ نيسان	٣٠	ابريل	٣٠	الطرفه	٧ مسرى
الصيف	ينقص النهار سدس درجة	السرطان	١٦ من	بؤنه يدخل في	٢٦ أيار	٣١	مايو	٣١	الجبهة	٢٠ مسرى
	ثلث درجة	الأسد	١٧ من	أبيب يدخل في	٢٥ حزيران	٣٠	يونيو	٣٠	الخرتان	٤ نسيء
	نصف درجة	السنبلة	١٩ من	مسرى يدخل في	٢٥ تموز	٣١	يوليو	٣١	الصرفه	١٢ توت
									العواء	٢٥ توت
									السماك	٨ بابه
									الغفر	٢١ بابه
									الزبانان	٤ هاتور
									الاكليل	١٧ «
									القلب	٣٠ «
									الشوله	١٣ كيهك
									النعايم	٢٦ «
									البلدة	٩ طوبه
									سعد الذابح	٢٢ «
									سعد بلع	١٠ أمشير
									سعد السعود	١٨ «
									سعد الأخبية	أول برمهات
									الفرغ المقدم	١٤ «
									الفرغ المؤخر	٢٧ «
									بطن الحوت	١٠ برموده

على تلك المنطقة ، فماذا يحصل ؟ يحصل أن الهواء يسخن جداً ومتى سخن علا فى الجو وهذا العلو لا بد أن يصل الى غاية منتهاه لشدة الحرارة هناك بحيث لا يكون للهواء فى الأرض علو فوق علوه ، ومتى وصل الى نهاية العلو قابل الطبقة الباردة) ثم تحدث عن نشوء الرياح وحركاتها وأسماءها وصفاتها الى أن قال :-

ألا تعجب مما ترى ! هواء جهة خط الاستواء ارتفع بالحرارة فوصل الى الطبقة الباردة فحل محله من أسفله هواءان من الجنوب والشمال فسار هو الى الجهتين حتى وصل الى قرب مدار السرطان والجدى فثقل فهوى الى الأرض لأنه وجد الجوّ أبرد فقابلته الحرارة فارتفع واتجه الى خط الاستواء بعضه والى الدائرتين القطبيتين البعض الآخر ، ولما وصل الى الدائرتين القطبيتين عمل معه مثل ما حصل له فى خط الاستواء ارتفع الى أعلى وحلّ محله البارد الآتى من القطبين ، وهكذا تجد قارة آسيا اذا كان الحر فى الصيف اتاها النسيم من البحر على شواطئها الجنوبية فكثرت الأمطار. واذا كان الشتاء برد جوّها فحلّ محله النسيم البحرى الذى هو أقل كثافة فهب النسيم من نفس القارة الى البحار ، وهكذا نسيم البر والبحر فى كل مكان بالليل والنهار على هذه القاعدة يذهب نسيم البحر الى البر نهارا ونسيم البر الى البحر ليلا ، وكل هذه الرياح على قاعدة واحدة حرارة وبرودة "[1] .

بعض آراء العلماء فى هذا التفسير :

قلنا أن المؤلف نفسه يستشعر أحيانا كثيرة توسعه فى تفسير الآية فيطرح على نفسه سؤالا عن هذا الأمر ثم يجيب عليه وأحيانا

---

(١) الجواهر : طنطاوى جوهرى جـ ٢١ ص ٥٦-٥٩

يطرح هذا الاعتراض صديقه الذى يدارسه التفسير ، وأحيانا يكون من أحد العلماء أو غيرهم الذين يحضرون مجلسا من مجالسه وكثيرا ما يورد هذه الاعتراضات فى تفسيره ويرد عليها .

وحساسيته المفرطة من نقد تفسيره أو اتجاهه العلمى تظهر كثيرا بين ثنايا تفسيره وتتحلى بصور متعددة ، فهو حينا ينقد العلماء السابقين الذى فرطوا بهذا العلم ، وأحيانا يذم علماء المسلمين الذين أولوا ١٥٠ آية هى آيات الفقه - بحسابه - عناية كبيرة ولا يولون الآيات الكونيه وهى - ٧٥٠ - آية - بحسابه مثل هذه العنايه وأحيانا تظهر حساسيته هذه - بدعوته الملحه لسلوك هذا المنهج العلمى فى التفسير وأنه بهذا يرتقى المسلمون وأنه بهذا يكون نصرهم وفلاحهم . وأحيانا يذكر بعض ما يراه فى منامه بل وخياله وما يسميه الهاما ، من ثناء على تفسيره وطريقته فيه ويؤرقه كثيرا ان يذم تفسيره أو يمنع .

وقد سطر فى تفسيره الرسالة التى بعثها الى عبدالعزيز بن سعود ملك نجد والحجاز حينذاك حين منع تفسيره فى البلاد السعوديه ، ومن هذه الرسالة يدرك قارئها مدى تأثره النفسى لهذا القرار والتماسه السماح بتداول تفسيره ، وخاطب فى رسالته هذه المراقبين الذى منعوا كتابه مستنكرا بأى كتاب أم بأية سنه يدخل تفسيرى للقرآن جميع أقطار الاسلام شرقا وغربا وأكثرهم فى قبضة المستعمرين من غير ديننا وتوصد الأبواب دونه فى الحرمين الشريفين وسائر بلاد الحجاز ونجد وتصدون عن قرآءته عموم المملكة السعودية وحجاج بيت الله الحرام من سائر الأقطار مع أنهم يقرأونه فى بلادهم أليس أهل نجد والحجاز أمس بنا رحما وأقرب منا نسبا ؟ أفليس هذا الصد اذا لم يكن بدليل يكون تقطيعا للأرحام ؟ أليست

هذه العلوم هي التي أوجبها القرآن في آخر سورة التوبة ؟ أوليست تراث أجدادنا الفاتحين ؟ "[١] .

وليست هذه المشاعر التي أحس بها من نفسه، ولا الاعتراضات من جلسائه ولا مصادرة كتابه ومنعه هي نهاية المطاف ، فقد توالت الردود على تفسيره ونقده في تطرفه في هذا السبيل . وسأذكر هنا بعض ردود وآراء المعتدلين في الرد الذين يحسنون به ظنا ويثنون عليه في دينه وغيرته لكن هذا لا يمنعهم من نقد تفسيره وقول ما يرونه حقا .

فمن هؤلاء الشيخ محمد حسين الذهبي رحمه الله تعالى الذين قال بعد أن أورد بعض الأمثلة من تفسيره " هذا هو تفسير الجواهر ، وهذه نماذج منه وضعتها أمام القارئ ليقف على مقدار تسلط هذه النزعة التفسيرية على قلم مؤلفه وقلبه .

والكتاب - كما ترى - موسوعه علميه ضربت في كل فن من فنون العلم بسهم وافر ، مما جعل هذا التفسير يوصف بما وصف به تفسير الفخر الرازي ، فقيل عنه (فيه كل شيء الا التفسير) بل هو أحق من تفسير الفخر بهذا الوصف وأولى به ، واذا دل الكتاب على شيء فهو أن المؤلف رحمه الله كان كثيرا ما يسبح في ملكوت السموات والأرض بفكره ، ويطوف في نواح شتى من العلم بعقله وقلبه ليجلي للناس آيات الله في الآفاق وفي أنفسهم ، ثم ليظهر لهم بعد هذا كله أن القرآن قد جاء متضمنا لكل ما جاء ويجيء به الانسان من علوم ونظريات ، ولكل ما اشتمل عليه الكون من دلائل وأحداث ، تحقيقا لقول الله تعالى في كتابه " وما فرطنا في الكتاب من شي "[٢]

---

(١) الجواهر: طنطاوي جوهري جـ ٢ ص ٢٤

(٢) سورة الانعام : من الآية ٣٨

ولكن هذا خروج بالقرآن عن قصده وانحراف به عن هدفه" (١)

أما الشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير فقد ذكر أيضا بعض الأمثله من تفسيره ثم عقب عليها قائلا " فى وسعنا بعد أن عرفنا نماذج مما كتبه ، أن نسمى كتابه هذا جواهر العلوم ، لاجواهر التفسير ، فهو فى واد ، وتفسير القرآن فى واد أخر " (٢)

وقال أيضا " وعلى الرغم من أن الشيخ رحمه الله كان رجلا تقيا على ما عرفته فيه وجربته منه فانه كان ذا خيال خصيب وكان لهذا يخضع القرآن لما يتخيله فى معانيه بأفكاره العريضة ذات الآفاق البعيده وان جانبها الصواب غفر الله له ما قال عن حسن ظن مما خالف فيه ماينبغى فى تفسير كتاب الله المجيد " (٣)

أما الدكتور عبد المجيد المحتسب فقال " والحق يقال - ان الشيخ طنطاوى جوهرى - مع مخالفتنا اياه فى منحاه ونزعته بيد و حسن النيه فيما ذهب اليه فقد وجد أن السبيل التى سلكها تبعث الأمه الاسلامية بعثا جديدا فى ميدان التقدم العلمى " (٤)

ثم علق الدكتور على قرار منع الكتاب ومصادرته فى الحجاز ونجد فقال " والحق يقال أن المانعين لهذا التفسير لاحظوا جنوح صاحبه بل ولوعه الشديد باخضاع الآيات القرآنية وقهرها لكي تحمل الكثير من مسائل العلوم الكونية . وهذا تعسف ظاهر وميل بالقرآن عن مقصده الأسمى ألا وهو هداية البشر لما فيه سعادتهم فى الدنيا والآخره ، وان دل هذا المنع على شئ فانما يدل على الورع وصيانة القرآن عن أن ينحرف أحد بتفسيره" (٥)

---

(١) التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبى ج ٣ ص ١٨٣

(٢) اتجاه التفسير فى العصر الحديث : مصطفى محمد الحديدى الطير ص ٧٣

(٣) المرجع السابق : ص ٧٥

(٤) (٥) اتجاهات التفسير فى العصر الراهن ص ٢٧٦ - ٢٧٧

أما الدكتور محمد ابراهيم شريف فقال " ومع توافر حسن النيه لدى طنطاوى جوهرى - فيما ذهب اليه من هذا الاتجاه العلمى في التفسير حيث رأى أن السبيل التى سلكها تبعث في الأمة الاسلامية بعثا جديدا فى ميدان التقدم العلمى ، كما تدل عليه نداءاته وخطاباته للأمه الاسلامية وعلمائها وفيضها بالغيره والاشفاق والاخلاص - مع ذلك قوبل تفسيره فى الأوساط الاسلامية فى مصر والبلاد العربية بالمعارضة والانكار فقيل عنه ما قيل عن غيره من قديم ان فيه كل شيء الا التفسير حيث يذكر من الفصول المطوله فى العلوم المختلفة ما يصد قارئه عما أنزل الله لأجله القرآن ، ونظر اليه على أنه مخدر للأمة وملهاة لها عن طريق التقدم الحقيقى بما يقدم لها ما يطمئنها الى أنها سبقت عصرها فى كل ما يتطاول به الغرب من علوم حديثه " (١)

وقال أيضا " لقد كان تفسير الجواهر أول محاوله كامله فى الاتجاه العلمى فى التفسير حديثا ، ولم تخل هذه المحاولة من تعجل واندفاع في أحضان بعض النظريات الجديدة التى لم تستحكم طاقات فتلها ، ولم يتأكد بعد أنها حقائق ثابته لا تقبل الجدل " (٢)

وقال " ومن هنا كانت بعض التجاوزات فى هذا التفسير مما يخضع فيه جوهرى لخياله الخصب خاصة فيما يتعلق بالأمور الغيبية كعالم الجن والشياطين واستحضار الأرواح والتنويم الصناعى والوقوع فى أسر بعض النظريات العلمية القديمة والحديثة والتورط فى النقل عن مصادر غير موثوق صحتها أوليست لها قيمة علمية أو دينية ككتب الأدب والأساطير والفلسفات والمذاهب القديمة والأناجيل وقد أسهب طنطاوى فى ذلك كثيرا

---

(١) (٢) اتجاهات التجديد فى تفسير القرآن الكريم فى مصر : د / محمد ابراهيم الشريف ص ٧٠٩ و ٧١١

كما أسهب فى بيان كثير من العلوم المختلفة التى تشير اليها الآيات الكونية والعلمية حتى جاوز حدود معانيها ، ولم يحاول الجمع بينها فخفى بذلك كثير من حقيقه ومقدار العلم المنزل فيها .

ولكن من الحق أن نقول ان طنطاوى فى محاولته المبكره هذه قد وضع بعض الملاحظات الهامة والقواعد التى تحكم تفسيرة فى هذه الناحية ، كما وضع بعض القواعد المنهجية الخاصة به والتى تتيح لقارئ تفسيره التعرف على مضمون الآيات مع عدم التعرض لتفصيلات العلوم المرتبطه بها ، ومن حق هذا التفسير الذى هوجم كثيرا بحق وبغير خق أن نسجل هذه الملاحظات والقواعد " (١)

ثم ذكر أن الملاحظات تأتى فى شكل حوار مع صديق له يسأله ويجيبه بما يرفع ظنونه وشكوكه فى مسلك التفسير واتجاهه العلمى .

وذكر أن أظهر ما اختص به هنا جانبان : الأول تفسيره لآيات القرآن الكريم تفسيرا لفظيا مختصرا باستطاعه القارئ للتفسير أن يتعرف على هذه المعانى دون متابعة البحوث المستفيضة ، والثانى أنه يقسم السورة الى أجزاء متعدده يتناولها جزءا جزءا (٢)

هذه بعض آراء العلماء المعاصرين فى هذا التفسير .

رأيى فى هذا التفسير :

وان كان لى من رأى فى هذا التفسير فهو لا يخرج عن ما ذكرت من الآراء فيه لكن يجب أن أنبه الى ملاحظة تمر هنا وتمر فى مواضع أخرى

---

(١) المرجع السابق : ص ٧١٢

(٢) المرجع السابق : ص ٧١٣ - ٧١٥

أني وأولئك العلماء الأفاضل الذين ذكرت رأيهم فى تفسير الجواهر كلنا ندرس ونحكم على التفسير لاعلى صاحبه ومن هنا فلا أرى رباطا وشيجاً بين ذكر حسن الظن بالمؤلف أوعدمه ذلكم أن حسن الظن قاصر على صاحبه ونحن لانحكم على صاحبه اذ أمره الى الله الذى يعلم السر وأخفى وانما نحكم على التفسير الذى لاأثر لصحته أوعدمها بحسن نية صاحبه أو سوءها وهو أمر دقيق ، فكونى أحسن الظن بالمؤلف رحمه الله لايعنى أن أحسن الظن بتفسيره وأحكم له بالسلامه والبراءة والعكس بالعكس وهو أمر لم يفت على من ذكرت آراءهم لكنى أحببت التنبيه اليه .

وعلى هذا فأنى أرى بغض النظر عن حسن الظن بالمؤلف - مع حسنه عندى - أن تفسيره خاطىء انحرف عن جادة الصواب فى تفسير القرآن الكريم ، انحرافا لايقبله ذو الذوق السليم فضلا عن الخبير بشروط التفسير .

ولا شك أن تحميل هذه النصوص القرآنية مالا تحتمل وادخال العلوم والنظريات التى لم يستقر قرارها ، والصور الشمسية للبشر والحيوانات بين ثنايا صفحات التفسير ، وتلك الأوهام والخرافات التى يتخيلها فى خياله الواسع حتى يتمثل أشخاص الخيال ذات أجساد واقفه أمامه وينسلخ حينا من عالم الأجساد الى ما يسميه عالم الأرواح ، وادخاله تلك المنامات التى يراها فى منامه ، أو تلك الأوهام التى يسميها الهاما كل هذا وذاك لا يقبل فى تفسير القرآن الكريم .

فعلينا وان أحسنا الظن به ان نعلن ونحذر من هذا التفسير وأمثاله ولو كان كتبها مستقله عن آيات القرآن الكريم لكان له وجه من القبول ، أما والحاله هذه فانى لاأرى له وجها .

غفر الله للمؤلف ورحمه ، ووفق الله المسلمين لما فيه الحق والخير في حياتهم الدنيا والآخره انه سميع مجيب .

هذا ما أحببت قوله عن هذا التفسير وانما أطلت فيه لعدة أسباب أهمها أنه أول تفسير علمى شامل لآيات القرآن الكريم فى العصر الحديث واضافة الى أنه من أوائل التفاسير عامه فى هذا القرن ، وفوق هذا وذاك هو أشهر وأوفى كتب التفسير العلمى فكان حقه وحق هذه الدراسة الاستيفاء .

ومن هنا فأننى سألتزم الاختصار غايته فى عرض الكتب التاليه التى اخترتها كنماذج للتفسير العلمى فى العصر الحديث .

ثانيا : كشف الاسرار النورانيه القرآنيه

أولا : المؤلف :

هو محمد بن أحمد الاسكندرانى ثم الدمشقى ، أحد علماء الطب فى دمشق ، عمل في العسكرية البحرية فى مصر الى سنة ١٢٥٦ ثم رحل الى دمشق حيث تولى رياسة أطباء الجيش الى سنة ١٢٥٨ ، وعمل طبيبا للحكومة فى مستشفى الغرباء ودائره البلدية مدة طويله ، وتوفى فى دمشق سنة ١٣٠٦ ، ولم يولد له ،

وله من المؤلفات :-

١ - تبيان الأسرار الربانية بالنباتات والمعادن والخواص الحيوانية" طبع

٢ - الأزهار المجنيه فى مداواة الهيضه الهندية" طبع

٣ - البراهين البينات فى بيان حقائق الحيوانات" طبع معظمه

٤ - وهذا التفسير الذى ندرسه

ثانيا : الكتاب : كشف الأسرار النورانيه القرآنيه فيما يتعلق بالاجـــرام السماويه والأرضيه والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية "

وطبع هذا الكتاب بالمطبعة الوهبيه وبتاريخ ٥ / ٢ / ١٢٩٧ وذلك فـــى ثلاثة مجلدات .

سبب تأليفـــه :

ذكر المؤلف رحمه اللـــه تعالى أنه فى سنة ١٢٩٠ اجتمع فى محفـل حافل ببعض الأطباء (المسيحيين) فشرعوا يتحادثون فى كيفية تكـــون الأحجار الفحمية وفى أنها هل أشير اليها فى التوراة والانجيل أم لا فبعـد الأسئله والأجوبه حكموا أنه لا يوجد لها ذكر فيهما أصلا لا صريحا ولا اشارة ثم خصوه بالسؤال هل أشير اليها فى القرآن الشريف أم صرح بذكرهـــا وان لم يشر اليها فكيف قال تعالى " ما فرطنا فى الكتاب من شــــىء"[(١)] وأن أشير اليها فيه ففي أى موضع ؟ فتصدر للجواب وتلطف فى الخطـاب وتصفح ألوفا من مسائل الفصحاء وتتبع كلام العلماء وطلبه من كتب التفســير والطب ، ثم ازدادت همته بعد وقوفه على حقيقة تكون الحجر المشار اليـه فبين كيفية تكون الحيوانات والنباتات والأجرام السماوية والأرضية والجواهــر المعدنيـــه .

ثم وضح خطته فقال وأبرزت ذلك فى ثلاثة أبواب كأنها بساتـــين أزهار أو حدائق معارف تفجرت منها الأنهار " الى أن قال "وتشاورت مـع أرباب المعارف وأهل الاشارات فانحط الرأى على أن من اللازم لما قصدتـــه من بيان كيفية التكونات التى ذكرتها تأليف كتاب يشتمل على شرح الآيـــات القرآنية المتعلقة بذلك شرحا يكشف معناها وحقيقتها فاستنهضت جـــواد

---

(١) سورة الانعام : من الآيـه ٣٨

الفكر كرا وفرا وغصت في ميادين تفسير الآيات مؤملا ظفرا ونصرا وشجعني على ذلك صدق النيه فيما هممت وخلوص الطويه فيما عرضت فجمعت من كتب التفسير والطب ما تفرق ومن شتات المسائل ما تمزق وسلكت فى هذا المختصر جزالة الألفاظ مع تمام المعاني "

الى أن قال " ورتبته على مقدمة فى الأحجار الفحمية وثلاثة أبواب فى الحيوانات والنباتات والأجرام الأرضية والسماويه ، وكل باب منها مشتمل على مسائل ومباحث وخاتمه "(١)

وإذا ما نظرت أجزاء الكتاب الثلاثه وجدتها قد تقاسمت الأبواب الثلاثه : فتحدث فى الجزء الأول : الباب الأول : فى كيفية تكون الحيوانات وما يتعلق بذلك .

وأورد فى الجزء الثانى : الباب الثانى فى كيفية خلق السموات والأرض

وأورد فى الجزء الثالث : الباب الثالث فى تفسير الآيات الشريفه المتضمنه لذكر النباتات وسنذكر مثالا من كل باب ان شاء الله تعالى .

نماذج من تفسيره :

من الباب الأول الخاص بالحديث عن الحيوانات تحدث عن دابة الأرض التى دلت على موت سليمان عليه السلام وذلك فى قوله تعالى " فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الأرض تأكل منسأته "(٢)

قال عن الدابه " وهذه الدابه هي السوس أى سوس الخشب من رتبة الحشرات فلا يمكننا أن نذكر فى شأنها كلاما عاما وعددها كثير جدا لأنه يدخل تحتها أكثر من خمسين ألف نوع وحياة الانسان لا تكفى لدراستها

---

(١) كشف الأسرار النورانيه : محمد بن أحمد الاسكندرانى جـ ١ ص ٣-٥

(٢) سورة سبأ : من الآيه ١٤

جيدا بمفردها وهي احدى الرتب المهمه بسبب تنوع أشكالها ولطافة ألوانها خصوصا الخصال والقوى الالهاميه الخاصة بكل نوع وتقسيمها الى أقسام ثانوية مؤسسة خصوصا على صفات متخذه من جهازها الغمى واجنحتها وأربطتها وقرونها وانقلاباتها ، منها الحشرات ذات الأجنحه الشبكيه والنمل الأبيض ينسب لهذا القسم ومنها الحشرات ذات المنقار وذات المنقاب أى الآله التى تنقب بها هذه الحشرات النباتات لاحداث العفص ومنها الحشرات ذات الأجنحه القشرية ، وأبدان هذه الحشرات لها ستة أرجل وتقرض أوراق الأشجار والأزهار والجذور والأزرار والحبوب وتحدث اتلافا ، ومنها ما يقرض الجوخ والأقمشه التى من الصوف والفراء ومنها دودة القز ومنها الحشرات الجناحيه النصف وهذه الحشرات دودة الصبغ ودودة البلوط والبق وحشرة الملك وسوس الخشب المسمى بالدابه وسوس القمح وجنس القمل والقمل والحشرات الماصه كالبرغوث ونحوه ومنها ما سبق الكلام عليه مثل النمل والدراريح والنحل وغير ذلك " (١)

ومن الباب الثانى الخاص بالحديث عن السموات والأرض ، تحدث عن الصواعق والكهربائية وذلك عند تفسيره لقوله تعالى :-

" ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء " (٢)

أسوقه بنصه لترى أن لا ثمت صله بين ما قاله وبين التفسير ، ولئلا يحسب أنى حذفت منه ما يصح تسميته بالتفسير قال :-

قال المفسرون نزلت هذه الآيه فى عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة أخى لبيد ين ربيعة أتيا النبى صلى الله عليه وسلم يخاصمانه ويجادلانه ويريدان الفتك به فقال أربد بن ربيعة أخو لبيد بن ربيعة أخبرنا عن ربنا

---

(١) كشف الاسرار النورانية : محمد الاسكندرانى جـ ١ ص ٢٢٩

(٢) سورة الرعد : من الآيه ١٣

أمن النحاس هو أم من الحديد فردعهم النبى صلى الله عليه وسلم ودعا على أربد بما يلحق بالحديد وعلى عامر بغدة ثم انه لما رجع أربد أرسل الله عليه صاعقة فأحرقته ورمى عامر بغُدَّة كغُدَّة البعير ومات فى بيت سلولية * وههنا نذكر الآثار الجوية النارية * فنقول

(الآثار الجوية النارية) قد زادِ بسبب هذه الآثار فى الأُزمنه السالفة اندهاش الناس وخوفهم . أما من التلف الذى يتبع ظهورها وأما من الضوء الساطع الذى ينتشر منها وأما من عظمها المهول مع تدميرها الأشياء معا وطالما صدرت خرامات وتوهمات فاسدة فى منشأ الرعد والأضواء الشمالية أى الفجر الكاذب والذى تقدم ذكره والاكر النارية .

(والكهربائية الجوية والصاعقة والرعد) ** هذا السائل وجده أرسطاطاليس فى قطعة كهرباء وسماه بهذه الاسم وهو نوعان كالمغناطيس والجو يحتوى دائما على مقدار من هذا السائل يختلف قلة وكثرة فاذا كان الهواء ساكنا والسماء مصحية كانت كهربائية الجو زجاجيه وتغير حالتها كل مرتين فقبل طلوع الشمس بزمن قليل تكون فى غاية ضعفها ثم تتزايد بسرعة وتصل الى غاية قوتها الأُولى نحو الساعة الثامنة الفلكية أعنى قبل الظهر بأربع ساعات فى الشهر الثالث من الربيع ثم تأخذ فى الضعف شيئا فشيئا وبعد الزوال بساعتين يكون الاستشعار بها قليلا أعنى أنها تكون زائدة فى الضعف جدا وفى الساعة الرابعة تقريبا تكون فى غاية ضعفها ثم فى المساء بعد مغيب الشمس بساعة أو ساعتين تكون قوتها كهى فى الصباح أعنى فى غاية قوتها ثم تأخذ فى التناقص أولا بسرعة ثم تبطىء حتى تصل الى غاية ضعفها الثانى وهذان التغيران يشاهدان السنة كلها حتى فى زمن الغيم غير أن قوتهما تختلف باختلاف كثرة الغمام وسمكه وكهربائية الصيف أقوى من كهربائية الشتاء بمرتين والغالب أنها فى جميع الأُشهر

تزيد أو تنقص على طريقة النسبة المستقيمة لارتفاع الشمس على الأفق وثبت من المشاهدات أن العواصف تكون أقوى وأكثر فى زمن القمر الجديد والامتلاء منها فى أوقات الربيع .

* (فى النسبة الكهربائية) * وليس هناك نسبة بين كهربائية الجو وثقله وحرارته بخلاف رطوبته فان لها بها نسبة عظيمة لأن غايتى ارتفاع الكهربائية تكونان فى الوقت الذى يكون فيه الهواء متحملا لمقدار عظيم من الرطوبه ومتى تكاثف البخار المائى المتحمل له الجو وسقط على هيئة مطر أو ثلج أو برد فأنه يتكهرب بكهربائية تزيد جدا عن كهربائية الجو اذا كان الزمن هادئا وصحيا .

في بيان الكهربائية

ثم ان كهربائية الماء الجوى تارة تكون زجاجية وتارة راتنجية ككهرباء الهواء وتكون أيضا فى الصيف أعظم منها فى الشتاء * (تنبيه) * أعلم أن المغناطيس سيال واحد ولكن جعل الله تعالى فيه خاصيتين احداهما جنوبية والأخرى شمالية وجعل تعالى السيال الكهربائى متنوعا الى نوعين أحدهما زجاجى والآخر راتنجى على حسب تسلطنه فى أفراد المعادن وأيضا هو سار فى السائلات الجوية ويكون على حسب تجمعه وقوته زجاجيا أو راتنجيا وذلك اذا سح المطر مرتين وتخلل بينهما زمن قليل فأنه قد يتفق أن أحدهما يتكهرب بكهربائية مخالفة لكهربائية الآخر وان كانا متساويين فى الشدة ويندر جدا وجود أمطار غير مكهربة ولا يشاهد ذلك الا فى الأمطار التى تحصل فى المسافة التى تخلل بين سحتى مظر مختلفى الكهربية أو حينما يكون المطر خفيفا

فى بيـــان الضبـــــــاب

الضباب الرطب يكون عموما أقل كهربائية من الضباب البارد الجاف وزجاجيـــة الثلج أكثر من راتنجيـته ولم تعرف الى الآن الحالة الكهربائية للبرد بفتــــح الــــراء .

فى كهربائيـــة الغمــــام

قـد اعتبرت الغـمامة الكثيفة الحاملة للعواصف جسما واحد يتراكم على سطحـه مقدار مخصوص من السائل الكهربائى المنتشر فى الفضاء المعرض لتأثير هـذه الغمامـه ولعل ذلك هـو الذى يحدث شكل هذه الكتل المتكونه من الأبخـرة الحوصلية المائية فثبت بموجب ما ذكر أن الجو يكون دائما مكهربا ومثله فـــى ذلك الغمام وأنه يمكن أن كهربائية احدى سحابتى قربتين لبعضهما تكــــون مخالفة لكهربائية الأخـرى .

فى تداخل السحاب فى بعضه

اذا كان الـهواء مضطربا ولم يكن لكتلته الاتجاه واحد فأن السحـب تنجـــذب بالريح وتتبع اتجاهه ولا يحصل بينها وبين بعضها ملامسة ولا معارضــــــة ولا اختلاط أما اذا تقلب الجو برياح متعارضة فانه يشاهد اذ ذاك شــــرر كهربائى واضطراب وانزعاج متى تقاربت السحب لبعضها حتى تتجاذب أى يدخل كل منها فى سلطنة جذب الأخرى فحينئذ يشقق البرق والسحابة العاصفـــة ويسمع الرعد وكثيرا ما يشاهد سير طبقات من السحب فى اتجاهـــــــات متعارضة أو أن تلك الطبقـــات تأتــى من السمـاء من مواضـع مختلفـــة وتنضـم بعد ذلك فى محـل واحــد ومن هذا المحــل تظهـر العواصـف وذلك عقب تأثير الغمام على بعضه بيسير .

* (فى الغمامة الصاعقية) *

قد يشاهد أحيانا على الأفق غمامة مظلمة مسودة تبقى واقفة جزءا من النهار وتكون السماء فى غير هذا الموضع نقيه مصحيه ثم يتجه الريح نحو تلك الغمامة الصاعقية وتتقدم نحو السمت حتى تصل اليه بسرعة وتغطى الكون ببرقع معتم وتسير مسبوقة بالرياح والبرق والرعد ومتبوعه بالأمطار الوابله والبرد بفتح الراء الذى ينشر ويتدحرج فى ممرها .

* (فى كهربائية الأرض ونزول الصواعق) *

قد ثبت أن الأرض مكهربة كالهواء ولكن يقال هل كهربائيتها من نوع كهربائية الهواء أقول المقرر خلافه فان علماء الهيئة ذكروا أن كهربائية الهواء فى الغالب تكون زجاجية بخلاف كهربائية الأرض فانها راتنجية فاذا انقطعت الموازنه بين هذين السائلين وانجذب بموجب أسباب مخصوصة فى محل ما مقدار كبير من أى نوع كان من الكهربائية حصل فى الموضع المقابل لذلك المحل تراكم كهربائية مخالفة فى الاسم للأولى والغالب تولد العواصف من هذا الحادث فاذا كان فى شدة قوته فان الشرر المقذف من الغمام جهة الأرض أو من الارض جهة الغمام يحصل الموازنة بينهما ثانيا وهذا هو أصل الصاعقة الصاعدة والصاعقة النازلة التى هى مهولة مخفية بسبب ما يحدث عنها من الاتلاف والاهلاك المدهش الغريب كيف لا وهى صورة تتشكل بأشكال غريبة مخالفة لبعضها ولم تصل العلوم الى الآن لتوضيحها وبعد ذهاب الريح العاصف والصاعقة يظهر كأن الكون اكتسب قوة جديدة وتعظم قوة الحيوانات وتشتد وتزيد حيويتها ويحسن الانبات وتصير الروائح العطرية للأزهار أقبل وألطف وبالاختصار يظهر كأن الكائنات كلها حظيت بحياة جديدة قويه * وقد غلط من ظن أن أصوات النواقيس ولغط طلق المدافع يشتت الصواعق اذ الغالب أن الحركة المنطبعة فى الهواء من اهتزازات الأجسام

الرنانة تجذب هذه الصاعقة اليها وانه كثيرا ما يحصل أن الصاعقة تصيب
أبراج النواقيس وتهدمها زمن ضربها وتحرق السفينة زمن طلقها مدافعها
ومما يشتت الصواعق القوية جدا المطر الغزير الذى هو موصل جيد
للسائل الكهربائى فيحصل موازنة بين الأرض والجو ولم يعرف الى
الآن سبب لغط الصاعقة والرعد هل ذلك بمجرد قعقعة منعكسة من الغمام
أو تتابع أصوات متواصلة بينها وبين بعضها مسافة قصيرة أو أن ذلك من
مصادمة الهواء الذى يتكون فيه وقت حضول الصاعقة خلو بسبب اتحاد
كتلة عظيمة من السائل النارى حيث يحصل ذلك فى الطبقات المرتفعة
من الجو أو أن ذلك من مصادمة الهواء لشرر كهربائى اجتاز فيه بسرعة
قويه وحيث أن حالة اهتزازاته الرنينة وسعتها وشدتها تكون على حساب
قوة هذا الاثر المهول والذى يظهر لى أن الأخير هو القريب للعقل" (١)
هذا هو كل ما قاله فى تفسيرها فهل تراه كذلك ؟!

الزوج البهيج :

ومن الباب الثالث الخاص بذكر النباتات فسر قوله تعالى " وأنبتنا
فيها من كل زوج بهيج " (٢) بقوله :-
قال تعالى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج اشارة الى ماتقطف ثماره ويثمر
من غير زراعة فى كل سنة والى ما يزرع ويقطف فى كل سنة فكأنه تعالى
خلق ما يقطف كل سنة ويزرع وما لا يزرع كل سنة ويقطف مع بقاء أصلهما ولولا
التأبير العام فى النبات لم يثمر فالله تعالى هو الذى قدر ذلك لذلك
فجعل أعضاء التناسل منضودة بالطلع فوق بعضه وجعل الأكمام وقاية لها
ونعمة للعباد * وقوله تعالى من كل زوج بهيج المراد بالبهيج الحسن
فالاكمام مركب كل منها من النوار أى الزهر المسمى بالتويج والكأس وفيه
مباحث .

---

(١) كشف الأسرار النورانية : محمد الاسكندرانى جـ ٢ ص ١٣٥ - ١٣٨
(٢) سورة ق : من الآية ٧

* المبحث الأول فى الغلافات الزهرية * الأعضاء التى تقدم الكلام عليها محيطة بغلافين هما الزهر والتويج فالغلاف الزهرى يسمى بسيطا اذا لم يكن مكونا الا من غلاف زهرى واحد ويسمى مزدوجا اذا كان مكونا من الكأس والتويج ومتى كان الغلاف الزهرى بسيطا فالغلاف الذى يفقد هو التويج دائما لأن النباتيين يسمون الغلاف الموجود بالكأس على أى حال كان لونه وشكله وقوامه وحيث أنه لا يوجد للنباتات ذات الفلقة الواحدة الا غلاف بسيط واحد يمكن أن يقال أن النباتات المذكورة عديمة النوار أى التويج ومع ذلك فقد يتفق أحيانا أن النباتات ذات الفلقة الواحدة يظهر أن لها غلافين زهريين لأن التقاسيم المكونه لغلافها تكون على هيئة حراشيف صغيره موضوعه صفين تنشأ من الجزء الظاهر للذنيب الزهرى

* المبحث الثانى فى التويج * التويج الغلاف الزهرى الأكثر قربا من أعضاء التناسل وقوامه رخو ولونه مختلف جدا وفى بعض الأحيان تكون له ألوان جميلة بهية ومكثه قليل للغاية جدا وغالبا يزول متى ابتسم الزهر * وفيه أمور (الأول) فى تركيب التويج * يتكون التويج من وريقات تويجيه وسبب تسميتها بالوريقات كثرة مشابهتها للأوراق وكل وريقة تويجية مكونه من جزءين وهما الظفر والصفيحه فالأول يقابل ذنيب الورقة والثانى يقابل قرصها فالظفر هو الجزء السفلى المستضيق غالبا وهو الذى تلتصق بواسطته الوريقة التويجية فى الحامل الزهرى والصفيحة هى الجزء العلوى المستعرض ذو الشكل المختلف وهو يعلو الظفر .

* (الثانى فى الوريقة التويجية العديمة الظفر) * أحيانا لا يوجد الظفر فى الوريقات التويجية فحينئذ تسمى وريقة التويج بعديمة الظفر أى بعديمة الذنيب وقد يكون الظفر طويلا أو قصيرا أو مسطحا أو قنويا ولا فائدة لنا فى تفسير هذه التسميات لأنها واضحه ولها أسماء مختلفة

أيضا تعرف بها الأوضاع المختلفة للوريقات التويجية وكذا شكلها فمثلا يمكن أن تكون قائمة أو منبسطه أو مائلة الى الداخل والى الخارج أو مقعرة أو على هيئة قلنسوه أو مهمازية أو غير ذلك .

* (الثالث فى ذى الوريقات الكثيرة) * عدد وريقات التويج يكون مختلفا جدا ولاجل بيانها تستعمل أسماء مخصوصة لها فيقال مثلا أن التويج ذو وريقتين أو ثلاثة أو أربعه وهكذا فيسمى بالتويج ذى الوريقات الكثيرة وقد يكون التويج ذو الوريقات الكثيرة منتظما أى مكونا من وريقات تويجية متساوية موضوعه بانتظام حول أعضاء التناسل وفى هذه الحالة يكتسب أشكالا تخدم لتمييز بعض فصائل عن بعضها كما فى وريقات الفصيلة الوردية والقرنفلية والصليبية وقد يكون غير منتظم كوريقات تويج القسم الفراشى من الفصيلة البقولية .

* (الرابع فى التويج الوردى) * يسمى التويج ورديا اذا كان مكونا عادة من ثلاث وريقات الى خمس أظافرها قصيرة جدا وصفيحتها منبسطه على شكل ورده وهذا الوصف العام خاص بجميع النباتات التى تنسب الى الفصيلة الوردية .

* (الخامس فى التويج القرنفلي) * يسمى التويج بهذا الاسم اذا كان مركبا من خمس وريقات ذات أظافر طويلة ومغطاة نحو قاعدتها بالكأس وفى هذه الحالة تكون صفائح وريقات التويج منبسطه على هيئة وردة كما فى القرنفل البستانى وجميع نباتات الفصيلة القرنفلية .

* (السادس فى التويج الصليبى) * يسمى التويج صليبيا اذا كان مكونا من أربع وريقات ظفرية موضوعه على هيئة الصليب كما فى الفصيلة الصليبية

* (السابع فى التويج الكثير الوريقات غير المنتظم) * يكون التويج غير منتظم اذا كان مكونا من خمس وريقات غير متساوية لها أشكال مختلفة ويد خل

تحت التاج الفراشي وذلك التويج يقال أنه فراشي اذا كان مكونا من خمس وريقات غير منتظم شكلها شبيه بالفراش الذى تكون أجنحتها منبسطة وهذا النوع يشاهد فى الفصيلة البقولية ويسمى غير منتظم اذا كان كذلك ولم يمكن نسبته الى التويج الفراشي وفى التويج ذو الوريقات الكثيرة تسقط الوريقات التويجية كل واحدة على حدتها أو يقال أن سقوطها بهذه الكيفية هى الحالة الأغلبية " (١)

وهكذا يذكر أنواع التويج وذكر فى المبحث الثالث الكأس وهو الغلاف الظاهر للزهر وذكر فيه أبحاثا كثيره متشعبة .

رأيى فى هذا التفسير :

اذا ماذهبنا نقارن هذا التفسير بالتفسير الذى سبقه وجدنا هذا الأخير يمتاز بأنه لا يدعو ولا يلح الى هذا الاتجاه فى التفسير وأمر آخر أهم من هذا انك تجد فى مواضع منه نكهة التفسير فتجد الروايات من السنه وتجد القرآءات فى الآية الواحدة وتجد أقوال المفسرين السابقين فى الآية ، ومن الفروق أيضا أن هذا الأخير لا يعتد بتلك الخيالات والأوهام والمنامات الكثيرة الحق منها والباطل ولا يزعم الهاما ، ومنها خلو هذا التفسير من المصورات للنباتات والحيوانات والبشر وغير ذلك.

ومنها عدم اعتماده فلسفات الأمم الكافرة فى القديم والحديث ، ومنها أن هناك من الآيات ما يفسر تفسيرا لا تكاد تجد فيه ما تنكره

ومع هذا فان هذا التفسير مغرق فى الاتجاه العلمى ، واذا ما نظرت فى فهرس هذا الكتاب بأجزائه الثلاثة لا يظهر لك أنه كتاب فى التفسير الا بتمحل فاذا قلبت صفحاته ازددت شكا حتى تقع على أول كل بحث فتجد فيه مايدل على أنه كتاب فى التفسير واليك شاهدا ما أقول فهرسا لأحد الأبحاث .

---

(١) كشف الاسرار النورانية : محمد الاسكندرانى جـ ٣ ص ٤٢ - ٤٣

المقالة (السادسة عشر) فى قوله تعالى " والله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الأرحام وما تزداد : - وفيه مسألتان .

فى كيفية القراءات ، المسألة الأولى فى الزيادة وفيها مباحث تسعة :-

الاول : فى ذكورة الجنين

الثانى : هل يمكن بالاختيار أن المتجامعين يولدان أحد النوعين .

الثالث: فى بيان علامات الحمل .

الرابع : فى العلامات العقلية فى ظواهر الحمل .

الخامس : فى انقطاع الحيض .

السادس : فى انتفاخ البطن .

السابع : فى بيان الحركات الذاتية للجنين .

الثامن : فى الحمل المضاعف .

التاسع : فى بيان الحبل على الحبل

المسألة الثانية : فى قوله تعالى وما تغيض الأرحام وفيه مباحث سبعة :-

الاول : فى سيلان الحيض

الثانى : فى اندفاع الطمث

الثالث : فى سير الطمث وكمية الدم

الرابع : فى أسباب الطمث ودوريته

الخامس : فى بيان مجلس الحيض

السادس : فى انقطاع الطمث فى سن اليأس

السابع : فى العلوق الفاسد وفيه أنواع :-

الأول فى البذور الكاذبة - الثانى فى بيان المضغ اللحمية

الثالث فى بيان المضغ الحوصلية ." (١)

---

(١) كشف الأسرار النورانية : محمد الاسكندرانى ج ١ ص ٧

هذا مثال واحد لأحد أبحاثه يكاد القارئ يجزم أنه كتاب في طب النساء والولادة ، وهكذا أبحاثه الأخرى بحث في الفلك وبحث في النبات وبحث في المعادن ولا شك أني كما رفضت طريقة الشيخ الجوهري فأني أرفض أيضا طريقة هذا التفسير لما فيه من الاغراق المذموم في المسائل العلمية وطغيانها على المعاني المتعلقة بالآيه المباشرة من التفاسير الصحيحة .

وانما أطلت في هذا التفسير - قليلا - لأني لم أجد أحدا كتب عنه الا مجرد اشارة لاتتجاوز أسطرا فيما أعلم .

ثالثا : الكون والاعجاز العلمي للقرآن

أولا : المؤلف :

هو الدكتور منصور حسب النبي

استاذ ورئيس قسم الطبيعة بكلية البنات بجامعة عين شمس ، ولم أجد له ترجمه .

ثانيا : الكتاب : هو الكون والاعجاز العلمى للقرآن عدد صفحاته ٣٩١

وقد قسم المؤلف كتابه الى ستة أبواب تحدث في الباب الأول عن وجود الله ووحدانيته وفى الباب الثانى عن دستور الكون ويقصد به نظام الكون وتحدث في الباب الثالث عن المجموعة الشمسية وفى الرابع عن كوكب الأرض أما الباب الخامس فتحدث عن النجوم والمجرات وفى الباب السادس والأخير عن الكونيات .

وقد أبدى المؤلف عجبه فى مقدمة كتابه من المهاجمين للتفسير العلمى حاليا بدعوى أن اللعلم يتغير ، وهذه مغالطه لأن العلم الصحيح لا يتغير لانه نتيجة لحقيقة ثابته ثبوتا قطعيا .(١)

والذى اعتقده أن المؤلف أخطأ الفهم هنا فلا أحد ينكر أن (اعلم الصحيح) لايتغير ، ولكن الى أن يصل الى هذه الدرجه لم يزل متغيرا متقلبا وهو فى هذه الحاله يسمى نظريه ، وفى حالة الاستقرار الصحيح يسمى حقيقة علمية . فهل يعتقد المؤلف أن العلم فى القرن العشرين وصل كله الى درجة الحقيقة العلمية ؟!

لا أظن جوابه ايجابا اذ هو يخالف الواقع ، واذا ما أجاب بالسلب قلنا ان المهاجمين للتفسير العلمى يهاجمون الذين حشروا مؤلفاتهم بالعلم في درجته المتقلبه (النظريه) وربطهم هذا المتأرجح يمنه ويسره بالقرآن الكريم الثابت الراسخ .

---

(١) الكون والاعجاز العلمى للقرآن : منصور حسب النبى ص ٨

وهو نفسه يتناول فى تفسيره نظريات علمية لم تستقر فهل يرى أو يعتقد أن هذا هو العلم الصحيح .

أقرأ له عن حديثه عن المكان والزمان بين العلم والقرآن وتأمل فى لفظه " تعيين " التى يكررها وليست تقدير قال مثلا :ـ" ولقد استخدم العلماء بعض المواد المشعه كاليورانيوم والكربون (١٤) لتعيين عمر الأرض وعمر الحياة على الأرض كما استخدم العلماء ظاهرة تمدد الكون واتساعه المتواصل لتعيين عمر الكون "(١)

ثم انظر للجدول الذى وضعه للحوادث الكونية وزمنها ، مع اعترافه بأنه زمن تقريبى ، وأنه طبقا لتصورات العلم الحديث . ومن هذه التواريخ التى ذكرها ان انفجار كرة الكون الاولية (البيضة الكونيه) بيج بانج (!!) منذ ١٣ بليون سنه وسلسل الأحداث الى أن وصل الى تكون الأرض بكتلتها الحاليه وأنه منذ ٤٫٥ بليون سنه أما ظهور الانسان فى هذا الجدول منذ فترة تتراوح بين ١١ و ٣٥ ألف سنه (٢)

العجيب حقا أن المؤلف يورد هذا عند تناوله لقوله تعالى " يسألونك عن الاهله قل هى مواقيت للناس والحج "(٣) وقوله سبحانه " وان يوما عند ربك كألف سنه مما تعدون "(٤)

ومرة أخرى يقول في تفسير آخر " ويحتوى جوف الأرض على الحديد فلقد أثبتت جميع البحوث بأن لب الأرض مكون أساسا من الحديد والنيكل مصداقا لقوله تعالى" وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس"(٥)

---

(١) (٢) الكون والاعجاز العلمى للقرآن : د / منصور حسب النبى ص٩٨-٩٩
(٣) سورة البقرة : من الآيه ١٨٩
(٤) سورة الحج : من الآيه ٤٧
(٥) سورة الحديد : من الآيه ٢٥

ولقد ثبت فعلا أن الحديد أحد العناصر التى توجد في الشمس بوفره وذلك بواسطة التحليل الطيفى الحديث وبهذا يتضح دقة التعبير في الآية الكريمه في فعل " أنزلنا " حيث نزل الحديد من الشمس الى الأرض" (١)

والكتاب مليء بالشواهد على ما ذكرنا وملىء أيضا كتفسير الجواهر بالصور العلمية ، ويشترك مع ما سبق في الحكم . والله أعلم .

رابعا : مع الطب في القرآن الكريم

أولا : المؤلف

اشترك فى تأليف هذا الكتاب الدكتور عبد الحميد دياب والدكتور أحمد قرقوز .

ثانيا : الكتاب مع الطب في القرآن الكريم

صدرت الطبعه الأولى سنة ١٤٠٠ فى ٢٠٨ صفحه .

والطريف أن هذا الكتاب أعده المؤلفان لنيل اجازة دكتور فى الطب وليس فى التفسير .

ومع أن المؤلفين ينصان نصا " أننا راعينا فى البحث عدم تحميل الآيات القرآنية أكثر مما تحمل . وتجنبنا تطويعها للمعطيات العلمية ، كما لم يكن البحث محاولة لتفسير الآيات القرآنية بنتائج العلوم الحديثه ، الا اذا كانت الآيه قاطعه الدلاله ، وكانت المعطيات العلمية حقائق ثابتةأيضا" (٢)

الا أنهما أحيانا ينسيان هذا الالتزام فيفسران الآيه بما لاتدل عليه دلالة قاطعه بغض النظر عن كونه حقيقه أو نظريه علمية نضرب لذلك مثلا ما ذكراه عند تفسير قوله تعالى " وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى ، من نطفة اذا تمنى " (٣)

---

(١) الكون والاعجاز العلمى للقرآن : د / منصور حسب النبى ص ١٧٤
(٢) مع الطب فى القرآن الكريم : عبد الحميد دياب وأحمد قرقوز ص ١٢
(٣) سورة النجم : الآيتين ٤٥ - ٤٦

فقالا : " تحوى البيضه الملقحه التى سيتشكل منها الجنين ٢٢ زوج من الصبغيات الجسميه مع زوج من الصبغيات الجنسية ، وتأتى هذه الصبغيات من اجتماع بويضة الأنثى التى تحوى دائما (٢٢ صبغي جسمى + الصبغ الجنسى x)

ومن نطفة الرجل التى تحوى (٢٢ صبغيجسمى + صبغيجنسى اما x أو y) لان نصف نطاف الرجل تحوى الصبغى x ونصفها تحوى الصبغى y أما بويضة الامرأة فدائما تحمل الصبغىالجنسى x فاذا اتحدت البيضة مع نطفه حاويه على الصبغى الجنسى x كان الجنين انثى ، واذا اتحدت مع نطفة حاويه على الصبغى الجنسى y كان الجنين ذكرا ، اى حسب المعادله :-

نطفة (y) + بويضه (x) = (xy) ذكر

نطفة (x) + بويضة (x) = (xx) انثى

فنطاف الرجل اذا هى المسئووله عن تحديد الجنس لأنها تحمل الاشكال المتغايره من الصبغيات الجنسية وهذا ما ذكره القرآن قبل أربعة عشر قرنا حين قال " وانه خلق الزوجين الذكر والانثى) "(١)

هذا ماقالاه والحق أنى لم أجد أى دلاله أو اشارة فى الآيه على هذا فضلا عن أن يكون له دلاله قاطعه ، كما ذكرا آنفا .

ونذكر مثالا آخر نحو هذا ما قالاه عند تفسير قوله تعالى " وعنبا وقضبا "(٢)

قالا : " العنب فاكهة واسعة الانتشار فى العالم ، وتشكل جزءا أساسيا من راتب معظم السكان الغذائى ، وأهم ما يميز هذه الفاكهه الطيبه هو احتواؤها على سكر العنب (غلوكوز) بنسبة عاليه حتى سمى باسمها ،

---

(١) مع الطب فى القرآن الكريم : دياب وقرقوز ص ٢٧

(٢) سورة عبس : الآيه ٢٨

وسكر العنب هو شكل بسيط للسكاكر ، تمتصه الأمعاء بسهوله كبيره ، ويدخل مباشرة في عمليات الاستقلاب دون تغير أو تحول ، بل ان باقي السكاكر يلزمها أن تتحول الى سكر عنب في الجسم حتى يمكنه الاستفاده منها في تزويد الجسم بالطاقه والقدره ، ويشذ عن ذلك سكر الفواكه (فركتوز) الذى يمكنه ذلك " (١)

وهذا القول كسابقه لم أجد في الآيه دلاله عليه الا من باب الدلاله التي يفهمها أولئك الذين لا ترد في القرآن كلمه الشمس مثلا الا ويذكرون بعدها وعرضها ومحيطها وحرارتها ثم ينتقلون الى الكواكب السياره حولها وخصائص كل كوكب .

وأحيانا ينصرف المؤلفان عن المعنى الحق المتبادر من الآيه الواضح البين الى معنى آخر لا يدل عليه النص خذ مثلا قوله تعالى " وقرآن الفجر ان قرءان الفجر كان مشهودا " (٢) كلنا نفهم مدلول هذه الآيه المتبادر وهو الحث على قرآءة القرآن والتهجد به آخر الليل ، لكنهما قالا معنى آخر وهو أنه ترغيب بالنوم المبكر والاستيقاظ منذ الفجر ثم ذكرا الفوائد الصحيه للقيام المبكر من النوم وأن من مزاياه ارتفاع نسبة غاز الأوزون في الجو عند الفجر (٣) وغير ذلك من فوائد الاستيقاظ المبكر ، ولم يتعرضا لقراءه القرآن أو العباده عامه في هذا الوقت وهي المقصود الأول في الآيه .

اضافة الى هذا اشتمل الكتاب على لوحات توضيحيه لاجزاء الانسان .

ومع هذا فان في الكتاب في أكثره تفاسير علمية محموده التزما فيها ماوعدا به في مقدمة الكتاب التزاما يجعله في مقدمة المؤلفات العلمية المعتدله في التفسير .

---

(١) مع الطب في القرآن الكريم : دياب وقرقوز ص ١٦١
(٢) سورة الاسراء : من الآيه ٧٨
(٣) مع الطب في القرآن الكريم : دياب وقرقوز ص ١٠٨ - ١٠٩

خامسا : الاعجاز العددى للقرآن الكريم

للأستاذ عبد الرزاق نوفل

أولا : المؤلف

عبد الرزاق نوفل ، ولد سنة ١٣٣٧ تقريبا . وتوفى فى شهر شعبان سنة ١٤٠٤هـ اثر نوبة قلبية مفاجئة فى أعقاب مرضه بالملاريا .

وله عدد كبير من المؤلفات بلغت ٦٨ كتابا ومنها :-

١ - الله والعلم الحديث وهو أول كتاب صدر له عام ١٩٥٧

٢ - الاسلام والعلم الحديث .

٣ - القرآن والعلم الحديث	٤ - المسلمون والعلم الحديث

٥ - الاسلام دين ودنيا	٦ - محمد رسولا نبيا

٧ - كيف ولماذا	٨ - بين الدين والعلم

٩ - القرآن والمجتمع الحديث	١٠ - بين يدى الله

١١ - الرحمن الرحيم	١٢ - دين وفكر

١٣ - من الآيات العلمية	١٤ - الحياة الأخرى

١٥ - السماء وأهل السماء	١٦ - أسئلة حرجه

١٧ - يوم القيامه	١٨ - أسرار وعجب

١٩ - عالم الجن والملائكه	٢٠ - الدعوة الى الاسلام

وله غير هذه المؤلفات كثير ، وبنظره سريعه على عناوين هذه الكتب ندرك الاتجاه العلمى الراسخ عند صاحبها رحمه الله تعالى .

ومن الطريف أن الأستاذ عبد الرزاق نوفل رحمه الله تعالى يحذر من تفسير القرآن الكريم بأكمله تفسيرا علميا ويعد هذا من أخطر ما يمكن على التفسير وعلل ذلك بأنه لا يمكن للفرد مهما كانت طاقته ودرجة علمه القيام بتفسير آيات القرآن كلها فكيف يلم الانسان منفردا بكل ما تضمنه القرآن من

علوم واعجاز ؟ الماما يجعله على درجة من العلم تمكنه من القيام بهذا العمل الضخم الجليل الخطير (١) ولعله رحمه الله تعالى يرمز الى الشيخ طنطاوى جوهرى رحمه الله تعالى .

مع أن كتبه ما ذكرنا منها وما لم نذكر تطفح بالتفسير العلمى المحمود منه والمذموم ومؤلفاته مليئه بالتفسير بالنظريات العلمية التى لم يستقر قرارها بعد وسنعرض هنا لواحد من مؤلفاته .

ثانيا : الكتاب : هو الاعجاز العددى للقرآن الكريم

ويقع هذا الكتاب فى ثلاثة أجزاء ، ولم يكن المؤلف عند اصداره الجزء الأول يقدر اصدار جزء ثان ، وانما خطر له ذلك بعد صدور أوله . وتبلغ صفحات الكتاب بأجزائه الثلاثه ٥٢٤ صفحه من الحجم الوسط .

ودراسة الأعداد فى القرآن الكريم ظاهرة برزت فى العصر الحديث سريعا فكتب عن العدد ١٩ ثم أدخل ما يسمى بـ " الكمبيوتر " أى الحاسب الآلى وظهرت أعداد أخرى وأخرى .

ولن نعرض لهذه الدراسات المتشعبه حتى لا يتشتت الذهن هنا ونكتفى بذكر عنوان لمقاله نشرها الدكتور محمد أحمد أبو فراخ عنوانها " بدعة الاعجاز الحسابى "

أما موضع بحثنا هنا أعنى كتاب الأستاذ عبد الرزاق نوفل فليس المقام هنا مقام دراسة موسعه بل هو اشاره سريعه ليس الا ، واذا كان الأمر كذلك فلن أشير الى مواضع الحسن فيه وانما الى الجانب الآخر اذ الأول هو الأصل فى الدراسات القرآنية وأما الثانى فهو الجسم الغريب الذى يجب التنبيه والتحذير منه .

---

(١) بين الدين والعلم : عبد الرزاق نوفل ص ٦٥

خاصة اذا علمنا أن أرباب الاعجاز الحسابى يعترفون اعترافا صريحا الى أن هذا الجهاز (الكمبيوتر) قد يعطى أعدادا غير صحيحه أو ترتكب فى الجدول أخطاء مطبعية ، وقد تأكد هذا لديهم فى بعض السور واعداد بعض الحروف (١)

وهناك سبب آخر أهم وأخطر وهو أن الدارس فى هذا الفن يدفعه حرصه على اثبات هذا الاعجاز العددى الى التمحل والتكلف فى سبيل الوصول الى اعداد متطابقة فيعد مرة مالا يعد ويحذف أخرى من غير سبب ويتضح هذا بمثالين أذكرهما من موضع بحثنا كتاب الاعجاز العددى فى القرآن .

خذ مثلا ما ذكره أنه تكرر ذكر ابليس فى القرآن الكريم ١١ مره فقط وبنفس العدد أى ١١ مره تكرر الأمر بالاستعاذه منه (٢)

واذا نظرنا الى لفظ الاستعاذه وجدنا المؤلف لا يورد منه الا ماهو بلفظ (أعوذ) ولفظ فاستعذ) ، أما الالفاظ (عذت) (ويعوذون) (أعيذها) (معاذ الله) فانه لا يعد شيئا منها مع أن بعضها نص بالاستعاذه من الشيطان (انى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) (٣)

فان قلت أنه نص على ما هو أمر بالاستعاذه من ابليس قلت انه عد من الايات ما ليست أمرا بالاستعاذه منه " قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) (٤) (قال رب انى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم) (٥)

---

(١) معجزة القرآن العددية : صدقى البيك ص ٢٣
(٢) الاعجاز العددى للقرآن الكريم : عبد الرزاق نوفل جـ ٢ ص ١٥
(٣) سورة آل عمران : من الآيه ٣٦
(٤) سورة البقرة من الآية ٦٧
(٥) سورة هود من الآيه ٤٧

(قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا " [(١)] فأين الأمر بالاستعاذة هنا بل أين الاستعاذه من ابليس هنا ، فى الأول استعاذ بالله من الجهل وفى الثانية استعاذ به سبحانه من أن يسأل الله ما ليس له به علم وفي الثالثة استعاذت بالله من روح الله الذى تمثل لها بشرا سويا .

وعلى هذا كله لا يستقيم له الأمر فيما ذكر ولهذا يبدو التكلف واضحا بينا

خذ مثالا آخر قال ورد اليوم مفردا ٣٦٥ مره بعدد أيام السنه [(٢)] واذا ما نظرنا فيما جمع وجدناه لفظى " اليوم " و" يوما " وترك (يومكم" (يومهم) (يومئذ) لأنه لو فعل لاختلف الحساب والعد

والأدهى من ذلك والأخطر أنه أدى به الى أمر لا يرتضى ولا يصح بحال من الاحوال .

فقد أراد أن يظهر اتفاق عدد ذكر الرسل والأنبياء وعدد ذكر اسمائهم فى القرآن فقال " بلغ عدد مرات ذكر الرسل ومشتقاتها فى القرآن الكريم ٣٦٨ مره . . ولما كان النبى قد تكرر ٧٥ مره والبشير تكرر ١٨ مره والنذير تكرر ٥٧ مره ومجموع ذلك ٥١٨ " ثم ذكر أنه باستعراض عدد مرات ذكر أسماء الرسل والأنبياء والمبشرين والمنذرين نجد أنهم تكرروا بالاعداد التاليه

موسى ١٣٦ ابراهيم ٦٩ نوح ٤٣ يوسف ٢٧ لوط ٢٧

عيسى ٢٥ " وهكذا الى أن ذكر " ناقة الله ٧ " ؟!

وبهذا فقط تساوى مجموع ذكر الرسل والنبيين والمبشرين والمنذرين بعدد مرات ذكر أسمائهم تماما ؟! [(٣)]

---

(١) سورة مريم : من الآيه ١٨
(٢) الاعجاز العددى للقرآن الكريم : عبد الرزاق نوفل جـ ٣ ص ١٦٨ - ١٦٩
(٣) الاعجاز العددى فى القرآن الكريم : عبد الرزاق نوفل جـ ٣ ص١٤٩-١٥٣

ولا شك أن عده لناقة الله مع أسماء الأنبياء تمحل لا يقبل منه ولا من غيره أبدا وما ألجأه الى ذلك فى هذا الموضع وفى مواضع أخرى كثيره الا الفتنه بحب الجديد على العقول والأذهان .

بقى أن أقول ان هذا الاعجاز مازال بحرا مظلما فيه فجوات وفيه مهلكات فالحذر الحذر من أن تقودنا العاطفه الى المهالك ، لست أشك فى سلامة قصد عبد الرزاق نوفل رحمه الله تعالى ولكن هذا شىء والخطأ والصواب والتحذير منه شىء آخر غفر الله له ورحمه جزاء نيته ولنحذر أن نقع فى مثل هذه الأمور حتى تنبلج الحقيقه ويشرق ضوؤها وحينئذ فليتجه اليها المؤمنون فهى ضالتهم ومن اتبع الأوهام وقع فى المهالك .

رأيي فى هذه المؤلفات :

أورد هنا خلاصة رأيي فى هذه المؤلفات مجموعة ، أما الرأى الذى اخترته فى التفسير العلمى التجريبى عامة فقد سلف بيانه ، وانما قدمته على ما ذكرته من هذه التفاسير حتى يعرف القارئ موقفى من الرفض والقبول لكل ما أنقله من نصوصها .

وانما أذكر أخيرا رأيي فى هذه المؤلفات العلمية مجتمعه وهو رأى لا أطيل بيانه أكثر مما أطلت .

وبنظره عجلى على هذه المؤلفات لمن أراد أن يتصفحها يدرك أننا بحاجه فى هذا العصر لمؤلف فى التفسير العلمى التجريبى تؤلفه مجموعة من العلماء فى الشريعه وفى التفسير وفى اللغه وفى العلوم الحديثه يجتمعون ويقررون ما يوافق الحقائق القرآنية ذات الدلالة الصريحه ويضمون اليها الحقائق العلمية الثابته التى قُرِّر قرارها وأمن ثبوت زيفها وبطلانها يثبتونه لا على أنه تفسير وانما كشاهد وزيادة بيان لمعانى الآيه ومدلولاتها .

وانما لجأت الى هذا أنى نظرت الى هذه المؤلفات الموجودة فوجدتها اما لعالم فى الشريعه يخطئ فى العلوم الحديثة فيثبت مالم يثبت ، واما لعالم فى العلوم الحديثه يجهل أصول التفسير ولا يدرى من أمرها شيئا فيحمل الآيه ما تحتمل ويوجهها الى مالا تتجه اليه .

حذرا من هذا وخشية من ذاك اتجهت الى هذا الاقتراح ولعل الله يهيئ لهذه الأمة من يحققه انه سميع مجيب .

الباب الثالث

منهج المدرسة العقلية الاجتماعية الحديثة

في

التفسير

تمهيد :

كأني بك تنظر الى مندهشا وتحدق بي متعجبا وألمح على شفتيك سؤالا بل أسئلة تزاحمت فى الظهور فلم يتح الزحام لها سبيلا للخروج فإنعكست بين ثنايا وجهك معلنة عن معناها ! قرأت منها فيما قرأت .

أليس الاسلام هو دين العقل ؟ هل جاء فى الاسلام ما يخالف العقل ؟ أوجاء العقل بما يبطل شيئا من الأسلام ؟ اذا فكيف تضع للعقل منهجا فى التفسير ؟ هل المناهج الاخرى مجردة من العقل ؟ أوليس أصحاب بعضها هم العقلاء اذا فكيف يكون المنهج هنا هو الموسوم بالعقل وهو هناك مجرد منه ؟! أسئلة كثيرة مدارها العقل والتفسير ومنهج الاسلام فيهما قطعت استرسالى فى قرآءتها لأربت على كتف صاحبها قائلا على مهلك وعلى رسلك لا أظنك أول من شكك بين هذا المنهج وصفته فلا يلزم اذا ما اتصفت طائفه بصفة اتصافها بها حقيقة كما لا يلزم من تجرد اسمها من هذه الصفة خلوها منها ؟! فى المؤلفات العلمية اذا لم يطابق العنوان محتوى الكتاب وصفوه - حديثا - بأنه من خداع العناوين قس على هذا ان شئت الملل والنحل والمذاهب والمناهج فكثيرا من هذه وتلك لاصلة لها باسمائها .. خذ مثلا المعتزلة فى العصر القديم يسمون أنفسهم أهل التوحيد ؟!
وهل التوحيد الحقيقى يعترف بتعدد الخالقين وان كل انسان يخلق فعله؟! أم هو الاعتراف بأن الله سبحانه وتعالى هو الخالق لكل شيء ؟! خذ مثلا آخر الشيعه يزعمون حب علي ونصرته ؟ وهل يكون حب أحد بفعل ما يكره ويذم بل بغير الاقتداء بفعله ؟! خذ مثلا الخوارج يصفون أنفسهم بأنهم " الشراة " يزعمون أنهم اشتروا أنفسهم ابتغاء مرضاة الله وهل شراؤها يكون بقتال علي رضى الله عنه وأرضاه ؟!

وخذ مثلا النصارى يزعمون أنهم " مسيحيون " فهل المسيح قال اتخذونى وأمي الهين ؟ ! حاشا وكلا اذا فليسوا هم بمسيحيين

وهل أضرب لك مثلا بالمبادئ والملل فى العصر الحديث ؟ كالبعثية التى تنكر البعث وغيرها وغيرها .

اذا فلا يلزم من رفع الشعار الدلالة على الالتزام فكم من راية رفعها أعداؤها ناهيك عن هذه الأزمنه التى تلونت المذاهب فيها تلون الحرباء فلا تعرف المقبل منها من المدبر ان لم يخصك الله بنور ايمانى تتبين به المحجة البيضاء فلا تزيغ عنها فتهلك .

ثم أربت على كتفك مرة أخرى لن تعرف المنهج العقلى ولن تعرفه حقا حتى تعرف ونعرف مدلول العقل ومعناه ومداركه ومجالاته ومنزلته فى الاسلام ومكانته لا أريد أن أجعل البحث هنا مبحثا كلاميا جدليا ولكنها مقدمة لابد منها وباب لابد من الولوج منه لنصل الى المراد فلنأت البيوت اذن من أبوابها .

المراد به :

وما علينا أن يقول غيرنا فى تعريفه ما يقولون ، وكتاب الله بين أيدينا الذى هو عصمة أمرنا وبه نجاتنا وبالعمل به فلاحنا فلنأخذ من معينه ولنبحث فيه - وهو الكتاب الذى لا يخالفه العقل ولا ينقضه - عن معنى العقل فيه ومدلوله وعمله . اذا فلنعرف العقل فى القرآن الكريم .

العقل فى القرآن

من المعلوم أن العقل ينقسم الى قسمين :

١ - عقل غريزى ، يهبه الله لمن يشاء من عباده فيسمى عاقلا ، ويسلبه عمن يشاء فيسمى مجنونا وتسقط عنه التكاليف ، فهو اذا مناط التكليف

والحق أن الناس تتفاوت درجاتهم في هذا العقل بين المعدم منه كالمجنون ثم المعتوه وهكذا الى من به خفه الى أن يصلوا الى درجة العقلاء اذا فهم فيه متفاوتون خلافا للأشاعرة والمعتزله الذين قالوا ان العقل لا يختلف لأنه حجه عامه ترجع اليها الناس عند اختلافهم ولو تفاوتت العقول لما كان كذلك [(١)] ولا يمنع هذا الذى قالوه تفاوت عقول الناس لأن التكاليف على قدر العقول والا فما معنى أن يجعل الاسلام شهادة المرأه نصف شهادة الرجل ان لم يكن هذا نقص فيه ، وما معنى أن يسقط التكليف عن المجنون وغير ذلك لكن الذى ينبغى أن نقوله ان هذا العقل هبه من الله ينعم بها على من يشاء من عباده .

٢ - عقل مكتسب والمراد به العلم والفهم بل هو عمل ونتاج العقل الغريزى ومتولد منه ولا ثمرة ولا فائده للعقل الغريزى ان لم يكن عقلا متحركا منتجا وهذا العقل هو الذى خصه القرآن الكريم بالخطاب قال الراغب فى مفرداته " كل موضع ذم الله الكفار بعدم العقل فاشارة الى الثانى دون الأول نحو" ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق) الى قوله (صم بكم عمي فهم لا يعقلون) [(٢)] ونحو ذلك من الآيات وكل موضع رفع التكليف عن العبد لعدم العقل فاشارة الى الأول" [(٣)]

---

(١) شرح الكوكب المنير : لأبى البقاء محمد بن شهاب الدين الفتوحى ص ٢٥

(٢) سورة البقرة : الآية ١٧١

(٣) المفردات فى غريب القرآن : الراغب الأصفهانى ص ٣٤٦

فلننظر بعد هذا قول علماء التفسير ذلكم قوله تعالى " أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون "(١) فانا سنجد هم يتفقون على أن معنى عقلوه فهموه وضبطوه بعقولهم(٢) وهكذا سائر الآيات التى جاء بها ذكر العقل نجد ها كلها تدور حول معنى العلم والفهم والادراك والتدبر ، وبهذا ندرك أن المقصود من العقل فى القرآن الكريم هو العلم والفهم .

ومما يزيد الأمر وضوحا أن أكثر آيات القرآن الكريم جاءت على وجهين متقابلين(٣)

الوجه الاول

آيات تنعى على أولئك الذين لايعملون عقولهم التى وهبها الله اياهم وأنعم بها عليهم فعطلوها عن عملها الذى خلقها الله له . وانقادوا لشهواتهم ورغباتهم فأصبحوا كمن لاعقل له بل هم أضل .

الوجه الثانى

ويقابل ذلك النعي على أولئك دعوة من استعمل عقله الى أعماله على الوجه الأمثل حسب ارشاد القرآن الكريم وتوجيهاته وتوجيه أعماله وتفكيره وتدبره لما فيه الخير والصلاح والا صار وبالا على صاحبه وعلى مجتمعه .

---

(١) سورة البقرة : الآيه ٧٥

(٢) انظر تفسير بن كثير جـ ١ ص ١١٨ وتفسير الشوكانى (فتح القدير) جـ ١ ص ١٠٢ وتفسير ابى السعود جـ ١ ص ١١٦ وتفسير الخازن جـ ١ ص ٦٠ وتفسير القاسمى جـ ٢ ص ١٦٦ والتفسير الوسيط ص ١١٦

(٣) العقل مجالاته وآثاره فى ضوء الاسلام: رسالة اعدها لنيل درجة الماجستيرالشيخ عبد الرحمن بن زيد الزنيدى ص ٤٦

اذا فالمقصود فيما نرى بالعقل فى القرآن الكريم العقل المكتسب الناشىء عن حركة العقل الغريزى حركة يدرك بها الحق ويعمل به وينقاد اليه ويفهم بها الباطل فيحذره ويجتنبه مسترشدا بهذا وذاك بدليل الوحى وبدون هذه الحركة فان العقل الغريزى لا أثر له الا كونه حجة على صاحبه يوم القيامه .

فالقرآن اذا انما يستشير فينا تحريك العقل حتى يؤدى عمله وعمله الفقه والتفكر والتذكر والتدبر ولهذا فانا نرى القرآن الكريم يحث أحيانا كثيره على نتاج العقل اذ هو المراد وهو المقصود ولذلك نرى شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه اللهتعالى يقول " فالعقل لا يسمى به مجرد العلم الذى لم يعمل به صاحبه ، ولا العمل بلا علم ، بل انما يسمى به العلم الذى يعمل به والعمل بالعلم . ولهذا قال أهل النار " لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير " (١) وقال تعالى (أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها " (٢) (٣)

لا أريد أن أقول ان هذا هو العقل بكل اطلاقاته فلا مشاحّه فى الاصطلاح ولكن أريد أن أقول هذا هو المراد بالعقل فى القرآن الكريم وهذا هو العقل الذى يخاطبه ويوجه اليه أوامره كتاب الله ومن حرم منه فقد حرم أما من حرم الأول أعنى العزيزى فهو غير مكلف وبالتبع غير مخاطب . جعلنا الله واياكم ممن يسمعون كلامه فيعقلونه .

---

(١) سورة الملك من الآية : ١٠
(٢) سورة الحج من الآيه : ٤٦
(٣) رسالة فى العقل والروح : لابن تيمية ضمن مجموعة الرسائل المنيريه جـ ٢ ص ٣٤

مكانة العقل فى الاسلام :

وللعقل بعد هذا فى الاسلام منزلة كبيره ودرجة رفيعه ، يتبوأ فيها . ويتفيأ ظلالها ، فليس ثمة عقيدة تحترم العقل الانسانى وتعتمد عليه فى ترسيخها كالعقيدة الاسلامية ، وليس ثمة كتاب خاطب العقل وغالى بقيمته وكرامته ككتاب الاسلام ، ونظرة الى آيات القرآن الكريم تلقى عبارات " لعلكم تعقلون " " لقوم يتفكرون " " لقوم يفقهون" تتكرر عشرات المرات مؤكدة المنهج القرآنى الفريد فى الاقتناع العقلى للايمان كل هذا يؤكد ما للعقل من منزله كبرى في الاسلام .

واذا ما ذهبت تلتمس مظاهر أخرى عديدة لتكريم الاسلام للعقل برزت لك جوانب مشرقه اذكر منها : -

أولا : قيام الدعوة الى الايمان على الاقناع العقلى

وتظهر سمات ذلك بأساليب شتى ، مثل :-

١ - الدعوة الى التفكر والتدبر فى كتابه " كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب " (١) ثم يستثير العقل الانسانى متحديا له أن يأتى بمثل هذا القرآن حتى اذا ما عجز سلم مقتنعا بأنه من عند الله " قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات " (٢) " فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين ". (٣)

ودعا العقل الى التدبر فى مخلوقات الله "أولم يتفكروا فى أنفسهم ماخلق الله السموات والأرض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون " (٤) ثم يستثيره مرة أخرى أن يجد خللا فى

---

(١) سورة ص : آية ٢٩
(٢) سورة هود : آية ١٣
(٣) سورة الطور: آية ٣٤
(٤) سورة الروم : آية ٨

شئ منها حتى اذا ما عجز زاد تسليما واقتناعا " الذى خلق سبع سموات طبقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطــور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير " (١)

ودعاه الى التدبر فى تشريعاته ففيها عبرة وفيها اعجاز " ولكم فـى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون " (٢)

ودعاه الى التدبر والنظر فى أحوال الأمم الماضية وعاقبة معاصيهم التى أصروا عليها " قل سيروا فى الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين" (٣) " أو لم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الأرض مالم نمكن لكـم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم فأهلكناهـم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين " (٤)

ودعاه الى التدبر والنظر والتأمل فى هذه الحياه الدنيا ونعيمهـا الزائل " واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شئ مقتدرا" (٥)

هذه بعض مظاهر التأمل التى دعا القرآن العقل اليها وهو حين يدعوه الى ذلك لا يريد منه أن يقف عند حدود التأمل والنظر فليس ذلك بمـراد لذاته وانما ليعبر منه الى ثمرته وفائدته فيقوم به عقيدته ويرسى أركانهـا ويثبت قواعدها ثباتا لا تزعزعه هبات بل رياح الشهوات . وحينئذ يكـون الفلاح وحينئذ يكون الايمان الحق ذلكم هو المراد وهو الهدف . لكنـه ليس هـو نهاية المطـاف .

---

(١) سورة الملك : آية ٣ - ٤
(٢) سورة البقرة : آية ١٧٩
(٣) سورة الانعام: آية ١١
(٤) سورة الانعام: آية ٦
(٥) سورة الكهف : آية ٤٥

ثانيـــا :

وحين يصل القرآن بالعقل الى هذه الدرجه فانه لا يدعه هملا بل وجه طاقته الى هدف آخر أوسع رقعه وأعظم نتيجه تلكم هي مراقبة الحياة الاجتماعية مراقبة اصلاح وتوجيه لما فيه فلاحها وسعادتها " ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون " (١)

وليست هذه المهمه لاصلاح المجتمع مسئولية المجتمع كله فحسب بل هى مسئوليه كل فرد فيه فلا قيمة للصلاح اذا اقتصر على اصلاح الذات ولم يتسع لاصلاح الآخرين مع القدره على ذلك " " واتقوا فتنه لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة " (٢) " لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون " (٣)

ثالثـــا :

والقرآن حين يدعو الى الايمان ينعى على المقلدين الذين لا يعملون عقولهم ، ويتبعون نظريات واهيه وآراء زائغه لا لشئ الا لأنهم ألفوا آباءهم عليها " واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون " (٤) وحذر من هذا السلوك وأن يتبع الانسان ما ليس له به علم " ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا " (٥)

---

(١) سورة آل عمران : آيه ١٠٤
(٢) سورة الانفال : آيه ٢٥
(٣) سورة المائدة : الايتين ٧٨ - ٧٩
(٤) سورة البقرة : الآيه ١٧٠
(٥) سورة الاسراء : الآيه ٣٦

رابعـا :

وكرمه ودعاه الى العلم وطلبه وقرن سبحانه ذكر أولى العلم بذكره عز وجل وذكر ملائكته " شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم " (١)

وجعل العلم مشاعا لأنه غذاء العقل ولعن أولئك الذين يحتكرونه " ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم " (٢)

خامسا :

وكرمه فأسند اليه استنباط الأحكام فيما لا يوجد فيه نص من كتاب أو سنه أو اجماع .

سادسا :

وتوج تكريمه له بالأمر بالمحافظة عليه وتحريم كل ما يغطى فعله وأثره فضلا عما يزيله فحرم شرب الخمر " انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه " (٣) وجعل فيه الدية كاملة على من تسبب فى أزالته عن آخر (٤)

لكن الاسلام مع هذا التكريم كله وهذا الاهتمام حد للعقل حدودا هي كل ما يستطيع تبينه وحذره من الولوج فيما لا يستطيع ادراكه خشية عليه وحرصا على سلامته حتى لا يضل ويضل وكيف له وهو المخلوق أن يدرك

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٨
(٢) سورة البقرة الآيتين ١٥٩ - ١٦٠
(٣) سورة المائدة : من الآيه ٩٠
(٤) انظر المغنى لابن قدامه : جـ ٨ ص ٣٧

ذات الخالق بل أنى له أن يدرك كل المخلوقات ؟ ! فليؤمن بما استطاع ادراكه وليبنى على ما أدرك ما لم يدرك : وما أعظمها من شفقه حين قال عليه الصلاة والسلام " لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هنا ، خلق الله الخلق فمن خلق الله ؟ فمن وجد من ذلك شيئا فليقل آمنت بالله " (١)

وما أعظمه من توجيه " يسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى " (٢) صرف الجواب عن ماهيتها لأنه ليس من شؤون العقل ولا من مداركه .

توجيه وشفقه هما التوجيه السديد حتى لا يتيه العقل فى ما ليس من دركه وليس من طاقته وهما لا شك تكريم وأى تكريم .

ولذا كان الصحابه رضى الله عنهم لا يخوضون فيما لا يستطيعون دركه ومعرفته فهذا عمر رضى الله عنه يقرأ على المنبر " وفاكهة وأبا " (٣) فقال هذه الفاكهه قد عرفناها فما الأب ؟ ثم رجع الى نفسه فقال ان هذا لهو التكلف ياعمر (٤)

وليس هذا من عمر بالتسليم الأعمى كما يعبر عنه أو بمطلق التقليد بل هو وقوف منه عند حد المعرفه الواجبه وأعراض عما زاد عنها مما هو تكلف فهو وغيره يعرف أن " أبا " نبت يخرج من الأرض بدليل سياق الآيات " فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا " الايات (٣) .

والأمثله على وقوف السلف عند حدود المعرفه الواجبه وترك التكلف فيما بعد ذلك كثيره

---

(١) رواه مسلم كتاب الايمان جـ ١ ص ١١٩
(٢) سورة الاسراء : من الآية : ٨٥
(٣) سورة عبس : الآيات ٢٧ - ٣١
(٤) مجموع فتاوى بن تيمية : جـ ١٣ ص ٣٧٢

وعلى هذا مضى المسلمون فى العصر الأول من الاسلام عرفوا ما للعقل فد رسوه وما ليس له فاجتنبوه بل اجتنبوا من عرف بالأهواء والسؤال عن المتشابه فهذا " صبيغ بن عسل " جعل يسأل عن متشابه القرآن فى أجناد المسلمين حتى قدم مصر فبعث عمرو بن العاصى به الى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما فلما أتاه الرسول بالكتاب فقرأه قال أين الرجل ؟ أبصر لا يكون ذهب فتصيبك منى العقوبه الوجيعه فأتى به فقال عمر بسبيل محدثه فضربه وأعاده الى أرضه وكتب الى أبى موسى الأشعرى أن لا يجالسه أحد من المسلمين قال أبو عثمان النهدى فلو جاءنا ونحن مئه لتفرقنا عنه (١)

ثم لم تزل هذه الأمور تتسع حتى تكلم معبد بن خالد الجهنى فى القدر فقال " لا قدر والأمر أنف " (٢) وقد أخذ عن معبد هذا غيلان الدمشقى (٣) الذى نشره بين المسلمين وقتل من أجله وقد أنكر عليهم مذهبهم هذا من كان حيا من الصحابه كعبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله وأبو هريره وابن عباس وانس بن مالك وعبد الله بن أبى أوفى وعقبه بن عامر الجهنى (٤)

وأساس مذهب القدرية انكار القدر وأن للانسان الحرية المطلقة فى أفعاله لا سلطان لأحد على ارادته .

وفى مقابل هؤلاء نشأت فرقة أخرى تقول بأن الانسان مجبور على الفعل لا اختيار له ولا قدره كالريشه فى الهواء وتعددت الفرق بعد هذا وافترقت .

---

(١) تهذيب تاريخ بن عساكر : هذبه عبد القادر بن أحمد الدومي المعروف بابن بدران ج ٦ ص ٣٨٥

(٢) تبيين كذب المفترى فيما نسب الى الامام أبى الحسن الاشعرى : لابن عساكر الدمشقى ص ١٠

(٣) تهذيب التهذيب : ابن حجر ج ١ ص ٢٣٦

(٤) الفرق بين الفرق : عبد القاهر البغدادى ص ١٥

ولم تزل العلوم العقليه بعد هذا تنمو وتتسع متوازنه مع توسع الفتوحات الاسلامية ومع دخول الناس على اختلاف مشاربهم وتعدد منازعهم وتنوع رغباتهم وحقائقهم فى الاسلام اتسعت هذه العلوم فترجمت العلوم الى العربية وأقبلوا بصفة خاصة على الفلسفة اليونانية لحاجتهم اليها فى الجدل والمناظره فتجاوز الحديث عن المنطق أدناه الى الحديث عن حدوده وقضاياه وأقيسته فظهرت فى المؤلفات عبارات واصطلاحات ومدلولات لم يكن لها سابق وجود فتحدثوا عن العرض والهيولى والجوهر والصورة والقياس والقضايا السالبه والموجبه .

ومن الطريف أن العقل نفسه لم يسلم من هذا التنازع فتنازعت فيه طوائف طائفه تمجده وترفع من مقامه الى درجه تقديسه واعطائه أكثر من حقه وعرف هؤلاء بالمعتزله ولهذا أسماهم بعض المستشرقين بـ "العقليين"[1] أو المدرسة العقلية الأولى .

وفى مقابل هؤلاء ذهبت طائفه الى احتقار العقل وامتهانه واعتقدوا فى بعض البله والمجانين وزعموا أنهم أولياء وفضلوهم على متبعى طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم[2]

ولكل من هؤلاء وأولئك شبهات وضلالات والحق وسط بينهما تجاوزه الأولون فضلوا وقصر دونه الآخرون فضلوا واستقر السلف وما زالوا على عرشه فاهتدوا وما زالوا مهتدين .

---

(١) ضحى الاسلام : أحمد أمين ج ٣ ص ٨٩

(٢) شرح العقيدة الطحاوية : على بن على بن أبى العز الحنفي ص ٥٧٣

نشأة المدرسة العقلية الاجتماعية الحديثة :

كانت هذه صورة عن بعد للموقف من العقل في ضحى الاسلام لكنها لم تلبث أن هدأت ان لم تكن خمدت تبعا للشعوب الاسلامية التى أنهكتها الحروب الصليبية وهجمات التتار والمآسى والنكبات التى مرّ بها العالم الاسلامى التى أسلمته الى فترة البيات وليس بياتا شتويا وانما بياتا طويلا أخلد فيها العالم الاسلامى الى الدعه وآثر السكون والخمول .

فتداعت عليه الأمم كما تتداعى الأكله على قصعتها فأكلوا منه وشربوا وراحوا يقتسمون البلاد ويستخرجون ثرواتها وأهلها نائمون .

وأمست البلاد الاسلامية كافة تحت سيطرة البلاد الأوروبية التى استغلت خيراتها وثرواتها وكان أن استيقظ نفر على هذا الضجيج الحضارى فكانوا تماما كنفر ناموا حقيقة ثم وقع على رؤوسهم وهم نائمون جلبه وضوضاء مفزعة فقامت طائفة مضطربه تقفز يمنه ويسره على غير هدى وتتكلم بكلام هو وليد دهشتها ورعبها وقامت طائفة أخرى بهدوء وسكينه فهللوا وكبروا وذكروا الله فأنزل الله على قلوبهم السكينة .
ولم تزل الطائفة الثالثة نائمة لم تشعر بشيء وأنى لهم ؟! تلكم الطوائف الثلاث هى واقع فى المسلمين - فيما أحسبه - فى نهضتهم الحديثه قامت طائفة كما قام الأولون منذ هشين مبهورين فزعين مضطربين يدعون الى الحضارة الغربيه دعوة عمياء وينعقون بما لا يفهمون أو بما يفهمون ولا يعقلون ، وقام الآخرون فنظروا بعيون بصيره وقلوب مطمئنه فاختاروا السبيل السوى ودعوا اليه . ولم تزل الطائفه النائمة تغط فى سبات عميق .

أما العدو الصائل فقد أعد للأمر عدته فأقصى اصحاب الثقافة الدينية أصحاب القلوب المطمئنة عن ميادين الاصلاح الاجتماعي وحصر وظائفهم فى المساجد الذين قل روادها عموما ، وسلم المضطربين الفزعين الوظائف الحكومية وأدوات التوجيه الاجتماعى فكانوا لا يسيرونها الا بوحى وتوجيه منه وكان المراد ؟! وأبقى على النائمين نومهم .

فكان للاستعمار - بل الاستهدام - ان صح التعبير السيطره على أجهزة التعليم فى كثير من البلاد الاسلامية فضلا عن جهوده الدائبه لنشر التغريب واللادينية بكل الوسائل الممكنه وأوهموا الناس أن حالة العالم الاسلامى تماما كحالة أوروبا فى العصور الوسطى وأنه لن ينهض الا بما نهضت به أوروبا من فصل السلطة الدينيه عن السلطة المدنية ومن . . ومن . . . ومن وبذلك يتحقق له ما تحقق للأوروبيين .

ودهش علماء المسلمين دهشة وأى دهشه وأنى يسمع لهم صوت وسط هذا الضجيج وأنى يسمع لهم صوت وأفواههم مكممه ونادوا بقدر ما يستطيعون وذهبوا يردون على تلك الأفكار والمذاهب بأساليب وطرق شتى .

وحاولت فئة منهم التقريب والتوفيق بين العلم والدين وبنيت للناس أن الدين الاسلامى الحق لا يجارب العلم الصحيح ولا ينافى العقل الصريح وبينت للناس أن الاسلام دين العقل . . والحرية . . . . . والفكر وذهبت تبين لهم ذلك المنهج وتقيم الدين الاسلامى على العقل - الذى لا يقر أرباب الثقافة الغربية غيره حكما - وبينت أن ليس فى الاسلام ما لا يقره العقل وحاولت أن تفسر القرآن الكريم على هذا المنهج وهذا الأساس فكانت بحق المدرسة العقلية الاجتماعية .

وكان لهذه المدرسة رجال وكان لها مفسرون لهم نشاط واسع فى نشر هذه الثقافة ومكافحة الاستعمار ومقاومة الهجوم على الدين عامة والدين الاسلامى خاصة والقاء تبعة التخلف الحضارى عليه .

وكان من رجال هذه المدرسة المؤسسين لها جمال الدين الأفغاني وتلميذه ومحمد عبده وتلاميذه محمد مصطفى المراغي ومحمد رشيد رضا وغير هؤلاء كثير .

وسميت حركتهم هذه بالنهضة الاصلاحية وكان لها جوانب اصلاحية محموده وكان لها بجانب هذا شطحات ما كانوا ليقعوا فيها لولا تطرفهم في تحكيم العقل في كل الأمور حتى جاوزوا الحق والصواب في أمور لا تخفى .

والمتمعن في طريقتهم في التفسير يجد أسسا واضحة بينه يقوم عليها تفسيرهم ويرتكز وهذا أوان بيان هذه الأسس .

منهج المدرسة العقلية الاجتماعية في التفسير :

يقوم منهج التفسير لدى المدرسة العقلية الاجتماعية على أسس متعدده ولئن كان لا يسعنا أن نطيل الحديث في بيانها فانه لا يسعنا أن نوجزه ايجازا مخلا فليكن أمرنا فيه وسطا بين هذا وذاك والأسس التي استطعت أن أضبطها هي :-

الاساس الأول :

الوحده الموضوعيه في القرآن الكريم

وقد أيد كثير من علماء السلف الوحده الموضوعيه في القرآن الكريم ومنهم ابن العربي الذي قال " ارتباط أي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم "(١)

وقال ولي الدين الملوي رادا على من أنكر الوحده الموضوعية " قد وهم من قال لا يطلب للآي الكريمه مناسبه " الى أن قال " والذي ينبغي في كل آيه أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكمله لما قبلها أو مستقلة ثم المستقلة ما وجه مناسبتها ففي ذلك علم جم وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له "(٢)

---

(١) الاتقان في علوم القرآن : السيوطي جـ٢ ص١٠٨ والبرهان : للزركشي جـ١ ص٣٦
(٢) الاتقان : السيوطي جـ ٢ ص ١٠٨

ومال رجال المدرسة العقلية الاجتماعية الى هذا الرأى فقالوا بالوحده الموضوعيه فى سور القرآن الكريم وعدوه أساسا فى فهم القرآن الكريم فقال محمد رشيد رضا " من نظر فى ترتيب السور كلها فى المصحف يرى أنه قد روعى فى ترتيبها الطول والتوسط والقصر فى الجمله ومن حكمته أن فى ذلك عونا على تلاوته وحفظه فالناس يبدءون بقراءته من أوله فيكون الانتقال من السبع الطوال الى المئين فالمثانى فالمفصل أنفى للمل وأدعى الى النشاط ، ويبدءون بحفظه من آخره لأن ذلك أسهل على الأطفال ، ولكن في كل قسم من الطول والمئين والمفصل تقديما لسور قصيره على سور أطول منها ، ومن حكمة ذلك أنه قد روعى التناسب فى معانى السور مع التناسب فى الصور أى مقدار الطول والقصر " (١)

ثم تحدث رحمه الله تعالى عن التناسب بين سور البقره وآل عمران والنساء والمائده والأنعام ، أما الفاتحة فلم يراع مناسبتها لما بعدها وحده اذ هى فاتحة القرآن كله فقال عن المناسبة بين هذه السور " سورة البقره أجمع سور القرآن لأصول الاسلام وفروعه ففيها بيان التوحيد والبعث والرسالة العامة والخاصة وأركان الاسلام العمليه وبيان الخلق والتكوين وبيان أحوال أهل الكتاب والمشركين والمنافقين فى دعوة القرآن ومحاجة الجميع وبيان أحكام المعاملات المالية والقتال والزوجية ، والسور الطوال التى بعدها متممه لما فيها فالثلاث الأولى منها مفصله لكل مايتعلق بأهل الكتاب ، ولكن البقرة أطالت فى مجاجة اليهود خاصة ،، وسورة آل عمران أطالت فى محاجة النصارى فى نصها الأول ، وسورة النساء حاجتهم فى أواخرها واشتملت فى اثنائها على بيان شئون المنافقين مما أجمل فى سورة البقرة ، ثم أتمت سورة المائدة محاجة اليهود والنصارى

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٧ ص ٢٨٧

فيما يشتركان فيه وفيما ينفرد كل منهما به ، ولما كان أمر العقائد هو الاهم المقدم في الدين وكان شأن أهل الكتاب فيه أعظم من شأن المشركين قدمت السور المشتمله على محاجتهم بالتفصيل وناسب أن يجئ بعدها ما فيه محاجه المشركين بالتفصيل وتلك سورة الأنعام لم تستوف ذلك سورة مثلها فهى متممه لشرح ما فى سورة البقرة مما يتعلق بالعقائد وجاءت سورة الأعراف بعدها متممه لما فيها ومبينه لسنن الله تعالى فى الأنبياء المرسلين وشئون أممهم معهم وهى حجةعلى المشركين وأهل الكتاب جميعا ولكن سورة الأنعام فصلت الكلام فى ابراهيم الذى ينتمى اليه العرب وأهل الكتاب فى النسب والدين ، وسورة الأعراف فصلت الكلام فى موسى الذى ينتمى اليه أهل الكتاب ويتبع شريعته جميع أنبيائهم حتى عيسى المسيح عليه الصلاة والسلام .

ولما تم بهذه السورة تفصيل ما أجمل فى سورة البقره من العقائد فى الالهيات والنبوات والبعث ناسب أن يذكر بعدها ما يتم ما أجمل فيها من الأحكام ولا سيما أحكام القتال والمنافقين ، وكان قد فصل بعض التفصيل فى سورة النساء فكانت سورتا الانفال والتوبه هما المفصلتين لذلك وبهما يتم ثلث القرآن "[1]

وقال أيضا بهذا القول من رجال المدرسة العقلية الاجتماعية محمود شلتوت رحمه الله تعالى فقال " ان جميع ما فى القرآن وان اختلفت أماكنه وتعددت سوره وأحكامه فهو وحدة عامة لا يصح تفريقه فى العمل ولا الأخذ ببعضه دون البعض"[2]

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٧ ص ٢٨٨ - ٢٨٩

(٢) الاسلام عقيدة وشريعه : محمود شلتوت ص ٤٨٧

ولتأكيد الوحدة الموضوعية بين سور القرآن الكريم نرى رجال المدرسة العقلية الاجتماعية يوازنون بين التفاسير فيختارون منها ما يرونه ملتئما مع السياق ولهذا فلربما استعرضوا آراء المفسرين السابقين فى تفسير آية أو كلمه قرآنية ورفضوها لمخالفتها لهذا الأساس فالامام محمد عبده رحمه الله تعالى يقول مثلا عند تفسيره لقوله تعالى " ما ننسخ من آية أوننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شىء قدير" (١) يستعرض آراء المفسرين ثم يقول بعد ذلك " هذا تقرير ما جرى عليه المفسرون فى الآيات واذا وازنا بين سياق آية " ماننسخ " وآية " واذا بدلنا آية مكان آيه " (٢) نجد أن الأولى ختمت بقوله تعالى " ألم تعلم أن الله على كل شىء قدير " (١) والثانية بقوله " والله اعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر " (٢) ونحن نعلم شدة العناية فى أسلوب القرآن بمراعاة هذه المناسبات فذكر العلم والتنزيل ودعوى الافتراء فى الآيه الثانية يقتضى أن يراد بالآيات فيها آيات الأحكام وأما ذكر القدره والتقرير بها فى الآية الاولى فلا يناسب موضوع الأحكام ونسخها وانما يناسب هذا ذكر العلم والحكمة فلو قال " ألم تعلم أن الله عليم حكيم " لكان لنا أن نقول انه أراد نسخ آيات الأحكام لما اقتضته الحكمه من انتهاء الزمن أو الحال التى كانت فيها تلك الأحكام موافقة للمصلحه وقد تحير العلماء في فهم الانساء على الوجه الذى ذكروه حتى قال بعضهم ان معنى " ننسها " نتركها على ما هى عليه من غير نسخ وأنت ترى أن هذا وان صح لغة لايلتئم مع تفسيرها اذ لامعنى للاتيان بخير منها مع تركها على حالها غير منسوخة (قال) (٣) والمعنى الصحيح الذى يلتئم مع السياق الى آخره أن الآية

---

(١) سورة البقرة : الآيه : ١٠٦

(٢) سورة النحل : من الاية : ١٠١

(٣) أى الاستاذ الامام محمد عبده

هنا هى ما يؤيد الله تعالى به الأنبياء من الدلائل على نبوتهم أى (ما ننسخ من آية) نقيمها دليلا على نبوة نبى من الأنبياء أى نزيلها ونترك تأييد نبى آخر بها أو ننسها الناس لطول العهد بمن جاء بها فاننا بما لنا من القدره الكاملة والتصرف فى الملك نأتى بخير منها فى قوة الاقناع واثبات النبوه أو مثلها فى ذلك ومن كان هذا شأنه فى قدرته وسعة ملكه فلا يتقيد بآية مخصوصه يمنحها جميع أنبيائه "[1]

وانطلاقا من هذا الأساس لدى رجال المدرسة العقلية الاجتماعية فانا نرى الأستاذ محمد عبده يرفض تحديد فجر بعينه أو ليال عشر بعينها من قوله تعالى " والفجر وليال عشر "[2] بل هما مطلقان والعله فى ذلك الوحدة الموضوعيه فى آيات القرآن الكريم قال " كثر خلاف المفسرين والرواة فى معنى كل من الفجر وليال عشر الى آخر ما اقسم به وقد يفسر الواحد منهم الفجر بمعنى ثم يأتى فى الليالى العشر بما لا يلائمه وغالب ذلك يجرى على خلاف ما عودنا الله فى نسق كتابه الكريم وقد جرت سنة الكتاب بأنه اذا أريد تعيين يوم أووقت ذكره بعينه : كيوم القيامة فى " لا اقسم بيوم القيامه "[3] وكاليوم الموعود فى سورة " والسماء ذات البروج" وكليلة القدر فى سورتها فاذا أطلق الزمن ولم يقيد كان المراد ما يعمه معنى الاسم كما سبق فى قوله : والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس"[4] فالفجر هنا -على هذا هو جنس ذلك الوقت المعروف الذى يظهر فيه بياض النهار فى جلد الليل الأسود ، وينبعث الضياء لمطاردة الظلام وهو وقت تنفس الصبح وهو معهود فى كل يوم فصح أن يعرف بالألف واللام"[5] وقال نحو هذا فى " ليال عشر " .

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٤١٦ - ٤١٧
(٢) سورة الفجر : الايتين ١ ،٢ (٣) سورة القيامة : الاية الاولى
(٤) سورة التكوير: الايتين ١٧- ١٨
(٥) تفسير جزء عم : محمد عبده ص ٧٦

واستنادا الى هذا الأساس أيضا ينفى عن تفسير الآية القرآنية كل مالا يتفق عنده مع مفهوم الوحده الموضوعيه فى القرآن الكريم فتراه ينفى عن قوله تعالى " وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم "(1) الآيات ينفى الأستاذ الامام عن تفسير هذه الآيات قصة الغرانيق التى يلصقها بعضهم فى تفسير الآيه فقال " ما أقرب هذه الآيات فى مغازيها الى قوله تعالى فى سورة آل عمران " هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنه وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الالباب"(2) وقد قال بعد ذلك " ان الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك هم وقود النار"(3) ثم قال " قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد "(4) الخ الآيات ، وكأن احدى الطائفتين من القرآن شرح للأخرى فالذين فى قلوبهم زيغ هم الذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم ، والراسخون فى العلم هم الذين أوتوا العلم وهؤلاء هم الذين يعلمون أنه الحق من ربهم فيقولون آمنا به كل من عند ربنا فتخبت له قلوبهم وان الله ليهديهم الى صراط مستقيم وأولئك هم الذين يفتتنون بالتأويل ، ويشتغلون بقال وقيل بما يلقى اليهم الشيطان ويصرفهم عن مرامى البيان ويميل بهم عن محجة الفرقان وما يتكئون عليه من الأموال والأولاد لن يغنى عنهم من الله

---

(1) سورة الحج الآيه : ٥٢
(2) سورة آل عمران : الآيه ٧
(3) سورة آل عمران الآيه ١٠
(4) سورة آل عمران الايه ١٢

شيئا فستوافيهم آجالهم ، وتستقبلهم أعمالهم ، فان لم يوافيهم الأجل على فراشهم فسيغلبون فى هراشهم [(١)] وهذه سنة جميع الأنبياء مع أممهم وسبيل الحق مع الباطل من يوم رفع الله الانسان الى منزلة يميز فيها بين سعادته وشقائه ، وبين ما يحفظه وما يذهب ببقائه ، وكما لا مدخل لقصة الغرانيق فى آيات آل عمران لا مدخل لها فى آيات سورة الحج " [(٢)]

وبهذا الأساس أيضا فسر الأستاذ عبد القادر المغربى " المرسلات" بالرياح قائلا " وقلما ذكر القرآن اطلاق الرياح الا عبر عنه بفعل أرسل ففى سورة فاطر " والله الذى أرسل الرياح " [(٣)] وفى الحجر " وأرسلنا الرياح لواقح " [(٤)] وفى الأحزاب " فأرسلنا عليهم ريحا " [(٥)] وفى الأعراف " وهو الذى يرسل الرياح " [(٦)] وفى الروم " ومن آياته أن يرسل الرياح" [(٧)] وفى آيات أخرى غيرها فقوله تعالى هنا " والمرسلات " من هذا القبيل" [(٨)]

ويتضح مدى التزامهم لهذا الأساس حين نراهم يذمون رواة أسباب النزول الذين عمدوا الى الآيات ذوات أسباب النزول ليفردوها عن بقية الآيات ويتناولوها بالتفسير والشرح من هذا الجانب وهم بهذا - كما يقول الاستاذ محمد رشيد رضا - يمزقون الطائفة الملتئمة من الكلام الالهي يجعلون القرآن عضين متفرقه بما يفككون الآيات ويفصلون بعضها من بعض

---

(٢) الاثاره الثالثة : محمد عبده ص ١٨٢ - ١٨٤ ضمن تفسير الفاتحة وست سور من خواتيم القرآن رشيد رضا .

(٣) سورة فاطر : من الآيه ٩

(٤) سورة الحجر : من الآيه ٢٢

(٥) سورة فصلت : من الآية ١٦

(٦) سورة الاعراف من الاية ٥٧

(٧) سورة الروم : من الآيه ٤٦

(٨) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربى ص ١٢٦

(١) الهراش : المواثبة والمخاصمه

وبما يفصلون بين الجمل الموثقه فى الآيـه الواحده فيجعلون لكل جملة سببا مستقلا كما يجعلون لكل آية من الآيات الواردة فى مسألة واحدة سببا مستقلا " (١)

تلكم أمثله يظهر منها التزامهم للقول بالوحدة الموضوعية فى القرآن الكريم التزاما يجعله أساسا من الأسس البارزه فى منهجهم .

الأساس الثانى :

الوحده الموضوعيه فى السوره القرآنيه

وهو كالأساس الذى قبله من الأسس الواضحه فى منهج المدرسة العقلية الاجتماعية فى التفسير وقد وقف العلماء السابقون منه موقفهم من سابقه أيضا بين منكر ومؤيد .

طائفة قالت بالتناسب بين آيات القرآن الكريم وتناسقها ومنهم الشيخ ولي الدين الملوى الذى قال " قد وهم من قال لا يطلب للآى الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المفرقه وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلا وعلى حسب الحكمه ترتيبا وتأصيلا فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف كما أنزل جمله الى بيت العزه ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر والذى ينبغى في كل آيه أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكمله لما قبلها أو مستقله ثم المستقلة ماوجه مناسبتها لما قبلها ففى ذلك علم جم وهكذا فى السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له " (٢) وقال بالمناسبه أيضا الامام الشاطبي (٣) والامام السيوطى (٤) وغيرهم .

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٢ ص ١١
(٢) الاتقان للسيوطى جـ ٢ ص ١٠٨
(٣) انظر الموافقات : الشاطبى جـ ٤ ص ٤١٤ - ٤١٥
(٤) انظر الاتقان : السيوطى جـ ٢ ص ١١٠

وذهبت طائفة أخرى الى أن القرآن الكريم لم يأت على نسق الكتب الموضوعيه اذ ليست له مقدمه وليست فيه مباحث موضوعيه .. مرتبه .. لها مقاصد وأغراض في فصول وأبواب وانما كان القرآن مشتملا على عدة سور كل سوره منه احتوت على آيات متعدده كل آيه في غرض . فهذه للوعظ وتلك للزجر ، وهذه قصه وأخرى لحكم من الأحكام ، وآخرى لوصف الجنه أوالنار (١)

وقد عاب الامام عز الدين بن عبد السلام ذلك وعد طالبه متكلفا حيث قال " المناسبة علم حسن لكن يشترط في حسن ارتباطه الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره فان وقع على أسباب مختلفه لم يقع فيه ارتباط ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدرعليه الا بربط ركيك يصان عن مثله حسن الحديث فضلا عن أحسنه فان القرآن نزل في نيف وعشرين سنه في أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض " (٢)

وكما قال رجال المدرسة العقلية الاجتماعية بالوحدة الموضوعيه في القرآن الكريم قالوا بالوحدة الموضوعيه في السورة القرآنية فقال الشيخ عبد العزيز جاويش " قد يغفل المفسر عما بين آيات القرآن من الارتباط والتناسب وما قد يفيد بعضها بعضا من البيان أو التقييد فيأخذها بالتأويل مفككه العرى مبدده النظم حتى اذا استعصى عليه أمرها ونبا عقله عن فهمها لا يزال يركب في تأويلها صعاب المراكب ويلتمس بلوغ معانيها بتسنم الجبال وقطع السباسب وقلما سلمت اقدامهم من العثار أو استطاعوا ابراز ما فيها من الآثار " (٣)

---

(١) الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم : محمد محمود حجازى ص ١٣
(٢) الاتقان : السيوطى ج ٢ ص ١٠٨
(٣) اسرار القرآن : عبد العزيز جاويش ص ١١٧

وكما ردوا من التفاسير التفسير الذى يخالف الوحده الموضوعية فى القرآن فانهم يردون من هنا ما يخالف الوحده الموضوعية فى السوره أو هدفها العام حتى جعلوا هذا الأخير أساسا فى فهم آياتها ولذلك فانا نرى - مثلا - الأستاذ الامام محمد عبده يرفض تفسير الرزق فى قوله تعالى " كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا " [1] بأنه كان يجد عندها فاكهه الصيف فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى الصيف . ويؤكد هذا الرفض بقوله " والله لم يقل ذلك ولا قاله رسوله صلى الله عليه وسلم ولا هو مما يعرف بالرأى ولم يثبته تاريخ يعتد به ، والروايات عن مفسرى السلف متعارضه وفى أسانيدها ما فيها " ثم أورد التفسير الذى يراه موافقا للهدف العام للسوره فقال " وأنت ترى أنه لا دليل فى الآيه على أن الرزق كان من خوارق العادات واسناد المؤمنين الأمر الى الله فى مثل هذا المقام معهود فى القديم والحديث " ثم قال " أما ماسيقت القصة لأجله وهو الذى يجب أن نبحث فيه ونستخرج العبر من قوادمه وخوافيه فهو تقرير نبوة النبى صلى الله عليه وسلم ودحض شبه أهل الكتاب الذين احتكروا فضل الله وجعلوه خاصا بشعب اسرائيل وشبه المشركين الذين كانوا ينكرون نبوته لأنه بشر ، وبيان ذلك أن المقصد الأول من مقاصد الوحى هو تقرير عقيدة الألوهيه وأهم مسائلها مسألة الوحدانية وتقرير عقيده البعث والجزاء وعقيدة الوحى والأنبياء وقد افتتحت السورة بذكر التوحيد وانزال الكتاب ثم كانت الآيات من أولها الى هذه القصة أو قبيل هذه القصة فى الألوهية والجزاء وبعد البعث بالتفصيل وازالة الشبهات والأوهام فى ذلك ثم بين أن الايمان بالله وادعاء حبه ورجاء النجاة فى الآخره والفوز بالسعادة فيها انما تكون باتباع رسوله وقفى على ذلك بهذه القصه التى تزيل شبه المشركين وأهل الكتاب فى رسالته وتردها على وجوههم .

---

(١) سورة آل عمران : من الآيه ٣٧

رد عليهم بما يعرفونه من أن آدم أبو البشر وان الله اصطفاه . . ومن اصطفاء نوح . . ومن اصطفاء ابراهيم . . فاذا كان الأمر له فى اصطفاء من يشاء من عباده وبذلك اصطفى هؤلاء على عالمى زمانهم فما المانع له من اصطفاء محمد صلى الله عليه وسلم بعد ذلك العالمين كما اصطفى أولئك "[1] .

وكما رد الامام محمد عبده قصة الغرانيق التى يوردها بعض المفسرين فى تفسيرهم لقوله تعالى " وما أرسلنا من قبلك من رسول الا اذا تمنى القى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم "[2] كما رد قصة الغرانيق لالتزامه الوحدة الموضوعيه فى القرآن الكريم فان أنكرها أيضا لالتزامه الوحدة الموضوعية فى السورة القرآنيه فقال " والآن أرجع الى تفسير الآيات على الوجه الذى تحتمله ألفاظها وتدل عليه عباراتها والله أعلم " ثم استعرض هذه الآيات قائلا " ذكر الله لنبيه حالا من أحوال الأنبياء والمرسلين قبله ليبين لهم سنته فيهم وذلك بعد أن قال " وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير "[3] الى آخر الآيات ثم قال " يا أيها الناس انما أنا لكم نذير مبين فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا فى آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى . . . "[4] . . . . الخ

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٣ ص ٢٩٣ - ٢٩٤

(٢) سورة الحج : مالآيه ٥٢

(٣) سورة الحج : الآيات ٤١ - ٤٤

(٤) سورة الحج : الآيات ٤٩ - ٥٢

فالقصص السابق كان فى تكذيب الامم لأنبيائهم ثم تبعه الأمر الالهى لأن يقول النبى صلى الله عليه وسلم لقومه انى لم أرسل اليكم الا لأنذركم بعاقبة ما أنتم عليه ولأبشر المؤمنين بالنعيم وأما الذين يسعون فى الآيات والأدلة التى أقيمها على الهدى وطرق السعادة ليحولوا عنها الأنظار ويحجبوها عن الأبصار ويفسدوا أثرها الذى اقيمت لأجله ويعاجزوا بذلك النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أى يسابقوهم ليعجزوهم ويسكتوهم عن القول وذلك بلعبهم بالألفاظ وتحويلهم عن مقصد قائلها - كما يقع عادة من أهل الجدل والمماحكه - هؤلاء الضالون المضلون هم أصحاب الجحيم وأعقب ذلك بما يفيد أن ما ابتلى به النبى صلى الله عليه وسلم من المعاجزه فى الآيات قد ابتلى به الأنبياء السابقون فلم يبعث نبىّ فى أمة الا كان له خصوم يؤذونه بالتأويل والتحريف ويضادون أمانيه ويحولون بينه وبين ما يبتغى بما يلقون فى سبيله من العثرات فعلى هذا المعنى الذى يتفق مع ما لقيه الانبياء جميعا يجب أن تفسر الآية"[1] ثم ذكر تفسيرين للآية يتفقان مع القول بالوحدة الموضوعيه فى السورة القرآنيه وفى السور القرآنية .

وقد برزت ظاهرة فى تفاسير أصحاب المدرسة العقلية الاجتماعية الا وهى اهتمامهم ببيان الغرض العام فى السورة حتى يكون محور ارتكاز فى التفسير .

الأساس الثالث :

تحكيم العقل فى التفسير

لا ينكر صاحب لب ما للعقل من قيمة وما له من مكانة كبيره فى الحياة عامة ولا ينكر صاحب فهم وعلم ما له من قيمة ومكانه فى الاسلام أيضا تشهد لذلك النصوص العديدة والآثار البارزة والعلامات البينة كلها تدل عليه وتشير اليه .

---

(١) الاثارة الثالثة : الامام محمد عبده ص ١٧٨ - ١٨٠

دعا الاسلام الى استعمال العقل فى مواضع عديدة " كذلك يحى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون " (١) " كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون " (٢) وغير هذا كثير (٣)

وذم الاسلام بعض الأفعال لمخالفتها العقل " ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون " (٤) " تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون " (٥) " اف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون " (٦) وغير هذا كثير (٧)

وذكر الاسلام من أسباب دخول النار عدم الاهتداء بالعقل " وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير " (٨)

هذه بعض أمثله على مكانة العقل فى الاسلام بعضها يرسى له مكانة سامية ودرجة عالية - ومع هذا التكريم فقد كرمه مرة أخرى تكرمة عدها بعض من لا علم له ولا معرفة امتهانا وعدها ذوو العقول والألباب لا تقل عن سابقها من المكارم تلكم المكرمة أنه حد له حدودا لا يتجاوزها ورسم له مراسم لا يتعداها لا لشىء الا لأنه سيضل فيها ويتيه ولا لشىء الا لأنها فوق مداركه وفوق قدراته وطاقاته ومن الخير له كل الخير أن يقف دونها لا يخوض فيها وفى هذا ولا شك تكريم له وأى تكريم .

---

(١) سورة البقرة : من الآية ٧٣
(٢) سورة البقرة : من الآية ٢٤٢
(٣) مثلا آل عمران : الايه ١١٨ والنحل الآيه ١٢
(٤) سورة الحجرات : من الآيه ٤
(٥) سورة الحشر: من الآيه ١٤
(٦) سورة الانبياء : من الآيه ٦٧
(٧) مثلا سورة البقرة : الاية ٤٤ والاية ٧٦ وآل عمران الاية ٦٥ والانعام الاية ٣٢
(٨) سورة الملك : من الآية ١٠

وكما مر بنا فقد نبتت في الاسلام نابته أعطت العقل أكثر من حقه وزعمت أنه خلق ليعرف وهو قادر على أن يعرف كل شى المنظور وغير المنظور وجعلوه الحكم الذى يحكم فى كل شىء والنور الذى يجلو كل ظلمه حكموه في ايمانهم وفى جميع شئوونهم الخاصة والعامة [1] حتى قال عالمهم ومفسرهم الزمخشرى رامزا للعقل بالسلطان " امش في دينك تحت راية السلطان ولا تقنع بالرواية عن فلان وفلان فما الأسد المحتجب فى عرينه أعز من الرجل المحتج على قرينه . وما العنز الجرباء تحت الشمأل البليل أذل من المقلد عند صاحب الدليل " [2]

وقد أدى بهم تحكيم العقل المجرد عن النص الى أن شطحوا بعقولهم شطحات وهفوا هفوات فى الكتاب والسنه بل فى جوانب كثيره من العقيدة ما كانوا ليقعوا فيها لو اهتدوا الى سبيل الحق .

وقد امتطى هذه الصهوه رجال جاءوا من بعدهم فمال بهم وأدى بهم الى أمور خاطئه واعتقادات باطله وأحكام زائفه وهم وان لم يوافقوهم كل الموافقه فهناك قواعد مشتركه وعقائد متماثله تجمع بين هؤلاء وهؤلاء حتى أطلق على هؤلاء المتأخرين " معتزلة العصر الحديث " [3] ولن نسميهم بالاعتزال بل نسميهم بالصفه المشتركة بينهم فليكونوا ولتكن مدرستهم المدرسة العقلية الحديثة وقد اتجهت المتأخره الى الاصلاح الاجتماعى فكان حق لها أن يلصق بها هذا الوصف فتكون المدرسة العقلية الاجتماعية .

---

(١) الفكر الاسلامى بين الأمس واليوم : محجوب بن ميلاد ص١١٤

(٢) أطواق الذهب فى المواعظ والخطب : الزمخشرى مقاله ٣٧ ص ٢٨

(٣) اليقظه الاسلامية فى مواجهة الاستعمار : أنور الجندى ص ١٣٢

كيف لا والأستاذ الامام محمد عبده يعد أصول الاسلام فيعد الأول والثاني منها النظر العقلي وتقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض حيث يقول" الأصل الأول للاسلام النظر العقلي لتحصيل العلم . فأول أساس وضع عليه الاسلام هو النظر العقلي . والنظر عنده هو وسيلة الايمان الصحيح فقد أقامك منه على سبيل الحجه وقاضاك الى العقل ومن قاضاك الى حاكم فقد أذعن الى سلطته فكيف يمكنه بعد ذلك أن يجور أو يثور عليه ؟ "(١)

ولا شك أن وصف الاسلام بأنه " يذعن لسلطه العقل " تعبير مجانف للصواب ومخالف للحق فالاسلام عقيده أوسع من أن تذعن لوسيلة والعقل وسيلة أضيق من أن تحيط بالعقيدة ، تلكم صفات الله تعالى ما حقيقتها ؟! وهل يدرك العقل ذلك منها ؟! ان زعم ذلك زاعم فقد كذب وأفترى على العقل . وان فوض أمرها فقد اعتقد مالا يدرك العقل فأنى للعقيده الصحيحه الصادقه أن تذعن لسلطه هي أضعف من ادراكها .

ولنعجل بالأصل الثاني من أصول الاسلام عند الأستاذ الامام قال :-
" الأصل الثاني للاسلام تقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض "
الى أن قال " وبهذا الأصل الذى قام على الكتاب وصحيح السنه وعمل النبي صلى الله عليه وسلم مهدت بين يدى العقل كل سبيل فأزيلت من سبيله جميع العقبات واتسع له المجال الى غير حد "(٢)

---

(١) الاسلام والنصرانية : محمد عبده ص ٧٢ - ٧٣

(٢) الاسلام والنصرانية : محمد عبده ص ٧٤ - ٧٥

وقال أيضا مما يبين درجة العقل عنده " وتقرر بين المسلمين كافة - الا من لا ثقة بعقله ولا بدينه - ان من قضايا الدين مالا يمكن الاعتقاد به الا من طريق العقل كالعلم بوجود الله وبقدرته على ارسال الرسل وعلمه بما يوحى به اليهم " (١)

وهذا الشيخ عبد العزيز جاويش يرفع العقل الى مرتبة تستطيع أن تصل بالنفس الانسانية الى مراتب الكمال فى الأحكام - والتصورات والنظم الاجتماعية وغيرها ليس بالوحى ولكن بالبحث والتنقيب والتجارب؟! يقول " ان من الممكن أن تصل العقول البشرية بالبحث والتنقيب والتجارب الى ما تصبوا اليه النفس الانسانية من مراتب الكمال فى الأحكام والتصورات والنظم الاجتماعية والمسائل العلميه والآداب الخلقية .. الخ " (٢)

اذا فاذا كانت العقول قادره على هذا فما الحكمة من ارسال الرسل ؟! لاتمام الحجه : لا لايصح هذا لأن الحجه قائمة بقدرة العقل المزعومه ويبقى السؤال معلقا ما بقي هذا الزعم .

ويقول الشيخ جاويش أيضا " ان القرآن الذى هو كتاب دين الفطره ما كان ليأتي بما ينافى الآراء القويمه أو تغم حكمته على العقول السليمه ولم يكن ليكلف العقل الايمان بما لا يعقل أو يحمل الجسم مالا طاقة له به أو أن يفترض على الانسان ما ليس من موسوعات فطرته اذا فوظيفته فى البشر رسم أقرب الطرق الى الهداية وحفظ العباد عن مواطن الهلاك التى يغشاها طلاب الحق والحقيقه لا من طريق الوحى بل من طرائق التجارب ... الخ " (٣)

---

(١) رسالة التوحيد : محمد عبده ص ٧
(٢) الاسلام دين الفطره والحريه : عبد العزيز جاويش ص ١٣٧
(٣) الاسلام دين الفطرة والحرية : عبد العزيز جاويش ص ١٤٥

وذلكم الأستاذ محمد فريد وجدى يستدل بأحاديث باطله أو منكره أو ضعيفة سندا لعقيدته في العقل وواصفا هذه الأحاديث وهى بهذه الدرجة بأنها " قواعد الهية " ؟! فأورد حديث " الدين هو العقل ولا دين لمن لا عقل له "[(١)] وحديث " ياأيها الناس اعقلوا من ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا ما أمرتم وما نهيتم عنه واعلموا أنه ينجدكم عند ربكم "[(٢)] الخ ثم عقب عليها قائلا " بهذه القواعد الالهيه نال العقل حريته وتخلص من وثاق كان يئن منه ويتعثر فى أصفاده وصار هو المرشد الحقيقى للانسان وهي الوظيفة التى خلقه لأجلها الملك الديان "[(٣)]

اذا فهذه درجة الحكم العقلى لدى رجال المدرسة العقلية الاجتماعية وطبقوه ودعوا لذلك فى تفسير القرآن الكريم وهذا الأستاذ محمد فريد وجدى يقول فى تفسير بعض الآيات " كل هذه الآيات تتناولها القاعده الأصوليه التى انفرد بها هذا الدين وهي أنه لو تعارض نص وعقل ، أو علم صحيح أول النص وأخذ بحكم العقل أو العلم ، وقد أول آباؤنا من هذه الآيات ما خالف عقولهم أو ناقض العلم الصحيح ، ونحن نجرى على سنتهم فنؤول ما يخالف عقولنا منها .

---

(١) قال الشيخ الألبانى فى كتابه " سلسلة الأحاديث الضعيفه والموضوعه" " الدين هو العقل ومن لا دين له لا عقل له " باطل أخرجه النسائى فى الكنى وعنه الدولابى في الكنى والاسماء ج ٢ ص١٠٤ وقال النسائى حديث باطل منكر " انظر سلسلة الاحاديث الضعيفة والموضوعه ص ١٣

(٢) قال العراقى فى المغنى عن حمل الأسفار فى الأسفار " حديث يا أيها الناس اعقلوا من ربكم وتواصوا بالعقل الحديث ، داود بن المحبر أحد الضعفاء فى كتاب العقل ، من حديث أبى هريرة وهو فى مسند الحرث بن أبى اسامه عن داود " انظر احياء علوم الدين : للغزالى ج ١ ص ٨٩

(٣) المدينة والاسلام : محمد فريد وجدى ص ٥٢

جرى المسلمون على هذا السمت فكان تطورهم العلمى يمدهم بالمعلومات وعلماؤهم يؤولون الآيات حتى تآخى العلم والدين وساراكفرسي رهان لا يسبق أحدهما الآخر .. فلم ينقسم الناس الى فريقين فريق للدين يقل كل يوم عددا ، وفريق للمدينه يزداد كل يوم مددا ولكن كانوا في وحده لا انفصام لها فبلغوا الى مالا تبلغه أمة قبلهم من بسطتى الدنيا والدين " (١)

لذا فهم يصرفون الآيات القرآنيه عن ظاهرها اذا صعب عليهم فهمها أو التبست على عقولهم معانيها وأنكروا كثيرا من المعجزات أو أولوها بما لا تكون به معجزه خارقه وردوا بعض الأحاديث الصحيحه وغير ذلك مما سيأتى بيانه ان شاء الله .

وخذ مثلا لذلك تفسير الشيخ عبد القادر المغربى لقوله تعالى :-
" أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هى تمور" (٢) حيث قال :
" من فى السماء هو الله تعالى ، لكن قام البرهان العقلي على أن الاله الازلي خالق الكل وضابط الكل لا يتصور أن يكون مستقرا فى مكان ،فوجب اذن صرف الآيه عن ظاهرها وحملها على معنى يلتحم مع ما أثبته العقل وقام عليه البرهان ، والقرآن يفسر بعضه بعضا فآية " وهو الله فى السموات وفى الأرض" (٣) تنفي أن تكون ذات الله فى السموات وفي الأرض اذ كيف يعقل أن تكون الذات الواحده فى مكانين في آن واحد ؟ لا جرم ان يكون المراد بكونه تعالى فى السماء وفى الأرض ان مشيئته وحكمه نافذ فيهما وسلطانه وقهره غالب عليهما " (٤)

---

(١) الاسلام دين الهداية والاصلاح : محمد فريد وجدى ص ٩٢
(٢) سورة الملك : الايه ١٦
(٣) سورة الانعام : من الآيه ٣
(٤) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربى ص ٩

ومن تفسير الشيخ عبد القادر أيضا تفسيره لقوله تعالى " فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم " (١) حيث قال " هذا هو خبر سيدنا يونس حسبما أخذناه من النصوص الصحيحه وليس فيه ما يستبعد وقوعه اللهم الا التقام الحوت له ومكثه فى بطنه حينا من الزمن حيا يرزق ثم نبذه فى ذلك الفضاء ، على أنه ان حق لاهل القرون الماضية أن يستبعدوا خبر صاحب الحوت فلا يحق لأبناء عصرنا ذلك الاستبعاد بعد أن رأو بأعينهم سبح الكثير منهم فى بطون الغواصات أياما متطاولات تحت البحار الطاميات وطيرانهم مثل ذلك فى أجواء السموات فالاله الذى خلق العقل البشرى ومهد له سبيل الوصول الى مثل هذه العجائب ألا يكون قادرا على أن ييسر حصول مثله لعبده يونس ببعض الأسباب التى لم تزل مجهولة لنا ؟ هذا ما نقوله للمتسائل المتعجب . . . أما نحن معشر المسلمين فنؤمن بما ورد فى الكتاب مادام أنه غير محال فى العقل " (٢)

ومن التفسير العقلى التفسير بالرأى المجرد عن الدليل الصحيح وهذا الأستاذ محمد عبده يفسر قوله تعالى " وفرعون ذى الاوتاد " (٣) بقوله وفرعون هو حاكم مصر الذى كان فى عهد موسى عليه السلام وللمفسرين فى الأوتاد اختلاف كبير وأظهر أقوالهم ملاءمه للحقيقه أن الأوتاد : المبانى العظيمه الثابته وما أجمل التعبير عما ترك المصريون من الأبنيه الباقيه بالأوتاد فانها هى الأهرام ، ومنظرها فى عين الرائى منظر الوتد الضخم المغروز في الأرض بل ان شكل هياكلهم العظيمه فى أقسامها شكل الأوتاد المقلوبه ، يبتدىء القسم عريضا وينتهى بأدق ماابتدأ وهذه هى الأوتاد التى يصح نسبتها الى فرعون على أنها معهوده للمخاطبين" (٤)

---

(١) سورة القلم : الآية ٤٨ (٢) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربى ص ٢٩-٣٠
(٣) سورة الفجر : الآية ١٠ (٤) تفسير جزء عم : محمد عبده ص ٧٩

ويعلق الاستاذ الامام على تفسير الجلال السيوطى لقوله تعالى " أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق "[1] بقوله " وقال مفسرنا الجلال السيوطى ان الرعد ملك أو صوته ، والبرق سوطه يسوق به السحاب كأن الملك جسم مادى لأن الصوت المسموع بالآذان من خصائص الأجسام ؟ وكأن السحاب حمار بليد لا يسير الا اذا زجر بالصراخ الشديد والضرب التتابع "[1]

ولكنه يقول فى موضع آخر عن الملائكه " واذا ورد أنهم موكلون بالعوالم الجسمانية كالنبات والبحار فأننا نستدل بذلك على أن فى الكون عالما آخر ألطف من هذا العالم المحسوس وأن له علاقه بنظامه وأحكامه ، والعقل لا يحكم باستحالة هذا بل يحكم بامكانه لذاته ويحكم بصدق الوحى الذى أخبر به "[2]

وهذا تلميذه الاستاذ محمد رشيد رضا يرى أن الامداد فى قوله تعالى " اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين "[3] امداد روحانى لا مادى وقال " وماادرى أين يضع بعض العلماء عقولهم عند ما يغترون ببعض الظواهر وببعض الروايات الغريبة التى يردها العقل ولا يثبتها ماله قيمة من النقل فاذا كان تأييد الله للمؤمنين بالتأييدات الروحانية التى تضاعف القوة المعنويه ، وتسهيله لهم الأسباب الحسية كانزال المطر وما كان له من الفوائد لم يكن كافيا لنصره اياهم على المشركين بقتل سبعين وأسر سبعين حتى كان الف - وقيل الآف - من الملائكة يقاتلونهم معهم فيفلقون منهم الهام

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ١٧٤ والآيه من سورة البقره : ١٩
(٢) المرجع السابق جـ ١ ص ٢٥٤
(٣) سورة الانفال : الايه ٩

ويقطعون من أيديهم كل بنان ،فأى مزيه لأهل بدر فضلوا بها على سائر المؤمنين ممن غزوا بعدهم وأذلوا المشركين وقتلوا منهم الألوف ؟ " الى أن قال " ألا ان فى هذا من شأن تعظيم المشركين ورفع شأنهم وتكبير شجاعتهم وتصغير شأن أفضل أصحاب الرسول وأشجعهم مالا يصدر عن عاقل الا وقد سلب عقله لتصحيح روايات باطله لا يصح لها سند ولم يرفع منها الا حديث مرسل عن ابن عباس ذكره الألوسي وغيره بغير سند ، وابن عباس لم يحضر غزوة بدر لأنه كان صغيرا فرواياته عنها حتى فى الصحيح مرسله وقد روى عن غير الصحابه حتى عن كعب الأحبار وأمثاله " (١)

وغريب من الشيخ محمد رشيد رضا أن يغمز مرويات عن ابن عباس رضى الله عنهما بأنها حتى فى الصحيح مرسله وهو العارف بالحديث وعلومه ولا أظنه يخفى عليه حكم مرسل الصحابى حتى أن ابن الصلاح لم يعده من أنواع المرسل قائلا " ثم انا لم نعد فى أنواع المرسل ونحوه ما يسمى في أصول الفقه " مرسل الصحابى " مثل ما يرويه ابن عباس وغيره من أحداث الصحابه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يسمعوه منه لأن ذلك فى حكم الموصول المسند لأن روايتهم عن الصحابه والجهاله بالصحابى وغير قادحه لأن الصحابه كلهم عدول والله أعلم " (٢)

وغريب منه أيضا أن يغمز ابن عباس رضى الله عنهما بأنه روى عن غير الصحابه حتى عن كعب الأحبار وأمثاله " فهل يرى الشيخ رشيد بأن ابن عباس رضى الله عنهما يروى عمن لا يثق بصدقه وأمانته ،بل وماد خل روايته عن كعب الأحبار بروايته عن غزوة بدر ،لا أرى هذا الا ضعفا فى الحجه .

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٩ ص ٥٦٦ - ٥٦٧

(٢) علوم الحديث : ابن الصلاح ص ٥٠ - ٥١

ومن تفسير الأستاذ محمد رشيد رضا بالرأى المجرد تفسيره للمسخ في قوله تعالى " ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين "[١] بقوله " أى فكانوا بحسب سنة الله فى طبع الانسان وأخلاقه كالقردة المستذله المطروده من حضرة الناس . والمعنى أن هذا الاعتداء الصريح لحدود هذه الفريضه قد جرأهم على المعاصي والمنكرات بلا خجل ولا حياء حتى صار كرام الناس يحتقرونهم ولا يرونهم أهلا لمجالستهم ومعاملتهم " ثم قال " وذهب الجمهور أيضا الى أن معنى " كونوا قردة " أن صورهم مسخت فكانوا قرده حقيقيين والآيه ليست نصا فيه ، ولم يبق الا النقل ولو صح لما كان فى الآيه عبره ولا موعظه للعصاه لأنهم يعلمون بالمشاهده أن الله لا يمسخ كل عاص فيخرجه عن نوع الانسان اذ ليس ذلك من سننه فى خلقه وانما العبره الكبرى فى العلم بأن من سنن الله تعالى في الذين خلوا من قبل أن من يفسق عن أمر ربه ويتنكب الصراط الذى شرعه له ينزل عن مرتبة الانسان ويلتحق بعجماوات الحيوان وسنة الله تعالى واحده فهو يعامل القرون الحاضرة بمثل ما عامل به القرون الخالية "[٢].

ولا أظن هذا الذى قاله الشيخ رشيد رضا الا مغالطه فى أمر واضح بين فليس هذا العقاب وهو الوحيد من نوعه فى الأمم السابقة عذبت أمه بالطوفان وعذبت أخرى بالصيحه وعذبت ثالثه بحجارة من سجيل وعذب آخرون بالخسف وبالجراد وبالقمل والضفادع وغير ذلك والعصاه يعلمون بالمشاهده أن الله لا يعذب كل عاص بهذا العذاب فهل يعد هذا مبطلا لحقيقة هذه العقوبات أو مبررا لتأويلها بل تحريفها عن معانيها لمجرد كونهم لا يرونها سنة من سنن الله فى العصاه ؟!

---

(١) سورة البقره : الآيه ٦٥
(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٣٤٤

هذا بعض ما أدى بهم اليه تحكيم العقل المجرد عن النص وهي قضايا آحاديه تولدت حتى أصبح بعضها أساسا مستقلا بذاته في منهجهم فى التفسير نذكر من هذه الأسس التى تولدت عن هذا الاصل لديهم انكار التقليد وذمه ، وموقفهم من التفسير بالمأثور ورد بعض الأحاديث الصحيحه ، والتحذير من الاسرائيليات وتأويل المعجزات والخوارق بما يبطلها ، وكذا تأويل بعض القصص القرآنية بالتمثيل وعدم وقوعها وموقفهم من بعض الغيبيات كالملائكة والجن وبعض علامات الساعه وأماراتها وموقفهم من السحر وغير ذلك كثير .

كلها أمور تولدت من هذا الأساس العميق المتأصل فى منهجهم بل عمود منهجهم الأول ونحن هنا - فى دراستنا هذه سنعرض لبعض هذه الأبحاث عرضا سريعا غرضنا منه جلاء الصوره وبيان أبعادها وحدودها ليس الا . وليس من شأننا دراسة هذا الأساس أو هذا المنهج دراسة نقديه موسعه فذلك شأن آخر وانما غرضنا عرض مناهج التفسير فى العصر الحديث ولمن شاء أن يدرس كل منهج دراسة نقديه موسعه ففى كل منها ماده وفيره للدراسة ومعالم بارزه محموده ومذمومه .

الاساس الرابع :

انكار التقليد وذمه والتحذير منه

وهو أساس متولد - كما ذكرنا - من سابقه ويطلق التقليد ويراد به فى عرف الفقهاء " قبول قول الغير من غير حجه " ولا يسمى الاخذ بالكتاب أو السنه أو الاجماع تقليدا لان ذلك هو الحجه فى نفسه "(1)

---

(1) روضه الناظر وجنة المناظر : ابن قدامه المقدسي ص ٢٠٥

ولا يخفى أمر الاجتهاد والتقليد في عمومه وقد حدثت بين المسلمين حوادث تحز في نفس المسلم من عبارات مؤيدى الاجتهاد أو انصار التقليد وما أدى التطرف بطائفه من هؤلاء وأخرى من اولئك الى أقوال وأفعال لاتحمد وليس بحثنا هنا بحثا أصوليا نعرض فيه أقوال هؤلاء وهؤلاء ولكنه بيان لموقف رجال المدرسه العقلية الاجتماعية في التفسير .

وهو موقف تلحظه في كل سطر بل في كل كلمه من كلماتهم يرفضون التقليد وينكرونه ويذمون أصحابه وينعون عليهم فعلهم .

وهذا الاستاذ الإمام محمد عبده استاذ المدرسة ورائدها جعل تحرير الفكر من قيد التقليد أول أمر دعا اليه حيث قال " ثم لم البث بعد قطعه من الزمن ان سئمت الاستمرار على ما يألفون واندفعت الى طلب شيء مما لا يعرفون فعثرت على مالم يكونوا يعثرون عليه وناديت بأحسن ما وجدت ودعوت اليه وارتفع صوتي بالدعوه الى أمرين عظيمين الاول تحرير الفكر من قيد التقليد وفهم الدين على طريقة سلف الامه قبل ظهور الخلاف والرجوع في كسب معارفه الى ينابيعها الاولى واعتباره من ضمن موازين العقل البشرى التى وضعها الله لترد من شططه وتقلل من خلطه وخبطه . . وقد خالفت في الدعوه اليه رأى الفئتين العظيمتين اللتين يتركب منهما جسم الامه - طلاب علوم الدين ومن على شاكلتهم وطلاب فنون هذا العصر ومن هو في ناحيتهم "(1)

وهذا الاجتهاد الذى يدعو اليه الاستاذ الامام سهل المنال على الجمهور الاعظم وقد وضح ذلك بقوله " فرض الاسلام على كل ذى دين

---

(1) تاريخ الاستاذ الامام : محمد رشيد رضا ج ١ ص ١١

أن يأخذ بحظه من علم ما أودع الله فى كتبه وما قرره من شرعه وجعل الناس فى ذلك سواء بعد استيفاء الشرط باعداد مالابد منه للفهم وهو سهل المنال على الجمهور الاعظم من المتدينين لا تخص به طبقة من الطبقات ولا يحتكر مزيته وقت من الاوقات " (١)

ولأنه سهل المنال فان تلميذه السيد رشيد رضا يعد ما اشترطه العلماء فى بلوغ رتبة الاجتهاد افتياتا على الله تعالى فقال "وان فى اطلاق مقلدة المصنفين من خلف القرون الوسطى القول بايجاب تقليد المجتهدين فى أمور الدين وتحريم الاخذ بالدليل فيه - لاشتراطهم فيه استعداد كل مستدل مستقل للتشريع - لافتياتا على دين الله ونسخا لكتاب الله وشرعا لم يأذن به الله خلاصته تحريم العلم وايجاب الجهل وهذا منتهى الافساد للفطره والعقل وهو أقطع المدى لاوصال الاسلام وأفعل المعاول فى هدم قواعد الايمان وعلة العلل لانتشار البدع التى ذهبت بهدايه الدين واستبدلت بها الخرافات ودجل الدجالين " (٢)

ولهذا فانك ترى الحرص الشديد لدى رجال المدرسة العقلية الاجتماعية على ذم التقليد والتشنيع على المقلدين وخلطوا بين التقليد فى العقيدة والتقليد فى الاحكام وقلبوا الآيات ففى تفسير قوله تعالى " فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون " (٣) قال الاستاذ محمد عبده " فما جرى عليه المقلدون من المسلمين من الاخذ بآراء بعض الفقهاء فى العبادات والحلال والحرام هو عين ما أنكره كتاب الله تعالى على أهل الكتاب وجعله منافيا للاسلام بل جعل مخالفتهم فيه هى عين الاسلام، فليعتبر المعتبرون " (٤)

---

(١) رسالة التوحيد : محمد عبده ص ١٦٢ - ١٦٣
(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ١١٤
(٣) سورة آل عمران : من الآيه ٦٤
(٤) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٣ ص ٣٢٧

وخذ مثلا ما قاله في قوله تعالى " اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب "(١) : -" لولا أن حيل بين المقلدين وهداية القرآن لكان لهم في هذه الآيه اشد زلزال لجمودهم على أقوال الناس وآرائهم في الدين سواء كانوا من الاحياء أم الميتين وسواء كان التقليد في العقائد والعبادات أم في أحكام الحلال والحرام اذ كل هذا مما يؤخذ عن الله ورسوله ليس لاحد فيه رأى ولا قول الا ماكان من الاحكام متعلقا بالقضاء وما يتنازع فيه للناس فلأولى الامر فيه الاجتهاد بشرطه اقامة للعدل " الى أن قال " في مثل هؤلاء المتبوعين والتابعين نزل قوله تعالى في سورة الاعراف " كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى اذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون وقالت أولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون "(٢) فكل يؤاخذ بعمله فاذا حمل الاول الآخر على رأيه ودعاه الى اتباعه فيه أو في رأى غيره الذى يقلده هو فيه من الائمه المضلين وعليه اثمه واثم من أضلهم من غير أن ينقص من اثمهم شيئا اذ حرم الله عليه اتخاذ الانداد من دون الله فاتخذوهم "(٣)

وهذا الشيخ عبد العزيز جاويش يرى أن الاجتهاد يلزم كل من قدر على فهم القرآن والكتب الصحاح ؟! حيث يقول " فكل من يعرف لغة القرآن لا ينبغى له بحال ما أن يقلد غيره تقليدا متى قدر على فهمه وفهم الكتب الصحاح في السنه فلم ينسد ولن ينسد باب الاجتهاد برغم أنف من أرادوا أن يحجروا على العقول البشرية ويقيموا عليها أوصياء من الاولين حتى تسير كما ساروا وتقول بما قالوا "(٤)

---

(١) سورة البقره : الاية ١٦٦ (٢) سورة الاعراف: من الآيتين ٣٨ -٣٩
(٣) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٢ ص ٧٩
(٤) الاسلام دين الفطره والحريه : عبد العزيز جاويش ص ٧٠

هذه بعض نصوصهم وعباراتهم ولا شك أن الدعوه المتطرفه لا يتولد عنها الا نتائج متطرفه واحكاما لذلك . خذ مثلا الشيخ محمد مصطفى المراغى أمر بتشكيل لجنة تنظيم الاحوال الشخصية وأوصاهم بقوله " ضعوا من المواد ما يبد و لكم أنه يوافق الزمان والمكان وأنا لا يعوزنى بعد ذلك أن آتيكم بنص من المذاهب الاسلامية يطابق ماوضعتم " (١)

ان هذه العباره أخطر من أن يعلق عليها بكلمه أو كلمتين فلنترك التعليق عليها لذوى الالباب ؟!

وخذا مثلا آخر اجتهد ؟! الشيخ محمد عبده فتبين له أنه " من العجيب أن فقهاء المذاهب الأربعه وربما غيرهم أيضا قالوا ان الصلاة بلا حضور ولا خشوع يحصل بها أداء الفرض ويسقط الطلب ما هذا الكلام انه لباطل كل آيه تذكر فى القرآن تبطله " (٢) أتدرون ما نتيجة هذا الاجتهاد اسمعوها من أقرب الناس اليه يقول السيد رشيد رضا عن استاذه " وأصرح مع هذا بأنه كان كثيرا (!!) ما يجمع بين صلاتى الظهر والعصر والمغرب والعشاء حتى فى الحضر اذا لم يتيسر له صلاة الأولى بالخشوع والحضور الذى يعتقد وجوبه " (٣)

وخذ مثلا ثالثا من الشيخ محمد رشيد رضا فهو يرى اباحة التيمم للمسافر حتى مع وجود الماء حيث يقول " ألا ان من أعجب العجب غفلة جماهير الفقهاء عن هذه الرخصه الصريحه فى عبارة القرآن التى هى أظهر وأولى من قصر الصلاة وترك الصيام وأظهر فى رفع الحرج والعسر الثابت بالنص

---

(١) المجددون فى الاسلام : عبد المتعال الصعيدى ص٤٨ ه والفتح المبين فى طبقات الاصوليين عبد الله مصطفى المراغى جـ ٣ ص ١٩٨

(٢) تاريخ الاستاذ الامام : السيد رشيد رضا جـ ١ ص ٩٤١

(٣) المرجع السابق جـ ١ ص ١٠٤٣

وعليه مدار الاحكام ، واحتمال ربط قوله تعالى " فلم تجدوا ماء "[1] بقوله " وان كنتم مرضى أوعلى سفر "[1] بعيد ، بل ممنوع البتة كما تقدم على أنهم لا يقولون به فى المرضى لان اشتراط فقد الماء فى حقهم لافائدة له لأن الاصحاء مثلهم فيه فيكون ذكرهم لغوا يتنزه عنه القرآن . ونقول :- ان ذكر المسافرين كذلك فان المقيم اذا لم يجد الماء يتيمم بالاجماع فلولا أن السفر سبب للرخصه كالمرضى لم يكن لذكره فائده ولذلك عللوه بما هو ضعيف متكلف وما ورد فى سبب نزولها من فقد الماء فى السفر أو المكث مدة على غير ماء لا ينافى ذلك "[2]

وهاك مثلا رابعا لاجتهاد الشيخ محمد عبده وتلميذه السيد رشيد رضا وذلك فى تفسير قوله تعالى " ياأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفه واتقوا الله لعلكم تفلحون "[3] يرى السيد رشيد أن الربا المحرم هو ما كان اضعافا مضاعفة فيقول " والمراد بالربا فيها ربا الجاهلية المعهود عند المخاطبين عند نزولها لا مطلق المعنى اللغوى الذى هو الزياده فما كل ما يسمى زياده محرم "[4]

ومن قبله قال شيخه الاستاذ الامام " أن الناس تحدث لهم باختلاف الزمان أمور ووقائع لم ينص عليها فى هذه الكتب فهل نوقف سير العالم لأجل كتبهم ؟ هذا لا يستطاع ولذلك اضطر العوام والحكام الى ترك الاحكام الشرعية ولجأوا الى غيرها . ان أهل بخارى جوزوا الربا لضرورة الوقت عندهم والمصريون قد ابتلوا بهذا فشدد الفقهاء على أغنياء البلاد فصاروا يرون أن الدين ناقص فاضطر الناس الى الاستدانه من الاجانب

---

(١) سورة النساء : من الآيه ٤٣
(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٥ ص ١٢١
(٣) سورة آل عمران : الآيه ١٣٠
(٤) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٤ ص ١٢٣

بأرباح فاحشه استنزفت ثروة البلاد وحولتها للأجانب ، والفقهاء هم المسئولون عند الله تعالى عن هذا وعن كل ما عليه الناس من مخالفة الشريعه لأنه كان يجب عليهم أن يعرفوا حالة العصر والزمان ويطبقوا عليه الاحكام بصورة يمكن للناس اتباعها (!!!) أى كأحكام الضرورات - لا أنهم يقتصرون على المحافظه على نقوش هذه الكتب ورسومها ويجعلونها كل شى ويتركون لاجلها كل شيء " (١)

هذه اشارات موجزه لبعض مواضع اجتهاداتهم فى تفسير آيات الاحكام فى القرآن الكريم يظهر منها المدى الذى وصلوه فى دعوتهم الى الاجتهاد ونبذ التقليد وكلها وكل عباراتهم فى هذا السبيل تعلن اتخاذهم له أساسا هاما فى منهجهم فى التفسير .

الاساس الخامس :

التقليل من شأن التفسير بالمأثور :-

ومن المعلوم أن التفسير بالمأثور يشمل انواعا أربعة :

أولها : تفسير القرآن بالقرآن

ثانيها : تفسيره بالسنه النبويه

ثالثها : تفسيره بأقوال الصحابه رضى الله عنهم

رابعها : تفسيره بأقوال التابعين رحمهم الله تعالى

أما أولها فقد أشرنا الى قبولهم له وأنه أشرف أنواع التفسير وأصح طرقه ونقصد بحديثنا هنا النوع الثانى وانما قصرنا الحديث عليه دون الثالث والرابع لان من رد التفسير بالسنه النبويه فهو أسرع الى رد أقوال الصحابه والتابعين رضى الله عنهم .

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٩٤٤

ومن المعلوم منزلة التفسير بالسنه النبوية ومكانتها لدى علماء السلف وأنها تأتي في المرتبه الثانية بعد القرآن الكريم بدليل الكتاب والسنه

وقد درج علماء المدرسة العقلية الاجتماعية على التقليل من شأن التفسير بالمأثور والتشكيك فيه وعدم الاحتجاج به وان كانوا يظهرون قبوله واعتباره .

وهذا السيد محمد رشيد رضا أمام المدرسه في علم الحديث يقول " وأما الروايات المأثوره عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وعلماء التابعين في التفسير فمنها ما هو ضروري أيضا لان ماصح من المرفوع لا يقدم عليه شيء ويليه ما صح من علماء الصحابه مما يتعلق بالمعاني اللغويه أو عمل عصرهم والصحيح من هذا وذاك قليل ، وأكثر التفسير بالمأثور قد سرى الى الرواة من زنادقه اليهود والفرس ومسلمة أهل الكتاب كما قال الحافظ ابن كثير "(1)

وقال الاستاذ رشيد أيضا " فالحق ان كل ما لايعلم الا بالنقل عن المعصوم من أخبار الغيب الماضي أو المستقبل وأمثاله لا يقبل في اثباته الا الحديث الصحيح المرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم وهذه قاعدة الامام ابن جرير التي يصرح بها كثيرا "(2) ثم قال " وغرضنا من هذا كله أن أكثر ما روى في التفسير المأثور أو كثيره حجاب على القرآن وشاغل لتاليه عن مقاصده العاليه المزكيه للانفس المنوره للعقول ، فالمفضلون للتفسير المأثور لهم شاغل عن مقاصد القرآن بكثرة الروايات التي لا قيمة لها سندا ولا موضوعا "(2) وقال أيضا " فكل حديث مشكل المتن أو مضطرب الرواية أو مخالف لسنن الله تعالى في الخق أو لاصول الدين أو نصوصه

---

(1) تفسير المنار : رشيد رضا ج ١ ص ٧ ، ٨ ، ولم يشر رشيد رضا الى المصدر ولم نقف لابن كثير رحمه الله تعالى على مثل هذا ؟!

(2) المرجع السابق : ج ١ ص ١٠

القطعيه أو للحسيات وأمثالها من القضايا اليقينه فهو مظنه لما ذكرنا في هذه التنبيهات "[1] ثم قال " فمن صدق روايه مما ذكر ولم يجد فيها اشكالا فالاصل فيها الصدق ومن ارتاب في كل شيء منها أو أورد عليه بعض المرتابين أو المشككين اشكالا في متونها فليحمله على ما ذكرنا من عدم الثقه بالروايه لاحتمال كونها من دسائس الاسرائيليات ، أو خطأ الروايه بالمعنى أو غير ذلك مما أشرنا اليه ، واذا لم يكن شيء منها ثابتا بالتواتر القطعي فلا يصح أن يجعل شبهه على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم بالقطع ولا على غير ذلك من القطعيات "[1] وقال أيضا عن استاذه " لقد كان الاستاذ الامام يقول ان الاسلام الصحيح هو ما كان عليه أهل الصدر الأول قبل ظهور الفتن ولم يكن يثق الا بأقل القليل مما روى في الصحاح من أحاديث الفتن "[1]

وقال أيضا " وقد ثبت ان الصحابه رضي الله عنهم كان يروى بعضهم عن بعض وعن التابعين حتى عن كعب الاحبار وأمثاله ، والقاعده عند أهل السنه أن جميع الصحابه عدول فلا يخل جهل اسم راو منهم بصحة السند وهي قاعدة أغلبية لا مطرده فقد كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم منافقون . . "[2] وقال " ولا شك في أن أكثر الاحاديث قد روى بالمعنى كما هو معلوم واتفق عليه العلماء ويدل عليه اختلاف رواة الصحاح في الفاظ الحديث الواحد حتى المختصر منها وما دخل على بعض الأحاديث من المدرجات . . . . فعلى هذا كان يروى كل أحد ما فهمه وربما وقع في فهمه الخطأ لان هذه أمور غيبية .[2]

---

(١) المرجع السابق : جـ ٩ ص ٤٦٥ - ٤٦٧

(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٩ ص ٤٦٥ - ٤٦٧

هذا بعض ما قاله امام هذه المدرسة فى الحديث وعلومه ومن بعضه ندرك مدى تشكيكه وقلة ثقته فى التفسير بالمأثور بل السنه عموما لأن عباراته أوسع من أن تخصص واذا كان هذا من الشيخ رشيد فلا عجب أن لا يثق استاذه محمد عبده الا بأقل القليل مما روى فى الصحاح من أحاديث الفتن .

وأما الشيخ محمد مصطفى المراغى فيقول " وطاعة الرسول واجبه فى حياته وبعد مماته فيما علم أنه دعا اليه دعوة عامه من السنن العمليه المبينه للكتاب ومن السنن القوليه القطعيه فى الروايه والدلاله . . "(١)

وقال الشيخ أحمد مصطفى المراغى فى بيان منهجه فى التفسير" ومن ثمّ رأينا ألا نذكر روايه مأثوره ، الا اذا تلقاها العلم بالقبول ولم نر فيها ما يتنافر مع قضايا الدين التى لا خلاف فيها بين أهله وقد وجدنا أن ذلك اسلم لصادق المعرفه وأشرف لتفسير كتاب الله وأجذب لقلوب المثقفين ثقافة علمية لا يقنعها الا الدليل والبرهان ونور المعرفه الصادقة"(٢)

ومن قبلهم قال الاستاذ الامام محمد عبده " ان الحديث الذى يصل الينا من طريق الآحاد انما يحصل الظن عند من صح عنده أما من قامت له الأدله على أنه غير صحيح فلا تقوم به عليه حجه وعلى أى حال فلنا ، بل علينا أن نفوض الامر فى الحديث ولا نحكمه فى عقيدتنا ونأخذ بنص الكتاب وبدليل العقل "(٣)

---

(١) الدروس الدينيه لسنة ١٣٥٧ هـ : محمد مصطفى المراغى ص ٢٤
(٢) تفسير المراغي : أحمد مصطفى المراغى جـ ١ ص ١٩
(٣) تفسير جزء عم : محمد عبده ص ١٨١

كانت هذه بعض نصوصهم القوليه واذا ما نظرنا الى الجانب التطبيقى فانا نراهم حينا يوردون ما يتعلق بالآيه من السنه النبويه وحينا ما يفسرها منها وحينا ثالثا يوردون التفسير المأثور من غير اشارة الى الحديث الذى ورد فيه وحينا رابعا يرفضون التفسير بالمأثور وان صح .

فمن الاول ما أورده الشيخ محمود شلتوت فى تفسير قوله تعالى " وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله " (١) " واذا كان شخص الرسول قد غاب عن أعين الآخرين فهو حاضر فى قلوبهم ماثل فى أنفسهم ولم تنقطع اسوتهم به . . . . فمنزلة وجوده فيهم بعد مماته هى منزلة وجود الكتاب فيهم كلاهما متواتر يلقاه جيل من المؤمنين عن جيل وقد ورد فى الخبر أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه قال " تركت فيكم أمرين لن تضلوا بعدى ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنتى "(٢) (٣)

ومنه ما أورده الشيخ محمد مصطفى المراغى فى تفسير قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون " (٤) فقال : -" وفى الحديث الشريف " من أحب أن يكون اكرم الناس فليتق الله " (٥) وقد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم " لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع مالا بأس به حذرا مما به بأس" (٦) (٧)

---

(١) سورة آل عمران : من الآيه ١٠١
(٢) تفسير القرآن الكريم : محمود شلتوت ص ١٢٩
(٣) رواه الحاكم فى المستدرك جـ ١ ص ٩٣ ورواه مالك فى الموطأ باب النهى عن القول بالقدر .
(٤) سورة البقرة : الايه ١٨٣
(٥) لم أجده ويشهد لمعناه قوله تعالى (ان أكرمكم عند الله أتقاكم" ١٣ الحجرات وما رواه البخارى سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الناس أكرم قال أكرمهم عند الله أتقاهم صحيح البخارى جـ ٥ ص ٢١٦
(٦) الدروس الدينيه لعام ١٣٥٧ هـ محمد مصطفى المراغى ص ٨و ٩
(٧) رواه الترمذى كتاب صفة القيامه جـ ٤ ص ٦٣٤ وابن ماجه كتاب الزهد جـ ٢ ص ٥٥٣

وفي قوله تعالى " يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر " (١)
أورد الشيخ محمد مصطفى المراغى حديث " خذوا من الاعمال ما تطيقون فان الله عز وجل لن يمل حتى تملوا " (٢) وفي حديث معاذ عندما أطال الصلاة أفتان أنت يامعاذ ؟ (٣) ان منكم منفرين فاذا ما صلى أحدكم بالناس فليتجوز فان منهم الكبير والضعيف وذا الحاجه " (٤) (٥)

ومن الثانى ما نقله السيد رشيد رضا فى تفسير قوله تعالى " وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة " (٦) فقال " وقد روى مسلم فى صحيحه عن عقبة بن عامر أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم وقد تلا هذه الآيه على المنبر يقول " ألا ان القوة الرمي " قالها ثلاثا وهذا كما قال بعض المفسرين من قبيل حديث الحج عرفه بمعنى أن كلا منهما أعظم الاركان فى بابه .. " (٧)

وأورد أيضا تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم للظلم فى قوله تعالى " الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الامن وهم مهتدون" (٨)
فيقول :- " روى أحمد والبخارى ومسلم والترمذى وغيرهم من حديث ابن مسعود أن الآيه لما نزلت شق ذلك على الناس وقالوا يارسول الله وأينا لم يظلم نفسه ؟ فقال صلى الله عليه وسلم " انه ليس الذى تعنون الم تسمعوا ما قال العبد الصالح " ان الشرك لظلم عظيم" (٩) انما هو الشرك " وروى تفسير الظلم هنا بالشرك عن أبى بكر وعمر وابن عباس وأبى بن كعب وحذيفه وسلمان الفارسى وغيرهم من الصحابه والتابعين رضى الله عنهم " (١٠)

---

(١) سورة البقرة : ١٨٥
(٢) رواه البخارى كتاب الصيام جـ ٢ ص ٢٤٤ ورواه مسلم كتاب الصيام جـ٢ ص٨١١
(٣) رواه البخارى كتاب الاذان جـ ١ ص ١٧٣ ومسلم كتاب الصلاة جـ ١ ص٣٣٩ والامام احمد فى مسنده جـ ٣ ص ٢٩٩
(٤) رواه البخارى كتاب الاذان جـ ١ ص١٧٣ ومسلم كتاب الصلاة جـ ١ ص٣٤٠
(٥) الدروس الدينيه لعام ١٣٥٧ هـ - محمد مصطفى المراغى ص ٢٠
(٦) سورة الانفال : من الايه ٦٠
(٧) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ١٠ ص٦٩ وحديث مسلم جـ٣ ص١٥٢٢ كتاب الاماره
(٨) سورة الانعام : الآيه ٨٢ (٩) سورة لقمان : من الآيه ١٣
(١٠) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٧ ص ٥٨٢

ومنه أيضا تفسير الاستاذ الامام محمد عبده المراد بالصلاة الوسطى في قوله تعالى " خافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين"(١) بقوله " وللعلماء في ذلك ثمانية عشر قولا أوردها الشوكانى (فى نيل الاوطار) أصحها رواية ما ذهب اليه الجمهور من كونها صلاة العصر لحديث على عند أحمد ومسلم وأبى داود مرفوعا " شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر " (٢)

ومنه أيضا تفسير الشيخ أحمد مصطفى المراغى للحساب اليسير فى قوله تعالى " فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا " (٣) بما روى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت : ـ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " اللهم حاسبنى حسابا يسيرا قلت وما الحساب اليسير ؟ قال ينظر فى كتابه ويتجاوز عن سيئاته فأما من نوقش الحساب فقد هلك " (٤) (٥)

ومنه ما أورده الشيخ عبد القادر المغربى فى تفسير قوله تعالى" واذا قيل لهم أركعو لا يركعون " (٦) قال " ويروى أنه صلى الله عليه وسلم أمر وفد ثقيف بالصلاة فقالوا " لا ننحنى ،فانها سبة لنا " فقال صلى الله عليه وسلم " لا خير فى دين ليس فيه ركوع ولا سجود " (٧) على أن الاسلام انما جاء لترويض النفوس العاتيه وتذليل أنفتها " (٨)

---

(١) سورة البقرة : الايه ٢٣٨
(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٢ ص ٤٣٧
(٣) سورة الانشقاق : الاتين ٧ ، ٨
(٤) تفسير المراغى : أحمد مصطفى المراغى جـ ٣٠ ص ٩١
(٥) رواه الامام أحمد فى مسنده جـ ٦ ص ٤٨
(٦) سورة المرسلات : الايه ٤٨
(٧) رواه الامام أحمد جـ ٤ ص ٢١٨ وأبو داود كتاب الخراج جـ ٣ ص ١٦٣ وكلاهما رواه بلفظ" لا خير فى دين ليس فيه ركوع . "
(٨) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربى ص ١٣٥ - ١٣٦

ومن الثالث تفسير أحمد مصطفى المراغى لقوله تعالى " وألزمهم كلمة التقوى "[1] بقوله " وكلمة التقوى هى لا اله الا الله "[2] وهو تفسير ورد فيما أخرجه الترمذى وابن جرير عن أبى بن كعب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " والزمهم كلمة التقوى " قال :- لا اله الا الله" لكن الشيخ المراغى لم يشر الى الحديث .

ومن الرابع وهو كثير في تفسيرهم حيث ردوا كثيرا من السنه النبويه الطاهره التى تفسر بعض آيات القرآن الكريم أو تتعلق به لم يردوها لضعف فى سندها أو المخالفة ما هو معلوم من الشريعه وانما فعلوا ذلك لانها لا تتفق مع ما ذهبوا اليه فى تفسير الآيه فردوا أحاديث صحيحه رواها البخارى ومسلم وغيرهما من أئمة الحديث .

فمن ذلك ما ورد فى السنه عن الكوثر الذى أعطاه الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فقد روى البخارى رحمه الله عن أنس رضى الله عنه قال لما عرج بالنبى صلى الله عليه وسلم الى السماء قال اتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مجوفا . فقلت ما هذا ياجبريل ؟ قال هذا الكوثر[3] وأخرج أحمد ومسلم رحمهما الله تعالى عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر وعدنيه ربى عز وجل فى الجنه "[4] قال السيوطى رحمه الله تعالى " له طرق لا تحصى "[5]

---

(١) سورة الفتح : من الآيه : ٢٦
(٢) تفسير المراغى : أحمد مصطفى المراغى جـ ٢٦ ص ١٠٩
(٣) صحيح البخارى : كتاب التفسير (انا أعطيناك الكوثر) جـ ٦ ص ٢١٩
(٤) مسند أحمد جـ ٣ ص ٢٢٠ وص ٢٣٦ ، وصحيح مسلم كتاب الصلاة باب من قال البسمله آيه من أول كل سورة سوى براءه جـ ٤ ص ١١٣
(٥) الاتقان فى علوم القرآن : الامام السيوطى جـ ٢ ص ٢٠٤

هذا ما ورد فى السنه فى بيان المراد بالكوثر وهذه هي درجته فيها ، ولكن الاستاذ الامام محمد عبده يقول بغير هذا وأقرأ معى قوله " وأما أن هناك نهرا فى الجنه اسمه الكوثر وان الله أعطاه نبيه فلا يفهم من معنى الآيه بل الذى يدل عليه سياق السوره وموضع نزولها هو الذى بيناه من أحد القولين والأول - وهو النبوه وما في معناها - أرجح .

أما الاعتقاد بوجود هذا النهر فى الجنه فموقوف على تواتر الاخبار التى وردت به وقد ذهب جماعه الى أنها متواترة المعنى فيجب الاعتقاد بوجود النهر على وجه عام دون تفصيل أوصافه لكثرة الخلاف فيها .

ولكن التواتر لا يصح أن يكون برأى جماعه أو برأى آخرين ، فحدّ التواتر هو ما تراه فى القرآن : تعرفه طبقة عن طبقة يؤمن تواطؤ كل منها على الكذب الى أن وصل اليك لا تنكره فرقة من فرق المسلمين قاطبه - فهذا التواتر هو الذى يوجب اليقين وليس الامر كذلك فى أحاديث النهر فانها - وان كثرت طرقها - لم تبلغ هذا المبلغ فلا يصدق عليها اسم المتواتر خصوصا وانه يظن بالرواة سهولة التصديق فى مثل هذا الخبر لما فيه من غرابة الكرامة وجمال الوصف فيسهل على كل راو الميل الى تصديق ما يقال له . وهذا يخل بشرط التواتر ، لان أول شرط فيه أن لا يكون فى الطبقات رائحة التشيع للمروى " (١)

ومن هذه الاقوال للاستاذ الامام يظهر موقفه من السنه وأنه يرد صحيحها لاسباب واهيه لم يقل بها أحد من قبله لا من علماء الحديث ولا من سواهم ومثل هذه الاسباب لا اعتبار لها وقد اعترف الاستاذ رشيد رضا بأن الاستاذ الامام " كان مقصرا فى علوم الحديث من حيث الرواية والحفظ والجرح والتعديل " (٢) ومر بنا أيضا وصفه له بأنه كان لا يثق الا بأقل القليل مما روى في الصحاح من أحاديث الفتن . (٣)

---

(١) تفسير جزء عم : محمد عبده ص ١٦٥ (٢) تاريخ الاستاذ الامام: محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٥
(٣) تفسير المنار: محمد رشيد رضا جـ٩ ص٤٦٦ .

وتارة يرفضون التفسير بالمأثور بأسلوب آخر وهو الزعم بأنه من الاسرائيليات حتى وان رواه البخارى ومسلم خذ مثلا تفسير الاستاذ محمد رشيد رضا لقوله تعالى " فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم " (١) حيث قال " ولا ثقة لنا بشىء مما روى فى هذا التبديل من الفاظ عبرانيه ولا عربيه فكله من الاسرائيليات الوضعيه كما قاله الاستاذ الامام هنالك وان خرج بعضه فى الصحيح والسنن موقوفا ومرفوعا كحديث أبى هريرة المرفوع فى الصحيحين وغيرهما " قيل لبنى اسرائيل " ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطه " (٢) فدخلوا يزحفون على استاههم وقالوا : حطه حبه فى شعره " وفى رواية شعيره ، ورواه البخارى فى تفسير السورتين (٣) من طريق همام بن منبه أخى وهب وهما صاحبا الغرائب فى الاسرائيليات ولم يصرح أبو هريره لسماع هذا من النبى صلى الله عليه وسلم فيحتمل أنه سمعه من كعب الاحبار اذ ثبت أنه روى عنه وهذا مدرك عدم اعتماد الاستاذ رحمه الله تعالى على مثل هذا من الاسرائيليات وان صح سنده (! !) ولكن قلما يوجد فى الصحيح المرفوع شىء يقتضى الطعن فى سندها " (٤)

وخذ مثلا آخر لهذا الاسلوب فى رد التفسير بالمأثور بما قاله السيد محمد رشيد رضا فى تفسير قوله تعالى " يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا " (٥)

---

(١) سورة الاعراف : من الآيه ١٦٢
(٢) سورة البقره : الايه ٥٨
(٣) يقصد سورتى : البقرة والاعراف
(٤) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٩ ص ٣٤٨
(٥) سورة الانعام : من الآيه ١٥٨

قال " وأقوى الاحاديث الواردة فى طلوع الشمس من مغربها مارواه البخارى في كتاب الرقاق " عن أبى هريره رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " لاتقوم الساعه حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أوكسبت في ايمانها خيرا " ا . هـ . . وأخرجه أيضا أحمد ومسلم وأبوداود والنسائى وابن ماجه وغيرهم "[1] ثم قال " هذا وان أبا هريره رضى الله عنه لم يصرح فى هذه الاحاديث بالسماع من النبى صلى الله عليه وسلم فيخشى أن يكون قد روى بعضها عن كعب الاحبار وأمثاله فتكون مرسله ولكن مجموع الروايات عنه وعن غيره تثبت هذه الآيه بالجمله فننظمها فى سلك المتشابهات ونحمل التعارض بين الروايات وما في بعضها من مخالفة الادلة القطعية على ما أشرنا اليه من الاسباب كالروايه عن مثل كعب الاحبار من رواة الاسرائيليات . والله أعلم "[2]

وخذ مثلا ثالثا وأخيرا لهذا الاسلوب ما قاله السيد رشيد رضا فى تفسير قوله تعالى " ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام "[3] قال :- " وفى حديث أخرجه أحمد في مسنده ومسلم فى صحيحه عن أبى هريره قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فقال " خلق الله عز وجل التربة يوم السبت . . الحديث " ثم قال "ان كل ما روى فى هذه المسأله من الأخبار والاثار مأخوذ من الاسرائيليات لم يصح فيها حديث مرفوع وحديث أبى هريره هذا وهو أقواها مردود بمخالفة متنه لنص كتاب الله (!!) وأما سنده فلا يغرنك رواية مسلم له به (!!) فهو

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٨ ص ٢١٠ - ٢١١

(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٨ ص ٢١٠ - ٢١١

(٣) سورة الاعراف : من الآيه ٥٤

قد رواه كغيره عن حجاج بن محمد الأعور المصيص عن ابن جريج وهو قد تغير في آخر عمره وثبت أنه حدث بعد اختلاط عقله كما فى تهذيب التهذيب وغيره والظاهر (! !) ان هذا الحديث مما حدث به بعد اختلاطه " (١)

وهكذا ترى السيد محمد رشيد رضا يرد الاحاديث الصحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبارات " يحتمل " أنه سمعه من كعب الاحبار " " فيخشى أن يكون قد روى بعضها عن كعب الاحبار " و"الظاهر ان هذا الحديث مما حدث به بعد اختلاطه " ولا أدرى متى كانت هذه الاوهام سبيلا لرد الحديث واذا لو فعلنا لذهبت البقيه الباقيه .

أما ثالث أساليب رفضهم للتفسير بالمأثور فهو وان لم يكن رفضا مباشرا الا أنه اغفال له يجعله فى درجه المرفوض فهذا الشيخ أحمد مصطفى المراغى مثلا يفسر الغضوب عليهم والضالين فى قوله تعالى " غير المغضوب عليهم ولا الضالين " (٢) بقوله :-

" والمغضوب عليهم هم الذين بلغهم الدين الحق الذى شرعه الله لعباده فرفضوه ونبذوه وراءهم ظهريا وانصرفوا عن النظر فى الادلة تقليدا لما ورثوه عن الآباء والاجداد ... والضالون هم الذين لم يعرفوا الحق أو لم يعرفوه على الوجه الصحيح وهؤلاء هم الذين لم تبلغهم رسالة أو بلغتهم على وجه لم يستبين لهم فيه الحق " (٣)

يقول هذا مع أن تفسير المغضوب عليهم والضالين باليهود والنصارى هو الوارد عن النبى صلى الله عليه وسلم وجميع الصحابه والتابعين وأتباعهم حتى قال ابن أبى حاتم لا أعلم فى ذلك اختلافا بين المفسرين " (٤)

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٨ ص ٤٤٩
(٢) سورة الفاتحه : من الآيه السابعه .
(٣) تفسير المراغي : أحمد مصطفى المراغي جـ ١ ص ٣٧
(٤) الاتقان : السيوطى جـ ٢ ص ١٩٠

ومن هذا الاسلوب أيضا ما قاله الشيخ عبد القادر المغربى في تفسير " انا أعطيناك الكوثر " [١] : ـ أى أعطيناك يا محمد الخير الكثير . . الخ " [٢] وقد تقدم بيان ماورد فى الكوثر من الحديث الصحيح

ومنه أيضا تفسير الشيخ أحمد مصطفى المراغى لقوله تعالى " ان زلزلة الساعه شىء عظيم " [٣] فقال : ـ " أى أن الزلزله التى تكون حين قيام الساعه قبل قيام الناس من أجداثهم . . الخ " [٤]

مع أنه ورد فيما أخرجه أحمد وسعيد بن منصور وعبد بن حميد والنسائى والترمذى والحاكم وصححاه عن عمران بن حصين قال لما نزلت " يا أيها الناس " ـ الى قوله ـ " ولكن عذاب الله شديد " [٥] كان صلى الله عليه وسلم فى سفر فقال " أتدرون أى يوم ذلك ؟ قالوا الله تعالى ورسوله أعلم قال " ذلك يوم يقول الله تعالى لآدم عليه السلام ابعث بعث النار الخ " قال الالوسي وحديث البعث مذكور فى الصحيحين وغيرهما لكن بلفظ آخر وفيه كالمذكور ما يؤيد كون هذه الزلزله فى يوم القيامه" [٦]

هذه اشارات وتلميحات لبعض مواقفهم من التفسير بالمأثور أحسبها تدل دلالة بينه على منهجهم فى هذا اللون من التفسير .

---

(١) سورة الكوثر : الآيه الاولى
(٢) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربى ص ٨٩
(٣) سورة الحج : من الآيه الاولى .
(٤) تفسير المراغى : أحمد مصطفى المراغى جـ ١٧ ص ٨٤
(٥) سورة الحج : الايتين : الاولى والثانيه .
(٦) تفسير روح المعانى : لابى الفضل شهاب الدين محمود الالوسى جـ ١٧ ص ١١٠ - ١١١

الاساس السادس :

التحذير من التفسير بالاسرائيليات

خلاصة موقف السلف رحمهم الله تعالى من الاسرائيليات ذكره ابن تيميه رحمه الله تعالى حيث ذكر أن الاحاديث الاسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد ، وأنها على ثلاثة أقسام :

" أحدها " ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق . فذاك صحيح و" الثانى " ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه "والثالث " ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل .

فلا نؤمن به ولا نكذبه . وتجوز حكايته لما تقدم - يقصد حديث " وحدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج - وغالب ذلك مما لافائدة فيه تعود الى أمر دينى " (1)

وقد شن رجال المدرسة العقلية الاجتماعية حملة شعواء على الاسرائيليات وحذروا من تناولها فى تفسير القرآن الكريم وعابوا على المفسرين السابقين تداولهم لها واعتبروا هذا خطأ لا يغتفر .

وهذا الاساس عندهم متولد من الاساس السابق تحكيم العقل وتطرفهم فيه تولد عنه رفضهم الشديد للاسرائيليات وقد أدى بهم تطرفهم هذا الى تكذيب بعض الإسرائيليات التى وافقت ما جاء فى شريعتنا ، وأدى بهم أيضا الى تكذيب بعض الأحاديث الصحيحة الثابته خشية أو احتمال أو للظاهر يكون الصحابى الذى روى الحديث سمعه من كعب الاحبار؟ !

وأدى بهم أيضا الى أن تناولوا بعض الصحابة رضوان الله عليهم بالتجريح وشككوا فى ايمان بعض التابعين الذين شهد لهم السلف الصالح بالعداله وروى لهم البخارى ومسلم ، ونسبوا العلماء الذين وثقوهم الى الغفله .

---

(1) مجموع فتاوى ابن تيمية : جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد ج ١٣ ص ٣٦٦ - ٣٦٧

ومع هذا الموقف الصلب والرفض الحاسم الجازم فان رجال المدرسة العقلية الاجتماعية أوغالبهم أباح لنفسه ما حرم على غيره فقد أوردوا من الاسرائيليات ونصوص التوراة والإنجيل كثيرا وكثيرا بل - وياللعجب - فقد أوردوا ما يخالف النص القرآنى ؟! وأحسب هذا ولا شك نتيجة كل دعوة متطرفه .

فلنرتب الاوراق ولنسق الشواهد على ما ذكرنا واحدا واحدا .

هذه أولا بعض النصوص لرجال المدرسة التى تبين حكم الاخبار الاسرائيلية وهذا الأستاذ الامام محمد عبده يقول عند تفسيره لقوله تعالى " وقولوا حطه نغفر لكم خطاياكم " (١) الآيه فقد ذكر الأستاذ الامام بعض أقوال المفسرين ثم قال " ومنشأ هذه الاقوال الروايات الإسرائيلية ، ولليهود فى هذا المقام كلام كثير وتأويلات خدع بها المفسرون ولا نجيز حشوها فى تفسير كلام الله تعالى " (٢) وقال عن هذه التفاسير " كما ولعوا بحشوها بالقصص والاسرائيليات التى تلقفوها من أفواه اليهود وألصقوها بالقرآن لتكون بيانا له وتفسيرا وجعلوا ذلك ملحقا بالوحي والحق الذى لا مرية فيه أنه لايجوز الحاق شىء بالوحي غير ما تدل عليه ألفاظه وأساليبه الا ما ثبت بالوحي عن المعصوم الذى جاء به ثبوتا لا يخالطه الريب " (٣)

وقال الشيخ عبد العزيز جاويش عن الاسرائيليات " هذا وليحذر المسلمون قراءة ما جاء فى تفاسير القرآن فى هذا الموضوع من الإسرائيليات ومما ابتدعه أصحابها من التأويلات وغريب الروايات فأنها مضلة للعقول مبعدة لها عما قصده كتاب الله الحكيم " (٤)

---

(١) سورة البقره : من الايه ٥٨
(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٣٢٥
(٣) المرجع السابق : جـ ١ ص ١٧٥
(٤) اسرار القرآن : عبد العزيز جاويش ص ١٣٨

وأما الشيخ محمود شلتوت فوصفها بقوله " قيد هذا التراث العقول والافكار بقيود جنت على الفكر الإسلامى فيما يختص بفهم القرآن والانتفاع بهداية القرآن . . " (١)

أما الشيخ أحمد مصطفى المراغى فيصف رواة الاسرائيليات بأنهم " ساقوا إلى المسلمين من الآراء فى تفسير كتابهم ما ينبذه العقل وينافيه الدين وتكذبه المشاهده ويبعده كل البعد ما أثبته العلم فى العصور اللاحقة " (٢)

والأستاذ رشيد رضا هو أشد رجال المدرسة العقلية الاجتماعية حربا على الاسرائيليات ورواتها وأقرأ قوله " كان من سوء حظ المسلمين أن أكثر ما كتب فى التفسير يشغل قارئه عن هذه المقاصد العاليه والهداية الساميهفمنها ما يشغله عن القرآن بمباحث الاعراب وقواعد النحو . . وبعضها يلفته عنه بكثرة الروايات وما مزجت به من خرافات الاسرائيليات . . . وأكثر التفسير المأثور قد سرى الى الرواه من زنادقة اليهود والفرس ومسلمة أهل الكتاب " (٣)

وقد رد الاستاذ رشيد رضا بعض الاحاديث الصحيحة زاعما أنها من الاسرائيليات ومن ذلك حديث البخارى الذى رواه عن أبى هريره رضى الله عنه فى كتاب التفسير " قيل لبنى اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطه فدخلوا يزحفون على أستاهم فبدلوا وقالوا حبة فى شعره " (٤) واختاره السيوطى فى التفسير فقال عنه السيد رشيد " مااختاره الجلال مروى فى الصحيح ولكنه لا يخلو من عله اسرائيلية " (٥)

---

(١) تفسير القرآن الكريم : محمود شلتوت ص ٩ و ١٠
(٢) تفسير المراغى : أحمد مصطفى المراغى جـ ١ ص ١٩
(٣) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٧ -٨
(٤) صحيح البخارى : كتاب التفسير سورة البقرة جـ ٦ ص ٢٣
(٥) تفسير المنار: محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٣٢٥

وأدى به تطرفه الى أن ذم رواة الاسرائيليات الثقات ككعب الاحبار ووهب بن منبه فقال عن وهب عند روايته أن موسى عليه السلام كان يقرع لهم أقرب حجر فتنفجر منه عيون . . . " وهذا من الخرافات التى اختلقها وهب ليس لها أصل عند اليهود ولا عند المسلمين " الى أن قال " وقد عدوه مع أمثال هذه الخرافات ثقة فى الروايه " (١)

وقال عن كعب الأحبار " بمثل هذه الروايات كان كعب الاحبار يغش المسلمين ليفسد عليهم دينهم وسنتهم ، وخدع به الناس لاظهاره التقوى ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم " (٢)

وقال فى موضع آخر " ولكن البلية فى الرواية عن مثل كعب الأحبار وممن روى عنه أبو هريره وابن عباس ومعظم التفسير المأثور مأخوذ عنه وعن ميذه ومنهم المدلسون كقتاده وكذا غيره من كبار المفسرين كابن جريج " (٣) وقال عن كعب أخيرا " كعب الاحبار الذى أجزم بكذبه بل لا أثق بايمانه " (٤)

وقال عن كعب ووهب " ان بطلي الاسرائيليات وينبوعي الخرافات كعب الاخبار ووهب بن منبه " (٥) وقال عنهما " " ولو فطن الحافظ بن حجر لدسائسهما وخطأ من عدلهما من رجال الجرح والتعديل لخفاء تلبيسهم عليهم لكان تحقيقه لهذا البحث أتم وأكمل " (٦) وقال " ثم ليعلم أن شر رواة هذه الاسرائيليات أو أشدهم تلبيسا وخداعا للمسلمين هذان الرجلان : كعب الاحبار ووهب بن منبه " (٧)

---

(١) المرجع السابق : جـ ٩ ص ٣٤٣
(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٩ ص ٤٥٩
(٣) المرجع السابق : جـ ٩ ص ٤٦٦
(٤) مجلة المنار : محمد رشيد رضا جـ ٩ المجلد ٢٧ ص ٦٩٧
(٥) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٩ ص ٤٣٨
(٦) المرجع السابق : جـ ٩ ص ٤٤٢
(٧) مجلة المنار : جـ ١٠ مجلد ٢٧ ص ٧٨٣

وشاركه فى الهجوم الشيخ أحمد مصطفى المراغى الذى وصف بعض الروايات بقوله " وما هى الاسرائيليات تلقفها المفسرون من أهل الكتاب الذين كانوا يكيدون للاسلام والعرب كروايات وهب بن منبه وهو فارسى الأصل . . ومثله روايات كعب الأحبار الاسرائيلى وقد كان كلاهما كثير الرواية للغرائب التى لا يعرف لها أصل معقول ولا منقول وقومهما كانوا يكيدون للمسلمين الذين فتحوا بلاد فارس واجلوا اليهود من الحجاز " (١)

هذا غيض من فيض من بحر ذمهم لكعب الأحبار ووهب بن منبه مع اعترافهم فى النصوص التى سقناها وفى غيرها بتعديل الجمهور وتوثيقهم لهما ، واعترافهم أيضا أن أبا هريره وابن عباس رضى الله عنهم وغيرهما من الصحابه قد رووا عن كعب الأحبار فهل يعتقد هؤلاء أن الصحابة رضى الله عنهم تروى عن كذاب وضاع ؟ لا يوثق بايمانه ؟ أليست روايتهم عنه تزكيه له أفلا نقبل اذا بتزكية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

أما كعب فقد روى له مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى بل أن الجمهور على توثيقه ولذا لا تجد له ذكرا فى كتب الضعفاء والمتروكين وقد اتفقت كلمة نقاد الحديث على توثيقه . (٢)

وأما وهب فقد روى له البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وقال الذهبى فى ميزانه كان ثقه صادقا كثيرا النقل من كتب الاسرائيليات ، قال العجلى ثقه تابعي كان على قضاء صنعاء وقد ضعفه الفلاس وحده ووثقه جماعة (٣) وقال أبو زرعه والنسائى ثقه وذكره بن حبان فى الثقات (٤)

---

(١) تفسير المراغى : أحمد مصطفى المراغى جـ ٩ ص ٢٤
(٢) مقالات الكوثرى : محمد زاهد الكوثرى ص ٣٢ - ٣٣
(٣) ميزان الاعتدال : محمد بن أحمد الذهبى جـ ٤ ص ٣٥٢ - ٣٥٣
(٤) تهذيب التهذيب : ابن حجر العسقلانى جـ ١١ ص ١٦٧

اذا فلا شك مطلقا فى خطأ رجال المدرسة العقلية الاجتماعيه فى ذم كعب الاحبار ووهب بن منبه . . ولكن مهلا لا أقصد بهذا مطلقا أن كل ماروى عنهما صحيح ولا أقول ان ليس فيه كذب ولا افتراء ؟! ولكن لا يعنى وجود هذا أن ينسب إليهما ويحملا تبعته فكم حديث موضوع مفترى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نسب ظلما وزورا الى أبي هريره أو ابن عباس أو غيرهما فهل يجرؤ أحد -الا معتد- على التشكيك فيهما وفى عدالتهما ، الامر هناك فى كعب وفى وهب كما هو هنا فى أبى هريره وابن عباس ، فقد يكون الكذب من غيرهما ، أو أنهما نقلاه على أنه مما فى كتبهم وهما يعتقدان صحته ولم يعلما كذبه لخفاء الثابت والمحرف فى كتب أهل الكتاب ، كما قال ابن الجوزى رحمه الله تعالى " ان بعض الذى يخبر به كعب عن أهل الكتاب يكون كذبا لا أنه يتعمد الكذب والا فقد كان كعب من أخيار الاحبار "(١) قلت ومثل هذا يقال عن وهب .

عودة الى الموضوع فى صلبه . ذلكم موقف رجال المدرسة العقلية الاجتماعية من رواية الاسرائيليات يظهر منه الرفض الشديد والمتطرف لها ولكنهم وبكل أسف لم يلتزموا بأنفسهم ما دعوا اليه وقديما قال الشاعر:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله * * عار عليك اذا فعلت عظيم

بل لم يأت هؤلاء مثله فتجاوزا المثل فزجوا بما لم يزج به المفسرون السابقون فرووا من الاسرائيليات ما رواه السابقون ، وزادوا عليهم برجوعهم بأنفسهم الى المصادر التى أخذ منها كعب ووهب؟ ولم يقل أحد منهم فى نفسه ما قاله فى كعب ووهب ، فأباحوا لانفسهم مالم يبيحوه لسواهم ، ونقلوا من الاسرائيليات ما يخالف النص القرآنى الكريم ولم ينقدوه أو يبطلوه بل وحرفوا معانى نصوص القرآن الكريم حتى توافق ما جاءوا به من الاسرائيليات.

---

(١) فتح البارى : ابن حجر العسقلانى ج ١٣ ص ٣٣٥

لست أقول ما قلت من غير تأمل وتفكر ولست ألقى الكلام على عواهنه كما يقولون وليس هذا من قبيل استفزاز المشاعر ضدهم بل هو الحقيقة والواقع ولنسق الامثله واحدا واحدا .

أما روايتهم لما ورد من الاسرائيليات من غير رد لها حسب منهجهم الذى ذكروه فما أورده السيد رشيد رضا فى تفسيره حيث قال " روى نحو هذا ابن جرير قال حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا عبد الصمد ابن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول : وكل بالبقرتين اللتين سارتا بالتابوت أربعة من الملائكه يسوقونها . . الخ " (١)

وقال فى تفسير قوله تعالى " فقلنا اضربوه ببعضها " (٢) " ويروون فى هذا الضرب روايات كثيره قيل أن المراد اضربوا المقتول بلسانها وقيل بفخذها وقيل بذنبها . . " (٣)

ومنه أيضا ما ذكره الاستاذ أحمد مصطفى المراغي فى المائدة التى أنزلت من السماء فقال " وللعلماء في الطعام الذى نزل فى المائدة آراء : فقيل هو خبز وسمك وقيل خبز ولحم وقيل كان ينزل عليهم طعاما اين ماذهبوا كما كان ينزل المن على بنى اسرائيل كما رواه ابن جرير عن ابن عباس" (٤)

ومنه ما قاله أيضا فى تفسير قوله تعالى " ألم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء مايمسكهن الا الله" (٥) قال :-" . . وقد كان العلماء قديما يعلمون تخلخل الهواء فى الطبقات العاليه فى الجو وهي نظرية لم تدرس فى العلوم الطبيعية الا حديثا فقد أثر عن كعب الاحبار أنه قال ان الطير يرتفع فى الجو اثنى عشر ميلا ولا يرتفع فوق ذلك " (٦)

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٢ ص ٤٨٤
(٢) سورة البقره : من الآيه ٧٣
(٣) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٣٥١
(٤) تفسير المراغى : أحمد مصطفى المراغى جـ ٧ ص ٥٩
(٥) سورة النحل : من الاية ٧٩ (٦) تفسير المراغى : أحمد مصطفى المراغى جـ ١٤ ص ١١٩

ومنه ما قاله الشيخ عبد القادر المغربي في تفسير قوله تعالى " انا أرسلنا نوحا الى قومه " [(١)] حيث قال " وجاء في كتب الاوائل أن في زمن " أنوش ابن شيث بن آدم " ابتدأت عبادة الأوثان ، وجعل الناس يسمون المخلوقات آلهه فكان أنوش يجمع أهل بيته وذويه للصلاة والتسبيح وعبادة الله وحده ، وفي زمن ادريس عليه السلام وهو " أخنوخ بن يارد ابن مهلائيل بن قينان بن أنوش - كثر النفاق وانغمس الناس في الاثام فأنزل عليه وحيا في سفر هو صحف ادريس المشهوره ولم يبق من ذلك السفر سوى فقره يقولون انها وجدت في أطواء بعض الكتب المقدسه " [(٢)]

هذا هو النوع الاول من وقوعهم في الاسرائيليات ينقلون منها ما نقله السابقون أما النوع الثاني وهو نقلهم ما يخالف النص القرآني من غير تكذيب له فمنه ما نقله الشيخ عبد القادر المغربي في تفسيره لسوره نوح عليه السلام حيث قال " وذكر في الاسفار القديمه ان نوحا ولد لسنه ١٨٢ من عمر أبيه " لامك " ولسنه ١٠٥٦ لجده الأكبر آدم عليه السلام ومعنى نوح : الراحه والتعزيه . وكان عمر نوح ٥٠٠ سنه لما أخذ يلد أولاده ساما وحاما ويافث وكان عمره ٦٠٠ سنه لما حصل الطوفان " [(٣)]

أما مصدر المعارضه للقرآن الكريم فقد أبرزته مراقبة الثقافة بالازهر التي علقت على الطبعه التي بين يدي عند هذا الموضع بقولها " قوله تعالى في سورة العنكبوت" ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما فأخذهم الطوفان " [(٤)] يفيد أن الطوفان حدث بعد أن أمضى نوح بين قومه ٩٥٠ سنه فالقرآن يخالف في ذلك ما نقله المؤلف عن الاسفار القديمه " [(٥)]

---

(١) سورة نوح : من الآيه الاولى .
(٢) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربي ص ٥٥
(٣) المرجع السابق : ص ٥٦ (٤) سورة العنكبوت : الآية ١٤
(٥) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربي هامش ص ٥٦

قلت ولا ينفع الشيخ قوله بعد هذا " هذا منخول ما جاء في الكتب القديمه من خبر نوح عليه السلام ونحن - معشر المسلمين - لا نصدقها ولا نكذبها بل نكل أمرها الى العلم الحديث فهو الذى يمحصها ويميز غثها من سمينها " (١)

وانما قلت لا ينفعه هذا لان منهجنا - معشر المسلمين ليس ما ذكر بل تكذيب ما خالف النص القرآني لا التوقف أو تفويض أمره الى العلم الحديث؟!

أما النوع الثالث من أنواع وقوعهم فى الاسرائيليات التى حذروا منها فهو رجوعهم بأنفسهم الى مصادر أهل الكتاب ونقلهم منها مباشرة لمجملات القرآن الكريم ومبهماته بل وجعل هذه النصوص دليلا مرجحا وميزانا للمفاضله بين أقوال المفسرين بل رد التفاسير التى تخالف هذه النصوص حتى قال أحدهم " ومنه نعلم أن كل ما خالفها - أى التوراة - من أقوال المفسرين فى معنى الطمس على أموالهم فهو من أباطيل الروايات الاسرائيلية التى كان من مقاصد كعب الاحبار له وأمثاله منها كما نرى صد اليهود عن الاسلام بما يرويه فى تفسير المسلمين للقرآن مخالفا لما هو متفق عليه عندهم " (٢)

وأمثلة هذا النوع كثيرة جدا فى تفاسيرهم ومنها ما قاله الاستاذ أحمد مصطفى المراغي في تفسير "فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد " (٣) فقال " وجاء فى انجيل يوحنا " وهذه هى الحياة الأبديه أن يعرفوك أنت الاله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته " (٤)

---

(١) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربى ص ٥٦
(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١١ ص ٤٧٤
(٣) سورة المائدة : من الآيه ١١٧
(٤) تفسير المراغى : احمد مصطفى المراغي جـ ٧ ص ٦٤

ومنه أيضا قوله فى تفسير قوله تعالى " قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض فينظر كيف تعملون "[١] قال " وقد جاء فى الفصل السادس من سفر الخروج من التوراة فقال الرب لموسى الأثرى ما أصنع بفرعون أنه بيد قديره سيطلقكم وبيد قديره سيطردكم من أرضه . . . "[٢]

ومنه ما قاله الشيخ عبد القادر المغربي في تفسير قوله تعالى " وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكه وما جعلنا عدتهم الا فتنه للذين كفروا"[٣] الآيه قال " ويكفي في الاستشهاد على ذلك ما جاء في " رؤى دانيال" من أسفار العهد القديم " ورؤيا يوحنا " من اسفار العهد الجديد ، وقال المفسرون من علماء أهل الكتاب" انه وان يكن يوجد في سفر دانيال حوادث غير اعتياديه فليس هذا بمستغرب لانه يعم الكتاب المقدس تقريبا " وقالوا فى رؤيا يوحنا " ان معناها عويص وهى مشحونه بمسائل محيره لا يمكن حلها قبل تتمة الف سنه "[٤] الخ

ومنه ما قاله الشيخ محمد رشيد رضا فى تفسير قوله تعالى " وقال لهم نبيهم ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم "[٥] الآيه قال " وهذا التابوت المعرف ،صندوق له قصة معروفه فى كتب اليهود ففى أول الفصل الخامس والعشرين من سفر الخروج ما نصه :-
" وكلم الرب موسى قائلا كلم بنى اسرائيل الخ "[٦] ثم ذكر النص.

---

(١) سورة الاعراف : من الآيه ١٢٩
(٢) تفسير المراغى : أحمد مصطفى المراغي جـ ٩ ص ٣٩
(٣) سورة المدثر : من الآيه ٣١
(٤) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربى ص ٩٥
(٥) سورة البقره : من الآيه ٢٤٨
(٦) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٢ ص ٤٨٠

وقال أيضا " وفي سفر تثنيه الاشتراع ان موسى لما كمل كتابة هذه التوراة أمر اللاويين حاملي تابوت عهد الرب قائلا : خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب الهكم ليكون شاهدا عليكم (٣١ : ٢٤-٣٠)[(١)]

وقال أيضا في موضع آخر " وأما ما ورد في التوراة الحاضره في شأن الالواح فمنه ما جاء في سفر الخروج من (٢٣- ١٢) وقال الرب لموسى أصعد الى الجبل وكن هناك فأعطيك لوحي الحجارة والشريعه والوصيه التي كتبتها لتعلمهم الكلمات العشر" وجاء في وصف اللوحين منه (٣٢ : ١٥) ثم انثنى موسى ونزل من الجبل ولوحا الشهاده في يده : لوحان مكتوبان على جانبيهما من هنا ومن هناك كانا مكتوبين"[(٢)]

أما النوع الرابع وهو النوع الأخطر من أنواع وقوعهم في الاسرائيليات فهو صرفهم معنى النص القرآني ليوافق نصوص أهل الكتاب ونضرب لذلك مثلا بتفسير الشيخ محمد عبده وتلميذه السيد رشيد رضا لقوله تعالى " واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين "[(٣)] الآيات حين مال الشيخان الى أن المراد في الآيات بيان نوع من التشريع الموجود عند بني اسرائيل يتوصل به الى معرفة القاتل المجهول . ثم يربط بين هذا المعنى وبين ما جاء في التوراة فيقول " على أن هذا الحكم منصوص في التوراة وهو أنه اذا قتل قتيل لم يعرف قاتله فالواجب ان تذبح بقرة غير ذلول في واد دائم السيلان ويغسل جميع شيوخ المدينه القريبه من المقتل أيديهم على العجلة التي كسر عنقها في الوادي . . الخ[(٤)]

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٢ ص ٤٨٢
(٢) المرجع السابق : جـ ٩ ص ١٨٥
(٣) سورة البقره : من الآيه ٦٧
(٤) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٣٤٧ - ٣٤٨

وقد أيد الشيخ رشيد رضا ما ذهب اليه شيخه بذكر النص الوارد في التوراة المتعلق بقتل البقره ثم قال بعد هذا " فعلم من هذا أن الامر بذبح البقره كان لفصل النزاع في واقعة قتل "[1] ثم قال " والظاهر مما قدمنا أن ذلك العمل كان وسيلة عندهم للفصل في الدماء عند التنازع في القاتل اذا وجد القتيل قرب بلد ولم يعرف قاتله ليعرف الجانى من غيره ... ومعنى احياء الموتى على هذا حفظ الدماء التى كانت عرضة لأن تسفك بسبب الخلاف في قتل تلك النفس أى يحييها بمثل هذه الاحكام وهذا الاحياء على حد قوله تعالى (٥ : ٣٢) ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا " وقوله " ولكم فى القصاص حياة " فالاحياء هنا معناه الاستبقاء كما هو المعنى فى الايتين ثم قال " ويريكم آياته " بما يفصل بها في الخصومات ويزيل من أسباب الفتن والعداوات "[2]

وبهذا يكون الشيخ محمد عبده وتلميذه حرفا معنى الآيه عن أن تكون قصة واقعه أحيا الله فيها القتيل (كذلك يحى الله الموتى) ليكون آيه للناس (ويريكم آياته) صرفا هذه الآيات عن هذا المعنى الى أنها وردت لبيان حكم كان فى بنى اسرائيل فعلوا هذا ليوافق ما جاء عن أهل الكتاب " والاسرائيليات " .

هذه بعض مواطن وقوعهم فيما حذروا منه فوقعوا في مثله أو أسوأ منه وقد ترددت فى اعتبار هذا من اسس منهجهم ما داموا لم يلتزموه لولا أنى رأيت أن القول الصريح مقدم على الفعل ، فى الاستدلال فأقوالهم صريحه فى رفض الاسرائيليات فاعتبرته كذلك وان لم يلتزموه .

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٣٤٧ - ٣٤٨

(٢) المرجع السابق : جـ ١ ص ٣٥١

الاساس السابع :

القرآن هو المصدر الاول فى التشريع

وتظهر أبعاد هذا الاساس لدى رجال المدرسه فى قول الاستاذ الامام محمد عبده " وأريد أن يكون القرآن أصلا تحمل عليه المذاهب والآراء فى الدين لا أن تكون المذاهب أصلا والقرآن هو الذى يحمل عليها ويرجع بالتأويل أو التحريف اليها كما جرى عليه المخذولون وتاه فيه الضالون " (١)

ويؤكد هذا التأصيل تلميذه السيد رشيد رضا لقوله " ان القاعدة القطعيه المعروفه عمن أنزل عليه القرآن صلى الله عليه وسلم وعن خلفائه الراشدين (رضى الله عنهم) أن القرآن هو الأصل الأول لهذا الدين وأن حكم الله يلتمس فيه أولا فان وجد فيه يؤخذ وعليه يعول ولا يحتاج معه الى مأخذ آخر وان لم يوجد التمس من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا أقر النبى صلى الله عليه وسلم معاذا حين أرسله الى اليمن وبهذا كان يتواصى الخلفاء والأئمة من الصحابه والتابعين " (٢)

وأيد هذا الشيخ محمود شلتوت قائلا " ان مصادر التشريع فى الاسلام ثلاثه : القرآن والسنه والرأى وهي فى المصدريه على هذا الترتيب فما وجد فى القرآن أخذ منه ولا يطلب له مصدر سواه وما لم يوجد فيه بحث عنه فيما صحت روايته وثبت وروده عن الرسول صلى الله عليه وسلم " (٣)

ومع هذه النصوص نصوص أخرى تميز المراد من النصوص الأولى وتظهره ذلكم ان تلك النصوص السالفه قابله لهذا وذاك قابله لمن يجعل القرآن هو

---

(١) فاتحة الكتاب : محمد عبده ص ٤٦
(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٥ ص ١٢٠
(٣) الاسلام عقيده وشريعه : محمود شلتوت ص ٤٦٩

المصدر الأول ولا يقبل معه ما يبين مجمله ولا يخصص عمومه وقابله لمن جعل القرآن هو المصدر الأول من غير رد لما صح من السنه والذى يظهر أن رجال المدرسة العقلية الاجتماعيه كثيرا ما يميلون الى المراد الأول فينكرون من صحيح السنه ما لا يوافق تفسيرهم لآية فى القرآن الكريم وكأن التفسير الذى مالوا اليه قد قامت أركانه وصحت قوائمه وتبوأ منزلة هي أقوى درجه من صحيح السنه فردوا هذا الأخير لأجل فهمهم الخاطىء .

فهذا الامام محمد عبده ينكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد سحر فيقول " والذى يجب اعتقاده أن القرآن مقطوع به وأنه كتاب الله بالتواتر عن المعصوم صلى الله عليه وسلم فهو الذى يجب الاعتقاد بما يثبته وعدم الاعتقاد بما ينفيه ، وقد جاء ينفى السحر عنه عليه السلام حيث نسب القول باثبات حصوله الى المشركين وأعدائه ووبخهم على زعمهم هذا فاذن هو ليس بمسحور قطعا .

وأما الحديث على فرض صحته - فهو آحاد والآحاد لا يؤخذ بها فى باب العقائد وعصمة النبى من تأثير السحر فى عقله عقيده من العقائد لا يؤخذ فى نفيها عنه الا باليقين ، ولا يجوز أن يؤخذ فيها بالظن والمظنون " (1) الى أن قال : " وعلى أى حال قلنا بل علينا أن نفوض الامر فى الحديث ولا نحكمه فى عقيدتنا ونأخذ بنص الكتاب وبدليل العقل"

وقد كفانا مؤونه الرد على الاستاذ الامام الشيخ محمد حسين الذهبى رحمه الله تعالى حيث قال " وهذا الحديث الذى يرده الاستاذ الامام رواه البخارى وغيره من اصحاب الكتب الصحيحه وليس من وراء صحته ما يخل بمقام النبوه فان السحر الذى أصيب به النبى عليه الصلاة والسلام كان من

---

(1) تفسير جزء عم : محمد عبده ص ١٨٠ - ١٨١

قبيل الامراض التي تعرض للبدن بدون أن تؤثر على شيء من العقل "[(١)]

وقال " ثم ان الحديث رواية البخاري وغيره من كتب الصحيح ولكن الاستاذ الامام ومن على طريقته لا يفرقون بين رواية البخاري وغيره . فلا مانع عندهم من عدم صحة ما يرويه البخاري كما أنه لو صح في نظرهم فهو لا يعدو أن يكون خبر آحاد لا يثبت به الا الظن . وهذا في نظرنا هدم للجانب الاكبر من السنه التي هي بالنسبه للكتاب بمنزلة المبين من المبيّن وقد قالوا : ان البيان يلتصق بالمبين "[(٢)]

وخذ مثلا لذلك - آخر - تفسير الشيخ أحمد مصطفى المراغي لقوله تعالى " قل لا أجد فيما أوحي الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميته أو دما مسفوحا أو لحم خنزير - فانه رجس - أو فسقا أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم " قال الشيخ المراغي مكتفيا بالقرآن دون السنه " وما صح من الاحاديث في النهي عن طعام غير هذه الانواع الأربعه فهو اما مؤقت واما للكراهه فقط ومن الأول تحريم الحمر الاهليه فقد روى ابن ابي شيبه والبخاري عن ابن عمر قال " نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن لحوم الحمر الاهلية يوم خيبر " ومن الثاني ما رواه البخاري ومسلم عن أبي ثعلبه الخشني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم " نهى عن كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير "[(٣)]

لكن الشيخ المراغي جعل تحريم غير هذه الأربعه اما مؤقت واما للكراهه ولم يتحدث عن ما ورد بلفظ التحريم من غير عله عارضه تقيده بزمان

---

(١) التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبي جـ ٣ ص ٢٤٠ - ٢٤١

(٢) التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبي جـ ٣ ص ٢٤١

(٣) تفسير المراغي : أحمد مصطفى المراغي جـ ٨ ص ٥٨

أو مكان وقد كفاه مؤنة هذا الصنف الاستاذ محمد رشيد رضا حيث قال " وما ورد منه بلفظ التحريم فهو مروى بالمعنى [١] لا بلفظ الرسول صلى الله عليه وسلم وليس مراد من رد تلك الأحاديث بآية الأنعام من الصحابه وغيرهم أنه لا يقبل تحريم ما حرمه الرسول صلى الله عليه وسلم اذا لم يكن منصوصا فى القرآن بل معناه أنه لا يمكن أن يحرم النبى صلى الله عليه وسلم شيئا جاء نص القرآن المؤكد بحله ، واعتبر هذا بما أخرجه أحمد وأبو داود عن عيسى بن نميله الغزارى عن أبيه قال : كنت عند ابن عمر فسئل عن أكل القنفذ فتلا هذه الآيه (قل لا أجد فيما أوحى الى محرما) . . فقال شيخ عنده سمعت أبا هريرة يقول ذكر عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال " خبيثه من الخبائث " فقال ابن عمر ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله فهو كما قال أ . هـ فقوله" ان كان " مشعر بشكه فيه وأنه ان فرض أنه قال وجب قبوله لأن الله أمر باتباعه ولكن بمعنى أنه خبيث غير محرم كالثوم والبصل على أن الحديث ضعيف " [٢]

وهذا الذى قاله محمد رشيد رضا غريب منه فهل خفى عليه - ولا أظنه - ان قول ابن عمر رضى الله عنهما " ان كان الخ رجوع منه رضى الله عنه عن فهمه الى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وغريب منه أيضا أن يجهل - ولا أظنه كذلك - حكم الخبائث فى الاسلام فيكفى أن يذكر الرسول صلى الله عليه وسلم أن هذه خبيثه من الخبائث لنعرف من القرآن أنه عليه الصلاة والسلام يحل لنا الطيبات ويحرم علينا الخبائث.

ليس لى أن أذكر أمثله أكثر من هذا فهى كثيره فى تفاسيرهم وفيما ذكرت ما يكفى للمراد ان شاء الله تعالى .

---

(١) جرأه غريبه من الشيخ محمد رشيد رضا على رد الاحاديث وبكل سهوله يزعم بصيغة العموم " وما ورد منه بلفظ التحريم فهو مروى بالمعنى" وهل يصلح هذا لرد الاحاديث بدون تتبع ؟

(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٨ ص ١٦٣

الاساس الثامن :

الشمول في القرآن الكريم

وهو أمر مسلم اذ الشمول فيه فرع عن الشمول فى الرساله الاسلاميه عامه فهى ليست لأمه دون الامم ولا لطائفه دون طائفة ولا لزمن دون زمن " قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا " (١) ولذا جاء القرآن الكريم أيضا وهو كتاب هذه الرساله شاملا " وأوحي الى هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ " (٢) " ان هو الا ذكر للعالمين " (٣)

أدرك هذا رجال المدرسة التعقلية الاجتماعية فالتزموه فى تفسيرهم فقال استاذهم الامام محمد عبده " ان القرآن هاد ومرشد الى يوم القيامه وان معانيه عامه وشاملة فلا يعد ويوعد ويعظ ويرشد أشخاصا مخصوصين وانما نيط وعده ووعيده وتبشيره وانذاره بالعقائد والأخلاق والعادات والاعمال التى توجد فى الأمم والشعوب " (٤)

وقال تلميذه من بعده " فإن كان مات من كانوا سبب النزول فالقرآن حي لا يموت ينطق حكمه ويحكم سلطانه على الناس في كل زمان " (٥)

ولعلنا ندرك من هذا النص الاخير أنهم يحرصون كثيرا على عدم تخصيص الآيات ذوات سبب النزول بالسبب بل يلتزمون القول بالشمول فى غالب ذلك .

---

(١) سورة الاعراف : من الآيه ١٥٨
(٢) سورة الانعام : من الآيه ١٩
(٣) سورة يوسف : من الآيه ١٠٤
(٤) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١ ص ١٧٩
(٤) المرجع السابق : ج ١ ص ١٥٣

خذ مثلا لذلك ما قاله الاستاذ الامام محمد عبده في تفسير الاتقى والأشقى من قوله تعالى " فأنذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الأشقى الذى كذب وتولى وسيجنبها الأتقى " [1] الآيه قال " وبتفسير الاتقى والاشقى على النحو الذى سمعته تبطل تلك الاشكالات التى أوردها المفسرون في الحصر وما أشكل عليهم الا تقيدهم بالعاده في استعمال الفاظ كذب وتولى ، وتحكيم عاداتهم واصطلاحاتهم التى وصفوها من عند أنفسهم لا نفسهم في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ثم انهم يوردون هاهنا أسبابا للنزول وان الآيات نزلت في سيدنا أبي بكر الصديق رضى الله عنه لانه اشترى من أرقاء المسلمين ضعفاء واعتقهم من ماله لا يبتغى في ذلك الا وجه الله ورووا غير ذلك ، وقالوا أن الاشقى هو أميه بن خلف وقيل غير ذلك ومتى وجد شيء من ذلك في الصحيح لم يمنعنا من التصديق به مانع ولكن معنى الآيات لا يزال عاما - كما رأيت - والله أعلم" [2]

ومن ذلك تفسير الشيخ محمد رشيد رضا لقوله تعالى " ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين " [3] حيث قال :-" وهذه الآيات التى نحن بصدد تفسيرها الآن هى المبينه لحال الفرقة الرابعه وهى فرقة من الناس توجد فى كل آن وفى كل عصر وليست الآيات كما قيل فى أولئك النفر من المنافقين الذين كانوا فى عصر التنزيل ولذلك قال تعالى فى بيان حالهم " ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر " ولم يقل عنهم انهم يقولون مع ذلك " وآمنا بك يا محمد " وما كان القرآن ليعتنى بأولئك النفر الذين لم يلبثوا أن انقرضوا كل هذه العنايه ويطيل فى بيان حالهم أكثرمما أطال فى الأصناف الثلاثة الذين هم سائر الناس" [4]

---

(١) سورة الليل : الآيات ١٤ - ١٧
(٢) تفسير جزء عم : محمد عبده ص ١٠٦
(٣) سورة البقرة : الآيه ٨
(٤) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ١٤٩

ومثلا آخر تفسير الشيخ أحمد مصطفى المراغى للمغضوب عليهم والضالين وذلك فى سورة الفاتحه " غير المغضوب عليهم ولا الضالين " (١)

فقد ورد فى السنه تخصيص هذا العموم بأن المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصارى لكن الشيخ المراغى يميل الى العموم فيقول فى تفسيرها " والمغضوب عليهم هم الذين بلغهم الدين الحق الذى شرعه الله لعباده فرفضوه ونبذوه وراءهم ظهريا وانصرفوا عن النظر فى الأدلة تقليدا لما ورثوه عن الآباء والأجداد . . والضالون هم الذين لم يعرفوا الحق أو لم يعرفوه على الوجه الصحيح وهؤلاء هم الذين لم تبلغهم رسالة أو بلغتهم على وجه لم يستبن لهم فيه الحق " (٢)

ومثل ذلك تفسير الشيخ عبد القادر المغربى لقوله تعالى :-
"وأسروا قولكم أو اجهروا به " (٣) والخطاب فى قوله " وأسروا قولكم " وان كان موجها الى الفريقين المصدقين والمكذبين -كان سببه صادرا عن المكذبين وهم المشركون فانهم كانوا يوصي بعضهم بعضا بألا يجهروا بما يدور بينهم لئلا يطلع عليه النبى صلى الله عليه وسلم " (٤)

وهذا أخيرا مثل من تفسير الشيخ محمد مصطفى المراغى على هذا النحو فى قوله تعالى " ياأيها الذين آمنو لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون " (٥) فقد ذكر سبب نزول الآيه ثم قال " يصح أن يكون هذا أو غيره سبب نزول الآيه لكن الآيه عامه تشمل كل خيانه للهورسوله" (٦)

---

(١) سورة الفاتحه : من الآيه ٧
(٢) تفسير المراغى : أحمد مصطفى المراغى جـ ١ ص ٣٧
(٣) سورة الملك : من الآيه ١٣
(٤) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربى ص ٧ ، ٨
(٥) سورة الانفال : الآيه ٢٧
(٦) الدروس الدينية لعام ١٣٥٧ : محمد مصطفى المراغى ص ٢٩

ولعل فيما ذكرنا من أمثله ما فيه الكفايه لتقريره أساسا من أسس التفسير لدى رجال المدرسة العقلية الاجتماعية .

ونحن حين نقول بالشمول فى القرآن والعموم فى الرسالة الاسلامية فلا يعنى اطلاق ذلك فلا شك أن في القرآن آيات خاصه جاءت الأدله على خصوصها فلا ينبغى أن يطلق العموم فى القرآن على هذا النحو خاصه اذا أورد التخصيص للآيه في السنه النبويه المطهره .

ولو كان منهجنا فى الدراسة مناقشة المذاهب والآراء مناقشة واسعه لتتبعنا هنا ما ذكرنا وغيره مما لم نذكر من تفاسيرهم وذكرنا مواقع التطرف ومواقع الاعتدال فى كل

الأساس التاسع :

التحذير من الاطناب فيما ورد مبهما فى القرآن الكريم والحديث عن هذا الأساس مرتبط بالحديث عن الأساس السادس وهو تحذيرهم من الاسرائيليات فكلاهما اعراض عن الحديث عن شيء من غير دليل صحيح وسند مقبول .

وهذا الأساس من الوضوح لدى رجال المدرسة العقلية الاجتماعية بمكان ، فقد رفعوا أصواتهم وكرروا نداءاتهم ودعوا الى تنقية التفاسير مما علق بها من أحاديث وضعها القصاص والوضاعون فى بيان مبهم فى القرآن الكريم ليدعموا به معتقدا زائفا أو دعوة باطله أو لغرض دنيوى أولطلب مكانه ومنزله بين العامة فلجأوا الى ذلك الأسلوب الهجين .

وأول ما يواجه القارىء للقرآن الكريم مما استأثر الله تعالى بعلمه ما يسمى بـ " فواتح السور " وقد بين الشيخ محمود شلتوت ما هو خير للناس فى فهم هذه الفواتح فقال :- ولعل من الخير للناس أن يوفروا على أنفسهم عناء البحث فى معانى هذه الحروف وأسرار ترتيبها

واختيارها على هذا النحو وأن يكفوا عن الخوض فيما لا سبيل الى علمه ولم يكلفهم الله به ، ولم يربط به شيئا من أحكامه أو تكاليفه " (١)

ومن أشهر المبهمات أيضا والتى توقف عندها عمر بن الخطاب رضى الله عنه ثم قال لنفسه " ان هذا لهو التكلف ياعمر " ذلكم هو " أبا " من قوله تعالى " وفاكهه وأبا " (٢) وقد أعرض الأستاذ الامام محمد عبده عن الخوض في ذلك عند تفسرها فقال " فالمطلوب منك فى هذه الآيات هو أن تعلم أن الله يمن عليك بنعم أسداها اليك فى نفسك وتقويم حياتك وجعلها متاعا لك ولأنعامك فاذا جاء فى سردها لفظ لم تفهمه لم يكن من جد المؤمن أن ينقطع لطلب هذا المعنى بعد فهم المراد من ذكره بل الواجب على أهل الجد والعزيمه أن يعتبروا بتعداد النعم وأن يجعلوا معظم همهم الشكر والعمل هكذا كان شأن الصحابه رضى الله عنهم ثم خلف من بعدهم خلف وقفوا عند الألفاظ وجعلوها شغلا شاغلا لا يهمهم الا التشدق بتصريفها وتأويلها وتحميلها مالا تحتمله ، وقد تركوا قلوبهم خاليه من الفكر والذكر ، وأعضاؤهم معطله عن العمل الصالح والشكر " (٣)

وكما توقف عن القول فى معنى أبا توقف عن القول فيما لاعلم له به فتوقف عن القول بالحافظين من قوله تعالى " وان عليكم لحافظين كراما كاتبين " (٤) فأعلن ايمانه بذلك إجمالا ولم يبحث عما وراء ما ورد فى النصوص الصحيحه فقال " ومن الغيب الذى يجب علينا الايمان به

---

(١) تفسير القرآن الكريم : محمود شلتوت ص ٦١
(٢) سورة عبس : الآيه ٣١
(٣) تفسير جزء عم : محمد عبده ص ٢١
(٤) سورة الانفطار : الايتين ١٠ و ١١

ما أنبأنا به في كتابه من أن علينا حفظه يكتبون أعمالنا حسنات وسيئات ولكن ليس علينا أن نبحث عن حقيقة هؤلاء ومن أى شيء خلقوا وما هو عملهم فى حفظهم وكتابتهم ، هل عندهم أوراق وأقلام ومداد كالمعهود عندنا - وهو ما يبعد فهمه - أو هناك ألواح ترسم فيها الأعمال ؟ وهل الحروف والصور التى ترسم هي على نحو ما نعهد أو انماهى أرواح تتجلى لها الأعمال فتبقى فيها بقاء المداد فى القرطاس الى أن يبعث الله الناس ؟ كل ذلك لا نكلف العلم به وانما نكلف الايمان بصدق الخبر وتفويض الأمر في معناه الى الله والذى يجب علينا اعتقاده من جهة ما يدخل فى عملنا هو أن أعمالنا تحفظ وتحصى لا يضيع منها نقير ولا قطمير" (١)

ونحو هذا تفسير تلميذه الشيخ محمد مصطفى المراغى لقوله تعالى " وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين" (٢) حيث قال " والآيه تدل بظاهرها على أن الجنه مخلوقة الآن لأن الفعل الماضي يفهم هذا غير أنه من الجائز أن يكون من قبيل قوله تعالى " ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض" (٣) فلا يدل على خلقها الآن والبحث فى هذا لا فائدة له ولا طائل تحته " (٤)

وفى تفسير قوله تعالى " اذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهى تفور" (٥) يقول " وهل هذا الصوت صوت جهنم نفسها بمعنى أن المواد التى تلتهب فيها يسمع لها هذا الصوت ؟ أو هو صوت أهلها الذين ألقوا ويلقون فيها ؟ لم يكلفنا الشرع تعيين أحد الأمرين كما لم يكلفنا أن نعرف

---

(١) جزء عم : محمد عبده ص ٣٦
(٢) سورة آل عمران : الآيه ١٣٢
(٣) سورة الزمر : من الآيه ٦٨
(٤) الدروس الدينيه لعام ١٣٥٦ هـ : محمد مصطفى المراغى ص ٢١
(٥) سورة الملك : الآيه ٧

جهنم والجنة وسائر شؤون عالم الغيب معرفة كنه وتحديد وانما كل ما على المؤمن أن يعتقد أنه تعالى أعد دارا للأشرار تسعر فيها النار وتفور ويسمع لها صوت على المعنى الذى يريده سبحانه وتعالى أما ماوراء ذلك من اعتقاد أن مواد جهنم وعناصرها وطبائعها وغليانها وحسيسها من جنس ما نعرفه فى الدنيا أو لا - فهذا مما لم نكلفه رحمه بنا اذ القصد أن يؤدى علمنا بالنار الى الخشية والازدجار وهذا يحصل بمجرد ما قصه الله علينا من أمرها وأن الداخل اليها يشعر من الألم بأقصى ما يعهده فى دار الدنيا "(1)

وعودة الى أستاذ هذه المدرسة وامامها الشيخ محمد عبده نذكر له توقفه عن الاطناب فى شأن الميزان يوم القيامه وذلك عند تفسيره لقوله تعالى :- " فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية "(2) قال " ومن عجيب ما قاله بعض المفسرين " انه ميزان بلسان وكفتين كاطباق السموات والأرض ولا يعلم ماهيته الا الله " !! فماذا بقى من ماهيته بعد لسانه وكفتيه حتى يفوض العلم فيه الى الله ؟ والكلام فيه جرأه على غيب الله بغير نص صريح متواتر عن المعصوم ولم يرد في الكتاب الا كلمة الميزان وقد ما يمكننا أن نفهم منها لننتفع بما نعتقد وما عدا ذلك فعلمه الى الله سبحانه . . . وعليك أيها المؤمن المطمئن الى ما يخبر الله به أن تؤمن أن الله يزن الأعمال ويميز لكل عمل مقداره ولا تسل كيف يزن ولا كيف يقدر فهو أعلم بغيبه والله يعلم وأنتم لا تعلمون "(3)

هذه بعض الأمثله على توقف رجال المدرسه العقليه الاجتماعيه عن الاطناب فيما أبهمه القرآن الكريم مما لا طائل فى معرفته .

---

(1) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربى ص ٧
(2) سورة القارعه : الايتين ٦ و ٧
(3) جزء عم : محمد عبده ص ١٤٥ - ١٤٦

الأساس العاشر : **الاصلاح الاجتماعي** .

وبلغت منزلة هذا الأساس ودرجته عند رجال المدرسة العقلية الاجتماعية ان أصبح كالأساس الثالث " تحكيم العقل " صفةمن صفاتهم التي بها يعرفون واليها ينسبون حتى أضيف الى اسم المدرسة فعرفت بالمدرسة العقلية الاجتماعية .

ذلكم أن رجال المدرسة وهم يواجهون أو يعاصرون يقظةالعالم الاسلامي الذى انبهرت طائفة منه بمعالم الحضارة الغربية اتجهوا كغيرهم من المصلحين الى تلمس السبيل الأمثل لاصلاح المجتمع الاسلامي وفق أحكام الشريعة الاسلامية بحيث تسبق هذه الأمة أمة الغرب أو تلحق بها مع التزامها لمبادى دينها .

وهى مهمة غير ميسرة تحف بها العقبات وتحيط بها المتاهات وتزيغ بها الأهواء وتلتبس بها السبل فان أحاط صاحبها نفسه بنور القرآن الكريم ولم يحد عن نوره يمنة أو يسره لم يزل على جادةالحق حتى ينجو وينجى والآ هلك وأهلك .

لا عجب أن يكون القرآن الكريم هو النبراس فى دياجير الظلام فقد وصفه منزله عز شأنه بقوله " كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور "(١) .

ولا عجب أن يكون القرآن الكريم هو الهداية (ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم "(٢) .

ولا عجب أن يكون القرآن الكريم هو النور فقد أنزله الله كذلك " يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا

---

(١) سورة ابراهيم : الآيةالأولى (٢) سورةالاسراء : من الآية ٩

مبينـــا "[1] .

والتاريخ شاهد للقرآن بهذا . فليتأمل المتأمل فى تاريـــخ المسلمين ، وينظر الى تلك الروح التى سرت فى جسد الأمـــــة الاسلامية فى القرن الأول ما ان أشرقت أول شعاعه لهذا القـرآن الكريم من غار حراء الآ والقلوب تأوى اليه والأفئدة تهفو اليه، واذا بالفرد قد أصبح جماعة واذا بالجماعة قد أصبحت أمة ، واذا بالأمة قد أصبحت أمما حتى خاطب حاكمها سحابة فى عنان السمـــــاء. أيتها السحابة أمطرى حيث شئت فان خراجك سيأتى الى .

كانت هذه الأمة أمة مستذله قبل أن يسرى فيها نور القـرآن كانت تقول " للبيت رب يحميه " وما أن أشرق فيها نوره حـــتى صارت جنود من يحميه بل لم تقف موقف الحماية فهبت لتاج كســرى الوثنى تلقيه ولتاج قيصر الرومى تحطمه وترميه حتى لا يقف حاجــز لهذا النور فليس هو لأمة دون أمة ولا لأرض دون أرض اذن فليفسح له السبيل وليفتح له الطريق حتى تشرق الأرض بنور ربها . وهكذا كـــان .

أشرق النور وانجلت الظلمات فصار الناس يرون الحق والسبيـل السوى فيسلكونه ويرون الباطل وطريق الضلال فيجتنبونه . نعمـــوا بالعدل وما ادراك ما هو ، فقد بسطه نبى هذه الأمة وما زالـــت كلمته تجلجل والله لو سرقت فاطمه بنت محمد لقطعت يدها وبسطـه خلفه من بعده حتى قال خليفتهم والله لو عثرت شاة فى العــراق لخشيت أن يسألنى الله عنها لِمَ لَمْ أمهدلها الطريق " قال ذلك فـى

---

(١) سورة النساء : من الآية ١٧٤

منتهى ادراك المسئولية على عاتقه .

ونعموا بالأمن فلا يضيع دم أحد هدرا حتى ولو اشترك أهل صنعاء فى قتله ولا يضيع مال حتى تقطع يد لنصف دينار منه ولا يضيع شرف حتى يجلد صاحب كلمة تخدشه أو ترجم نفس تنتهكه أو تقطع أيدى وأرجل معتد عليها ، ولن يهدر سن ولا عين ولا جرح ولا شعرة حتى يقاد لصاحبها ويقتص .

أى أمن هذا ؟ وأى سلام ؟ انه أمن الايمان وسلامة الاسلام الذى عجزت وتعجز أن تدانيه أية قوانين مستحدثه ، وأية أنظمة وضعية .

اذا فلا عجب أن يكون ذلكم الكتاب الكريم شاملا لصلاح الدنيا وسعادة الآخرة ، ولا عجب أبدا أن يكون ملاذ المصلحين ودستور الحاكمين ومنار المهتدين . اليه يأوى أولئك يستمدون منه قواعد الاصلاح الاجتماعى وأسسه واليه يأوى هؤلاء الحاكمون ويستمدون منه أصول الحكم الاسلامى وارساء قواعد الدولة الاسلامية . ويأوى اليه المهتدون ينعمون بفىء ظلاله وأمن جواره .

كنت أقول أن التاريخ شاهد على ما ذكرنا وأنه شاهد لا أشك فى شهادته أن الأمة الاسلامية تقوى بتمسكها به وتضعف بتركها له أو اعراضها عنه .

سادت الدولة الاسلامية أرجاء واسعة من الأرض بسطت عليها سلطتها وأرست دعائم حكمها العادل ثم ضعف تمسكها بالقرآن الكريم وأحكامه ، فما لبثت أن بدأت تتهاوى وتسقط الواحدة تلو الأخرى حتى أصبحت غثاء كغثاء السيل وحتى تداعت عليها الأمم كتداعى الأكلة على قصعتها .

حتى أفاق العالم الاسلامى من نومته واستيقظ من غفلته فـاذا به مكبلا مقيدا يبغى الفكاك . شمرت طائفة من العلماء عن سواعدها داعية الى سبيل السلامه وما فيه النجاة والتفتوا الى القرآن الكريم يرسلون أنواره فى زوايا الظلمات حتى يكشفوا ما فيه هلاكهم فيحذروه وما فيه نجاتهم فيسلكوه .

أرسلوا هذا النور القرآنى الى عادات باطله صارت عقائد راسخة ، والى عقائد أصيله أصبحت فى عالم النسيان . نبهوا المسلمين الى عدوهم الحقيقى ليحذروه ، ودعوهم الى الاسلام وتحكيم مبادئه وترسيخ أصوله .

وكان من هؤلاء رجال المدرسة العقليه الاجتماعية الذين شاء الله أن يعيشوا أو كثير منهم تلك الفترة ، فقاموا حسب طاقتهم وجهدهم بهذه المهمة . فخاضوا فى شتى القضايا وبسطوا كثيرا من الاصلاحات ، وكان لهم شأن البشر حسنات وكان لهم غيرها

اتجهوا الى تفسير القرآن الكريم يطبقونه على مجتمعهم فـان جاء ذكر عمل محمود أشادوا به ودعوا الى امتثاله وان جاء ذكر عمل مذموم شنئوه وحذروا الناس منه . فكان هذا وهو كذلك هو المدخل الصحيح للمصلح الاجتماعى .

كانت القضايا الاجتماعية لا تكاد تحد ولا تعد بدءا من الحكومة الاسلامية والقواعد التى تقوم عليها ، ومرورا بالوحدة الاسلامية والحرية الفردية والحرية السياسية وحرية العقيدة ثم اصلاح العقائد من الخرافات والأوهام التى ألصقت بها الصاقا ثم اصلاح التعليم وما أدراك ما التعليم ، ثم اصلاح الاقتصاد عامة ونشر الاقتصاد الاسلامى خاصة ، ثم القضية التى يسمونها قضية المرأة مالها وما

عليها ما تطلبه وما يطلب منها شغلت الناس حينا من الدهر وما زالت . ثم قضايا التربيه الاسلاميه والالتزام بمبادئه التهذيبية كالأمانة والصدق والصبر ، مما يهذب النفس الاسلامية ويصبغها بمثله ومبادئه ثم قضايا الخمر والزنا والسرقة وبيان آثارها وأضرارها في المجتمع .

ولا أظن القلم سيتوقف من قريب ان ذهبت أعدد - مجرد تعداد - القضايا الاجتماعية في تلك الفترة حتى أنه لا يخلو تفسير آيه من آيات القرآن الكريم من ألف مدخل ومدخل الى قضية من تلكم القضايا .

وقد جدّ رجال المدرسة العقلية الاجتماعية في أن يلتزموا عند تفسير كل آية ما يتعلق بالاصلاح الاجتماعي ويتخذوا منها مدخلا الى الاصلاح حتى وصف أستاذ هذه المدرسة ضمن أوصافه بالمصلح الاجتماعي .

وليس علينا ونحن نعرض هنا التزامهم لهذا الجانب فيالتفسير أن نعرض لكل الجوانب الاصلاحية ولا لأكثرها . فلنعرض اذا لبعض جوانب الاصلاح الاجتماعي مما يثبت سلوكهم اياه وعملهم به حتى صار أساسا من أسس تفسيرهم بل صفة تطلق عليهم .

الحرية :

وحين نطلق - نحن المسلمين - لفظ الحريه فانّا لا نعني بها ذلك المفهوم الغربي بمعنى التجرد من الدين والمبادئ بل التحرر من سلطان ورجال الكنيسه في العصور الوسطى ، ومن سلطان الاقطاعيين والفكر الأجوف والتقليد الأعمى . فتلك الحرية نتاج فكر

لا وجود له فى الاسلام وبالتبع فليست تلك الحرية من مقاصد الاسلام .

فلقد بوأ الاسلام الحرية منزلة لا تدعوها الى الهجوم عليه لأنها نابعة منه وقائمة عليه . فكيف تثور الحرية على قاعدتها الراسخة ، تشعبت الحرية فى الاسلام ورسخت فيه عروقها فصار ماؤها الذى تشربه وهواءها الذى تتنفسه خذ من تلك الشعب ان شئت .

الحرية فى العقيدة :

فقد أعلنها الاسلام صريحة " لا اكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى "[1] قال الشيخ محمد عبده فى تفسيرها" لا اكراه فى الدين . قاعدة كبرى من قواعد دين الاسلام وركن عظيم من أركان سياسته فهو لا يجيز اكراه أحد على الدخول فيه ولا يسمح لأحد أن يكره أحدا من أهله على الخروج منه . وانما نكون متمكنين من اقامة هذا الركن وحفظ هذه القاعدة اذا كنا أصحاب قوة ومنعه ونحمى بها ديننا وأنفسنا ممن يحاول فتنتنا فى ديننا اعتداء علينا بما هو آمن أن نعتدى بمثله عليه اذا أمرنا أن ندعوا الى سبيل ربنا بالحكمة والموعظة الحسنة ... فالجهاد من الدين بهذا الاعتبار أى أنه ليس من جوهره ومقاصده وانما هو سياج له وجنة فهو أمر سياسى لازم له للضرورة "[2] .

وزاد الأستاذ محمد رشيد رضا الأمر وضوحا بقوله" ولكن قد يرد علينا أننا قد أمرنا بالقتال .." ثم يجيب على هذا بقوله

(١) سورة البقرة : من الآية ٢٥٦
(٢) تفسير المنار: محمد رشيد رضا جـ٣ ص ٣٧

" ان الاكراه ممنوع وأن العمده فى دعوة الدين بيانه حتى يتبين الرشد من الغى ، وأن الناس مخيرون بعد ذلك فى قبوله وتركه . شرع القتال لتأمين الدعوة ولكف شر الكافرين عن المؤمنين لكيلا يزعزعوا ضعيفهم قبل أن تتمكن الهداية من قلبه ويقهروا قويهم بفتنته عن دينه كما كانوا يفعلون فى مكة جهرا . ولذلك قال " وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله "(١) (٢) .

ومما يتصل بحرية العقيدة حرية الجدل الدينى ما دام جدالا بالتى هى أحسن فقد قال الأستاذ محمد فريد وجدى فى تفسير قوله تعالى " ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن الا الذين ظلموا منهم "(٣) . ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالخصلة التى هى أحسن الخصال كمقابلة خشونتهم باللين وشغبهم بالنصح الا الذين ظلموا منهم بالافراط فى الاعتداء "(٤) .

وحرية من العبودية لغير الله :

فالأصل فى الانسان حريته من العبودية الا لله سبحانه وتعالى ، وهذا يذكرنا بقول عمر رضى الله عنه مستنكرا " متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا " .

ولذلك حث الاسلام على العتق وتحرير الأرقاء . قال الشيخ محمد عبده فى تفسير قوله تعالى : -" فلا أقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة "(٥)

---

(١) سورة البقرة : من الآية ١٩٣
(٢) تفسير المنار: محمد رشيد رضا جـ ٣ ص ٣٩
(٣) سورة العنكبوت : من الآية ٤٦
(٤) المصحف المفسر : محمد فريد وجدى ص ٥٣٧
(٥) سورة البلد : الآيات ١١-١٣

" وفك الرقبة عتقها أو المعاونة عليه وقد ورد فى فضل العتق ما بلغ معناه حدّ التواتر فضلا عما ورد فى الكتاب وهو يرشد الى ميل الاسلام الى الحرية وجفوته للأسر والعبودية " [(١)].

حرية سياسية :

فشرع الشورى قال السيد رشيد رضا فى تفسير قوله تعالى : " وشاورهم فى الأمر " [(٢)] وشاورهم فى الأمر العام الذى هو سياسة الأمة فى الحرب والسلم الخوف والأمن وغير ذلك من مصالحهم الدنيوية أى دم على المشاورة وواظب عليها كما فعلت قبل الحرب فى هذه الواقعة (غزوة أحد) وان اخطأوا الرأى فيها فان الخير كل الخير فى تربيتهم على المشاورة بالعمل دون العمل برأى الرئيس وان كان صوابا لما فى ذلك من النفع لهم فى مستقبل حكومتهم ان أقاموا هذا الركن العظيم "المشاورة" فان الجمهور أبعد عن الخطأ من الفرد فى الأكثر والخطر على الأمة فى تفويض أمرها الى الرجل الواحد أشد وأكبر قال الأستاذ الامام ليس من السهل أن يشاور الانسان ولا أن يشير واذا كان المستشارون كثارا كثر النزاع وتشعب الرأى ولهذه الصعوبة والوعورة أمر الله تعالى نبيه أن يقرر سنة المشاورة فى هذه الأمة بالعمل فكان " يستشير أصحابه بغاية اللطف ويصغى الى كل قول ويرجع عن رأيه الى رأيهم " [(٣)].

ويعلل عدم وضع الرسول صلى الله عليه وسلم قاعدة ونظاما للشورى بحكم وأسباب منها :-

---

(١) تفسير جزء عم : محمد عبده ص ٨٩
(٢) سورة آل عمران : من الآية ١٥٩
(٣) تفسير المنار: محمد رشيد رضا جـ ٤ ص ١٩٩-٢٠٠

أ - أن هذا الأمر يختلف باختلاف أحوال الأمة الاجتماعية في الزمان والمكان .

ب - أن النبى صلى الله عليه وسلم لو وضع قواعد مؤقتة للشورى بحسب حاجة ذلك الزمن لاتخذها المسلمون دينا وحاولوا العمل بها في كل زمان ومكان وما هى من أمر الدين .

جـ - ومنها أنه لو وضع تلك القواعد من نفسه عليه الصلاة والسلام لكان غير عامل بالشورى وذلك محال فى حقه لأنه معصوم من مخالفة أمر الله ولو وضعها بمشاورة من معه من المسلمين لقرر فيها رأى الأكثرين منهم كما فعل فى الخروج الى أحد وقد تقدم أن رأى الأكثرين كان خطأ ومخالفا لرأيه صلى الله عليه وسلم ، اليس تركها للأمة تقرر فى كل زمان وما يؤهلها له استعدادها هو الأحكم ؟ "[1] .

كانت تلكم بعض جوانب الحرية فى الاسلام نبه اليها رجال المدرسة العقلية الاجتماعية ودعوا الى اصلاح الأوضاع الاجتماعية على ضوئها .

التحذير من البدع والمنكرات فى العقائد :

وهذا السبيل فى الاصلاح منتشر فى تفاسيرهم وبكثرة . كيف لا وقد كانت العقائد الاسلامية فى عصرهم يشوبها كثير من البدع والخرافات التى ابتدعها المبتدعون ما أنزل الله بها من سلطان .

انتشر بين المسلمين تقديس الأولياء والتمسح بعتباتهم ولزوم

---

(١) المرجع السابق : جـ٤ ص ٢٠١ - ٢٠٢

المقابر ودعاء الأموات والذبح لغير الله بله العقائد المنحرفة والملل الملحده .

وحذر رجال المدرسة الاجتماعية المسلمين مما وقع فيه أكثرهم من البدع والمنكرات كتقديس الأولياء والذبح عند قورهم ودعائهم لهم واستغاثتهم واستعانتهم بهم ففى قوله تعالى : " فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد فى الأرض" [(١)] .
قال السيد رشيد " .. ان الصالحين المصلحين فى الأرض هم الذين يحفظ الله بهم الأمم من الهلاك ما داموا يطاعون فيها بحسب سنة الله .. وقد فهم الوعاظ والفقهاء من خلفنا الجاهل خلاف ما كان يفهمه السلف الصالح من بركة الصالحين المتقدمين وحفظ الله الأمم بهم فظنوا أن المراد بهم الذين يكثرون من الصيام والقيام وقراءة الأوراد والأحزاب .. كلا ان من أصحاب الأوراد من يقوم ليلة بورد من تشريع مبتدع هو به عاص لله تعالى لعبادته بغير ما شرعه فكان مما قال فيهم : " أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم" [(٢)] .
أى بهلاكهم وفى الحديث " رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع ورب قائم ليس له من قيامه الا السهر " [(٣)] . كم من مصل وهو مصداق لحديث " من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا " [(٤)] . وكذا كان دراويش مهدى السودان وأمثالهم من

---

(١) سورة هود : من الآية : ١١٦
(٢) سورة الشورى : من الآية : ٢١
(٣) قال محمد رشيد رضا معلقا " رواه ابن ماجة بهذا اللفظ وأحمد والحاكم بتقديم وتأخير .
(٤) قال محمد رشيد رضا معلقا " رواه احمد فى الزهد عن ابن مسعود موقوفا وابن جرير عنه مرفوعا .

المسلمين الجاهلين لهداية القرآن ، فنكل بهم الافرنج بمساعدة الفاسقين من المسلمين واستولوا على بلادهم وقد علمنا من أخبار المهدى أنه كان على علم وبصيرة فى صلاحه ولكن قواده لم يكونوا بعده مثله ، وصلاح دراويشه لا بصيرة فيه ولا علم "[1] .

وهذا الشيخ أحمد مصطفى المراغى يستدل بقوله تعالى : " ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين "[2] . على " أن سماع هذا الوعيد وأشباهه يوجب على المؤمن أن يفكر طويلا ويتأمل فيما وصل اليه حال المسلمين اليوم وكيف أن علماءهم يجارون العامة فى بدعهم وضلالاتهم وهم يعترفون ببعدها عن الدين . ولا يكون لهم وازع من نواهيه وقوارعه الشديدة وزواجره التى تخر لها الجبال سجدا "[3]

وأكد هذا الشيخ محمد عبده بتفسيره الآيه نفسها بقوله : " نقرأ هذا التشديد والوعيد ونسمعه من القارئين ولا نزدجر عن اتباع أهواء الناس ومجاراتهم على بدعهم وضلالتهم حتى أنك ترى الذين يشكون من هذه البدع والأهواء ويعترفون ببعدها عن الدين يجارون أهلها عليها ويمازجونهم فيها واذا قيل لهم فى ذلك قالوا ماذا نعمل ؟ ما فى اليد حيلة ، العامة عمى . آخر زمان .
وأمثال هذه الكلمات هى جيوش الباطل تؤيده وتمكنه فى الأرض حتى يحل بأهله البلاء ويكونوا من الهالكين "[4] .

وقد علق الأستاذ محمد رشيد رضا على تفسير أستاذه هذا بقوله : " واعجب من هذا الذى ذكره الامام أنك ترى هؤلاء المعترفين

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ١٢ ص ٢٤٤-٢٤٥
(٢) سورة البقرة : من الآية ١٤٥ (٣) تفسير المراغى : أحمد مصطفى المراغى جـ٢ ص ١٢
(٤) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ٢ ص١٨-١٩

بهذه البدع والأهواء ينكرون على منكرها ، ويسفهون رأيه ويعدونه عابثا أو مجنونا اذ يحاول ما لا فائدة فيه عندهم فهم يعرفون المنكر وينكرون المعروف ويدعون مع ذلك أنهم على شئ من العلم والدين .

وأعجب من هذا الأعجب أن منهم من يرى أن ازالة هذه المنكرات والبدع ومقاومة هذه الأهواء والفتن جناية على الدين ويحتج على هذا بأن العامة تحسبها من الدين فاذا انكرها العلماء عليهم تزول ثقتهم بالدين كله لا بها خاصة !! وبأنها لا تخلوا من خير يقارنها كالذكر الذى يكون فى المواسم والاحتفالات التى تسمى بالموالد وكلها بدع ومنكرات حتى ان الذكر الذى يكون فيها ليس من المعروف فى الشرع !! والسبب الصحيح فى هذا كله هو محاولة ارضاء الناس بمجاراتهم على أهوائهم وتأويلها لهم ، ولولا ذلك لما سكت العالمون بكونها بدعا ومنكرات عليها ، انهم انما سكتوا بالثمن (اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا "[1] وهم مع ذلك يظهرون التعجب من جحود أهل الكتاب للنبى والقرآن وما كانوا أشد منهم جحودا ، ولا أقوى جمودا . هذا ايماء الى اتباع العلماء أهواء العامة بعد ما جاءهم من العلم وما نزل عليهم فى الكتاب من الوعيد عليه ولو شرح شارح اتباعهم لأهواء السلاطين والأمراء والوجهاء والأغنياء ، وكيف يفتونهم ويؤلفون الكتب لهم ، ويخترعون الأحكام والحيل الشرعية لأجلهم وكيف حرموا على الأمة العمل بالكتاب والسنه وألزموها كتبهم - لظهر لقارئ الشرح كيف أضاع

---

(١) سورة التوبة : من الآية ٩

هؤلاء الناس دينهم فسلط الله عليهم من لم يكن له عليهم سبيل"[1]

وفى تفسير قوله تعالى " وقالوا لا تذرن ألهتكم ولا تذرن ودّا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا "[2] يتحدث الأستاذ عبد القادر المغربى عن نشأة الوثنية ثم يقول " ومن تأمل ما قلناه فى مناشىء ظهور الوثنية فى البشر فهم السر فى كون الدين الاسلامى يحرم اقامة الصور ونصب التماثيل وتشييد القبور وتجصيصها على رمم العظماء وفى حديث على رضى الله عنه " أرسلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لى لا تدع صنما الا طمسته ولا قبرا الا سويته"[3]

فان الوثنيين كانوا يتخذون من مواثل القبور والأصنام ذكرى لرجالهم الصالحين وليست ذكراهم لهم ذكرى عظة واعتبار وانما هى ذكرى استمداد أسرار واقتباس أنوار واستغراق واستحضار واسترزاق واستمطار والتماس منافع واستكفاء أضرار فسد دين الاسلام الذريعة بتحريم هذه المواثل خشية أن تسترهب ضعفاء العقول وتستهويهم ومن مزالق الوثنية تقربهم وتدنيهم فلله الاسلام ما أعدله فيما شرع وحكم وما أوضح نهجه فيما خط لنا من الهداية ورسم "[4] .

وفى قوله تعالى : " وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله من شىء "[5] الآية ، يقول السيد رشيد رضا " .. فاذا قيل لهم أن أصله الغلو فى الصالحين ولا سيما الميتين منهم واعتقاد تصرفهم فى الكون ودعاؤهم

---

(١) تفسير المنار: محمد رشيد رضا جـ ٢ ص ١٩

(٢) سورة نوح الآية : ٢٣

(٣) رواه احمد ومسلم وابو داود ولكن بلفظ" .. ان لا تدع تمثالا الا طمسته ولا قبرا مشرفا الا سويته"

(٤) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربى ص ٦٢

(٥) سورة هود : من الآية ١٠١

فى طلب النفع ودفع الضر وأن مثله أو منه ما كان يحكى عن مسلمى بخارى ان شاه نقشبند هو الحامى لها فلن تستطيع الدولة الروسية الاستيلاء عليها . وما كان يحكى عن مسلمى المغرب الأقصى من حماية مولاى ادريس لفاس وسائر المغرب أن تستولى عليها فرانسة انكروا على القائل أن هذا كذلك وقالوا انما هو توسل بجاه الأولياء عند الله وليس من المنكر أن يدفعوها بكرامتهم فكرامة الأموات ثابتة كالأحياء وقد بينا لهم جهلهم هذا بتبدل الأسماء ومخالفته لكتاب الله تعالى وسنة رسوله وسيرة السلف الصالح من الأمة فى فتوحاتهم وتأسيس ملكهم وحفظه وخصصنا اخواننا أهل المغرب الأقصى بالانذار منذ أنشىء المنار وأرشدناهم الى تنظيم قواتهم الدفاعية العسكرية وطلب الضباط له من الدولة العثمانية والى العلوم والفنون المرشدة الى القوة والثروة والنظام والا ذهبت بلادهم من أيديهم قطعا فقال المغرورون لهم من أهل الطرائق القدد بلسان حالهم أو مقالهم أن صاحب المنار معتزلى منكر لكرامات الأولياء وما هو بمعتزلى ولا أشعرى بل هو قرآنى سنى . وها هى ذى فرانسة استولت على بلادهم كما أنذرهم وظهر أن أكبر مشايخ الطريق نفوذا ودعوى للكرامات بالباطل كالتجانية كانوا وما زالوا من خدمة فرانسه ومساعديها على فتح البلاد واستعباد أهلها أو اخراجهم من دين الاسلام الى الالحاد أو النصرانية من حيث يدرون أو لا يدرون .

يجهل أمثال هؤلاء وغيرهم من الذين يظنون أن الشرك بالله تعالى خاص بعبادة الأصنام والأوثان أن أصل هذا الشرك هو الغلو فى تعظيم الصالحين والتبرك أو التوسل بأشخاصهم لابطال سنن الله .

وأكبر مصائب الاسلام أن افتتان المسلمين بالصالحين الذين اتبعوا

فيه سنن من قبلهم شبرا بشبر وذراعا بذراع كما أخبر الصادق - والمصدوق صلى الله عليه وسلم قد كان سببا لالحاد فريق كبير من الذين يتعلمون علوم العصر ومنها سنن الخلق والاجتماع ومروقهم من الدين باعتقادهم أن الاسلام دين خرافي هو الذى أضاع ملك المسلمين " (١) .

وفى قوله تعالى " واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا " (٢) يجمل لنا السيد رشيد رضا تفسير أستاذه محمد عبده فيقول " ثم ذكر أن هذا الشركة قد فشا فى المسلمين اليوم وأورد شواهد على ذلك عن المعتقدين الغالين فى البدوى " شيخ العرب " والدسوقى وغيرهما لا تحتمل التأويل وبيّن أن الذين يؤولون لأمثال هؤلاء انما يتكلفون الاعتذار لهم لزحزحتهم عن شرك جلى واضح الى شرك أقل منه جلاء ووضوحا ولكنه شرك ظاهر على كل حال وليس هو من الشرك الخفى الذى وردت الأحاديث بالاستعاذة منه الذى لا يكاد يسلم منه الاّ الصديقون " (٣) .

الجانب التهذيبى :

وعنى أرباب المدرسة ببيان الفضيلة ودعوة المجتمع اليها والرذيلة وتحذير المجتمع منها ففى تفسير قوله تعالى " حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين " (٤) يطنب الأستاذ رشيد رضا فى بيان حكم الصلاة فى الاسلام ثم يقول بعد هذا " أرأيت هذه الآيات العزيزة والأحاديث الناطقة بالعزيمة قد نال التأويل منها

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ١٢ ص ٢٤٦-٢٤٧
(٢) سورة النساء : من الآية : ٣٦
(٣) تفسير المنار : محمد رشيد رضا : جـ ٥ ص ٨٣
(٤) سورة البقرة الآية : ٢٣٨

نيله فى الزمن الماضى وأعرض جماهير المسلمين عنها فى الزمن الحاضر حتى كثر التاركون الغافلون والمارقون وقل عدد المصلين الساهين وندر المصلون المحافظون ذلك أن الاسلام عند هؤلاء المسلمين الذين يصفون أنفسهم بالمتمدنين قد خرج عن كونه عقيدة دينية الى كونه جنسية سياسية آية الاستمساك به والمحافظة عليه والدفاع عنه مدح كبراء حكامه وان كانوا لا يقيمون حدوده ولا ينفذون أحكامه بل رفعوا أنفسهم الى مرتبة التشريع العام واستبدال القوانين الوضعية بما نزل الله من الأحكام ..

ماذا كان من أثر ترك الصلاة والتهاون بالدين فى المدن والقرى والمزارع ؟ كان من أثره فى المدن فشو الفواحش والمنكرات تجد حانات الخمر ومواخير الفجور والرقص وبيوت القمار غاصة بخاصة الناس وعامتهم حتى فى ليالى رمضان ليالى الذكر والقرآن ، وعبد الناس المال لا يبالون أجاء من حرام أم من حلال وانقبضت الأيدى عن أعمال الخير وانبسطت فى أفعال الشر وزال التعاطف والتراحم وقلت الثقة من أفراد الأمة بعضهم ببعض فلا يكاد يثق المسلم الا بالأجنبى وغير ذلك من فساد الأخلاق وقبح الفعال فى الأفراد وأكبر من ذلك انحلال الروابط الملية بل تقطع أكثرها ..

المحافظ على هذه الصلاة الفضلى ينتهى عن الفحشاء والمنكر .. المحافظ على هذه الصلاة لا يمنع الماعون .. المحافظ على هذة الصلاة لا يخلف ولا يلوى فى حق غيره عليه .. المحافظ على هذه الصلاة لا يضيع حقوق أهله وعياله ولا حقوق أقاربه وجيرانه ولا حقوق معامليه واخوانه .. المحافظ على هذه الصلاة يعظم الحق وأهله ويحتقر الباطل وجنده ..

المحافظ على هذه الصلاة لا تجزعه النوائب ولا تقل غرار عزمه المصائب ولا تبطره النعم ولا تقطع رجاءه النقم . ." [1] .

ويحث الامام محمد عبده على خلق الصبر فى تفسير قوله تعالى " وتواصو بالحق وتواصوا بالصبر " [2] بقوله " والصبر خلق من أمهات الأخلاق بل مساك كل خلق قالوا فى فضل الصبر انه ذكر فى القرآن نحو سبعين مرة ، وليس لنا فائدة كبرى فى تحديد العدد ولكن جاء فى الكتاب العزيز ذكر الصبر ومدح أهله وتبشيرهم بالفوز والفلاح والصبر ملكة فى النفس يتيسر معها احتمال ما يشق احتماله والرضى بما يكره فى سبيل الحق وهو خلق يتعلق به بل يتوقف عليه كمال كل خلق وما أتى الناس من شئ مثل ما أُتوا من فقد الصبر أو ضعفه . ." [3] .

وعن الخصام والرشوة يقول السيد رشيد " وكم من ثروة نفدت وبيوت خربت ونفوس أُهينت وجماعة فرقت وما كان لذلك من سبب الا الخصام والأدلاء بالمال الى الحكام ولو تأدب هؤلاء الناس بآداب الكتاب الذى ينتسبون اليه لكان لهم من هدايته ما يحفظ حقوقهم ويمنع تقاطعهم وعقوقهم ويحل فيهم التراحم والتلاحم محل التزاحم والتلاحم" [4]

وفى بيان أحوال الأمم المقهورة يفسر السيد رشيد رضا قوله تعالى " فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم " [5] ذلك أن الأمم اذا قهرها العدو ونكل بها يفسد بأسها ويغلب عليها الجبن والمهابة

---

(١) تفسير المنار: محمد رشيد رضا جـ٢ ص ٤٤٠-٤٤٣ بتلخيص
(٢) سورة العصر من الآية : ٣
(٣) تفسير سورة العصر : محمد عبده ص ٢٣- ٢٤
(٤) تفسير المنار: محمد رشيد رضا جـ٢ ص ٢٠١
(٥) سورة البقرة : من الآية ٢٤٦

فاذا أراد الله تعالى احياءها بعد موتها ينفخ روح الشجاعة والاقدام فى خيارها وهم الأقلون فيعملون ما لا يعمله الأكثرون ... قال الأستاذ الامام وفى الآية من الفوائد الاجتماعية أن الأمم التى تفسد أخلاقها وتضعف قد تفكر فى المدافعة عند الحاجة اليها وتعزم على القيام بها اذا توفرت شرائطها التى يتخيلونها على حد قول الشاعر :

واذا ما خلا الجبان بأرض
طلب الطعان وحده والنزالا

ثم اذا توافرت الشروط يضعفون ويجبنون ويزعمون أنها غير كافية ليعذروا أنفسهم وما هم بمعذورين "[1] .

وفى ذم بخس الناس أشياءهم يقول السيد رشيد رضا فى تفسير قوله تعالى " ولا تبخسوا الناس أشاءهم "[2] :- " وهذه النقيصة فاشية بين الأمم والشعوب فى هذا العصر . فنجد بعضهم يذم بعضا وينكر فضله كالأفراد وترى التجار فى عواصم أوروبة يغالون من الأسعار للغرباء ما يرخصون لأهل البلاد وترى بعض الغرباء يستحلون من نهب أموال المصريين بضروب الحيل والتلبيس ما لا يستحلون مثله فى معاملة أبناء جلدتهم وأما المصريون وأمثالهم من الشرقيين كما قال الشاعر :

لكن قومى وان كانوا ذوى عدد .. ليسوا من الشر فى شىء وان هانا
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة .. ومن إساءة أهل السوء احسانا

ويا ليتهم يعاملون أنفسهم ومن تجمعهم معهم أقوى المقومات هذه

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٢ ص ٤٧٤

(٢) سورة الاعراف : من الآية ٨٥

المعاملة بل يكثر منهم من يبخسون أبناء قومهم وملتهم أشياءهم ويهضمون حقوقهم ويعظمون الأجنبي ويعطونه فوق حقه وانما استذلهم للأجانب حكامهم فهم في جملتهم مبخوسون لا باخسون ومظلومون لا ظالمون وهم على ذلك مذمومون لا محمودون ومكفورون لا مشكورون"[1]

ويتحدث الشيخ أحمد مصطفى المراغي في تفسير قوله تعالى " يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما "[2] الآية عن حكمهما ثم عن مضار كل منهما فيذكر مضار الخمر الصحية بافساد المعدة وفقد شهوة الطعام ومرض الكبد والكلى والسل حتى قال أحد الأطباء اقفلوا لي نصف الحانات أضمن لكم الاستغناء عن نصف المستشفيات .. ثم يتحدث عن مضارها العقلية ومضارها المالية ثم عن مضارها في المجتمع ووقوع النزاع والخصام بين بعض السكارى ، وبينهم وبين من يعاشرهم ، لأدنى بادرة تصدر من واحد منهم ويتحدث عن مضارها النفسية من افشاء الأسرار ولا سيما اذا كان متصلا بالحكومات وسياسة الدول وشؤونها العسكرية وعليها يعتمد الجواسيس في نجاحهم في مهامهم التي ندبوا اليها ويتحدث عن مضارها الدينية ، وينتقل الى ذكر مضار الميسر من أنه يورث العداوة والبغضاء ويصد عن ذكر الله ويفسد الأخلاق ويخرب البيوت بغتة .

ويقول " واذا استمر انتشار الخمر والزنا في هذه البلاد ولا سيما الخمور التي تباع للفقراء فهي مواد سامه محرقة (سبيرتو) يضاف اليها قليل من الماء والسكر فليس بالبعيد أن تنقرض الأمة بعد جيلين أو

---

(١) تفسير المنار: محمد رشيد رضا جـ ٨ ص ٥٢٦
(٢) سورة البقرة من الآية : ٢١٩

أكثر كما انقرض هنود أمريكا لا يبقى منهم الا بعض الأجراء والخدم فالسكر والزنا مقراضان يقرضان الأمم ،وقد شاع حديثا فى مصر ما هو أفتك بالأمة من الخمور ، وأقتل لها وهو بعض السموم التى تستعمل حقنا تحت الجلد أو شما بالأنف كالمورفين والكوكايين والهروبين "(١) .

والحديث عن الأخلاق فى الاسلام حديث عن الأخلاق فى أسمى معانيها وما ذكرنا الا أمثلة قليلة لبعض الجوانب الأخلاقية التى تناولوها فى تفاسيرهم لاصلاح المجتمع .

الاصلاح الاقتصادى :

وحاول رجال هذه المدرسة اصلاح الاقتصاد فى البلاد حسب ما فهموه من نصوص القرآن الكريم أو السنة النبوية الشريفة فكان لهم صولات وجولات على مستوى الدولة بين الساسة والقادة ، وعلى مستوى العامة بين الفلاحين والعمال . وفيما أودعوه فى كتبهم من من بيان لمزايا الشريعة الاسلامية فى ادارة الأموال والطريق السليمة لذلك وقارنوا بين نظرة الاسلام والسياسة المالية عند اليهود والنصارى والشيوعية والرأسمالية ، وبينوا أن منهج الاسلام هو منهج السلام . " والحق أن الاسلام هو الدين الوسط الجامع بين مصالح الروح والجسد للسيادة فى الدنيا والسعادة فى الآخرة فهو وسط بين اليهودية المالية الدنيوية والنصرانية الروحية الزهدية ، وأن من مقاصده الاصلاحية فى الاجتماع البشرى هداية الناس الى العدل والفضل فى أمر المال ليكتفى الناس شر طغيان الأغنياء وذلة الفقراء ،

---

(١)

ونصوص القرآن والسنة فى هذا هى الغاية القصوى فى الاصلاح وهى هادمة لمزاعم هؤلاء المفتاتين على الاسلام بالجهل والهوى .

غلا عبّاد المال من اليهود والأفرنج فى جمعه واستغلاله واستعباد الألوف وألوف الألوف من العمال الفقراء به بجعله دولة بينهم وغلا خصومهم من الاشتراكيين فى مقاومتهم ومحاولة جعل الناس فيه شرعا وجعله بينهم حقا شائعا فانتهى هذا الغلو بالشيوعية الروسية فى عصرنا أن استعبدت أكثر من مئة ألف من البشر تسخرهم فى تنفيذ مذهبها كالأنعام والدواب . .

ولا منقذ للأمم من هذه الفتنة وعواقبها الا بدين الاسلام - أعنى بالتدين به والعمل بأحكامه المالية وغيرها ولا يمكن التزامها بالعمل الا باذعان الدين وقد بدأ عقلاء الأفرنج يشعرون بالحاجة الى دين معقول يصلح بالتزامه فساد هذه المدنية المادية ولن يجدوا حاجتهم ألا فى دين القرآن وسنة خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام وأخشى الا يهتدوا اليه الا بعد البطشة الكبرى والطامة العظمى وهى حرب التدمير المنتظرة من تنازع البلشفية والرأسمالية . وانى أذكر هنا أهم أصول الاصلاح الاسلامى فى المسألة المالية التى تبتدر فكرى وتبدهه فأقول . . ." (١) .

ثم ذكر السيد رشيد رضا ما يراه من الأصول الاسلامية لاصلاح المسألة المالية فعد منها اقرار الملكية الشخصية وتحريم أكل أموال الناس بالباطل وتحريم الربا والقمار ومنع جعل المال دولة بين الأغنياء . . والحجر على السفهاء فى أموالهم حتى لا يضيعوها

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١١ ص ٢٩ - ٣١

وفرض الزكاة وفرض نفقة الزوجية والقرابة وايجاب كفاية المضطر من كل جنس ودين وجعل بذل المال كفارة لبعض الذنوب وندب صدقات التطوع والترغيب فيها وذم الاسراف والتبذير والبخل والشح واباحة الزينة بشرط اجتناب الاسراف ومدح القصد والاعتدال في النفقة على النفس والعيال ثم قال بعد هذا " أرأيت أمة من الأمم تقيم هذه الأركان ويوجد فيها فقر مدقع أو غرم موجع أو شقاء مفظع ؟ "(١).

وقال في موضع آخر" فماذا جرى لنا نحن المسلمين بعد هذه الوصايا والحكم حتى صرنا أشد الأمم اسرافا وتبذيرا واضاعة للأموال وجهلا لطرق الاقتصاد فيها وتثميرها واقامة مصالح الأمة بها في هذا الزمن الذي لم يسبق له نظير في أزمنة التاريخ من حيث توقف قيام مصالح الأمم ومرافقها وعظمة شأنها على المال حتى ان الأمم الجاهلة بطرق الاقتصاد التي ليس في أيديها مال كثير قد صارت مستذلة ومستعبدة للأمم الغنية بالبراعة في الكسب والاحسان في الاقتصاد"(٢) ثم يرجع السبب في ذلك الى أولئك " الذين لبسوا علينا بلباس الصالحين فنفثوا في الأمة سموم المبالغة في التزهيد والحث على انفاق جميع ما تصل اليه اليد وانما كان يريد أكثرهم انفاق كسب الكاسبين عليهم وهم كسالى لا يكسبون لزعمهم أنهم بحب الله مشغولون "(٢).

وجهود رجال المدرسة العقلية الاجتماعية في اصلاح أحوال البلاد الاسلامية الاقتصادية لا تنكر الا أنه مع هذا وقع منهم ما نرفضه ولا نقره منهم فكان لهم رأي في الربا المحرم وأن المراد به ما كان

---

(١) تفسير المنار: محمد رشيد رضا جـ١١ ص ٢٩ - ٣١

(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٤ ص ٣٨٢ - ٣٨٣

أضعافا مضاعفة وقد بينا فيما سبق ما ذهب اليه الأستاذ الامام محمد عبده فى ذلك ودعوته الى اباحة الربا للضرورة الاقتصادية وزعمه أن تحريم الربا كان السبب فى انتقال أموال المسلمين الى الأجانب بأرباح فاحشة (١)

قضية المرأة :

أحسب أن المرأة مركز الدائرة فى المجتمع ذلكم أنها الأم وهى البنت وهى الأخت وهى الزوجة وهى المربية والمعلمة .

وأحسب أنها فى كل قاعدة تقف عليها لا تخلو من جواذب - تجذب اليها جذبا الرجل والشاب والطفل فلا عجب اذا أن يكون لها تأثير قوى فى المجتمع ان صلحت أصلحت وان فسدت أفسدت ولذا حث الاسلام على الظفر بذات الدين وأنها خير متاع الدنيا .

ولهذا أيضا جند الاستعمار جنوده لافساد المرأة فيما يسمى بتحريرها وتبنى وأربابه هذه القضية وانخدعت بدعوته طائفة وتبنت فكرته أخرى ، وحاربتها البقيه والباقيه وقليل ما هم .

وعاصر رجال المدرسة العقلية الاجتماعية الحديثة فترة طويلة هذه المرحلة وعاشوا بين متقابلين أولهما واقع المرأة عامة فى تلك الفترة التى طغى عليها الجهل والخرافات وتخلت عن كثير مما أعطاها الاسلام لا رغبة وانما اما جهلا واما مكرهة . وثانيهما الدعوات المتطرفة التى أعطتها اكثر من حقها وجرتها الى متاهات لا تقوى جبلتها على خوضها ولا تدرك أبعادها تهلك أن سلكتها

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام : محمد رشيد رضا جـ١ ص ٩٤٤ وانظر آخر الاساس الرابع من هذا البحث .

وتضيع ان تبعتها .

وجاء المصلحون يريدون الاصلاح والتوفيق منهم من ثبت لم تهزه الاعاصير ولم يجرفه الطوفان ومنهم من لم يخلو بين حين وآخر من رأى غير سديد وقول غير حكيم ومدخلا غير سوى أولجه اياه حرصه على أن يقبض بكلتا يديه كلا الفريقين فلم يستطع دركا ولم يستطع ثباتا .

تناول رجال المدرسة الاجتماعية آيات من القرآن الكريم حاولوا أن يصلحوا على ضوئها وأن يبثوا من خلال تفسيرها ما يرون فيه اصلاحا لأوضاع المرأة .

قال السيد رشيد رضا فى تفسير قوله تعالى " فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم . ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين" [(١)] قال " أقول وفى الآية ما ترى من الحكم بمشاركة النساء للرجال فى الاجتماع للمباراة القومية والمناضلة الدينية وهو مبنى على اعتبار المرأة كالرجل حتى فى الأمور العامة الا ما استثنى منها ككونها لا تباشر الحرب بنفسها بل يكون حظها من الجهاد خدمة المحاربين كمداوة الجرحى " [(٢)] ثم يقول " فأين هذا من حال نسائنا اليوم ومن اعتقاد جمهورنا فيما ينبغى أن يكن عليه ؟ لا علم لهن بحقائق الدين ولا بما بيننا وبين غيرنا من الخلاف والوفاق ولا مشاركة للرجال فى عمل من الأعمال الدينية ولا الاجتماعية فهل فرض الاسلام على

---

(١) سورة آل عمران : الآية ٦١

(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا : جـ٣ ص ٣٢٣

نساء الأغنياء لا سيما فى المدن أن لا يعرفن غير التطرس والتطرز والتورن [١] وعلى نساء الفقراء لا سيما القرى والبوادى أن يكن كالأتن الحاملة والبقر العاملة ؟ وهل حرم على هؤلاء وأولئك علم الدنيا والدين والاشتراك فى شئ من شؤون العالمين ؟ كلا ، بل فسق الرجال عن أمر ربهم فوضعوا النساء فى هذا الموضع بحكم قوتهم فصغرت نفوسهن وهزلت آدابهن وضعفت ديانتهن ونحفت انسانيتهن وصرن كالدواجن فى البيوت أو السوائم فى الصحراء . . . لبث المسلمون على هذا الجهل الفاضح أحقابا حتى قام فيهم اليوم من يعيرهم باحتقار النساء واستعبادهن ويطالبونهم بتحريرهن ومشاركتهن فى العلم والأدب وشؤون الحياة منهم من يطالب بهذا اتباعا لهدى الاسلام وما جاء به من الاصلاح ومنهم من يطالب به تقليدا لمدنية أوروبا وقد استحسنت الدعوة الأولى بالقول دون العمل وأجيبت الدعوة الأخرى بالعمل على ذم الأكثرين لها بالقول فانشأ المسلمون يعلمون بناتهم القرآءة والكتابة وبعض اللغات الأوروبية والعزف بآلات اللهو وبعض أعمال اليد كالخياطة والتطريز ، ولكن هذا التعليم لا يصحبه شئ من التربية الدينية ولا من اصلاح الأخلاق والعادات بل هو من عوامل الانقلاب الاجتماعى الذى تجهل عاقبته" [٢] .

وفى قوله تعالى " فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض " [٣] . قال الشيخ أحمد مصطفى المراغى : - " ان هذا التشريع قد أصلح معاملة الرجل للمرأة واعترف لها بالكرامة وأنكر تلك المعاملة القاسية التى كانت

---

(١) التطرس التنوق فى الطعام والشراب أى تحرى الأطيب منهما ، والتطرز فى اللباس توخى الفاخر النفيس منه ، والتورن المبالغة فى التطيب والتنعم " تعليق السيد رشيد رضا (٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج٣ ص٣٢٣-٣٢٤

(٣) سورة آل عمران من الآية ١٩٥

تعاملهابها بعض الأمم فقد كان بعضها يعدها كالبهيمة المسخرة لمصلحة الرجل وبعضها يعدها غير أهل للتكاليف الدينية اذ زعموا أنه ليس لها روح خالد فما زعمه الافرنج من أنهم السباقون الى الاعتراف بكرامة المرأة ومساواتها للرجل ليس مبنيا على أساس صحيح فالاسلام هو الذى سبق كل الشرائع فى هذا ولا تزال شرائعهم الدينية والمدنية تميز الرجل من المرأة . نعم أن المسلمين قصروا فى تعليم النساء وتربيتهن ولكن هذا لا يصلح حجة على الدين نفسه "[1] .

وقال الأستاذ محمد فريد وجدى " ومما اختص به الاسلام الذهاب فى احترام الحقوق الطبيعية للمرأة الى حدود لم تدر فى خيال مشرع مدنى الى اليوم فالاسلام لم يكلف المرأة ، وهى زوجة بأى حق تؤديه للرجل غير حفظ عرضه وطاعته فى المعروف باعتبار أنه الرئيس الطبيعى للأسرة . .

والمرأة المسلمة لا تفقد بزواجها شيئا من استقلالها المالى فتظل على حريتها فى التصرف بمالها وأملاكها . . هذا الحق لم تنله المرأة الغربية الى اليوم فانها بزواجها تقع من - ناحيةتصرفاتها الاقتصادية - تحت وصاية زوجها "[2] .

ويرد الشيخ محمود شلتوت على خصوم الاسلام الذين اتخذوا التفاوت بين نصيبى الذكر والأنثى هكذا مطعنا على الاسلام من جهة أن فيه اهدارا لحق بنوة الأنثى المساوية تماما فى نسبتها الى المورث لبنوة الذكر . وقالوا : - ان هذا من فروع هضم الاسلام حق

---

(١) تفسير المراغى : أحمد مصطفى المراغى جـ ٤ ص ١٦٦ .

(٢) الاسلام دين الهداية والاصلاح : محمد فريد وجدى : ص : ١٧٥ .

المرأة وهى انسان كالرجل وفاتهم أن الذكر تتعدد مطالبه وتكثر تبعاته فى الحياة فهو ينفق على نفسه وعلى زوجه وعلى أبنائه ومن أصول الشريعة أنه يدفع المهر لمن يريد أن يتزوجها أما الأنثى فانها لا تدفع مهرا ويلزم زوجها بنفقتها فى مأكلها ومشربها ومسكنها وخدمها وذلك فوق تبعاته العائلية التى لا يلحق الأنثى مثلها وهذا باب يتضح منه أن نصيب الأنثى فى الوضع الاسلامى أعظم وأكثر من نصيب الذكر " (١) .

وفى تفسير قوله تعالى " ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات" (٢) يقول الشيخ محمود شلتوت " ومن هنا أخذ الفقهاء أن الشريفة مقدمة فى الزواج على غير الشريفة وأن حسنة السمعة مقدمة على سيئتها ، وفى هذا ايحاء قوى للنساء بأن يعملن جهدهن على تحسين سمعتهن وتحليهن بالأخلاق الفاضلة التى ترغب فيهن الأزواج . . ولقد كان لما اتخذته الفتاة لنفسها أو مكنها ولى أمرها من حرية واسعة فى هذه الأيام نصيب كبير فيما نرى من أزمة الزواج وأعراض الشباب عنه لما يعلمون عن الفتاة من أخلاق جعلت الزواج فى نظرهم بابا من أبواب الشقاء فعلى الفتاة وعلى ولى أمرها أن يتدبرا الأمر فان عليهما وحدهما تقع تبعة هذه المشكلة وعليهما أن يعملا على حلها ان أرادا الخير والسعادة " (٣) .

فان كنت قد أطلت وما أظنى الا وقد فعلت فانه يشفع لى

---

(١) تفسير القرآن الكريم : محمود شلتوت ص : ١٧٢
(٢) سورة النساء : من الآية ٢٥
(٣) تفسير القرآن الكريم : محمود شلتوت ص : ١٧٢

أن الموضوع هنا بحر واسع يزخر بالعديد من الأبحاث التى لا يكاد الباحث يفاضل بينها فيقدم أحدها أو يؤخر غيره .

ومع هذا فانى أعترف بأنى قد اختصرت المقال هنا اختصارا أرجو أن لا يكون مخلا بالبحث .

ذلكم أن من القضايا التى ألمعنا اليها ما يحتاج بنفسه لمن أراد التفصيل فيه الى بحث مستقل . خذ مثلا المرأة وقضيتها من أى النواحى أتيتها وجدت الأبحاث حبلى بما دار حولها .ان شئت فمن ناحية المساواه بينها وبين الرجل وان شئت فمن ناحية حقوقها فى الاسلام وان شئت فمن ناحية تعدد الزوجات وان شئت فمن الطلاق وان شئت فمن جهة عملها ومجالاته وان شئت فمن ناحية التعليم وان شئت فمن ناحية الحجاب والسفور والاختلاط وان شئت وان شئت .

اذا فلا عتب اذا ما أطلت الحديث عن هذا الأساس لدى رجال المدرسة العقلية الاجتماعية ولا عتب اذا ما اختصرت فيه أبحاثه حتى تذكر أنواعا من الاصلاح الاجتماعى .

لكن الذى أجزم به كل الجزم أن المدرسة العقلية الاجتماعية قد تناولت كثيرا من القضايا الاجتماعية وبذلت وسعها فى نشر ما تعتقد فيه صلاح المجتمع .

وقد أصابت الحق فى جوانب وأخطأته فى أخرى ،ونحن هنا نعرض المنهج عرضا ولا ننقده نقدا واذا لو فعلنا لاحتاج هذا الأساس وحده لرسالة مستقلة ، ولعل لنا فى ذلك عذرا أو بعض عذر.

وبعد . .

هذه أبرز الأسس التى يقوم عليها منهج المدرسة العقلية

الاجتماعيـــة الحديثة فى التفسير .

ولعلنا بعد هذا نعرض أهم مؤلفات رجال المدرسة فى التفسير ثم نختار بعضها كنموذج لتفاسيرهم بعد أن عرضنا منهجهم جميعا فيـــه .

أهم مؤلفات المدرسة العقلية الاجتماعية فى التفسير :-

وقد خلف رجال المدرسة عددا لا بأس به من المؤلفات فـــى التفسـير :

ويدرك المتأمل فى مؤلفاتـهم فى التفسير بروز ظواهر فى تأليفها أولها أن بعضهم كالأستاذ محمد عبده ومحمد مصطفى المراغى وابـن باديس لم يقصدوا التأليف قصدا ويكفى أن الأستاذ محمد رشيد رضـا قد كابد حتى وافق شيخه محمد عبده على تفسير القرآن ونشر تلميذه محمد رشيد رضا له .

أما الشيخ محمد مصطفى المراغى فقد كان تفسيره دروســـا دينية يلقيها فى شهر رمضان أمام الملك فاروق الأول فى المسجد ،

وأما الشيخ عبدالحميد بن باديس فان تفسيره هو تلـــــك الافتتاحيات التى كان ينشرها الشيخ فى مجلة الشهاب فى الجزائر جمعها من بعده بعض تلاميذه .

والظاهرة الثانية أنه لم يكمل التفسير من رجال المدرســـة الا الشيخ أحمد مصطفى المراغى فى ١٠ مجلدات والأستاذ محمد فريـــد وجدى فى مجلد واحد .

وثالثـــة الظواهر أن غالبهم لم يقصد تأليف تفسير شامل للقرآن فقد كانوا يختارون آيات معينه أو سورا محدودة أو جزءا خاصـــا

للتفسير فلم يبدأ أحد منهم القرآن من أوله الا الشيخ محمد عبده ولم يتمه ، وأحمد مصطفى المراغي ومحمد فريد وجدى ومحمود شلتوت ولم يتمه .

ومع بدو هذه الظواهر فى تلكم المؤلفات الا أنها لا قت صدى واسعا بين المسلمين وبغض النظر عن ما لهذه التفاسير وما عليها الا أنها لاقت منزلة عند أرباب الثقافة فى العصر الحديث .

وسنذكر هنا أهم مؤلفاتهم اجمالا ثم نفرد بعضها بدراسة خاصة أوسع كنموذج لمؤلفاتهم فى التفسير بعد أن تناولنا منهجهم فيه .

١ - تفسير القرآن الحكيم المعروف بـ " تفسير المنار " .

تأليف : السيد محمد رشيد رضا ، وسنفرد الحديث عنه ان شاء الله

٢ - تفسير جزء عم :

للاستاذ الامام : محمد عبده : عدد صفحاته ١٨٥ وقد طبع عدة طبعات أولها فى القاهرة سنة ١٣٢٢

٣ - تفسير سورة العصر :

للأستاذ الامام محمد عبده : عدد صفحاته ٩٢ القطع الصغير ، أما تفسير السوره فيخصه ٥٤ صفحة ، وأما باقيه فدرس عام فى العلم الاسلامى والتعليم . وقد طبع أيضا هذا التفسير عدة طبعات أولها سنة ١٣٢١ .

وهذا التفسير وليد اقتراح بعض العلماء فى الجزائر على الأستاذ الامام أيام كان عندهم أن يقرأ لهم درسا عاما يستفيدون منه ويتحقق به تلقيهم عنه ففسر لهم سورة العصر ثم نشرته مجلة المنار ، ثم طبع مستقلا .

٤ - فاتحة الكتاب :

للأستاذ الامام محمد عبده : وعدد صفحاته ٤٧ القطع الكبير وطبع بالقاهرة سنة ١٣١٩ ثم طبع الطبعة الثانية سنة ١٣٨٢ ، بالقاهرة ، وهى مفرده من تفسير المنار .

٥ - تفسير الفاتحة وست سور من خواتيم القرآن " العصر ، الكوثر ، الكافرون ، الاخلاص ، المعوذتين . تأليف : السيد محمد رشيد رضا وعدد صفحاته ٢٣٧ . أما تفسير الفاتحة فمن تفسير المنار ، وأما تفسير سورة العصر فهو للأستاذ محمد عبده الذى أشرنا اليه . وطبع ضمن هذا التفسير خمس آثارات للأستاذ الامام فى التوسل والتوحيد ومشكلات التفسير - محاضرة فى العلم والتعليم وصدرت الطبعة الثانية من دار المنار سنة ١٣٦٧ .

٦ - الدروس الدينية لسنة ١٣٥٧ :

للأستاذ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر وعدد صفحاته ٣١ ، ويحتوى على درسين ألقاها الشيخ المراغى أمام الملك فاروق الأول . أولهما فى المسجد الزينبى وهو تفسير لقوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات " الآيات : الى قوله تعالى " واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان" الآية . وثانيهما فى مسجد البوصيرى بالاسكندرية أمام الملك أيضا وفى تفسير قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم " الى آخر الآية ٢٩ من سورة الأنفال .

وقد طبع هذا التفسير بمطبعة الأزهر .

٧ - الدروس الدينية لسنة ١٣٦١ :

له أيضا . وعدد صفحاته ٢٨ ، ويحتوى على ثلاثة دروس :

الدرس الأول : تفسير قوله تعالى " من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها " الخ سورة الأنعام .

الدرس الثانى : فى تفسير قوله تعالى " خذ العفو وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين " الى قوله تعالى " لقوم يؤمنون " الآيات ١٩٩-٢٠٣ ، الأعراف .

الدرس الثالث : تفسير قوله تعالى " ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون " الى قوله تعالى " انه هو السميع العليم " الآيات ٣٠ - ٣٦ ، فصلت .

وطبع أيضا بمطبعة الأزهر .

٨ - تفسير سورة الحجرات :

له أيضا ..

وذلك فى ثلاثة دروس ألقاها الشيخ محمد المراغى شيخ الجامع الأزهر فى شهر رمضان سنة ١٣٥٨ أمام الملك فاروق الأول ، وطبع بمطبعة الأزهر . ويقع فى ٣٠ صفحة .

٩ - الدروس الدينية : لسنة ١٣٥٦ هـ : له أيضا ، ويحتوى على أربعة دروس . أولها قوله تعالى " ليس البر أن تولوا وجوهكم" الآية ١٧٧ البقرة .

ثانيها " قوله تعالى " وسارعوا الى مغفرة من ربكم " الآية ١٣٣-١٣٨ من سورة آل عمران .

ثالثها " " شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا " الآيتان ١٣ - ١٤ من سورة الشورى .

رابعها " قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم "الآيات ١٥١-١٥٣ الأنعام.

١٠- تفسير جزء تبارك :

الأستاذ عبد القادر المغربى .

وطبع فى المطبعة الأميرية سنة ١٣٦٦ وقام بالتعليق عليها بتكليف من وزارة التربية والتعليم بالقاهرة الأستاذ على محمد حسب الله ، وراجع التفسير الشيخ عطيه صقر من علماء المراقبة العامة للثقافة بالأزهر ، ويقع هذا التفسير فى حوالى ١٣٦ صفحة من القطع الكبير ، وسيأتى ان شاء الله الحديث عنه .

١١- تفسير القرآن الكريم (الأجزاء العشرة الأولى) تأليف الشيخ محمود شلتوت

وطبع عدة مرات بين يدى الطبعة السادسة سنة ١٣٩٤ الناشر دار الشروق ، ويقع فى ٦٥٩ صفحة .

١٢- المصحف المفسر :

للأستاذ محمد فريد وجدى .

وهو تفسير مختصر كامل للقرآن الكريم فى مجلد واحد كبير الحجم تبلغ صفحاته ٨٢٧ صفحة ، وجاء التفسير مكتوبا على هامش القرآن الكريم .

١٣- تفسير المراغى :

تأليف : الشيخ أحمد مصطفى المراغى .

وهو تفسير كامل للقرآن الكريم ، ويقع فى عشرة مجلدات، وطبع أيضا عدة طبعات وبين يدى الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٤ هـ .

١٤- تفسير جزء عم :

تأليف : محمد المبارك عبد الله .

مطبعة محمد على صبيح ، عدد صفحاته ٢٢٢ من الحجم الكبير،

١٥- تفسير بن باديس (مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير) :
وهو دروس فى التفسير ، ألقاها الامام عبد الحميد بن باديس
فى مجلد واحد ، عدد صفحاته ٧٢٤ ، بين يدى الطبعة
الثانية ، دار الفكر .

أولا : تفسير القرآن الحكيم :

المشهور بتفسير المنار . .

أولا : المؤلف :

هو محمد رشيد بن على بن رضا بن محمد شمس الدين بن
السيد بهاء الدين . ولد يوم الأربعاء ٢٧ جمادى الأولى ١٢٨٢
فى قرية قلمون جنوب طرابلس الشام ، والتحق بالمدرسة
الوطنيه الاسلاميه فيها . وبعد اغلاقها لم تنقطع صلته
بمنشئها أستاذه حسين الجسر ، والتحق بالمدارس الدينية
حتى نال الشهادة العالميه .

وقد تأثر الأستاذ محمد رشيد رضا بكتاب احياء علوم الدين
للغزالى وبمجله العروة الوثقى التى كان يصدرها من باريس ،
جمال الدين الأفغانى ، ومحمد عبده .

وقد اتصل سيد رشيد بشيخه محمد عبده حينما كان الأخير
منفيا عن مصر . فالتقى به مرتين فى طرابلس كان نتيجتها
اعجاب السيد رشيد بالامام محمد عبده ورغبته فى الاتصال به .

وقد كان ذلك الاتصال بعد وصول محمد رشيد رضا الى
القاهرة يوم السبت ٢٣ رجب ١٣١٥ حيث زاره غداة وصوله
فى ضحوة الأحد . فكان أول حديث بينهما عن اصلاح الأزهر
وكان أول اقتراح له عليه ان يكتب تفسيرا للقرآن ينفخ فيه

من روحه التى وجد روحها ونورها فى مقالات العروة الوثقى فلم يوافق الامام على الكتابه فاقترح عليه رشيد أن يقرأ درسا فى التفسير واكثر عليه القول حتى وافق وبدأ الدرس فى غرة المحرم سنة ١٣١٧ هـ وانتهى منه فى منتصف المحرم سنة ١٣٢٣ عند تفسير قوله تعالى " وكان الله بكل شيء محيطا " من الآية ١٢٥ من النساء .

فواصل التفسير من بعده تلميذه محمد رشيد رضا حتى الآية ١٠١ من سورة يوسف ، حيث أتم تفسير سورة يوسف من بعده الاستاذ بهجت البيطار .

وكان من أغراض السيد رشيد التى دفعته الى الانتقال من الشام الى مصر رغبته فى انشاء صحيفة فصدر العدد الأول من مجلة المنار فى ٢٢ شوال سنة ١٣١٥ واستمرت فى الصدور حتى الجزء الثانى من المجلد الخامس والثلاثين فى ٢٩/ ربيع الثانى ١٣٥٤ هـ .

وقد جعل سيد رشيد رضا مجلته منبرا للاصلاح فكتب بها واستكتب علماء العصر وأدباءه ، وحذر من البدع والخرافات ودعا الى اصلاح التعليم ودعا الناس الى انشاء المدارس بأنفسهم لأن المدارس الحكومية فى عهده خاضعة للاستعمار مع انتشار المدارس التنصيرية .

وكان ينشر فى مجلته تفسير أستاذه الامام محمد عبده قبل أن يطبعه فى كتاب خاص .

وكان له نشاط فى الدعوة حيث أنشأ مدرسة لتخريج الدعاة وارسالهم الى أطراف العالم الاسلامى ، وكانت تعطى الطالب شهادة مرشد بعد ثلاث سنوات تؤهله للدعوة بين المسلمين واذا ما واصل ثلاث سنوات أخرى أصبح داعيا لغير المسلمين للدخول فى الاسلام ، وكان

لهذه المدرسة أثر كبير فى اعداد الدعاة .

أما السياسة فكان أستاذه محمد عبده ينهاه عن الخوض فيها ويحذره . ولما توفى الأستاذ دخل السيد رشيد ميدان السياسة جهارا فنقد الدولة العثمانيه وأنشأ مع العثمانيين المقيمين فى القاهرة " جمعية الشورى العثمانيه " وتولى رئاستها وبدأت ترسل منشوراتها السريه الى سائر أرجاء البلاد العثمانيه فأقلق مضاجع السلطه الى أن وقع الانقلاب العثمانى ، وكان رشيد من الساعين الى هذا الانقلاب بالخفاء .(١)

أما التأليف فقد كان فيه من المكثرين فاضافه الى نشاطه الكبير فى الصحافة فقد كان مهتما بالتأليف ومن أشهر مؤلفاته : -

١ - تاريخ الاستاذ الامام ، فى ثلاثة مجلدات وهو أوسع ترجمه للامام محمد عبده ، بل أوسع ترجمه لرجل واحد فى العصر الحديث فيما أعلم .

٢- نداء للجنس اللطيف
٣- الوحى المحمدى
٤- المنار والأزهر
٥- الوحده الاسلامية
٦- ذكرى المولد النبوى
٧- الخلافة
٨- الوهابيون والحجاز
٩- السنه والشيعة أو الوهابيه والرافضه .
١٠- مناسك الحج
١١- تفسير المنار وهو موضوع حديثنا هنا .
١٢- الربا والمعاملات فى الاسلام
١٣- شبهات النصارى وحجج الاسلام .
١٤- تفسير الفاتحه وست سور من خواتيم القرآن .

---

(١) مجلة المنار: مجلد ٤ ص ٤٣

١٥- انجيل برنابا ١٦- المسلمون والقبط .

١٧- فتاوى السيد رشيد رضا ١٨- ترجمة القرآن

هذه أهم مؤلفات السيد رشيد رضا وله غيرها من المؤلفات كثير زد على هذا المقالات والرسائل التى لا تقل عن هذه المؤلفات قيمة وحجما .

وقد اشتهر السيد محمد رشيد رضا خاصة بعد وفاة الأستاذ محمد عبده بميله الى التفسير بالمأثور والاهتمام بكتب السلف وطبعها فى مطبعة المنار حتى أثار عليه ذلك الخصوم وحتى سموه ب" الوهابى " وقد بذل جهدا كبيرا فى الدفاع عن عقيدة السلف المتمثلة فى دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وكتب مقالات عديدة فى الدفاع عنها بل تجاوز ذلك الى التأليف فأفردها بما سبق ذكره من المؤلفات عن الوهابيين كما يسميهم خصومهم .

وفاته :

توفى السيد رشيد رضا يوم الخميس ٢٣ جمادى الأولى سنة ١٣٥٤هـ ، وتوفى وهو يقرأ القرآن فى السياره قبل وصوله الى مصر الجديده عائدا من السويس مودعا الأمير سعود بن عبد العزيز، ودفن فى قرافة المجاورين بجوار أستاذه محمد عبده .

ثانيا : التفسير : تفسير القرآن الحكيم " تفسير المنار "

قلنا أن السيد محمد رشيد رضا قد استطاع أن يقنع أستاذه محمد عبده بأن يلقى دروسا فى تفسير القرآن الكريم وأنه قد ابتدأ هذه الدروس فى غرة المحرم سنة ١٣١٧هـ ، وكان رشيد رضا يبادر بكتابة تفسير أستاذه ثم نشره فى مجلة المنار التى يصدرها محمد رشيد رضا نفسه ، ولهذا فقد عرف هذا التفسير بتفسير المنار .

ثم بدا له أن ينشره بطبعة مستقلة فبدأ بطبع الجزء الثانى منه وعلل ذلك بأن الجزء الأول منه كان مختصرا ولم يلتزم فيه ما التزمه فيما بعده من تفسير جميع عبارات الآيات وذكر نصوصها ممزوجة فيها ، فاقترح على أستاذه أن يعيد النظر فيه ويزيد ما يسنح له من زيادة أو ايضاح ففعل وزاد هو أيضا زيادات أخرى[(١)].

وقد صدر هذا التفسير فى اثنى عشر مجلدا متوسطة الحجم وقد وصل فيه التفسير الى نهاية الآية ٥٢ من سورة يوسف ، وكان السيد رشيد رضا قد توفى عند تفسير الآية ١٠١ من السورة نفسها

وجاء من بعده الأستاذ محمد بهجت البيطار فضم تفسير السورة بعضه الى بعض وأكمل تفسيرها وأصدر ذلك كله فى كتيب واحد باسم السيد محمد رشيد رضا وعنوانه : " تفسير سورة يوسف عليه السلام " وصدرت طبعته الأولى سنة ١٣٥٥ وتبلغ صفحاته ١٥٧ صفحة .

نماذج من التفسير :

وأيها نذكر وأيها ندع والتفسير ملئ بالأمثله فى موضوعات شتى منها ما هو محمود ومنها ما هو سواه ونحن حين نورد ما نورد من أمثلة لا نقصد الأخير قصدا ولا ما قبله عمدا فليس حمد تفسيرهم ولا ذمه مرادنا ، وانما هو العرض فان كان غالبه من هذا أو ذاك فما قصدناه . وانما اخترنا مواضيع حرصنا على تنوعها وأوردنا فيها أمثلة حرصنا على بيانها .. فمن ذلك : -

أولا : الخوارق والمعجزات :

وأمر الخوارق قديم وما يزال الحديث عنها بين مثبت ومنكر وبين

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ١٦

مثبت لحجتيها ومنكر لها .

ولا شك أن المعجزات حجة للرسل لا ينكر هذا الا خاضع لهوى أو جاهل . ولذلك توعد الله سبحانه من يكفر بعدها بالعذاب الشديد فحين طلب الحواريون من عيسى عليه السلام أن ينزل الله عليهم مائدة من السماء أحس عليه السلام بعاقبتها فقال " اتقوا الله ان كنتم مؤمنين " وحين أصروا " قال الله انى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فانى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين " (١) .

ولأنها حجة وصفها موسى عليه السلام بأنها " شيء مبين " حين أراد أن يظهر حجته عند فرعون وقومه فقال لفرعون " قال أولو جئتك بشيء مبين ، قال فأت به ان كنت من الصادقين فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ،ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين " (٢) .

ولكن المعجزة تلك أمر خارق للعاده وأمر كهذا يصيب العقل بالدهشة ويوقفه عند حدّ لا يستطيع معه اكتناه سرها ومعرفة حقائقها ودقائقها مما يوقف صاحبها عند مفترق طرق ، اما أن يعرف قصور العقل عن دركها وأن هذا أمر خارج عن قدرة البشر فيبحث عن منشئه حتى يصل الى الايمان بالله تعالى ، واما أن يبقى مصرا على أن العقل خلق ليعرف وأنه قادر على أن يعرف لا يعجزه شيء وما عجز عنه فليس لقصور فيه وانما فيما عجز عن دركه اما لعدم ثبوته أو بتأويله بما لا يكون به خارقا للعادة وبالتتبع ليس مدهشا للعقل .

قالت طائفة بذاك ، وقالت طائفة بذا ، والتمستكل ما ترى لها

---

(١) انظر سورة المائدة : الآيات : ١١٢-١١٥

(٢) سورة الشعراء : ٣٠ - ٣٣

به متعلقا لتأويل أو انكار أو تقليل من شأنها .

بل عدّ السيد رشيد رضا - عفا الله عنه - مجرد ذكر القرآن الكريم لمعجزات الأنبياء السابقين سببا لأعراض العلماء والعقلاء (!!) عن الدين الاسلامي والدخول فيه ؟ !! ولولا رواية القرآن لذلك لكان اقبال أحرار الافرنج عليه اكثر واهتداؤهم به أعم وأوسع حيث يقول : " ولولا حكاية القرآن لآيات الله التى أيد بها موسى وعيسى عليهما السلام لكان اقبال أحرار الافرنج عليه اكثر واهتداؤهم به أعم وأسرع لأن أساسه قد بنى على العقل والعلم وموافقة الفطرة البشرية وتزكية أنفس الأفراد وترقية مصالح الاجتماع "(١) .

ثم وصف هذه المعجزات وغيرها بقوله " وأما تلك العجائب الكونيه فهى مثار شبهات وتأويلات كثيرة فى رواتبها وفى صحتها وفى دلالتها وأمثال هذه الأمور تقع من أناس كثيرين فى كل زمان والمنقول منها عن صوفية الهنود المسلمين أكثر من المنقول عن العهدين العتيق والجديد وعن مناقب القديسين وهى من منفرات العلماء عن الدين فى هذا العصر "(١) .

ثم انظر حتى يتضح لك مذهبه الى قوله "**وقد كان أكثر من آمن** بتلك الآيات انما خضعت أعناقهم واستخذت أنفسهم لما لا يعقلون له سببا (!!؟) وقد انطوت الفطرة على أن كل ما لا يعرف له سبب فالآتى به مظهر للخالق سبحانه ان لم يكن هو الخالق نفسه وكان أضعاف أضعافهم يخضع مثل هذا الخضوع نفسه للسحرة والمشعوذين والدجالين ولا يزالون كذلك "(٢) .

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ١١ ص١٥٥ ، والوحى المحمدى له ص ٦٢

(٢) المرجع السابق جـ١١ ص ١٦٠ والوحى المحمدى : له ص ٧١

وخذ عبارة أوضح فى زعمه أن العقل لا يخضع للمعجزات، قال: " ان الله تعالى جعل نبوة محمد ورسالته قائمة على قواعد العلم والعقل فى ثبوتها وفى موضوعها لأن البشر قد بدأوا يدخلون فى سن الرشد والاستقلال النوعى الذى لا يخضع عقل صاحبه فيه لاتباع من تصدر عنهم أمور عجيبه مخالفة للنظام المألوف فى سنن الكون بل لا يكمل ارتقاؤهم واستعدادهم بذلك بل هو من موانعه"[1] .

وحتى نجلو حقيقه رأيه فهو يجيز وقوع المعجزة عقلا ويجب الايمان بها على ظاهرها[2] . ولكنها خاصة بما قبل رسالة محمد صلى الله عليه وسلم أما فى عصره عليه الصلاة والسلام " فانتهى بذلك زمن المعجزات ودخل الانسان بدين الاسلام فى سن الرشد فلم تعد مدهشات الخوارق هى الجاذبه له الى الايمان وتقويم ما يعرض للفطره من الميل عن الاعتدال فى الفكر والأخلاق والأعمال كما كان فى سن الطفوليه (النوعية) بل أرشده الله تعالى بالوحى الأخير (القرآن) الى استعمال عقله فى تحصيل الايمان بالله وبالوحى"[2] .

هذا مجمل رأيه فى المعجزات وآن الآوان لذكر بعضها آحادا وموقفه منها .

معجزات محمد صلى الله عليه وسلم :

أما معجزاته عليه الصلاة والسلام فقد أجمل الأستاذ رشيد رضا رأيه فيها وأراحنا من تتبع أقواله عند كل واحدة منها، وذلك حين دافع عن كتاب حياة محمد للأستاذ حسين هيكل وجاء فى

---

(١) تفسيرالمنار: محمد رشيد رضا جـ١١ ص١٥٩ والوحى المحمدى له ص٦٩

(٢) المرجع السابق : جـ١ ص ٣١٤ - ٣١٥

دفاعه عنه " أهم ما ينكره الأزهريون والطرقيون على هيكل أو أكثر مسألة المعجزات أو خوارق العادات وقد حررتها فى كتابى الوحى المحمدى من جميع مناحيها ومطاويها فى الفصل الثانى وفى المقصد الثانى من الفصل الخامس ، بما أثبت به أن القرآن وحده هو حجة الله القطعية على ثبوت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالذات ونبوة غيره من الأنبياء وآياتهم بشهادته ، لا يمكن فى عصرنا اثبات آية الا بها وأن الخوارق الكونيه شبهة عند علمائه لا حجة لأنها موجودة فى زماننا ككل زمان مضى (!!) وأن المفتونين بها هم الخرافيون من جميع الملل وبينت سبب هذا الافتتان والفروق بين ما يدخل منها فى عموم السنن الكونيه والروحيه وغيره "(1) .

احياء الموتى :

ومع أنه يعترف بجواز وقوع المعجزة عقلا ، ويخص ذلك بما قبل رسالة محمد صلى الله عليه وسلم الا أنه مع هذا كثيرا ما يؤول المعجزات للأنبياء السابقين بما لا تكون به معجزة أو بما لا تكون به أمرا خارقا ومن ذلكم قوله تعالى : " واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين " الى قوله سبحانه " واذا قتلتم نفسا فادّرأتم فيها والله يخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون "(2) .

وخلاصة قصة هذه الآيات أنه كان فى بنى اسرائيل رجل غنى وليس له ولد وكان له قريب وارث فقتله ليرثه ثم ألقاه فى الطريق

---

(1) مجلة المنار: مجلد ٣٤ جـ١٠ ص ٧٩٣ فى ٣ مايو ١٩٣٥م .

(2) سورة البقرة : الآيات : ٦٧ - ٧٣

وطالب قومه باخراج قاتله فاحتكموا الى موسى عليه السلام فأمرهم موسى أن يذبحوا بقرة - كما ورد فى القرآن - ثم ذبحوها وأمرهم موسى أن يضربوه ببعضها فضربوه فقام وأخبر بقاتاه ثم مات فكانت حياته آية لموسى عليه السلام وحجة على المعاد .

لكن الشيخ رشيد رضا حمل القصه تبعا لأستاذه الامام محمد عبده على أنها نوع من التشريع الذى كان موجودا فى زمن بنى اسرائيل لأجل الوصول الى معرفة القاتل المجهول فى هذه الحادثة وأمثالها لا على أنها وردت فى حادث معين فيه معجزة لموسى عليه السلام ، ودليلهم فى هذا ما ورد فى التوراة حيث قال ، الأستاذ الامام " على أن هذا الحكم منصوص فى التوراة وهو أنه اذا قتل قتيل لم يعرف قاتله فالواجب أن تذبح بقرة غير ذلول فى واد دائم السيلان ويغسل جميع شيوخ المدينه القريبه من المقتل أيديهم على العجلة التى كسر عنقها فى الوادى ثم يقولون أن ، أيدينا لم تسفك هذا الدم اغفر لشعبك اسرائيل ويتمون دعوات يبرأ بها من يدخل فى هذا العمل من دم القتيل ومن لم يفعل يتبين أنه القاتل ويراد بذلك حقن الدماء فيحتمل أن يكون هذا الحكم هو من بقايا تلك القصة أو كانت هى السبب فيه وما هذه بالقصة الوحيده التى صححها القرآن ولا هذا الحكم بالحكم الأول الذى حرفوه أو أضاعوه وأظهره الله تعالى "(١) .

وأيده بهذا الرأى السيد محمد رشيد رضا بقوله : "وأقول أن ما أشار اليه الأستاذ من حكم التوراة المتعلق بقتل البقره هو فى

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ١ ص ٣٤٧-٣٤٨

أول الفصل الحادى والعشرين من سفر تثنيه الاشتراع"[١] ثم ساق السيد رشيد نصه وقال بعده " والظاهر مما قدمنا ان ذلك العمل كان وسيلة عندهم للفصل فى الدماء عند التنازع فى القاتل اذا وجد القتيل قرب بلد ولم يعرف قاتله ليعرف الجانى من غيره ،فمن غسل يده وفعل ما رسم لذلك فى الشريعة برئ من الدم ومن لم يفعل ثبتت عليه الجناية "[٢].

وكدت أجد تأويلا لهذه النصوص بأنهما لا ينكران الحادثة وانما أثبتا أنه الحكم الشرعى عند بنى اسرائيل ولعله من بقايا تلك القصة أو الحادثة . كدت ألتمس لهما هذا لولا أن الأستاذ رشيد طبق الحكم المزعوم على الآية نفسها فأخرجها من كونها السبب فى الحكم الى كونها الحكم نفسه حيث قال " ومعنى احياء الموتى على هذا حفظ الدماء التى كانت عرضة لأن تسفك بسبب الخلاف فى قتل تلك النفس أى يحييها بمثل هذه الأحكام " الى أن قال " ويريكم آياته " بما يفصل بها فى الخصومات ويزيل من أسباب الفتن والعداوات فهو كقوله تعالى " انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله "[٣] . واكثر ما يستعمل مثل هذا التعبير فى آيات الله فى خلقه الدالة على صدق رسله"[٤]

ومن هذا يظهر أنهما يقولان بأن الآيات مسوقة لبيان حكم شرعى لا لبيان حادث تاريخى هو معجزة لموسى عليه السلام وقد ردّ عليهما ردّا حميدا فى هذا المقام الشيخ محمود شلتوت رحمه الله

---

(١) تفسير المنار: محمد رشيد رضا جـ١ ص ٣٤٧-٣٤٨
(٢) تفسير المنار: محمد رشيد رضا جـ١ ص ٣٥١
(٣) سورة النساء: من الآية ١٠٥
(٤) تفسير المنار: محمد رشيد رضا جـ١ ص ٣٥١

تعالى حيث قال " .. أن كلمة " أضربوه " واضحة فى أن يضرب المقتول ببعض البقرة المذبوحه ، وليس فى الكلام اشارة تتعلق بالقاتل الخفى ، ولا اشارة الى غسل أيدى أهل الحي من دماء البقره ، وقوله تعالى " ذلك يحي الله الموتى " يدل على أن الأحياء المشبه به وهو الأحياء فى هذا المقام ـ احياء حقيقى بعد موت تسلب فيه الروح ، وليس احياءا حكميا يحصل بمعرفة القاتل والاقتصاص منه حتى يكون بمثابة " ولكم فى القصاص حياة " كما يريد الشيخان ، ولو كان الأمر كما يقرران لما صح تقرير احياء الموتي للبعث والجزاء بهذا النوع من الأحياء الحكمى المجازى ، ولو أن قائلا قال ان الله يحي النفوس الجاهله بالعلم وكذلك يحي الموتي من قبورهم لما كان مثل هذا التشبيه والقياس سائغا ، وأن قوله تعالى " ويريكم آياته " لواضح فى الإراءه البصريه للآيات الكونيه لا فى الاراءه العقليه للاحكام الشرعية حتى يكون من قبيل " لتحكم بين الناس بما أراك الله " وان قوله بعد ذلك " ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة " ليدل على أنهم رأوا حالة ماديه من شأنها أن تؤثر فى النفوس ، ومن شأن القلوب أن ترق لها وأن تتجرد من القسوه والعناد عندها ، ومع ذلك لقد قسوا واشتدت قسوتهم وكانت قلوبهم كالحجارة أو أشد وكل هذا لا يتفق وما يريده الشيخان من حمل الآيه على المعنى التشريعى فهذا الحمل تأويل منهما لكنه تأويل لا تساعد عليه اللغه وما هو المعهود من كلام العرب " (١)

فقد التمس الشيخ شلتوت لهما عذرا وما هو بعذر حيث قال " والذى حمل الأستاذ الامام على هذا فيما نظن هو رغبته فى التخلص من الاعتراض الذى ذكره بعض المستشرقين مع وجود النص التشريعى الذى أشار اليه الشيخ بمعناه ونقله الشيخ رشيد بنصه " (٢)

---

(١) تفسير القرآن الكريم : محمود شلتوت ص ٤٤ - ٤٥
(٢) تفسير القرآن الكريم : محمود شلتوت ص ٤٣ - ٤٤

قلت ولا أحسب هذا بعذر لهما - عفا الله عنهما - وليتعظ الأحياء من بعدهما .

من معجزات عيسى عليه السلام :-

قال الله سبحانه وتعالى مثبتا معجزة لعيسى عليه السلام أظهرها سبحانه على يديه * ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بنى اسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله * (١) وقال سبحانه مثبتا وقوع هذه المعجزة منه عليه السلام بعد امكانها :- * اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا ، واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ، واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا بأذنى * (٢) الآيه

فثبت بنص القرآن الكريم وقوع هذه المعجزة لعيسى عليه السلام وحصولها منه ، ويرى الشيخ محمد عبده وتلميذه السيد رشيد فى تفسير آية آل عمران أن هذا يدل على امكان وقوعها لعيسى عليه السلام ولا يدل على وقوعها من غير رجوع الى آية المائدة وهما - أيضا - لا يستندان فى نفيهما الوقوع الى نص من الكتاب أو السنه ، وانما الى عدم تناقل النصارى لهذا (!!) خاصة في الأناجيل القانونية عندهم أما الأناجيل غير القانونية التى ورد فيها الأخبار بمجيء محمد صلى الله عليه وسلم وكون عيسى عليه السلام يخلق من الطين كهيئة الطير باذن الله فينفخ فيه فيكون طيرا باذن الله ونحو ذلك فلا قيمة لهذه الأناجيل !! وانما المستند الى تلك التى لم يرد فيها شيء من ذلك .

---

(١) سورة آل عمران : الايتين ٤٨ - ٤٩
(٢) سورة المائدة : من الآيه ١١٠

ولندع الشيخ عبده يوضح لنا ذلك حيث يقول فى تفسير آية آل عمران " وغاية ما يفهم منها أن الله تعالى جعل فيه هذا السر ولكن لم يقل أنه خلق بالفعل ولم يرد عن المعصوم أن شيئا من ذلك وقع " [1] ثم يقول " فان قصارى ما تدل عليه العبارة أنه خص بذلك وأمر بأن يحتج به والحكمه فى اخبار النبى صلى الله عليه وسلم بذلك اقامة الحجه على منكرى نبوته كما تقدم واما وقوع ذلك كله أو بعضه بالفعل فهو يتوقف على نقل يحتج به فى مثل ذلك " [1]

ويوضح لنا تلميذه النقل الذى يحتج به فى مثل ذلك فيقول :ـ" هذا ما قاله الأستاذ الامام ومن الغريب أن بن جرير يروى عن بن اسحاق "أن عيسى صلوات الله عليه جلس يوما مع غلمان من الكتاب فأخذ طينا ثم قال أجعل لكم من هذا الطين طائرا ، قالوا : وتستطيع ذلك ؟ قال : نعم باذن ربى ثم هيأه حتى اذا جعله فى هيئة الطير فنفخ فيه ثم قال كن طائرا باذن الله فخرج يطير بين كفيه " فكأنه اتخذ آية الله على رسالته ألعوبه للصبيان والحاصل أنه ليس عندنا نقل صحيح بوقوع خلق الطير بل ولا عند النصارى الذين يتناقلون وقوع سائر الآيات المذكورة فى الآيه الا ما فى انجيل الصبا أو الطفوله من نحو ما قال ابن سحاق وهو من الأناجيل غير القانونيه عندهم ، ولعل آية سورة المائدة أدنى الى الدلاله على الوقوع من هذه الآيه وهى ﴿ اذ قال الله ياعيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس . . الآيه [2] فان جعل ذلك كله متعلق النعمة يؤذن بوقوعه الا أن يقال أن جعل هذه الآيات مما يجرى على يديه عند طلبه والحاجه الى تحديه به من أجل النعم وأعظمها ولكن هذا خلاف الظاهر " [3]

---

(١) تفسير المنار: محمد رشيد رضا جـ ٣ ص ٢١١
(٢) سورة المائدة: الآيه ١١٠
(٣) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٣ ص ٢١١ - ٢١٢

الحمل بعيسى عليه السلام :

وورد ت النصوص القرآنيه التى تحد ثت عن الحمل بعيسى عليه السلام في سورتى آل عمران ومريم وغيرهما ففى الأولى قال تعالى على لسان مريم عليها السلام حين بشرها الله بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم " قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون "[1] وقال تعالى في سورة مريم " قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا ، قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آيه للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا"[2]

ولا شك أن حمل امرأة من غير أن يمسها بشر أمر خارق للعادة آمن المسلمون به من غير تفصيل لكيفيه نشؤ الحمل لأنه من الأمور الغيبيه التى لا تثبت الا بالوحي ولم ينص الوحى على كيفيته فتوقف السلف في ذلك واسندوا علمه الى الله سبحانه وتعالى .

وقد حاول السيد رشيد رضا تقريب حمل مريم بعيسى عليهما السلام الى الأذهان بما تكون به هذه الواقعه أمر عاديا لا اعجاز فيه وليس فيه آية للناس وهذا تفسير باطل نرفضه . فكيف اذا كان تأويله بما هو بعيد عن الحقائق متأثر بنظريات علميه ثبت بطلانها وزيفها ، حيث يقول :- " وأقول اعلم أن الكافرين بآيات الله ينكرون الحمل بعيسى من غير أب جمودا على العادات ، وذهولا عن كيفية ابتداء خلق جميع المخلوقات . ولو كان لهم دليلا عقلى على استحالة ذلك لكانوا معذورين ولكن لا دليل لهما لا أن هذا غير معتاد ، وهم في كل يوم يرون من شؤون الكون ما لم يكن معتادا

---

(١) سورة آل عمران الآيه ٤٧

(٢) سورة مريم : الآيتين ٢٠ - ٢١

من قبل ، فمنه ما يعرفون له سببا ويعبرون عنه بالاكتشاف والاختراع ، ومنه مالا يعرفون له سببا ويعبرون عنه بفلتات الطبيعه ونحن معاشر المؤمنين نقول أن تلك الأشياء المعبر عنها بالفلتات اما أن يكون لها سبب خفي وحينئذ يجب أن تهدى هؤلاء الجامدين الى أن بعض الأشياء يجوز أن يأتي من غير طريق الأسباب المعروفة ، فلا ينكروا كل ما يخالفها لاحتمال أن يكون له سبب خفي لم يقف عليه ، ولا ينزل أمر عيسى فى الحمل به من غير واسطة أب عن ذلك ، وأما أن تكون قد وجدت فى الواقع ونفس الأمر خارقة لنظام الأسباب وحينئذ يجب بأن يعترفوا بأن الأسباب الظاهرة المعروفه ليست واجبه وجوبا عقليا مطردا واذا كان الامر كذلك امتنع على العاقل أن ينكر شيئا ما ويعده مستحيلا لأنه لايعرف له سببا ، ولعل أبناء العصور السابقة كانوا أقرب الى أن يعذروا بانكار غير المألوف من أبناء هذا العصر الذى ظهر فيه من أعمال الناس ما لو حدث به عقلاء الغابرين لعدوه من خرافات الدجالين ، ونحن نرى علماء الغرب وفلاسفته متفقين على امكان التولد الذاتى أى تولد الحيوان من غير حيوان أو من الجماد ، وهم يبحثون ويحاولون أن يصلوا الى ذلك بتجاربهم ، واذا كان تولد الحيوان من الجماد جائزا فتولد الحيوان من حيوان واحد أولى بالجواز وأقرب الى الحصول نعم ... انه خلاف الأصل وان كونه جائزا لا يقتضي وقوعه بالفعل ، ونحن نستدل بوقوعه بالفعل بخبر الوحى الذى قام الدليل على صدقه "(١)

الا أن تعدى السيد رشيد رضا حدود التفسير وتجاوزه لمنهج السلف يظهر فى محاولته تقريب هذه الواقعه الى السنن المعروفه فى نظام الكائنات، وذلك بصرفها عن أن تكون خارقه وآية للناس الى أن تكون غير ذلك. حيث يقول :- " ويمكن تقريب هذه الآيه الالهيةمن السنن المعروفة فى نظام الكائنات بوجهين :-

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٣ ص ٣٠٨- ٣٠٩

(أحدهما) ان الاعتقاد القوى الذى يستولى على القلب ويستحوذ على المجموع العصبى يحدث فى عالم المادة من الآثار ما يكون على خلاف المعتاد فكم من سليم أعتقد أنه مصاب بمرض كذا وليس فى بدنه شئ من جراثيم هذا المرض فولد له اعتقاده تلك الجراثيم الحية وصار مريضا ، وكم من امرئ سقى الماء القراح أو نحوه فشربه معتقدا أنه سم ناقع فمات مسموما به ، والحوادث فى هذا الباب كثيره أثبتتها التجارب واذا اعتبرنا بها فى أمر ولادة المسيح نقول أن مريم لما بشرت بأن الله تعالى سيهب لها ولدا بمحض قدرته وهى على ماهى عليه من صحة الايمان وقوة اليقين انفعل مزاجها بهذا الاعتقاد انفعالا فعل فى الرحم فعل التلقيح، كما يفعل الاعتقاد القوى فى مزاج السليم فيمرض أو يموت ، وفى مزاج المريض فيبرأ ، وكان نفخ الروح الذى ورد فى سورة أخرى متمما لهذا التأثير.

(**الوجه الثانى**) وهو أقرب الى الحق وان كان أخفى وأدق وبيانه يتوقف على مقدمة وجيزه فى تأثير الارواح فى الاشباح ، وهى أن المخلوقات قسمان أجسام كثيفة وأرواح لطيفة ، وأن الطيف هو الذى يحدث فى الكثيف الحى ما نراه فيه من النمو والحركه والتوالد الذى يكون فيه من النمو أو يكون النمو منه فلولا الهواء لما عاشت هذه الاحياء والهواء روح ولذلك كان من أسمائه اذا تحرك الريح وأصلها روح بكسر الراء ولأجل الكسر قلبت الواو ياء لتناسبه والماء الذى منه كل شئ حى مركب من روحين لطيفين وهو يكاد يكون فى حال التركيب وسطا بين الكثيف واللطيف ولكنه أقرب الى الثانى ، والكهربائية من الأرواح وناهيك بفعلها فى الاشباح ، فهذه الموجودات اللطيفه التى سميناها أرواحا هى التى تحدث معظم التغيير الذى نشاهده فى الكون حتى أننا قد رأينا فى هذا العصر من أسرارها ما لم يكن يخطر على بال أحد من قدماء فلاسفتنا ، ويعتقد علماؤنا اليوم

أن ما سيظهر منها في المستقبل أجل وأعظم ، فاذا كان الامر كذلك في الأرواح التي لا دليل عندنا على أنها تدرك وتريد فلم لا يجوز أن يكون تأثير الارواح العاقلة المريده أعظم .

ثم قال " اذا تمهد هذا فنقول : أن الله المسخر للأرواح المنبثه في الكائنات قد أرسل روحا من عنده الى مريم فتمثل لها بشرا ونفخ فيها فأحدثت نفخته التلقيح في رحمها فحملت بعيسى عليه السلام وهل حملت اليها تلك النفخه مادة أم لا ؟ الله أعلم "(١)

ولا شك أن التأويل الاول بأن مريم عليها السلام اعتقدت اعتقادا قويا فعل في رحمها فعل التلقيح وأن تأثير الاعتقاد القوى اثبتته التجارب الكثيره تأويل باطل بل هو مفتاح لبطريق سهل للبغايا الفاسدات وليزعمن اذا وقع منهن الحمل أنهن لم يرتكبن جريمة الزنا وانما وقع منهن هذا الاعتقاد ؟! وما الذى بأيدينا حتى تثبت كذبهن اذا جعلنا هذا الاعتقاد سبيلا للحمل .

بل وأى فضل اختصت به مريم وابنها عليهما السلام بهذا الحمل وأى أمر عجب جعله الله آية للناس اذا كانت التجارب فى هذا كثيره؟ ألا فليعلم بطلان هذا التأويل وانحرافه .

نقول هذا مع أن الشيخ رشيد رضا وصف الوجه الثانى بأنه أقرب الى الحق ولكنه لم يكتف به فكان حقا علينا بيانه .

رفع عيسى عليه السلام الى الله سبحانه وتعالى :

قال الله تعالى " اذا قال الله ياعيسى انى متوفيك ورافعك اليّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين ابتعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامه ثم إليّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون "(٢)

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٣ ص ٣٠٩ - ٣١٠
(٢) سورة آل عمران : الآيه ٥٥

وجاء نفي قتله عليه السلام والاخبار برفعه الى الله سبحانه وتعالى في قوله تعالى " وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزحكيما" (١)

لذا فان المسلمين خلافا للنصارى يعتقدون بأن عيسى عليه السلام لم يقتل ولم يصلب بل رفعه الله اليه .

فقد نفى الله سبحانه وتعالى في الآيه الثانية قتل عيسى عليه السلام وأثبت في الآية الاولى وفاته .

فهل يعنى هذا اثبات الوفاة بدون قتل ولا صلب ؟ أو أن المراد بالوفاه في الآيه الاولى معنى آخر ؟ ثم ما المراد بالرفع في الآيتين هل المراد به رفع جسمه عليه السلام أو رفع مكانته وتشريفه ؟ وهل يفهم هذا الاخير من الآيتين ؟ وما الذى أوجب صرف الوفاة عن معناها المتبادر الى معنى آخر ؟ وما الذى أوجب صرف الرفع عند الفريق الآخر عن معناه الحسي الى معناه المعنوى ؟

كل هذا مما يرد في هاتين الآيتين من التساؤل وكله يرجع الى الخلاف في المراد بكلمتي، الوفاة ، والرفع فلنذكر المراد بهما ومعناهما عند السلف .

قال الامام الطبرى رحمه الله تعالى في تفسيره :

ثم اختلف أهل التأويل في معنى " الوفاة " التي ذكرها الله عز وجل في هذه الآية فقال بعضهم " هي وفاة نوم " وكان معنى الكلام على مذهبهم :- أني منيمك ورافعك في نومك " ثم قال :-" وقال آخرون : معنى ذلك أني قابضك من الارض ، فرافعك الى ، قالوا ومعنى"الوفاة " القبض كما يقال توفيت من فلان ما لي عليه " بمعنى قبضته واستوفيته"

---

(١) سورة النساء : الآيتين ١٥٧ - ١٥٨

قالوا فمعنى قوله : ﴿ اني متوفيك ورافعك ﴾ أي قابضك من الارض حيا الى جوارى وآخذك الى ما عندى بغير موت ، ورافعك من بين المشركين وأهل الكفر بك " ثم قال " وقال آخرون : معنى ذلك : اني متوفيك وفاة موت" . وقال " وقال آخرون : معنى ذلك اذ قال الله يا عيسى اني رافعك الي ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد انزالي اياك الى الدنيا وقال : هذا من المقدم الذى معناه التأخير ، والمؤخر الذى معناه التقديم قال أبو جعفر [1] وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قول " معنى ذلك : - اني قابضك من الأرض ورافعك الي " لتواتر الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ينزل عيسى بن مريم فيقتل الدجال ، ثم يمكث فى الأرض مدة ذكرها اختلف الرواية فى مبلغها ثم يموت فيصلى عليه المسلمون ويدفنونه " [2]

ومعنى هذا أن الطبرى يقول بأن عيسى عليه السلام لم يمت ولم يقتل ولم يصلب وانما قبضه الله اليه حيا ورفعه اليه كذلك وقد تواترت الأخبار بنزوله بعد هذا الى الارض الخ .

فهو يستند فى تفسيره رحمه الله تعالى لهذه الآية الى القرآن الكريم والى السنة المتواترة والى دلالة اللغة العربية ومفهومها ولا يميل فى تفسيره الى هوى فى نفسه أو مداهنة لغيره وقال بهذا التفسير علماء السلف كلهم واتفقوا عليه واستدلوا بالأدلة والحجج القوية والبراهين الساطعة ولم يقل أحد منهم أن عيسى رفع ميتا حتى الذين فسروا الوفاة بالموت فانهم ذكروا أنه مات ثلاث ساعات وقيل فى رواية أخرى سبع ساعات ثم أحياه الله وفى مثل هذا القول ضعف [3]

---

(١) يعنى الطبرى نفسه .
(٢) تفسير الطبرى جـ ٦ ص ٤٥٥ - ٤٥٨
(٣) فتح القدير للشوكانى جـ ١ ص ٣٤٥

وأسند السلف في تفسيرهم هذا الى ما يدل عليه القرآن الكريم والسنة المتواتـــرة .

فمن القرآن قوله تعالى عن بنى اسرائيل * وقولهم إنا قتلنا المسيـــح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذيـــن اختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بـــل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيمـــا * (١)

فأخبر الله سبحانه وتعالى أنهم ما قتلوه وما صلبوه وأخبر بأنه سبحانه رفع عيسى عليه السلام اليه . ومما لا شك فيه أن هدف بنى اسرائيل هـــو (وفاة) عيسى عليه السلام وهذا متحقق بقتلهم وصلبهم له أو موته ولا فائدة في نفي القتل والصلب وحصول الموت فتعـين انتقاء الثلاثة القتل والصلـب والموت واثبات رفعه عليه الصلاة والسلام الى الله سبحانه وتعالى .

وتأويل التوفي في قوله تعالى * اذ قال الله ياعيسى أنى متوفيـــك ورافعك إلـيّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذيـــن كفروا الى يوم القيامه ثم الى مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون * (٢) بما لا يدل على الموت بل يدل على معنى آخر تبقى معه الحياة وتدل عليـــه اللغة العربية كالنوم الذى يسمى بالوفاة فى اللغة قال تعالى * وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار * (٣) أو القبض أو الاستيفاء ونحـــو ذلك مما ذكرنا آنفا . وانما احتاج المفسرون الى تأويل الوفاة بما ذكر لأن الصحيح أن الله رفعه الى السماء من غير وفاة لما صح فى الأخبار عـــن النبى صلى الله عليه وسلم من نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال (٤)

---

(١) سورة النساء الآيتين ١٥٧ - ١٥٨
(٢) سورة آل عمران الآية ٥٥
(٣) سورة الانعام من الآية ٦٠
(٤) فتح القدير جـ ١ ص ٣٤٤

فقد تواتر فى السنة النبوية الشريفة نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان وممن حكى التواتر هذا ابن جرير الطبرى (١) كما نقلنا عنه آنفا والشوكانى في تفسيره (٢) وابن كثير (٣) وابن حجر العسقلانى (٤) وابن عطية الغرناطى الاندلسي فى تفسيره (٥)

وأبو الوليد بن رشد (٦) والسفارينى (٧) والكتاني (٨) والشيخ محمد شفيع (٩) والشيخ مصطفى صبرى (١٠) وأبو حيان الاندلسي فى تفسيره (١١) والكوثرى (١٢) (١٣)

---

(١) تفسير الطبرى جـ ٦ ص ٤٥٨ .

(٢) فتح القدير جـ ١ ص ٥٣٥

(٣) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٦١٥ - ٦٢١ وجـ ٤ ص ١٤٣

(٤) فتح البارى : ابن حجر العسقلانى جـ ٦ ص ٤٩٣ - ٤٩٤

(٥) البحر المحيط : لابى حيان الاندلسى الغرناطى جـ ٢ ص ٤٧٣

(٦) اكمال اكمال المعلم (شرح صحيح مسلم) لابى عبد الله محمد بن خليفه الوشتانى الأبى جـ ١ ص ٢٦٥

(٧) لوامع الانوار البهية محمد بن أحمد السفارينى جـ ٢ ص ٩٤ - ٩٥

(٨) نظم المتناثر من الحديث المتواتر لابى عبد الله محمد الكتانى ص ١٤٧

(٩) مقدمة التصريح بما تواتر فى نزول المسيح كتبها الشيخ محمد شفيع ص ٥٦ .

(١٠) موقف العقل والعلم والعالم جـ ٤ ص ٢٤٧ : مصطفى صبرى .

(١١) النهر الماد من البحر : لأبى حيان الاندلسي جـ ٢ ص ٤٧٣ بهامش تفسير البحر المحيط .

(١٢) نظره عابره فى مراعم من ينكر نزول عيسى عليه السلام : محمد زاهد الكوثرى ص ٣٦

(١٣) استفدت فى نقل هذه الاشارات لحكاية التواتر من تحقيق شيخنا عبد الفتاح أبوغده لكتاب التصريح بما تواتر فى نزول المسيح ص ٦٢-٦٥

وقد مهد السيد رشيد رضا لانكار رفع عيسى عليه السلام بالتشكيك فى الاحاديث ليس فى صحتها ولكن بأسلوب آخر هو أخطر واكثر انحرافا عن جادة الحق والصواب فحينما التمس شيخه محمد عبده مخرجا من هذه الاحاديث بقوله " ولصاحب هذه الطريقه فى حديث الرفع والنزول فى آخر الزمان تخريجان أحدهما أنه حديث آحاد متعلق بأمر اعتقادى لانه من أمور الغيب والامور الاعتقاديه لا يؤخذ فيها الا بالقطعى لان المطلوب فيها هو اليقين وليس فى الباب حديث متواتر ، وثانيهما تأويل نزوله وحكمه فى الارض بغلبة روحه وسر رسالته على الناس" [1] حينما قال هذا عقب عليه تلميذه السيد رشيد بقوله " هذا ما قاله الاستاذ الامام فى الدرس مع بسط وايضاح ، ولكن ظواهر الاحاديث الواردة في ذلك تأباه ولا هل هذا التأويل أن هذه الاحاديث قد نقلت بالمعنى كأكثر الاحاديث والناقل للمعنى ينقل ما فهمه " [1] ؟!

وانما قلت أن هذا التأويل من السيد رشيد رضا أخطر وأكثر انحرافا ممن ينكر التواتر لان من أنكر التواتر اذا صح عنده التواتر عمل به واعتقد أما من زعم أن هذه الاحاديث نقلت بالمعنى فالتأويل الباطل هو مصيرها فى كل ما خالف معتقده ورأيه سواء كان الدليل متواتر أو دونه وحجته أنها رويت بالمعنى .

واذا ما جئنا الى تفسير آية آل عمران السابقة وجدنا السيد رشيد رضا يقول فى تفسيرها " والتوفى فى اللغه أخذ الشيء وافيا تاما ومن ثم استعمل بمعنى الإماته قال تعالى " الله يتوفى الأنفس حين موتها " [2]

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٣ ص ٣١٧

(٢) سورة الزمر من الآيه ٤٢

وقال " قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم " [(١)] فالمتبادر [(٢)] فى الآيه انى مميتك وجاعلك بعد الموت فى مكان رفيع عندى كما قال في ادريس عليه السلام * ورفعناه مكانا عليا * [(٣)] ثم قال " هذا ما يفهمه القارئ الخالي الذهن من الروايات [(٤)] والاقوال لأنه هو المتبادر من العبارة وقد أيدناه بالشواهد من الآيات ولكن المفسرين [(٥)] قد حولوا الكلام عن ظاهره لينطبق على ما أعطتهم الروايات من كون عيسى رفع الى السماء بجسده وهاك ما قاله الاستاذ الامام فى ذلك " ثم نقل تأويل الشيخ عبده لهذه الآية بقوله " يقول بعض المفسرين " انى متوفيك " أى منومك وبعضهم اني قابضك من الارض بروحك وجسدك " ورافعك الي " بيان لهذا التوفي وبعضهم اني أنجيك من هؤلاء المعتدين فلا يتمكنون من قتلك وأميتك حتف أنفك ثم أرفعك الي . ونسب هذا القول الى الجمهور وقال للعلماء ههنا طريقتان أحدهما وهي المشهورة أنه رفع حيا بجسمه وروحه وأنه سينزل فى آخر الزمان فيحكم بين الناس بشريعتنا ثم يتوفاه الله تعالى ولهم فى حياته الثانية على الأرض كلام طويل معروف وأجاب هؤلاء عما يرد عليهم من مخالفة القرآن في تقديم الرفع على التوفي بأن الواو لا تفيد ترتيبا - أقول وفاتهم أن مخالفة الترتيب في الذكر للترتيب في الوجود لا يأتى فى الكلام البليغ الا لنكته ولا نكته هنا لتقديم التوفي على الرفع

---

(١) سورة السجده : الآيه ١١

(٢) أهمل السيد رشيد المعانى الاخرى للوفاة الواردة فى القرآن فقد وردت بمعناها الاصلى الذى أشار اليه وهو أخذ الشيء وافيا تاما " يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت " ١١١ النحل ووردت بمعنى النوم وهو الذى يتوفاكم بالليل" ٦٠ الانعام ولم يذكر السيد الا معنى الموت ثم قال والمتبادر . . الخ

(٣) تفسير المنار: محمد رشيد رضا جـ ٣ ص٣١٦ والآيه فى سورة مريم: الايه٥٧

(٤) مما يشترط فى مفسر القرآن أن لايكون ذهنه خاليا من الروايات فكيف بالمتواتر .

(٥) لم يثتثن أحدا منهم وهو اعتراف منه باحداثهم لما ذهبوا اليه وشذوذهم فيه .

اذ الرفع هو الاهم لما فيه من البشارة بالنجاة ورفعه المكان . (قال والطريقة الثانية أن الآية على ظاهرها وأن التوفي على معناه الظاهر المتبادر وهو الاماتة العادية وأن الرفع يكون بعده وهو رفع الروح ولا بدع في اطلاق الخطاب على شخص وارادة روحه فان الروح هى حقيقة الانسان والجسد كالثوب المستعار فانه يزيد وينقص ويتغير والانسان انسان لان روحه هي هي (قال) ولصاحب هذه الطريقة فى حديث الرفع والنزول فى آخر الزمان تخريجان أحدهما أنه حديث آحاد متعلق بأمر اعتقادى لانه من أمور الغيب والامور الاعتقادية لا يؤخذ فيها الا بالقطعى لأن المطلوب فيها هو اليقين وليس في الباب حديث متواتر وثانيهما تأويل نزوله وحكمه في الارض بغلبة روحه وسر رسالته على الناس وهو ما غلب فى تعليمه من الأمر بالرحمة والمحبة والسلم والاخذ بمقاصد الشريعة دون الوقوف عند ظواهرها والتمسك بقشورها دون لبابها وهو حكمتها وما شرعت لاجله فالمسيح عليه السلام لم يأت لليهود بشريعة جديدة ولكنه جاءهم بما يزحزحهم عن الجمود على ظواهر الفاظ شريعة موسى عليه السلام ويوقفهم على فقهها والمراد منها ويأمرهم بمراعاته وبما يجذبهم الى عالم الارواح بتحرى كمال الآداب أى ولما كان أصحاب الشريعة الاخيرة قد جمدوا على ظواهر ألفاظها بل وألفاظ من كتب فيها معبرا عن رأيه وفهمه وكان ذلك مزهقا لروحها ذاهبا يحكمتها كان لابد لهم من اصلاح عيسوى يبين لهم أسرار الشريعة وروح الدين وأدبه الحقيقى وكل ذلك مطوى في القرآن الذى حجبوا عنه بالتقليد الذى هو آفة الحق وعدو الدين فى كل زمان فزمان عيسى على هذا التأويل هو الزمان الذى يأخذ الناس فيه بروح الدين والشريعة الاسلامية لاصلاح السرائر من غير تقيد بالرسوم والظواهر" (١)

---

(١) تفسير المنار جـ ٣ ص ٣١٧

والسيد رشيد استند في صرف لفظ الرفع عن معناه الحقيقي الى معناه المجازي الى ما حسبه من النصوص مساويا لقوله تعالى" ورافعك الي" [(١)] " بل رفعه الله اليه " [(٢)] فاستدل بقوله تعالى" ورفعناه مكانا عليا " [(٣)] ونحو ذلك .

وهذا خطأ ولا شك ، ذلكم أن رفع عيسى عليه السلام اقترن به الجار والمجرور"إليّ" و"إليه" ومرجع الضمير فيهما الى الله سبحانه وتعالى ، فالآيتان صريحتان في رفع عيسى عليه السلام الى الله سبحانه وتعالى . ولم يرد فيما ذكروه من آيات الرفع الأخرى وما لم يذكروه اقتران الرفع بالجار والمجرور" اليه "

ونستعيد تلك الآيات للتأكد " ورفعناه مكانا عليا " [(٣)] " ورفعنا لك ذكرك " [(٤)] " يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات " [(٥)]

" في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه " [(٦)] " نرفع درجات من نشاء " [(٧)]

* منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات * [(٨)] * ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه * [(٩)]

---

(١) سورة الال عمران : من الآيه ٥٥
(٢) سورة النساء : من الآيه ٥٨
(٣) سورة مريم : من الآيه ٥٧
(٤) سورة الشرح : الآيه ٤
(٥) سورة المجادله : من الآيه ١١
(٦) سورة النور : من الآيه ٣٦
(٧) سورة الانعام : من الآيه ٨٣ ، وسورة يوسف من الآيه ٧٦
(٨) سورة البقرة : الآية ٢٥٣
(٩) سورة الاعراف ١٧٦

﴿ ورفع بعضكم فوق بعض درجات ﴾ (١) ﴿ ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ﴾ (٢) وغير ذلك من الآيات ولم يقترن أى منها بـ " الى " أو " اليه " وحينما يقترن منها شئ بهذا فان المعنى ولا شك يختلف والا لكانت الزيادة عبثا يتنزه القرآن عنه ولم يكن اقترانها خاصا برفع عيسى فقد وردت في آية أخرى قال سبحانه ﴿ اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾ (٣) وهذا ولا شك يعطى الرفع قوة خاصة ومزية خاصة بأن الرفع اليه سبحانه وتعالى لا الى سواه وهو في السماء .

فوجب حمل الرفع لعيسى عليه السلام على أنه رفع الى الله سبحانه وتعالى في السماء ، وكيف وقد اقترن بهذا الرفع ما يؤيده مما تواتر في سنة أبى القاسم صلى الله عليه وسلم وهي المفسرة للقرآن التى لا يصح تناوله بالتفسير مجردا منها .

ثم لو كان المراد من قوله تعالى " متوفيك " مميتك ومن قوله " رافعك" رافع روحك كما زعموا " كان القول الثانى مستغنى عنه ، لان رفع روح عيسى عليه السلام بعد موته الى ربه وهو نبى جليل من أنبياء الله معلوم لاحاجة الى ذكره " (٤) فكان الاخبار برفع روحه بعد الاخبار بموته زيادة يتنزه عنها القرآن الكريم .

هذه بعض الامثلة على موقف السيد رشيد رضا فى تفسيره تفسير المنار من المعجزات والخوارق التى أخبر الله بها عن أنبيائه السابقين في القرآن الكريم .

---

(١) سورة الانعام الاية ١٦٥
(٢) سورة الزخرف الاية ٣٢
(٣) سورة فاطر من الاية ١٠
(٤) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين / مصطفى صبرى جـ٤ ص١٧٨

وهو في موقفه هذا يشارك رجال المدرسة العقلية الاجتماعية الحديثة موقفهم من المعجزات وهو أمر خطير زل فيه رجال المدرسة نسأل الله لنا ولهم السلامه من مواقع الزلل .

مسألة الخلود فى النار :

واضافة الى موقف السيد رشيد السابق من المعجزات فله موقف آخر في مسألة خلود مرتكب الكبيره .

برز ذلك عند تفسيره لقوله تعالى " الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ، ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا ، فمن جاءه موعظه من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ومن عاد فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون " (١)

وقد أول الخلود المفسرون لتتفق الآية مع المقرر فى العقائد والفقه من كون المعاصى لا توجب الخلود فى النار فقال أكثرهم أن المراد ومن عاد الى تحليل الربا واستباحته اعتقادا ، ورده بعضهم بأن الكلام في أكل الربا وما ذكر عنهم من جعله كالبيع هو بيان لرأيهم فيه قبل النحريم فهو ليس بمعنى استباحة المحرم فاذا كان الوعيد قاصرا على الاعتقاد بحله لا يكون هناك وعيد على أكله بالفعل ، والحق أن القرآن فوق ما كتب المتكلمون والفقهاء ، يجب ارجاع كل قول فى الدين اليه ، ولا يجوز تأويل شىء منه ليوافق كلام الناس ، وما الوعيد بالخلود هنا الا كالوعيد بالخلود فى آية قتل العمد وليس هناك شبهة فى اللفظ على ارادة الاستحلال ومن

---

(١) سورة البقرة : من الآيه ٢٧٥

(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا : جـ ٣ ص ٩٨

ومن العجيب أن يجعل الرازى الآية هنا حجة على القائلين بخلود مرتكب الكبيرة فى النار انتصارا لاصحابه الاشاعرة ، وخير من هذا التأويل تأويل بعضهم للخلود بطول المكث ، أما نحن فنقول ما كل ما يسمى إيمانا يعصم صاحبه من الخلود فى النار ، الايمان ايمانان ايمان لا يعدو التسليم الاجمالى بالدين الذى نشأ فيه المرء أو نسب اليه ومجاراة أهله ولو بعدم معارضتهم فيما هم عليه ، وايمان هو عبارة عن معرفة صحيحة بالدين عن يقين بالايمان ، متمكنة فى العقل بالبرهان ، مؤثرة في النفس بمقتضى الاذعان حاكمة على الإرادة المصرفة للجوارح في الاعمال بحيث يكون صاحبها خاضعا لسلطانها فى كل حال ، الا مالا يخلو عنه الانسان من غلبة جهالة أو نسيان ، وليس الربا من المعاصى التى تنسى أو تغلب النفس عليها خفة الجهالة والطيش كالحدة وثورة الشهوة ، أو يقع صاحبها منها في غمرة النسيان كالغيبة والنظرة ، فهذا هو الايمان الذى يعصم صاحبه باذن الله ، من الخلود فى سخط الله ، ولكنه لا يجتمع مع الاقدام على كبائر الاثم والفواحش عمدا ايثارا لحب المال واللذة على دين الله وما فيه من الحكم والمصالح .

وأما الأيمان الاول فهو صورى فقط فلا قيمة له عند الله تعالى لأنه تعالى لا ينظر الى الصور والاقوال ولكن ينظر الى القلوب والاعمال ، كما ورد فى الحديث والشواهد على هذا الذى قررناه فى كتاب الله تعالى كثيرة جدا وهو مذهب السلف الصالح وان جهله كثير ممن يدعون اتباع السنة حتى جرؤوا الناس على هدم الدين بناء على أن مدار السعادة على الاعتراف بالدين وان لم يعمل به ، حتى صار الناس يتبجحون بارتكاب الموبقات مع الاعتراف بأنها من كبائر ما حرم ، كما بلغنا عن بعض كبرائنا أنه قال اننى لا أنكر أننى آكل الربا ولكننى مسلم أعترف بأنه حرام ،

وقد فاته أنه يلزمه بهذا القول الاعتراف بأنه من أهل هذا الوعيد وبأنه يرضى أن يكون محاربا لله ولرسوله ، وظالما لنفسه وللناس كما سيأتي في آية أخرى ، فهل يعترف بالملزوم ، أم ينكر الوعيد المنصوص ، فيؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض ؟ نعوذ بالله من الخذلان "[1]

ولا شك أيضا أنه جانب الصواب في هذا لأن النصوص الكثيره دلت على أن أصحاب الكبائر لا يخلدون في النار وانما يخلد المشركون دونهم قال تعالى " ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء "[2] وقال سبحانه " قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ، انه هو الغفور الرحيم "[3]

وقد وردت أحاديث كثيره في السنه في بيان عدم خلود أصحاب الكبائر في النار ماداموا غير مشركين وأنهم يخرجون منها قال الامام الشوكاني " والمصير الى هذا التأويل واجب للاحاديث المتواترة"[4] وقال ابن كثير رحمه الله تعالى " وقد تواترت الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " أنه يخرج من النار من كان في قلبه أدنى مثقال ذره من ايمان "[5]

ولهذا أول السلف الخلود في الآيه السالفة بأحد تأويلين :-

أولهما : أن المعنى ومن عاد الى القول بأن البيع مثل الربا فقد استحل ما حرم الله فيكفر فيستحق الخلود .

وثانيهما : تأويل الخلود بطول المكث .

وليس هذا مقام تقرير ذلك وانما بيان مخالفته لرأى السلف وموافقته للمدرسة العقلية القديمة المعتزله في خلود أصحاب الكبائر والله الهادى .

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٣ ص ٩٨- ٩٩

(٢) سورة النساء : الآيه ٤٨ وأيضا الآيه ١١٦ . (٣) سورة الزمر : الآيه ٥٣

(٤) فتح القدير: الشوكاني جـ١ ص٢٩٦ . (٥) تفسير ابن كثير: جـ١ ص ٥٧٢

أصل الانســــان :

لا شك أن أصل الانسان من الامور الغيبية التى لاسبيل الى معرفتها والقطع بها الا عن طريق الوحي .

والوحى عندنا نحن المسلمون لايخرج عن آيه شريفة أو سنة صحيحة وما سواهما فضرب من خيال .

والآيات على خلق الانسان من طين متعدده بأساليب شتى نذكر هنا بعضها :

قال الله تعالى * ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون ، والجان خلقناه من قبل من نار السموم ، واذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون ، فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين *(١)

وقال سبحانه * ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ،ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ، ثم انكم بعد ذلك لميتون ، ثم انكم يوم القيامة تبعثون *(٢)

وقال سبحانه * الذى أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه *(٣)

---

(١) سورة الحجر : الآيات ٢٦ - ٣١
(٢) سورة المؤمنون : الآيات ١٢ - ١٦
(٣) سورة السجده : الايتين ٧ - ٨

وقال سبحانه ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ﴾ (١) وقال سبحانه ﴿ ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ (٢)

وهذه الآيات وغيرها تنص نصا على خلق آدم أبى البشر من تراب ثم تناسل ذريته من بعد من ماء مهين ذلكم مجمل معتقد السلف .

ثم ظهرت على مسرح النظريات العلمية نظرية اعترف أصحابها أنها نظرية وأبى آخرون الا أن يعدوها حقيقة علمية تلكم ما يعرف بـ" نظرية داروين " فذهبوا للاستدلال لها كل مذهب ووقف آخرون حائرون بين الدين الذى يعتقدون والنظرية التى يستمعون .

أحسب أنه عزّ عليهم أن يقع تصادم بين الدين ... والعلم بل ما حسبوه علما ثابتا .. فأخطأوا الطريق وظنوا أن سبيل التوفيق تأويل الآيات القرآنية تأويلا يوافق هذه النظريه فلا يكون تصادم ولا يكون تناقض .

أخطأوا الطريق مرتين مرة حين حسبوها حقيقة علمية مع أن صاحبها " داروين " نفسه لم يجزم بها حيث قال " اسمح لى أن أضيف الى هذا بأنى لست من قلة العقل بحيث اتصور بأن نجاحى يتعدى رسم دوائر واسعه لبيان أصل الانواع " (٣)

ومرة حين عمدوا الى الآيات الصريحه يؤولونها ويصرفونها عن معانيها لا لشىء الا لانها لم توافق تلكم النظرية .

---

(١) سورة النساء : من الآيه الأولى
(٢) سورة آل عمران : الايه ٥٩
(٣) على أطلال المذهب المادى : محمد فريد وجدى ج ١ ص ١٠٢

والشيخ محمد عبده وتلميذه السيد رشيد رضا لم يرفضا هذه النظريه والحق أيضا أنهما لم يعلنا قبولها لكنهما فسرا الآيات القرآنية بما يفتح الباب على مصراعيه لمن يريد أن يقول بها وأنكرا مصادمة القرآن لها .

خذ مثلا تفسير الشيخ محمد عبده لقوله تعالى : -

" يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء "[1] " ليس المراد بالنفس الواحدة آدم بالنص ولا بالظاهر فمن المفسرين من يقول أن كل نداء مثل هذا يراد به أهل مكة أو قريش فاذا صح هنا جاز أن يفهم منه بنو قريش أن النفس الواحدة هي قريس أو عدنان ، واذا كان الخطاب للعرب عامة جاز أن يفهموا منه أن المراد بالنفس الواحدة يعرب أو قحطان ، واذا قلنا أن الخطاب لجميع أهل الدعوة الى الاسلام أى لجميع الامم فلا شك أن كل أمة تفهم منه ما تعتقده ، فالذين يعتقدون أن جميع البشر من سلالة آدم يفهمون أن المراد بالنفس الواحدة آدم ، والذين يعتقدون أن لكل صنف من البشر أبا يحملون النفس على ما يعتقدون ... والقرينة على أنه ليس المراد هنا بالنفس الواحدة آدم قوله * وبث منهما رجالا كثيرا ونشاء * بالتنكير وكان المناسب على هذا الوجه أن يقول وبث منهما جميع الرجال والنساء ، وكيف ينص على نفس معهودة والخطاب عام لجميع الشعوب وهذا العهد ليس معروفا عند جميعهم فمن الناس من لا يعرفون آدم ولا حواء ولم يسمعوا بهما ، وهذا النسب المشهور عند ذرية نوح مثلا وهو مأخوذ عن العبرانيين فإنهم هم الذين جعلوا للبشر تاريخا متصلا بآدم وحددوا له زمنا قريبا . وأهل الصين ينسبون البشر الى أب آخر ويذهبون بتاريخه الى زمن أبعد من الزمن الذى ذهب اليه العبرانيون ، والعلم والبحث فى آثار البشر

---

(١) سورة النساء : من الآية الاولى .

مما يطعن فى تاريخ العبرانيين ونحن المسلمين لا نكلف تصديق تاريخ اليهود وان عزوه الى موسى عليه السلام فانه لاثقة عندنا بأنه من التوراة وانه بقي كما جاء به موسى "[١]

وبهذا أكد الشيخ أن آدم ليس أبو البشر كلهم وانما قلت أكد لأنه :-

١ - استدل بأن الآية لا تدل (بالنص ولا بالظاهر) على ذلك .

٢ - وأنه لوكان آدم أبا البشر كلهم لما قال ﴿ رجالا كثيرا ونساء ﴾ بل قال جميع الرجال والنساء .

٣ - وان من الناس من لايعرفون آدم ولا حواء ولم يسمعوا بهما .

٤ - ان العلم والبحث في آثار البشر مما يطعن فى تاريخ العبرانيين باعتقادهم أن آدم أبو البشر .

وبهذا أضاء الشيخ عبده النور الاخضر لمن يريد أن يقول بنظرية داروين بأن يجعل تطبيقها على آباء البشر الآخرين عدا آدم عليه السلام .

فان ذهبت تعترض على هذا وتقول :- ورد فى القرآن الكريم الخطاب ﴿ يابنى آدم ﴾[٢] وورد فى قوله صلى الله عليه وسلم " كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب "[٣] وما رواه أحمد فى مسنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " ياأيها الناس ألا ان ربكم واحد وأن أباكم واحد ألا لا فضل لعربى على أعجمى ولا لعجمي على عربى ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر الا بالتقوى "[٤]

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٤ ص ٣٢٣ - ٣٢٤
(٢) انظر مثلا الآيات ٢٦ ، ٢٧ ، ٣١ ، ٣٥ ، ١٧٢ من سورة آل عمران و ٧٠ من الاسراء و ٦٠ من يس .
(٣) رواه البزار عن حذيفه بن اليمان .
(٤) رواه أحمد فى مسنده جـ ٥ ص ٤١١

اذا ما قلت هذا أجابك الشيخ محمد عبده " وما ورد في آيات أخرى من مخاطبة الناس بقوله " يابنى آدم " لا ينافى هذا ولا يعد نصا قاطعا فى كون جميع البشر من أبنائه اذ يكفى فى صحة الخطاب أن يكون من وجه اليهم فى زمن التنزيل من أولاد آدم وقد تقدم فى تفسير قصة آدم فى أوائل سورة البقرة أنه كان فى الارض قبله نوع من هذا الجنس فسدوا فيها وسفكوا الدماء ، وأقول زيادة فى الايضاح اذا كان جماهير المفسرين فسروا النفس الواحده هنا بآدم فهم لم يأخذوا ذلك من نص الآيه ولا من ظاهرها بل من المسألة المسلمه عندهم (!!) وهى أن آدم أبو البشر "(١)

وأيد هذا الرأى السيد رشيد رضا بروايات واهيه لو لم تكن حجة له لشنع على قائليها ورواتها حيث قال " وقد نقل عن الإمامية والصوفيه أنه كان قبل آدم المشهور عند أهل الكتاب وعندنا آدمون كثيرون قال فى روح المعانى " ذكر صاحب جامع الاخبار من الامامية في الفصل الخامس عشر خبرا طويلا نقل فيه أن الله تعالى خلق قبل أبينا آدم ثلاثين آدم بين كل آدم وآدم ألف سنه وأن الدنيا بقيت خرابا بعدهم خمسين الف سنه ثم عمرت خمسين الف سنه ثم خلق أبونا آدم عليه السلام ، وروى ابن بابويه في كتاب التوحيد عن الصادق في حديث طويل أيضا أنه قال لعلك ترى أن الله لم يخلق بشرا غيركم بل والله لقد خلق الف الف آدم أنتم فى آخر أولئك الآدميين " ثم قال " ثم نقل عن زين العرب القول بكفر من يقول بتعدد آدم وهذا من جرأته وجرأة أمثاله الذين يتهجمون على تكفير المسلمين لأوهى الشبهات "(٢)

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٤ ص ٣٢٤ - ٣٢٥
(٢) المرجع السابق : جـ ٤ ص ٣٢٥ - ٣٢٦

وأظهر السيد رشيد رضا الدافع له لسلوك هذا التفسير بقوله (وليت شعرى ماذا يقول الذين يذهبون الى أن المسألة قطعيه بنص القرآن فيمن يوقن بدلائل قامت عنده بأن البشر من عدة أصول ؟ هل يقولون اذا أراد أن يكون مسلما وتعذر عليه ترك يقينه فى المسألة انه لا يصح ايمانه ولا يقبل اسلامه وان أيقن بأن القرآن كلام الله وأنه لا نص فيه يعارض يقينه " (1)

ولهذا فسر الشيخ رشيد رضا المراد بالنفس بقوله " هذا وأن المتبادر من لفظ النفس بصرف النظر عن الروايات والتقاليد المسلمات - أنها هى الماهية أو الحقيقة التى كان بها الانسان هو هذا الكائن الممتاز على غيره من الكائنات أى خلقكم من جنس واحد وحقيقة واحدة ولا فرق فى هذا بين أن تكون هذه الحقيقة بدأت بآدم كما دل عليه أهل الكتاب وجمهور المسلمين ، أو بدأت بغيره وانقرضوا كما قاله بعض الشيعة والصوفيه أو بدأت بعدة أصول انبث منها عدة أصناف كما عليه بعض الباحثين - ولا بين أن تكون هذه الاصول أو الاصل مما ارتقى عن بعض الحيوانات أو خلق مستقلا على ما عليه الخلاف بين الناس فى هذا العصر" (2) ثم قال " على كل حال وكل قول يصح أن جميع الناس هم من نفس واحدة هى الانسانية التى كانوا بها ناسا وهى التى يتفق الذين يدعون الى خير الناس وبرهم ودفع الأذى عنهم على كونها هى الحقيقة الجامعة لهم فتراهم على اختلافهم فى أصل الانسان يقولون عن جميع الأجناس والاصناف أنهم اخوتنا فى الانسانية فيعدون الإنسانية مناط الوحدة وداعية الألفة والتعاطف بين البشر سواء اعتقدوا أن أباهم آدم عليه السلام أو القرد أو غير ذلك" (2)

---

(1) المرجع السابق : جـ ٤ ص ٣٢٧

(2) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٤ ص ٣٢٧

وبهذا يكون الشيخ محمد عبده وتلميذه السيد رشيد رضا قد فتحا الباب على مصراعيه لمن أراد أن يقول بنظرية داروين ولعل هذا يفسر تلك العبارات الكثيرة للشيخ محمد عبده وتلميذه السيد رشيد التى تتحدث عن تطور الانسان وأنه نشأ أول ما نشأ ساذجا سذاجة لا يبلغ بها تناول الشئون الرفيعة والمعانى العالية والمعارف السامية وأن العناية الالهية صارت بالانسان كما سارت به فى أفراده فكما ينشأ الفرد قاصرا فى جميع قواه ضعيفا فى جميع أعضائه كذلك نشأت الجمعية البشرية على ضرب من السذاجة السالفة الذكر [١] ، ونحو ذلك من العبارات والتأويلات وللقارئ أن يجعل ذلك فى ذهنه حتى يحس به مسار تفسيرهم على ضوء هذه النظرية . والله الهادى .

الملائكة :

الايمان بالملائكة من أركان الايمان قال تعالى " آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله" [٢] وقال سبحانه " ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين " [٣] وقال سبحانه " ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا " [٤]

والسلف يؤمنون بهذا ويصفون الملائكة بما وصفهم به فى كتابه وسنة رسوله لا يزيد من على ذلك لانه من أمور الغيب .

---

(١) انظر تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٢ ص ٢٩١ - ٢٩٢ ورسالة التوحيد للاستاذ محمد عبده ص ١٦٦ - ١٦٩ وتفسير المنار أيضا جـ ١ ص ٣١٥

(٢) سورة البقرة من الآية ٢٨٥

(٣) سورة البقرة من الآية ١٧٧

(٤) سورة النساء من الآية ١٣٦

فيصفونهم بأنهم عباد مكرمون [(١)] وانهم يسبحون بحمد ربهم [(٢)] وأنهم بأمره يعملون [(٣)] وأن لهم أجنحة مثنى وثلاث ورباع [(٤)] وأنهم قادرون على التشكل والظهور بمظهر البشر [(٥)] وأن منهم من هو موكل بالوحى [(٦)] وموكل بالصور [(٧)] وموكل بالموت [(٨)] وموكل بحفظ العبد [(٩)] وموكل بكتابة أعماله [(١٠)] ومنهم خزنة جهنم [(١١)] ومن خزنة الجنه [(١٢)] ومنهم المبشرون للمؤمنين عند موتهم [(١٣)] ومنهم حملة العرش [(١٤)] ذلكم مجمل اعتقاد السلف فى الملائكة لا يثبتون شيئا الا من طريق الوحى ويفوضون علم ما سواه الى الله سبحانه وتعالى .

وقد ذكر الشيخ محمد عبده فى تفسير المنار قولين للعلماء قال عن أولهما :-

---

(١) سورة الانبياء الآية : ٢٦
(٢) سورة الشورى الآية : ٥
(٣) سورة الانبياء الآية : ٢٦
(٤) سورة فاطر الآية الاولى
(٥) سورة الذاريات الاية ٢٥ ومريم الاية ١٧
(٦) سورة الشعراء الايات ١٩٣ - ١٩٥ والنحل ١٠٢
(٧) سورة الزمر الاية ٦٨
(٨) سورة السجدة الاية ١١
(٩) سورة الرعد الايهة ١١ وسورة الانعام الاية ٦
(١٠) سورة الانفطار الايات ١٠ - ١١ - ١٢
(١١) سورة الزخرف الآيهه ٧٧
(١٢) سورة الزمر الاية ٧٣
(١٣) سورة فصلت الاية ٣٠ والانبياء الاية ١٠٣
(١٤) سورة غافر الآية ٧ وسورة الحاقة الاية ١٧

" أما الملائكة فيقول السلف فيهم أنهم خلق أخبرنا الله تعالى بوجودهم وببعض عملهم فيجب علينا الايمان بهم ، ولا يتوقف ذلك على معرفة حقيقتهم فنفوض علمها الى الله تعالى ، فاذا ورد أن لهم أجنحه نؤمن بذلك ولكننا نقول أنها ليست أجنحة من الريش ونحوه كأجنحة الطيور اذ لو كانت كذلك لرأيناها واذا ورد أنهم موكلون بالعوالم الجسمانية كالنبات والبحار فأننا نستدل بذلك على أن فى الكون عالما آخر ألطف من هذا العالم المحسوس ، وأن له علاقة بنظامة وأحكامه ، والعقل لا يحكم باستحالة هذا بل يحكم بامكانه لذاته ، ويحكم بصدق الوحى الذى أخبر به "

أما الرأى الثانى فى الملائكة فقد ذكره الاستاذ الامام محمد عبده ناقلا فى أول الامر وحاكيا له لكنه لم يلبث أن أيده وحبذه ودافع عنه بل زعم أنه لا فرق بينه وبين رأى السلف ؟ حيث قال عن هذا الرأى :

" وذهب بعض المفسرين مذهبا آخرا فى فهم معنى الملائكة وهو أن مجموع ما ورد فى الملائكة من كونهم موكلين بالاعمال من انماء نبات وخلقة حيوان وحفظ انسان وغير ذلك فيه ايماء الى الخاصة بما هو أدق من ظاهر العباره وهى أن هذا النمو فى النبات لم يكن الا بروح خاص نفخه الله فى البذره فكانت به هذه الحياة النباتية المخصوصه وكذلك يقال فى الحيوان والانسان فكل أمر كلى قائم بنظام المخصوص تمت به الحكمة الالهية فى ايجاده فانما قوامه بروح الهى سمى فى لسان الشرع ملكا ومن لم يبال فى التسمية بالتوقيف يسمى هذه المعانى القوة الطبيعية اذا كان لا يعرف من عالم الامكان الا ما هو طبيعة أو قوة يظهر أثرها فى الطبيعة ، والامر الثابت الذى لا نزاع فيه هو أن فى باطن الخلقة أمرا هو مناطها ، وبه قوامها ونظامها لا يمكن لعاقل أن ينكره وان أنكر غير المؤمن بالوحى

تسميته ملكا وزعم على أنه لا دليل على وجود الملائكة ، أو أنكر بعض المؤمنين بالوحي تسميته قوة طبيعية أو ناموسا طبيعيا لأن هذه الاسماء لم ترد في الشرع - فالحقيقة واحدة والعاقل من لا تحجبه الاسماء عن المسميات " [1]

ثم انجلى موقفه ورأيه أكثر عند ما لم يستبعد أن تكون الملائكة هي تلك النوازع التي نحس بها عند ما نتردد بين فعل شيء أو تركه ، وهذا لعمري جرأة على علم الغيب قال " يشعر كل من فكر في نفسه ووازن بين خاطره عند ما يهم بأمر فيه وجه للحق أو للخير ، ووجه للباطل أو للشر بأن في نفسه تنازعا كأن الامر قد عرض فيها على مجلس شورى ، فهذا يورد وذاك يدفع ، واحد يقول افعل وآخر يقول لا تفعل ، حتى ينتصر أحد الطرفين ويترجح أحد الخاطرين فهذا الشيء الذي أودع في أنفسنا ونسميه قوة وفكرا - وهو في الحقيقة معنى لا يدرك كنهه ، وروح لا تكتنه حقيقتها - لا يبعد أن يسميه الله تعالى ملكا (أو يسمى أسبابه ملائكة) أو ماشاء من الاسماء فان التسمية لا حجر فيها على الناس فكيف يحجر فيها على صاحب الارادة المطلقة والسلطان النافذ والعلم الواسع" [2]

ثم بعد أن قرر هذا التأويل المنحرف للملائكة انتقل الى تطبيق هذا في آيات القرآن ولم يستبعد في تفسيره لها ما ذكره آنفا .

حيث قال في تفسير قوله تعالى : - ﴿ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ﴾ [3]

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١ ص ٢٦٧ - ٢٦٨

(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١ ص ٢٦٨

(٣) سورة البقرة : الآيه ٣٤

قال : - " فاذا صح الجرى على هذا التفسير فلا يستبعد أن تكون الاشارة في الآية الى أن الله تعالى لما خلق الأرض ودبرها بما شاء من القوى الروحانية التى بها قوامها ونظامها ، وجعل كل صنف من القوى مخصوصا بنوع من أنواع المخلوقات لا يتعداه ولا يتعدى ما حدد له من الأثر الذى خص به ، خلق بعد ذلك الانسان وأعطاه قوة يكون بها مستعدا للتصرف بجميع هذه القوى وتسخيرها فى عمارة الأرض ، وعبر عن تسخير هذه القوى له بالسجود الذى يفيد معنى الخضوع والتسخير ، وجعله بهذا الاستعداد الذى لا حدّ له والتصرف الذى لم يعط لغيره خليفة الله في الأرض لأنه أكمل الموجودات في هذه الأرض واستثنى من هذه القوى قوة واحده عبر عنها بإبليس وهي القوة التى تعارض في اتباع الحق وتصد عن عمل الخير وتنازع الانسان في صرف قواه الى المنافع والمصالح التى تتم بها خلافته فيصل الى مراتب الكمال الوجودى التى خلق مستعدا للوصول اليها " (١)

وقد التمس السيد رشيد عذرا لشيخه الاستاذ محمد عبده بـ "أن غرض الاستاذ من هذا التأويل الذى عبر عنه بالايماء وبالاشارة اقناع منكرى الملائكه بوجودهم بتعبير مألوف عندهم تقبله عقولهم ، وقد اهتدى به كثيرون ، وضل به آخرون فأنكروا عليه وزعموا أنه جعل الملائكة قوى لا تعقل" (٢)

والحق أن الشيخ محمد عبده قد اقنع - فعلا - منكرى الملائكة بتعبير مألوف عندهم لكن ليس بوجودهم وانما بوجود قوى لم يكونوا ينكرونها من قبل وليست هى مثار الجدل ومازالت القضية جاريه فصار كمن أراد أن يقنع منكر وجود زيد فى الدار فلج به فى الجدل حتى أقنعه بوجود عمرو - الذى لم ينكره من قبل - وسماه زيدا وما هو بزيد المراد .

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٢٦٩
(٢) المرجع السابق : جـ ١ ص ٢٧٠

وكان الشيخ فى غنى عن كل هذا لو فوض حقيقتها الى الله سبحانه واكتفى بالنصوص الوارده فى ذلك وقال آمنا به كل من عند ربنا لكنه لا يرتضى هذا الموقف بل يعده قصورا عند قائلة حيث يقول " فان لم تجد فى نفسك استعدادا لقبول أشعة هذه الحقائق وكنت ممن يؤمن بالغيب ويفوض في ادراك الحقيقة ويقول (آمنا به كل من عند ربنا) فلا ترم طلاب العرفان بالريب ماداموا يصدقون بالكتاب الذى آمنت به ، ويؤمنون بالرسول الذى صدقت برسالته وهم فى ايمانهم أعلى منك كعبا ، وأرضى منك بربهم نفسا "(١)

وليس لنا أن نقول الا أن آمنا به كل من عند ربنا ، وأمرهم الى الله وهو حسبنا ونعم الوكيل .

الجن :

وشأن الجن كشأن الملائكة من حيث الاعتقاد بوجودهم وصفاتهم كلاهما أمر غيبى وقد دل القرآن الكريم على وجود الجن " وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون "(٢)

وذكر من صفاتهم أنهم خلقوا من نار(٣) وأن الله أرسل اليهم رسلا(٤) وأن منهم مؤمن ومنهم كافر(٥) وأن منهم شياطين(٦) وأن الله يعاقب العصاة منهم بالنار(٧) وأن الله أعطاهم قوه لاتوجد فى الانس(٨) وأن قدرتهم ناقصه(٩) وأنهم لا يعلمون الغيب(١٠) وأنهم يتزوجون(١١) ويتناسلون(١٢) وانهم يروننا من حيث لا نراهم(١٣)

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١ ص ٢٧٣

(٢) سورة الذاريات: الايه ٥٦ .

(٣) سورة الحجر: الاية ٢٧ والرحمن : ١٥

(٤) الانعام : الاية ١٣٠ .

(٥) سورة الجن : الآيتين ١٢ ، ١٥

(٦) سورة الناس

(٧) سورة هود : الآيه ١١٩

(٨) سورة النمل : الايتين ٣٨-٣٩

(٩) سورة الرحمن : الاية ٣٣

(١٠) سورة الجن : الاية ٧ ، ١٠

(١١) سورة الرحمن : الاية ٧٤

(١٢) سورة الكهف : الاية ٥٠

(١٣) سورة الاعراف : الاية ٢٧

ذلكم مجمل عقيدة السلف فى أمر الجن لا يصفونهم بأكثر مما وصفهم به القرآن الكريم والسنة المطهرة لأنهم من أمور الغيب التى لا يصح القول فيه الا بالوحى .

وقد أثبت الشيخ رشيد رضا وآمن بوجود الجن لكنه تأول ، وجودهم بأمر آخر لم يقل به أحد من السلف وليس له من دليل الا الاحتمال وما هو بدليل .

فقال السيد رشيد رضا " وقد كان غير المسلمين يعدون من هذا القبيل - أى من قبيل الخرافات - حديث أبى موسى (الطاعون وخز أعدائكم من الجن وهو لكم شهادة" رواه الحاكم وصححه ، ثم صاروا بعد اكتشاف باشلس الطاعون يتعجبون منه بصدق كلمة " الجن " على ميكروب الطاعون كغيره . وقد ورد ان الجن أنواع منها ما هو من الحشرات وحشائش الأرض " (١) .

وشبه فعل جنة الشياطين فى النفوس البشريه بفعل الجنه فى الاجساد فقال " وفعل جنه الشياطين فى أنفس البشر كفعل هذه الجنه التى يسميها الأطباء الميكروبات فى أجسادهم وفى غيرها من أجسام الأحياء وتؤثر فيها من حيث لا ترى فتتقى " (٢) .

وبعبارة أصرح مما ذكرنا صرح فى موضع آخر" وقد قلنا فى المنار غير مرة أنه يصح أن يقال أن الأجسام الحيه الخفيه التى عرفت فى هذا العصر بواسطة النظارات المكبره وتسمى بالميكروبات يصح أن تكون نوعا من الجن وقد ثبت أنها علل لأكثر الأمراض

---

(١) تفسير المنار: محمد رشيد رضا جـ ٧ ص ٣١٩

(٢) المرجع السابق : جـ ٨ ص ٣٦٤

قلنا ذلك فى تأويل ما ورد من أن الطاعون من وخز الجـن"[1]

وكان بودنا أن يتوقف الشيخ رشيد رضا رحمه الله تعالى عن الخوض فى أن الميكروبات نوع من الجن من غير حجة الا حجة الاحتمال الخالى من الدليل الشرعى الذى يعتمد عليه فى مثل هذا ، وما نحسبه فعل هذا الا حرصا على تقريبها الى الأذهان وقد أخطأ الطريق فى هذا فعفا الله عنا وعنه .

بعض الأحكام الفقهية :

ذكرنا أن من الأسس التى يقوم عليها منهج المدرسة العقلية الاجتماعية الحديثة فى التفسير انكار التقليد وذمه والتحذير منه ، وقد كان الاستاذ محمد رشيد رضا من المتمسكين بهذا الأساس بل ومن المتعصبين له ، وبادر الى تطبيقه بنفسه فى تفسير القرآن الكريم ، وقد أدى به اجتهاده هذا الى أقوال وآراء جديده فى بابها أو آراء خاطئه نذكر من ذلك مثالين لا نزيد عليهما خوف الاطالة :

أولا : التيمم :

قال تعالى" وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا "[2] .

وبالتأمل فى الآية تلحظ أنها نصت على أربع حالات وشرط واحد ثم حكم واحد أيضا ، أما الحالات الأربع فهى : -

ان كنتم : ١- مرضى ٢- أو على سفر

٣- أو جاء أحد منكم من الغائط .

٤- أو لامستم النساء .

---

(١) المرجع السابق : جـ ٣ ص ٩٦

(٢) سورة النساء : الآية ٤٣

والشرط : (فلم تجدوا ماء) .

والحكم : (فتيمموا صعيدا طيبا) .

وقد أجمع المسلمون على جواز التيمم عند فقد الماء أو الخوف من التلف ونحوه عند استعمال الماء للمريض والمقيم والسليم والمسافر وانما نص على المرض لأنه مظنه للعجز عن الوصول الى الماء وكذلك المسافر عدم الماء فى حقه غالب [1] ، ولذلك قال مالك رحمه الله تعالى " ذكر الله المرض والسفر فى شرط التيمم اعتبارا بالأغلب فيمن لم يجد الماء بخلاف الحاضر فان الغالب وجوده ، فلذلك لم ينص الله سبحانه عليه " [1] .

ذلكم مجمل ما اتفقوا عليه واستدلوا بأدلة كثيرة من السنة ليس هذا موضع ايرادها .

ولكن السيد رشيد رضا خالف جميع الفقهاء فى هذا وجاء برأى لم يسبق اليه وتعجب من غفلة جماهير الفقهاء عن تفسيره هذا وبدأ أول ما بدأ فجعل الحالات ثلاثا بدلا من أربع فعدها ان كنتم :

١- مرض ٢- أو على سفر ٣- أو لم تجدوا ماء

حيث قال " أى ففى هذه الحالات المرض والسفر وفقد الماء عقب الحدث الأصغر الموجب للوضوء والحدث الأكبر الموجب للغسل تيمموا صعيدا طيبا [2] .

وبنى على هذا التقسيم أن كل حاله من هذه الحالات الثلاث

---

(١) فتح القدير : الامام الشوكانى جـ ١ ص ٤٧١

(٢) تفسير المنار : محمد رضيد رضا جـ ٥ ص ١١٩

المرض والسفر وفقد الماء ، هى عذر بحد ذاتها لاباحة التيمم .

وهو بهذا يقلد شيخه الاستاذ محمد عبده الذى فسر الآية بقوله " المعنى أن حكم المريض والمسافر اذا أراد الصلاة كحكم المحدث حدثا أصغر أو ملامس النساء ولم يجد الماء فعلى كل هؤلاء التيمم فقط . هذا ما يفهمه القارئ من الآية نفسها اذا لم يكلف نفسه حملها على مذهب من وراء القرآن يجعلها بالتكلف حجة له منطبقة عليه "(١) .

ولا شك أن الذى يفهمه القارئ من الآيه ليس ما ذكره الاستاذ الامام هذا اذا لم يستند الى بيان السنه لها ، ذلكم أن الذى يفهم من ظاهر الآيه ان التيمم مشروع للمريض والمسافر ولمن جاء من الغائط ولمن لامس النساء بشرط فقد الماء ، وهذا هو ما يدل عليه ظاهر الآية اذا لم نبينه بالسنه ولذلك فلا عجب ان يطالع الشيخ محمد عبده خمسة وعشرين تفسيرا ولا يجد فيها رأيه هذا ؟ ! حيث يقول " وقد طالعت فى تفسيرها خمسةوعشرين تفسيرا فلم أجد فيها غناء فيها ولا رأيت قولا فيها يسلم من التكلف - ثم رجعت الى المصحف وحده (٢) فوجدت المعنى واضحا جليا فالقرآن أفصح الكلام وأبلغه وأظهره وهو لا يحتاج عند من يعرف العربيه مفرداتها وأساليبها الى تكلفات فنون النحو (٣) وغيره من فنون اللغة عند حافظى أحكامها من الكتب مع عدم تحصيل ملكة البلاغة " (٤)

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٥ ص ١١٩

(٢) لا أظنه يجهل أن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن الأخذ بـ (المصحف وحده) .

(٣) ولكنه يحتاج الى معرفة السنة فهى البيان الصحيح للقرآن الكريم .

(٤) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٥ ص ١١٩

وقد أرد السيد رشيد رضا أن يؤيد ما ذهب اليه مقلدا شيخه محمد عبده بأسلوب جديد فى التأييد فجعل ما فهمه من الآية أمرا مسلما واضحا عنده وعند خصومه وانما منعهم من القول به مخالفة المذاهب المعروفة لا عدم اقتناعهم بما قاله هو وأستاذه فقال " سيقول أدعياء العلم من المقلدين نعم أن الآية واضحة المعنى كاملة البلاغة على الوجه الذى قررتم ولكنها تقتضى عليه أن التيمم فى السفر جائز ولو مع وجود الماء وهذا مخالف للمذاهب المعروفة عندنا ، فكيف يعقل أن يخفى معناها هذا على أولئك الفقهاء المحققين ويعقل أن يخالفوها من غير معارض لظاهرها أرجعوها اليه ولنا أن نقول لمثل هؤلاء - وان كان المقلد لا يحاج لأنه لا علم له - وكيف يعقل أن يكون أبلغ الكلام واسلمه من التكلف والضعف معضلا مشكلا ؟ وأى الأمرين أولى بالترجيح : الطعن ببلاغة القرآن وبيانه لحمله على كلام الفقهاء . أم تجويز الخطأ على الفقهاء لأنهم لم يأخذوا بما دل عليه ظاهر الآية من غير تكلف وهو الموافق الملتئم مع غيره من رخص السفر التى منها قصر الصلاة وجمعها واباحة الفطر فى رمضان فهل يستنكر مع هذا أن يرخص للمسافر فى ترك الغسل والوضوء وهما دون الصلاة والصيام فى نظر الدين ؟ أليس من المجرب أن الوضوء والغسل يشقان على المسافر الواجد للماء فى هذا الزمان الذى سهلت فيه أسباب السفر فى قطارات السكك الحديدية والبواخر ؟ أفلا يتصور المنصف أن المشقة فيهما أشد على المسافرين على ظهور الابل فى مفاوز الحجاز وجبالها ؟ هل يقول منصف أن صلاة الظهر أو العصر أربعا فى السفر أسهل من الغسل أو الوضوء فيه ؟ [1] السفر مظنه : المشقة

---

(١) تفسيرالمنار : محمد رشيد رضا جـ ٥ ص ١١٩

يشق فيه غالبا كل ما يؤتى فى حضر بسهولة وأشق مايشق فيه الغسل والوضوء وان كان الماء حاضرا مستغنى عنه . وأضرب لهم مثلا هذه الجوارى المنشآت فى البحر كالأعلام فان الماء فيها كثير دايما فى كل باخرة منها حمامات أى بيوت مخصوصة للاغتسال بالماء الساخن والماء البارد ولكنها خاصة بالأغنياء الذين يسافرون بالدرجة الاولى والثانية وهؤلاء الأغنياء منهم من يصيبه دوار شديد يتعذر عليه معه الاغتسال . أو خفيف يشق معه الاغتسال ولا يتعذر فان كانت هذه السفن التى يوجد فيها من الماء المعد للاستحمام ما لم يكن يوجد مثله فى بيت أحد من أهل المدينه زمن التنزيل يشق فيها الاغتسال أو يتعذر فما قولك فى الاغتسال فى قطارات سكك الحديد أو قوافل الجمال والبغال " (١) .

ولا شك أن هذه مغالطة من الشيخ محمد رشيد رضا ذلكم أنه جعل السفر هو المبيح للتيمم لمن أصابه الدوار الشديد الذى يتعذر معه الاغتسال ومصدر المغالطة أنه تجاهل - ولا أظنه يجهل - أن الدوار الشديد مرض أباح لصاحبه التيمم اذا كان استعمال الماء يزيده مشقة أو ضررا ،فالعذر هنا المرض وليس السفر ومن المجمع عليه عند الفقهاء أن المرض من مبيحات التيمم ولو مع وجود الماء اذا كان يلحقه ضرر باستعماله الماء أما المسافر الذى يجد الماء ولا يضره استعماله فليس له أن يتيمم ولهذا فلا يصح له أن يستدل بالمسافر المريض بالدوار الشديد الذى يضره استعمال الماء على اباحة التيمم لمجرد السفر .

---

(١) تفسير المنار: محمد رشيد رضا جـ ٥ ص ١٢٠ - ١٢١

ومن العجيب أن الشيخ محمد عبده وتلميذه السيد رشيد رضا لم يستندا فى تفسيرهما هذا الى سنة نبوية وانما الى الرأى المجرد من الدليل . بل والأسوأ من هذا أن السيد رشيد رضا وصف سائر الروايات المصرحه بالتيمم فى السفر لفقد الماء بأنها منقولة بالمعنى (!!) وأنها لا تنهض دليلا وأن مفهومها مفهوم مخالفة وأنه غير معتبر عند الجمهور (!!) مع اعترافه أن الجمهور قالوا بخلاف رأيه .

ولذلك فلا عجب أن يغفل (جماهير الفقهاء) عن هذا المفهوم ولكن السيد رشيد رضا يعجب من هذا فيقول :-

" ألا ان من أعجب العجب غفلة جماهير الفقهاء عن هذه الرخصة الصريحه فى عبارة القرآن ، التى هى أظهر وأولى من قصر الصلاة وترك الصيام ، وأظهر فى رفع الحرج والعسر الثابت بالنص وعليه مدار الأحكام واحتمال ربط قوله تعالى " فلم تجدوا ماء) بقوله (وان كنتم مرضى أو على سفر) بعيد بل ممنوع البتة كما تقدم على أنهم لا يقولون به فى المرض لأن اشتراط فقد الماء فى حقهم لا فائدة له لان الأصحاء مثلهم فيه فيكون ذكرهم لغوا يتنزه عنه القرآن ونقول :- ان ذكر المسافرين كذلك فان المقيم اذا لم يجد الماء يتيمم بالاجماع فلولا أن السفر سبب الرخصة كالمرض لم يكن لذكره فائدة ولذلك عللوه بما هو ضعيف متكلف وما ورد فى سبب نزولها من فقد الماء فى السفر أو المكث مدة على غير ماء لا ينافى ذلك . رووا " أنها نزلت فى بعض أسفار النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد انقطع فيها عقد لعائشة فأقام النبى صلى الله عليه وسلم على التماسه والناس معه وليسوا على ماء

وليس معهم ماء فأغلظ أبو بكر على عائشة وقال حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء فنزلت الآية فلما صلوا بالتيمم جاء أسيد بن حضير الى مضرب عائشة فجعل يقول ما أكثر بركتكم يا آل أبي بكر " رواه الستة وفي رواية " يرحمك الله تعالى يا عائشة ما نزل بك أمر تكرهينه الا جعل الله تعالى فيه للمسلمين فرجا . فهذه الرواية وهي من وقائع الأحوال لا حكم لها في تغيير مدلول الآية ولا تنافي جعل الرخصة أوسع من الحال التي كانت سببا لها ، ألا ترى أنها شملت المرض ولم يذكر في هذه الواقعة انه كان فيها مرضى شق عليهم استعمال الماء على تقدير وجوده وليس فيها دليل على أن كل الجيش كان فاقدا للماء ولا أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل التيمم فيها خاصا بفاقدي الماء دون غيرهم ومثلها سائر الروايات المصرحة بالتيمم في السفر لفقد الماء التي هي عمدة الفقهاء على أنها منقولة بالمعنى وهي وقائع أحوال مجملة لا تنهض دليلا ومفهومها مفهوم مخالفة وهو غير معتبر عند الجمهور ولا سيما في معارضة منطوق الآية.(١)

ومع أنه يكتب بقلمه أن الحديث يقول : " ليسوا على ماء وليس معهم ماء " مع هذا فانه يقول " وليس فيها دليل على أن كل الجيش كان فاقداً للماء ويصف هذه الروايه بأنها من وقائع الاحوال لا حكم لها في تغييرمدلول الآيه ؟! ولا أظن الشيخ رشيد ينكر أن السنة تبين مدلول الآية وتبقى علامه الاستفهام معلقة ومعها التعجب في عبارته السالفة ، دع عنك بعد هذا عباراته الأخرى التي لا أظنها تخفى أو يخفى جوابها .

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٥ ص

وبهذا يظهر ما أدى به اجتهاده الذى دعا اليه وهو بهذا التأويل ونحوه يجعلنا أكثر حرصا على توفر شروط الاجتهاد والدعوة الى تطبيقها عفا الله عنا وعنه وسائر المسلمين .

حكم الربا :

وحكمه فى الاسلام معلوم لا يخفى كالخمر يحرم قليله وكثيره وليس هذا المقام مقام بسط الادلة والبراهين .

لكن السيد رشيد رضا يرى أن الربا المحرم هو ما كان فاحشا ففسر قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون "(١) . بقوله" والمراد بالربا فيها ربا الجاهلية المعهود عند المخاطبين عند نزولها لا مطلق المعنى اللغوى الذى هو الزيادة فما كل ما يسمى زيادة محرم"(٢)

والربا كما هو معلوم ينقسم الى قسمين : ربا الفضل ، وربا النسيئة . ويرى الاستاذ رشيد أن ربا الفضل انما حرم لانه ذريعة الى ربا النسيئة المحرم لذاته تماما كالنظر الى الأجنبية بشهوة أو لمس يدها كذلك أو الخلوه بها ولو مع عدم الشهوة لأن هذه الأشياء ليست محرمة لذاتها بل لسد الذريعة لئلا تكون وسيلة الى الزنا المحرم لذاته .(٣)

ومع أنه يعلم أن النظر الى الأجنبية ولمسها والخلوة بها محرم ولا ينكر هذا ، الا أنه لا يقول به فى ربا الفضل بل ينكر على ابن حجر قوله : " ان ماورد من الوعيد على الربا شامل لجميع أنواعه " . ويعد السيد رشيد قول ابن حجر خطأ فان منها عنده - أى

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٣٠
(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٤ ص ١٢٣
(٣) انظر تفسير المنار: محمد رشيد رضا جـ ٤ ص ١٢٦

عند ابن حجر - بيع قطعة من الحلى كسوار بأكثر من وزنها دنانير أو بيع كيل من التمر الجيد بكيل من وحفنه من التمر الردىء مع تراضى المتبايعين وحاجة كل منهما الى ما أخذه ومثل هذا لا يدخل فى نهى القرآن ولا فى وعيده ولا يصح أن يقاس عليه كما لا يصح أن يقال ان خلوة الرجل بامرأة لا يشتهيها ولا تشتهيه كالزنا فى حرمته ووعيده "[1].

بل تجاوز هذا حين قامت البلاد المصرية وقعدت فى أيامه لمسألة الربا واقترح كثيرون انشاء بنك اسلامى فكان العلاج الذى قدمه من وجهين :

" أما الأول : فيوجه الى فريق المقلدين وهم أكثر المسلمين فى هذا العصر فيقال لهم ان فى مذاهبكم التى تتقلدونها مخرجا من هذه الضرورة التى تدعونها وذلك بالحيلة (!!) التى أجازها الامام الشافعى الذى ينتمى الى مذهبه أكثر أهل هذا القطر والامام أبو حنيفه الذى يتحاكمون على مذهبه كافه ومثلهم فى ذلك أهل المملكة العثمانية التى أنشئت فيها مصارف (بنوك) الزراعة بأمر السلطان وهى تقرض بالربا المعتدل (!!) مع اجراء حيلة المبايعة التى يسمونها المبايعة الشرعية .

" وأما الثانى : فيوجه الى أهل البصيره فى الدين الذين يتبعون الدليل ويتحرون مقاصد الشرع فلا يبيحون لأنفسهم الخروج عنها بحيلة ولا تأويل . فيقال لهم أن الاسلام كله مبنى على قاعدة اليسر ورفع الحرج والعسر الثابته بنص قوله تعالى (٢ : ١٨٥)

---

(١) انظر تفسير المنار: محمد رشيد رضا جـ ٤ ص ١٢٦

يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) ،وقوله (٥ : ٦ ما يريد الله ليجعل عليكم فى الدين من حرج) وأن المحرمات فى الاسلام قسمان : الأول : ما هو محرم لذاته لما فيه من الضرر وهو لا يباح الا لضرورة ومنه ربا النسيئه المتفق على تحريمه وهو مما لا تظهر الضرورة الى أكله أى الى أن يقرض الانسان غيره فيأكل ماله أضعافا مضاعفه كما تظهر فى أكل الميته وشرب الخمر أحيانا - والثانى : ما هو محرم لغيره كربا الفضل المحرم لئلا يكون ذريعة وسببا لربا النسيئه وهو يباح للضرورة بل وللحاجة " (١) .

والطريف أنك لا تجد فرقا بين ما حرم لذاته وما حرم لغيره الا الاختلاف فى لفظ الحكم فهو يقول عن الأول (لا يباح الا لضرورة) وقال عن الثانى (يباح للضروره والحاجة) فأى فرق صار بينهما اذن وعلى أى أساس ساق هذا التقسيم لا أظنه ساقه الى هذا المأزق الا ضعف الحجة فى مواجهة الدليل الصحيح .

وليس بوسعى أن أذكر الحجج والأدلة الصحيحة فى هذا المقام حتى لا يتحول حديثنا الى بحث فقهى ، وانما اكتفى بهذا ولعل فيه بيان أو بعضه لمنهجه رحمه الله تعالى وتجاوزعنا وعنه - فى التفسير ..

وبعد :

هذه أمثله لتفسير المنار حاولت فيها التنوع والشمول ولم أحاول التعمق والتفصيل لعله يظهر صورة واضحة لمنهجه الذى سلكه .

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ٤ ص ١٢٩ - ١٣٠

ثانيا : تفسير جزء تبارك :

تأليف : عبدالقادر المغربي

أولا : المؤلف :

هو عبدالقادر بن مصطفى المغربى ، ولد فى اللاذقية سنة ١٢٨٤ وانتقل مع والده الى طرابلس الشام ، ولزم الشيخ حسين الجسر علامة طرابلس ثم اتصل بالسيد جمال الدين الأفغانى وذلك عن طريق مجلة العروة الوثقى التى كان يصدرها الأفغانى فى باريس .

ودفعه الشوق الى رؤية الأفغانى فسافر اليه فى الآستانه سنة ١٣١٠ وظل فى جواره سنة واحدة حيث استدعاه محمد عبده الى مصر فعمل فى الصحافة .

وكانت أعنف فترة فى حياته خلال سنتى ١٩٠٦-١٩١١م ، حيث قام بحملة على الحجاب ودعا الى سفور المرأة وقد وصف من أحوال نساء أوروبا وأمريكا ومخالطتهن للرجال ما يشعر باستحسانه له وتمنيه لنسائنا مثله حتى هاج عليه الشيوخ (١) .

وهو يرجو من قاسم أمين أن يتحفنا بكتاب فى المرأة يكون ثالث القمرين (يعنى بهما كتابى تحرير المرأة ، والمرأة الجديدة) لقاسم أمين وشاهدا لصاحبه بالحسنيين (٢) .

وأهم مؤلفاته :

١- كلمتان فى السفور والحجاب طبع سنة ١٩١٠ - ١٩١١م .

---

(١) محاضرات عن عبد القادر المغربى : محمد أسعد طلس ص ٥٢

(٢) المرجع السابق ص ٥٣

٢- محاضرات عن محمد صلى الله عليه وسلم والمرأة طبع سنة ١٣٤٧ هـ .

٣- جمال الدين الأفغانى (ذكريات وأحاديث) نشر فى سلسلة اقرأ سنة ١٩٤٨م .

٤- تفسير جزء تبارك . وسيأتى الحديث عنه .

٥- على هامش التفسير طبع سنة ١٣٦٨ هـ .

٦- النجم الآفل وهى ترجمة لرواية (غادة الكاميليا " للاسكندر ، وضع فيها الشيخ أشعارا وأدوارا غنائية حيث عرضت على الجماهير فى المسرح فى ٣ أكتوبر سنة ١٩٠٨م وقد رفض الشيخ طبعها ونشرها لأنه كان لا يحب أن يعرف عنه أنه اهتم بالروايات والمسرحيات لما فى ذلك من الغض من سمعته ومكانته الدينية .(١)

وقد توفى الشيخ عبدالقادر فى دمشق سنة ١٣٧٥ الموافق ١٩٥٦م .

ثانيا : التفسير :

تفسير جزء تبارك :

ويقع هذا التفسير فى ١٣٦ صفحة من الحجم الكبير .

ويرى المؤلف ان جزءى عم وتبارك جديران بأن يفسر كل منهما تفسيرا حسن الوضع صحيح الأسلوب يقرب من أذهان العامة ولا يجافى عقول الخاصة ويقتصرفيه على ما يكشف الغموض عن الآيات من جهة اللغة والاعراب ثم يشرح فيه المعنى المتبادر

---

(١) تفسير جزء تبارك : عبدالقادر المغربى ص ٣

شرحا وسطا مجردا عن التنطع بالمشاغبات وايراد الخلافات والخرافات

وقال " وقد وضع مولانا الاستاذ الشيخ محمد عبده رحمه الله تفسيرا لجزء عم توخي فيه هذا النمط والاسلوب "(1)

ثم ذكر أنه رغب فى تأليف تفسير لجزء تبارك على مثال تفسير شيخه وطريقته بيد أنه رأى أن يتوسع قليلا فى التعليق والتفسير والاستشهاد والتنظير - لاسيما في المباحث اللغوية أكثر مما فعله الاستاذ رحمه الله . فى تفسير جزء عم ، وعلل ذلك بمراعاة حال قراء جزء تبارك ومقدرا أنهم سيكونون أكبر سنا وأتم استعدادا وأشد اهتماما بالتحصيل من قراء جزء عم (1)

وقد التزم بما قال الا أنه ينقل كثيرا عن الاسفار القديمة ما يراه بيانا للآيات ومنها ما يخالف النص القرآني ويتوسع فى باب الآيات والتى تعرض للاخلاق والآداب الاسلاميه الساميه فى أدب الدعوه وغيرها وله عناية ببيان أسرار البلاغه القرآنية واسلوب التعبير القرآني وميل الى التفسير العلمى اضافة الى الاسس التى بسطناها في منهج المدرسة العقلية الاجتماعيه الحديثه وسنذكر هنا أمثله على عجل لهذا التفسير أحاول فيها الايجاز والشمول .

تفسير القرآن بالقرآن :

ومن تفسير المؤلف القرآن بالقرآن تفسيره للمرسلات فى قوله تعالى " والمرسلات عرفا " (2) فيقول " وقلما ذكر القرآن اطلاق الرياح الا عبر عنه بفعل أرسل ففي سورة فاطر " (والله الذى أرسل الرياح) وفى الحجر " وأرسلنا الرياح لواقح " وفى الاحزاب " فأرسلنا عليهم ريحا "

---

(1) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربى ص ٣
(2) سورة المرسلات : الآيه الاولى .

وفى الاعراف " وهو الذى يرسل الرياح " وفى الروم " ومن آياته أن يرسل الرياح " وفى آيات أخرى غيرها فقوله تعالى هنا " والمرسلات" من هذا القبيل "[1]

عدم الاطناب فيما أبهم في القرآن :

ومن ذلك تفسيره لقوله تعالى " وزينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين "[2] فقد توقف الشيخ عبد القادر عن الخوض فى دقائق التفصيل فقال " ونحن معشر المسلمين نعتقد بظاهر ما ورد في القرآن الكريم من أن النجوم قد ينفصل عنها رجوم تتبع الشياطين واذا لم يفهم العلم الطبيعى هذه القضية فلذلك لانه لم تتوفر له أسباب الفهم اليوم ويكفينا في صحة الايمان بها على ظاهرها أن العقل لا يجعلها من المحالات العقلية "[3]

التفسير العلمي :

ويفسر أحيانا تفسيرا علميا حديثا ففي قوله تعالى " ألم نجعل الأرض كفاتا أحياءا وأمواتا "[4] يقول " هذا الاكتشاف - يعنى الجاذبيه- يفسرلنا معنى ما قرره الكتاب الالهى من أن الارض كفات للأحياء مذ يكونون على ظهرها فانها تجذبهم اليها وتضمهم الى صدرها كما تفعل الام الحتون فلا تدعهم يتفلتون وهم بذلك لا يشعرون "[6]

---

(١) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربى ص ١٢٦
(٢) سورة الملك : من الآيه ٥
(٣) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربى ص ٦
(٤) سورة المرسلات الآيتين ٢٥ - ٢٦
(٥) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربى ص ١٣٠

وفى قوله تعالى " الذى خلق سبع سموات طباقا "[(١)] يقول " والسموات السبع هى طرائق السيارات ومداراتها ولا ريب أن هذه المدارات أن هذه طبقات طبقة أدنى من طبقة وفلك فوق فلك ، وانما اقتصر الوحي من ذكر السموات على سبع مع أن العلم أثبت أنها أكثر من ذلك لأنه تعالى انما يخاطب القوم وقت البعثه بما عرفوا من أمر الافلاك وكواكبها (!!) وليس القصد من ذكرها تقرير حقائق فى علم الهيئة وسكوت الوحي عن ذكر ما زاد على سبع السموات لا ينفي وجود الزيادة (!!) وأما فلكا "أورانوس" " ونبتون " فلم يكونا اكتشفا بعد فى ذلك العهد فلو أحال الله البشر فى قرآنه على مالم يمكنهم النظر فيه والاحاطه علما بأمره من النجوم الثوابت والفلكين المذكورين - لكانت احالته عبثا وتكليفه محالا ، وقد أبى الله سبحانه وتعالى لنا ذلك فى منزل وحيه ومحكم شرعه تفضلا منه ورحمه "[(٢)]

ولا شك أن تفسيره هذا خاطئ ليس من ناحية زعمه أن القرآن الكريم خاطب القوم بما عرفوا فحسب وانما لأنه جزم ان المراد بالسموات هى تلك الكواكب السياره فذهب يلتمس تعليلا لوصف القرآن الكريم لها بأنها سبع .

روايته للاسرائيليات :

ومع أنه يحرص فى تفسيره لجزء تبارك على الايجاز الا أنه يورد فيه الاسرائيليات من غير موجب .

---

(١) سورة الملك : من الآيه ٣

(٢) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربى ص ٥

ففى حديثه عن نوح عليه السلام يقول " وجاء فى كتب الاوائل أن فى زمن " أنوش بن شيث بن آدم " ابتدأت عبادة الاوثان وجعل الناس يسمون المخلوقات آلهه فكان أنوش يجمع أهل بيته وذويه للصلاة والتسبيح وعبادة الله وحده ، وفى زمن ادريس عليه السلام وهو " أخنوخ بن يارد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش - كثر النفاق وانغمس الناس فى الآثام فأنزل الله عليه وحيا في سفر هو صحف ادريس المشهورة ولم يبق من ذلك السفر سوى فقرة يقولون أنها وجدت فى أطواء بعض الكتب المقدسة " (١)

بل ويذكر الاستاذ المغربى من الاسرائيليات ما يخالف نص القرآن ولا ينبه الى ذلك مجرد تنبيه وذلك قوله " ذكر فى الاسفار القديمه أن نوحا ولد لسنة ١٨٢ من عمر أبيه " لامك " ولسنة ١٠٥٦ لجده الاكبر آدم عليه السلام ومعنى نوح : الراحه والتعزية وكان عمر نوح ٥٠٠ سنه لما أخذ يلد أولاده ساما وحاما ويافث وكان عمره ٦٠٠ سنه لما حصل الطوفان " (٢)

وهذا الذى نقله يخالف نص قوله تعالى " ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما فأخذهم الطوفان " (٣)

التحذير من البدع والمنكرات :

وفى سبيل الاصلاح الاجتماعى يحذر الشيخ عبد القادر المغربى من البدع والمنكرات التى تنتشر فى المجتمع اذا ما جاءت مناسبة لذلك

---

(١) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربى ص ٥٥

(٢) المرجع السابق : ص ٥٦

(٣) سورة العنكبوت : الآيه ١٤

ففي قوله تعالى " وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا " تحدث عن نشأة الوثنيه ثم قال " ومن تأمل ما قلناه في مناشئ ظهور الوثنية في البشر فهم السر في كون الدين الاسلامي يحرم اقامة الصور ونصب التماثيل وتشييد القبور وتجصيصها على رمم العظماء وفي حديث علي رضي الله عنه " أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لي لا تدع صنما الا طمسته ولا قبرا الا سويته "[1] فان الوثنيين كانوا يتخذون من مواثل القبور والاصنام ذكرى لرجالهم الصالحين وليست ذكراهم لهم ذكرى عظه واعتبار وانما هي ذكرى استمداد أسرار واقتباس أنوار واسغراق واستحضار واسترزاق واستمطار والتماس منافع وستكفاء أضرار فسد دين الاسلام الذريعة بتحريم هذه المواثل خشية أن تسترهب ضعفاء العقول وتستهويهم ومن مزالق الوثنيه تقربهم وتدنيهم فلله الاسلام ما أعدله فيما شرع وحكم وما أوضح نهجه فيما خط لنا من الهداية ورسم "[2]

ولولا خشية الاطاله لسقنا أمثلة أكثر من هذا ولعل فيما ذكرنا السداد ان شاء الله تعالى .

---

(١) رواه الامام أحمد في مسنده ومسلم في صحيحه وأبو داود في سننه ولكن بلفظ " ... أن لا تدع تمثالا الا طمسته ولا قبرا مشرفا الا سويته "

(٢) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربي ص ٦٢

رأيي في هذا المنهج :

ليس من السهل أن أنقد هنا منهج المدرسة العقلية الاجتماعية الحديثه ذلكم أن مثل هذا لا يكفيه عشرات الصفحات ان أردت الوفاء .

ولئن كان لا يسعنا هذا فانه لا يسعنا أن نضرب عنه صفحا ونتركه هملا فليكن السداد والمقاربه ولن أسلك في بيان رأيي هذا منهج النقد المستوفى فلن أذكر رأى السلف فى التفسير العقلى ولا أرى المعاصرين الرجال المدرسة فيهم - الانصار والخصوم - ولن أذكر أثر هذه المدرسة فى الفكر الاسلامى الحديث واذا لو فعلت لاحتاج الامر الى مجلدات ومما لا ريب فيه - عندى - ان هذه المدرسة العقلية الاجتماعية الحديثه قد أخذت في العصر الحديث من الاثر مالم تحدثه أى مدرسه أخرى نعرض لها حتى مدرسة التفسير العلمى التجريبى .

ذلكم أن المدرسة الأخيره تناولت جانبا واحدا من جوانب التفسير بل ومن جوانب الحياة عامه أما المدرسة موضوع حديثنا هذا فقد تغلغلت أبحاثها ومازجت جسد الامه الاسلامية فلا تكاد تجد عضوا فيه - كدت أقول ولا خليه - الا وقد عرضت له وفيه منها أثر .

عرضت فيما عرضت لعقيدة الالوهيه والنبوه والوحي والمعجزات والبعث وأمارات الساعه والقضاء والقدر وأصل الانسان والملائكة والجن .

وعرضت للقرآن الكريم في تفسيره ومقاصده وشموله وترجمته وقصصه واعجازه وجدله وناسخه ومنسوخه والتفسير العلمى والاسرائيليات والتفسير بالمأثور وبالعقل .

وعرضت للفقه وأصوله وحذرت من التقليد وأنكرت على المقلدين واجتهدت فى كثير من القضايا الفقهية وجاءت بما هو جديد .

وتناولت قضية المرأة وهي الوتر الحساس في هذا العصر من جوانب شتى في مكانتها ومنزلتها في المجتمع وعملها وتعدد الزوجات والطلاق وتعلمها وسائر ما يتعلق بها .

وتناولت وباشرت السياسه والحكومة الاسلامية والعلاقه مع الاستعمار في سائر البلاد الاسلامية ، وأمورا شتى يطول تعدادها .

لا شك أن حركة هذا بعض مجالها سيكون لاثرها رقعة واسعة في المجتمع الاسلامى وهكذا كان الامر ذلكم أن تلاميذ واتباع هذه المدرسة بما مكن لهم فى المجتمع والدولة من مراتب عليا وما كان لهم من نشاط كبير والسمعه التى اكتسبوها فقد تهيئت لهم الفرصه بل الفرص لبث ما يشاؤن في المجتمع ، ولا يعنى هذا ان البيئة التى استقروا فيها كانت خاليه من المعارضه لكنها لم تكن من القدره بحيث يكون لها من أثر كبير تجاهها .

وعلى كل حال وكما هي سنن المجتمع ما ان تنجح أو تتجه الانظار الى مبدأ من المبادئ أو حركه من الحركات حتى تصبح هدفا مستهدفا من طوائف شتى وملل ونحل بعضها صادق وبعضها محتال .

وهكذا كان الأمر فى هذه المدرسة سلكت منهجها طائفه من الناس مؤمنين مؤيدين مقتنعين ، واستغلت طائفة أخرى هذا القبول فبثوا باسمها والصقوا أنفسهم بها الصاقا مبادئ منحرفه وآراء زائغة لا لشيء الا ليكسبوا التأييد ويحظوا بالقبول .

وقامت طائفه أخرى تشيد بمبادئ المدرسة ورجالها لا لشيء الا لمنصب أو كسب جاه أو مكانه .

ورفضت طوائف أخرى هذه المدرسة وهم ملل شتى لا يقلون عن النوع الآخر اصنافا .

رفضتهم طائفه غيرة على الاسلام حقا ورأوا أن لهم آراء خاطئة ومفاهيم قاصره فأرادوا أن يحذروا المسلمين من هذه الاخطاء وأن يعرف الناس مكانة هؤلاء وينزلونهم منزلتهم .

ورفضتهم طائفه لأنهم رأوا فيهم أعلاما مسلمين - يسعون لنشر مبادئ الاسلام فغاظهم هذا فذهبوا يشككون بهم ويذكرون مع الحقيقة الف كذبه . . .

ورفضتهم طائفه عجزت عن الوصول الى درجتهم فرأت أن أقصر سبيل هو النيل منهم .

والحق الذى لا مراء فيه أن هذه المدرسة العقلية الاجتماعية الحديثة لها من المحاسن كثير ولها من المساوئ كثير فضلا عن العلاقات الغامضة والحوادث المبهمه والاسرار والالغاز التى تحيط بعض رجال هذه المدرسة ولا زالت ولن تزال موضع أخذ ورد بين الأنصار والخصوم والمعتدلين .

وعلينا أن أردنا الخير والصلاح وما فيه الفلاح أن نأخذ من حسنات هذا المنهج .

١ - الاسلوب الذى سلكوه فى بث أفكارهم . . بالحديث المباشر فى المساجد والمجتمعات والمنتديات والمحاضرات وفى الصحافه وفي المؤلفات . .

٢ - الاسلوب الذى نهجوه في صياغة الحديث فليس بالحديث المتكلف الذى يرقى عن مدارك العامة ولا الاسلوب الذى يمجه ويأنفه الخاصة .

٣ - توجيه الاهتمام للقضايا التى تهم المجتمع وتجلب انتباه سائر الفئات والاجناس وتشد انتباههم ثم الولوج من هذا لبث مبادئ الاسلام الصحيحه .

٤ - الاتصال والتعرف على مختلف الطبقات من الملوك والوزراء والامراء والعلماء والموظفين والفلاحين والاتصال بكل الفئات وتوجيه كلا منها حسب فلكها ومدارها الى الوجهه الاسلاميه الصحيحه .

٥ - للمدرسة جهود لا تنكر في الاصلاح الاجتماعي في شتى نواحيه ولها أخطاء وانحرافات ولنأخذ ما هو مقبول ولنوسع الحديث فيه ، ونحذر من سواه ونبينه للناس .

٦ - تفسير القرآن بالقرآن والاعراض عن الخوض في المبهمات والتحذير من الاسرائيليات والقول بالشمول في القرآن الكريم وأنه المصدر الاول للتشريع كلها أسس سليمه في التفسير فلنقوم هذه الاسس ولنلتزمها ولنحذر من الوقوع في مخالفتها كما وقع بعض رجال المدرسة أنفسهم وهم يدعون اليها . ولا شك أن هذه خطوه جيده للوصول الى الافضل .

٧ - بسط السيره النبويه والاخلاق المحمديه بأسلوب ميسر وسيله ناجحه لنشر المبادئ الاسلاميه بين المسلمين بمختلف طبقاتهم .

ليست هذه فحسب حسنات هذا المنهج الذى سلكه رجال المدرسة العقلية الاجتماعيه فحسب وانما هي مجرد الاشارة . وفى مقابلها جوانب أخرى أحسبها أخطاء يجب تفاديها والتحذير منها وعدم الوقوع في براثنها فاني - اعتقدها - مهلكه ومنها :-

١ - ما يحيط بعض رجال هذه المدرسة من غموض وشبهات وقد اشترط سلفنا الصالح فيمن يفسر القرآن الكريم بأن يكون معروفا بالصلاح والاستقامه وحسن السيره والسلوك وأن لا يكون موضع تهمه .

٢ - أن بعض رجال هذه المدرسه يفتقدون شروطا هامه في المفسر فبعضهم يجهل السنه ولا يعرف من الاحاديث الا القليل بل وأحيانا

يرد من الاحاديث ما هو متفق على صحته لا لشيء من أصول معرفة الحديث وردته وانما لمخالفته لفهمه الخاطيء

وبعضهم لا يعرف من اللغه ما يمكنه من تقرير المعنى الصحيح للآيه بل ينكر بعضهم اشتراط معرفة اللغه على المفسر .

٣ - أن بعض رجال المدرسة لم يلتزم الاصول التى يدعو اليها فى التفسير فيطنب فيما أبهم فى القرآن ويروى بل ويكثر من رواية الاسرائيليات ويورد من التفسير العلمى ما لم تثبت حقائقه .

٤ - من أخطاء رجال المدرسة أو غالبهم عدم اعتدادهم بالتفسير بالمأثور وانزاله منزلته بعد القرآن الكريم وهو ولا شك خطأ لا يغتفر تولد منه انحرافات جسام .

٥ - أما التزامهم لما سموه " الحكم العقلى " فقد أوقفهم في شراك انحرافات كثيره فى الوحي . . ومعجزات الانبياء عليهم السلام . . وغير ذلك كثير .

٦ - أنهم فسروا كثيرا من الآيات تفسيرا تقربوا به الى روح العصر على حساب الفهم الصحيح لمدلول الآيه كالقول بأصل الانسان والملائكه . والجن . . والولاده من غير أب . . والحجارة السجيل .

٧ - أولوا القصص فى القرآن - أو بعضهم - تأويلات باطله تشبث بها بعضهم وصارت سلما سهلا له لانكار الصدق فى قصص القرآن الكريم وقالوا فى المرأة أقوالا كانت مرقاة لدعاة تحريرها المزعوم . . وقالوا فى تعدد الزوجات أقوالا كانت مستند من دعا الى منعه قانونا .

وبعد

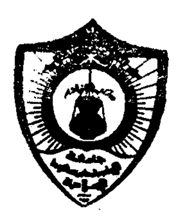
فلا شك - كما أسلفت - أن لهذه المدرسة بل لهذا المنهج مساوئه وله حسناته منها ما ذكرناه ومنها ما لا يخفى .

وعلينا أن نبين للناس ما لها وما عليها فما يزال في الناس طائفه ومنهم علماء ؟! اذا ناقشته في قضية أو أمر أجابك بأن هذا قد قاله فلان من رجال المدرسة يقول هذا بثقة وقوه وكأنه أسنده الى نبى معصوم وهو يحسب بهذا أنه قد أقام الحجه عليك واذا لم تنقطع في الجدل بعد هذا الاستدلال نظر اليك شزرا وكأنك قد أتيت بأمر تكاد الجبال أن تكون له هدا .

وهذا مما يزيد المصلحين عبئا الى عبئهم فلينزعوا هذا المفهوم الضال أولا ثم ليبثوا النبت الصالح ثانيا .

وفق الله العاملين المصلحين الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا .

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم القرآن وعلومه



اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري

رسالة لنيل درجة الدكتوراه

إعداد

فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي

إشراف

الدكتور / مصطفى مسلم محمد
أستاذ مشارك في كلية أصول الدين



(الجزء الثالث)

العام الجامعي
١٤٠٤هـ ـ ١٤٠٥هـ

الباب الرابع

الإتجاه الأدبي في التفسير

تمهيد :

لا أخفي أبدا أني قد كنت ممن التبست عليهم معالم هذا الاتجاه في التفسير واختلطت عندهم خطوطه وحدوده

وحتى بعد أن قرأت فيه كثيراً من الكتب بل زادته بعض هذه المؤلفات لبسا إلى لبسه وغموضا إلى غموضه. وليس أدلّ على ذلك من أن بعض المؤلفين ينكرون كل تأليف قديم فيه ويزعمونه اتجاها جديدا بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى ؟ ! وزعم آخرون أنه قديم قِدَمَ التفسير، زد على هذا اختلافهم في مدلوله وتعريفه وو..

وما زلت أقرأ وأتأمل حتى ظهر لي ما أحسبه الحقيقه وقد ظهرت لغيري من قبل . وحين تظهر الحقيقة فإنها توجب على صاحبها اظهارها وإلا كانت حقيقةً مكتومةً يبوء صاحبها بإثم كتمانها

كنت أعتقد أن الاتجاه الأدبي في التفسير يشمل مناهج ثلاثة :-

أولها : المنهج البياني

ثانيها : المنهج الموضوعي

ثالثها : منهج التذوق الأدبي

كنت أحسبه كذلك فإذا به غير ما ظننت ، وقع الخلط بين أولها وثانيها ما حدود المنهج البياني وما حدود المنهج الموضوعي وهل بينهما من صلة أو هما اسمان لمسمى واحد ؟ !

واذا بالحقيقةِ غير ذلك كله فليست الموضوعيةُ في التفسير منهجا ؟ ! حتى وإن وصفها كثيرون بذلك ، إذ هي ليست إلا أسلوبا من أساليب التفسير ووسيلة من وسائله ومركباً من مراكبه .

وأساليبه محدودة ومعلومة قسمها العلماء إلى

١ - التفسير التحليلي

٢ - التفسير الإجمالي

٣ - التفسير المقارن

٤ - التفسير الموضوعي

أما التفسير التحليلي فهو أن يلتزم المفسر تسلسل النظم القرآني والسير معه سورة سورة وآية آية. وهو النمط الذى سلكه سائر المفسرين القدامى إلا القليل النادر.

وأما التفسير الاجمالي فهو أن يلتزم المفسر تسلسل النظم القرآني أيضا سورة سورة، إلا أنه يقسم السورة إلى مجموعات من الآيات يتناول كل مجموعة بتفسير معانيها إجمالا، مبرزا مقاصدها موضحا معانيها مظهرا مراميها، ويجعل بعض "ألفاظ" الآيات رابطا بين النص وبين تفسيره. فيورد بين الغينه والأخرى لفظا من ألفاظ النص القرآني لاشعار القارئ أو السامع بأنه لم يبعد في تفسيره عن سياق النص القرآني ولم يجانب ألفاظه وعباراته ومشعرا بما انتهى إليه في تفسيره من النص.

وأما التفسير المقارن فهو أن يعمد المفسر إلى جملة من الآيات في موضع واحد في سورة واحدة ويورد أقوال المفسرين السابقين لها ويوازن بينها ويقارن، وينقد الضعيف ويؤيد الصحيح.

وأما التفسير الموضوعي فهو أن يلتزم المفسر موضوعا قرآنيا واحدا يجمع الآيات الواردة فيه ليتناولها بالتفسير مجتمعة ليصل بعد ذلك - حسب جهده - إلى حكم القرآن النهائي في موضوعه الذي يتناوله.

وإذا كانت هذه هي أساليب التفسير في القرآن الكريم وليست مناهجه - بدليل أنه يصح أن يتناول بكل أسلوب منها كُلّ مناهج التفسير فليس

الأسلوب إلا مطية، وليس المنهج إلا طريقا .. للهدف

فيصح أن يسلك بالتفسير التحليلي منهج أهل السنة والجماعة ويصح أن يسلك به منهج الشيعة بل يصح أن يسلك به الإتجاه العلمي بمناهجه والعقلي وحتى الالحادي . وكل هذه الاتجاهات موجوده في تفاسير العلماء السابقين . وهي من هذا الاسلوب في التفسير وكذا التفسير الاجمالي والمقارن .

ويصح أن يسلك بالتفسير الموضوعي الإتجاه العقدي فيكتب عن " آيات الإيمان بالله" وعن " آيات الإيمان بالكتب" وعن " آيات الإيمان بالملائكة" وعن " آيات الإيمان بالرسل" وعن" آيات الإيمان بالآخرة" وعن "آيات الحجة على المشركين بالله "[1] وعن " قضايا العقيدة في ضوء سورة ق"[2] وعن " سورة الواقعة ومنهجها في العقائد)[3] وعن " تصور الألوهيه كما تعرضه سورة الأنعام"[4] وعن صراع المذهب والعقيدة في القرآن"[5] وعن المصطلحات الأربعة في القرآن الإله الرب العبادة الدين"[6] وعن" مع الإيمان فى رحاب القرآن "[7] وعن " الأنبياء في القرآن"[8] وعن " النبوة والأنبياء في ضوء القرآن الكريم "[9] وعن " رسول الله في القرآن الكريم "[10] وعن" نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن"[11]

---

(١) وكلها مؤلفات للأستاذ عبد المنعم أحمد تعيلب
(٢) للأستاذ كمال محمد عيسى
(٣) للأستاذ محمود محمد غريب
(٤) للأستاذ ابراهيم الكيلانى
(٥) للأستاذ عبد الكريم غلاب
(٦) للأستاذ أبو الأعلى المودودى
(٧) للأستاذ محمد محمد خليفة
(٨) للأستاذ سعد صادق محمد
(٩) للأستاذ أبو الحسن الندوي
(١٠) للأستاذ حسن الملطاوي
(١١) للأستاذ حسن ضياء الدين عتر

وعن " اليهود في القرآن الكريم"[(١)] وعن " المسيح في القرآن"[(٢)] وعن " بنو اسرائيل في القرآن "[(٣)] وعن " رحلة الآخرة في القرآن الكريم "[(٤)] وعن " القرآن والشيطان "[(٥)] وعن" أفعال العباد في القرآن الكريم "[(٦)]

وكل هذا تفسير موضوعي وكله من المنهج العقدي في التفسير

ويصح أن يسلك بالتفسير الموضوعى الإتجاه العلمي بمنهجه الفقهي ، والعلمي التجريبي ، أما الفقهي فكله لا أستثنى منه شيئا من التفسير الموضوعي ذلكم أن صاحبه يتجه إلى آيات الآحكام في القرآن الكريم فيفرد ها بالحديث ويقتصر عليها بالتفسير والبيان وهذا أسّ التفسير الموضوعي . وقد يقتصر على موضوع واحد فقهي

فيفسر الآيات التي تناولته فيكتب مثلا عن " آيات الجهاد في القرآن الكريم"[(٧)] وعن " المال في القرآن"[(٨)] وعن " أحكام الحجاب فى القرآن"[(٩)] وعن " تفسير آيات الربا"[(١٠)] وكلها تفسير موضوعي من المنهج الفقهي .

ويصح أن يسلك بالتفسير الموضوعي الإتجاه العلمي بمنهجه العلمي التجريبي فيتناول بالتفسير الآيات العلميه عامة أوطائفة معينة ذات موضوع

---

(١) للأستاذ محمد عزة دروزه
(٢) للأستاذ عبد الكريم الخطيب
(٣) للأستاذ السيد رزق الطويل
(٤) للأستاذ عبد العزيز خطاب
(٥) للأستاذ فارس محمد ثابت
(٦) للأستاذ محمد المجذوب
(٧) للأستاذ كامل سلامة الدقس
(٨) للأستاذ محمود غريب
(٩) للأستاذ أمين أحسن الإصلاحي
(١٠) للأستاذ سيد قطب

واحد منها فيكتب في علم الفلك مثلا " ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة "[(١)] أو التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن"[(٢)] أو "تفسير الآيات الكونية"[(٣)] وفى علم الطب مثلا " القرآن والطب"[(٤)] أو " مع الطب في القرآن الكريم "[(٥)] وغير ذلك من العلوم التجريبية وكل هذا تفسير موضوعي من المنهج العلمي التجريبي.

ويصح أن يسلك بالتفسير الموضوعى الإتجاه الاجتماعي فيكتب عن " دستور الأخلاق في القرآن"[(٦)] وعن " المجتمع الإسلامي كما تنظمه سورة النساء"[(٧)] وعن " الفلسفة التربوية في القرآن "[(٨)] وعن " التربية في كتاب الله"[(٩)] وعن " الأمة الاسلامية كما يريدها القرآن"[(١٠)] وعن " القرآن والمبادىء الإنسانية "[(١١)] وعن "وصايا لقمان في القران الكريم"[(١٢)] وعن " فقه الكلمة ومسئوليتها في القرآن والسنة "[(١٣)] وعن " منزلة الأم في القرآن الكريم "[(١٤)] وعن "الأم في القرآن الكريم "[(١٥)] وعن " المرأة من خلال الآيات القرآنية "[(١٦)] وعن القرآن والمرأة"[(١٧)] وعن "القرآن والمجتمع"[(١٨)] وعن " منهج القرآن في تطوير المجتمع"[(١٨)] وكل

---

(١) للأستاذ محمود شكري الألوسي
(٢) للأستاذ حنفي أحمد
(٣) للأستاذ عبد الله شحاتة
(٤) للأستاذ محمد وصفي
(٥) للأستاذين عبد الحميد دياب وأحمد قرقوز
(٦) للأستاذ محمد عبد الله دراز
(٧) للأستاذ محمد محمد المدني
(٨) للأستاذ محمد فاضل الجمالي
(٩) للأستاذ محمود عبد الوهاب
(١٠) للأستاذ محمد الصادق عرجون
(١١) للأستاذ محمد عبد الله السمان
(١٢) للأستاذ محمد محمود مصطفى عمير
(١٣) للأستاذ محمد عبد الرحمن عوض
(١٤) للأستاذ عبد المعز خطاب
(١٥) للأستاذ أحمد عبد الهادي
(١٦) للأستاذ عصمة الدين كركر
(١٧) للأستاذ محمود شلتوت
(١٨) للأستاذ محمد البهي

هذا تفسير موضوعي من منهج الإصلاح الإجتماعي

فهل يصح أن تسلك هذه المؤلفات كلها على مختلف مواضيعها واتجاهاتها في منهج واحد من مناهج التفسير؟! لا أحسب هذا يقبله ذو علم

فلا شك إذاً أن التفسير الموضوعي ليس منهجا مستقلا عما سواه من المناهج بل لا يصح أن يوصف بالمنهجية وشأنه كذلك . فهو ليس إلا وسيلة من وسائل التفسير يتناول بواسطته كل المناهج التفسيريه .
ولذا فلا يصح أن يعد منهجا وإنما هو أسلوب من أساليب التفسير ، وحين ينحسر هذا الجزء من المناهج الثلاثه التى حسبتها تُكوِّن الإتجاه الأدبى فى التفسير ويبقى المنهجان : -

١ - المنهج البياني

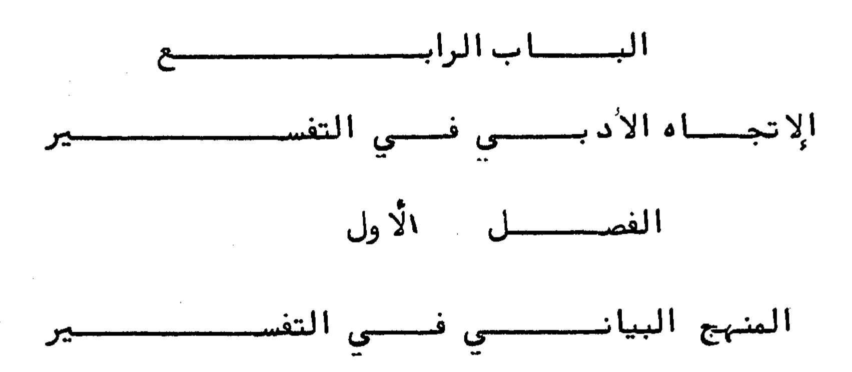
٢ - منهج التذوق الأدبي

يزول اللبس وتظهر المعالم وتنجلي الحقيقة . ولست أزعم لنفسي كشفها ، ولست ممن يضع في أحدى أذنيه قطنا وفى الأخرى عجينا -كما يقولون - فلا يسمع رأيا ولا يقبل قولا وقد يكشف له حقائق كانت عن بصره مستورة أو يجلو غشاوة في بصره كانت تعميه ، وما زلت أطلب الحقيقة فهي ضالتي واحسبني- والحمد لله - قد وصلت إليها .

وعلى هذا فسأقتصر في حديثي عن هذا الإتجاه على المنهجين السابقين

١ - المنهج البياني

٢ - منهج التذوق الأدبي



الباب الرابع

الإتجاه الأدبي في التفسير

الفصل الأول

المنهج البياني في التفسير

فى أمة كانت تقيم للشعر أسواقا وللخطابة ندوات وتعد الشعر ديوانا وسجلا للمفاخر نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين .

كانت أمة تمسك بزمام البلاغة والفصاحة لا تجارى عرفت بحسن الأداء وجمال المنطق وسلاسة التعبير وما يزال الناس بعد أربعة عشر قرنا من الزمان يرددون قصائدهم ويحفظون خطبهم وهم يعدونها مثالا للبلاغة والفصاحة فقد نزل عليهم القرآن الكريم وهم فى ذروة من البلاغة وقمة من الفصاحة فكانوا ملوكها وأساطينها .

وأشد ما تكون المعجزة إعجازا إذا نزلت في قوم برعوا في موضوعها وقد كانت معجزة القرآن الكريم كذلك .

وعلى قدر قوة هذه المعجزة كانت الصدمة للقوم - بعد عجزهم - قوية فمنهم من بادر من فوره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مذعنا مسلما ، ومنهم من عاند واستكبر ولم يعِ ما يقول قال وقالوا شعر وقال وقالوا سحر وقال وقالوا كهانه وهو وهم يعرفون أنه ليس بهذا ولا بذاك ولا بذلك .

وكما طوعت لهم أنفسهم أن يقولوا بهذا - يخدعون أنفسهم - طوعت لهم أن يقولوا - " إنّما يُعَلِّمه بشر " (١) ولم يكونوا صادقين وإنما كانوا يلتمسون لأنفسهم عذرا بعجزهم عن مجاراته ويدرؤن عن أنفسهم معرة الإفحام فأخطأوا السبيل وهم لا يعون لهول الصدمة لم يجعلوا هذا البشر المزعوم منهم فهم يعرفون قصورهم عن دَرْكِ هذا القول فنسبوه إلى رجل هل تدرون من هو؟! إذاً ستسخرون!! لرجل كان حداداً منهمكاً في مطرقته وسندانه عامي الفؤاد لا يعلم الكتاب الا أماني

---

(١) سوره النحل : الآيه ١٠٣

أعجمي اللسان لا تعدو قرآءته أن تكون رطانة لا يعرفها محمد صلى الله عليه وسلم ولا أحد من قومه . ولكن ذلك كله لم يكن ليحول بينه وبين لقب " الأستاذيه " الذي منحوه إياه على رغم أنف الحاسدين . ! هكذا ضاقت بهم دائرة الجد فما وسعهم إلا فضاء الهزل وهكذا مضوا في هزلهم حتى خرجوا عن وقار العقل فكان مثلهم كمثل من يقول إن العلم يستقى من الجهل وإن الإنسان يتعلم كلامه من الببغاء ! وكفى بهذا هزيمة وفضيحة لقائله (لسانُ الذي يُلحدون إليه أعجميٌ وهذا لسان عربي مبين " (١) (٢)

ومع هذا فإنا نسمع حينا في دياجير الظلام أصواتا لم تستطع أن تخرق طبقات الحق إلى ظلمة الباطل فلا تجد إلا الأعتراف والإذعان فتقول : " والله إنّ له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر وما يقول هذا بشر " لكنها لا تلبث وقد طغى عليها العنادُ إلا أن تعود إلى ضلالها فتزعم الباطلَ كرة أخرى .

والإعترافات عديدة والعناد كثير لذا فلم يكلف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن " يهدي من أحب" ومن لم يحب أيضا الى الإيمان وإنما كُلّفَ بأن يُسمع المشركين كلامَ الله " وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ، ذلك بأنهم قوم لا يعلمون "(٣) لم يكلف بما بعد الإسماع لأن المانع بعده ليس " الإقناع" فقد حملته الآيات وإنما هو العناد والعناد لا تنفع معه الحجة والبرهان ، وإذا لم يكن ثَمَّ عنادفقد حدثنا القرآن عن قوم " إذا تتلى عليهم آيات الرحمن

---

(١) سوره النحل : الآيه ١٠٣
(٢) النبأ العظيم : د / محمد عبد الله دراز ص ٦٤
(٣) سوره التوبه : الآيه ٦



خـــروا سجدا وبكيـــا" (١)

وهذا عمر رضي الله عنـه وهو من هو يقع في أسر البيـان القرآنـي في وقت كان الشرر يتطايـر من عينيـه حين علم بإسلام أختـه فذهـب ليفتك بها فإذا به يقع في أسر بيان آيات من سورة طـه لا يملـك معها إلا الإذعان والإيمان - حيث لا عنـاد -

وهذا جبير بن مطعم رضي الله عنه يقع في أسر البيان القرآنـي حـين سمع من فم الرسول صلى الله عليه وسلم قوله تعالى " أم خُلِقُـوا مـن غـير شيء أم هم الخالقـون "(٢) حتى إعترف" كاد قلبي أن يطـير" وآمـن " وذلك أول ما وقر الاسلام في قلبي "(٣) لأنه لم يكن ثم عناد .

ومما يؤكد تأصل العناد في قلوب المشركين ضربهم الحصار حـول القرآن الكريم حتى لا يسمعه - سماعا - القادمون في موسم الحج ومـع هذا فقد فتح مصعب بن عمير رضي الله عنه يثرب بآيات من القرآن مكـث فيها يقرأ القرآن على أهلها فآمنـوا ودعوا رسول الله صلى الله عليـه وسلم إلى الهجرة إليهم حتى قيل " فتحت الامصار بالسيوف وفتحـت المدينة بالقرآن(٤) وهل هناك من سلاح أقوى من سلاح البيان القرآني ؟!

ليس الجديد في القرآن لغته لكن من الجديد فيه أنه أمة وحده فـي البلاغة العربيـة (وأنه في كل شأن يتناولـه يختار له أشرف المـواد وأمسها رحما بالمعنى المراد وأجمعهـا للشوارد وأقبلها للامتزاج ويضـع كل مثقال ذرة في موضعها الذى هو أحق بها وهي أحـق بـه بحيث لا يجد المعنى في لفظه الا مرآته الناصعة وصورته الكاملة ولا يجـد اللفظ في معناه إلا وطنـه الأمـين وقراره المكين . لا يوما أو بعـض

(١) سورة مريم : الآيـة ٥٨
(٢) سورة الطـور : الآية ٣٥
(٣) الإتقان في علوم القرآن : السيوطي جـ٢ ص ١٢٣
(٤) بيـان إعجـاز القرآن : لأبـي سليمان الخطابي : ص: ٦٥

يوم بل على أن تذهب العصور وتجيء العصور فلا المكان يريد بساكنه بدلا . ولا الساكن يبغي عن منزله حِوَلا . . وعلى الجملة يجيئك من هذا الأسلوب بما هو المثل الأعلى في صناعة البيان "(١)

خلاصة الأمر أن هذا البيان القرآني يجمع أمورا جملتها النظم الفريد العجيب الحسن المخالف لأساليب العرب ، والصور البيانية التي تؤلف أبدع تأليف بين أفصح الألفاظ الجزلة وأصح المعاني الحسنة"(٢)

هذه الأمور هي التي اتجهت إليها همة طائفة من المفسرين وأولوها اهتماما وإتسعت الدراسات حولها وكثرت ولئن كان للعصر الحديث منها نصيب كبير فإن جذورها تمتد إلى عصر نزول القرآن الكريم

وقد حسب بعض المؤرخين للمنهج البيانى في التفسير خلو صدر الاسلام منه وتجاوزه إلى ما بعده حين ظهرت المصطلحات البلاغية في صدر العصر العباسي وهم يحسبون أن معرفة البيان القرآنى فرع عن معرفة (المصطلحات البلاغيه) وفاتهم أن قوم الفطرة قد درسوا القرآن دراسة من يعرف مناحي البيان وإن فاتهم معرفة مصطلحاته التي ظهرت من بعدهم فهم يعرفون مناحي الإيجاز والإطناب ومواضع الحقيقة والمجاز وقد كفانا الجاحظ مؤنة الرد على من أنكر ذلك فقال " فإن زعم زاعم أنه لم يكن في كلامهم تفاضل ولا بينهم في ذلك تفاوت فلم ذكروا العيّ والبكيء والحصر والمفحم ، والخَطِل ، والمسهب والمتشدق والمتفهق والهَمّاز والثرثار والمِكثار والمِهماز؟ ولم ذكروا الهُجْر والهَذَر والهذيان والتخليط؟ وقالوا رجل تلفاعة وتلهاعة وفلان يتلهيع في خطبته . وقالوا فلان يخطيء في جوابه ، ويحيل في كلامه ، ويناقض في خبره ولولا أن هذه

---

(١) النبأ العظيم : الدكتور محمد عبد الله دراز ص ٩٢
(٢) بيان اعجاز القرآن لأبى سليمان الخطابى ص ٦٥

الأمور قد كانت تكون في بعضهم دون بعض لما سمى ذلك البعض والبعض الآخر بهذه الأسماء "[1]

ولا شك أن هذه الأوصاف والمسميات التى ذكرها الجاحظ ترسم الجو البلاغي الذي تنفست فيه المعاني البيانية قبل أن ترسمها المصطلحات البلاغيه المحدثة وفي ذلك ما يدفعنا إلى تلمس الأصول الأولى للتفسير البياني للقرآن الكريم لدى الأوائل من سامعيه[2]

وإذا ما فعلنا ذلك فإنا سنجد في تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم جملة من ذلك نذكر لها مثالا ببيانه عليه الصلاة والسلام للخيط الأبيض والخيط الأسود في قوله تعالى " وكلوا أشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر" ببياض النهار وسواد الليل[3] منتقلا بالمعنى من الحقيقة إلى المجاز .

وفي تفسير الصحابة رضوان الله عليهم نجد جذور وبذور التفسير البياني للقرآن الكريم وأشهر من عرف عنه هذا اللون من التفسير حبر هذه الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما . ولذا فقد جرى بعض المؤرخين للتفسير على إعتبار ابن عباس رضي الله عنهما صاحب الرأى الخاص بتفسير القرآن تفسيرا لغويا يرجع فيه إلى شعر العرب لمعرفة ما قد يغمض من الألفاظ والتراكيب .[4]

وتاريخ التفسير يحدثنا مرارا عن لقاء نافع بن الأزرق بإبن عباس رضي الله عنهما فيقول : بينا عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة قد إكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن فقال نافع بن الأزرق

---

(١) البيان والتبيين : الجاحظ جـ١ ص ٩٠ - ٩١
(٢) انظر خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم: د / محمد رجب البيومى ص ١٢
(٣) صحيح البخارى جـ٥ ص١٥٦ كتاب التفسير
(٤) خطوات التفسير البيانى : محمد رجب البيومى ص ١٤

لنجدة بن عويمر قم بنا إلى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن بما لا علم له به فقاما إليه فقالا إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا وتأتينا بمصادقه من كلام العرب فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان .. عربي مبين فقال ابن عباس سلاني عما بدا لكما "[1] فسأله نافع عن أكثر من مئة وثمان وثمانين مسألة أوردها السيوطي رحمه الله تعالى في الإتقان "[2]

وإيراد السيوطي لهذه المسائل تحت عنوان " ما ينبغي للمفسر من معرفة باللغة "[3] وتمهيده لها بالمروي عن ابن عباس رضي الله عنهما " إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب وأن ابن عباس كان يُسأل عن القرآن فينشد فيه الشعر قال ابو عبيد يعني كان يستشهد به على التفسير[4] يلفتنا الى أن العناية بها اتجهت إلى الجانب الأدبي من حيث هي شاهد ودليل لمن يحتجون لقيمة الشعر على من قالوا بكراهته في الاسلام ولذا فلا عجب أن رأينا مسائل نافع بن الأزرق موضع عناية من علماء اللغة والأدب اكثر من اصحاب التفسير[5]

---

(١) الاتقان في علوم القرآن : السيوطي ج ١ ص ١٢٠

(٢) انظر الاتقان : ص ١٢٠ الى ١٣٣ ج ١

(٣) الاتقان : ج ١ ص ١١٤

(٤) الاتقان : السيوطي ج ١ ص ١١٩ - ١٢٠

(٥) الاعجاز البياني للقرآن : بنت الشاطئ ص ٢٧٠ - ٢٧١

وليس ابن عباس رضي الله عنهما بالوحيد[1] بينهم رضى الله عنهم فقد شاركه في هذا جملة من الصحابة رضي الله عنهم لكنه من أولهم وأشهرهم فذكرناه واقتصرنا عليه .

وقد ورث عن ابن عباس رضي الله عنهما تفسيره طائفة من تلاميذه بما فيه من جذور التفسير البياني فجاء تفسير مجاهد متأثرا بهذا اللون من التفسير وقد ذكر الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله تعالى جملة من هذا وذلك في كتابه " معجم غريب القرآن "

---

(١) هذا لا يعني صحة نسبة هذه الأسئله من نافع لابن عباس رضي الله عنهم - كلها فلا شك أنه يصعب الإقتناع بأن مثل نافع يسأل مثل هذه الاسئله فلو جاز له أن يسأل مثلا عن " رئيا" " تتبيب" " حميم آن" وغيرها فانه لا يصح أن يسأل - وهو من هو في معرفة اللغه - عن " عذاب أليم " أطعموا البائس"" إضربوا كل بنان "وغيرها فان هذا ونحوه لا يعوص فهمه على مثل نافع ، زد على هذا،أن الرواية تحكى إستشهاد ابن عباس بشعر بن أبى ربيعة ، والحارث والمخزومي وغيرهما ممن جاء بعد انتشار ألفاظ القرآن فلا يعقل أن يقتنع نافع بشعرهم ونحو هذا استدلاله بشعر حسان رضي الله عنه وأمية بن أبى الصلت وعبد الله بن رواحه رضى الله عنه وهم لا شك درسوا القرآن وتأثروا بأسلوبه وعباراته فاقتبسوا منه في أشعارهم فلا يستدل بنحو ذلك ، وانما الحجة في نحو هذا لشعراء العربية قبل انتشار آيات القرآن وتداولها بين الناس لكن هذا كله - إحتياط - لا يمنعنا من التسليم بجوهر المسألة أعني رجوع ابن عباس إلى الشعر العربي في التفسير ولا يمنع أن يكون نافع سأل عن بعض هذه الاسئله وزاد عليها من بعده الرواة ما زادوا ويبقى ما بقي و هو كثير حجة على ما أردنا إثباته من ثبوت جذور التفسير البياني لدى ابن عباس رضى الله عنهما ، وقد اقتبست هذا الاحتياط العلمي من الدكتور محمد رجب البيومى فى كتابه خطوات التفسير البياني ص ١٨ - ١٩

كل هذا كان قبل عصر التدوين . ولعل هذه الخاصة فيه هي التي جعلت كثيرا من المؤرخين يتجاوزون هذه المرحلة ويعرضون عنها مبتدئين تاريخهم للتفسير البياني ببداية عصر التدوين

وأول ما يصادفنا في هذا العصر - عصر التدوين - كتاب " مجاز القرآن " لابي عبيدة معمر بن المثنى رحمه الله تعالى المتوفى سنة ٢١٠ وينبغي أن أذكر هنا ماذكره ابن تيمية رحمه الله تعالى عن المراد بالمجاز هنا حيث قال " أول من عرف أنه تكلم بلفظ المجاز أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه ولكن لم يَعْنِ بالمجاز ما هو قسيم الحقيقة وإنما عنى بمجاز الآية ما يعبر به عن الاية"(١) وذلك أنه حين يتعرض للنصوص القرآنية يشير إلى ما تدل عليه من حقيقة أو مثل أو تشبيه أو كناية وما يتضمن من ذكر أو حذف أو تقديم أو تأخير فوضع بذلك اللبنة الأولى في صرح الدراسات البلاغية للقرآن الكريم ، وقد يكون في ذلك بعض التجوز في التحديد ولكنه منهج مبدئي وله بذلك موضعه من التقدير(٢)

وجاء من بعده سيل من المؤلفين في هذا المضمار فألَّفَ الفَرّاء كتابه معاني القرآن ومع أن الفراء هذا يقول " لو حُمِلَ إليَّ أبو عبيده لضربته عشرين في كتاب المجاز"(٣) فإن كتابه المعاني جاء على نفس طريقه ابي عبيدة وإن غلب النحو على منهجه ودراسة الكتابين توحي بإتحاد المنحى لدى الرجلين في البدء بتفسير الآيات حسب ترتيبها في المصحف

---

(١) مجموع الفتاوى ابن تيمية جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم جـ٧ ص٨٨ وانظر جـ ١٢ ص ٢٧٧

(٢) خطوات المنهج البياني : د / محمد رجب البيومي ص ٤٦

(٣) معجم الأدباء : ياقوت الحموي جـ٩ ص ١٥٩

وأتبعه في إيراد المسائل البيانية من كناية وتشبيه ومثل واستعارة ومجاز [١] واتبعه كظله في تذييل تفسيره بذكر الحديث والأمثلة الشعرية والنثرية لبيان المعنى وتوضيحه ولا يفوته أحيانا أن يورد بعض المأثور عن الصحابة والتابعين [٢]

وجاء من بعدهم الجاحظ ت (٢٢٥) فألَّف كتابه " نظم القرآن" وهو كتاب مفقود لكن كتب الجاحظ نفسه والدارسين من بعده لا تخلو من الإشارة إليه وبيان غرضه

وابن قتيبه ت(٢٧٦) ألَّف كتابه تأويل " مشكل القرآن " رد فيه على الطاعنين في بلاغته ، والجاحظ خطيب المعتزلة وابن قتيبة خطيب أهل السنه كما يقولون [٣]

ودخل القرن الرابع الهجرى الذي اختار أصحابه لهذا اللون من التفسير عنوان إعجاز القرآن [٤] فألَّف فيه من أهله ابو الحسن علي بن عيسى الرمّاني ت (٣٨٦) كتابه " النكت فى إعجاز القرآن " وألَّف أبو سليمان حمد بن محمد الخطابى (ت ٣٨٨) " بيان اعجاز القران "

وفى هذا القرن أيضا ألَّف قاضي المعتزلة أبو الحسن عبد الجبار الهمداني ت (٣١٥) كتابه(المغني في أبواب التوحيد والعدل) خَصَّ إعجاز القرآن بجزء منه مستقل

ومن أهل هذا القرن أيضا أبو بكر الباقلانى ت٤٠٣ وقد ألَّف كتاب " إعجاز القرآن "

---

(١) خطوات التفسير البياني : د / محمد رجب البيومي ص ٥٩
(٢) إعجاز القرآن البيانى بين النظرية والتطبيق : د حفني شرف ص ٢٠
(٣) خطوات التفسير البياني : د / محمد رجب البيومي ص ٩٢
(٤) الاعجاز البياني للقرآن : د / عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) ص ١٨

وجاء القرن الخامس واظهر ما فيه وأشهر كتاب عبد القاهر الجرجاني ت ٤٧١ " دلائل الإعجاز" ورسالته التي سماها " الرسالة الشافية" في إعجاز القرآن الكريم

وجاء القرن السادس وما أدراك ما القرن السادس أَلَّفَ فيه أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ت (٥٣٨) كتابه تفسير الكشاف وحسبك به في هذا اللون من التفسير

وفي أواخر هذا القرن أَلَّفَ فخر الدين الرازي ت (٦٠٦) رسالته " نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز"

وفي القرن السابع وضع أبو الأصبع المصري ت ٦٥٤ كتابه " بديع القرآن" وكتابه " الخواطر السوانح في أسرار الفواتح "

وفي القرن الثامن وضع الامام يحي بن حمزة العلوي ت (٧٤٩) كتابه " الطراز" أملاه على أصحابه بعد أن قرأوا تفسير الكشاف فطلبوا منه أن يملي عليهم في إعجاز القرآن كتابا فأملاه عليهم

وفي القرن التاسع أَلَّفَ برهان الدين بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥) كتابه " نظم الدرر في تناسب الآيات والسور "

وفي أواخر هذا القرن وأوائل القرن العاشر جاء الامام جلال الدين السيوطي ت (٩١١) صاحب المؤلفات والمصنفات في هذا الموضوع وغيره ومنها كتابه " تناسق الدرر في تناسب السور" وغيره كثير

ولا أعرف كتابا أو تفسيرا من هذا اللون في القرنين الحادي عشر والثاني عشر أما القرن الثالث عشر فقد ألف فيه شهاب الدين السيد محمود الألوسي ت ١٢١٧ تفسيره " روح المعاني " حتى عده بعض المعاصرين " إمتدادا لتفسير الكشاف للزمخشري في الاهتمام

بالمسائل البلاغية والنحوية "(١)

هذه إشارة سريعة لم أقصد بها إستيفاءً ولا شمولا ولا إستقصاء وإنما قصدت الإشاره إلى وجود الدراسات البيانية للقرآن الكريم عند الأقدمين وتسلسلها عبر القرون واتصالها بعضها ببعض من عصر نزول القرآن الكريم إلى القرن الرابع عشر الهجري

ولم أضرب الأمثله إذ أن ضرب المثال في مثل هذا المقام يوجب إستيفاء جوانبه الفكرية ولو فعلت هذا وذاك لكان في كتاب ضخم وقد كفاني مؤنة ذلك أستاذان فاضلان تتبعا خطوات التفسير البياني حتى العصر الحديث هما الدكتور محمد رجب البيومي فى خطوات التفسير البيانى للقرآن الكريم ، والدكتور حفني محمد شرف في كتابه" إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق"

ولعلي بعد هذا أجد مبررا للولوج إلى ميدان القرن الرابع عشر الهجري حيث أسمع جلية لعلى آتيكم منها بخبر

تطور التفسير البيانى :

أشرقت شمس القرن الرابع عشر الهجري وطوقت بإشعتها الذهبيه منارات الأزهر الشريف وفى ظلها وتحت فيئها يجلس عالم يلبس عمامة الأزهر وجلبابه وحوله عدد من تلاميذه جثيا يطلبون العلم والمعرفة

ذلكم الشيخ محمد عبده يقرر لتلاميذه في بداية درسه القرآن الكريم الأمور التى يجب أن يلتزمها المفسر فتسارق النظر إلى أوراق تلميذه السيد رشيد رضا تستدرك ما فاتك من الدرس فتقرأ فيها :-

---

(١) إعجاز القرآن البياني ، د/ حفني محمد شرف ، ص : ٢٠٢

" للتفسير مراتب : أدناها : - أن يبين بالإجمال ما يشرب القلب عظمة الله وتنزيهه ، ويصرف النفس عن الشر ويجذبها إلى الخير وهذه هي التى قلنا أنها متيسره لكل أحد " ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مُدّكر " (١)

وأما المرتبة العليا فهي لا تتم إلا بأمور : -

(أحدها) فهم حقائق الألفاظ المفرده التى أودعها القرآن - بحيث يحقق المفسر ذلك من استعمالات أهل اللغه ، غير مكتف بقول فلان وفهم فلان ، فإن كثيرا من الألفاظ كانت تستعمل في زمن التنزيل لمعان ثم غلبت على غيرها بعد ذلك بزمن قريب أو بعيد . . . . إلى أن قال . . . يجب على من يريد الفهم الصحيح أن يتتبع الإصطلاحات التي حدثت في الملة ، ليفرق بينها وبين ما ورد في الكتاب فكثيرا ما يفسر المفسرون كلمات القرآن بالإصطلاحات التى حدثت فى الملة بعد القرون الثلاثه الأولى ، فعلى المدقق أن يفسر القرآن بحسب المعاني التى كانت مستعملة في عصر نزوله ، والأحسن أن يفهم اللفظ من القرآن نفسه بأن يجمع ما تكرر في مواضع منه ، وينظر فيه ، فربما إستعمل بمعان مختلفه كلفظ الهدايه . . . ويحقق كيف يتفق معناه مع جملة معنى الآيه فيعرف المعنى المطلوب من بين معانيه ، وقد قالوا أن القرآن يفسر بعضه ببعض ، وأن أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ : موافقته لما سبق له من القول وإتفاقه مع جملة المعنى وائتلافه مع القصد الذي جاء له الكتاب بجملته .

(ثانيها) : الأساليب فينبغى أن يكون عنده من علمها ما يفهم به هذه الأساليب الرفيعه . وذلك يحصل بممارسة الكلام البليغ ومزاولته مع التفطن

---

(١) سوره القمر الآيه : ١٧

لنكته ومحاسنه والعناية بالوقوف على مراد المتكلم منه نعم أننا لا نتسامى إلى فهم مراد الله تعالى كله على وجه الكمال والتمام، ولكن يمكننا فهم ما نهتدي به بقدر الطاقة ويحتاج في هذا إلى الإعراب وعلم الأساليب (المعاني والبيان) ولكن مجرد العلم بهذه الفنون وفهم مسائلها وحفظ أحكامها لا يفيد المطلوب . . .

(**ثالثها**) علم أحوال البشر

(**رابعها**) العلم بوجه هداية البشر كلهم بالقرآن . فيجب على المفسر القائم بهذا الفرض الكفائي : أن يعلم ما كان عليه الناس في عصر النبوة من العرب وغيرهم لأن القرآن ينادي بأن الناس كلهم كانوا في شقاء وضلال ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم بعث به لهدايتهم وإسعادهم وكيف يفهم المفسر ما قبّحته الآيات من عوائدهم على وجه الحقيقة أو ما يقرب منها إذا لم يكن عارفا بأحوالهم وما كانوا عليه؟ . . . . .

(**خامسها**) العلم بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وما كانوا عليه من علم وعمل وتصرف في الشؤون دنيويها وأخرويها"(١)

ونجد أيضا تلميذه السيد رشيد رضا ينقل عن أستاذه في موضع آخر قوله" لا يتعظ الانسان بالقرآن فتطمئن نفسه بوعده وتخشع لوعيده إلا اذا عرف معانيه وذاق حلاوة أساليبه. ولا يأتي هذا إلا بمزاولة الكلام العربي البليغ مع النظر في بعض النحو ، كنحو ابن هشام وبعض فنون البلاغة كبلاغة عبد القاهر وبعد ذلك يكون له ذوق في فهم اللغة يؤهله لفهم القرآن "(٢)

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص٢١ - ٢٤ باختصار

(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ١٨٢

وبهذا يتضح سبب تفضيل الأستاذ الأمام محمد عبده تفسير الكشاف حين سأله تلميذه رشيد رضا " أي التفاسير أنفع لطلبةَ العلم؟ قال الكشاف. قلت :- ولكن فيه كثيرا من نزعات الاعتزال . قال :- تلك مسائل معروفة لا تخفى على طالب التفسير الواقف على أقوال الفرق ومذاهب السنة فيها . وإنما فضله لدقته فى تحديد المعانى ونكت البلاغه بالعباره الدقيقه المختصره " (١)

هذه بعض النصوص الكثيره التى جاءت في تفسير المنار أحسبها نواةَ التفسير البيانى للقرآن الكريم والأستاذ الامام وان خط لنا أهم قواعد هذا المنهج الا أنه كما يقول الدكتور كامل سعفان . لم يلتزمه فقد غلبه طابع الاصلاح الاجتماعى (٢)

وحين ننفى الالتزام فإنّا لا ننكر أنها وضعت بذور هذا الاتجاه في العصر الحديث ولكن جهودهم - كما يقول الدكتور عفت الشرقاوى لم تعد اللمحات العابرةَ التى تكشف عن نكتةَ بلاغيةَ خفيهَ، أو لمحةَ بيانيةَ ذكية ، فهى لم تكن تؤلف فى جملتها منهجا أدبيا واضحا يمكن أن ينسب اليها" (٣)

وحتى لا أغمط الرجل حقه وحتى لا أنكر جهده أذكر أمثله للتفسير البيانى عنده تظهر جليا بذور هذا المنهج

خذ مثلا تفسيره لقوله تعالى " والفجر وليال عشر" (٤) تراه يقول " كثر خلاف المفسرين والرواة فى معنى كل من الفجر وليال عشر الى آخر ما أقسم به . وقد يفسر الواحد منهم الفجر بمعنى ، ثم ياتى فى

---

(١) تاريخ الأستاذ الامام : محمد رشيد رضا ج ١ ص ٣٩٠
(٢) المنهج البياني فى تفسير القرآن الكريم : / د / كامل على سعفان ص٤٣
(٣) الفكر الدينى فى مواجهه العصر : د / عفت محمد الشرقاوى ص ٣٠٢
(٤) سوره الفجر: الآيتين ١ ، ٢

الليالي العشر بما لا يلائمه وغالب ذلك يجرى على خلاف ما عودنا الله في نسق كتابه الكريم . وقد جرت سنه الكتاب بأنه اذا أريد تعيين يوم أو وقت ذكره بعينه . كيوم القيامه في لا أقسم بيوم القيامه وكاليوم الموعود في سوره والسماء ذات البروج ، وكليلةَ القدر في سورتها فإذا أطلق الزمن ولم يقيد كان المراد ما يعمه معنى الاسم ، كما سبق في قوله " والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفّس[1] فالفجر هنا - على هذا - هو جنس ذلك الوقت المعروف الذى يظهر فيه بياض النهار في جلد الليل الأسود . وينبعث الضياء لمطاردة الظلام ، وهو وقت تنفس الصبح ، وهو معهود في كل يوم فصح أن يعرف بالألف واللام والمراد - والله أعلم - من ليال عشر يتشابه حالها مع حال الفجر ، وهى ما يكون ضوء القمر فيها مطاردا لظلام الليل الى أن تغلبه الظلمه فكأنه وضع التناسب على شيء من التقابل ، فضوء الصبح يهزم ظلمة الليل ثم يسطع النهار ولا يزال الضوء الى الليل . وضوء الأهلة في عشر ليال من أول كل شهر يشق الظلام ثم لا يزال الظلام يغالبه الى أن يغلبه فيسدل على الكون حجبه "[2]

ومثلا آخر في تفسيره لقوله تعالى " فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا"[3] يقول :-"أل في العسر للاستغراق ولكنه استغراق المعهود عند المخاطبين من أفراده أو أنواعه . فهو العسر الذى يعرض من الفقر والضعف وجهل الصديق وقوة العدو وقلة الوسائل الى المطلوب ونحو ذلك مما هو معهود ومعروف فهذه الأنواع من

---

(١) سوره التكوير : الآيتين ١٧ ، ١٨

(٢) تفسير جزء عم : الشيخ محمد عبده ص ٧٦ - ٧٧

(٣) سوره الشرح : الآيتين ٥ - ٦

العسـر مهمـا اشتدت وكانت النفس حريصـه على الخروج منها طالبـةً لكشف شدتهـا ، واستعملت من وسائل الفكر والنظر والعمل ما مـن شأنـه أن يعد لذلك في معروف العقل ، وإعتصمت بعد ذلك بالتوكـل على اللـه حتى لا تضعفهـا الخيبـة لأول مرة ولا يفسخ عزيمتهـا مـن تلاقيـه عند الصدمه الأولـى - فلا ريب أن النفس تخرج منها ظافـره .. الى أن قال .... " وتنكير اليسـر لأن الذى يأتي بعد العسر أي نـوع من أنواعـه لا يختص بيسـر معين - والتعبير بالمعية لتوثيق الأمـل بأنـه لا بد منه كأنه معه " (١)

ومثلاً ثالثاً لكنه لتلميذه محمد رشيد رضا في تفسير كلمـة " ومـا يشعرون "من قوله تعالى في وصف المنافقـين " يخادعون اللـه والذيـن آمنـوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون " (٢) قـال :-" أقول : قـال الراغب بعد الذكر الشعـر - بفتح الشين وسكون العين وفتحها - مـن مفرداته . وشعرت أصبت الشعـر ، ومنه أستعير شعرت كذا أى علمت علمـا هو فى الدقـة كاصابـه الشعر ، ومنـه يسمـى الشاعـر شاعـرا لفطنتـه ودقة معرفته ، فالشعر فى الأصـل أسم للعلـم الدقيق فـى قولهم : ليت شعري . وصار فى التعارف اسما للموزون المقفى من الكـلام ١ . هـ أقـول ويناسب هذا الشعـار - بالكسر - للكساء الباطن الذى يمس شعـر الانسان ، والمعروف في كتب اللغة أن شعر به - كنصر وكرم - يشعر شعـرا - بالكسر والفتح - وشعورا معناه علم به وفطن له وأدركه ، والفطنة تتعلـق بالأمـور الدقيقه وأطلق بعض المفسرين أن الشعور ادراك المشاعر أى الحواس

---

(١) تفسير جزء عم : الشيخ محمد عبده ص ١١٤ - ١١٦

(٢) سوره البقـره : الآيـه ٩

الخمس ، والتحقيق أنه ادراك مادق من حسي وعقلي ، فلا تقول : شعرت بحلاوة العسل وبصوت الصاعقه وبألم كية النار ، وإنما تقول : أشعر بحرارة ما في بدني ، وبملوحة أو مرارة فى هذا الماء ، إذا كانت قليلة وبهينمة وراء الجدار ، وما ورد فى القرآن من هذا الحرف يدل على هذا المعنى ، أي إدراك ما فيه دقة وخفاء . فمعنى نفي الشعور عن المنافقين في مخادعتهم الله تعالى أنهم يجرون فى كذبهم وتلبيسهم وريائهم على ما ألفوا وتعودوا ، فلا يحاسبون أنفسهم عليه ولا يراقبون الله فيه ، وما كلهم يؤمنون بوجود الله وإحاطه علمه ، ومن يؤمن بوجوده لم يترب (كذا) على خشيته ومراقبته ، ولا يفكر فيما يرضيه وفيما يغضبه ، فهو يعمل عمل المخادع له وما يشعر بذلك وأما مخادعتهم للمؤمنين فظاهرة لأنهم اتخذوهم اعداء وهم عاجزون عن اظهار عداوتهم فأعمالهم التى يقصدون بها إرضاء المؤمنين كلها خداع ورياء " (١)

تلكم أمثلة ثلاثة قلنا أنها مع أمثالها في تفسير محمد عبده وتلميذه السيد رشيد رضا تعد - كما أسلفت القول - لمحات عابرة تكشف عن نكتة بلاغية خفية أو لمحة بيانية ذكية ولم تكن تؤلف في جملتها منهجا أدبيا متكاملا يمكن نسبته اليها وتميزها به .

ولئن كان لا يسعنا هنا أن نذكر الفوارق بين منهج الأستاذ الامام والمنهج الأدبي الذى أستوى على سوقه من بعده حتى نستوفى عناصر هذا الأخير فانه لا يمنعنا أن نذكر فارقا واحدا به يتضح مدى البون بين الطرفين .

ذلكم أن الامام نص فى مقدمة تفسير المنار على الهدف الذى يرمى اليه من تفسيره فقال " والتفسير الذى نطلبه هو فهم الكتاب من

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ١ ص ١٥١ - ١٥٢

حيث هو دين يرشد الناس الى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا ، وحياتهم الآخره فان هذا هو المقصد الأعلى منه وما وراء هذا من المباحث تابع له أو وسيلة لتحصيلة " (١)

بينما يرى الأستاذ أمين الخولي أن " المقصد الأول للتفسير اليوم أدبي محض صرف ، غير متأثر بأي اعتبار وراء ذلك .. وعليه يتوقف تحقق كل غرض آخر يقصد اليه .. هذه هي نظرتنا إلى التفسير اليوم وهذا غرضنا منه وعلى هذا الأساس نتقدم لبيان طريقة تناوله ومنهج درسه " (٢)

وشتّان بين منهج يتناول القرآن كقطعةَ أدبية كقصيدةَ شاعر أو خطبةَ خطيب أو نثر كاتب وبين منهج يتناوله طالبا الهدايةَ والرشد أولا وما سواها .. ولست بحاجةَ إلى مزيد بيان للبون بينهما ولعلي بعد هذا ألقي عن كاهلى عبء دمج المنهجين في منهج واحد ، وأتحدث بعد هذا عن المنهج الأدبى المحض ! الصرف

قصة تأصيل هذا المنهج :

حين أذكر وأكرر أن المنهج البيانى فى التفسير خاص بالقرن الرابع عشر الهجري فإنى لا أعني أبدا نفي الدراسات البيانيه في القرون الماضيه كيف وقد ذكرت سلسلةَ منها فيما سلف من هذه الورقات ؟! وانما أعني أن الدراسات السابقه لم تصل في مقصدها إلى ما وصلت اليه في القرن الرابع عشر الهجرى .

---

(١) تفسير فاتحةَ الكتاب : الشيخ محمد عبده وتفسير المنار : محمد رشيد رضا ص ١٧

(٢) التفسير معالم حياته منهجه اليوم : أمين الخولي ص ٣٥

كان هدف الدراسات السابقه هو الهدف الذى ذكرته فى تفسير محمد عبده آنفا وأزيد على هذا ما لاحظه الدكتور حفني محمد شرف بعد أن درس" إعجاز القرآن البيانى بين النظرية والتطبيق" وانتهى به المطاف إلى ملاحظة هامة دَوَّنَها فى خاتمة رسالته حين قال :-

" والذى لاحظته اثناء هذا التطواف ، وتلك المقابلات أن أكثر علماء الاعجاز درسوا البلاغه العربيه وأرخوا لها وطوروا دراستها لأنهم كانوا مؤمنين بأن دراسة البلاغة وسيلة لغاية أسمى ، وهى إعجاز القرآن البياني ، ويمكن التأكد من هذا بالرجوع إلى مقدمات موءلفاتهم فى البلاغة التى كثيرا ما يصرحون فيها بهذه الملاحظة التى أشرت إليها" (1)

بمعنى آخر أن الدراسات السابقه كانت وسيلة وليست غاية أما الدراسات هذه فى الفتره التى نريد جلاءها فهى غاية تدرس النص القرآنى" وقصدها الأول أدبي محض صرف غير متأثر بأى اعتبار وراء ذلك . . . وعليه يتوقف تحقق كل غرض آخر يقصد اليه" (2) ،

ولهذا فلا فرق بين أن يقوم بهذه الدراسه مسلم أو غير مسلم كما يقولون هم بأنفسهم .

اذا فالدراسات الحديثة أصّلت الدراسه البيانيه للقرآن الكريم وأستميحكم هنا عذرا بتقديم الدكتورة عائشة عبد الرحمن تلميذة المُوَءَصِّل - إن صحت التسميه - لهذا المنهج الأستاذ أمين الخولى أُقَدِّمها لتوضح لنا بداية هذا التأصيل وإن شئت فَسَمِّها قصة هذا التأصيل .

---

(1) اعجاز القرآن البيانى بين النظريه والتطبيق : د / حفنى محمد شرف ص ٣٧٥

(2) التفسير معالم حياته منهجه اليوم : أمين الخولى ص ٣٥

تقول بنت الشاطىء " لكل لغة روائع من آدابها ، تعتبرها النماذج العالية لذوقها الأصيل ، والمثل الرفيعة لفنّها القولي وقد غبَرت الأجيال مِنّا تتجه إلى نصوص مختاره من شعر العربيه ونثرها تضعها بين أيدى القرّآء أو تقدمها إلى التلاميذ والطلاب وشغلنا نحن أصحاب الدرس الأدبى ، أو شغلت الجمهرة منا بالمعلقات والنقائض والمُفَضّليات ، ومشهور الخمريات والحماسيات والمراثى والمدائح والغزليات ومأثور الرسائل والأمالي والمقامات ، شُغِلنا بهذا ومثله عن الإتجاه الى القرآن الكريم الذي لا جدال في أنه كتاب العربيه الأكبر ومعجزتها البيانيه الخالدة ، ومثلها العالي الذى يجب أن يتصل به كل ذي عروبه أراد أن يكسب ذوقها ويدرك حسها ومزاجها ويستشفّ أسرارها في التعبير والأداء ، مسلما كان أو غير مسلم .

ونحن فى الجامعة نترك هذا الكنز الغالي لدرس التفسير ، وقلّ فينا من حاول أن ينقله الى مجال الدراسة الأدبية الخالصة التى قصرناها على دواوين الشعر ونثر مشهورى الكتاب ، وكان المنهج المتبع فى درس التفسير - إلى نحو ربع قرن من الزمان -(١) تقليديًّا أثريًّا ، لا يتجاوز فهم النص القرآنى على نحو ما كان يفعل المفسرون من قديم حتى جاء شيخنا الامام " الأستاذ أمين الخولي " فخرج به عن ذلك النمط التقليدى وتناوله نصا أدبيا على منهج أَصّلَه ، وتَلَقّاه عنه تلامذته وأنا منهم ."(٢)

ولئن قرأنا ما كتبته التلميذة فمن الأولى أن نقرأ ما كتبه الأستاذ بنفسه ولئن كان في نصه طول ففيه إستيفاء وشمول لبيان المراد . قال مبينا المقصد الحقيقى للتفسير عند الامام محمد عبده ومعقبا عليه :-"

فالمقصد الحقيقي عنده هو : الإهتداء بالقرآن وهو مقصد جليل

---

(١) كتبت بنت الشاطىء هذا فى شعبان سنه ١٣٨١هـ
(٢) التفسير البيانى للقرآن الكريم : د / عائشه عبد الرحمن "بنت الشاطى" ص١٣ جـ١

ولا شك . . يحتاج المسلمون إلى تحقيقه . لكن ليس بدعا من الرأى أن ننظر فى هذا المقصد لنقول : أنه ليس الغرض الأول من التفسير وليس أول ما يُعنى به ويُقصد اليه . بل ان قبل ذلك كله مقصداً أسبق وغرضاً أبعد . تنشعب عنه الأغراض المختلفة، وتقوم عليه المقاصد المتعددة ولا بد من الوفاء به قبل تحقيق أيِّ مقصد آخر ، سواء أكان ذلك المقصد الآخر، علميا أم عمليا ، دينيا أم دنيويا . . وذلك المقصد الأسبق والغرض الأبعد هو النظر في القرآن من حيث هو كتاب العربيةَ الأكبر وأثرها الأدبي الأعظم ، فهو الكتاب الذي أخلد العربيةَ وحمى كيانها وخلد معها فصار فخرها ، وزينةَ تراثها ، وتلك صفةَ للقرآن يعرفها العربي مهما يختلف به الدين أو يفترق به الهوى ما دام شاعرا بعربيته مدركا أن العروبة أصله فى الناس وجنسه بين الأجناس وسواء بعد ذلك أكان العربي مسيحيا أو وثنيا أم كان طبيعيا دهريا ، لا دينياء أم كان المسلم المُتَحَنِّف ، فإنه سيعرف بعروبته منزلةَ هذا الكتاب في العربيه ، ومكانته في اللغه ، دون أن يقوم ذلك على شيء من الايمان بصفةَ دينيةَ للكتاب أو تصديق خاص بعقيده فيه . . وليس هذا شأن العرب فحسب ، بل أن الشعوب التى ليست عربيه الدم أصلا ، و لكن وَصَلَها التاريخُ وسيرُ الحياةَ بهذه العروبةَ فارتضت الاسلام دينا ، أو خالطت العربَ فساطت دماءها بدمائهم ، ثم اتخذت العربيةَ أصلا من أصول حياتها الأدبيه . . . حتى ربطتها بالعربيه هذه الأواصر الوثقى ، إلى أن صارت العربية عنصرا أساسيا وجانبا جوهريا من شخصيتها اللغويةَ الفنيه ، قد صار لكتاب العربيه الأعظم وقرآنها الأكرم مكانه بين ما تعنى به ، من دراسةَ أدبيةَ وآثار فنيةَ قوليةَ ، فألزمها كل أولئك تناول هذا الكتاب بدراسةَ أدبيه ، تتفهم بها أصول ما ورثت من تلك العروبه ان كانت عربيه النِّجَار ، أو كانت قد

اتصلت بتلك العروبه اتصالا حيويا قويا دفع شخصيتها وسير وجودها ووجه حياتها فالعربى القح ، أو من ربطته بالعربيه تلك الروابط يقرأ هذا الكتاب الجليل ويدرسه درسا أدبيا كما تدرس الأمم المختلفه عيون آداب اللغات المختلفه ، وتلك الدراسه الأدبيه لأثر عظيم كهذا القرآن هى ما يجب أن يقوم به الدارسون أولا وفاءً بحق هذا الكتاب ولو لم يقصدوا الإهتداء به أو الإنتفاع بما حوى وشمل (!!) بل هى ما يجب أن يقوم به الدارسون أولا ولو لم تنطو صدورهم على عقيدة مّا فيه، أو انطوت على نقيض ما يردده المسلمون الذين يعدونه كتابهم المقدس ، فالقرآن كتاب الفن العربى الأقدس سواء أنظر اليه الناظر على أنه كذلك فى الدين أم لا .

وهذا الدرس الأدبى للقرآن فى ذلك المستوى الفنى ، دون نظر الى أى اعتبار دينى هو ما نعتده وتعتده معنا الأمم العربيه أصلا والعربيه اختلاطا ، مقصداً أول وغرضا أبعد يجب أن يسبق كل غرض ويتقدم كل مقصد . . ثم لكل ذى غرض أو صاحب مقصد بعد الوفاء بهذا الدرس الأدبى أن يعمد إلى ذلك الكتاب فيأخذ منه ما يشاء ويقتبس منه ما يريد ويرجع إليه فيما أحب من تشريع أو اعتقاد أو أخلاق أو إصلاح إجتماعى أو غير ذلك . وليس شىء من هذه الأغراض الثانية يتحقق على وجهه إلا حين يعتمد على تلك الدراسه الأدبيه لكتاب العربيه الأوحد دراسة صحيحه كاملة مفهمة له ، وهذه الدراسة هى ما نسميه اليوم تفسيرا ، لأنه لا يمكن بيان غرض القرآن ولا فهم معناه الا بها .

فجملة القول : أن التفسير - فيما أفهمه - هو الدراسه الأدبية الصحيحة المنهج ، الكاملة المناحى ، المتسقة التوزيع، والمقصد الأول للتفسير اليوم أدبي محض صرف ، غير متأثر بأى أعتبار ،

وراء ذلك .. وعليه يتوقف تحقق كل غرض آخر يقصد اليه ...
هذه هى نظرتنا إلى التفسير اليوم وهذا غرضنا منه "(١)

وانما نقلت هذا النص بطوله لما فيه من بيان نظرة الأستاذ أمين الخولى إلى التفسير ولما فيه من بيان غرضه وكفى بهما من مطلب بسطه لنا صاحب المنهج وموءصله .

وسأرجى ابداء رأيى فى نظرته إلى التفسير وغرضه منه الى آخر هذا الفصل حيث سأبين رأيي الخاص فى المنهج كله أجمعه هناك حتى لا يتفرق

مراحله ومعالمه :

وحين نتحدث عن مراحله ومعالمه تلك فإنّا لا نقصد بها المراحل التى مر بها التفسير البيانى عبر تاريخ التفسير فهذا قد سبقت الاشارة إليه . ولكني أقصد ذكر المراحل التى يمر بها المفسر الواحد فى العصر الحديث لتطبيق المنهج البيانى فى التفسير كما بسطها صاحبه

ولئن كان الأستاذ أمين الخولي لم يوردها مسلسلة مرتبة فإنى بَعْدَ نظر تَأَمُّل قد حصرتُها بأربع أو خمس مراحل هذا بيانها

المرحلة الأولى : التفسير الموضوعى

وهى المرحلة التى أشار اليها أمين على أنها النظر بين يدي الخطه حيث قال" والقرآن كما هو المعروف لم يرتب على الموضوعات والمسائل فيفرد كل شىء منها بباب أو فصل ، يجمع ما

---

(١) التفسير معالم حياته منهجه اليوم : أمين الخولي ص ٣٣ - ٣٥

ورد فيه عن هذا الموضوع أو تلك المسألة فليس على ترتيب كتب العقائد مع ما فيه من أصول العقيدة وليس على ترتيب كتب التشريع مع ما فيه من أصول التشريع . ولا هو كذلك على نسق كتب الاخلاق أو التاريخ ولا القصص ولا غير ذلك بل ليس على ترتيب بعض كتب الدين حين أفردت أحداث الحياة بأسفار عنونت كل سفر منها بحادث ، أو حين جرت على تسلسل حياة فرد خصت كل حين منها بقسم . كما لم يرتب على شيء من تاريخ ظهور آياته انما جرى القرآن على غير هذا كله . فعرض لكثير من الموضوعات ولم يجمع منها واحدا بعينه فيلتقي أوله بآخره ويعثر به في مكان معين . . وانما نثر ذلك كله نثرا وفرقه تفريقا فالحكم التشريعي في أكثر من موضع والأصل الاعتقادي قد عرض له غير مرة والقصة قد وزعت مناظرها ومشاهدها في جملة أماكن ، وهكذا تقرأ في السورة الواحدة فنونا من القول وتمر بألوان من الأغراض المختلفه تعرض لها سورة أخرى فيتكامل العرضان ، وتتم الفكرة بتتبعها في مواطن متعددة وذلك لحكمة ومرمى " (١)

ويؤكد الأستاذ أمين أن لهذا الواقع في موضوعات القرآن الكريم أثره في طريقه تناول القرآن بالتفسير وأن طريقة السلف في تفسيره مرتبا لا تمكن من الفهم الدقيق والادراك الصحيح لمعانيه وأغراضه ولا أظن الأستاذ أمين الخولى إلا مخطئا في نظرته تلك إلى تفسير السلف ذلك أنهم حين يتناولون بالتفسير حكما تشريعيا لا ينظرون الى آياته التى حملته نظره منفصله عن الآيات

---

(١) التفسير معالم حياته منهجه اليوم : أمين الخولى ص ٣٥ - ٣٦

الأخرى بل ولا عن ما هو خارج عن الآيات أعني السنة وغيرها فلا تعد نظرتهم تلك نظرة قاصرة وخذ القصة مثلا حين يتناولها السلفي يستكمل مناظرها ومشاهدها من نصوص آيات أخرى في مواضع متفرقه وكذا آيات العقائد لا ينظر الى آحادها نظرة مستقله عن سواها كل هذا يدل على كمال النظرة السلفية في تفسير الآية القرآنيه وأن لا أثر لسلوكهم التفسير المرتب على الفهم الدقيق أو الادراك الصحيح كما فهم الأستاذ أمين .

عودة الى الأستاذ أمين الخولي لنجمل رأيه في المرحلة الأولى في التفسير البياني أن التفسير لا يكون الا بأسلوب التفسير الموضوعي الذي يجمع الآيات ذات الموضوع الواحد من أماكنها المتفرقة وينظر إليها نظرة واحدة وبهذا يكون الفهم الصحيح . . . "فالناظر في سورة البقرة مثلا يجد من الحديث عن المؤمنين وحالهم ما أحسب انه يفهم الفهم الصحيح إذا ما قورن بما في سورة " المؤمنون" من الجزء الثامن عشر ثم هو واجد في سورة البقرة عن المنافقين وحالهم ما لا يفهم وجهه الا مع سورة " المنافقون " في الجزء الثامن والعشرين . . وقصة آدم في البقرة إنما تفسر مع ما ورد عنها في سورة الأعراف والحجر والكهف وغيرها" (١)

هذه هي الخطوة الأولى التي يجب أن يخطوها المفسر تفسيرا بيانيا كما يراها الأستاذ أمين الخولي

المرحلة الثانية :

الترتيب الزمني للآيات ذات الموضوع الواحد وهي ذات صلة وعلاقة قوية بالمرحلة السابقة حتى وكأنهما خطوة أو مرحلة واحدة .

---

(١) التفسير معالم حياته منهجه اليوم : أمين الخولي ص ٣٦

تلكم المرحلة هى مراعاة الترتيب الزمنى للآيات ذات الموضوع الواحد ويقصد بها أن المفسر بعد أن يجمع آيات موضوع بعينه يجب أن يخطو الخطوة الثانية فيرتب هذه الآيات حسب ترتيب نزولها وأكد هذا الأستاذ أمين الخولي حين قال :" وترتيب القرآن لم يرع شيئا من تقدم الزمن وتأخره فمكيه يتخلل مدنيه ويحيط به ومدنيه يتخلل مكيه ويحيط به . وهكذا ترى من النظر في ترتيب القرآن على سوره - أيّا ترتيب كان فى المصاحف المختلفه - ما لا يساير حاجات مفسره المتفهم له ، بل يقضي ما كان من أمر الترتيب:- بالنظر الجديد والترتيب الخاص لآي الموضوع بحيث يكشف هذا الترتيب لنا عن تلك النواحي التى عرفت أن المفسر المتفهم مضطر إلى مراعاتها وتقديرها توصلا الى الفهم الصحيح والمعنى الدقيق" (١)

إذا فهو يرى وجوب ترتيب آي الموضوع الواحد ترتيبا خاصا بحيث يكشف هذا الترتيب عن النواحي التي يحتاجها المفسر للوصول إلى الفهم الصحيح . ثم أجمل الأستاذ أمين القول فى المرحلتين السابقتين بقوله :-

" فجملة القول أن ترتيب القرآن في المصحف قد ترك وحدة الموضوع لم يلتزمها مطلقا ، وقد ترك الترتيب الزمني لظهور الآيات لم يحتفظ به أبدا ، وقد فَرَّقَ الحديث عن الشيء الواحد والموضوع الواحد في سياقات متعددة ، ومقامات مختلفة ظهرت في ظروف مختلفة وذلك كله يقضي فى وضوح :-

بأن يفسر القرآن موضوعا موضوعا وأن تُجْمَع آيه الخاصة بالموضوع الواحد جمعا إحصائيا مستقصى

---

(١) التفسير معالم حياته منهجه اليوم : أمين الخولي ص ٣٦ -٣٧

ويعرف ترتيبها الزمني ومناسباتها وملابساتها الحافه بها ثم ينظر فيها بعد ذلك لتفسر وتفهم فيكون ذلك التفسير أهدى إلى المعنى وأوثق في تحديده " (١)

بقي أن أقول أن هذه الدعوة من الأستاذ أمين إلى الترتيب التاريخي لآيات الموضوع الواحد كانت دعوة مثالية بعيدة عن التطبيق الكامل بل أن الأستاذ أمين نفسه وتلاميذه من بعده لم يضع أحد منهم خطة لهذا الترتيب ولم يُحِلّ أحد منهم إلى ترتيب بعينه يراه الأفضل بالرغم من أنهم يعتبرون هذه الخطوة لا بد منها قبل القيام بالتفسير (٢)

المرحلة الثالثة : الدراسة

وتعتبر المرحلتان السابقتان تمهيدا وتوطئة للمرحلة الثالثة إذ أن هذه الأخيرة هي جسد التفسير البياني وأن المرحلتين السابقتين هما القاعدة لهذا الجسد

ويقسم الأستاذ أمين الخولي هذه الدراسة إلى صنفين هما :

١ - دراسة حول القرآن

٢ - دراسة في القرآن

أولا : دراسة ما حول القرآن

فقسمها أيضا الى قسمين دراسة خاصة ودراسة عامة قال عن أولهما :

" والدراسة الخاصة هي ما لابد لمعرفته ، مما حول كتاب جليل كهذا الكتاب: ظهر في نحو عشرين عاما أو كذا وعشرين عاما ثم ظل مفرقا سنين حتى جمع في أدوار مختلفة وأحوال مختلفه وكان جمعه وكتابته عملا ساير الزمن طويلا ، وناله من ذلك ما ناله . ثم هناك قرآءته ومسايرة هذه القراءة للتطور اللغوى الذي تعرضت له اللغة العربية بفعل النهضه

---

(١) التفسير معالم حياته منهجه اليوم أمين الخولي ص ٣٧
(٢) إتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر دكتور محمد ابراهيم شريف ص ٥٠٣

الجاده التى أثارتهـا الدعوة الاسلامية والدولة الاسلامية . فقد كانت هذه القرآءات عملاً ذا أثر واضح فى حياة الكتاب وفهمه . وتلك الأبحاث من نزول ، وجمع ، وقرآءه ، وما إليها - هى التى عرفت إصطلاحيا - منذ حوالى القرن السادس الهجري باسم علوم القرآن (١) بعد ما تناولها المفسرون المختلفون قبل ذلك بالبحث المجمل ، والبيان المتفاوت في الإستيفاء حسب عناية المفسر واهتمامه ، ومثل تلك الأبحاث جد لازمة فى نظر دارسى الآثار الأدبيه ولا بد منها لفهم النصوص المدروسة والاتصال بها اتصالا مجديا (٢) الى أن قال " وهى دراسات ضرورية لتناول التفسير . . حتى ما ينبغي مطلقا أن يتقدم لدرس التفسير من لم ينل حظه من تلك الدراسة القريبة الخاصة حول القرآن ، ليستطيع فهمه فهما أدبيا صحيحا مسترشدا بتلك الملابسات الهامّة في فهم القرآن " (٢)

وخلاصة الأمر أن الأستاذ أمين الخولي يشترط للتفسير الأدبى دراسة خاصة حول القرآن الكريم نحو دراسة تاريخه ونزوله وجمعه وترتيبه وناسخه ومنسوخه وبعبارة أخرى يشترط على المفسر أن يكون عالما بأصول العلوم المتصلة بالقرآن والمعروفة بعلوم القرآن ، ولسنا بحاجة إلى أن نؤكد أن المفسرين السابقين - أيضا - لم يهملوا هذا الأمر وأولوه عنايتهم والأستاذ أمين نفسه يعترف بهذا وينقل قول السيوطى فى مقدمة كتابه " الإتقان فى علوم القرآن " أنه جعل هذا الكتاب مقدمة لتفسيره وأن أكثر المفسرين يُلمّون فى مقدمة تفاسيرهم بشىء

---

(١) الصحيح أن هذا الإصطلاح عُرِفَ في وقت أبكر من هذا فقد ألَّفَ محمد بن خلف بن المرزبان ت٣٠٩ كتابه " الحاوي في علوم القرآن " وألَّف محمد بن القاسم الانباري ت٣٢٨ كتاب " عجائب علوم القرآن " - وألَّف محمد بن على الأدفوى ت ٣٨٨ كتاب " الإستغناء في علوم القرآن "

(٢) التفسير معالم حياته منهجه اليوم : أمين الخولي ص٣٨-٣٩

من القول في النزول والجمع والقرآءات ولكن الاستاذ أمين لم يذكر أن السيوطى نفسه اشترط على المفسر العلم بالقرآءات والعلم بأصول الدين بما في القرآن من الآية الدالة بظاهرها على ما لا يجوز على الله تعالى واشترط العلم بالناسخ والمنسوخ والعلم بأسباب النزول والقصص، وغير ذلك.[1] وإذاً فالأستاذ أمين مسبوق بهذا الشرط وبهذه الدراسة الخاصة

وأما الدراسة العامة لما حول القرآن الكريم فقال عنه الأستاذ أمين " واما ما حول القرآن من دراسة عامة فهو ما يتصل بالبيئةَ الماديةَ والمعنوية التى ظهر فيها القرآن وعاش، وفيها جُمِعَ وكُتِبَ وقُرِئ وحُفِظَ وخاطب أهلها أول من خاطب وإليهم ألقى رسالته لينهضوا بأدائها، وابلاغها شعوبَ الدنيا . فروح القرآن عربية، ومزاجه عربى (! !) وأسلوبه عربى " قرآنا عربيا غير ذي عوج "[2]

والنفاذ الى مقاصده إنما يقوم على التمثل الكامل والإستشفاف التامّ لهذه الروح العربية وذلك المزاج العربى، والذوق العربى ومن هنا لزمت المعرفةَ الكاملة لهذه البيئةَ العربيةَ المادية أرضَها بجبالِها وحرارِها وصحارِيها وقيعانِها وسمائَها بسحبِها ونجومِها وأنوائِها، وجوَهَا بِحَرِّهِ وبردِهِ وعواصفِه وأنسامِه، وطبيعتَها بجدبِها وخصبِها وقحولِها أو نمائِها ونباتِها وشجرِها ... إلخ فكل ما يتصل بتلك الحياة الماديه العربية وسائل ضرورية لفهم هذا القرآن العربي المبين ...

---

(١) انظر الاتقان فى علوم القرآن : للسيوطي جـ٢ ص١٨١

(٢) سوره الزمر : من الآية : ٢٨

مع هـذا ما يتصل بالبيئة المعنوية بكل ما تتسع له هذه الكلمة من ماض سحيق ، وتاريخ معروف ونظام أسره أو قبيله ، وحكومه فى أى درجه كانت وعقيدة بأيّ لون تلوّنت ، وفنون مهما تتنوع ، وأعمال مهما تختلف وتتشعب، فكل ما تقوم به الحياة الانسانية لهذه العروبة. وسائل ضرورية كذلك لفهم هذا القرآن العربى المبين ...

وإذا جهدت الدراسة الأدبية فى أن تعرف عن تلك العربية والعروبه أكثر وأعمق وأدق ما يعرف تبتغى بذلك درس أدبها درسا صحيحا ، فإن هذا القرآن رأس هذا الأدب وقلبه الخافق ولن يُدرس درسا أدبيا صادقا يفي بحاجة المتعرض لتفسيره إلا بعد أن تُستكمل كل وسائط تلك المعرفة للبيئة العربية مادية ومعنوية .

أمّا ما دُمنا نقرأ التشبيه العربي القرآني ، أو التمثيل العربي القرآني فإذا مادته الأضواء العربيه ، والظواهر الجوية العربيه والحيّ أو الجماد المشهود في بلاد العرب لا نعرف عنه شيئا وليس عندنا عنه صورة خاصة . فما يحق لنا - مع هذا - أن نقول أننا نفسر هذا القرآن أو نمهد لفهمه فهما أدبيا ، يُهيء للانتفاع به فى نواحٍ أخرى .

وما دمنا نذكر الحِجْرَ ، والأحقاف ، والأيكه ، ومَدْيَن ، ومواطن ثمود ومنازل عاد ، ونحن لا نعرف عن هذه الأماكن إلا تلك الإشارات الشاردة ، فما ينبغي أن نقول أننا فهمنا وصف القرآن لها ولأهلها أو أننا أدركنا مراد القرآن من الحديث عنها وعنهم ، ثم لن تكون العبرة بهذا الحديث جَليّه ولا الحكمة ولا الهداية المرجوّه مفيدة مؤثرة"(1)

(1) التفسير معالم حياته منهجه اليوم : أمين الخولي ٣٩ - ٤١

خلاصة الأمر أن الاستاذ أمين يشترط أن يدرس المفسر دراسه عامه لما يتصل بالبيئه التى نزل بها القرآن سواء أكانت هذه البيئه مادية كالظواهر الجوية والأرض بجبالها وأوديتها وحرارها والسماء ونجومها وأفلاكها أو كانت البيئه معنوية كتاريخ هذه الأمة في ماضيها ونظمها وأعرافها وعاداتها وتقاليدها

وقد سبقه إلى نحو هذا الأستاذ الإمام محمد عبده حيث اشترط على المفسر علم أحوال البشر في أطوارهم وأدوارهم واشترط العلم بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وما كانوا عليه من علم وعمل وتصرف في الشؤون دنيويها وأخرويها (1) .

وحين أقول أن الأستاذ أمين سُبِقَ إلى موضوع كذا فلست أعني بحال من الأحوال سَلْبَ المنهجيّة الخاصة به . وإنما أعني إبراز وجوه الشبه بين منهجه والمناهج الأخرى ، وقد تتفق مناهج عدة فى خطوة أو خطوات ثم تختلف ولا يعنى هذا إتحادهما حين تشابهما أو إنفصامهما حين إختلفا بقدر ما يعني من وجوه التشابه ووجوه الإختلاف وهى صفة مشتركة بين كل المناهج بل والاتجاهات فى التفسير

وأحسب أن الدراسة لما حول القرآن الكريم بشقيها العامه والخاصه ما هما إلا تمهيد وتوطئة لدراسة النص نفسه وهما — دراسة ما حول القرآن،ودراسة النص وإن كانا يشكلان مرحلة واحدة هى المرحلة الثالثة إلا أن أولهما تمهيد إشترط الأستاذ أمين إستيفاءه للتقدم إلى دراسة النص نفسه حيث قال بعد أن استعرض الدراسة لما حول القرآن بشقيها " تلك المامه بما حول القرآن

---

(1) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ1 ص ٢٢ - ٢٤

من دراسة وهي فـي جملتها ترجع إما إلى تحقيق النص وضبطه وبيان تاريخ حياته . . وإما إلى التعريف بالبيئة التى فيها ظهر وعنها تحدث وبين مغانيها ومعانيها تقلب. . .

وبعد إستيفاء ذلك يكون التقدم إلى دراسة القرآن نفسه"[1]

ذلكم أن الشق الثاني من المرحلة الثالثة هو روح الدراسة البيانية وأسها وهذا أمين نفسه يبسط لنا مرة أخرى الحديث عن هذه الخطوة الجديدة

دراسة القرآن نفسه

وحتى تظهر معالم الطريق فى هذه المرحله أحب أن أجمل الخطوات فى هذه الدراسه لتنطلق منها إلى التفاصيل .

فدراسة النص نفسه تنقسم كما يريد الأستاذ أمين إلى قسمين :-

١ - دراسة في المفردات . من ناحيتين

(أ) من ناحية معناها اللغوي

(ب)من ناحية معناها القرآني

٢ - دراسة فـي المُركّبات

قال الأستاذ أمين الخولي في بسط النظر في المفردات :-"وهي تبدأ بالنظر في المفردات. والمتأدب يجب أن يقدر عندذلك تدرج دلالة الألفاظ ، وتأثرها في هذا التدرج يتفاوت ما بين الأجيال وبفعل الظواهر النفسية والاجتماعيه ، وعوامل حضارة الأمة وما إلى ذلك مما تعرضت له ألفاظ العربية في تلك الحركة الجَيّاشَة المتوثبة التي نمت بها الدولة الاسلامية ، والنهضة الدينية والسياسية والثقافية التي خلفت هذا الميراث الكبير من الحضارة . . . . وقد تداولت هذه اللغة العربية فى تلك النهضات أفواه أمم مختلفة الألوان والدماء والماضي والحاضر

---

(١) التفسير معالم حياته منهجه اليوم أمين الخولي ص ٤١

فتهيأت من كل ذلك خطوات تدريجية فسيحة متباعدة في حياة ألفاظ اللغة العربية حتى أصبح من الخطأ البَيِّن أن يَعْمَدَ متأدب إلى فهم ألفاظ هذا النص القرآني الأدبي الجليل فهما لا يقوم على تقدير تام لهذا التدرج والتغيير الذي مَسَّ حياة الألفاظ ودلالتها ، وعلى التنبه إلى أنه إنما يريد ليفهم هذه الألفاظ في الوقت الذى ظهرت فيه وتليت أول ما تليت على من حول تاليها الأول عليه السلام " إلى أن قال " وإذا كان هذا هو الأصل الأول في فهم دلالة ألفاظ القرآن فمن لنا به مع أن معاجمنا لا تسعف عليه ولا تعين ؟"(١)

ثم تحول الأستاذ أمين لنقد معاجم اللغة وبيان أنها لا تَفِي بهذا الغرض الذى يدعو إليه فلسان العرب مثلاً تجاورت فيه نصوص تباعدت عصور أصحابها وتمازجت فيه اللغويات بالدينيات كما يقول . أما القاموس المحيط فهو عنده عصارات غير ممتزجة لثقافات متغايرة متباينة من فلسفية عقلية الى طبية عملية فأدبية لغوية ، فدينية اعتقادية أو غيرها . ثم عَقَّبَ الأستاذ أمين على هذا بقوله " معاجمنا لا تسعف على شيء من تحقيق هذا الأصل الثابت في تَدَرُّجِ الألفاظ . . فليس أمام مفسر القرآن حين يبتغي المعنى الأول لألفاظه إلا أن يقوم بعمل في ذلك مهما يكن مؤقتا وقاصرا فإنه هو كل ما يمكن اليوم وإلى أن نملك قاموسا إشتقاقيا تَتَدَرَّجُ فيه دلالات الألفاظ وتتمايزُ فيه المعاني اللغوية على ترتيبها عن المعاني الاصطلاحية على ظهورها"(٢)

---

(١) التفسير معالم حياته منهجه اليوم : أمين الخولي ص ٤١-٤٢

(٢) المرجع السابق : ص ٤٢ - ٤٣

إذاً فالأستاذ الخولي يرى أن الخطوة الأولى في دراسة النص نفسه هي النظر في المفردات وذلك بوضع ترتيب زمني لتدرج دلالات الألفاظ ليعرف معنى اللفظة الواحدة وقت نزول القرآن الكريم ومعناها بعد أن تداولتها أفواه أمم مختلفة الألوان والدماء ليتم التمييز بين المعنى اللغوي والمعنى القرآني .

وهو أيضا يرى أنه لا يوجد معجم يفي بهذا الغرض حتى الآن وَرَتَّبَ على هذا أن يقوم المفسر الأدبي بتحمل عبء متابعة تدرج اللفظ ومن ثَمَّ إختيار ما يراه مناسبا لِلّفظة القرآنيةَ وقت نزول القرآن الكريم من معاني أخرى .

ورتب الأستاذ الخولي على هذا أيضا أن ينظر المفسر الأدبي فى الألفاظ القرآنية من ناحيتين :-

١ - النظر فى المادة اللغوية للفظ الذي يريد تفسيره ، ليُنَحِّي فيها المعاني اللغويةَ عن غيرها ثم ينظر في تدرج المعاني اللغويةَ للمادة نظرةً تُرَتِّبها على الظن الغالب فتقدم الأسبق الأقدم منها على السابق حتى يطمئن - ما استطاع - إلى شيء في ذلك ينتهي منه إلى ترجيح معنى لغوى للكلمة كان هو المعروف حين سمعتها العرب في آي الكتاب . . والمفسر في هذا التمييز والنظر مُلِمٌّ - ما أمكن - بمُحْدَثِ الدراسة في أنسب اللغات وصلة ما بينها ، ليطمئن كذلك إلى أن الكلمة عربيةٌ أصيلةٌ ، أو هي دخيلةٌ ، وإن كانت فما بيئتها ؟ وما معناها الأول ؟ ثم هو محاذر كذلك من إندفاع معاجمنا في رد الكلمات إلى أصل عربي يشابهها في اللفظ ، مع التكلف في الإشتقاق والربط .

٢ - وإذا ما فرغ من البحث فى معنى اللفظة اللغوي انتقل بعده إلى معناها الإستعمالى في القرآن يتتبع ورودها فيه كله، لينظر فى ذلك فيخرج منه برأي عن إستعمالها: هل كانت له وحدة اطردت فى عصور القرآن المختلفة ومناسباته المتغيرة؟ وإن لم يكن الأمر كذلك فما معانيها المتعددة التى استعملها فيها القرآن؟ وبذا يهتدي بمعناها أو معانيها اللغوية إلى معناها أو معانيها الإستعماليه في القرآن، وهو بما ينتهي إليه من كل أولئك يفسرها مطمئنا في موضعها من الآية التى جاءت فيها "(1)

وكما بين الأستاذ الخولى خُلُوَّ الساحة من معجم للترتيب الزمني لتداول الألفاظ العربيه أكد أيضا خلوها من معجم يعنى بمفردات القرآن ويتتبع الألفاظ فيه إلا ماوصفه بمحاولة الراغب الأصفهاني منذ قرابة ألف عام أن يعطينا مفردات القرآن في قاموس خاص بها ووصفه بأنه "عانى فيها شبيها بما وصفنا أو بشيء من أصل فكرته ولكنه لم يتم التعقب اللغوي ولم يستوف التتبع القرآني وفاته مع ذلك كله فرق ما بين عصره وعصرنا في دراسة اللغات وصلاتها إلا أنه في كل حال نواة تخجل من بعده وبخاصة أهل هذا العصر الطموح فيؤلمهم ألّا يملكوا إلا هذا القاموس القرآني الناقص بل البدائي. وبإلتزام هذا المنهج الأدبي يرجى كمال هذا القاموس وقواميس أخرى تتطلبها حياة القرآن، - كتاب العربية الأعظم "(1)

وهذا ولا شك عبء آخر على المفسر الأدبي للقرآن الكريم

---

(1) المرجع السابق ص: ٤٣ - ٤٤

يتطلب منه جهدا إلى جهده السابق على أن من الحق الواجب قوله هنا أن الأستاذ أمين لم يكن قد أشار إلى خطة لتصنيف القرآن موضوعيا وساق حديثه عن هذا مجرد نظرية وإذا كان قد سكت أيضا عن طريقة ترتيب الآيات في الموضوع الواحد ولم يرشد إلى ترتيب معين وجاء حديثه أيضا هنا مجرد نظريه فقد كان موقفه في دراسة المفردات غير ذلك حيث عالج تطبيقيا بعض الأحرف الهجائيه على الطريقة التي أشار إليها فى معجم ألفاظ القرآن الكريم وهو وإن لم يتمه إلا أنه مَثَلٌ عملي لما يمكن أن يقوم به المفسر الأدبي بجهده الذاتي في غيبة المعجم المطلوب ولا شك أيضا أنه مهد الطريق الوعر في هذا المقام لمن أراد أن يسلك سبيل المعجم التاريخى لألفاظ القرآن الكريم (١)

من هاتين الناحيتين الناحية اللغوية وناحية الإستعمال القرآني أوجب الأستاذ الخولي النظر فى مفردات القرآن لينتقل المفسر الأدبى بعد هذه النظرة إلى النظر فى المركبات .

٢ ـ دراسة فى المركبات

والخطوة التالية للنظر في المفردات هي النظر في المركبات وقد وضح الأستاذ الخولي أصول هذه النظرة وما تحتاج إليه بقوله :-

" ثم بعد المفردات يكون نظر المفسر الأدبي في المركبات وهو في ذلك ـ ولا مِرْيَةَ ـ مستعين بالعلوم الأدبية من نحو وبلاغة . . إلخ ولكن لا على أن الصنعة النحوية عمل مقصود لذاته ، ولا لون يُلَوِّن التفسير كما كان الحال قديما . . بل على أنها أداة من أدوات بيان المعنى

---

(١) اتجاهات التجديد فى تفسير القرآن الكريم في مصر : د / محمد ابراهيم شريف ص ٥٠٦ - ٥٠٧

وتحديده ، والنظر فى اتفاق معانى القرآءات المختلفه للآيات الواحدة وإلتقاء الإستعمالات المتماثله في القرآن كله . . ثم على أن النظرة البلاغية في هذه المركبات ليست هي تلك النظرة الوصفيه التى تعنى بتطبيق إصطلاح بلاغي بعينه ، وترجيح أن ما في الآيه منه هو كذا لا كذا ، أو إدراج الآية في قسم من الأقسام البلاغية دون قسم آخر ! ! كلا بل على أن النظرة البلاغية هي النظرة الأدبية الفنية التي تتمثل الجمال القولي في الأسلوب القرآني وتستبين معارف هذا الجمال وتستجلي قسماته في ذوق بارع قد إستشف خصائص التراكيب العربية منضماً إلى ذلك التأملات العميقة في التراكيب والأساليب القرآنية لمعرفة مزاياها الخاصة بها بين آثار العربية ، بل لمعرفة فنون القول القرآني وموضوعاته فناً فناً ، وموضوعاً موضوعاً ، معرفة تبين خصائص القرآن في كل فن و مزاياه التى تجلو جماله "(1)

ولا شك أن هذا المنهج في التفسير بأصوله التي وضعها صاحبه منهج إن كان ممكنا فبمشقة وجهد ودراية قلّ أن توجد عند أحد بل أن الأستاذ أمين نفسه شعر بهذا العبء حين قال :-
ولئن كان مثل هذا مما يطلب أو يوصف في قليل من الجمل أو الأسطر فإن تحقيقه ليس بهذه السهولة والقرب ، وإنما يقوم على إصلاح أدبي بلاغي أحسب أن الحياة الأدبية اليوم تحاوله وهي بالغة منه إن شاء الله مبلغاً حسناً ، ومستفيدة به في التفسير الأدبي للقرآن كما تستفيد هذه المحاولة الإصلاحية نفسها بمزاولتها للتفسير القرآني"(2) وإذا كان

---

(1) التفسير معالم حياته منهجه اليوم : أمين الخولى ص ٤٤

(2) المرجع السابق : ص ٤٤

الخولي يقول هذا فإنه تجب الإشارة إلى أن المنهج - كما يقول الدكتور محمد إبراهيم شريف - بهذه الصورة من القيود والمتطلبات لم يَرَ النور في محاولة ما، من محاولات أتباعه، وإنما وقعت محاولاتهم موقعاً بعيداً عن الأمل الطموح بصورة أو بأخرى . . . (١)

زد على هذا أن الأستاذ أمين يوجب مراعاة أمر هام في التفسير الأدبي ينبغي على المفسر الاهتمام به هو :-

التفسير النفسي :

قال " لأن ما إستقر من تقدير صلة البلاغة بعلم النفس قد مهد السبيل إلى القول بالإعجاز النفسي للقرآن ، كما كشف عن وجه الحاجة إلى تفسير نفساني للقرآن يقوم على الإحاطة المستطاعة بما عرف العلم من اسرار حركات النفس البشريه في الميادين التى تناولتها دعاوة القرآن الدينية ، وَجَدَ له الاعتقادى ، ورياضته للوجدانات والقلوب واستلاله لقديم ما إطمأنت إليه ، وتوارثته عن الأسلاف والأجيال وتزيينها بما دعا اليه من إيمان ، ينقض مبرم هذا القديم ويهدم أصوله . . وكيف تلطف القرآن لذلك كله ، وماذا استخدم من حقائق نفسية في هذه المطالب الوجدانية والمرامي القلبية ، وماذا أجدت رعاية ذلك كله في انجاح الدعوة وإعلاء الكلمة . فالتفسير النفسي يقوم على أساس وطيد من صلة الفن القولي بالنفس الإنسانيه وان الفنون على اختلافها - ومن بينها الأدب - ليست الا ترجمه لما تجده النفس" (٢)

وأكد الأستاذ الخولي على أهميه التفسير النفسى حين قال أن اللمحة النفسيه فى المعنى القرآنى ربما تكون أحسم لخلاف بعيد الغور كثير الشعب بين المفسرين" (٢)

---

(١) إتجاهات التجديد فى تفسير القرآن الكريم فى مصر: د / محمد ابراهيم شريف ص٥٠٨

(٢) التفسير معالم حياته منهجه اليوم: أمين الخولى ص٥٤

الى أن قال " فالملاحظة النفسية حين تعلل نسج الآيــة وصياغتها وتعرف بجــو الآية وعالمها ، ترفع المعنى الذي يفهم منها إلــى أفــق باهــر السناء . وبدون هذه الملاحظــة يرتد المعنى ضئيــــلا ساذجا لا تكاد النفس تطمئن إليه ، ولا هو خليق بأن يكون من مقاصد القرآن"[1]

تلكم هــى الخطوط الرئيســة التي رسمها الأستاذ أمين الخولــى للتفسير الأدبي للقرآن الكريم وإن أردنا أن نذكرها اجمالا فهى :-

أولا :- جمع الآيات ذات الموضوع الواحد بعضها إلى بعض وتدبرها جميعــا وتفسيرها كذلك .

ثانيا :- ترتيب آيات الموضوع الواحد ترتيبا زمنيا حسب تاريخ نزولها

ثالثا :- دراسة خاصة حول النص تقوم على تاريخه ونزوله وجمعــه وكتابته وقرآءته ونحو ذلك من علوم القرآن .

رابعا :- دراسة عامة للبيئة التي نزل بها هذا النص، البيئــة المادية في الأرض والسماء والجبال والسهول والأوديــة وبيئة معنوية في تاريخ هذه الامة ونظمها واعرافهــا وعاداتها وتقاليدهــا .

خامســا :- دراسة النص القرآنى في مفرداته وذلك بدراسة :- إستعمالات هذه المفردة لغويا . ودراسة إستعمالهــا في القرآن الكريم في مواضع مختلفة ومدلولها في كــل موضــع.

سادسا :- دراسة النص القرآني في معانيه المركبة وذلك بالإستعانه بالعلوم الأدبية من نحو وبلاغة على أن النحو أداه مــن أدوات بيان المعنى وتحديده . وعلى أن البلاغــة هــى النظرة الأدبية الفنية التي تتمثل الجمال القولــى

---

(١) التفسير معالم حياته منهجه اليوم أمين الخولى ص ٤٥

في الاسلوب القرآني ، مع التـأملات العميقه في التراكيب والأساليب القرآنية لمعرفة مزايا كل منهـا ولمعرفه فنـون القول القرآني وموضوعاتـه .

تلكم هى أبرز الخطوط التى رسمها الأستاذ أمين الخولي لمنهجه في التفسير حرصت كل الحرص على أن أسوقها بنصوصها التى خطها صاحبها ودونها بـه ، حتى ولو أطلت الحديث وحتى لو أكثرت النقل حتى أحاذر واتحاشى إختصار مخل أو فهم خاطىء أقع فيه أو فيهمـا ، وأعرف سلفا أن خير من يتحدث عن منهج الخولي هو الخولي نفسه وكيف أعبر عنـه وأتحدث عن منهجه وقلمه لَمَّا يجف بَعدُ . فمعذرة إن كان فيما سقت من نصوصه اطاله فما أردت إلا الوفاء وما أردت إلا الإصابـه

على أنا وقد وصلنا إلى هذه المرحلة يجب أن نذكر أن الأستاذ الخولي نفسه وهو الذى وضع هذه الخطوط لم يخرج لنا دراسة تطبيقية كاملة لهذا المنهج وإن كان قد حاول ذلك مرارا ويعلن في خاتمه بيانـه لمنهجه هذا أنه لـن يكون من العاجزين مع إعترافه سلفا بالقصور عن الكفاية الكاملة والقدرة الموفورة حيث يقول :ـ" مهما يكن لهذه المطالب من أثر يثقل خطانـا ويؤخر أثمار دراستنا ويشعرنا بالنقص ويعود علينـا باللائمـه فان هذه هى الحقيقه ، وهذا هو الواجب ، وأولى لنـا أن نؤثر تقرير هذه الحقيقه على أن نكذب على أنفسنا وعلى الأجيـال فنزعـم الكفاية الكاملة والقدرة الموفورة ، ولئن لم يكن لنا من الكمـال إلا الشعور بالنقص فذلك أجمل بنا من التَزَيّـد الزائـف . وليس الذى نبغيـه من هذا المنهج مستحيلا ولا بعيـد التحقق ، فقد شعر أسلافنـا بجملته ، وقاموا ببعضه للقرآن ، ثم قام المحدثون به كله لكتبهم الأدبيـه والدينيـة ، ولن نكون نحن بين هؤلاء وأولئك الضائعين العاجزين.."[1]

---

(١) التفسير معالم حياته منهجه اليوم ص ٤٦ - ٤٧

ولئن كان الأستاذ الخولى قد صرح مرارا أن الدافع له لتأصيل هذا المنهج والدعوه اليه هو إشارة القدماء حين قسموا العلوم الاسلاميه إلى ثلاثة أقسام عدوا منها علما لا نضج ولا إحترق وهو علم البيان والتفسير - إن كان الخولي عدَّ هذا منطلقا لقيامه بخدمة علم البيان وعلم التفسير في كليه الآداب بجامعة فؤاد الأول [(١)] فلقد انتهى به الأمر بالتفسير في نهاية نظريته إلى أن أصبح علما لم يبدأ بعد - كما يقول د / محمد شريف - ولكن من الممكن له أن يبدأ بل أن ينمو وينضج إذا ما سار على ذلك الدرب الشاق [(٢)] الذى شقه الأستاذ أمين وسار فيه خطوات.

الدراسات التطبيقيه :-

كثير من الدراسات التى سعت إلى تطبيق هذا المنهج والأخذ بأصوله وقواعده ، وليس بوسعنا أن نذكرها كلها ولا أن نذكر أكثرها وإنما بوسعنا أن ندرس أهمها وأشهرها .

وبهذا المقياس فليس فى هذا المنهج أهم من المحاولات التطبيقيه التى قدمها أستاذ هذه المدرسة ويليه فيها تلميذان من أنجب تلاميذه هما الدكتورة عائشه عبد الرحمن " بنت الشاطىء" والدكتور محمد أحمد خلف الله " ولعل في تقديمي لهؤلاء الثلاثة الكفاية في ضرب المثل لهذه الدراسات في هذا المنهج وبالاستاذ نبتدىء

أمين الخولى :-

ترجمته :-

ولد سنه ١٨٩٥م بشوشاى مركز أشمون بمحافظه المنوفيه وتخرج فى القسم العالى بمدرسة القضاء الشرعي سنه ١٩٢٠م واختير مدرسا

---

(١) المرجع السابق ص ٣٣
(٢) اتجاهات التجديد فى تفسير القرآن الكريم فى مصر د / محمد ابراهيم شريف ص ٥١٠

بهـــا . وترأس تحرير مجلتها في سنتيهـــا الأولى والثانيـــه

وفي سنه ١٩٢٣م عُيِّنَ إماماً للمفوضيـــةَ المصريـــةَ برومـــا ثم فـــي برلـــين ولهذا أَلَمَّ باللغتين الايطاليـــه والألمانيـــه وإطلع علـــى بحوث المستشرقين في الإسلاميات بهاتين اللغتين . وعـــاد إلى مصـــر سنة ١٩٢٧م ليُدَرِّس بقسم التخصص في مدرسه القضاء الشرعـــي وفـــي العام التالـــي نقل الى كليـــه الآداب بالجامعـــة المصريـــةَ (جامعـــةَ القاهره الآن) مدرسا فأستاذا مساعدا فأستاذا فرئيســـا لقســـم اللغـة العربية واللغات الشرقية ثم أُستاذا للأدب المصريِ ثم وكيـــلا لكلية الآداب وظـــل فيها حتى سنةَ ١٩٥٣م حيث نقـــل مستشـــاراً فنيـــاً لدار الكتب المصريةَ ثم عين مديـــرا لادارة الثقافـــةَ في وزارةالتربية والتعلـــيم حتى بلغ ســـن التقاعـــد سنةَ ١٩٥٦م

وأنشأ الأستاذ أمين هو وتلاميذه سنه ١٩٤٣م مدرســةَ أدبيـــةَ هـــي " الأمنـــاء " نسبةَ إليـــه،رسالتهـــا الفن والحياه . وهدفهـــا تحقيق أهداف فنيةَ نظريـــةَ وعملية . وأصدرت في سبيل تحقيق ذلك" مجلـــةَ الآداب" ســـنـــةَ ١٩٥٦ حيث رأس الأستاذ أمين تحريرهـــا . وعـــين سنه ١٩٦١ عضـــوا في مجمع اللغه العربيه بالقاهرةَ .

وكلف بعد تقاعـــده بأعمال عديدةٌ فأنتدب مـــثلا لتدريس الأخـــلاق والفلسفةٌ وتاريخ الملل والنحل في الأزهـــر في قسم التخصص شعبـــــةٌ الأخلاق والتاريخ . وشعبة الوعظ وكذلك في كليه أصول الديـــن ورأس قسم اللغةٌ العربية في معـهد الدراسات العليـــا للمدرسين ، وحاضر فـــي معـهد الدراسات العربيةٌ العاليةٌ سنةٌ ١٩٥٧ - ١٩٥٨م وفـــي معـهد الدراسات الاسلامية ، وحضر عدداً من المؤتمرات[1] وتوفي سنة ١٩٦٦م

---

(١) لخصت ما سبق من ترجمته الواردةٌ في مقدمةٌ كتابه (التفسير نشأتـــه تدرجه تطوره) بقلم ابراهيم خورشيد رئيس تحرير النسخه العربيـــه من دائره المعارف الاسلاميـــه

ولــه مقالات وبحوث في اللغــة والأدب والبلاغة والنحــو والتفســير نشرت في مجــلات علميه وأدبيه ، وله تعليقـــات على كثير من مـــوا د دائرة المعارف الاسلاميـــه في الأدب والفقــه ومن أهمهــا مــا كتبـــه فـــى مواد التفسير وأصول الفقــه والبلاغــه ، وجمع أكثرها فـــى كـتاب أسمه " مناهج تجديـــد فى النحـو والبلاغه والأدب والتفســـير" وطبع تعليقه على مــادة " تفسير" مستقــلا مرة بعنوان " التفسير معالــم حياته منهجه اليوم " طبعته جماعه الكتاب سنـــه ١٩٤٤م ومـــــره بعنوان " التفسير نشأته تدرجه تطوره " تحت سلسلـــه" كتب دائـــره المعارف الاسلاميـــه" وصدرت طبعته الأولـــى سنه ١٩٨٢م فى بيروت.

ولـــه كتاب " مـــن هدي القرآن " ويحتوى على ثلاثـــة مـــــن موءلفاتـــــه " القاده . . والرسل" و"فـــي رمضـــان" و (وفـــــي أموالهم" ولـــه أيضا كتاب عن مالك بن أنس رحمه الله تعالى وهو العدد (١١) مـــن سلسله أعـــلام العرب -

والذى يهمنا هنا من مؤلفاتـــه ما كتبـه من الدراسات القرآنيه تحـت عنوان " من هدى القرآن "

تفســـيره : -

أسلفنـــا القول أنك لا تكاد تجد فيما قدمـه الاستاذ أمين الخولـــى دراســـة تطبيقية شاملة كاملة للمنهج الذى أَصَّلَـــه بل ظل الفـــارق بعيدا بين الواقع الذي سلكه والمثال الذي دعا إليـــه

لكن مع هذا فإنك واجـــد في تفســـيره تدرجـا يكاد يظهـــــر واضحا في تقلص وإنكماش الفاصل بين الواقع والمثال .

يظهـــر هذا في دراسات أربع ندرسهـا هنا دراسة موجــزة نبـــدأ بأبعدهــا عـــن المثال وننتهـــى بأقربها إليهوبها تظهر المراحل التى مَرّبهـــا الأستاذ الخولـــي في دراسته التطبيقيـــه .

وقدم الأستاذ أمين الخولي هذه الدراسات تحت عنوان (من هدى القرآن) واشتملت على مجموعات متعدده من الأبحاث ذات، الموضوع الواحد كالسلام والاسلام، والطغيان فى العلم والمال والحكم، وحكومه القرآن، والحكم بما أنزل الله، والفن والبيان فى القرآن، والقرآن والحياة، والقسم القرآنى، والجنديه والسلم، والقادة.. الرسل، وفى أموالهم، وشخصيه محمد، وفى رمضان وغير ذلك من الدراسات .

وإذا نظرنا إلى هذه الدراسات وغيرها مجتمعه وجدناها تحتفظ من المنهج بالخصائص التاليه :-

(١) أنها تدرس القرآن الكريم حسب الموضوعات و ليس حسب تسلسل السور في القرآن الكريم -

(٢) أنها تهدف الى التدبير النفسي والاجتماعى فى القرآن للحياه الانسانية، وترى أن هذا هو المجال الخاص للقرآن وهو السبيل المفردة لتحقيق أهداف الرساله الاسلاميه

(٣) أنها تعمد إلى معانى الآيات التى تؤديها ألفاظ العربيه كما كان يفهمها أهل العربيه في عهد نزول القرآن ولا تتجاوزه إلا لالتماس ما للفظ والنظم من إيحاءات أدبية وفنية (١)

أما المراحل التى مَرّ بها تفسيره كما أشرت إليه آنفا فهى أربع نقدم مثالا من هذه الدراسات لكل مرحلة .

المرحله الأولى :-

الجندية والسلم . . . واقع ومثال .

---

(١) من هدى القرآن : أمين الخولى ص ١٠ - ١١

وكان أول حديث له عن السلام في يوليه سنه ١٩٣٧ ثم تتابعت الأحاديث و أكتفى هنا بالصوره التى قدمها الدكتور كامل علي سعفان لهذه الأحاديث علما أن هذه الصورة ليست إلا خطوطا رئيسةلأفكارها وحسبي وحسبه أنها تشير إلى طريقة الأستاذ في التفسير أو مرحلة مر بها وهي خلاصة لهذا البحث قال :-

(إن في الانسان غريزة فطرية إذا ما واتتها التربية الصحيحة كانت تلك الغريزة مصدر خير ونفع للانسان ، ومبعث آمال تقيه الخطر وتجنبه الضرر وتحمي وجوده وحضارته ، وإذا ما لاقت تربية سيئةلا تسلم معها الروح كانت مصدر شقاء وضر ، ومبعث نقائص تخزي الإنسان ، وتعرض وجوده للدمار ، وتكتب عليه الهزيمة والخذلان) (تلك الغريزه فيما يقول قوم من النفسيين غريزة الخوف) (هذا الخوف الغريزى النافع بإعتداله هو ما يعنيه الناس حين يقولون : من خاف سلم ، وهذا الخوف الأدبي المصلح هو ما يريده القرآن في مثل قولهتعالى " وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فإن الجنة هي المأوى" (١)

لكن هذه الفائدة المادية والأدبية ، وهذا الخير في الجسم والروح ينقلب شراًذريعا إذا ما جاوزت الغريزةُ إعتدالها فآلت إلى ذعر وهرب) ..

ومع غريزة الخوف غريزة السيطرة التى يعليها القرآن حين (يرد ف القوة بالعزة في مثل قوله " كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوى عزيز" .. (٢) " ان ربك هو القوى العزيز" (٣) .. الى كثير مما ورد فى ذلك ..

---

(١) سوره النازعات : ٤٠ - ٤١
(٢) سوره المجادله : ٢١
(٣) سوره هود : ٦٦

فالإلـٰـه في وصف القرآن : قوي عزيز غالـب ، له الغلبة ولرسلـه ولـه من الأسماء ما يناسب ذلك فهو القهار ، الجبار ، والمعز والمذل والخافض والرافع، ومـا ماثل هـذا

والعبد الربانـى هـو الذي يتحلى بمعانى صفات اللـه وأسمائـه ويسعى لاكتساب الممكـن من ذلك) . . لكنه لم يترك الغريـزة دون كبح قوى وتنسيـق فعال

إنه يروض هذه الغريـزة ، حيث يتحدث عن القوة والعزة فيضـع معها فـي وصف الإلـٰه معانى السمو والخير وحسن التدبير "وان اللـه لهـو العزيز الحكيم" (١) كذلك يضع إلى جانب العزة العلم وهو الذي علـى وفقـه تجرى الأشياء صحيحـة سالمة، طبق قوانينهـا ، ومضبـوط نظمهـا " ذلك تقـدير العزيـز العليم " (٢) .

بل يضع إلى جانب العزة المغفرة ، وعدم المؤاخذة على الإساءه والذنب " وهـو العزيز الغفـور" (٣)

وطالما يقرن العزة بالرحمة وفيض التلطف والترفق : " ينصـر من يشـاء ، وهو العزيز الرحيم" (٤) كمـا يقرن القوة بالأمانـة : " ياأبت استأجـره إنّ خير من أستأجرت القويُّ الأمين" . . (٥) " القـوى بأبعد معاني القـوة نفسا وعقلا وجسما ، والأمين بأخطر معانى الأمانه وأكمل استعداد للمسئوليه - هو القوي الأمين الذي يشير إليه القرآن . . . ورجل القرآن الـذى يحقق القوة الجامعـة ، ويمثل العزة التي يجمل مثلها لله ولرسولـه

---

(١) سوره آل عمران : ٦٢
(٢) سوره الأنعـام : ٩٦
(٣) سوره الملـك : ٢
(٤) سوره الـروم : ٥
(٥) سوره القصص : ٢٦

ـ هـو الرجـل الذى يبنى منه القرآن أمـة هى خير ما أخرج للناس" . .
أمـة تحقق السلام القائم على العدل" السلام الذى أصبح شعـار
هذه الأمـة ، يلقى الناس به إخوانهم فـي الغدُ و والرواح . . السـلام
الذي (يأسوا خراج الانسانيـه ويسعفهـا في صراع الغرائـز ، وقتـا ل
الشهـوات) ." السلام الذى سمى الله به نفسه وجعل الجنـة
(دار السلام)(١) وأهـل الجنـه (تحيتهم فيها سلام)(٢) . .
تلكم هو الصورة التفسيريـة التى قدمهـا في " الجنديه والسلـم"
وهـى مرحلة لا نكاد نستبين بينها وبين المنهج الذي دعـا إليـه
مـن صلـة

المرحلـة الثانيـة : القادة . . .الرسـل

وهى مجموعة أحاديث أذاعهـا بين عامي ١٩٤١ - ١٩٤٢م وجـاءت
أحاديثه عنهم عليهم السلام في عدة حلقـات تحدث عن " رسـل
ورسالات " وعـن " القادة الرسل" وعن " عزمـات القادة" وعن شمائـل
القادة " وعـن " تبعات القادة " وعـن قادة لا جبابـرة"

نختار منهـا مثالا أولها " رسل ورسالات وقد ألقـاه إذاعـة
في حلقتين ، قال فـي الأولـى :-

" رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسـل ،
وكان الله عزيزا حكيمـا "(٣) لقـد جاءكم من هدى القرآن ما يمس مشكلات
كثارا من عقد الحياة العامله ، ورأيتموه يتولى التنسيق الاجتماعـى
ماضيا إلى أغوار المصاعب ما سا أصولهـا البعيدة ، وفي القرآن من ذلك ـ

---

(١) سوره يونس : ١٠
(٢) المنهج البيانى فى تفسير القرآن الكريم : د / كامل على سعفان ص ١٦٤-١٦٦
(٣) سوره النسـاء : ١٦٥

كما سلف ـ كثير وكثير . . . والان يلتمس هدى القرآن في تقدير قيم الأشخاص والأشياء والأعمال ، ووزن البواعث والغايات التى ينبعث الناس بها في حياتهم ويصدرون عنها في تصرفهم ، ويرمون إليها في سلوكهم ويجعلونها هدفهم في سعيهم ، فقد اضطربت فى ذلك الأهواء ، ولاذ الناس في تقديرهم وتأثرهم بأحكام ومذاهب أبت إلا أن تقيس كل ما فى الوجود بالعروض والنقود ورأت ألا تقدر كل أجر إلا بالرطل والمتر ولم يرضها وراء ذلك جزاء ، ولا قبلت دونه ثمنا ، وإطمأن من حولنا ـ وفيهم كثير من الخاصه ـ إلى متع من الحياه يشركهم فيها الحيوان الأعجم وقد يغلبهم عليها الإنسان الأول [1] ساكن الغابه والمجهل ، فأفاضوا بذلك على دنياهم ، ودنيا غيرهم ، قسوة وقتاما ، وزادوها برودا وظلاما . . . إذ حالوا بين أنفسهم وبين متع من الروح والنعيم ، ومباهج من السنا والنور ، ولذائذ من الرضا والحبور ، وحينما أنكروا ذلك وحقروه لم يحرموا أنفسهم منه فحسب بل شوشروه [2] على من يبتغيه ، وشوهوه على من يؤثره ففسدوا وأفسدوا ، وتأذّوا وآذوا ، وعُذِّبوا وعَذّبوا معهم غيرهم . . . والله المستعان " إلى أن قال :-

فيأيتها القلوب المؤمنه . . كيف تناول القرآن أصول التقدير وما هديه فى بيان الغايات الكريمه ، وأيّ اللذائذ الراقيةَ قد تخير لكرام الناس في حياتنا المشهودة ؟ إلتمسوا الجواب عن ذلك فيما علمه لرسله وهداهم إلى أن يقولوه لقومهم ، وأن يعلنوا أنه الغاية من أدائهم لرسالاتهم مع أنهم أولئك البشر الذين قرر القرآن بشريتهم

---

(١) وهل كان الانسان الأول كذلك ؟ !

(٢) بحثت فى القواميس عن " شوشر " أصل هذه الكلمه فلم أجد لها ذكرا

ولم يثبت لهم وراءها شيئا فستجدون في ذلك ما تريدون ، من هدي القرآن في هذه المشكلات الدقيقه . . . ستجدون حقيقة ثابتة مطردة في الأديان كلها وستعرفون المطلب الذي ابتغاه الرسل جميعا من أدائهم رسالاتهم جميعا ، ستسمعون نوحا (ص) منذ الدهر الأول يقول لقومه (ويا قوم لا أسألكم عليه مالا ، إن أجرى إلا على الله)[١] (وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين)[٢] (فإن توليتم فما سألتكم من أجر . إن أجرى إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين ")[٣] إلى أن قال الأستاذ أمين

" واسمعوا كذلك في الرسالات الأولى هودا يقول لقومه (يا قوم لا أسألكم عليه أجرا إن أجرى إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون)[٤] (وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين)[٢] وهكذا قال صالح لقومه ، تلك المقالة ، وقالها لوط ، كما قالها شعيب، عليهم السلام جميعا ، فتقرأ في سورة الشعراء من قصص هؤلاء الأنبياء تلك النغمة السماويه المردده (وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين)[٢] تردد بضع مرات في سوره واحده[٢] . . وان يقلها سالفوا الأنبياء مرة ومرة فقد قالها رسول القرآن (ص) مرارا في صور متفننه متعدده فحينا ينفى إبتغاء الأجر بأن يهبهم ما يطلبه في مثل قوله (قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجرى إلا على الله ، وهو على كل شيء شهيد)[٥] وحينا ينفى الأجر بأن يطلب منهم ما هو خير لهم هم لا له هو في مثل : (ما أسألكم عليه

---

(١) سوره هود : ٢٩
(٢) سوره الشعراء : ١٠٩ ، ١٢٧ ، ١٤٥ ، ١٦٤ ، ١٨٠
(٣) سوره يونس : ٧٢
(٤) سوره هود : ٥١
(٥) سوره سبأ : ٤٧

من أجر الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا) (١) (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) (٢) أى برهم قرابتهم به ، وصلتهم ما بينه وبينهم من رحم ، وآناً يؤمر أن يجهر بنفي إبتغاء الأجر فى مثل قوله (وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين) (٣) (قل لا أسألكم عليه أجرا إن هو الا ذكرى للعالمين) (٤) (قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ، إن هو إلا ذكر للعالمين ، ولتعلمن نبأه بعد حين) (٥) وطورا ينفى هذا الطلب في صوره الإستفهام المبعد له مثل قوله في غير موضع: (أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون) (٦) وهكذا يصف القرآن الرسل بهذا العزوف عن الأجر فيقول (اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون) (٧) ....

أيتها القلوب الموءمنه ... تلك الرسالة التى أدّاها الأنبياء طوال حياتهم ، ولقوا فيها من العنت والإيذاء ما لقوا ، واحتملوا بسببها ما احتملوا ، وهى بعد ذلك عمل لا مال فيه ولا أجر من حطام الدنيا عليه ، ثم هم آخر الأمر كما قال خاتمهم عليه السلام" نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة" (٨) وكذلك ترقى النفس البشريه فترقى لذتها ويهون عندها ما حبب إلى النفس من زينة الدنيا ، وهكذا بسط القرآن هديه"

الى أن قال " وان ما أحدث عنه من اللذات الراقيه ... والتى اكتفى

---

(١) سوره الفرقان : ٥٧ وأولها (قل)
(٢) سوره الشورى : ٢٣
(٣) سوره يوسف : ١٠٤
(٤) سوره الانعام : ٩٠
(٥) سوره ص : ٨٦ -٨٨
(٦) سوره الطور : ٤٠
(٧) سوره يس : ٢١
(٨) رواه البخارى ومسلم بلفظ" لا نورث ما تركناه صدقه " انظر ما نقلناه عن الشيخ الشنقيطي رحمه الله تعالى ، فى الباب الثانى الفصل الاول عن دراستنا لفقه أهل السنه والجماعه

بهـــا رسل الله الكرام فيما أدوا من رسالات . . . تلك اللذات الراقيه ليست من بعيد الفلسفه ولا عسير الآمـال وممتنع المطالب بل هى منزلـه قد أرتقى اليها الكرام جميعا وبلغهـا فى الأمم السعيـده ، رجال العلم ورواد الكشف وأهل الجهاد ، ولولاهـا ما أقدم رجل العلم على تجـارب يجربها حتى فى نفسه ، ولما جازف رجل الكشف يقتحم المجاهيل والمخاطر ولما حمل المجاهد يجالد المنايا ويعانق الفواتك المدمره . . . وما خطت الانسانيه خطوةً واحدةً في سبيل رقيها إلا على يد أولئك الذين إستهوتهم اللذائذ الراقيه فنسوا أنفسهم ، وسعدوا بخير من حولهم ، أولئك رسل الحضاره وتلك رسالاتهم "[1]

وواصل الأستاذ أمين حديثه هذا فى الحلقة الثانيه حيث قـال :-" . .
واذا ما عرفنا كيف نختار غايتنا الكريمه في هذه الحياه فقد بقي أن نعرف هدي القرآن في السير إلى تحقيق تلك الغايه المرجوه والوصول الى المقصد الجليل . . . كيف يخوض الناس الصعاب الى أهدافهم ؟ كيف يواجهون ما يعترضهم من عقبات، ماذا يعدون لتذليلها والتغلب عليها ؟ . . . . . . تجد هدى القرآن عن هذا فى حديث الرسل الكرام وما لقوا فى سبيل تحقيق رسالاتهم وكيف واجهوا ذلك واحتملوه وماذا علمهم الله أن يفعلوا فى هذا السبيـل . . . . فتقرأ فى غير موضع أخبار تكذيبهم وسبهم فى اقذاع جرىء من مثل قول قومهم لواحد منهم : (إنّا لنراك فى ضـلال مبين)[2] (إنّا لنراك فـى سفاهه)[3] (وإنّا لنظنك من الكاذبين)[3] (ساحر أو مجنون)[4] الخ

---

(١) من هدى القرآن : القاده الرسل : أمين الخولى ص١٤-١٩ باختصار
(٢) سوره الأعراف: ٦٠
(٣) سوره الاعـراف : ٦٦
(٤) سوره الذاريـات : ٥٢

بل نراهم يكيدون لهم بالقوه الباطشه الطائشه " وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن فى ملتنا "[١] " واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك" أى يعجزوك عن الحركه " أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين[٢] كان ذلك وما يشبهه من عنف أهوج نصيب الرسل ممن يدعون فاذا القرآن يعالجه بتهوين وقعه على الرسل واصلاح نفسيتهم وارشادهم الى ما يحفظ طمأنينتهم . . . من مثل قوله " فلا تبتئس بما كانوا يفعلون"[٣] " ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر إنهم لن يضروا الله شيئا"[٤] واسمعه إذ يأمر الرسول بالصبر على ما يقال فيعينه على الصبر بأن يذكره بالقدوة الصالحة من أسلافه الأقوياء فيقول" فاصبر على ما يقولون ، واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب"[٥] والأيد القوة والاضطلاع بالاعباء والمشاق ويقول " فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل"[٦] واستمع إذ يغريه بتسبيح الله ليعتز بعزته ويستمد القوه من قوته

---

(١) سوره ابراهيم : ١٣
(٢) سوره الانفال : ٣٠
(٣) سوره هود : ٣٦
(٤) سوره آل عمران : ١٧٦
(٥) سوره ص : ١٧
(٦) سوره الأحقاف : ٣٥

ويحتفظ بالمقاومة والإحتمال فى قوله : (فأصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب، ومن الليل فسبحه وأد بار السجود" [(١)] "فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى " [(٢)] والشاعر بقسمات الحسن الفنى فى نظم القرآن والمدرك لا شارته النفسيه يقف عند ختمة الآية الأخيرة يترجى الرضا ، وقوله " وسبح بحمد ربك . . . لعلك ترضى " يقف وقفة يتمثل فيها ذلك المعنى النفسى الذى أدرنا عليه هذا الحديث من تقبل الألم والشعور فى ذلك باللذه إذ لا يكون هذا إلا حين يكون الرضا النفسى ويظفر به الانسان فتكون العظمة الروحية والمقاومه النبيله وجلال الترفع ولأصحاب هذه النفوس يكون الأمر بالصبر " [(٣)]

وهذه الخلاصه لحديث الأستاذ الخولى عن " رسل و رسالات" من سلسلة أحاديثه عن " القاده الرسل" تلمح فيها أنها أقرب من سابقتها " المرحله الأولى " إلى تمثل منهجه والتزامه فنرى فيها هنا شيئا من الموضوعيه فى التفسير التى يدعو اليها هذا المنهج ونرى فيها ايضا ابراز الجانب النفسى فى التفسيروإن كان هذا وذاك لم ينالا حظا كبيرا كما يتطلب المنهج -لكنهما وردا على كل حال . وما زالت هذه المرحله بعيده عن التزام خط المنهج .

---

(١) سوره ق : ٣٩ - ٤٠

(٢) سوره طه : ١٣٠

(٣) من هدى القرآن : القاده . . الرسل أمين الخولى ص ٢٢ - ٢٤ باختصار

المرحلة الثالثة :

في رمضان

وهي مجموعة أحاديث أذاعها في شهر رمضان خلال ثمانية عشر عاما امتدت من سنة ١٣٦٠ إلى سنة ١٣٧٨ هـ وسأختار من هذه الاحاديث موضوعين أما أولهما فعنونه صاحبه ب " في رمضان " وثانيهما في حلقتين عنوانهما " عن فلسفة الجوع " ولعل فيما اخترت دلالة على ما أردت .

تحدث الخولي في الاولى عن " معنى حيٍّ - كما وصفه - لنزول القرآن في رمضان " بين فيه المراد بانزال القرآن في شهر رمضان الوارد في قوله تعالى " شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان " (١) وذكر أن المفسرين منذ أولهم إلى اليوم يدورون حول أقوال بعينها التماسا لبيان كيف ان القرآن أنزل في شهر رمضان مع أنه انما نزل مفرقا في عشرين سنه أو أكثر عند المناسبات وليس في شهر رمضان فقط ، وذكر أن هؤلاء المفسرين تارة يقولون أن القرآن نزل جملة من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا فجعل في بيت العزه وكان ذلك في رمضان ، ورد الاستاذ الخولي هذا القول بأنه " ما كان القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان " بنزوله من سماء الى سماء حتى يفسر بذلك نزوله في رمضان " (٢) وذكر أنهم تارة أخرى يقولون أن القرآن نزل في سائر الشهور لكن جبريل كان يعارض الرسول صلى الله عليه وسلم بالقرآن في رمضان ويقابله معه فيه ، ورد هذا القول أيضا بقوله " لكن هل المقابله هي النزول أو هي بعد النزول ؟ وهل يسهل تفسير التنزول بالمقابله أو المعارضة أو المدارسة ؟ ما أظن " (٢) وقال انهم حينا يرون أن المراد أنزل بشأن رمضان

---

(١) سورة البقرة : ١٨٥

(٢) من هدى القرآن .. في رمضان : أمين الخولي ص ١٢٦ - ١٢٧

قرآن أي جاءت عنه فى القرآن آية الصيام ، ورد على هذا الرأى بأنْ هـذا ليس مما يمتاز بـه رمضان ، كما أن آيـة الصيام لا يظهـر وصفها خاصة بماورد بعـد من هدى وبينـات من الهدى والفرقان بل هو وصف للقرآن كلـــه .
وذكر أنهم يفسرون المراد بالانزال بابتداء النزول ، ورد هذا القـــول أيضا بما فيه ضعف حيث شكك في معرفـة البدء بالنزول حيث قال " وهل هذا البدء معين محدد فيُشبَّه بمبادىء الدول والملل فى انضباطها ؟ وأين كان هذا التاريخ بذلك البدء "[1] وفات على الاستاذ الخولـــى أن الذى حدد البدء ليس بشرا وإنما هو اللــه الذى أنزل القرآن فهـو أعلم ببدء نزوله وبتاريخ نزوله . وزاد الاستاذ الخولى ردا آخر حيـث قال : " ثم قبل هذا وذاك لم عبر بالنزول عن بدء النزول وبأى شيء صرفوه الى ذلك ؟ وهم يرون أن فائدة وصف الشهر " بانزال القرآن فيـــه " هي التنبيه على علة تخصيصه بالصوم فيــه "[1]

وبعد هذا العرض للاقوال فى المراد بالنزول والردود عليها قـــال :
" وهكذا لا تجد من هذه الاقوال التى دار حـولها المفسرون جميعا فـــى فهم آية رمضان هذه ـ رأيا ترتاح اليه " ثم ساق رأيه فى المــــراد بالنزول :ـ

" أيها الشاعرون بروعة القرآن :ـ لقد قصروا النزول على المعـــنى المادى فى الانتقال ، والهبوط ، والانحدار ، ونحوه وليس هذا كل معنى الكلمه ، وليس هذا كل ما استعمل فيه القرآن هذه الكلمه . . لقـــد استعملها القرآن فى حسيات ليس فيها انتقال ، ولا هبوط . فهو يقـــول " أنزلنا الحديد فيه بأس شـــديد "[2]

---

(١) من هدى القرآن . . فى رمضان : امين الخولى ص ١٢٦ - ١٢٧
(٢) سورة الحديـــد : ٢٥

وليس هابطا من السماء ، وهو يقول" يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوءآتكم وريشا "(١) وليس يعنى انحدار هذا من الأعلى الى الأرض . . بل يلاحظ انه حين يقصد هذا الانتقال المادى يذكر مبدأه ويصرح به فيقول " أنزل من السماء ماء"(٢) و أنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا"(٣) «أنزل علينا مائده من السماء"(٤)» ولم يذكر هذا المبدأ فى آيه رمضان ونزول القرآن فيه!!

ومن المفروغ منه أن الألفاظ لا تقتصر على معناها الحسى أبدا بل تنتقل عنه انتقالات كثيره الى اطلاقات معنويه . . وهم أنفسهم قالوا : الانزال تقريب الشيء والهدايه اليه ، وانزال الله نعمة ، و نعمه على الخلق اعطاؤهم اياها ففيم إذن هذا الوقوف عند معنى النزول المادى من سماء الى سماء أو الوصول إلى الأرض والابلاغ الى شخص"

وكأن الأستاذ أحس بأن هناك اعتراضا يقول : إذا كان المراد بالنزول : التقريب والهداية فلم خصه الله بشهر رمضان مع أن هداية القرآن غير مخصوصه به ؟! فذهب الأستاذ الخولى يلتمس ما حسبه مستمسكا وما هو بمستمسك قال :-"القرآن نعمة وهدايه ، تعطى للناس ، وتقرب اليهم ، وتيسر لهم ظروف ومناسبات مع رياضه خاصه ،أو عباده خاصه فانزال القرآن في رمضان يمكن أن يكون

---

(١) سورة الاعراف : ٢٦
(٢) سورة الحج : ٦٣
(٣) سورة النبأ : ١٤
(٤) سورة المائدة : ١١٤

بتقريبه إلى الناس ، وأنسهم به في شهر رمضان عند ما يرتاضون بالصوم ويدركون من الصوم ما رأينا من غايه تتسق مع الفكرة الجامعه في فهم الدين وفهم الحياه . . ففي كل رمضان اذ الناس يشعرون من الصوم بما يشعرون به ، يقرب القرآن إلى نفوسهم ، ويستبينون منه الهدى والبينات من الهدى في تفسير الحياه وتدبير الحياه . . والقرآن في ذلك فرقان واضح ، يتميز به تاريخ الانسانيه عصر عن أعصر قبله وهذا معنى الفرق والتميز في كلمه الفرقان الذى فيه منه بينات

على هذا الوجه يفهم أن نزول القرآن في رمضان هو تقريبه والايناس به فيزيد الاستشفاف لهداه ، وبيناته "[1]

ولا أحسب أن هذا التعليل الذى جاء به الأستاذ الخولي مقنعا إذ أن الهداية بالقرآن الكريم وتقريبه إلى الناس وأنسهم به ليس خاصا بشهر رمضان حتى يقصر عليه . زد على هذا أن النصوص كثيرة من الكتاب والسنة في نزول القرآن الكريم في شهر رمضان ، ولا يلزم إقتران النزول المادي بذكر المبدأ خذ مثلا " ولو شاء الله لأنزل ملائكه"[2] " قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكه"[3] " ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون"[4] " حتى إذا أقلّت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء"[5]

---

(١) من هدى القرآن : في رمضان : أمين الخولى ص١٢٧ - ١٢٨
(٢) سوره المؤمنون : ٢٤
(٣) سوره فصلت : ١٤
(٤) سوره الأنعام : ٨
(٥) سوره الأعراف : ٥٧

" وتـــرى الأرض هامـــد ه فـــاذا أنزلنـــا عليهـــا الماء اهـــتزت وربـــت"[١] " فـــاذا أنزلنـــا عليهـــا الماء اهتزت وربـــت"[٢] والآيـات الدالـــــه على هذا كثيره

وفـــى حديثين آخريـــن تناول الأستاذ الخولـــى معنى الجـــوع وصلتـــه بالصيام وذلك تحت عنوان " عـــن فلسفه الجـــوع" ذكر فيـــه أن الجـــوع ليس طابـــع الصـــوم وقال فى الحلقـــه الثانيـــه" حدثتـــكم قبـــل عن الفقهـــاء وتعريفهم الصوم بالجـــوع وترك الأكل والشرب. .الــخ وادارتهـــم الشاهـــد العقلـــى لفرضيـــة الصـــوم على فعـــل الجـــوع بالنفـــس وردهـــم حكمه الصـــوم الى أثـــر الجـــوع أيضا ،كما رأينـــا الصوفيـــه يفلسفـــون هـــذا الجوع فيسببون بـــه كل خير كما ينسبـــون الـــى شهوه الطعام كل شـــر، ويروون فـــى فضـــل الجـــوع ما يروون مما يعدونـــه حديثا ، ويذكرون مآثر العابدين فـــى الصـــوم ومدتـــه. . . . ونريـــد هنـــا أن نعرض هذه الآراء علـــى هـــدى القرآن لنرى الى أى مـــدى يوءيدهـــا أو يرفضهـــا . . . فاستمـــع اليه حين يقول لقريـــش:- " فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهـــم مـــن جوع وآمنهـــم من خـــوف"[٣] فيعد نعمتى الإطعام والإيمـــان اللتين خلص بهمـــا قريشـــا من نقمتى الجـــوع والخـــوف. وهو بمثـــل هذا يعد نعم الجنـــه . دار النعيم المقيم. والسعـــاده الكبرى فيقـــول لآدم" ان لك أن لا تجـــوع فيهـــا ولا تعـــرى وأنك لا تظمأ فيهـــا ولا تضحـــى"[٤] فالجـــوع والعرى والظمـــأ والضحـــو-بالتعـــرض

---

(١) سوره الحـــج : ٥
(٢) سوره فصلـــت: ٣٩
(٣) سوره قريش : ٣ - ٤
(٤) سوره طـــه : ١١٨ - ١١٩

للشمس وحرها - كلها آلام يأمن منها من يكون فى الجنه . . . .
واذا نعم أهل الجنه بألا يجوعوا فقد شقى أهل الجحيم
فى وصف القرآن بألا يجدوا إلا ما لا يشبع فقال عنهم" ليس
لهم طعام إلا من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع" (١) . . . .

وعلى هذا ندرك أن الجوع والحرمان من الطعام
لون من العذاب القاسى فى تعبير القرآن الأدبى ، وحسبه
الغنى ، الذى نفرغ إليه - كما أتفقنا - لمعرفه نظرة القرآن
الى الجوع . . .

ولعلنا نستطيع أن نقول - بعد الذى أنسنا اليه من
هدى القرآن - ان ما اتجه اليه القوم من تلمس الآثار
فى فضل الجوع وفلسفتهم لذلك الجوع على ما سمعناها منهم
ليس مما يرحب به هدى القرآن كثيرا . . . . و ليس بكثير أن نقول :-
ان نظريه القوم فى الجوع ليست ذات أساس سليم وهى غريبه عن الروح
الاسلاميه . بل انها ليست فى شىء من روح القرآن فى
مثل قوله : " ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء
عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين" (٢) . . . .
أيها المهتدون بهدى القرآن :- أحسبكم تقدرون ما قصد اليه
هذان الحديثان عن فلسفه الجوع فى عمل الفقهاء ورياضة الصوفيه ،
وأن هذا الجوع ليس أفضل العبادة ولا مخ الطاعة بل نقول فى طمأنينه :-
ان هذا الجوع ليس مخ الصوم نفسه ، وليس من الصواب أن يكون الجوع

---

(١) سوره الغاشيه : ٦ - ٧

(٢) سوره هود : ٥٢

طابع الصوم الظاهر عند المتكلمين فى الحكمه وفضل الصوم وحبذا الصوم إمساكا عن جميع الأهواء والأخطاء والعوائد الواهمة والفاسدة ليكون الصوم رياضة مصلحه للنفوس، مجديه على الفرد والجماعة مروضةً على ما لا يسهل الارتياض عليه في سائر الأوقات لضعف أو إهمال أو عدم رقابه.. فيكون رمضان وسيلة إلى التقوى التي رجاها القرآن وختم بها آيةَ هذا الفرض: " كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون.. "(١) (٢)

وهآ أنت ترى الأستاذ يقترب أكثر من قبل إلى أسس منهجه وإن كان الفاصل لا يزال بعيدا

تراه في هذه المرحلة الثالثة يولي المفردات عناية خاصةَ فينظر لكلمة النزول ويقارن بين ورودها في الآية التى يتناولها وبين ورودها في آيات أخرى ثم يستنبط المعنى الذي هداه إليه عمله ويظهره وان خالف فيه كل من سبقه

وفي الجوع نظر نظرة موضوعيه وصل بها الى أن الجوع ليس طابعا وليس هدفا بل هو لون من العذاب القاسى فى تعبير القرآن الأدبى وحسه الفني ويصل من هذا إلى أن الصوم امساك عن جميع الأهواء والأخطاء والعوائد الواهمه والفاسده ليكون الصوم رياضه مصلحه للنفوس مجديه على الفرد والجماعه ... الخ

---

(١) سوره البقره : ١٨

(٢) من هدى القرآن .... فى رمضان : أمين الخولى ص١٣٦ - ١٤٢ باختصار

المرحلة الرابعة :

في أموالهم .. مثالية لا مذهبية

وهي أحاديث إذاعة تباعدت سنوها - كما يقول الخولي - من سنة ١٩٤٤ م إلى سنه ١٩٥٢ م

ولا يسعني بحال من الاحوال أن أستوفي عناصر المنهج من دراسه جاءت في حوالي ١٣٠ صفحه في عرض سريع كهذا أقول هذا عذرا لقصور مؤكد فإن قُبِلَ هذا مِنّي عذرا فإني أقول .

أن الأستاذ الخولي قدم لأحاديثه هذه التي وصفها بأن في ثناياها إشارات متعدده للمعالم الكبرى لهذا المنهج الأدبي في تفسير القرآن - قدم لها بذكر طائفةَ من الآيات في موضوع المال من نحو قوله تعالى : " وآتوهم من مال الله الذى آتاكم"[1] و" آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير"[2] و" لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم"[3] " يا أيها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون"[4] وغير ذلك من الآيات لكنه لم يرتبها حسب نزولها كما هو الأصل في المنهج الذى يدعو اليه .

ثم - وبعد ذلك نظر نظرة عامة عنوانها " لمحات عامة" وهي إلتزام منه للأساس الذى دعا إليه وهو الدراسة العامة لكن هذه اللمحات

---

(١) سوره النور : ٣٣
(٢) سوره الحديد : ٧
(٣) سوره آل عمران : ٩٢
(٤) سوره البقره : ٢٥٤

العامه لم تأت من الزوايا التى دعا الى النظر منها تماما

بين ما يريده فى هذه اللمحات فقال " نريد لنتذكر ما يشف به الحس القرآنى الكريم في ذكر القرض الحسن ، إذ يسمى هذا الإعطاء والنضال في سبيل الخير العام قرضا حسنا وقرضا لله تعالى فلا يسميه منحا ولا تفضلا أو ما يشبه هذا ،

ثم عرض لبيان نظرة القرآن إلى هذا المال فى أيدى الواجدين وصفته التى يعطونها به للفاقدين وأنهم إنما يعطونه حين يقرضونه إعطاء التارك المتجاوز غير المُحَدِّد لأَجَلٍ للرد ولا الدائن بما يقرض

ثم عرض الأستاذ الخولى لبيان غريزه حب التملك فى الانسان منذ الطفوله إلى الشيخوخه وآثارها الحسنة وآثارها السيئه ثم بين هدى القرآن فى حل تلك المشكله الكبرى ؟ وبين كيف عالجها القرآن وأن علاجه لم يكن دخولا في مشكلاته الاقتصاديه أو مذهبيات إجتماعيه يزيد بها الآراء رأيا والمذاهب مذهبا ويدعنا في حيرة لا نعرف الأصوب والأصلح ؟ ووصفُ العلاج القرآني لهذه الفطرة نفسانيٌّ دقيق يمسها مساساً خبيراً رشيداً فيجعل التدين والتأليه والمسئوليه الآخرة عوامل فعالة في إحياء الضمير وتقوية الإحساس بالكرامة وبالخير وتأسيس الشعور بالمسئوليه على المراقبة الداخلية والرضا النفسي

تلكم هي أبرز ملامح اللمحات العامه التى قدمها الأستاذ الخولي أمام دراسته تلك .

لكنه عاد في الحلقه التاليه إلى " حب المال" وتحدث فيها عن نظره القرآن اليه ، وأن القرآن لم يعمد من ذلك الى

تجاهل أو كبت يصادم الواقع من قوه هذه الرغبه في البشر فهو يقول " وتأكلون التُراث أكلا لَمًّا وتحبون المال حبا جَمًّا " (١)

ثم بين أن أصحاب القرآن .... يدركون أن هذا الهدى الخالد قد عرف للبشرية حبها للتملك ، فأرضاها لونا من الإرضاء يوفر ثقتها بما يوجهها إليه في تعلية هذه الغريزة ولا تحس معه بشك فيما يلقي إليها ، لأنها قد عرفته مقدرا للواقع خبيرا به لطيفا في تناوله فلتصغِ إلى ما سيلقي إليها من حديث عن هذه الرغبة .. (٢) الخ

وتحت عنوان " بين القصد والجور " أورد المؤلف قوله تعالى " .... يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر " (٣)

تحدث فيه أيضا عن هذه الفطرة " حب التملك " وعما تحتاجه من مراقبة وملاحظة . لأنها حين تجنح إلى ما لا خير فيه تكون وبالا على الفرد والأمة ومضيعة لما هي وسيله إليه وسبب من العزة والغلبه والكره والدُولَة ... فهي إذن بحاجة ماسه إلى التوجيه السديد .. وهذه المراقبة ليست يسيره المئونه ولا سهلة الممارسة

وقد إلتفت القرآن إلتفاتا قويا لهذه الغريزة ... وهو يحد من شرها عند هذا الجموح في مثل قوله " يا أيها الذين آمنوا لا تُلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون " (٤) كما يسوق للعبرة حال من أفسد أمرَه مالُه وولدُه

---

(١) سوره الفجر : ١٩ - ٢٠
(٢) من هدى القرآن .. فى أموالهم : أمين الخولى ص ٢١٤
(٣) سوره الرعد : ٢٦
(٤) سوره المنافقون : ٩

فـى قولـه عن نوح عليه السلام " رب انهم عصونى ، واتبعوا من لـم يزده ماله وولـده إلا خسـارا"[(١)] وفي مثل قولـه تعـالى " ولا تطع كـل حلاف مهين هَمّاز مَشّاء بنميم ، منّاع للخير معتد أثيم، عُتّل بعد ذلـك زنيم، أن كان ذا مال وبنين "[(٢)] بمثـل هذه الحالـة مـن فسـاد الحـال بجموح نزعـه التملك والتمول ينفى القرآن أن يكون المـال والولـد وسيله إلى القربى والزلفى عند اللـه فيقول" وما أموالكم ولا أولادكم بالـتى تقربـكم عندنا زلفـى إلا من آمن وعمـل صالحا ... الآيـه[(٣)] ....

وبهذا القصد والاعتدال ينهى القرآن عن الأعجاب والأغترار بالأمـوال والأولاد .. « فلا تعجبك أموالـهم ولا أولادهم إنمـا يريـد اللـه ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهـق أنفسهم وهم كافرون "[(٤)]

ففـي هذه الآيـات وما إليها لفت واضح إلى حـال هذه النزعـة البشرية للتملك والإقتنـاء إذا جنحت إلى الشر، ثم جعل الأستـاذ أمين هذا الأساس ميزانـا يزن به أقوال المفسريـن

ثم بَيَّنَ أن القرآن لفت إلى الرشاد والصواب فى السلوك الذى يريـده من أصحـاب الاموال "لكن الرسول والذين آمنوا معه وجاهدوا بأموالـهم وأنفسهم وأولئك لـهم الخيرات وأولئك هم المفلحـون الآيه"[(٥)] والذين ينفقون أموالـهم بالليل والنهار سرا وعلانيه فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنـون"[(٦)]
ولـن يكون الانفاق بالليل والنهار ، وفى السر وفى العلن إلا من مـال كثير يَجُدُّ في سبيل جمعـه أولئك المنفقون ...

بهذه الآيات وأمثالها لفت القرآن أقوى لفت إلى خيريـة غريزه التملـك

---

(١) سوره نـوح : ٢١
(٢) سوره القلـم : ١٠ - ١٣
(٣) سوره سبـأ : ٣٧
(٤) سوره التوبـه : ٥٥
(٥) سوره التوبـه : ٨٨
(٦) سوره البقـره : ٢٧٤

المهذبه الموفقه ... فالقرآن بعد مسلكه النفسى فى تقرير هذه الحقيقه عن الفطره يشير إلى أنها فى حاجه الى رقابة مرشدة وتوجيه سديد

ووضح فى " تحويل نفسى" أن القرآن حين يقصد الى تعليه غريزه التملك وتوجيهها لم يعمد قط إلى هذا القمع الكابت فلم يجعل المال لعنة ، ولا الغنى خطيئة ولا طرد الغني من ملكوت الله ولا وجه الى الزهد المنقطع عن الحياة ......" بل " فتح مسالك ومنافذ للتحويل النفسي ببعض ما سمعنا من توجيه لا يضن و يبخل .... ولا يبدد ويسرف .. ولا يغتر ويسرف .. ولا ينكر القيم ويجحد اليقين ولا يحسب المال هو الدنيا والآخرة جميعا ولا ينسى ما هو خير ثوابا وخير أملا ...(١)

ثم تكلم الخولي عن " تعديل البيئه " فإذا كان أصحاب النفسيات يقدرون فى تهذيب الغريزه تأثير التحويل النفسى ، والتبديل النفسى ، والاستعانه بغريزة على غريزة فإنهم يقدرون - كذلك - فعل المؤثرات الخارجيه في هذا التهذيب، ويقررون أن الإنسان يتأثر بما حوله من نُظُم وأوضاع يخضع لها ... وفى الحق أن القرآن قد قدر الأثر النفسى للبيئة حينما قدر الوحدة الاجتماعية والصلة الوثيقة بين الفرد والجماعة ... وفي الحق - أيضا - أن القول عن عمل القرآن في " تعديل البيئه " التعديل الخاص بتهذيب غريزة التملك قول تتسع آفاقه وينبسط مداه حتى ليقتضينا النظر فى أصول النظام المالى

---

(١) من هدى القرآن .. فى أموالهم : أمين الخولى
ص ٢٢٤ و ٢٢٦

والقرآن حين يهذب غريزه التملك في أصحاب القرآن يجمع بين الواقعية . . . والمثالية . .

فهو حين يحمى الملكيه الفرديه . . واقعي . . لا يفجأ الناس بتجريدهم من أموالهم تجريدا يَفْتِرَ هِمَّتَهم وَيَثْنى عزائمهم ، ويقعدهم فلا يبتكرون ، ولا يجددون . . ولا يذودون عن حماهم . .

ثم هو حين يهز أسس هذه الملكية الخاصة . . . يكون . . . مثاليا . . . يكف من غلواء الأغنياء ، ويزلزل صلتهم بأموالهم ويجعلها للناس جميعا . . هم عليها أمناء مستخلفون . . وهى مال الله لا مالهم

بهذا التعديل الدينى الأساس ، السماوي الصبغة ، الإلهى الروح يوقيهم أخطار الجموح فى التملك والوصول إليه بأى وسيلة وإهدار الخلق والفضيلة . ." (1)

و"إستمع إليه حين يحدث كثيراً عن أداء هؤلاء الواجدين لما عليهم من واجبات الزكاه فيستعمل فى ذلك كله كلمه من "الإيتاء" . . لا يغيرها فى بضع وعشرين مره إستعمل فيها مادة واحدة هى "آتى" لم يغيرها على كثرة ما قال عن الزكاه فتراها في صور متعدده : "أقاموا الصلاه وآتوا الزكاه" (2) " وأقيموا الصلاه وآتوا الزكاه" . ." (3) واقام الصلاه وايتاء الزكاه" (4) " والمقيمين الصلاه والمؤتون الزكاه" (5) وتقرأ هذا فتسأل . . هل للكلمه حس فنى خاص . . . . .

---

(1) المرجع السابق : ص ٢٢٧ - ٢٣١ باختصار
(2) سوره الحج : ٤١
(3) سوره البقره : ٤٣
(4) سوره الانبياء : ٧٣
(5) سوره النساء : ١٦٢

يجعل استعمالها موحيا بشعور نفسي يجده من ينصت لهذا القرآن المعجز ؟

واذا الجواب عن هذا السؤال : نعم ...... ان الماده ترجع في أصل معناها جملة إلى الاستقامه في السير والسرعه في السير والسرعة في العطاء كما أن منها المجئ بسهولة ومن هنا تحس إيحاء التعبير القرآني حينما يخصها بالتعبير عن أداء الواجدين لزكاة أموالهم حين يؤدونها لأصحاب الحق فيها .. ويؤدونها من مال الله الذى آتاهم ... وينفقون مما جعلهم مستخلفين فيه فما أقوى أن يشعر التالى المتأمل من قريب وفي قوة أن الحرص على إستعمال هذه المادة في أداء الزكاة إنما هو التعبير عن إعطاء في سرعة وإتجاه إلى الإعطاء يتم في سهولة" (١)

وفي قوله تعالى " خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها" (٢) قال الخولى " نشعر في مادة الأخذ بأنها التناول الجادّ الحازم القوي تحسه واضحا في مثل قوله " وليأخذوا أسلحتهم" (٣) .. " ليأخذوا حذرهم" (٣) " فيؤخذ بالنواصي والأقدام " (٤) فنستشف هذا الجد المتناول ... (٥) وبهذا يخرج الصدقة عن مفهوم الإمتنان والتفضل بل أن الاحسان في عامّة إستعماله هو ضد الاساءه " إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها" (٦) " وبالوالدين احسانا" (٧) وبذلك ينفر الحس القرآني الدقيق

---

(١) من هدى القرآن : في أموالهم : أمين الخولى ص ٢٤٠ - ٢٤١
(٢) سوره التوبه : ١٠٣
(٣) يوره النساء : ١٠٢
(٤) سوره الرحمن : ٤١
(٥) من هدى القرآن : في أموالهم : أمين الخولى ص٢٤٧
(٦) سوره الاسراء : ٧
(٧) سوره البقره : ٨٣

دائما من أن يستعمل فى ذكر المال المصلح لحياة الجماعه هذا الإحسان بمعنى الإعطاء المتفضل ، والبذل المنعم والأداء المترفع المستعلي الذى يحز فى القلوب ويهيج النفوس ويفسد ما بين المؤمنين . . . . وإنما المؤمنون إخوه "(١)

وبين الخولى عناية القرآن بـ (الوسط " أى " الاتزان" في المال . . " والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا "(٢)" ولا تجعل يدك مغلوله إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط"(٣) . . . . وهذا الاتزان هو الاساس الأول والفكرة العامة في حل مشكلة المال حلا يوقى الحياة ويلات الآراء الخاطئة (٤)

ذلكم عرض سريع وسريع لما جاء به الأستاذ أمين الخولى مما سماه التفسير الأدبي للقرآن الكريم وجعل موضوعه " في أموالهم" وعددناه المرحلة الرابعة من خطوات التفسير التى خطاها الأستاذ الخولى في سبيل تطبيق المنهج الذى دعا إليه

وسبق القول مِنِّى أَنَّ الأستاذ الخولى قدم لموضوعه هذا بآيات في موضوع المال . . . . وأنه لم يرتبها حسب النزول وهذه مخالفة للمنهج الذى يدعو اليه .

ثم قدم دراسة عامة لهذه الآيات لكنها ـ كما قلنا ـ دراسة غير شاملة وغير وافية بما أوجبه الأستاذ للدراسة الأدبية

---

(١) من هدى القرآن . . فى أموالهم + أمين الخولى ص ٢٥٢
(٢) سوره الفرقان : ٦٧
(٣) سوره الاسراء : ٢٩
(٤) من هدى القرآن . . . . في أموالهم : أمين الخولى ص ٢٥٧ - ٢٥٩ باختصار

ثم نظر في هذه الآيات وغيرها نظرة شاملة . وقَلَّ نَظَرُه في مفرداتها - وهو تجاوز آخر لعناصر منهجه ثم نظر في معانيها المركبة لا ينظر إليها آية آية بل نظر اليها جميعا مفردا كل نظرة بحديث

ولست أوافق الدكتور كامل علي سعفان في إلتماسه العذر للأستاذ أمين الخولي في مخالفاته هذه وقصوره عن تطبيق منهجه في أحاديثه تلك بأنها طبيعة أحاديث الاذاعة [(١)] بإعتبار أن الأستاذ الخولي كان يبثها عبر الإذاعه عند كتابتها لا أوافقه لأني أرى أن عناصر المنهج كلها ملائمه للاذاعه لا تنبو عنها ولا تثقل بها ... خاصه أنه أحيانا يتحدث عن المفردات - مثلا - فى موضع لكنه فى مواضع أخرى يهملها . ولا أعرف سببا لذلك والله أعلم . ومن الأستاذ إلى تلميذته .

عائشة عبد الرحمن " بنت الشاطىء" :-

تلقت علوم الاسلام والعربية على مناهج الأزهر الشريف على والدها وزملائه الشيوخ بالمعهد الدينى الأزهرى بدمياط وتقدمت من المنزل لامتحان كفاءه المعلمات سنه ١٩٢٩ م ثم الشهاده العامه الابتدائيه سنه ١٩٣١ م والكفاءه والثانويه سنه ١٩٣٢ م و البكالوريا أدبى سنه ١٩٣٤ م دون أن تلتحق بأية مدرسة لهذه المراحل

ثم تابعت الدراسة الجامعية في قسم اللغه العربية بكلية الآداب جامعه القاهرة حتى نالت :

---

(١) المنهج البيانى فى تفسير القرآن الكريم : كامل سعفان ص ١٧٦

الليسانس الممتازه في اللغة العربية سنة ١٩٣٩م

الماجستير في الآداب سنة ١٩٤١م

الدكتوراه في الآداب ، تخصص نصوص سنة ١٩٥٠م

وتدرجت في المناصب الجامعيه من معيدة بقسم اللغة العربية بآداب القاهره سنة ١٩٣٩م ومدرس مساعد بالقسم سنة ١٩٤٢ - ١٩٤٤ م إلى مدرس أ . بجامعة عين شمس سنة ١٩٥٢م وأستاذ مساعد سنة ١٩٥٧م ثم أستاذ كرسي اللغة العربية وآدابها سنة ١٩٦٢م حتى استقرت أستاذاً للتفسير والدراسات العليا بكلية الشريعة جامعة القرويين سنة ١٩٧٠م إلى اليوم

مؤلفاتها :

قدمت المؤلفة إلى المكتبة العربية نحو أربعين كتابا منها :-

في الدراسات القرآنية والاسلامية :

١ - التفسير البياني للقرآن الكريم : فى جزءين طبع خمس طبعات

٢ - الاعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق : طبعتان

٣ - مقال فى الانسان (دراسة قرآنية)

٤ - القرآن والتفسير العصري سلسله إقرأ (٣٣٥)

٥ - القرآن وقضايا الانسان : ست طبعات

٦ - الشخصية الإسلامية (دراسة قرآنية) خمس طبعات

٧ - مع المصطفى عليه الصلاة والسلام أربع طبعات

٨ - تراجم سيدات بيت النبوه في (خمسة أجزاء) خمس عشرة طبعة

٩ - الاسرائيليات في الغزو الفكرى .

١٠ - مقدمة ابن الصلاح فى علوم الحديث (نص محقق)

١١ - محاسن الإصطلاح للسراج البلقيني (نص محقق)

في الدراسات اللغوية والأدبية والتاريخية لها عدد من المؤلفات أذكر منها : -

١ - لغتنا والحياة

٢ - تراثنا بين ماضٍ وحاضر

٣ - الخنساء

٤ - ابو العلاء المعري

٥ - الحياة الانسانيه عند أبى العلاء

٦ - مع أبى العلاء في رحلة حياته

٧ - قرآءة جديدة في رسالة الغفران

٨ - الغفران دراسة نقدية

٩ - رساله الغفران لأبي العلاء (تحقيق)

١٠ - أرض المعجزات ولها غير ذلك من المؤلفات والبحوث واشرفت على عدد كبير من الرسائل العلمية في مختلف البلدان العربية وشاركت في عدد من المؤتمرات (١)

تفسيرها :

تصف بنت الشاطىء الأصل في المنهج الذي تلقته عن أستاذها بقولها :- " والاصل في منهج التفسير الأدبى - كما تلقيته عن أستاذي - هو التناول الموضوعي الذي يفرغ لدراسة الموضوع الواحد فيه ، فيجمع كلّ ما في القرآن عنه ويهتدي بمألوف إستعماله للألفاظ والأساليب بعد تحديد الدلالة اللغوية لكل ذاك . . . وهو منهج يختلف تماما عن الطريقة المعروفة ، في تفسير القرآن سورة سورة ، يؤخذ

---

(١) أخذت هذه الترجمه من (بيان وتقرير عن الأستاذة الدكتورة عائشة عبد الرحمن المرشحة من جامعة عين شمس لجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الاسلام سنه ١٤٠٣ ، ولم تظفر بها .

اللفظ أو الآية فيه مقتطعا من سياقه العام في القرآن كله مما لا سبيل معه إلى الاهتداء إلى الدلالة القرآنية لألفاظه أو إستجلاء ظواهره الاسلوبيه وخصائصه البيانيه" [١]

وإذا ما أردنا أن نستقرىء تفسير الدكتورة عائشة منهجاً فيه فإنَّا سنجد له معالم واضحه

أهمها أن الأستاذ الخولى جعل" المقصد الأول للتفسير أدبي محض صرف" كما نقلناه عنه وجاءت تلميذته لتؤكد هذا بقولها " أن الذين يُعْنَون بدراسة نواحٍ أخرى فيه ـ أي في القرآن ـ وإلتماس مقاصدَ بعينها منه لا يستطيعون أن يبلغوا من تلك المقاصد شيئا دون أن يفقهوا أسلوبه الفذ ويهتدوا إلى أسراره البيانية كي لا يغيب عنهم شيء من دلالاته فسواء أكان الدارس يريد أن يستخرج من القرآن أحكامه الفقهيه أو يستبين موقفه من القضايا الاجتماعية أو اللغوية أو البلاغية أم كان يريد أن يفسر آيات الذكر الحكيم تفسيرا عاما على النحو الذى ألفناه في كتب التفسير فهو مطالب بأن يتهيأ أولاً لما يريد ويُعِدّ لمقصده عدته من فهم مفردات القرآن وأساليبه فهما يقوم على الدرس المنهجي الاستقرائي ولمح أسراره في التعبير" [٢]

وتأتى بعد ذلك قواعد منهجها في التفسير وأهمها [٣] :-

أولا : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب :

وقررت هذا فى مقدمة تفسيرها ورتبت عليه نظرتها الى أسباب

---

(١) التفسير البياني للقرآن الكريم : د / عائشه عبد الرحمن جـ١ ص ١٨

(٢) المرجع السابق : جـ١ ص ١٥

(٣) استفدنا جمع هذه القواعد مما كتبه الدكتور كامل سعفان فى كتابه " المنهج البيانى فى تفسير القرآن الكريم " ص ١١٥ - ١١٩

النزول حيث قالت " أن المرويات في أسباب النزول موضع اعتبار في فهم الظروف التى لابست نزول الآية مع تقدير أن الصحابة الذين عاصروا نزولها ورُوِيَتْ عنهم أقوال فيها ربطها كل منهم بما وهم أو فهم أنه السبب في نزولها وهذا هو معنى قول علماء القرآن : أن المرويات فى أسباب النزول يكثر فيها الوهم ،

ونقدر معه أن السببية فيها ليست بمعنى العِلِّيَّة التى لولاها لما نزلت الآيه وأن العبرة في كل حال بعموم اللفظ المفهوم من صريح نصها لا بخصوص السبب الذي نزلت فيه " (١)

أما المرحلة التطبيقية عندها فهي تورد سبب النزول ثم تعقب عليه بقاعدة الاصوليين هذه وتعلق عليه

وخذ مثلا لذلك ما قالته في تفسير قوله تعالى " إن الانسان لفي خسر إلا الذين آمنوا " (٢) قالت : " وللمفسرين في الانسان قولان : أنه لعموم الجنس أو أن (ال) للعهد مراداً بالانسان جماعةٌ من المشركين : الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد المطلب. . . ولا نقف عند ما إختلفوا فيه فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب الذي نزلت فيه الآية والسياق ظاهره لا يخص الانسان بفلان أو بآخر والتعميم فيه مستفاد صراحة من الاطلاق ثم إستثناء "الذين آمنوا وعملوا الصالحات" وهذا الإستثناء ينقطع إذا ما كان الانسان خاصا بالمعهودين الذين ذكروهم وليس فيهم من يخرج بالإستثناء مع الذين آمنوا وعملوا الصالحات " (٣)

---

(١) التفسير البيانى للقرآن الكريم : د / عائشه عبد الرحمن جـ٢ص٩
(٢) سوره العصر : ٢
(٣) التفسير البيانى : د / عائشه عبد الرحمن جـ٢ ص ٨١

فهى كما ترى لا تكتفي بإيراد القاعدة الأصولية بل تحرر سبب رفضها ، ولكنها أحيانا تكتفي بإيراد القاعدة خذ مثلا لذلك ما قالته في ما ورد من سبب نزول قوله تعالى " أرأيت الذي يكذب بالدين " [(١)] قالت" وقالوا في أسباب النزول أنها نزلت في : أبي سفيان أو العاص بن وائل السهمي أو الوليد بن المغيرة ،أو ابي جهل وقال ابن عباس: " نزلت في منافق جمع بين البخل والمراءاة" والعبرة على كل حال بعموم اللفظ " [(٢)]

وهذا الأخير هو أكثر عملها فى أسباب النزول تكتفي بإيراد القاعدة

ثانيا : استقراء اللفظ القرآني في كل مواضع وروده :

وقد بسطت هذا الأصل في مقدمة تفسيرها حيث قالت عنه : "والمنهج المُتَّبَع هنا هو الذي خضعت له فيما قَدَّمْتُ من قبل ، بضوابطه الصارمة التى تأخذنا بإستقراء اللفظ القرآنى فى كل مواضع وروده للوصول إلى دلالته . . . وإذ نضع معاجم العربيه وكتب التفسيرفى خدمة هذا المنهج فإننا نحاول أن ندرك حِسَّ العربية للألفاظ التي نتدبرها من النص القرآنى عن طريق لمح الدلالة المشتركة في شتى وجوه إستعمالها لكل لفظ وواضح أنه لا سبيل إلى دراسة أي نص في لغة ما دون فقه لألفاظه في لغته ، ثم يكون للنص بعد ذلك أن يحدد لكل لفظ دلالته الخاصة من شتى الدلالات المعجميه أو

---

(١) سوره الماعون : الايه الاولى

(٢) التفسير البياني : د / عائشه عبد الرحمن جـ٢ ص ١٨٥

يضيف اليها ملحظا ينفرد به "(١)

ثم توضح بعد ذلك أن القول بدلالة خاصة للكلمة القرآنية لا يعني تخطئة سائر الدلالات المعجمية وإنما يعني أن لهذا القرآن معجمه الخاص وبيانه المعجز فلا يعترض معترض بأن العربية تعرف صيغا ودلالات أخرى للكلمة .

وقد اعتنت الدكتورة عائشة عبد الرحمن بهذا الأصل عناية كبيرة فجاء تفسيرها محتويا على معجم لألفاظ السور التي تناولتها بالتفسير ، بل أن عنايتها تلك جاءت فيما اعتقد على حساب فكرة الموضوع التى طال ما دعت إليها كما سيأتي بيانه إن شاء الله .

وهى حين تدرس كلمة قرآنية تبذل وسعها في إستقراء معانيها فى القرآن ومدلولاتها حتى تصل - حسب فهمها إلى ما ترى أنه الصواب ولا شك أنها قد تصيب وقد تخطئ .

تقول الدكتورة عائشة في معنى الساعة من قوله تعالى " يسألونك عن الساعة أيّان مُرساها "(٢) :- " ولفظ ساعة في العربية يعنى الجزء من الوقت ، وأضيف إليه حديثا إستعمالها في جزء محدد منه بستين دقيقة .

ويستعمل مُعَرّفا بـ (ال) للعهد في الوقت الحاضر فيقال أزورك الساعة أي الآن ، ثم غلب على الساعة إستعمالها في الآله الضابطة للوقت ، بعد إختراعها

لكن للقرآن إستعماله الخاص للساعة ، فهو لا يستعملها نكرة إلا في برهة من الوقت قصيرة دون تحديد لها بالدقائق والثواني :-

---

(١) التفسير البيانى : د / عائشه عبد الرحمن جـ٢ ص ٧-٨
(٢) سوره النازعات : ٤٢

الروم ٥٥ " يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة"

النحل ٦١ " فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة و لا يستقدمون"

ومعها الاعراف : ٣٤ وسبأ : ٣٠ ويونس : ٤٩

يونس : ٤٥ " ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار"

الاحقاف : ٣٥ : " كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار"

أما حين يستعمل القرآن " الساعة " مُعَرَّفة بأل ، فتلك - دائماً - هي ساعة الآخرة ، ولم يتخلف هذا في أى موضع من المواضع الأربعين التي : جاءت " الساعة " فيها في القرآن الكريم

والملحظ البياني فى هذا الاستعمال المضطرد أن هذه الساعة تنفرد دون ساعات الزمان كله بأنها الحاسمة الفاصلة التي يتغير فيها نظام الزمن وسير الكون ، لما يحدث فيها من حدث هائل خطير وهو معنى يقوى ويتضح بإسناد القيام، والإتيان والمجيء إلى هذه الساعة المتميزة الحاسمة دلالة على بروزها وشخوصها وفاعليتها .

الانعام ٣١ :- "حتى إذا جاءتهم الساعه بغته "

الانعام ٤٠ :- " أو أتتكم الساعة"

يوسف ١٠٧ :- " أو تأتيهم الساعه بغته" ومعها الحج ٥٥ والزخرف ٦٦ ومحمد ١٨

" ويوم تقوم الساعة " الروم ١٢ ، ١٤ ، ٥٥ ومعها المؤمنون ٤٦ ، والجاثيه ٢٧

سبأ : ٣ :- " وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة ، قل بلى وَرَبِّي لتأتينَّكم "

القمر ١ :- " إقتربت الساعة وإنشق القمر "

الكهف ٣٦ : -" ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً وما أظن الساعة قائمة"

فصلت : ٥٠ : -" ولئن أذقناه رحمةً منّا مِنْ بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما أظن الساعه قائمه" (١)

وبمثل إستقرائها للفظ" ساعة" و"الساعة" في القرآن الكريم كان إستقراؤها لألفاظ أخرى كثيرة منها " يتيما" في قوله تعالى " أَلَمْ يَجِدْكَ يتيما فآوى " (٢) لكنها هنا زادت عن ذاك بإيراد أقوال المفسرين في المراد باليتم قالت : -" ففي اليتم والإيواء قال " الرازي" إنه من قولهم درة يتيمة ، والمعنى ألم يجدك واحداً في قريش عديم النظير، فآواك أي جعل لك من تأوي إليه وهو أبو طالب، وقرئ : فأوى - بالتخفيف - أي رحم .

ويقول الزمخشرى ، مُحِقّاً : " أن تفسير يتيم هنا بالدرة اليتيمه من بِدَعِ التفاسير" وإنما اليتم عنده فقدان الأب ، ومثله أبو حيان في البحر، والشيخ محمد عبده .

وقال" الراغب" في المفردات : اليتم - في آية الضحى - إنقطاع الصبي من أبيه قبل بلوغه

وهذا هو الأصل فى اليتم لغة ،ثم قيل لكل منفرد : يتيم ومنه الدرة اليتيمه أي المنفرده "

ثم بعد أن ساقت الدكتورة هذه الأقوال للمفسرين قالت: -"ونحتكم إلى القرآن ، فنراه إستعمل اليتيم، مفردا ومثنى وجمعا ثلاثا وعشرين مرة كلها بمعنى اليتم الذى هو فقدان الأب ويلحظ فيه اقتران اليتم بالمسكنه في عشرة مواضع: -

---

(١) التفسير البيانى : د / عائشه عبد الرحمن جـ١ ص ١٤٤ - ١٤٥
(٢) سوره الضحى : ٦

البقـره : ٨٣، ١٧٦ ، ٢١٥ والنساء : ٧ ، ٣٥ والانفـال :
٤١ والحشـر ٧ والدهـر ٨ والفجـر ١٧ والبلـد ١٥

كما ذكر فيه من آثار اليتم: الجور ، وأكل المـال: "إن الذيـن يأكلون أموال اليتامى ظلمـا إنما يأكلون في بطونهـم نارا وسيصلـون سعيراً " النسـا : ١٠ ومعهـا الانعام ١٥٢ والاسراء ٣٤ والنساء :٢،٦

وعـدم الاكرام: " كلا بل لا تكرمون اليتيـم ، ولا تحاضـون علـى طعام المسكين " الفجـر : ١٧، ١٨

والدعُّ : الذي هو الدفع العنيف مع جفوة :-" أرأيـت الـذى يكذب بالديـن ،فذلك الذى يَدُعُّ اليتيم ، ولا يَحُضُّ على طعام المسكـين الماعـون : ١ - ٣

والقهـر ، فـي آيـةَ الضحى : ٩ "

ثم قالت الدكتورة عائشة بعد هذا :-" وأمام هذا التتبـع لا نملك إلا أن نستبعـد تفسير اليتم بغير ذاك الذى في القرآن وقـد وُلِدَ محمد يتيمـا ثم تضاعـف يتمـه بموت أمـه وجده ، لكنه تعالـى نَجَّاه من آثار اليتم التي هـى : بشواهد من آيـات الكتاب الكريـم : الدع ، والقهـر ، والإنكسار ، والجور ، مما كان مظنـة أن يكسـر نفسـه ، فلا يتطلع إلى بعيد الآفاق فذلك هو قوله تعالـى" ألم يجـدك يتيمـا فآوى" ترشيحـا بهذا الإيواء الإلهي - غير المقيد بمتعلـق - إلـى ما بعده من نعمة الهداية بعد حيرة ، وتهيئة لحمل الرسالـة الكبرى" (١)

وبهذا ترفض الدكتورة عائشة ما أوردتـه من تفسير للرازي لليتـم ، وتقصـره على فقدان الأب

---

(١) التفسير البيانى : د / عائشه عبد الرحمن جـ١ ص ٤٣ - ٤٤

ومثلا ثالثا نظهر به مدى عناية الدكتورة بإستقراء ألفاظ القرآن ومدى إنتشاره في تفسيرها فهي تفعل ذلك حتى ولو لم يرد اللفظ فى القرآن إلا مَرّةً واحده كيف! خذ مثلا كلمة المقابر" من قوله تعالى " ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر" (١) لم يأت قط في غير آية التكاثر ، وعلى حين جاءت " القبور" خمس مرات ، كما جاء القبر " مفردا فى المخلفين الذين قعدوا عن الخروج للجهاد مع الرسول .

" ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تَقُمْ على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون " التوبه " ٨٤

وقد تجد الصنعة البلاغية في إستعمال المقابر هنا مجرد ملاءمه صوتية للتكاثر ، وقد يحس أهل هذه الصنعة ونحس معهم فيها نسق الإيقاع وإنسجام النغم لكن أهذا كل ما فى الاستعمال القرآنى للفظ المقابر فى آيه التكاثر؟

الذى أراه أن وراء هذا الملحظ البلاغى اللفظى ، ملحظا بيانيا يتصل بالمعنى : فالمقابر جمع مقبره وهى مجتمع القبور. . . . .
واستعمالها هنا ملائم معنويا لهذا التكاثر ، دال على مصير ما يتكالب عليه المتكاثرون من متاع دنيوى فان . . . هناك حيث مجتمع القبور ومحتشد الرمم ومساكن الموتى على اختلاف أعمارهم وطبقاتهم ودرجاتهم و أزمنتهم وهذه الدلالة من السعة والعموم والشمول لا يمكن أن يقوم بها لفظ " القبور" بما هى جمع لقبر . فبقدر ما بين قبر ومقبره من تفاوت يتجلى ايثار البيان القرآنى "المقابر" على القبور " حين يتحدث عن غايه ما يتكاثر به المتكاثرون وحين يلفت إلى مصير هذه الحشود من ناس يلهيهم تكاثرهم عن الاعتبار بتلكم المقابر التى هى مجتمع الموتى ومساكن الراحلين الفانين . . . .

---

(١) التكاثر ١ - ٢

فتأويل المفسرين - فيما قرأت - المقابر بالقبور ليس إلا أثرا لمنهجهم في تناول مفردات القرآن تناولاً لفظياً معجمياً مجرداً عن إيحاء سياقه وسره البياني ، معزولاً عن الإستعمال القرآني الذي لم يجيء بالمقابر هنا لمجرد المشاكلة اللفظية والرنين الصوتي ، وانما هى الملاءمة المعنوية ايضا بين التكاثر والمقابر بما فيهما من سعة وشمول وعموم وهو هو الإعجاز البياني لا يقوم فيه لفظ القبور مقام المقابر بما تلفت إليه من مصير للحشد والتكاثر ، وبما تضع أمام المتكاثرين من عبرة رادعة زاجرة حين تصدمهم بذكر المقابر إثر " ألهاكم التكاثر " (١)

وكون الدكتورة عائشة تستنبط هذا مع أن اللفظة هذه لم ترد في القرآن إلا مرة واحدة يدل على مدى حرصها على جلاء معانى المفردات جلاءاً لا ينظر صاحبه إلى اللفظة المفردة مجرده من مثيلاتها أو حتى من جملتها

ومثلا أخيراً من عنايتها بالمفردات نذكره لتأكيد اهتمامها فى ذلك ، ذلكم تفسيرها لـ" السعى" فى قوله تعالى" " إنّ سعيكم لشتّى " (٢) أوردت المعنى اللغوي أولاً : - " والسعي فى اللغه المشي ، لحظ فيه أن الساعي يبتغي عملا أو يتجه إلى مقصد يدأب له فكان السعي بمعنى العمل مع القصد والدأب"

ثم أوردت الاستعمال القرآنى فقالت " وفى الاستعمال القرانى للماده نجد الدلاله الأولى للسعى بمعنى : المشي والحركه على الحقيقة

---

(١) التفسير البيانى : د / عائشه عبد الرحمن جـ ١ ص ٢٠٧ - ٢٠٨

(٢) سوره الليل : ٤

أو التخييل والمجاز ، في آيتي (طه) عن عصا موسى ألقاها " فإذا هي حية تسعى" [١] وحبال السحره وعصيهم ألقوها " يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى" [٢] وفي آيتي التحريم والحديد ، في نور المؤمنين " يسعى بين أيديهم " يوم القيامه كما نجد دلاله السعي على العمل مع الدأب في آيات : -

" فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه " الانبياء ٩٤ " ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا " الاسراء ١٩ " قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا " الكهف : ١٠٤

ودلالة القصد أوضح في آيات: -

" ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يُذكر فيها إسمه وسعى في خرابها " البقره : ١١٤

" ويسعون في الأرض فسادا " المائده ٣٣ ، ٦٤

وواضح أنّ السعي في آيه الليل هو من العمل الكسبي مع القصد والدأب ومثله السعي في آيات (الانسان ٢٢ النجم ٤٠ ، الغاشيه٩)" [٣]

ولا أظن الدكتوره عائشة مصيبه في تصنيفها آيه البقره السالفه (١١٤) وآيتي المائدة (٣٣ ، ٦٤) على أن السعي فيهما بمعنى القصد ذلكم ان الذين منعوا مساجد الله ان يذكر فيها اسمه

---

(١) سوره طه : ٢٠
(٢) سوره طه : ٦٦
(٣) التفسير البياني : د / عائشه عبد الرحمن جـ٢ ص ١٠٤

وسعوا في خرابها ، لم يقفوا عند درجه القصد وانما جاوزوها الى العمل وزادوا عليه الدأب. وقل مثل ذلك في الذين يسعون في الارض فسادا فانهم جاوزوا القصد الى العمل والدأب عليه . . . .
فلا يصح أن يجعل هذا معنىً للسعي هنا

ولعل حماسها الشديد لتقرير هذا الأساس في التفسير أوقعها - من حيث لا تدري - في أنواع ثلاثه من الاخطاء : -

أولها : القصور في الاستقراء :

وذلك بأن تنظر في بعض الآيات المشتركه في لفظ واحد وتقرر المعنى على ضوئها ويفوتها أن تنظر في آيات أخرى مشتمله على اللفظ ذاته ، ولو أدركت ذلك ونظرت فيه لاختلف الحكم الذى وصلت اليه أولا .

ومن الأمثله على ذلك أنها في تفسيرها لقوله تعالى " والضحى والليل إذا سجى" (١) " ترددت في تأويله" أقسم بالضحى وأقسم بالليل إذا سجى" قالت " لأن القرآن الكريم لا يستعمل القسم مسنداً إلى الله سبحانه إلا مع لا النافيه ، بإستقراء كل آيات القسم في القرآن ، فكان لي من هذا الإستقراء ما يؤذن بأنه سبحانه في غير حاجه الى القسم " (٢)

وإذا نظرنا في آيات القسم هذه التي تقول الدكتورة عائشةَ أنها لم تجد القسم فيها مسنداً إلى الله إلا مع لا النافيةَ وجدنا الأمر غير ذلك فهناك مواضع أقسم الله بها بنفسه من غير أن ينفيها بـ لا فمن ذلك قوله سبحانه : -

---

(١) سوره الضحى : ١ ، ٢
(٢) التفسير البياني : د / عائشه عبد الرحمن جـ١ ص٢٥

" فوربك لنحشرنهــــم والشياطين" (١)

وقولـه " فوربك لنسألنهم أجمعين " (٢)

وقوله " فلا وربك لا يؤمنـــون حتى يحكموك فيما شجر بينهم " (٣)

وقوله " فورب السمـاء والارض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون" (٤)

فهـذه كلها أقسام مسنده إلى الربّ وهو الله سبحانه وتعالـــــى وغير منفية بـ لا وعلى هذا يظهر قصورهـــا في الاستقراء .

ونذكر مثلا آخر على ذلك عندها أنهـــا ممن يرفض القول بالترادف اللغوى وترفض تفسير القسم بالحلف وتقول " وفى القاموس: حلف : أى أقسم . . . . . . لكن التتبع للاستعمال القرآنى يمنع هذا الترادف : فلقد جاءت مادة "حلف" فى القرآن الكريم فـــي ثلاثـــه عشر موضعـــا كلها- بغير إستثنـــاء - فــــى مقام الحنث باليمين وأكثرهـــا مسند إلى المنافقين " (٥) ثم ساقـــــت المؤلفة الآيات تلك وقالت: " امـــا القسم فيغلب مجيئـــه فـــى الأيمـــان الصادقـــــه " (٥)

ولنـــا معهـا وقفه . . عند آيات من القرآن الكريم جاء فيهـــا القسم فى مقام الحنث باليمين وهو خلاف ما توصلت اليه نذكر من هذه الآيات:-

قوله تعالى :-" اقسموا باللـــه جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطـــت أعمالهـــم فأصبحـــوا خاسريـــن " (٦)

وقال سبحانـــه " وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله مـــن يمـــوت " (٧)

---

(١) سوره مريـــم : ٦٨
(٢) سوره الحجـــر : ٩٢
(٣) سوره النساء : ٦٥
(٤) سوره الذاريـــات : ٢٣
(٥) التفسير البيانى : د / عائشه عبد الرحمن : ١ ص ١٧٣ - ١٧٤
(٦) سوره المائـده : ٥٣
(٧) سوره النحـــل : ٣٨

وقال سبحانه " ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة "(١)

وقال سبحانه" وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الامم فلما جاءهم نذير مازادهم إلا نفورا"(٢)

وقال سبحانه " واقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آيةٌ ليؤمنن بها "(٣)

وقال سبحانه أهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمه ادخلوا الجنة "(٤)

وقال سبحانه " أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال "(٥)

هذه بعض الآيات فى " القسم " التى جاءت فى مقام الحنث صحيح أنَّ الدكتورة عائشه عَدَّت هذا النوع وقالت " وحين يسند القسم فى القرآن إلى المجرمين فإنهم في ظنهم غير حانثين "(٦)

لكن هل يصح القول أنهم يظنون أنهم كذلك في آيه المائدة السالفه " واقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين " لا شك أنهم وهم يقسمون يعلمون أنهم حانثون لأن ما اقسموا عليه ليس في درجه الظن بل حقيقته بَيِّنه في قلوبهم.

وهل يصح ذلك أيضا فى آية سورة إبراهيم" أو لم تكونوا أقسمتم

---

(١) سوره الروم : ٥٥
(٢) سوره فاطر : ٤٢
(٣) سوره الانعام: ١٠٩
(٤) سوره الاعراف : ٤٩
(٥) سوره ابراهيم : ٤٤
(٦) التفسير البيانى : د / عائشه عبد الرحمن جـ١ ص ١٧٤

من قبل ما لكم من زوال" فهل كانوا يعتقدون حقيقةً الخلود ؟ !
أم أنهم كانوا يقسمون وهم يعلمون كذبهم وحنثهم - عناداً واستكباراً

وبهذا الذى قلناه وغيره يظهر لنا أن الحلف والقسم على معنى سواء من ناحية الحنث وعدمه ولا تصح هذه التفرقه التى توصلت إليها الدكتورة عائشةَ .

وتخطىء الدكتورة عائشة - وكلنا يخطىء ويصيب - أحيانا بعد أن تستقرىء آيات القرآن فى لفظة واحدة لكنها والحماس يدفعها لا تصيب البيان الصحيح لبعض الآيات وذلك كالمثال السابق مباشرة حيث ظنت أن المجرمين فى ظنهم غير حانثين بالقسم فبنت على ذلك ما بنت.

ومنه المثال الذى ذكرته قبل صفحات فى استقرائها لدلاله " السعى " فى القرآن الكريم -

ومنه أيضا ما قالته فى معنى" مثقال" فى قوله تعالى " فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره "(١) فقد ذكرت أن " مثقال" وردت فى القرآن الكريم ثمانى مرات فى اثنتين منها أضيف مثقال إلى حَبَّةَ من خردل . ثم رجحت أنّ المقصود بمثقال حبة من خردل هنا ليس خفه الوزن وانما ضآله الحجم . وفى المرات الست الباقيه اضيف" مثقال" إلى ذَرَّة رَجَّحَتْ فى اثنتين منها " ضآله الحجم " ثم قالت " على حين تتعين دلاله " مثقال ذره " على خفة الوزن فى الآيات الأربع الباقيه"(٢)

وحين ننظر فى استقرائها هذا فإنّا نجدها جعلت المراد بـ" مثقال " فى قوله تعالى " ونضع الموازين القسط ليوم القيامه فلا تظلم

---

(١) سوره الزلزله : ٧
(٢) التفسير البيانى : د / عائشه عبد الرحمن جـ١ ص ١٠٠ - ١٠١

نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين"(١) ضآلة الحجم وليس خفة الوزن ، ولا أدري ما الذى جعلها تحمله على ذلك مع أن الآيه تتحدث عن وضع الموازين لوزن الأعمال فكان هذا قرينه على أن المراد بالحبة من خردل الوزن ، وليس الحجم ،

وفى مقابل هذا جزمت الدكتورة عائشة بأن المراد بـ "مثقال" في قوله تعالى " قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله ، لا يملكون مثقال ذره فى السموات ولا فى الأرض" (٢) جزمت بغير قرينة بأن المراد خفه الوزن مع أنه قابل لضآله الحجم أيضا

والامثله على اخطائها فى الاستقراء كثيرة نكتفي بما ذكرنا منها

ثانيها : تحديد المعنى قبل الاستقراء اللغوى :

وقد سبقنى بإدراك هذا الدكتور كامل سعفان حيث قال " ان الدكتورة عائشة تمضي في الإستقراء اللغوي بعد تحديد المعنى فيبدو عملا لا مبرر له " (٣)

والامثلة أيضا على هذا كثيرة

فى تفسير قوله تعالى " اذهب الى فرعون إنه طغى"(٤) حَدَّدَتْ معنى الطغيان أولاً ثم إتجهت إلى الإستقراء ثانيا فقالت :-

" والطغيانُ تجاوز الحد ، ويستعمل لغة في الماء يتجاوز الحد الى

---

(١) سوره الانبياء : ٤٧
(٢) سوره سبأ : ٢٢
(٣) المنهج البيانى فى تفسير القرآن الكريم : د / كامل على سعفان ص١٢١
(٤) سوره النازعات : ١٧

الخطـر ، ومنه في القرآن : إنّا لمّا طغى الماءُ حملناكم في الجـاريـــةَ " (١)
وفسروا الطاغية كذلك بالطوفان فى قوله تعالى " فأما ثمود فأهلكـــــــوا
بالطاغيـةَ " (٢)

على أن أكثر استعماله القرآني : في تجاوز الحد فى العصيـــــان
والكفر وهو المعنى القريب فى آيات . . . . . . ـ ذكرت المؤلفة عدداً منهـــاـ
ثم قالـت . . . . كما جاء بمعنى تجاوز الحد في التجبر والعتو والظلم فـــى
آيـــات . . . " (٣)

وهي ـ كما ترى ـ حـددت المعنى أولاً ثم استقرأت الآيات ثانيـــــا
ووصلت بها الى أن أكثر استعماله القرآنى في تجاوز الحد وهو ما ذكرتـــه
أولا فبدا عملها لا مبرر لـه .

ومثلا آخر تفسير الشَدّ حيث قالت في " وإنه لحبِّ الخير لشديـــد " (٤)
" الأصل في الشَـــدّ قـوة العـقـد والوثاق والإحكام ماديا كما فى آيه محمد ٤
ومعنويا في مثـل آيـات : ـ يونس ٨٨ . . . الدهـر ٢٨ . . طه ٣١ . .
القصص ٣٥ . . . ص ٢٠ . . . كما يعبر القرآن عن بلوغ الرشد والقـــوة
بصيغة بلغ ، أو يبلـغ أشـده في مثـل آيات الانعام : ١٥٢ الاســـراء ٣٤
يوسف ٢٢ القصص ١٤ غافـر ٦٧ الاحقاف ١٥ الكهف ٨٢ الحج ٥ .
أما صيغه شـديد فجاءت في القرآن في نحو أربعـين موضعـــا " (٥)

---

(١) سورة الحاقـــه : ١١
(٢) سورة الحاقـــه : ٥
(٣) التفسير البيانى : د /عائشه عبد الرحمن جـ ١ ص ١٢٨
(٤) سورة العـاديـــات : ٨
(٥) التفسير البيانى : د عائشـه عبد الرحمن جـ ١ ص ١٦٢ - ١٦٣

وهى هنا - أيضا - كما ترى قدمت تحديد المعنى على الاستقراء وهو خلاف الاصل في هذا المنهج ، لكنها والحق يقال كثيرا ما تلتزم الأصل فى ذلك .

ثالثها : إعتدادها الشديد باستقراءها :

وظهر هذا بصور متعددة وأنماط مختلفة منها :-

١ - أنها تتيه بما توصلت اليه من معنى لكلمة قرآنية على المفسرين وأنها لم تقرأ لأحد منهم مثل هذا ، وكثيرا ما تفعل هى ذلك .

٢ - تقلل وتستصغر بصيغ متعدده متنوعه من شأن المفسرين السابقين وما توصلوا إليه من آراء .

٣ - جزمها بصحة ماوصلت اليه وأنه هو المتعين وتخطئتها كلَّ قول سواه .

٤ - أنها تضع نفسها فى مقابل المفسرين فتذكر إجماعهم على معنى أو تسوق القول منسوبا إليهم بصيغة الجمع . ثم تذكر مقابل ذلك رأيها المخالف لما جاءوا به .

هذه أهم صور إعتدادها برأيها أذكرها هنا إجمالا وللتفصيل موضعه عند بيان رأيي فى تفسيرها إجمالا وإنما ذكرته هنا لأن جهودها فى استقراء ألفاظ القرآن هي مبعث ذلك وسببه بل أنّا نجده في هذه المواضع التى تستقرئ بها كلمةً أو كلماتٍ قرآنيه .

هذه - فيما أرى - أهم الامور التى أوقعها فيها حماسها الشديد لتقرير أساس " الإستقراء لالفاظ القرآن الكريم عند التفسير "

ولئن أطلت الحديث عن هذا الأساس فلأنه جوهر منهجها وأصله بل عموده الذى يقوم عليه . ولعلي بعد هذا أذكر الاساس الثالث الذى يقوم عليه تفسيرها .

ثالثا : الاهتمام بدلالة السياق :-

وهى سمة قصرتها المؤلفة على منهجها الموضوعي وقطعت السبيل على المناهج الأخرى للاهتداء إلى تفسير القرآن إن لم تسلك منهجها وأنهم لم يبلغوا مبلغا لذلك . . .

قالت " والأصل في منهج التفسير الأدبي كما تلقيته عن أستاذي هو التناول الموضوعي الذي يفرغ لدراسة الموضوع الواحد فيه ، فيجمع كل ما في القرآن عنه ويهتدي بمألوف إستعماله للألفاظ والأساليب بعد تحديد الدلالة اللغوية لكل ذاك . . . . وهو منهج يختلف تماما عن الطريقة المعروفة في تفسير القرآن سورة سورة ، يؤخذ اللفظ أو الآية فيه مقتطعا من سياقه العام في القرآن كله مما لا سبيل معه إلى الاهتداء إلى الدلالة القرآنية لألفاظه ، أو إستجلاء ظواهره الأسلوبية وخصائصه البيانية . . . ويلتزم في دقة بالغة قولة السلف الصالح " القرآن يفسر بعضه بعضا " - وقد قالها المفسرون ثم لم يبلغوا منها مبلغا - ويحرر مفهومه من كل العناصر الدخيله والشوائب المقحمة على أصالته البيانية "(١)

وإذا نظرنا إلى الجانب التطبيقى عندها وجدنا مجموعة من الأمثله منها " العقبة" في قوله تعالى " فلا اقتحم العقبة "(٢) قالت " لكن ما العقبة التي يتحدث عنها القرآن هنا ؟ أتعب المفسرون أنفسهم في تأويلها : ففي الطبرى عن الحسن : عقبة والله شديدة ، مجاهدة الانسان نفسه وهواه وعدوه

---

(١) التفسير البيانى : د عائشه عبد الرحمن جـ١ ص ١٨
(٢) سورة البلد : ١١

الشيطان ، وقريب منه ما قاله الزمخشرى ونقله الشيخ محمد عبده وقيل العقبة جهنم أو جبل فيها . . . إلى أن قالت الدكتورة . . . والواقع أننا في غير حاجة إلى شيء من هذا ومثله ، فالقرآن نفسه قد تولى بيان " العقبة " حين أتبعها بالسؤال اللافت : " وما أدراك ما العقبة ، فَكّ رقبة ، أو إطعام في يوم ذي مسغبة ، يتيما ذا مقربة ، أو مسكينا ذا متربة ، ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة " فهذا بيان مُفَصَّل للعقبة التى يجب أن يقتحمها الإنسان بما تهيأ له من وسائل المكابدة والنضال والإدراك والتمييز وهو كذلك بيان لأوضاع ظالمة نشأت عن غرور القادرين وطغيان أصحاب المال في " هذا البلد " فليس ما كان المجتمع المكي يعانيه من مآسي الرق ومن التصدع الطبقي ومن البغي والإستبداد إلى حد إنتهاك حرمة الرسول في البلد الحرام ليس هذا كله إلا أثرا لطغيان هذا الإنسان الذي غَرَّتْه قوتُه فإستعبد مخلوقين مثله ومَلَكَ رقابهم بأغلال الإسترقاق المهين ،كما زين له جاهُ الثراء أن يباهي بأنه أهلك مالاً لُبَدًا ، وعلى مقربة منه يتيم محتاج أو مسكين لاصق بالتراب أو ضاع مريضة إستقرت على مر الأجيال وتوارثها " هذ البلد " ولداً عن والد وطبقة في أثر طبقة ، وكان الانسان جديرا بأن يقاوم طغيان المال وغرور القوة ، وأن يحتمل أعباء البذل والإيثار من أجل خير الجماعه على ما في ذلك من مشقة وعناء "(١)

ومثلا آخر " الكبد " في قوله تعالى " لقد خلقنا الانسان فى كبد "(٢)

---

(١) التفسير البياني : د عائشه عبد الرحمن جـ١ ص ١٩٢ - ١٩٣
(٢) سورة البلد : ٤

فهي تذكر أن المفسرين لم يختلفوا في أن معناها في آية البلد هو : الشدة لكن أقوالهم شَتّى في تحديد هذه الشدة ، ثم ساقت المؤلفة عددا من الأقوال وعقبت عليها بقولها :"ما نظن المكابدة هنا تنصرف إلى ما ذكروه من مشاق الحمل والنمو والعيش والموت والحساب كما أبى أن يكون " الكبد " في الآية هو مرض القلب وفساد الباطن كما قال الزمخشري "

ثم أبدت الدكتورةُ رأيَها " وإنما الكَبَدُ - فيما نرجح - هو ما هُيّئ له الانسان بفطرته من إحتمال المسئولية ومشقة الاختيار بين الخير والشر ".

وعللت ذلك ب" ووجه إرتباطه بالقسم قبله ، بحال أهل مكة وما إختاروا لأنفسهم من إستحلال أذى الرسول وهو مقيم بالبلد الحرام واضح ظاهر .... وهو أوضح ارتباطا بالآيات بعده من ضلال الغرور بهذا الانسان الذى وهبه الله وسائل الادراك والتمييز وبَيَّنَ له معالم الطريقين : الخير والشر " (١)

وفي تفسير النازعات لم تطمئن الدكتورة إلى ما اطمأن اليه أكثر المفسرين - كما تقول - من أنها الملائكة تنزع الأرواح وإختارت أنها الخيل .... وما نطمئن اليه من تفسير النازعات بالخيل يوجه الآيات بعدها في يسر وبلا تكلف فهي تنزع في عدوها وتغرق فيه وهو الملحظ نفسه في السبح الذي يجمع له السابح قوته وبهذا النزع السابح تسبق إلى الغاية فَتُدَبِّرَ من الأَمر ما أَجمعت له في معاناة " (٢)

---

(١) التفسير البيانى : د عائشه عبد الرحمن جـ١ ص ١٨٥

(٢) المرجع السابق : جـ ١ ص ١٠٩

رابعـــا : القرآن هـو القاعـدة :

ففـي التفسـير تقول " نحتكم الـى سياق النص فـي الكتـاب المحكم ملتزمين ما يحتمله نصـا وروحـا ونعرض عليـه أقـوال المفسرين فنقبـل منها ما يقبله النص ، ونتحاشى ما أقحـم على كتب التفسير مـن مدسوس الإسرائيليـات والتأويـلات المذهبيـة " (١)

وليس الأمر كذلك فـي التفسير فحسب بـل فـي كـل قاعـدة لغويـة أو بلاغيـة حيث تقول : " يكفي أن يأتـي التعبير فـي القرآن - معجـزة البيـان - ليكون هـو الشاهـد والحجـة والأصـل الذي تعرض عليـه كل قاعـدة لغويـة أو بلاغيـة لا أن نحكم فيـه قواعـد من صنع النحـاة والبلاغيين وأكثرهـم طارئـون علـى العربية لـم يكسبوهـا ذوقـا وسليقـة وإن أجادوهـا علما وصنعـة " !! (٢)

ولهذا فهى ترفض كثيراً من تأويلات المفسرين لتوافق قواعـد النحـو ولا يسعنا إلا أن نأتـى ولـو بمثالٍ واحـدٍ لهذا

ففـي تفسير قوله تعالـى " ولسوف يعطيك ربك فترضـى " (٣) قالـت " وفـي الصنعـة الإعرابيـة : أثار بعض المفسرين هنـا مشـكلات ما أغنى البيـان القرآنـي عنهـا : القاعـدة النحويـه عندهـم أن اللام فـي (سوف) إن كانت للقسم لا تدخـل على المضارع الا مـع نـون التوكيـد ، وإن كانت اللام للابتداء فانهـا لا تدخـل الا علـى الجملـة من المبتدأ والخـبر . . .

---

(١) المرجـع السابق : جـ١ ص ١٠

(٢) المرجـع السابق : جـ١ ص ٤٢ وانظـر جـ١ ص ١٠ - ١١

(٣) سورة الضحـى : ٥

لا بـــد اذن من تكلف وإحتيــــال ، لتسوية الصنعـــــــة !

وقـــد رأى الزمخشري أنـــه " لا بـــد من تقديـــر مبتدأ محذوف وأن يكون أصـــل العبارة : و لأنت سوف يعطيك ربك فترضـــى . . . وكذلــــك قـــال " أبو حيـــان " : أنَّ اللام هنـــا لامُ إبتداء أكـــدت مضمـــون الجملـــة علـــى إضمار مبتدأ أي و لأنت سوف يعطيك .

وندرك جـــور الصنعـــة الإعرابيـــة على هذا البيان العالـــي إذا إحتكمنـــا إلـــى حسِّ العربيـــة ، ووازنـــا بين وقع التعبير القـــرآنـــي ولسوف يعطيك ربك فترضـــى ، ووقع ذلك التعبير الآخـــر المقدر . و لأنت سوف يعطيك الذى قال عنـــه " الزمخشري" أنـــه الأصـــل ! !

و أنـــى لبشر يعجزه أن يأتـــي بسورة من مثل هذا القرآن أن يقـــول فـــي آيـــة منه ما يقول " الزمخشري " فـــي آية الضحـــى لا بد مـــــن تقديـــر كذا . . . لأن أصـــل التعبير كذا ."[1]

وكمـــا قلت الأمثلة علـــى هذا كثيرة والغرض البيان لا الاستقصـــــاء ولعلـــه فيما ذكرنـــا إن شاء اللـــــه

خامســـا :- ترك الاطناب عما أُبْهِمَ فـــي القرآن الكريم :

وكثيرا ما تذم أُولئك الذين يطنبون فـــي بيان أمرٍ أغفلـــه النـــــص القرآنـــي ، إذ لو كـــان فـــي ذكره فائدة أو تَرَتَّبَ عليه معنى لذكـــــره القـــــرآن

ففـــي النعيم فـــي قولـــه تعالـــى " ثم لتُسألنَّ يومئـــذ عن النعيم"[2] تقول " وقد إختلف المفسرون في هذا السؤال عن النعيم ، ممن يكـــون ؟

---

(١) التفسير البيانى : د / عائشه عبد الرحمن جـ١ ص٤١ – ٤٢
(٢) سورة التكاثـــر : ٨

ولمن يكون ؟ وأين يكون ؟ فمنهم من قال : ان السؤال يكون من الملائكة ومنهم من قال أن السؤال من الله

واعجبا ! آثر القرآن أن يسكت عن ذكر السائل ، تركيزا للاهتمام في السؤال نفسه ، ويأبى المفسرون إلا أن يختلفوا فيمن يكون السائل ، مع أن صنيع القرآن صريح في الصرف عمدا عن مثل هذا " [١]

وفي قوله تعالى " فأراه الآية الكبرى " [٢] قالت :- "ونؤثر ألا نحدد الآية هنا ما دام القرآن نفسه لم ير تعيينها في هذا الموضع ، مكتفيا بوصفها بالكبرى وهي صيغة تشهد بمبلغ دلالة الآية على صدق موسى وعلى قدرة ربه ، رب فرعون والناس جميعا" [٣]

وفي قوله تعالى " ما ودعك ربك وما قلى " [٤] قالت . . . .
ولا نرى أن نقف هنا عند ما ورد في بعض كتب التفسير من تحديد سبب الإبطاء في الوحي بتأويلات دخيله . . . وما نراها وأشباهها مما يتعلق به النظم القرآني ، وإلا لما سكت عنها . . . . . .
كذلك لا نرى وجها للوقوف عندما ذكر مفسرون في تحديد مدة الابطاء . . .إذ يغنينا عن مثل هذا سكوت القرآن نفسه عن تحديد فترة الوحى باليوم أو بالشهر ، ولو كان البيان القرآني يرى حاجة إلى هذا التحديد ليزيد في اليقين النفسي أو يبلغ غايته من البيان لما أمسك عن ذلك ، لأن مقتضى البيان أن يستوفي كل ما يدعو إليه المقام مما يتصل بغايته ، فإذا أمسك هنا عن ذكر سبب الإبطاء وتحديد مدته

---

(١) التفسير البياني : د / عائشه عبد الرحمن جـ١ص٢١٨
(٢) سورة النازعات : ٢٠
(٣) التفسير البياني : د / عائشه عبد الرحمن جـ١ص١٣٠
(٤) سورة الضحى : ٣

فلأن الذي يعنيه من الموقف هو جوهر الموقف لا تفصيلاته الجزئية .... فالمهم هنا هو جوهر الموقف ولا شيء من جزئياته بذي جدوى على المعنى وإلا لكان إهماله والسكوت عنه قصورا في حساب البلاغة باعتراف أصحابها أنفسهم ومعاذ البيان المعجز أَنْ يُظن به أي وجه من القصور "(١)

لكن ما نأخذه عليها في هذا أنها وهي تعيب على هؤلاء المفسرين خوضهم فيما أبهمه القرآن نراها أحيانا تورد أقوالهم وتوازن بينها وتنقل نصوص أصحابها من مصادرها الأصلية ثم بعد هذا كله تقول " والأليق بجلال الموقف أن يكتفى فيه بالرضى على ما أراد له البيان القرآني فوق كل تحديد ووراء كل وصف وتدعو إلى عدم الخوض في مثل هذا وكان الأولى أن لا تورد هذه الأقوال التي عابتها عليهم وتكتفي بالاشارة اليها وانظر مثلا لذلك ما أوردته لهم في بيان ما أعطاه الله لنبيه في قوله تعالى " ولسوف يعطيك ربك فترضى "(٢) "(٣)

سادسا : رفض التفسير العلمي التجريبي :-

لا أعرف احدا في العصر الحديث - فيما قرأت - رفض التفسير العلمي بقدر رفض الدكتورة عائشه له فهي تبدي حماسا شديدا للرفض فلها في ذلك كتاب مستقل وفصول في كتاب ومقالات في مجلات.

ويبدو أن موقفها هذا متأثر بموقف أستاذها أمين الخولي

---

(١) التفسير البياني : د / عائشه عبد الرحمن جـ١ ص ٣٦ - ٣٧
(٢) سورة الضحى : ٥
(٣) التفسير البياني : د / عائشه عبد الرحمن جـ ص٣٩ - ٤١

الذى علمها هذا المنهج في التفسير في ضميرها وقلبها وعقلها كما تقول في إهداء غالب مؤلفاتها

ولا يخفى أن رفض التفسير العلمى من أول ما يرد بناءا على أصول منهجهم وهم يرفضونه لثلاثة أسباب

الاول : الناحية اللغوية في حياة الألفاظ وتدرج دلالتها لو ملكنا منها - ما لا بد ان نملكه - فى تحديد هذا التدرج وتأريخ ظهور المعاني المختلفة للكلمة الواحدة ، وعهد إستعمالها فيها لوجدنا من ذلك ما يحول بيننا وبين هذا التوسع العجيب في فهم ألفاظ القرآن وجعلها تدل على معانٍ واطلاقات لم تُعرف لها ولم تُستعمل فيها ....

الثاني : الناحية الادبية أو البلاغية ،و البلاغة فيما يقال مطابقة الكلام لمقتضى الحال فهل كان القرآن على هذا النحو المتوسع فى التفسير العلمي كلاما يوجه إلى من خوطب به من الناس في ذلك العهد مراداً به تلك المعاني المذكورة مع أنها معان من العلم لم تعرفها الدنيا إلا بعد ما جازت آمادا فسيحةً ..

الثالث: الناحية الدينية أو الإعتقادية : وهي التى تبين مهمة كتاب الدين وهل هو كتاب يتحدث إلى عقول الناس وقواهم العالمه عن مشكلات الكون وحقائق الوجود العلميه ؟ .....
والحق البين أنَّ كتاب الدين لا يعنى بهذا من حياة الناس ولا يتولاه بالبيان ولا يكفيهم مؤنته حتى يلتمسوه عنده ويعدوه مصدرا فيه " (١)

---

(١) التفسير معالم حياته منهجه اليوم : امين الخولى ص ٢٥ - ٢٦

ولئن كان هذا قول الأستاذ فلقد وصفت التلميذة التفسير العلمي بأنه " خطر على عقلية الجماهير ، أن تخايلها بهذة الألفاظ المضخمة من بدع التأويلات العصرية العلمية ، تمسخ عقليتهم ويختل بها منطقهم وتُخَدّر وعيهم بغرور السبق إلى علوم العصر" (١)

وانظر ما قالته الدكتورة في تفسير قوله تعالى " خَلَقَ الإنسانَ من عَلَق" (٢) فقد أوردت تفسير الزمخشرى " إن في الآية تفخيماً لخلق الانسان ودلالة على عجيب فطرته" قالت" .... وقد نقله الرازى ثم أضاف اليه في تأويل " عَلَّمَ بالقلم " كون الانسان من علقه وهي أخس الأشياء ثم صيرورته عالما والعلم أشرف المراتب.... ثم أوردت الدكتورة عائشة قول أبي حيان وعقبت على هذه الأقوال بقولها " وكل هذا مما يمكن أن يقال ، وليس هو على أيِّ حال بأبعد مما إبتدعه محدثون إتجهوا بهذه الآية إلى مجال البحث في علم الأجنة والتمسوا المراجع الأجنبية لعلماء الفسيولوجيا والبيولوجيا لفهم آية نزلت على النبي الأمي في قوم أميين لم يسمعوا قط ولا سمع عصرهم بعلم الأجِنَّة ، وغير متصور أن يكون القرآن الكريم قَدَّمَ لهم من آيات ربوبية الخالق وقدرته ما لا سبيل لأحد منهم إلى تصوره فضلا عن فهمه وإدراكه

وإنما فهموا من العلق ما تعرفه لغتهم وبيئتهم وعصرهم والعربية قد إستعملت العلق ماديا في كل ما يعلق وينشب:ـ كالدم ، والمحور الذى تعلق عليه البكرة ، وعلقت المرأة حملت ، ومعنويا في العلاقة

---

(١) القرآن وقضايا الانسان : د / عائشه عبد الرحمن ص ٤٢٨

(٢) سوره العلق : ٢

تنشب بين إثنين حبا أو بغضا وفي الضلة تربط بينهما

ولمَ يكونوا في حاجة إلى درس في علم الأَجنّة أو مراجعة كتاب في المكتبة الأُمريكية التى ظهرت بعد هم بقرون ، ليفهموا آية خلق هذا الانسان من عَلَق في أرحام الأُمهات وهم الذين أَلِفُوا إستعمال : علقت المرأه ، بمعنى حملت

وإستعمال العلق هنا ، جمع علقة ، إيذان بما ذهبنا إليه من إطلاق في عموم لفظ الانسان

ولا يشير السياق إلى أن القصد من " خَلَقَ الإنسانَ مِنْ عَلَق " توجيه المصطفى ومن يؤمنون برسالته إلى النظر في علم الأجنة وإنما هي آية الله في هذا الانسان :- خلقه من علق وخَصَّه بالعلم ، واحتمل أمانة التكليف فازدهاه الغرور وأطغاه الشعور بوَهْم الإستغناء عن خالقه فنسي أن إليه سبحانه الرجعى والمصير." (١)

وتصف الدكتورة عائشه التفسير العلمي بأنه " بدعة" عند تناولها بالتفسير لقوله تعالى " فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره " (٢) حيث تقول : =

" وجاء محدثون ببدعة التفسير العلمي فذهبوا إلى أنها الذرة التى إكتشف العلم سرها في القرن العشرين !!

- ثم علقت على هذا قائلة " والواقع أن مثل هذا التحديد ليس مراد ، القرآن ولا هو من مألوف بيانه . والعربية قد عرفت الذَّر في كل ما يُمَثّل الضآلة والصغر وخفة الوزن تقول :- ذررت الملح والدقيق والفتات

---

(١) التفسير البيانى : د / عائشه عبد الرحمن جـ٢ ص١٨ -١٩
(٢) سورة الزلزله : ٧

نثرته باطراف الأصابع والذر الهباء يُرى في شعاع الشمس وبولغ في وصف تناثر النمل الصغير المنبث فقيل : - ذر وفي لسان العرب نص صريح على أنّ "الذرة ليس لها وزن" لفرط صغرها وخفتها

ونؤثر أن نفهمها في ضوء هذا الحس اللغوي وعلى هدي البيان القرآني دون تكلف لتقدير الأوزان والأحجام والألوان وما فهم العرب الذين بعث فيهم رسول " منهم من قوله تعالى مثقال ذرة الا أنه التناهي فى الضآله والخفه والصغر حتى ليكون من الهباء الذى لا وزن له وهو ما يتلاءم ماديا وفنيا مع جو الموقف ونسق السياق من الزلزلة والإنفجار والتفتيت والتشتيت فهم يخرجون أثقالا ويصدرون أشتاتا ويرون أعمالهم مثقال ذرة من خير أو شر " (١)

ولعل فيما ذكرناه ما يظهر حقيقة موقفها من التفسير العلمي ترفضه كل الرفض وتذمه كل الذم لأنه يخالف قواعد وأصول منهجها الأدبى ولا شك - أنها - وفقها الله - قد تطرفت في الرفض دفعها الى ذلك - فيما أحسب - تطرف خصومها في التفسير العلمي والحق وسط بينها وبينهم - وقد أفردناه بدراسة خاصة في حديثنا عن المنهج العلمي التجريبى ولا نرى موجباً لإعادته هنا فليُنظر هناك .

سابعا : التفسير الموضوعي

لا شك أن الأسس - أى أسس - ليست على درجة واحدة دائما فقد يكون بينها تباين في القيمة وان استوت في النوع واذا نظرنا

---

(١) التفسير البياني : د / عائشه عبد الرحمن جـ١ ص ١٠٢

الى أسس منهج التفسير البياني فانا ولا شك نرى أن أهم هذه الأسس اثنان :

١ - الاستقراء للمفردات

٢ - التفسير الموضوعي

وللتناول الموضوعى عند الدكتورة عائشه منزلته أيضا بل عدته فى مقدمة تفسيرها الأصل الذى يقوم عليه المنهج في التفسير فقالت:

" والاصل في منهج التفسير الأدبي - كما تلقيته عن أستاذى - هو التناول الموضوعي الذى يفرغ لدراسة الموضوع الواحد فيه فيجمع كل ما في القرآن - عنه ويهتدى بمألوف استعماله للألفاظ والأساليب بعد تحديد الدلالة اللغوية لكل ذاك ..... وأتجه بمحاولتى اليوم الى تطبيق المنهج في تفسير بعض سور قصار ملحوظ فيها وحدة الموضوع فضلا عن كونها من السور المكية حيث العناية بالأصول الكبرى للدعوة الاسلامية "(١)

لكن هل التزمت الدكتورة عائشه هذا الاصل الذى دعت اليه؟ سجل مخالفتها لهذا الدكتور عفت الشرقاوى ومن بعده الدكتور محمد ابراهيم شريف فقال الأول ونقل عنه الثاني " ولقد نلاحظ أن المؤلفة قد خالفت أستاذها فلم ترتبط بفكرة الموضوع التى طال دعوته اليها ، ولو فعلت لكان أمامها فسحة من الدراسات المنتجة الخصبة ذلك أن التحديد الموضوعى يسعف على تنبه دقيق الى الدلالات المستخدمة في الموضوع ، وعلى كل حال فان المؤلفة فسرت هذه السور القصار ، فلم تبعد كثيرا - عن التفسير الموضوعى لأن الوحدة الموضوعية ملحوظة في كل سورة على

---

(١) التفسير البياني : د / عائشه عبد الرحمن جـ١ ص ١٨

حـدة الى حـد مـا ، وفوق ذلك فان تفسير السـور يفتح مجالا ت ، أخـرى أمام المفسـر ، قد تختلف عن الدراسـة الموضوعيـة ومـن ذلك مثلا مسألة المناسبة بين الآيـات وملاحظـة السياق فـي السورة الواحـدة "(١)

وكان من ذلـك ما قـدمتـه الدكتورة عائشـة فـي تفسير سورة ، العاديـات حيث قالت :- وتبدأ بعرض صورة مثيرة لغارة عنيفـة مفاجئـة ، تباغت القوم صبحـا فلا ينتبهـون اليهـا الا وقد توسطـت جمعهـم فبعثر تهم وسط عاصفـة من النقع المثار

وتقع هذه الصورة العنيفـة بعد واو القسم لافتـة الى ما عهـد القوم من مثل تلك الغارات المفاجئة المصبحة ، وما تحدث من بعـثرة وحيرة وارتباك ثـم تأتـي بعدهـا صورة أخرى لغيب غير مشهـود ، ولكنه واقع حتمـا . . ذلك هو البعث يفجأ على غير موعـد فاذا هـم فـي حيرة وبعثرة وارتباك ، وقد لفظتهم القبور لليوم الآخـر كالفراش المبثوث ، واذا كل ما فـى صدورهم قد حصـل لم تفلت منه خافيـة مضمـرة ، مطويـة في أعماق الصدور ومستكن الضمير

وفـي كل لفظ من الصورة ،(٢) بـل فـي كل حرف منها سرة البيانـي الرائـع فيما قصـد اليه القرآن من احضار مشهد ليوم البعث شاخصـا مجسمـا ، وتأكيد وقوعـة ، والانذار بما ينتظر الانسان فيه من حساب دقيق عسير"(٣)

هذا مثـل من الأمثلة القليلـة لتطبيق التناول الموضوعى فى التفسير عند الدكتورة عائشـه

---

(١) اتجاهـات التفسير فى مصر فى العصر الحديث: د عفت محمد الشرقاوى ص٣١٧ " واتجاهات التجديد في تفسير القرآ ن الكريم فى مصر د : محمد ابراهـيم شريف ص٥٩٧

(٢) كذا وردت ولعلهـا تريد " السورة "

(٣) التفسير البيانى : د / عائشه عبد الرحمن جـ١ ص ١٥١

رأيي في تفسيرها :

ذكرت أثناء عرض أسس منهجها بعض المخالفات للمنهج أو الاخطاء التى أحسب أن الدكتورة عائشه قد وقعت فيها ، ولعلى أذكر هنا الملاحظات العامة

فمنها ما سبق - أيضا - أن أشرت اليه والى صوره اجمالا ووعدت بضرب الأمثلة فيما بعد وهذا أوان انفاذ الوعد ،

قلت هناك ان من عيوبها - وجل من لا عيب فيه - اعتدادها الشديد بآرائها وذكرت له أربع صور :

أولها :- أنها تتيه بما وصلت اليه من معنى لكلمة قرآنية على المفسرين

والأمثله على هذا كثيره منها قولها " هذا ما نطمئن اليه في التفسير البياني للقسم بالضحى والليل اذا سجى ، ولا أعرف - فيما قرأت - أحدا من المفسرين التفت الى هذا الملحظ التفاتا واضحا متميزا ، وان يكن بعضهم قد استشرف له من بعيد ، لكن وسط حشد من تأويلات شتى ، لا تخلو من تكلف واغراب " (١)

وفي موضع آخر تقول " ولا أعرف أحدا من المفسرين أو البلاغيين التفت الى اطراد هذه الظاهرة الاسلوبية في القرآن مع وضوحها الى درجة العمد والاصرار " (٢) قالت هذا في طبعة تفسيرها الأولى ولما أعادت طبعه عدلت العبارة إلى" وقد شغل أكثر المفسرين والبلاغيين بتأويل الفاعل عن الالتفات الى اضطراد هذه الظاهرة الأسلوبية في هذا الموقف مع وضوحها الى درجة العمد والاصرار ،

---

(١) التفسير البياني : د / عائشه عبد الرحمن جـ١ ص ٢٦ - ٢٧
(٢) المرجع السابق : الطبعة الاولى جـ١ ص٧٠ والطبعة الثالثةجـ١ص٨٥

وسرها البياني دقيق جليل " (١)

وثانيها أنها تقلل بصيغ شتى من شأن المفسرين السابقين وتفسيرهم وتسوق عباراتها عنهم أحيانا بما يشبه السخرية بل لم أجد كلمة " المفسرين " في كتابها الا وسياقها كذلك وهو أمر خطير خطير

ولست بالأول ولا بالوحيد الذى أدرك ذلك منها فهذا الدكتور محمد ابراهيم شريف يقول " ما كان هناك من مبرر لحملتها السافرة على قدامى المفسرين واعتدادها الشديد بما تحقق من نتائج ووصفها المفسرين بالدأب على افساد البيان القرآني" (٢) ومن قبله الدكتور عفت الشرقاوى قال " ولكن ما يلفت النظر في منهج المؤلفة حملتها السافرة على قدامى المفسرين واعتدادها الشديد بما تحقق من نتائج " (٣)

وتصف كثيرا نتاج المفسرين بصيغة الجمع بصفات تستغرب من ذلك قولها " واكثر المفسرين على أن " يصدر الناس" هنا بمعنى يخرجون من القبور.... وتفسير يصدر ب" يخرج أو ينصرف بعيد عن حس العربية ..." (٤) وقالت " ولكن كثيرا من المفسرين ذكروا في أشتات أقوالا بعيده لا يعين عليها الحس اللغوى للمادة " (٥) وتقول " ولشد ما تكلف المفسرون في تأويل الساهرة " (٦) وقالت " وأيان : للبعد ولا أدرى لم فات جمهرة المفسرين أن يلحظوا موقعها هنا على كثرة تعلقهم بما له اتصال بالصنعة النحوية " (٧)

(١) المرجع السابق : الطبعة الأولى جـ١ ص٠٧والطبعة الثالثهجـ١ص٨
(٢) اتجاهات التجديد في التفسير القرآن الكريم في مصر : د / محمد ابراهيم شريف ص ٦٠٧
(٣) اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث: دعفت محمد الشرقاوىص ٣١٧
(٤) الى (٧) انظر التفسير البياني : عائشه عبد الرحمن الصفحات حسب الترتيب جـ١ص٩٧ ، ٩٩ ، ١٢٥ ، ١٤٥ ،

وقالت " وتدبر هذه الآيات يرينا مافي قول المفسرين .... من جور على المعنى القوى المثير "[(١)] وقالت " لكن ما العقبة التى يتحدث عنها القرآن هنا ؟ أتعب المفسرون أنفسهم في تأويلها ... والواقع أننا في غير حاجة الى شيء من هذا ومثله "[(٢)] وقالت " وليس بعجيب أن يفوت هذا السر البياني جمهرة المفسرين الذين كان جهدهم أن يجمعوا كل ما يمكن أن يحتمله المدلول المعجمي للفظه وكل ما قيل فى تأويله دون أن يلتفتوا الى الايحاء الباهر للفظ " زرتم " "[(٣)] وقالت " فتأويل المفسرين - فيما قرأت - المقابر بالقبور ليس الا أثرا لمنهجهم في تناول مفردات القرآن تناولا لفظيا معجميا مجردا عن ايحاء سياقه وسره البياني معزولا عن الاستعمال القرآني "[(٤)] وقالت " وليس النص القرآني فى وضوح بيانه بمسئول عن هذا الخلاف ، وانما يسأل عنه منهجهم فى التفسير وهو منهج لا يرى بأسا في تفسير الآيه الواحدة بالنقيضين كيلا تفوته الاحاطه بما قيل فى الآية "[(٥)] وتقول بلهجة ساخرة " ثم يجيء المفسرون - غفر الله لهم - فيقولون .... وفاتهم النذير العالي الصادع .. واعجبا آثر القرآن أن يسكت عن ذكر السائل .... ويأبى المفسرون الا أن يختلفوا فيمن يكون السائل .... لكن كيف يمكن ادخال المؤمنين مع الكفار فى سؤال واحد ؟ الجواب عند المفسرين حاضر .... "[(٦)]

معذرة أن أطلت فما ذكرت الا القليل من عباراتها بل لم أجدها في أى موضع - فيما قرأت - تذكر المفسرين أو قولا لهم موضع الثناء والقبول اللهم الا مرة واحدة قالتها فى المقدمة ... قالت هناك : " وما يجرؤ منصف على أن يجحد فضل أحد من هؤلاء جميعا وهم الذين بذلوا في خدمة القرآن جهودا جليلة وتركوا آثارهم من بعدهم شاهدة بمقدار ما عانوا"[(٧)]

---

(١) إلى (٥) انظر التفسير البياني : د - عائشة عبد الرحمن الصفحات حسب الترتيب جـ ١ ص ١٦٥ ، ١٩٢ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩

(٦) التفسير البيانى : د عائشة عبد الرحمن جـ ١ ص ٢١٨-٢١٩

(٧) المرجع السابق : جـ ١ ص ١٧

لكن هل تشفع لها هذه الكلمة في المقدمة أن تقف هذه الوقفات الكثيرة في تفسيرها منهم وهل يشفع لها هذا أن تذكر أقوالهم دائما بصيغة الرفض والانكار و . . . . . و . . على كل حال - غفر الله لنا ولها - ولعلها تعيد النظر فيما قالت مادام في العمر بقية وفي الأجل فسحة .

ثالثها جزمها بصحة ما توصلت اليه وتعين القول به ورفض ما سواه . حتى وان كان لم يورده أحد من المفسرين من قبل وعلى هذا فكل من سبقها وسبق عصرها لم يصل الى الحق حتى قالته واقرأ معي قولها " ولكن هذا المعنى المتعين ، هو الوحيد الذى لم يذكره المفسرون - فيما قرأت - وهم يعدون كل ما يمكن أن يقال في تفسير " النعيم " ويذكرون فيه ذلك الحشد المختلط الا نعيم الآخرة الذى يصر القرآن على تخصيص لفظ النعيم به ، والذى يجب أن يحتكم وحده فى توجيه آية التكاثر "[1]

والحق أن المفسر القديم كان أكثر حيطة منها حين وضع في اعتباره أن التفسير قول على الله وخشي دائما القطع بقول لا يعلم أنه مراد الله من قوله فلم يكن يجرؤ على الجزم بتأويل واحد - يكون ما عداه خطأ - ما لم يرد في ذلك نص صريح وانما فهم أن النص الذى يقبل التأويل هو طائفة من الامكانات وقد يرجح بعضها مستعينا في ذلك بالسياق العام للنص ولكنه لم يجزم بمعنى واحد يخطىء ما سواه كما فعلت الباحثة "[2] ولا يمكن - كما يقول الدكتور عفت الشرقاوى - أن يبلغ اعتزاز المفسر المنصف برأيه حدا يجعله يخطىء بصرامة وحدّة آراء الآخرين أمام هذا النص ، الا اذا كان صاحب نحلة أو هوى خاص "[3]

---

(١) المرجع السابق : جـ ١ ص ٢٢٣

(٢) اتجاهات التجديد فى تفسير القرآن الكريم فى مصر : د محمد ابراهيم شريف ص ٦٠٧

(٣) اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث : د عفت الشرقاوى ص ٣١٨

رابعها اعتدادها بنفسها الى درجة أنها تذكر أقوالهم مقابل قولها فتقول مثلا لا نستطيع أن نطمئن الى تفسير " النازعات" بما أطمأن اليه أكثر المفسرين" (١) وكان الاولى أن تذكر رأيها بغير هذه الصيغة ، وتقول في موضى آخر" ونتفق مع المفسرين في ...." (٢) وقالت (" ولا حاجة بنا بعد هذا الى الوقوف عند ما قاله بعض المفسرين في ...." (٣)

وقالت " لكن المفسرين أجمعوا على .... الى أن تقول ..... وعندى ... وتقول .... وحين تلوذ بكتاب العربية الأكبر ومعجزاتها البيانية الخالدة نهتدى الى هذا الملحظ الذى غاب عمن قيدهم جمود المصطلح النحوى فطبقوه صنعة شكلية بعيدا عن ذوق العربية " (٤) وتقول أخيرا " واختلفوا كذلك في ... وأمام هذا الاختلاف نلوذ بالقرآن الكريم .... هذا المعنى المتعين هو الوحيد الذى لم يذكره المفسرون " (٥)

هذه صور أربع لاعتدادها بتفسيرها وما توصلت اليه من آراء حبذا لو تخلصت منها الدكتورة عائشه حتى تظهر صورة تفسيرها أكثر جلاء وآكثر قبولا وما أجملها من صورة

واذا ما أردنا أن نقيم هذا التفسير في هذا المنهج فان هذا يذكرنا بملاحظة سبق ذكرها ألا وهي تخلف النتائج عن المقدمات أعني قصور المحاولات التطبيقية عن الأسس الموضوعة والقواعد المرسومة لهذا المنهج ذلكم أن هذا المنهج حتى ساعتنا هذة فيما قرأت ـ لم يشهد تطبيقا كاملا في احدى محاولات التفسير ذلكم أن بعضها يأخذ بشق ويأخذ بعضها بالآخر .

---

(١) الى (٥) التفسير البياني : د عائشه عبد الرحمن وهى حسب الترتيب جـ١ ص١٠٨ ، ١١٣ ، ١٤٧ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣

" فعلى حين يركز بعضها على الموضوع ويختار كثيرا من آياته نجده يتعثر في المعجم والاستعمال وتفتر جهودة في هذة المجالات وعلى حين تنجح بعض المحاولات في الدراسة المعجمية والاستعمال القرآني والسياق تتعثر في الموضوع فلا تلتفت اليه أو تستغني عنه أصلا وهذا ما وقع فعلا من بنت الشاطىء فلم ترتبط بفكرة الموضوع الذى طالت دعوة أستاذها اليها وتحمست هي كثيرا في الترويج لها " (١)

لكنها والحق يقال جاءت بمنحى آخر في هذا فعند ما لم تلتزم موضوعا بعينه اختارت سورا قصارا لاحظت فيها وحدة الموضوع الى حد ما

فهى بذلك لم تخرج عن التفسير التقليدى بالتزامها للسورة اطارا لتفسيرها وهي أيضا لم تبعد كثيرا عن التفسير الموضوعى لمراعاتها وحدة الموضوع فى كل سورة تناولتها بالتفسير

وبهذا يمكن أن نقول انها قد جمعت في محاولتها بين " التحديد" الموضوعى (٢) وبين التناول الأدبى التقليدى للسور التى فسرتها (١)

ولا يفوتنى في ختام حديثى عن هذا التفسير أن أبدى اعجابى بما بذلته الدكتورة عائشه وبكثير مما توصلت اليه من آراء

---

(١) اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم فى مصر : د / محمد ابراهيم شريف ص ٥٩٧ - ٥٩٨

(٢) نعنى به الموضوعية الجزئية ذلكم ان المواضيع في السور التى تناولتها الدكتورة لها مما يماثلها ويكملها في سور أخرى لكن الدكتورة اكتفت بما في سورة عما في السور الاخرى وليس هذا بالموضوعيه الشاملة

قيلت من قبل فجاءت بما يدعمها أو كشفت وجها آخر في التفسير له أصالته وذلك عن طريق تتبع الأسلوب القرآني ومفردات القرآن حيث يجد القارىء حقا أن للقرآن الكريم قواعد وأن له استعمالات ينبغي أن لا تغيب عن ذهن مفسر للقرآن الكريم

وكم أتمنى أن تعاود الدكتورة عائشه النظر فيما قيل في تفسيرها من مآخذ وسقطات وتواصل من بعد هذا التفسير سدد الله الخطى وعفا عنا الزلل انه سميع مجيب

وقد كنت وعدت أن اتبع هذة الدراسه بدراسة أخرى بكتاب آخر في هذا المنهج ذي لون آخر وهذا أوان الوفاء

. . . .

الدكتور محمد أحمد خلف الله

الكتاب : الفن القصصي في القرآن

أولا : المؤلف

هو الدكتور محمد أحمد خلف الله ، أما حياته الشخصية فلا أعرف عنها شيئا ولم أجد لها ذكرا ، أما فكرة ونتاج قلمة فله عدد من المؤلفات والمقالات .....

وهو من الذين أرادوا الشهرة في فترة كان الالحاد أقصر طريق اليها فأصدر عددا من المؤلفات حشاها به حشوا

كان أولها - كما سيأتي - كتاب الفن القصصى في القرآن الكريم - زعم فيه أن قصص القرآن أساطير وأنها لا تلتزم الحقائق وغير واقعة وغير ذلك ...

ومنها القرآن ومشكلات حياتنا المعاصرة ، وكتاب القرآن والدولة وكتاب هكذا يبنى الاسلام وشارك في كتاب " محمد والقوى المضادة" وغير ذلك من كتب الدراسات الأدبية واللغوية والتراجم ....

ولا أريد أن أسترسل في الحديث عن الرجل فليس هذا مقام محاكمته أو كشف زيف فكره وانما هو مقام التعريف الموجز والاشارة السريعة

وكم وقفت مبتسما - ابتسامة أسى وأسف - وأنا أقرأ مقالة سطرها دكتور فاضل نقد فيها الكتاب الأخير للدكتور محمد أحمد خلف الله : " الأسس القرآنية للتقدم " ويبدو أن الدكتور الفاضل لا يعرف كثيرا الدكتور محمد أو أنه يحسن الظن أكثر من حد القبول ذلكم آنه يقف أمام عبارة من عبارات الدكتور خلف الله المألوفة ..... ويعتقد أنها من أخطاء المطبعة !! العبارة تلك تقول " وهنا

سوءال يطرح نفسه : ألا يزال العقل البشرى مقيدا بسلطان الله الواحد الأحد الذى يدعو الاسلام الى عبادته واتقاء غضبه " ؟ " وينقل القارىء الى اجابة من تفسير المنار ولكنه قبل أن ينقله الى هذه الاجابة يقول " ...... وأنا حين أنقل عن هذا الكتاب انما أرجو أن يطمئن القارىء الى الأساس الذى بني علية التوحيد ، وكيف كان تحريرا للعقل البشرى من سلطة الآلهة بما فيهم الله "[1] ؟!!

أرأيتم الحادا كهذا ؟! لو نسب هذه الفكرة لنفسه لعد هذا الحادا وأى ألحاد فكيف وهو يزعم أن هذا هو الاساس الذى يبنى علية التوحيد في الدين الاسلامى ؟!!

قلت انى ابتسمت أسى و أسف عند وصف الدكتور الفاضل كاتب النقد لهذا بأن المطبعة وحدها قد تكون مسوءولة عن هذا الارتباك الفكرى والأسلوبي الذى يجسد اتجاها غير اسلامى بالتأكيد[1] ولو قرأ بقية موءلفاته لوجد فيها نحو هذا وأشد منه

قصدت من هذا الذى أوردته أن الموءلف لا يزال حتى آخر ما صدر من موءلفاته يبث الالحاد .... وما زال بعض المخدوعين يعده مفكرا اسلاميا ؟!

نسأل الله له الهدائية وأن يفتح قلبه للحق وأن يجعله سيفا على الباطل فيما بقي من عمره .....

---

(١) مجلة الامه القطريه) العدد الخمسون صفر ١٤٠٥ ص ١٥ مقال ، "الاسس القرآنية للتقدم وحوار حول بعض مقولاتة " للدكتور محمد أحمد العزب والنص المنقول عن كتاب" الاسس القرآنيه للتقدم " ص ٣٦

الكتـــــاب :

عانت مصـــر وعانـــى علماؤهـــا فـــي القرن الرابع عشر الهجـــرى معاناة شديـــدة من فئة جعلت سبيل الالحـــاد وسيلة لاشتهارهـــا وباعت دينهـــا بدنياهـــا

عانت دعوة قاسم أمين حين أصدر كتابيـــه " تحريـــر المرأة " و " المرأه الجديـــدة " وكانت ضجة ثم سكون كسكون المقابـــر !!

وكانت دعوى طـــه حسين " فى الشعر الجاهلـــي" مزمـــــارا مـــن مزامـــير المستشرقـــين . . . . وجاء من بعده علي عبـــد الـــرازق وأظهـــر كتابه ـ الاسلام وأصول الحكم ـ ثـــم المدعـــو محمود أبو ريـــــة واضـــواءه بـــل ظلماتـــه على السنة المحمـــدية وفـــى عـــــام ١٩٤٧ كتـــب محمـــد أحمـــد خلف اللـــه كتابـــه " الفن القصصـــي فـــي القرآن الكريم " وبعده بسنتين اثنتين أصـــدر محمود أبـــــو زيـــد تفسيره " الهدايـــة والعرفـــان فـــي تفسير القرآن بالقـــرآن"

بتنظـــيم عجيب وترتيب دقيق كأنه مرسوم توالت هذه المؤلفـــــات وتتابعت ما أن يسترد العلماء الصالحـــون أنفاسهم فـــي الرد علـــى ملحـــد حتى يكون الآخـــر قد نشر ونثر ما في جعبته فيبدأ أولئـــك المعركة من جديـــد وهكذا دواليـــك .

وبين ملحـــد وآخر يخرج من لا يقل عنهـــم خبثا بما يشغل المجاهدين ويفت من عضدهم وهم كثيروكثير منهم المسلم نسبا ومنهم النصرانـــــى عقيدة ، ومنهم من تاب من بعـــد ومنهم من ينتظـــر

وهـــذا الكتاب اذا لـــه قصة نحكيهـــا قبل أن ندرســـــه

قصة الكتاب :-

في سنة ١٩٤٧ م قدّم محمد احمد خلف الله ، الطالب في كلية الآداب بجامعة فؤاد الاول رسالة للحصول على الدكتوراة عنوانها :-

" الفن القصصى في القرآن الكريم "

قرر فيها آن القرآن أساطير و أن ورود الخبر في القرآن الكريم لا يقتضي وقوعه ، ويخشى على القرآن من مقارنة أخباره بحقائق التاريخ ويقول ان التاريخ ليس من مقاصد القرآن أن التمسك به خطر أى خطر على النبي عليه السلام وعلى القرآن بل هو جدير بأن يدفع الناس الى الكفر بالقرآن كما كفروا من قبل بالتوراة . . . . . و أن المعانى التاريخية ليست مما بلغ على أنه دين يتبع وليست من مقاصد القرآن في شيء و من هنا أهمل القرآن مقومات التاريخ من زمان ومكان وترتيب للأحداث [1] ويقول إنا لا نتحرج من القول بأن القرآن أساطير لأنا في ذلك لا نقول قولا يعارض نصا من نصوص القرآن [2] وقال . . . . وقال . . . .

وقامت الاحتجاجات وكتبت الرود ود ورفضت البرقيات للمسؤولين ورفضت الرساله . . . . وطالب أولئك بتطبيق أحكام الردة على خلف الله ولكن . . . . .

وكان . . . . ما كان . . . يقوم الفيئة بعد الفينة من سولت له نفسه بالخروج على الاسلام في ناحيه من نواحيه الاعتقادية فيثور احتجاجا عليه فئة من الغيوريين على دينهم ويحميه منهم

---

(١) الفن القصصي في القرآن الكريم : د محمد احمد خلف الله ص ٤٢ ، ٤٤

(٢) المرجع السابق : ص ١٧٩ - ١٨٠

رجال من الوزراء . . . . وفى مستقبل قريب ينال الرجل مكافأة خروجة أضعاف ما كان له من المراكز والمناصب . . . ويكون هذا المصير غبطة لآخرين ا فتتكرر المهزلة في أيام أخرى على مسائل أخرى مماثلة (١)

أما مصير الكتاب فقد طبع طبعته الأولى سنه ١٩٥٣ ثم توالت طبعاته بعد ذلك سنه ١٩٥٧ سنه ١٩٦٥ سنه ١٩٧٢ وانا لله . وانا اليه راجعون

منهجه :

نحمد الله ان المؤلف بين بنفيسه سبب سلوكه الدراسة الأدبية ومنهجه فيها

اما الأول فقال عنه " أما الاسباب التى جعلتنى أعنى بالدراسة الأدبية وأجعل من القرآن ميدان أبحاثي ، فترجع قبل كل شيء الى نوع من الاستهواء عمل على اذاعته في نفسى درس أستاذنا الخولي عن المهنج الأدبي في فهم القرآن وتفسيره فقد كانت تلك اللفتات تستقر في نفسى استقرارا يجعلني أتخيل تمثل هذا المنهج والسير عليه في تفسير كتاب الله " (٢)

اما صله أمين الخولى بالرساله بعد ذلك وحين قامت الاعتراضات عليها فقد أعلنها بنفسه حين قال " فلو لم يبق في مصر والشرق أحد يقول انه حق لقلت وحدى وأنا أقذف في النار انه حق حق" (٣)

---

(١) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعبادة المرسلين : مصطفى صبرى جـ١ ص ٣١٨

(٢) الفن القصصي في القرآن الكريم : د محمد احمد خلف الله ص١

(٣) المرجع السابق : ص : ح

أمـــا صلتـــه بالرساله وصاحبهـــا قبل ذلك فقد بيبنهـــا الاستـــاذ محمد سيـــد كيلاني حين تحـــدث عن الاستاذ أمين الخولـــي وقـــال " بأنـــه كان يدرس مادتـــى التفسير والبلاغـــه وظل أمره مستـــــورا الـى سنه ١٩٤٧ لا يدرى أحد فـــي خارج الكليـــه ما يلقنه امين لتلاميذه من أنواع الكفـــر والضلال " (١)

وأمـــا الثانـــي - أعنى منهجه فـــي التفسير فقـــد عدد خطواتـــه حيث قـــال :-

أولا : جـمـــع النصوص :

اذا كانت معرفة نص ما تستلزم حتما وجـــوده كانت (٢) أولـــى الخطوات من غير شك هي الوقوف علـــى النصوص وجمعهـــا ، واني لا اعترف بأنـــى لم أجـــد موضوعـــي (٣) هذا من حيث هذه الناحيـــة عناء يذكـــــر ذلك لأن القصص القرآنـــي موجود فـــي القرآن .... ومن هنا لم يكـــن عملـــى فـــي هذه المرحلة الا الرجوع الى المصحـــف

ثانيـــا : الترتيـــب التأريخـــي للنصوص

وهذا الترتيب يدل الباحثين على التطور فـــي الفنون والآداب، ويستوى في ذلك عندهم التطور الداخلي ، والتطور الخارجي . ونقصد بالأول أن يدلنا هذا الترتيب على تطور ذوق الكاتب وأفكاره أو ميادينـــه الفنيّـــة ونشاطه النفسى . ونقصـــد بالثاني : دلالـــة النص على التطـــــور العام لتاريخ الآداب والفنون من حيث صلته بالسابق واللاحق والـــدور الذى لعبه النص فـــي الحياة الادبيه ومجراهـــا العام .

---

(١) ذيل الملل والنحل : محمد سيد كيلاني ص ٨٦-٨٧
(٢) لعل العبارة " فقد كانت " أو " فان أولى .."
(٣) لعـــل العبارة فـــي موضوعـــي"

وانـي لأ عترف هنـا أيضا بأن هذة الخطوة ـ وان تكن أشـق من الأولـى وأعسـر ـ إلا أنـي لم أبذل فيهـا جهدا يذكر ذلك لأنـى اعتمدت فـى هذا الترتيب التاريخـي للقصص القرآنـي على المصحـف الملكـي [1] وان كنت أعلم انه ليس بالترتيب التاريخـي الدقيق . لكن ليس في الامكـان أبـدع ممـا كان . . . . .

وعلـى كل فقد أفادنـي هذا الترتيب التأريخـي فيما يخـص القصص القرآنـي بدراسة التطور الداخلـي لهذا القصص . . [2]

أمـا التطـور الخارجـى فقد حالت بيني وبينه عقبات منها أن الوقوف على النصوص السابقة للقصص القرآنـي من أقاصيص الجاهليين لا سبيـل اليهـا ومنهـا أن صلة القصص القرآنـي باللاحـق يتوقف أولا علـى صلتـه بالمعاصـر من أحاديث (الرسول صلى الله عليه وسلم) وهذه من الأمـور التى سأفرغ لها بعد بحثي هذا ان شاء الله

وقفـت من هذه الخطوة اذا عند الفائده التى نجنيهـا من التطـور الداخـل ـ وحسبي هذا فـي هذا الموضـع

ثالثـا : فهم النصوص

وهنا لا بد من التفرقة بين نوعين من الفهم :ـ

الأول : الحرفي : وهو الذى يقوم على دراسة معنى الألفاظ والتراكيب والجمـل ، كما يقوم على توضيح العلاقات الغامضة والاشارات التأريخية

---

(١) لا اعرف " المصحف الملكي هذا ، ولا " المكى" ايضا ان كان في العبارة خطـأ مطبعـي

(٢) سبق أن ذكر المؤلف أنه يعنى بالتطور الداخلى : تطور ذوق الكاتب وأفكاره أو ميادينـه الفنيه ونشاطه الحسى النفسى" فهل يطلـب هذا فـي كلام اللـه عز شأنـه ؟ !

وكل تلك أمور تتوقف الى حدّ كبير على ثقافة الدارس - تلك الثقافة التى شرطها بالنسبة لموضوعنا هذا المفسرون في المفسر والتى حددّ ميادينها الاصوليون في مقدمات كتبهم ،

واني لاعترف هنا بأني قد وقفت على الكثير من هذة الأمور من كتب التفسير المختلفة وكان الجهد الذى أبذله يقوم على المقارنه والترجيح والوقوف عند بعض اللمسات التى تفتح آفاقا واسعة أو تصحيح أخطاء بعض الأقدمين .

الثاني : - الفهم الأدبى . وهو ذلك الفهم الذى يقوم على تحديد ما في النص من قيم عقلية وعاطفية وفنية ، فنقف على ما في النص من صور وآراء ونبحث عما خلف هذه الصور وهذة الآراء من أخرى لم يشعر صاحب النص بالحاجة الى التعبير عنها . اما لأنه كان يفهمها في نفسه ، واما لأن المعاصرين له كانوا يفهمونها عنه ، واعتقد أن هذا الصنيع في الفهم الأدبي كان جديدا بالنسبة لموضوعي هذا اللهم الا في القيل النادر . . . .

رابعا : التقسيم والتبويب

ثم قال المؤلف " عند ما يصل الباحث الى هذا الحد من الفهم الأدبي يكون قد أقام من العلاقات ما تسمح له بأن يقسم بحثه أبوابا وفصولا يقيم كل واحد منها على نوع من العلاقات التى يوحى بها المنهج أو القصد من الدراسة . فقد تجمع النصوص لما بينها من علاقات في الموضوع ،وقد تجمع لما بينها من علاقات في الصياغة وقد تجمع لما يتسلط عليها من مقاصد وأغراض . . . .

خامسا : الأصالة والتقليد

وهذة مسألة من أهم المسائل عند الدارسين لحياة العلوم والفنون وعند

من يريد ون الفهم الد قيق العميق للمسائل العلمية والأدبيـة ذلك لأنها هي التى ستد لنـا على المواد التى تكون منها النص وعلى كيفية تكوينه وعلى أى منها من عند الأديب و أيها سبق اليه . . . . لقد درست هذه المسائل وكانت لها نتائج قيمة . بعضها يخص اثبات التجد يد في الحياة المكية الأدبية ـ وذلك كمسألة القصة الاسطورية ووجودها في القرآن الكريم ، وبعضها الآخر يخص القوة القادرة على تحويل المواد من تاريخية الى أدبية أو الى قصصية حتى لتصبح سحرا من السحر أو أشد . . . . . تلك هي الخطوات المنهجيه التى سرت عليها والتى انتهت بي الى هذا البحث "(١)

ولا شك ان هذه الخطوات التى قدمها المؤلف بنفسه هي قواعد التفسير البياني في القرآن الكريم كما وضعها أستاذة أمين الخولى اذا فلم يأت الدكتور خلف الله بما هو جديد في التأصيل وان جاء بما هو جديد في الانتاج

وما دام الأمر كذلك فلا أظن الامر يحتاج الى أن أضرب أمثلة من تفسيرة استخرج لها منهجه ، بل يحتاج الى التمثيل فحسب

أمثلـه من تفسيرة

ليس من السهل على باحث مثلي أن يتجه الى دراسة موضوعية (ذات موضوع واحد) ثم يقتطف منها أمثلة (وافية) في سطور قليلة كيف يفعل هذا وصاحب الدراسه لا يقرر الفكرة الواحدة الا فى فصل كامل ، لا ريب عليّ بعد هذا اذا ما جاء ضرب الأمثله هنا مختصرا " كما وكيفا " فلم أوجه العناية لهذا الكتاب استيفاء دراسة ولا استيفاء نقد وان كنت أبذل وسعي في أن آتي بشيء من هذا وذاك

واذا كان الآمر كذلك فانى أرى لزاما أن أبين مدلول كلمتين قبل

---

(١) الفن القصصي في القرآن الكريم : د محمد احمد خلف الله ص١٣-١٧ باختصار

أن الـــج فـــي ظلمات هذا الكتاب وصاحبـــه أما أولاهمـــا فهـــي " الحريـــة" وأما الثانيـــة فكلمة حملها زورا عنوان الكتاب" الفـن "

اذكر بيانهما هنـــا - وان كان مكان ذلك - آخر الدراسة كمـــا جرت عادتـــي بذلك لأن الأمر هنا يختلف . . . هنا ظلمة بل ظلمـــات وهنا عدو متربص يتحين غفلة فكان حمل السلاح واجبا وتأخيره تقصيرا

امـــا الحريـــة - كما أرى - فكلمـــة ذات جانبين جانب أصيـــل وجانب زائـــف ونحن فـــي عصرنا هذا نعانـــي من جانبها الزائـــف

لا أريـــد بالجانب الزائف جانب استعمالهـــا المشلول فحسب تمـــس بعض المجلات والجرائـــد الذات الالهيـــة فيقال . . . حرية وحين تمس من بعيـــد بعض الذوات تقـــوم الدنيـــا ولا تقعـــد لا أريـــد هـــــذا الجانـــب فحسب بـــل أريـــد جانبـــا زائفـــا آخر هو الأصـــل فيهـــا ذلكم الفهم الســـيء " لمـدلول" الحريـــة . فكم من جريمة ارتكبـــت باسم الحريـــة . . . . وكم من ظلم ارتكب باسم الحرية . . . . وكم من رقّ ارتكب باسم الحريـــة . . . بالـها من حريـــة ؟ !

مدلولـــه الحرية الصحيح لا يعني شيوعية امتلاكهـــا وحوزهـــا الا لمن أقام شروطهـــا والا فلا حريه . . .

الحريه الأصيله تحمل معها مبرراتها وحججها القوية التى تخوض بهـــا فـــي عباب البحار لا تخاف دركا ولا تخشى غرقا أما الحرية الزائفـــة فهى التى لا تقوم على سند ولا على برهان الا سند الهوى وانحراف الفكر عـــن جادة الصواب

وعلـــى درجات هذه الحرية يتربـــع هذا الكتاب" الفن القصصـــي في القرآن الكريم " لأنه لا يحمل من الأدلة الصحيحة والبراهين القويـــة ما يؤهلـــه للتحدث باسم الحرية الاصيلـــة .

لست ـ والحمد لله ـ ممن يلق التهمة جزافا ولكنى رأيت شخصا ينظر في كتاب الله القرآن الكريم ثم بغير حجة ولا برهان يجعله متهما ويحاكمه بغير حجة ولا برهان الى كتب محرفة وتاريخ محرف ثم يحكم بغير حجة ولا برهان للثاني على الأول .

دعوا ـ جدلا ـ ثبوت سلامة القرآن وتحريف التوارة والانجيل وسلموا كذلك ـ انهما على درجة واحدة ـ وحاشا ـ فكيف تأتى له أن يحكم لهذا على ذاك أولذاك على هذا ان لم يكن صاحب هوى أو انحراف فكر ؟!

كان عليه قبل أن يحاكم بينهما أن يأتى بالدلالة على صحة وثبوت أحدهما وتحريف الآخر ثم بعد ذلك يجعل من الصحيح حكما ومن المحرف متهما أما اذا ارتد اليه طرفه وهو حسير ولم يستطع اثبات هذا ولا ذاك فليحذر استعمال الحرية فانها ستكون حينئذ حدّا في ظهره

أما الكلمة الثانيه والتى استعملها بغير حق فكلمة " الفن" في عنوان كتابه وقد بين هذا من قبلي من نرجو له الشهادة ـ سيد قطب رحمه الله تعالى حيث قال " ويزيغ أناس فيزعمون أن هنالك خلقا للحوادث أو تصرفا فيها يقصد به الى مجرد الفن ـ بمعنى التزويق الذى لا يتقيد بواقع" ثم جلا رحمه الله تعالى الصواب فقال :" والقرآن كتاب دعوة ، ودستور نظام ، ومنهج حياة ، لا كتاب رواية ولا تسلية ولا تاريخ ، وفي سياق الدعوة يجىء القصص المختار بالقدر وبالطريقة التى تناسب الجو والسياق ، وتحقق الجمال الفنّى الصادق الذى لا يعتمد على الخلق والتزويق ، ولكن يعتمد على ابداع العرض وقوة الحق ، وجمال الأداء "(١)

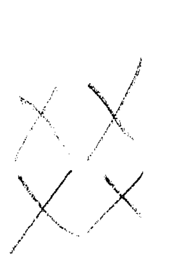
(١) في ظلال القرآن : سيد قطب جـ١ ص٥٥

اذا فالفـــن عند سيد رحمة الله تعالى هو ابداع العرض و قـــــوة الحق وجمـــال الأداء ومعناه عند ذاك التزويق الذى لا يتقيـــد بواقع

وفـــى الحقيقـــة أنا لا نجد فـــي قواميس اللغة الا أن " الفن : واحـــد الفنون وهـــي الانواع ، والأ فانين : الأساليب وهى أجناس الكلام وطرقة"[(١)] و لا نجزم أن اللغة مع هذا أو مـــع ذاك لكنا نجزم أن قدسية القرآن الكريـــم تشكل أقوى سياج عند المؤمنين يمنع وصـــف الفن فيـــه بالتزويق الـــــذى لا يتقيـــد بالواقـــع

لكن هذا المفهوم للفن هو الذى قصده الدكتور محمد أحمد خلف اللـــــه بـــل ولـــم يجد كلمـــة تماثـــل الكذب والاختلاق والأسطورة ومخالفـــــة الواقـــع . . . الخ الا كلمـــة الفن فاختارهـــا ليزيـــف بها كتابه ويدلـــس بهـــا

أقول هذا ـ أولا ـ حتى يدرك القارئ مدى شرعية " الحرية" العلميـــــة التى تزعم امتلاكهـــا خلف الله وأمثالـــه ويدرك أيضـــا مفهوم الفن عنده – وليس عليه بعد هذا أن يخـــوض ويأى فـــي لغو هذا الكتاب وباطلـــه فالـــى ذاك



الحريـــــة الفنيـــــة :

ويقصد بها مسألة الخلـــق الفني أى أن للقاص أن يختـــار بعـــــض الأحـــداث التاريخية دون بعض . . . . . وأن يهمل مقومات التاريـــخ من زمـــان ومكان وترتيب للأحـــداث . . . و القرب أو البعد من الواقـــع التاريخي وبعبارة أخرى تحرى الصدق والصحة أو المجاوزه عن هــــــذا التحرى[(٢)] يعني اختراع أو اختلاق الأحـــداث ! !

(١) الصحـــاح : الجوهـــرى جـ٦ ص ٢١٧٧

(٢) الفن القصصي في القرآن الكريم : د محمد أحمد خلف الله ص ٤٧

وزعم أنه قام - حسب المنهج الأدبي في التفسير باستقراء قصص القرآن لمعرفة وجود هذه الظاهره " الحرية الفنية " فيه أم لا وتوصل الى أنها موجوده قال : -" يدلنا الاستقراء على أن ظواهر كثيرة من ظاهرات الحرية الفنية توجد في القرآن الكريم "[1]

ويعدد الدكتور خلف الله ما يحسبه أدلة لذلك ومنها : - "اهمال القرآن حين يقص لمقومات التاريخ من زمان ومكان "[1]

ونحن لا ننكر أن القرآن كثيرا ما يهمل في قصصه الزمان والمكان لكنا نرفض كل الرفض ان يكون اهمال ذلك لاختلاق القصة فليس بين هذا وذاك هذا التلازم الا عند من عدم الحجة .

وقل مثل ذلك فيما زعمه من أدلة أخرى عدّ منها " اختيار القرآن لبعض الاحداث دون بعض فلم يعن القرآن بتصوير الأحداث الدائرة حول شخص أو الحاصلة في أمة تصويرا تاما كاملا "[2]

والغريب في هذا أن الدكتور خلف الله نفسه يعترف بأن القرآن كان يكتفي باختيار ما يساعده على الوصول الى أغراضه - أى ما يلفت الذهن الى مكان العظة وموطن الهدايه "[2]

وما دام المؤلف يعرف أن هذا غرض القرآن من القصة فكيف يرتب على اهمال القرآن لا حاجه الى الغرض به - أن هذا من الحرية الفنية التى تدل على اختراع القصة أو الحدث ؟ !

ومما عده كذلك اهمال القرآن الترتيب الزمنى أو الطبيعى في ايراد الأحداث وتصويرها "[2] وما قلناه هناك نقوله هنا .

---

(١) المرجع السابق : ص ٥١
(٢) المرجع السابق : ص ٥١

وعدّ منها اسناد القرآن بعض الاحداث لأناس بأعينهم في موطن ثم اسناده نفس الأحداث لغير الأشخاص في موطن آخر

وضرب مثلا " ومن ذلك قوله تعالى فى سورة الأعراف" قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم " [١] اذ نراه في سورة الشعراء مقولا على لسان فرعون نفسه" قال للملاء حوله ان هذا لساحر عليم " [٢] وكذلك نجد فى قصة ابراهيم من سورة هود ان البشرى بالغلام كانت لامرأته بينما نجد البشرى لابراهيم في سورة الحجر وفي سورة الذاريات" [٣]

وما رأيت من يجادل في عقيم مثله !! فما المانع في القصة أن يكون فرعون وقومه قد تبادلوا هذا القول في مجلسهم وقالوا به جميعا وهم في هرجهم ومرجهم وما المانع في أن يكون فرعون قال ذلك وردده ملؤه من بعده وهل نسبة قول الى شخص أو طائفة تدل على اختصاصهم به دون سواهم خذ مثلا أوسع حدثنا القرآن عن مواقف الأمم من أنبيائها " كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون" [٤] فاذا كانت الأمم تتفق على قول واحد ألا يتفق ملاء وملكهم على قول واحد يردده كل واحد منهم ، أى اختلاف أو أى اختلاق في هذا . كبرت كلمة تخرج من افواههم .

---

(١) سورة الاعراف : ١٩

(٢) سورة الشعراء : ٤٣ (والمؤسف أن المؤلف أخطأ في الآيتين فكتب (لساحر عظيم) !!

(٣) الفن القصصي في القرآن الكريم : د محمد أحمد خلف الله ص ٥٢

(٤) سورة الذاريات : ٥٢ - ٥٣

ولا مانع أيضا أن تكون الملائكه قد بشرت ابراهيم وامرأته معا باسحاق ، أو أن تكون بشرت أحدهما أولا ثم الآخر ثانيا ثم جاء القرآن يخبر ببشراهم لابراهيم في سورة ولامرأته في سورة أخرى وهل يعد هذا دليلا على الاختلاق ؟!

واستدل أيضا لدعواه الزائفه بانطاق القرآن في قصصه الشخصي الواحد في الموقف الواحد بعبارات مختلفة حين يكرر القصة تصويره للموقف الواحد بعبارات مختلفة وضرب مثلا للأول تصوير القرآن لموقف الاله من موسى حين رؤيته النار فقد نودى في سورة النمل " أن بورك في النار ومن حولها " [1] وفي سورة القصص " أن يا موسى انى أنا الله رب العالمين " [2] وفي سورة طه " انى أنا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى" [3] [4]

يقول هذا وهو الذى لم يجف مداد قلمه حيث قال قبل سطور " ان القرآن لم يعن بتصوير الاحداث الدائرة حول شخص أو الحاصلة في أمة تصويرا كاملا " [5] اذا كان قال هذا قبل أسطر فكيف يستغرب أن يذكر في سورة النمل بعض نداء الله سبحانه وتعالى لنبيه موسى عليه السلام وفي طه بعضه الآخر وفي القصص بعضه الآخر ايضا لم لا يكون هذا وأكثر منه هو حديث الله سبحانه لموسى عليه السلام في ذلك الموقف ذكر في كل سورة بعضه !!

---

(١) سورة النمل : ٨
(٢) سورة القصص : ٣٠
(٣) سورة طه : ١٢
(٤) الفن القصصي : د / محمد أحمد خلف الله ص ٥٢-٥٣
(٥) المرجع السابق : ص ٥١

وضرب مثلا للثاني بقول الله تعالى لموسى عليه السلام " خذها ولا تخف " [(١)] ومرة اخرى " يا موسى لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون " [(٢)] ولا شك أن القول في هذا كالقول فيما سبقه ، لو كان يفقه ؟! وضرب مثلا آخر بتغبير القرآن بالرجفه مرة وبالصيحة أخرى والطاغية في غيرهما . . . . وتعبيرة في انشقاق الحجر عن الماء في قصة موسى فانفجرت مرة وانبجست أخرى . . . . [(٣)]

والغريب أن هذا الذى يعده هذا الدكتور تناقضا واختلافا ؟! يعده العلماء حقا وجها من وجوه الاعجاز في القرآن الكريم هو التكرار في القصص القرآني حيث تتكرر القصة الواحدة بألفاظ وأساليب متعددة تحقق في كل مقام أسلوبا يتسق مع أسلوب القصة ونظمها من غير تناف ولا تجاف بل ان بينهما من التناسق والترابط ما دعا علماء البلاغه الى التحلق جثوا على الركب للتزود من هذه الأساليب الباهرة والتسلح بها فى ميادينهم

و الحديث عن هذه الشبهات والترهات التى قذفها الدكتور خلف الله طويل لا تخرج كلها عن دائرة قصور الفهم ان أحسنا به الظن

كل هذه الشبهات التى جاء بها أراد بها تقرير الحرية الفنية في القرآن الكريم وفهم أن وجود الحرية الفنية يعنى الاختلاق للأحداث والوقائع

---

(١) سورة طه : ٢١
(٢) سورة النمل : ١٠

(٣) الفن القصصي : د / محمد أحمد خلف الله ص ٥٣

والذى يدعوه - في رأيي - لكل هذا الحرص على اثبات الحرية الفنية في القرآن بهذا المفهوم الخاص عنده أن كل ما الصقه بالقرآن من شبهات واتهامات باطلة لا يثبت الا بهذا والا لما أصبح له من مستمسك

حيث رتب على الحرية الفنية في القرآن أمورا عديده لا ، يسعنا أن نذكرها مفصلة وهى اجمالا :

١ - ان القرآن أساطير

تماما كما قال المشركون " وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا " (١)

٢ - ان القرآن يجارى المعتقدات الجاهلية والتقاليد العربية وليس على الحقيقة العقلية والواقع العملى (٢)

٣ - ان القرآن يجارى عقائد أهل الكتاب؟ !

فمن ذلك التردد (! !) في بيان عدد أهل الكهف لأن القرآن لم يرد ذكر الحقيقة وانما أراد مجاراة اليهود لأن اليهود اختلفوا فى أمر العدد فنزل القرآن بهذه الأقوال حتى يكون التصديق من المشركين بأن محمدا عليه السلام نبي ومثله عدد السنين التى لبثوها في الكهف وغير ذلك من الأحداث (٣)

٤ - أن أخبار القرآن قابلة للنسخ (٤)

٥ - أن في القرآن أخطاء تأريخية (٥)

٦ - انكار الوحدة القصصية في القرآن الكريم

---

(١) سورة الفرقان : ٥
(٢) الفن القصصي : د / محمد أحمد خلف الله ص ٥٧
(٣) المرجع السابق : ص ٥٤ - ٥٥
(٤) المرجع السابق : ص ٦٠
(٥) المرجع السابق : ص٦١

ولأن القصص عنده متضاربة مختلفة فانه لا ينظر للقصة المتكررة في القرآن على أنها قصة واحدة بل " على أنها أقاصيص مستقلة وليست من قبيل الأجزاء فهي عرض أدبي للحادث تختلف ألوانه باختلاف أغراضه (٢)

خلاصة الأمر أن المؤلف أراد أن يرد على شبهات المستشرقين والملاحدة فسلم لهم كل ما قالوا وزاد عليه وزعم أن هذا كله لا يمس من قيمة القرآن ولا من مكانته لان القرآن كتاب هداية وارشاد لا كتاب تأريخ وعلى هذا فله أن يسلك الحرية الفنية فيخترع من الاحداث ما يخترع وكأن القرآن كلام بشر عجز عن الاقناع والحجة بالواقع فجنح الى الخيال وعجزت مداركه عن الحق فمالت الى الاختلاق سبحانك هذا بهتان عظيم

ولا شك أن هذا أمر خطير يكشف ضعف عقيدة صاحبها وأنه أراد أن يعرف فجاء بما لا يعرف وباع دينه بدنياه ، أدعو الله سبحانه أن يهديه ويمن عليه بالتوبة والعودة الى الاسلام

وكما قلت فلست أقصد من هذا الحديث عن هذا الكتاب الدراسة المستوعبة له ولكني قصدت بيان نوع من التفاسير الأدبية التي سلك صاحبها الاستقراء لنوع من آيات القرآن الكريم هي آيات القصص فأخطأ الطريق وضل السبيل

---

(١) المرجع السابق : ص ٢٠١

رأيي في هذا المنهج

كأى منهج في التفسير لا شك أن لهذا اللون من التفسير محاسنه وله عيوبه . ولئن ذكرنا في بعض أسسه وقواعده ما قد نحسبة خللا فانه بحسابنا يغنى عن اعادته كرة أخرى في هذا الموضع

ومع هذا فاني مورد هنا ما لم أورده هناك وسأرتبها هنا حسب ترتيبها المنهجي فمن ذلك مثلا

أولا التفسير الموضوعي :

ولنا في دعوة الأستاذ أمين الى التفسير الموضوعى أكثر من وقفه . . . أولها أن التفسير الأدبى وهو يدعو الى سلوك سبيل التفسير الموضوعى لا يقدم خطة مثالية لسلوكه وانما يكتفى بابراز محاسن التفسير الموضوعى دون أن يخطو الى رسم خطوات السير فيه

واذا نظرنا الى الدراسات الأدبية التطبيقية لهذا المنهج وجدناها تسلك التفسير الموضوعى حقيقة أو اعتقادا ووجدناها ايضا لا تلتزم موضوعا واحدا بعينه فيكتب أحدهم مثلا عن قصص القرآن وآخر عن جدله وآخر عن أمثاله أو أقسامه وآخر عن الأموال وعن القادة . . . الرسل أو عن السلام فى الاسلام أو عن الدوله ونظام الحكم فى الاسلام وغير ذلك من الموضوعات

ولا شك أن هذا التفاوت والتباين في والتعدد في الموضوعات يخدم المفسر الفرد في اختيار ما يلائم رغبته فيختار من هذا البحر من الموضوعات ما يناسب رغبته . . . . لكن وهنا المحك كيف ستختار أو تكتب هيئة أو منظمة أو لجنة تسعى

لتفسير القرآن الكريم كلـه ـ اكرر كلـه ـ تفسيرا موضوعيـا . . . الملاءمة الشخصيـة والمناسبة للرغبـة الفرديـة مفقودة فيهـا وهـي مجموعـة أفـراد ؟! ولا يبقـى من سبيل الا سبيل واحـد هو حصـر الموضوعـات التى تناولهـا القرآن الكريم وجاء بالحلول الصحيحـة لهـا . . . . . نهنا يتسع الباب ولا أظـن أن في قدرة أنسان أو لجنة أو هيئـة أن تحصـر كل هذة الموضوعات والقضايا التى عالجهـا القرآن الكريم لأن من الآيات وهـي محدودة معدودة ما يعالـج قضايا و موضوعـات شتى . . . فتبقـى كالدواء الواحـد الذى يعالـج بـه ألف مرض ومرض أو تبقى كالميزان الذى يوزن به ألف موزون وموزون فهـل يستطيـع هؤلاء أن يحصـروا تلك الموضـوعات التى عالجتهـا تلك الآيات المحدودة واذا ما تجاوزوا هـل سيفعلون فـي أيـات أخرى ثـم أخرى ثم أخـرى . . . . . لست أقول هذا تعجيزا و لا ، تثبيطـا عن سلوك التفسير الموضوعـى لكني أردت أن أبين .

ان لا ننتظـر تفسيرا موضوعيـا كاملا للقرآن الكريم لأنـه ـ فـي اعتقادى ـ ليس فـى قدرة أحد حصـر كل الموضوعـات التى عالجهـا القرآن فـي هذه الحياة .

و أردت أيضا أن آبين ان دعاة المنهج الأدبـى في التفسـير لم يرسموا عريضـة ولا دقيقـة لحصر هذه الموضوعـات ولو من ناحيـة أبوابهـا العامـة الواسعة الشاملـة +. وهـذا و لا شك يعـد قصورا فـي تأسيس المنهج أحببت الاشارة اليـه لتلافيه ما أمكن

هذا من ناحية المنهجية فـي التفسير الموضوعـي وموقف دعاة التفسير الأدبـي منهـا واذا ما نظرنا نظرة أخرى هـى أعمق من الأولـى وتساءلنـا عن الدافـع لدعاة التفسير الأدبـي الى التزام التفسـير

الموضوعي وجدنا أنهم يفعلون ذلك لأمور عددت منها ثلاثه

أولها : اعتقادهم ان طريقة السلف في تفسيرة مرتبا لا تمكن من الفهم الدقيق والادراك الصحيح لمعانيه وأغراضه ....

وسبق لي ايراد هذا الاعتقاد عندهم ورددت عليه هناك باجاز

ثانيها : أن دعاة التفسير الأدبى أرادوا أن يتلافوا بالتفسير الموضوعى التلون المذهبي في التفسير أو الانجراف به من تفسير الى مباحث في الفقه أو الاسرائيليات أو النحو أو العلوم التجريبية أو غير ذلك مما انتشر فى التفاسير القديمة

وثالثها : أراد دعاة المنهج الأدبي من الدعوة الى التفسير الموضوعى والتحذير من التناول المتفرق للموضوع الواحد مما يشتت الذهن فيه ولا يؤدى الى الفهم الكامل لعلاج القرآن الكريم واستحضارة كاملا

هذه في اعتقادى أهم ثلاثة أمور أرادوا بدعوتهم للتفسير الموضوعى أن لا يقع فيها المفسر فهل أصابوا الحق فى ذلك ؟!

أما أولها فسبق بيان الرد عليهم فيما وضعوا فيه تفاسير السلف فقد بينت هناك أن السلف وان لم يتناولوا التفسير الموضوعى تطبيقا فانهم قد استفادوا منه نظريا فلا يفسر أحدهم آيه الا ويستحضر أن في ذهنه أو في مقاله الأيات الأخرى المشابهة ويزيدون أيضا انهم يستحضرون معها ما هو خارج عن كلماتها أعنى بذلك السنة النبوية وهذا هو مضمون التفسير الموضوعي

أما ثانيها فانى أعتقد أن التفسير الموضوعى والالتزام به ليس هو الذى يمنع من التلون المذهبي والإنحراف في التفسير عن الحق الى الضلال والذى يمنع من ذلك .انما هو شيء بعيد عن القواعد المنهجية والأطر المحبوكة وانما يكمن في سويداء القلب

والواقع - كما يقول الدكتور الفاضل محمد ابراهيم شريف - ان التفسير القرآني حديثا لم يشهد ما خرج به عن حده وطبيعته الا من أشهر محاولات الاتجاه الادبي تمسكا والتزاما وعصمة بالموضوعية ولم يشهد تاريخ التفسير على طوله ما يزيزل يقين الاطمئنان الى معطيات النص القرآني التأريخية مثلما شهد من هذة المحاولة . . . " (١)

ونحمد الله ان هذة المحاوله لم يجف مداد قلمي بعد من الحديث عنها تلكم هى " الفن القصصي في القرآن الكريم " للدكتور محمد أحمد خلف الله

أما ثالثها فلقد وقع دعاة التفسير الأدبي فيما قروا منه ووقعوا في نفس الحضره التى حذروا منها

فاذا كان دعاة المنهج الأدبي قد حذروا من التفسير المرتب لأنه يؤدى الى التناول المفرق للموضوع الواحد حسب وروده في السور مما يشتت الذهن - فانهم قد تناولوا بالتفسير موضوعات ذات شعب شتت تناولهم لتلك الشعب الذهن آكثر مما شتته أولئك

وتفصيل ذلك وبيانه يطول ولعل في ضرب المثال ما يغني عن كثير من المقال واذا كان الأمر كذلك فانا نضرب المثل بالدراسة الموضوعيه لـ " الظلم في القرآن الكريم " قد يبدو ظاهرا أنه موضوع منفصل بذاته لكنه كغيره من الموضوعات بينه وبينها تداخل وترابط لا تصل الى الحق فيه الا عبر مسالك و ممرات الموضوعات الاخرى

فدراسة الظلم توجب بيان الشرك وهو في أبواب العقائد لأن الشرك

---

(١) اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر : د / محمد ابراهيم شريف ص ٥١٧

ظلم عظيـــم ـ . . . . ولنفسك عليك حق ولجسدك عليك حق وارهاقهما بالتكاليـــف ظلم فد خلت من هنا العبادات . . . ولزوجك ولولـــدك ولجارك عليك حق والتقصير فيها ظلم فد خلت من ذلك المعامـــلات كما لا تنفصـــل عنها معان أخـــرى كعمل السوء . . . . والافتراء . . . . وتعدى حدود اللـــه . . . . والانحراف عن الصراط المستقـــم . . . . . . ومنع مساجد الله من ان يذكر فيها اسمه وكتم الشهادة والكذب علـــى اللـــه والتكذيب بآياتـــه والاعراض عنهـــا واتباع الهوى وأكل الربـــا وأخذ مال الآخرين بغير حق وأكـــل آمـــوال اليتامـــى وترك الحكـــم بما أنـــزل اللـــه وتولـــى الكفار وخيانة الامانـــة واتهام البرىء و . . . و . . . . . وغير ذلك كثـــير

كل هذه معان تدخل تحت الظلم ولا تتم دراسته الا ببيانهـــا وبهذا يظهر جليا أن موضوع الظلم ليس مستقلا بذاتـــه وليس منفصـــلا عن الموضوعـــات الأخـــرى وانما هو موضوع متصل مترابـــط معها اتحدث فـــي داخلـــه كل هذه الموضوعـــات وان كانت صبغتـــة الخارجية ذات موضـــوع واحـــد

ومن هنا فان المفسر الموضوعـــي يخطىء حين يتصـــور أنـــه بدراسة الظلم في القرآن الكريم انما يتناول موضوعـــا واحدا حقيقـــة بل الحق أنه يتناول موضوعـــات عدة ومن هنا أيضا يخطىء صاحـــب المنهج الأدبـــي ان اعتقد أنه بالدعوة الى التفســـير الموضوعـــي قد تحاشى تشتيت الذهن ـ المزعـــوم ـ هناك بل وقع فيما حـــذر منـــه

وبهذا نعتقد بأن الدعوة الى هذا اللون من التفســـير ـ لهـــذا الهدف ـ قد أصبحت غير ذات جـــدوى

ثانيا :- الترتيب الزمني :-

يرى دعاة المنهج الأدبي في التفسير أن ترتيب آيات القرآن الكريم حسب تأريخ نزولها أمر ضروري للتفسير وخطوة لا بد منها قبل الاقدام عليه . ولي في هذا ملاحظتان أذكرهما هنا

الأولى : أن لا أحد ينكر ما لمعرفة ترتيب النزول من منزلة كبيرة ودرجة عالية في التفسير اذ يترتب على ذلك أمور قد تقلب الحكم رأسا على عقب كيف لا والناسخ والمنسوخ انما يعرف بهذا وسواه كذلك .... لكن وما أصعب لكن هذه ... هل اتفق السلف أو الخلف على ترتيب معين لنزول آيات القرآن الكريم ؟ قد نعرف تقدم آيات وتأخر أخرى لكنا لا تعرف يقينا ترتيبا كاملا لها . واذا كنا نجزم بذلك جزما فان بناء المنهج الأدبي على أساس علم يقينا فقده أمر يحتاج الى اعادة نظر

الثانيه : ـأن أحدا من دعاة المنهج البياني أو الأدبي في التفسير لم يحل الى ترتيب معين لا في القديم ولا في الحديث ولم أر أحدا منهم قدم محاولة لهذا الترتيب ، ولئن كان اهمالهم للخطة في التفسير الموضوعي قد يلتمس له عذر بأن النص موجود لكنه يحتاج الى جهود وجهود فان الأمر هنا يختلف اذ أن الجهود فيه مهما توافرت فانها تفتقد السند والأدله التى تأخذ بيدها الى الصواب والا كانت كجهود من ينفخ في رماد

ثالثا : النظر في المفردات وتدرج دلالة الألفاظ

يعتبر دعاة المنهج البياني في التفسير تتبع تدرج دلالة الألفاظ الأصل الأول في فهم دلالة ألفاظ القرآن وهم يقصدون من هذا الوصول الى معناها في الوقت الذى تليت فيه أول ما تليت وتفسيرها به ولنا في هذا وقفات

الاولى : أن العربي لا يفهم بعربيته كل ألفاظ القرآن الكريم ذلكم أن القرآن الكريم خالق لمعناه في كثير من الأحايين وليس انعكاسا للعقل العربى أو الظروف التأريخيه المحدوده [1] فمن الألفاظ القرآنية ما يطابق كل المطابقه مدلولها في وقت نزولها ومنها ما لا يطابقه كذلك فهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقف - وهو العربي القح - حائرا في مدلول كلمة " أبّا" وهذا رجل عربي آخر يفهم الخيط الأبيض والخيط الأسود انهما خيطان يلمسهما بيده ويضعهما تحت وسادته وعلى مستوى الجماعة أولئك الصحابة رضى الله عنهم لم يفهموا مدلول الظلم في احدى الآيات حتى بينه المصطفى صلى الله عليه وسلم " انه ليس الذى تعنون . . . [2] ومن هذا وأمثلة أخرى كثيرة ندرك أن القرآن وان كان نزل بلسان عربي مبين وان كان العرب الخلص يفهمون ويدركون مراميه بمقتضى سليقهم العربية الا أن ألفاظه الكريمة ليست صماء خالصة بل ان فيها من المعاني الجديدة ما يضفى على اللغة اشراقة أخرى من المدلول الصحيح بحيث لا تنكرها اللغة ولا يعافها الذوق وهذه قد يقصر عنها أحيانا معناها وقت نزولها فلا يكفي - وحده - لجلاء معناها الصحيح فيحتاج مع ذلك الى النظر في المركبات واستكناه معنى هذه المفردة على ضوئها . خلاصه الأمر أن الاستعمال القرآني للمفردة قد يحمل معه معاني متجددة ليست مطابقة كل المطابقة مدلولها الوضعى في وقت نزول القرآن الكريم

---

(١) اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر : د محمد ابراهيم شريف ص ٥٢٨

(٢) رواه الامام احمد فى مسنده رقم ٣٥٨٩ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وقال أحمد شاكر اسناده صحيح (مسند الامام احمد جه ص٢٠٧ ، وبمعناه رواه البخارى وغيره

الثانيه : ـ ان تتابع العلماء في تفسير القرآن الكريم يشهد أنهم لم يقفوا في ألفاظ اللغة على معنى واحد لا يتجدد ولو فعلوا لانقطع مسار التفسير ولما تسلسل الى عصرنا هذا والى أن يرث الله الأرض ومن عليها ولما أوردوا في الكلمه الواحدة معاني متعددة ولما حرص كل واحد منهم أن يسوق مع رأيه آراء العلماء الآخرين

وهذا اعتراف منطوق حينا ومفهوم أن معانى الكلمات القرآنية غنية ومتجددة يضفى كل مفسر منهم ما يراه مناسبا ويروض ثقافته وتصوره للمعنى في حرية حى يستخرج ما قد يستنبطة من معاني :جديدة والا فلافائدة فيما جاء به الا التكرار والترديد

واذا كان الآمر كذلك فان التزام المنهج البياني لمدلول الكلمة ومعناها وقت نزول القرآن الكريم تعطيل لها عن معانى آخرى لم تظهر بعد تحمل معها مطابقة القرآن الكريم لمقتضى حال كل عصر من العصور معلنة اعجازا مستمرا متجددا لا ينقطع ودا عية الى زيادة التأمل والتدبر في آيات الله .

وليس هناك ما يمنع أن تحتمل ألفاظ القرآن الكريم وهى كلام الله سبحانه وتعالى الذى لا يشابهه كلام بشر معانى لم تظهر بعد ادخرها الله سبحانه وتعالى لأهل العصور التالية ليكون ما فيها من مفاهيم وحقائق اعجازا لهم وأى اعجاز" (١)

الثالثه :ـ ان الدعوة الى معرفة مدلول الألفاظ وقت نزول القرآن لا شك تعين على معرفة رأى صائب لكن هل الوصول الى هذا من السهولة

---

(١) اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر: د / محمد ابراهيم شريف ص ٥٣٦

بمكان ؟ الحق انه ليس من السهل - ان كان ليس من المستحيل - الوصول الى معرفة معنى من المعاني التى فهمها الصحابة لكن الذى أراه يكاد يصل الى درجة المستحيل أن تعرف كل المعاني التى فهمها الصحابة من النص القرآنى الواحد فضلا عن النصوص كلها

لست أقول هذا تعجيزا ولا تثبيطا للهمم فالاستاذ أمين الخولى يعترف بهذا حين يقول " واذا كان هذا هو الاصل الأول في فهم دلالة ألفاظ القرآن فمن لنا به مع أن معاجمنا لا تسعف عليه ولا تعين . . . . فليس امام مفسر القرآن حين يبتغي المعنى الأول لالفاظة الا ان يقوم بعمل في ذلك مهما يكن موءقتا وقاصرا فانه هو كل ما يمكن اليوم " (١)

لكن الحق الذى أره في هذا ان لا يجعل الوصول الى هذا المعنى هو الاصل الأول في فهم الالفاظ القرآنية وانما يعتبر معينا للوصول الى رأى صائب لا يمنع من معانى أخرى صائبة يحملها كلام حكيم خبير انزل كتابه للأمه في عصر الرسول ولها في سائر العصور الى أن يرث الله الأرض من عليها

ولئن كانت مطابقة النص القرآني لمقتضى الحال وقت نزول القرآن أمرا مطلوبا فان مطابقتها لمقتضى أحوال الامم والعصور التالية وهي مخاطبة به على حدّ سواء مع العصر الاول - امر ايضا مطلوب ومن الخير أن نسعى لبيان الاخير سعينا لبيان الأول .

رابعا : قبول التفسير النفسي ورفض العلمي التجريبي :-

والحديث عن مطابقة الكلام لمقتضى الحال حديث عن البلاغة في

---

(١) التفسير معالم حياته منهجه اليوم : امين الخولى ص ٤٢ - ٤٣

القرآن الكريم ومن هنا انطلق الاستاذ الخولى ليقرر أمرا آخر على هذا سقنا نصه في حديثنا عن أسس المنهج ومنه قوله " ان ما استقر من تقدير صلة البلاغة بعلم النفس قد مهّد السبيل الى القول باعجاز القرآن النفسى للقرآن ..... الخ (١)

ولأن أرباب المنهج البياني ينظرون الى مفردات القرآن من زاوية معانيها وقت نزوله فانهم يرفضون كل ما تفسر به من نظريات أو حقائق علمية حديثة لأنها لم تكن من مدلول المفردة حينذاك .

ومن هنا نرى ثغرة في منهجهم أو سمها ان شئت اضطرابا في المنهج كان الموقف الحق أن يرفضوا النظريات الحديثة لعلم النفس والنظريات العلمية الحديثة ... جميعا أو أن يقبلوها جميعا

اذ كيف يسوغون تفسير النص القرآني الكريم بنظريات علم النفس الحديثة التى لم تكن من مدلول المفردة وقت نزول القرآن الكريم في نفس الوقت الذى يرفضون تفسيرها تفسيرا علميا كذلك

خامسا : بين النظرية والتطبيق :

أبرز اسس المنهج البياني في التفسير هي النظر في المفردات ثم الدراسة الموضوعية

وذا نظرنا الى نتاج اتباع هذا المنهج واصحابه وجدنا بعضها يهتم بالموضوع وقد يجيد التطبيق لكنه يتعثر في أول درجات النظر فى المفردات فلا يكاد يخطو فيها خطوة

---

(١) التفسير معالم حياته منهجه اليوم : امين الخولي ص ٤٥

وفـــي الجانب الآخـــر نجد دراسات نجحت فـــي النظـــر فـــي المفردات لكنهـــا اذا حاولت ـ ان حاولت ـ التفسير الموضوعي تعثرت فيه ولم تكد تخطو خطوة واحده !!

وبهذا يكون المنهج البيانـــي فـــي التفسير حتى ساعتنـــا هـــذه مجرد نظريـــة لم تطبق بعد تطبيقا كاملا وآتي على هذا بشاهديـــن

الاول الدكتور عفت محمد الشرقاوى حيث قال ".... لكن الـــذى لا نفهمه أن آثار الشيخ امين الخولـــي نفسه فـــي التفسير لا تحتكـــم الـــى هذا المنهج طويلا فـــي استخراج الدلالة وهكذا ظل الفـــارق بعيـــدا بين الواقع والمثال فـــي آثارهم جميعيا ..." (١)

الثانـــي الدكتور محمد ابراهيم شريف الذى قال " تجدر الاشارة الى أن المنهج بهذه الصورة من القيود والمتطلبات لم يـر النور فـــي محاولة ما مـــن محاولات أتباعـــة وانما وقعت محاولاتهم موقعا بعيدا عـــن الأمـــل الطموح بصورة أو بأخرى . . " (٢)

وقال أيضا بـ" تخلف التنائج عن المقدمات العريضـــة في دعـــوة المنهـــج الأدبـــي الموضوعـــي وقصور محاولاتـــه ووقوعهـــا فـــي منزلة أدنى بكثير من طموح أصحابهـــا ، فلم تشهد الدعوة تطبيقا كاملا فـــي احدى محاولات التفسير" (٣)

بل قال ما هو أشد " وفي تصورنـا الآن أن أمين الخولي اذا كـــان قد بدأ نظريتـــه التفسيريه ليجدد منهج التفسير القرآني .....فلقد انتهى الأمـــر بالتفسير في نهاية نظريته الى أن أصبح علما لم يبدأ بعد ولكن من الممكن له أن يبدأ بل أن ينمو وينضج اذا ما سار على ذلـــك الدرب الشاق بكل صعوباته ومسئولياته ...." (٤)

---

(١) اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث د عفت محمد الشرقاوى ص ٣١٠
(٢) (٣) (٤) اتجاهات التجديد فى تفسير القرآن الكريم في مصر : د محمد إبراهيم شريف الصفحات علي التوالى ٥٠٨ ، ٥٩٧ ، ٥١٠

بقي أمر ينبغى أن لا أغفله وان كان حقه أن أذكرة في أول حديثي عن المنهج .. كان حقه كذلك لو أن الاستاذ آمين الخولي صرح به لكنه لأمر لا أدريه كتمه .... وأحسب هذا يخولنى ذكره في الملاحظات على المنهج

ذلكم الأمر هو جانب التأثر ومصدره عند امين الخولى في تقرير هذا المنهج

حقيقة أن الاستاذ أمين الخولي تأثر - فيما أرى بثلاثه أشخاص الاول والثاني منهما كان جانب التأثر بهما غير كبير جدا ولعله لهذا أشار أو لمح اليهما وهما

١ - الراغب الاصفهاني في كتابه " مفردات القرآن "

٢ - الاستاذ الامام محمد عبده في تفسير " المنار"

لكنه لم يذكر الثالث ولم يشر اليه من قريب ولا من بعيد مع أنا كما يقول الدكتور السيد أحمد خليل - لا نكاد نظفر بجديد عنده يختلف عما دعا اليه " شلاير ماشر ...."[(١)]

ويقول الدكتور في موضع آخر عن القواعد التى أصلها شلاير ماشر الالماني لتفسير أى نص :- "وقد كان لهذه القواعد والأصول مكانها البارز في حركة مجددة قام بها الأستاذ أمين الخولي في الجامعة دون أن يشير رحمه الله تعالى الي تأثرة بهذه القواعد واستفادته منها "[(٢)]

---

(١) دراسات في القرآن : الدكتور السيد أحمد خليل ص ١٤٥ - ١٤٦

(٢) المرجع السابق ص: ١٣

ومن المعلوم ـ كما أشرنا في ترجمته ـ أن الاستاذ أمين الخولي عمل في المفوضية المصرية في برلين وأنه ألمَّ باللغة الالمانية

ويبقى السؤال حائرا يبحث عن اجابة لِمَ لَمْ يذكر الاستاذ / أمين الخولي تأثره بقواعد التفسير عند شلاير ماشر الالماني الجنسية

ومع هذه الملاحظات على هذا المنهج فانه يبقى له وجه آخر مشرق حيث خط سبيلا بينا الى الحقيقة القرآنية وأرشد الى اسلوب أدبي صحيح في تذوق أساليب القرآن

وأهم من هذا كله أنه كشف عن آفاق جديدة للاعجاز في القرآن الكريم وجدد في الأدباء المعاصرين الحس الفني حيث الابداع في العرض وقوة الحق وجمال الأداء وهو حس كادت أن تنطفىء ناره في مجتمع الهته تيارات المادة في العصر الحديث

وفوق هذا كله قدم بعض أرباب المنهج البياني نماذج أصيله لتفسير المفردات حيث التتبع للفظة في القرآن الكريم واستخراج معناها من وحي السياق

واذا ما ابتعد أصحاب هذا اللون في التفسير عن تلك المزالق والمتاهات التى أشرنا الى بعضها فانه يؤمل لهذا المنهج ان يحتل في العصر الحديث مكانة سامية . سدد الله الخطى وأصلح النوايا انه سميع مجيب

الباب الرابع

الاتجاه الأدبي في التفسير

الفصل الثاني

منهج التذوق الأدبي في التفسير

المراد بـه :

لا أقصد بالتذوق الأدبي اطلاق العنان لكل قارئ لاعمال ذهنه الذاتي لاستخراج معاني النص ... لأن هذا سيؤدي بنا - حتما - وعلى أحسن الأحوال الى أن نجد من تفسير الآية الواحدة ما يساوي عدد القراء بل أكثر منهم .

ولكني أقصد به الموازنة بين الذات ... و ... الموضوع .... فللذات حقها في جانب الاستغراق في النص والشعور به بحيث لا يصل الى الاستغراق الصوفي التام الذي يطغى على النص وعلى جانب الجمال الاجتماعي فيه ... وللموضوع حقه في التزام مدلوله اللغوي وحدوده الشرعية والتنبيه الدقيق الى المعنى الصحيح السليم والتزام أبعاد معانيه ومدلولاته بحيث لا يتجاوزها فيشطح .

ان الموازنه بين الذات والموضوع - في رأيي - هي التي تستقر بصاحبها في ميدان التذوق الأدبي وبقدر الموازنة يكون الاستقرار فيه .. فان طغت الذات على الموضوع خرج عن نطاقه الى نطاق التفسير الصوفي الذي يعتمد على الأوهام أكثر مما يعتمد على الحقائق ... وجنح بصاحبه الى الخيال الجارف الذي لا يعتمد على قواعد ثابتة ولا أصول راسخه بل يموج ويضطرب كما تضطرب الريشه في الهواء ..... ومن هنا نفذ الباطنيون الى الالحاد في تفسير القرآن الكريم حيث لا ارتباط بالنص ولا بمدلوله بل انسلاخ منه !!

وان طغى الموضوع على الذات خرج عن نطاق التذوق الأدبي الى نطاق التفسير العلمي البحت وضاقت جوانب جذبات النفس

وارتباطها بالنص وأصبح المفسر والنص كتلتين منفصلتين لا تمازج بينهما ولا تجاذب وحينئذ يكاد المفسر أن يكون مجرد آله لا تفاعل بينها وبين معمولها . .

اذا فالتذوق الأدبي - عندي - يقوم على الموازنة بين الذات والموضوع . . هو وسط بينهما

والتذوق للقرآن الكريم حركة نفسيه وانطباع ذاتي لا يملك الإنسان له ردا ولا يستطيع له منعا بل لابد أن يظهر أثره في خلجات سامعه وسكناته شاء ذلك أم أبى وقد أدرك المشركون ذلك ولذلك سعوا الى حسم سماعه أولا " وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون "[1] وانما فعلوا ذلك لادراكهم أنهم لا يملكون دفعا للتأثر بل قد يأخذ منهم بالألباب ويؤدي بهم الى ما لا يريدون وكل ما يملكونه أن يتداعوا الى عدم سماعه واللغو فيه عند تلاوته حتى لا يصل الى شغاف قلوبهم فان وصل فإنهم لا يملكون الا أن يقولوا - حقيقه - ان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق . . الخ وقد يكابرون ويعاندون ويزعمون أنه سحر

حتى الجن كانت النزعة الانطباعية عندهم عند سماعهم له أن قالوا " انا سمعنا قرآنا عجبا . . "[2]

والنصارى عند سماعهم له تفيض أعينهم من الدمع" واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما

---

(١) سوره فصلت : ٢٦

(٢) سوره الجن : الآيه الاولى

عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين"(١)

والذين يخشون ربهم تقشعر جلودهم عند سماعه ثم تلين وتلين قلوبهم معها " الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ..." (٢) الآيه

هذه وتلك بعض مظاهر التأثر بالقرآن الكريم وتذوق نصوصه ظهرت بين الناس على اختلاف أنواعهم بل والجن أيضا واختلفت بين فيض الدمع وقشعريره الجلد ولين القلوب واظهار علامات الدهش والعجب

ولكن هذه المظاهر لم تتجاوز التأثر الذاتي فلم يترجمها أحد أحرفا على الورق يفيض بها ذوقه السامي ويسطرها قلمه الطاهر معالم يهتدى بها من قصر باعه وقلت بضاعته فلم يتذوق النص أو لم يستطع التعبير عنه

وحين تظهر عبارة صادقة معبرة عن مظاهر تذوقه فان الألسن حينئذ تتداولها وأن الرواة يتناقلوها كما يتناقل الصاغه الجوهره الثمينه حتى وان كانت العبارة قصيرة حتى وان كانت مجمله

وخذ مثلا عباره قالها الوليد بن المغيره حين استمع الى آيات من القرآن وهو الكافر ما ملك من أمره الا أن قال :-

" والله ان لقوله الذى يقول لحلاوه وان عليه لطلاوه وانه لمثمر أعلاه ومغدق أسفله وانه ليعلو وما يعلى وانه ليحطم ما تحته " (٣)

---

(١) سوره المائده : ٨٣

(٢) سوره الزمر : ٢٣

(٣) انظر فتح القدير : الشوكاني جه ص ٣٢٩

تداول الرواة هذه العبارة لما فيها من تعبير صادق عن التذوق للنص القرآني وقدره التعبير عنه ، هذا والعبارة موجزة ومعناها مجمل

كيف الأمر اذا وفق الله عز شأنه رجلا يخرج تفسيرا شاملا للقرآن الكريم يحمل مثل هذه المعاني الساميه ويترجم دقائق جذور التأثر من أصولها أحرفا نيرة على الورق تحكي قمة من قمم التذوق الأدبي للنص القرآني الكريم.

لا أنكر بادئ ذي بدء أنني وقفت طويلا وقفة شحيح ضاع في الترب خاتمه وقفت أدقق النظر وأرجع البصر ملتمسا أثرا يبصر أو لا يكاد يبصر لمعالم هذا المنهج وآثار السائرين فيه

لم أكد أجد في الجادة الا أثرا لقدمين هما لرجل واحد تمشيا فيه بعزيمة وثبات وكأنهما تسيران على خط شق لهما من قبل بل كأنهما تسيران على نور البصيرة والبصر

وعدت أسائل نفسي أيعد طريق يبس الا من قدمين اثنتين من مناهج التفسير؟ وكان جوابها - وأحسبه حقا - أن المناهج كلها تبدأ كذلك ثم يكثر سالكوها ..... وهي من أول أمرها تعد منهجا

اذا فلا تثريب على ان أعتبرت تفسير سيد قطب رحمه الله تعالى منهجا في تفسير القرآن الكريم ، وحده

ولعل لمعترض أن يقول كيف تقدم النتيجه على المقدمه ؟ زعمك أن انفراد سيد قطب رحمه الله تعالى في المنهج لا يمنع من اعتباره منهجا زعمك هذا نتيجة لمقدمة تثبت انفراده رحمه

الله تعالى فهل - حقا - انفرد سيد قطب رحمه الله تعالى في هذا المنهج ؟

وجواب هذا المعترض ليس بايراد التفاسير كلها وعرضها حتى أثبت به ما أقول فهذا أمر يطول ويشق . ولكنه بالشهود وهم كثير

فهذا الكتور محمد ابراهيم شريف يصف تفسير سيد قطب رحمه الله تعالى " في ظلال القرآن " بأنه " يمثل تيارا برأسه يجمع فيه بين الذاتية والذوقية، والفنية الجماليه"(١)

ويصفه في موضع آخر بالندرة من اعتبارات كثيره(٢)

ويصف الدكتور عدنان زرزور منحى سيد قطب رحمه الله تعالى بأنه " منحى خاص"(٣)

أما الدكتور محمد المبارك فيعترف لسيد بأن له " فضل كبير في السبق الى الكتابة والنشر في هذه الموضوعات على أسلوب حديث "(٤)

بل أن الدكتور عفت الشرقاوي الذى تحاشى الحديث عن سيد قطب - وهو يكتب عن " اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث" لم يجد بديلا لسيد قطب وحين اضطر لذلك وصفه بـ " أحد الدارسين"(٥) وكتب دراسة لكتابه " التصوير الفنى في القرآن الكريم" في عشر صفحات(٦) ومع هذا تحاشى ذكره أيضا في المصادر

---

(١) اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر: د محمد ابراهيم شريف ص ٥٨٣
(٢) المرجع السابق :ص ٥٩٣
(٣) علوم القرآن : الدكتور عدنان زرزور ص ٤١٦
(٤) دراسه أدبيه لنصوص من القرآن : محمد المبارك ص٨
(٥) اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث: د / عفت محمد الشرقاوى الطبعه الأولى سنه ١٩٧٢ م ص ٣٣٨
(٦) المرجع السابق انظر ص ٣٣٨ الى ٣٤٨

والمراجع فلم يذكر اسم كتابه حتى لا يضطر لذكر اسمه .

وهو مع هذا يذكر فى نهاية حديثه عنه قوله " لا يعثر الباحث على نماذج كثيرة فى جهود المفسرين المحدثين تتخذ التذوق وحده رائدا في التفسير كما رأينا فى المحاوله السابقة " (١) ولا نظنه وجد نماذج ولو قليله ولو كان قد وجد لما ذكر سيد قطب مثلا وانما وجد دراسه وصفها بأنها مماثله الى حد ما " (١)

ما قصدت من هذا أن أذكر موقف الدكتور عفت (٢) ولكنى قصدت مكانة سيد رحمه الله حيث لم يجد من حاول أن يتحاشى ذكره بد من الاشارة اليه اذ ليس في الساحه سواه .

وأصرح من هذا كله وأوضح ما كتبه الدكتور صلاح دحبور فى رسالته التى قدمها لنيل درجة الدكتوراة عن " فى ظلال القرآن " حيث وضع عنوانا " سيد قطب يوءسس مدرسة جديدة فى التفسير " قال فيه " يعتبر الظلال لونا جديدا خاصا فريدا من التفسير ويعتبر نقلة جديدة بعيدة في التفسير . . . . وأن الظلال يعتبر مدرسة خاصه في التفسير . . . . . . يمكن أن نعتبر سيد قطب مفسرا موهوبا وموءسسا لمدرسة متميزة فريدة فى التفسير . . . لقد كان سيد قطب مجددا فى الظلال حيث سار على منهج خاص" (٣)

ونحن نقول مثل قولهم أن سيد قطب رحمه الله تعالى صاحب مدرسه خاصه ومنهج خاص

ولهذا فلا تثريب على اذ لم أقدم كعادتى فى كل منهج

---

(١) المرجع السابق ص ٣٤٨
(٢) ولعل السبب فى ذلك أن الشرقاوى ألف كتابه سنه ١٩٦٣ وكان سيد قطب ـ رحمه الله وقتها فى سجن عبد الناصر
(٣) فى ظلال القرآن دراسة وتحقيق : د صلاح عبد الفتاح دحبور ص ٢١٢ - ٢١٣

دراسه عامه للمنهج وأهم المؤلفات فيه ثم اختيار تفسير أو تفسيرين كنموذج للمنهج أقف عندهما وقفه أطول

لا تثريب على اذا كتبت عن " فى ظلال القرآن " لسيد قطب رحمه الله تعالى مباشرة لأنه يقف فى الساحه وحده فهو والمنهج - حتى الآن - وجهان لعملة واحده

فاذا برع من بعده أحد فى المنهج شاركه فيه وتفرد سيد بالأقدميه أما الآن فلسيد الأقدمية والانفراد .

فى ظلال القرآن

أولا : المؤلف

ما زالت يدى تمسك بالقلم حينا وتتركه حينا ذلكم أنى ترددت كثيرا ووقفت طويلا

ووقفت حائرا بين داع يدعونى لكتابة ترجمة لسيد قطب رحمه الله تعالى كما ترجمت لغيره عند تناول تفاسيرهم .

وبين داع يدعونى أن لا أكتب شيئا عنه ، وكيف أكتب فى صفحة أو صفحتين عن رجل كتب عنه العلماء فى أكثر من عشرة كتب بعضها فى مجلدات ضخمة دع عنك التراجم والدراسات التى لا يكاد يخلو منها مؤلف فى العصر الحديث عن الدراسات الاسلاميه والقرآنيه

هل من اللائق لمثلى أن يكتب هذه الترجمة أمام هذه المؤلفات والدراسات الأصيلة عنه . وما الجديد فيما يقول شخص لم ولن يخرج عما قيل فى هذه المؤلفات عنه رحمه الله تعالى

ما زلت بين هذا وذاك حتى قر قرارى على وجوب الترجمة ولو كانت موجزه وحتى ولو لم تأت بجديد وحتى ولو كانت أقل درجه ....

لأن ما سأذكره يكاد أن يكـــون القاســم المشترك بين هذه المؤلفـــات كلهـــا وما يضير أن أشترك معهم فيه فى مقام كهذا . ولذا فقـــــد اخترت أن اكتــب هذه الترجمـــة الموجزة التى أحسبهـــا سهمـــا - مجـــرد سهم- يشير الى المؤلـــفات الضخمـــه عنه وحتى هذه المؤلفـات لا أحسبهـــا الا سهمـــا - أيضا - لكنهـــا سهم ضخم يرشد الى . . . . . رجـــل لا كالرجـــال .

اسمـــه ونشأتـــه :

سيـــد بن الحاج قطب بن ابراهـــيم

ولد فى قريـــه من قـــرى الصعيـــد تتبع محافظـــه أسيـــــوط اسمهـــا " موشه" التى قدم اليها جده الخامس من الهند .

وكانت ولادته سنه ١٩٠٦م حيث نشأ فى أسرة ليست عظيمـــة الـــثراء وان كانت أقرب اليـــه ، وكان والده مضيافـــا ولذا كان له مكانـة مرموقـــة بين أهـــل القريـــه

انتهى سيـــد قطب من الدراسه فـــى مدرســة القريـــة عام ١٩١٨م حيث انتقـــل للدراسة الى القاهره عام ١٩٢١ و وانما تأخـــر الى هـــذا العام بسبب ثوره ١٩١٩م ضد الاحتلال البريطانـــى

فاستقر سيد قطب فى بيت خاله فى القاهره وفى عام ١٩٢٥م التحـــق بمدرسة المعلمين الأوليه ثم التحق عام ١٩٢٨م فى (تجهيزية دار العلوم) وهـــى مدرسة خاصة بكليه دار العلوم وتؤهـــل الطالب فيها للدخـــول فى الكليه ، ثم التحـــق بكليه دار العلوم عام ١٩٣٠م وتخرج منهـــــا عام ١٩٣٣م ولـــه من العمـــر ٢٧ سنه وحصل على شهادة الليسانس فـــى الآداب . مع دبلوم فـــى التربيـــه

بعد تخرجـــه زاول مهنـــة التدريس مده ست سنوات انتقـــل بعدهـــا

الـــى وزاره المعـــــارف موظفـــا من سنـــه ١٩٤٠ الى ١٩٤٨ م حيـــث أوفد تـــه الـــوزاره الى أمريكـــــــا

وكانـــت رحلتـــه تلك الى أمريكـــا ـ نقطة تحـــول لحياتـــه الفكريـــه حيث لـــم يكن ارسالـــــه اليها للد راسه للحصـــــول على شهادة عاليـــة كما يحســـــب بعض مـــن كتب عنـه و انمـــا كانت رحلة عملية ميد انيـــــة يقـــوم فيهـــا بزيـــارة الجامعـــات والمعاهـــد العلميـــة فـــــــى امريكـــا ويطلـــع على مناهجهـــا التعليميـــه ليعود فيطبقهـــا علــــــى مناهـــج التعليم فـــى بـــلاد ه . ولذا كانـــت رحلتـــه تلك ذات مـــدة مفتوحـــة وكان أمر انهائهـــا بيده وتنتهـــى بانتهـــاء د راساتـــــــه الميد انيـــــــه

والأهـــم من هذا كله أن رحلتـــه تلك ليست ـ حقا ـ للاطـــــــــلاع على تلك المناهج وانمـــا للتخلص مـــن سيد قطب وآراءه التى كـــــا ن يطالب بهـــا ويلح عليهـــا ولهذا فان سيدا لم يوافق على الرحلـــــــه الا بعد أن منع من الكتابـــة فى الصحف وأغلـــقت مجله (الفكر الجديـــــد) فلم يجد بدا مـــــن السفـــــر

وعـــاد . . . . وقد وجـــد ذاته هناك ووجـــد الاجابـــة على استفساراتـــه وعن غاية الحياه وهدفهـــا السامى النبيـــل . . . " ما يفتـــح اللـــه للناس من رحمه فلا ممسك لهـا (١) . . " ويمكرون ويمكـــر اللـــه واللـــه خير الماكريـــن" (٢)

عـــاد . . . . . وقد خبر الحياة الامريكية بل قـــل الحياة الماديـــة وسجل ملاحظاته تلك فى " أمريكا التى رأيت " الا ان مسودات هذا البحـــث

---

(١) سوره فاطـــــــر : ٢
(٢) سوره الانفـــــال : ٣٠

كانت من ضحايا محنة الاخوان المسلمين عام ١٩٥٤م حيث أحرقت ولم ينج منها الا حلقات ثلاث مختصره نشرت في اعداد مجله الرساله (٩٥٧ ، ٩٥٩ ، ٩٦١)

كانت طريقته في أمريكا تختلف عن طريقه الآخرين . . . عكسها تماما . . . كانوا يتخذون موقف الدفاع والتبرير عن الاسلام . . أما هو فكان يتخذ موقف المهاجم للجاهليه الغربيه . . لا يدع لهم مجالا للاستعلاء . . . ولا يترك لهم فرصة لاشغاله عن الانطلاق . . كان يهاجم فيشغلهم بالرد ويتفرغ للدعوة ولا ينتظر منهم شبهة تشغله بالرد عنها

حتى هذه اللحظه لم يكن له كبير اتصال مع جماعة الاخوان المسلمين الى أن تم اغتيال حسن البنا رحمه الله تعالى سنه ١٩٤٩م وكان سيد وقتها في احدى مستشفيات أمريكا حيث شاهد مظاهر الفرح والابتهاج بل والشماته في كل شيء من حوله في الصحافه وفي جميع أجهزه الاعلام وفي كافه المنتديات . . . كلها تهلل وتهنيء بعضها بعضا بالتخلص من أخطر رجل في الشرق . . . . وحينئذ . . . حصص الحق عنده وأيقن آن هذه الجماعه على الحق . . . ولم يبق له عذر عند الله - كما يقول - ان لم أتبعها فهذه أمريكا ترقص على جمجمة حسن البنا وهذه بريطانيا - أيضا - تسخر أجهزة مخابراتها - حتى داخل أمريكا - لمحاربه الاخوان . . . فصمم في قراره نفسه أن ينضم الى . . . . الأخوان المسلمين

وعاد سيد قطب وهو يعتقد أن تاريخ ميلاده هو تاريخ انضمامه الى الاخوان المسلمين وكان يردد دائما " لقد ولدت عام ١٩٥١م وهو تاريخ انضمامه اليهم .

عاد وهو أخطر على من أرسلوه من قبل فصار يكتب المقالات التى أقضت مضاجعهم وجرت عليه الكثير من المضايقات ولم يحسب لها حسابا فراح يعد البحوث ويلقى المحاضرات ويعقد الندوات ويدير الجلسات وصار بيته موئلا للشباب ومهوى للقلوب.

وقرن القول بالعمل فدعا الى قيام الكتلة الاسلامية كتله ثالثة لا شرقية ولا غربية ، وكان لسيد أثر كبير فى قيام ثوره ٢٣ يوليو وكان موضع احترام رجالها وهو المدنى الوحيد الذى كان يحضر احيانا جلسات مجلس قيادة الثورة

وحين طلبوا منه أن يلقى محاضره فى نادى الضباط فى القاهره غص النادى بالحضور من مختلف الفئات وحرص على حضورها رئيس مجلس الثوره اللواء محمد نجيب بنفسه الا أن عذرا طارئا منعه من ذلك فحضرها نيابة عنه .... جمال عبد الناصر ولم يكتف بهذا بل أرسل رسالة مع أنور السادات يعتذر فيها عن الحضور وقد تليت هذه الرساله على الحضور وقد وصف سيد قطب فيها بأنه رائد الثوره ومعلمها وراعيها وقائد قادتها ورئيس رؤسائها ...[1]

وليس بغريب أن يقول هذا محمد نجيب وهو الذى يعترف فى مذكراته التى أصدرها مؤخرا بعنوان " كنت رئيسا لمصر" " اننى أعرف ان الاخوان كانوا أول من ساعدوا عبد الناصر فى تنظيم الضباط الأحرار ... فى فتره لم أكن فيها قد عرفت عبد الناصر ولا التنظيم"[2]

---

(١) سيد قطب الشهيد الحى : د صلاح عبد الفتاح الخالدى ص١٤١ عن مجله (كلمه الحق) السنه الاولى العدد الثانى ١٣٨٧ ص ٣٧

(٢) كنت رئيسا لمصر : محمد نجيب ص ١٦٧

ولم يكن سيد رحمه الله تعالى فى محاضرته تلك متملقا ولا متشدقا للثوره . ولكنه أعلنها .. أن الثورة قد بدأت حقا وليس لنا أن نثني عليها لأنها لم تعمل - بَعْدُ - شيئا يستحق أن يذكر فخروج الملك ليس غاية الثورة بل الغاية منها العودة بالبلاد الى الاسلام ... وأعلن أنه يخشى من الثورة أكثر من ذى قبل " لقد كنت فى عهد الملكيه مهيئا نفسى للسجن فى كل لحظه وما آمن على نفسى فى هذا العهد أيضا فأنا فى هذا العهد مهيء نفسى للسجن ولغير السجن أكثر من ذى قبل " !!

وكان جمال عبد الناصر - كما قلنا - حاضرا فوقف وقال بصوته الجهورى " أخى الكبير سيد والله لن يصلوا اليك الا على أجسادنا جثثا هامدة ونعاهدك باسم الله بل نجدد عهدنا لك أن نكون فداءك حتى الموت ...." وكان من بين الحاضرين الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار الذى كتب وصفا كاملا لهذا الحفل (١)

وعرضت عليه الثورة مناصب عديدة رفضها كلها إلا منصب سكرتير العام لهيئة التحرير) وما رضى به الا ليسعى للتخطيط للسياسه العليا وكان يستحثهم الاسراع بتطبيق الشريعة الاسلامية وكانوا يراوغون ويماطلون فاستقال بعد شهور وخلفه فى منصبه جمال عبد الناصر نفسه (١)

وعندما وقع الصدام بين الاخوان مع قادة الثورة سنه ١٩٥٤م كان سيد قطب رحمه الله تعالى فى مقدمة المعتقلين وحكم عليه بالسجن خمسة عشرعاما وتفرغ سيد رحمه الله تعالى فى سجنه للدعوه (!!) دعا

---

(١) سيدقطب الشهيد الحي: ص ٤٢ عن مجلة كلمه الحق التى نشر فيها الاستاذ العطار هذا الوصف (النسخة الاولى العدد الثانى ١٣٨٧ص ٣٧ . ٣٩)

بلسانه بين السجناء والجنود فكان يخطب فيهم العيدين والجمعه رغم مخالفة ذلك للتعليمات ودعا بقلمه فسطر أروع كتبه وأفضلها وأشهرها - في ظلال القرآن ....

ويشاء الله أن يكون هذا التفسير من أسباب خروجه من السجن فقد كتب له القبول بين المسلمين وحين زار الرئيس العراقي عبد السلام عارف مصر - وكان قد قرأ الظلال - توسط عند الرئيس جمال عبد الناصر لاخراجه من السجن بطلب من علماء العراق وصدر الأمر بالافراج عنه أواخر عام ١٩٦٤م وعرض عليه عبد السلام عارف أن يسافر معه الى العراق ووعده بمنصب كبير لكنه - رحمه الله - آثر البقاء في مصر

وخرج ليواصل الدعوة ولكنهم في هذه المره لم يمهلوه فأعلنها جمال ومن عاصمه من عواصم الالحاد ونحمد الله أنها لم تعلن من عاصمة من عواصم الاسلام - أعلنها من موسكو ... أن الاخوان المسلمين قد دبروا مؤامره للاستيلاء على الحكم بالقوه ؟! كان ذلك عام ١٩٦٥ م فنشطت أجهزته في القاء القبض على الاخوان المسلمين وأصدقائهم ومعارفهم وأقاربهم ونسائهم وأطفالهم (!!) واقيمت المذابح ونصبت المشانق ولم يترددوا في الاعدام والحرق والتعذيب في أبشع ألوانه وأشكاله تحت آلات أعدت له دونها محاكم التفتيش في أوروبا

وَشرَّفَ الله آلَ قطب فسجن سيد وأخوه محمد وأخواتهما الثلاث نفيسه ولم يمنعهم سنها من ذلك فهي الشقيقه الكبرى لسيد وأمينه وحميده وسجنوا أبناء أخته نفيسه حيث لقي أحدهما حتفه تحت التعذيب وسجنوا أيضا أولاد أخواله ولاقى هؤلاء جميعا من

الأهوال ما لا يوصف." . . . ولا أدرى لم ترد على خاطرى كلما قرأت عن هذه الأسره كلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم لآل ياسر " صبرا آل ياسر موعدكم الجنه " (١)

كان سيد رحمه الله تعالى يحس هذه المره احساسا آخر كان يقول " لقد عرفت أن الحكومه تريد رأسى هذه المره " (٢) وصدق رحمه الله تعالى فقد صدر الحكم باعدامه مع اثنين من الاخوان المسلمين هما محمد يوسف هواش وعبد الفتاح اسماعيل

وقامت الاحتجاجات والمظاهرات فى مختلف أرجاء العالم الاسلامى وتوسطت كثير من الشخصيات . . . لكن الأمر فى هذه المره لا يقبل مثل هذا ولذا فلم يقبل وساطة عبد الرحمن عارف كما قبل وساطة اخيه من قبل (٣)

ولو لم يترك لنا التاريخ الا تلك الكلمات التى قالها سيد باستعلاء المؤمن وعزة المؤمن لكفى بها ، كلمات تخط ليس بالذهب كما يقولون وانما بالنور نور الايمان الذى لا ينطفىء ولا يحجب

قال حين طلب منه أن يقدم التماسا الى جمال عبد الناصر بالعفو عنه ووُعِدَ بالإجابة سلفا إن فعل . . . . . " لماذا أسترحم؟ إن سجنت بحق فأنا أرضى حكم الحق وإن سجنت بباطل فأنا أكبر من أن أسترحم الباطل "

وقال . . . . . ان أصبع السبابه الذى يشهد لله بالوحدانيه فى الصلاة ليرفض أن يكتب حرفا يقر به حكم طاغيه"

---

(١) السيره النبويه : ابن هشام جـ١ ص ٣٤٢
(٢) الشهيد سيد قطب : جماعة اصدقاء الشهيد سيد قطب عن مجله الاخبار الاسلاميه الدوليه . الباكستان عدد شهر اكتوبر ١٩٦٦م ص٥٦
(٣) الشهيد سيد قطب : جماعه اصدقاء الشهيد سيد قطب ص ١٠٤

وقال حين طلب منه الاعتذار فيصدر العفو عنه . . .

لن اعتذر عن العمل مع الله ؟!!

وحين سئل عن صراحته في الاجابه على أسئله المحكمه

قال : -

" لأن التوريه لا تجوز في العقيده ، وأنه ليس للقائد أن يأخذ بالرخص "(١)

وأمام هذا كله صدر الحكم باعدامه أتدرون ما قال عند سماعه

للحكم قال .. الحمد لله لقد عملت خمسه عشر عاما من أجل

الحصول على هذه الشهاده . . .

أتدرون ماذا يعني بالخمسه عشر عاما ؟! تلكم فتره انضمامه

الى جماعة الاخوان المسلمين فهو منذ أن انضم اليهم وهو يجعل

الشهاده نصب عينيه وأحسبها ان شاء الله قد نالها فهنيئا

له .

فقد نفذ فيه حكمهم قبل بزوغ فجر يوم الاثنين ٢٩/٨/١٩٦٦ م

الموافق ١٣ جمادى الأولى ١٣٨٦ هـ

مؤلفاته :

مؤلفاته كثيرة بارك الله فيها ونفع بها الاسلام والمسلمين وهي

ايضا مشهوره ومعروفه ولا أظن ذكرى لها هنا يزيد القارئ

معلومة أو معرفة توازى قيمة الاطالة في الحديث لكني

مع هذا أذكر ما يتعلق منها بالقرآن الكريم وهي ثلاثه :

١ - التصوير الفني في القرآن

٢ - مشاهد القيامه في القرآن

٣ - في ظلال القران

---

(١) الحق أنّ التورية تجوز بل التصريح لمن أكره وقلبه مطمئن ولعل سيد قطب رحمه الله فسر في آخر كلمته ما أراد في أولها

واخيرا

اعتذر عن الاطالة فى الترجمة فما علمت انى قد أطلت الا بعد أن رفعت القلم ولو يعلم القارىء من نفسى ما أعلم لعرف أنى كابدت فى اختصارها الى درجة لا تقبل بعدها اختصارا ولو علم أيضا تلك المؤلفات المطولة التى سطرها أصحابها عن حياة سيد قطب رحمه الله تعالى لعلم أنى قد قصرت (١) :- غفر الله لى ولكم ولسيد قطب وآله واخوانه المسلمين وجمعنا فى مستقر رحمته انه سميع مجيب

---

(١) صدر عن سيد قطب رحمه الله تعالى عدد من المؤلفات منها

١ - العالم الربانى الشهيد سيد قطب للأستاذ العشماوى أحمد سليمان

٢ - سيد قطب .للاستاذ محمد توفيق بركات

٣ - مع سيد قطب فكره السياسى والدينى للدكتور مهدى فضل الله

٤ - سيد قطب وتراثه الادبى الفكرى : للاستاذ ابراهيم بن عبد الرحمن البليهى

٥ - سيد قطب أو ثوره الفكر الاسلامى : للاستاذ محمد على قطب

٦ - الشهيد سيد قطب : مجموعه مقالات نشرت فى الصحف جمعها بعض اصدقاء الشهيد سيد قطب

٧ - سيد قطب الشهيد الحى للاستاذ صلاح عبد الفتاح الخالدى وعلى هذا الكتاب اعتمدت فى هذه الترجمه ألا ما أشرت الى مرجعه

٨ - رائد الفكر الاسلامى المعاصر الشهيد سيد قطب: للاستاذ يوسف يوسف العظم ، وهناك رسائل عليا منها ما هو للدكتوراه مثل فى ظلال القرآن دراسه وتقويم للاستاذ صلاح عبد الفتاح جامعه الامام محمد بن سعود الاسلاميه ومثل سيد قطب ناقدا للاستاذ أحمد البدوى جامعه الخرطوم وسيد قطب والتصوير الفنى فى القرآن صلاح عبد الفتاح (ماجيستير) وسيد قطب الاديب الناقد للاستاذ عبد الله الخباص(ماجستير)) الجامعه الأردنيه

ثانيا : فى ظلال القرآن

لهذا التفسير مزايا داخلية ومزايا خارجية ؟ تسألون عن الخارجيه فأقول انها مزايا شيقه أيضا وأعنى بها تلك الأطوار التى مر بهاهذا التفسير منذ أن سطرته أصابع صاحبه الى أن طبع طبعاته الشرعية الأخيره

وليس هذا مقام الكتابة عنه مفصلا حتى أتناول تلك المزايا وقد كفانا مؤنة ذلك الأستاذ صلاح الخالدى فى كتابه سيد قطب الشهيد الحى ويكفى أن أقول هنا أن هذا التفسير أول ما أشرقت شمسه وبرقت جواهره كان فى كتاب آخر سماه (التصوير الفنى فى القرآن) ثم بدا لصاحبه أن يعرض القرآن كله على ضوء ذلك

ثم ترجم هذه الأمنيه ليس فى كتاب بل فى مجله كان يصدرها سعيد رمضان واسمها " المسلمون" فكتب مقالات شهريه تحت عنوان " فى ظلال القرآن" ونشر فى المجله سبع حلقات تولدت عنده بعدها عزيمة أخرى أن يقوم بتأليف تفسير كامل على هذا النهج ويصدره فى كتاب مستقل فى ثلاثين جزءا يظهر كل جزء خلال شهرين ،ووفى رحمه الله بوعده بل كان أحيانا يصدر الجزء فى أقل من شهرين ويكفى أنه صدر ما بين اكتوبر ١٩٥٢ م وبين يناير ١٩٥٤ م (أى فى سنه وأربعه أشهر) سته عشر جزءا بمعدل جزء فى كل شهر واحد

ودخل السجن وأصدر منه جزءين السابع عشر والثامن عشر ثم خرج من السجن وعاد اليه أخرى فأصدر بقية الاجزاء ولم يكتف بذلك بل عاد ينقح الأجزاء الأولى ويطبعها منقحه فتضاعف حجمها اذ كان حجم الجزء منها يزيد

علـى ضعف حجمه فى الطبعه الأولى ووصل فى التنقيح الى الجزء العاشر.... وأخرج من السجن فواصل العمل وقام بتنقيح الاجزاء ١١، ١٢، ١٣، ودخل السجن ثالثة ولكن الطغاه هذه المره لم يمهلوه بل أعدموه رحمه الله رحمة واسعة وطبع الكتاب بعد ذلك عدة طبعات من أهمها الطبعة اللبنانية فى ثمانيه مجلد اتضخمه ثم تولت طباعته بعد ذلك دار الشروق فى سته مجلدات وما زال يطبع كذلك

منهجه فى التفسير:

لا شك أن الحديث عن سيد قطب رحمه الله تعالى حديث تنصت له القلوب قبل الآذان لا لأنه سيد قطب ولكن لأنه مثال الداعيه الذى أبى أن يخضع لجبروت الطاغيه فباع حياته ثمنا للدفاع عن عقيدته نحسبه كذلك ولا نزكى على الله أحدا

أما الحديث عن تفسيره فلا تمله القلوب بل تميل اليه ولا تمله الأفئده بل تهفو اليه ليس من ناحية واحدة فيه بل من شتى نواحيه وحين تتحدث عن ناحيه واحده منها فانك تجد من لسانك اطنابا ومن قلمك سيلانا ومن تلك الناحيه عطاءا ومددا لا تكلف فيه ولا زياده

لست أقوله هذا وقد جعلت حاجزا المحبة بينى وبين الواقع ولكنى أقوله بلسان هذا الواقع فقد صدر عن هذا التفسير كثير من الدراسات والأبحاث ومازال نبعها فيضا وما زال عطاؤها متجددا

ومادام الأمر كذلك فلا تطمعن منى فى هذا المقام أن أصب لك البحر فى كأس

ولا أكتمك حديثا أنى وقفت حائرا على شاطئ هذا التفسير

أى جواهره التقط وأيها أدع؟ عن أيّ درره أتحدث وعن أيها لا يسعنى الحديث؟ هل أتحدث عن الأهداف الاساسية أو الاغراض الرئيسيه فيه ؟ أو أتحدث عن معالم الجمال فيه؟ أو أقصر حديثى عن التفسير الفكرى أو أبسطه فى الحديث عن التفسير الحركى العملى عنده ؟ أو أتكلم عم سماته أو عن مميزاته أو عن واقعيته ، أو عن عرضه البيانى المشرق أو عن طريقته الخاصه فى التفسير أو موضوعيته

هذا قليل من المداخل الواسعه لدراسه تفسير " فى ظلال القران "[1] . فهل ترون من حقى أن أكتب عن كل هذه المعالم؟ اذا فالأمر يحتاج لا أقول لبحث مستقل بل لأبحاث وما دام الأمر كذلك فلا بد من قصر الحديث على الجانب الذى يواجه دراستنا هذه منها أعنى الحديث عن أسس منهجه فى التفسير دون سواه وعذركم أيها الأحبه ان دخلت فيها مباشره فقد قدمت العذر

الأساس الأول : الأسلوب الادبى

آتى الله سبحانه وتعالى سيد قطب رحمه الله تعالى موهبة أدبية رائعة واسلوبا أدبيا ساميا . لا يشك فى ذلك اثنان وفى انه استخدم هذه الموهبة فى تفسيره خير استخدام ولعل هذا من أسباب القبول الذى لقيه الكتاب بين المسلمين فى عصرنا هذا

---

(1) للاستاذ صلاح دحبور دراسه واسعه قدمها لنيل درجه الدكتوراه عن " فى ظلال القرآن " دراسه وتقويم" وقد استفدنا منها كثيرا فى الرجوع الى الشواهد والامثله فى حديثنا هذا

وقد انفرد سيد رحمه الله تعالى بهذا الأسلوب من بين كثير من المفسرين فى القديم وفى الحديث فلا تكاد - مهما بلغ جهدك - أن تجد أحدا يجاريه فى أسلوبه الأدبى المميز وانك لتشعر ان كنت ممن يتذوقون الأساليب ان فيما يكتب سيد اشراقا وعذوبه وروحا ، قلما تبدو فيما يكتبه الآخرون

ونحن نظلم تفسيره ونبخسه حقه ان اخترنا مثالا لذلك موهمين أن ما اخترنا هو الأمثل فكل تفسيره بلغ الرتبة وكلها كانت له تلك المنزلة وحين نختار مثلا فليس لمزيد فضل فيه وانما للتوضيح والبيان وضرب المثل فحسب.

واذا كان الأمر كذلك فهذا تفسيره لسورة الضحى اقتطف لك منه ما يوقفك على ما ذكرت

قال رحمه الله تعالى " هذه السورة بموضوعها وتعبيرها ومشاهدها وظلالها ، وايقاعها ، لمسه من حنان ، ونسمه من رحمه، وطائف من ود ويد حانيه تمسح على الآلام والمواجع، وتنسم بالروح والرضى والأمل ، وتسكب البرد والطمأنينة واليقين

انها كلها خالصة للنبى -صلى الله عليه وسلم- كلها نجاء له من ربه ، وتسرية وتسلية وترويح وتطمين كلها أنسام من الرحمة وأنداء من الود ، وألطاف من القربى ، وهدهدة للروح المتعب، والخاطر المقلق ، والقلب الموجوع .

ورد في روايات كثيره أن الوحى فتر عن رسول الله

- صلى الله عليه وسلم - وأبطأ عليه جبريل - عليه السلام - فقال المشركون : ودع محمدا ربه! فأنزل الله تعالى هذه السورة ..

والوحى ولقاء جبريل والاتصال بالله ، كانت هى زاد الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى مشقة الطريق وسقياه في هجير الجحود . وروحه في لأواء التكذيب وكان - صلى الله عليه وسلم - يحيا بها فى هذه الهاجرة المحرقة التي يعانيها فى النفوس النافرة الشاردة العصية العنيدة . ويعانيها في المكر والكيد والأذى المصبوب على الدعوة ، وعلى الايمان ، وعلى الهدى من طغاة المشركين .

فلما فتر الوحي انقطع عنه الزاد ، وانحبس عنه الينبوع ، واستوحش قلبه من الحبيب . وبقي للهاجرة وحده . بلا زاد . وبلا رى . وبغير ما اعتاد من رائحة الحبيب الودود وهو أمر أشد من الاحتمال من جميع الوجوه ..

عندئذ نزلت هذه السورة . نزل هذا الفيض من الود والحب والرحمة والايناس والقربى والأمل والرضى والطمأنينة واليقين ...

" ما ودعك ربك وما قلى . وللآخره خير لك من الأولى . ولسوف يعطيك ربك فترضى" ..

ما تركك ربك من قبل أبدا ، وما قلاك من قبل قط ، وما أخلاك من رحمته ورعايته وايوائه ..

" ألم يجدك يتيما فآوى ؟ . ووجدك ضالا فهدى ؟ ووجدك عائلا فأغنى ؟" ....

ألا تجد مصداق هذا فى حياتك ؟ ألا تحس مس هذا فى

قلبك؟ ألا ترى أثر هذا فى واقعك ؟

لا . لا . . " ما ودعك ربك وما قلى " . . وما انقطع عنك بره وما ينقطع أبدا . . ." وللآخرة خير لك من الأولى " . . وهناك ما هو أكثر و أوفى : " ولسوف يعطيك ربك فترضى"

ومع هذه الأنسام اللطيفة من حقيقة الأمر وروحه . . . الأنسام اللطيفة في العبارة والايقاع . . وفي الاطار الكونى الذى وضعت فيه هذه الحقيقة :

" والضحى . والليل اذا سجى" . .

" لقد أطلق التعبير جوا من الحنان اللطيف، والرحمه الوديعه والرضى الشامل ، والشجى الشفيف:

" ما ودعك ربك وما قلى . وللآخرة خير لك من الأولى . ولسوف يعطيك ربك فترضى" . . " ألم يجدك يتيما فآوى؟ ووجدك ضالا فهدى؟ ووجدك عائلا فأغنى ؟" . . ذلك الحنان . و تلك الرحمة . وذاك الرضى . وهذا الشجى : تنسرب كلها من خلال النظم اللطيف العبارة ، الرقيق اللفظ، ومن هذه الموسيقى السارية في التعبير. الموسيقى الرتيبه الحركات، الوئيدة الخطوات ، الرقيقة الأصداء ، الشجية الايقاع . فلما أراد اطارا لهذا الحنان اللطيف، ولهذه الرحمة الوديعة ، ولهذا الرضى الشامل ،ولهذا الشجى الشفيف، جعل الاطار من الضحى الرائق ، ومن الليل الساجى . أصفى آنين من آونة الليل والنهار . وأشف آنين تسرى فيهما التأملات و تتصل الروح بالوجود وخالق الوجود . وتحس بعبادة الكون كله لمبدعه ، وتوجهه لبارئه بالتسبيح والفرح والصفاء

وصورهما في اللفظ المناسب. فالليل هو" الليل اذا سجى" لا الليل على اطلاقه بوحشته وظلامة الليل الساجي الذى يرق ويسكن ويصفو، وتغشاه سحابة رقيقة من الشجى الشفيف والتأمل الوديع. كجو اليتم والعيله. ثم ينكشف ويجلى مع الضحى الرائق الصافي . فتلتئم ألوان الصوره مع ألوان الاطار ويتم التناسق والاتساق " .

ان هذا الابداع فى كمال الجمال ليدل على الصنعه . صنعه الله التي لا تماثلها صنعة، ولا يتلبس بها تقليد ! (١)

ومثل هذا الأسلوب تراه واضحا جليا عند تفسيره رحمه الله لقوله سبحانه " وجوه يومئذ ناضره الى ربها ناظرة" (٢) قال : -

ان هذا النص ليشير اشارة سريعة الى حالة تعجز الكلمات عن تصويرها ، كما يعجز الادراك عن تصويرها بكل حقيقتها ذلك حين يعد الموعودين السعداء بحالة من السعادة لا تشبهها حالة . حتى لتتضاءل الى جوارها الجنه بكل ما فيها من ألوان النعيم !

هذه الوجوه الناضرة . . نضرها أنها إلى ربها ناظرة الى ربها . . ؟ ! فأى مستوى من الرفعه هذا ؟ أى مستوى من السعادة ؟

ان روح الانسان لتستمتع أحيانا بلمحه من جمال الابداع الالهى فى الكون أو النفس ، تراها فى الليلة القمراء . أو الليل الساجي . أو الفجر الوليد . أو الظل المديد . أو البحر العباب . أو الصحراء المنسابة . أو الروض البهيج . أو الطلعه

---

(١) فى ظلال القرآن : جـ ٦ ص ٣٩٢٥ - ٣٩٢٦

(٢) سوره القيامه : ٢٢ - ٢٣

البهيـــة . أو القلـــب النبيـــل . أو الايمـــان الواثق . أو الصـــــبر الجميـــل .. الـــى آخـــر مطالـــع الجمـــال فى هذا الوجـــود ... فتغمرهـــا النشوة ، وتفيض بالسعـــادة ، وترف بأجنحـــةٍ من نـــــور في عوالـــم مجنحـــةٍ طليقـــة . و تتوارى عنهـــا أشواك الحيـــاة ، وما فيها مـــن ألم وقبـــح ، وثقله طين وعرامة لحـــم ودم ، وصراع شهـوات وأهـواء ...

فكيف ؟ كيف بـهـــا وهى تنظـــر - لا الى جمـــال صنع الله - ولكـــــن الـــى جمـــال ذات اللـــه ؟

ألا انـــه مقام يحتاج أولا الـــى مـــد من اللـــه . ويحتاج ثانيـــا الـــى تثبيت مـــن اللـــه . ليملك الانســـان نفسه ، فيثبت ، ويستمتـــع بالسعـــادة ، التي لا يحيط بـهـــا وصف ، ولا يتصور حقيقتهـــا ادراك !

" وجـــوه يومئـذ ناضرة .. الـــى ربـهـا نـاظـــرة " ..

وما لـهـا لا تتنضر وهى الى جمال ربـهـا تنظر ؟

ان الانسان لينظر الى شيء من صنع الله فى الأرض . من طلعـــــة بـهيـــة ، أو زهرة نديـــة ، أو جناح رفاف ، أو روح نبيـــل ، أو فعـــل جميـــل . فاذا السعادة تفيض من قلبه علـــى ملامحـــه ، فيبدو فيها الوضاءة والنضـــارة . فكيف بـهـــا حين تنظـــر الى جمـــال الكمال . مطلقـــا مـــن كل ما فـــي الوجود من شواغـــل عن السعادة بالجمـــــال ؟ فما تبلغ الكينونـــة الانسانيـــة ذلك المقام ، الا وقد خلصت مـــــن كل شائبـــه تصدهـــا عن بلوغ ذلك المرتقـــى الذى يعز علـــى الخيال ! كل شائبـــة لا فيما حولـهـــا فقـــط ، ولكن فيها هي ذاتـهـــا مـــــن دواعي النقص والحاجـــة الى شيء ما سوى النظر الى الله ..

فأمـــا كيف تنظـــر ؟ وبأى جارحـــة تنظر ؟ وبأى وسيله تنـظـــــر ؟

فذلك حديث لا يخطر على قلب يمسه طائف من الفرح الذى يطلقه النص القرآنى ، في القلب المؤمن ، والسعادة التى يفيضها على الروح ، والتشوف والتطلع والانطلاق !

فما بال أناس يحرمون أرواحهم أن تعانق هذا النور الفائض بالفرح والسعادة ؟ ويشغلونها بالجدل حول مطلق لا تدركه العقول المقيدة بمألوفات العقل ومقرراته ؟ !

إن إرتقاء الكينونة الانسانية وانطلاقها من قيود هذه الكينونة الأرضية المحدودة ، هو فقط محط الرجاء فى التقائها بالحقيقة الطليقة يومئذاك . وقبل هذا الانطلاق سيعز عليها أن تتصور - مجرد تصور - كيف يكون ذلك اللقاء (١)

وان شئت أن تحلق مع سيد قطب رحمه الله تعالى فى سماء الابداع الأدبى وفضاء الألفاظ العذبة فاستمع أو أقرأ تفسيره لقوله تعالى " ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح "(٢) حيث يقول : -

ومشهد النجوم فى السماء جميل . ما فى هذا شك . جميل جمالا يأخذ بالقلوب . وهو جمال متجدد تتعدد ألوانه بتعدد أوقاته ، ويختلف من صباح الى مساء ، ومن شروق الى غروب، ومن الليلة القمراء الى الليلة الظلماء . ومن مشهد الصفاء الى مشهد الضباب والسحاب . . بل انه ليختلف من ساعة لساعة ومن مرصد لمرصد . ومن زاوية لزاوية . . وكله جمال وكله يأخذ بالألباب

---

(١) فى ظلال القرآن : جـ ٦ ص ٣٧٧٠ - ٣٧٧١

(٢) سوره الملك : ٥

هذه النجمة الفريدة التي توصوص هناك ، وكأنها عين جميله ، تلتمع بالمحبة والنداء !

وهاتان النجمتان المنفردتان هناك ، وقد خلصتا من الزحام تتناجيان !

وهذه المجموعات المتضامة المتناثرة هنا وهناك ، وكأنها في حلقة سمر في مهرجان السماء . وهي تجتمع وتفترق كأنها رفاق ليلة في مهرجان !

وهذا القمر الحالم الساهي ليلة . والزاهي المزهو ليلة والمنكسر الخفيض ليلة . والوليد المتفتح للحياة ليلة . والفاني الذي يدلف للفناء ليلة .. !

وهذا الفضاء الوسيع الذي لا يمل البصر امتداده ، ولا يبلغ البصر آماده .

انه الجمال ، الجمال الذي يملك الانسان أن يعيشه ويتملاه ، ولكن لا يجد له وصفا فيما يملك من الألفاظ والعبارات "[1]

وأقرأ ان شئت تفسيره لقوله تعالى " تبصرة وذكرى لكل عبد منيب"[2] حيث يقول " تبصرة تكشف الحجب ، وتنير البصيرة وتفتح القلوب وتصل الأرواح بهذا الكون العجيب وما وراءه من ابداع وحكمة وترتيب تبصرة ينتفع بها كل عبد منيب ، يرجع الى ربه من قريب

وهذه هي الوصلة بين القلب البشرى وايقاعات هذا الكون الهائل

---

(١) فى ظلال القرآن : جـ٦ ص ٣٦٣٣ - ٣٦٣٤

(٢) سوره ق : ٨

الجميل . هذه هي الوصلة التي تجعل للنظر في كتاب الكون والتعرف اليه أثرا في القلب البشرى ، وقيمة في الحياة البشرية" [(١)] الخ .

بهذا الأسلوب الذي يأخذ بالألباب كان سيد يعرض معاني الآيات القرآنية وبهذه الألفاظ الأدبية والمعاني البليغة كان يفسرها حتى كان بحق التفسير الأدبي المميز .

الأساس الثاني : تذوق النص القرآني

ونقصد بهذا ا معنى دقيقا يشعر به كل من يواجه النصوص القرآنية ابتداء وينسكب في حسه بمجرد الاستماع لهذا القرآن وقد يستطيع ان يترجمه الى كلمات وقد لا يستطيع فيبدوا على قسمات وجهه عجبا ودهشة لروعة القرآن . . . يسمى هذا تذوقا للنص ويسميه آخرون انطباعا ذاتيا

واسمع الى سيد قطب رحمه الله تعالى يقول " ان في هذا القرآن سرا خاصا يشعر به كل من يواجه نصوصه ابتداء . قبل أن يبحث عن مواضع الاعجاز فيها . انه يشعر بسلطان خاص في عبارات هذا القرآن . يشعر أن هنالك شيئا ما وراء المعاني التي يدركها العقل من التعبير . وأن هنالك عنصرا ما ينسكب في الحس بمجرد الاستماع لهذا القرآن . يدركه بعض الناس واضحا ويدركه بعض الناس غامضا . ولكنه على كل حال موجود . هذا العنصر الذي ينسكب في الحس يصعب تحديد مصدره : أهو العبارة ذاتها ؟ أهو المعنى الكامن فيها ؟ أهو الصور والظلال التي تشعها ؟ أهو الايقاع القرآني الخاص المتميز من ايقاع سائر القول المصوغ من اللغه ؟

---

(١) في ظلال القرآن : ج ٦ ص ٣٣٥٩

أهـى هذه العناصر كلها مجتمعة ؟ أم انهـا هي وشـيء آخر وراءهـا غير محدود ؟!

ذلك سر مودع في كل نص قرآني . يشعر به كل من يواجه نصوص هذا القرآن ابتداء . . ثم تأتي وراءه الأسرار المدركة بالتدبر والنظر والتفكير في بناء القرآن كله " (١)

ولعلك تدرك مكانة هذا السر عند سيد اذا علمت ان الأسرار المدركة بالتدبر والنظر . . الخ تأتي وراءه

ولقد اعترف رحمه الله تعالى فى موضع آخر أنه من المحال عليه أن يترجم ايقاع القرآن الكريم في حسه بالألفاظ والتعبيرات فيقول " ان ايقاع هذا القرآن المباشر فى حسى محال أن أترجمه في ألفاظي وتعبيراتي ومن ثم أحس دائما بالفجوة الهائلة بين ما استشعره منه و ما أترجمه للناس فى هذه الظلال ! (٢)

وهذا هو ما يطلق عليه الأدباء الصلة بين القيم الشعورية والقيم التعبيرية فى العمل الأدبي أما كيف يعبر الأديب بالألفاظ للدلالة على تجاربه الشعورية الكامنة فيرى سيد قطب رحمه الله تعالى " أن الانفعال بالتجربة الشعورية يسبق التعبير عنها . . . وفى بعض الحالات يكون هذا الانفعال من التوهج والحرارة والاشراق بحيث يغمر احساس الأديب ويجعله في شبه نشوة أو فى نصف غيبوبة . وأغلب ما تصيب هذه الحالة الشعراء . . . . وقد يتم الشاعر عمله في هذه الحالات الفذة ثم يراجعه فيعجب لنفسه كيف واتته القدرة على صوغ هذه العبارات . وقد يقف أمام بعضها

---

(١) في ظلال القرآن : جـ٦ ص ٣٣٩٩
(٢) في ظلال القرآن جـ٤ ص ٢٠٣٨

معجبا متعجبا كما لو كان يشهدها أول مرة لأنه لم يتنبه لها كل التنبه في أول مرة .... وقد عانيت بنفسي حالات من هذا النوع كثيرة وأنا اكتب" التصوير الفني في القرآن" وكذلك وأنا أكتب" فى ظلال القرآن " في بعض الأحيان" (١)

ولكنه أحيانا ينفعل مع النص ويحس به يملأ مشاعره ومع هذا لا يستطيع أن يعبر عنها تعبيرا كافيا خذ مثلا لذلك ما قاله فى تفسير قوله تعالى" تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض"(٢) الآيات قال :- انهم جماعة خاصة ذات طبيعة خاصة وان كانوا بشرا من البشر .. فمن هم؟ وما الرسالة؟ ما طبيعتها؟ كيف تتم؟ لماذا كان هؤلاء وحدهم رسلا؟ ؟ وماذا؟ اسئلة طالما أشفقت أن أبحث لها عن جواب ! ان حسي ليفعم بمشاعر ومعان لا أجد لها كفاء من العبارات ولكن لا بد من تقريب المشاعر والمعاني بالعبارات " (٣)

كان رحمه الله تعالى يتفاعل مع النص القرآنى تفاعلا يجلو له كثيرا من المعانى ويوضح له حقيقة بعض الأحداث والوقائع خذ مثلا لذلك ما قاله فى تفسير قوله تعالى " فاسجدوا لله واعبدوا" (٤) فقد سأل عن سبب سجود المشركين عند سماعها وأجاب على ذلك :-

---

(١) النقد الأدبي : سيد قطب ص ٤٢ - ٤٣ باختصار
(٢) سوره البقره : ٢٥٣
(٣) فى ظلال القرآن : جـ١ ص ٢٧٨
(٤) سوره النجم : ٦٢

لقد بقيت فترة أبحث عن السبب الممكن لهذا السجود . ويخطر لي احتمال أنه لم يقع، وانما هى رواية ذكرت لتعليل عودة المهاجرين من الحبشة بعد نحو شهرين أو ثلاثة وهو أمر يحتاج الى التعليل .

وبينما أنا كذلك وقعت لي تلك التجربة الشعورية الخاصة التي أشرت اليها من قبل . .

كنت بين رفقة نسمر حينما طرق أسماعنا صوت قارئ للقرآن من قريب، يتلو سورة النجم . فانقطع بيننا الحديث لنستمع وننصت للقرآن الكريم . وكان صوت القارئ مؤثرا وهو يرتل القرآن ترتيلا حسنا

وشيئا فشيئا عشت معه فيما يتلوه . عشت مع قلب محمد - صلى الله عليه وسلم - في رحلته الى الملأ الأعلى . عشت معه وهو يشهد جبريل - عليه السلام - فى صورته الملائكية التي خلقه الله عليها . ذلك الحادث العجيب المدهش حين يتدبره الانسان ويحاول تخيله! وعشت معه وهو فى رحلته العلوية الطليقة . عند سدرة المنتهى . وجنة المأوى . عشت معه بقدر ما يسعفنى خيالي وتحلق بى رؤاى ، وبقدر ما تطيق مشاعرى وأحاسيسي . . .

وتابعته في الاحساس بتهافت أساطير المشركين حول الملائكة وعبادتها وبنوتها وأنوثتها . . الى آخر هذه الأوهام الخرفة المضحكة ، التى تتهاوى عند اللمسة الأولى

ووقفت أمام الكائن البشرى ينشأ من الأرض، وأمام الأجنة في بطون الأمهات . وعلم الله يتابعها ويحيط بها

وارتجف كياني تحت وقع اللمسات المتتابعه في المقطع الأخير من السورة . . الغيب المحجوب لا يراه الا الله . والعمل المكتوب لا يند ولا يغيب عن الحساب والجزاء . والمنتهى الى الله في نهاية كل طريق يسلكه العبيد والحشود الضاحكة والحشود الباكية . وحشود الموتي . وحشود الأحياء - والنطفة تهتدى في الظلمات الى طريقها ، وتخطو خطواتها وتبرز أسرارها فاذا هي ذكر أو أنثى . والنشأة الأخرى . ومصارع الغابرين . والمؤتفكة أهوى فغشاها ما غشى !

واستمعت الى صوت النذير الأخير قبل الكارثة الداهمه " هذا نذير من النذر الأولى . أزفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة " . .

ثم جاءت الصيحة الأخيره . واهتز كياني كله أمام التبكيت الرعيب :" أفمن هذا الحديث تعجبون . وتضحكون ولا تبكون . وأنتم سامدون" ؟

فلما سمعت :" فاسجدوا لله واعبدوا" . . كانت الرجفه قد سرت من قلبي حقا الى أوصالي . واستحالت رجفة عضلية مادية ذات مظهر مادى . لم أملك مقاومته . فظل جسمى كله يختلج ، ولا أتمالك أن أثبته ، ولا أن أكفكف دموعا هاتنه ، لا أملك احتباسها مع الجهد والمحاولة !

وأدركت في هذه اللحظه أن حادث السجود صحيح ، وأن تعليله قريب. انه كامن في ذلك السلطان العجيب لهذا القرآن ولهذه الايقاعات المزلزلة في سياق هذه السورة. ولم تكن هذه أول مرة أقرأ فيها سورة النجم أو أسمعها . ولكنها في هذه المرة كان لها هذا الوقع ، وكانت مني هذه الاستجابة. وذلك سر

القرآن .. فهناك لحظات خاصة موعودة غير مرقوبة تمس الآية أو السورة فيها موضع الاستجابة ، وتقع اللمسة التي تصل القلب بمصدر القوة فيها والتأثير . فيكون منها ما يكون !

لحظة كهذه مست قلوب الحاضرين يومها جميعا . ومحمد - صلى الله عليه وسلم - يقرأ هذه السورة يقرؤها بكيانه كله . ويعيش في صورها التي عاشها من قبل بشخصه وتنصب كل هذه القوة الكامنة في السورة من خلال صوت محمد - صلى الله عليه وسلم - فى أعصاب السامعين فيرتجفون ويسمعون : " فاسجدوا لله واعبدوا " ويسجد محمد والمسلمون ... فيسجدون ... (١)

وقد يقرأ سيد رحمه الله تعالى النص ويكرر قرآءاته مرات عديدة لكنه فى كل هذه المرات لا يفهم النص كما يفهمه اذا تذوقه واذا تفاعل معه واقرأ تفسيره لقوله تعالى" ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة " (٢) قال : " هذا النص الذى تلوته من قبل وسمعته ما لا أستطيع عدة من المرات . وفى أثناء حفظي للقرآن وفي أثناء تلاوته وفي أثناء دراسته بعد ذلك في أكثر من ربع قرن من الزمان .. هذا النص حين واجهته في"الظلال" أحسست أنى أدرك منه ما لم أدركه من قبل في المرات التى لا أملك عدها على مدى ذلك الزمان " (٣) ثم ذهب رحمه الله تعالى

---

(١) فى ظلال القرآن : جـ ٦ ص ٣٤٢٠ - ٣٤٢١

(٢) سوره التوبه : ١١١

(٣) في ظلال القرآن : جـ٣ ص ١٧١٦

يجلو هذه المفاهيم التى لم يكن ليصل اليها لو لم يتفاعل مع النص ويتذوقه التذوق الحق

وتذوق النص والتفاعل معه لا يكون نتاجه الفهم الدقيق للمعاني بل يظهر أثره على الجسد فقد يبكى ويسجد كما فعل فى آخر سورة النجم وقد يقشعر جسده حين يقرأ قوله تعالى "حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين" (١) قال رحمه الله تعالى " ما قرأت هذه الآية والآية الأخرى" أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله" (٢) ما قرأت هذه الآيه أو تلك الا وشعرت بقشعريرة من تصور الهول الذى يبلغ بالرسول هذا المبلغ . ومن تصور الهول الكامن فى هذه الهواجس والكرب المزلزل الذى يرج نفس الرسول هذه الرجة وحالته النفسية فى مثل هذه اللحظات، وما يحس به من ألم لا يطاق " (٣)

وأخيرا اقرأ ما جاء فى مقدمته لتفسير سورة الانعام قال رحمه الله تعالى" . . . وهذه السورة - مع ذلك - تعالج موضوعها الاساسى بصورة فريدة انها فى كل لمحة منها وفي كل موقف وفى كل مشهد ، تمثل الروعة الباهرة الروعة التى تبده النفس، وتشده الحس ، وتبهر النفس ايضا وهو

---

(١) سورة يوسف : ١١٠
(٢) سورة البقرة : ٢١٤
(٣) فى ظلال القرآن : جـ ٤ ص ٢٠٣٦

يلاحق مشاهدها وايقاعها وموحياتها مبهورا ! نعم هذه حقيقة! حقيقة أجدها في نفسي وحسي وأنا أتابع سياق السورة ومشاهدها وايقاعاتها ..." الى أن قال " والحياة فى جو القرآن لا تعني مدارسة القرآن وقرآءته والاطلاع على علومه ... ان هذا ليس" جو القرآن " الذى نعنيه .. ان الذى نعنيه بالحياة فى جو القرآن أن يعيش الانسان فى جو وفى ظروف وفي حركة وفي معاناة وفي صراع وفي اهتمامات ... كالتى كان ينزل فيها هذا القرآن ..... هذا هو الجو القرآنى الذى يمكن أن يعيش فيه الانسان فيتذوق هذا القرآن - فهو فى مثل هذا الجو نزل ، وفى مثل هذا الخضم عمل .... والذين لا يعيشون فى مثل هذا الجو معزولون عن القرآن مهما استغرقوا فى مدارسته وقرآءته والاطلاع على علومه.... والمحاولة التى نبذلها لاقامة القنطرة بين المخلصين من هؤلاء وبين القرآن ليست بالغة شيئا الا بعد أن يجتاز هؤلاء القنطرة ويصلوا الى المنطقة الأخرى ، ويحاولوا أن يعيشوا فى جو القرآن حقا بالعمل والحركة وعندئذ فقط سيتذوقون هذا القرآن ويتمتعون بهذه النعمة التى ينعم الله بها على من يشاء"(١)

عفوا أيها الأحبه .. هل ينكر أحد بعد ذلك أثر التذوق القرآني فى التفسير؟ وهذا سيد قطب رحمه الله تعالى يعلن مرارا أنه قرأ كثيرا من الآيات لكنه لم يدرك في كل قرآءاته السابقه ما

---

(١) فى ظلال القرآن : جـ ٢ ص ١٠١٥ - ١٠١٧ باختصار

أدركه بعد ما عاش في الجو القرآني وتذوق القرآن

كان يتضح لسيد بعد ذلك كثير من المعاني وكثير من الأحداث التي استعصى عليه فهمها من قبل وبهذا تميز تفسيره رحمه الله تعالى عن كثير من التفاسير المعاصرة والقديمة التي كانت تعنى بالنص بالنص وحده من غير أن تعيش في جوه ومن غير أن تتفاعل معه فيتولد العطاء

حقا ان هذا الأساس ميزة من مزايا تفسيره لا يعرف أثره ولا يدرك ما يفتح من المعاني الا من قرأ في ظلال القرآن فليقرأه من لم يفعل

الأساس الثالث : الواقعية ... الحركية

يتميز " في ظلال القرآن " أن صاحبه لم يكتبه مرة واحدة بل كتبه مرة تحت ظلال المنبر ومرة تحت ظلال السيوف. . . . كتبه مرة بمداد قلمه وأخرى بدماء قلبه !!

قلت - فيما سبق - أن سيدا رحمه الله تعالى أصدر من الظلال ستة عشر جزءا ومن السجن أصدر باقيه . . من أول أجزائه الى الجزء السابع والعشرين منها ثم وفقه الله الى ادراك سمة من سمات هذا الدين وخصيصة من خصائصه واكتشف المنهج الحركي للقرآن الكريم فالتزمه في الأجزاء الأربعة الأخيرة . . ورأى أنه لا بد من اعادة النظر فيما كتب وان ينطلق في ذلك من ادراكه الجديد وقد كان له ذلك من الجزء الأول الى نهايه الجزء الثالث عشر وأوائل الرابع عشر ثم عاجله الطغاة

وما ظنكم - أيها الأحبه - في قاعدة دعته الى أن يعيد كتابة تفسيره من أوله وأن يكتبه . . من جديد انها وربي

لقاعدة هامة ولأساس متين ، بل وكيف نسمح لأنفسنا باستكشاف منزلتها وسيد نفسه قد بين ذلك حيث يقول : -

" ونحن نؤكد على هذه السمه في هذا القرآن .. سمه الواقعية الحركية ... لأنها في نظرنا مفتاح التعامل مع هذا الكتاب وفهمه و فقهه وادراك مراميه واهدافه

انه لا بد من استصحاب الأحوال والملابسات والظروف والحاجات والمقتضيات الواقعية العملية التى صاحبت نزول النص القرآني

لا بد من هذا لادراك وجهة النص وأبعاد مدلولاته ، ولرؤية حيويته وهو يعمل في وسط حي ، ويواجه حالة واقعة ، كما يواجه أحياء يتحركون معه أو ضده . وهذه الرؤية ضرورية لفقه أحكامه وتذوقها ، كما هي ضرورية للانتفاع بتوجيهاته كلما تكررت تلك الظروف والملابسات في فترة تاريخية تالية ، وعلى الأخص فيما يواجهنا اليوم ونحن نستأنف الدعوة الاسلامية .

نقول هذه المقالة ونحن على يقين أنه لن يرى هذه الرؤية اليوم الا الذين يتحركون فعلا بهذا الدين في مواجهة الجاهلية الحاضرة ، ومن ثم يواجهون أحوالا وملابسات وظروفا وأحداثا كالتى كان يواجهها صاحب الدعوة الأولى - صلوات الله وسلامه عليه - والعصبة المسلمة معه .. من الاعراض والتولي عن هذا الدين في حقيقته الكبيرة الشاملة ، التى لا تتحقق الا بالدينونة الكاملة لله وحده فى كل شأن من شؤون الحياة الاعتقادية والأخلاقية والتعبدية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية .. وما يلقونه كذلك من الايذاء والمطارده والتعذيب والتقتيل كالذى كانت تلك العصبة المختارة الأولى تبتلى - في سبيل الله - به ...

ان هؤلاء الذين يتحركون بهذا الدين في مواجهة الجاهلية ويواجهون به ما كانت تواجهه الجماعة المسلمة الأولى .. هم وحدهم الذين يرون تلك الرؤية .. وهم وحدهم الذين يفقهون هذا القرآن ، ويدركون الأبعاد الحقيقية لمدلولات نصوصه. على النحو الذى أسلفنا .. وهم وحدهم الذين يملكون استنباط فقه الحركة الذى لا يغني عنه فقه الأوراق في مواجهة الحياة المتحركة التى لا تكف عن الحركة!" (١)

وكثيرا ما يؤكد رحمه الله تعالى على هذا المنهج في التعامل مع النص القرآني يقول "ومرة أخرى نجد أن هذا القرآن لا يكشف عن أسراره الا للذين يخوضون به المعركة ويجاهدون به جهادا كبيرا .... ان هؤلاء وحدهم هم الذين يعيشون في مثل الجو الذى تنزل فيه القرآن ، ومن ثم يتذوقونه ويدركونه لأنهم يجدون أنفسهم مخاطبين خطابا مباشرا به كما خوطبت به الجماعة المسلمة الأولى . فتذوقته وأدركته وتحركت به" (٢)

ويؤكد رحمه الله تعالى أن القرآن كان دائما فى المعركة سواء أكان ميدانها القلوب بين تصورات الجاهلية وتصورات الاسلام أو كان الجو الخارجى بين الجماعة المسلمة واعدائها و يؤكد أن تلك المعركة ما تزال قائمه فالنفس البشرية هي النفس البشرية واعداء الأمة المسلمة هم أعداؤها والقرآن حاضر وبين أنه

---

(١) فى ظلال القرآن : جـ ٤ ص ٢١٢٢

(٢) فى ظلال القرآن : جـ٤ ص ١٨٩٤

لا نجاة للنفس البشرية ولا للأمة المسلمة الا باد خال هذا القرآن في المعركة ليخوضها حية كاملة كما خاضها أول مرة وأنه لا فلاح ولا نجاح ما لم يستيقن المسلمون بهذه الحقيقة (١)

ويصف القرآن بأنه كائن حي متحرك . . . . يعمل ويتحرك في وسط الجماعة المسلمة ويواجه حالات واقعة فيدفع هذه ويقر هذه ويدفع الجماعة المسلمة ويوجهها فهو في عمل دائب . وفي حركة دائبة . . انه في في ميدان المعركة وفي ميدان الحياة . . وهو العنصر الدافع المحرك الموجه في الميدان (٢)

وكما أن تذوق النص القرآني وتعاطف القلب معه له أثره في فهمه فان الظروف والأحداث الواقعة تطلق الطاقة المكنونة في النص وهذا سيد رحمه الله تعالى يقرر هذا بقوله " ان القرآن ليس كتابا للتلاوة ولا للثقافة . . . . . وكفى . . . انما هو رصيد من الحيوية الدافعة ، وايحاء متجدد في المواقف والحوادث ! ونصوصه مهيأة للعمل في كل لحظة ، متى وجد القلب الذى يتعاطف معه ويتجاوب ، ووجد الظرف الذى يطلق الطاقة المكنونة في تلك النصوص ذات السر العجيب" (٣)

وما قاله رحمه الله تعالى في التذوق وأثره وأنه يقرأ النص عدة مرات فلا يعرف منه ما يعرف اذا تفاعل مع النص وتذوقه فانه يقول هنا أيضا :- " وان الانسان ليقرأ النص القرآني مئات المرات ثم يقف الموقف ، أو يواجه الحادث ، فاذا النص القرآني

---

(١) فى ظلال القرآن : جـ١ ص ١٨٠
(٢) فى ظلال القرآن : جـ١ ص٣٠٤ - ٣٠٥
(٣) فى ظلال القرآن : جـ٥ ص٢٨٣٦

جـديـد ، يوحـي اليـه بما لـم يوح مـن قبل قط ويجيـب على السؤال الحائـر ، ويفتي فـي المشكلة المعقـدة ، ويكشف الطريق الخافـي ، ويرسم الاتجاه القاصـد ، ويفـيء بالقلـب الى اليقـين الجازم فـى الأمـر الذى يواجهـه والى الاطمئنان العميـق .... وليس ذلك لغير القرآن فى قديم ولا حديـث "(١)

واذا كانت الواقعيـة .. الحركيـة سمة من سمات هـذا القرآن لها الأثـر الكبير فـي تفسيره وجـلاء معانيـه فانهـا سمـة مـن سمات الدين كله ، وهـذا سيد قطب رحمه اللـه تعالـى يجلو لنا ذلك بقولـه " والسمة الثانيـة فى منهـج هذا الديـن .... هـي الواقعيـة الحركيـة فهو حركـة ذات مراحـل . كل مرحلـة لها وسائـل مكافئـة لمقتضياتهـا وحاجاتهـا الواقعيـة وكـل مرحلـة تسلم الـى المرحلـة التي تليهـا ...فهـو لا يقابـل الواقـع بنظريـات مجردة . كمـا أنـه لا يقابـل مراحـل هـذا الواقـع بوسائـل متجمـدة ... والذين يسوقون النصوص القرآنيـه للاستشهـاد بهـا على منهـج هذا الدين فـي الجهـاد ولا يراعـون هـذه السمة فيـه ، ولا يدركون طبيعـة المراحـل التي مـر بهـا هذا المنهج ، وعلاقة النصوص المختلفة بكل مرحلة منها .... الذيـن يصنعون هذا يخلطون خلطـا شديدا ويلبسون منهج هـذا الدين لبسـا مضللا ويحملـون النصوص ما لا تحتملـه من المبـادىء والقواعـد النهائيـة ذلك أنهم يعتبرون كل نص منها كما لو كان نصـا نهائيـا ، يمثل القواعـد النهائيه فـى هذا الدين . ويقولون - وهـم مهزومـون روحيـا وعقليـا تحت ضغط الواقع اليائس لذرارى المسلمـين الذين لم يبق لهم من الاسلام الا العنوان - :- ان الاسلام لا يجاهـد الا للدفاع ! ويحسبون أنهم يسدون الـى هذا الدين جميلا بتخليـه

---

(١) المرجـع السابـق

عن منهجه وهو ازالة الطواغيت كلها من الأرض جميعا ، وتعبيد الناس لله وحده واخراجهم من العبودية للعباد الى العبودية لرب العباد ! لا بقهرهم على اعتناق عقيدته ولكن بالتخلية بينهم وبين هذه العقيدة ... بعد تحطيم الانظمة السياسية الحاكمة ، أو قهرها حتي تدفع الجزية وتعلن استسلامها والتخلية بين جماهيرها وهذه العقيدة تعتنقها أو لا تعتنقها بكامل حريتها ..." (١)

ويبقى سؤال أو سؤالان .. عن الواقعية .... واقعية من ؟ والحركية .... في مواجهة من .... ؟ ويجيب سيد رحمه الله تعالى على هذا بقوله " واذا كان " البيان " يواجه العقائد والتصورات ، فان " الحركة " تواجه العقبات المادية الأخرى - وفي مقدمتها السلطان السياسي القائم على العوامل الاعتقادية التصورية ، والعنصرية والطبقية والاجتماعية والاقتصادية المعقدة المتشابكة ... وهما معا - البيان والحركة - يواجهان " الواقع البشرى " بجملته ، بوسائل مكافئة لكل مكوناته ... وهما معا

لا بد منهما لانطلاق حركه التحرير للانسان في الأرض ... " الانسان " كله في " الارض " كلها .... وهذه نقطة هامة لا بد من تقريرها مرة أخرى ! (٢)

ثم وجه سيد رحمه الله تعالى - دعوة أشعر من حيث لا أدرى بأنه يعتصرها من سويداء قلبه - دعانا فيها نحن معشر

---

(١) في ظلال القرآن : جـ٣ ص ١٤٣٢ - ١٤٣٣
(٢) في ظلال القرآن : جـ٣ ص ١٤٣٤

المسلمين المعاصرين إلى إزالة الفجوة العميقة بيننا وبين القرآن والى ازالة الحاجب السميك بيننا وبين القرآن وسيظل هذا وذاك طالما نحن نتلوه أو نسمعه كأنه مجرد تراتيل تعبدية مهوّمة لا علاقة لها بواقعيات الحياة البشرية اليومية التى تواجه الانسان والتى تواجه هذه الأمة . . . . . بينما هذه الآيات نزلت لتواجه نفوسا ووقائع وأحداثا حية ، ذات كينونة واقعية حية ووجهت بالفعل تلك النفوس والوقائع والأحداث توجيها واقعيا حيا ، نشأ عنه وجود ذو خصائص في حياة الانسان ، بصفة عامة وفي حياة الأمة المسلمة بوجه خاص

ومن هنا فان سيدا رحمه الله دعا هذه الأمة أن تتعامل مع القرآن كما تعاملت معه الأمة التى خاض بها معركة كبرى حولت تأريخها وتأريخ البشرية كلها معها . . . . . وأن القرآن يملك أن يوجه الحياة الحاضرة وكأنما هو يتنزل اللحظة لمواجهتها في شؤونها الجارية وفي صراعها الراهن مع الجاهلية من حولها بنفس الحيوية ونفس الواقعية التى كانت له هناك يومذاك [(١)]

وأنظر الى الجباه فأكاد أقرأ في قسماتها سؤالا . . وأنظر الى الشفاه فأكاد أسمعه عن الواقعية . . والحركية هذه . . . . أقرأ هناك واسمع هنا نقدا مختفيا في سؤال . . قرأنا ما كتبت عنهما في الصفحات السابقة لكنا نراك مرة تنقل نصا لسيد رحمه الله تعالى يجعل الواقعية

---

(١) في ظلال القرآن : جـ١ ص٣٤٨ بتصرف

والحركية سمة من سمات الدين .... ونراك أنت تجعلها سمة من سمات تفسيرة فهل هذا تناقض منك ؟ أو هل بينهما من صلة ؟

وأقول جوابا : نعم ان بينهما صلة ، صلة الفرع بالأصل فالواقعية والحركية فى الدين ولدتا عند سيد قطب رحمه الله تعالى التزامهما في تفسيره فجاء تفسيره التزاما لمنهج الدين فيهما

وان شئت بعد هذا أن تلمسهما فى تفسيره فاعلم أنهما أكثر ما يكونان فيه بل ان الواقعية عنده قد تولد عنها قواعد أخرى برزت وعظمت حتى انفصلت .....

ومن أغراض القرآن الأساسية ومنهجه الحركى انطلق سيد قطب رحمه الله تعالى لبناء منهجه الحركى التربوى وصارت الحركية والعمل والتفاعل مع النص المحور الذى يدور عليه تفسيره فلا ثمرة لترديد ألفاظ القرآن أو ترتيله تراتيل مهوّمة ما لم يتحول ذلك الى قوة دافعة والى طاقة محركة تقود الانسان وينقاد لها

ونظرة عجلى لتفسير سيد قطب رحمه الله تعالى تظهر بلا شك أن وقفات سيد ونظراته وأفكاره ومناقشاته وعرضه وبيانه كلها تتحقق فيها الواقعية الجدية

وتبرز معالم هذه الحقيقة في صور شتى ومواضع عديدة فلم يتناول الا الأمور الجادة النافعة ورتب عليها آثار عملية نتاجها الفوائد الجمة أما تلك الأمور التى لا يترتب عليها حكم أو فائدة فانه يعرض عن الخوض فيها .

ولهذه القاعدة في التفسير عند سيد رحمه الله تعالى جاء تفسيره تحسبه - وقد استمده من القرآن - علاجا مفصلا دقيقا لقضايا العصر وكأنه انما أنزل لهذا العصر ولعلاج أمراضه المختلفة .

ولعل مصدر الواقعية الجدية قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء آن تبد لكم تسوءكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم " (١) وقد اهتم سيد رحمه الله تعالى بهذه الواقعية الجدية فى هذه الآية فأورد ست روايات في سبب نزولها ، وأحاديث ثلاثة فى النهى عن كثرة الأسئله وأربعة أقوال عن السلف فى النهى عن ذلك ومنهج السلف الواقعي الجدى في السوءال والاستفتاء والفتوى الذى لا يجيب الا على ما وقع من الأمور وترك ما لم يقع (٢) ولذلك وصفه رحمه الله تعالى " بأنه منهج واقعي جاد . يواجه وقائع الحياة بالأحكام المشتقة لها من أصول شريعة الله مواجهة عملية واقعية" (٣)

وخذ مثلا لتطبيقات سيد رحمه الله تعالى لهذا الأساس ففي تفسير قوله تعالى" اذ يوحي ربك الى الملائكه أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان " (٤) لم يتناول - رحمه الله تعالى - الا الآثار الدعوية والعملية لهذا النص وايحاءاته الاعتقادية والدلالات الحركية له ، وأعرض عن الخوض في تفصيل كيفية اشتراك الملائكة في المعركة وعن

---

(١) سوره المائده : ١٠١
(٢) في ظلال القرآن : جـ٢ ص ٩٨٦ - ٩٨٨
(٣) في ظلال القرآن : جـ٢ ص ٩٨٧
(٤) سورة الانفال : ١٢

حصر قتلاها من المشركين ، ولا كيف قتلتهم الملائكة ، وهو ما خاض به بعض المفسرين ولم يخرجوا بنتيجة واقعية جادة . . . . ويصف سيد رحمه الله تعالى البحث في كيفية الافعال كلها بأنه ليس من الجد الذى هو طابع هذه العقيدة وطابع الحركة الواقعية بهذه العقيدة ولكن هذه المباحث صارت من مباحث الفرق الاسلامية ومباحث علم الكلام فى العصور المتأخرة ، عند ما فرغ الناس من الاهتمامات الايجابية فى هذا الدين ، وتسلط الترف العقلي على الناس والعقول . . . . وان وقفة أمام الدلالة الهائلة لمعية الله سبحانه للملائكة في المعركة ، واشتراك الملائكة فيها مع العصبة المسلمة لهى أنفع وأجدى"[1]

وفي تفسير قوله تعالى " تبصرة وذكرى لكل عبد منيب"[2] بين - رحمه الله تعالى - المراد بالتبصرة بأنها - تبصرة تكشف الحجب وتنير البصيرة وتفتح القلوب، وتصل الأرواح بهذا ، الكون العجيب، وما وراءه من ابداع وحكمة وترتيب . . تبصرة ينتفع بها كل عبد منيب، يرجع الى ربه من قريب" ولم يقف رحمه الله تعالى عند هذا البيان بل بين قيمة هذه التبصرة ومكانتها وكيف أهملتها مناهج البحث التى تسمى " علمية" حيث يقول " وهذه هي الوصلة بين القلب البشرى وايقاعات هذا الكون الهائل الجميل . هذه هي الوصلة التى تجعل

---

(١) في ظلال القرآن : جـ٣ ص ١٤٨٦

(٢) سورة ق : ٨

للنظر في كتاب الكون والتعرف اليه أثرا في القلب البشرى ، وقيمة في الحياة البشرية هذه هي الوصلة التى يقيمها القرآن بين المعرفة والعلم وبين الانسان الذى يعرف ويعلم . وهي التى تهملها مناهج البحث التى يسمونها " علمية" فى هذا الزمان فتقطع ما وصل الله من وشيجة بين الناس والكون الذى يعيشون فيه .... وكل معرفة أو علم أو بحث يقف دون هذه الغاية الحية الموجهة المؤثرة في حياة البشر هي معرفة ناقصة ، أو علم زائف ، أو بحث عقيم " (١)

ولهذا المنهج أثره في ترك سيد رحمه الله تعالى تفسير بعض الأحكام التى لا وجود لها في واقع عصرنا الحاضر بغض النظر عن وجودها قبله أو حدوثها بعده فهو ينطلق من الواقع الجاد ، فلم يدخل في التفصيلات الفقهية الخاصة بالغنائم والأنفال وأخذ الجزية من الذميين من أهل الكتاب

وانطلاقا من هذا الأساس - ايضا - ترك الاطناب في كثير مما لا طائل تحته وليس له ثمرة ، ولم يجهد نفسه فى الكشف عما أبهمه القرآن . ولم يتوسع في التفسير العلمي بحيث يتجاوز واقع النص ومدلوله ، وأعرض عن الخوض فى الاسرائيليات ، ولم يتناول الاختلافات الفقهية الدقيقة ، ولم يتعمق في المفردات واشتقاقاتها وأصولها ، ولم يعتن باثارة المسائل اللغوية وكان وقافا عند حدود علم الغيب

---

(١) في ظلال القرآن : جـ٦ ص ٣٣٥٩ - ٣٣٦٠

فلم يسمح لنفسه أن يخوض فيه وتلقى نصوصه بالقبول دون تأويل أو تحريف ، كل هذا نراه أثرا من التزامه للواقعية الجدية مما لا أثر كبير له في بناء المجتمع المسلم فكان أن أعرض عنها وتناول ما له أثر جاد في واقع المسلمين

وقد برزت هذه الأمور التى أشرت اليها - في تفسيرة - حتى أصبحت أسسا من أسس منهجه في التفسير وهي أثر من آثار هذا الأساس، ولذا سنعرض لكل منها ان شاء الله بحديث موجز استكمالا للاشارة اليها هنا

أما من ناحية الحركية وتطبيقاتها في تفسيرة للقرآن الكريم فكثيرة منبثة في أغلب صفحاته وسطوره لا يترك الدعوة اليها ما وجد الى ذلك سبيلا ولذلك أصبحت هذه سمة من سمات الظلال و أساسا من أسس منهجه فى التفسير

لم يكد يمر بآيه الا وجعلها منطلقا للدعوة الى الله سبحانه والى التحرك بالقرآن فى مواجهة الأعداء والى بيان طبيعة المنهج الحركي للدعوة الاسلامية المتجددة في كل زمان ومكان .. فهو يرسم بوحي من القرآن منهج الدعوه ومعالم الطريق وصفات القيادة ويرسم الخطط ويوضح السبيل .

ويبدى اهتماما شديدا بذلك فلا يكاد يمر بآية أمرا كانت أو نهيا خبرا أوقصة أوغير ذلك .. الا وجعلها نبراسا في طريق الداعية ومعلما من معالم الطريق .

وقف وقفاته تلك أمام قصة بنى اسرائيل مع موسى عليه السلام وأول ما استوقفه فيها ورودها مفصلة أوسع تفصيل ومكررة في مواضع عديدة .. فذهب رحمه الله تعالى يستخرج بعض هذه المعالم ويرسم الخطط .

ان بنى اسرائيل هم أول من واجه الدعوة الاسلامية بالعداء والكيد والحرب فى المدينة وفى الجزيرة العربية كلها فلم يكن بد من كشفهم للجماعة المسلمة لتعرف من هم أعداءها ما طبيعتهم ؟ وما تاريخهم؟ وما وسائلهم ؟ وما حقيقة المعركة التى تخوض معهم ؟ .

وقد علم الله أنهم سيكونون أعداء هذه الأمة فى تاريخها كلها كما كانوا أعداء هدى الله فى ماضيهم كله فعرض لهذه الأمة أمرهم كله مكشوفا ووسائلهم كلها مكشوفة .

وأنهم أصحاب آخر دين قبل دين الله الأخير ووقع منهم الانحراف فى العقيدة والنقض المتكرر لميثاق الله معهم ، ووقع في حياتهم آثار هذا النقض وهذا الانحراف كما وقع في أخلاقهم وتقاليدهم فاقتضى هذا أن تلم الأمة المسلمة - وهي وارثة الرسالات كلها وحاضنته العقيدة الربانية بجملتها - بتاريخ القوم وتقلبات هذا التاريخ وتعرف مزالق الطريق وعواقبها ممثلة في حياة بنى اسرائيل وأخلاقهم لتضم هذه التجربة في حقل العقيدة والحياة - الى حصيلة تجاربها وتنتفع بهذا الرصيد وتنفع على مدار القرون .

وأن الأمة المسلمة التى سيمتد تاريخها حتى تقوم الساعة ستصادفها فترات تمثل فيها فترات من حياة بنى اسرائيل فجعل أمام أئمة هذه الأمة وقادتها ومجددى الدعوة في أجيالها الكثيرة نماذج من العقابيل التى تلم بالامم يعرفون منها كيف يعالجون الداء بعد معرفة طبيعته .

وهناك جوانب شتى لحكمة الله تعالى في تفصيل قصة بنى اسرائيل لايملك معها - كما يقول - المضي أكثر من هذه الاشارات السريعة

ثم بين - رحمه الله تعالى - بعض الجوانب التى قد يلاقيها الداعية وضرب أمثلة منها مما لاقاه موسى عليه السلام مع قومه . . جربهم وقد

أخرجهم من أرض مصر وحررهم من الذل والهوان ، باسم الله وبسلطان الله الذى فرق لهم البحر و أغرق لهم فرعون وجنده . فاذا هم يمرون على قوم يعكفون على أصنام لهم ، فيقولون " يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة" (١) .. و ما يكاد يغيب عنهم في ميقاته مع ربه حتى يتخذ السامرى من الحلي .... عجلا ذهبا له خوار، .... وجربهم وقد فجر لهم من الصخر ينابيع فى جوف الصحراء و أنزل عليهم المن والسلوى طعاما سائغا فاذا هم يشتهون ما اعتادوا من أطعمة مصر - أرض الذل بالنسبة لهم - فيطلبون بقلها وقثاءها وفومها وعدسها وبصلها ولا يصبرون عما ألفوا من طعام وحياة في سبيل العزة والخلاص والهدف الأسمى الذى يسوقهم موسى اليه وهم يتسكعون ! وجربهم في قصة البقرة التى أمروا بذبحها فتلكأوا وتسكعوا في الطاعة والتنفيذ " فذبحوها و ما كادوا يفعلون" (٢) .... وجربهم وقد عاد من ميقات ربه ومعه الألواح وفيها ميثاق الله عليهم وعهده فأبوا أن يعطوا الميثاق و أن يمضوا العهد مع ربهم .... حتى وجدوا الجبل منتوقا فوق رؤوسهم " وظنوا أنه واقع بهم" (٣)

واستمر سيد قطب رحمه الله تعالى فى هذا العرض الى أن وصل الى قوله تعالى " قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين " (٤) قال رحمه الله تعالى " هنا تبرز قيمة الايمان بالله

---

(١) سورة الأعراف : ١٣٨
(٢) سورة البقرة : ٧١
(٣) سورة الأعراف: ١٧١
(٤) سورة المائدة : ٢٣

والخوف منه ، فهذان رجلان من الذين يخافون الله ، ينشئ لهما الخوف من الله استهانة بالجبارين ! ويرزقهما شجاعة في وجه الخطر الموهوم ! وهذان هما يشهدان بقولتهما هذه بقيمة الايمان في ساعة الشدة ، وقيمة الخوف من الله في مواطن الوخف من الناس فالله سبحانه لا يجمع في قلب واحد بين مخافتين مخافته - جل جلاله - ومخافة الناس والذى يخاف الله لا يخاف أحدا بعده ، ولا يخاف شيئا سواه " ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون " قاعدة في علم القلوب وفى علم الحروب . أقدموا واقتحموا فمتى دخلتم على القوم في عقر دارهم انكسرت قلوبهم بقدر ما تقوى قلوبكم ، وشعروا بالهزيمة في أرواحهم وكتب لكم الغلب عليهم .... "(1)

أرأيتم كيف ينظر سيد الى القصة ينظر اليها من زاوية الداعية فيبرز سمات الداعية ويضرب الأمثال لبعض العقبات التى تواجه الدعوة وأثر الايمان والخوف من الله في النصر ويقتصر من الآيات رحيقا يحقنه في شرايين القلوب فلا يملك صاحبها الا ويجد في نفسه عزيمة على الحركة واصرار على الثبات

ولو أردت أن أسود الصفحات بذكر الامثله لخشيت أن آتي على آخرها ولم أبلغ منه مبلغا فمن أراد ذلك فليحمل أجزاء تفسير " فى ظلال القرآن " الستة بين يديه وليقرأها كلها فإنه واجد في كل ورقه منها مبتغاه .... واذا كان الأمر كذلك فلا أحسبنى قد أطلت .. ولو فعلت .. فهل تعذرون .

---

(1) في ظلال القرآن : جـ٢ ص٨٦٨ - ٨٧٠ باختصار

الاساس الرابع : التفسير الجمالي الفني :-

استغرقت الاهتمامات الأدبيه فترة طويلة من حياة سيد قطب رحمه الله تعالى ولم يحصرها في نطاقها الضيق بل حاول تطبيقها في رحاب نصوص القرآن الكريم وكانت أول موء لفاته في ذلك " التصوير الفني في القرآن" ثم " مشاهد القيامه في القرآن "

وحين شرع في تفسيره " في ظلال القرآن " بعد ذلك لم تغب عن باله تلك الصور الجمالية في القرآن الكريم ووجد فيها وفي صحبتها المفتاح الذى اطلع به على كنوز من القرآن واهتدى به الى قواعد وسمات وآفاق وموضوعات الجمال الفني في القرآن الكريم

الفني ؟! ما الفن ؟ يرى سيد رحمه الله تعالى أن هناك ايضاحا واجبا ينبغي أن يقال بعد ما بدأت كلمة الفن يساء استخدامها أو يساء فهمها ، أو يساء تأويلها في مجال القرآن . . . .
ويعترف بأنه حين اتخذها عنوانا لكتابه " التصوير الفني في القرآن " لم يكن لها في نفسه الا مدلول واحد هو جمال العرض، وتنسيق الأداء وبراعة الاخراج ، ولم يجل في خاطرة قط أن " الفني" بالقياس الى القرآن معناه الملفق أو المخترع أو القائم على مجرد الخيال (١)

وأكد هذا المفهوم في تفسيره في ظلال القرآن حين وصف الجمال الفني الصادق بأنه " الذى لا يعتمد على الخلق والتزويق ولكن يعتمد على ابداع العرض . . . وقوة الحق . . وجمال الأداء" (٢)

---

(١) التصوير الفني في القرآن : سيد قطب ص ٢٠٤ - ٢٠٥
(٢) في ظلال القرآن : جـ١ ص٥٥

وكأني بسائل يقول - في شبه اعتراض - أو ليس هذا الأساس هو الأساس الأول الذى تحدث عنه في منهج سيد قطب رحمه الله تعالى ؟ وأقول لهذا السائل كلا اجمالا أما ان شئت البيان فان المراد بالجمال الفني هو تلك الصورة الرائعة التى ترسمها نصوص القرآن الكريم حتى لتحسب كل كلمة منه خطا من خطوط الصورة أو ذلك المعنى السامي الذى تشوقه تلك النصوص أما الأساس الأول فهو حسن البيان والوصف لهذه الصورة القرآنية وحسن التعبير والبيان عن هذه المعاني السامية أما أن بينهما تداخلا فنعم وأما أنهما معنى واحد فلا

وقد يكتشف مفسر الصورة الجمالية الفنية فى القرآن الكريم ويبرز أطرافها ويوضح خطوطها ومعالمها وظلالها واشراقها لكنه قد يسوق ذلك كله بأسلوب أدبي يزين الصورة جمالا الى جمالها .... وقد لا يستطيع فتبقى الصورة جميلة زاهية وحدها . وقد تميز تفسير سيد قطب رحمه الله تعالى بالجمع بين هذا وذاك .

واذ وضح الأمر فان منزلة الجمال في القرآن تالية لمنزلة الكمال " فالجمال في تصميم هذا الكون مقصود كالكمال . بل انهما اعتبارا لحقيقة واحده . فالكمال يبلغ درجة الجمال . ومن ثم يوجه القرآن النظر الى جمال السماوات بعد أن وجه النظر الى كمالها "[1] " الذى خلق سبع سماوات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير ولقد زينا السماء

---

(١) في ظلال القرآن : جـ٦ ص ٣٦٣٣

الدنيا بمصابيح "(١)

وقد عنى سيد قطب بالعرض الجمالي الفني في القرآن الكريم فتوقف عند الجمال الفني في قوله تعالى " ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ، فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك . انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور" (٢) ..... حيث قال رحمه الله تعالى :-

" انها لفتة كونية عجيبة من اللفتات الدالة على مصدر هذا الكتاب. لفتة تطوف في الأرض كلها تتبع فيها الألوان والأصباغ في كل عوالمها . في الثمرات . وفي الجبال . وفي الناس وفي الدواب والأنعام . لفتة تجمع في كلمات قلائل ، بين الأحياء وغير الأحياء في هذه الأرض جميعا ، وتدع القلب مأخوذا بذلك المعرض الالهي الجميل الرائع الكبير الذى يشمل الأرض جميعا

وتبدأ بانزال الماء من السماء ، واخراج الثمرات المختلفات الألوان . ولأن المعرض معرض أصباغ وشيات فانه لا يذكر هنا من الثمرات الا ألوانها " فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها" .... و ألوان الثمار معرض بديع للألوان يعجز عن ابداع جانب منه جميع الرسامين في جميع الأجيال فما من نوع من الثمار يماثل لونه لون نوع آخر . بل ما من ثمرة واحدة يماثل لونها لون أخواتها من النوع الواحد . فعند التدقيق في أى ثمرتين أختين يبدو شيء من اختلاف اللون !

---

(١) سورة الملك : ٣ - ٥

(٢) فاطر : ٢٧ ، ٢٨

وينتقل من ألوان الثمار الى ألوان الجبال نقلة عجيبة في ظاهرها ، ولكنها من ناحية دراسة الألوان تبدو طبيعية . ففى ألوان الصخور شبه عجيب بألوان الثمار وتنوعها وتعددها ، بل ان فيها أحيانا ما يكون على شكل بعض الثمار وحجمها كذلك حتى ما تكاد تفرق من الثمار صغيرها وكبيرها !

"ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود" . .

والجدد الطرائق والشعاب . وهنا لفتة في النص صادقة فالجدد البيض مختلف ألوانها فيما بينها . والجدد الحمر مختلف ألوانها فيما بينها . مختلف في درجة اللون والتظليل والألوان الأخرى المتداخلة فيه ، وهناك جدد غرابيب سود ، حالكة شديدة السواد .

واللفتة الى الوان الصخور وتعددها وتنوعها داخل اللون الواحد ، بعد ذكرها الى جانب ألوان الثمار ، تهز القلب هزا ، وتوقظ فيه حاسة الذوق الجمالي العالي ، التي تنظر الى الجمال نظرة تجريدية فتراه فى الصخرة كما تراه في الثمرة ، على بعد ما بين طبيعة الصخرة وطبيعة الثمرة ، وعلى بعد ما بين وظيفتيهما في تقدير الانسان . ولكن النظرة الجمالية المجردة ترى الجمال وحدة عنصرا مشتركا بين هذة وتلك ، يستحق النظر والالتفاف .

ثم ألوان الناس . وهى لا تقف عند الألوان المتميزة العامة لأجناس البشر . فكل فرد بعد ذلك متميز اللون بين بنى جنسه . بل متميز من توأمه الذى شاركه حملا واحدا فى بطن واحدة !

وكذلك ألوان الدواب والأنعام . والدواب أشمل والأنعام أخص فالدابة كل حيوان . والأنعام هي الابل والبقر والغنم والماعز ، خصصها من الدواب لقربها من الانسان والألوان والأصباغ فيها معرض كذلك جميل كمعرض الثمار ومعرض الصخور سواء .

هذا الكتاب الكوني الجميل الصفحات العجيب التكوين والتلوين يفتحه القرآن ويقلب صفحاته ويقول ان العلماء الذين يتلونه ويدركونه ويتدبرونه هم الذين يخشون الله :

" انما يخشى الله من عباده العلماء " . . . . . الى أن قال رحمه الله تعالى :-

" ان عنصر الجمال يبدو مقصودا قصدا في تصميم هذا الكون وتنسيقه ومن كمال هذا الجمال أن وظائف الأشياء تؤدى عن طريق جمالها هذه الألوان العجيبة في الأزهار تجذب النحل والفراش مع الرائحة الخاصة التي تفوح . ووظيفة النحل والفراش بالقياس الى الزهرة هي القيام بنقل اللقاح ، لتنشأ الثمار . وهكذا تؤدى الزهرة وظيفتها عن طريق جمالها ! . . والجمال في الجنس هو الوسيلة لجذب الجنس الآخر اليه لأداء الوظيفة التي يقوم بها الجنسان . وهكذا تتم الوظيفة عن طريق الجمال .

الجمال عنصر مقصود قصدا في تصميم هذا الكون وتنسيقه . ومن ثم هذه اللفتات في كتاب الله المنزل الى الجمال في كتاب الله المعروض" (١)

---

(١) في ظلال القرآن : جـ٥ ص ٢٩٤٢ - ٢٩٤٣

وقد يكون الجمال الفني في استخدام التصوير وتشخيص المعاني كوسيلة لبيانها ولا شك أن لهذا التصوير الفني أثره البين في جلاء المعنى الكلي المجرد في المعنى الكلي المجرد يظل حائرا في التصور البشري ومائعا حتى يتمثل في صورة محسوسة ، ومهما أوتي العقل البشرى من القدرة على التجريد فانه يظل في حاجة الى تمثل المعنى المجرد في صور وأشكال وخصائص ونماذج .... ذلك شأنه مع المعاني المجردة التى تمثل المحدود فكيف بغير المحدود ؟

لذلك يضرب القرآن الأمثال للناس ويقرب الى حسهم معانيه الكبرى بوضعها في صور ومشاهد ومحسوسات ذات مقومات وخصائص وأشكال " (١)

وان شئت مثلا لذلك فالامثلة كثيرة أفردها - رحمه الله تعالى - بكتابه " التصوير الفني " في القرآن " ثم سار عليها في الظلال وزادها صورا أخرى ومشاهد أخرى ..... نذكر منها تصويرا لمشهد من مشاهد يوم القيامه

فمن ذلك تفسيره لقوله تعالى " واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد * من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد * يتجرعه ولا يكاد يسغيه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ * (٢) حيث قال رحمه الله تعالى " والمشهد هنا عجيب انه مشهد الخيبة لكل جبار عنيد مشهد الخيبة في الأرض . ولكنه يقف هذا الموقف ومن ورائه تخايل جهنم وصورته

---

(١) في ظلال القرآن : جـ٤ ص٢٢٩٦ - ٢٢٩٧

(٢) سورة ابراهيم : ١٥ - ١٨

فيها وهو يسقى من الصديد السائل من الجسوم يسقاه بعنف فيتجرعه غصبا وكرها ولا يكاد يسيغه لقزازته ومرارته والتقذر والتكره باديان نكاد نلمحهما من خلال الكلمات ويأتيه الموت بأسبابه المحيطة به من كل مكان ، ولكنه لا يموت ليستكمل عذابه ومن ورائه عذاب غليظ .

انه مشهد عجيب ، يرسم الجبار الخائب المهزوم ووراءه مصيره يخايل له على هذا النحو المروع الفظيع وتشترك كلمة "غليظ" في تقطيع المشهد ، تنسيقا له مع القوة الغاشمة التي كانوا يهددون بها دعاة الحق والخير والصلاح واليقين " الى أن قال في الآية التاليه :-

" مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف . لا يقدرون مما كسبوا على شيء . ذلك هو الضلال البعيد"(١)

ومشهد الرماد تشتد به الريح في يوم عاصف مشهود معهود يجسم به السياق معنى ضياع الأعمال سدى لا يقدر أصحابها على الامساك بشيء منها ولا الانتفاع به أصلا يجسمه في هذا المشهد العاصف المتحرك فيبلغ في تحريك المشاعر له ما لا يبلغه التعبيير الذهنى المجرد عن ضياع الأعمال وذهابها بددا !

هذا المشهد ينطوى على حقيقة ذاتية في أعمال الكفار فالأعمال التي لا تقوم على قاعدة من الايمان ولا تمسكها العروة الوثقى التي تصل العمل بالباعث، وتصل الباعث بالله ... مفككة كالهباء والرماد لا قوام لها ولا نظام . فليس

---

(١) سورة ابراهيم : ١٥ - ١٨

المعول عليه هو العمل ، ولكن باعث العمل . فالعمل حركة آلية لا يفترق فيها الانسان عن الآلة الا بالباعث والقصد والغاية

وهكذا يلتقي المشهد المصور مع الحقيقة العميقة ، وهو يؤدى المعني في أسلوب مشوق موح مؤثر "[1] وقد يكون المشهد تصويرا لمعاني عقلية مجردة كالمن والأذى والرياء في الصدقات.

فمن ذلك تفسيره لقوله تعالى :-

" يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ، كالذى ينفق ماله رئاء الناس، ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ،فمثله كمثل صفوان عليه تراب ،فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين . ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين ،فان لم يصبها وابل فطل ، والله بما تعملون بصير"[2] . . . . . حيث قال :-

هذا هو المشهد الأول . . . .

مشهد كامل من منظرين متقابلين و شكلا ووضعا وثمرة . وفي كل منظر جزئيات يتسق بعضها مع بعض من ناحية فن الرسم وفن العرض ، ويتسق كذلك مع ما يماثلة من المشاعر والمعاني التي رسم المنظر كله لتمثيلها وتشخيصها واحيائها .

نحن في المنظر الأول أمام قلب صلد :

---

(١) في ظلال القرآن : جـ٤ ص ٢٠٩٣ - ٢٠٩٤

(٢) سورة البقرة : ٢٦٤ - ٢٦٥

" كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤ من بالله واليوم الآخر" . .

فهو لا يستشعر نداوة الايمان وبشاشته . ولكنه يغطي هذة الصلادة بغشاء من الرياء . . . . .

هذا القلب الصلد المغشى بالرياء يمثله " صفوان عليه تراب" حجر لا خصب فيه ولا ليونة ، يغطيه تراب خفيف يحجب صلادته عن العين ،كما أن الرياء يحجب صلادة القلب الخالي من الايمان . .

" فأصابه وابل فتركه صلدا " . . . .

وذهب المطر الغزير بالتراب القليل ! فانكشف الحجر بجدبه وقساوته ، ولم ينبت زرعة ، ولم يثمر ثمرة . . كذلك " اللب الذى أنفق ماله رئاء الناس ، فلم يثمر خيرا ولم يعقب مثوبة !

أما المنظر الثاني المقابل له في المشهد . . . فقلب عامر بالايمان ، ندى ببشاشته . ينفق ماله "ابتغاء مرضاة الله " . . . .

وينفقه عن ثقة ثابتة في الخير، نابعه من الايمان ، عميقة الجذور في الضمير . . واذا كان القلب الصلد وعليه ستار من الرياء يمثله صفوان صلد عليه غشاء من التراب ، فالقلب المؤمن تمثله جنة جنة خصبة عميقة التربة في مقابل حفنة التراب على الصفوان . جنة تقوم على ربوة في مقابل الحجر الذى تقوم عليه حفنة التراب ! ليكون المنظر متناسق الأشكال ! فاذا جاء الوابل لم يذهب بالتربة الخصبة هنا كما ذهب بغشاء التراب هناك . بل أحياها وأخصبها ونماها . . . . .

" فأصابها وابل فآتت أكلها ضعفين " . . . .

أحياها كما تحي الصدقة قلب المؤمن فيزكو ويزداد صلة بالله ويزكو ماله كذلك ويضاعف له الله ما يشاء وكما تزكو حياة الجماعة المسلمة بالانفاق وتصلح وتنمو :

" " فان لم يصبها وابــل " . . . . غزير . . ." فطل من الرذاذ يكفي فــي التربــة الخصبة ويكفــي منه القليــل !

انه المشهد الكامل ، المتقابل المناظر ، المنسق الجزيئات المعروض بطريقة معجزة التناسق والأداء ، الممثــل بمناظــره الشاخصــة لكل خالجــة فــي القلب وكل خاطــرة ، المصور للمشاعر والوجدانــات بمــا يقابلهــا من الحالات والمحسوسات ، الموحــى للقلب باختيــار الطريــق فــي يسر عجيــب . . . . .

ولما كان المشهد مجالا للبصر وللبصيرة من جانب ، ومرد الأمر فيه كذلك الــى رؤيــة اللــه ومعرفتــه بما وراء الظواهــر ، جــاء التعقيب لمســة للقلوب :

" واللــه بما تعملون بصير " . . . .

فأما المشهد الثاني فتمثيل لنهاية المن والأذى ، كيف يمحــق آثار الصدقــة محقا في وقت لا يملك صاحبهــا قوة ولا عونــا ولا يستطيع لذلك المحق ردا تمثيل لهذه النهايــة البائسة فــي صورة موحيــة عنيفة الايحاء . كل ما فيهــا عاصف بعد أمن ورخاء .

" أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتهــا الأنهار ، له فيها من كل الثمرات ، وأصابــه الكبر وله ذريــة ضعفاء ، فأصابهــا اعصار فيه نــار فاحترقت كذلك يبين اللــه لكم الآيــات لعلكم تتفكرون " (١) . . . .

هذة الصدقــة فــي أصلها وفــي آثارهــا تمثــل فــي عالــم المحســوســات

---

(١) سورة البقــرة : ٢٦٦

" جنـــة من نخيل و أعنـــاب تجرى من تحتهـــا الأنهار ،له فيهـــــا من كـــل الثمرات " . . . . . .

انها ظليلة وارفة مخصبة مثمرة. وكذلك الصدقة فـــي طبيعتهـــــا وفـــي آثارهـــا . . كذلك هي في حياة المعطي وفـــي حياة الآخـــذ و فـــي حياة الجماعـــة الانسانيـــة . كذلك هي ذات روح وظـــل . وذات خير وبركـــــة ،وذات غذاء ورى وذات زكاة ونمـــاء !

فمن ذا الذى يود أن تكون له هذة الجنـــة ـ أو هذة الحسنة ـ ثـــم يرسل عليهـــا المن والأذى يمحقهـــا محقا ، كما يمحق الجنة الاعصار فيه نـــــار؟

ومتى ؟ فـــي أشد ساعاتـــه عجزا عن انقاذهـــا ، وحاجة الــــى ظلهـــا ونعمائهـــــا !

" وأصابـــه الكبر وله ذرية ضعفاء . فأصابها اعصار فيه نار فاحترقـــت"

" من ذا الذى يود هذا؟ ومن ذا الذى يفكر فـــي ذلك المصـــــير ثم لا يتقيـــــه ؟ . . . . .

" كذلك يبين اللـــه لكم الآيات لعلكم تتفكرون " . . . .

وهكذا يقوم المشهد الحي الشاخص، بما فيهأول الأمر من رضى ورفه ومتعة ، وما فيه من نضارة وروح وجمال ثم بما يعصف به عصفا من اعصار فيه نار . . . . يقوم هذا المشهد العجيب بالايحـــاء الشعورى الرعيب الذى لا يـــدع مجالا للتردد فى الاختيار ، قبل أن تذهب فرصـــة الاختيار وقبــــــل أن يصيب الجنة الوارفة الظليلة المثمرة اعصار فيه نـــار !

وبعد فان التناسق الدقيق الجميل الملحوظ فـــي تركيب كل مشهـــد على حدة ، وفـــي طريقة عرضه وتنسيقه . . هذا التناسق لا يقف عنـــد المشاهـــد فرادى . بل انه ليمد رواقه فيشمل المشاهـــد متجمعـــــة

من بدئها في هذا الدرس الى منتهاها .. انها جميعا تعرض في محيط متجانس . محيط زراعي ! حبة أنبتت سبع سنابل . صفوان عليه تراب فأصابه وابل . جنة بربوة فآتت أكلها ضعفين + جنة من نخيل و أعناب . . . حتى الوابل والطل والاعصار التي تكمل محيط الزراعة لم يخل منها محيط العرض الفني المثير .

وهي الحقيقة الكبيرة وراء العرض الفني المثير . . . . حقيقة الصلة بين النفس البشرية والتربة الأرضية . حقيقة الأصل الواحد وحقيقة الطبيعة والواحدة ، وحقيقة الحياة الثابتة في النفس وفي التربة على السواء وحقيقة المحق الذى يصيب هذة الحياة في النفس وفي التربة على السواء .(١)

انه القرآن . . . كلمة الحق الجميلة . . من لدن حكيم خبير "

ومنها ما هو تصوير لمشاهد كونية للمتأمل فيها آية وأى آية فمن ذلك تفسيره لقوله تعالى " والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس"(٢) قال " فلفظ عسعس مؤلف من مقطعين : عس . عس . وهو يوحي بجرسه بحياة في هذا الليل ، وهو يعس في الظلام بيده أو برجله لا يرى ! وهو ايحاء عجيب واختيار للتعبير رائع . ومثله " والصبح اذا تنفس" . . . بل هو أظهر حيوية . وأشد ايحاء والصبح حي يتنفس . أنفاسه النور والحياه والحركة التى تدب في كل حي و أكاد أجزم أن اللغة العربية بكل مأثوراتها التعبيرية لا تحتوى نظيرا لهذا التعبير عن الصبح . ورؤية الفجر تكاد تشعر القلب المتفتح انه بالفعل يتنفس ! ثم يجيء هذا التعبير فيصور هذه

---

(١) في ظلال القرآن : جـ١ ص ٣٠٨ - ٣١٠
(٢) سورة التكوير : ١٧ - ١٨

الحقيقة التى يشعر بها القلب المتفتح . وكل متذوق لجمال التعبير والتصوير يدرك أن قوله تعالى "فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس، والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس" [1] . . . ثروة شعورية وتعبيرية فوق ما يشير اليه من حقائق كونية ، ثروة جميلة بديعة رشيقة ، تضاف الي رصيد البشرية من المشاعر، وهي تستقبل هذه الظواهر الكونية بالحس الشاعر" [2]

ولنقف مع سيد قطب رحمه الله تعالى عند مشهد من مشاهد تجسيم أحوال النفوس كأنها مشهد محسوس ضربه الله مثلا للمنافقين " أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم فى أذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين ،يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاءلهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم ان الله على كل شيء قدير" [3]

قال رحمه الله تعالى - انه مشهد عجيب ، حافل بالحركة مشوب بالاضطراب فيه تيه وضلال ،وفيه هول ورعب ، وفيه فزع وحيرة ، وفيه أضواء وأصداء . . . . . ان الحركة التى تغمر المشهد كله : من الصيب الهاطل الى الظلمات والرعد والبرق الى الحائرين المفزعين فيه ، الى الخطوات المروعة الوجلة التى تقف عند ما يختم الظلام . . . . ان هذه الحركة في المشهد لترسم -عن طريق التأثر الايحائي حركه التية والاضطراب والقلق والأرجحة التى يعيش فيها أولئك المنافقون . . . بين لقائهم للمؤمنين ، وعودتهم للشياطين ، بين ما

---

(١) سورة التكوير : ١٧- ١٨
(٢) في ظلال القرآن : جـ٦ ص ٣٨٤١- ٣٨٤٢
(٣) سورة البقرة : ١٩ - ٢٠

يقولونـــه لحظة ثم ينكصون عنه فجأة . بين ما يطلبونـــه من هــــدى ونور وما يفيئون اليـــه من ضلال وظلام فهو مشهد حسى يرمز لحالـــة نفسية ويجسم صورة شعورية وهـــو طرف من طريقة القرآن العجيبـــة فـــي تجسيم أحوال النفوس كأنهـــا مشهد محسوس "(١)

قلت لكم ان هذه المشاهـــد كثيره وان عرض سيـــد رحمه اللـــه تعالى لها كثير أيضا و ما ذكرت ليس ليس أوضحهـــا وليس أجملهـــا ولكنه منها على كل حـــال . . .

تلكم مشاهد مركبة من صور ،وصور متعددة ، وقد يكون الجمـــال التعبيرى والجمال الفني في مفردة خذ مثلا كلمـــة " أفضي" مـــن قولـــه سبحانـــه وتعالـــي "وان أردتم استبدال زوج مكان زوج ، وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونـــه بهتانـــا واثمـــا مبينـــا وكيف تأخذونه وقد أفضي بعضكم الى بعض . وأخذن منكـــم ميثاقا غليظـــا "(٢) وقف رحمه الله تعالى وقفة عند كلمـــة أفضى استلهـــم منها كل الصور والظلال والايحاءات التى تحتويها ولا يدركها الا القليـــل قال " ويدع الفعل " أفضى " بلا مفعول محدد . يدع اللفظ مطلقـــا يشع كل معانيـــه ،ويلقي كل ظلاله ، ويسكب كل ايحاءاته . ولا يقـــف عنـــد حدود الجسد وافضاءاته . بل يشمل العواطف والمشاعر والوجدانات والتصورات والأسرار والهمـــوم ، والتجاوب في كل صورة من صـــور التجاوب . يدع اللفظ يرسم عشرات الصور لتلك الحياة المشتركـــة آناء الليل وأطراف النهار ، وعشرات الذكريات لتلك الموءسسة التى ضمتها فترة من الزمـــان . . . وفي كل اختلاجة حب افضاء ، وفي كل نظـــرة

---

(١) في ظلال القرآن : جـ١ ص ٤٦
(٢) سورة النســاء : ٢٠ - ٢١

ود افضاء ، وفي كل لمسة جسم افضاء ، وفي كل اشتراك في ألم أو أمل افضاء ، وفي كل تفكر في حاضر أو مستقبل افضاء ، وفي كل شوق الي خلف افضاء ، وفى كل التقاء وفى وليد افضاء ....

كل هذا الحشد من التصورات والظلال والانداء والمشاعر والعواطف يرسمه ذلك التعبير الموحي العجيب" وقد أفضى بعضكم الى بعض" ...... فيتضاءل الى جواره ذلك المعنى المادى الصغير ويخجل الرجل أن يطلب بعض ما دفع ، وهو يستعرض في خياله وفي وجدانه ذلك الحشد من صور الماضى ، وذكريات العشرة في لحظة الفراق الأسيف" (١)

أفلا يحق لنا - معشر الأحبة - وقد تغنى الأدباء ببلاغة بشار بن برد حين قال - وهو الأعمى - يصف معركة

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كوكبه

أن نتغنى بادراك سيد لهذه المشاعر والصور بين الرجل وزوجته وهو الرجل الذى لم يتزوج ؟! ان كثيرا من المتزوجين لا يدركون بعضها فكيف أدركها كلها انه توفيق الله وفضله ...

ومن ذلك تفسيره لكلمة "كبكبوا" من قوله تعالى عن أصحاب الجحيم " فكبكبوا فيها هم والغاوون " (٢) قال رحمه الله تعالى :-

" ... كبكبوا ... واننا لنكاد نسمع من جرس اللفظ صوت تَدَفُّعهم وتَكَفُّئهم وتساقطهم بلا عناية ولا نظام ، وصوت الكركبة الناشئ من الكبكبة ، كما ينهار الجرف فتتبعه الجروف . فهو لفظ مصور بجرسه لمعناه " (٣)

---

(١) في ظلال القرآن : جـ١ ص ٦٠٦ - ٦٠٧
(٢) سورة الشعراء : ٩٤
(٣) في ظلال القرآن : جـ٥ ص ٢٦٠٥

و منه تفسيره لكلمة " أنلزمكموها " من قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام مخاطبا قومه :- قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي ، وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون ؟ "[١] قال رحمه الله تعالى .... فتحس أن كلمة " أنلزمكموها " تصور جو الاكراه بادماج كل هذه الضمائر في النطق وشد بعضها الى بعض كما يد مج الكارهون مع ما يكرهون ويشدون اليه وهم نافرون ! وهكذا يبدو لون من التناسق أعلى من البلاغة الظاهرية وأرفع من الفصاحة اللفظية...."[٢]

والجمال الفني في القرآن ليس في تجسيم الأحداث وتشخيصها بصورة مركبه أو مفردة فحسب ، ولكنه أيضا في انتقاء المشهد والتقاطه من الزاوية الجمالية فيه . خذ مثلا لذلك تفسيره لقوله تعالى " ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى توءفكون "[٣] وما بعدها

قال رحمه الله تعالى -" ..... والجمال هو السمة البارزة هنا .... الجمال الذى يبلغحد الروعة الباهرة ... المشاهد منتقاة وملتقطة من الزاوية الجمالية والعبارات كذلك في بنائها اللفظي الايقاعي ، وفي دلالتها والمدلولات ايضا - على كل ما تزخر به الحقيقة الاصيلة في هذه العقيدة - تتناول هذه الحقيقة من الزاوية الجمالية .... فتبدو الحقيقة ذاتها وكأنما تتلاء لاء في بهاء ! "[٤]

---

(١) سورة هود : ٢٨
(٢) في ظلال القرآن : جـ٤ ص ١٨٧٣ (الهامش)
(٣) سورة الانعام : ٩٥
(٤) فى ظلال القرآن : جـ٢ ص ١١٥٢

مشاهد وقوالب للجمال الفني صاغها سيد قطب رحمه الله تعالى فجاءت شاهدة وأى شاهدة على سمو المعاني وبلاغة التعبير ومهارة التصوير ودقة الألفاظ - رحمه الله رحمه واسعه ونفع بعلمه

الأساس الخامس : استحياء النص دون مقررات سابقة : =

ولا يقصد - ولا نقصد - بالمقررات السابقة السنة النبوية أو علوم القرآن الكريم أو اللغة ونحو ذلك مما لا بد من توفره عند المفسر قبل مزاولته التفسير وانما يقصد بها رواسب الثقافات التى لا تستقى من القرآن ذاته وقد وضح - رحمه الله تعالى - ذلك بما لا يحتاج الى بيان حيث قال : " ومنهجنا في استلهام القرآن الكريم "الا نواجهه بمقررات سابقة اطلاقا . لا مقررات عقلية ولا مقررات شعورية ومن رواسب الثقافات التى لم نستقها من القرآن ذاته - نحاكم اليها نصوصه أو نستلهم معاني هذه النصوص وفق تلك المقررات السابقة . لقد جاء النص القرآني - ابتداء لينشئ المقررات الصحيحة التى يريد الله أن تقوم عليها تصورات البشر ، وأن تقوم عليها حياتهم و أقل ما يستحقه هذا التفضل من العلي الكبير وهذه الرعاية من الله ذى الجلال - وهو الغني عن العالمين - أن يتلقوها وقد فرغوا لها قلوبهم وعقولهم من كل غبش دخيل ، ليقوم تصورهم الجديد نظيفا من كل رواسب الجاهليات - قديمها وحديثها على السواء مستمدا من تعليم الله وحده لا من ظنون البشر، التى لا تغنى من الحق شيئا

ليس هناك اذن مقررات سابقة تحاكم اليها كتاب تعالى انما نحن نستمد مقرراتنا من هذا الكتاب ابتداء . ونقيم على هذه المقرارات تصوراتنا ومقرراتنا وهذا - وحده - هو المنهج الصحيح في مواجهة القرآن الكريم وفي استلهامه خصائص التصور الاسلامى و مقوماته " (١)

---

(١) خصائص التصور الاسلامى ومقوماته : سيد قطب ص ١٤ - ١٥

ولذلك فانه رحمه الله تعالى ينكر على أولئك الذين يحسبون أن بعض أخبار القرآن وقصصه تمثيل وتخييل وعزا هذا الى أنهم يجيئون الى القرآن بتصورات مقررة سابقة في أذهانهم أخذوها من مصادر أخرى غير القرآن ثم يحاولون أن يفسروا القرآن وفق تلك التصورات السابقة المقررة في أذهانهم من قبل .... و من ثم يرون الملائكة تمثيلا لقوة الخير و الطاعة و الشياطين تمثيلا لقوة الشر والمعصية و الرجوم تمثيلا للحفظ والصيانة . . . الخ لأن في مقرراتهم السابقة قبل ان يواجهوا القرآن أن هذه المسميات : الملائكه والشياطين أو الجن لا يمكن أن يكون لها وجود مجسم على هذا النحو و أن تكون لها هذه التحركات الحسية والتأثيرات الواقعيه من أين جاءوا بهذا ؟ من أين جاءوا بهذه المقررات التى يحاكمون اليها نصوص القرآن والحديث ؟ "(١)

ثم بين رحمه الله تعالى الطريق الأمثل لفهم القرآن وتفسيره فقال " ان الطريق الأمثل في فهم القرآن وتفسيرة وفي التصور الاسلامي وتكوينه أن ينفض الانسان من ذهنه كل تصور سابق و أن يواجه القرآن بغير مقررات تصورية أو عقلية أو شعورية سابقة وأن يبنى مقرراته كلها حسب ما يصور القرآن والحديث حقائق هذا الوجود ومن ثم لا يحاكم القرآن الحديث لغير القرآن ولا ينفي شيئا يثبته القرآن ولا يؤوله ! ولا يثبت شيئا ينفيه القرآن أو يبطله

---

(١) في ظلال القرآن : جـ٦ ص ٣٧٣٠

وما عدا المثبت والمنفي في القرآن فله أن يقول فيه ما يهديه اليه عقله وتجربته"(١)

وقد اعترف رحمه الله تعالى بأنه قد وقع في هذا الذى يحذر الآن منه فيقول : " وما أبرىء نفسي أنني فيما سبق من مؤلفاتي وفي الأجزاء الأولى من هذه الظلال قد انسقت الي شيء من هذا .... وأرجو أن أتداركه في الطبعة التالية اذا وفق الله .... وما أقرره هنا هو ما اعتقده الحق بهداية من الله "(١)

وأكد رحمه الله تعالى على هذا الأساس حين جعله قاعدة مأمونة في مواجهة النصوص القرآنية حيث يقول " ان هنالك قاعدة مأمونة في مواجهة النصوص القرآنية .... انه لا يجوز لنا أن نواجه النصوص القرآنية بمقررات عقلية سابقة . لا مقررات عامة ولا مقررات في الموضوع الذى تعالجه النصوص . بل ينبغي أن نواجه هذه النصوص لنتلقى منها مقرراتنا . فمنها نتلقى مقرراتنا الايمانية ومنها نكوّن قواعد منطقنا وتصوراتنا جميعا فاذا قررت لنا أمرا فهو المقرر كما قررته ! ذلك أن ما نسميه (العقل) ونريد أن نحاكم اليه مقررات القرآن عن الأحداث الكونية والتأريخية والانسانية والغيبية هو افراز واقعنا البشرى المحدود وتجاربنا البشرية المحدودة "(٢)

وتصوروا معي - أيها الأحبه - رجلا كسيد قطب ، قضى روحا من حياته في طلب العلم والتحصيل حتى جمع حصيلة علمية وفكرية

---

(١) في ظلال القرآن : جـ٦ ص ٣٧٣١
(٢) في ظلال القرآن : جـ٦ ص ٣٩٧٩

هائلة ممزوجة بالتجربة - وحين دلف الى النص القرآني ألقى على عتبة بابه كل هذا الخضم من العلوم والمعارف مستسلما لمقررات القرآن الكريم ، ومبتدئا بمعارفه لذا فان القرآن الكريم أعطى هذا الرجل ومن يعمل عمله أكثر مما أعطوا وأصدق مما تركوا

ولا أريد أن أكثر من الأمثله ولعل مثالا واحدا يغنى عن كثير منها لأن فيه وفاء يالمعنى والتزاما للمنهج وتشبث به بل عض عليه بالنواجذ ، ولم يقف رحمه الله تعالى فى هذا المثال الذى سنذكره - بشيء من التفصيل - عند حدود بيان مقررات القرآن بل تجاوز ذلك الى الرد على الذين انزلقوا الى بعض النظريات التى تصادم ما قرره القرآن

وقد تحدث - رحمه الله تعالى - عن حقيقة التوحيد ورد على الذين يزعمون أن التوحيد مرحلة تالية للتعدد في العقيدة فيزعمون تطورها في تاريخ الانسان من التعدد الى دور التمييز ثم دور التوحيد

تناول ذلك في حديثه عن قصة نوح عليه السلام مع قومه والتى ساقتها سورة هود [1] وبين - رحمه الله تعالى - أن آدم عليه السلام هبط الى الأرض مسلما لله متبعا هداه وأن الاسلام هو أول عقيدة عرفتها البشرية على الأرض حيث لم تكن معها عقيدة أخرى وبين أن هذه الحقيقة تقودنا الى رفض كل ما يخبط فيه من يسمونهم " علماء الأديان المقارنه " وغيرهم من التطور بين الذين يتحدثون عن التوحيد بوصفه طورا متأخرا من أطوار العقيدة . سبقته

---

(١) انظر سورة هود : الآيات ٢٥ - ٤٩

أطوار شتى من التعدد والتثنية للآلهة . ومن تأليه القوى الطبيعية وتأليه الأرواح وتأليه الشموس والكواكب .... الى آخر ما تخبط فيه هذه " البحوث " التى تقوم ابتداء على منهج موجه بعوامل تأريخية ونفسية وسياسية معينة ، يهدف الى تحطيم قاعدة الأديان السماوية والوحي الالهي والرسالات من عند الله واثبات أن الأديان من صنع البشر ، وأنها من ثم تطورت بتطور الفكر البشرى على مدار الزمان !

ويتزلق بعض من يكتبون عن الاسلام مدافعين فيتابعون ا تلك النظريات التى يقررها الباحثون في تاريخ الأديان - وفق ذلك المنهج الموجه - من حيث لا يشعرون ! وبينما هم يدافعون عن الاسلام متحمسين يحطمون أصل الاعتقاد الاسلامي الذى يقرره القرآن الكريم في وضوح حاسم . حين يقرر أن آدم - عليه السلام - هبط الى الأرض بعقيدة الاسلام وأن نوحا - عليه السلام - واجه ذرارى آدم الذين اجتالهم الشيطان عن الاسلام الى الجاهلية الوثنية بذلك الاسلام نفسه ... القائم على التوحيد المطلق ... وأن الدورة تجددت بعد نوح فخرج الناس من الاسلام الى الجاهلية ، وأن الرسل جميعا أرسلوا بعد ذلك بالاسلام ... القائم على التوحيد المطلق . وأنه لم يكن قط تطور في العقيدة السماوية في أصل الاعتقاد - وانما كان الترقي والتركيب و التوسع في الشرائع المصاحبة للعقيدة الواحدة - وأن ملاحظه ذلك التطور في العقائد الجاهلية لا يدل على أن الناس صاروا الى التوحيد بناء على تطور في أصل العقيدة انما يدل على أن عقيدة التوحيد على يد كل رسول كانت تترك رواسب في الاجيال التالية - حتى بعد انحراف الأجيال عنها - ترقي عقائدهم

الجاهلية ذاتها ، حتى تصير أقرب الى أصل التوحيد الرباني أما عقيدة التوحيد في أصلها فهي أقدم في تاريخ البشرية من العقائد الوثنية جميعا ! وقد وجدت هكذا كاملة منذ وجدت ،لأنها ليست نابعة من أفكار البشر ومعلوماتهم المترقية ، انما هي آتية لهم من عند الله سبحانه وتعالى فهي حق منذ اللحظة الأولى ، وهي كاملة منذ اللحظة الأولى .

هذا ما يقرره القرآن الكريم ، ويقوم عليه التصور الاسلامي - فلا مجال - اذن - لباحث مسلم - وبخاصة اذا كان بدافع عن الاسلام ! - أن يعدل عن هذا الذى يقرره القرآن الكريم في وضوح حاسم ، الى شيء مما تخبط فيه نظريات علم الأديان المقارنة تلك النظريات النابعه من منهج موجه كما أسلفنا ! (١)

ولأنه - رحمه الله تعالى - يسير على ما يقرره القرآن وما يوحى به النص اليه فانه يجهر به ويعلنه لأنه ما من انسان يعرف شيئا من الأدب يملك أن يقول : أنه يرى خيرا مما يرى الله - ويعلن رحمه الله تعالى منهجه - انما أنا أسير مع نص القرآن وروحه فأجنح الى ذلك الرأى بايحاء النص واتجاهه (٢)

وكفى به منهجا سليما ومعينا نقيا

الأساس السادس: الوحدة الموضوعية

جرى سيد قطب رحمه الله تعالى على أن يقسم السورة الواحدة الى مجموعات من الآيات يتناول كل مجموعه منها بدرس مستقل ولم

---

(١) في ظلال القرآن : جـ٤ ص١٨٨٢ -١٨٨٣

(٢) علوم القرآن : الدكتور عدنان زرزور ص ٤٣١

ينقص هذا من منزلة الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم بل اهتم بها اهتماما واضحا في شتى جوانبها وأشكالها حتى عدّة الدكتور عدنان زرزور " أول مفسر قي تاريخ القران الكريم أبرز الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية المفردة طالت أم قصرت !

أبرزه بشكل عملي مكتوب أو طبقه أروع تطبيق و أعمقه في كتابه العظيم رحمه الله والذين سبقوا سيدا من المفسرين منهم لم يلاحظها ولم يسلم بوجودها ومنهم من ذهب الى القول بها ولكنه عجز عن ملاحظتها وتقديمها فيما كتبه للناس من تفسير لكتاب الله تعالى ثم جاء سيد ليؤكد على هذه الوحدة المحورية في السورة الواحدة وليضع أيدينا بعد ذلك برفق وسهولة ولين على وجه الانتقال من موضوع الى موضوع " (١)

ونستطيع أن نستخلص الاقسام التالية للوحدة الموضوعية كما عرضها سيد قطب رحمه الله تعالى (٢) :-

١ - التناسب بين السورة والسورة التالية لها

٢ - التناسب بين دروس السورة الواحدة حسب تقسيماته رحمه الله تعالى

٣ - التناسب بين مقاطع الدرس الواحد من السورة

٤ - التناسب بين آيات المقطع الواحد

٥ - التناسب بين كلمات الآية الواحدة والجمل فيها .

تلك الأقسام ما هي الا معالم لوجوده الوحدة الموضوعية في تفسير سيد قطب رحمه الله تعالى

---

(١) علوم القرآن الدكتور عدنان زرزور ص ٤٣١

(٢) انظر في ظلال القرآن دراسة وتقويم صلاح عبد الفتاح ص ٣٩٦

ويظهر هذا في الطريقة التى سلكها - رحمه الله تعالى - في التفسير فقد قدم لكل سورة بمقدمة يدرس فيها آيات السورة كلها دراسة عامة يظهر فيها المحور الموضوعي الذى يدور عليه الآيات والهدف الذى تسعى لتقريره وملامح السورة وصورها وظلالها ومنهجها ، حتى يوقفك على سورة ذات شخصية متميزة ووحدة موضوعية متناسقة فكل سورة - كما يقول - من سور القرآن ذات شخصية متفردة وذات ملامح متميزة وذات منهج خاص وذات أسلوب معين وذات مجال متخصص في علاج هذ الموضوع الواحد . وهذه القضية الكبيرة انها كلها تتجمع على الموضوع والغاية ثم تأخذ بعد ذلك سماتها المستقلة ، وطرائقها المتميزة ومجالها المتخصص في علاج هذا الموضوع وتحقيق هذة الغاية . ان الشأن في سور القرآن - من هذه الوجهة كالشأن في نماذج البشر التى جعلها الله متميزة .... كلهم انسان ، وكلهم له خصائص الانسانية وكلهم له التكوين العضوى والوظيفي الانساني ...... ولكنهم بعد ذلك نماذج متنوعة أشد التنويع نماذج فيها الأشباه القريبة الملامح ، وفيها الأغيار التى لا تجمعها الا الخصائص الانسانية العامة ! "(١)

خذ مثلا للوحدة الموضوعية في السورة القرآنية .... الوحدة لـي سورة البقرة ... فهذه السورة تضم عدة موضوعات ولكن المحور الذى يجمعها كلها محور واحد مزدوج يترابط الخطان الرئيسيان فيه ترابطا شديدا ... فهى من ناحية تدور حول موقف

---

(١) في ظلال القرآن : جـ٣ ص ١٢٤٣

بنى اسرائيل من الدعوة الاسلامية في المدينة ، .... وهي من الناحية الأخرى تدور حول موقف الجماعة المسلمة في أول نشأتها .. (١)

ثم بين رحمه الله تعالى مدى الارتباط بين محور السورة وموضوعاتها من جهة ، وبين خط سير الدعوة أول العهد بالمدينة ، وحياة الجماعة المسلمة وملابساتها من جهة أخرى بالقاء الضوء على مجمل هذه الملابسات التى ظلت الدعوة الاسلامية وأصحابها يواجهونها - مع اختلاف يسير - على مرّ العصور وكرّ الدهور - من أعدائها وأوليائها على السواء .... وقال في ختام هذا البيان .... ومن ثم يتناسق البدء والختام . وتتجمع موضوعات السورة بين صفتين من صفات المؤمنين وخصائص الايمان " (٢)

وأحيانا يوضح رحمه الله تعالى الوحدة الموضوعية في جزء كامل من القرآن ، فيقول مثلا عن جزء عم " هذا الجزء كله .... ذو طابع غالب ... سورة مكية فيما عدا سورتي " البينه " و "النصر" وكلها من قصار السور على تفاوت في القصر ، والأهم من هذا هو طابعها الخاص الذى يجعلها وحدة - على وجه التقريب - في موضوعها واتجاهها ، وايقاعها ، وصورها وظلالها وأسلوبها العام ....

الى أن قال " وفي الجزء كله تركيز على النشأة الأولى للانسان والأحياء الأخرى في هذه الأرض من نبات وحيوان . وعلى مشاهد هذا الكون وآياته في كتابه المفتوح وعلى مشاهد القيامة العنيفه الطامة الصاخة القارعة الغاشية ومشاهد الحساب والجزاء من نعيم وعذاب في صور تقرع

---

(١) في ظلال القرآن : جـ١ ص ٢٨
(٢) انظر في ظلال القرآن : جـ١ ص ٢٨ - ٣٥

وتذهل وتزلزل كمشاهد القيامة الكونية في ضخامتها وهولها واتخاذها جميعا دلائل على الخلق والتدبير والنشأة الأخرى وموازينها الحاسمة . مع التقريع بها والتخويف والتحذير ... وأحيانا تصاحبها صور من مصارع الغابرين من المكذبين والامثلة على هذا هي الجزء كله " (1)

وأحيانا يوضح رحمه الله تعالى الوحدة الموضوعية بين دروس من السورة مرة وبينها وبين السورة كلها مرة أخرى . فقد تحدث عن ثلاثة دروس في سورة البقرة يحوى أولها الآيات من ٢٥٣ الى ٢٥٧ والثاني من ٢٥٨ الى ٢٦٠ والثالث من ٢٦١ الى ٢٧٤ ثم قال عن هذه الدروس الثلاثة : " كانت الدروس الثلاثة الماضية في هذا الجزء تدور - في جملتها - حول انشاء بعض قواعد التصور الايماني وايضاح هذا التصور ، وتعميق جذوره في نواح شتى . وكان هذا محطا في خط السورة الطويلة ، التى تعالج - كما أسلفنا - اعداد الجماعة المسلمة للنهوض بتكاليف دورها في قيادة البشرية

وربط الآيات من ٦٥ الى ٩٢ بسورتها آل عمران فقال هذا الشوط من السورةما يزال يجرى مع الخط الأول الأساسي العريض فيها خط المعركة بين أهل الكتاب والجماعة المسلمة ...... معركة العقيدة" (2)

وقسم سورة الرعد الى شطرين ينتهى الأول منهما بالآيه ١٨ ثم ربط بين الشطرين بقوله " بعد المشاهد الهائلة في آفاق الكون وفي أعماق الغيب و في أغوار النفس التى أستعرضها شطر

---

(1) في ظلال القرآن :جـ٦ ص ٣٨٠٠ - ٣٨٠١
(2) في ظلال القرآن :جـ١ ص ٣٠٤

السورة الأول ، يأخذ الشطر الثاني في لمسات وجدانية وعقلية وتصويرية دقيقة رفيقة حول قضية الوحي والرسالة وقضية التوحيد والشركاء ومسألة طلب الآيات واستعجال تأويل الوعيد ... وهي جولة جديدة حول تلك القضايا في السورة "(١)

وسيد قطب رحمه الله تعالى - حريص على بيان الوحدة الموضوعية والربط بين الآيات والسور في كل موضع ولهذا ترى هذا اللون في تفسيره كثيرا كثيرا ، حتى تلك المواقف التى لا يتضح لذ هنه موضع وحدتها ومصدر ربطها لا يتغافل عنه أو يدعي علما به فينمق العبارات التى يحاول أن يستتر بها عجزه بل يعترف رحمه الله تعالى بعجزه عن ادراكه ويطلب من القرآء أن يرشدوه الى ما عجز عنه و أن يعلوه ما جهل

فقد وقف - رحمه الله تعالى - طويلا عند بيان مناسبة قوله تعالى " حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين"(٢) لما قبلها من الآيات التى تحدثت عن بعض أحكام الاسرة فى الاسلام كالزواج والمعاشرة والايلاء والطلاق والخلع والعدة والنفقة والمتعة والرضاعة والحضانة .... لم يدرك المناسبة حين كتب التفسير لأول مرة وفي الطبعة الأولى ولما وفقه الله الى ذلك في الطبعات التاليه كان يذكر عجزه ذاك ويحمد الله أن هداه لهذا فيقول معلقا :-

" كنت قد عييت فتره عن ادراك سر هذا السياق القرآني العجيب وقلت في الطبعة الأولى لهذا الجزء وفي الطبعة المكملة للأولى : أشهد أننى وقفت أمام هذه النقله طويلا لا يفتح عليّ في سرها ولا أريد أن أتمحل لها ، ولا أقنع كل القناعة بما جاء في بعض التفاسير عنها ...... وقلت :" ولكنني - كما قلت

---

(١) في ظلال القرآن :جـ٤ ص ٢٠٥٦
(٢) سورة البقرة : ٢٣٨

مخلصا - لا أستريح الراحة الكافية لما اهتديت اليه . فاذا هديت الى شيء آخر فسأبينه في الطبعة التالية واذا هدى الله أحدا من القرآء فليتفضل مشكورا بما هداه الله فالآن أطمئن الى هذا الفتح وأجد فيه الطريق ..... والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله " (١)

انه بهذا مثال العالم المسلم الذى لا يقول فيما لا يعلم ويسأل اذا جهل ويحمد الله اذا علم

واذا عجز عن بيان ذلك في موضع حتى ولو لم يكن في الظلال غيره فانه يصرح بقوله" وأنا ،اللحظة لا أجد في هذا القول ما يريح أيضا ... ولكنه لم يفتح عليّ بشيء آخر" ولا ينسى وهو المؤمن الاستعانة بالله في مثل هذا الموضع فيقول " والله المستعان " (٢)

نعم يصرح بـ لم يفتح عليّ بشيء وقد صرح بها من قبله مالك رحمه الله تعالى فقال لا أدرى فما زادته الا سموا في القلوب وما نقصته الا علوا في العلم !! وذهبت تلكم الكلمة مشعل نور في دياجير تحكي الورع الصادق عند علماء المسلمين .

واذا كانت تلكم هي المرة الوحيدة التى لم يستطع فيها سيد قطب رحمه الله تعالى بيان المناسبة بينها وبين الآيات التى قبلها فان هذا يدل على توفيق الله تعالى له ببيان المناسبة في كل المواضع الأخرى و يدل أيضا على عنايته رحمه الله تعالى بالوحدة الموضوعية في القرآن الكريم

---

(١) في ظلال القرآن : جـ١ ص ٢٣٨
(٢) في ظلال القرآن : جـ٢ ص ٩٧٩

الاساس السابع : ترك الاطناب عما أبهم في القرآن الكريم

وما الذى يتصور غير ذلك من رجل يدخل التفسير دون مقررات سابقة الا ما قرره الكتاب والسنة

فاذا كان القرآن نفسه أوجز الحديث عن أمر فمن أين يؤتى بدقائق تفصيله من غير سنة الرسول صلى الله عليه وسلم . لهذا فقد أعرض سيد رحمه الله تعالى عن الخوض فيما أبهمه القرآن الكريم ، ولم يرد بيانه فى السنة ، وكان هذا من منهجه

فقال في تفسيرة لقوله تعالى " ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير " (١) :-" وقد جرينا في هذه الظلال على قاعدة ألا نتزيد بشيء في أمر الغيبيات التى يقص الله علينا طرفا من خبرها ، وأن نقف عند حدود النص القرآني لا نتعداه ، هو كاف بذاته لاثبات ما يعرض له من أمور . . . . فنحن نؤمن أن هناك خلقا اسمهم الشياطين ، وردت بعض صفاتهم في القرآن ، وسبقت الاشارة اليها في هذه الظلال ، ولا نزيد عليها شيئا ونحن نؤمن أن الله جعل من هذه المصابيح التى تزين السماء الدنيا رجوما للشياطين في صورة شهب كما جاء في سورة أخرى " وحفظا من كل شيطان مارد (٢) " الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب" (٣) كيف ؟ من أى حجم ؟ في أى صورة ؟ كل ذلك لم يقل لنا الله عنه شيئا ، وليس

---

(١) سورة تبارك : ٥
(٢) سورة الصافات : ٧
(٣) سورة الصافات : ١٠

لنا مصدر آخر يجوز استقتاؤه في مثل هذا الشأن فلنعلم هذا وحده ولنؤمن بوقوعه . وهذا هو المقصود ولو علم الله أن هناك خير في الزيادة أو الايضاح أو التفصيل لفصل سبحانه فما لنا نحن نحاول ما لم يعلم الله أن فيه خيرا ؟ : في مثل هذا الأمر أمر رجم الشياطين ؟! " (١)

وفي قوله تعالى حكاية لقول الجن " وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا " (٢) قال : " أما أين يقف ذلك الحرس ؟ ومن هو؟ وكيف يرجم الشياطين بالشهب ؟ فهذا كله مما لم يقل لنا عنه القرآن ولا الأثر شيئا ، وليس لنا مصدر سواهما نستقي منه عن هذا الغيب شيئا ،ولو علم الله أن في تفصيله خيرا لنا لفعل واذ لم يفعل فمحاولتنا نحن في هذا الاتجاه عبث ولا يضيف الى حياتنا ولا الى معرفتنا المثمرة شيئا ! " (٣)

وليس من الخير أيضا أن نطنب في بيان موقفه هذا وقد أتينا فيه بما يوفقنا على رأيه رحمه الله تعالى

الأساس الثامن : ـ التحذير من الاسرائيليات

ومثل موقفه ذاك كان موقفه من الاسرائيليات فقد كان رحمه الله تعالى ـ يرفض ايرادها في التفسير ويحذر منه ويعدها أساطير لا سند لها صحيح .

---

(١) فى ظلال القرآن : جـ ٦ ص ٣٦٣٤

(٢) سورة الجن : ٨

(٣) في ظلال القرآن : جـ٦ ص ٣٧٣٠

قال رحمه الله تعالى في قوله سبحانه " حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور" [(١)] :- " وتتفرق الأقوال حول فوران التنور ، ويذهب الخيال ببعضها بعيدا وتبدو رائحة الاسرائيليات فيها وفي قصة الطوفان كلها واضحة . أما نحن فلا نضرب في متاهة بغير دليل في هذا الغيب الذى لا نعلم منه الا ما يقدمه لنا النص، وفي حدود مدلوله بلا زيادة " [(٢)]

وبين رحمه الله تعالى موقفه منها في موضع آخر وهو يتحدث عن الطوفان ايضا حيث قال : - وبعد أكان الطوفان عاما في الأرض؟ أم أنه كان في تخوم الأرض التى بعث فيها نوح و أين كانت هذه الأرض و أين تخومها فى العالم القديم وفى العالم الحديث ؟ أسئلة لا جواب عليها الا الظن الذى لا يغني من الحق شيئا وإلا الإسرائيليات التى لا تستند الى دليل صحيح .... وليس لها بعد ذلك قيمة في تحقيق اهداف القصص القرآني في كثير ولا قليل "

الى أن قال : " .... و أساطير بني اسرائيل المدونة فيما يسمونه " العهد القديم " تحوى كذلك ذكرى طوفان نوح ...... ولكن هذا كله شيء لا ينبغي أن يذكر في معرض الحديث القرآني عن الطوفان ولا ينبغي أن يخلط الخبر الصادق الوثيق بمثل هذه الروايات الغامضة وهذه الأساطير المجهوله المصدر والأسانيد وآن كان لوجود هذة الأخبار الغامضةعن الطوفان عند شعوب شتى دلالته في أن الطوفان قد كان في أرض هذه الأقوام ، أوعلى الأقل قد رحلت ذكرياته مع ذراى الناجين حين تفرقوا في الأرض بعد ذلك وعمروا الأرض من جديد ..

---

(١) سورة هود : ٤٠

(٢) في ظلال القرآن : جـ٤ ص ١٨٧٧

وينبغي أن نذكر أن ما يسمي "بالكتاب المقدس" - سواء في ذلك العهد القديم " المحتوى على كتب اليهود أو" العهد الجديد" المحتوى على أناجيل النصارى - ليس هو الذى نزل من عند الله . فالتوراة التي أنزلها الله على موسى قد حرقت نسخها الأصليه على البابليين عند سبي اليهود . ولم تعد كتابتها الا بعد قرون عديدة - قبيل ميلاد المسيح بنحو خمسة قرون - وقد كتبها عزرا - وقد يكون هو عزير - وجمع فيها بقايا من التوراة . أما سائرها فهو مجرد تأليف وكذلك الأناجيل فهي جميعا لا تحوى الا ما حفظته ذاكرة تلامذة المسيح وتلامذتهم بعد نحو قرن من وفاة المسيح (١) - عليه السلام - ثم خلطت به حكايات كثيرة وأساطير ! . . . . ومن ثم لا يجوز أن يطلب عند تلك الكتب جميعها يقين في أمر من الأمور! " (٢)

وقال في موضع آخر". . ولوقد سلمت التوراة من التحريف والزيادات لكانت مرجعا يعتمد عليه في شيء من تلك الأحداث ولكن التوراه أحيطت بالأساطير التى لا شك في كونها أساطير . وشحنت كذلك بالروايات التى لا شك في أنها مزيدة على الأصل الموحى به من الله ، فلم تعد التواراة مصدرا مستيقنا لما ورد فيها من القصص التأريخى واذن فلم يبق الا القرآن الذى حفظ من التحريف والتبديل هو المصدر الوحيد لما ورد فيه من القصص التأريخى " (٣)

---

(١) لا يقصد سيد رحمه الله تعالى بوفاة المسيح عليه السلام موته فقد توقف عن بيان كيفية وفاته وكيفية رفعه لأنه من علم الغيب كما يقول انظر ما قاله عن ذلك جـ١ ص ٤٠٣ وجـ٢ ص ٨٠١ - ٨٠٣

(٢) في ظلال القرآن : جـ٤ ص ١٨٨١

(٣) في ظلال القرآن : جـ٤ ص ٢٢٩٠

ولهذا فانك لا تكاد تجد في تفسيره رحمه الله تعالى رواية اسرائيلية يوليها اهتمامه أو يتلقاها بالقبول بل كان يعيب على كثير من المفسرين السابقين عنايتهم بها .

الأساس التاسع : ـ ترك الاختلافات الفقهية

فلم يقلب رحمه الله تعالى كتابه الى كتاب في الفقه بل كان يحيل في المسائل الفرعية الى كتب الفقه و أنه لا مجال لايرادها في الظلال .

فقال عن آيات المواريث في سورة النساء مثلا " هذه الآيات الثلاث تتضمن أصول علم الفرائض ـ أى علم الميراث ـ أما التفريعات فقد جاءت السنة ببعضها نصا ، واجتهد الفقهاء في بقيتها على هذه الاصول . وليس هنا مجال الدخول في هذه التفريعات والتطبيقات فمكانها كتب الفقه ـ فنكتفي ـ في ظلال القرآن ـ بتفسير هذه النصوص والتعقيب على ما تتضمنه من أصول المنهج الاسلامى" (١)

وفي قوله تعالى " حرمت عليكم الميتة والدم . . . . الآيه " (٢) أجمل الحديث عن أحكامها ولم يتوسع في بيانه ثم قال " والتفصيل يطلب في كتب الفقه المختصة " (٣)

وفي قوله تعالى " . . . . فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام " (٤) . . . وقال " وكون هذه الأيام الثلاثة متتابعة أو غير متتابعة فيه كذلك خلاف

---

(١) في ظلال القرآن : جـ١ ص ٥٩٠

(٢) سورة المائدة : ٣

(٣) في ظلال القرآن : جـ٢ ص ٨٤٠

(٤) سورة المائدة : ٨٩

فقهي بسبب عدم النصّ هنا على تتابعها . والخلافات الفقهية في هذه الفرعيات ليست من منهجنا في هذه الظلال فمن أرادها فليطلبها في مواضعها في كتب الفقه "(١)

ولعل في اشارته الصريحة بأن هذا ليس من منهجه في الظلال يغني عن الاطالة في البيان

والذى ينبغي أن أذكره أن سيدا رحمه الله تعالى لم يهمل الأحكام القرآنية وبيانها ولكنه لم يتوسع فيها توسع كتب الفقه أوتوسع بعض المفسرين وانما كان يشير الى المسائل الفقهية بعبارة موجزة ثم يحيل على كتب الفقه لمن أراد الاستقصاء

الاساس العاشر : اجتناب الاغراق في المسائل اللغوية

عندما أصدر سيد قطب رحمه الله تعالى كتابه " مشاهد القيامة في القرآن " قال في مقدمته عن القرآن الكريم " والقرآن : هذا الكتاب المعجز الجميل هو أنفس ما تحويه المكتبة العربية على الاطلاق فلا أقل من أن يعاد عرضه ، وأن ترد اليه جدته ، وأن يستنقذ من ركام التفسيرات اللغوية والنحوية والفقهية والتاريخية والاسطورية أيضا ..... "(٢)

وحين ألف " في ظلال القرآن " لم ينسى هذا فنص في مقدمته على محاولته لذلك فقال " كلما حاولته ألا أغرق نفسي في بحوث لغوية أو كلامية أو فقهية تحجب القرآن عن روحي وتحجب روحي

---

(١) في ظلال القرآن : جـ٢ ص ٩٧١
(٢) مشاهد القيامة في القرآن : سيد قطب ص ٩

عن القرآن وما استطردت الى غير ما يوحيه النص القرآني ذاته من خاطرة روحية أو اجتماعية أو انسانية . وما أحفل القرآن بهذة الايحاءات "[١]

ولا يعني هذا بحال من الاحوال أن سيداً غفل الحديث عن مسائل اللغة والنحو والبلاغة فقد عرض فيه لهذا في عدة مواضع لكنه يعرض لها ان عرض للاستدلال على معانى الآيات وما تحويه من اشارات ولم يعرض لها كهدف وغاية بدليل أنه يورد عند وقفاته النحوية أو اللغوية أو البلاغية سر ورود الآية بهذا التركيب البلاغي أو الصيغة النحوية

وخذ مثلا لذلك تفسيره لقوله تعالى " عن ابني آدم عليه السلام : - " واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبّل من أحدهما ولم يتقبّل من الآخر قال لأقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين "[٢] فقد وقف رحمه الله تعالى عند كلمة " فتقبل " فقال :- " والفعل مبني للمجهول ليشير بناوءه هكذا الى أن أمر القبول أو عدمه موكول الى قوة غيبية والى كيفية غيبيه وهذة الصياغة تفيدنا أمرين : الأول ألا نبحث عن كيفية هذا التقبل ولا نخوض فيه كما خاضت كتب التفسير في روايات نرجح أنها مأخوذة عن أساطير " العهد القديم " . . . والثاني : الايحاء بأن الذى قبل قربانه لاجريرة له توجب الحفيظة علية وتبييت قتله ، فالأمر لم يكن له يد فيه ، وانما تولته قوة غيبية بكيفية غيبية ، تعلو على ادراك كليهما وعلى مشيئتة . . . .

---

(١) فى ظلال القرآن : جـ١ ص٦ الطبعة الاولى

(٢) سورة المائدة : ٢٧

فما كان هناك مبرر ليحنق الأخ على أخيــه ، وليجيش خاطر القتل فـــي نفســـه " (١)

بهذا الأسلوب كان يعرض سيد رحمه الله تعالى للمسائل اللغويـــة يجعلها وسيلـة لا غايـة ولا يقف عندها الا بمقدار دلالتهـا علـى ما فـي الآيـة لا ما فيها مما هو خارج عن استعمال الآيـة

الاساس الحادى عشـر : رفض التفسير العلمي

وعمدا أخرت هذا الأساس في منهجه لعل القارئ يستخرجـه بنفسه من استقراء الاسس السابقة

ما الذى تتوقعـه من رجل يستوحى النص دون مقررات سابقة ويقـف حيث يقف النص ويعرض عن الاطناب فيما أبهمه القرآن ويحـذر مـن الاسرائيليـات ويترك الخوض فـي الاختلافات الفقيهة ويجتنب الاغراق فى المسائل اللغويـة يفعل كل هذا محافظة على الوقوف عند مدلـول النص وعنـد ما يقرره النـص

من يستقرئ هذه الأسس عند سيد قطب رحمه اللـه تعالـى يظهر له أن سيدا سيرفض التفسـير العلمـى

ولهذا فقد اعتبرته من الرافضين للتفسير العلمي وأوردت نصوصـا مطولـه من تفسيره رحمه الله تعالـى في الفصل الثالـث من البـاب الثانـي من هذه الدراسـة

وبينت هناك أيضا لم اعتبرته من الرافضين اضافـه الى هذا السبب الذى ذكرته هنا ولا أرى ثمرة لإعادة ما قلته هناك فانظر إليه فى محله .

---

(١) في ظلال القرآن : جـ ٢ ص ٨٧٥

هذه فيما أرى أهم الاسس التى يقوم عليها منهج سيد قطب رحمه الله تعالى في تفسيره " في ظلال القرآن " ولا أنكر أن هناك من الأسس مايعد وجها آخر أو مماثلا لما ذكرته من الآسس ولكنى رأيت أن أدمج ما تماثل منها وحسبت أنى لو أفردت كل واحد منها مستقلا عن الآخر لعد هذا عليّ اطنابا مملا وتفريقا مخلا رأيت أن الافضل تحاشيه والبعد عنه

ملاحظات على هذا التفسير:

جل من لا عيب فيه وعلا ، ما كتب أحد من البشر كتابا الا وبدا فيه موضع نقص وموضع عيب ، ولو أعاد بنفسه النظر فيما كتب لوجد من ذلك شيئا منها ما يعرف عذره فيه . . . . ومنها ما لا يرى فيه عذرا

كتب سيد قطب رحمه الله تعالى تفسيره وطبعه الطبعة الاولى ولما أعاد النظر فيه كادت التعديلات أن تكون تفسيرا جديدا وجاءت بأكثر من ضعف حجم الكتاب أولا

ولا شك أنا لا ندعي عصمة لسيد قطب رحمه الله تعالى ولا لتفسيره ولكن هذا لا يبرر لنا أن ننفخ بأفواهنا في هفواته الصغيرة حتى تبدو كبيرة فليست هذه من شيم المؤمنين وليست من أخلاقهم

والله سبحانه وتعالى جعل للميزان كفتين كفه للحسنات وكفة للسيئات ويخطىء منا نحن البشر من لا يجعل للناس الا كفة واحدة يزن بها أعمالهم فانه حينئذ لن يصل الى الوزن الحق ، ويخطىء من ينظر الى كفة الحسنات وقد ثقلت وينظر الى كفة السيئات وقد خفت فيذم بالثانية ولا يحمد بالأولى أو ليست الحسنات يذهبن السيئات اذا فما باله كذلك

ولقد أشرت الى بعض محاسن تفسير سيد قطب رحمه الله تعالى و أبرزت وجهها الناصع و ما لم أذكر اكثر مما ذكرت

ومن الحق أن أشير اشاره سريعة الى بعض المآخذ التي أخذت على سيد قطب رحمه الله تعالى في تفسيره . . . وكان حقها أن تهمل ولا تذكر تطمسها محاسن تفسيره ومزاياه الكبرى . . . . كالشمس تطلع فتخفي النجم . ولكننا ننظر بعين من يقول هذا ويقول ذاك التماسا للحق

ففي التفسير بالمأثور نرى سيد قطب رحمه الله يوليه اهتماما ويورد كثيرا من الأحاديث فى تفسيره لكنه أحيانا يورد تفسيره خاليا من أحاديث صريحة صحيحة وأحيانا يورد بعض الأحاديث الضعيفة من غير بيان درجتها وينسبها احيانا لغير كتب الرواية

ولتعلقه رحمه الله تعالى بالأسلوب الأدبى فقد كان - غفر الله لنا وله - يقع أحيانا في أساليب أدبية بحته لم تهذبها العقيدة الصحيحة ولعل مرد ذلك أن ثقافة سيد رحمه الله تعالى كانت في أولها ثقافة أدبية تحول بعدها الى الدراسة الشرعية وراح يستدرك بالأخيرة ما أوقعته فيه الأولى وفات عليه في استدراكه هذا عبارات ومنها قوله عن توكل المؤمن على ربه واطمئنانه الى موقفه وطريقه " انها كلمة المطمئن الى موقفه وطريقه . المالىء يديه من وليه وناصره . . . ." [(١)] ومنها وصفه للبشرية بأنها " لن تجد السعادة الاحين ترد الفطرة البشرية الى صانعها الكبير كما ترد الجهاز الزهيد الى صانعه الصغير " [(٢)] ومنها وصفه للصلة بين العبد وربه

---

(١) فى ظلال القرآن : جـ٤ ص ٢٠٩١
(٢) في ظلال القرآن : جـ١ ص ١٥

" حين يرفع الله عباده الذين يؤثرونه ويحبونه الى مرتبة يتحرج القلم من وصفها لولا أن فضل الله يجود بها مرتبة الصداقة .... الصداقة بين الرب والعبد ... " ...!! [١] ونحو ذلك من العبارات التى لا نرتضيها ولا نظنه رحمه الله تعالى وغفر لنا وله الا وقد كتبها اثناء تأثره بالثقافة الأدبية وقبل أن تصقل فكرة الدراسة الشرعية وفات عليه استدراكها بعد ذلك

ومن الملاحظات ايضا تحديده وقت الامساك للصائم في قوله تعالي " كلوا وأشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر " [٢] بأنه قبل طلوع الشمس بقليل واننا نمسك الآن وفق المواعيد المعروفهفى قطرنا هذا قبل أوان الامساك الشرعي ببعض الوقت ربما زيادة في الاحتياط " [٣] وهذا القول لم يقل به أحد من قبله

ومن الملاحظات ايضا أن التزامه لمنهج الواقعية في التفسير - كما أشرت اليه - قد أوقعه في موقف من الفقه غير سليمففي تفسيره مثلا لقوله تعالى " وأعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه .... الآيه " [٤] قال رحمه الله تعالى " ان موضوع الغنائم بجملته ليس واقعا اسلاميا يواجهنا اليوم أصلا فنحن اليوم لسنا امام قضية واقعة ،لسنا أمام دولة مسلمة وامامة مسلمة و أمة مسلمة تجاهد في سبيل الله ثم تقع لها غنائم تحتاج الى التصرف فيها ...

... ليس هناك قضية غنائم ،لأنه ليس هناك قضية جهاد .... والمنهج الاسلامي منهج واقعي ، لا يشتغل بقضايا ليست قائمة

---

(١) في ظلال القرآن : جـ٦ ص ٣٨٧٥
(٢) سورة البقرة : ١٨٧
(٣) في ظلال القرآن : جـ١ ص ١٧٥
(٤) سورة الانفال : ٤١

بالفعل ، ومن ثم لا يشتغل أصلا بأحكام تتعلق بهذه القضايا التى لا وجود لها من ناحية الواقع ! . . . . انه منهج أكثر جدية وواقعية من أن يشتغل بالأحكام ! هذا ليس منهج هذا الدين هذا منهج الفارغين الذين ينفقون أوقات الفراغ في البحوث النظرية وفي الأحكام الفقهية ، حيث لا مقابل لها من الواقع أصلا بدلا من أن ينفقوا هذه الجهود في اعادة انشاء المجتمع المسلم . . . . من أجل هذا الادراك لجدية المنهج الحي الواقعي الحركي لهذا الدين لا تدخل هنا فى تلك التفصيلات الفقهية الخاصة بالأنفال والغنائم حتى يحين وقتها عندما يشاء الله وينشأ المجتمع الاسلامي ، ويواجه حالة جهاد فعلي ، تنشأ عنه غنائم تحتاج الى أحكام " (1)

وينبغى أن أبين أنه لا يريد بالفقه هنا كل الفقه بدليل أنه عرض لكثير من مسائلة - وان كان في ايجاز - وانما يريد به المسائل الفقهية التى لا وجود لها في واقع المسلمين المعاصر .

ثم ان هذه المسائل التى عاب الخوض فيها لم يطلب الغاؤها وانما تأجيل الحديث عنها الى أن توجد الحاجه لها في أرض الواقع

وقد ظنه بعض الناس - لأجل هذا - ومنهم مغرض ينطوى على كيد ومكر ومنهم غيور على الحق لم يستوعب الأمر من أطرافه . ظن هؤلاء أن سيد رحمه الله تعالى يسعى للقضاء على الفقه والى اهدار الجهود الكبيرة التى بذلها الفقهاء على مدار القرون .

---

(1) في ظلال القرآن : جـ٣ ص ١٥١٨ - ١٥١٩ باختصار

وعلى كل حال نحن لا نبرئ سيد قطب رحمه الله تعالى ولكننا لا نؤيد أولئك الذين نفخوا في زلته حتى بدت كالجبال

ونلتمس له عذرا بأن كلامه هذا صدر عن انفعال وحماس وتأثر وأنه نفثة مصدور وزفرة مكلوم [1] اطلع على واقع العالم الاسلامي من زاوية لم ينظر منها أولئك فقال ما قال ، وكان الأولى أن لا تصدر عنه مثل هذه العبارات أما وقد صدرت فانا ندعو لنا وله بالرحمه والمغفرة ونلتمس له عذرا مادام لم يقل كفرا

ومن ناحية منهجية فانا نلاحظ على سيد قطب رحمه الله تعالى الاستطراد فى أبحاث لا رابطة قوية لها بالآية التى يفسرها وكأنه رحمه الله تعالى - يلتمس منفذا ينفذ منه الى تشخيص داء العالم الاسلامي المعاصر واظهار علاجه وكأنه يخشى أن يهرب منه المريض قبل أن يسمع منه علاجه فلا يترك سانحة الا ويشحنها بكل ما في نفسه من علاج حتى وان كان ايرادها في غير موضعها تماما وحتى ان كان استطرادا وترتب على هذا ايضا أمر آخر هو التكرار واعادة الحديث مرارا ونحسب سببها واحدا

ولعل سبب هذه الأخطاء جملة من سيد قطّب رحمه الله تعالى ما أشرت اليه آنفا أن الرجل كان أدبى الثقافة واتجه الى تفسير القرآن الكريم من هذا المنطلق ومن هذا الواقع فكان في تفسيره ما كان .....
ومر حين اتجه رحمه الله الى استدراك ما فاته فسعى للدراسات الشرعية وانطلق من واقعها الى تنقيح ما كتب وتقويم ما اعوج فكان له ذلك في اكثره وبقى أقله وهو القليل لا يزال بحاجة الى هذا التنقيح لكنه لقلته لا يكاد يذكر بجانب محاسنه . وغفر الله لنا وله انه سميع مجيب .

---

(١) في ظلال القرآن (دراسة وتقويم) صلاح عبد الفتاح دحبور جـ٢ص١٠٣٧

الباب الخامس

الاتجاهات المنحرفة

الفصل الأول

المنهج الإلحادي في تفسير القرآن الكريم

أعاذنا الله وإياكم منه - الإلحاد فى اللغة الميل عن القصد وألحد فى الدين أي حاد عنه.[1] ويخطىء بعض الناس فلا يكاد يُذكر عنده الإلحاد إلاّ ويتبادر إلى ذهنه الكفر ، والحق - فيما يظهر لي - أن بين الكفر والالحاد خصوص وعموم فالإلحاد أعمّ من الكفر إذ كل كفر إلحاد وليس كل إلحاد كفرا .

فالتفسير الخاطيء لآية من آيات القرآن الكريم بحيث لا يخالف معلوما من الدين بالضرورة ولا يهدم جانبا من جوانبه ينطبق عليه وصف الميل والانحراف فيسمى لغة إلحادا لإلحاده وميله وإنحرافه عن الصواب والحق في التفسير .

أما التفسير الذي يؤدي إلى إنكار أصل من أصول الدين وصرفه إلى معان لا تدل عليها لغة ولا دين بل الدين ينكرها ويرفضها فإن هذا يسمى مع الإلحاد كفرا لأنه ليس إلحادا عن الصواب فحسب بل هو إنحراف عن الدين أيضا .

ومن هنا فإنه يجب التفريق بين التفسير الملحد والتفسير الكافر .

وتاريخ الإلحاد والملحدين - أعاذنا الله واياكم منه ومنهم - تاريخ طويل ليس من شأني تتبعه ولا الحديث عنه إلا بقدر ما له من علاقة بموضع حديثنا هنا .

وقد اطلعت على مقال كتبه الأُستاذ محمد فريد وجدي عن الإلحاد في العصر الحديث وقد جاء هذا في مقال عنونه بـ "مذهب القرآن في المتشابهات" أوجز فيه تاريخ الالحاد المعاصر،وحديثُه

---

(١) انظر لسان العرب مادة لحد جـ٣ ص ٣٨٨-٣٨٩

هذا حديث العارف المطلع . ولذا أقتصر عليه هنا ، قال وهو يتحدث عن النهضة العلمية الحديثة : " في تلك الأثناء ولد العلم الحديث وما زال يجاهد القوى التى كانت تساوره حتى تغلب عليها فدالت الدولة إليه في الأرض فنظر نظرة فى الأديان وسرى عليها أسلوبه [١] فقذف بها جملة الى عالم الميثولوجيا [٢] ثم أخذ يبحث فى إشتقاق أصولها بعضها من بعض واتصال أساطيرها بعضها ببعض فجعل من ذلك مجموعة تُقرأ لا لتُقَدَّس تقديسا ، ولكن ليعرف الباحثون منها الصور الذهنية التى كان يَسْتَعْبِد الانسانُ لها نفسه ويقف على صيانتها جهوده غير مدخر فى سبيلها روحه وماله .

وقد اتصل الشرق الإسلامي بالغرب منذ أكثر من مائة سنة فأخذ يرتشف من مناهله العلمية ويقتبس من مدنيته المادية ، فوقف فيما وقف عليه على هذه الميثولوجيا ووجد دينه ماثلا فيها ، فلم ينبس بكلمة لأنه يرى الأمر أكبر من أن يحاوله ، ولكنه استبطن الإلحاد وتمسك به متيقنا أنه مصير إخوانه كافة متى وصلوا إلى درجته العلمية

وقد نبغ في البلاد الاسلامية كُتّابٌ وشعراء وقفوا على هذه البحوث العلمية فسحرتهم فأخذوا يهيئون الأذهان لقبولها دسا في مقالاتهم وقصائدهم غير مصارحين بها غير أمثالهم تفاديا من أن يُقاطعوا أو يُنفوا من الأرض" [٣] .

ذلكم ما صرح به الاستاذ محمد فريد وجدي وهو اعتراف خطير يلقى على عاتق العلماء المسلمين خاصة والمثقفين عامة وجوب تمحيص

---

(١) أى التجربة .
(٢) اى علم الأساطير .
(٣) جريدة الاهرام المصرية فى ٣٠ / ٨ / ١٩٣٣م ص٣ مقال" مذهب القرآن فى المتشابهات" للاستاذ محمد فريد وجدي .

مقالات وقصائد كتاب وشعراء تلك الفترة ، والحذر كل الحذر من الإنخداع ببريق شهرة أو انتشار صيت أو كثرة أتباع .

ولا يخفى أن كل كلمة - كدت أقول كل حرف - من كلمات الأستاذ وجدي المنقولة آنفا بحاجة إلى تعليق وتعليق وإستجلاء لمدلولاتها وكشف لمعانيها ولكن هذا ليس من شأني هنا وحسبي منه أنه يعطي صورة صادقة لنشأة الإلحاد في العصر الحديث،خاصةً أنه من شخص مجرب خبير .

وقد عانى العالم الاسلامى في تلك الفترة وما زال يعاني من مستبطني الإلحاد الذين ينشرون إلحادهم على الملأ بإسم البحث العلمي والحرية العلمية .

وظاهرة هي التي تحزّ في نفس المسلم أكثر من سابقها تلكم أنه ما إعتدى أحد من المنتسبين إلى الاسلام على الاسلام إلاّ وتبوأ - بعد فترة قصيرة - منصبا كبيرا في الدولة وكأنه مكافأة له على إلحاده - مهما علت الصيحات ضده والإنتقادات والإعتراضات ضد أفكاره وآرائه ، لكن هذه الصيحات لا تلبث أن تهدأ وتسكن يعقبها تَوَلّي هذا الملحد ذلكم المنصب ،وكأني ألمح هناك يداً تدفعه إلى الالحاد ويداً أخرى تدفع له الثمن وأَيْدٍ أخرى تدافع عنه وتقاتل

لست أزعم أَنّي الوحيد الذى أدرك هذه الظاهرة ولكني الأخير فقد صرح بها كثير وتعدد مدركوها فقد كتب توفيق الحكيم مرة عن حادثة لأحد هؤلاء الملحدين فقال " وليست هذه الحركة هي الأولى من نوعها في مصر فقد سبق أن أَلَّفَ الأستاذ علي عبد الرازق وزير الأوقاف الحالي كتابا عن الاسلام وأصول الحكم فقامت قيامة الأزهر واحتجت هيئة كبار العلماء وفصلته واستقال الوزراء الاحرار

الدستوريون من وزارة زيور باشا احتجاجا على الفصل وأقيل وزير العدل عن منصبه وكان عبدالعزيز فهمي باشا بهذا السبب .

وحدث مرة أخرى أن أَلّف الدكتور طه حسين كتابا عن الشعر الجاهلي شك فيه في بعض المعتقدات فقامت قيامة البرلمان وأراد مجلس النواب إخراجه من منصبه فهدد عدلي باشا رئيس مجلس الوزراء بالاستقالة حماية للبحث العلمي "[1] .

وصرح الشيخ مصطفى صبري بعبارة أوضح فقال :-

" يقوم الفينة بعد الفينة من سولت له نفسه بالخروج عن الاسلام في ناحية من نواحيه الاعتقادية فيثور احتجاجا عليه فئة من الغيورين على دينهم ويحميه منهم رجال من الوزراء المستبطنين ما أظهره الخارج وإن لم يحمه حام عاجلا ففي المستقبل القريب أو البعيد ينال الرجل مكافأة خروجه بأضعاف ما كان له من المراكز والمناصب يوم خرج وثار عليه المستنكرون ...

.. ويكون هذا المصير غبطة لآخرين فتتكرر المهزلة فى أيام أخرى على مسائل أخرى مماثلة "[2] .

بل أن الاستاذ أمين الخولى يدعو أصحاب تلك الأفكار بالخروج بها ونشرها بين الناس ويَعِدُهم ويُمَنّيهم بأن لهم النصر المؤكد حيث يقول " وأحسبني لا أجد في هذا المقام أصوب وأجدى من الحديث في هذه المقدمة عن ذلك الناموس الاجتماعي المُطّرد على الأجيال منذ قديم عهد الدنيا بالحياة ليربط صِدْقُ هذا القانون على قلوب

---

(١) عن موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين : مصطفى صبري جـ١ ص٣٠٧-٣٠٨ عن جريدة أخبار اليوم العدد ١٥٥

(٢) موقف العقل والعلم من رب العالمين وعباده المرسلين : مصطفى صبرى جـ ١ ص ٣١٨

الذين يكتب الله عليهم اليوم وفي الغد القريب،أو البعيد،والأبعد أن يكونوا حملة فكرة تطورية ودعوة تجديدية في أي ميدان من ميادين النشاط الانساني .....فلا يهِنُون حين تجتمع الدنيا بكثرتها على محاربتهم ولا يَشُكُّون لحظة في النصر مهما تتربص قوى الجهل بهم .. وليعلموا أن هذا النصر المؤكد لا يُنال إلاّ بثمنه الباهظ الفادح من الصدق والصبر اللذين يلذ معهما الألم ويهون الصعب ويترآءى النور من القلوب في أشد حلكة الظلام ويقوى الايمان حين يستيئس الناس " (١) .

وعلى كل حال فقد كثر ولا حول ولا قوة إلا بالله - الإلحاد والملحدون في جوانب عديدة بدءا من العقيدة في الله ومرورا - بالعقيدة في الأنبياء واليوم الآخر والقَدَر وفي أخبار القرآن وقصصه وتأويل آياته وفي السنة وحجيتها وفي الأحكام الشرعية الثابتة وفي السياسة والإجتماع وشتى النواحي وإلى ما لا نهاية ..

ويقف المتأمل حائرا متسائلا عن الدوافع التي جرفتهم إلى تيار الإلحاد ، وتتنازعه الأسباب كل يجره إليه فيستقر قراره على أن أهمها ولا شك : -

١ - أولئك القوم الذين يدفعونه إلى الجهر بالفكرة وتبنيها ويَعِدُونه بالدفاع عنه ويُمَنُّونَه بالمناصب الكبيرة أو غيرها ونحن وإن كنا لا نستطيع أن نعدد أسماءهم في كل حركة فإن معرفة أهم عناصرهم تحملها تلك الدراسات عن كل حركة . فمثلا عندما فصل علي عبد الرازق من وظيفته إستقال الوزراء " الأحرار" من وزارة زيور باشا

---

(١) مقدمة أمين الخولى ،لكتاب " الفن القصصي في القرآن الكريم " لمحمد احمد خلف الله ص " ل " .

وأقيل وزير العدل وعين بدلا منه عبدالعزيز فهمي باشا ،ثـــم ما لبث بعد فترة من هذا إلاّ ويعين علي عبدالرازق هذا وزيـــراً للأوقاف ؟!

وكذا طه حسين لما أصدر كتابه في الشعر الجاهلي وأراد - مجلس النواب فصله من منصبه هدد عدلي باشا رئيس مجلس الوزراء بالاستقالة " حماية للبحث العلمي " وما لبث طه حسين إلاّ وقـــد تم تعيينه وزيراً للتعليم ؟!

وغيرهما كثير مما لا يدع مجالا للشك أن الأمر لم يأت صدفـةً من غير أن يقف أحد خلفه يخطط له ويرسم الأهداف .

٢- ومن هذه الأسباب أيضا حب الشهرة وضعف الإيمان الذي يجعل الأول يطغى على الثاني فيجرفه فإذا ما تحققت هذه الشهرة له عاد إلى الإيمان وأعلن توبته فتكون عودته هذه أيضا زيادة فـي شهرته فيبقى مشهورا في خروجه وفي عودته .

مَعَاذَ الله أن أتهم أولئك الذين عادوا إلى الإيمان بســـوء فالله أعلم بالسرائر . لكني أذكر واقعا وأحكي حقيقة نراها بأمأعيننا ولله - وحده - ما تكن القلوب وما تخفي الصدور .

ومن هؤلاء الذين أعلنوا عودتهم محمد أبوزيد ، وخالد محمـــد خالد ، وكامل كيلاني ، واسماعيل مظهر ، ومصطفى محمود ، وغيرهم . لكن الملفت للنظر أن بعض هؤلاء وإن أعلن عودته بالكتابةالاسلامية المستقيمه لكنه لم يتبرأ من إلحاده السابق ولم يكتب ما ينقضه به .

٣- ومن الأسباب أن يكون الكاتب نفسه غير مسلم أصلا ولكنـــه يكتب لتشكيك المسلمين وزعزعة عقيدتهم بوحي من عقيدته الباطلـــة

أو اتجاهه الالحادى الذي ينكر كل دين .

وبعض هؤلاء وهو يعيش في دولة مسلمة غالب شعبها مسلم وهو في أقلية يرى من صالحه وقد صعب عليه الدخول فى الاسلام وشق أن خير وسيلة لتحقيق مآربه أن تنقلب الدولة إلى دولة علمانية وهؤلاء ينظرون إلى دولة تركيا مثالا لدولتهم وإلى أتاتورك قدوة لهم ، وهم كثير .

٣- ومنهم من يكون عن اقتناع في الفكرة وضعف في البصيرة إبتلاه الله به . وقليل ما هم .

وهناك أسباب أخرى أقل من هذه شأنا . وما علينا أن نستقصي الأسباب أو أن نذكر لها عددا وشأننا معها هنا إلتماس حقيقة أولئك الذين يلحدون في آيات القرآن الكريم هل عرفوا التفسير الصحيح فأبوا إلاّ التعامي عنه وألقوه ورآء ظهورهم لأمر في نفوسهم أم غاب عنهم فقالوا ما يحسبونه حقا من غير معرفة بأصول التفسير وشروطه وإستنادا إلى أدلة حسبوها مقبولة أم خبطوا خبط عشواء من غير علم شرعي ولا غيره فكان تفسيرهم هذيان مخرف لا نستطيع الحكم على أحد بأحد النوعين الأولين لكنا نستطيع أن نفرق بين هذه الأمور الثلاثة في ذاتها .

أما أصحاب المنهج الأول فهم طائفة درسوا علوم الشريعة وتخرجوا من كلياتها فهم على علم ومعرفة - ولا شك - بشروط التفسير والمفسرين وعلى معرفة بعلوم الشريعة ، وحين عمدوا إلى التفسير جاءت مخالفتهم للحق مجردة من التماس العذر لهم بالجهل .

وكان منهجهم هذا المنهج الإلحادي في التفسير .

أما أصحاب المنهج الثانى فطائفة لم يطلبوا العلوم الشرعية ولم يدرسوها في مدارسها بل تقاذفتهم المدارس في نواح أخرى ليس منها علوم الشريعة ولما إشتد عُودُهم عَزّ عليهم أن يطلبوا علومَ الشريعة وهم الأساتذة وحسبوا - جهلا - أن علومها في متناول أيديهم وأنها لا تحتاج إلى أكثر من تقليب الفكر في نصوص الكتاب والسنة والتعبير عنها من زواياها الضيقة من غير أن يكون في محيط علمهم لزوم توسيع دائرة النظر في النص الشرعي ليشمل كافة آيات القرآن والأحاديث الصحيحة وأنه لا يصح أن نأخذ ببعضه ونترك بعضه وبوحي هذا الإعتقاد الخاطئ انطلقوا يفسرون آيات القرآن الكريم فوقعوا في الإلحاد من حيث لا يشعرون والمؤمن منهم من نُبِّهَ إلى الحق فرجع إليه وإستغفر من ذنبه وأحسب أن هؤلاء لا يصح أن يقرنوا مع النوع الأول وقد رأيت أن خير وصف لمثل هؤلاء أن يسمى " منهج القاصرين " لأنهم قَصَّرُوا في تحصيل شروط المفسر وعجزوا عنها وتناولوا التفسير من غير بابه فكانوا في قصورهم عن هذه الشروط كالقاصر في عدم إكتمال رشده ولست بهذا أُبَرِّئهم من الخطأ أو ألتمس لهم عذرا أو أبرر لهم معصية . وانما أمرهم الى الله وهو أعلم بنا وبهم .

أما الصنف الثالث فلا منهج ، وأنّى يكون لهم ذلك وهم يخبطون خبط عشواء ، وأنّى يكون لمجنون منهج يسلكه وهو الذى يسير بوحي ساعته بل دقيقته التى يعيشها لا صلة لها بماض ولا مستقبل وإن كان لها من صلة فعلى غير وجه الحق .

وكأني بطائفة من القراء تقرأ ما أقول أو تسمعه فيرتسم السؤالُ عما أقصده بكلامي هذا وما أرمي إليه . وهو لا شك أمر محير وقفت

عنده حينا من الزمن أقلب النظر فيه والبصر .

طائفة من الناس ليست من علماء الشريعة وليست من المتنسبين إلى العلم كافة فى شتى صنوفه ، اتجهت إلى تفسير القرآن لم تسلك سبيل هؤلاء ولم تسر في درب هؤلاء ولا التزمت ما التزمه العقلاء الذين ليسوا من هؤلاء ولا من هؤلاء فزجوا بأنفسهم في تفسير القرآن الكريم فجاءوا بتفاسير لا تقوم على أسس شرعية ولا علمية وليس لها سند لا في القديم ولا في الحديث ولا صلة بين معانى ألفاظها ومعاني ألفاظ القرآن ولا مطابقة لغوية ولا معنوية ولا شكلية فجاءوا بهذيان كهذيان المحموم تسأله عن حاله فيجيبك بذكر اسم صديق له أو قريب أو بكلام غير مفهوم .

ولهذا فإني لن أصف طريقة هؤلاء بالمنهجية إذ لا منهج فاطلقت عليهم طريق اللامنهجيه وقد هممت أن أسميه تفسير المجانين !!.

وعلى هذا فسأتناول المنهجين الأول والثانى والصنف الثالث كلا على حده :

المنهج الإلحادي في تفسير القرآن الكريم :

ويتميز هذا اللون من التفسير - والحمد لله - بقلة بل ندرة المؤلفات الكاملة فيه إذ اقتصر أصحابه على تفسير آيات من هنا وهناك حسب الموضوع الذي يتطرقون إليه فيستشهدون بآيات من القرآن - ملحدين - بتأويلها .

ولئن كان ليس بوسعنا الكتابة عن كل التأويلات الباطلة لآيات منفردة من آيات القرآن الكريم على هذا النحو فإنه لابد من ذكر أمثلة متنوعة لهذه التأويلات المنحرفة . صدرت عن طائفة من المنتسبين للعلم والعلماء .

ومن أكثر أصحاب التأويلات الباطلة والآراء الجديدة العجيبة التى يقف المسلم فيها حائرا يَعَضُّ بَنَانَ الأسف والندم وهو يعلم علما يكاد يتيقنه أن صاحب هذه الآراء غير مقتنع ولكنه لأمر في نفسه امتطى صهوة هذه التأويلات ، وهى كثيرة متعددة يهمنا أن نذكر له تأويلا واحدا .

ذلكم الشيخ أحمد حسن الباقوري قد أَوَّلَ قوله تعالى " ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون "[1] بأن الآية لا تتناول إلا من أنكر بقلبه وجحد بلسانه أما من عرف بقلبه أن هذا الحكم حكم الله وأقر بلسانه أنه حكم الله ثم أتى بما يضاده فإنه على ذلك حاكم بما أنزل الله (! !) وإن كان تاركا له فلا يلزمه دخوله تحت هذه الآية وإعتباره كافرا ، ثم وصف هذا التفسير للآية بأنه ينفي عن الأمة حرجا لا قِبَلَ لها به ولا خِيَرَة لها فيه ، إذ يستطيع القائلون به أن يتعلقوا بقضية العموم في الآية ،فيرموا بالكفر حكام

---

(١) سورة المائدة : من الآية ٤٤

أُمّتنا الذين يستمدون القوانين واللوائح والإشتراعات من قوانين عالمية لا صلة لها بالاسلام "[١] .

وقال أيضا " أنّ حكام البلاد الإسلامية اليوم هم في حالة الضرورة التى تبيح بعض المحظور ، على أن يرتقبوا الوقت المناسب حين تكون للأمة قوة تحمي بها تقاليدها وشرائعها ومدنيتها ، والإسلام نفسه سلك هذا المسلك فعمل أولا على تكوين العقيدة في الأمة ثم على تكوين شريعتها ، والقرآن مكيُّه ومدنيُّه يؤيد ذلك"[٢] ؟ !

وبالمناسبة فإنه قال هذا الباطل وهو يتولى منصب وزير الأوقاف ولعله أراد به أن يَدُقّ مسمارا يثبت به فى منصبه . ولذلك فان مجلة الدعوة المصرية ردت عليه حينذاك سنة ١٣٧٣هـ بقولها : " كان الشيخ الباقوري في إجابته سياسياً ودبلوماسياً .. أُكثر منه عالماً وفقيهاً " وقد رَدّ عليه أيضا رَدّاً مفحماً الأستاذ أحمد محمد جمال فى كتابه على مائدة القرآن[٣] فإقرأه إن شئت .

تعدد الزوجات :

وهى من أشهر القضايا والأحكام الشرعية التى كانت ولا تزال ميدان حوار طويل ونقاش وجدل لا ينتهي ، ولم يزل المسلمون منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمنون بتعدد الزوجات ، ويجعلون من أنفسهم مثالا لتطبيقه .

١- إعفافا للنفس .

٢- زيادةً فى النسل .

٣- عدلاً بين الزوجات والأولاد .

٤- إعفافاً لنساء المؤمنين .

---

(١) مجلة العربى : العدد ١٦٩ ص٢٩ مقال لن يشاد الدين أحدا إلاّ غلبه : للشيخ احمد حسن الباقورى . (٢) على مائدة القران : احمد محمد جمال ص١٨٣
(٣) انظر على مائدة القران : احمد محمد جمال ص ١٨١- ١٩٨

لم يزل هذا معتقد المسلمين حتى نبتت فيهم طائفة تأثرت بطريق مباشر أو غير مباشر بالغرب ووجدوا من بين ما وجدوا من فروق مسألة تعدد الزوجات فطأطأ بعضهم رأسه خجلا كأن في الأمر عيباً خارقاً ثم إنعطف على النصوص يلتمس فيها مخرجاً ، ولم تبلغ به درجة الخجل أن ينكر ما هو معلوم من دلالة النَصّ الصريحة ولكنه ذهب يلتمس تأويلا يقيد به تعدد الزوجات فوجدوا في الآية نفسها قيد العدل في إباحة تعدد الزوجات فرأوه سُلَّماً سهل المرتقى للتَشَدُّد في تطبيقه ومن ثم الدعوة إلى تقييد تعدد الزوجات بشروط ما أنزل الله بها من سلطان .

وعلى هذا فقد شكلت في مصر سنة١٩٢٦م لجنة اقترحت تقييد تعدد الزوجات وقدمت المقترحات لمجلس النواب وبعد مناقشات أعيدت لوزارة العدل لدراستها ثم صدر القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩م منظما لبعض شؤون الأسرة خاليا من مقترحات تقييد تعدد الزوجات

إلى أن أصدرت وزارة الشئون الاجتماعية في مصر سنة١٩٤٥ م مشروعا بقانون لعرضه على البرلمان يقضي بتقييد تعدد الزوجات بإشتراط إذن القاضي الشرعي الذي في دائرة إختصاصه مكان الزواج ، واشتراط أن لا يأذن القاضي إلاّ بعد الفحص والتحقق من أن سلوكه وأحوال معيشته يؤمن معها القيام بحسن العشرة والإنفاق على أكثر من فى عصمته ومن تجب نفقته عليهم من أصوله وفروعه ولم يكتب - والحمد لله - لهذا المشروع النجاح .

والذى يهمنا هنا أن مجلة " المجتمع الجديد " طرحت المشروع هذا على شيخ القضاة " عبد العزيز فهمي باشا " وسألته رأيه والذي يهمنا منه أيضا ، أنه جاء بتفسير جديد فهو لم يلتمس مخرجا ينفذ

منه إلى تبرير هذا المشروع ولكنه جاء بالعجب العجاب وزعم أن الآية " فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع "(١) تدل على تحريم تعدد الزوجات وإقرأ ان شئت قوله " أن من يتأمل نصوص القرآن الكريم من قوله تعالى : " فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألاَّ تعدلوا فواحدة . . "(١) . ثم من قوله في موطن آخر " ولن تستطيعوا أَنْ تعدلوا بين النساء ولو حرصتم "(٢) . يجد أن القرآن الكريم يُحَرِّم تعدد الزوجات (!!) وكل ما في الأمر أن صيغة هذا التحريم وردت على عادة القرآن في عبارات هى أقصى ما يمكن من الإستدراج والتلطيف .

فإنَّ الآية الأولى ، واضح لكل متذوق أنها هزء وسخرية ممن يريد تعدد الزوجات وأن فيها إيكال الأمر لمن يعلم الله أنه لا يستطيع القيام بالأمر فمخاطبة غير المستطيع بما هو من شأن المستطيع تلك كلها سخرية بالمخاطب (!!!) : فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ،

الى أن زعم " ثم فى ذلك الموطن الآخر عبّر هذه الفكرة تعبيرا هو من أَشَدّ ما يكون بيانا للواقع الذى يعلمه هو فقال " ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم(٢) ." و" لن " كما يقرر النحاة هى أشد أدوات النفي للمستقبل إذ تنفيه نفيا باتّا .

فالقرآن يسجل بصريح العبارة " !! " أن الاستطاعة مستحيلة ، أي أَنَّ العلة المتوهمه للتصريح بالتعدد لن تتحقق أبدا والمقرر عند الفقهاء من عقليين وحرفيين أنه متى زالت العلة زال المعلول" .

---

(١) سورة النساء : من الآية ٣
(٢) سورة النساء : من الآية ١٢٩

ثم صرح برأيه فقال " اذن فرأيي الذي ألقى الله عليه هو أني مأمور ديانة (!!) بأن أكون من معتنقي مذهب الإقتصار على زوجة واحدة " .

وصرح بموقفه من المشروع ذاك وذهب الى أبعد مما ذهب اليه المشروع فقال " ومن أجل هذا لا أوافق البتة على طريقة المشروع تلك الطريقة التى يراد بها عدم تعدد الزوجات ولكن بسبلٍ ملتويه يُراد لها قطع أسباب الاعتراض ممن يظنون أن لهم على خلاف نصوص القرآن الصريحة - حق الاعتراض . ومن أجل هذا أرجو ألّا تسير الحكومة فى مثل هذا المشروع بل تأتي للأمر فتعالجه من جذوره بأن تستصدر قانونا ينص دفعة واحدة على تحريم تعدد الزوجات "[1] .

وإنّي لمتيقن أن إنحراف هذا التفسير وإلحاده لا يخفى على ذي أدنى معرفة وأدنى لُبّ وأن صاحبه لن ينال من قرآءه إلّا الهزءَ والسخرية حتى أولئك الذين يؤيدون فكرته لا أظنهم إلّا ويقطعون بفساد تأويله .

وأمر تعدد الزوجات وإباحته أمر معلوم من الشريعة كِدْتُ أقول بالضروره فلا حاجة بنا إلى تقرير ذلك وإن كان لنا من حاجة فهى أن نكشف مغالطة الرجل فى إستدلاله بالآية فهو كاستدلال من يستدل بقوله تعالى " لا تقربوا الصلاة " ويدع " وأنتم سكارى " ولو أحسن الاستدلال وأحسن القصد وطلب الحقيقة لأكمل عبد العزيز فهمي - هذا - الآية التي إستدل بها فأوردها كاملة هكذا -

---

(١) عن : على مائدة القرآن : أحمد محمد جمال ص٢٠٨ ومجلة الكويت العدد ٨ رجب ١٤٠١ هـ ص ١١٠ عن مجلة المجتمع الجديد .

" ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلّقة وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفورا رحيما "[١] . فقوله سبحانه " فلا تميلوا كل الميل " وقوله " ان تصلحوا وتتقوا " وقوله " غفورا رحيما " كلها تبين المرادَ بالعدل والواجبَ منه بيانا لا يريده أو لا يريد أن يَفْهَمه كذلك الاستاذ عبدالعزيز فهمي باشا ، ولهذا بتر الآية .

أما زعمه أن النحاة قد قرروا أن النفي بلن يفيد التأبيد فهو إفتراء على النحاة وليس بمستغرب ممن يفتري على القرآن أن يفتري على النحاة ، فلم يقل النحاة أن النفى بلن [نفيا باتا] إلاّ الزمخشرى قال ذلك ليُؤبِّد النفْيَ في قوله تعالى " لن ترانى "[٢] حتى يستدل بها على إنكار رؤية الله تعالى التى لا يؤمن بها المعتزلة ، وأما النحاة - سواه - فهم على ضد ذلك فقد قال ابن مالك .

ومن رأى النفي بلن مُؤبَّدًا فقولَه أردد وسواه فاعضدا[٣]

هذا ما نرى لزوم ذكره رَدّاً على التأويل الباطل للشيخ عبدالعزيز فهمي باشا وفيما ذكرته الكفاية إن شاء الله أو بعضها .

وهذا الشيخ عبدالعزيز بن خلف آل خلف فسر سورة الزلزلة بتفسير لم يقل به أحد من قبله فقال مثلا في تفسير قوله تعالى " يومئذ تُحَدِّثُ أخبارها بأن ربك أوحى لها "[٤] :- " اتفق

---

(١) سورة النساء : الآية ١٢٩
(٢) سورة الاعراف : من الآية ١٤٣
(٣) الكافية الشافية : لابن مالك جـ ٣ ص ١٥١٥
(٤) سورة الزلزلة : الآيتين ٤ و ٥

المفسرون على أن الأرض تتحدث بما عُمِلَ عليها يوم القيامة فتشهد على كل أحد بعمله الذي عمله على ظهرها من خير وشر أما في الدنيا فقد تحدثت أيضا بما يعمله أهلها على ظهرها من خير أو شر في كل بقعة على وجه الأرض ، ونحن نسمع هذا في كل ساعة ولحظة ، فهذه أخبار أمريكا ، لندن ، مكة ، كذا كذا. فتلك حالة مصغرة من تحدثها يوم القيامه إنها لمعجزة من المعجزات الباهرة وقعت ملموسة مطابقة لمحسوس لفظا ومعنى وهو الراديو ومحطاته البرقيه وما فى معنى ذلك من التلفون وأمثاله... كما قال تعالى " وإذا جاءهم أمر من الأمن أوالخوف أذاعوا به "[١] فذلك يصدق على واقع ملموس من اذاعات العالم وهذه الجملة تعتبر معجزة مستقلة . فالآية الكريمة - يقصد آية الزلزله - والخبرُ الكريم يَصْدُقَان على حدوث هذا فى الدنيا كما يَصْدُقَان على حدوثه فى الآخرة لأن الآية والخبر لم يحددا بلفظ صريح أنه في الدنيا فقط ولا أنه في الآخره فقط ، والجملة الأخيرة من كلام الله يعنى" واذا جاءهم " الآية تنص على أن ذلك في الدنيا فقط فنحن الآن قد ظهرت لنا معجزة في الدنيا لا تتنافى مع وقوع ذلك في الآخرة وحدثت لأرضنا التى لم تتبدل ليوم القيامه كما قال تعالى " يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات "[٢] . فأرض الدنيا قد تحدثت فكيف بأرض الآخره ونعلم علم اليقين بتحدثها في الآخرة ونلمس عين اليقين بتحدثها في الدنيا فلا منافاه ولا تناقض أنطقها فى الدنيا الذي أنطق كل شىء وأذاع القوم إذاعة صحيحة صريحة مع أن - الراديو يدخل تحت عموم قوله تعالى " واتقوا فتنة لا تصيبن الذين

---

(١) سورة النساء : من الآية ٨٣

(٢) سورة ابراهيم : من الآية ٤٨

ظلموا منكم خاصة " [١] لأنها فتنة معنويه بلا إشكال وقد حصلت به البلوى للسواد الأعظم ولم يكن خاصا بل كان عاما ومن ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه " .

إلى أن قال في تفسير قوله تعالى " يومئذ يَصْدُرُ الناس أشتاتاً ليُروا أعمالهم " التى تتحدث عن عرض الأعمال يوم القيامة فقال المؤلف عنها " فقوله تعالى يصدر الناس يعنى يذهب الناس أشتاتا إلى أعمالهم بجد وإجتهاد ونشاط يطلبون فيه مقاصد ومشارب متباينة من الأعمال الدنيويه التى لا حد لها وهذا يعتبر فى أرض العرب بلا إشكال أنه من حوادث آخر الزمان حيث كانت أرض العرب مسرحا للباديه الرُحَّل والمواشي من جميع الأصناف حياتهم بحياة البهائم غالبا وموتهم جوعا بموت البهائم وأُن هذا الانقلاب الذي وعد الله به لكبير وعظيم وقعه ونتائجه ،فبعد ما ذكر الله الزلزلة ، وإخراج الأرض كنوزها ، وتحدث الأرض من أطرافها ، فإن الناس في ذلك الوقت يصدرون أشتاتا فى كل صباح ومساء لأعمالهم وأرزاقهم كما تصدر المواشي لأرزاقها فيما ترون فى وقت نزول القرآن ، ليُروا-بالضم-يريهم أهل الأعمال أعمالهم-وبالفتح-ليَرَوه بأعينهم أى ليروا علمهم ونتائجه (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) قال الخازن في تفسيره قال محمد بن كعب القرظى " فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره " من كافر يرى ثوابه في الدنيا فى نفسه وماله وأهله حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير (ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره" من مؤمن يرى

---

(١) سورة الأنفال : الآية ٢٥

عقوبته في الدنيا في نفسه وماله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شر . انتهى ، فهذا من التأويل الديني ولكنه أيضا هو في الدنيا ولا منافاة بين الجميع ولا مانع والحالة هذه من الإستنباط من كنوز القرآن والسنة وعدم التقيد بتفسير واحد أو تأويل واحد أو تقييده بأمور الدنيا أو أمور الآخرة ما لم يقيده نص صادق ثابت . . .

وهنا إستنباط يمكن أن يقال له حق في ذلك وهو قوله تعالى " يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم " هو ما حدث من التلفزيون فإن عمل العامل فيه يرى في كل بقعة توصل إليها التلفزيون وكذلك السينما فإنها تعرض على الانسان عمله ، وهذه معجزة من معجزات القرآن وإستنباط واقعي ملموس فإن السينما تعرض المرء بعمله على الناس وعلى نفسه بحركاته وسكناته ونطقه وغير ذلك فأي عمل عمله الانسان ولو مثقال ذرة من خير أو شر يراه ويراه غيره كاملا غير منقوص والله تعالى أعلم وأحكم "[1] .

ويظهر لي أن الذي دفع الشيخ عبدالعزيز إلى هذا التأويل حرصه على جذب الناس إلى الايمان وتقريب الأخبار إلى الأذهان ولكن أخطأ السبيل - وضل في التأويل غفر الله لنا وله .

ومن ذلك أيضا سلسلة من التفسير نشرها حسين صالح مسيبلي في جريدة المدينة المنوره بعنوان " القرآن والعلم " حشاها حشوا بالتفاسير المنحرفة فمن ذلك تفسيره لقوله تعالى " ومن شر غاسق إذا وقب "[2] . حيث قال " الغاسق : أنه حبل المطاط الذي في

---

(١) دليل المستفيد على كل مستحدث جديد جـ١ ص١٦٨-١٧٢
(٢) سورة الفلق : الآية ٣

أحشائه السلك الكهربائى الذى يحمل موجات من النار كالبحر المرتطم بالصخور نيرانا حمراء تشبه شفق الغسق المدلج الذى خَلَّفَتْهُ الشمس وراءها والمتستر بالليل المكسوة أسلاكه والتي هى أشعة الشمس بسواد الليل وهذا الحبل المطاط المسمى " غاسق " فى باطنه تلك القوى الكهربائية ذات التيارات النارية والنورية العظمى " (١) .

أما العاديات في قوله تعالى " والعاديات ضبحا " (٢) ففسرها مسيبلى بقوله " قسم غيبى يدعو الناس لينظروا تلك العاديات فى الطرق الشاسعة وهم على ظهورها المريحة الهادئة مطمئني النفوس رغم سرعة سيرها في طريقها النقعي وقد ملأت الجو ضجيجا ضابحا بأصوات محركاتها الصاخبه المصممة للآذان والمرجفة للأفئدة . . . فالعاديات هي السيارات المنطلقة بعامل الوقود المشتعل فى أحشائها والتى توري به قدحا مضيئا في طريقها (فالموريات قدحا) .

أما " فالمغيرات صبحا " (٣) فزعم " ذلك القدح المضىء إشراقا جَعَلْنَ به الصبح مغيرا فطلع كئيبا كسيفا لأن العاديات الموريات القدح قد إستغنين عنه وعن إشراقة نوره فهن مواصلات سيرهن سواء ظهر أم لم يظهر ولهذا داخلته الغيره لوجود منافس أرضى خطير " (٤)

وفي تفسيره كثير من نحو هذا التفسير نسأل الله لنا وله الهدايه .

ومن هذا ما كتبه رجل دفعه حب التجديد المزيف الى أن يساير روح الالحاد كما قال الشيخ محمد حسين الذهبي رحمه الله

---

(١) مقال : القرآن والعلم للاستاذ حسين صالح مسيبلى جريدة المدينة المنورة ، العدد ٤٤٩١ يوم الثلاثاء ١٨ صفر ١٣٩٩ هـ .

(٢) سورة العاديات : الآية الاولى (٣) سورة العاديات : الآية الثالثة .

(٤) مقال القرآن والعلم : حسين مسيبلى جريدة المدينة المنورة العدد ٤٥٠١ يوم الجمعه ٢٨ صفر ١٣٩٩ هـ .

تعالى [١] فراح يتأول آيات الحدود بما يوافق هواه وهوى أصحابه ،فإتجه أول ما إتجه إلى حدّي السرقة والزنا مُعْرِضاً بوجهه عن إجماع المسلمين عليها فقال " فهل لنا أن نجتهد في الأمر الوارد في حَدّ السرقة وهو قوله تعالى " فاقطعوا " والأمر الوارد في حَدّ الزنا وهو قوله تعالى (فاجلدوا) فنجعل كُلّاً منها للإباحة لا للوجوب ويكون الأمر فيهما مثل الأمر في قوله تعالى " يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين » [٢] فلا يكن قطع يد السارق حدا مفروضا لا يجوز العدول عنه في جميع حالات السرقة بل يكون القطع في السرقة هو أقصى عقوبةٍ فيها ،ويجوز العدول عنه في بعض الحالات إلى عقوبة أخرى رادعة ويكون شأنه في ذلك شأن كل المباحات التي تخضع لتصرفات ولي الأمر وتقبل التأثر بظروف كل زمان ومكان ، وهكذا الأمر في حد الزنى سواء أكان رجما أم جلدا " [٣][٤] .

ولا أحسب أن مثل هذا الزعم بحاجة إلى الرد عند من أوتي مسحه من علم فكيف عند أهل العلم ومع هذا فقد كفانا مؤنة الرد عليه شيخان فاضلان أولهما الشيخ محمد الخضر حسين [٣] ، وثانيهما الشيخ محمد حسين الذهبي [٤] فجزاهما الله خيرا ، ولا نرى موجبا لنقل ردودهما الطويلة فالحق - أحسبه هنا - بين واضح .

ومن أصحاب هذا اللون المنحرف في التفسير المدعو الطاهر الحداد في كتابه " إمرأتنا في الشريعه والمجتمع " الذي نشره في

---

(١) التفسيروالمفسرون : محمد حسين الذهبي جـ٣ ص ١٩٣-١٩٤
(٢) سورة الاعراف : الآية ٣١
(٣) انظر بلاغة القرآن : الامام محمد الخضر حسين ص ١٠٦-١١٠
(٤) التفسير والمفسرون : الشيخ محمد حسين الذهبي جـ٣ ص ١٩٣-١٩٧

تونس وأحدث ضجة كالضجة التى أحدثها كتاب قاسم أمين" المرأة الجديدة " وكتابه " تحرير المرأة " في مصر .

والكتاب ملئ بالتحريفات والتأويلات الباطلة وأنكر فيه ما هو معلوم من الدين بالضرورة وكاد الكتاب هذا أن يزهق لولا أن أخرجه للناس من جديد طائفة يسعون لنشر أفكاره وسيزهق ان شاء الله ويز هقون .

ومن تأويلاته الباطلة تأويله لقوله تعالى أمراً للمؤمنات " ولا يبدين زينتهن إلّا ما ظهر منها " الآية [(١)] فقال " ولله هذا القرآن العظيم فى إبهامه ما ظهر من الزينة دون أن يعين مواقعه من ذات المرأة إعتبارا منه لأعراف الناس فى ذلك بتطور الحياة . من هذا يظهر أن الحجاب الذى نقرره على المرأة كركن من أركان الاسلام (! !) سواء في مكثها بالمنزل أو وضع النقاب على وجهها ليس من المسائل التى يسهل إثباتها في الاسلام بل ظاهر الآية يرشد إلى نفيه لما فى ذلك من الحرج المضنى " [(٢)] .

وتحدث عن آيات الميراث وميراث المرأة على الخصوص ثم عقب قائلا : " وقد علل الفقهاء نقص ميراثها عن الرجل بكفالته لها ، ولا شيء يجعلنا نعتقد خلود هذه الحالة دون تغيير" [(٣)] ؟ !

وقال " وفيما أرى أن الاسلام فى جوهره لا يمانع فى تقرير هذه المساواة من كامل وجوهها متى إنتهت أسباب التفوق وتوفرت الوسائل الموجبة " [(٤)] .

---

(١) سورة النور : من الآية ٣١
(٢) إمرأتنا فى الشريعة والمجتمع : الطاهر الحداد ص ٣٤
(٣) المرجع السابق : ص ٤١ (٤) المرجع السابق : ص ٤٢

أما تعدد الزوجات فقال عنه " ليس لى أن أقول بتعدد الزوجات فى الاسلام لأننى لم أر للاسلام أثرا فيه وإنما هو سيئة من سيئات الجاهلية الأولى (!!) "[1] .

وقد كفانا مؤنة الرد على هذه التأويلات الباطلة فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين رحمه الله تعالى الذي رد على هذا الكتاب ردا مفحما جعل عنوانه " كتاب يلحد فى آيات الله "[2] .

وهناك آخرون وآخرون باعوا دينهم بدنياهم فألحدوا فى آيات إبتغاء عرض يصيبونه أو منصب يتولونه فخسروا الدنيا والآخرة . ولا ننكر أن منهم من دفعه الحرص على التجديد فانجرف وانحرف وأخطأ الطريق وضل السبيل وأمرهم لله الذي يعاملهم بنياتهم ولكل إمرىء ما نوى .

ولعلي بعد هذا أذكر نموذجا موسعا لأحد التفاسير الكاملة للقرآن الكريم والتى إمتلأت بالإلحاد والضلال .

الهداية والعرفان فى تفسير القرآن بالقرآن .

أولا : المؤلف :-

أحمد الله أني لم أجد له ترجمة ولا ذكرا بعد بحث وتنقيب شديدين حتى إسمه كان يقع فيه إختلاف لولا أن كتابه بين يَدَيَّ وعليه إسمه الذي إختاره .

وكل ما عرفت عنه ما ذكره الأستاذ جمال البنا عنه حيث قال : إنه إلتحق مدة بالأزهر ومدة أخرى بدار الدعوة والإرشاد التى كان

---

(١) المرجع السابق : ص ٦٥

(٢) بلاغة القرآن : محمد الخضر حسين ص ١٣٢- ١٤١

قد أسسها بالقاهرة الشيخ رشيد رضا وأصدر عددا من الأبحاث إتسمت بالجرأة سواء كانت هذه الجرأة طلبا للشهرة أو إنعكاسا لفكره واجتهاده فأصدر كتيبا باسم " الزواج المدني " أنكر فيه التسري وملك اليمين وأخيرا في الفترة ما بين ١٣٤٧ - ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ - ١٩٣١م) أصدر كتابه " الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن ، والكتاب ليس لدينا لأنه صودر وأعدم فى حينه"(١) .

هذا ما قاله الأستاذ جمال البنا ، أما اسم صاحب هذا التفسير كما جاء على كتابه فهو " محمد أبو زيد " ومع الأسف أن صاحبه يذكر أنه ألفه بعد بلوغه الأربعين من عمره !! فاذا كان قد صدر سنة ١٣٤٩ تكون ولادته سنة ١٣٠٩ تقريبا .

ثانيا : الكتاب :

واسمه كما جاء على غلافه " الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن " .

ويقع في مجلد واحد ضمنه القرآن الكريم كاملا وجعل تفسيره في هوامشه . وهو تفسير مختصر جدا كثيرا ما يكتفى صاحبه بالإحالة لتفسير آية على آية أو آيات أخرى يذكر أرقامها .

وقد أحدث هذا التفسير عند صدوره ضجة كبرى وإنكارا شديدا من شيوخ الأزهر فأُلِّفت لجنةٌ من العلماء لتنظر في هذا الكتاب وتحكم عليه ورفعت اللجنة تقريرها إلى شيخ الأزهر ووصفوا المؤلف بأنه " أفاكٌ خراصٌ ، إشتهى أن يُعرف فلم يَرَ وسيلةً أهون عليه وأوفى بغرضه من الإلحاد في الدين بتحريف كلام الله عن مواضعه ،

---

(١) الاصلان العظيمان الكتاب والسنه : جمال البنا ص ٩١

ليستفز الكثير من الناس إلى الحديث في شأنه وترديد سيرته "[1] .

وصدر الحكم بمصادرة الكتاب كما رُفِعَت دعوى على الرجل أمام إحدى المحاكم فحكمت إبتدائيا بكفره وإرتداده وتَغَيَّرَ الحكمُ النهائي بعد أن أعلن توبته وإنابته[2] .

وقد أصدرت جمعية حياة الاسلام بدمنهور في شهر ذي الحجة سنة ١٣٤٩ - أى بعد صدور الكتاب بخمسة أشهر تقريبا - كتابا بعنوان " تنوير الأذهان وتبصرة أهل الايمان فى الرد على كتاب أبى زيد المسمى الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن" .

والكتاب كما ذكر كلٌّ من كتب عنه مصادر والحمد لله، وغالب من كتب عنه بعد ذلك ، إنما اعتمد على التقارير التى كتبت عنه مطالبةً بمصادرته وقد تمكنت والحمد لله - الذى لا يحمد على مكروه سواه - من الحصول على نسخة من هذا التفسير .

منهجه في التفسير :

بدأ المؤلف تفسيره بإتهام المفسرين بالدسّ والحشو فقال :

" وقد بلغ الدسُّ والحشو في التفاسير أنك لا تجد أصلا من أصول القرآن إلاّ وتجد بجانبه رواية موضوعةً لهدمه وتبديله والمفسرون قد وضعوا هذا في كتبهم من حيث لا يشعرون ، وقد جعلوا الاصطلاحات والمذاهب الفقهية والكلامية أصولا حَكَّمُوها في القرآن وأنزلوه عليها حتى صار ميدانا للجدل وأصبح غير صالح للحياة بما حملوه من

---

(١) انظر التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبى جـ٣ ص ١٩٨ ، وقد نُشِرَ قرارُ اللجنةالأزهريةالتى أُلِّفَتللردّ على الكتاب في العدد الثالث والرابع من المجلد الثانى من مجلةنورالاسلام (الأزهرسنة ١٣٥٠) .

(٢) الاصلان العظيمان الكتاب والسنة : جمال البنا ص ٩١

الأثقال وبما وضعوا فيه من الجمود والعراقيل ووسائل التفريق والشقاق فهدايته فقدت بالمجادلات في الالفاظ والمذاهب ، ومعانيه ومقاصده ضاعت بالروايات الناسخة والتفسيرات المتحجرة العقيمة ولم يخل تفسير من هذا لأن المفسرين يقلد بعضهم بعضا " (١) .

ثم وَضَّح طريقته في التفسير فقال " فهذا كله دعاني إلى تفسيري وأن تكون طريقتي فيه كشف معنى الآية وألفاظها بما ورد في موضوعها من الآيات والسور ، فيكون من ذلك العلم بكل مواضيع القرآن ، ويكون القرآن هو الذى يفسر نفسه كما أخبر الله (!!) ، ولا يحتاج إلى شيء من الخارج غير الواقع الذى ينطبق عليه ويؤيده من سنن الله في الكون ونظامه في الاجتماع .

وقد إخترت أن يكون على عدد الآيات في المصحف لتبقى الهداية بالترتيب الذي إختاره الله ، وليمكن الباحث عن معنى الآيه أن يلاحظ سياقها فيقرأ ما سبقها وما لحقها من الآيات ، ليكون على علم تام وهداية واعظة " (٢) .

ثم زعم أن هذه الطريقة في التفسير هى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وطريقته فقال " فهذه كانت سنة الرسول (صلى الله عليه وسلم) أي طريقته في القرآن وهي الحكمة المذكورة فى قول الله (ويعلمكم الكتاب والحكمه) راجع ١٥١ البقرة .

فالكتاب هو القانون الجامع لمواد الأحكام وإن شئت فقل أن الكتاب دستور فيه كل شيء من أصول القوانين وهو المرجع لأهل

---

(١) الهداية والعرفان فى تفسير القرآن بالقرآن : محمد أبوزيد ص ب-ج

(٢) الهداية والعرفان : محمد أبوزيد ص جـ - د

التشريع في كل عصر فيما يتجدد من الحوادث "[١].

وقد أدرك أن كتابه هذا سيُجَابَه بالرفض والطعن فقال في مقدمة تفسيره هذا " ومن الغريب أن يكون لنا في القرآن هذه المزايا ونعرض عنه ولا نتمسك به ، ثم الأغرب أننا نتفرق فيه فإذا رأى بعضُنا رأياً أو فَهِمَ فهما إنقضَّ عليه المخالفون باللعن والطعن ولقد كان هذا التفرق من أعظم الأسباب التى خذلت المسلمين وجعلتهم مملوكين لغيرهم "[٢].

ثم أظهر هدفه السيَّء الذى يربأ المسلمون بالقرآن الكريم أن ينزلوه هذه المنزلة التى يريدها هذا الملحد الذى قال " والواجب أن يفهم المسلمون أَنَّ القرآن شائع مشترك بين الناس وأن من آياته الدالّة على أنه من عند الله إتساعه للأفهام وتحمله لاختلاف الآراء ، والأنظار في كل زمن وهذا معنى أنه متشابه أي أنه من تعدد المعنى يتشابه ويختلف على الناظرين "[٢].

ولا شك أن إباحة تناول تفسير القرآن الكريم لكل من هَبَّ ودَبَّ ممن أوتى علما وممن لم يؤت علما ومن الصالح والفاسد هو الذى أدخل في تفسير القرآن الكريم ما ليس منه وما هذا التفسير الذى أَلَّفه هذا الدّعيّ للعلم وأهله إلاّ نتيجة لتجرؤ من ليسوا أهلا لتفسير القرآن على تفسيره فهل يريد إلحادا أكثر من إلحاده .

وقد نظرت فى تفسيره بل فى إلحاده فوجدت أنه يقوم على قواعد إلتزمها فى إلحاده إستطعت أن أضبط منها : -

---

(١) المرجع السابق : ص د
(٢) المرجع السابق : ص ز

أولا : انكار التفسير بالسنة :

عنوان هذا التفسير الهداية والعرفان فى تفسير القرآن بالقرآن يشعر إذا أضيفت إليه قرائن أخرى أن صاحبه لا يعتد بالتفسير ، بالسنة بله أقوال الصحابة والتابعين ،

يشعر بهذا قول المؤلف في مقدمة تفسيره ما نقلناه آنفا ومنه قوله " ويكون القرآن هو الذى يفسر نفسه كما أخبر الله ولا يحتاج إلى شيء من الخارج غير الواقع الذي ينطبق عليه ويؤيده من سنن الله في الكون ونظامه في الاجتماع" [(١)] .

فاذا ما إحتججت عليه بقوله تعالى " وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نُزِّل إليهم " [(٢)] . ألحد فى تأويلها وزعم أن المراد بقوله تعالى " ما نُزِّل إليهم " من الكتب السابقة فالقرآن جامع لها وداع إليها " [(٣)] . فإن إستشهدت بقوله تعالى " فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم " [(٤)] أجابك هذا الملحد بتأويله لهذه الآية حيث يقول " عن أمره " يفيدك أن المخالفة المحذورة هي التى تكون للأعراض عن أمره وأما التى تكون للرأى والمصلحة فلا مانع منها بل هي من حكمة الشورى " [(٥)] .

ومثل هذا لا يجهد الانسان نفسه في جداله ما دام منطقه المغالطة واللغو الذي لا يستند إلى كتاب أو سنه .

---

(١) المرجع السابق : ص ج

(٢) سورة النحل : الآية ٤٤

(٣) الهدايه والعرفان : محمد أبوزيد ص ٢١١

(٤) سورة النور : من الآية ٦٣

(٥) الهداية والعرفان : ص ٢٨١

لهذا فلا عجب أن يعرض عن تفسير القرآن بما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم بيان المغضوب عليهم والضالين في سورة الفاتحة بأنهم اليهود والنصارى لكن المؤلف هنا يقول " المغضوب عليهم " المعاندين الذين يكرهون الحق (الضالين) التايهين عن الحق "[1].

وكذا الصلاة الوسطى فى قوله تعالى " حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى "[2] فقد روى أحمد ومسلم وأبو داود مرفوعا " شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر" لكنه يقول فى تفسيرها " الوسطى خيرها وأقومها مؤنث الأوسط"[3].

أما القوة في قوله تعالى " وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة "[4] فقد روى مسلم فى صحيحه عن عقبة بن عامر أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم وقد تلا هذه الآية على المنبر يقول " ألا إنّ القوة الرمي" قالها ثلاثا إلا أن هذا قال فى تفسيره لها " قوة " لم يعرفها لأنها تختلف باختلاف الزمان "[5].

وكلمة التقوى فى قوله تعالى " وألزمهم كلمة التقوى "[6]. ورد تفسيرها في السنه بأنها : لا إله إلا الله[7]. وأعرض محمد أبو زيد عن هذا التفسير وقال : كلمة (التقوى) أي الكلمة التى تقيهم الوقوع في الشر والضرر والغرض أنهم كانوا حكماء فيما عملوا في مقابلة حرارة الخصوم وحميتهم الجاهلية "[8] !

---

(١) المرجع السابق : ص ٢ (٢) سورة البقرة : من الآية ٢٣٨
(٣) الهداية والعرفان : ص٣٢
(٤) سورة الانفال : من الآية ٦٠ والحديث رواه مسلم فى صحيحه جـ٣ ص١٥٢٢ كتاب الامارة .
(٥) الهداية والعرفان ص ١٤٢ (٦) سورة الفتح : من الآية ٢٦
(٧) مسند الامام احمد جـ٥ ص١٣٨ والترمذى جـ٥ ص٣٨٦ كتاب التفسير سورة الفتح
(٨) الهداية والعرفان : ص ٤٠٧

وكثيرة الأمثلة التى تثبت إعراضه عن التفسير بالمأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم للقرآن الكريم ، ولا شك أن القرآن نفسه -لو كان هذا يفقه- يعلن أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو المبين له " وما أنزلنا عليك الكتاب إلاّ لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون "(١) وقوله سبحانه " وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نُزِّل إليهم ولعلهم يتفكرون "(٢).

ثانيا : انكار المعجزات :

وهذا هو البحر المتلاطم الأمواج في هذا التفسير إذ أنه يبدو للمتأمل أن صاحب هذا التفسير قد بذل جهده فى إنكار المعجزات كلها وتأويلها تأويلا باطلا حتى لكأنه إنما ألفه لهذا الهدف دون سواه .

والنصوص فى إنكار المعجزات في هذا التفسير كثيرة نذكر منها على سبيل المثال قوله " وبعد هذا تعلم أن الله ينادى الناس بأنهم لا ينبغى أن ينتظروا من الرسول آية على صدقه فى دعوته غير ما فى سيرته ورسالته "(٣).

وقال فى موضع آخر " واعلم أن آيات الله في نصر أنبيائه لا تناقض سنته فى خلقه وكونه "(٤).

وقال أيضا " أنّ كل الرسل رُميت آياتهم بأنها سحر وقد كانت كل آياتهم حججا وبراهين من سيرتهم ورسالتهم فلا يمكن أن يأتوا

---

(١) سورة النحل : من الآية ٦٤
(٢) ،، ،، : ،، ٤٤
(٣) الهداية والعرفان : ص ١٦١
(٤) الهداية والعرفان : ص ٢٩٠

بدليل على صدقهم من غير الدعوة نفسها "[١].

وقال أيضا " وأن آيتهم على صدق دعوتهم لا تخرج عن حسن سيرتهم وصلاح رسالتهم وأنهم لا يأتون بغير المعقول ولا بما يبدل سنة الله ونظامه فى الكون "[٢].

هذه بعض أقواله فى انكار معجزات الانبياء إجمالا ثم أنكرها بعد ذلك آحادا وأَوَّلَها تأويلا لا يقوم على دليل - من الكتاب أو من السنّة أو من اللغة .

معجزات ابراهيم عليه السلام :

فمن ذلك مثلا أن قوم ابراهيم عليه السلام أوقدوا له نارا وألقوه فيها وقالوا حرقوه وانصروا آلهتكم فجاءت المعجزة الالهية " قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم "[٣] ومعنى الآية ظاهر واضح لكن محمد أبوزيد هذا ألحد في تفسير الآية فقال " كوني بردا وسلاما : معناه نَجَّاه من الوقوع فيها .. وترى فى الآية وباقي القصة أن الله نَجّاه بالهجرة وخَيَّبَ تدبيرهم "[٤].

وعلى هذا فعنده أن إبراهيم عليه السلام لم يُلْقَ في النار ولم تكن بردا وسلاما على إبراهيم ، ولا أظنه يجهل أن من أنواع الايجاز إيجاز الحذف وهو حذف ما يُستغنى عنه بذكر ما يستلزمه ولا يستقر معناه في ذهن السامع إلّا بتقديره ، والبلاغيون يضربون لذلك مثلا بقوله تعالى " واسأل القرية "[٥] أى واسأل أهل القرية ، والمحذوف في الآية موضع البحث هنا هى كلمة " فألقوه " لأن السياق

---

(١) المرجع السابق : ص ٢٩٧
(٢) ،، ،، : ص ٣٠٦
(٣) سورة الانبياء : من الآية ٦٩
(٤) الهداية والعرفان : ص٢٥٦
(٥) سورة يوسف : من الاية ٨٢

يستلزمها قال تعالى " قالوا حَرِّقُوه وانصروا آلهتكم إنْ كنتم فاعلين ، قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على إبراهيم "[(١)] والتقدير فألقوه فقلنا يا نار .. الآية ولا أظنه يجهل هذا إذ لو كان الأمر كذلك لاستقام تفسيره في غيرها من المعجزات ولكنه ذهب يؤولها بما ينكرها به كلها .

معجزة داود عليه السلام :

وقد سخر الله لداود عليه السلام الجبال يسبحن معه والطير فقال عز شأنه " وسَخَّرنا مع داود الجبال يُسَبِّحْنَ والطير وكنا فاعلين "[(٢)] وقد أنكر محمد أبو زيد المعنى المتبادر من (يسبحن) وصرفه إلى معنًى آخر لغير قرينه فقال " يسبحن - : - يعبر عما تظهره الجبال من المعادن التي كان يسخرها داود في صناعته الحربية "[(٣)] ولا أدري لم كان هذا مزية لداود عليه السلام مع أن الناس في القديم والحديث يستخرجون المعادن من الجبال فأي مزية لداود عليه السلام في هذا فإن أراد أن الجبال هى التى تظهره من غير كسب ابن آدم وجهده فهي معجزة لا تقل عن الأولى لكنه لا يريد هذا ولا ذاك .

معجزات سليمان عليه السلام :

وما دام حديثنا هنا في سورة الأنبياء عليهم السلام فلننظر إنكاره العجيب للمعجزة التى أُوتيها سليمان عليه السلام فقد جاء فى هذه السورة قوله تعالى " ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره "[(٤)] قال تفسيرا عجيبا : " تجري بأمره : الآن تجري بأمر الدول الأوروبية وإشاراتها

---

(١) سورة الأنبياء : الآيتين ٦٨-٦٩ (٢) سورة الأنبياء : الآية ٧٩

(٣) الهداية والعرفان : ص ٢٥٧ (٤) سورة الأنبياء : الآية ٨١

فى التلغرافات والتليفونات الهوائية "[١] ولا تعليق على هذا التفسير لأن المغايره بين التفسير والمفسّر لا تخفى ،إلاّ التعليق بأنه أراد أن ينكر هذه المعجزة بأية وسيلة .

وكذا تعليم الله سبحانه وتعالى لسليمان عليه السلام منطق الطير وتحدث سليمان عليه السلام بهذه النعمة وشكر الله عليها " وَوَرِثَ سليمانُ داودَ وقال : يا أيها الناس عُلِّمْنَا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إنَّ هذا لهو الفضل المبين "[٢] .

ولكن محمد أبو زيد ينكر أن يكون هذا فضلا لسليمان عليه السلام فيزعم أن : ـ" كل من يربي الطير ويؤلفه يُمكنهم أن يتعلموا مَنْطِقَه وماذا يريد ويمكنهم أن يستعملوه في الرسائل وغيرها "[٣] وتنزلا مع مَنطِقَ هذا المُنْكِرَ نقول أن من تعلم لغة طير واحد أو إستعمل نوعا من الطير في الرسائل لجهات معينةَ محدودةَ لا يصح أن يوصف بأنه تعلم منطق الطير على الإطلاق فيبقى هذا خاصا بسليمان عليه السلام ، لكن محمد أبو زيد يرفض هذا ولأجله صرف كل معنى يدل عليه . فالنملة التى تحدثت مع سليمان عليه السلام مع أنها ليست طيرا ،إلاّ أن محمد أبو زيد يقول " نملة : قبيلة من النمل : قبائل الوادي "[٤] وصرف لفظة النمل عن معناها الصحيح إلى أنها اسم قبيلة حتى لا يكون في الأمر عجبا ويكون أمرا مألوفا لا يبعد عن ذهنه القاصر ، وكذا صرف حديث الهدهد مع سليمان عن حقيقته أو الهدهد نفسه عن أن يكون طائرا فقال " الهدهد : اسم طائر ، فهل يكون من ذوي الجناحين ويكون كلامه كناية عما يحمل من

---

(١) الهداية والعرفان : ص ٢٥٧ (٢) سورة النمل : الآية : ١٦
(٣) (٤) الهداية والعرفان : ص ٢٩٧

الرسائل ، أم من الخياله : ـ السواري ـ أو : الطيارين الآخرين" (١) ؟ !
ولا ندري ماذا يقصد بالطيارين الآخرين والمهم في كل هذه التأويلات التى أوردها أنه أراد أن يصرفها عن أن تكون معجزة لسليمان عليه السلام .

ولم يترك هذا الرجل لسليمان عليه السلام أي أمر خارق للعادة حتى إحضار عرش ملكة سبأ إليه صرفه عن معناه الحقيقى إلى معنى آخر ففي قوله تعالى : ـ " قال يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقويّ أمين ، قال الذى عنده علم من الكتاب ، أنا آتيك به قبل أن يَرْتَدَّ إليك طرفُك فلما رءاه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلونى ءأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم" (٢) . فقال في تفسيرها " بعرشها : بملكها : يريد أن يضع خطط الحرب ونظام الدخول في البلاد فطلب الخريطة (! !) التى فيها مملكة سبأ ليهاجمها ويريها أنه جاد غير هازل (عفريت من الجن) أحد القواد ويظهر أنه لم يفهم أن المسأله علمية جغرافيه تحتاج إلى الذى عنده علم (من الكتاب) من الكتابه والرسم والتخطيط (! !) (قبل أن يرتد إليك طرفك) الغرض أنه يأتى به حالا ، وقد أتى به ويحتمل أنه رسمه في الحال أو كان عنده مرسوما . ولو كان عهد الفتوغرافيا (! !) قديما لصح أن يكون ذلك الرسم بها ، وترى أن سليمان يشكر الله على ما في مملكته من العلماء العاملين في كل فن " (٣) .

---

(١) الهداية والعرفان : ص ٢٩٧ (٢) سورة النمل : الآيات ٣٨-٤٠

(٣) الهداية والعرفان : ص ٢٩٨ - ٢٩٩

ومن هذا ترى أن المؤلف صرف لفظ العرش عن مدلوله الحقيقى إلى معنى آخر وهو خارطة مملكة سبأ ، لكنه لم يُشِرْ من قريبٍ أو من بعيدٍ إلى معنى قول سليمان عليه السلام " نَكِّرُوا لها عَرْشَها " الآية (١) هل أراد أن يُنَكِّرَ الخارطةَ !! وما الفائدة من تنكير الخارطةَ الذي إن دَلَّ على شيء فإنما يدل على قصور في معرفة بلاد العدو وذلك صفة ضعف لا صفة قوة مع أنه لا صلة بين العرش والخارطة إلاّ عند ذوي المآرب، ومآربُه لا تخفى لكنه سلك طريقا مُهْلِكاً مكشوفا للأنظار.

معجزات موسى عليه السلام :

ومعجزات موسى عليه السلام أَوَّلَها كما أَوَّلَ غيرها من المعجزات بما يبطلها فقال مثلا عن قوله تعالى عن موسى عليه السلام " فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ، ونزع يده فإذا هى بيضاء للناظرين " (٢) " مثال من قوة حجته وظهور برهانه " (٣) وهو يريد بهذا إنكارهاتين المعجزتين كما أنكر معجزاته الأخرى كضرب الحجر بعصاه وخروج عيون الماء وذلك في قوله تعالى " وأوحينا الى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم " (٤) فزعم أنه : -" يصح أن يكون (الحجر) اسم مكان واضرب بعصاك الحجرَ معناه اطرقه واذهب إليه والغرض أن الله هداه إلى محل الماء وعيونه " (٥) وقال نحو هذا في معجزة أخرى لموسى عليه السلام نص عليها قوله تعالى فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم " (٦) حيث قال " إضرب بعصاك البحر اطرقه واذهب اليه (فانفلق فكان كل فرق

---

(١) سورةالنمل : من الآية ٤١ (٢) سورةالاعراف: الآيتين ١٠٧-١٠٨
(٣) الهدايهوالعرفان : ص ١٢٦ (٤) سورةالاعراف: الآية ١٦٠
(٥) الهدايةوالعرفان : ص ١٣١ (٦) سورةالشعراء : الآية ٦٣

كالطود العظيم) هذا بيان لحالة البحر ، يصوره لك بأنه مناطق بينها طرق ناشفه يابسه ، راجع ١٦٠ في الاعراف ثم راجع طه في ٧٧ و ٧٨ لتعرف كيف اهتدى إلى طريق يبس مَرَّ منه "[1] ولا ندري كيف يعلل مرور موسى عليه السلام ومن معه وغرق فرعون ومن معه كيف كان هذا الطريق يبسا عند مرور موسى عليه السلام ثم إنقلب بحرا متلاطم الأمواج يغرق فيه فرعون ومن معه إن هذه وحدها لمعجزة إلهيه فى حفظ الله تعالى لنبى من أنبيائه حسبك بانفراج البحر عن طريق يبس بعد أن ضربه موسى عليه السلام إمتثالا لأمر ربه .

معجزات عيسى عليه السلام :

وأول أَمْرَه عليه السلام أنه كلم الناس في المهد قال تعالى عن عيسى عليه السلام " ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين "[2] لكن محمد أبوزيد يُحَرِّفَ التفسير فيقول " في المهد : في دور التمهيد للحياة وهو دور الصبا - علامة على الجرأة وقوة الاستعداد في الصغر (وكهلا) علامة على أنه لا يقل عزمه بالشيخوخه والكبر - ويصح أن يكون المعنى يكلم الناس الصغير منهم والكبير علامة على تواضعه ومباشرة دعوته بنفسه "[3] .

فاذا ما قلت له -لو كان يفقه- أن قوله تعالى " فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا "[4] يدل على أنه تحدث وهو صبي في المهد تحمله أمه إذا قلت هذا أجابك جهلا وسفاهة

---

(١) الهداية والعرفان : ص ٢٩٠ (٢) سورة آل عمران : الآية : ٤٦

(٣) الهداية والعرفان : ص ٤٤ (٤) سورة مريم : الآية ٢٩

" كان في المهد صبيا أي كان ذاك النهار ولدا صغيرا فكيف يأمرنا وينهانا ونحن كبار القوم فهذا ابن حرام "[١] ؟! وإنحرف في تفسير حمل أمه له حتى يلائم تفسيره هذا فقال في (تحمله) على ما يُحْمَل عليه المسافر ومنه تفهم أنها كانت في سياحة طويلة "[٢] . فجعل حمل مريم لعيسى عليهما السلام وإتيانها به قومها كذلك حملا على ما يحمل عليه المسافر ؟! وهو صرف للألفاظ عن مدلولها لا تعين عليه اللغة وسياق الكلام ولكنه الهوى .

وقد تعجب إذا قلت لك أنه ينكر أن يكون عيسى عليه السلام قد ولد من غير أب لكنه يفعل هذا بطريق غير مباشر وإنما بطريق التلميح الذي قد يبعد عند بعض الأذهان كما أنها إشارة ملموزة عند آخرين حيث قال في تفسير قوله تعالى " وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه " الآية[٣] : - أم موسى فيها ملحوظة ظريفة هي أن موسى لم يذكر له أب ولكن قومه لم ينكروا أباه ، أو يقولوا فيه كما قالت النصارى في المسيح ابن الله ، بناء على أن المسيح نسب إلى أمه ولم يذكر له أب . راجع مريم لتفهم المناسبة بينها وبين أم موسى في أن كل واحده منهما جاءت بمولود عظيم وكان لها الفضل في حسن تربيته والجهاد في المحافظة عليه "[٤] فهذه المقارنه بين قوم موسى وقوم عيسى ترمز إلى أن عيسى كموسى (عليهما السلام) له أب ويتأكد هذا اذا نظرت تفسيره لقوله تعالى " فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا "[٥] قال " فتمثل يفهمك أنها رؤيا تمثيليه

---

(١) الهداية والعرفان : ص ٢٣٩
(٢) الهدايهوالعرفان : ص ٢٣٩
(٣) سورة القصص : الآية ٧
(٤) الهداية والعرفان : ص ٣٠٣
(٥) سورة مريم : الآية ١٧

وبشارة روحيه" وفى قوله تعالى عن مريم عليها السلام" قالت أنّى يكون لي غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا" [(١)] قال" استنكرت لما طرأ على فكرها أن الولد يأتيها من غير السبب المعروف" وقال في قوله تعالى : ـ" فحملته فانتبذت به مكانا قصيّا" [(٢)] وما بعدها " إختصار فى التعبير لا يعوق دور الحمل الطبيعى والمقصود أن مريم أصابها ما يصيب النساء ـ لجأت عند الوضع إلى جذع النخلة لتستند عليه وتمنت لو ماتت قبل أن تذوق آلام الولادة فلم يكن عيسى ابن الله ، ولم تخرج أمه ولا هو عن دائرة البشرية" [(٣)] إذا أضفت التفسير السابق لآيه القصص مع هذا التفسير لآيات مريم تبين لك ما يرمز إليه رجل ينكر المعجزات . وعرفت أنه لا يعترف كما لا يعترف اليهود بأن عيسى عليه السلام خلق من غير أب [(٤)]

أما معجزات عيسى عليه السلام بعد ذلك التى تحدث عنها القرآن حكاية عن عيسى عليه السلام" أني قد جئتكم بآية من ربكم أنّي أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأُنبِّئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم إنّ في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين" [(٥)] فإن هذا الرجل قد تخبط في تفسيرها فراح يضرب القول جزافا فقال" كهيئة يفيدك التمثيل لإخراج الناس من ثقل الجهل وظلمائه إلى خفة العلم ونوره ـ ومعنى الأكمه من ليس عنده نظر (والأبرص) المتلون بما يشوه الفطرة فهل عيسى يبرىء هذا بمعنى أنه يكمل التكوين الجسمانى بالأعمال الطيبة أم بمعنى أنه يكمل

---

(١) سورة مريم : الآية ٢٠ (٢) سورة مريم : الآية ٢٢
(٣) الهدايه والعرفان : ص ٢٣٩ (٤) بلاغة القرآن : محمد الخضر حسين ص ١٢٠
(٥) سورة آل عمران : الآية ٤٩

التكوين الروحي والفكري بالهدايه الدينيه ... (في بيوتكم) يعلمهم التدبير المنزلي "[1] ؟!!

وأكد هذا عند تفسيره لهذا في آخر سورة المائده عند قوله تعالى " مخاطبا عيسى عليه السلام " وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلاّ سحر مبين"[2] .

فقال في تفسيرها " الموتى : معناهم مشترك بين موتى الأجساد وموتى القلوب والنفوس ، وموتى الجهل والاستعباد ، وموتى الاتهام والحكم بالاعدام .. من هذا تعرف أن عيسى نبي أرسله الله إلى بني اسرائيل ليشفي مرض نفوسهم ويحيى موت قلوبهم فآيته في دعوته ، وسيرته وهدايته ، عاش ومات كغيره من الأنبياء في بشريته فلم يكن خارقا لله (!!!) في سنته ، ولا ممتازا بما يدعو إلى ألوهيته وعبادته "[3] .

وأحسب أن أمر الحاده في تأويل هذه المعجزات بيّن بحيث لا يحتاج مع بيانه إلى بيان، فحسبه الله، وكفى .

معجزات محمد صلى الله عليه وسلم :

ويكفى أن تعرف معجزة الإسراء به صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المسجد الأقصى ثم عودته إلى مكة في نفس الليله كما اتفقت النصوص الكثيرة على ذلك . وقد جاء محمد أبوزيد برأي جديد لم

---

(١) الهدايه والعرفان : ص ٤٥
(٢) سورة المائدة : الآية ١١٠
(٣) الهدايه والعرفان : ص ٩٧

يقل به أحد قبله - فيما أعلم - فقد زعم أن " الاسراء يستعمل في هجرة الأنبياء " " المسجد الحرام الذى له حرمة يحترم بها عند جميع الناس " " المسجد الأقصا " الأبعد - مسجد المدينة - وقد بارك حوله فكان للنبي (صلى الله عليه وسلم) هناك ثمرة وقوة وكان بالاسراء الفتح والنصر فكان كل ذلك من آيات الله "[1].

إذاً فالمراد بالاسراء عنده الهجرة - من مكة إلى المدينة ولا أدري كيف يفسر المسجد الاقصى بالأبعد ثم يزعم أنه مسجد المدينة مع انه لا مسجد هناك حينذاك ، زد على هذا أن في القدس مسجدا هو أبعد من مسجد المدينة ومع أن هذه الآيه مكيه بإتفاق العلماء أي قبل الهجرة ولكن المؤلف لا يدرك فوائد معرفة ما نزل بمكة وما نزل بالمدينة وأثر ذلك في التفسير ،وزد على هذا أيضا أن الاسراء من مكة إلى بيت المقدس قد ورد في السنه ورواه جمع عظيم من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهم وجاءت هذه الروايات في الصحاح ، ولكنه لا يفسر القرآن بالسنه ولو فعل لما ضل وتاه وألحد في تفسيره .

تلكم بعض الأمثلة على مواقفه الملحدة من المعجزات التي أظهرها الله على يد أنبيائه علامة على صدقهم أمام أقوامهم فآمن بها طوائف منهم وأنزل الله العقاب الشديد على من لم يؤمن بعد نزولها دليلا على حجيتها ، وأحسب هذا دليلا كافيا على قوة الارتباط بين النبوة والمعجزة قال شيخ الأزهر محمد الخضر حسين عن منكري المعجزات" إنما ينكرها طائفة ممن انكروا بعثة

---

(١) الهدايه والعرفان : ص ٢١٩

الرسل إذ قالوا ان الرسالة تتوقف على المعجزة والمعجزة خرق للعادة وخرق العادة محال "[١] .

ولهذا فان شيخ الأزهر محمد الخضر حسين رحمه الله تعالى كثيرا ما يربط وهو يرد على محمد أبوزيد - بينه وبين داعية البهائية المسمى أبا الفضل فى كتابه المسمى " الدرر " فيورد إلحاد هذا ثم يورد إلحاد البهائي فلا تكاد تجد فرقا بينهما إلاّ فى الألفاظ ، ويزداد ظنك سوءا إذا علمت أن صدور الكتاب البهائى قبل صدور تفسير محمد أبو زيد بوقت قصير نسبيا ، وبعد فلعل فيما ذكرنا من موقفه من المعجزات بيان لحقيقته .

ثالثا : إنكار الغيبيات :

ونكتفى من الحديث عن الغيبيات بثلاثة من معالمه التى ضل بها كثير من الناس" فنذكر تعريفه للملائكة والجن والشياطين .

الملائكة :

أما الملائكة فهم عنده رسل النظام وعالم السنن وسجودهم للانسان معناه أن الكون مسخر له [٢] أما حملهم للتابوت فى قوله تعالى " وقال لهم نبيهم أنّ آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إنّ في ذلك لآية لكم إنْ كنتم مؤمنين " [٣] فقد فسر الحمل بقوله " تحمله الملائكة " إشارة إلى أنه يأتي إليهم بسنن الله ونظامه

---

(١) بلاغة القرآن : محمد الخضر حسين ص ١١٤
(٢) الهداية والعرفان : ص ٧
(٣) سورة البقرة : الآية ٢٤٨

أى بتغلبهم على العدو بقوة الحرب ونظامه - والملائكة كما قلنا فى ٣٤ رسل النظام والسنن فى الكون "[(١)] .

الشياطين :

قال تعالى " قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذى استهوته الشياطين فى الأرض" الآية[(٢)] . فقال محمد أبو زيد فى تفسير الشياطين " الشياطين تطلق على الحيات والثعابين تستهوي من يتبعها ليقتلها فيهوى معها وتضله بتعرجها "[(٣)] ؟ !

وفي قوله تعالى عن سليمان عليه السلام " فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاءاً حيث أصاب ، والشياطين كل بناء وغواص"[(٤)] . فقال هذا في تفسيرها " الشياطين : يطلقون على الصناع الماهرين والأشقياء المجرمين "[(٥)] .

أما وصف الشيطان وقبيله بأنهم يروننا من حيث لا نراهم وذلك في قوله تعالى " إنّه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم "[(٦)] فقال في تفسيرها " من حيث لا ترونهم أي من الجهة التى لا ترونهم فيها شياطين فيخدعونكم بأنهم من الأولياء الصالحين "[(٧)] فصرف هذا ، الرؤية عن أن تكون إلى الأعيان والأبدان إلى أن تكون نفياً للرؤية المعنوية وهي رؤيه حقيقتهم ومآربهم .

---

(١) الهدايهوالعرفان : ص ٣٣ (٢) سورة الانعام : الآية ٧١
(٣) الهدايةوالعرفان : ص٥ ١٠ وانظرص ٣٧ حيثقال الشيطان يطلق على الثعبان كالجان . (٤) سورة ص : الآية ٣٦ - ٣٧
(٥) الهداية والعرفان جـ ص ٣٥٩
(٦) سورة الاعراف : الآية ٢٧
(٧) الهداية والعرفان : ص ١١٨

أما ابليس فعنده أنه " اسم لكل مستكبر على الحق ويتبعه لفظ الشيطان والجان وهو النوع المستعصي على الانسان تسخيره"[(١)]

الجـن :

قال تعالى في أول سورة الجن " قل أوحي إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا "[(٢)] .

وزعم محمد أبوزيد أنه " يطلق الجن والجنه على الزعماء والمستكبرين من السادة المتبوعين ، ويُعَبَّر عن الانس بسائر المقلدين والتابعين المستضعفين "[(٣)] ولا أدري ماذا يسمى الانس المتبوعين والسادة .

لكنه جاء بتعريف آخر للجن في تفسير قوله تعالى " وحُشِرَ لسليمانَ جنودُهُ من الجن والانس والطير فهم يوزعون "[(٤)] . فقال " الجن يطلق على العالم الخفي والظاهر القوي وجن كل شيء أوله ومقدمته وجن الجيش قواده ورؤساؤه "[(٥)] .

وقال فى تفسير قوله تعالى " والجان خلقناه من قبل من نار السموم "[(٦)] : - " والجانّ النوع المتشرد صاحب الطبع الناري الذى إذا قاربته يؤذيك ويغويك ولا تستطيع أن تمسكه وتعدله ، والنوعان موجودان فى كل أمة "[(٧)] ؟ ! وتأمل قوله " والنوعان" يقصد الانسان والجان " موجودان فى كل أمة فقد وصف الانسان بأنه النوع الهادي ، والجان بأنه النوع المتشرد ثم وصفهما بأنهما

---

(١) الهدايه والعرفان : ص ٧ (٢) سورة الجن : الأية الأولى
(٣) الهداية والعرفان : ص ٤٥٨ (٤) ،، النمل : الآية ١٧
(٥) ،، ،، : ص ٢٩٧ (٦) ،، الحجر : الآية ٢٧
(٧) ،، ،، : ص ٢٠٤

موجودان فى كل أمة اذا أضفت هذه النصوص الى بعضها وعرفت موقف صاحبها من الملائكة والشياطين أدركت أنه يجعل الجن نوعا من أنواع البشر ويقابله النوع الثانى من أنواع البشر وهم الانس وهذان النوعان الجن والانس موجودان فى كل أمة من البشر، وهذا يعنى خلاف الحق الذى اتفقت عليه الأمة من أن الجن نوع مستتر بخلاف الانس وأن فيهم الصالح وفيهم الفاجر فيهم المؤمن وفيهم الكافر .

رابعا : إنكار بعض التشريعات المعلومة من الدين بالضرورة :

وإنما وصفته بأنه ينكر ولم أصفه بالإجتهاد لأن الإجتهاد له شروطه التى لا تتوفر فيه أولا ولأن الاجتهاد ليس فيما أجمع عليه المسلمون وما هو معلوم من الدين بالضرورة فلا يصح أن يجتهد إنسان فى حكم الصلاة المفروضه مثلا لأن أمره لا يحتاج إلى بذل الجهد وإستقصاء الذهن في معرفته إذ هو معلوم من الدين بالضرورة كذلك الأمر في حكم السرقة والزنا وتعدد الزوجات والربا ونحو ذلك وإنما يسمى من أنكر شيئا من ذلك منكرا لتشريعه لامجتهدا فى حكمه ، وعلى هذا فقد أنكر محمد أبوزيد عددا من الأحكام الشرعية المعلومة من الدين بالضرورة ومنها :

حد السرقة :

قال تعالى " والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما " الأية [١]
ولم يذكر القرآن ولا السنة ولم يَرِدْ عن أحد من الصحابه أو من التابعين إشتراط أن تتكرر السرقة من السارق حتى يقام عليه الحد

---

(١) سورة المائدة : من الآية ٣٨

لكن محمد أبو زيد يشترط هذا إفتياتا على الشريعة فيقول" واعلم أن لفظ السارق والسارقة تعطى معنى التعود أي أن السرقة صفة من صفاتهم الملازمة لهم ويظهر لك من هذا المعنى أن من يسرق مرة أو مرتين ولا يستمر في السرقة ولم يتعود اللصوصية لا يعاقب بقطع يده لأن قطعها فيه تعجيز له ولا يكون ذلك إلاّ بعد اليأس من علاجه "[1] .

حد الزنا :

ونحو تفسيره هذا قال في تفسير قوله تعالى " الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة " الآية[2] فزعم : " يطلق هذا الوصف على المرأة والرجل إذا كانا معروفين بالزنا وكان من عادتهما وخلقهما فهما بذلك يستحقان الجلد "[3]

وهذا الزعم الباطل في تأويل هذه الآية جاء من بعده فى تفاسير كثير من المنهزمين الذين تأثروا بكلام أعداء الحق حين زعموا أن قطع يد السارق وجلد الزاني فضلا عن رجمه فيه قسوة وعنف وفيه تعطيل للفرد وتعجيز له وفيه تشويه لأفراد البشر وهم بهذا ينظرون إلى المجتمع من زاويته الضيقة زاوية الفرد ولو علم هؤلاء أنّ في قطع يد سارق حفظ لأرواح بَلْهَ أيدي آخرين هم أكثر عددا ،وأَنّ في قطع يد سارق حفظ لأُمن أمة ، وأن في تشويه يد سارق جمال لأمة، وأن القسوة ليست في الجزاء والقصاص وإنما هي في الجريمة الأولى التي إستحق صاحبها العقاب ولكنهم لا يفقهون أو يفقهون ويمكرون .

---

(١) الهداية والعرفان : ص ٨٨
(٢) سورة النور : الآية ٢
(٣) الهداية والعرفان ص ٢٧٤

اما ان اراد وا الفقه الحق فى تفسير الآيه فقد رد الشيخ محمد الخضر حسين على هذا وأمثاله بقوله" وهذا الذى قاله فى اسم الفاعل من أنه يدل على التكرار والتعود من بهتانه الذى لا يقف عند حد ؟ فاسم الفاعل نحو السارق أو الزاني إنما يدل على ذات قامت بها السرقه أو الزنا ، ولا دلاله له على تجدد قيام الوصف بالذات ، ولا على تعودها عليه ، هذا ما يقوله علماء العربيه فى القديم والحديث قال ابن مالك فى كتاب التسهيل معرفا اسم الفاعل : ـ" اسم الفاعل هو الصفة الدالة على فاعل ، جارية فى التذكير والتأنيث على المضارع من أفعالها لمعناه أو معنى الماضى"

فقوله لمعناه أو معنى الماضى تنبيه على أنه لا يدل على أزيد مما يدل عليه الفعل ، وهذا وجه الفرق بينه وبين صيغ المبالغه كفعّال و مفعال ومفعول ، فإن هذه الصيغ تدل على معنى زائد على حدوث الصفه لمن قامت به ، وهو قوتها فيه أو كثرة صدورها منه" إلى ان قال رحمه الله تعالى فعلماء العربيه من كوفيين وبصريين مجمعون على أنّ اسم الفاعل لا يدل على أكثر مما يدل عليه الفعل ، وإذا كان علماء العربيه الذين قضوا اعمارهم الطويله في تقصي اللغه والتفقه فى كلام العرب قد تظاهروا على أنّ اسم الفاعل لا يدل على مقدار من الوصف أكثر مما يدل عليه أصل المضارع والماضى أفيستطيع المؤول أنّ ينقض بناءهم بكلمة لا تمت إلى البحث بسبب ، وإنما هى وليدة الهوى والإنهماك في مخالفة أهل العلم " (١)

وانما رددت على هذا التأويل لهذا الرجل لأن هناك من انخدع بهذا التأويل فأخذ يردده ويكرره عن جهل حينا وعن فسق أحيانا ، وإلا فالحق فيه كما هو الحق في كثير من التأويلات الأخرى بَيِّن واضح لا يحتاج الى شرح وبيان كما لا يحتاج الحاده فيه الى ابطال ونقد .

---

(١) بلاغه القرآن : الشيخ محمد الخضر حسين ص ١٢٦ - ١٢٧

الربا :

وحكم الربا ايضا معلوم من الدين بالضروره ولئن قامت في المسلمين طائفه تبحث عن تأويل تبرر به واقع المسلمين اليوم فتلتمس الضروره الاقتصاديه سببا لاباحة الربا أو تخصص المراد بالربا المحرم بأنه الربا الفاحش فان هذه التبريرات الباطلة لا تغني من الحق شيئا بعد أن اتفق المسلمون على تحريم الربا قليله وكثيره ، أما محمد أبو زيد فقد زعم أَنَّ الربا المحرم هو الربا الفاحش ولم يحدد المقدار الذي يكون به الربا فاحشا وإنما ترك هذا لتقدره كل أمة بعرفها ؟! وبهذا يكون الربا محرما في مكان ومباحا في آخر ؟!

فقال في تفسير قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفه واتقوا الله لعلكم تفلحون"(١) : - أي الربا الفاحش وبمعنى آخر الربح الزائد عن حده في رأس المال وتقدره كل أمه بعرفها"(٢)

وعلى زعمه هذا ان قدرته أمه بما زاد على ٢٠٪ وقدرته أخرى بما زاد عن ١٥٪ فان ربا ١٦٪ الى ٢٠٪ حرام عند طائفة من المسلمين مباح عند أخرى ثم أين موقع السنة التي حرمت الربا قليله وكثيره من هذا التفسير ؟! انك لن تجد لها أثرا كما لم تجدها في سائر تفسيره وحسبك بهذا إنحرافا في التفسير.

تعدد الزوجات :

وأما تعدد الزوجات فقد جاء محمد أبو زيد في شرط إباحته بما هو أعجب من كل سلف حيث اشترط شرطا لم يقل به أحد من قبله ولا من بعده حتى ساعتنا هذه فيما أعلم حيث اشترط في قوله تعالى" وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم أَلَّاتعدلوا فواحده"(٣) إشترط في " النساء " ان يَكُنَّ من نساء اليتامى فلا يجوز عنده

---

(١) سوره آل عمران الايه ١٣٠
(٢) الهدايه والعرفان : ص ٥٣
(٣) سوره النساء : من الآيه ٣

التعدد من غير النساء اليتامى ؟! قال " من النساء : - نساء اليتامى الذين فيهم الكلام لأن الزواج منهن يمنع الحرج في أموالهن ومن هذا تفهم أن تعدد الزوجات لا يجوز الا للضرورة التى يكون فيها التعدد مع العدل أقل ضررا على المجتمع من تركه ولتعلم أن التعدد لم يشرع إلا في هذه الآية بذلك الشرط السابق واللاحق" (١)

ولنا مع هذا التفسير وقفات قصيرة فلاسند له أولا في اشتراط أن تكون النساء من اليتامى يكذب هذا اطلاق العبارة في الآية،وتُكَذِّبه السنة النبوية وفعل الرسول صلى الله عليه وسلم وفعل أصحابه فقد عَدَّدَ وعَدَّدوا من غيرِ يتامى النساء ولم يَدُرْ بخلد أحدهم هذا الشرط ولم يَقُلْ به أحد منهم ولا من سائر علماء المسلمين من بعدهم .

ووقفة أخرى مع هذا التفسير من أين جاء بقيد " أنه لا يجوز إلا للضرورة" وليس في الآية مثل هذا القيد

ووقفة ثالثة ماذا يقصد بقوله أَنَّ التعدد لم يشرع إلا في هذه الآية ؟!

أليست الآية الواحدة كافية في التشريع أم لا بد من تكراره حتى يكون مشروعا ؟! أم يريد التقليل من شأن التعدد ؟! وحسبنا قدوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . وأصحابه من بعده

التسري :

والآيه السابقه تنص على أن من خاف ألّا يعدل فليتزوج واحده أو يتسرى بما ملكت يمينه قال تعالى" فإن خفتم ألَّا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا " (٢)

لكن محمد أبو زيد ينكر التسري فيقول " في تفسير قوله تعالى" ومن لم يستطع منكم طولا أنْ ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت ايمانكم من

---

(١) الهدايه والعرفان : ص ٦١
(٢) سوره النساء : الآيه ٣

فتياتكم المؤمنات" الآيـــه[١] وبدلا من أن يستدل بها على اباحة التزوج مما ملكت الايمان عكس المعنى فقال" وفى هـذه الآيه رد على الذين يتخذون ملك اليمين من الخادمات والوصيفات للتمتع بهن كالزوجات بحجه أنهـــن مشتراة بالمال أو أسيرات بالحرب فليس في الاسلام عرض امرأه يستباح بغـــير الزواج مملوكة كانت أو مالكة"[٢]

وإذا قرأت قوله تعالى في وصـف المؤمنين " والذين هم لفروجـــــهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين"[٣] قال فـــى تفسيرها " أو ما ملكت أيمانهم من الخدم فإن لهم ما ليس لغيرهم فقد يكـــون في الانســان فروج أى نقائص وعيوب يسيئه أن يراها الناس فيه ولكن لا يسيئه أن يراها خـدامه ومن البلاغـة في التعبير أن لفظ (أو) أفـاد التنويـع بين ما يباح للأزواج وما يباح لملك اليمين إذ يوجد من العيوب ما لا ينبغـي كشفه على الخدم ويكفيك فاصلاً : الذوق والعرف الجاري مع الفطره"[٤]

وهو هنا صَرَفَ الآيةَ عن أن تكون للحث على حفظ الفروج حقيقةً مـــن الوقوع في الحرام إلى ان يكون المراد بالفروج النقائص والعيوب وأن المـراد بحفظهـــا منع كشفها لغير الأزواج والخدم ؟ !

وقد ضَحِكْتُ وَشَرُّ البَلِيَّه ما يضحك لقوله أن "أو" بلاغـة فى التعبير وتساءلت هل يعرف هذا التعبير فضلا عن بليغه ؟ ! ثم لا ندري كيف يستدل بـأو العاطفه " ما ملكت ايمانهم "على " أزواجهم" على التنويع بين ما يباح كشفـــه للأزواج وما يبـاح كشفه لملك اليمين مع انه لم يذكر فى الآيـةَ ما يبـــــاح للصنفين فيمـا زعـــم .

---

١) سوره النساء من الآيه ٢٥
٢) الهدايه والعرفـــان : ص ٦٤
٣) المؤمنون الايتين ٥ ، ٦
والمعارج الآيتين ٢٩ - ٣٠
٤) الهدايه والعرفان : ٤٥٥

وخلاصه الأمر أنه يُحَرِّم التَسَرِّي بل وملك اليمين أصلا ويفسر الفروج بالعيوب وهو أمر لا تعين عليه اللغة ولا يدل عليه الشرع

الطلاق :

وكما إشترط في التعدد شرطا جديدا لم يقل به أحد من قبله فانه جاء أيضا هنا بشرط عجيب لا أعلم أحدا قال به من قبله أيضا وهو أن الطلاق لا يقع من الزوج لزوجته إلا اذا جاءت بما يخل بنظام العشرة الزوجيه وعبارة لا يقع تدل على أنه فيما لو نطق بالطلاق من غير هذا السبب فإن زوجته لا تطلق وهاك نص عبارته " أن الطلاق وإن كان في يد الرجل لا يقع إلا بسبب يُخِلّ بنظام العشرة الزوجية" [١]

وفي تفسير قوله تعالى " والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات أنه لمن الصادقين والخامسة أن لعنت الله عليه إن كان من الكاذبين " [٢]

قال " تسهيل على الرجل فانه يصعب عليه أن يعاشر أمرأته وهو يعتقد عدم عفتها وتفهم من هذا أن ليس له أن يطلقها إلا بسبب يخل بالعشره الزوجيه وإلا ما إحتاج الى هذا الاشهاد" [٣] وهو يجهل أن هذه الشهاده من الزوج ليست لإيقاع الطلاق وإنما لايقاع العقاب عليها ولذلك قال تعالى بعد هاتين الآيتين مباشرة " ويدرؤ عنها العذاب أن تشهد أربعَ شهادات" الآية [٤] ولكنه لا يفقه هذا وألحد في تفسير الآيه

---

(١) الهدايه والعرفان : ص ٤٤٥

(٢) سوره النور : الآيتين ٦ - ٧

(٣) الهدايه والعرفان : ص ٢٧٤

(٤) سوره النور : الآيه ٨

مصارف الزكاة :

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى مصارف الزكاة فى قوله عز وجل " انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله . والله عليم حكيم " (١) ومحمد أبو زيد يفسر بعض هذه المصارف ـ كعادته تفسيرا جديدا فيقول : " وفي الرقاب" في خلاصها من الإستعباد ، وفى هذا الزمان تجد أكثر المسلمين رقابهم مملوكة للأجانب فيجب أن يتعاونوا على فك رقابهم ، وفي الصدقات حق لهذا التعاون . . والغارمين الذين يضطهدون في سبيل الدين والوطن فيصيبهم من الغرامات ما يصيبهم ، وكل من يغرم للمصلحة العامة فهو من الغارمين (وفى سبيل الله) منه نشر الدعوة باللسان والقلم لحرية العقيدة والوطن والقتال للدفاع عن الحرية والاستقلال والتربية والتعليم الباعثان على تكوين أمة معمرة فى الكون ويتبع ذلك المستشفيات والملاجىء للمرضى والمحتاجين والمعامل والمصانع للعمال العاطلين . . (وابن السبيل) السائح المكتشف؟! واللقيط الذى يوجد فى الطريق ولا يعرف له عائل " (٢)

وهو فى تأويله هذا خلط حقا بباطل وكلاهما معلوم لا يخفى ، أظنه لا يحتاج الى بيان .

زكاة الزروع :

ذكرنا رأيه فى الربا وأنه يقول باباحة الربا غير الفاحش وأن مقدار الفاحش متروك للأمة تقدره بحسب حالها ، ورأيه هنا فى زكاة الزروع لا يبعد

---

(١) سورة التوبة الآيه ٦٠

(٢) الهداية والعرفان : ص ١٥٠

عن هذا حيث يقول فى تفسير قوله تعالى " وآتوا حقه يوم حصاده "(١) قال " زمن تحصيله وكما أمر المالكين بإيتاء هذا الحق أمر الحاكم العام بأخذه والعمل على جبايته لبيت المال ، وقد ترك التقدير للأمه بحسب الحاله "(٢) وكل من أوتى حظا من الفقه يعلم أن السنة لم تترك هذا بل قَدَّرَ زكاتها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ولكن محمد أبو زيد هذا لا يعترف بالتفسير بالسنه .

خامسا : إهمال المدلول اللغوى :

ولأنه يأتي بما لم يقل به أحد من قبله فان اللغه لا تطاوعه فى كثير من أقواله فلا يبالي بذلك ولا يلقي له حسابا بل صرح في مقدمة تفسيره بهذا حيث قال :-" وقد تغيرت معانى القرآن أيضا وتبدلت مقاصده بإعتماد المفسرين على بعض كتب اللغه التى تفسر الألفاظ بلازمها ، وتقصرها على بعض معانيها ، وقد سرى التقليد واستعمال الاصطلاحات في قواميس اللغه كما سرى فى غيرها حتى أنك لتجد كثيرا من الفاظ القرآن في تلك القواميس مفسرةً بما فسرت به في كتب فقه الأحكام فتكون بذلك بعيده عن فقه اللغه فيتغير معناها المراد في القرآن "(٣)

ولا عجب بعد أن يتحرر من يزعم نفسه مفسرا من السنةَ الصحيحه واللغة أن يفسر الآيات بما يشاء فأي ضابط للتفسير بعدهما فليَقُل ما يشاء وليَقُل غيرُه ما يشاء فلا ميزان توزن به الأقوال ولا ملاذَ تلجأ اليه الآراء وهذا ما يريده الملحدون وأعداء هذا الدين ويأبى الله الا أن يتم نوره .

---

(١) سورة الانعام : من الآيه ١٤١
(٢) الهدايه والعرفان : ص ١١٣
(٣) المرجع السابق : ص : ج

ولقد ذكرنا فيما سلف أمثله يظهر فيها عدم التزامه المدلول اللغوى الصحيح للالفاظ في تفسيره المزعوم ومن ذلك مثلا معنى كلمة الفروج في مثل قوله تعالى " والذين هم لفروجهم حافظون " [١] وقوله سبحانه " افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج " [٢] والفروج في اللغه جمع فرج وهو الشق والفتق وما بين الرجلين وكنى به عن السوءه وغلب عليها ، [٣] والسياق في الكلام يحدد المعنى المراد الأصلى أم الكنايه ففي الآية الأولى هنا المراد بها " العوره " وفي الآيه الثانى على المعنى الاصلى .

وإذا ما نظرت بعد هذا في تفسير محمد أبو زيد وجدته لا يفرق بين هذا وذاك فيذكر لهما معنى واحدا وزيادة على هذا فالمعنى الذى يذكره ليس هو المعنى الاصلي ولا الكناية به فقال في تفسير الاولى " فروج أى نقائص وعيوب [٤] " ؟! وقال في تفسير الآية الثانية " فروج عيوب ونقائص" [٥] وهو دليل على جهله في اللغه بل وعلى عدم اعتداده بها في التفسير .

وخذ مثلا آخر اسم " الطير " لا يخفى معناه والمراد به في قوله تعالى " وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين " [٦] لكنه يقول في معناه " والطير يطلق على ذي الجناح وكلّ سريع السير من الخيل والقطارات البخاريه والطيارات الهوائيه " [٧] (!!)

---

(١) سورة المعارج الآيه ٢٩
(٢) سورة ق : الآيه ٦
(٣) انظر المعجم الوسيط ج ٢ ص ٦٨٥
(٤) الهداية والعرفان ص ٤٥٥
(٥) الهداية والعرفان : ص ٤١٠
(٦) سورة الانبياء الآيه ٧٩
(٧) الهداية والعرفان : ص ٢٥٧

سادسا : تفسير القرآن بالقرآن :

وقد الصق المؤلف نفسه بهذا النوع من التفسير إلصاقاً مكراً وخبثاً فهو يعلم قيمة هذا النوع من التفسير لدى المسلمين فسمى تفسيره " الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن "

وقد جعلت الحديث عن هذا الأساس المزعوم هو الأخير لأنه آخر ما تجده في هذا التفسير ، وكيف يصح أن يسمى تفسيره تفسيرا بالقرآن وهو يعصي القرآن نفسه في أمره بالأخذ بالسنة في تفسيره ؟! هذا فيما لو صح ما يسميه تفسيرا للقرآن بالقرآن .

وإن شئتم أمثلة على ذلك سقت لكم منه كثيرا وكثيرا ولكن لا تطمعوا بفائدة منه في هذا فإشارته إلى ما يُفَسِّرُ به ليس لآيه أو آيات إنما يشير لسورة أو سور كثيرة أى أنها إشارات مجملة وأُذكر أمثله يتضح بها المراد .

في تفسير قوله تعالى " ياأيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويُكَفِّر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم " (١) قال في تفسيرها " إقرأ الطلاق " (٢) أى إقرأ سورة الطلاق ؟!

وفى تفسير قوله تعالى " ووصينا الانسان بوالديه حسنا " (٣) الايه يقول " اقرأ الاحقاف ولقمان " (٤)

وفي تفسير قوله تعالى " فكذبوه فأخذتهم الرجفه فأصبحوا في دارهم جاثمين " (٥) قال " جاثمين باركين اقرأ هود والحجر والشعراء " (٦)

---

(١) سورة الانفال الآيه ٢٩
(٢) الهداية والعرفان : ص ١٣٨
(٣) سورة العنكبوت الآيه ٨
(٤) الهداية والعرفان ص ٣١٢
(٥) سورة العنكبوت الآيه ٣٧
(٦) الهداية والعرفان ص ٣١٤

وفي تفسير قوله تعالى " فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود " (١) قال " ١٣ - ٥٤ اقرأ الأعراف والحاقه والواقعه والنمل" (٢)

وفي تفسير قوله تعالى " وأنَّه كان رجالٌ من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رَهَقًا " الآيات (٣) قال (٦-١٠ اقرأ الصافات وتدبرها آيه آيه ثم الأعراف إلى ٣٨و ٣٩ وما بعدها الى آخرها (!!) ثم سبأ وغافر وابراهيم والأنعام ويس والشعراء ثم الإسراء والكهف والحجر والرحمن والنمل وفصلت والذاريات وأواخر الاحزاب ثم هود والسجده والناس ثم الفاتحه ثم ١٤٦ و ١٦٥ - ١٦٧ في البقره بعد هذا تفهم أنه يطلق الجن والجنه على الزعماء والمستكبرين من الساده المتبوعين ويعبر عن الأنس بسائر الناس المقلدين والتابعين المستضعفين " (٤)

وإذا عرفت أن تفسيره مكتوب على هامش القرآن وأن هوامش كثيرة من الصفحات تكاد تكون بيضاء إلا من إحاله إلى قراءه سورة أو سور لمعرفة معنى كلمه أو آيه عرفت صغر حجم هذا التفسير ومع هذا فهو ملىء بهذه الإنحرافات ، ولهذا فانه يخيل إلى أن صاحب هذا التفسير قد وزع أفكاره الإلحاديه على آيات القرآن الكريم أولا ثم للغش والتدليس نمق بعض الصفحات بمثل هذه الاحالات التى توهم تفسير القرآن بالقرآن ؟! وما هو بتفسير ولكنه إبتلاء وإمتحان للمؤمنين قيَّضَ اللهُ له طائفةً من العلماء كشفوا أعواره وأظهروا إلحاده فحُكِمَ على صاحبه بالردّه ولم يصدر الحكم النهائى من المحكمة لإعلانه رجوعه وتوبته ، ويبقى الحكم دائماً وأبداً لله سبحانه وتعالى فهو الذى يعلم ظاهره وباطنه وما تخفى الصدور .

---

(١) سورة فصلت : الآيه ١٣
(٢) الهداية والعرفان : ص ٣٧٦
(٣) سورة الجن : الآيه ٦ - ١٠
(٤) الهداية والعرفان : ص ٤٥٨

ومما يؤسف له ويحز فى النفس أن كثيرا من آراء هذا الرجل فى تفسيره قد انتشرت بين بعض من أصابهم داء ضعف الايمان أو فقده وهم حين يقولون بها لا يشيرون اليه ولا يومئون ، وما لنا ولا شارتهم أوعدمها وآراؤهم متماثله ينكرون مثله المعجزات ويؤولونها بما يبطلها ويجهرون جهرا باشتراط تكرار السرقه والزنا حتى يقام على السارق والزانى الحد وإلا فلا حد ؟! وينكرون الملائكة والجن والشياطين وينكرون سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم ويقولون بملء أفواههم الإسلام هو القرآن وحده ويريدون منه بصريح عباراتهم عدم الإحتجاج بالسنة وانكارها ، وهم حين يقولون هذا وذاك يعيشون بيننا ولا يمنع ذلك كثيرا منا من أن يكون أكيله وجليسه بل وصديقه الملحد وأى مؤمن يصادق ملحدا ؟! ولكنها الجاهلية التى غشت على كثير من الابصار غشاوة أعمتها عن إلتماس السبيل فذهبت تلتمسه يمنة ويسرة فتعثر هنا وتعثر هناك وقد تهلك ان لم يدركها الله بنور من عنده .

الباب الرابع : الاتجاهات المنحرفه

الفصل الثاني

منهج الناصرين في تفسير القرآن الكريم

قلنا فى أول هذا الباب أنا نقصد بالقاصرين طائفه لم يطلبوا العلم الشرعى ولم يدرسوه فى مدارسه بل تقاذفتهم المدارس فى نواح شتى ليس منها علوم الشريعه ثم برز هؤلاء فى تخصصهم أو فى كتابة المقالات الصحفيه والأبحاث الأدبيه ونحو ذلك وكان لهم نصيب من الشهرة فى ذلك لابأس به فأرادوا أن يتجهوا الى رقعة أوسع منها فرأوا أن الأنظار من مختلف المستويات ومختلف الاتجاهات تتجه الى رقعة الأبحاث الشرعيه ، والدراسات القرآنيه خاصه فتسللوا الى هذه الرقعه وبدأو ينشرون تفاسيرهم لآيات قرآنيه وهم يحسبون أن علوم الشريعه لاتحتاج الى أكثر من تقليب النظر فى العبارات ثم ابداء الرأى من غير أن يكون لصاحبها الدرايه فى شروط التفسير ومن غير أن يدركوا شروط المفسر فأصبحوا ينظرون الى آيات القرآن الكريم كما ينظرون الى مقاله أدبيه سطرها أحدهم فراح الآخر ينقدها فوقعوا فى انحرافات فى التفسير مصدرها جهلهم بالقرآن نفسه فى آياته الأخرى التى قد تفسر ما يكتبون عنه أو تبينه ، وجهلهم بالسنة الشريفه التى قد يرد فيها تفسير لهذه الآيه التى يتناولونها وجهلهم باللغه وأنها لاتحتمل ما قالوه وجهلهم بالعقيده وأصولها وغير ذلك من الأصول والقواعد التى لايصح لقاصر عن تحصيلها أن يفسر القرآن الكريم ولكنهم لم يلتزموا فانحرف تفسيرهم .

والداعى لهؤلاء لسلوك هذا المنهج فى التفسير كثيره لا تقل عما ذكرته فى أول هذا الباب من أسباب ومنهم من تحقق له ما أراد ومنهم من فشل في ذلك فخسر الدارين .

وكما هيأ الله للملحدين فى التفسير من رد عليهم فى تفاسيرهم وكشف حقيقتهم للناس فأن الله عز وجل هيأ أيضا لهؤلاء من رد عليهم وكشف زيف آرائهم .

نماذج من هذا اللون فى التفسير :

ويمتاز هذا اللون عن سابقه بكثرة الذين كتبوا فيه مقالات ودراسات ومؤلفات وأكثر ما يدخل تحته التفسير العلمى وقد سبق أن أفردنا هذا بمنهج خاص لكن هذا المنهج قد تطرف فيه بعض من تناولوا التفسير وخرجوا عن حدود التفسير والمقبول الى منطقة التفسير المردود فأصبح تفسيرهم باللون الالحادى ألصق وان كانت صبغته علميه .

ثم يليه في الكثرة آيات الأحكام التى ولج اليها طائفة أرادوا أن يعدلوا فى الأحكام الشرعيه حسب ما يرونه ملائما للعصر حتى وان لم تطاوعهم الآيه فانهم يلوونها ليا وكأنهم قد قرروا الحكم الذى يريدون قبل أن ينظروا فى الآيه ثم أرادوا أن يطبقوا الآيه بعد ذلك على الحكم الذى قرروه قبلا ولا شك أن هذا الحاد بالآيه الى غير مدلولها .

خذ مثلا عباس محمود العقاد - عفا الله عنا وعنه - يقول فى قوله تعالى " والسارق والسارقه فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم " (١) : - " من هو السارق ؟ .. هل هو من يسرق مرة واحدة أو من تعود السرقه ؟ .. فان كلمة الكاتب مثلا لا تطلق على كل من يكتب ويقرأ وانما تطلق على من تعود الكتابه وأكثر منها والاشاره الى النكال والى عزة الله فى الآيه الكريمه قد تفيد معنى الاستشراء والاستفحال الذى يقضى بالنكال وأيا كان المقصود بالسارق فى الآيه الكريمه فالتوبه والاستصلاح تعفيان من اقامة الحد ، ويوكل الأمر فيهما الى الامام فى رأى جملة الفقهاء " (٢)

---

(١) سورة المائدة : من الآيه ٣٨

(٢) الفلسفه القرآنيه : عباس محمود العقاد ص ١٠١

ولئن كان سبق فى بحثنا هذا ايراد مثل هذا التفسير والرد عليه فانى أحبذ أن أقف مع العقاد هنا وقفه في ثلاثة مواضع من حديثه .

أما زعمه أن السارق تطلق على من تعود السرقه كالكاتب تطلق على من تعود الكتابه فان هذا غير مسلم وسبق بيان ذلك ويكفى هنا أن أضرب له مثلا واحدا ، له من الرواج ما يفهم غير ذوى المعرفة باللغه وخصائصها لو طرق عليك الباب طارق فانك تهتف" من الطارق " حتى ولو لم يطرق الباب الا مرة واحده . .

أما ان الاشارة الى عزة الله والى النكال فانه لا يدل على مازعمه بل الذى أحسبه أنه عكس ما ذكر والله أعلم .

بقى أمر توبة السارق والاستصلاح فقد ذكر أنهما تعفيان من اقامة الحد ولكنه لم يفرق بين ما اذا رفع الأمر الى الامام أو قبل أن يرفع والذى لا يخفى أنه اذا رفع أمر السارق الى الامام فلا يسقط الحد حتى ولو أعلن توبته والا أصبح الأمر عبثا فأى سارق لن يعلن توبته ولو كذبا اذا كان هذا يدرؤ قطع يده ثم يصبح الأمر عنده بردا وسلاما يسرق ثم يتوب ولا أظن ذا لب يقبل هذا ؟!

وفى آيه أخرى يفسرها الأستاذ العقاد تفسيرا منحرفا تلكم قوله تعالى " والسابقون السابقون اولئك المقربون فى جنات النعيم ثلة من الأولين وقليل من الآخرين على سرر موضونه متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون"[1] الآيات.

حيث ذهب مذهب الفلاسفة فى القول بأن الجزاء الاخروى نعيما وجحيما روحانى لاجسمانى .

---

(١) سورة الواقعه : الايات ١٠ - ١٩

ويعلل ورود هذا النعيم فى هذه الآيات وأمثالها بصيغ لا تقبل الا أن يكون العقاب والثواب جسمانى لا روحانى بقوله " فالحقيقة الاعتقادية لا بد أن تمتزج بتصور المؤمنين بها لأن الخطاب فيها موجه الى ملايين من البشر منهم العارف والجاهل ومنهم الذكي والغبى ومنهم كبير النفس وصغيرها ورفيع الحس ووضيعه ومنهم من يطلب الكمال ومن لا يعرف كما لا يطمح اليه . . فلا بد من توضيح الحقيقه الاعتقاديه بالمحسوسات فى كثير من الاحوال وعلى هذا ينبغى أن يروض فكره كل من ينظر الى عقيده الحياه الاخرى فى القرآن الكريم . .

فالقران الكريم يفرض على المؤمنين عقيده البعث والحساب ويدعوهم الى الايمان بالنعيم والعذاب . . والجنه هى مقر النعيم . . والنار هى مقر العذاب . . وفى القرآن أوصاف محسوسه للجنه كما وصفت فى سوره الواقعه . . وفى القرآن أوصاف محسوسه للنار كما وصفت فى سوره الفرقان ولكن فى المتفق عليه بنص القرآن ونص الحديث النبوى الشريف أن هذه الموصوفات غير ما يرى ويعهد فى هذه الحياه . . . والواقع ان المسلمين يفهمون من هذه الصفات معنى التنعيم ومعنى العذاب ولا يخل فهمهم لهذا أو لذاك بالغرض المقصود من وعد الله ووعيده بالمثوبه والعقاب"(١)

ثم ذهب يستدل لهذا الذى قرره بدليلين أحدهما فلسفى والثانى صوفى ، أما الاول فقال ، " فالامام فخر الدين الرازى مثلا يقول فى تفسير الاتكاء على السرر المرفوعه : "معناه ان كل أحد يقابل كل أحد فى زمان واحد ، ولا يفهم هذا الا فيما لا يكون فيه اختلاف جهات وعلى هذا فيكون معنى الكلام انهم أرواح ليس لهم أدبار وظهور فيكون المراد من السابقين هم الذين أجسامهم أرواح نورانيه : جميع جهاتهم وجه ، كالنور الذى يقابل كل شىء"

---

(١) الفلسفه القرآنيه : عباس العقاد ص ١٨٣ - ١٨٤ باختصار

وهذا فهم فيلسوف باحث في الجواهر والأعراض ، وفي مطالب الأرواح والأجسام "

و أما الثاني وهو الفهم الصوفي فقال عنه " ويفهم المتصوفه أن نعيم الحياه الباقيه كله هو الوصول الى الله ولا يتطلعون الى جزاء غير هذا الجزاء سمعت رابعه العدويه قارئا يتلو قوله تعالى" وفاكهه مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون" (١) فقالت نحن اذن صغار حتى نفرح بالفاكهه والطير" وسمع الشبلي قوله تعالى" منكم من يريد الدنيا ، ومنكم من يريد الآخره" (٢) فصاح صيحه عظيمه وقال " فأين الذين يريدون الله تعالى ؟ "

الى أن قال ـ العقاد ـ فوصف الحقائق بالمحسوسات ـ كما رأينا ـ تعبير يفهمه الخواص الذين يرتفعون بالفهم وبمطالب النفس الباقيه عن مطالب الجهلاء ، ولكن هل التعبير بالمعاني المجرده والحقائق المثاليه مفهوم عند هؤلاء الجهلاء ؟ " (٣)

ثم ذكر أن الجهلاء هم أحوج الناس الى الايمان بالحساب ووصفهم ، بأنهم لا يعتقدون الا بما يحسون ويفقهون ، وأنه لا معدى اذن من احدى صورتين للعقائد اما ان تساق بأسلوب يحقق الحكمه من العقيده عند جميع الناس خاصه وعامه ولا بد فيه من التعبير عن المعاني بالمحسوسات واما اسلوب يترك الخاصه لأنفسهم وينفي العامه عن حظيره الاعتقاد وهو لا يحقق الحكمه من العقيده بحال .

ثم قال " في ذلك الأسلوب لا خساره على أحد من الخاصه أو العامه وفي هذا الأسلوب لا فائده للخاصه ولا للعامه لأن الخاصه متروكون لأنفسهم

---

(١) سوره الواقعه : الآيتين ٢٠ - ٢١

(٢) سوره آل عمران : من الآيه ١٥٢

(٣) الفلسفه القرآنيه : عباس العقاد ص ١٨٥

يفهمون ما يفهمون بمعزل عن الوحى والرساله (!!) ولأن العامه محجوبون عن الوحي والرساله بكل حجاب" (١)

تلكم خلاصة ما قاله الأستاذ عباس محمود العقاد ولنا معه أيضا وقفات .

الأولى : أنه استدل برأى الفلاسفه ومفاهيم الصوفيه ومن المعلوم أن العقائد لا تؤخذ من هؤلاء ولا من هؤلاء وانما من الكتاب والسنه .

الثانية ان ما ذكره ونسبه للرازى انما هو أحد قولين أوردهما الرازى ايرادا ورجح الثاني الذى لم يذكره العقاد وهو أن التقابل يعنى أنهم متساوون فى المكانه والرتبه لا يرى أحدهم نفسه دون الآخر .

الثالثة : أن ماذكره عن رابعه والشبلى ان صح عنهما فلا يدل على فهمه هذا ذلكم أن الصوفيه حين يقولون مثل هذه المواجد ويلهجون بالنعيم الروحى وهو الوصول الى الله تعالى لا ينكرون أن هناك مع هذا نعيما محسوسا وعقابا كذلك وانما يتحدثون عن أمانيهم وليس عن الواقع وحده .

والوقفة الرابعه وهي الاخطر زعمه " أن الخاصة متروكون لأنفسهم يفهمون ما يفهمون بمعزل عن الوحي والرساله" وهو كلام خطير لا أظن الأستاذ العقاد يقصد معناه بكل أبعاده والا لأدى الى انكار الدين من أصله وترك - الخاصه - يقررون لأنفسهم من العقائد ما شاءوا بعيدا عن الوحى والرسالة وحينذاك يكون الهلاك ..

ولعل فى هذه الوقفات القصيره ما يظهر الحقيقة التى غابت عنه فيما ادعاه من النص الذى سقناه له وحرصنا على استيفاء معانيه فجاء طويلا .

---

(١) الفلسفه القرآنيه : عباس محمود العقاد ص ١٨٥ - ١٨٦

وغير العقاد كثيرون أولوا الآيات على غير مدلولها الصحيح من ذلك -كما أشرنا - التفسير العلمى خاض فيه كثير من هؤلاء فجاءوا بتفاسير منها ما هو مقبول ومنها ما هو مردود ومنها ماهو الحاد أو انحراف ومنها ما هو كفر وضلال .

لن أذكر أمثله للمقبول والمردود فقد أفردناه بدراسه خاصة ومنهج خاص هو المنهج العلمى فى التفسير وانما اشير الى ما فيه انحراف أو كفر بل أشير الى بعضه .

فمن ذلك الاستاذ عبد الرزاق نوفل رحمه الله وغفر له وعفا عنا وعنه أكثر من التفسير العلمى أحسبه بدافع الحرص على هداية الناس وجذبهم الى الاسلام وما علينا ونيته فأمرها الى الله وانما علينا أن نذكر مواضع انحرافه فمن ذلك تفسيره للنفس الواحده فى قوله تعالى " هو الذى خلقكم من نفس واحده وجعل منها زوجها ليسكن اليها "(1) ففسر النفس الواحدة بالبروتون وزوجها الألكترون واقرأ تفسيره قال : - وقد اعتبر اكتشاف الألكترون أكبر نصر علمى أمكن العقل البشرى أن يصل اليه حتى أنهم يطلقون على هذا العصر الذى نعيش فيه الآن العصر الالكترونى اذ يعتبر أن هذا أروع وأهم اكتشاف تميز به عصر من العصور اذ أمكن الوصول الى الجوهر الفرد وحدة الخلق التى منها خلق كل شيء فى الوجود : الانسان والحيوان والماء والهواء . . الحي والجماد والأرض والسماء فوجد أنها وحده تناهت فى الصغر الى درجه لا يقبل الفكر أن يتمثلها . . . وهذه الحقيقة العلمية التى يتيه بها العصر الحديث قد جاء بها القرآن الكريم منذ ١٤٠٠ سنه فى صراحه (! !) ووضوح اذ تقرر الآيه ١٨٩ من سورة الأعراف أن كل ما خلق الله انما خلقه من نفس واحده وجعل منها زوجها : " هو الذى خلقكم من نفس واحده وجعل منها زوجها "(1) أليست هذه

---

(1) سورة الاعراف : من الآيه ١٨٩ -

هى البروتونـات والالكترونـات . . الكهارب الواحده موجبه وسالبـه أى النفس الواحده . . الزوجيه الجنس بين موجب وسالب " (١)

فهل يقبل ذو لب أن يوصف هذا التفسير بأن الآيـه تدل عليـه بصراحه ووضوح ومع هذا يخفى على علماء المسلمين حتى القرن الرابـع عشر الهجرى ؟ ! ايـن الصراحه والوضوح ، وكان يكفى الأستاذ نوفل ـ عفـى الله عنه ان يكمل الآيه ليعرف مدلولها الصريح والواضح " هو الذى خلقكم من نفس واحده وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا اللـه ربهما لئن آتيتنـا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عمـا يشركـون " (٢)

وهذا الشاب أحمد شعبان محمد شاب مغمورلعله أراد أن يصبح مشهـورا فكتب ما زعمه " إعجاز علمي في سورة النور" تنـاول فيه قوله تعالـى :- " الله نور السمـوات والأرض مثل نوره كمشكاه فيها مصباح . المصبـاح فـى زجاجه الزجاجه كأنهـا كوكب درى يوقد من شجره مباركه زيتونه لا شرقيـه ولا غربيه يكاد زيتها يضىء ولو لـم تمسسه نـار ، نـور علـى نور ، يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب اللـه الأمثال للناس والله بكل شىء علـيم" (٣)

زعم أن فى هذه الآيـه بيان لـ " نوع من أشعه"الليزر" يسير الجبال ويقطـع الأرض ويكلم به الموتـى" ؟ ! ! وقد بلغت هذه الدراسه ٣٠ صفحه قدمهـا صاحبها الى اداره البحوث والنشر فـى مجمع البحوث الاسلاميه وأحيلـت الى فضيله الشيخ ~~محمد~~ مصطفى الحديـدى الطير فكتب تقريرا فـى ٢٢

(١) القرآن والعلم الحديث : عبد الرازق نوفـل ص ١٥٦ .

(٢) سوره الاعراف : الآيتين ١٨٩ - ١٩٠

(٣) سوره النـور : الآيـه ٣٥

صفحـــه ختمـه بأن هذا البحث لا يصلح للطبع والنشـــر

ولا أخفى أنى غبطت الشيخ مصطفى الطير على سعه صدره وطول نفســـه في قراءه هذه الرساله كلها وكتابتـه نقدا شاملا لها مع أن كل صفحـه فيهـا مليئه بما يبرر منعـها من الطبع والنشر ومع هذا فان الشيخ مصطفى قد قرأهـا كامله وكتب نقدا شاملا وزودني جزاه الله خيرا بنسخه من الرساله وصوره من التقرير الذى كتبـه وجاء فيه قوله "يشتمل هذا الكتاب على احدى وثلاثـين صفحه من القطـع الكبير وقد حاول فيه أن يستخرج اشعه الليزر من الآيـــه الخامسه والثلاثين من سوره النـــور" (١)

قال المؤلف عن الآيه ٣٥ المذكوره من سورة النـور :" أحسست بوجـــود تطابق بين هذه الآيه الكريمه وبين اجهزه الليزر عمومـا . كما لو كانت الآيـه تصميم (كذا) لجهاز من تلك الأجهـــزه" (٢)

أما تفسير الآيه فقال ما خلاصته" مشكاه هو (كذا) الكوه التى ليســـت بنافذه وهى عباره عن جسم مفرغ من الداخل وليس له الا فتحه واحده كشـباك أى أن هذه الفتحه لها سداده أقل سمكا من باقى الجسم ويعتمد تصميـــم المشكاه على درجه الحراره داخلها وعلى مسارات الاشعه وانكساراتهـــا ويجب كذلك ان تكون على درجه عاليه من الصقل بالنسبه للسطح الداخلـى وذلك لاتخاذ الأشعـه مساراتها المحدده حسب النظريات المعروفه (فيهـا) بمعنى داخل هذه المشكاه (مصباح) . . . يعنى مصباح صناعى يعـمـل بماده زيت الزيتون من نوع محدد (المصباح) اشاره الى كلمه المصبـــاح السابقه وعلى حسب التصورات العلميه المتاحه لنا يتحدد تصميم المصبـــاح

---

(١) الصفحه الأولى من التقرير الذى أعده الشيخ محمد مصطفى الحديـــدى الطـــير عن هذه الرسالـــه ـ

(٢) دراسه حول النور من كتاب الله : أحمد شعبان محمد ص ٢



فيكون هذا المصباح مماثلا لدائره مصابيح الزئبق بحيث ترفع طاقه الزيت من خلال تيار كهربى ويكون الزيت بمعزل عن أى مواد أخرى مثل الهواء لكى لا يحترق الزيت فيكون فى أنبوبه زجاجيه مفرغه فعند رفع طاقه الزيت يتحول من الحاله السائله الى الحاله الغازيه ويتسبب ذلك فى وجود ضغط داخل الانبوبه ونستمر فى رفع طاقه بخار الزيت الذى يكون فى هذه الحاله متأنيا (كذا) حتى نصل به الى درجه الاشتعال فيصدر ضوءا دون أن يحترق لعدم وجود أكسجين داخل الانبوبه (فى زجاجه) أى أن هذا المصباح بداخل الزجاجه ويجب عمل تفريغ بين المصباح والزجاجه لتكون بمثابة عازل يمنع أجزاء المصباح وهى الدائره الكهربه (كذا) الخارجه عن أنبوبه الزيت من التأكسد وبالتالى التلف وكذلك لتعمل كعازل لعزل الجسيمات الموجوده فى الضوء الخارج من الزيت وعدم السماح الا بمرور الموجبات فقط من خلال الزجاجه" الى أن قال : -" يوقد من شجرة مباركه " . . . والبركه معناها الوفره والكثره أى أن الشيء المحدود يتكاثر بغير حدود ومن الممكن ان نصل الى أدنى هذه الحدود وذلك بالمقارنه عن طريق الآيات الآتيه : —

(انا أنزلناه فى ليله مباركه انا كنا منذرين) (٣الدخان)

(انا انزلناه فى ليلة القدر) (١ القدر)

ففى الآيتين السابقتين وردت كلمه مباركه فى الآيه الأولى مرادفه لكلمه القدر فى الآيه الثانيه وبتعريف قيمه القدر " وما ادراك ما ليله القدر ليلة القدر خير من ألف شهر " ٢ القدر فليلة القدر خير من ألف شهر أى أنها خير من نظيرها بـ ٦٠,٠٠٠ على اعتبار الليله نصف يوم فنصف

---

(١) المرجع السابق : ص ١٦ - ٢٠ باختصار

اليوم خير من ١٠٠٠ × ٣٠ × ٢ = ٦٠٠٠٠ نظيرها ، وبالمثل فـان كلمه مباركه تعنى الخير لأكثر من ٦٠٠٠٠ نظير وهذا يعنى ان الاستفاده من هذه الشجره خير من ٦٠٠٠٠ شجره فى مكان آخر وشعاع النـور الذى يخرج من هذه الشجره خير من ٦٠٠٠٠ شعاع يخرج من شجـره أخرى لأن هذه الأشعه مركزه فى نقطه واحده وليست مشتته بعيدا عـن بعضهـا"

ثم وصف هذه الاشعه المركزه فى نقطه واحده بأنها " نور على نور" وعند ما تسير موجـات نور على نـور فى خطوات منتظمه فانها تستطيـع أن تحقق آثارا مذهله والسبب هو أن طاقتها لا تتشـتت كما لا تنتشـر الحزمه نحو الخارج وهو يدعو الى تكثيف تركيزا لطاقه عنـد نقطه محدده تماما وتوسع أيضا بدرجه عظيمـه مدى مصدر الضوء" ثم ذكر بعـض الانجازات المثيره لاشعه (نور على نور) ومنها أنه يمكن لهـذا الشعـاع أن يحدث ثقوبا فى لوح من الصلب سمكه $\frac{٣}{٨}$ بوصـه على بعد عده أقدام وقـال " ويستخدم هذا الشعاع (نور على نور لضبط المدى حيث تستخدم فى سـلاح المدفعيه لتوجيه المدافع وكذلك الصواريخ وكذلك المساحـون فى الفضاء الخارجى وستحل الأجهزه التى تصدر هذا الشعاع محـل أجهزه الرادار التقليديه واللاسلكى لملاحه سفن الفضاء والاتصالات ويستطيع هذا الشعاع ان يقطع المعادن والمواد الاخرى ويستخدم حاليـا فـى احكام ميكنه المعادن والمواد الهشه مثل التى بالماس وكذلك نستطيـع أن نلحم المعادن ونستخدم كذلك فى صناعه دوائر ميكروالكترونيه ومن ثم فـان الاجهزه الضخمه التى تخرج هذا الشعاع التى تركب فوق قمم الجبـال العاليه يصفها علـى أنهـا وسيله للدفاع ضد الرؤوس النوويه للقذائـف الموجهه الحربيه من عابرات القارات . . " الخ(١)

---

(١) المرجع السابق ص ٢٩ - ٣٠ باختصار

هذه خلاصه سريعه لهذا البحث عن"الليزر" الذى زعمه صاحبه تفسيرا للآيـه ٣٥ من سوره النور وهل مثل هذا يحتاج الى نقد ؟! لا أحسبه كذلـك فأمـر بطلانه ظاهر لا يخفـى

ولا يصح فى الأذهان شىء اذا احتاج النهار الى دليل ومن المؤسف ان تنشر مثل هذه الخرافات جريده " النور" المصريه فى عددها ٤٢ بعنوان " اعجاز علمى فى سوره النور نوع من أشعه الليزر يسير الجبال ويقطع الأرض ويكلم بـه الموتى ! وهـذا المقال خلاصه لهذا البحث قدمها الكاتب نفسه

بقى أمر طريف أحببت الاشاره اليه لطرافته وأترك بيان العلاقـه بينـه وبين البحث لعلماء النفس ذلكم أن عنوان الباحث كما هو أمامى شارع طنطاوى الجوهرى ؟! وهل لاسم الشارع أثر على اتجاه أهله أم لا .

وكما ان الالحاد يكون فى التطرف ـ ايجابا ـ فى ربط الحقائق والنظريات العلميه بآيات القرآن الكريم فان الالحاد أيضا يكون فى التطرف ـ سلبـا ـ فى زعم مخالفة الآيه لحقائق علميه فهذا الأستاذ اسماعيل مظهر يكتب فـى العدد الأسبوعى لمجله العصور الصادر فى ٢٤ فبراير سنه ١٩٣٠م تحـت عنوان" استفتاء" وجاء فى مقاله" جاء فى القرآن الكريم (ولقد زينا السمـاء الدنيا بمصابيـح "(١) وقد دل العلم الصحيح على أن السماء غير مزينه بمصابيح بل هى فضاء غير متناه ، تناثرت فيه كرات عظيمه هائله الأبعاد ، ومنهـا ما يستمد ضوءه من غيره ، ومنها مـا هو ملتهب كشمسنـا فهل الاعتقاد بأنها ليست مصابيح مخالـف للدين ؟"(٢) ونقول لهذا انه مخالف للحواس أيضـا وليس للدين فحسب وأينا لم ينظر الى السماء فى ليله مظلمه وقد أنتـشرت

---

(١) سوره الملك الآيـه ٥

(٢) ذيل الملل والنحل : محمد سيـد كيلانى ص ١٠١

فيها النجوم واطل من بينها وجه القمر فلم تأخد بلبه ، وكم تغنى فى هذا المنظر الشعراء وأبدع فيه الأدباء وكم اهتدى بهذا المنظر رجل تأمل وتفكر فى هذا الخلق البديع فلم يجد بدا من الاذعان والاعتراف بأن هذا لا يكون الا من الخلاق العليم .

وليعلم هذا أن القرآن وهو يصف السماء والمصابيح فانما يخاطب أناسا ينظرون اليهما من موقعهما فتبدوا مطابقه كل المطابقه لهذا الوصف ولا أظنه يجهل أن اللوحات الجميله والمناظر البديعه لا يحسن النظر اليهما الا من بعد والا فلو قرب حدقة عينه حتى تكون داخل اللوحه أو قريبه منها فانه لن يرى الا نتوءات وحفرا بل ويرى الألوان مشوهه فهل له وهو فى هذه الحاله أن يصف هذه اللوحه بما هى منه بريئه وليجرب هذا الرجل وأمثاله أن يقرب عينه من أرض حديقه جميله أو يضع حدقه عينه فى قلب ورده زاهيه الألوان وليصف ما يرى وليسمع رأى الناس فى وصفه انهم لن يصفوه بأكثر من أحد وصفين اما الجنون أو المكابره وحسبك بهما وصفا لما زعمهفى الآيه .

والحاد آخر فى قوله تعالى " ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر "(١) قال فيه " وقد أثبت العلم أن السماء لا أبواب لها و أن الماءانما يتساقط على الأرض بعد أن يتكاثف سحابا وبعد أن يعلو متبخرا من مياه الأرض فهل هذا الاعتقاد تجديف؟ وهل يجب أن نعتقد أن للسماء أبوابا من فوقها بحار ، إذا فتحت إنهمر المطر ، واذا أقفلت أمسك عن الانهار؟ "(٢)

والرجل فى الحاده هذا يجهل اللغه والبلاغه أما اللغه فاعتقاده أن المراد بالسماء السماء حقيقه وانما المراد بها العلو والارتفاع وهو الجو هنا وهو

---

(١) سوره القمر : من الآيه ١١
(٢) ذيل الملل والنحل : محمد سيد الكيلانى ص ١٠١

مقر السحاب أما جهله البلاغه فان فى الآيه استعاره تمثيليه بتشبيه تدفق المطر من السحاب بانصباب انهار انفتحت لها أبواب السماء وشق لها أديم الخضراء[(١)] ولو علم اللغه والبلاغه لما قال ما قال

بقى أن أقول هنا أن اسماعيل مظهر هذا قد رجع الى حظيره الاسلام مره أخرى والحمد لله[(٢)] اذ هو قد خرج عنه فى أمور كثيره منها ما هو صريح لا يشك فى أمره فيها . والحمد لله أولا واخرا

ولعلى أكتفى بهذا فى سياق الأمثله على التفاسير المنحرفه فى منهج القاصرين فى تفسير القرآن الكريم وأذكر بعد هذا مثالا للمؤلفات فى هذا المنهج .

القرآن ... محاوله لفهم عصرى

أولا المؤلف::

أما أسم الشهره فمصطفى محمود ، أما أسمه الكامل :-

فمصطفى كمال بن محمود حسين

ولد فى ١٩٢١/١٢/٢٧ فى قريه شبين الكوم ، بالمنوفيه فى مصر ولكنه نشأ فى طنطا حيث أنتقل اليها مع أبويه وبدأ دراسته فى الكتاب فيها بضعة أشهر ثم دخل المدرسه الابتدائيه ، وقد أهلته درجاته العاليه فى الثانويه للالتحاق بكليه الطب بالقاهره حتى أحرز شهاده الكليه عام ١٩٥٢م وواصل دراسته حتى تم مرحله التخصص فى الأمراض الصدريه

مرحله الرفض :-

ووجد فى القاهره الجو المساعد لتنميه هواياته التى جمعت بين الفن والعلم وقد كان ولعه بالقراءه فى سن مبكره حين شارف على الثالثه عشر

---

(١) انظر تفسير القاسمى : جـ ١٥ ص ٥٥٩٨

(٢) ذيل الملل والنحل : محمد سيد كيلانى ص ١٠٨

حيث قرأ مؤلفات شبلى شميل واسماعيل مظهر وسلامه موسى الذين كونوا فى ذهنه مرحله الرفض ويحدد نطاق شكه فيقول أنه مقصور على موضوع النبوات والرسالات فقط أما ما يتعلق بوجود الخالق تبارك أسمه فقد ظل فى قلبه وعقله فوق كل ريب

ويعلل بواعث تلك الشكوك بأنها رد فعل لما يراه من المظاهر الشاذه عند ضريح البدوى وغيره فى طنطا

مؤلفاته :

وأول مؤلفاته هى مجموعته القصصيه " أكل عيش" وصدرت سنه ١٩٥٤م

لكن كتابه الثانى " الله والانسان " الأثر الاكبر فى التأليف حيث قفز به من معالجه الواقع الانسانى على صعيد الأحداث القصصيه الى محاوله التشكيك فى كبرى اليقينيات وحشد فى هذا الكتاب كل المشكلات التى خاضها فألقت به فى صراع كاد يمزقه . . وقد أثار عليه هذا الكتاب بعض ذوى الغيرة الإسلاميه فحاربوه حتى قام الأزهر بواجبه فصودرت نسخ الكتاب وقدم المؤلف الى محكمه أمن الدوله ودافع محامى المؤلف عنه فأعلن أن هذا الكتاب يسجل بداية متصوف لا تهجمات ملحد - ولسبب مجهول كان أعضاء المحكمة من أهل التصوف - فحكموا بمصادره الكتاب والكف عن ملاحقه مؤلفه

وبعد سكون الزوبعه رجع المؤلف الى نفسه يحاكمها ويحاكم كتابه وانتهى إلى أنه عمل متهور لا يرضى عنه قلبه ولا عقله وكانت هذه المحاكمه بدايه لمرحله جاده فى طلب الحقيقه . . واستحكمت صلته بالقرآن وشرع بالاتصال بأئمه المفسرين وكان أعمقهم تأثيرا سيد قطب فى ظلال القرآن وأبن كثير فى تفسيره

وأعلن الدكتور رفضه لكتابين من كتبه أولهما (الله والانسان " الذى صودر

ولن يطبع ثانيه ، وثانيهما " ابليس" اذ أعلن أنه لا يسمح باعاده طبعـــــه وكل طبعه له ظهرت بعد ، الأولى فمن غارات السارقين فى بيروت

وخص كتابه " لغز الموت" بالذكر واعتبره مدخله الى الايمان وقد كتبه فـــى عام ١٩٥٨ - ١٩٥٩ ثم المستحيل الذى صدر سنه ١٩٦٠م (١)

وله عدد من المؤلفات يذكرها عاده مع تواريخ صدورها فى آخر كل كتـاب لـــه. ومن هذه المؤلفات غير ما ذكرنا

١ - لغز الحياه دراسه كتبت سنه ١٩٦٧م

٢ - اينشتين والنسبيه دراسه كتبت عام ١٩٦١م

٣ - رحلتى من الشك الى الايمان دراسه كتبت عام ١٩٧٠م

٤ - الطريق الـــى الكعبه رحله حج كتبت عام ١٩٧١

٥ - اللــــه دراسه كتبت عام ١٩٧٢

٦ - التـــوراه دراسه كتبت عام ١٩٧٢

٧ - رأيت اللـــه دراسه كتبت عام ١٩٧٣

٨ - الروح والجسد دراسه كتبت عام ١٩٧٣

٩ - حوار مع صديقى الملحد دراسه كتبت عام ١٩٧٤

١٠- الماركسيه والاسلام دراسه كتبت عام ١٩٧٥

١١- محمـــد دراسه كتبت عام ١٩٧٥

١٢- السر الأعظـم دراسه كتبت عام ١٩٧٥

١٣- من أسرار القـــرآن دراسه كتبت عام ١٩٧٦

١٤- الوجود والعـــدم دراسه كتبت عام ١٩٧٦

١٥- لماذا رفضت الماركسيه دراسه كتبت عام ١٩٧٦

١٦- القرآن محاوله لفهم عصرى (وهو موضوع بحثنا هنـــــــــا)

---

(١) لخصت هذه الترجمه من كتاب الاستاذ / محمد المجذوب علماء ومفكرون عرفتهم ص ٣٩١ الى ص ٤٢٤

هذه أهم مؤلفاته فيما نرى ولم ونذكر منها أسماء رواياته ومسرحياته ورحلاته وقصصه التى صدرت فى مجموعات أربع فى بيروت سنه ١٩٧٢م يكفى أن أقول أن عدد مؤلفاته كما يذكرها فى آخر كتابه من أسرار القرآن ٥٤ مؤلفا فضلا عن المجموعات الكامله التى أشرت اليها آنفا ، وسأتحدث بعد هذا عن تفسيره .

ثانيا : الكتاب :- القرآن محاوله لفهم عصرى

وتقع طبعه دار المعارف بمصر سنه ١٩٧٦م لهذا الكتاب فى حوالى ٢٨٠ صفحه من الحجم المتوسط وطبع قبلها وبعدها عده مرات.

والمهم فى الأمر أن الكتاب قد لاقى القبول عند كثير من " المثقفين وقرآء مصطفى محمود كما لاقى الرفض عند كثير من المختصين بعلوم القرآن وقد توسط بعض العلماء فقبلوا بعضه وأنكروا بعضه ورده ، وأفرده بعضهم بمؤلفات مستقله

ومن الذين نقدوه بدراسه مستقله

١ - الأستاذ عبد المتعال محمد الجبرى فى كتابه " شطحات مصطفى محمود فى تفسيراته العصريه للقرآن الكريم ويقع فى حوالى ٢٥٠ صفحه

٢ - الأستاذ مصطفى اسماعيل الـرج فى كتابه " رد على محاوله لفهم عصرى للقرآن" ويقع فى ١٢٧ صفحه

٣ - " الملحد" محمود محمد طه فى كتابه " القرآن ومصطفى محمود والفهم العصرى والعجيب أن المؤلف من أشهر الملحدين فى هذا العصر ومن الذين أدعوا الرساله ، ويقع كتابه فى ٢١٣ صفحه .

ومن الذين نقدوه نقدا موسعا :-

١ - الدكتوره عائشه عبد الرحمن " بنت الشاطئ" فى كتابيها :

١ - القرآن والتفسير العصرى

٢ - القرآن وقضايا الانسان

٢ - الشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير فى كتابه" اتجاه التفسير فى العصر الحديث منذ عهد الامام محمد عبده الى مشروع التفسير الوسيط"

٣ - الأستاذ أحمد محمد جمال فى كتابه " على مائده القرآن مع المفسرين والكتاب"

٤ - الأستاذ توفيق على وهبه فى كتابه " شبهات وانحرافات فى التفكير الاسلامى المعاصر ."

وغير هؤلاء كثير نقدوه فى كتبهم أو فى مقالات نشرت فى الجرائد والمجلات .

والكتاب فى أصله مجموعه مقالات نشرت فى مجله "صباح الخير "فى ديسمبر ١٩٦٩م وأوائل ١٩٧٠ م بعنوان تفسير عصرى للقرآن فلما قامت الاعتراضات على تفسيره هذا جمعها فى كتاب وزاد كلمه حسبها تبرر عمله هذا وسماه محاوله لفهم عصرى للقرآن

وأستنكرت طائفة كتابة هذا التفسير فى مجله صباح الخير لجلال الموضوع وهبوط المجله فلا تناسب بينهما

واستبشرت طائفه أخرى ليس لما أصاب فيه المؤلف وانما لما أخطأ فيه وانحرف فهى تصفق اعجابا لكل تأويل باطل أو شرح منحرف لقضيه من القضايا الاسلاميه ، وكأنما أسند اليها القيام بتحريف الاسلام فهى تدافع عن كل ملحد وتشجع كل منحرف وتبرر كل خطيئه

وطائفه رفضت هذا التفسير لعدم تخصص المؤلف وعدم توفر شروط المفسر فيه فاذا قيل لهم ان الاسلام ليس حكرا على أحد ألقموه حجرا وقالوا حقا

الاسلام ليس حكرا على أحد ولكن تفسير نصوصه ليس مباحا لكل أحـــــد
كالدواء تماما العلاج به ليس حكرا على أحد لكن وصفه وتركيبه ليس مباحــــا
لكل أحـــــــد

وسأذكر بعد هذا أمثله من الانحرافات والشطحات التى ارتكبهــــــا
الدكتور مصطفـــى محمود فى محاولته هذه

نمــــاذج من تفســـيره:

يحتوى كتابه هذا على آربعه عشر بحثا جعل لكل منها عنوانا وختــــم
هذه الأبحاث بـ مناقشات . أما هذه الابحاث اجمالا فهـــى :-

١ - المعمار القرآنـــى
٢ - مخير أم مســير
٣ - قصه الخلق
٤ - الجنه والجحيم
٥ - الحلال والحرام
٦ - العلم والعمل
٧ - أسماء اللـــه
٨ - رب واحد ودين واحـــد
٩ - الغيـــب
١٠ - الساعـــه
١١ - البعـــث
١٢ - لا كهنـــوت
١٣ - لا اله الا اللـــه
١٤ - لماذا . . اعجاز القرآن ؟

ولا يحتاج القول أن المؤلف لم يفسر القرآن على الطريقه المألوفه فـــى
تفسيره آيه آيه وسوره سوره بل جاء تفسيره عصريا يخـــتار الموضوع سلفــــا

ثم يضع فيه من الآيات ما يختار ويتناولها فيه تفسيرا وشرحا وحتى عناوين الأبحاث تبدو فيها العصريه

بقى أن أقول أن الكتاب ملىء بالأمثله على الأنحراف فى التفسير فما الذى أذكر وما الذى أدع . أأذكرها كلها واذا لو فعلت لجاء فى كتاب كامل وقد كفيت هذا ، أو أذكر بعضها ففيه مرادى هنا من ضرب المثل للتفسير المنحرف للمفسر القاصر . وعلى هذا الأخير أكتب فعذرا اذا لم أستوف وأستوعب .

خلق الانسان :

من أهم القضايا التى خاض فيها الدكتور مصطفى فى كتابه مسأله خلق الانسان بل خلق آدم وحواء عليهما السلام وهو أمر لا شك أنه غيبى لا سبيل الى ادراكه ومعرفته الا عن طريق الوحى

وقد بسط القرآن الكريم الحديث عن ذلك فى آيات شتى علينا أن نؤمن بها ولا نصرفها بما لا تحتمله ألفاظها حتى توافق نظريه علميه مازالت تتأرجح يمنه ويسره ان لم تكن قد سقطت.

وقد أفاض الدكتور الحديث عن هذه المسأله وأطال وأصاب فيه وأخطأ ورجع فى طبعات الكتاب الأخيره (دار المعارف) عن أقوال سجلها فى طبعاته الأولى (طبعه القاهره) وهو أمر نشكره عليه وندعو الله أن يزيده ايمانا ورجوعا الى الحق .

وبدأ الدكتور حديثه بذكر قصه داروين وطوافه حول العالم وجمعه العينات من البر والبحر وملاحظاته وتأملاته ثم ذكر بعضا من ملاحظات داروين أعقبها بتساؤل : -" هل الحكايه أن الحيوانات أصلها واحد ثم تطور هذا الأصل وتباين وأختلف الى هذه الفصائل المتباينه بسبب تباين الظروف والبيئات. . الحيوانات التى دبت على الأرض طورت لنفسها أرجلا . . .

والتى نزلت الى البحر تحورت فيها الأرجل الى زعانف...

والتى طارت فى الجو تحورت فيها الأطراف الى أجنحه....

اذا كان هذا الاستنتاج صحيحا فلابد أن يكشف لنا تشابها فى بنيه الجميع .. وهذا هو ما قاله المشرط بالفعل "(١)

ثم ذكر أمثله لما كشفه المشرط عند داروين ففى الثعبان يكشف عن أرجل ضامره وفى الطيور يكشف أن أجنحتها هى الزوج الثانى من الأطراف وفى الأسماك يكشف أن زعانفها الأربع هى أطرافها الأربع ، وهكذا الى أن قال .. لم يبق الا أن يكتب داروين نظريته فى أصل الأنواع بل أن النظريه لتكتب نفسها فتقول أن الأنواع انحدرت كلها فى أصل واحد تباين واختلف الى شجرة من الفصائل والأنواع نتيجه تباين الظروف والبيئات"(٢)

ثم نفى أن يكون داروين قال ان الانسان انحدر من القرد وانما هى نكته روجتها الصحف، ووصف هذه النظريه بأنها فى أصلها المكتوب لا تقول بأن أيا من الأجناس الموجوده خرج من الآخر وانما كل جنس هو بذاته نهايه فرع مستقل من الشجره لم يخرج فرع من فرع

وقامت الزوبعه على داروين ومضت سنون وسنون من التمحيص واعاده النظر. وعاش من نظريه داروين بعضها ومات بعضها ...

ثـم بين الدكتور مصطفى ما عاش منها وما مات فقال :-

" حكايه أن الأنواع انحدرت من أصل واحد وأنها تباينت الى شجره من الفصائل والأنواع نتيجه تباين الظروف والبيئات كانت احتمالا مرجحا أقرب الى الصحه تقوم عليه الشواهد .. فالوشيجه العائليه تربط كل الخلائق بالفعل .. والتشريح يقول انها ترتبط بعضها ببعض بصله رحم وقربى

---

(١) القرآن محاوله لفهم عصرى : مصطفى محمود ص ٤٩

(٢) المرجع السابق : ص ٥٢

أما حكايه أن الترقى حدث بالحوافز الحياتيه وحدها وبدون يد هاديه فلم تعد مقنعه . . وسقطت من غربال الفكر المدقق المحقق" [١]

خلاصه الأمر أن الدكتور مصطفى يخالف هذه النظريه فى جزئيه شكليه - - وانا أقول شكليه ليس فى ناحيه العقيده وانما من ناحيه النظريه نفسها - شكليه لأن داروين - حسب قول الدكتور مصطفى زعم أن عوامل التطور هى عوامل داخليه وقال الدكتور أنها بيد هاديه ترشدها [٢] وما عدا هذه الجزئيه فلا أعتراض على هذه النظريه

وبعد هذا العرض الطويل الذى أوردت خلاصته وصل الدكتور مصطفى الى مرحله الصاق هذه النظريه بالقرآن الكريم وهو يدرك أن العبارات والنصوص لا تطاوعه على ما أراد فمهد للأمر بأن قال :- القرآن له أسلوبه المختلف عن كل الأساليب . .
وهو حينما يشير الى مسأله علميه لا يعرضها كما يعرضها اينشتين بالمعادلات ولا كما يعرضها بيولوجى بروايه التفاصيل التشريحيه وانما يقدمها بالاشاره والرمز والمجاز والاستعاره واللمحه الخاطفه والعباره التى تومض فى العقل كبرق خاطف . انه يلقى بكلمه قد يفوت فهمها وتفسيرها على معاصريها . . ولكنه يعلم أن التاريخ والمستقبل سوف يشرح هذه الكلمه ويثبتها تفصيلا" [٣]
ولا شك ان مثل هذا يوحى بأن الدكتور قد عجز عن أن يجد كلمه صريحه أو عباره واضحه أو دلاله بينه على ماذهب اليه فلم يجد بدا من أن يحمل ما فهمه على الاشاره والرمز والمجاز والاستعاره واللمحه الخاطفه . . . وأى

---

(١) المرجع السابق : ص ٥٢

(٢) المرجع السابق : ص ٥٤

(٣) المرجع السابق : ص ٥٥

مانع لمن أراد أن يقول فى القرآن ما يريد أن يقول أنه فهمه بهذه المصطلحات.

ان مثل هذه القضيه فى أهميتها لا تكفى مثل هذه الاشارات والرموز لاقامتها هذا ان سلم له أن فى الآيات رمز واشاره

ولنر بعد هذا ما حسبه رموزا واشارات ، فقد قال فى تفسير قوله تعالى : -" ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكه أسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين"[(١)] قال : -" وفى هذه الآيه يحدد أن خلق الانسان ثم على مراحل زمنيه" خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكه إسجدوا لآدم " والزمن بالمعنى الالهى طويل جدا " وإن يوما عند ربك كألف سنه مما تعدون"[(٢)] . . . فاذا قال الله خلقناكم ثم صورناكم . . ثم اكتملت الصوره بتخليق آدم فقلنا للملائكه اسجدوا لآدم . . معنى هذا أن آدم جاء عبر مراحل من التخليق والتصوير والتسويه استغرقت ملايين السنين بزماننا وأياما بزمن الله الأبدى . . .

" وقد خلقكم أطوارا"[(٣)] ومعناها أنه كانت هناك قبل آدم صور وصنوف من الخلائق جاء هو ذروه لها

" هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا"[(٤)] اشاره الى مرحله بائده من الدهر لم يكن الانسان يساوى فيها شيئا يذكر،

ويقول القرآن عن الله انه هو" الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى"[(٥)] أى انه هدى مسيره التطور حتى بلغت ذروتها فى آدم. . ." ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين "[(٦)] وهى اشاره صريحه بأن الانسان لم

---

(١) سوره الأعراف : الآيه ١١
(٢) سوره الحج : الآيه ٤٧
(٣) سوره نوح الآيه ١٤
(٤) سوره الانسان : الآيه الأولى
(٥) سوره طه الآيه ٥٠
(٦) سوره المؤمنون الآيه ١٢

يخلق من الطين ابتداء . . وانما خلق من سلالات جاءت من الطين هناك مرحله متوسطه بين الانسان والطين . . هى سلالات عديده متلاحقه كانت تمهيدا لظهور نوع الانسان المتفوق . . ثم يحدثنا القرآن عن تخلق الجنين فيحكى لنا أن خلق العظام سابق على خلق العضلات " فخلقنا المضغه عظاما فكسونا العظام لحما"(١) ومعلوم فى علم الأجنه أن نشأه العمود الفقرى سابقه على نشأه العضلات"(٢)

تلكم خلاصه ما قاله الدكتور فى خلق الانسان ، وظاهر أن المؤلف يخلط بين الآيات التى تتحدث عن خلق آدم عليه السلام وبين الآيات التى تتحدث عن خلق الانسان . . كل انسان فالآيه التى استدل بها" وقد خلقكم أطوارا" انما هى من قول نوح عليه السلام يخاطب قومه ويحدثهم عن خلقهم لا عن خلق آدم عليه السلام ويعجب كيف لا يرجون لله وقارا وهو الذى خلقهم اطوارا وكان مقتضى خلقه لهم كذلك ان يوقروه عز وجل فلما لم يفعلوا عاتبهم وهذا هو الذى يدل عليه السياق ، ولا دلاله فى الآيه على أن المراد بالأطوار صنوفا وصورا من الخلائق جاء آدم ذروه لها بل لم يرد ذكر آدم عليه السلام فى هذه الآيات فكيف يرجع الضمير اليه

ونحو هذا تفسيره لقوله تعالى على لسان موسى عليه السلام" قال ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى"(٣) حيث فسرها الدكتور مصطفى بقوله أى أنه هدى مسيره التطور حتى بلغت ذروتها فى آدم ، وهو تفسير غريب فلا علاقه لهذه الآيه بحكايه التطور فى خلق آدم وانما وردت لبيان قدره الله سبحانه وتعالى وحكمته خلقا وتقديرا أو خلقا وهدايه ولهذه الآيه قرائن أخرى كقوله عز وجل " سبح اسم ربك الأعلى الذى خلق فسوى

---

(١) سوره المؤمنون : فى الآيه ١٤
(٢) القرآن محاوله لفهم عصرى : مصطفى محمود ص ٥٨- ٥٩ باختصار
(٣) سورة طه : ٥٠

والذى قدر فهدى" [(١)] وقوله سبحانه " ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين" [(٢)] وقوله سبحانه " إنّا هديناه السبيل إمّا شاكرا وإمّا كفورا " [(٣)] ومع هذا فلا يصح أن يستدل بهذه الآيات على تطور خلق آدم. حتى ولا على سبيل الرمز والاشاره كما يفعل الدكتور .

أما زعمه أن قوله تعالى " ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين" [(٤)] اشاره صريحه بأن الانسان لم يخلق من الطين ابتداء فغير صحيح بل هومخالف لصريح القرآن الكريم قال تعالى " الذى أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين" [(٥)] هذه هى الدلاله الصريحه فى أن خلق الانسان بدأ من الطين اذا فلا يصح للدكتور مصطفى ولا لغيره أن يزعم أن الانسان لم يخلق من الطين ابتداء ، ثم يخطىء مره أخرى حين يقول" وانما خلق من سلالات" الخ والآيه تنص على " من سلاله من طين" فكيف يعدد ما أفرده القرآن

وعلى كل حال فالدكتور مصطفى قد أخطأ مرات فيما ذكرنا وفيما لم نذكر من أقواله فى خلق الانسان ولعله يعود مره أخرى فيستغفر الله ويتوب اليه

هبوط آدم :

ومما يتعلق بخلق آدم عليه السلام ويرد عند الحديث عن خلقه وسجود الملائكه له هبوطه من السماء الى الأرض جزاء معصيته

وقد أستدل بهذا بعض منكرى نظريه التطور المزعومه حين فرقوا بين خلق آدم وسائر المخلوقات فقالوا ان آدم خلق فى السماء ثم عصى فأنزل الى الأرض

---

(١) سوره الأعلى : الآيات ١ -٣
(٢) سوره البلد : الآيات ٨ - ١٠
(٣) سوره الانسان : الآيه ٣
(٤) سورة المؤمنون : الآيــة ١٢
(٥) سوره السجده : الآيتين ٧ - ٨

وكان على من يقول بنظريه التطور أن ينكر خلق آدم فى السماء وهبوطـــــه وكان هـــذا هو ما فعله الدكتور مصطفى حيث أنكر الهبوط فقال : -

" والذين لا يوافقوننا على القول بالتطور يسألون .. ماذا يكون معـــنى الاهباط من الجنه فى النظره التفسيريه الجديده .. ومعنى مشهد اسجاد الملائكـــه

بأن الاهباط ورد فى القرآن بمعنى الانتقال من مكان الى مكـــان دون مغادره الأرض. فى مخاطبه الله لقوم اسرائيل " اهبطوا مصرا فان لكم مـــا سألتم"(١) وكذلك وردت الجنه بمعنى البستان والحديقه على الأرض: " لقد كـان لسبأ فى مسكنهم آيه جنتان عن يمين وشمال"(٢) " وفى الأرض قطع متجـــاورات وجنات من أعنـــاب " (٣) ويكون المعنى المقصود من الاهباط اذن هو الاهباط المعنوى من مقام الرضا الى مقام المعصيه وانه قد تحقق بانتقال آدم عـــن حياه سهله فى البساتين يانعه وافره الخصب والرزق الى مكان جديب وهو على الأرض ما يزال ودونمـا اهباط من سماوات

أما مشهد اسجاد الملائكه فقد حدث هو الآخر على الأرض من قبيـــل التسخير كما سخر الله الجـــن لسليمان على الأرض. أو من قبيل الكشـــف والاطـــلاع على الملكوت كما أطلع نبيه محمدا على الملكوت والمعراج وهـــى معجزات يختص بها الله أنبياءه وكلها دلالات كاشفه على مقام آدم العالـــى عند ربه .. وقد كشف له هذه الأمور كشفا وهو على الأرض لم يزايلها

---

(١) سوره البقره : من الآيه ٦١

(٢) سوره سبأ : من الآيـــه ١٥

(٣) سوره الرعـــد : من الآيـــه ٤

انها الأرض لم يبرحها آدم منذ اختاره الله من أزكى فرع فى شجره الحياه التى أنبتها نباتا من طين الأرض وهداها فى إنتقالها من سلاله الى سلاله الى أن بلغ الذروه المختاره

وتؤيدنا فى ذلك آيات كثيره عن الأرض :- " فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون "(١) " والله أنبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا "(٢) " منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تاره أخرى "(٣)

انها الأرض لم نبرحها والاهباط هو اهباط من الارض الى الأرض "(٤)

وهذه المزاعم الثلاث التى زعمها الدكتور مصطفى

١ - ان الجنه فى الأرض ..

٢ - ان الاهباط هو الاهباط من الأرض الى الأرض ..

٣ - سجود الملائكه حدث على الأرض وهو من قبيل التسخير .....

امور خطيره فيها من الجرأه على النصوص الشرغيه ما يخشى على صاحبه ولهذا ولعظم هذا القول وعظم الحكم عليه أسوق كلام أبن تيميه رحمه الله تعالى حيث قال :-

" والجنه التى أسكنها آدم وزوجته عند سلف الأمه ، وأهل السنه والجماعه هى جنه الخلد ومن قال أنها جنه فى الأرض بأرض الهند أو بأرض جده أو غير ذلك فهو من المتفلسفه والملحدين أو من اخوانهم المتكلمين المبتدعين فان هذا يقوله من يقوله من المتفلسفه والمعتزله.

والكتاب والسنه يرد هذا القول وسلف الأمه وأئمتها متفقون على بطلان هذا القول . قال تعالى (واذ قلنا للملائكه أسجدوا لآدم فسجدوا الا

---

(١) سوره الأعراف : الآيه ٢٥
(٢) سوره نوح : الايتين ١٧ - ١٨
(٣) سوره طه : الآيه ٥٥
(٤) القرآن محاوله لفهم عصري : د / مصطفى محمود ص ٦٨-٦٩

ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين . وقلنا يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة) الى قوله (قلنا اهبطوا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع الى حين) فقد أخبر أنه سبحانه أمرهم بالهبوط وأن بعضهم عدو لبعض ، ثم قال (ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين)

وهذا يبين أنهم لم يكونوا فى الأرض وانما اهبطوا الى الأرض فانهم لو كانوا فى الأرض وانتقلوا الى أرض أخرى كانتقال قوم موسى من أرض الى أرض لكان مستقرهم ومتاعهم الى حين فى الأرض قبل الهبوط وبعده ، وكذلك قال فى الأعراف لما قال ابليس :ـ" أنا خير منه ، خلقتنى من نار وخلقته من طين ، قال : اهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها) . فقوله :ـ" إهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها) يبين اختصاص السماء بالجنة بهذا الحكم فان الضمير فى قوله : (منها) عائد الى معلوم غير مذكور فى اللفظ ـ هذا بخلاف قوله : ـ (اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم) فانه لم يذكر هناك ما أُهبطوا فيه وقال هنا :ـ (اهبطوا) لأن الهبوط يكون من علو الى سفل وعند أرض السراة حيث كان بنو اسرائيل حيال السراة المشرفة على المصر الذى يهبطون اليه .ومن هبط من جبل الى واد قيل له : هبط" الى ان قال ابن تيمية رحمه الله تعالى" وقوله : ـ (ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين قال : اهبطوا) الايتين فقوله هنا بعد قوله: (اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين) يبين أنهم هبطوا الى الأرض من غيرها وقال: (فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون) دليل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك بمكان فيه يحيون وفيه يموتون ومنه يخرجون وانما صاروا اليه لما أهبطوا من الجنة والنصوص فى ذلك كثيره وكذلك كلام السلف والأئمه " (١)

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيميه : جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد جـ٤ ص٣٤٧- ٣٤٩ باختصار

هـذا جواب ابن تيميه رحمه الله تعالى لمنكر الهبوط ولمنكر ان تكون جنه آدم هي جنه الخلد أما جوابه لمن أول سجود الملائكه بغير معناه المتبادر فقال :- " فمن قال انه لم يسجد له جميع الملائكه بل ملائكه الأرض فقد رد القرآن بالكذب والبهتان وهذا القول ونحوه ليس من أقوال المسلمين واليهود والنصارى وانما هو من أقوال الملاحده المتفلسفه الذين يجعلون "الملائكه" قوى النفس الصالحه " والشياطين" قوى النفس الخبيثه ويجعلون سجود الملائكه طاعه القوى للعقل و امتناع الشياطين عصيان القوى الخبيثه للعقل ونحو ذلك من المقالات التي يقولها أصحاب " رسائل اخوان الصفا" وأمثالهم من القرامطه الباطنيه ومن سلك سبيلهم من ضلال المتكلمه والمتعبده وقد يوجد نحو هذه الأقوال في أقوال المفسرين التي لا اسناد لها يعتمد عليه " (١)

وبعد هذا ما قاله الدكتور مصطفى وهذا ما قاله شيخ الاسلام ابن تيميه وحسبك به

حد السارق :

وللدكتور مصطفى في حد السارق ثلاثه مواقف أما أحدها فنشره في احدى المجلات بعد صدور الطبعه الأخيره من كتابه وكأنها أضافه جديده ، وأما ثانيها فحذفه من الطبعه التي بين يدى وأما ثالثها فلا يزال ، لم يرجع عنه

وللبيان فإن أولها زعم إشتهر عن الدكتور مصطفى وان كان قاله قبله كثير من الملحدين والمنحرفين والجاهلين ذلكم هو الزعم بأن اليد لا تقطع لمن يسرق مره واحده فلا بد أن تتكرر منه السرقه حتى يوصف بأنه " السارق"

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيميه : عبد الرحمن بن قاسم جـ٤ ص ٣٤٥-٣٤٦

فيصح حينئذ قطع يده،[1] وهـذا أمر سبق عرضه والرد عليه فلا داعى لاعادته هنا

أما ثانيهما فما ذكره من أنه اذا تاب السارق وقال صادقا تبت ولن أسرق بعد الآن يعطى لولى الأمر مجالا لرفع الحد عنه، لكن الدكتور مصطفى حذف هذا فى الطبعه التى بين يدى لعله بعد أن قرأ ردود أهل العلم عليه .

وثالثها زعمه ان "من سرق - للجوع أو للحاجه لا يصح شرعا اقامه الحد عليه حتى لو كان يسرق عن اصرار وعمد"[2] وهو حين يقول هذا لا يفرق بين مجاعه تعم المسلمين ومجاعه يزعمها كل سارق فيسقط عنه الحد ويكون التشريع به باطلا ؟ ! سبحانك هذا بهتان عظيم .

الجنه والجحيم :

وهذا الموضوع فى كتابه كغيره من المواضيع ملىء بالانحرافات فى التفسير والتأويلات البعيده والمتناقضه والسطحيه بل عد الدكتور من أسباب انصرافه عن القرآن فى شبابه ما قرأه عن أنهار العسل وأنهار الخمر فى الجنه وهو لا يحب العسل ولا يحب الخمر وعد هذا سذاجه (! !) وانسحب حكمه على القرآن ثم على الدين كله والساذج فى واقع الأمر لم يكن الا هو ، كذا قال[3]

وقد ظن خاطئا أن تأويل ما فى الجنه وما فى النار بأنه ضرب مثل ولون من التقريب وألوان من الرمز ثم تخبط فمره يقول ان النعيم والعذاب معنويان لا حسيان ومره عكس هذا ومره معنويان وحسيان ولا تدرى أيها عقيدته

قال : " فماذا يقول القرآن فى الجنه ؟" مثل الجنه التى وعد المتقون فيها

---

(١) انظر مجله صباح الخير العدد ١٠٩٣ فى ١٦ ديسمبر ١٩٧٦م مقال : قطع اليد فى القرآن مصطفى محمود

(٢) القرآن محاوله لفهم عصرى : د / مصطفى محمود ص ٢١٢

(٣) المرجع السابق :ص ٨١

أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذه للشاربين وأنهار من عسل مصفى" (١)

والآيه تبدأ بأنها ضرب مثل " مثل الجنه التي وعد المتقون "وليست ايرادا لأوصاف حرفيه . فهذا أمر مستحيل لأن الجنه والجحيم أمور غيبيه بالنسبه لنا لا يمكن تصويرها في كلمات من قاموسنا . . . . فكل الغايه هي تقريب تلك المعاني المستحيله بقدر الامكان وكل ما جاء عن الجنه والجحيم ما هو الا الوان من ضرب المثال . . وألوان من التقريب وألوان من الرمز" (٢)

ويقول أيضا " الله لا يعذب للعذاب . . وانما يأتي العذاب واحتراق الصدر من احساس من هم في أسافل الدرجات بالغيره والحسد والهوان والخسران الأبدي الذي لا مخرج منه . . . وسوف يحرق هذا الاحساس الصدور كما تحرقها النار وأكثر . . وسوف يكون هو النكال والتنكيل ينكل الواحد منا بنفسه بالدرجه التي وضع نفسه فيها والتي انحدر اليها بأعماله في الدنيا" (٣)

وفي قوله تعالى عن المعذبين في النار " كلما دخلت أمه لعنت أختها حتى اذا إداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون" (٤) قال الدكتور مصطفى" انه حوار ومكالمه في النار يجري بين المعذبين ، وفي مثل نارنا لا يمكن أن يجري حوار بين إثنين يحترقان . . . والمعنى الثاني العميق في الآيه و" لكل ضعف ولكن لا تعلمون" ان أمامنا اثنين (كذا)

---

(١) سوره محمد : الآيه ١٥

(٢) القرآن محاوله لفهم عصري : د / مصطفى محمود ص ٨١-٨٢

(٣) المرجع السابق ص ٨٧-٨٨

(٤) سوره الأعراف : من الآيه ٣٨

يتعذب الواحد منهما ضعف الآخر مع أنهما فى المكان نفسه : ومعنى هذا أن العذاب يكون في الشخص وليس فى المكان ذاته . . . وهذا لا ينفى أن العذاب المذكور حسيا بل أنه من الممكن أن يكون معنويا وحسيا فى نفس الوقت" (١)

لكنه يرجع الى القول بأن العذاب معنوى حين يفسر قوله تعالى "أقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا" (٢) فيقول :- " والحساب هنا يبدو أنه حساب النفس للنفس وتنكيل النفس بالنفس ومواجهه النفس للنفس ، لقد لزم كل واحد عمله كظله ولا خلاص وحق القول . . ونفذ العدل الأزلى" (٣)

ولعل الذى حمله على الاعتقاد بأن العذاب معنوى اعتقاده الآخر فى بعث الأجساد يوم القيامه حيث يقول" وبالمثل ما يروى القرآن عن النار فهى نار لا كما نعرف من نار . . نار تنبت فيها شجره لها ثمر (شجره الزقوم) . . وفيها ماء حميم يشربه أهلها والمعذبون فيها يتكلمون ويتحاورون فأجساد هم لا يمكن أن تكون لها نفس كيمياء الأجساد كما نعلمها والا لتبخرت د خانا فى لحظات ولما استطاعوا أن يتباد لوا كلمه

ومعنى هذا أننا سوف نبعث أجساد ا ولكن لا كالأجساد . . . ربما كيانا ت لها ذات الهيئه والصوره ولكن من ماد ه مختلفه هى بالنسبه لنا غيب . . . . انها لن تكون الأجساد الترابيه التى نتكون منها الآن فى حياتنا الأرضيه . . . ولهذا يمكن أن تتضاعف المتع حسيا ومعنويا بطريقه نجهلها كما تتضاعف د رجات العذاب حسيا ومعنويا عما نعلم " (٤)

ويؤكد هذا رده على حجه لمن ينكر رؤيه الله يوم القيامه فيقول" وهى حجه

---

(١) القرآن محاوله لفهم عصرى : د مصطفى محمود ص ٨٨
(٢) سوره الاسراء : الآيه ١٤
(٣) القرآن محاوله لفهم عصرى : ص ٩٦
(٤) المرجع السابق ص ٨٩

واهيه وتصور مادى دنيوى .. فهم يتصورون أن الروح سوف تبصر بعين ماديه فى الآخره وستكون لها حدقه وأجفان وستظل ملابسه للزمان والمكان المعروف فى الدنيا ... وهو أمر ينكره القرآن (!!) فيقول عن النشأه الأخرى " وننشئكم فيما لا تعلمون"(١) أى انه سوف ينشئنا نشأه مختلفه تماما عن كل ما نعلم ولا غرابه فى أن يكون للروح بصر شامل يدرك اللامحدود وأن ترى الله فى الآخره"(٢)

والحقيقه انك لا تكاد تجد لهذا الرجل قاعده ينطلق منها الحوار فبينما تراه فى أقصى الشرق لا تلبث أن تراه فى أقصى الغرب تراه أمامك مسلما فى أمر فاذا بك ترى قفاه رافضا ثم يلتفت اليك مترددا حائرا يستدل أحيانا بالآيات فى غير مدلولها ويبتر حينا الآيه بترا عن سياقها

ودعونا نأخذ من حديثه السالف الطويل آخره إستدل بقوله تعالى "وننشئكم فيما لا تعلمون" على أن البعث يكون فى نشأه مختلفه عن أجسادنا فى الدنيا !!

ولنقرأ الآيه كامله" نحن خلقناكم فلولا تصدقون ، أفرءيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فى ما لا تعلمون ولقد علمتم النشأه الأولى فلولا تذكرون"(١)

فهذه الآيات رد على منكرى البعث بأنه قدر عليهم الموت وأنه قادر على أن يأتى بآخرين من جنسهم بعد مهلكهم وأن يخلقهم هم فى صور أخرى غير الصور التى كذبوا بالبعث وهم عليها صورا وأشكالا أخرى . قال الأستاذ أحمد محمد جمال"أى ينشئهم خلقا آخر قرده مثلا ـ أو خنازير أو أى صنف من أصناف مخلوقاته .. فهو تبارك وتعالى - يهدد المنكرين للبعث بأنه

---

(١) سوره الواقعه : الآيات ٥٧ - ٦٢
(٢) محاوله لفهم عصرى للقرآن : د مصطفى محمود ص ١٣٧

قادر على تبديل خلقتهم الانسانيه وانشائهم فى خلقه أخرى ويذكرهم بالخلقه الأولى .. خلقتهم الطين أوخلقتهم من ماء مهين والذى بدأ الخلق يعيده من غير شك" (١)

وقال القاسمى" قال الشهاب والظاهر أن قوله (وننشئكم) المراد به اذا بدلناكم بغيركم ، لا فى الدار الآخرهكما توهم وهذا كقوله تعالى " ان يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين" (٢) " (٣)

تفسيره الباطنى :

ومع أن الدكتور مصطفى يحذر من التفسير الباطنى ويذمه ويذكر أمثله من تفسير ميرزا حسين على الذى لقب نفسه "ببهاء الله" (٤) الا أنه مع هذا يفسر القرآن أحيانا تفسيرا باطنيا

فقال مثلا فى تفسير قوله تعالى مخاطبا نبيه موسى عليه السلام" انى أنا ربك فأخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى" (٥) قال الدكتور" يقول الله لموسى : فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى" فلا يمكن الوقوف فى حضرة الله الا بخلع النفس والجسد وخلع شواغل النفس وشواغل الجسد كشرط للوصول" ؟! (٦)

وهو حين يقول هذا لا يجهل أنه تفسير باطنى لبعض الصوفيه حيث كرر هذا التفسير فى موضع آخر ودافع عنه فقال : -" وفى هذا يفسر بعض المتصوفه كلام الله لموسى فى القرآن :-" فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى" ان المقصود بالنعلين هما النفس والجسد .. هوى النفس وملذات الجسد ..

---

(١) على مائده القرآن مع المفسرين والكتاب: احمد محمد جمال ص٤٧١
(٢) سوره النساء : الآيه ١٣٣
(٣) محاسن التأويل : تفسير القاسمى جـ١٦ ص ٥٦٥٥
(٤) القرآن محاوله لفهم عصرى : ص ١٥٤ - ١٥٦
(٥) سوره طه : الآيه ١٢
(٦) القرآن محاوله لفهم عصرى : ص ١٠٨

فلا لقاء بالله الا بعد أن يخلع الانسان النعلين : نفسه وجسده بالموت أو بالزهد والله يصورها كنعلين لأنهما القدمان اللتان تخوض بهما الروح فى عالم الماده وعن طريقهما نزلت من سماواتها الى الأرض.

وقد يعترض معترض قائلا . . وما الضروره لصرف اللفظين عن معناها الظاهر والواقع أن هناك ضروره . . فالحضره الربانيه لا يكفى لدخولها خلع نعلين . . وانما التجرد الكامل هو شرطها دائما وهو أقل ما يليق بالحضره الجلاليه . . . ولا يتم التجرد الا بخلع شواغل النفس والجسد . . فالمعنى هنا وارد والتأويل له ضروره (! !) وهو لا يناقض المدلول الظاهر للألفاظ (! !) ولهذا يبادر المتصوف بأن يخلع النعلين ليخطو أول خطوه فى الوادى المقدس" (١)

ونحمد الله أن الدكتور لم يستند فيما قال الى كتاب ولا الى سنه ولا الى لغه ولا الى قول سلف وانما الى قول المتصوفه وفعل المتصوفه فأراحنا من عناء الرد عليه .

ومن تفسيره الباطنى أيضا تفسيره للشجره التى أكل منها آدم عليه السلام فى الجنه بأنها التلاقح الجنسى (! !) وأنها رمز للجنس والموت حيث قال " وأنا أرى أنها رمز للجنس والموت الذين تلازما فى قصه البيولوجيا حينما أخذت الكائنات الحيه بطريقه التلاقح الجنسى لتتكاثر فكتبت على نفسها طارئ الموت ولم تكن الكائنات قبل ذلك تموت بل تتجدد وتعود الى الشباب بالأنقسام الذاتى . كان التلاقح الجنسى هو الشجره المحرمه التى أكلت منها الحياه فهوت من الخلود الى العدم " (٢)

ومعلوم أن هذا التفسير صرف للفظ عن ظاهره من غير دليل فهو تفسير باطنى

---

(١) المرجع السابق : ص ١٣٥ - ١٣٦

(٢) المرجع السابق : ص ٦٦

ومن تفسيره الباطنى تفسيره لهبوط آدم وحواء عليهما السلام الى الأرض بعد أن ذاقا الشجره بأن " المقصود من الاهباط اذن هو الاهباط المعنوى من مقام الرضا الى مقام المعصيه " (١)

هذه أمثله من تفسيره الباطنى الذى أنكره ووقع فيه فى مواطن كثيره من كتابه هذا .

صفات الله :

والمؤلف يقع كثيرا فى أسر الرغبه فى التعبير المتحرر الذى لا يلتزم صاحبه العقيده الصحيحه فى جنب الله ولم تهذب عبارته مجالى الدراسات الاسلاميه ولا يعرف الالتزام الذى يقتضيه مقام الحديث عن الله عز شأنه فيورد عبارات وأوصافا بقدر ما تبتعد عن العقيده معنى تلتصق بالعصريه لفظا فقد غلب عليه الحرص على التجديد فى العبارات والصفات غلبة ابعدته عن المنهج الحق .

لن أسترسل فى هذا من غير أن أعلق بحديثى مثالا يجلو غامضه بل أمثلة أولها قول الدكتور عن الله عز شأنه :ـ " والله هو العقل الكلى المحيط " (٢) ولا يخفى على أحد أن هذا وصف لم يصف الله به نفسه ولم يصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم فمن أين جاء به أيا كان مصدره من سواهما فمردود لأن عقيدة السلف أن لا يصفوا الله سبحانه وتعالى الا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لأنه من الغيب وهما مصدر المؤمنين فى معرفه الغيب وجلائه

ومثالا آخر يشبه ادراك النمله لسليمان عليه السلام بادراك سليمان عليه السلام لله سبحانه وتعالى فيقول " وادراك نملة لسليمان أمر ممكن مثل

---

(١) المرجع السابق : ص ٦٨

(٢) المرجع السابق : ص ١١٠

ادراك سليمان للـــه" (١)

ومثالا ثالثا يقول" ومن التسابيح السنسكريتيـةأن يتلو اليوجى فـــى خشوع كلمه " رهيم. . رهام" آلاف المرات (! !) وهى كلمات تقابـــل . . . . . رحيم . . . . رحمن . . عندنـا وهى مـــن أسمـــاء الله بالسنسكريتيه" ؟ (٢) ! ،

ومثالا رابعـا وهو يرد على ميرزا حسين علي الذى أدعى النبـــوه من غير معجزه فيقول " انها إختلاقات النبى الذى أراد أن يدخل منتدى الأنبياء بلا مؤهلات. . ويتسلل إلى مائده الخالديـن دون أن يمتحـن . . . فأنكر المعجزه والغيب حتى لا يطالبه أحد بأوراق اعتماده فى السفـــاره الالـهيه التى أدعاهـا" (٣) وهو بهذه العباره أيا كان قصده جاء بما هـــو ممجـــوج

وبمناسبه الحديث عن الممجـوج من حديثه الذى حشا به كتابه سخريتـه من الذى يدعو ربه أن يرزقه مئه جنيـهويرشده الى الطريقه التى يحـل بها مشكلته فقال" أما الذى يقول . . ياربّأرزقنى مائةّ جنيه. . فهو رجل يمزح مزاحا سخيفـا . . فهذه أمور يمكن أن يسعى اليها بأسبابها الدنيويـــه المعروفه وليس طريقها التصـوف؟ ! . . . وكشك سجاير على ناصيه عماد الدين يحـل المشكلـــه" (٤)

وملاحظه هامه أنه فى تفسيره يذكر الله عز وجل ويذكر أنبيائه عليهـــم الصـلاه والسـلام فلا يسبح الله ولا يصلى على أنبيائه وليس هكذا أدبنـا الاســــلام .

---

(١) المرجع السابق : ص ١٦٦
(٢) المرجع السابق : ص ١٣٤
(٣) المرجع السابق : ص ١٥٥
(٤) المرجع السابق : ص ١٣٨

تصوفــــه :

وقد أخذ الدكتور من خرافات الصوفية نصيبا وافرا فمن اعتقادات بعض الصوفية أن التوجه الى اللـه بالدعاء هو مشاركة لله فى ارادته وانه طلـب لما لم يرد اللـه أن يفعله ويشيد الدكتور فى كتابه هذا ويثنى كثيرا علـى هؤلاء الصوفيه فيصف عملهم هذا بالتجرد وبالأدب ؟! فيقـول " والمتصوف متجرد .. وهو قد نفى المطلب الدنيوى من باله لانه يريـد مطلبا أعظم والمتصوف متأدب .. وهو يمرض فلا يسأل اللـه الشفاء حيـاءا وأدبا ويقول .. كيف أجعل لنفسى ارادة الى جانب ارادة اللـه .. فأسأله ما لم يفعل .. وأنا الذى لا أعلم ما ينفعنى مما يضرنى .. كيف يعـترض الذى لا يعلم على الذى يعلم .. ومن يدرينى أن مرضى وآلامى ليسـت الوسيله الى خلاصي .. وهذه مبالغة غير مطلوبه من المسلم .. فاللـه يحب منا أن نسأله ولكن الصوفي من باب الخوف والأدب لا يطلب من اللـه الا ما يطلبه اللـه منه فيقول كما قال النبى ابراهيم : " رب اجعلنى مقيم الصلاة "[1] فهو يجعل من ارادة اللـه ارادته الخاصة ومسعاه .. حبـا واحتراما لخالقه والحب هدف المتصوف الاسمى .

ليس لى فى الجنان والنار حظ .·. أنا لا أبتغى بحبى بديـلا

والتناقض ظاهر فى حديث الدكتور فمع أنه يصفه بأنه " مبالغة غـير مطلوبه من المسلم " الا أنه يثنى على الصوفيه ويمجد طريقهم هذا فكيف يثنى على ما هو " غير مطلوب من المسلم " .

وتناقض آخر حيث يعترف أن " اللـه يحب منا أن نسأله " فكيف يكـون الأدب والحياء فى ترك ما يحب اللـه أن نفعله بل اذا كان اللـه يحـب أ ن

---

(١) سورة ابراهيم : من الآيه ٤٠
(٢) القرآن محاولة لفهم عصرى : د مصطفى محمود ص ١٣٨

نسأله فهو يريد أن نسأله لأنه سبحانه لا يحب مالا يريد فاذا كانت ارادة الله أن نسأله فكيف يكون الأدب فى ارادة غيرارادة الله ؟! هذا اذا أردنا الجواب حسب منطقه أما اذا أردنا الدليل الحق فكتاب الله وسنته مليئة بالأمر بالدعاء وأنه مخ العباده ؟! فهل يتأدبون مع الله .

وكثيرا ما يشيد ويثنى على الصوفيه فيصفهم بأنهم أهل الحضرة وأن علمهم لدنى .. من لدن الله وليسوا كالفقهاء علمهم علم نقلى من الكتب وانهم أهل السر والقرب والشهود وانهم الأولياء الصالحون حقا وانهم الاتقياء الاخفياء [(١)] وأثنى عليهم فى فصل " أسماء الله " ثناء كبيرا وعد الوصول الى أرقى درجاتهم أشق من الصعود الى القمر .

ورد عليه في هذا الأستاذ أحمد محمد جمال بقوله " انهم هم السخفاء حقا .. لانهم يزعمون لأنفسهم أنهم أنبياء يتلقون علمهم اللدنى من الله مباشرة وأنهم لا يحتاجون الى القرآن وأحاديث الرسول صلى الله الله عليه وسلم اللذين فيهما علم العقيده وعلم الشريعه ألا أنهم . هم الجهلاء والسفهاء .. ولكن لا يشعرون " [(٢)]

والذى يظهر لي أن الدكتور مصطفى وهو في طريق أوبته وتوبته لا يزال متأرجحا يمنه ويسره يبحث عن المكان الذى يستقر فيه ولذا برزت ظاهرة في تفسيره أكدها كل من كتب عنه فيما قرأت ظاهرة التناقض ولو عدت لما كتبت عنه فى الصفحات السابقه لوجدت بعضا منها وان دل هذا على شيء فانه يدل على أن فكره لا يزال يبحث عن الحقيقه التى فقدها فيحسبها حينا هناك فيقررها ويحسبها حينا هناك فيقررها وقد يكون مخطئا فى

---

(١) انظر مثلا الصفحات ١٣٨ - ١٤١

(٢) على مائدة القرآن مع المفسرين والكتاب : أحمد محمد جمال ص ٤٧٥

الحالتين فعليه ان أراد كتابة جاده أن يعيد النظر فيما كتب ويستقر على رأى فيما تناقض فيه ولا ينسى ما قرره فى موضع عند خوضه غمار قضية أخرى .

وبعد

ليس ما ذكرت هو كل مواضع انحرافه وليس ما ذكرت هو أهمها ففيما لم أذكر أكثر وأخطر مما ذكرت وانما صرفني عن بيانه أني قد كفيت ذلك فان كان عند الدكتور رغبه فى الحق فقد بينه غيرى ممن هو أرفع منى درجة وأعلى مقاما ولا أظنه الا كذلك ان شاء الله يؤيد هذا رجوعه عن كثير من آرائه فى الطبعات الأولى .

وهو في غير تخصصه ـ رجل مثقف [1] بمدلولها الحديث وهوالرجل الذى أخذ من كل علم بطرف لكن هل هذا بهذه الصفه يصلح لتفسير القرآن الكريم ؟! لندع أمر التفسير . رجل كمثله تخصص فى الأمراض الصدريه هل يحق له أن يعالج أمراض العين والأسنان والعظام وو الخ فضلا عن أن يكون مهندسا للطرق أو الانشاءات أو خبيرا زراعيا أو عالما في طبقات الأرض أو طيارا . . الخ ان مثل هذا لو فعل ذلك سيجنى فى عمله جناية كبيره سيفسد العين والأسنان ويتلف الزرع والثمار وسيعتبر دخيلا فى مهنته وسيلومه الناس صغيرهم وكبيرهم عالمهم وجاهلهم ان لم توضع فى كفيه القيود ويدخل السجون .

وليعلم هذا وغيره أن أمر تفسير القرآن الكريم أخطر من كل هذه الأمور على صاحبه وعلى المجتمع ، أما اولئك الذين يزعمون أن تفسير القرآن الكريم والحديث عن الدين أمر مشاع للمسلمين كافة فهم مخطئون أو جاهلون

---

(١) قال بن منظور فى لسان العرب جـ ٩ ص ١٩ رجل ثَقْفٌ وثَقِفٌ وثَقُفٌ : حاذق فهم .

ونحن نقول أن الدين ليس حكرا على أحد وأن تفسيره ليس مباحا لكل أحد ليس الدين حكرا على أحد فلا يجوز أن نمنع أحدا من الدخول فيه بل يلزمنا الاعتراف باسلامه متى أعلن ذلك ما لم يأت بأمر مخرج من الدين. أما الذين لهم حق تفسير القرآن فهم الذين توفرت فيهم شروط المفسر وآدابه فاذا ما توفرت فيهم هذه جاز لهم تفسير القرآن الكريم . أما قبل ذلك فلا وكان حقا ان يعاملوا كادعياء الطب .. الخ بل أشد .

ونحن لا ننكر أن الدكتور مصطفى حريص على صوغ المفاهيم الاسلامية فى عبارات ومعان حديثه تقرب الى الأذهان لكن هذا الهدف لا يبرر له خوض غمار التفسير من غير سلاح تماما كالشخص الجاهل في الطب الذى ترتعد جوانبه اشفاقا وعطفا على المريض فيصف له دواءا هو أجهل الناس به فليست شفقته ونصحه بمبرركاف لوصف الدواء والعلاج .

أما اسلوب العصر والعصرية الحديثة فقد جنت على الأمه الاسلامية جناية كبيره فقد اتخذها دثارا كل من أراد أن يغيّر فى الدين ويدخل فيه ماليس منه !! فقطع يد السارق وتعدد الزوجات والربا ورجم الزانى المحصن وجلد شارب الخمر...الخ كلها أمور لا تناسب العصر الحديث فلتغير ولتبدل فلا تقطع يد السارق حتى تتعدد سرقاته ويقيد تعدد الزوجات بشروط ثقيله لا يستطيعها أحد بل ليختصر الأمر فيمنع التعدد أما الربا فالمراد به الربا الفاحش ؟! أما رجم الزانى المحصن فلم يرد فى الكتاب ؟! كلها أمور بزعمهم تتنافى مع العصر الحديث .. وبهذا يكون هذا الأسلوب مطية يركبها الناصح الجاهل والملحد الخبيث وهو أمر مازالت الأمة الاسلامية تعانى منه وقد صرحت بهذا المستشرقه الأمريكيه مريم جميله حيث قالت :- " ان البلاد الاسلامية قد وقعت فريسه مصطلحات خاطئة ومنها مصطلح العصرية وقد جنى هذا المصطلح على الاسلام جناية كبرى " (١)

(١) شطحات مصطفى محمود فى تفسيراته العصرية للقرآن الكريم : عبد المتعال الجبرى ص ١

أولئك الذين يبدون تعاطفهم مع الدكتور مصطفى محمود ويمسون عباراته مسا خفيفا وهم يعتقدون أن توبة مصطفى من الالحاد الى الايمان كافيه لالتماس كل عذر له في انحرافاته وتأويلاته الباطله وما هكذا تورد الابل يا سعد أما توبته فليس تفضلا منه علينا فهي له في الدنيا والآخرة وله مناحق الدعوه الصالحه وحق الأخوه الاسلامية بأن يثبتنا واياه على الصراط المستقيم حتى نلقاه . وأما أن تكون توبته هذه مبررا للتجاوز عن انحرافاته فأمر مرفوض مرفوض .

مرفوض لأن صاحبه مازال لم تتروض عباراته فى ميدان الفكر الاسلامى ولم تنصهر ألفاظه فى بوتقة العقيدة الاسلامية ولم تنجل عقائده فى مجالى الاسلام ، فلا زال يستعمل عبارات والفاظ يحسب المسلم لها ألف حساب قبل أن يتفوه بها . ولئن كنا ندعوا الله أن يغفر له فان هذا لا يعفيه من الخطأ ولا يعفينا من التنبيه .

ومرفوض لأن صاحبه لا يزال يجهل كثيرا من أحكام الاسلام وعقائده التى تدور لتقريرها آيات القرآن الكريم فيبعد فهمه حينا .

ومرفوض لأن صاحبه يجهل العلوم الواجب توفرها فى المفسر فلا يعرف أسباب النزول ولا أول ما نزل وآخره ولا الناسخ والمنسوخ ولا المحكم والمتشابه ولا ماورد تفسيره بالسنه ولا . . ولا . . .

ومرفوض لأن صاحبه لا يعرف قواعد اللغه العربية ولا مدلولات ألفاظها اللهم الا ما يعرفه العامه في اللغه من المدلولات السائره فى أحاديثهم ومنتدياتهم أما خصائص الأساليب التي يدرك بها الفرق بين عبارة وأخرى وغير ذلك من خصائص اللغه فلا يعرفها .

وبالجملة مرفوض لأن صاحبه حتى الآن لا تتوفر فيه شروط المفسر ولا آدابه فاذا ماالتزمها فان الحق له كل الحق في أن يفسر القرآن مادام تفسيره يقوم على الاسس والقواعد ، أما والحالة هذه فلا وألف لا .

وانى أوجه له ولامثاله النصح من قلب خالص صادق ان يدع تفسير القرآن الكريم لاهله وان يتناول اذا أراد المشاركه ما قرره أولئك الاعلام فى التفسير بالشرح والبسط وبأسلوبه الخاص فى مخاطبة الطبقة العامة وأن لا يبتدئه ابتداءا فبهذا يكون له شرف المشاركه فى ميدان الدعوة ان شاء الله وكفى به من شرف لايدانيه شرف الشهره ولا شرف المادة ان كان فيهما من شرف .

وأهمس فى أذنه وأذن غيره ممن يتناولون آيات القرآن الكريم بالتفسير بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم " من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار" (١) وكفى به وعيدا لمن القى السمع وهو شهيد والله أعلم .

هذا ما أردت قوله عن منهج القاصرين فى التفسير وهم وان كان فيهم المغرض فان فيهم ذا النية الصالحة الصادقة لكنه أخطأ الطريق فليعد هؤلاء الى الحق وليعلموا أن من قال فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ ونسأل الله لنا ولهم السلامه .

---

(١) رواه الامام أحمد فى مسنده جـ ١ ص ٢٣٣ ورواه الترمذى فى سننه جـ ٥ ص ١٩٩ كتاب تفسير القرآن وقال " حديث حسن صحيح"

الباب الخامس

الاتجاهات المنحرفة

الفصل الثالث

اللون اللامنهجي في التفسير

نحمد اللــه بادىء ذى بـدء أن أصحاب هـذا اللـون من التفسـير أقـــل من القلــه ، وما كنت لأعرض لـهؤلاء لولا أنى حرصت على استقصاء اتجـاهات التفسير وألوانه فى العصــر الحديــث

والذى لا أدريه حقا ومازال يحيرنى ويلح فى طلب الجواب هل هؤلاء أصحاب هذا اللون من التفسير مجانين حقا ؟! أم أنهم عقلاء كتبوا كمـــا يكتب أولئك ، واذا كان الأمــر كذلك فلماذا فعلوا هذا ؟ وهل يعتقد أحد منهـــم ـ حقـا ـ أن تفسيره هذا سيــلاقى القبول ولو من شخـص واحـــد واذا كان الجواب ابالنفــى فلماذا كتب؟! هذه الاسئلــه وغيرها تـــترى على ذهنى من غير أن أجد لها جوابـــا

أحب هنا أن أذكر مثالا واحدا لا أزيد عليه من تفاسيرهم ولا أود ـ أيضـــا ـ أن أذكر أكثر من مثال واحد لموء لفاتهـــم

أما المثال من التفسير فتفسير حديث لسورة الاخلاص نشر فى جريــــده السياسه الكويتيـــه رد عليه مجلس المجمـع الفقهى الاسلامى فى دورتـــه السادســه ووصف هذا التفسير بأنه لا يدل على شىء سوى الاختلاط العقلــى ويرى أنه من المختلين عقليا وأنه هذيان لا يبلغـه هذيان المحمومين وأنـــه عبث بآيات اللـه فى كتابــه

وما على أن أستطرد وقرار المجمع بين يدى فيه عرض للتفســــــير والجـواب الكافى فلأنقله بحذافيره ففيه الغناء :ـ

"الحمد لله وحده والصلاه والسلام على من لا نبى بعده سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا . أما بعد : فان مجلس المجمع الفقهـــى الاسلامى فى دورته السادسه المنعقده بمقر الأمانه العامه لرابطه العالـــم الاسلامى بمكه المكرمه فى الفتره ما بين ٩-١٦/٤/١٤٠٣ الموافـــــق ٢٣-٣٠/١/١٩٨٣ قد أطلع فى جلسته الثانيه صباح يوم الأثنـــــين

ذى ١٤٠٣/٤/١٠ على ما نشرته جريده السياسه الكويتيه فى عدد هـذا الرقم (٤٧٧٦) الصادر يوم الخميس ١٧ ذى الحجه١٤٠١ الموافق ١٩٨١/١٠/١٥م من كلام غريب مستنكر تحت عنوان بارز خداع جاء فيه (معنى التوحيد : تفسير منطوق لسوره الاخلاص وترجمتهاالانجليزيه) موقع باسم شخص سمى :- (محمد أحمد الشمالى) يجترىء فيه على التلاعب بمعانى القرآن العظيم ويأتى فيه بلون عجيب من الخلط والأوهام والجهل والتصورات الخياليه المتفككه والملتبكه لا تدل على شىء سوى الاختلاط العقلى . ويعلن على المسلمين أنه تفسير لسوره الاخلاص!!

وقد أستهل هذا المفسر الجديد تفسيره هذا لسوره الاخلاص بقوله : "قل : خبر مقدم بمعنى فرد لا أحد له فيقال مثلا : رجل قل!!))"هو ضمير مبتدأ موءخر خبره (قل) وهو أيضا فى مقام مفعول به للجمله الفعليه التى تليه!! الله أحد : أى أن الله أَحَّدَه بمعنى جعله واحدا أو بمعنى جعله حدا ، أو بمعنى جعله حادا!!

وهكذا يسير هذا الرجل المختلط فى تفسير بقيه آيات سوره الاخلاص الى أن يقول . ولم يكن له كفوا أحد ، (ما كان لهذا الشخص أكفاء فى الماضى ولكن هذا لا يمنع ظهور أكفاء له فيما بعد والا لتعذر عليه ذاته الظهور ثانيه على وجه الأرض بعد المره الأولى ، وانقطعت رسله)!!

هذا ويرى المجمع الفقهى انه ليس مستغربا أن يوجد فى المختلين عقليا من يتصور نفسه عالما محققا متعمقا ، أو فيلسوفا مدققا فهذا مرض من الأمراض، ولكن الغريب كل الغريب أن تنشرصحيفه عربيه مشهوره فى بلد عربى اسلامى مثل هذا الهذيان الذى لا يبلغه هذيان المحمومين تحت عنوان بارز بأن هذا هو معنى التوحيد المستفاد من سوره الاخلاص تلك السوره القصيره العظيمه التى عبرت عن حقيقه التوحيد

بكلمات قليله محكمه كانت وستبقى على مدى الحياه أعظم من الجبال الشامخات بلاغه ورسوخا وتحديا لعواطف الأفكار الزائغه والتيارات الزائفه والشرك والالحاد اللذين هما ضلال وانحطاط فى بعض العقول البشريه بعوامل مختلفه

فاذا كان ذلك الهذيان تفسيرا منطوقا لسوره الاخلاص العظيمه فماذا ترك صاحبه للفرق الباطنيه الهدامه التى تتلاعب بآيات الله فى كتابه العربى المبين كما تشاء لها غاياتها الخبيثه ضلا لا وتضليلا ؟

فمثل هذا العمل هو اجرام وعبث بآيات الله ، ورده عن الاسلام ، فكيف يسوغ لصحيفه عربيه صاحبها ينتسب للاسلام فى بلد اسلامى أن تجعل من صفحاتها منبرا لأمثال ذلك؟ وكيف تنجو هى والكاتب المستهزىء بآيات القرآن العظيم من المسؤوليه التى تقتضيها نصوص الدساتير وقوانين العقوبات والمطبوعات فى بلدها وسائر البلاد العربيه .؟

ولذلك ولخطوره هذا السلوك غير المسؤول فى الصحافه والنشر فيما يجترأ به على العقائد والمقدسات الاسلاميه

قرر مجلس المجمع الفقهى لفت أنظار المسؤولين الذين تقع على عاتق سلطاتهم حمايه جميع تلك المقدسات من العبث بها واحالة هذا القرار الى الأمانه العامه لرابطه العالم الاسلامى لتقوم بارساله الى المسؤولين فى دوله الكويت وسواها ليقوموا بواجبهم فيما يوجبه عليهم دينهم وحقوق شعوبهم عليهم نحو كتاب ربهم وسنه رسولهم صلى الله عليه وسلم من صيانه حرماته وحمايتها من أن تكون ألعوبه فى يد من يشأ تضليل الأفكار وتزبيغ الناشئه بسوء استعمال حريه النشر ، والله ولى التوفيق وصلى الله على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم " (١)

---

(١) جريده المدينه المنوره العدد ٦٠٨٨ فى ٢٣ صفر ١٤٠٤

أما مثال مؤلفاتهم فى التفسير فنضرب له مثلا برساله سماها صاحبها " رساله الفتح " وهذا أوان الحديث عنها :

رساله الفتح

أولا المؤلف :

يدعى صاحب هذه الرساله عبد الرحمن فراج

ولم أجد له والحمد لله من ذكر فيما قرأت ، بل ان الرساله نفسها لم يكتب عنها الا الشيخ الفاضل مصطفى محمد الحديدى الطير فى كتابه " اتجاه التفسير فى العصر الحديث منذ عهد الامام محمد عبده الى مشروع التفسير الوسيط " ولم يذكرله اسما وعرض له فى بحث عنوانه " الأزهر وعنايته بقدسية القرآن وتيسير تفسيره" ألقاه فى المؤتمر التاسع لمجمع البحوث الاسلاميه ونشر فى مجله الأزهر فى الجزء العاشر السنه الخامسه والخمسون ولم يذكر فيه أيضا اسم المؤلف

وقد زودني جزاه الله خيرا بصوره من تقرير أعضاء لجنه فحص الكتاب من مجمع البحوث الاسلاميه ومنه أخذت إسم المؤلف.

وانما ذكرت اسمه لأن ذكره لن يزيده شهره ولن يرفع من مقامه بل سيظهر للناس مكانه ومكان تفسيره .

ثانيا : الكتاب : رساله الفتح

وتقع هذه الرساله فى ٤١٦ صفحه وطبعت بمطبعه (سعدى وشندى) بسوق شريف عابدين وتناول المؤلف فيها تفسير نحو ٣٠٠ آيه من القرآن الكريم وطبعت سنه ١٩٦٩ تقريبا

والذى يلفت النظر أن صاحبها يوزعها مجانا كأن هناك من يقف خلفه ويدفعه فى هذا الطريق .

ولم أستطع بعد جهد الحصول على نسخه من هذه الرساله وانما حصلت على صوره من تقرير أعضاء لجنه فحص هذه الرساله والتى شكلها رئيس لجنه القرآن والحديث فى مجمع البحوث الاسلاميه ومن أعضائها الشيخ الفاضل مصطفى محمد الحديدى الطير ، الذى كتب عنها أيضا فى كتابه وفى مجله الأزهر كما أشرت آنفا .

وحتما سيكون اعتمادى بعد الله على هذه المصادر الثلاثه وهى فى الحقيقه تكاد تكون مصدر واحد لوحده كاتبها جميعا وهو الشيخ مصطفى الطير جزاه الله خيرا

أمثله من التفسير فى هذه الرساله :

وهى ملأى بالتفاسير الغريبه والآراء العجيبه التى لم يسبق اليها ولم تخطر ببال أحد من قبله ، وانكاره لما هو معلوم بالضروره من الدين والتاريخ واللغه

وقد مهد لما جاء به بزعم يبطل به كل الأسس التى سلكها من قبله حتى يصبح له الجو خاليا فيقول ما يريد أن يقول زعم : " أن عصابه الماسونيه التى ظهرت بعد الجيل الثالث من صدر الاسلام تعاهدوا فى الخفاء على تحريف معانى القرآن التى أرادوا تحريفها ، بعد فشلهم فى تحريف ألفاظه ، واتخذوا لها معنى يخرجها عن مواضعها ثم فسروا القرآن بالتفسيرات التى ظهرت بعد الجيل الثالث (عصر التدوين والتأليف) أيام خلافه العباسيين كما حرفوا ألفاظ شعر الحضر ود ونوا ، أحاديث مكذوبه ، وقاموا بخلق مصنفات ملفقه فى اللغه نسبت الى أصحابها زورا ، كالصحاح والقاموس واللسان واستقام لسان العرب على هذا التحريف الذى حصل فى الخفاء ولم يشعروا به "(١)

---

(١) اتجاهات التفسير فى العصر الحديث : مصطفى محمد الحديدى الطير ص ١٢٢ وتقرير اللجنه ص ١ عن رساله الفتح ص ٥٨ ، ٥٩ ، ١٠٥

ومعذره ان لم أرد عليه فلست أكتب هذه الدراسه لمن يحتاج الى معرفه الحق فى هذه الأمور من فاقدى العقل والفكر، ومن عداهم ممن أوتى أدنى حظ منهما لا يغيب عنه الحق فى هذا . ولذا فإنى سأورد النصوص مجرده من التعليق

تأويل رؤيا الملك سبع بقرات سمان :

قال تعالى " وقال الملك إنى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأُخر يابسات "(١)

فقال هذا فى تفسيرها : ـ" معنى بقره : ـ طائر وفى موضع آخر يقول " بقره :ـ واضحه " وقال :"فقد رأى العزيز فى المنام سبع طيور سمان يأكلهن سبع عجاف والتى سماها المحرفون بقره واستقام لسان العرب على المعنى المحرف بعد الجيل الثالث الاسلامى تلك الماشيه اسمها (المها) والمها لا تأكل المها أما الطير فبعضه يأكل الطير" ثم قال"ان لسان العرب تداول المعانى المحرفه حتى نسبت الى لغه العرب ودونت فى كتب فقه اللغه مثل كتاب الصحاح لمن سموه بـ الجوهرى ومثل كتاب لسان العرب لمن سموه بابن منظور"(٢)

وفى موضع آخر فسر البقره بالدجاجه و ـ لا تضحكوا مما تقرأون فان مجال التفسير غير مجال أحاديث السمر فشأنه أن أصاب صاحبه قبل والا سئل لصاحبه السلامه والهدايه ، قال فى تفسير قوله تعالى " ان الله يأمركم أن تذبحوا بقره" الآيه(٣) :ـ" بقره : أى دجاجه (لا فارض)

---

(١) سوره يوسف: من الآيه ٤٣
(٢) اتجاهات التفسير ص ١٢٤ وتقرير اللجنه ص٣ عن رساله الفتح ص١٠

(٣) سوره البقره : من الآيه ٦٧

لم ينقطع منها البيض (عوان بين ذلك) وسط بين الصغيره والمسنه تبيض البيض (صفراء فاقع لونها تسر الناظرين) صفراء أسم الطائر المسمى بالأوز والبط ومعنى (صفراء) تحدث مكاء : صفيرا ذا صوت " (فاقع لونها تسر الناظرين) أبيض ناصع ينشغل خاطر من ينظر اليها لصفاء لونها (لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسلمه لا شيه فيها) تلك صفه الغراب فالغراب (بقره) ليستبذلول (مسلمه) يحجل اذا سار" ثم قال" واصطاد كل اسرائيلى غرابا وقام بذبحه وقالوا لموسى عند ما سمعوا أمر المولى بذبح الغراب (الآن جئت بالحق)"(١)

والفجر وليال عشر:

وقال فى تفسير سوره الفجر" الواو فى (والفجر) واو العطف والمعطوف عليه قوله تعالى (عالم الغيب والشهاده) من سورةالحشر(١.١.١.) والمولى لا يحلف لمخلوقاته التى خلقها ، والحلف لا يصدر الا من ضعيف لقوى ومحال أن يحلف المولى وهو القوى العزيز ولا معنى للحلف بالفجر . . وكان القارىء للقرآن فى أجيال صدر الاسلام يقرأ قوله تعالى (عالم الغيب والشهاده) ثم يتلو الآيات التى تسبقها الواو التى بدأت بها السور القصار" ثم قال :- (والفجر) فجر الدم من الشرايين ، والأشعه بتفجير الذره (وليال عشر) أولى ليالى التحنيط (١.١.) (والشفع) شفع الليالى العشر عشرون ليله (الوتر) مثل الليالى العشر عشر ليال- (والليل اذا يسر) الدنيا هى الليل بمعنى الحجاب وظلمه النفس (اذا يسر) اذا انقضت الدنيا وأشرق النور يوم البعث (هل فى ذلك قسم لذى حجر) القسم هو الحظ والنصيب والعهد - (لذى حجر)لذى تحجر وذى صمغ" ثم قال " وفى كل مده من مدد التحنيط الذى يتم عند الفراعنه فى أربعين ليله يوضع الحجر ومعناه الصمغ"(٢)

---

(١) اتجاهات التفسير ص ١٢٨ - ١٢٩ وتقرير اللجنه ص٥عن رساله الفتح ص٢١
(٢) اتجاه التفسير ص١٣٠-١٣١ وتقرير اللجنهص ٥-٦ عن رساله الفتح ص ٢٣ - ٢٤

العجل الحنيذ :

في تفسير قوله تعالى" فما لبث ان جاء بعجل حنيذ" الآيه[(١)]
قال" (العجل الحنيذ) هو اسحاق فهو الظل الذى جاء بعد أن كبر أبواه وانقطع رجاؤهما في الذريه ....."[(٢)]

انكار الاسراء :

في تفسير قوله تعالى " سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا"[(٣)] قال : (أسرى) أوفى وأنهى (المسجد) القرآن (!!) (الى المسجد الأقصى) الى سدره المنتهى ومعنى (الاقصى المنتهى (!!) (الذى باركنا حوله) الحول هو خاتم أرواح القدس السبعه القرآن ثامن أرواح القدس (لنريه من آياتنا) آيات الله التى رأها هم أرواح القدس السبعه وهم : جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ، ومناة واللات والعزى رآهم في سدره المنتهى ليله أن أسرى به " وقال :-" أذن المولى فوجد الرسول نفسه في سدره المنتهى مع أرواح القدس السبعه وقضى ليله معهم ثم عاد الى مكه ولم يقابله ملائكه ولا مخلوق من مخلوقات الله التى تلى روح القدس . ولم ينطق بكلمه واحده عن الاسراء . ولم يذهب الرسول الى فلسطين ليله الاسراء ولم يقابل الأنبياء فلا خيال ولا خرافه في الاسلام وهذا الجامع الذى أقيم في فلسطين كان قلعه للجنود الرومان ليله أن أسرى بالرسول ولما تم الفتح إتخذها المسلمون جامعه وصلى فيها عمر الذى تم الفتح في عهده والمضلون بعد الجيل الثالث الاسلامى سخروا من المسلمين فجعلوهم يذكرون أورشليم بالقدس ،ذوالجامع

---

(١) سوره هود من الآيه ٦٩
(٢) اتجاه التفسير ص ١٣٥ وتقرير اللجنه ص٨عن رساله الفتح ص٣٧
(٣) سورة الاسراء : من الآيه الأولى

الذى أقيم فيها ببيت المقدس وسموه المسجد الأقصى ليعظموا شعائرهم وليسخروا من المؤمنين الذين لم يكشفوا سوء مكرهم" (١)

وأورد هنا تعليقا على هذه الترهات والأباطيل ليس كشفا لبطلانها فهو أمر ظاهر كما أشرنا أولا ، وانما كشف لحقيقه صاحبها ألمح اليه الشيخ مصطفى الطير حيث قال" فهل لنا أن نعتقد أنه مأجور من اليهود ليصرف المسلمين عن حقوقهم فى بيت المقدس وفلسطين" (٢)

انكار الرق :

وفى تفسير قوله تعالى" ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخره والله عزيز حكيم" (٣) قال - " ما كان لشخص نبأ أى أرتفع وعلا بدرجه مال أو جاه أو قوه أن يملك نفوس البشر فرقّ أبن آدم فاحشه كبرى قصاصها القتل" (٤)

انكار حادثه الافك :

وقال عن حادثه الافك التى جاءت فى قوله تعالى" ان الذين جاءوا بالافك عصبه منكم" الآيه (٥) فقال : -

" (الافك) البهتان بتفسير القرآن بقول لغو (عصبه) عدّة فرقه الذين جاءوا بالافك عصبه من أهل الكتاب وهم اليهود و (الافك) مصنفات الافك (لولا جاءوا عليه بأربعه شهداء) الشهداء الأربعه هم أجيال صدر الاسلام الثلاثه الأجيال الأولى وجيل الشهر الحرام هذا الجيل

---

(١) اتجاه التفسير ص ١٣٧-١٣٨ وتقرير اللجنه ص ٨-٩ عن رساله الفتح ص ٤١-٤٣
(٢) اتجاه التفسير فى العصر الحديث : مصطفى الطير ص ١٤١
(٣) سوره الانفال : من الآيه ٦٧
(٤) اتجاه التفسير ص ١٤٢ وتقرير اللجنه ص ١٠ عن رساله الفتح ص ٦٥
(٥) سوره النور : فى الآيه ١١

الذى تسيرون فى فلكه " وقال" الافك هو تحريف اليهود وتفسيرهم القرآن بقول لغو فتفا سير القرآن الموجوده هى مصنفات الافك هلا جاءوا بشهداء أربعه من الأجيال الثلاثه الأولى تشهد بصحتها"(١)

بعض ما أنكره المؤلف:

وما أنكره المؤلف من الامور المعلومه الثابته كثير وكثير نذكره اجمالا حتى لا نثقل بطوله فمنها : -

أولا - أنكر وقوع غزوه فتح مكه وحرف معانى الآيات الوارده فى سوره الفتح ص ٣٥٦

ثانيا : أنكر أنه كان للنبى صلى الله عليه وسلم عم اسمه ابو لهب ص(١٢٣ - ٢١٦)

ثالثا : أنكر أن ادريس عليه السلام كان نبيا (ص٢٣٥)

رابعا : أنكر تشريع تعدد الزوجات وقال أن دين الاسلام لا يحل الزواج الا بواحده (ص٢٦٥)

خامسا : أنكر زواج النبى صلى الله عليه وسلم بغير عائشه رضى الله عنها فقال" وظلت عائشه زوجه له دون شريكه حتى الختام" وقال عن زينب بنت جحش رضى الله عنها " زينب بنت جحش هى رساله روح القدس للقرآن" وقال عن زيد رضى الله " والذى سموه زيدا هو المنافق والمشرك من بنى اسرائيل" (ص ٢٧٤) .

سادسا : أنكر حق تطليق الرجل زوجته بلسانه وجعل ذلك محرما

---

(١) تقرير اللجنه ص ١٤ عن رساله الفتح ص ١٤٥

فى الاسلام فقال" وما أحل الله لمؤمن برساله محمد أن يطلق زوجته بلسانه" (ص٣١٢)

سابعا : أنكر حروب الرده وأن أحدا أدعى النبوه

ثامنا :- أنكر وجود أبى هريره وابى ذر الغفارى رضى الله عنهما (ص٩٧)[1]

هذه مع ما سبق بعض ما أنكره المؤلف مما هو معلوم بالضروره وثابت يقينا ، والذى لا ريب فيه أن أمر هذا التفسير واضح لا يصنف فى غير اللون اللامنهجى وان شئت فسمه منهج المجانين .

ولا يعترف صاحبه بأصول التفسير فلا يفسر القرآن بالقرآن ولا بالسنه ولا بأقوال الصحابه .

ولا يعترف صاحبه باللغه فيصرف الألفاظ عن مدلولاتها الحقيقه والمجازيه من غير حجه .

ولا يعترف صاحبه بالتاريخ فينكر ما تواتر وروده واشتهر ثبوته واصبح جزءا من التاريخ

ورجل مثل هذا فى آرائه ومثله فى تفسيره لا يشك أحد أدنى شك فى أن يكون أحد رجلين

اما رجل خبيث ذو هدف باطنى يريد ايقاع البلبله والاضطراب والتشكيك والدس وتعويد الأذهان على الاضطراب فى التفكير حتى يقبل بعد هذا تشكيك من له شبهه أو شبه دليل

واما رجل مجنون حقا مخرف حقا وليس بشرط أن يكون الجنون بالعته والخفه والطيش أو البلاهه والبلاده بل منه ما يسمى بجنون العظمه

---

(١) تقرير لجنه فحص الرساله : ص ١٥ - ١٦

أو الغروروفيصل بنفسه درجه يجعلها معيارا للعلوم فالحق ما توصل
اليه وكل الناس عاله على علمه وأحسب هذا شر أنواع الجنون

ولست أزعم لنفسي معرفه علم النفس وخصائصه ولكن والحاله هذه التى
أمامنا لا أرى أن يقدم مجنون بمعناه عندنا المشاهد فى المستشفيات
النفسيه على مثل هذا العمل لا زهدا فيه ولكن عجزا عن التفكير
فيه أو ادراكه فضلا عن دافع الايمان حتى وهم فى هذه الحاله .

وعلى كل حال فقد كان ما كان وخرج هذا التفسير ولا يقبل
ذو لب أن يقول مثل قوله ولا يقبله ذو دين فكان حقا اللون اللامنهجى
وان شئت فسمه منهج المجانين ، حفظ الله عقولنا وعقولكم وثبتها على المنهج
القويم .

ونحمد الله سبحانه على ندرة هذا اللون من التفسير ومعذره أن أخذت
وقتا وجهدا فى هذا اللون فلا يصح لى عذر أن أتركه وهدفى حصر
اتجاهات التفسير .

وبعد

هذه أهم الاتجاهات الإلحادية فى التفسير فى القرن الرابع عشر الهجرى
وما كان لهذه التفاسير وما كان لأصحابها جرأه على نشرها أو التلفظ
بها لو كان الاسلام هو الحاكم فى بلاد المسلمين

اذا لحسب العلماء ألف حساب وحساب قبل أن يبيعوا دينهم
بدنياهم فيقولوا فى القرآن الكريم ما لا يصح قوله .

واذا لحسب المثقفون ألف حساب وحساب كذلك قبل أن يجترئ
أحد منهم على تناول آيات القرآن بالتفسير من غير أن يكون من
أهل التفسير

واذا ـ مره ثالثه ـ لحسبت المطابع ألف ألف حساب قبل أن تطبع كتابا مليئا بالالحاد

ولو كان الايمان قد ملاء الصدور ما جرأ العالم ولا المثقف ولا الطابع على مثل هذه الأمور بل أصبح قوه رادعه لهذا التهور

نشكوا الى الله أمر حال المسلمين وندعوه عز شأنه أن يحفظ كتابه بعودة المسلمين الى اسلامهم وتثبيت القلوب بالايمان واقامه راية الاسلام فى كل مكان

الخاتمـــــــة :-

وبعــــــد

هذه أهم الاتجاهـــات لتفسير القرآن الكريم فـــــي القرن الرابـع عشـــر الهجرى ، وتلكم هـــي أسسهـــا التى قامت عليهـــا . لهـــا ما لهـــا وعليهـــا ما عليهـــا . ولا أجـــد حاجه لتكرار ممـــــل - حتى ولوكان مختصـــرا - للأبحاث التى تناولتهـــا فدون من أردا ذلـك المقدمـــة فقد أجملـــت فيها ما تناولتـــه من أبحاث ودونـــه الكتاب كلـه ففيـــه التفصيل ودونه الفهـــارس ففيهـــا الدلالة وانمـــا يهمنى ويهـــم غيرى فيما أرى أن أخـــص الخاتمـــة بالحديث عن النتائـــج التى توصلـت اليهـــا بعـد هـــذه الدراســـة وفيهـــا أمور ما كنت أتصـــــور حدوثهـــا وقوفـــي عليهـــا . وعلى كل حال فسأقدم النتائج بقدر مـــن الاختصار الذى يعطي الثمرة ولا يؤدى الى الملـــل

فمـــن النتائـــج :

أولا :

فـــي العصر الاسلامي الأول لم يكن ثمّ الا فرقة اسلاميـــة واحدة والا أمـــة اسلامية واحدة هـــي خير القرون وهي قدوة المسلمين ولم يكـــن بينهم شقاق فـــي العقيدة أو خلاف وكلمـــا ظهرت شرارة مـــــن هنـــا أو هناك هيأ اللـــه لها من أمـــة المسلمين من يطفئهـــا أو من يضـــرب صاحبهـــا بدرتـــه ضربة يعيد بها صاحبهـــا إلي رشدة ،ولـــم يكـــن لهذه الحالات الشاذه أثر يذكر فـــي التفسير سلبا أو ايجابـــــــا فلم يحوج الأمـــر المفسرين الى الرد عليهم أو على شبهاتهم الا النـــادر الذى لا يشكل منهجـــا

ومضى حين من الدهـــر نشأت فيه مذاهـــب وفرق أخرى هيـــــأ

الله - سبحانه وتعالى - لهم من يرد عليهم في موء لفات مستقلة أو عند تفسير القرآن الكريم

ونظرة سريعة الى التفاسير في تلك الفترة يظهر فيها حجم المعركة

فرق تؤلف من جانب تفاسيرها على قواعد أصولها التى أنشأتها من قبل ، وتبث شكوكها وشبهاتها

وفرقه أخرى تكابد بين أمرين أمر تقرير عقيدتها واستخراجها من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية و أمر الرد على شبهات الخصوم و أوهامهم

قامت فرق المعتزله والشيعة الإثني عشرية .... والباطنية والزيدية .... والخوارج ... والاباضيه .... والصوفية ... والفلاسفة وأمثالهم يفسرون القرآن الكريم وفق أصولهم

وقام أهل السنة والجماعة يقررون عقائد هم ويرد ون على خصومهم لم يهملوا آية فيها تقرير لعقيدتهم الا وبينوه ولا على آية فيها رد على خصومهم الا واظهروه

فعلوا ذلك اظهارا للحق وتبرئة لذ ممهم وذ ودا عن عقيدتهم وأمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر فما زالوا ظاهرين

وقد كان الاتجاه العقائدى في التفسير في القرن الرابع عشر أول أبحاث هذه الدراسة - وان أنس لا أنس - صدمة تلقيتها وأنا أكتب عن تفاسير أهل السنة والجماعة

فقد عانيت كثيرا في الحصول على نصوص تقرر عقيدة أهل السنة والجماعة بكل تصريح ووضوح بل تسوقها باشارة عاجلة وكأنها مقررة عند قارئ التفسير ومعلومة

وليتهم حيث يفعلون هذا يتجاوزونه الى الرد على شبهات الاعداء وكيد الخصوم والتأويلات الباطله .... ليتهم يبرزون الرد على الشيوعية والرأسمالية والاشتراكية أو القومية الترابية أو اللسانية ليتهم يردون على البابية أو البهائية أو القاديانية أو يردون على عصابات الانحلال الفكرى أو شبهات المستشرقين أو انحرافات المنحرفين ،أو حتى ليتهم يردون على الفرق المعاصرة كالشيعة التى جعلت همها كل همها في العصر الحديث مواجهة أهل السنة والجماعة ومصادمتهم ليس في داخل بلاد المسلمين فحسب بل حتى في الدول الاوروبية والامريكية وكم سمعت من الدعاة الى الاسلام في تلك الانحاء من نشاط أولئك ضدهم وكأن هؤلاء يدعون الى الشيوعية والالحاد لا الى الدين الاسلامي

ليت أصحابنا ردوا على الشيعة هؤلاء أو ردوا على الاباضية وبينوا لهم الحق .... أو ردوا على الصوفية التى عششت على أنحاء كثيرة في العالم الاسلامي وقاد العوام فيها والجهال بعض العلماء كما تقاد الشياه .... يذودون عن أفكارهم ويدافعون عن أفعالهم ويبررون منكراتهم وهم يعلمون أنهم يقولون غير الحق ...؟

ليت أصحابنا ردوا على النصرانية وما تقوم به من نشاط كبير لتنصير المسلمين في أرجاء العالم مستغلة أوضاع العالم الإسلامي الاقتصادية والسياسية ...

ليتهم ردوا على اليهودية ومنظماتها ..... الصهيونية والماسونية وأندية الروتارى وغيرها من وسائلهم الماكرة للاستيلاء على قيادة العالم كله وتوجيهه أو جعله تحت سيطرتهم ان استطاعوا ولن يستطيعوا باذن الله

بحثت عـــن هذا كله أو عن بعضـــه فـــي تفاسـير أهل السنـــة والجماعـــة فـــي العصـــر الحديـــث فلم أجـــد فيهـــا بغيـــتى ولا بعضهـــا

وكل ما وجدتـــه نصوصـــا من هنا أو هناك الصريح الواضـــح منهـــا قليل وما سواه التمس منـــه ما يشم منه رائحـــة ما أردت

يمـــرون غفر اللـــه لهم ولمن سبقنا بالايمـــان ـ علـــى الآيـــة وقد زعمتهـــا ـ طائفـــه قديمـــة أو حديثة دليلا علـــى مذهـــب ضـــال أو فكرة خبيثـــة فلا يعرض أولئك للرد عليهـــا .

يمرون غفر الله لهم علـــى الآيـــة تستدل بها فرقـــة علـى مـــا يزعمونـــه حكما شرعيـــا خالفوا فيـــه الفهم الصحيح للنص ومـــا يوء يده من السنـــه والاجمـــاع فلا يكلف أحدهـــم نفســـه بيـــان ذلك . . . وكأنـــه لمن لا يخفي عليـــه الحق فـــي ذلك .

ولعلـــى ألتمس لهم عذرا يقررون التفسير الحق ويقدمونـه ميزانـــا أصيـــلا يوزن به كل قول سواه وكل شبهة وكل بدعـــة

لكني مع هذا لا أرى الحـــق ـ في هذا فالقضية أكبر مـــن أن نجمـــل الحديث عنهـــا أو نوجزه والقضية أكبر من أن نجعـــل الحـــق فـــى أيدى الناس ويزنون بـــه . . . . . فما زال فـــي الناس كثـــير من لا يحـــسن استعمال الميزان وما زال فـــي الناس من يعجز عـــن استعماله ومـــا زال فـــي الناس من يطلب الطعام ويوضع لـــه علـــى المائـــده وان لم نفعل نحن ـ أهـــل السنة والجماعة ـ فسيجـــد من يقدم له هذا الطعام بكل سرور . . . ولعلي قد بلغت .

ثانيـــا :

وحين اتسعت العلوم الاسلامية عامة ، واتسعت العلوم القرآنيـــة خاصـــة وأفرد من العلمـــاء السابقين آيـــات الاحكام بتفاســـير مستقلة لم يكن أحدهـــم يكتب التفسير لهذه الآيـــات بمعزل عـــن مجتمعـــه وقضاياه ، بل كان يعطى صورة كادت أن تكون كاملـــة عـــن بيئة . . . . حتى المذهـــب الفقهي الذى ينتحله كان له أثـــره في تفســـيره

ففســـر كثير منهم آيـــات القرآن حسب مذاهبهـــم الفقهيـــة فكان تفسير للمذهب الحنفي وتفسير للمذهـــب المالكـــي . . . وهكذا

واذا عطفنـــا النظر الى القرن الرابع عشـــر الهجرى وجدنـــا الأمـــر جد مختلف فقـــد تخلى عن كثير من صفات التفاســـير القديمـــة بحسناتهـــا وعيوبهـــا

كان علـــى من آراد أن ينهج منهج تفسير آيات الاحكام أن ينظـــر الى ناحيتين . . ناحية عطاء النص . . . وناحية حاجة المجتمع . . . . . . وواقعه ويوازن بينهمـــا . . .

لا . . . لست أريـــد أن يهمل نصـــا لأنه غير واقع فـــي المجتمـــع ولا أريد أن يؤجـــل البحث فيه الى أن يقع . . . لا أريده أن يفعـــل ذلك ما دام النص القرآني عليه صريح . . . لكني ايضا لا أريد منـــه أن يسترســـل فـــي بحث قد أشبعه العلمـــاء من قبله . . . ولم يتركوا لـــه فيـــه من عراش لا أريـــد منه أن يترك لهذا مباحـــث جدت من بعـــد فـــي عصرنـــا هذا من غير أن يعطيهـــا حقهـــا من البحث

يخطىء أولئك الذين ينظرون الى آيـــات فـــي القرآن الكريـــم وهم يحسبون أن الفقه ليـــس الا معرفة أحكام الطهارة والارث والوقـــف

والهيبة ويتنسون انه هو نتاج دين شامل كامل ايضا

ان الفقه يشمل ما اسلفت ويشمل غيرها ويشمل ايضا كل المناهج والانظمه في كل مجالات الحياة وما يجد فيها

يشمل النظام الاقتصادى الاسلامي بأوسع معانيه وايجاد الحلول لمشاكل العالم المعاصر الاقتصادية ويشمل النظام الاجتماعى والنظام الجنائى والنظام الدولي والنظام المدني والنظام العسكرى في أوسع مجالاته نظام العلاقات الدولية والسفارات وأخلاقيات الدولة الإسلامية يشمل كل أشكال المعاملات المالية في نظام البنوك المعاصر يبين حلالها وحرامها وحقها من باطلها . وحين يقصر مفسر أو فقيه في جانب منها فان القصور من جهده وليس من النصوص فليعتبر أولئك الذين يصرفون جهودهم الى ما نضج واحترق من المسائل الفقهية ويتركون عجزا أو تهاونا أو كسلا عن الأبحاث الأخرى التى ما تزال بحاجة الى أن يخرجها العلماء للناس ويقولون لهم بأعلى صوت هذا نظام دينكم فخذوا به ....

نظرت في كتب تفسير آيات الأحكام في العصر الحديث وهالني ما رأيت ... رأيتها تكرر ما قاله الجصاص وابن العربي والشافعي والقرطبي وأنعم بهم من رجال وأنعم بها من كتب .... لكنهم كتبوا لابناء عصرهم وعالجوا قضاياه وأشبعوا الموضوع درسا وبحثا حتى كادت كتب بعضهم أن تكون كتب فقه لا تفسير .

ومع هذا كله فان كتبهم موجوده لم تفقد حتى أصولها ، ومنتشرة في الأسواق أكثر من كتب من نقل عنها فأى فائدة نرجوها من جديد لم يأت بجديد ؟!

وليت أصحابنا - غفر الله لنا ولهم - وهم يكتبون في التفسير الفقهي ولا يعالجون قضايا مجتمعهم المعاصرة ليتهم عالجوا بعض الاختلافات الفقهية بين أهل السنة والجماعة وبين الفرق الأخرى ليتهم نقضوا ما يستدل به الشيعة في تفسيرهم لاباحة نكاح المتعة ليتهم أظهروا مواطن الخطأ في الاستدلال عند هؤلاء - ليتهم ردوا على الذين يزعمون اباحة الربا غير المضاعف ويبثون الشبهات في تحريمه ويدعون اباحته ليتهم ردوا على الذين يرون أن فرض الرجلين في الوضوء المسح - أو ردوا على تفسيرهم للخمس وتوزيعه ، أو ردوا على الذين يعطلون الجمعة أو الجماعة بمزاعم باطلة ... ليتهم وليتهم . هل التمس لهم في هذا ما التمسته آنفا لمفسرى أهل السنة والجماعة في العقيدة من عذر ، وهل ينفع العذر اذا رأيت فيه ما رأيته في ذاك .... !!

ونظرت أخرى في كتب التفسير الفقهي فوجدت أصحابها - أوهكذا خيّل الي - يكتبون لتلاميذهم ولا يكتبون لزملائهم واخوانهم العلماء وظهر أثر ذلك فيما يكتبون

أما أنهم يكتبون لتلاميذهم فكل ما اطلعت عليه من كتب التفسير الفقهي الا القليل منها ألفه أصحابه لتلاميذهم في المعاهد والجامعات فكانوا لذلك يسيرون وفق منهج خاص لا يتجاوزونه يسيرون معه وليس مع النصوص ومدى دلالتها يسيرون مع النص وينظرون الى الخلف الى المنهج المقرر خشية أن يكونوا قد ابتعدوا عن حدوده ومنطقته فيعودون يعودون فجأة وتكاد تحس بأن الموضوع مبتور وتكاد تحس بقوة النقلة تهزك ، وكانوا لذلك يقتصرون على سور معينة هي تلك السور التى حددها المنهج وعلى آيات معينة من السورة هي كذلك ،

لا شك أن مثل هذا الالتزام سيؤثر على عطاء المؤلف وعلى نتاجه ولذلك نرى صغر حجم المؤلفات في التفسير الفقهي في العصر الحديث عنها في القديم ، ليس لأنهم اكتفوا بما قاله السابقون وليس لأنهم اقتصروا على ما جدّ في الحديث .... ولكن لهذا الالتزام فحسب .

كلامي هذا - أيها الأحبة - يشير بأصابعه العشرة الى بعض المؤلفات في العصر الحديث ، وببعض أصابعه الى بعضها ... لكني لا أجد تفسيرا فقهيا معاصرا الا يشير اليه اصبع منها

نحن أيها الأحبة بحاجة الى تفسير فقهي معاصر يعنى بالشمولية والاستيعاب ، فيجمع آيات الاحكام الفقهية كلها لا يتقيد بمنهج دراسي ، ثم يتناول هذه الآيات كلها بالتوضيح والبيان ، لا يقتصر في بيانها على الوجه الذى أشبع بحثا ولكنه مع هذا يلتمس من مدلولاتها علاج المجتمعات الاسلامية المعاصره بشتى أشكالها وألوانها ويظهر فيما يظهر العلاج الاسلامي لكثير من قضايا العصر الشائكة ، لا يلتزم مذهبا بعينه يلوى النصوص لتوافقه ، ولا يدخل النص بذهن مشبع بالقواعد يلتمس لها أدنى مبرر في النصوص؟ !

ينظر في النص فيستخرج منه دلالته الصريحة الواضحة مستندا الى الكتاب والسنة ثم ينظر بعد ذلك في الافكار والمذاهب الأخرى يرد عليها ويبطلها . مطلقا من النص القرآني الكريم - ما أحوج الأمه في عصرنا هذا الى هذا الدستور القرآني .... ولعلي بلغت .

ثالثـــــــا :

ولا شك أن أفضل طرق التفسير تفسير القرآن بالقرآن فــــــان لم تجد فعليك بالسنه فانها شارحه له مفسره وهذا ما اصطلح عليه بالتفسير بالـمـــأ ثور
وهذا النوع من التفسير كان هو السائد فــي صدر الاسلام لأنــــه أصــــح أنواعــــــه .

ثم نشأ التفسير بالرأى المحمود وانبثق التفسير بالرأى المذ مــــوم ودخـــل فـــي التفسير علوم شتى فتعددت مذاهبـــه وتعددت طرقـــه ومناهجـــه ، فقلت العنايـــة والاهتمام بالتفسير بالمأثور وكاد أن يندرس فـــي كثير من التفاسير القديمـــة والحديثـــة

وعجبت ثالثـــة وأنـــا أنظـــر فـــي كتب التفســـير فـــي العصــر الحديــث أبحث فيهــــا عن تفسير أولـــى بالمأثور اهتمامـــا كبــيرا أو اختص بــــه فما وجدت ووجدت فيما وجدت تفاسير تتعامـــل مــــع التفسير المأثور كما تتعامل مع علوم أخرى حينا تورده وحينـــا تـهملــــه أو تنساه أو تجهلـــه .... وهـــل يجهل المفسر السنه !! هـــذا مـــا حدث ...!!

ووجدت فيما وجدت تفاسير تأتـــي بما يخالفه ... ووجــــــد ت فيما وجدت تفاسير تفسر بمعناه من غير أن ترويــــه .... ووجدت ووجدت أشكالا و ألوانـــا من التعامـــل مع التفسيربالمأثور ـ لكني لم أجــــد مــــن يوليـــه حقه من الاهتمـــام ويلتزمـــه في كل موضع من مواضعـــــه التى ورد فيهـــا

حتى تلك التفاسير التى تحمل عناوين التفسير بالمـــأثـــــور لا نراهـــا تلتزمه حتى وان سميت بـ " التفسير القرآني " للقرآن بل جاوز هذا أحدهـــم فبث الحاده فـــي تفسير سماه ـ كيدا ومكرا ـ " الـهدايـــــة

والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن " وتعلق بهذه التسمية بعض أرباب المذاهب والفرق الضالة ليموهوا على الناس الحق فسموا تفسيرهم " الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة " وما حشاه صاحبه الا بالآراء المبتدعة والروايات الموضوعة !!

وأكثر من رأيته يهتم بهذا المنهج في التفسير الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى في تفسيرة " أضواء البيان فى ايضاح القرآن بالقرآن " فقد أولاه عناية واهتماما كبيرين وفاق بهما أقرانه ..... ويليه بفارق كبير الأستاذ محمد رشدى حمادى في تفسيره " الموجز في تفسير القرآن الكريم المصفي : الجامع بين صحيح المأثور وصريح المعقول " كما وصفه صاحبه في عنوانه .

والأمة الاسلامية في العصر الحديث بحاجة الى تفسير يعنى بالتفسير بالمأثور ... بالقرآن وبالسنة ... يورد الآية القرآنية ويورد بعدها ما يفسرها من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وينطلق بعدهما لبسط ما تدل عليه من معان وما ترسمه من حقائق...

الأمة الاسلامية بحاجة الى هذا النوع من التفسير يورد فيه ما صح من الأحاديث ويبين درجته ، ويرد ما ضعف منها ، أو ما هو موضوع ويحذر من القول به .... فقد انتشرت في كتب التفسير أحاديث يرددها الناس ويحسبونها صحيحة ويقفون عندها لا يتجاوزونها واذا جئت بتفسير آخر أصح منه نظر اليك من طرف أو صوب عليك بصره ... وكأنك أتيت بالجرم الكبير الذى لا يغتفر

نحن - أمة الاسلام - بحاجة الى تفسير ينشر التفسير الحق ويظهره ... ويورد التفسير الضعيف أو الموضوع ويرده ويبطله حتى لا تقوم قائمه الالحق وحتى ينمحي الباطل ... هل بلغت

رابعا :

قلت - فيما قلت - في النتيجة السابقة أن التفسير قد اتسع بعد صدر الاسلام فد خلت فيه علوم شتى

و أقول ان من بين هذه العلوم ، العلوم التجريبية كالطب والفلك وعلم طبقات الأرض وعلم وعلم الحيوان وعلم النبات ووالخ من تلك العلوم فاهتم بعض العلماء آنذاك بهذه العلوم فأدخلها بعضهم في التفسير واكثر منها فيه حتى قيل عنه فيه كل شيء الا التفسير

كان هذا في وقت لم تكن فيه تلك العلوم الا وليدة تحبو على يديها وقدميها ... ومرت قرون و ترعرعت فيه وشبت فقامت تثب على قدميها وتعدو .... وحتى حسبها بعضهم قد نضجت و اكتملت وانتهت الى أوج نشاطها وعز قوتها ... فأرادوا التقرب اليها والتزلف الىّ بلاطها بتفسير نصوص القرآن حسب مدلولاتها ... وما عرفوا أنها ما زالت تنمو وأنها مازالت تتغير وتتبدل ....

وبلغ من عناية أبناء القرن الرابع عشر الهجرى بهذه العلوم واهتمامهم به أن كان أول تفسير كامل للقرآن الكريم يتم في هذا القرن هو ذلكم التفسير الذى حشاه صاحبه بكل النظريات والحقائق العلمية صغيرها وكبيرها فلا يكاد يمر بكلمه فيها ذكر لآله أو نبات أو حيوان أو خلق انسان أو ريح أو مطر أوسحاب أو سماء أو أرض ونحو ذلك الا وأحال تفسيره الى بحث علمي بحت خاص بما عرضت الاشارة اليه في الآية وملأه بالصور الموضحة والتجارب العلمية والشواهد من كلام أهله وخبرائه وعلمائه الجديد منها والقديم حتى تشك و أنت تقرأ فيه فيما بين يديك فتطويه

وتنظر الى غلافه فاذا هو فعلا كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم ويأخذك العجب والدهش بين مسماه وما تقرأ فيه ، فتسأل أهل الذكر فيشيرون بالصمت .... بالصمت لتسمع كلمة جاءت من عمق القرون السالفة تجلجل .... فيه كل شيء الا التفسير .... فما زالت تلك الكلمة منذ قيلت تشق مسارها في التاريخ راسمة أحرفها على كل من سلك هذا المسلك المتطرف في التفسير حتي وان كان فيه تفسير . لأن هذا طغى عليه فأفسده فلم يعد تفسيرا

وكم أشفق على تلك الكلمة " فيه كل شيء الا التفسير" فقد مكثت سنوات منذ قيلت معطلة لم تجد لها عملا لكن العمل المرهق جاءها جملة في هذا القرن حيث نشأت تفاسير كثيرة فيها كل شيء الا التفسير فذهبت ترسم نفسها على الأغلفة لا يراها الا أصحاب البصيرة وأهل العلم والذكر ...

لست من أعداء التفسير العلمي كما تحسبون ولست من أنصاره و مؤيديه كما تظنون أنا - أيها الأحبه - ان سألتم عن موقفي وسط بينهما ... لست من أولئك الذين يرفضون التفسير العلمي حتى حقائقه ولست من الذين يتحمسون له حتى نظرياته وتصوراته

كما اشكو من أولئك الذين يقحمون التفسير العلمي التجريبي فانني أتضايق من أولئك الذين يرفضونه كل الرفض

ليته ينفر منا طائفة من شتى أصحاب العلوم والمعارف يستفيد من خبراتهم نفر من أهل العلم الشراعي يسألونهم عن حقائقه فيستشهد بها هؤلاء في التفسير.... ولا يفسرون بها النص

و يسألونهم عن نظرياته فلا يوردونها لا تفسير ولا استشهادا لأنها مازالت متأرجحه لا تستقر و من يستمسك بمتأرجح فانه لا بد متأرجح معه و ان سقط سقط معه ....

أعرف أن هناك من سيرفض قولي و أعرف أن هناك من سيعدله ويقوم ما يراه معوجا ولعل فيهم من يقبله و يراه حقا .... وهذا رأيي والله أعلم

خامسا :-

أ نزل الله سبحانه وتعالى هذا القرآن الكريم لحكم عظيمة غايتها تصحيح العقائد وتقويم السلوك

وعلى المفسر أن يجعل هذا الأمر في ذهنه عند تفسيره ثم عليه وهو طبيب عقول أن يكون كطبيب الأجساد ينظر في مريضه ويشخص داءه ثم يصف له الدواء ، وعلى المفسر أن ينظر الى مجتمعه فيحدد أرمراضه ويظهر مواطن ضعفه وتفككه وانحلاله ثم يصف له الدواء القرآني .... سواء كانت علله في العقيدة أو في السلوك .

كم يسرني ذلكم المفسر الذى أراه يفسر الآيه القرآنية ثم أراه يضرب الامثلة من مجتمعه - في غير تشهيد - ويلتمس لها العلاج القرآني وكم يسرني ذلكم المفسر الذى يرى عادة ذميمة في مجتمعة أو تحللا أو اهمالا لواجب أو انتشارا لبدعة......... فلا يمر بآية هي علاج لهذا أو ذاك الا ويربط بينهما ويشير الى علاجها ويأمر به

يهمل كثير من العلماء مسألة الربط أو التشخيص الدقيق وهم يحسبون أن لدى مستمعيهم - كلهم - القدرة على الاستنتاج

والتطبيــــق

تجــد المفســر مثلا يتحدث عن الربــا وتحريمــه ويشرح آياتــه مفردة مفردة ومواطن البلاغــة ومحاسن التعبير ويبلغ فــي ذلك شأوا ثم ينتقــل الى آية أخــرى بعدهــا وهو يحسب أنه قد أشبــع الموضــوع حقه ، وما درى ذلك الرجــل أنه أخــذ جانبــا وترك الآخر .... كان عليه - مثلا - أن يضرب أمثلة للربــا من مجتمعــة فيشــير نصا الى البنــوك الربويــة ومعاملاتهــا ومواطن الخطأ فيهــا ومواضــع الربــا وآثــار ذلك فــي الاقتصاد .... كان عليه أن يعطى المثال المستقيم فيذكــر البنوك الاسلامية وما يجب أن تتعامــل بــه ولا ضيــر أن يذكــر أسماءهــا وأنواع معاملاتهــا

ستقولــون - أيهــا الصحاب - أنه خرج عن التفســير فأقــول علــى فرض أنه خرج أليس خروجــه هذا أفضل من خروجــه عنــه الى الاساليب البلاغيــه والمســائــل اللغويــة والتغنى بحســن التعبير والوقوف عنــد معالم الجمال ان صح تسميــة كل ذلك خروجا !!

ثم انــى لا أعتبر هذا ولا ذاك خروجــا عن التفسير اذا ناســب المقام فاذا كان المقام مقام حديث مع العلمــاء والأدباء فليكن كذلك واذا كان حديثا موجهــا للعامــة أو للاصــلاح الاجتماعــى فليكن بأسلوب آخــر وبأهــداف وطرق أخرى ، ليوجــه همه الى تلكم القضايــا الاجتماعيــه ويبسطهــا للنــاس فلا يجعــل التفسير بمعــزل عمن أنزل القرآن لاصلاحهــم واصلاح عقائــدهــم

حين نزل القرآن الكريم أصلح كثيرا من البدع والمنكرات التى تحــدث فــي مجتمــع الجاهلية وخصهــا بالذكر فحرم وأد البنات والربــا وشرب الخمر وعبادة الأوثــان ومازال القرآن يقوم الاخلاق ... حتى النداء مــن وراء الحجــرات ....

فما بال أقوام منا يهملون جانب الاصلاح الاجتماعي في تفسير القرآن الكريم ويظنونه - مخطئين - خروجا بالتفسير عن حده

ان الأمر هنا يختلف عن المناهج الأخرى الأمر هنا يتطلب تفاسير عدة لا تفسيرا واحدا حيث يقوم من كل بلد من بلاد العالم الاسلامي عالم عارف بأمراض مجتمعه يفسر القرآن فيعرض لها ويحذر من خبيثها ويحمد حسنها

أقول هذا لأن العالم الاسلامي مترامي الأطراف .. مختلف العادات وقد ينتشر في مجتمع من المنكرات مالا وجود له في مجتمع آخر .... فقد يوجد الربا في بيئة ويستفحل ولا يكاد يوجد في أخرى وقد تنتشر حانات الخمور ودور الرزيلة والملاهي وأندية القمار في بيئة ولا يعرفها آخرون وقد ينتشر الاختلاط والتبرج والتعرى والفسق والفجور في مجتمع ولا يعرفه آخر وقد تنتشر بدعة التصوف وطقوسها في بيئة دون بيئات وقد تشتهر بعض المحرمات وتصبح عادة مألوفة في مجتمع تحتاج ان ينص العلماء عليها ويحذرون منها كالشغار والنجش وبعض أنواع الربا والاسراف والتبذير وو. الخ

وهذا يوجب أن يقوم من كل مجتمع عالم يكتب علاجا قرآنيا لامراض مجتمعة فما زالت المنكرات منتشرة وما زالت البدع سائدة نسأل الله سبحانه والاصلاح والتوفيق

سادسا :-

قام في القرن الرابع عشر الهجرى رجال علماء بذلوا وسعهم حسب مفهومهم وحسب قدراتهم للاصلاح سياسيا واجتماعيا وكان لهؤلاء

جوانب مشرقة وكان لهم أخرى ونال هؤلاء الرجال منزلة كبيرة في مجتمعاتهم بين العلماء والعامة . ونفذ بعض المغرضين وذوى النحل الباطله من هذه " الأخرى " فأمسوا يبثون شكوكهم وأوهامهم وبدعهم ومنكراتهم فاذا قام معترض عليهم قال لهم انكم تردون اليوم ما كان يقرره فلان منذ ٤٢ عاما ؟ (١) . فيطرق القوم وكأنه قال لهم قول معصوم

وتقولون وما دخل هذا في التفسير ؟! فأقول ان بعض هؤلاء كان لهم نشاط في التفسير منه ما أبدعوا فيه ومنه ما جانب الصواب وقد أخشى - وقد حدث فعلا - أن يستدل رجل بالجانب الذى وقع فيه الخطأ فيحسبه آخرون قد أتى بالحجة القاطعة

علينا اذا أن نقيم رجال التفسير فنظهر ما لهم ونظهر ما عليهم اين كتب الرجال في القرن الرابع عشر ؟ أين كتب طبقات المفسرين في القرن الرابع عشر ؟

حقا ان كثيرا منهم مازال حيا يرزق وحقا ان بعضهم قد انتشر صيته؟ ولكن أقولها عن تجربة اذا ما أردت ترجمة قصيرة عن حياة أحدهم فضلا عن الجرح والتعديل فاني لا أجد له رائحة

حبذا لو قام أحدنا بالكتابة عن مفسرى القرن الرابع عشر وليس عن اتجاهات التفسير فحسب .

يكتب تراجم لحياتهم العلمية و مؤهلاتهم للتفسير ومن تتوفر فيه شروط المفسر منهم ومن لا تتوفر فيه ، ثم يكتب عماله في التفسير وما عليه ويرد أو ينافش بعض أخطائه الظاهرة في التفسير

---

(١) قال هذا أمين الخولي دفاعا عن رسالة ملحدة

وبذلك ننقي ساحة التفسير وساحة المفسرين من زغلها وزيغها ونكشف للناس حقيقتها فلا يجروء مجترىء بعد ذلك أن يستدل بهفوة ، ولا يطأطىء رأسه أحدنا مسّلما باحتجاج زائف

علما أن الأمر لا يقتصر على ذوى الهفوات من المفسرين بل سلك بعضهم طريقا خاصا ونهجا الحاديا علانية يسعى لأن يرد عليه فيشتهر ويرى - لضعف ايمانه أو عدمه - ان الالحاد هو أقصر طريق الى الشهرة .

فعلينا أن نقف لتلك الزمرة بالمرصاد دفاعا عن كتاب الله عز شأنه نقف لهم فلا نحقق مأربهم ولا ننشر كتبهم بشتى الوسائل ونسعى أن يكون موقفنا منهم درسا رادعا لمن يقف خلفهم أو ينتظر فرصة ليفعل فعلهم .... هل بلغت

سابعا :

اختلاف أساليب التعبير عبر القرون ظاهرة واضحة لا شك فيها وكم من قصيدة سمعناها فأدركنا من مفرداتها ونغمها وجرسها أنها شعر جاهلى أو شعر اسلامي أو شعر حديث أو حتى شعر أندلسي ونحو ذلك .... وقع هذا لأن لكل مجتمع ما يناسبه من الألفاظ والعبارات

وهذا يوجب على المفسر أن يتحدث بأسلوب عصره فلا يأتي - وهو يفسر - بغريب الألفاظ ولا يتكلف الحديث ولا يمعن في عويص المعاني ولا يتشدق في التعبير

لا يعلو حديثه عن درك العامة ولا يهبط الى وضيع القول

عند العلماء فليحاول جهده في التعبير بحيث اذا سمعه غير المتخصص أدرك أبعاده وشده أسلوبه واذا سمعه العالم شده حسن التعبير وطلاوة الأسلوب . . . والموازنة هذه يهبها الله لمن يشاء من عباده

أما التبسيط العميق للتفسير فانه يحيل التفسير الى كتاب مدرسي يوضع للناشئة ان لم يكن وضع لهم أصلا - مثل هذا يبعد كل البعد عن الاتيان بجديد في الفكر أو في التدبر أو في التأمل

ولهذا لم يكن لهذه المؤلفات أثر في دراستنا هذه عن مناهج التفسير الجادة

والاغراق في العبارات أيضا يقصر الفائده منه على المختصين والعلماء ويحرم سواهم من الانتفاع به ، والقرآن الكريم لم ينزل لهؤلاء وحدهم ولا لهؤلاء دون سواهم بل نزل للجميع فليكن التفسير للجميع أيضا

لا أريد من هذا أن أمنع التفاسير الموسعة العميقة الأبحاث لكني أريد تبسيط أسلوبها حتى اذا ما أراد أن يسلكها غير العلماء سلكها وكانت له كالمعلم يخاطبه ويوجهه ويسأله ويجيبه بأسلوب لا يهبط الى ذلك ولا يعلو عن مداركهم ......

هل بلغت

وبعد

ليست هذة خلاصة البحث وليست كل ما أريد قوله فقد بثثت فيه وبين مناهجه ملاحظاتي في مواضعها ولكني أشرت الى

ما أشرت اليه للتأكيد ليس الا

أما الأساس السليم والمنهج القويم في التفسير الذى يجب أن نسلكه فيه فقد بينت أسسه وقواعده في حديثي عن منهج أهل السنة والجماعة ولا أظني في حاجة الى تكرار القول أني قد وضعت منهجهم أول المناهج ليكون ميزانا بيد القارئ يزن به كل ما يصادفه في طريقه فبه يأخذ وبه يرد

ولهذا فلا أرى موجبا لاعادة هذه الأسس مرة أخرى فهي ايضا الأسس الفضلى وهو أيضا المنهج الحق

لكن هذا لا يمنع من التحذير التجديد

التجديد في الأسلوب الملائم لابناء العصر والذى أشرت اليه آنفا والتجديد في التحذير من العقائد الضالة والفرق المنحرفة المعاصرة والقديمة وبيان مواضع ضلالهم وانحرافهم

والتجديد في تفسير آيات الاحكام ببيان ما جد من الأحكام الشرعية والمعاملات المالية والاقتصادية والعسكرية ... الخ

والتجديد في علاج القضايا الاجتماعية فقد جد في هذا العصر من المشكلات الاجتماعية ما يحتاج الى علاج وبيان

والتجديد في التحذير من التفاسير المنحرفة والضالة ومجاهدة أصحابها وبيان ضلالهم وكشف زيفهم للناس

كل هذا وسواء اكثر من معالم التجديد في التفسير الذى يطلبها أبناء القرن الجديد في التفسير وهذا يحمل علمائه أمانة القيام فانهم يوم القيامة مسئولون وعلى أعمالهم محاسبون ومجزيون

وأوصي أخيرا أولي الأمر وذوى العلم والجامعات الاسلامية

وفيهم نفر من العلماء الصالحين أن يسعوا للقيام بتفسير يشترك فيه نخبة مختارة من العلماء البارزين في مختلف التخصصات الشرعية في العقيدة .... والفقة .... والتفسير... والأدب .... والاصلاح الاجتماعي ... والعلوم التجريبية ...... الخ

يجتمع هوءلاء يتلون آيات الله فيما بينهم ويتناولونها بالتفسير والبيان ثم تصاغ كلها بأسلوب ملائم يجمع فيه كل ما يحتاجه عصرنا من اصلاح عقائدى وفقهي واجتماعي وعلمي وأدبي يعني فيه بما أسلفنا الاشارة اليه تفصيلا ... والحمد لله الذى تتم بنعمته الصالحات

آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والموءمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير، لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا توءاخذنا ان نسينا أوأخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين " (١)

---

(١) سورة البقرة : ٢٨٥ - ٢٨٦

دليل المحتويات

سقط

وهذه الأربعة في (ملحق) خاص إن شاء الله تعالى